الجزء الثاني من شرح الشفا للمولى الشهاب
الخفاجي رحمه الله تعالى ونفعنا
به وبعلومه في الدنيا والآخرة
بجاه محمد وآله آمين
ويليه الجزء الثالث
ان شاء الله
تعالى

Murat Molla Halk Kütüphanesi

Eski Kayıt No. :	447
Yeni Kayıt No. :	314/2
Tasnif No. :	297.2

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

فصل في تفضيله صلى الله عليه وسلم على غيره في الجنة بالوسيلة

أصل الوسيلة أمر يكون موصلا للأمر يتقرب به كالهدية والتودد ونحوه قال الراغب الوسيلة التوسل إلى الشيء برغبة وهي أخص من الفضيلة لتضمنها معنى الرغبة عديت بإلى قال تعالى وابتغوا إليه الوسيلة وحقيقة الوسيلة إلى الله مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحري مكارم الشريعة وهي كالقربة انتهى والمراد بها منزلة عالية في الجنة كما سيأتي فهي مجاز من باب إطلاق السبب على المسبب ومن فسرها بالقرب من الله فقد تسامح في العبارة قال الزبيدي يقال وسل إذا تقرب لا لغة المقرب والدرجة الرفيعة أي المرتفعة العالية والدرجة هنا المنزلة فأصلها ما يصعد فيه كدرجات السلم وهذا التفسير لما قبله وقال السخاوي في المقاصد الحسنة لم ترد هذه اللفظة في الدعاء الذي يدعى به عقب الأذان كما يفعله من لا خبرة له بالسنة بذكره في الدعاء لا أصل له والكوثر تقدم تفسيره وأنه فوعل من الكثرة والمراد به نهر في الجنة والفضيلة فعيلة من الفضل ضد النقص ثم ذكر المصنف شواهد لتفضيله في الجنة على غيره منها حديث رواه مسلم وأبو داود والترمذي واقتصر في الرواية على ما في أبي داود والترمذي ومسلم لقرب سنده إلى الأول دونهما فقال حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن علي التميمي نسبة لتميم قبيلة وقد تقدمت ترجمته والفقيه أبو الوليد هشام بن أحمد تقدم أيضا بقراءتي عليهما لا بسماعي من لفظهما وفي نسخة عليه بالإفراد وهذه أعلى من السماع من شيخه قالا حدثنا أبو علي الغساني الجياني السابق ذكره حدثنا النمري بفتح النون والميم وهو الإمام ابن عبد البر المتقدم حدثنا ابن عبد المومن قال حدثنا أبو بكر التمار بفتح المثناة الفوقية نسبة إلى التمر المعروف وتقدم أن الأول عبد الله بن محمد بن عبد المومن القرطبي وأبو بكر التمار تقدمت ترجمته أيضا قال حدثنا أبو داود الحافظ صاحب السنن وقد تقدم أيضا قال حدثنا محمد بن سلمة بفتح السين واللام وما في بعض النسخ من أنه مسلمة بميم في أوله سهو من الناسخ وهو أبو الحارث محمد بن سلمة المرادي المصري أخرج له أصحاب الكتب الستة وتوفي سنة مائتين وثمان وأربعين قال حدثنا ابن وهب هو عبد الله ابن وهب تقدمت ترجمته عن ابن أبي لهيعة بفتح اللام وكسر الهاء وهو عبد الله الحضرمي ثم المصري الإمام الحافظ وهو ثقة خلافا للذهبي إذ ضعفه أخرج عنه مالك وأصحاب السنن وتوفي سنة مائة وأربع وسبعين وحيوة بفتح الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية وواوها وقياسه حية بالإدغام إلا أنه لم يغير فرقا بين العلم وغيره وهو ابن شريح الحمصي ثم المصري توفي سنة مائتين وأربعة وعشرين وروى عنه أصحاب السنن وسعيد بن أبي أيوب أبو يحيى مولى الخزاعي المصري الثقة أخرج له أصحاب

السنن

السنن وتوفي سنة إحدى وستين ومائة عن كعب بن علقمة بن عمرو بن زيد بن خشم الأنصاري الخزرجي الصحابي البدري توفي سنة أربع وثلاثين وسنه سبعون سنة وفي بعض النسخ عن كعب عن علقمة والصواب الأول عن عبد الرحمن بن جبير القرشي مولى نافع الثقة توفي سنة سبع وتسعين وأخرج له الستة عن عبد الله بن عمرو ابن العاص السابق ذكره أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول حال وعبر بالمضارع للحكاية حتى كأنه يشاهد حاضرا إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول من كلمات الأذان غير الحيعلتين فإنه يقال عند سماعهما لا حول ولا قوة إلا بالله وهذا على سبيل الندب على الصحيح وفي قول عند الشافعية أنه واجب وإذا تكرر سماعه تكفي إجابة الأول وفي فتاوى ابن عبد السلام أنه يندب إجابة الكل والأول أصح وكذا في الإقامة عند الشافعي ويقول عند قوله قد قامت الصلاة أقامها الله وأدامها وعند قوله الصلاة خير من النوم صدقت وبررت قيل ولا يلزم سماع جميعه ولا فهمه ثم صلوا علي أي تقولوا عقب الإجابة اللهم صل وسلم عليه وهذا مندوب فإنه من صلى علي أي إلي بصيغة من صيغ الصلاة مرة بقرينة قوله صلى الله عليه بها أي بصلاته وضميره للشأن عشرا أضعافا عن الحسنات ثم سلوا الله لي الوسيلة أي ادعوا الله لي بأن يؤتينيها فتقولوا اللهم آت محمدا الوسيلة ثم فسرها بقوله فإنها منزلة في الجنة أي مقام عال فيها أعلاها عداه لا ينبغي أي لا يليق إعطاؤها إلا لعبد عظيم جليل عند الله فالتنوين والتنكير للتعظيم من عباد الله الأشراف المقربين بالإضافة لاختصاصهم بالشرف والقرب من سيدهم قال ابن كثير هي أقرب منازل الجنة إلى العرش وأعلاها وأشرفها وتقدم أن الوسيلة من التوسل وهو التقرب فإن قيل ما وجه تخصيص الدعاء لها بعد الأذان قلت لما كان المؤذن يدعو الناس للصلاة وهي مقربة إلى الله ومعراج المؤمنين وهذا مما من الله به علينا بإرشاده وهدايته ناسب أن يجازى ذلك بالدعاء بالقرب من الله ورفعة المنزلة قال الحرامي جنس العمل وأرجو أن أكون أنا هو ضمير الغيبة للعبد وأنا مبتدأ وهو خبره والجملة خبر أكون وكون أنا تأكيدا للضمير المستتر وهو خبر استعير ضمير الرفع للمنصوب أو وضع موضع الظاهر والأصل أكون أنا إياه أو ذلك خلاف الظاهر ولغيره صلى الله عليه وسلم بالرجاء تحقق اختصاصه بأرفع المنازل العدم بدنا وأدبا وتشريفا للأمة بأعماله وفيه دليل على جواز دعاء المفضول للفاضل ليفوز بالثواب كما أشار إليه بقوله فمن سأل الله تعالى لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة بالحاء المهملة وتشديد اللام بمعنى وجبت من حل يحل كضرب يضرب أو غشيته ونزلت عليه من حل يحل لعقد بفعل وروي له بدل عليه ولا حاجة لجعل اللام بمعنى على لأنه وجب يتعدى وليس المراد بالوجوب معناه المشهور بل التحقق والتيقن ولأنه

يتشكل بأن الشفاعة للمذنبين وقال المصطفى بمذنب بل عالم بالله لان الشفاعة انواع
كالشفاعة في دخول الجنة من غير حساب وفي رفع الدرجات وزيادة العطيات
ولا يختص هذا بمن قاله تخلقا مستحضرا الاخلاق صلى الله عليه وسلم بل يكفي فيه
مجرد قصد الثواب الا انه ينبغي ان لا يكون غافلا لاهيا واستحبابه هذا لغيره
المصلي فرضا او نفلا فان قاله فيه لم تبطل صلاته لانه ذكر الا في قوله صدقت
فانه من كلام الناس تامل وفي حديث اخر رواه الترمذي ايضا عن ابي هريرة
الوسيلة اعلى درجة في الجنة مخصوصة به صلى الله عليه وسلم وهي اقرب الى العرش
من سائر المنازل وليس هذا معلوما من الحديث السابق الا انه المراد منه وعن انس
في حديث رواه البخاري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا اسير في الجنة
تقدم الكلام على بينا بالالف والظاهر ان سيره هذا كان مناما ويحتمل انه يقظة
في الاسرا اذ عرض لي نهر اي ما جاء عرضه اي ظهر مروره بمروري عليه حافتاه
اي جانباه وشطاه وهو بتخفيف الفاء المفتوحة وهو مبتدأ خبره فيهما اللؤلؤ
مثل القباب وفي نسخة حافتاه قباب اللؤلؤ جمع قبة المعروفة وهي بيت صغير
تقربه العرب لتنزل فيه والجملة صفة لنهر بسكون الهاء وفتحها والمراد انها لؤلؤ
حقيقة او مثله في الحسن والنضارة قلت لجبريل ما هذا النهر لانه صلى الله عليه
وسلم لم يعرفه قال هذا الكوثر الذي اعطاك الله اي وهبه لك في قوله انا اعطيناك
الكوثر وهو فوعل صفة مشبهة من الكثرة لكثرة مائه وانيته ولذا فسره ابن عباس
رضي الله عنهما بالخير الكثير وهو اصل معناه ثم نقل وجعل علما لهذا النهر ونحله
عليه اللام للمح الاصل والضمير منصوب بنزع على اللغة الفصحى ولو فصل في قال
اعطاك اياه جاز وورد في صفته انه ابيض من اللبن واحلى من العسل كما سياتي قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضرب جبريل عليه الصلاة والسلام بيده الى طينه
بالتنوين والاضافة الى ضمير النهر وسماه طينا لانه بمنزلته وعلى صورته وضرب يده
مجاز عن ادخالها فيه فاستخرج مسكا اي اخرج من قعره وارضه ليعرفه بنفسه
وان طينه مسك فليس كطين انهار الدنيا وروي عن عائشة وعبد الله بن عمر مثله
اي مثل حديث انس المذكور قال اي رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث
ومجراه بفتح الميم مقصد يعني ان مجرى هذا النهر اي مجرى مائه على الدر والياقوت
الذي فوق طينه الذي هو مسك كما ان الانهار تجري على طين وحصى فهذا طينه مسك
وحصاه جواهر فلا منافاة بين كون مجراه على الجواهر وكون طينه مسكا كما مر وماؤه
احلى من العسل وابيض من الثلج بفتح المثلثة وسكون اللام قبل الجيم وبفتحها
مصدر ثلج صدري بكذا اي برد لتيقنه وابيض افعل تفضيل من البياض وقد سمع من العرب
على خلاف القياس فلا ينافي قول النحاة ان افعل التفضيل لا يصاغ من الالوان كما هو

ويجوز

ويجوز ان يكون صفته كاحمر واسود الا انه خلاف الظاهر وفي الحديث ان الله اعطاني
نهرا يقال له الكوثر لا يكاد احد من امتي يسمع خريره الا سمعه فقيل يا رسول الله
كيف ذلك قال ادخل اصبعيك في اذنيك وسدهما فالذي تسمعه خريره نقله السهيلي
وفيه وانه ابيض من اللبن وكونه احلى من العسل لا ينافي انه من انهار الجنة لخمر من
عسل وفي رواية عنه فاذا هو اي الكوثر يجري جريا معتدلا ولا يشق شقا جملة حالية
من ضمير يجري اي لا يشق الارض لشدة جريه ولذا سائر انهار الجنة تجري من غير ان
تخد اخدودا كما قاله التلمساني ويشق مبنيا للفاعل وقيل انه روي مبنيا للمجهول وفيه
المراد انه يجري معترضا لا مستطيلا من قولهم شق البرق اذا لمع مستطيلا وهو بعيد
لما ورد في الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال لا تظنون ان انهار الجنة اخدود الا
والله انها لسائحة على وجه الارض يرجع ما ذكر اليه فيكون المعنى واحدا عليه
اي على الكوثر والظاهر انه بجانبه قريب منه كما يقال مررت على زيد اي على مكان
قريب منه حوض والحوض معروف وقد تقدم المراد بكونه عليه انه يمتد منه
لان عليه ميزابين يشخبان فيه من الكوثر لا انه بجانبه اذ هو في الجنة والحوض خارجها
لحديث ليردن علي اقوام اعرفهم ولا يعرفوني ثم يحال بيني وبينهم فاقول انهم مني
فيقال لا تعلم ما احدثوا بعدك فاقول سحقا سحقا لمن غير بعدي تامل ترد عليه
امتي اي ياتون للشرب منه ولعل بعد الحساب والنجاة من النار وذكر حديث الحوض
وهذا يدل على انه غير الكوثر وقد جاء في بعض الاحاديث ان الكوثر هو الحوض والحق
انه غيره على قول من اقوال عدة ولو قيل بتعدد الحوض لم يبعد وحكوه عن ابن
عباس رضي الله عنهما اي روي عن ابن عباس ما يوافقه وعن ابن عباس ايضا
اي في رواية اخرى ذكرها البخاري قال في تفسير الكوثر الذي اعطاه الله اياه
تشريفا له صلى الله عليه وسلم وتكريما وهذا بناء على انه نوع من الكثرة مطلقا ثم
خصه بالكثير من الخير وبالنهر الذي في الجنة فكان ابن عباس فهم ابتداء مما
وضع له لغة اولا بيان معنى عام خص في الحديث والاية فلا كلام فيه وان اراد تفسير
ما في الاية فالاحاديث وردت بخلافه وفي الاية ستة عشر قولا فقيل انه النهر السابق
ذكره وقيل النبوة والكتاب وقيل القران وقيل الاسلام وقيل تخفيفات
الشرعية وقيل كثرة الامة وقيل رفعة الذكر وقيل نور النبوة المحمدية وقيل كثرة
المعجزات وقيل الدعوات المجابة له صلى الله عليه وسلم وقيل كلمة التوحيد لا اله الا الله
محمد رسول الله وقيل الفقه في الدين وقيل الخمس صلوات التي خصت بها امته صلى الله
عليه وسلم وقيل الحوض والاصح انه نهر في الجنة مخصوص وقال سعيد بن جبير
والنهر الذي في الجنة من الخير الذي اعطاه الله اياه يعني انه على عمومه وهذا
اذا دخل فيه او هو المراد منه ويؤيده ما روي عن حذيفة بن اليمان فانه ذكره

عليه الصلاة والسلام عن ربه حيث بيّنه له في حديث قال فيه واعطاني الكوثر
وهو نهر في الجنة يسيل في حوضي الذي في الموقف اي بعد الصراط يسقى منه امته
وفيه اشارة الى تغييره الحوض لان ماءه منه وعن ابن عباس في حديث صحيح رواه
ابن جرير بسنده والاجاد في تفسير قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى اي
يعطيك الى ان ترضى بما اعطاه لك وتقر عينك قال من جملة ما اعطاه الف قصر
من لؤلؤ ترابهن المسك اي هي من لؤلؤ وترابها من المسك فالضمير للقصور الذي دل عليه
قوله الف قصر وفيه اي في كل قصر فاعاد الضمير عليه مفردا رعاية للفظه لان كل معدود
تذكر ما يصلحهن الضمير عائد على القصور رعاية لمعناه وقيل ضمير فيه عائد عليه نظرا
للفظ قصرا ولما وليه ما ذكرنا فقيل الاصوب فيهن لا وجه له والمراد ما يتوهم صالح
تلك القصور من الخدم والزوجات والالات كالاواني كما اشرنا اليه بقوله وفي رواية
اخرى وفيه ما ينبغي له اي في كل قصر ما يناسبه ويليق به من الازواج والخدم بفتحتين
جمع خادم وفعل جمع لفاعل وارد في الفاظ ذكرها النحاة وقيل انه اسم جمع والازواج
جمع زوج او زوجة وذكر هذا هنا لمناسبته للنزل والمقام وهذا الحديث رواه
المصنف موقوفا على ابن عباس ان كان فاعل قال ابن عباس لا النبي صلى الله عليه وسلم
وهو الظاهر ورواه الاوزاعي مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال حدثنا اسماعيل
ابن عبد الله عن علي بن عبد الله بن عباس عن ابيه عنه صلى الله عليه وسلم الذي رأى ما هو
ما هو مفتوح على امته فسر بذلك فانزل الله عز وجل عليه والضحى والليل اذا سجى
الى قوله فترضى فاعطاه الله عز وجل الف قصر الخ وقيل في الاية انه اعطاه ما هو
شامل لكل خير اعطاه وكلما ادخره له مما لا يعرف كنهه الا الله وتقدم انه لما نزلت قال
صلى الله عليه وسلم اذن والله لا ارضى وواحد من امتي في النار وقد تقدم الكلام عليه

فصل في بيان شبهة ترد على ما تقدم من انه صلى الله عليه وسلم افضل الرسل
واعظمهم عنده وجرى على نفسه لما خاطبه بقوله فان قلت والفاء
بالفاء الاستئنافية اشارة الى نشأته مما قبله وترتبه عليه قد تقرر من دليل القرآن
وفي نسخة فاذ تقرر اي تحقق وثبت وامانه دليل القرآن بيانه او تخصيصه
لامته وصحيح الاثر اي الحديث وهو معطوف على القرآن او على دليل واجماع
الامة المحمدية كونه اكرم البشر اي اشرف بني ادم وافضل الانبيا والرسل خاصة
منهم ولو بقي اكرم الخلق لان قوله اجماع الامة يأباه لما فيه من خلاف المعتزلة في حواشي
للملائكة وان كان الصحيح خلافه فلا وجه للاعتراض بذلك فما معنى الاحاديث الواردة
بنهيه صلى الله عليه وسلم عن تفضيل الانبيا او الناهية بتفضيله عليهم كقوله
صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان ورواه المصنف من طريق مسلم فيما حدثناه
متعلق بقوله او حال منه الاسدي نسبة الى اسد قبيلته قال حدثنا السمرقندي

تقدمت

٤

تقدمت ترجمته قال حدثنا الفارسي عبد الغافر السابق ترجمته قال حدثنا الجلودي
تقدم بيانه وبيان نسبه قال حدثنا ابن سفيان ابراهيم بن محمد بن سفيان السابق
ترجمته قال حدثنا مسلم الامام صاحب الصحيح المتقدم قال حدثنا ابن المثنى محمد ابو
موسى البصري توفي سنة اثنتين وخمسين ومائتين كما تقدم قال حدثنا محمد بن
جعفر ابو عبد الله الهذلي البصري الملقب بغندر بضم الغين المعجمة وسكون
النون وضم الدال وفتحها وراء مهملة وقد تقدم انه توفي في ذي القعدة سنة ثلاث
او اربع وتسعين ومائة قال حدثنا شعبة ابن الحجاج بن بسطام كما تقدم عن
قتادة تقدم بيانه قال سمعت ابا العالية التابعي السابق ترجمته يقول حدثني
ابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم يعني ابن عباس رضي الله عنهما ابن عبد المطلب
المشهور وهو احد العبادلة وغالب رواياته عن الصحابة رضي الله عنهم لصغر سنه
في زمانه صلى الله عليه وسلم واختلف فيما رواه عنه بلا واسطة فقيل اربعة احاديث
وقيل تسعة وقيل عشرة وقيل عشرون حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم
ما ينبغي اي ما يصح ولا يجوز لعبد من عباد الله نبيا كان او غيره ان يقول انا
خير من يونس بن متى بفتح الميم وتشديد التاء المثناة الفوقية والف مقصورة
وهو اسم امه وقيل اسم ابيه وصحح كلا من القولين طائفة والاول اشهر كما مر وهو
من ولد بنيامين ابن يعقوب عليه الصلاة والسلام وكان في عهد سليمان عليه الصلاة
والسلام وكان قبل النبوة من عباد بني اسرائيل فهرب وتردد الى دجلة فبعثه الله
الى اهل نينوى من ارض الموصل وهو ابن اربعين سنة فصار يدعو بالرسالة فشكى ذلك
واعلمهم انهم ان لم يستجيبوا له حل بهم العذاب واجل لهم اربعين يوما فاعلمهم بالاجل
فقالوا ان رأينا اماراته وتكذ اسبابه وانصرفوا فلما مضى من الميقات خمسة
وثلاثون يوما غامت السما بغيم اسود له دخان فايقنوا بالعذاب فخرجوا الى القرية
باهلهم وفرقوا بين النسا والاولاد وضجوا الى ربهم فرحمهم وقيل تولى تعميرهم وسار
يونس عليه الصلاة والسلام في الارض فمر براع يسقي غنما فقال له اقرا على قومي
السلام فقال له يا نبي الله لا استطيع فان من كذب منا قتل فقال له ان الذي يوكل
شاتك وعصاك يشهدان لك فاخبرهم فانكروا وانقل الذي شهدت له الشاة والعصاة
فصدقوه وملكوه عليهم اربعين سنة وقيل كان ميقاته ثلاثة ايام فانتظر يونس فخاف
لانه من كذب ولم يقم بينة قتل في شرعهم فذهب مغاضبا وركب سفينة فركدت
وغيرها من السفن تسير فسالوه عن سبب ذلك فقال انه عبد ابق من ربه فلا تسير حتى
يلقوه في البحر فقالوا اما انت يا نبي الله فلا نلقيك فقال اقترعوا فاقترعوا ثلاث
مرات وسهم القرعة يقع عليه صلى الله عليه وسلم فالقوه فابتلعه حوت وغاص
به الى قرار الارض فسمع يونس تسبيح الحصا فنادى في الظلمات ظلمة الليل والبحر

في بطن الحوت ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فنبذ بالعراء وهو سقيم
كطير ممعوط لا ريش له فانبت الله عليه شجرة يقطين فاستظل بها فاصابه منها
يبست فبكى فاوحى الله اليه اتبكي على شجرة يبست ولا تبكي على مائة الف او يزيدون
هلكوا قتادة سبحانك لا اله الا انت اني كنت من الظالمين واختلف في مكثه
في بطن الحوت فقيل بعض يوم وقيل عشرون وقيل سبعة ايام وقيل اربعون يوما
وقيل ثلاثة وانما خص يونس بالذكر لما تحلم ما يأتي وهو خشية من سمع قصته ان
يقع في نفسه شي لقلة صبره وعدم ثباته في الشدائد وبان ان المنهي عنه تفضيل
يؤدي الى تنقيص احدهم ولذا قيل ان من قال انا خير من بعض الانبيا يخشى
عليه الكفر اذ لم يبنا فان كان لا ينبغي له ذلك وهذا مخصوص بما اذا لم يكن لذلك
وقاله افتخارا ولذا وقع من نبينا صلى الله عليه وسلم تحدثا بنعمة الله وفي غير هذه
الطريق المذكورة انفا عن ابي هريرة قال يعني رسول الله ما ينبغي لعبد الحديث
اي اذكره الى اخره كما مر في حديث ابي هريرة الذي رواه الشيخان في رجل من الانصار
تنازع ليهودي بالمدينة وبينه المصنف بقوله في اليهودي اي في رجل من اليهود
لم يذكروا اسمه الذي قال والذي اصطفى موسى على البشر اي اختاره وفضله
على سائر بني ادم من الانبيا وغيرهم فلطمه رجل من الانصار لم يذكروا من هو
وفي سيرة ابن اسحاق ان اسم اليهودي فنحاص وقال اي الرجل الانصاري فتقول
ذلك اي تفضيل موسى على البشر ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا
جملة حالية اي مع وجود النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو افضل من موسى وغيره
ولفظ اظهر جمع ظهر معجمة اي بيننا فبلغ ذلك الذي قاله اليهودي والرد عليه
النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تفضلوا بين الانبيا بالضاد المعجمة اي لا تقدموا
على الحكم بافضلية بعضهم على بعض وليس هذا على ظاهره كما سيأتي ويجوز بعضهم
ان يكون بالصاد المهملة اي لا تفرقوا وتميزوا بعضهم من بعض وفي رواية لا تخيروا
على موسى وهذه الروايات في الصحيحين وسنن ابي داود والنسائي والنهي عن تفضيل
يفضي من غيره يؤدي الى التنقيص او على سبيل العصبية والتفاخر فلا ينافي قوله انا سيد
ولد ادم ولا فخر وما سيأتي في تفضيله فذكر الحديث وفيه ولا اقول ان احدا افضل
من يونس بن متى وفي هذا الحديث زيادة ذكر موسى وهو من اولي الرسل اولي العزم
فالتفضيل عليه اقوى فيما يخفى بعد ده فلا وجه لما قيل من انه كان ينبغي
تقديم هذا الحديث على الذي قبله والحديث المذكور اوله استب رجل من
المسلمين ورجل من اليهود فقال المسلم بقسمه والذي اصطفى محمدا على العالمين
فقال اليهودي والذي اصطفى موسى على العالمين فلطمه المسلم فذهب اليهودي
الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بما جرى بينهما فقال لا تخيروني على موسى

فان

فان الناس يصعقون فاكون اول من يفيق فاذا موسى باطش بجانب العرش فلا ادري
احوسب بصعقة الطور او بعث قبلي ولا اقول ان احدا افضل من يونس بن متى وكانت
القصة في عرض سلعة وقال البرهان لا اعرف اسم اليهودي والمسلم اللاطم له وقال
غيره اليهودي اسمه فنحاص كما تقدم واللاطم ابو بكر رضي الله عنه الا ان قوله في الحديث
رجل من الانصار يأباه الا ان يقال الانصار هنا بمعناه اللغوي وهو خلاف الظاهر
وهذه الصعقة هي المذكورة في قوله ويوم ينفخ في الصور فصعق من في السموات
ومن في الارض الا من شاء الله وهذا هو الاستثنا المذكور في الحديث فالصعق الاحيا
والاخراج من القبور مجاز الا ان حقيقته الصياح مع غشي يخر منه وقيل
المراد بها حقيقتها وانها في عرصات القيامة بعد الحشر يوم الفزع الاكبر وقال
ابن قيم الجوزية في كتاب الروح نقلا عن تذكرة القرطبي ان هذه الرواية دخل فيها حديث
في حديث ولذا اشكل عليهم والذي يرفع الاشكال ان الموت ليس بعدم محض انما هو انتقال
وانتقال من حال الى حال والانبيا والشهدا احيا لكنهم غيبوا عنا في برازخهم فاذا نفخ
في الصور فمن مات حي ومن كان حيا من الانبيا ونحوهم كالمغشي عليه صعق ثم افاق ولذا
ورد في حديث مسلم فاكون اول من افيق فلذا تردد النبي صلى الله عليه وسلم في انه اول من
ينشق عنه الارض فاذا ام موسى صلى الله عليه وسلم سبقه لانه حوسب بصعقة
الطور فلم يغش عليه ويصعق وهذه فضيلة لموسى عظيمة فلذا ذكرها ونهى عن
تفضيله عليه وانه لا يلزم كونه افضل منه من سائر الوجوه فلذا خصه بالذكر وخص
يونس لما مر ونشر امام الحرمين عن نفي الجهة ودليلها تعالى دليلها قوله صلى الله
عليه وسلم لا تفضلوني على يونس بن متى لانه خاطب الله في قعر البحر والظلمات
الثلاث بقوله سبحانك كما خاطبه نبينا صلى الله عليه وسلم في مقام قرب قاب قوسين
على الرفرف فلم يكن ثمة اقرب من يونس وعن ابي هريرة في حديث رواه البخاري ومن
قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب ذكروا فيه احتمالين بان يكون انا عبارة عن
النبي صلى الله عليه وسلم اي من فضلني على يونس عليه الصلاة والسلام فقد كذب
وان يكون انا عبارة عن القائل غيره اي اي احد من الناس قال انا خير من يونس لتوهمه
انه فضله بعلمه وعبادته وغير ذلك من الفضائل لان احدا لا يبلغ درجة الانبيا
عليهم الصلاة والسلام وقد قالوا انه كفر وهذا يؤيد ان المراد الاول وعن ابن مسعود
لا يقولن احدكم انا خير من يونس بن متى وفي حديثه الاخر اي حديث ابن مسعود الذي
رواه مسلم وابو داود والترمذي جاء صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا خير البرية
اي يا افضل الخلق كلهم والبرية بتشديد اليا من برا بمعنى خلق من البرا
بمعنى التراب الا انه التزم فيه ابدال الهمزة كما في النهاية فقال ذلك وفي نسخة ذلك
والاشارة لخير البرية ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وهو في الحقيقة افضل

البرية والرسل بعد نبينا صلى الله عليه وسلم وقال السيوطي انه متفق عليه فاعلم
جواب الشرط في قوله فان قلت وهو شروع في تحقيق المسئلة والجمع بين الاحاديث
المتعارضة في التفضيل وعدمه انه للعلما في هذه الاحاديث الناهية عن
التفضيل وهل يخالفها تاويلات تقدم بعضها وسيأتي تحقيقها احدها انه نهيه
صلى الله عليه وسلم عن التفضيل كان قبل ان يعلم انه سيد ولد ادم بالبنا
للفاعل او المفعول اي يعلمه الله وهذا دليل على انه قوله انا السابق عبارة عنه صلى
الله عليه وسلم فهي عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف اي اعلام به من الله واذن فيه
فلا يقدم عليه بالعقل وكون التفضيل في الحديث خاصا بموسى ويونس عليهما الصلاة
والسلام فيه ولا دلالة عليه في الجملة فلا يرد ما قيل انه لا يقتضي المنع مطلقا فتامله
وان من فضل بلا علم فقد كذب لانه لا يطابق ما في نفس الامر عنده اذ لم يعلم وهذا
لتشديد النبي والا فاخباره على غلبة الظن انه واقع لا يعد كذبا وكذلك قوله لا اقول
ان احدا افضل منه لا يقتضي تفضيله هو لانه نفي لقوله فهو لا يدل على انتفائه
في نفس الامر وما كان لا يعلم فقال وضمير تفضيله هو للنبي صلى الله عليه وسلم اي
تفضيله على يونس او ليونس صلى الله عليه وسلم عليه وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام
وانما هو في الظاهر كف اي امتناع او امنع لغيره عن التفضيل بينهم وقد يكون لامر
اخر الوجه الثاني انه قاله صلى الله عليه وسلم على طريق التواضع ونفي التكبر
والعجب بنفسه فيكون اي عجبه وخيلائه بنفسه ومدحه لها فانه لم يكن في الغالب
والتكبر اظهار عظمته والعجب استحسانه لنفسه ونباهته والتواضع لين الجانب
وخفض جناحه لغيره وهذا الجواب لا يسلم من الاعتراض الوارد عليه لانه يبعد
الاخبار بخلاف الواقع الذي هو كذب مذموم تواضعا فتامل ولان نفي التكبر
والعجب يقتضي بتوهمهما الرد وانه مع ما علم من حاله كيف يتوهم فيه ما لا يتوهم في غيره من
صلحا امته ولا يخفى ان اعتراض ساقط فان التواضع صفة محمودة وهو من شانه
صلى الله عليه وسلم كما تقدم الوجه الثالث ان مقصوده صلى الله عليه وسلم بنهيه
انه لا يفضل بينهم تفضيلا يؤدي بضم التحتية وفتح الهمزة وتشديد الدال المهملة
اي يجر ويوصل الى تنقيص بعضهم تفعيل من النقص اي تقتضي وصفهم بانه نقص
لهم وذم او الغض منه بفتح الغين المعجمة والضاد المعجمة المشددة كالغضاضة
وهي النقص والعيب واصله من غض الطرف والصوت وهو خفضه فاستعير لما ذكر
وضمير منه للتنقيص وفي نسخة منهم ويفهم من هذا جوازه اذا لم يؤد لما ذكر لاسيما اي
خصوصا في جهة يونس عليه الصلاة والسلام اي في حقه ووصفه لان الجهة
تطلق على الصفة ومنه موجبات القضا بالذات لاسيما عند الجهلة من ادراك الاسرار
ولعل هذا محل الكلام عليه اذ اخبر الله عنه بما اخبر فقوله ولا تكن كصاحب الحوت

الخ لئلا يقع في نفس من لا علم عنده اي لا يعلم من يونس وما قص من قصته بسبب ذلك اي
بسبب ذلك المذكور وهو متعلق بقوله غضاضة اي نقص وحقارة يتوهمها من لا
علم عنده وعطف عليه عطف تفسير قوله وانحطاط من رتبته الرفيعة استعارة
تبين لشرفه منزلته اثر عال حسا نزل من علو لسفل اذ قال الله تعالى حاكيا
عنه اذ ابق الى الفلك المشحون اي خرج الى سفينة مملوة بما فيها من الناس والمتاع
والاباق هروب العبد من سيده حسن اطلاقه عليه اذ خرج بغير اذن ربه وقال
تعالى اذ ذهب مغاضبا لقومه لما لم يجيبوا دعوته كما تقدم فظن ان لن نقدر عليه
اي لن نضيق عليه بالعقوبة وتركه ويده انه ترك مستقلا او تمثيلا لحاله بحال من ظن ان لا نقدر
عليه فقال هو من القدر لا القدرة قال ابن بري اي من الارادة فظن اذ يريد عفو ربه
فربما يخيل بالبنا للمجهول ونائب فاعله قوله خطيئته وقوله لمن لا علم عنده بمعاني
القران وما قيل في تاويل هذه الاية متعلق به خطيئته اي نقصه ونزوله مقامه عن
مقام غيره من الرسل لنظره لظاهر الاية فقد قال المفسرون فيه انه اي الافضل
معنى ذهب مغاضبا انه غضبه من قومه لامر ربه وهذا خلاف الاولى اذ كان الاحقه
الصبر كما وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم في احد وغيرها فلم يذهب بغير امر
ولذا قال الله تعالى ولا تكن كصاحب الحوت واما قوله فظن ان لن نقدر عليه فقد
تقدم تاويله وقيل احسن ما قيل فيه ان معناه لن نضيق عليه وقول البيضاوي انها
خطرة شيطانية سبقت الى وهمه سميت ظنا للمبالغة مما لا يليق ان يقال لعصمة
الانبيا عليهم الصلاة والسلام عن مثله الوجه الرابع منع التفضيل بين الانبيا
والرسل الذي افاده النهي الوارد في الحديث انما هو في حق النبوة والرسالة نفسها
لا الانبيا والرسل قال السنوسي في شرح عقايده لبعدما ذكر ما قاله المصنف ومما يدل
على عدم التفاضل بين الانبيا في نفس النبوة وحقيقتها منع ان يقال نبوة فلان النبي
النصيب الاكمل من النبوة ولفلان النصيب الادون منها ونحوه من العبارات التي
تقتضي ان النبوة مقولة بالتشكيك ولا شك ان الامتناع من هذه العبارة معلوم من
الدين بالضرورة بين السلف والخلف فدل ذلك على ان حقيقة النبوة من المتواطي المستوي
افراده ولا يلتفت لمن خالف مقتضاه لوضوح فساده انتهى وفي ذكره ذلك في النبوة
دون الرسالة ايما لعود بينهما في ذلك فتامله وقريب منه قوله فان الانبيا فيها اي
في النبوة من حيث هي على حد واحد فرتبتها وقدرها متحد فيهم وانما التفاضل
والتفاوت في زيادة الاحوال اي العوارض العارضة عليها والخصوص اي ما خص به بعضهم
دون بعض والكرامات التي اكرم الله بها بعضهم والرتب الدينوية والاخروية والالطاف
اي العطايا التي اعطاها الله لبعضهم جمع لطف بفتحتين وهو الهدية كما مر
فهو استعارة هنا والنبوة في نفسها فلا تتفاضل بامور اخر زائدة على لطفها

طائفة ليست من نفس حقيقتها كما بيناه وكذلك اي مثل ما ذكر لي من ان التفاضل لامر اية
كان منهم رسل غير اولي عزم ومنهم اولو عزم من الرسل والعزم القوة والشدة
والتصميم على تنفيذ ما يراه اولى به وبغيره والرسل جمع رسول وهو صاحب الرسالة
من الله لبشر بعينه المامور بالتبليغ فهو اخص من النبي على المشهور من الرسل بالكسر
وهو تتابع الدر ومنه على رسلك اي تمهل وتثبت وقد اختلف في اولي العزم والجزم
منهم فقيل هم خمسة نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وهم
اصحاب الشرائع وقيل اربعة نوح وهود وابراهيم ومحمد صلى الله عليه وسلم وقيل
ستة ابراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وقيل
هود ونوح وصالح وشعيب ولوط وموسى وهم المذكورون على نسق في الاعراف و
والشعراء وقيل هم نوح لصبره على اذى قومه وابراهيم لصبره على النار واسحاق لصبره
على الذبح في قول ويعقوب لصبره على فقد ولده ويونس لصبره ويوسف لصبره على
السجن وايوب لصبره على الضر وقيل هم المامورون بالجهاد وقيل جميع الرسل المذكورين
في الانعام واختاره الحلبي لقوله اولئك الذين هدى الله الخ وهذا مبني على تفسير العزم
ثم بين بعض ما وقع فيه التفاضل فقال ومنهم من رفع الله مكانا عليا وهو
ادريس سبط شيث وجد نوح واسمه اخنوخ رفع الى السما او الجنة كما قاله المفسرون
وكذا عيسى ومنهم من اوتي الحكم صبيا وهو يحيى اذ احكم الله عقله صغيرا واتاه
الحكمة وفهم التوراة واكثر الانبيا نبي بعد الاربعين وقد ذكر مثل هذا في عيسى ايضا
واوتي بعضهم الزبور وهو داود وفي نسخة الزبر جمع زبور بمعنى المزبور المكتوب
فيشمل موسى وعيسى وادريس وشيث وداود وقيل انه يكون مصدرا الا في الحجة
لابي علي وبعضهم البينات اي المعجزات الظاهرة الباهرة التي لم يوتها احد قبله من
احيا الموتى وابرا الاكمه والابرص ونحوه مما فضله الله به وهو عيسى عليه الصلاة والسلام
ومنهم من كلمه الله من غير واسطة وهو موسى اذ كلمه بالطور وليلة الاسرا ورفع
بعضهم درجات عالية فضله بها على غيره وهذا اجمال لبعض ما لم تذكر والمراد به محمد
صلى الله عليه وسلم اذ فضله على من سواه بوجوه متعدده ومراتب متباعدة كدعوته
العامة للعرب والعجم والجن والانس والملائكة ومعجزاته الباقية الى يوم القيامة ومن
اجلها القران وغيره مما يفوت الحصر قال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض
الاية وقال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الاية هذا بيان لما قبله
او ناظر لجميعه كما اشرنا اليه وقوله وكذلك انته باعتبار الجماعة قال بعض اهل العلم
بالكتاب والسنة والتفضيل المراد لهم هنا عطف على مقدر اي فعلى ما تقدم وهذا
اشارة لما ذكر قبله في الدنيا متعلق بالتفضيل وذلك بثلاثة احوال وفي نسخة
ارجحها ان يكون اياته ومعجزاته اظهر اي اقوى واغلب من بهر ضوء القمر الكواكب اذا غلبها

او

او ظهر واشهر عطف تفسير له كانشقاق القمر والقران وانفلاق البحر وانقلاب العصا
حية او يكون بالنصب امته ازكى واكثر اي انمى واكثر من غيرهم كنبينا صلى الله عليه
وسلم لقوله كنتم خير امة اخرجت للناس وقد ارسل للناس كافة او يكون بالنصب
في ذاته افضل بزيادة علمه وخصاله المحمودة واظهر بالمعجمة اي اشهر وبالمهملة انقى
وانقى وفضله في ذاته وبعضه راجع الى ما خصه الله به اي مما له ومعناه من كرامته
اي اكرام الله له بما ثبت من غلبته وخصاله واختصاصه بالجر معطوف على مدخول
الى او من كلام بيان لاختصاصه بمعنى ما خصه به بغير واسطة كموسى ونبينا صلى الله
عليهما وسلم او خلة تقدمت والخلة لابراهيم اوله ولنبينا صلى الله عليهما وسلم او رؤيته
عيانا قبل دخول الجنة كما في المعراج او ما شا الله واراده لحكمة غير ما ذكر من الطاف
بفتح الهمزة اي عطايا مما تقدم وفي نسخة الطافه بالاضافة تخفى ولا تبدو اي
تخفى لا لاهل الخصم واختصاصه مما اخفي لهم من قرة اعين لا يعلمها الا هو وتخفى وتبدى
بالبنا للمجهول وهذا رواه ابن ابي حاتم والحاكم في مستدركه عن وهب بن منبه
وهذا رجوع الى تنزيه يونس صلى الله عليه وسلم مما ذكر من الاوهام ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ان للنبوة اثقالا اي احمالا ثقيلة قال تعالى ويحمل اثقالكم جمع ثقل
والثقل بكسر وسكون مقابل الخفة قال الراغب واصله في الاجسام ثم يقال في
المعاني كاثقله الغرم والوزر وهو في الانسان ذم في اكثر المتعارف وقد يكون
مدحا كقوله

تخف الارض اما بنت عنها • وتبقى ما بقيت بها ثقيلا
حللت بمستقر الارض منها • فتمنع جانبيها ان تميلا

والمراد هنا المشاق التي تكون في تبليغ الرسالة وان يونس تفسخ منها الضمير للاثقال
والاحمال وتفسخ بالفا والسين المهملة المشددة والخا المعجمة تفعل من التفسخ وتقطعت
اعضاوه وتفككت لعدم طاقته صلى الله عليه وسلم لحملها يقال تفسخ البعير تحت الحمل
الثقيل ونحو ذلك بنا ذاك الضعاف ومنه تفسخ المعقود عند العقد تفسخ الربع تفعل مصدر
من التفسخ والربع بضم الرا المهملة وفتح البا الموحدة والعين المهملة وهو الفصيل
اي ولد الناقة الصغير الذي يولد في الربيع وبعده الهبع الذي يولد في الصيف وتفسخ
منصوب بالمصدرية لتفسخ اي تفسخ كتفسخه اي لم يطق شاقه ولم يصبر عليها وفي
تشبيهه بالربع اشارة الى انه كان في مبدا امره وفي قوله اثقالا استعارة تصريحية
وفي تفسخ استعارة تصريحية تبعية ولا حاجة الى التشبيه ويجوز ان يكون استعارة تمثيلية
وهو احسن ثم بين المراد فقال فحفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم بنهيه عن
التفضيل موضع الفتنة اي ما يقع الناس بسببه في فتنة وامر محذور من تنقيص
الانبيا عليهم الصلاة والسلام فجعله كانه موضع لها تقرر فيه من الاوهام التي تتوهمه

من لا علم له وهو متعلق بحفظ اي صانه مما يتوهم او هو بيان للموضع من يسبق اليه بوهم
اي المواضع التي الاوهام وقيل المراد به اغالطا من سام وضجر وقيل بسبب الفتنة
وقيل بسبب قصة يونس عليه الصلاة والسلام جرح في نبوته بفتح الجيم اي ذكر ما لا يليق
بمقام النبوة مما يقتضي عدم العصمة او قدح في اصطفائه اي ذم وتنقيص لكونه
صفوة مختارا عند ربه مفضلا على غيره والقدح ذكر العايب والنقايص وحط من
رتبته اي تنزيل له من علو مقامه ووهن في عصمته اي عد عصمته فيما ضعف لما تو
توهمه من ظاهر قصته المايلة فلذا نهاهم صلى الله عليه وسلم عن تفضيله عليه
فضلا عن تنقيصه لتساويهم في حقيقة النبوة وان تفاوتوا في الحصر وصفا يخصه
كما شهد له مفضلا سنة منه صلى الله عليه وسلم بالنفسه مفعول له او علة لحفظ على
امته ان يقع منهم ما لا يليق بمقام النبوة فيكون لهم وزر يستحقون به سوء الخاتمة بسخط
الله وعقابه وقد نتوجه اي تحصل توجيه اخر في الجواب عما مر او تاتي ويبتني على
هذا الترتيب اي على ما رتبناه على النبوة من الاختصاص بامور اكرمهم الله بها وجه
خامس وهو ان يكون لفظ انا في الاحاديث السابقة راجعا الى القايل نفسه المذكور
في قوله لا ينبغي لاحد ان يقول فليس المراد بضمير المتكلم النبي صلى الله عليه وسلم كما في
الوجوه المتقدمة اي لا يظن احد من الناس غير الانبيا وان بلغ من الزكا اي انه بلغ من الزكا
الراي المحمه اي الصلاح وزيادة الخير قال التلمساني انه بخط المصنف هكذا
ورواه العزفي تلميذ المصنف بالذال المعجمة وهو الفطنة والعصمة اي الحفظ من الذنوب
وليس المراد بها ما يختص بالانبيا وهي المذكورة في قولك انما الكلم العصمة في الخطرات
والسكنات ولذا جوز بعضهم الدعا بها ومنعه بعضهم كما نقله ابن حجر في فتاويه
والطهارة اي البراة من الاوزار ما بلغ اي مبلغا عظيما فما مصدرية او موصوفة انه
خير من يونس بن متى وهذا مفهوم بطريق المنع لاجل ما حكى الله عنه تفصيل لظنه اي
ما تعتقد في قضيته من لومه على تضجره وعدم صبره على قومه لتماديهم في غيهم وعدم
اجابتهم دعوته صلى الله عليه وسلم للايمان وسوق كلامه يؤذن بان القايل من غير الانبيا
كما يشهد له قوله فان درجة النبوة ورتبتها العالية افضل واعلى عند الله من درجة
غيرهم من الاتقيا وهذا امر فرضي او مبني على عدم العلم بالنهي عن مثله فلا يرد عليه
انه كيف يكون تقيا وقد صدر منه تنقيص الانبيا الذي قيل انه كفر وايضا كيف
وصفه بالعصمة وهو غير نبي وان تلك الاقدار جمع قدر بفتح القاف والدال
المهملة اي ما قدره الله عليهم لحكمة باهرة وليس بمعجمة وان جاز تاوله بانه بالنسبة
لمقامهم ذنب مستقذر فانه غير مناسب لفظا ومعنى لم تحطه عنها اي لم تنزل يونس عليه
الصلاة والسلام عن درجته مقدار حبة خردل التي هي اصغر الحب والاحسن خردلة
بوزنها ولا ادنى اي اقل واصغر من خردلة اي لم ينقصه اصلا وسنزيد في القسم

الثالث

الثالث في هذا بيانا بايضاحه وتفصيله ان شاء الله فقد بان لك الغرض المقصود
الذي قصدناه في هذا الكتاب وسقط بما حررناه اي بما قررناه او لخصناه او كتبناه
والتحرير التلخيص واظهار الزبدة لان اصله جعل الشي خالصا اي خالصا ومنه حر الوجه لاكرم
موضع منه والحر المقابل للعبد والتحرير بمعنى الكتابة من الخاص الذي صار عاما او مأخذه
او كتابته المعتاد كما في الكشف شبهة المعترض الذي اعترض على ما تقدم ولو قال من
اعترض كان صحيحا لكن المصنف لم يقصده ولما كان ما تقدم في ذكر فضائله واسمايه صلى
الله عليه وسلم دال عليه ذكر عقبه بما لك كما اشار اليه بقوله فصل
في اسمايه صلى الله عليه وسلم وما تضمنته من فضيلته اما هو مدلوله او لازم لمقتضاه
كانه ضمنه والاسما جمع اسم والكلام على كونه من السما او السهو اعتنا بما شهر به عن ذكره واما
البحث عن كونه عين المسمى او غيره فبحث لا طايل تحته فلا وجه لذكره هنا وقد افرده
بالتاليف والاسم له معان فيطلق على مقابل الفعل والحرف وعلى مقابل الكنية
واللقب وعلى مقابل الصفة المشتقة ويكون بمعنى العلم والظاهر ان المراد به هنا ما شاع
اطلاقه عليه صلى الله عليه وسلم سوا كان علما او صفة او غيرهما وسوا اختص به وصفا ام
فهو العلم ومما يشهد وكثرة الاسما تدل على شرف المسمى فلو ادعانا لا يرد كثرة اسما
الحمار او هو الكثرى وهو الظاهر في شرح الترمذي الا للنبي صلى الله عليه وسلم
الف اسم كما ان لله الف اسم ونقل مغلطاي انها تبلغ ثلاثمائة وفيها
تسعة وتسعون كاسما الله ومنها ما هو بلفظ الفعل المحض واكثرها صفات مادحة
كما اشار اليه المصنف بقوله تضمنت فضيلته ولابن دحية تاليف مستقل في اسمايه
صلى الله عليه وسلم ان المصنف رحمه الله ذكرها حديثا رواه الشيخان عن محمد بن
جبير عن ابيه بسند متصل الا ان المصنف رواه عنه مرسلا لعو سنده فيه بعد رجع
فقال حدثنا ابو عمران موسى بن ابي تليد الفقيه تليد بفتح المثناة الفوقية واخره
دال مهملة بمعنى قديم العهد لولادته معهم ثناوه ومدلته بن واو وهو صاحب العارف وقد
تقدمت ترجمته قال حدثنا ابو عمر الحافظ بن عبد البر وقد تقدم ايضا قال حدثناه
سعيد بن نصر تقدمت ترجمته ايضا قال حدثنا قاسم بن اصبغ بهمزة مفتوحة وصاد
مهملة وموحدة مكسورة وغين معجمة وهو قاسم بن اصبغ بن محمد بن يوسف بن
واضح بن عطا الامام الحافظ محدث الاندلس ابو محمد الاموي مولاهم القرطبي كان مسند
عالي الاسناد ثقة ولذا قطع الرواية في اخر عمره خوفا من الغلط ولد سنة سبع
واربعين ومايتين وتوفي بقرطبة في جمادى الاولى سنة اربعين وثلاثمائة قال
حدثنا محمد بن وضاح بن بزيع مولى ملك الاندلس عبد الرحمن بن معاوية الاموي
الحافظ محدث الاندلس ابو عبد الله القرطبي مولده سنة تسع وتسعين ومائة او سنة
مايتين بقرطبة وتوفي في المحرم سنة سبع وثمانين ومايتين قال الذهبي انه صدوق

روي عنه كثير من اهل الاندلس قال حدثنا يحيى بن يحيى الليثي عالم الاندلس
وراوي الموطا وليس له رواية في الكتب الستة الا نادرة وقد تقدم الكلام عليه
عن مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه ومحمد هو ابو علي وتقدم
عنه الزهري وهو روى عن ابيه جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل وهو صحابي اسلم
بعد الحديبية وروى عنه ابناه محمد ونافع وروى عنه ابن المسيب وكان نسيبا وتوفي
في سنة تسع وخمسين واخرج له الائمة الستة واحمد في مسنده وهذا الحديث اخرجه
مالك في الموطا والترمذي في الشمائل والبخاري وهو حديث صحيح مسند قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسما قدم الجار والمجرور للتقرير والتاكيد
او للتخصيص باعتبار انه لم يسم بها احد قبله او لاشتهارها في الامم الماضية فالتخصيص
المستفاد من التقديم اضافي لا حقيقي لزيادتها على ذلك وقال السيوطي في كتاب
الرياض الانيقة في اسماء خير الخليقة انه قيل انه يطلعه الله على بقية اسمايه وقال
المصنف فيما في قبل انها موجودة في الكتب القديمة وعند الامم السالفة ورده
ثم الاكثر فالحق ان مفهوم العدد غير معتبر فلا يفيد الحصر وقال ابن عساكر في كتاب
المبهمات يحتمل ان لفظ العدد ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم او التخصيص لان
المراد خمسة اسما فاضلة او معظمة مشهورة انتهى ولا يخفى ما فيه وانه مخالف للظاهر
وقال ابن فارس الا اسماه صلى الله عليه وسلم العادة وعشرون وقيل المراد
خمسة مسماة في الكتب الماضية وباقيها اوصاف واسماؤه صلى الله عليه وسلم توقيفية فلا يجوز
ان يسمى باسم لم يسمه به الله او يسمي هو به نفسه او ابوه وجده انا محمد وانا احمد وانا
الماحي الذي يمحو الله بي الكفر اي يزيله حقيقة من جزيرة العرب وحكما من جميع الارض
وقيل يمحو به سيئات من تبعه كقوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف
وقوله صلى الله عليه وسلم بي كان الظاهر ان يقول به لكنه راعى فيه المعنى كقوله انا
الذي سمتني امي حيدرة والكلام عليه مفصل في كتب العربية وانا الحاشر الذي يحشر
الناس على قدمي بتشديد اليا مفتوحة وتخفيفها ساكنة اي يحشرون على اثري وبعد
نبوتي اذ ليس بعده صلى الله عليه وسلم نبي وقد روى انا الحاشر الذي يحشر الناس
خلفه وعلى ملته دون ملة غيره وانا العاقب الذي يعقب الانبيا عليهم الصلاة والسلام
فلا نبي بعده وعيسى عليه الصلاة والسلام يأتي على شريعته وقال ابن الاعرابي
العاقب من يعقب غيره في الخير ومنه العقب بمعنى الولد وسياتي تفصيل معنى الحديث
وقد سماه الله في كتابه وهو القران محمدا واحمد في قوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم
وقوله يأتي من بعدي اسمه احمد وكونه حكاية عن عيسى عليه الصلاة والسلام لا ينافي كونه
المسمى له الله وكذا انزل الله على انه اطلعه عليه باعلام الله فان لكل المسمى له
حقيقة هو الله فمن خصها بعدد نفى ما له اي الاية له ان قلنا بجواز حذف الموصول مع

بعض الصلة فهو صفة له او هو متعلق به لما فيه من معنى التكريم وقيل انه مفعول له
واللام مزيدة للتقوية والظاهر انه اسم غير موصوف بالتعدي وضده ان حمى اسماه
فاعل حمى ضمير الله والضمير المضاف اليه للنبي صلى الله عليه وسلم ثناءه مفعول حمى
وهو مصدر مضاف للفاعل او للمفعول باعتبار ان الضمير لله او للرسول اي ثنا الله
عليه وطوى اثنا ذكره بفتح الهمزة والمد جمع ثني كعقل وهو ما انعطف من الوادي وقيل
هو في اثنايه وتثنايه اي داخله ونصبه على الظرفية وطوى من قولهم طوى الثوب
اذا عطف بعضه على بعض وهو كناية عن الكتم والاخفا فالمعنى اخفى واخل ذكر النبي
اي في اسمايه التي سماه بها عظم شكره اي شكره العظيم والضمير لله او للنبي فان كان
ضمير شكره للنبي صلى الله عليه وسلم فاضافته له من اضافته للفاعل او المفعول اي كونه
شاكرا او مشكورا شكرا عظيما لان اكثرها اوصاف غلبت عليه او اختصت به اختصاص
الرحمن بالله مع بقا الوصفية او اعلام منقولة ملموح اصلها فيفيد الوجه والاعلا
وضعت لتعيين الذات لكن المنقولة من الصفات يشعر بمعانيها الاصلية ولذا جاز
دخول العلم عليها ومعظم اعلامه كذلك فاما اسمه احمد فهو منقول من افعل مبالغة في
صفة الحمد مبالغة مرفوع خبر لمحذوف او منصوب مفعول له والجار والمجرور صفته
والمبالغة لانه افعل تفضيل حذف المفضل عليه فيفيد التعميم نحو الله اكبر اي من
كل شي ثم نقل ولحظ اصله فلا يرد عليه انه علم كيف يفيد ما ذكر وما قيل من انه للتفضيل
لا للمبالغة في المبالغة لها صيغ مخصوصة معدودة واطال من غير طائل على عادته
وقال السخاوي في سفر السعادة احمد اسم النبي صلى الله عليه وسلم ليس بمنقول من المضارع ولا
من افعل التفضيل فهو كاحمر واصفر وهو ابلغ من محمد وهو كلام مما فيه وبلغ
النهاية في الحمد قال الاعشى

اليك ابيت اللعن كان كلالها • الى الماجد الفرع الجواد المحمد

انتهى وفيه نظر لا يخفى وقدمه المص لانه اسمه صلى الله عليه وسلم في الكتب القديمة وقد سماه
به موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام كما نطق به القران وسماه الله به لانه حمده في مقام لم يحمده
فيه سواه بمثل محامده كما تقدم وسيأتي في تتمته ومحمد مفعل فهو في الاصل اسم مفعول من التفعيل
ينبي عن الكثرة فيفيد مبالغة ايضا والحمد الصيغة معا انه اخر مذكوره في كتب التصريف
وفي شرح الهادي انه مرتجل قال ابن معطي وهو غلط وتوجيهه بانه لم يستعمل في غير العلمية
يرده بيت الاعشى المذكور وروي عن ابن عباس بسند متصل كما رواه البيهقي في دلايل
النبوة انه لما ولد صلى الله عليه وسلم عق عنه عبد المطلب بكبش وسماه محمدا فقيل
له يا ابا الحارث ما حملك على ان سميته محمدا ولم تسمه باسم ابايه فقال اردت ان يحمده اهل السماء
ويحمده الناس في الارض واخرج عنه ابن اسحاق بسنده ان امه امنة بنت وهب حدثت
انها اتيت حين حملت به صلى الله عليه وسلم فقيل لها انك قد حملت بسيد هذه الامة

فاذا وقع الى الارض فقولي

اعيذه بالواحد من شر كل حاسد . وكل بر عاهد وكل عبد رايد يرود غير رايد

وترويه فانه عند الحميد الماجد . حتى اراه قد اتى المشاهد

فاذا وضع فسميه محمدا فان اسمه في التوراة احمد يحمده اهل السما والارض واسمه
في القران محمد فسمته بذلك وقال ابو الربيع بن سالم في سيرته روي ان عبد المطلب
انما سماه محمدا لرؤيا راها كان سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف في السماء
وطرف في الارض وطرف في المشرق وطرف في المغرب ثم عادت كانها شجرة على كل ورقة منها
نور واذا اهل المشرق والمغرب يتعلقون بها فقصها فعبرت له بمولود من صلبه يتبعه اهل
المشرق والمغرب ويحمده اهل السما والارض فلهذا سماه محمدا مع ما حدثته به امه انتهى
فانه صلى الله عليه وسلم اجل من حمده بفتح الحاء وكسر الميم والبنا للفاعل اي اجل الحامدين
وافضل من حمد بالبنا للمجهول لف ونشر مرتب فالاول راجع الى اسم احمد والثاني لمحمد
والتفضيل استفيد من محمد لما فيه من التكثير وكون الكلام فيه بغيره فكان افضل من
حمد والحمد مقصود بحمل الحامدية والمحمودية وان لخيه في محمد الثاني وجوز ابن القيم
في احمد ان يكون بمعنى المفعول اي اكثر محمودية والفرق بينه وبين محمد انه لزيادة الكمية
ومحمد لزيادة الكيفية وهذا ابلغ من مدحه صلى الله عليه وسلم ولو اريد الفاعل لقيل
حماد بدل احمد واعترض عليه بانه تخصيص من غير مخصص وبنا اسم التفضيل من المفعول
شاذ كاشغل من ذات النحو وكون حماد ابلغ من احمد كا انتصاء كلامه لا وجه له اقول
هو لم يعني ما قاله وانما ادعى جوازه وانه اولى لسلامته من التكرار والترادف الذي هو خلاف
الاصل وترجيحه حمله على احمد للتبرك لا لمعنيته بل لانه اكثر وانحى واما كون التفضيل من
المفعول شاذ فمسلم ولكنه سمع من العرب في قولهم العود احمد وانشد العلامة الزمخشري
واول من قال العود احمد خداش لا حابس التميمي وقول المصنف واكثر الناس حمدا اي محمود
به بدليل قوله فهو احمد المحمودين والاعتراض عليه بما روي على ابن القيم ساقط لما سمعته
انفا واحمد الحامدين هو وما بعده بيان لوجه التسمية بهما وتصحيح ارجاعه لكل منهما
من غير لف ونشر وقيل اسمه احمد قبل محمد في البشارة فانه تعالى لما خلق نوره قبل كل مخلوق
حمده بمحامد الهمه اياها فحمده لها غيره فكان احمد من دخل تحت كلمة كن في عالم الخلق ه
والامر فلما ظهر للتلقين حمده على السنتهم فاستحق ان يسمى محمدا فاذا كان لوا القيامة
كان احمد الخلق فسمي احمدا فلما عمت شفاعته العظمى حمده الخلق فسمي محمدا وفيه من
التكلف ما لا يخفى ومعه لوا الحمد يوم القيامة اللوا علم الجيش وهو اكبر من الراية
اي انه تحت امره وفي قبضته وهذا يحتمل انه على حقيقته ليعلم انه صلى الله عليه وسلم
بان هذه المرتبة تفوق على كل مخلوق في كونه حامدا ومحمودا ويعني لوا الحمد انه لوا يتبعه
كل حامد ومحمود ويعلم ذلك بالهام الله او بنداء الملائكة معه او باعلان الحمد خلفه ونحوه

واصحابه

واصحاب الحمد حينئذ من لهم الشفاعة وكلمة الانبياء ويحتمل انه تمثيل لشهرته
صلى الله عليه وسلم في اهل الموقف وعدم الثنا وبل اسلم ليتم له كمال الحمد مبني
للمجهول او الفاعل واختار البرهان الاول واتمام حمده له باشهاده وتسليم
كل احد له من غير تردد كما كان في الدنيا لبعض اهلها كما اشار اليه بقوله
ويشتهر وفي نسخة وتشهر في تلك العرصات بسكون الرا ويجوز فتحها وعرصة
الدار ساحتها وهي البقعة الواسعة التي ليس فيها بناء وجمعها عرص وعرصات
وفي التهذيب سميت ساحة الدار عرصة لان الصبيان يعرصون فيها اي يلعبون
ويمرحون والمراد هنا ارض الموقف والمحشر بصفة الحمد وهو الثنا على الجميل
الاختياري على جهة التعظيم وقيل حقيقته اظهار الصفات الكمالية باللسان
او بغيره وفيه كلام في شرح الزوراء للجلال الدواني ويبعثه ربه هناك اي في القيامة
مقاما محمودا كما وعده بقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ونصب مقاما
على المفعولية بتضمين يبعثه معنى يعطيه او على الظرفية لمشابهته للمبهم او
هو حال على ما فصل في الكشاف وشرحه ثم بين محموديته بقوله يحمده فيه
الاولون والاخرون اي جميع الخلق لانهم تحت لوائه صلى الله عليه وسلم
وهو مقام الشفاعة العظمى حين اعترف جميع الرسل بالعجز وقيل له اشفع تشفع
بشفاعته صلى الله عليه وسلم لهم في فصل القضا كما تقدم ويفتح عليه فيه
اي في ذلك المقام من المحامد جمع محمدة بمعنى حمد اي يلهمه الله محامد عظيمة
يحمده بها تمنه واصل الفتح ضد الغلق فاستعير للاعطاء والالهام وتيسير
الامور كما استعير الغلق للصعب ومن بيان للمقدر اي امرا ونحوه او
لما بعده ان قلنا بجوازه كما مر وقوله كما قال عليه الصلاة والسلام اشارة
الى وروده في الحديث كما تقدم ما لم يعط غيره من الانبيا ويعطى مبني للمجهول
وغيره بالرفع نايب الفاعل وسمي الله تعالى لعلمه من السياق او هو مجهول وهو
الاولى امته في كتب انبيايه كالتوراة والانجيل كما ورد في الاحاديث بالحمادين اي
المبالغين في الحمد وروى الدارمي عن كعب انه قال مكتوبا في التوراة محمد رسول
الله مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام وامته الحمادون الخ فحقيق ان يسمى
محمدا واحمد اي بان يسمى لانه يتعدى بالبا وقد يتعدى بعلى كما في حقيق على ان لا اقول
على الله الا الحق لما فيه من معنى الوجوب كما في الحجة لابي علي ولعل تفريعه على ما قبله
لانه اذا احمده بما لم يحمده غيره وحمده الاولون والاخرون وكثر حمد امته كان جديرا
بذلك ثم في هذين الاسمين محمد واحمد اي في تسمية الله له بهما قبل وجوده من عجائب
خصائصه اي من العجايب التي خصه الله تعالى بها فلم يشركه احد فيها وبدايع اياته
اي غريب علاماته التي اخترعت ونفس البديع بالحسي فيه مسامحة فن اخرى

نوع اخر غير ما تقدم وهو ان الله جل اسمه اي عظم في ذاته وفيه ما سنبه
وايما لعظمة اسم نبيه صلى الله عليه وسلم اذ قرنه باسمه وحصه به
كما اختص باسمائه الحسنى حمى اي منع وصانه عن ان يسمى بهما احد قبل زمانه
منع ذكرهما في الكتب القديمة والامم السالفة كالبشرى بنبي اسمه احمد
وانما صان اسمه ليعلم اذا سمع بهما انه النبي الموعود به وعد من الخصايص
لانه بعد الاعلام باسمه منع من التسمية به مع انها اعلام منقولة
فلا يرد ان كثيرا من الاعلام المرتجلة للانبيا وغيرهم لم يسبق لتسميته
غيرهم بها كادم وشيث ونوح ويحيى قال تعالى لم نجعل له من قبل
سميا اما اسمه احمد الذي اتى في الكتب الالهية السابقة وبشرت
به الانبيا كعيسى وموسى كما قال تعالى ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه
احمد وقال الشيخ الاول كما نقل في تفسير وعليك لعدهم رجل عظيم نبي
لا يرخص في الحرام ليسمى احدا ايا لبث الى اعمر بعد بخروجه بعام فمنع الله
بحكمته اي بسبب حكمته او منعا ملتبسا بعلمه وحكمته التي اسنا نزلها او
ظهرها لبعض خلص عباده ان يسمى به احد غيره ولا يدعى مبني للمجهول بوزن
يرمي اي يسمى به مدعو قبله يسمى قبله قال اكثر العلما ان هذا هو
المتواتر ومما نقل من ان الخضر عليه الصلاة والسلام اسمه احمد بن قول
مردود واه كما قال ابن دحية وانما احمد بن عجيان بضم العين المعجمة وسكون
الجيم ومثناة تحتية بزنة سفيان او بفتح الجيم وتشديد اليا فلا اصل له
وقيل تسمى في الجاهلية قبل الاسلام بزمان طويل احمد بن ثمامة الطائي
واحمد بن دومان البكيلي واحمد بن زيد بن حراش السكسكي ومن القبايل
بنو احمد في همدان وبنو احمد في بجيلة وبنو احمد في طي ولم يكن قريبا من عهده
من تسمى به صيانة له او مما بعده فاول من تسمى به احمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي
او الفراهيد ابو الخليل النحوي الزاهد وببركة هذا الاسم كان له من العلم
والتقوى ما لم يكن لغيره ثم بين حكم صيانته بقوله حتى لا يدخل على ضعيف
القلب لبس اي التباس واشتباه لعدم تمييزه وضعيف القلب من لا عقل له
تام وراي صايب ونظر يفرق بين الحق والباطل فيتردد في صدق مدعي النبوة
بمجرد شي له فيجوز كونه احمد الموعود به في الكتب فضعف القلب كناية عن قلة
العقل الذي هو محله ركونه كناية عن ضده وان اشتهر في الجراة وعدمها او شك
معطوف على لبس ويجوز ان يراد به هنا ما يقابل الوهم والظن ومطلق التردد وعدم
الجزم ومن ظن بعينه هنا وتابيده بما لا يعده لبس شي وكذلك محمد اي مثل احمد
في عدم التسمية به قبل بعثته صلى الله عليه وسلم وحيدة منها به لانه لا ابهم

به اضلالا على الاصح ايضا مصدر اض يعني عاد ورجع ويراد به في العرف التنبيه
فهو تاكيد لقوله كذلك انه لم يسم به احد من العرب ولا غيرهم الى ان شاع واشتهر
قبيل وجوده صلى الله عليه وسلم قبيل في النسخ مصغر كبعيد لقليل زمانه
وتقريبه وميلاده عطف على تفسير وجوده اي ولادته او زمانها وقيل الميلاد
وقت الولادة والمولد مكانها وحملت به صلى الله عليه وسلم امه امنة [illegible] وولد
ليلا في شعب ابي طالب عند الجمرة الوسطى ووافق مولده يوم عشرين من
نيسان سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة من التاريخ الاسكندري وقيل
كان في الساعة العاشرة لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الاول
فكان كما قيل ربيع في ربيع في ربيع
وقيل ولد في شعب بني هاشم بعد الفيل بشهر او اربعين او خمسين او تسعة
وخمسين يوما وقيل غير ذلك وسياتي تفصيله ان شا الله تعالى ان نبيا يبعثه
اي يرسل من بعثه بمعنى اثاره وقد فصل زمان بعثه اذ بعث في الشر اسمه محمد
فسمى قوم قليل من العرب ابناهم بذلك الاسم رجا ان يكون اي لاجل رجا ان يكون
الولد المسمى به احدهم اي احد ابنايهم المسمى بمحمد هو اي النبي الموعود ببعثته فهو
اسم يكون واحدهم منصوب خبر مقدم او مرفوع اسمها وهو خبرها استعير فيه
ضمير الرفع لضمير النصب والاصل اياه والاولى اولى والله اعلم حيث
يجعل رسالاته اقتبس لبيان انهم بقدوم ذلك اذ ليس كل محمد يسود ولا كل
فاطمة بتول والاية رواة لهم كما تبطل قول من زعم من الحكما ان النبوة والرسالة
يكتسب بالمجاهدة وتصفية الباطن فانها موهوبة وان اختص بمن جد في
العبادة والتصفية حتى صار احسن الناس خلقا وخلقا الى غير ذلك مما يبتغيه
به لتلقي وحيه ومشاهدة ملايكته وحيث منصرف هو هنا مفعول به لفعل
مقدر اي يعلم لان افعل لا ينصب المفعول وان صح تعلق الجار والظرف به وليس
هو هنا ظرفا لان علمه تعالى لا يوصف بانه في مكان او زمان لقدمه وتفصيله
في كتب العربية ويجوز افراد رسالته كما قرى به وانما سموا ابناهم به لما بلغهم
من الاحبار والكهان وروي في المبشرات وبشروا بقرب زمانه فكانوا
ينظرونه انتظار المحب لحبيب لم يتقدم وهم اي المسمون باسمه قبل ظهوره
صلى الله عليه وسلم رجا لكونه المبشر به محمد بن احيحة بن الجلاح الاوسي وقال
البلاذري انه محمد بن عقبة بن احيحة وتردد فيه ابن حجر في الاصابة واحيحة
بضم الهمزة وحا مهملة مفتوحة وبعدها مثناة تحتية ساكنة ثم حا مهملة
مفتوحة وهاء والجلاح بضم الجيم وفتح اللام المخففة ثم الف وحا مهملة والاوسي
نسبة للاوس قبيلة الانصار ومحمد بن سلمة الانصاري ومحمد بن خالد بن عدي ابي محمد

ابن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس الانصاري ووصف
هذا بالانصاري دون محمد بن احيحة وهو من قبيلة الانصار لانه لم يسلم وانما يقال له
انصاري لمن اسلم منهم ولذا قال الذهبي بن عدي محمد بن احيحة من الصحابة فقد وهم
لانه لم يدرك الاسلام وانما هذا ابو عبد الرحمن المذحجي حليف بني عبد الاشهل
المولود قبل البعثة باثنين وعشرين سنة وهو ممن سمي محمدا في الجاهلية
كما في الاصابة عن الواقدي من غير تردد فيه وهو صحابي شهد بدرا وكان عمر
رضي الله عنه بعده لكشف العضلات في خلافته ومات بالمدينة سنة ثلاث
واربعين وقيل غير ذلك وهو من قدماء الصحابة وقول بعض الشراح ان
ذكر المص لمحمد بن مسلمة ليس في محله لانه بصدد ذكر من سمي محمدا قبل مولده وهو
ولد بعد مولده بنحو عشرين سنة لا وجه له لما سمعته من خلافه مما هو مصحح
في السير نقلا عن الواقدي وما قاله قول مرجوع وان قاله مغلطاي في سيرته
ومحمد بن برا البكري نسبة لبكر قبيلة مشهورة وبرا بموحدة تحتية مفتوحة وراء
مهملة يليها همزة وهو بن طريف بن عتوارة بن عامر بن ليث بن بكر بن
عبد مناة بن كنانة واسم ابيه برا بنة مصححا كذا في حواشي الحلبي وفي
غيره بر بفتح الموحدة وتشديد الراء المهملة فتأمل وقد تحقق وقال
البرهان الحلبي ان محمد بن احيحة ومحمد بن مسلمة ومحمد بن برا لم يدركوا
الاسلام بل هلكوا في الجاهلية فعدهم ممن اسلم امر عجيب فلا يليق بالمص
وان كانوا ممن سمي محمدا قبل البعثة وكذا محمد بن سفيان بن مجاشع التميمي
فانه لم يدرك الاسلام وقد خطئ ابو نعيم في عده في الصحابة ومحمد بن
حمران الجعفي بضم الجيم نسبة لجعفة قرية معروفة وحمران بضم الحاء
المهملة وسكون الميم وراء مهملة ثم الف ونون وفي بعض نسخ السير عمران
بدله وهذا الظاهر يدرك الاسلام كما قاله البرهان ومحمد بن خزاعي السلمي
بضم السين المهملة وفتح اللام وميم وياء نسبة لقبيلة وخزاعي بضم الخاء
المعجمة وزاي معجمة والف وعين مهملة نسبة لخزاعة وهو من بني ذكوان
واسم ابيه علقمة وهو لم يدرك الاسلام ايضا كما قاله البرهان الا ان
هذا لا يعترض به على المص لانه انما عد من تسمى محمدا قبل الاسلام اسلم ام لا
وهو ستة لا سابع لهم وهذا على ما اختاره المص ومنهم من نقص عددهم
كالسهيلي فانه لم يزدهم على ثلاثة ومنهم من زاد حتى بلغ العشرين كما قاله
ابن حجر مع تكرار في بعضهم وتردد في بعض ونبا في لهم سابع وقد علمت
ما طعن به في محمد بن مسلمة ويقال ان اولهم تسمى به اي باسم محمد قبله
صلى الله عليه وسلم وفي محمد بن مسلمة محمد بن سفيان اي مجاشع التميمي السابق

ذكره واليمن اي اهله فهو من اطلاق اسم المحل على الحال فيه تقول لم يسم به اولا هنا
بل سمي اولا محمد بن اليحمدي الازدي نسبة الى الازد من اليمن ابو حي ازد وهي من
الغوث ويقال الاسد بالسين ايضا ومن نسله الانصار كلهم وازد شنوءة وعمان
والسراة واليحمد قال البرهان انه في النسخ بفتح اليا وسكون الحا وضم الميم
وقال ابن ماكولا انه بضم اليا وسكون الحا المهملة وكسر الميم واصحاب
الحديث يضمون الميم وفي شرح مسلم للنووي انه بضم اليا وسكون الحا وكسر
الميم وكذا في تقييد المهمل للغساني وهو علم منقول من المضارع وال
مقارنة لنقله لا داخلة بعد العلمية فانه شاذ قليلا كقوله ما انت بالحكم
حكومته فكيف به بعدها وقال ان هذا ليس من المسئلة فتكون سماعا وهو
بنا في قوله ها الاسابع لهم وفي سيرة مغلطاي زيادة محمد بن عدي ابن ربيعة
المنقري ومحمد بن عثمان السعدي قال واظنهما واحدا ومحمد الاسدي ومحمد
ابن عتوارة الليثي ومحمد بن حرمان العمري ومحمد بن خولة الثمالي ومحمد بن
يزيد بن ربيعة ومحمد بن ابروانه بن مالك فزاد لستة او ثمانية وتوقف المص
في واحد منهم وقد قيل في بعض هؤلا انه ادرك الاسلام وكلام المص
لا ينافي هذا الا في قوله الانصاري كما تقدم والامر فيه سهل اذ لا مانع من
اطلاقه على من لم يسلم لقرابته منهم تسمعا ثم حمى الله اي صان ومنع بصرفه الهمة
كل من تسمى به اي بمحمد قبله صلى الله عليه وسلم ان يدعي النبوة تعذيره من ادعى
ادعائها بنفسه بان يقول انا نبي او يدعيها احد له بان يقول هو نبي او تظهر
عليه بفتح التا الفوقية وضمها مبني للفاعل ويكون بناؤه للمجهول والاول
اظهر وضمير عليه لمن سبب يشكك احدا في امره اي شي في ذاته يكون سببا موقعا
للناس في شك في انه هو النبي الموعود كعجائبه وصفاته الباهرة كما وقع له صلى
الله عليه وسلم من الارهاصات والاخلاق الباهرة او يجري على يده ما يشككهم
من سحر ومخرقة والعطف باو بعد حمى الذي هو معنى النفي لان النفي يفيد العموم
كقوله ولا تطع منهم اثما او كفورا ولو عطف بالواو اوهم ان المنفي عنه المجموع وان
وقع بعض منها حتى تحققت اي ظهرت وثبتت في الخارج السمتان اي الصفتان
اللتي هما المحمدية والاحمدية اللتان هما علمان لموافقة اسمه لمسماه وفي بعض
النسخ السمتان بباء بعد السين وهو خطأ كما قاله التلمساني وطعنا له
من العلم له صلى الله عليه وسلم متعلق بالفعل او بالسمتان وهو تعميمه بما هو له
على انه المبشر به في الكتب السالفة والامم الماضية فادعى الرسالة وشهدت
له الكاينات بصدق دعواه ولم ينازع فيهما بفتح الزاء المعجمة والبا للمجهول
اي لم ينازعه احد في السمتين واما قوله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث

وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر بيان للمعنى المراد منه ولذا اتى بقوله بعده يفسره في الحديث بالفاء التفسيرية ويفسر مبني للمجهول اي فسره النبي صلى الله عليه وسلم بقرينة قوله في الحديث وهو صفة له وفي نسخة علم منقول منها
والى النجح والوصفية قلما تراى هنا سوى الا ان احدهما انه تقدم فلا حاجة لاعادة
كما قيل وان المحو معناه الازالة بالكلية والكفر موجود في كثير من الناس
والبلدان اشار الى دفعها بقوله ويكون محو الكفر اما من مكة بعد الفتح
اذ اظهره الله عليهم ولم يبق بها منه عين ولا اثر وبلاد العرب الظاهر انه وجه
اخر والمراد بها جزيرة العرب وساحة الاسلام فانه لم يبق منه الا ما قل
شيء واضمحل حتى صار كالعدم وقد كانت مملوءة بالشرك فاستأصله الله على
يديه خيرته من خلقه وكذلك قوله وما زوي له من الارض اشارة لما ورد في الحديث
من قوله صلى الله عليه وسلم زويت لي الارض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك
امتي ما زوي لي منها واصل الزي بالزاي المعجمة الجمع ومنه انزوى الجلد بالنار
اي انه تعالى جمع له جميع الارض بيده قدرته وطواها في قبضة قدرته حتى
نظرها كلها وبشره باذ امته تملكها كلها حقيقة بعد نزول عيسى بن مريم
عليه الصلاة والسلام او قبله ان قلنا انما تملكوه منها اعظمها واشرفها وهو
الذي ارتضاه المصنف لقرينة وعد اي الله او النبي صلى الله عليه وسلم لما ورد في
الحديث انه يبلغه اي يصل اليه ويحوزه ملك امته بضم الميم ويجوز كسرها
اي ملكها وسلطانها على الوجه السابق وقد ورد انه زويت له جانبا من الارض
واخبره بانه يبلغه ملك امته ويمحو ما فيه من الكفر لا مضمحلا له حتى يصير
ما بقي منه كالعدم ولما كان محو الكفر بامره وشرعه وبركته نسب المحو له صلى
الله عليه وسلم فكانه الماحي حقيقة وقد قيل انه كله جواب واحد
وقوله او يكون المحو عاما شاملا لجميع الارض وليس المراد بها ارضا مخصوصة
بمعنى الظهور والغلبة كما قال تعالى ليظهره على الدين كله جواب ثان
فيبقى على عمومه فلا يختص بما ذكر والمراد بالمحو على الدين وغلبته لغيره من
الاديان بنسخها وبيان انها غير مرضية لمن دخلوا هذه على جميع من عاداهم بتسلطهم
عليهم وقهرهم وايقاع الرعب في قلوبهم كما هو مشاهد قال الله عز وجل هو الذي
ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وتوضيحه ان المحو لغة
اذهاب الاثر وهو قد يكون مع بقاء المعنى وانما لا اثر له كالعدم ولذا عبر
بالماحي دون المزيل وما قيل هذا جعله المصنف وجها واحدا وحمل المحو
على ازالة يدهم عن تملك الارض وجعل بعض اهل الارض كالعبيد بضرب
الجزية عليهم وجعلهم بازالة تصرفهم كالموتى وجعل محو اثار عزتهم بمحو ذواتهم
ونسخ اديانهم وكتبهم التي هي بمنزلة ارواحهم وابطال شوكتهم وقهرهم كازالة

ذواتهم

ذواتهم ونحوها من صحائف الوجود فهو مجاز باعتبار وجوه مختلفة وقد ورد تفسيره اي الماحي بغيرها من في الحديث والتفسير المذكور انه الذي محيت به سيئات
من اتبعه بما انعم الله به من المكفرات وبما قبله من شفاعته لهم في الدنيا والاخرة
والعفو كالمغفرة موافق للمحو لغة ومعنى وهذا مروي عن المصنف وقد سقط في
بعض النسخ فاسناده الى النبي صلى الله عليه وسلم مجاز اذ هو سببه والعافي
والغافر حقيقة هو الله تعالى وهذا من خصائص امته وقد فسر قوله تعالى
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر بغفر لامتك فقوي هذا
التفسير الذي ذكره المصنف للماحي الحاكم في مستدركه وابو نعيم والبيهقي
وقال السيوطي انه متصل ولفظه واما انا ماحي فان الله محى بي سيئات من
اتبعه وقال ابن حجر في شرح الشمائل معناه ان من امن به صلى الله عليه وسلم
يمحى ذنب كفره وما عمله فيه قال تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر
لهم ما قد سلف وفي الحديث الاسلام يجب ما قبله اي يهدم ما قبله وخص
هذا بنبينا صلى الله عليه وسلم لانه لم يمح احد الكفر كما محاه اذ جاء على فترة
وقد عم الكفر وعبد الحجر فبلغ مسيرة النيرين والمراد بكونه من خصائصه ان الله
لطف بامته بكثرة المكفرات كثرة لم يكن قبله فهو مطلق مخصوص لوقوع خلافه
في الايات والاثار كقول نوح عليه الصلاة والسلام لامته استغفروا ربكم انه
كان غفارا وقوله في هذا الحديث وانا الحاشر فسره بقوله صلى الله
عليه وسلم بعده الذي يحشر الناس جميعهم مؤمنهم وكافرهم لدخولهم كلهم
في شفاعته العظمى لتخليصهم من هول الموقف والحشر وتعجيل الحساب لانه
صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين على قدمي بالتخفيف والتشديد كما روي في
روايته على عقبي ولما كان ظاهره انه يسوق الناس للمحشر وليس بمراد فسره
بقوله اي على زماني وعهدي وهما بمعنى لانه يقال هذا كان على عهد الخلفاء
في عصرهم ثم قال اي ليس بعدي نبي كما قال النبيين فهو اما بتقدير مضاف
اي على اثر قدمي من غير فاصل او القدم سواء كان مفردا او مثنى مما يتبعه
الناس فيه وهو الشريعة وقال الكرماني معناه على اثري كما جاء على عقبي
او على زماني ووقت قيامي على القدم بظهور علامات الحشر فيه اذ لا نبي بعده
ويحتمل انه يريد اول المحشور لانه صلى الله عليه وسلم اول من تنشق عنه الارض
كما تقدم والقدم معروفة وهي مؤنثة لتصغيرها على قديمة ويكون لها
معان اخر كما في الاساس فيقال جعله تحت قدمه اذا عفا عنه وله قدم في كذا
اي تقدم ونسب له ذلك لتقدمه فيه وكونه السبب فيه ثم انهم يحشرون في
المحشر حتى يشفع لهم فهو حاشر في هذا الحشر الثاني الى مقرهم من جنة

اونار فبتعد صلى الله عليه وسلم جميع الخلايق فهو على هذا احاشر حقيقة وهذا
هو المراد في رواية من روى قدمي بالتشديد بمعنى وقول الكرماني ويحتمل ان سبقه
اليه الخطابي وان كان ظاهره انه من بنات افكاره فاد نقضاه بن دحية وما ذكره
المصنف وان سبق اليه فيه خفا الا ان يريد ان القدم مجاز عن الاثر كناية او مجازا
الا انه يتكرر مع قوله العاقب وقال السيوطي ان الله وصف نفسه
بالحشر في قوله ويوم نحشرهم فلكونه هذا من اسمائه الحسنى سماه بها كانه يقول ما قاله
كان من قبله كذلك وحشر الناس في زمن نبوته لتتقاملته لانها لا تنسخ
وليس بعدها شرع اخر فلا يرد عليه ان الساعة تقوم وليس على وجه الارض
من يقول الله وتقدم انه كونه خاتم النبيين اي اخرهم او من ختموا به على قراءة
الفتح لانه لا يرد نزول عيسى عليه الصلاة والسلام بعده لانه ينزل تابعا له
صلى الله عليه وسلم عاملا بشرعه ولذا يرقد عنده لانه اخر خلفايه وقيل
المراد انه صلى الله عليه وسلم اخر من بني وعيسى نبي قبله وان مات بعده كالخضر
والياس على قول وقيل سمي حاشرا لانه يحشر يوم النصر من حضر لهم
وحرب ارضهم وهو ضعيف والولاية دوّر انه وسمي عاقبا لانه عقب غيره من
الانبيا عليهم الصلاة والسلام اي خلفهم في الخير ومنه عقب الرجل لولده
ونحوه لانبي بعده فان العاقب الاخر وقد فسر في حديث مروي عن ابن
جبير فهو اصح واحسن وقيل العاقب عند العرب من يكون خلف سيد
القوم فمعناه خليفة الله لانه اخر خلفائه من جميع الرسل ومن الغريب ما قيل
انه اسمه عند اهل النار من امته لان الله يسميهم اسمه محمد فاذا ذكروه ارتفع
عنهم العذاب وهو ضعيف وقيل معنى على قدمي انه يحشر الناس بمشاهدتي اي
بقربي ومعنى بمرأى مني يشفع للناس في القيام من القبر كما قال تعالى لتكونوا
شهدا على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وهذا بنا على انه من الشهادة
بمعنى المشاهدة والمعاينة والجمهور على انه الشهادة الحقيقية كما ورد
في الصحيحين من ان امته تشهد للرسل بالتبليغ وهو صلى الله عليه وسلم
يشهد لامته بالصدق وهو معنى جعلهم امة وسطا اي عدولا وخيارا كما مر بيانه
واخر المصنف هذا وهو متعلق بما قبله من معنى الحاشر اشارة الى انهما بمعنى
ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسما جواب عن سوال مقدر تقديره
ان له صلى الله عليه وسلم اسما كثيرة فجعلها خمسة او عشرة ان قلنا بمفهوم العدد
مخالف للواقع والا فهو زيادة بغير فايدة قيل انها موجودة في الكتب
المتقدمة المنزلة على الانبيا عليهم الصلاة والسلام كالتوراة والانجيل وعند
اولي العلم من الامم السالفة اي السابقة فتخصيصها بالذكر لهذه الفايدة

ومرضه

عوضي

ومرضها اسيا في من انه صلى الله عليه وسلم له اسما اخر في الكتب القديمة ايضا وكونه
العدد لامفهوم له لا يدفع السوال كما توهم وكونه صلى الله عليه وسلم لم يتفقهم على هذه
الزيادة حين ذكره بعيد والله اعلم بوجه التخصيص فيما ذكر وقد ورد عنه عليه
الصلاة والسلام في حديث رواه ابو نعيم في الدلائل وابن مردويه في تفسيره من
طريق يحيى التيمي وهو وضاع عن سيف بن وهب وهو ضعيف عن ابي الطفيل
لي عشرة اسما وقد تقدم انه لا مخالفة بينه وبين غيره من الاحاديث وذكر
منها طه ويس كما حكاه مكي تقدمت ترجمته وقد تقدم هذا وانما اعاده
ليتعقب بتفسيره الذي ذكره وقال ابو بكر بن العربي في احكام القران اختلف الناس
في معناه على اربعة اقوال الاول انه اسم من اسما الله قاله الامام مالك وروي
عنه اشهب قال سالته هل ينبغي لاحد ان يتسمى بيس قال ما اراه ينبغي لقوله
تعالى يس والقران الحكيم اي هذا اسمي يس الثاني قال ابن عباس يس يا انسان
بالحبشية ويا طه ويا رجل وروي عنه انه اسم الله كما قال مالك الثالث انه كنى
به النبي صلى الله عليه وسلم وقيل له يس اي يا سيد كما في الرابع انه من فواتح
السور وروي عن ابن عباس انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
سماني الله في القران بسبعة اسما محمد واحمد وطه ويس والمزمل والمدثر
وعبد الله وهذا حديث لم يصح وروى اشهب عن مالك لا ينبغي لاحد ان يتسمى بيس
لانه اسم الله وهو كلام بديع وذلك ان العبد يجوز له ان يتسمى باسم الرب اذا كان فيه
معنى منه كعالم وقادر وانما منع مالك من التسمية بهذا الاسم لانه من الاسما التي لا
يدري ما معناها فربما كان له ذلك معنى يتفرد به الرب فلا ينبغي ان يقدم عليه
من لا يعرف لما فيه من الخطر فاقتضى النظر المنع منه فان قيل فقد قال
الله تعالى سلام على الياسين قلنا ذلك مكتوب بهجا به فيجوز التسمية به وهذا
ليس بهجي وهو الذي تكلم مالك عليه لما فيه من الاشكال انتهى وهو كلام نفيس
الا ان فيه نظرا لانه تجويزه للتسمية بيس من وجه ومنعه من اخر وانه عند
التلفظ لا يعرف منه الهجا وعدم ما اللهم الا ان يقال مراده المنع في غير ما ورد
في القران فتدبر وقد قيل في بعض تفاسير طه انه يا طاهر يا هادي على انه اسم
النبي صلى الله عليه وسلم كما رواه السيوطي عن ابي الفضل وقد تقدم انه قيل
انه من اسما الله وما ذكره السيوطي من روى عن الواسطي واراد به ان كل حرف
منه يريد بعض من اسم فالطا من طاهر من كل عيب وذنب والها من هاد
الى كل خير فهو اسم مركب من اسمي حرفين كما في الم وفي البخاري عن سعيد بن جبير
معناه يا رجل بلغة عك وقيل معناه اطمين وقيل معناه طا الارض والها
ضمير الارض وقيل يا رجل بالسريانية وقيل بالعبرية وقيل هو بالنبطية وهي لغة اهل

سوا العراق وقيل معناه بلغة عك يا حبيبي وقيل طوبى لمن هدي به وقيل
في بعض يس انه يا سيدي حكاه السلمي بضم السين وفتح اللام وهو ابو عبد الرحمن
كما تقدم في ترجمته وجعفر ابن محمد هو جعفر الصادق الامام المشهور كما تقدم
وهذا مروي في اسمائه عن ابي الطفيل ورواه البيهقي في دلائله مسندا وقال
السهيلي لو كان من اسمائه عن ابي الطفيل ورواه البيهقي في دلائله مسندا
فقال السهيلي لو كان من اسمائه لقيل يا يسن بالضم وقال ابن دحية هذا غير لازم
مع انه روي عن الكلبي انه قراه بالضم ايضا وقيل معناه يا انسان بلغة طي
واصله يا انيسين فاقتصر على بعض منه وقد بسطنا الكلام عليه في حواشي
البيضاوي وكذا فيما مر اوائل الكتاب وقيل معناه يا رجل وقيل يا سيد البشر
وذكر غيره اي غير الواسطي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لي عشرة اسما
فذكر الخمسة التي في الحديث الاول الذي سمعته انفا وزاد عليها وقال
وانا رسول الرحمة لقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين لانقاذهم
من العذاب في الدنيا والاخرة فمن اتبعه نجا في الدنيا من القتل ومن ذلة
الكفر والجزية وفي الاخرة من العذاب المخلد والموبد وارحهم من التعب
بها نكلفنا نحو ذلك كما قال ورسول الرحمة لانه صلى الله عليه وسلم رحمة للمؤمنين
في الدنيا لما رفع عنهم مما كان في الامم السالفة من الاصر والمشاق مما في شريعته
من الرخص والتخفيفات وفي الاخرة واحتهم العظمى لانهم ونفعهم
ورفع التكليف عنهم ومسامحة للكافرين بترك قتلهم وسبي ذراريهم اذا قبلوا
الجزية فنزلوا في حرم الامان فامنوا وامنت امته من الخسف والمسخ ونزول
عليهم بمعاصيهم وكان من قبلهم اذا عصى اصبح وقد كتب على باب داره فلان
فعل الليلة كذا وكذا او لتسميته صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة رواه ابن ماجه
والحاكم مسندا عن ابي هريرة وصححوه وورد في بعض طرقه نبي الرحمة
وما سبق انسب بالاية ورسول الملاحم جمع ملحمة وهي الحرب والقتال سميت
بذلك لالتحام الابطال فيها اي ازدحامهم فيها لانه صلى الله عليه وسلم ارسل
بالسيف وامر بالجهاد ولم يقع لنبي ولا امته من الجهاد والقتال ما وقع له صلى
الله عليه وسلم ولامته ولا يزالون كذلك حتى يقاتلوا الدجال وينزل عليه ابن
مريم عليه الصلاة وهذا لا ينافي كونه صلى الله عليه وسلم رحمة لانه رحمة حقيقية
اذ في قتاله غنيمة المسلمين وهداية بعض الكافرين الى الاسلام وامن دار الاسلام
وغير ذلك مما لا يحصى والجواب بانه صلى الله عليه وسلم رحمة لاوليائه حرب
لاعدائه جمع ما فيه لا يناسب العالمين وانا المقفي قفيت النبيين كلاهما بتشديد
الفاء كما قال تعالى ثم قفينا على اثارهم وهو اما بمعنى التابع الذي جاء على اثرهم

لان

لان معنى قفا تبع ومنه القافية وفيه من الفضل انه صلى الله عليه وسلم وقف على بجي
اخر الامم وشرايعهم فاختار له الله من كل شي احسنه وكان في قصصهم له ولامته
عبر وفوايد او المراد انه خاتمهم واخرهم ووقع في بعض النسخ المقتفي بزيادة التا
الفوقية وانتصر عليه بعض الشراح ونقله عن الطيبي ثم قال ان المقتفي ذكره
الطيبي ولم يرد به نص صريح وفيه نظر وانا قيم بالقاف ومثناة تحتية بزنة سيد
وفسره المص بقوله والقيم الجامع الكامل اي الجامع لمكارم الاخلاق الفضلية
الكامل فيها او الجامع لشمل الناس بما يعقد بينهم ويجمع شتاتهم لان القيم يكون
بمعنى السيد لقيامه بامر الناس وامر الدين كما قاله ابن الاثير لما ولد النبي
صلى الله عليه وسلم كما رواه الامدي

بدلت دينا بغير دين قد ندم ۔ وكنت في الدين كاني في ظلم
يا قيم الدين اتينا نستقيم ۔ كما ورد في الحديث انه صلى الله عليه وسلم

قال اتاني ملك فقال انت قثم وخلقك قثم اي مستقيم حسن وفي النهاية
القيم القائم بامور الخلق ومدبر العالم في جميع اموره وهو مرادف للقيوم الذي
هو من اسمائه تعالى ولا بعد ان يسمى النبي صلى الله عليه وسلم بشي من اسماء الله
بمعنى يليق كالعظيم اذا كان بمعنى القيوم كما يسمى بغيره ذلك من اسمائه والقيم ايضا
من اسماء الله كما ورد في الحديث في قوله صلى الله عليه وسلم انت قيم السموات
والارض ومن فيهن وقال ابن دحية هو بمعنى القائم كما نقله السيوطي في الرياض
الانيقة وكذا وجدته اي تسميته صلى الله عليه وسلم بالقيم في كتب الحديث ولم
اروه بطريق من الطرق المعتبرة عند المحدثين الا اني وجدته فيما رواه غيري
وهذا عند المحدثين الا اني وجدته فيما رواه غيره وهذا عند المحدثين
يسمى الوجادة وله شروط عندهم وهو مما يستانس به وهذا رواه الديلمي في
مسند الفردوس وفي النهاية الاثيرية ايضا كما مر واراه صوابه بحسب
الروايات قثم بالثا المثلثة المفتوحة المخففة وضم القاف فراى انه تصحف
عليهم وهو معدول عن قائم ممنوع الصرف كما ذكره ابن فارس وغيره ورواه
ابن اسحاق في حديث غريب هو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاني ملك
فقال انت قثم وخلقك قثم ونفسك مطمئنة قال ابن دحية في اشتقاقه معنيان
احدهما من القثم وهو الاعطا يقال قثم له من العطا اذا اعطاه فسمي صلى الله
عليه وسلم بذلك لجوده وعطاياه والثاني من القثم وهو الجمع يقال للرجل الجامع
للخير قثوم وقثم وقد كان صلى الله عليه وسلم جامعا للفضايل وجميع الخير
والمناقب وقد علمت مما قدمنا كما ذكرناه بعد بالبنا على الضم اي فيما سياتي
عن الحربي قال البرهان هو ابو اسحاق الحربي وابو اسحاق بن الحسين الحربي

والثاني ثقة حجة سمع من هوذة وحبان بن محمد وغيرهما ووثقه الدارقطني
وصحح عليه في الميزان وذكر الذهبي ابن جبهم وهو اشبه بالتفسير يعني انه
اقرب شبها بتفسيره المأثور بالجامع وفيه نظر لان قثم بالمثلثة بمعنى مجمع
ايضا كما تقدم وحكاية في انفاقا وقد كان عبد الله ابو النبي صلى الله عليه وسلم يكنى
بابي محمد وابي قثم وقالوا انه الجامع للخير او لشمل امته وبان ان هذا الاسم
معروف في جماعة من اهل البيت منهم قثم شقيق الحارث عم النبي صلى
الله عليه وسلم وابن عبد الملك وبه سميت محلة بسمرقند دفن فيها وبها
مدرسة قثم ايضا وقثم بن عبد الله بن العباس ثم عاد المص الى ذكر القيم
بالتحتية واشار الى تصحيحه فقال ووقع ايضا في كتب الانبيا المنزلة
من السما كصحف ابراهيم وداود قال داود عليه الصلاة والسلام اللهم
ابعث لنا محمدا يقيم السنة اي الطريقة الشرعية والدين بعد الفترة
اي انقطاع الوحي والرسل وضمير لنا للناس فقد يكون القيم بمعناه اي بمعنى
المقيم للسنة المأخوذ مما ذكر لانه مادته عليه فيكون اذا سلم انه اسم للنبي
صلى الله عليه وسلم بهذا المعنى وقد قالوا انه اسمه في الزبور كما يشير اليه كلام
المص وفي التوراة كما نقله السيوطي ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجا
بان يقولوا لا اله الا الله فالسنة سنة الرسل وهي الشريعة والتوحيد والفترة
ما بين كل رسولين من الزمان وهو المراد وقد خص ما بين عيسى ونبينا صلى
الله عليه وسلم واصل معناها الضعف وسميت ترك العبادة فترة منه فلنسى
معنى مثلثا كما توهم فان كان ضمير لنا لله وللقوم فجملة ابعث الدعائية لتمني
ان يبعث في زمنه وقيل ضمير بمعناه لقثم بالمثلثة وبهذا النقاش
نعتته ترجمته عليه الصلاة والسلام لي في القران سبعة اسما تقدم المراد
بالاسما انما يشمل الصفات عند الاعلام ثم ذكرها فقال محمد واحمد
ويس وطه والمدثر والمزمل وعبد الله تقدم الكلام على بعضها وسيأتي
تتمته ومحاسن القران معلومة في اوائل السور وغيرها لقوله وانه
لما قام عبد الله يدعوه واقتصر على هذه لشرفها والا فقد ورد في غيرها
كالرسول والنبي والخاتم والرؤف والرحيم والصاحب ومفهوم العدد غير معتبر
وقيل انه كان قبل وصف الله له بهذه او المراد ما يختص به كما يشعر به
تقديم الخبر والجواب بان رؤف رحيم صفتان لا اسمان لتعلق الجار بهما
كما في قوله بالمؤمنين رؤف رحيم ثم استبعد كونهما اسمين بعد القران غير مسلم لما
وقوله في القران يشير الى ان له اسما اخر لم يثبت فيه وفي الصحيحين في فترة الوحي
بينا انا امشي اذ سمعت صوتا من السما فرفعت بصري فاذا الملك الذي جاءني بحرا

على كرسي بين السما والارض فرعبت منه ورجعت فقلت زملوني زملوني وفي رواية
دثروني فانزل الله يا ايها المدثر فمنه اخذ فالمدثر والمزمل اسمان من الحالة التي
كان عليها حين النزول المتلفف في الدثار وهو الثياب والمزمل بمعناه واصلهما
المتدثر والمتزمل فقلبت وادغم كما هو معلوم من علم التصريف وقال
ابن الوردي انما نزل يا ايها المدثر عقب قوله زملوني لان هذا التنزيل اريد به
الدثار من برد يعتري المروع كالمحموم كما كان يعتريه صلى الله عليه وسلم عند نزول
الوحي فخاطبه بما طلب من تزميله اي يا ايها المتزمل المتدثر دع الدثار
وجد في الانذار تنسا للروع وتنشط له على فعل ما امر به كما تقول
لمن ارسلته لامر فتخون وتبسط عندنا ايها المتخوف امض لامرك وقال السهيلي
فيه ملاطفة لاوية واما النداء بالعريان فوضعه بالانذار مع الدثار تلميح بالطنا
وهو منزع بديع وكان تدثره صلى الله عليه وسلم بقطيفة في بيت خديجة وذكر
عائشة بدل خديجة خطا لانه كان بمكة وعائشة انما كانت معه بالمدينة وقيل
معناه المدثر بالقران وقيل معنى المزمل الحامل لاعبا الرسالة من الزاملة فهو
استعارة تصريحية وقول السهيلي ليس المزمل من اسمائه صلى الله عليه وسلم وانما هو مشتق
من حالته المتلبس بها حال الخطاب والعرب تفعله ملاطفة ومعاتبة كقوله صلى الله
عليه وسلم لعلي كرم الله وجهه وقد نام على الارض قم يا ابا تراب ملاطفة لما كان
بينه وبين فاطمة رضي الله عنهما وما روي عن عائشة رضي الله عنها انه كان
مرطها مرطا طوله اربعة عشر ذراعا نصفه عليها ونصفه عليه لا اصل له وان
نزول يا ايها المزمل بمكة ودخوله على عائشة بالمدينة وعبد الله سماه الله به في اية
والعبودية اشرف صفاته صلى الله عليه وسلم واصل معناها الخضوع والتذلل
والعبد هو الانسان رقيقا ام لا وقال المشايخ العبودية القيام بحق الطاعة
بشرط التوفيق والنظر لما صدر منه بمعنى التقصير وفي بعض النسخ
في حديث عن جبير بن مطعم هي ست محمد واحمد وخاتم وحاشر وعاقب وماحي
وفي حديث ابي موسى الاشعري رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم كان يسمي
لنا نفسه اسما فيقول انا محمد واحمد والمقفي وفي رواية كما تقدم المقتفي والحاشر
ونبي التوبة هذا الحديث اسنده السيوطي في الرياض الانيقة وقد مر تفسير
هذه الاسما غير الاخير ومعناه ان توبة امته مقبولة من غير حرج عليهم حتى تطلع
الشمس من مغربها او يغرغر وكانت الامم السالفة منهم من لا تقبل توبته اصلا
ومنهم من تقبل توبته بشروط امور شاقة كما لم تقبل توبة بني اسرائيل من عبادة
العجل الا بقتل انفسهم وهذه الامة تقبل منهم مطلقا وان تكررت مع تكرر
الذنوب وبه فسر قوله تعالى ان الله يحب التوابين بشرط الندم والعزم على عدم

العودة والحقوق العباد او استحلالهم ونحوه كما نفصلوه فى محله فهو لا ينافى
قبول توبة غير هذه الامة فى الجملة وبنى الملحمة تقدم تفسيره وبنى المرحمة
والرحمة وكل صحيح ان شا الله روايه ودرايه كما تقدم ايضا ومعنى المقفى
هو معنى العاقب كما مر مفصلا والاولى تفسير كلا منهما بمعنى هربا من التكرار
فمعنى المقفى التابع لهدى النبيين وسننهم والعاقب الخاتم لبابة النبوة
والرسالة واما بنى الرحمة والتوبة بالى حواب انا وقيل معنى بنى التوبة انه كثير
التوبة والاستغفار لنفسه لقوله صلى الله عليه وسلم انى لاستغفر الله فى اليوم
سبعين مرة والمرحمة والراحة لانه من رحمة الله فقد ازاحه من العقاب واذا
اعلمه بذلك ازاحه من القلق والضجر فقد قال تعالى وما ارسلناك الا
رحمة للعالمين دليل وتفسير لما قبله وقد تقدم انه لا ينافى انه بنى الملحمة
والسيف اى القتال به لما تقدم وفى شرح السنة ان الامم السالفة كان من كفر
منهم بعد ظهور المعجزات يعذب بالاستيصال فامر الله نبيه صلى الله عليه وسلم
بالجهاد بسيفه ليرتدعوا عن الكفر فالسيف فيه بقية لهم ويويده نزول ملك
الجبال عليه الصلاة والسلام ليطبقها عليهم وإباؤه عليهم ذلك رجا ان يكون
من ذريتهم من يعبد الله ورفع عنهم الاصر واثابهم الكثير على العمل القليل
مع قصر اعمالهم وقد اثاب الله تعالى الامم السالفة مع كثرة اعمارهم واعمارهم
باقل من ذلك وذلك فضل الله يوتيه من يشا وفى جعله صلى الله عليه وسلم
عين الرحمة ويعم العالمين مبالغة ظاهرة كما وصفه اى مثل وصفه او الذى
وصفه به فى هذه الاية وصفه له فى غيرها بانه يزكيهم اى يطهرهم من الاخلاق
الذميمة والاثام المدنسة لهم بمقاله وحاله وضمير يزكيهم للعالمين ونبه
لامته ويعلمهم الكتاب اى القران والحكمة اى العلوم النافعة والعقايد الحقة
ومعانى القران وفسرت ايضا باصابة الحق قولا وفعلا وردت بمعنى القران
ايضا والحكمة من الله معرفة حقايق الاشيا وايجادها على غاية الاحكام ومن
الناس معرفة الموجودات وفعل الخيرات وهو الذى وصف به لقمان ويصح
ارادته هنا ايضا ويهديهم الى صراط مستقيم اى يدلهم على طريق لا عوج
فيه بالوحى والشريعة يوصلهم الى سعادة الدارين وبالمومنين رؤف رحيم
تقدم متعلقه للتخصيص او للاهتمام والتشريف مع رعاية الفاصلة وموافقة
نظم القران فقصد الاقتباس من مشكاته وتقديم الروف كما مر لانه الشفقة
والتلطف بالمنعم عليه وهو مقدم كما مر ونقل عن انه قدم للفاصلة
وحقه التاخير بنا على انه اشد الرحمة تقدم وقد قال النبى صلى الله
عليه وسلم او الله فى غير القران انه يقع فيه بهذا اللفظ فى صفة امته

ابن التين

عوضي

ايضا

١٧

ايضا امة مرحومة فى الدنيا والاخرة فى الاحيا والممات والامة امة الدعوة او
الاجابة وقد قال تعالى فيهم اى فى حقهم وشانهم وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة
معطوف على جملة الصلة فى قوله تعالى الذين امنوا اى يرحم بعضهم بعضا اى اوصى
بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله وعن معاصيه وبالرحمة على خلق فبعثه
الله رحمة لامته متفرع على ما قبله باعتبار العلم والظهور وهو فى الحقيقة
سببه ورحمته المختصة بهم ظاهرة ورحمته مفعول له او حال من الله او من ضمير
النبى بمعنى راحما لهم ورحمة للعالمين ورحيما بهم اى جعله عين الرحمة لارشاده
لهم ولطفه بهم وحلمه على ذلك فلا يكون فيه مع ما قبله ومترحما ومستغفرا
لهم اى داعيا لهم بالرحمة والمغفرة لشفقته صلى الله عليه وسلم عليهم فعقبه
حتى ترتيبه والهام للتاكيد وجعل امته امة مرحومة ووصفها بالرحمة لاجابة
دعايه وتحققه رحمته لهم كما مر ويجوز ان يكون لابتنا الماضى لاعتنا به وتفصيله
وامرها اى الامة عليه الصلاة والسلام بالتراحم واثنى عليه اى امر امته بان
يرحم بعضهم بعضا ثم فسره بقوله وقال ان الله يحب من عباده الرحما وقال
الراحمون يرحمهم الرحمن وهذا اخبر لفظا طالب معناه الامر فلذا اردفه
بصريحه بقوله ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السما بالرفع والجزم وحديث
ارحموا الخ صحيح مشهور مسلسل بالاولية قيل وبوخذ من كونه رحمة انه لا ينبغى
ان يدعى له بالرحمة فيقال اللهم ارحم محمدا ورده القرافى بان كونه رحمة للعالمين
من جملة الرحمة فهو دليل لهم لا عليهم وما ورد فى الحديث يتبع وقيل
انه مخصوص بالتشهد لعدم وروده فى غيره وسياتى تفصيله فى بحث الصلاة
واما رواية بنى الملحمة فاشارة الى ما بعث به من القتال والسيف وهى صحيحة
متنا وسندا كما ذكر المحدثون وظاهره معنى لانه صلى الله عليه وسلم فرض عليه
القتال واحلت له الغنايم ونصر بالرعب وفتح له من الحرب والجهاد والنصرة
ما لم يتفق لغيره من الرسل وبقيت ذلك فى امته الى يوم القيامة منه
جمع الشجاعة والخشوع لربه كما اخشى المحراب فى محرابه
فلا اختصاص به لكن اضيف له وكره حذيفة وفى نسخة عن حذيفة
وهذا رواه احمد والترمذى فى الشمايل مثل حديث ابى موسى الاشعرى السابق
اى معناه ولفظه وفيه ونبى الرحمة ونبى التوبة ونبى الرحمة بالجمع للكثرة
اشارة الى انه اختص بكثرتها ورواية الحربى تقدم ذكره وانه مسند ولم يبينه
المص ورواه ابو نعيم فى الدلايل عن ابى يونس ميسرة فى حديث انه عليه الصلاة
والسلام بيان لانه مرفوع قال اتانى ملك فقال انت قثم بالثا المثلثة كما مر اى
مجتمع اى مجموع فيك كل كمال وخير فكنى عن ذلك بكونه مجتمع فى ذاته ولذا عقبه

بقوله قال والقثوم الجامع للخير كله في ذاته ولغيره ولهذا اسم له صلى الله عليه
وسلم هو في اهل بيته معلوم فسمي به غيره كما تقدم هو وتفسيره وقد جاءت
من القابه وهي اسماؤه المنقولة واللقب ما اشعر بمدح واما قوله تعالى ولا تنابزوا
بالالقاب فمخصوص بما فيه ذم موذ كما ذكره المفسرون وسماته بمعنى صفاته
او هو عطف تفسير والسمة في الاصل الوسم والكي ثم عم لكل علامة واشهر بمعنى الصفة
اذ المراد الصفات الواردة في القران لان اكثر ما فيه صفات منزلة الاعلام عدة
كثيرة سوى ما ذكرناه مما تقدم ذكره ومنها ما هو حقيقة ومنها ما هو استعارة
كالنور والسراج المنير كما قال تعالى قد جاءكم من الله نور وقال
وسراجا منيرا وفسر بالنبي صلى الله عليه وسلم لانه نور لا ينطفي ويابى الله الا
ان يتم نوره وهذا بناء على ما اختاره ومنهم من فسره بالقران ولكل وجهة والذي
حققه المشايخ نور الله مراقدهم كما في مشكاة الانوار والحجة الاسلام ان حقيقة
النور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره والعالم مشحون بالانوار الظاهرة
المحسوسة والباطنة المعقولة التي يفيض بعضها على بعض قال والنور الحقيقي
هو الله فهو نور السموات والارض ونور الانوار وقال الاشعري انه نور ليس
كالانوار والروح النبوية القدسية لمعة من نوره والملائكة شرر تلك الانوار ولهذا
صرح في حيا كل النور فلذا سمي النبي صلى الله عليه وسلم نورا ولاقتباسه
من الانوار الالهية سمي سراجا لما فاض عليه من الانوار العلوية ولكن الوصف به لغوا
ولا مؤكدا فانه فهمته فنور على نور فهو في الاصل استعارة ثم انه كان سمي به صار
حقيقة والمنذر والنذير وهما متقاربان معنى واصل الانذار الاعلام بما فيه
تخويف قال تعالى انما انت منذر ولكل قوم هاد وقال اني انا النذير المبين
وفي البخاري انما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل اتى قوما فقال يا قوم اني رايت
الجيش بعيني وانا النذير العريان فالنجاة فالنجاة فاطاعه طائفة من قومه فادلجوا
انطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبته طائفة فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش
فاهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من اطاعني واتبع ما جئت به ومثل من عصاني
وكذب ما جئت به من الحق والنذير للمبالغة في صدقه وجده من انذاره
ووصفه بالعريان لانه ابلغ في انذاره وقيل كان النذير يتجرد من ثيابه
ويلوح بجانبي الصباح تاكيدا للانذار والمبشر والبشير قال تعالى انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا ونحوه من الآيات وهما من البشارة بكسر الباء
وضمها وهو الاخبار بخبر سار وقوله فبشرهم بعذاب اليم تهكم وسميت
لها لتغير بشرة الوجه اي ظاهره وقيده بعضهم بالخبر الصادق وبنوا
عليه ما لو علق عليه طلاقا او عتاقا كما بين في كتب الفقه والاصول

وقيل

وقيل انه يعم الخير والشر حقيقة وقد مر ذلك كله وقال السيوطي انه من اسماء الله
ايضا لقوله يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وفيه نظر والشاهد والشهيد
قال تعالى انا ارسلناك شاهدا ويكون الرسول عليكم شهيدا ونحوه والشهادة كما
في الصحاح الخبر القاطع بمعنى الشهادة المعاينة وسمي به لشهادته على الامم بتبليغ
انبيائهم ولشهادته على امته بالايمان كما ورد في الحديث قال السيوطي والشاهد
من اسماء الله ومعناه العالم او الشاهد على عباده يوم القيامة ثم سمي به النبي
صلى الله عليه وسلم والحق المبين قال تعالى جاءهم الحق ورسول مبين وقال
قد جاءكم الحق من ربكم ونحوه وفسر به صلى الله عليه وسلم والحق والصدق متقاربان
وفرق بينهما الامام بان الصدق نسبة الشيء الى الواقع والحق نسبة ما في الواقع
الى الشيء من حق اذا ثبت وسمي به صلى الله عليه وسلم لحقية نبوته وثبوت ما
جاء به وجعل عين الحق مبالغة والمبين من ابان ويكون متعديا ولازما بمعنى تبين
فمعناه الظاهر في نفسه والمظهر لغيره قال تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم
والمبين من اسمائه تعالى لتبيين الوهيته وعظمته ولتبيينه لعباده امر معادهم
ومعاشهم وشرائعهم وخاتم النبيين بكسر التاء اسم فاعل وبفتحها اسم آلة كالطابع
كانه ختمهم بنفسه فهو استعارة في الاصل شاع وصار حقيقة قال
تعالى ولكن رسول الله وخاتم النبيين من ختمت الامر اذا تممته وبلغت آخره
وفي الصحيحين مثلي ومثل الانبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فاحسنه واكمله الا موضع
لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون ويقولون هلا وضعت
تلك اللبنة فانا تلك اللبنة وانا خاتم النبيين وحكمة كونه خاتما ليكون لكم
رحمة ولئلا يطول مكثه امته تحت الارض ولئلا تطلع الامم على خواص امته
تنسخ شريعته ولذلك نزل عيسى عليه الصلاة والسلام على شريعته كما تقدم
والرؤوف الرحيم تقدم معناهما مفصلا والامين فعيل بمعنى مفعول مبالغة
ويكون بمعنى فاعل كقوله وهذا البلد الامين وتسميته به مشهورة قبل البعثة
ووقع في القران في قوله تعالى انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش
مكين مطاع ثم امين في قول بعض المفسرين ان المراد به النبي صلى الله عليه وسلم
وان كان المشهور خلافه وانه جبريل وقال الملقن انه قول اكثر المفسرين كما
نقله السيوطي عنه وقيل انا لم نعلمه في القران في غير هذه والراجح
خلافه الا انه وقع فيه بطريق الالتزام لانه وصف به فيه من هود وقيل كقوله
في قومي الى لكم رسول امين وفيه تكلف وقد سمي به والمامون في الجاهلية
قال كعب بن زهير
سقاك بها المامون كاسا روية ۰ فانهلك المامون منها وعلكا

وسمي به لما تشاحنت قريش فيمن يضع الحجر الاسود فقالوا اول من يدخل من هذا الباب يضعه فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راوه قالوا قد جا الامين وكان مشهورا به قبل البعثة فكانت توضع عنده الودايع والامانات **وقدم الصدق** كما عده كثير من اسمايه صلى الله عليه وسلم ففي البخاري عن زيد بن اسلم في قوله تعالى وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قال هو محمد صلى الله عليه وسلم وعن علي كرم الله وجهه كما اخرجه ابن مردويه انه قال في تفسيره هو محمد شفيع وقيل في وجه التسمية من انه تبشير بان يشفع لهم لانه من عادة الشافع تقدمه على من يشفع له فعلى هذا انه سماه الله به وكذا روي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان معناه شفيع مصدق وعن سهل ان معناه سابقة اوده عند الله اي عهد له لطا ازلا انه سيجعله رحمة لهم ولذا اعقبه المصنف بقوله **ورحمة للعالمين** فهو كالتفسير له والقدم واحد الاقدام ويطلق على المتقدم لانه يكون لطاد ويقال لفلان قدم اي مقدم كما قال ذو الرمة

لكم قدم لا ينكر الناس انها • مع الحسب العادي طمت على البحر •

وكونه رحمة لجميع العالمين كما في قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقدم الكلام عليه **ونعمة الله** فهو صلى الله عليه وسلم نعمة لهم وعن ابن عباس في تفسير قوله تعالى بدلوا نعمة الله كفرا قال هم كفار قريش ونعمة الله محمد صلى الله عليه وسلم فسمي نعمة كما سمي رحمة وذلك حقيقة لمن تبعه ولذا قال **والعروة الوثقى** قال ابن دحية وابو عبد الرحمن السلمي في قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى هو محمد صلى الله عليه وسلم والعروة ما يتمسك به من الحبل والوثقى الوثيقة المتينة ففيه استعارة تمثيلية تصريحية لان من اتبعه لا يقع في هوة الضلال كما ان من سكن حبلا متينا صعد من حضيض المهالك ومن اسمايه **الصراط المستقيم** ذكره ابن دحية وقال ابو العالية في قوله اهدنا الصراط المستقيم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم واخرجه ابن ابي حاتم وسمي به لانه طريق الى الله موصل له والصراط بالصاد والسين الطريق المستوي او الواضح والمستقيم الذي لا عوج فيه فاستعير له صلى الله عليه وسلم لان التابع له واصل لسعادة الدارين ناج والمنحرف عنه ضال غير مهتد فلذا اعقبه بقوله **والنجم الثاقب** اشارة لقوله وبالنجم هم يهتدون وقد ذكر عن السلف في قوله تعالى والنجم الثاقب انه صلى الله عليه وسلم وقيل قبله وهو تجميد وهو بمعنى القطع عن غير الله والثاقب بمعنى المضي المتوهج قال

اضاء لهم احسابهم ووجوههم • دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه •

وتشبيه

١٩

وتشبيه بليغ او استعارة من نطلق النجم او من نجم بكم مخصوص وهو زحل لانه يهتدى به صلى الله عليه وسلم كما يهتدى بالنجم او لانه استنارت به ظلمة الجهل فاذا خص بزحل فوجه الشبه الاضاءة مع الرفعة كما قيل **والكريم** المتفضل او العفو او الكثير الخير او الفعل كما ياتي وكلمة صحيح في حقه وسمي به في قوله تعالى انه لقول رسول كريم بناء على انه المراد وقيل المراد جبريل كما ياتي والخلاف في تفسيره مشهور ولا حاجة لاثباته لهذه الاية لاتصافه صلى الله عليه وسلم به وبمعناه في الاحاديث الصحيحة **والنبي الامي** قال تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي وهو من لا يقرا ولا يكتب وقيل هو الذي يقرا ولا يكتب ورجحه السبكي والسيوطي وفيه اقوال احدها وثانيها هذا انه وقيل كان يقرا ويكتب وقيل كان لا يقرا ولا يكتب في اول امره ثم لما زالت الشبهة علمه الله ذلك وذهب الى هذا بعض المحدثين من علما المغرب ومن تبعهم وسياتي تفصيله مع انه تقدم مرارا والامي منسوب الى الام كانه على حالة التي ولدته امه عليها او الى ام القرى وهي مكة او الى امة العرب وكني به عما ذكر لان القراءة والكتابة لم تكن معروفة فيهم وقيل منسوب الى الامة لا لذاته بنفسه وامتنه معجزة له صلى الله عليه وسلم وان عدت منقصة لغيره لانه مع ما ذكر ظهر منه من العلوم والمعارف الدينية ومعرفته باخبار الامم السالفة وشرايعهم وهو لا يقرو ويكتب ولم يدارس ويتلقى ممن قرا وكتب امر غريب عجيب والمقصود من القراة والكتابة ذلك لا لذاتها وانما واسطة له غير مقصودة في نفسها فاذا حصلت له الثمرة المطلوبة منهما استغنى عنهما بخلاف غيره مع ما في ذلك من الرتبة والاستغنا بكتابته عن ملاقاته كما قال تعالى وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون وروي انه صلى الله عليه وسلم قال لا اريد الخط لئلا يقع ظل القلم على اسم الله رواه الترمذي ولم يسنده فجازاه الله عن ذلك انه يرفع ظلمه عن الارض فلا يوطا وان لا ترفع الاصوات على صوته وسياتي ان من وصفه صلى الله عليه وسلم بالامية على وجه يشعر بالتنقيص له حكم السباب **وداعي الله** اي داعي الناس الى توحيد الله وطاعته كما قال تعالى وداعيا الى الله باذنه واجيبوا داعي الله ونحوه وفي الحديث الصحيح انه بكم فتح دارا وصنع مادبة فمن اجاب الداعي رضي الله عنه البيد دخل الدار واكل من المادبة فالبيت هو الله والداعي محمد والدار الاسلام وقال البخاري الجنة وكذا المادبة قال السيوطي وقد وصف الله نفسه بانه داع في قوله والله يدعو الى دار السلام فهو من جملة اسما الله التي سماه بها وقال على لسان الجن اجيبوا داعي الله ففيه دليل على انه صلى الله عليه وسلم مبعوث اليهم وقال مقاتل لم يبعث الى الجن نبي قبله وفي قوله بعثت الى الاسود

والاحمر بالانس والجن كما تقدم وهو مشكل بسليمان وقد يوفق بينهما بان الله سخر له الجن مع امره لهم بتوحيد الله لانه لا يرضى الكفر الا انه لم يكلفهم بفروع شريعته والنبي صلى الله عليه وسلم مامور بدعوتهم وتكليفهم بالعمل بشرعه ولم يومر باستخدامهم **في اوصاف كثيرة وسمات جليلة** عظيمة جميلة اي ذكره وما ذكر في القران والاثار مع صفات اخر كثيرة اطلقت عليه كاطلاق الاسم على مسماه بجعل الكثير باشتماله على غيره كالظرف المحتوي على مظروفه وسمات جمع سمة وهي العلامة لكن تجوز بها عن مطلق العلامة كالموسم للانف وشاع حتى صار كالحقيقة او بمنزلتها ثم تجوز بها عن الصفة وهو المراد هنا وعبر به للتفنن في العبارة **وجرى منها في كتب الله المتقدمة** اي وقع منها في كتب الله المتقدمة على القران كالتوراة وغيرها وجرى حقيقته اسرع في المشي وفي المائعات بمعنى سال كجري الماء ثم شاع عرفا بمعنى وقع وحدث فيقال جرى الماء على كذا ولذا تلفظ الشاعر في قوله

ويحدث الماء الزلال مع الصفا ... يجري النسيم عليه يسمع ما جرى

وكتب انبيائه قيل المراد بها كلمات منقولة فان لهم عليهم الصلاة والسلام احاديث دونها احبارهم في زمن ما مضى قبل نسخ احكامهم ونقلها المسلمون عنهم ودونها كالاسرائيليات وهذا يعلم من مقابلته لما قبله **واحاديث رسوله** صلى الله عليه وسلم الواقع فيها وصفه او تسميته لنفسه او قالها اصحابه بنقل عنه وبدونه وهذه كلها تسمى احاديث ايضا **واطلاق الامة** غير الصحابة والمراد الاعم اي تسميهم له صلى الله عليه وسلم ووصفهم فان اطلاق اللفظ بمعنى استعماله سواء كان حقيقة ام لا وهو في الاصل من اطلاق بمعنى فك الوثاق ثم نقل عرفا لما ذكر واسماؤه صلى الله عليه وسلم وان كانت توقيفية عند بعضهم كاسماء الله فما اشتهر منها وتلقي بالقبول في حكم المنقول فان الامة لا تجمع على الضلالة وقد وقع هكذا في كثير من اسمائه ووصفها انه **جملة شافية** فاعل جرى من شفا المريض اي شافيه من داء الجهل او من شفا الغليل وهو حر العطش لانه يروي الظما وتثلج الصدر **كتسميته بالمصطفى والمجتبى** هذا مما اطلقته الامة ولم يرد في كتاب ولا سنة وهما بمعنى وفي اجتباه بمعنى اصطفاه واختاره واصله كما قال الراغب من جبيت الماء في الحوض اذا جمعته فجمعه صلى الله عليه وسلم المكارم والصفات الحميدة بفيض الهي من غير سعي كما قال الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب قال السيوطي المصطفى من اشهر اسمائه صلى الله عليه وسلم ومثله المختار وفي مسند الدارمي انه في التوراة محمد رسول الله عبدي المختار الخ **وابي القاسم** وهذه اشهر كنيته له صلى الله عليه وسلم ومنها ابو ابراهيم وابو المومنين وابو الارامل كما

ذكره

ذكره السيوطي وهذا ورد في الحديث الصحيح ففي مسلم عن جابر رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي فاني ابو القاسم اقسم بينكم ومثله ما في كتاب الذخائر والاعلاق في ادب النفوس ومكارم الاخلاق انه كني به لانه يقسم الجنة بين اهلها يوم القيامة والذي جزم به اهل السير انه كني بابنه القاسم وهو اول اولاده صلى الله عليه وسلم ولادة ووفاة وظاهر النهي فيه تحريم التكني بكنيته مطلقا وهو الاصح من مذهب الشافعي وقيل انه جائز بعد موته صلى الله عليه وسلم والنهي مخصوص بحياته ورجحه النووي ووجهه ان النهي عن ذلك لئلا يتاذى باجابة دعوة غيره فيجد المنافقون فرجة لاذاه وهو يزول بوفاته صلى الله عليه وسلم ولذا لم ينه عن اسمه مع منع الله من ندائه وفي قول يحرم لمن اسمه محمد دون غيره لما روي عن جابر مرفوعا من تسمى باسمي فلا يتكنى بكنيتي قال السبكي وحيث حرمناه فالمحرم التكنية وهو وضع الكنية لاحد والتكني وهو قبول المسمى لذلك واما الاطلاق فامر ثالث الا ان يكون ذلك الشخص لا يعرف الا به فيكون عذرا واختلفوا في عمر ابنه القاسم فقيل سنتان وقيل غير ذلك **والحبيب** وحبيب الله وهذا ثابت بالحديث الصحيح الذي رواه البيهقي في الشعب عن ابي هريرة رضي الله عنه اتخذ الله ابراهيم خليلا وموسى نجيا واتخذني حبيبا ثم قال وعزتي وجلالي لاوثرن حبيبي على خليلي ونجيي وقد مر الكلام على المحبة والخلة والفرق بينهما والكلام على انها افضل وهذا الحديث صريح في تفضيل المحبة لان لها معنيين احدهما مطلق وهو في الخلق مطلق الميل وفي الله ايثاره وتفضيله على غيره وخاص وهو في الناس ايثاره على نفسه وغيره وجعله نصب عينيه بحيث لا يفتر عن ذكره وتملكه لقلبه بحيث لا يكون يشتغل بسواه والخلة المودة والمصاحبة مع ميل ما ولا شك انها بهذا المعنى افضل واعلى فقول ابن القيم في كتاب الداء والدواء انه بعض المغالطين من ان المحبة اكمل من الخلة فمن جهله فان المحبة عامة والخلة خاصة فانها نهاية المحبة فانه صلى الله عليه وسلم اخبر بانه لم يتخذ خليلا غير ربه مع اخباره صلى الله عليه وسلم بمحبة عائشة وغيرها لم يصادف محزه **ورسول رب العالمين** لم ينتظم هذا في سلك ما وقع في القران لانه وان ورد فيه كثيرا الا انه لم يقع فيه مضافا لرب العالمين قال الازهري الرسول المبلغ لاخبار من بعثه من قولهم جاءت الابل رسلا اي متتابعة والفرق بينه وبين النبي مشهور **والشفيع المشفع** اي المقبول شفاعته وسمي شافعا ايضا وقد تقدم انه له صلى الله عليه وسلم شفاعات سبعة كما تقدم تفصيله **والمتقي** والتقي والاتقى لحديث مسلم انا اتقاكم لله والتقوى لها مراتب مفصلة في تفسير البيضاوي **والمصلح** للخلق بارشاده وهذا اية قال المصنف وجد على بعض الحجارة القديمة

محمد تقي مصلح امين لانه الف بين قلوب الناس وازال ما بينهم من الضغاين كما
كان بين العرب والعجم وقبائل العرب كما قال تعالى واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم
اعداء فالف بين قلوبكم **والطاهر** بالمهملة لطهارته صلى الله عليه وسلم من النقائص
والادناس الحسية والمعنوية حتى ذهب الشافعية الى طهارة فضلاته كما نطق به
وبوله ودمه ورجحه السبكي والبلقيني والقول به كما مر وقد شربت ام ايمن بوله وشرب
جماعة من دمه ولم ينكره صلى الله عليه وسلم وطهارته من الذنوب والاخلاق الردية
كما تقدم **والمهيمن** وهذا سماه به عمه العباس رضي الله عنه في شعره المشهور الذي
مدحه صلى الله عليه وسلم به وقد تقدم روايته له وفيه ٥ ٥

حتى احتوى بيتك المهيمن من ٥ خندف علياء تحتها النطق ٥

وميمه الاولى مضمومة والثانية مكسورة وربما فتحت ايضا وهو كما انه اسم له صح
انه من اسماء الله ومن اسماء القرآن قال تعالى وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما
بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه وفسر في الاية بمحمد صلى الله عليه وسلم على
انه حال من كاف اليك والراجح تفسيره بالقرآن على حال بعد حال من الكتاب ولذا
لم يذكره المص في اسمائه صلى الله عليه وسلم الواردة في القرآن وقال ابن قتيبة انه
في اسماء الله معناه الشاهد وقيل الحفيظ وقيل الرقيب وقيل القائم على خلقه
وقيل الامين واصله مؤيمن قلبت همزته هاء وقيل المهيمن وهو في اسماء النبي صلى الله
عليه وسلم بالمعنى الاول او الرابع او الخامس انتهى وهو عنده مصغر مؤمن وتصغير
للتعظيم وكذبه ورد هذا وشنع عليه فيه بان اسماء الله واسماء النبي صلى الله عليه وسلم
والقرآن المعظم لا يجوز فيها التصغير ولم يرد شيئه ولذا ارتضى ابو علي في الحجة
انه اسم مكبر وزنه بهذه الزنة كالمبيقر والمسيطر وفتح ميمه يدل على ما قاله
واذا وصف به القرآن فمعناه رقيب الكتب المتقدمة عليه لحفظه من التغيير
والتبديل واعجازه ببلاغته ومزاياه وقيل معناه المصدق ويبعده تفسيره
على الاية بقال انه لما فيه من معنى العلو وعلى انه من الامن ظاهر لانه امنهم من الخوف
والصادق والمصدوق ويسمى بالصدق ايضا والمصدق اسم فاعل بالتشديد كما
ذكره ابو بكر بن عربي وفي صحيح البخاري حدثنا رسول الله وهو الصادق المصدوق
قاله ابن مسعود وفي تقديره وهذا في عدة احاديث ورواها السيوطي لانه صدق
الانبياء والكتب المتقدمة والمصدوق اسم مفعول من صدق المتعدي كما
في صدقه وعده والصادق من اسماء الله ايضا ورد في حديث الاسماء كما قاله
السيوطي **والهادي** عده جماعة في اسمائه اخذا من قوله وانك لتهدي الى صراط
مستقيم وهو من اسماء الله ايضا والهداية تطلق على خلق الاهتداء وتوصف
بها الله خاصة وهو المنفي في قوله انك لا تهدي من احببت على قوله وعلى

البيان

البيان والدلالة بلفظ وهذه يوصف بها الله والنبي صلى الله عليه وسلم وتطلق على
الداعي ومنه ولكل قوم هاد ولا تستعمل الا في الخير وقوله فاهدوهم الى صراط الجحيم ٥
تهكم وهذا اسمه صلى الله عليه وسلم لما فيه من صلاح المعاش والمعاد ظاهرة وقد اشبعنا
الكلام عليه في حواشي القاضي **وسيد ولد ادم** وقد ورد اطلاقه عليه في احاديث كثيرة ٥
صحيحة كما في حديث الشفاعة انطلقوا الى سيد ولد ادم وفي حديث الصحيحين انا سيد
الناس يوم القيامة وهو من اسماء الله ايضا كما اثبته البيهقي في كتاب الصفات فيجوز
اطلاقه على الله وعلى غيره مطلقا وهو احد اقوال اربعة فقيل يختص بالله مطلقا
وقيل يختص به معرفا وقيل يختص بغيره فلا يجوز اطلاقه عليه واستدل للاول
بانه لما قال له صلى الله عليه وسلم وفد بني عامر انت سيدنا قال السيد هو الله وهو
حديث صحيح كما مر وتحقيقه انه على الاطلاق معناه العظيم المحتاج اليه غيره وهذا مما يوصف
به الله وغيره واما تخصيصه بغير الله كما ادعى مالك فلا نسلم بل ثبت عنده اطلاقه
على الله ولان معناه رئيس القوم الذي يجمعهم ويحوطهم تباعه وسيد القوم منهم وهذا
لا يليق بالله ولذا افرد اذا اطلق على الله بما مر واما اختصاصه بالله فلان معناه
المالك المتصرف في امور غيره وهذا في الحقيقة انما هو لله واما التفصيل فلانه
معرفا المعهود بالعظمة وكونه ملجا لكل احد وهذا مختص به تعالى وهذا اضعفها
فان قلت اذا صح الاول فما تصنع بالحصر في حديث السيد هو الله قلت
اذا ثبت وصف لشيء وحده او مع غيره واريد رده فللعرب فيه طرق اظهرها ان يؤتى
بصريح الحصر كقولك لا معبود الا الله قلبا لاعتقاد او تعريف الطرفين كالمعبود
الله وهو كالذي قبله معنى الا انه قد يختار انما لنكتة مخاطبة فيها بلغ في مقابله
تكفل ما اثبته الزاعم الصفة غير من هي له في نفس الامر كما يقال للدهري الدهر
هو الله اي لا دهر ولا تصرف لسوى الله فما تثبته له التصرف ونفاه عما عداه ونظيره
برهاني كقولك ان كان للرحمن ولد الخ وهذا النوع ادق من غيره سماه الشيخ التوزيع
وذكره سيبويه في باب الاستثناء فقوله السيد هو الله يحتمل اجراؤه على ظاهره
وان يكون من هذا القبيل فلا دليل فيه على انه من اسماء الله فضلا عن اختصاصه
فاعرفه فانه من نفائس الذخائر المكنونة في دفائن الخواطر والمراد بولد ادم النوع ٥
الانساني وكذا كل جماعة سموا باسم ابيهم جاز اطلاق الاولاد عليه والاطلاقه عليهم
كما يقال تميم لبني تميم ولاولاده وكذا يقال بنو تميم لما يشمل تميم وهو القبيلة وهذا
مجاز شاع حتى صار حقيقة عرفية كما فصله العراقي في كتاب العقد المنظوم وعده
من الفاظ العموم فمن قال الولد للواحد والجمع فان كان مفردا ينبغي ان يكون الاضافة
للاستغراق بقرينة المقام اي انا سيد كل ولد ادم وان كان للجمع فالامر ظاهر
ويلزم من كونه سيد ولد ادم سيادته على ادم اذ فيهم من هو افضل من ادم كابراهيم

وموسى عليهما الصلاة والسلام فقد تحقق ما لا حاجة اليه لعدم وقوعه على ما ذكر وفي الحديث انا سيد ولد آدم يوم القيامة وخص يوم القيامة لانه يظهر فيه سيادته على سائر الرسل من غير منازع فيه وان كان سيدا في الدارين كما مر **وسيد المرسلين** كما ورد في احاديث صحيحة واذا كان صلى الله عليه وسلم افضل من سائر المرسلين فهو افضل من سائر النبيين لان الرسول افضل من النبي وان اختلف في تفضيل الرسالة والنبوة **وامام المتقين وقائد الغر المحجلين** جمعها المصنف لورودها كذلك في حديث رواه البزار انه صلى الله عليه وسلم قال ليلة اسري بي انتهيت الى قصر من لؤلؤة يتلألأ نورا واعطيت ثلاثا قيل لي انك سيد المرسلين وامام المتقين وقائد الغر المحجلين والقدوة وتسميته صلى الله عليه وسلم بامام النبيين وامام المتقين وامام الناس وامام الخير كما في الرياض الانيقة والاول ذكره ابن سيد الناس في سيرته وعن قتادة في قوله تعالى يوم ندعوا كل اناس بامامهم ان الامام المراد به النبي صلى الله عليه وسلم والامام في اللغة المقتدى به ويطلق على الواحد كقوله اني جاعلك للناس اماما وعلى الجمع كقوله واجعلنا للمتقين اماما قاله الانباري وسمي صلى الله عليه وسلم امام النبيين لانه استنقذهم في النبوة الروحانية ولانه امهم في الاسرا كما مر واخرج احمد والترمذي اذا كان يوم القيامة كنت امام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم وفي رواية لاحمد كنت امام الناس ومنها اخذ تسميته صلى الله عليه وسلم به وامام المتقين ان اريد به امته صلى الله عليه وسلم فظاهر وان اريد الاعم من امته فعلوا وايه امام الناس فلا فيه الا بنيانه وفي بعض الشروح انه كل من يتق سوا كان من امته او من الامم السالفة مقتد به لانهم في السر الباطني اشوقوا له على المقام المحمدي وامنوا به واهتدوا لهديه وامام الخير ورد في حديث رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال اذا صليتم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحسنوا الصلاة عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه قالوا له فعلمنا قال قولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير وقائد الخير رسول الرحمة اللهم ابعثه المقام المحمود الذي يغبطه به الاولون والاخرون وقائد اسم فاعل من القود وتقدم على من يتبعه باختياره وهو يقودهم الى الجنة برضاهم وفي القاموس القود نقيض السوق والغر جمع اغر واصل الغرة بياض في جبهة الفرس والمراد به مطلق بياض الوجه هنا والتحجيل بياض في القوائم وفي الصحيحين امتي يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء وورد معناه من طرق كثيرة وفيه رد لمن زعم وقد جعل ذلك علامة لهم يعرفون بها بين الامم يوم القيامة والتعبير به وبالقود بما هو معروف من صفات

عرضه

الخيل فيه اشارة الى انهم جياد سابقون على غيرهم ففيه استعارة مكنية وتورية كقوله

الناس للموت كخيل الطراد * والسابق السابق منها الجواد

ولهذا استدل على ان الوضوء من خصائص هذه الامة وقيل انه غير مختص بهم وانما المختص بهم الغرة والتحجيل لحديث هذا وضوئي ووضوء الانبياء من قبلي واجيب بضعفه واحتمال ان يكون الانبياء عليهم الصلاة والسلام اختصوا به دون اممهم على تقدير صحته بعيد وكون بياض الغرة اثر الوضوء لا ينافي كونه من اثر السجود وادعا انه غيره فيه نظر **وحبيب الله** تقدم بيانه مفصلا **وخليل الرحمن** كما تقدم تحقيقه **وصاحب الحوض المورود** رواه ابن حبان والحاكم وقال السيوطي حديث الحوض مروي عن اكثر من خمسين صحابيا اي وتقدم سرد بعضهم في كلام المصنف ومنهم ابو برزة الاسلمي وحديث سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لي حوضا ما بين ايلة الى صنعا عرضه كطوله فيه ميزابان من الجنة احدهما من ورق والاخر من ذهب احلى من العسل وابرد من الثلج وابيض من اللبن من شرب منه لم يظما حتى يدخل الجنة فيه اباريق عدد نجوم السما وقال القرطبي ذهب جماعة الى ان حوضه صلى الله عليه وسلم بعد الصراط والصحيح ان له حوضين احدهما في الموقف قبل الصراط والثاني في الجنة وكلاهما يسمى كوثرا واختلف هل هو قبل الميزان او بعده والصحيح انه قبله والمعنى يقتضيه فان الناس يخرجون من قبورهم عطاشا فيزداد عطشهم في السعي الى المحشر فيردونه قبل الميزان والصراط وورد ايضا تسميته بصاحب الكوثر وسمي به لاختصاصه به وفي بعض الكتب لكل نبي حوض وتسميته به صلى الله عليه وسلم لعظم حوضه وزيادته وشدة احتياج الناس لنقل المورود وانه مفعول من الورود بالكسر وهو الذهاب للما ويلزمه الشرب عادة فلذا اعبر به عنه وهو وان كان اسم مفعول لا يتعدى فالمراد كثرة الواردين عليه ولولاه كان الوصف به لغوا وقد ورد التصريح به **والشفاعة** اي من اسمائه صلى الله عليه وسلم صاحب الشفاعة وقد تقدم بيانه **والمقام المحمود** وهو مقام الشفاعة العظمى كما مر **وصاحب الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة** الوسيلة السبب الموصل لامر عظيم سمي به لانه سبب لكل خير وفسر في الحديث بمنزلة مخصوصة كما ورد في حديث مسلم سلوا الله الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون هو واصل الوسيلة كما قال السيوطي التقرب من الله والمنزلة عنده وكونه صلى الله عليه وسلم صاحب فضيلة ودرجة عالية رفيعة حسا ومعنى في الدنيا والاخرة غني عن البيان

وصاحب التاج قيل المراد بالتاج هنا العمامة ونقل عن المعلم رحمه الله والعمائم تيجان
العرب لكونها معروفة عندهم دون غيرهم فكني به عن انه من صميم العرب واشرفهم
حسبا ونسبا وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه لم يلبس العمامة غيره من الانبيا وفي
مقدار عمامته وكيفيتها تفصيل في السير ولنا فيه رسالة مستقلة وكان له
صلى الله عليه وسلم عمامة تسمى السحاب تحتها قلنسوة ودخل مكة في الفتح وعلى راسه
عمامة سودا وهو لا ينافي رواية انس رضي الله عنه انه كان على راسه مغفرا
ولبس صلى الله عليه وسلم عمامة حمرا وبيضا ولم يلبس خضرا اصلا والمعراج وهو
السلم فهو اسم اله وقال السيوطي هو عروجه وصعوده صلى الله عليه وسلم للسما
والاسرا سيره من مكة الى القدس فهو مغاير ويسمى بينهما فرق واذا اطلق كل منهما
على الاخر وهو الذي تصعد عليه الارواح والملايكة ولم يصعد عليه في الدنيا
والاخرة بجسده احد غيره صلى الله عليه وسلم فلذا اختص بالتسمية به ويسمى
ايضا صاحب اللوا قال السيوطي المراد به لوا الحمد الذي تقدم وقد يحمل على اللوا
الذي كان يعقده صلى الله عليه وسلم للحرب فهو كناية عن القتال قال وهو
ما يحمل في الحرب يعلم به صاحب الجيش يحمله هو بنفسه وقد يحمله غيره وقريب
منه الراية وفرق بينهما ففي الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما كانت راية
صلى الله عليه وسلم سودا ولواه ابيض وقيل كان مكتوبا عليه لا اله الا الله
محمد رسول الله واول ما حدثت الرايات في الاسلام يوم خيبر وما كانوا يعرفون
قبل ذلك الا الالوية والقضيب اي من اسمائه صلى الله عليه وسلم صاحب
القضيب وهو السيف كما قاله السيوطي ووقع مفسرا به في الانجيل قال معه
قضيب من حديد يقاتل به ويحتمل ان يراد به القضيب الممشوق الذي يمسكه
الخلفا وفي كتاب البيان للجاحظ انه كانت له صلى الله عليه وسلم مخصرة
وقضيب وغيره يحمل بين يديه وهكذا كانت عادة عظما العرب وخطبائهم
فاذا اريد الاول فهو كناية عن جهاده وكثرة قتاله وان كان عبارة عن كونه
من صميم العرب وخطبائهم وما قيل من ان المراد القضيب الذي اعطاه
صلى الله عليه وسلم لبعض الصحابة فانقلب سيفا كما هو معروف في معجزاته
تكلف ناشي من ضيق العطن وراكب البراق والناقة والنجيب البراق
دابة غريبة من المخلوقات العلوية ويقال وجهه كوجه الانسان وجسده
كالفرس وقوايمه كالثور وذنبه كالغزال وليس بذكر ولا انثى وسمي به لسرعته
او لبياضه وصفائه او لانه فيه قليل سواد من قولهم شاة برقا وركبه صلى
الله عليه وسلم لما اسري به واختلف فيه هل ركبه غيره من الانبيا ام لا وهل
ركبه معه جبريل ام لا كما تقدم فان قلنا لم يركبه غيره فوجه التسمية به ظاهر

عرضه

وان

وان قلنا ركبه غيره فوجهه انه كونه لجهة السرعة وصعوده به الى السما مخصوص
به على ان وجه التسمية لا يلزم اطراده والنجيب الجمل وقد يسمى راكب الجمل ايضا
في الكتب القديمة كما سمي عيسى عليه الصلاة والسلام براكب الحمار ولذا قال النجاشي
لما جاه كتابه صلى الله عليه وسلم وامن به اشهد ان بشارة موسى براكب الحمار كبشارة
عيسى براكب الجمل وسمي به مع ركوبه صلى الله عليه وسلم الفرس والبغل والحمار لانه
كناية عن تواضعه او لهجرته عليه او كونه من صميم العرب وكان له صلى الله عليه وسلم
جمال ونوق مذكورة في السير وقيل المراد بالنجيب الناقة وقيل النجيب
اسم فرس له صلى الله عليه وسلم اشتراه من اعرابي وهو الذي شهد له به خزيمة
وهو غريب وصاحب الحجة وهي الدليل الذي يحج به الخصم وهو المراد والمراد
المعجزة وهي بلغت الفا واعظمها القران والسلطان بضم السين وسكون اللام
وقد تضم وهو يذكر ويونث وله معان منها البرهان والملك والنبوة والغلبة
ويصح ارادة كل منها هنا وسمي صلى الله عليه وسلم بهذا في كتاب شعيا وبعض الكتب
القديمة والخاتم اي صاحب الخاتم بالكسر والفتح وهو خاتم النبوة الذي كان بين
كتفيه صلى الله عليه وسلم كزر الحجلة وبيضة الحمامة وقيل انه كان فيه
كتابة الله وحده لا شريك له او محمد رسول الله او توجه حيث شيت فانك منصور
وذكره مع السلطان لانه ورد مقرونا في كتاب شعيا وقيل المراد به الخاتم المعروف لانه لم
يعرف في العرب ولا في الانبيا من ختم الكتب سواه وفيه نظر والعلامة اي علامة
النبوة وهي الخاتم ايضا وقد ورد وتقدم به في الكتب القديمة وهو من شواهد نبوته
صلى الله عليه وسلم الدال على ان الانبيا ختموا به كما ورد في حديث ويجوز ان يراد به مطلق
العلامات التي كان اهل الكتاب يعرفونه بها كما يعرفون ابناهم وصاحب الهراوة
بكسر الهاء وراء والف وواو وتا تانيث وهي العصا قال في النهاية لانه صلى الله
عليه وسلم كان يمسك بيده القضيب ويمشي بالعصا بين يديه وتغرز له فيصلي
اليها وقال الجوهري هي العصا الضخمة وجمعها هراوى كمطايا وقال
المعري كانها العصا الواردة في حديث الحوض انه يذود الناس عنه
وقال النووي انه ضعيف او باطل لان المراد وصفه صلى الله عليه وسلم بما يعرفه
الناس ويعلم اهل الكتاب انه المبشر به في كتبهم فلا وجه لتفسيره بامر يكون في الاخرة
فالصواب ما تقدم ومن سنن الانبيا حمل العصا تواضعا والنعلين اي صاحب
النعلين وفي وجه تسميته صلى الله عليه وسلم بهذا في الانجيل وفي كيفية نعليه
كلام مفصل افرده بعض اهل العصر بالتاليف وكان له صلى الله عليه وسلم نعلان
سبتيتان بكسر السين اي لا شعر عليها او مدبوغة وما قيل من انه سمي به لما فيه من
مخالفته لاهل الجاهلية من تنعلهم في رجل واحدة فقد ورد النهي عنه في الحديث

الاولى تركه ومن اسمائه صلى الله عليه وسلم في الكتب الالهية المنزلة على من قبله
من الانبيا عليهم الصلاة والسلام المتوكل هو اسمه في التوراة ونصها انت عبدي
ورسولي سميتك المتوكل وهو الذي يوكل امره الى الله ويعتصم به والتعلق بالله
على كل حال وقيل التوكل ترك تدبير النفس والانخلاع من الحول والقوة وهو فرع
التوحيد وكان صلى الله عليه وسلم ارجح الانبيا قدما فيه وتوكل العوام مباشرة
الاسباب مع الاعتماد على مسببها والية الاشارة بقوله لو توكلتم على الله حق
التوكل لرزقكم كما ترزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وتوكل الخواص وهو
ترك الاسباب بالكلية والمختار اسم مفعول من الاختيار وهو الاصطفا لانه
خيار من خيار وفي توراة عبدي المختار لا فظ ولا غليظ ومقيم السنة سمي به
في التوراة عبدي والزبور في قوله اللهم ابعث لنا محمدا مقيم السنة بعد الفترة
لن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجا والمراد سنة من قبله من الانبيا عليهم
الصلاة والسلام وطريقتهم باظهار التوحيد ودعوة الخلق من قامت السوق
نفقت فيه استعارة مكنية بجعل ذلك كالامتعة المرغوب فيها او معطلها
وسوقها والقدس بالتشديد اسم مفعول وفي الرياض الانيقة معناه المفضل على
غيره وقال ابن دحية معناه المطهر المنقى من دنس الذنوب والنقايص من التقديس
وهو التطهير ومن اسما الله القدوس اي المنزه عن سمات النقص والحدوث
وقيل تقديسه الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وروح القدس بضمتين
وضم وسكون وهنا سقط من بعض نسخ الشفا اي الروح المقدسة من النقايص
وروح القدس في التوراة تسمية جبريل عليه الصلاة والسلام والقدس الطهارة
والله واضافة الروح له تشريفه كروح الله لعيسى وروح الحق الحق هو الله
وقال ابن عربي في الفصوص انه اسم الله الاعظم وهو صلى الله عليه وسلم مظهره وهو
اي روح القدس وروح الحق يعني البارقليط في الانجيل فانه في الانجيل سمي النبي
صلى الله عليه وسلم الفارقليط وفسرها ذكورين ايته مفسرا به في شرح الانجيل
للمسيحي الطبيب الا انه حرفه وقال المراد بروح احد الاثانين الثلاثة عندهم
قايلين الله وقال ثعلب امام اهل اللغة المشهور في تفسيره له البارقليط الذي
بفرق بين الحق والباطل وهو احمد بن يحيى الشيباني البغدادي امام اهل اللغة 2
والعربية ومولده في حدود المايتين ووفاته في جمادى الاخرة سنة احدى
وستين ومايتين قال ابن دحية وهو اسمه صلى الله عليه وسلم في الكتب
القديمة وروي عن ابن عباس انه بالفا والقصيحة وبالفا عرضا فيه
وروي بالقاف في المقتفي للحلبي الذي احفظه انه بموحدة في اوله والف وريا
مكسورة وقاف ساكنة ثم لام تليها يا مثناة تحتية ساكنة وطا مهملة

وهو الصحيح وفي بعض الحواشي انه روي بفتح الرا وقد تسكن وقاف تفتح مع
السكون وتسكن مع الفتح ومعناه محمد وفي الرياض الانيقة معناه الحامد او الحماد
والذي اصحاب الانجيل ان معناه المخلص وعبارة الانجيل اني ذاهب الى ابي وابيكم
ليبعث اليكم الفارقليط وفي شرح هيا كل النور للدواني هو بالفا ثم الف ورا
مكسورة وقاف ساكنة ولام مكسورة ثم طا مهملة والف مقصورة وهو لفظ عبراني
معناه الفارق بين الحق والباطل والمراد مظهر الولاية التي هي باطن النبوة
والمراد بابي وابيكم ربي وربكم والاوايل يسمون المبادي بالاباء انتهى فالحاصل
انه يا مثناة بقا في اخره الف ثم عرب بناء وقا وحذف الالف من اخره ففيه
ثلاثة اوجه وقالوا حقيقته المخلص وتفسيره بالفارق الخ بيان لحاصل
المعنى ومن كذب جهلة النصارى ان الفارقليط نار تنزل على التلاميذ من السما
بها يفعلون العجايب ولهذا النقح لكن لفظه ومعناه وهذا انما تحتجبه من
كتب عديدة فاحفظه ومن اسمائه صلى الله عليه وسلم في الكتب السالفة
ماذ ماذ ومعناه طيب طيب وروي مود مود وميد والاول هو الذي صحح واثبته
عند المصنف والثاني ذكره العزلي وقال انه اسمه صلى الله عليه وسلم في صحف ابراهيم
وذكر الثالث وقال انه اسمه في التوراة وهو بميم مفتوحة والف غير مهموزة
وذال معجمة ساكنة كما في المقتفي وقال انه ينبغي ضم دال لانه اسم غير منصرف
للعلمية والعجمة وتقديره انت ماذ ماذ اي ماذ ماذ ونقل الشهاب الحجازي الاديب
شيخ السيوطي نقلا عن السهيلي انه بميم مضمومة والف مهموزة بين الواو والالف
وقال انه سمعه من بعض احبارهم والظاهر انه تكرير للتاكيد او المراد انه طيب
في نفسه او في دنياه وطيبه في صفاته واخرته وكونه اسما واحدا مثل بربر او مركب
خلاف وقيل انه دال الدال مهملة وفي شرح رسالة الكندي المنسوب للعزالي
انه سمع ممن اسلم من احبار اليهود انه في التوراة اشارة لمحمد صلى الله عليه وسلم
في قوله لابراهيم اني قد استجبت لك في اسماعيل فانا اباركه واعظمه
بماد ماد وهو من محمد من طريق العدد لان فيه ميمين في مقابلة وبا موحدة
والعين والدال باثني عشر وهو عدد الحا والدال من محمد وهذا يقتضي
ان دال الدال مهملة وهذا مما لم يذكره احد من ارباب الحواشي والشروح وما قاله
التلمساني من انه يحتمل ان يكون ماخوذا من الماذي وهو العسل الابيض لحلاوته
في ذاته وصفاته او الماذية بمعنى الدرع اللينة السهلة لانه حصن حصين
للعالمين ليس بشي لانه يقتضي انه عربي ولم يقل به احد قط وحمطايا بهذا
ونحو منكرة رواه ابو نعيم في الدلايل عن ابن عباس رضي الله عنهما وضبطه
الشمني في حاشيته بفتح الحا المهملة وفتح الميم المشددة وطا مهملة

مخففة والعين بينهما مثناة تحتية وفي القاموس انه بكسر الحاء وميم سالفة
يليها ياء مثناة تحتية والف ثم طاء والف هكذا احماطا وفي المواهب انه بفتح
الحاء وسكون الميم ومثناة تحتية والف وطاء مهملة والف بعدها وقال انه بكسر
وياء ونون واما معناه فقال ابو عمرو عن بعض الاحبار الا معناه يمنع من الحرام
ويمنع الحرام اي يمنع مما كان في الجاهلية من الانكحة وغيرها من المحرمات فالحرم
بفتحتين او بضم ثم فتح وفي الرياض الانيقة معناه حامي الحرم او نبي الحرم
والخاتم حكاه كعب الاحبار اختلف الشراح في ضبطه ورواية فقيل هما بالحاء
المعجمة الا ان الاول الحا والثاني بكسرها او بالعكس وهو بعيد لانه تقدم فلا
وجه لاعادته وقيل الاول معجم والثاني مهمل وفسر بانه احسن الانبياء خلقا
وخلقا والظاهر انه من الختم وهو الاحكام لاحكام القضاء والاحكام ويجمع على
حتوم كما قال امية بن ابي الصلت

• عبادك يخطئون وانت رب • بكفيك المنايا والحتوم •

والحاتم القاضي كما في الصحاح ووجه الاول انه جاء الانبياء كالخاتم للذي يتزين
به فهذا ان كان تفسير للخاتم بالمعجمة فيتولد **وقال ثعلب الذي ختم
الانبياء والخاتم احسن الانبياء خلقا وخلقا** يكون اشارة الى تفسيره على وجه
يسقط به التكرار وسكت عن الثاني لظهوره وان كان الاول هنا بالمعجمة والثاني
بالمهملة كما ضبط في بعض الشروح والحواشي وهو مروي عن المصنف ففيه مع التكرار
ان تفسير الخاتم بالمهملة بما ذكر ليس معروفا في اللغة وانما معناه ما تقدم حقا الا
ان يتكلف انه من الختم بمعنى الخالص وقد قالوا في اتبه انه مقلوبه من المحض وكان
نقول انه من الحتامة وهي بقية الطعام كانه اخر ما بقي من نعم الله وقرن بالحا
وانكرنا هذه النكتة والعجب من الشراح اذ لم يتعرضوا لهذا مع ظهوره **ويسمى
بالسريانية** وهي لغة ادم عليه الصلاة والسلام واول اللغات ومنها تشعبت
سائر اللغات ثم صار اصول اللغات ثلاث السريانية والعبرانية والعربية
وفي بيان معنى نسبة كلام لا حاجة اليه هنا وهي بضم السين وياء ساكنة او مكسورة
وما قيل انه من السرلان الله علمها لادم سرا بعيد وقال
السيوطي رحمه الله ان سؤال القبر بالسريانية **مشفح** بضم الميم وفتح الشين
المعجمة وفاء مفتوحة او مكسورة مشددة فيهما وروي بالقاف وحاء مهملة
وسمي به صلى الله عليه وسلم في كتاب شعيا وقال البرهان لا انا اعلم معناه
ولا معناه ونقل بعض اهل العصر عن ابن فورك ان معناه محمد لا انهم يقولون
شفح لاها اي محمد الله وتبع فيه التلمساني **والمنحمنا** قال البرهان هو بضم
الميم ونون ساكنة ثم حاء مهملة مفتوحة وميم مكسورة ونون مفتوحة مشددة

والف

والف مقصورة وقال التلمساني الميم الثانية مثلثة ومعناه روح القدس وهو
بالسريانية محمد وبالرومية البرقليطس ونحوه في تذكرة الصفدي وضبطه
بعضهم بفتح الميمين ونقله السيوطي عن ابن دحية وقال ابن سيد الناس
في السيرة معناه محمد وهو محتمل لانه اسم له ولكونه بمعناه **واسمه في التوراة احيد**
قال الشمني هو بضم الهمزة وسكون الحاء المهملة وفتح المثناة التحتية وكسرها
والدال المهملة وقيل انه بفتح الحاء المهملة وسكون الياء التحتية والمحفوظ فتح
الهمزة وسكون المهملة وفتح التحتية وهو غير عربي وفي الكامل رواية عن
ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال اسمي في القران محمد وفي الانجيل
احمد وفي التوراة احيد وانما سميت احيد لاني احيد امتي عن نار جهنم وكذا
اخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ويؤيده انه ضبط بكسر الحاء وفتح الهمزة
ومنها وهو عربي من حاد يحيد اذا عدل ومال الا انه لم يكن ممن يوافق اللغات وذكره
الماوردي في تفسيره وضبط بمد الالف وكسر الحاء كما في الرياض الانيقة وفي الشرح
الجديد انه الذي في النسخ بفتح الهمزة وحاء مكسورة مهملة ومثناة تحتية ساكنة
والمشهور فتح الهمزة وسكون الحاء وفتح الياء وفي نسخة بفتحها وكسر الحاء وسكون الياء
وما قيل انه من الواحد لانفراده في ذاته وصفاته فيه ما لا يخفى **وروي
ذلك عن ابن سيرين** الامام المحدث الثقة الزاهد الورع صيته في الافاق وروي عنه
الائمة السنة وتوفي بعد مائة وعشر وهو من اعلم التابعين رضوان الله عليهم اجمعين
ثم انه رجع الى تفسير بعض الاسماء السابقة فقال **ومعنى صاحب القضيب
اي السيف** كما تقدم ومعنى مبتدا خبره **وقع ذلك مفسرا في الانجيل قال
اي في الانجيل** وقوله فاعل ضمير الانجيل نحو اتلف وفي القاموس القضيب
السيف القاطع كالقاضب سمي به من القضب لانه اقتطع من الحديد **معه قضيب من
من حديد يقاتل به وامته كذلك** اي تقاتل بالسيف الاعداء ثم اشار الى معنى اخر فقال
وقد يحمل على انه القضيب الممشوق اي قد يفسر به وهو مجاز من الحمل على الظهر
بجعل التاويل به كحمل عليه استعارة صارت حقيقة شائعة فيه وقد للتحقيق
وقد تجعل للتعليل لعلة تفسيره بالنسبة لما قبله وقضيب فعيل بمعنى فاعل
من قضبه بمعنى قطعه فهو في السيف بمعنى انه بالغ في القطع الحد لم يفل الية
سواه فهو عبارة عن شجاعته وكثرة جهاده وكثرة غزواته وفتوحاته وغنائمه
فان كان بمعنى العصى فهو بمعنى مفعول لانه مقطوع من الشجر وقد كان له صلى الله
عليه وسلم عصا على عادة العرب في اتخاذ عظمائهم وخطبائهم عصا يشيرون به
نطقا كما قال الشاعر

• في كفه خيزران ريحه عبق • بكف اروع في عرنينه شمم •

كما في كتاب العصا للجاحظ وفي القاموس قضيب ممشوق طويل دقيق من المشق وهو
جذب الشي ليطول وكان له صلى الله عليه وسلم قضيب يسمى الممشوق ويحيى بيلم به
الركن وقال ابن الجوزي كان له صلى الله عليه وسلم قضيب وهو الذي كان يمسكه
كان يمسكه عليه الصلاة والسلام وهو الان عند الخلفا يمسكونه يتبركا به فكان
لهم واحدا بعد واحد واما الهراوة التي وصف لها وصفا العويا في تتمته صاحب
الهراوة وتقدم تفسيرها فكانه صلى الله عليه وسلم يحملها ويتركو عليها وهو من
شان الانبيا في اللغة العصا واراها والله اعلم بضم الهمزة او فتحها بمعنى اظهرها
او اعتقدها وان المراد بها هنا في التسمية العصا المذكورة في حديث
الحوض الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم اذود الناس عنه بعصاي لاهل
اليمن اذود بمعنى اطرد وامنع وهو بذال معجمة في اوله ودال مهملة في اخره وهذا
الحديث رواه مسلم في المناقب هكذا لاهل اليمن اي لاجلهم ليتقدموا عليهم
بعد شفعتهم اجابوا دعوته صلى الله عليه وسلم من غير تردد وقتالهم فاذودهم
الحوض قبل غيرهم ليريحهم كما اراحوه فالجزم من جنس العمل وفيه كرامات
تروى لاهل اليمن كما ذكر مع صحته معنى قالوا انه من طغيان القلم وقال
النووي انه هذا التوجيه ضعيف لان المراد تعريفه بصفة يعرفها الناس
وليستدلون بها عليه وانه المبشر به في الكتب السالفة التي ميزتها العنوان فلا
وجه لتفسيره بما في الاخرة مما لم يبتغوه ولكن يكفي في ذلك ذكره ما وقع في الكتب
الالهية التي لم يعرفها من شوه بهذا انما اراد تفسيره باسم يختص به ويشتهر
علما الذي وقيل الاحسن حمله على العصا التي اعطاها صلى الله عليه وسلم
لبعض الصحابة فانقلبت سيفا فانه معجزة له كما قال الصرصري
بمدح صلى الله عليه وسلم

• وعصاه لما اشتد بيمينه • فضلت عصا صارت الى ثعبان •

بمعنى انها صارت معجزة اقوى من معجزة موسى عليه الصلاة والسلام بعصاه تقدم
هذا اقربنا مع ... وانما التاج فالمراد به العمامة كما تقدم ولم تكن حينئذ اي في
عهد مبعثه وحياته صلى الله عليه وسلم الا للعرب والعمائم تيجان العرب
اي قائمة مقام تيجان العجم المعهودة بينهم والتاج ما يوضع على الراس من الذهب
المرصع بالجواهر والعمائم جمع عمامة وسياتي الكلام على عمامته صلى الله عليه وسلم
ولم يقنع في وصف الحبيب الاعجم بما مر قال واوصافه اي الاوصاف التي اطلقت
عليه والقابه وسماته جمع سمة وهي العلامة كما تقدم في الكتب كثيرة ارادتها
كتب الحديث والسير او الكتب الالهية وفيما ذكرناه مقنع ان شا الله اي في المقدار
الذي ذكره ما يحصل به القناعة عن غيره لما في الكتب وفي المصباح قنع كجعفر ما

عرضي

عرضي

ما يقنع به يعني انه اسم مكان يجوز به عما يقتنع به وقيل انه مصدر ميمي من قنع به يعني
انه اسم مكان يجوز به عما يقنع به وقيل انه مصدر ميمي من قنع بمعنى رضي والاول
اولى وفي بعض النسخ هنا زيادة من الحاق المصنف وهي وكانت كنيته المشهورة والكنية
ما صدر باب وام ونحوه ابا القاسم اشهرها صلى الله عليه وسلم لانه من اولاده
صلى الله عليه وسلم كما تقدم وروي عن انس رضي الله عنه رواه احمد في مسنده
والبيهقي لما ولد له اي للنبي صلى الله عليه وسلم ولده ابراهيم من مارية القبطية
جاريته المشهورة جاء جبريل عليه الصلاة والسلام فقال السلام عليك يا ابا ابراهيم
فكناه به كما كناه بالقاسم ومما كني به صلى الله عليه وسلم ابو الارامل كما مر وابو المؤمنين وتوفي
في التوراة وازواجه امهاتهم وهو ابو لهم وقيل ان هذا واشباهه لم يصف للابناء
الحقيقية لغة لا كنية كابي تراب فصل في تشريف الله تعالى له
صلى الله عليه وسلم اي تعظيمه وتفضيله بما سماه به من اسمائه عز وجل والباء سببية
او للتعدية الحسنى اي الحسنة الجليلة لدلالتها على معان محمودة وقال
الراغب الفرق بين الحسن والحسنة والحسنى ان الحسن يقال في الاعيان والاحداث
وكذلك الحسنة اذا كانت وصفا للاسما فاذا كانت اسما فهي متعارفة في الاحداث
والحسنى يكون في الاحداث دون الاعيان انتهى ووصف به من صفاته العلى
بالضم جمع عليا كالكبرى وكبر وفي بعض النسخ العليا وفي المصباح العليا كل
مكان مشرف ولا وجه لتخصيصه بالمكان وقال الراغب العلى جمع لتانيث
اعلا بمعنى افضل واشرف والصفتان كاشفتان قال القاضي ابو الفضل هو المصنف رضي
الله عنه وهو ما عبر به عن نفسه من غير قصد التمدح لاشتهاره او زاده تلامذته كتو... في
في بعض النسخ وفقه الله والتوفيق تهيئة الاسباب الموافقة وهي جملة دعائية
معترضة ما احرى بفتح الهمزة وحا ساكنة مهملة وراء مقصورة بمعنى احق واولى
وهي صيغة تعجب من زيادة لياقته هذا الفصل قال البرهان الفضل
ضبط في الاصل بالرفع والظاهر نصبه لان ما بعده التعجب كما تقول ما اكرم زيدا كما
هو معروف في النحو بفصول الباب الاول المعقود لثنا الله عليه واظهار
عظيم قدره وهذه التسمية والترغيب ذلك كما اشار اليه بقوله لانخراطه في سلك
مضمونه اي لدخوله فيما تضمنه ودل عليه من المناقب التي حرست عندها السنة
الاقلام وفي السلك استعارة تخييلية ومكنية غير انهم فسروا الانخراط
بالانتظام وقد تتبع اللغة وكلام العرب فلم اجد الانخراط بهذا المعنى بل هو منه
لان الاختراط السيف اخراجه من غمده كاخترط ورق الشجر انتزاعه عنه بجمع
الكف ومنه خرط القتاد الا انهم استعملوها كثيرا في كلام المصنفين الموثوق بهم
كالزمخشري والسكاكي ولم يزل هذا يختلج في صدري ولم اجد ما يثلجه حتى وجدته

ابن عباد قال في جامع اللغة خرطت الجواهر جمعتها في الخريطة وهي الكيس فعلمت
ان هذا منه غير انهم لم يتسمحوا في استعماله فذكروا السلك مكانه لانه مثله في جمع
الجواهر فحمدت الله على ذلك وامتزاجه اي اختلاطه بحيث لا يتميز احدهما عن
الاخر ومنه المزاج بعذب بعينه وهو بفتح الميم بمعنى الجاري مطلقا او على وجه الارض
واصله معيون فاعل كمبيع فهو من عين الماء وميمه زايدة وقيل انه من معن
فعيل ومعناه البعيد مجراه من امعن في سيره والعذب الحلو الذي يتغذى به
وفي تفسيره بالعزيز مسامحة ووجه الاستعارة فيه ظاهر ثم استدرك الاعتذار
عن عدم ذكره في الاول فقال لكن الله لم يشرح الصدر للهداية الى استنباطه الباب ع
اي لم يفتح الله عليه به اولا باخراجه في محله واصل الاستنباط اخراج الما فقيه
مع ما قبله مناسبة لطيفة وفي ذكر الحوض بعده لطف

يزيدك وجهه حسنا · اذا ما زدته نظرا

وقوله ولا اثارا اي ذكر دلالة واضحة الفكر بكسر الفا وسكون الكاف او فتحها جمع
فكرة لاستخراج جوهره والتقاطه اي استخراجه من بحاره او اخذ لقطته و
وهذا ناظر لاخراطه في سلكه ففيه استعارة ولف ونشر غير مرتب ففيه
درة ودرة الا عند الخوض في الفصل الذي قبله اي لم يهده الله للوقوف عليه
الا عند الشروع فيما قبله واصل الخوض الشروع في المرور في الما فاستعير
لمطلق الشروع الا انه كما قال الراغب اكثر ما ورد في القران فيما يذم الشروع
فيه فرايناه ان نضيفه اليه اي الى الفصل الذي قبله بان يذكره عقبه لمناسبته
له ومرادنا ان نجعله كالنصف الذي انزل عنده فلذا قال ونجمع به
شمله اي نضمه اليه والشمل بمعنى التفرق اي يجمع ما تشتت منه ويكون بمعنى الجمع
فهو من الاضداد فاعلم خطاب لكل من يصح توجيه الخطاب له كما مر ان الله حبى
كثيرا من الانبيا عليهم الصلاة والسلام بكرامته اي بامر اكرمه وشرفه خلع عليهم
من اسمايه اي اعطاها لهم والبسها اياهم والاصل في الخلعة انها ثوب يلبسه الملك
تشريفا والبنا اشار المص بقوله في اول هذا الفصل في تشريف الله لنبيه بما سماه من اسماه
ففيه لطف لم يتنبه له وفي نسخة عليه وفي نسخة جعلها بدل خلعها والصحيح
الاول لما عرفته وفيه استعارة لطيفة بجعل الاسم خلعة لما فيهما من الشهرة
واظهار التكريم كتسميته اسحاق واسماعيل بعليم وحليم في قوله تعالى
وبشروه بغلام عليم يعني اسحاق وقوله فبشرناه بغلام حليم يعني اسماعيل
وهذا بنا على ان المبشر به اسحاق وقيل فيه انه اسماعيل ولهذا اجمع المص هنا
بين اسحاق واسماعيل وابراهيم بحليم في قوله ان ابراهيم لاواه حليم ونوح
بشكور اي كثير الشكر في قوله ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا في الاسرا

بنا على ان الضمير له لا لموسى عليهما الصلاة والسلام كما تقدم ويحيى وعيسى
ببر صفة مشبهة في البر والبر خلاف البحر ولما فيه من السعة توسعوا فيه فاشتقوا
منه البر اي التوسع في فعل الخير وينسب ذلك تارة الى الله بحو انه هو البر الرحيم
والى العبد فيقال بر العبد ربه اي توسع في طاعته فمن الله الثواب ومن العبد
الطاعة وذلك ضربان ضرب في الاعتقاد وضرب في الاعمال وقد اشتمل عليه قوله
تعالى ليس البر ان تولوا وجوهكم الاية ولذا سيل النبي صلى الله عليه وسلم عن البر فتلا
هذه الاية وبر الوالدين التوسع في الاحسان اليهما ويستعمل البر في الصدق لكونه
بعض الخير المتوسع فيه قاله الراغب وموسى بكريم وقوي في قوله تعالى وقد جاءهم
رسول كريم وقوله ان خير من استاجرت القوي الامين وفي بعض النسخ بدل كريم كليم
والصحيح الاول لانه لم يسم به الله وان كان الكلام من صفاته ويوسف بحفيظ عليم
اي حافظ كثير العلم وهذا في قوله اجعلني على خزاين الارض اني حفيظ عليم
وايوب بصابر في قوله انا وجدناه صابرا نعم العبد واسماعيل بصادق الوعد
في قوله واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد لشهرته بوفايه وعده
من صبره على الذبح ووفايه به ولا يرد عليه انه فيما ذكر ما هو من كلام الملايكة
والانبيا لانه تعالى حكاه واقره فكان في الحقيقة وصفا من الله بما ذكر واسماعيل
هو ابن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام لا ابن حزقيل فانه قول غير مشهور وما
قيل ان هذه الصفات يوصف بها كل من قامت به فكل من قام به علم او
حلم يقال له عليم وحليم مثلا فلا اختصاص لهذه الانبيا عن ذكر والجواب
بالفرق بين ثنا الله وثنا غيره فالاختصاص من حيث ان الله وصفهم بها وفيه
وفيه غاية الاختصاص وثنا الله على كثير من المومنين بالصبر والصدق ايضا لا
ينافيه لان الثنا لهذه الصفات على هولا من حيث ان الله جبلهم عليها وكذا ما قيل
من ان عيسى عليه الصلاة والسلام هو الذي هو الذي وصف نفسه بما ذكر الا انه
لما كان في حال الطفولية والذي انطقه الله على خرق العادة فالواصف هو الله
في الحقيقة كله تكلفات تخفى في غنية عنها فان المص لم يذكر الاختصاص
وانما قال انه من اسما الله ما سمى به رسله تشريفا لهم وبيانا لتخلقهم باخلاقه
ولا شك ان هذه الصفات اذا اجريت على الله فلها معان لا تليق بذكره ولما
كان سمي ببعض منها بعض رسله دل على انها بمعنى لا تليق بغيرهم ايضا وقد قال
ابن القيم في كتاب الفوايد ان الاسما التي تطلق على الله وعلى غيره اختلف فيها
فقيل انها حقيقة في الله مجاز في غيره وقيل على العكس وقيل انها
مشتركة بينهما وان كان هذا احتاجنا للبسط والبيان كما نطق بذلك الكتاب
العزيز اي كما دل عليه القران نصا وتصريحا فالنطق مجاز كما في قولهم نطقت الحال

والعزيز بمعنى الغالب لغيره من الكتب باعجازه واستغنا به لما اشتمل عليه عن غيره
من الكتب من مواضع ذكرهم اي مستغنيا من مواضع ذكرهم فيه فذلك حكاه عن
غيره فغيه اشارة لما تقدم وفضل محمدا نبينا صلى الله عليه وسلم في القران على
غيره ممن ذكر بان حلاه منها في كتابه العزيز الباسبية متعلقة بفضل وحلاه بفتح
الحا المهملة وتشديد اللام من الحلية وهي الصفة الظاهرة او الحلي التي يتزين
لها اي بان وصفه او زينه وكرمه بما وصفه وسماه به في القران وعلى السنة
انبيائه في الكتب المنزلة عليهم او فيما نقل لنا عنهم بعد كثيرة بكسر العين وتشديد
الذال اي بعده اسما وصفات كثيرة فميزه بكثرتها لان كثرة الاسما تدل على شرف
المسمى اجتمع لنا منها جملة اي انه جمع منها اسما متعددة بعد اعمال الفكر مصدرها
عمله اي جعله عاملا فاعلا لما يريده فكانه استخدم افكاره في النظر فيما يوخذ
منه ويدل عليه فاحضار الذكر اي استحضارها وتذكرها والذال معجمة مكسورة
وجوز ضمها وتفسير الذكر بالقران هنا لا وجه له والحاصل انه اذا اجتهد
في جمعها وبذل فيها جهده وطاقته اذ لم يجد من جمع منها نحو اسمين فقيل جاها
روف رحيم في سورة براة ولا من تفرغ فيها لتاليف فضلها الفراغ خلاف الشغل
الحسي والمعنوي يقال تفرغ لعمله اذا اشتغل به وترك غيره واذ تعليلية لما قبله
وحررنا منها في هذا الفصل نحو ثلاثين اسما نحوها بمعنى ترتيبها اي يقرب
من هذا العدد فلا يضر زيادة او نقص قليل منها كما انه نوق فيما سبق بمعنى ازيد
والتحرير بمعنى الكتابة او التهذيب والتحقيق كما مر ولعل الله تعالى اي ارجوا
من الله عز وجل الذي الهمنا ان يتم ما الهمنا والمراد الدعا كما الهم الم ما علم منها
ضمن الهم معنى ارشد وهدى فعداه بالى فانه يتعدى بنفسه وباللام وعلم بتشديد
اللام اي علمني من هذه الاسما وحققه اي بان حققته او جعله محققا متيقنا
واطلع عليه يتم هذه النعمة وهي التعليم والتحقيق بابانة اي اظهاره ما لم
يظهره لنا حتى نقف عليه والكاف للتشبيه وقدم المشبه على المشبه به اهتماما
به او هي للمبادرة كما في قولهم كما يدخل صل الان مبني على الفتح واللام لازمة زائدة
اي لم يظهر الحين نحو هذا الفصل ونفتح غلقه بفتح العين المعجمة وفتح
اللام والقاف هو ما يغلق اي نفعل به كما في المقتفى وفي بعض الشروح انه بضمتين
وهو الباب المغلق ففيه استعارة تصريحية مرشحة وجوز ان يكون بفتحة
ثم كسرة بزنة كتف من قولهم كلام غلق فالاستعارة تبعية في قوله يفتح ه
فمن اسمائه تعالى الحميد بمعنى المحمود فهو فعيل بمعنى مفعول لاستحقاقه الحمد
لانه حمد نفسه وحمد عباده بينا الفعل للفاعل فيهما وذكر الاول توطية
للثاني وبيانا لانه المحمود الحقيقي وحمد غيره له انما هو بما قدره عليه وخلقه

لقوة

لقوة النطق به فكانه في الحالتين حمد لنفسه ولهذا افسر قوله الحمد لله بقوله اي
لوفيه ومعطيه فليس احد مستحق الحمد سواه ويكون ايضا اي الحميد في اسمائه
كما يكون بمعنى المفعول يكون بمعنى الفاعل بمعنى الحامد لنفسه ولاعمال الطاعة
والاعمال الصالحة الصادرة من عباده وقال الغزالي في شرح الاسما الحسنى انه
يجوز ان يطلق على النبي صلى الله عليه وسلم الحميد لانه من حمدت جميع اخلاقه
وعقايده واعماله الا انه لم ينقل لم يذكره المص فاشار الى انه ورد اطلاق ما هو
بمعناه عليه فقال وسمى النبي صلى الله عليه وسلم محمدا واحمد بمعنى محمود
لان كلا منهما اسم مفعول دال على مبالغة في كونه محمودا وكذا وقع اسمه صلى الله عليه
وسلم اي تسميته بمحمود في زبور داود وفي نسخة زبر بكسر الزاي وضمها وضم البا وسكون
وهو مصدر او جمع بجعل كل جز منه زبورا بمعنى مزبور فلا يرد عليه ان هذا
لا دليل على تسميته باسم الله فلا يناسب ما هو بصدده ثم اشار الى المعنى الثاني بقوله
واحمد بمعنى اكبر من حمد بالموحدة وحمد مبني للفاعل واجل من حمد مبنيا للمفعول
ففيه لف ونشر والى نحو هذا اي كون اسمه بمعنى ما ذكر اشار حسان بن ثابت الانصاري
المشهور بقوله في شعره من قصيدة مدح بها النبي صلى الله عليه وسلم
وشق له من اسمه ليجله ۰ فذو العرش محمود وهذا محمد
والشعر هذا بتمامه

الم تر ان الله ارسل احمدا ۰ ببرهانه والله اعلى وامجدا
وشق له من اسمه ليجله ۰ فذو العرش محمود وهذا محمد
نبي اتانا بعد ياس وفترة ۰ من الدين والاوثان في الارض تعبد
فارسله ضوا منيرا وهاديا ۰ يلوح كما لاح الصقيل المهند

وشق مبني للفاعل من شق الشي اذا جعله قطعتين اي اشتق له صلى الله عليه وسلم
من اسمه اسما اجلة وعظمة وهمزة اسمه مقطوعة للضرورة وانما قال
المص نحو لم ينقل الحديث الا ان ما في الشعر انه ماخوذ من محمود والمص بصدد
اخذه من حميد وتزيد في هذا

اعز عليه للنبوة خاتم ۰ من الله من نور يلوح ويشهد
وضم الاله اسم النبي الى اسمه ۰ اذا قال في الذكر الموذن اشهد

وشرح البيت المذكور رواه البخاري في تاريخه وعزاه لابي طالب وهو
منقول عن علي بن زيد بن جدعان رضي الله عنه نورا دمغه او ضمنه واستعانه
به ومن اسمائه تعالى الروف الرحيم وهما بمعنى متقارب لان الرافة نوع من
الرحمة وقد تقدم تحقيقه وكذا سماه الله في كتابه القران بذلك اي الروف
الرحيم فقال بالمومنين روف رحيم ومن اسمائه تعالى الحق المبين ومعنى الحق

الموجود والمتحقق امره اي المتصف بالوجود الازلي الابدي من ذاته لذاته
لانه واجب الوجود او المتحقق بمعنى المتيقن وجوده لثبوته بالبراهين القاطعة
وامره بمعنى شانه وما يجب ثبوته من صفاته وافعاله والمتحقق بفتح القاف
ويجوز كسرها وللحق معان اخر وكونه المبين اسم فاعل من ابان اللازم لانه
يرد لازما ومتعديا اي البين الظاهر امره والالهية بانه وابان بمعنى فيكون
متعديا ولازما وابان يكون بمعنى قطع وفصل ايضا وبينه على اللزوم وعلى التعدي
ويكون بمعنى المبين لعباده امر دينهم في الدنيا ومعادهم في الاخرة وسمي نبيه النبي
بذلك اي الحق المبين في كتابه حتى جاءهم الحق ورسول مبين بناء على ان المراد بالحق
في كتابه حتى جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم ومبين بمعنى ظاهر لعظم اياته ومعجزاته
فلا وجه لما قيل ان هذا ليس على وجه التسمية وانما هو وصف للرسالة
وقال وقل اني انا النذير المبين اي المحذر لكم من الله والمبين لكم امر
دينكم وقال تعالى قد جاءكم الحق من ربكم على ان المراد به محمد صلى الله عليه
وسلم وقيل المراد به القران وقال فقد كذبوا بالحق لما جاءهم من الله قيل محمد اي
المراد به في هذه الاية وتكذيبه صلى الله عليه وسلم تكذيب رسالته وما جاء به وقيل
المراد به القران بدليل التكذيب ومعناه اي الحق ضد الباطل من حق بمعنى
ثبت والمتحقق صدقه وامره هو تفسير لما قبله او بمعنى اخر وفي تفسير
البيضاوي الحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره فعم الاعيان والافعال الصائبة
والاقوال الصادقة من قولهم حق الامر اذا ثبت ومنه ثوب محقق محكم النسج
وهو بالمعنى الاول ضمير هو راجع الى قوله المتحقق صدقه وامره والمراد بالمعنى
الاول كون الحق اسما لمحمد صلى الله عليه وسلم والمبين على هذا التفسير
المبين الظاهر الذي لا يخفى امره ورسالته وهذا على كونه من ابان اللازم او
هو المبين بتشديد المثناة المكسورة عن الله ما بعثه به للخلق كافة
واعداه لتضمنه معنى المبلغ اذ هو حال لتعديه بنا فلا كما قال لتبين للناس
ما نزل اليهم من شرايعه واحكامه وهذا على انه من ابان المتعدي ومن اسمايه
تعالى النور وقد قدمنا ما قاله الغزالي انه حقيقة في ذات الله لان معناه
الظاهر بنفسه المظهر لغيره واليه ذهب الحكماء ويشير اليه قول الاشعري
رحمه الله انه نور ليس كالانوار وما قاله السهيلي في الفرق بينه وبين
الضيا بانه ذات المنير والوضوء والضيا اشعته المنتشرة عنه ولذا قال جعل
الشمس ضيا والقمر نورا لكثرة اشعتها فلا وجه لما يتوهم من ان الظاهر العكس
ولا حاجة لتاويله اذا اطلق على الله فان اردته فطالع مشكاة الغزالي والمشهور
فيه التاويل كما اشار اليه المصنف بقوله ومعناه ذو النور وخالقه عطف

تفسير

تفسير وهذا انما ورد له تعقيد بمضاف فيه لما مر ومنور السموات والارض فعلى
الاول هو حقيقة وعلى هذا هو مجاز كعدل بمعنى عادل لانه المنعم على اهلهما
بالانوار الفايضة عليهم بواسطة الكواكب وما خلا والنور على هذا بمعناه الحقيقي
ومنور قلوب المومنين بالهداية وكذا ورد تفسيره بالهادي وهذا استعارة
النور للهداية لما فيهما من الدلالة ثم استعمل بمعنى المنور اي الهادي ففيه
مجاز على مجاز لاشتهاره الاول حتى صار كالحقيقة وسماه اي الله نبيه نورا
فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين قيل المراد بالنور في هذه الاية محمد
لظهور اياته وقيل القران لانه التنه ظلمة الكفر والجهل ولا يشكل على الاول
افراد الضمير بعده في قوله يهدي به الله من اتبع رضوانه مع تغايرهما
وعطفهما بالواو دون او كما قيل لان الضمير راجع عليهما معا باعتبار المذكور
او لانهما كالشي الواحد وهدايته احدهما عين هداية الاخر وقد صرح الفراتي في
في اياته كثيرة كما بيناه في النواخ وانشد عليه شاهدا
رماني بامر كنت منه ووالدي ۞ بريا ومن حول الطوى رماني ۞
وقال فيه اي وصف النبي صلى الله عليه وسلم وشانه وسراجا منيرا فسماه سراجا كما
سماه نورا على نهج الاستعارة او التشبيه البليغ ثم بينه بقوله سماه بذلك اي
اي بالنور والسراج وفي نسخة سمي بذلك لوضوح امره كالنور الذي لا يخفى وبيان
نبوته اي كونها بينة ظاهرة وتنوير قلوب المومنين العارفين به وبما جا
به وهذا ناظر لقوله ومنور قلوب المومنين بالهداية وفيه تنبيه لاطلاقه على
القران ضمنا ومن اسمايه تعالى التي شرف بها نبيه صلى الله عليه وسلم الشهيد من
الشهادة وهي المعاينة والاخبار بما عاينه او من الشهود وهو الحضور ومعناه العالم
لانه من شاهد شيا علمه علما تاما قال تعالى لم تكفرون بايات الله وانتم تشهدون
اي تعلمونه وفي شرح المواقف الشهيد القايم بالغايب والحاضر ويوافقه اطلاقه
المفسر فلا يرد عليه انه تفسير الاخص بالاعم وقول الغزالي اذا اعتبر العلم مطلقا
فهو العليم وان اضيف الى الغيب والامور الباطنة فهو الشهيد فتدبر وقيل
الشاهد على عباده يوم القيامة اذ يبين لهم ما صدر منهم في حياتهم
الدنيا اذ لا يخفى عليه خافية وسماه اي سمى الله نبيه صلى الله عليه وسلم شهيدا
وشاهدا فقال انا ارسلناك شاهدا مقبولا شهادتك على امتك وللهمزة
وهو حال مقدرة وقال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء
على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا اشارة الى ما رواه مسلم من ان الله
يسال الانبيا عليهم الصلاة والسلام هل بلغتم فيقولون نعم فيسال اممهم فيقولون
من يشهد لكم فيقولون محمد وامته فيشهد امة محمد ويشهد عليه الصلاة والسلام

لامته بصدقهم وهذا معنى الاية وهذه الشهادة لهم لا عليهم لكن ضمن معنى
رقيبا وقدم المجار لاختصاصه بهذه الشهادة وفيه فضيلة له صلى
الله عليه وسلم فان الانبيا يحاسبون يوم القيامة وهو لا يحاسب وفضيلة
لامته اذ لم ينكروا تبليغه وقد تقدم الكلام على هذه الاية وهو اي الشهيد
الذي اطلق عليه صلى الله عليه وسلم بمعنى الاول اي الشاهد او بمعنى الشهيد
الاول الذي اطلق على الله والاولية على الوجهين لمطلق التقدم وقيل
وصف اسمه الشاهد بالاولية مع كونه ثانيا لمزيد كرامته قبل اي اسمه الشهيد
ومن اسمايه تعالى اي من اسما الله التي سمي بها نبيه الكريم ومعناه كثير الخير
وهذا اصل معناه لغة وان اختص في عرف اللغة والعرف العام بالسخاء
الكثير العطا واليه اشار المص بقوله وقيل المفضل بوزن محسن
ومعناه ولذا فسر بمن يعطي عفوا بغير وسيلة وسوال وقيل العفو فعول من
العفو وهو التجاوز عن سيات من اساء اليه وهو ابلغ من الغفور من حيث ان العفو
ستر السيئة والعفو محوها اذ هو في الاصل القصد لتناول الشي فاستعيره
لقصد ازالة المحو وقيل العلي وهو البالغ الى رتبة فوق كل رتبة فهو العلي
في ذاته وصفاته وفسره الغزالي بانه الذي اذا قدر عفى واذا وعد وفا
واذا اعطى زاد على منتهى الرجا ولا يبالي كم اعطا ولا لمن اعطى وان رفعت
حاجة الى غيره لا يرضى واذا جفي عاتب وما استقصى ولا يضيع من لاذ به والتجا
فيغنيه عن الوسايل والشفعا فمن اجتمع له جميع ذلك لا بالتكلف فهو الكريم
المطلق وذلك هو الله وحده لا ينال غيره الا بالكسب ويخل ومع ذلك لا يستوفي
جميع انواعه ولذا جاز اطلاقه على غيره تعالى كالنبي صلى الله عليه وسلم وفي
الحديث المروي الذي رواه ابن ماجه في سننه في اسمايه تعالى اي في اسما الله وهو
متعلق بالمروي او بمقدر اي في اسمايه الاكرم اي الزايد على غيره في صفة الكرم
وهذا يقتضي مشاركته لغيره في هذه الصفة ان فسرت بمعنى يوجد فيه وفي
غيره فان فسرته بما تقدم عن الغزالي وهو مختص بالله فالتفضيل ليس على
بابه بل بمعنى الكريم او على اصله على طريق التسامح كما في قوله احسن الخالقين
قال ابن عبد السلام في اماليه هذا ونحو ارحم الراحمين واحكم الحاكمين مشكل
لان افعل يضاف الى جنسه وهذا ليس كذلك لان خلق الله ايجاده وهو من
غيره بمعنى الكسب وهما متباينان والرحمة من الله ان حملت صح لان المعنى
اعظم ارادة من سائر المريدين وان جعل من مجاز التشبيه وهو ان معاملته
تشبه معاملة الراحم صح ايضا لانه مشترك بينه وبين عباده فان اريد
ايجاد الرحمة فهو مشكل اذ لا يوجد غير الله واجاب الامدي بان معناه اعظم

من

من يسمى بهذا الاسم واستشكل بان التفاضل في غير ما وضع له اللفظ ويتجه
على مذهب المعتزلة لان الفاعلين عندهم كثير ثم انه قيل على المص انه اثبت
تسمية الله بالاكرم بالحديث وغفل عن تسميته بذلك في القران في قوله تعالى اقرا
وربك الاكرم ولك ان تقول ان الذي في الاية على سبيل التوصيف والذي ذكره
انه عد في الحديث في سلك الاسما الحسنى وهو ادل على مراده وسماه الله تعالى
كريما اي سمى الله به نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله انه لقول رسول كريم قيل
اي قال بعض المفسرين هو في هذه الاية محمد صلى الله عليه وسلم وقيل
جبريل عليه الصلاة والسلام وهو قول اكثر المفسرين لانه الظاهر من السياق
وقال صلى الله عليه وسلم انا اكرم ولد ادم اي اشرف من ساير الخلق الانبيا
وغيرهم وقد تقدم مرارا روايته ومعناه ثم اشار بقوله ومعاني الاسم اي
الكريم والاكرم صحيحة في حقه صلى الله عليه وسلم لاتصافه بغاية
الكرم الدال لاتصافه بمعناه والمراد بالاسما ما يطلق عليه سوا كان اسما او (اي اخبري)
صفة فسقط ما قيل ان تسميته كريما على سبيل التوصيف لا على طريق الاسما
الاعلام وقوله اكرم ولد ادم المراد به تفضيله صلى الله عليه وسلم عليهم
لا التسمية بهذا الاسم بل ينبغي ان يقال باختصاص الاكرم بالله وهو غفلة
عما قررناه بل هو ناش عن عدم فهم كلام المص وفي ذلك اشارة الى تشريفه
بكونه كريما واكرم ومن اسمايه تعالى العظيم وهو الذي عظم حسا او قدرا ورتبة
والمراد الثاني لانه عز وجل هو العظيم على الاطلاق لبلوغه مرتبة من العظمة
لا تحيط بتصورها الافهام ولا تتخيلها الاوهام لتنزهه عن ان يحيط العقول
بكنه ذاته وصفاته فلذا قال ومعناه الجليل الشان بهمزة والف بينه لانه الذي
كل شي دونه اي قاصر عن بلوغ رتبته اذ لا كمال لغيره يوازي كماله في ذاته وصفاته
والعظيم والجليل والكبير معانيها متقاربة الا انه قيل ان الكبير هو
الكامل في ذاته والجليل الكامل في صفاته والعظيم الكامل فيهما وقال
في النبي عليه الصلاة والسلام وانك لعلى خلق عظيم فقد جمع الله له من محاسن
الاخلاق ما لا يتصور في احد سواه واذا وصف خلقه بالعظمة فقد وصفه به
فكان من اسمايه فلا يرد عليه انه وصف لخلقه صلى الله عليه وسلم لا له فليس
ولان العظمة مختصة بالله ونقول انه توطية لقوله ووقع في اول سفر
من التوراة بكسر السين وسكون الفاء وراء مهملة وهو الكتاب عن اسماعيل
نبي الله بن خليل الله عليهما الصلاة والسلام فكان الظاهر ان يقول في حق
اسماعيل فكانه صفة سفر اي سفر فيه ما تضمن عن اسماعيل عليه الصلاة
والسلام وسيلد عظيما لامة عظيمة وفيه هنا لغيره وصفه بالعظمة اذ جعل

ابتاعه عظمًا بالكبد ۞

وإذا سخر الإله سعيدًا ۞ لأناس فإنهم سعداء ۞

ومن أسمائه تعالى الجبار وهو صيغة مبالغة على خلاف القياس إذ لم يجئ من جبر بمعنى تجبر وجبار وجبر متعد ولازم يقال أجبرت العظم وجبر جبورًا وجبر الفقير ويتصف به من الناس الشديد العداوة وله معان في كلام العرب القهار والمسلط قال تعالى وما أنت عليهم بجبار كما يأتي والقوي العظيم الجسم والمتكبر والنخلة الطويلة وتجبر النبت طال وجبره على كذا أكرهه والجبر خلاف القدر والجبرية بفتح الباء وسكونها وقال أبو عبيد انه مولد والمجبر الذي يجبر العظام المكسورة أي يصلحها يقال أجبرته وأجبرت وهو أكثر قال

قد جبر الدين الإله فجبر ۞ ويقال جبرتها أيضًا ولما ذكرناه

من معناه الحقيقي لغة اختلفوا في تفسيره حيث وقع صفة كما قال المص **ومعناه المصلح** للعالم والأمور عباده تفضلا به من جبرت العظم والفقير فهو من صفات الأفعال **وقيل القاهر** فيرجع إلى صفة القدرة الذاتية فما من مخلوق إلا وهو مقهور في قبضة تصرفه يفعل به ما يريد **وقيل العلي العظيم الشأن** من قولهم نخلة جبارة ونبت جبار أي طويل فاستعير من العلو الحسي للمعنوي ولذا فسروه بالعالي فوق خلقه فهو صفة ذاتية **وقيل المتكبر** المتعظم الذي يرى الكل حقيرًا بالإضافة إلى ذاته من قولهم فيه جبرية وجبروت أي تكبر وعظمة ولذا كان صلى الله عليه وسلم يقول في سجوده ذكرًا عنه سبحان ذي الملك والملكوت سبحان ذي العزة والجبروت **وسمي النبي صلى الله عليه وسلم** بالبناء للمجهول أي سماه الله **في كتاب داود** أي الصحف الإلهية المنزلة عليه بجبار فقال الله مخاطبًا له صلى الله عليه وسلم لتنزيله منزلة الموجود لتحققه في علمه الحضور عنده **تقلد أيها الجبار سيفك** يقال تقلد السيف إذا جعل حمائله على عاتقه وحمل كالقلادة وفيه إشارة إلى أنه سيؤمر بالقتال **فإن ناموسك** أي الوحي أو الناس لغلبتك أو عظمتك في قلوب الناس وهذا المعنى شائع بين الناس وأصل معناه كما في القاموس صاحب السر المطلع على باطن أمرك أو صاحب سر الخير وصاحب سر الشر جاسوس وقترة الصائد وهي شيء يختفي فيه الصائد ليأخذ الصيد وفي البيان للجاحظ قال الزبيدي الناموس دويبة تلسع الإنسان مشتق من نمس الكلام أخفاه وسمي جبريل عليه الصلاة والسلام بالناموس الأكبر لأنه يخفي الكلام حتى يلقيه إلى الرسول عليهم الصلاة والسلام انتهى **وشرائعك** يحتمل أنه عطف تفسير ولذا وحد الخبر في قوله **مقرونة بهيبة يمينك** أي بالخوف من

سيفكن

سيفك فكفى بما ذكرنا أو نحوه باليمين عما فيه **ومعناه في حق النبي صلى الله عليه وسلم** أي معنى الجبار الذي هو من أسماء الله إذا أطلق في وصف النبي صلى الله عليه وسلم يقال كذا أو ورد في حق كذا أي أمره وشأنه المتحقق فيه ولو فسره الجبار في كتاب داود بالمجاهد القتال الذي هو أحد معانيه بقرينة ما بعده كان أولى من قوله **إما لإصلاحه الأمة بالهداية والتعليم** أي إرشادهم لما فيه صلاح معاشهم ومعادهم وتعليم أمور دينهم فعلى هذا سمي صلى الله عليه وسلم باسم الجبار بمعنى المصلح **أو لقهره أعداءه** وفي نسخة لقهره أعداءه وهذا إشارة إلى أنه سمي بالمعنى الثاني الذي مر بيانه **أو لعلو منزلته على البشر** فهو مسمى به باعتبار المعنى الثالث وهو العلو ولو قال على الخلق كان أحسن وقيل إنه يفهم من تفضيله على البشر تفضيله على الجن والملك بالطريق الأولى وفيه نظر **وعظيم خطره** هذا إشارة إلى أنه إنما مستعار من العلو الحسي فنزل الرتبة منزلته وتخيل فيه أنه ارتفع مكانًا عاليًا وعلو القدر وهو العظمة وهذا على هذا الوجه وعلى الأول هو كقول أبي تمام وقد ذكر علو أحمد وجده ويصعد ۞

ويصعد حتى يظن الجهول ۞ بأن له حاجة في السماء ۞

وأصل الخطر ما يعطى في الرهان للمسابقة ثم استعير للشرف فيقال له خطر أي رجل خطير وهو من إضافة الصفة لموصوفها ولله در الغزالي رحمه الله في قوله الجبار من العباد من ارتفع عن الاتباع ونال درجة الاستتباع وتفرد بعلو رتبته بحيث يجبر الخلق بهيئته وصورته على الاقتداء به وعلى متابعته في سمته وسيره فيفيد الخلق ولا يستفيد ويؤثر ولا يتأثر ويستتبع ولا يتبع ولا يشاهده أحد إلا ويفنى عن ملاحظة نفسه ويصير مستوفى الهم به غير ملتفت إلى ذاته ولا يطمع أحد في استدراجه واستتباعه وإنما حظي بهذا الوصف سيد البشر صلوات الله وسلامه عليه حيث قال لو كان موسى عليه الصلاة والسلام حيًا ما وسعه إلا اتباعي وأنا سيد ولد آدم ولا فخر وفي كلامه نشر وإيجاز إذ أصل معناه في حقه كمعناه في حق الله وإن لم يكن يساويه أو يقاربه ويدانيه ولما كان المعنى الأخير وهو المتكبر لا يصح في حق النبي صلى الله عليه وسلم بوجه من الوجوه قال **ونفى عنه في القرآن جبرية التكبر** بفتح الباء الجبروت وجبورة كفروجة الكبر كما قاله القرطبي في شرح الأسماء الحسنى وإضافتها إلى التكبر احترازًا عن الجبرية بمعنى الجبر وهو خلاف القدر وقال القرطبي الجبرية بفتح الباء خلاف القدرية عن الجوهري وحكي عن ابن الزجاج الجبرية بالإسكان وهو أصوب وعن أبي عبيد أنه مولد **التي لا تليق به** صلى الله عليه وسلم لما تقدم من تواضعه صلى الله عليه وسلم ولأن الكبرياء والتكبر من صفات الله التي لا تليق بغيره ومعنى تليق يناسب

ويفتح فقال وما انت عليهم بجبار تفسير لقوله نفى وتقدم انه فسر بمسلط والتكبر هو التعاظم على الغير واستحقاره وهو محرم على كل مخلوق وبما ذكرناه علم ما في قول م القرطبي في شرح الاسما الحسنى انه يجب على كل مسلم مكلف ان لا يتصف باسم الجبار ولا يتعاطاه وانما حظه الاتصاف بنقيضه فان اطلاقه يا باه اطلاقه عليه صلى الله عليه وسلم فينبغي تقييده ببعض معانيه وقيل تفسيره بالمسلط اولى لانه نزل في حق اهل مكة وانكارهم لبعثته فامره بان ينذرهم ولا يجبرهم على الايمان ويتسلط عليهم حتى م يسلموا والاية منسوخة باية السيف لانها من سورة ق وهي مكية وانما امر صلى الله عليه وسلم بالقتال بالمدينة وعلى ما ذكره المص يكون غير منسوخة ومن اسمايه تعالى الخبير وقد ورد في القران معرفا ومنكرا قال الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير من الخبر بالضم وحقيقته استكشاف باطن المخبور حتى يستوي عنده ظاهره وباطنه ولذا قيل للحارث خابر ويكون بمعنى المخبر والمختبر والله تعالى مختبر لعباده قال ونبلوكم بالشر والخير فتنة فهو من صفات الافعال ويكون بمعنى العليم من صفات الذات واذا كان بمعنى المخبر رجع الى صفة الكلام ه

فقوله ومعناه اذا اطلق على الله المطلع بكنه الشي اي الواقف على خفايق الاشيا وكنه الشي بضم فسكون وله معان منها الحقيقة كما في التهذيب يقال اكتنهه اذا بلغ كنهه فقوله في شرح المفتاح انه مولد لا وجه له وتعديته بعلى لانه بمعنى العالم بحقيقته وهي ذاته لا غايته كما قيل وقيل معناه المختبر واصله المجرب والمراد به في حقه استدراج عباده حتى يعلم الصابر من غيره ه فيلزمه الحجة اذ يعلم سلوكه المحجة وهو اعلم بهم وفي بعض النسخ المخبر اي المخبر انبياه ورسله بكلامه المنزل عليهم او المخبر عباده يوم القيامة باعمالهم فانه لا يعزب عن علمه شي ثم شرع في بيان تسمية الرسول صلى الله عليه وسلم به فقال قال الله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن فاسال به خبيرا اي عنه او بالبا تجريدية والضمير لخلق السموات والارض والاستوا على العرش المذكور قبله والخبير بمعنى العالم ثم قال المولف رحمه الله قال القاضي بكر بن العلا بفتح الموحدة والعين م المهملة وهو بكر بن محمد بن العلا بن زياد القشيري من ولد عمران ابن الحصين رضي الله عنه توفي ليلة السبت لسبع بقين من ربيع الاول سنة اربع ه واربعين وثلثماية المامور بالسوال في الاية غير النبي صلى الله عليه وسلم من كل من يتاتى منه السوال لا النبي لانه المخاطب والمسيول الخبير هو النبي صلى الله عليه وسلم لانه العالم بحقيقة ما ذكر دون غيره ففيه دليل على تسميته خبيرا وقال غيره اي غير بكر بل السايل النبي صلى الله عليه وسلم لانه المخاطب

به والمسيول الله تعالى فالنبي خبير بالوجهين المذكورين اي على التفسيرين فالبا بمعنى على او ظرفية اما الاول فظاهر لاطلاقه عليه ولانه لو لم يكن خبيرا لم يومر بسواله واما على الثاني فلان اذنه له في السوال دال على علامه به وقيل المراد بالوجهين تفسير الخبير بالعالم بالحقيقة وتفسيره بالمخبر قيل لانه عالم على غاية من العلم بما اعلمه الله من مكنون علمه وعظيم معرفته اي سمي خبيرا لما اعلمه الله به من الخفيات والمغيبات التي اطلعه عليها بوحيه وما جبله عليه من المعرفة العظيمة مخبر لامته بما اذن له في اعلامهم به دون ما لم يوذن فيه من الاسرار الالاهية وما بعد قيل ناظر لكونه بمعنى العالم وهذا لكونه بمعنى المخبر والفرق بين هذا وما قبله انه سمي خبيرا باعتبار ما اجابه به بعد سواله وفي القيل باعتبار انه عالم قبل السوال فتدبر ومن اسمايه تعالى الفتاح قال الراغب اصل معنى الفتح ازالة الاغلاق والاشكال وهو ضربان احدهما ما يدرك بالبصر كفتح الباب والقفل والمتاع والثاني ما يدرك بالبصيرة كفتح الهم والمشكل ومنه فتح القضية اذا فصل الحكم فيها ومنه الفاتح والفتاح للقاضي وفتح الممالك الظفر بها منه وفتح الله برزقه اذا اتاه من حيث لا يحتسب ومعناه في حق الله الحكم بين عباده في فصل القضا او بانصاف المظلوم من الظالم فهو من صفات الافعال او فاتح ابواب الرزق والرحمة لهم بتيسير ارزاقهم وتهيية اسبابها وفتح اقفال موانعها والرحمة الانعام اي المنعم عليهم الرازق لهم تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وهو استعارة في الاصل صار حقيقة عرفية والمنغلق من امورهم عليهم بالجر عطف على ابواب اي فاتح المنغلق بمعنى ميسر كل صعب ومسهله وعليهم متعلق بفاتح او بالمنغلق او يفتح قلوبهم وبصايرهم لمعرفة الحق هو الله او خلاف الباطل اي يزيل اقفالهم المانعة لهم وغشاوة ابصارهم وبصايرهم حتى يعرفوه ويهتدي الهدايته ويفتح مضارع معطوف على فاتح فان الفعل يعطف على الاسم الصفة لانها بمعنى وفي بعض النسخ ه بفتح البا الجارة والظاهر الاول وهو معطوف على مقدر اي المنغلق ه بيسره او يفتح الخ ويكون الفتاح ايضا كما كان بمعنى الحاكم بمعنى الناصر المعين لان من شان الحاكم نصرة المظلوم وكفايته استشهد له بقوله ه كقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاكم الفتح اي لانه فسر هكذا ان تستنصروا فقد جاكم النصر من عند الله بخذلان اعدا دينه ونصرته للحق وقيل معناه مبتدي الفتح والنصر لان الفتح جا بمعنى البدو ومنه فاتحة الكتاب لاوله ومبديه ومعنى مبتدي النصر انه موجده وميسره وما النصر

الامين عند الله وقوله ان تستفتحوا خطاب من الله لاهل مكة ابي جهل واضرابه
ممن قتل ببدر تعلقوا باستار الكعبة عند خروجهم من مكة وقالوا اللهم انصر
علي الجندين واهدي الفريقين واكرم الحزبين فاجابهم الله تعالى مزيكا بهم انه
قد نصر وسمى الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالفاتح في حديثه
الاسرا الطويل الذي تقدم ذكره من رواية الربيع بن انس عن ابي العالية وغيره
عن ابي هريرة والفاتح بمعنى الفتاح والمبالغة التي فيه لا تنافي مشاركته
له في اصل معناه كما توهم وكذا ما قيل من انه لنبي يخاصم به ولا على وجه التسمية
ونحوه مما لا ينبغي ذكره وفيه اي في حديث الاسرا من قول الله تعالى لنبيه
صلى الله عليه وسلم فيما خاطبه به اذ اعرج به وجعلتك فاتحا وخاتما اي اول
الانبيا واخرهم لما مر من انه صلى الله عليه وسلم نبي قبل خلقهم وقد تقدم بيانه
او المراد به ما قاله في شرح قوله وفيه اي في حديث الاسرا من قول النبي
صلى الله عليه وسلم في ثنائه على ربه اذ حمده بمحامد ابيهم قبل ربعد بدم الله
انه مقاما به بين يديه به ورفع لي ذكري بجعله قوينا لذكره كما تقدم وجعلني
فاتحا وخاتما فيكون الفاتح هنا الحاكم وانما حمد لذلك لانه لم يكن لاحد قبل
شريعته او الفاتح لابواب الرحمة على امته اذ هداهم الى ما ارشدهم الى سعادة
الدارين او الفاتح لبصايرهم لمعرفة الحق والايمان بالله لدعوتهم الى معرفته
تعالى وتوحيده او الناصر المحق والدين القويم بجهاده في سبيله تعالى او
المبتدي بهداية الامة لتقدمه بذلك على كلهم له او المقدم في الانبيا كما
بيناه اولا والمبدا بضم الميم وتشديد الدال المهملة وهمزة كما قاله
البرهان فالمقدم تفسير له فانه كانت به رواية فيها والا فيجوز فتح الميم
وسكون البا المفتوحة اولا وتخفيف الدال بمعنى الاول والخاتم لهم
كما قال كنت اول الانبيا في الخلق لخلق نوره وحده قبلهم واخذ عليهم الميثاق
في اتباع من ادركه منهم واخرهم في البعث باعتبار الزمان وبما قررناه علمه
الجواب عما قيل من انه لا اختصاص له لذكر غير الاخير به الا ان يقال انه
وقع على اتم وجه بحيث لا يشاركه فيه غيره ثم ان المصنف يقول انه لا بد في
اسمائه من اختصاص معانيها به فتحرر ومن اسمائه اي من اسما الله التي سمى بها
نبيه صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي وغيره
عن ابي هريرة رضي الله عنه في تعداد الاسما الحسنى الشكور وفي القران ان
ربنا لغفور شكور وللشكر معنيان لغوي وعرفي مشهور واما في حقه تعالى
فمعناه المثيب اي المعطي الثواب الجزيل على العمل القليل فهو من صفات الافعال
وهو مجاز لان حقيقته الثنا المقابل للاحسان فاطلق على الانعام المقابل

للشكر

٢٢

للشكر لان الفعل شكر اذ هو لا يختص باللسان فهو استعارة او من اطلاق السبب على
المسبب كقوله لئن شكرتم لازيدنكم وهذا اقرب مما قيل انه الذي يجازي على قليل
من عمل الطاعة في ايام قليلة ما لا نهاية له من النعيم المخلد كما قال
تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية اي في الحياة الدنيا لانه
المغايرة بينهما سهلة خلافا لمن توهم ذلك وقيل المثني على المطيعين وهذا
انسب بمعنى الشكر الحقيقي واقرب وقد اثنى على عباده الصالحين كثيرا في القران
وكتبه المنزلة وهو الذي خلق فيهم القدرة على الطاعة ووفقهم لها كما قال
ابن عطا الله في حكمه من نعمته عليك ان خلق فيك ونسبه اليك ومع ذلك
ينبغي اختصاصه بك عليك فهو انما اثنى في الحقيقة على نفسه ثم ذكر ما يدل على ان اسماء
الله التي سمى بها رسوله صلى الله عليه وسلم لا يلزم اختصاصه بها فقد يشرف
بها غيره كما مر فقال ووصف اي الله نبيه نوحا عليه الصلاة والسلام
بذلك فقال انه كان عبدا شكورا فكيف يعلم من وصفه به وصف من هو افضل
منه وهو احمد صلى الله عليه وسلم فلا ينافي ما هو بصدده من ذكر تسمية نبينا صلى
الله عليه وسلم باسمائه ولا حاجة اليه مع قوله وصف النبي صلى الله عليه وسلم
نفسه بذلك فقال في حديث مشهور تقدم ذكره افلا اكون عبدا شكورا فان
الاستفهام الانكاري يدل على انه وصف مقرر له وما ذكره في حق نوح عليه الصلاة
والسلام مبني على ان الضمير راجع له لقربه لا لموسى عليه الصلاة والسلام
كما ذهب اليه بعض المفسرين اي معترفا بنعم ربي مقرا بها عارفا بقدر ذلك موديا
لحقه مثنيا عليه لما قال الا مجتهدا بنية منعم اي باذلا لاجهدي وطاقتي وشغلا
نفسي في الزيادة من ذلك اي من الاعتراف والثنا عملا بقوله لئن شكرتم لازيدنكم
من النعم التي شكرتموها وعدا ممن لا يخلف الميعاد اذ قال لبني اسرايل واذ تاذن
ربكم لئن شكرتم لازيدنكم ومن اسمائه تعالى العليم والعلام وعالم الغيب
والشهادة اي احاط علمه بكل شي مما غاب وخفي وما حضر وظهر وقد جل علمه
تعالى لا يشبه علم غيره وتحقيقه في علم الكلام ووصف نبيه صلى الله عليه وسلم
بالعلم وخصه مزية منه مزية كعيبه بمعنى فضيلة وقالت العلامة في شرح
الفتاح لا يبنى منه فعل وتبعه بعضهم هنا وفي الاساس تمزيته عليه وفسر
المزية بقوله فقال وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما بما خصك
به من العلم والمعارف الالهية والامور الغيبية وفيه اشارة الى انه صلى الله
عليه وسلم مزيته في ذلك لم ينلها غيره ولا ينافيه قوله وقال كما ارسلنا فيكم
رسولا منكم يتلوا عليكم اياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم
تكونوا تعلمون مما لا طريق له سوى الوحي غير المتلو وكذا اعاد الفعل لتغايرهما

عرضني

ولما كان هو المعلم لهم وما علمهم بعض مما علمه الله لم يشاركوه في هذه
المزية وانما ذكر هذه الاية وان كان ظاهرها ليس مما هو بصدده لانها تدل
على زيادة علمه صلى الله عليه وسلم وانه يعلم لغيره غير متعلم من غيره ومن
اسمائه تعالى الاول والاخر وتسميه بهما في القرآن والاحاديث الصحيحة ومعناه
بحسب اللغة وبحسب الاشتقاق وكون فائه واوا وهمزة معلوم في العربية
وورنه افعل وكون اول اسم تفضيل وظرفا وليس هذا محل الكلام فيه
وانما الكلام في معناه في اسماء الله فقال ابن العربي للعلماء فيه عبارات فقيل الاول
الموجود وقبل الخلق فكان ولا شيء قبله ولا معه قاله ابن عباس رضي
الله عنهما وقيل انه الذي لا ابتداء له وقيل انه الذي له كل شيء وبه كل شيء ومنه كل
شيء كما قال فلان اول هذا الامر واخره وقيل الاول لصفاته وقيل بتحننه
لاوليائه ومقابله الاخر لا انتهاء له وقيل الذي يرجع اليه كل شيء وقال
الضحاك هو الذي احر الاول اخرا اي الذي جعل لكل شيء اخرا وقيل الاخر بقضائه
وقدره وقال الغزالي رحمه الله الاول والاخر متقابلان فالشيء الواحد لا
يكون اولا واخرا من وجه واحد فانك اذا نظرت الى ترتيب سلسلة الموجودات
فالله تعالى بالاضافة اولها استفادت منه الوجود وانما هو موجود بمعنى انه
غير مستفيد لوجوده من غيره فاذا نظرت الى ترتيب السلوك ومنازل السائرين
فيه اليه فهو اخر ما يرتقي اليه درجة العارفين ولما كان الاول والاخر كونهما
كالمتضادين يوهم الانتهاء من الطرفين فسره بما فيه دقة والى هذا اشار المص
بقوله ومعناهما السابق للاشياء اي جميع الموجودات قبل وجودها لانه الذي اوجدها
وابدعها والباقي بعد فنائها ثم صرح بالمقصود من دفع الايهام فقال وحقيقته
اي ليس له اول ولا اخر ولا ابتداء ولا انتهاء فلا سابق عليه ولا باقي بعده فهو واجب
الوجود وجوده عين ذاته لا يتصور انفكاكه عنه فهو من صفات التنزيه
وقال القرطبي انه الاول بوجوده في الازل وقبل الابتداء والاخر بوجوده
في الابتداء وبعد الانتهاء وعلى هذا يكون من اسماء الذات ويجوز ان يكون
من اسماء الافعال على معنى انه الاول والاخر الاخر في الوجود ثم اشار الى اطلاقه
عليه صلى الله عليه وسلم بقوله وقال عليه الصلاة والسلام كنت
اول الانبياء في الخلق يعني انه في عالم الذر والارواح خلقت روحه قبلهم
ولذا عبر بالانبياء دون الرسل كما تقدم بيانه ولا وجه لتفسيره بانه كان نورا
في وجه ادم اذ لا يطابق قوله صلى الله عليه وسلم واخرهم في البعث
فهو خاتمهم ونبوته صلى الله عليه وسلم ورسالته لا تنقطع بموته واخرهم
في البعث وفسر هذا اي بتقدم خلقه وتاخر بعثته قوله تعالى واذا اخذنا
دلجي

من

من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الميثاق فهو انه يوصلوا الله بوحده فقدم محمدا
صلى الله عليه وسلم في الذكر لتقدمه في الخلق لا في البعث وهذا التفسير رواه
قتادة عن الحسن عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن قوله عز وجل واذ اخذنا الاية فقال كنت اولهم في الخلق واخرهم في البعث
واما ما روي عن مجاهد من انه هذا في ظهر ادم عليه الصلاة والسلام فتفسير اخر
لا وجه لذكره هنا وقد اشار الى نحو هذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قوله لما
بكى على النبي صلى الله عليه وسلم اذ توفي بابي وامي انت يا رسول الله لقد بلغ من
فضيلتك عند الله ان بعثك اخر الانبياء وذكرك اولهم فقال واذ اخذنا من
النبيين الاية وانما قال اشار ونحوه لانه ليس فيه تصريح بتقدم خلقه صلى
الله عليه وسلم اذ التقدم الذكري ليس صريحا فيه لجواز كونه لشرف رتبته
عنده ومنه اي من قبيل ذكر كونه اولا واخرا قوله نحن الاخرون اي هو صلى
الله صلى الله عليه وسلم اخر الانبياء بعثة وامته اخر الامم السابقون اي اول
من يقضى بينهم ويقضى لهم يوم القيامة قبل الخلائق كما صرح به في حديث مسلم
وقوله صلى الله عليه وسلم كما تقدم انا اول من تنشق عنه الارض في الخروج من
القبور للحشر واول من يدخل الجنة هو وامته كما مر واول شافع واول مشفع
اي ماذون له في الشفاعة المقبولة وهذا بيان لاطلاق الاول عليه وقوله وهو
خاتم النبيين واخر الرسل صلى الله عليه وسلم لبيان اطلاق الاخر عليه ايضا فعلم
منه كله انه يقال له صلى الله عليه وسلم الاول والاخر كما يقال على الله وان كان م
اطلاقهما على الله بمعنى تختص به كما مر واطلاقهما صلى الله عليه وسلم بمعنى اخر مقيد
بقيود اخر تدل على تغايرهما فكفاه شرفا فتسميته باسم الله ومشاركته في لفظه
فسقط ما قيل ليس هذا المعنى المعنى الاول قطعا ولا شبهة بينهما فهو غفلة
منه ولم يقدم اذ مثله لا يخفى عليه مثله واعلم انه وقع هنا في بعض الحواشي
انه سماه بالاول والاخر والظاهر والباطن وفسر الاول والاخر بما مر والظاهر
بانه الذي لا يخفى على عاقل وجوده او القادر والباطن بالمحجوب عن عباده في الدنيا
او الذي لا يحاط به او الذي لا كيفية له وقيل الظاهر القريب والباطن العليم
الحكيم وروي فيه حديثا وهو ان جبريل عليه الصلاة والسلام نزل عليه صلى
الله عليه وسلم وقال السلام عليك يا اول السلام عليك يا اخر السلام عليك
يا ظاهر السلام عليك يا ظاهر السلام عليك يا باطن فقال يا جبريل كيف تكون
هذه الصفة لمخلوق مثلي وهي صفة للخالق لا يليق الا به فقال ان الله امرني ان
اسلم عليك بها وقد خصك بها دون الانبياء والمرسلين وشق لك اسما من اسمه
ووصفك من صفته وسماك بالاول لانك اول الانبياء خلقا وسماك اخرا لانك
عرضي

خاتم النبيين وسماك بالباطن لانه عز وجل كتب اسمك مع اسمه بالنور الاحمر على
ساق العرش قبل ان يخلق اباك ادم بالفي عام الى ما لا غاية له ولا نهاية وامرني
بالصلاة والسلام عليك فصليت عليك الف عام حتى بعثك الله بشيرا ونذيرا
وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وسماك بالظاهر لانه اظهرك في عصرك واظهر
دينك على الدين كله وفضلك على اهل السموات والارض فما منهم احد الا وقد
صلى عليك صلى الله عليك فربك محمود وانت محمد وربك الاول والاخر والظاهر
والباطن وانت الاول والاخر والظاهر والباطن فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي فضلني على جميع النبيين في اسمي وصفتي انتهى
وهذا مما لم نره لغيره ومن اسمايه تعالى القوي وذو القوة المتين اي الشديد
المحكم قوته فالمتين اخص من القوي ولذا وصفه بها والقوي وذو القوة ورد
اطلاقهما عليه في القران واصله قووي فاعل بالقلب والقوة خلاف الضعف
وهي ما يجد به القادر نفسه مستطيعا لتقدير المراد وانه يفعله فهي والقدرة قوي
متقاربان وقد يراد بالقوة كثرة الاسباب المعينة كالجند والمال ونحوه
ومنه واعدوا لهم ما استطعتم من قوة وقال الخطابي القوي يكون
بمعنى القادر ومن قوي على شي فقد قدر عليه ويكون معناها التام القوة الذي
لا يستولي عليه العجز بحال من الاحوال فهي لا يتناهى وهي مخصوصة بالله ولذا
قال تعالى ان القوة لله جميعا فلا قوة لعبده الا اذا قواه الله ولذا نعبده
ما نقول لا حول ولا قوة الا بالله كما قيل

بك اسطو اذا سطوت ولولاكا ٭ لما استمسكت قوى اوصالي

ومعناه القادر وان كان بين القوة والقدرة فرق كما اشرنا اليه ولكنهما متلازمان
ولذا فسره به الخطابي وتبعه القرطبي في شرح الاسماء الحسنى الا انه لا خلاف بينهما
وقد وصفه الله تعالى اي وصف الله نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك فقال
انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين اي ذي مكانة علية عند مكانة
الله وقيل المراد بذي قوة محمد وقيل جبريل عليهما الصلاة والسلام
وعليه اكثر المفسرين وبه استدل المعتزلة على تفضيل جبريل ولا دليل فيه
كما سياتي ومن اسمايه تعالى التي سمى بها رسوله صلى الله عليه وسلم الصادق
المصدوق كما رواه ابن ماجة والمصدق في بعض المصادر فيما جاء به وقد ورد ذا
في اسماء الله الحسنى في الحديث الماثور المروي بسند صحيح ومن اسمايه تعالى
الولي كما قال تعالى الله ولي الذين امنوا اي الذي يتولى امرهم ويقوم بنصرهم
ومن اسمايه ايضا الوالي وهو بمعناه والوالي كما قال تعالى ذلك بان الله مولى الذين
امنوا وان الكافرين لا مولى لهم ومعناها اي الولي والمولى الناصر اي الذي

ينصرهم

ينصرهم على اعدايهم وقال تعالى انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا اي ناصركم
ولم يقل اولياوكم لان نصرتهم واحدة او لان الناصر انما هو الله وغيره
بتبعيته واعانته كما قال وما النصر الا من عند الله وقد قال عليه الصلاة
والسلام انا ولي كل مومن كما رواه البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه ورواه
احمد وابو داود وانا اولى بكل مومن من نفسه وفي البخاري ايضا انا اولى بالمومنين
من انفسهم فمن مات وعليه دين ولم يترك وفاء فعلي قضاوه ومن ترك مالا فلورثته
وكان صلى الله عليه وسلم في اول الاسلام يوتى بالرجل المتوفى فيسال هل عليه
دين وهل له وفاء فان قالوا ان عليه دين وليس له وفاء قال صلوا على صاحبكم
والا صلى عليه فلما فتح الله بالفتوح والغنايم قال صلى الله عليه وسلم من مات
وعليه دين فعلي قضاوه فقيل انه كان واجبا عليه وارتضى امام الحرمين والماوردي
انه لم يكن واجبا عليه وانما يفعله تكرما وهل كان صلى الله عليه وسلم يقضيه
من الغنايم او من خالص ماله احتمالان وقد قال تعالى النبي اولى بالمومنين من انفسهم
اي احق بهم من انفسهم فانه يتولى صلاحهم وينفعهم ويقضي ديونهم كما مر
ويخلصهم مما يكرهون في الدنيا والاخرة وقال عليه الصلاة والسلام في حديث
رواه الترمذي وحسنه من كنت مولاه فعلي مولاه والمراد ولاء الاسلام ونصره
كما قال الشافعي وهذا الحديث ورد في قصة غدير خم وقيل سببه
ان اسامة بن زيد رضي الله عنه قال لعلي كرم الله وجهه لست مولاي انما مولاي
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من كنت الخ فلا دليل للشيعة فيه على انه رضي الله عنه وكرم وجهه احق بالخلافة
لا سيما والمولى من الولاء وله معان كالنصرة والعتق وغيره فلا حجة فيه
لهم ومن اسمايه تعالى العفو مبالغة في العفو عن السيات فهو محوها وازالتها
ولذا قيل انه ابلغ من الغفور لانه من الغفر وهو الستر واما الصفح فمعناه
الاعراض وهو دونهما لكنه يطلق على ذلك ايضا فلذا قال ومعناه الصفوح
فلا يرد عليه انه لا ينبغي تفسيره به وقد وصف الله تعالى بهذا نبيه في القران
اذ امره به فيه اذ قال خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فامره
صلى الله عليه وسلم بالتخلق بذلك فكان ممتثلا متخلقا به فيقتضي الاتصاف
به على ابلغ وجه واتمه اذ كان جبلة له صلى الله عليه وسلم فلا يرد عليه
انه لم يطلق عليه في القران وانما امر به ولو سلم اتصافه به لانه لا يقتضي له
امر الا يقتضي كونه على وجه المبالغة التي دل عليها صيغة فعول والامر
لا يقتضي التكرار على الاصح وفي التوراة والانجيل وبالعفو فقال تعالى بيانا لما
في القران خذ العفو وقال فاعف عنهم واصفح هذا مبني على ان العفو في هذه

عرضي

الاية الصفح ويدل عليه ما روى انه لما نزلت قال صلى الله عليه وسلم لجبريل ما
هذا فقال لا ادري حتى اسال ربي فساله ثم رجع فقال ان ربك امرك ان تصل من
قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك ذكره الحسن اسيا التكت وهذا
رواه البغوي والقرطبي ونقل بصيغة التمريض فعليه اعتمد المص بقوله
وقال له جبريل وقد ساله عن قوله خذ العفو قال المص ان يعفو عمن ظلمك
فاختصره والذي عليه الاكثر ان العفو المال الفاضل عن نفقة العيال
كما في قوله يسالونك ماذا ينفقون قل العفو ثم نسخت باية الزكاة فلا شاهد
فيه على ما نحن بصدده وقال هذا بيان لما في التوراة وفي بعض النسخ التصريح
بقوله في التوراة والانجيل في الحديث المشهور الذي تقدم عن ابن العاص ليس
بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح وقد تقدم شرحه وان قول النسا لعمر رضي
الله عنه في قصة الحجاب لانت افظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم التفضيل
فيه على اصله اذ انه فظ على من يستحق المغالظة كالكفر ومن اسمايه تعالى الهادي
وهو الضمير للهداية التي في ضمن الهادي وذكره لان تانيث المصدر غير معتبر
او لانه بمعنى انه يهدي كما في الكشاف بمعنى توفيق الله لمن اراد من عباده اللام
زايدة للتقوية لتعدي التوفيق بنفسه واصل معنى الهداية كما قاله الراغب
الدلالة بلطف لما يوصل من العقل والعلوم الضرورية والثاني دعاوه اياهم
على السنة رسله والثالث التوفيق الذي يختص به من اهتدى والرابع الهداية
في الاخرة التي في قوله الحمد لله الذي هدانا لهذا والانسان لا يقدر يهدي
احدا الا بالدعا وله انفعت تارة واثبت اخرى انتهى والى اخذ انواعها
اشار بما ذكره اشارة بقوله ويمعنى الدلالة والدعا اي الدعوة قال الله تعالى
والله يدعو الى دار السلام اي الجنة ويهدي من يشا الى صراط مستقيم
اي يرشدهم الطريق مستقيم يوصلهم الى الجنة بما خلقه فيهم من العقل وارسل
من الرسل ودفعهم لاتباعهم والتوفيق خلق قدرة الطاعة في العبد
ومنه الخذلان ومن فسر المعنى بالهداية والتوفيق فقد ضل عن
الطريق وكذا ما بناه عليه من ان تفسير الهداية بما ذكر مبني على مذهب
المعتزلة في خلق العباد لا فعالهم وان ما ذكره المص لا تساعده الاصول
الى غير ذلك من الخبط الناشي عن عدم معرفته بغير المصنف واصل الجميع
من معاني الهداية وفيه اشارة لان الهاء عاد بمختلفة اصلها الغة من المبرز
بمعنى هذا المكذ اصرفه اليه واخالف عن غيره لانه من التهادي وهو التمايل وفي
الحديث خرج صلى الله عليه وسلم يتهادى بين اثنين اي تمايل وقيل
الهاء ماخوذة لغة من التقديم ومنه هوادي الوحش للمتقدم منها فالهادي

عرضي

العنق وهو الذي ارتضاه الراغب ثم شرع في بيان اطلاقه على النبي صلى الله عليه وسلم
فقال وقيل في تفسير طه انه يا طاهر يا هادي على طريقة الرمز والاكتفا بحرفين
من الاسمين يدلان على الباقي كما في قوله

قلت لها قفي . فقالت قاف .

اي وقفت يعني النبي صلى الله عليه وسلم اي يريد الله بهذين الاسمين نبيه صلى
الله عليه وسلم لطهارته من كل دنس وهداية لخلقه قال الله تعالى خطابا
لرسوله صلى الله عليه وسلم لطهارته من كل دنس وهداية لخلقه وقال الله تعالى
خطابا لرسوله صلى الله عليه وسلم وانك لتهدي الى صراط مستقيم اي تدل وتدعوا
الى الاسلام والطريق الموصلة الى سعادة الدارين وعلى هذا قراته بينا للفاعل
وهي المشهورة وعلى المجهول له هو الله وقال فيه اي في حقه وشانه صلى الله عليه وسلم
وداعيا الى الله باذنه اي بتيسيره وارادته والاذن يستعمل مجازا مشهورا في ذلك
واصل الاذن معروف الاجازة وعبر في الاولى بقوله له لكونه بصيغة الخطاب
يقال له كذا اذا خاطبه ولما لم يكن في الثانية خطابا قال فيه لانه في حقه وصفه
فلا وجه لما قيل انه لا وجه لتغاير المتعلقين ثم اشار الى معاني الهداية
منها ما يختص بالله ومنها ما يطلق عليه وعلى غيره فقال والهداية بالمعنى
الاول وهو التوفيق الاهتدا المخلص بالله فلانه لا يقدر عليه سواه ولذا
نفي عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا المعنى قال تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن
الله يهدي من يشا ويريد بمعنى ويمعنى الدلالة بكسر الدال المهملة وفتحها وهي
ارادة الطريق تطلق على غيره تعالى كالنبي صلى الله عليه وسلم والمومنين
العلما لوقوع الدلالة منهم وقوله انك لا تهدي نزلت في ابي طالب عمه لا في العباس
عمه رضي الله عنه كما قيل وكان صلى الله عليه وسلم حريصا على اسلامه حتى
دخل عليه في مرض موته وقال له يا عماه قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله
وعنده ابو جهل وصناديد قريش فقالوا اترغب عن ملة عبد المطلب
فكان اخر ما قال انه على ملة عبد المطلب فنزلت هذه الاية والشيعة
يقولون انه قالها خفية وشهد به لك فمات مسلما وتبعه الحفاظ وقالوا
انه لم يثبت ومن اسمايه تعالى التي سماه صلى الله عليه وسلم بها المومن المهيمن
قيل هما في اسما الله بمعنى واحد ولفظهما من مادة واحدة لان الها عند
هذا القايل مبدلة من همزة بمعنى المومن على هذا القول في حقه تعالى
المصدق وعده اي ما وعد به عباده في الدنيا والاخرة من الثواب ونعيم الاخرة
والنصر العزيز في الدنيا الى غير ذلك مما وعد من لا يخلف الميعاد والمصدق
قوله الحق اي الذي صدق ما قاله من الحق كما قال فورب السما والارض انه لحق والمصدق

عرضي

لعباده المؤمنين ورسله اى يصدقهم فيما قالوه او جاعلهم صادقين فى قولهم ه
ملتزمين للصدق فى اقوالهم وعهودهم كما قال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه فعلى الاول اللام غير زائدة وعلى الثانى مزيدة للتقوية
ويحققه ان هذا الاسم سمى الله به نفسه فى القرآن والاحاديث الصحيحة واجمعت
الامة وهى من امن يومن ايمانا فهو مومن اى مصدق فانه كذلك فى لغة العرب
واستعمالهم وعلى هذا فقيل معناه عباده او الذى لا يخاف ظلما وقيل معناه الذى
يامن اولياؤه عذابه كما قال الشاعر ه ه ه
والمومن العائذات الطير تمسحها ه ركبان مكة بين الغيل والسند ه
وقال الحاكم معناه انه اذا وعد وفى وقال الخطابى بعد ما فسره
بالمصدق انه يحتمل وجوها احدها انه يصدق عباده وعده ويفى بما فسره ٢
بالمصدق انه يحتمل ضمنه لهم من رزق الدنيا وثواب الآخرة انه يصدق ظنون
عباده المؤمنين ولا يخيب آمالهم لقوله انا عند ظن عبدي بي وقيل
الموحد نفسه بقوله شهد الله انه لا اله الا هو وقوله انني انا الله لا اله
الا انا فصدق ما نطقت به الآيات وحكمت البراهين من توحده فى الوهية
وهذا كله على انه من الايمان بمعنى التصديق وقوله وقيل المومن عباده كلهم
يؤمنهم وكانهم فى الدنيا من ظلمه لتنزهه عنه وما ربك بظلام للعبيد
والمومنين فى الآخرة من عذابه معطوف على قوله عباده مفعول مومن بوزن
مفعل بمعنى معطى الايمان فعلى هذا هو من الامن ضد الخوف فهو من صفات
الافعال وعلى الاول صفة ذاتية لانه راجع للكلام ثم بعد ما بين المومن شرع
فى بيان معنى المهيمن على انه بمعناه فقال وقيل المهيمن بمعنى الامين
فوزنه مفيعل وهمزته مبدلة ترفيهها واصله مؤيمن ومثله الا فى مصمومة
زايدة ومعناه الامين وفى بعض النسخ بمعنى الامن وهو من طغيان القلم الا
ان يراد معنى مادته المأخوذ منها وهو من اسمائه الواردة فى القرآن والحديث
واجمعت عليه الامة وورد اطلاقه على غيره تعالى كما سيأتى فى بيت العباس
والمطلق على ابى بكر الصديق رضي الله عنه فى قول الشاعر ه ه
الا ان خير الناس بعد نبيه ه مهيمنه التاليه فى العرف والنكر ه
وقال ابن الحصار لا نعلم احدا سمى به الا انه ليس فى الشرع ما يمنعه
وقوله مصغر منه اى مصغر من الامين وهو قول ابن قتيبة الامام مردود بانه قول
مرغوب عنه لان اسما الله لا يجوز تصغيرها لا ينافيه التحقير وان جا للتعظيم
فى قوله ه ه ودهية تصغر منها الانامل ه ه
لانه انما جا فيما يجوز تصغيره بتصغيره تلطفا منهم كما قال وتقدم ما قلت

حبيبي

حبيبي من التحقير ه بل يعذب اسم التحقير بالتصغير ه
واما اسماوه تعالى واسما انبيائه عليهم الصلاة والسلام فلا يجوز ذلك فيها
قطعا انما هو اسم فاعل من هيمن فهو مهيمن والياء فيه كياء صيغ وحيدر وليس
للتصغير وقد جاء فى كلامهم الفاظ على وزنه كمسيطر ومصيطر وهو البيطار
ويقال له بيطر ايضا والمدبير بالموحدة من الابار ومجيمر اسم جبل وهذا البناء
من النوادر غير متصرف ولم يرد له فعل فلا يقال هيمن يهيمن وحكى الخطابى عن
بعض اهل اللغة الهيمنة بمعنى القيام على الشئ والرعاية له وذكره ابن الانبارى
فى الزاهر ولغرابته اختلفوا فى معناه على اقوال عشرة الاول انه بمعنى الامين
كما ذكره المصنف فقلبت الهمزة هاء لانها اخف منها كما قالوا فى اراق وفى اياك هياك
وقول المصنف انه مصغر منه اى من مادته ونوعه فالاولى من الامن مصغر
مؤمن ويجوز ان يعود ضمير منه الى المومن فليس مراده انه تصغير امين كما توهمه
عبارته الا انه لظهوره لم يوضح عبارته فلا يرد عليه ما قيل انه سهو منه لا
تصغير فيه امين اولا وتشديد يائه وجعله شاذا لا داعى اليه واسما الله لا
تصغر فياؤه زايدة للتأكيد ثم ذكر اسما اخر من هذه المادة فقال ه
وقد قيل ان قولهم فى الدعا امين بالمد وقد يقصر اسم فعل كصه
ومد قال ابو الحسن معناه استجب او افعل ولا تخيب وامن اذا قال
امين وقال مجاهد اسم من اسما الله تعالى بدل من قوله ان قولهم قيل اصله
على هذا اامين بالقصر مبنى على الفتح وادخلت عليه همزة النداء وابدلت
الثانية الفا ورده ابن فورك بانه ليس فى اسما الله اسم مبنى وقال
الراغب عن ابى على ان القائل به لكن اراد ان فيه ضمير الله لان معناه استجب
وقيل انه عبرانى وقيل سريانى وقيل لا نعلم اصله ومعناه معنى المومن
اذا كان اسما لله ولذا قيل ينبغى تقديمه على هذا والكلام عليه مفصل فى
التفاسير والقول الثانى فى المهيمن ما اشار اليه بقوله وقيل المهيمن
بمعنى الشاهد اى الحاكم او الذى يشهد على كل نفس بما كسبت وقريب منه
الثالث وهو الشهيد والرابع الحافظ للموجودات عن العدم حتى يريد
غيره او المحصى لا فعال الخلق وانفاسهم والخامس انه بمعنى العلى المتعالى
والسادس الشريف وهو قريب مما قبله والسابع المصدق والثامن الوالى ه
قاله عكرمة والتاسع القاضى قاله ابن الزبير والعاشر الرقيب وفيه كلام فى
شرح الاسما الحسنى للقرطبى ثم شرع فى ذكر تسمية النبى صلى الله عليه وسلم بذلك
فقال والنبى صلى الله عليه وسلم امين ومهيمن ومومن اى يسمى بهذه الاسما
الثلاثة التى سمى الله بها وان لم يتحد معانيها من كل الوجوه ثبت فيه حديث ابى

لامين في الارض وامين في السما وكانت قريش تسميه صلى الله عليه وسلم قبل البعثة محمد الامين كما اشارنا اليه بعد وسياتي ذكر المهيمن وقد سماه الله تعالى امينا فقال مطاع ثم امين ان لم نقل المراد به جبريل عليه الصلاة والسلام كما تقدم اي مطاع امره وامين على وحيه واسراره وكان يعرف بالامين وشهر به قبل النبوة وبعدها بين اهل مكة وطوائف العرب والفضل ما شهدت به الاعدا وهذا وصف لما قبله لان شهرته بذلك تبعد من الله واظهاره فلا يرد عليه انه بصدد تسميته الله له صلى الله عليه وسلم لا الناس حتى يقال انه لما اقروه رضي الله عنه بر دل على انه باذن الله وسمي بالمامون ايضا في قول احي كعب

• سقاك بها المامون كاسا روية • فانهلك المامون منها وعلكا •

فلما سمعها صلى الله عليه وسلم قال ما حوله ان شا الله ان لم يقل المراد به ابوبكر رضي الله عنه ثم بان تسميته صلى الله عليه وسلم بالمهيمن بقوله وسماه العباس رضي الله عنه ابن عبد المطلب عمه في شعره مهيمنا في قوله في الشعر الذي قبله قدمناه مع شرحه

• ثم اغتدى بيتك المهيمن • من خندف عليا تحتها النطق •

وتقدم شرحه فانظره وقيل المراد بالبيت المهيمن ولولا هذا لم يكن اسما ه وفرضه المص ونبرا منه بعزوه لقائله بقوله قال القتبي عبد الله ابن مسلم بن قتيبة الدينوري البغدادي الامام المشهور نسبة لقتيبة جده توفي سنة ست وسبعين ومائتين وتاليفه كثيرة والامام ابو القاسم القشيري عبد الكريم بن هوازن منسوب لقشير قبيلة وانما برى منه لانه تكلف ضعيف لان العرب بال لا ينادى وتقديرا لهامع تقدير حرف الندا الا بتصنيد بحو يا واتعل من هذا ما قيل ان البيت هنا بمعنى العز والشرف كما في قوله

عوضي

• ان الذي سمك السما بنى لنا • بيتا دعائمه اعز واطول •

واذا اعزه وشرفه بالمهيمن كان صفة له على ابلغ وجه لان صفة الصفة صفة ومثل هذه الدقة لا يتحملها الكلام فانه زهرة لا تحتمل الفرك وقال تعالى في وصفه صلى الله عليه وسلم بانه مومن اي مصدق يومن بالله ويومن للمومنين اي يصدقهم لعلمه بخلوصهم واللام لتضمنه معنى يذعن ويسلم ادمن يده والاية نزلت في حقه صلى الله عليه وسلم لما قالوا في حقه اذن وقالوا اذا بلغه ذلك نحلف ونعتذر فانه اذن اي يصدق بكل ما سمعه فقال تعالى قل هو اذن خير لكم يومن الخ وقال صلى الله عليه وسلم انا امنة لاصحابي هذا طرف من حديث النجوم امنة في السما فاذا ذهبت اتى السما ما توعد

وانا امنة لاصحابي فاذا ذهبت اتى اصحابي ما يوعدون واصحابي امنة لامتي فاذا ذهب اصحابي اتى امتي ما يوعدون يعني ان النجوم اذا رفعت قرب وقته فنا بحار انشقاقها ولذا اكثر سقوطها عند بعثته صلى الله عليه وسلم اشارة الى قرب الساعة وهو صلى الله عليه وسلم امان لاصحابه رضي الله عنهم من وقوع باسهم بينهم ومن وقوع الفتن فاذا توفاه الله ابتدا وقوع ذلك كقصة عثمان وعلي والحسين واصحابه صلى الله عليه وسلم امان للناس من ظهور الفساد في البر والبحر فاذا ذهبوا ابتدا ظهور ذلك وامنة بفتح الهمزة وضمها مصدر بمعنى الامان او بزنة المبالغة كرجل عدل فيقع على الواحد وغيره قال الراغب يقال رجل امنة وامنة يثق بكل احد وامين ويومن به انهه ونحوه في الاساس وكونه جمع امين وهو الحافظ خلاف الظاهر للاخبار به عن الواحد ولما ذكره المص تابعا لما قبله لانه خارج عما هو بصدده من ذكر تسميته صلى الله عليه وسلم باسما الله اذ ليس من هذا القبيل ومن اسمايه التي اطلقت عليه صلى الله عليه وسلم القدوس مبالغة من القدس وهو الطهارة والنزاهة باتفاق اهل اللغة وهو بضم القاف في الاشهر وان كان الاقيس فتحها وهو لغة فيه وقرى بها وكل اسم على فعول مفتوح الاول كتنور وسمور الا السبوح والقدوس ومنه القدس بفتحتين للسطل والعامة تقول له قادوس وظاهر كلام القرطبي في شرح الاسما الحسنى انه بمعنى والمشهور خلافه ومعناه المنزه عن النقايص المطهر عن سمات الحدوث اي علاماته واثاره فلا يتصف بشي منها وسمي بيت المقدس به اي من هذه المادة بالمعنى المذكور وبيت المقدس بتخفيف بزنة مرجع اسم مكان او مصدر ميمي من القدس وهو الطهر وجا فيه ضم الميم وفتح القاف والدال المشددة من التقديس وهو التقديس وهو التطهير وجا بكسر الدال المشددة اسم فاعل وتعالى البيت المقدس بالتوصيف والاشهر الاضافة قال الكرماني وقد تقدم لانه يتطهر فيه من الذنوب بزيارته والعبادة فيه وروى النساي باسناد صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام لما بنى بيت المقدس سال الله تعالى خلالا ثلاثا حكما يصادف حكمه وملكا لا ينبغي لاحد من بعده وان لايا تى بيت المقدس احد لا يريد الا الصلاة فيه الا خرج من خطيبته كيوم ولدته امه فاعطي جميع ذلك ثمن ولذا انشد اليه المطى لانه تشد الى الكعبة ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم ومنه الوادي المقدس المسمى طوى وهو واد بالشام كلم الله فيه موسى عليه الصلاة والسلام سمي به لان الله قدسه وشرفه بتطهيره كلامه فيه وهو من الارض المقدسة ايضا فهو مطهر مبارك وقد فسر المقدس بالمبارك ايضا ومنه روح القدس بضمتين وضم فسكون وهو جبريل عليه الصلاة والسلام قال تعالى قل نزله روح القدس ه

لتزولة بما يطهر النفوس من القرآن والحكمة والفيض الالهي وهذا هو الاصح
وفيه وجوه اخر ووقع في بعض كتب الانبيا المنزلة من عند الله عليهم في اسمائه
عليه الصلاة والسلام المقدس هذا هو الصحيح وما في بعض النسخ القدوس
من غلط الناسخ قال فانه لا يجوز ان يقال في حق مخلوق القدوس مطلقا اى
المطهر من الذنوب لعصمة الله له صلى الله عليه وسلم من التدنس بها ومغفرتها
لو فرض وقوع شيء منها بمحو ذنبا النسبة له صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى ليغفر لك
الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقيل المراد ما تقدم من ذنوب امتك وما تاخر
منها وخوطب لانه سبب المغفرة او الذي يتطهر به من الذنوب ويتنزه بمنا
المجهول فيهما والتنزه البعد ثم الاخره لاشعارا التطهير بالوقوع وقوله
ما تباعد عنها متعلق بيتنزه والبا سببيه لان من اتبعه صلى الله عليه وسلم
واتبع شرعه المطهر لا يرتكب الذنوب وان ارتكبها عفرت ببركته صلى الله عليه
وسلم كما قال الله تعالى وهو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم اياته
ويزكيهم يطهرهم من الشرك وخبائث الجاهلية ويعلمهم ما يكفهم عن الاثام وقال
ويخرجهم من الظلمات الى النور اي من الكفر والمعاصي الى الايمان وتقوى
الله وطاعته بارشادهم وتوفيق الله لهم ببركته ففيه استعارة تصريحية
او يكون مقدسا الموصوف به صلى الله عليه وسلم بمعنى مطهرا من الاخلاق
الذميمة بالمهملة اي المذمومة والاوصاف الدنية الحقيرة التي لا تليق بجانبه
صلى الله عليه وسلم ثم في الشرح الجديد بعد هنا ما تركه خير منه ومن اسمائه تعالى
العزيز ومعناه الممتنع الذي لا ينال ولا يغالب والعرب تقول حصن عزيز اذا كان
لا يوصل اليه قال الهذلي في العقاب ◦ ◦ ◦
◦ حتى انتهيت الى فراش عزيزة ◦ سوداء روثة انفها كالمخصف ◦
كذا قاله القرطبي نقلا في شرح الاسماء الحسنى وهذه صفة ذاتية وقوله
الغالب القاهر من صفات الافعال فكان ينبغي ان يقول او الغالب لانه معنى اخر
كما صرح به في شرح اسماء الله الحسنى والجمع بينهما على انه مركب من نعتة حقيقي
ونعته تنزيهي كما قيل خلط وخبط يعرفه من نظر شرح القرطبي ه
لاسماء الله الحسنى ثم ان اطلاق الغالب على اسمه بانه تعداد الاسماء ورد في قوله
والله غالب على امره اي الفعال في مخلوقاته ما يريده احبوا او كرهوا وفي التنزيل
كتب الله لاغلبن انا ورسلي وقال الحاكم الغالب والطالب جرى عادتهم ه
باستعمالهما في الميزان اي الممتنع اي المهمل فانه يمهل ولا يهمل وهو على الاهمال
بالغ امره بملئ لهم ليزدادوا اثما او الذي لا نظير له هذا معنى اخر قال الخطابي
العزة تكون بمعنى نفاسة القدر يقال منه عز يعز بكسر العين فيتنا ول

دبلي

معني

عوضي

معنى العزيز على هذا انه لا يعادله شيء وانه لا مثل له انتهى ومما سمعته من تفسير العزيز
ظهر ان ما قيل الا ما انحصر في فرد كالشمس والقمر داخل فيه فيحتاج لو باذه قيود
اخر ليس بشيء او المعز لغيره فهو فعيل بمعنى فاعل مفعل وهو عزيز في الغريبة
وله الحزة المعظم يعني به انه لا عزيز الا من اعزه فالمعز له وبيده لا بيد غيره
ولهذا اصح الاستشهاد له بقوله وقال تعالى ولله العزة ولرسوله صلى الله عليه
وسلم والاية نزلت في حق المنافق الى ابن سلول حيث قال ليخرجن الاعز منها الاذل
يعني بالاعز نفسه وبالاذل المسلمين فرده الله عليه على طريق القول بالموجب
ثم بقاها عنه نتقدم هنا فلا يتوهم ان انحصار العزة في الله لا يقتضي انه
معز بل معزز بالفتح وقد جوز في الاسم الشريف ان يكون المعزز المعظم وقد يقال
يكفي في كونه معزا اثبات العزة للرسول صلى الله عليه وسلم والمومنين وانه
محل الاشهاد او ذي الامتناع وجلالة القدر معطوف على ما قبله لانه بمعنى العزة
عدم النظير او تقديره وبزيادة المصر لما ذكر اندفع ما تقدم ايضا قال العزيز
من العباد من يحتاج الناس اليهم وهو الحياة الاخروية وهو ما يعز وجوده وهو مرتبة
الانبياء والخلفاء وورثتهم من العلماء المرشدين وذوي الدالة من الحكام ثم ذكر اسما
الرسول وصفه به الله لا على طريق الاسمية فقال وقد وصفه الله تعالى
نفسه بالبشارة والنذارة الاول بكسر اوله والثاني بفتحه والبشارة
الخبر السار سمي به لانه يوثر في بشرة الوجه ولذا لو قال لعبيده من بشرني بقدوم
زيد فهو حر فبشروه على الترتيب عتق الاول ولو قال من اخبرني عتق الجميع كما
مر والنذارة الاعلام بما فيه تغليظ وتخويف وقوله فبشرهم بعذاب اليم
تهكم فقال يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وقال ان الله يبشرك
بيحيى وبكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم ومن يكتفي بوجه المادة يجوز
ان يسمى الله مبشرا ونذيرا ومثله يكفي في كونه توقيفيا والاشعري رحمه
الله يقول يقول لا بد من وروده بعينه وسماه الله تعالى مبشرا
ونذيرا وبشيرا اي مبشرا لاهل طاعته بما يبشرهم في الدنيا والاخرة م
ونذيرا لاهل معصيته بما يسوهم من العقاب ونحوه ومن اسمائه تعالى فيما
ذكره بعض المفسرين طه ويس وقد ذكر بعضهم انهما من اسماء محمد صلى الله
عليه وسلم وشرف وكرم وتقدم الكلام عليه مفصلا فلا حاجة لاعادته
تنبيه في فتاوى السبكي في قوله في سورة الاسرا انه هو السميع البصير
الضمير في انه يعود على الله تعالى وتدورد في بارجه مواضع من القرآن وقال
بعضهم ان الضمير هنا يعود على النبي صلى الله عليه وسلم فيكون هذان الاسمان
من اسمائه صلى الله عليه وسلم ومعنى وصفه بهما انه الكامل في السمع والبصر

اللذين تدركهما الايات التي بينا اباها وهو نذير والانذار بالعقل وعظمه
الحواس الموصلة الى العقل السمع والبصر فعلى هذا وصفه صلى الله عليه وسلم
لانه لا احد اكمل منه في الانذار والاستدلال انتهى اقول يعني انه وصفه صلى
الله عليه وسلم بهما على هذا اوقع بطريق الحصر المستفاد من تعريف الطرفين
وسوق المدح وهو امر عام لغيره بما خصصه به وتصييره مدحا له ولا حاجة
لهذا مع بعده فانه تنبيه توجيه اظهر منه وهو السميع لكلام الله من غير واسطة
والناظر الى نور جماله وتجلى له بعين بصره وهذا مما اختص به صلى الله عليه وسلم

فصل قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه وها هنا نكتة

وفي نسخة وها انا اذكر نكتة وها حرف تنبيه والاكثر دخولها على اسم الاشارة خبر
عن المبتدا الواقع بعدها نحو ها انا ذا اقول وقد لا يؤتى به كما صرحوا به في قوله
لا انما اعترض على المصنف بسبب والنكتة بضم اولها وفتح المثناة الفوقية
الامر الدقيق المحتاج الى فكر وتامل وسميت بها لان صاحبها كثيرا ما ينكت في الارض
بقضيب ونحوه ومعنى النكتة لغة اذيل بها هذا الفصل اي اختمه بها
واطوله فيكون كذيل الثوب الذي يطول به وفي حديث مصعب بن عمير رضي
الله عنه انه كان في الجاهلية مترفا يدهن بالعنبر ويذيل يمنة اليمن
اي يطيل ذيلها واليمنة برد من برود اليمن ففيه استعارة تصريحية
تبعية والية اشار بقوله واختم به هذا القسم الذي فيه ذكر الاسما وازيح
الاشكال فيما تقدم اي ازيل ما يشكل على سامعه عن كل ضعيف الوهم فسر المراد
بالوهم الذهن والادراك لا القوة الواهمة المعارضة للعقل فان ضعفها يقوة
العقل المزيل للاوهام والاشكال فقوله سقيم الفهم كالتفسير وسقمه
بمعنى قلته فهو استعارة وتعبيره في الاول بالضعف وفي هذا بالسقم تعبير
حسن والوهم بسكون الهاء وفتحها تخلصه من مهاوي التشبيه بكسر الواو جمع
مهواة وهي كالهاوية الحفرة العميقة التي يقع فيها من يصعب طلوعه وهو
من اضافة المشبه للمشبه به كلجين الماء وهي تخييلية ومكنية والمراد
بالتشبيه تشبيه الله وصفاته بغيرها لان اطلاق بعض الاسما على الله وعلى
غيره يقتضي ذلك وتزحزحه اي تزيله وتبعده قال تعالى فمن زحزح
عن النار عن شبه التمويه الشبه بزنة غرف جمع شبهة وهو ما يلتبس واصله
ما لا يتميز عن غيره لما بينهما من التشابه والتمويه من الماء المراد به زخرفة
الكلام الذي لا حقيقة له وتحسينه حتى يروج على من لا علم عنده وهو
استعارة قال في الاساس سرج مموه مطلي بالذهب او الفضة وحديث
مموه مزخرف وما احسن موهة وجهه بهاؤه ورونقه انتهى وانما سمي تمويها

لانه

لانه بذاته حتى يصير كالماء وبقاء الموه عليه الخبر اخبره بخلافه ما سالته عنه وهو
عايد على ما يفهم مما تقدم وهو ما يزيل الاشكال ويزيح الاوهام والتعجب ممن
اعاده على ضعيف الوهم وسقيم الفهم ان يعتقد ان الله جل اسمه اي عظم وتنزه
عن الالحاد في اسمائه بالتاويلات الباطلة ولقد اصاب قوله هنا جل اسمه لحرزه
وطيبه مفصلة في عظمته وكبريائه الكبريا الترفع عن الانقياد والعظمة جلالة
ذاته في نفسها والظهور الاول ورد في الحديث الكبرياء ردائي والعظمة ازاري من
نازعني في شيء منهما قصمته والفرق بينهما فيه تفضيل للنشر هذا محله
والجار والمجرور متعلق بما سياتي من قوله لا يشبه الخ وقيل انه حال
لازمة من ضمير اسمه اي متصفا بهما وبما يجدهما وكني بالظرفية عن تمكنه فيهما
من غير تحول عن ظرفيته واستقرار فيه ثم انهما نعتا انتهى وفيه تكلف وملكوته
اي عظم وعز سلطانه وهي صيغة مبالغة من الملك كالجبروت وقد يقابل بالملك
عالم الشهادة وكلا المعنيين صحيح هنا وحسنى اسمائه اي اسماؤه الحسنى ووصفت
بالحسنى لدلالتها على احسن المعاني وامدحها فهي صفة كاشفة لا مخصصة ومنها
ما يختص به كالخالق ومنها ما يطلق عليه وعلى غيره ولها تقاسيم اخر وعلى صفاته
بضم العين وفتح اللام مقصور جمع عليا وهي الشريفة الرفيعة وروي على
بفتح العين وكسر اللام وتشديد الياء وهما بمعنى لا تشبه شيئا من مخلوقاته
بالتاء الفوقية اي المذكورات من العظمة وما بعده وهو خبر ان وما بعده
متعلق به او حال مما قبله وليس معترضا كما قيل ولا تشبه به مبني
للمجهول بضم الفوقية مشددة الباء الموحدة ويجوز ضبطهما بالتحتية
اي معاني اسمائه وصفاته لا تشابه غيرها بوجه من الوجوه لقدمها وكونها على
اعظم رتبة لا يصل اليها غيرها وهو جواب عن سؤال وشبهة نشات مما تقدم
تقريره ان بعض اسمائه تعالى اطلق على نبيه صلى الله عليه وسلم وغيره
فيلزم مشاركة عبيده له فيها كما قال وان ما جاء من اسمائه مما اطلقه الشرع
في القران والاحاديث والكتب الالهية على الخالق وعلى المخلوق كشكور وحفيظ
وغيره مما تقدم الجار اشارة الى تغايرهما وان اتحد لفظهما فلا تشابه بينهما
في المعنى الحقيقي الذي هو ماخذ الاشتقاق من الشكر والحفظ قال
العلامة ابن القيم في كتابه بدايع الفوايد اسماؤه تعالى التي تطلق عليه وعلى غيره
كسميع هل هي حقيقة فيه مجاز في غيره او مجاز فيه حقيقة في غيره او حقيقة
فيهما ثلاثة اقوال والاسما الحسنى منها ما هو علم وصفة والوصف فيها لا ينافي
العلمية بخلاف المعتاد فانها مشتركة انتهى وهو كلام مشكل فان منها ما هو
حقيقة قطعا كالاله والخالق ومنها ما هو مجاز كالرحيم قال الرحمة رقة القلب

وقد صرحوا بانه اطلق عليه باعتبار غايته الا انه يقال انه حقيقة شرعية فاذا
تغايرها باعتبار الصفات كالقدم والحدوث لا تستلزم اشتراكها بل كونها معقولة
بالتشكيك قوله اذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق لا يتم دليلا على مدعاه ٥
فكما ان ذاته لا تشبه الذوات اي حقيقته ونفسه ومن ذهب الى ان الذوات
لم ترد بهذا المعنى تنكر دخول ال عليه الا ان الظاهر تحققه ويشهد له قولهم
الذوين لملوك اليمن وقوله تعالى ذواتا افنان فكذلك صفاته لا تشبه صفات
المخلوقين وكون ذاته لا تشبه شيا من الذوات هو الحق الذي ذهب اليه الاشعري
وغيره من المتكلمين خلافا لمن ذهب الى انها تشبه غيرها في الحقيقة وان امتاز
بالوجوب والالوهية وغيرهما وتفصيله في الكتب الكلامية واعلم ان في اطلاق
لفظ الذات على الله شرعا ولغة خلاف فقيل انه غير صحيح لانه مونث ذو ودخول
ال عليه غير صحيح لغة وقال السهيلي ذهب كثير الى امتناع اطلاقها عليه وجوازه
تعريفها لانها بمعنى النفس والتانيث غير مراد فيقولون ذات الباري بمعنى
حقيقته ويحتجون بما ورد في الحديث الصحيح ثلاث كذبات في ذات الله
وقول خبيب رضي الله عنه

وذلك في ذات الاله وان يشا ۞ يبارك على اوصال شلو ممزع

وقد اثبت ذلك البخاري واحمد في مسنده وقال ابن القيم وابن قدامة
ليست هذه اللفظة كما زعموا في اللغة والشرع بالاستقرا ولم يرد الا
مجرورا بفي والظرفية غير صحيحة فهي صفة لموصوف مقدر ومعناها طاعة
الله وشرعه كما قال النابغة ۞ مجلتهم ذات الاله ودينهم ۞
ومن فسره بغير ذلك تعقبوه فتدبر اذ صفاتهم لا تنفك عن الاعراض
الاول بعين مهملة والثاني بغين معجمة او العكس ثم را مهملة وضاد معجمة
فيهما فالاول جمع عرض بفتحتين وهو ما يقابل الجوهر اي ما لا يقوم بذاته
او بمعنى كالمرض ويكون معناه ايضا الان ما يعرض للبدن اذا استمر فهو مرض
عند الاطبا والانفعال ويطلق كل منهما على الاخر والثاني هو الامر الباعث
على وجود الفعل وايجاده وهذا التعليل لكونه ذات الله وما يتعلق بها لا يشبه
شيا من المخلوقات فان الخلق وصفاتهم لا تنفك اي لا تفارق الاعراض والله
تعالى منزه عن الاعراض المحسوسة والكيفيات النفسانية لانها تابعة
للمزاج المستلزم للتركيب المستلزم للحدوث المنافي لوجوب الوجود الغاني ثم
خلافا للحكما والكرامية وافعاله تعالى لا تعلل بالاعراض وان كان لها ثمرات
وحكم كثيرة جليلة وهي تسمى عرضا ولكنه ليس محل خلاف فقد ذهب النسفي وبعض
المحققين الى جوازه والخلاف فيه لفظي فان العرض انما هو ما يستكمل به ٥

الفاعل

٤٦

الفاعل ويحتاج اليه فهو منفي عنه والافيجوز اثباته له خلافا للحكما وليس
هذا محل بسط الكلام فيه وفي كلامه تجنيس وهو تعالى منزه عن ذلك فلا
يحل به عرض ولا يفعل لغرض لم يزل موجودا ازلا ابدا بصفاته واسمايه الدالة
على ذاته وصفاته فهي قديمة اما صفاته الذاتية فلا كلام في قدمها ومنها ما هو
عينه ومنها ما هو غيره او لا عينه ولا غيره عند الاشعري واما صفات
الافعال كالاحيا والاماتة والخلق فاختلف فيها فقيل انها قديمة والحادث
تعلقها عند الماتريدية كما لم يتعرض هنا وقيل انها حادثة اذ هي اضافات
لعرض له فلا محذور فيه كما حققه المتكلمون وصفاته السلبية قديمة ايضا
اسماوه على ما ذكره قديمة ايضا لانه تعالى سمى نفسه بها في كلامه وهذا بنا
على قدم الكلام اللفظي وهو مذهب السلف وبعض الخلف كالشهرستاني وكفى
لهذا اي يكفي في اثبات كون ذاته وصفاته واسمايه لا يشبهه شي فيها قوله
تعالى ليس كمثله شي فانه صريح فيه سوا قلنا ان مثله كناية عن ذاته
كقولهم مثلك لا يبخل والكاف غير زايدة او قلنا الكاف زايدة وقيل
الفرق بين مثله ومثله ان الاول يدل على المشابهة من سائر الوجوه والثاني
يدل على المشابهة بوجه ما ولله در من قال من العلما العارفين المحققين
بفتح الدال المهملة وتشديد الرا المهملة اصل معناه اللبن الحليب ويتجوز
به عن الخير والعمل الصالح واللام في لله للتعجب وكثر استعماله نقال لله
دره للثنا عليه والتعجب من محاسنه ولم يقولوا الله هو لانه ابلغ بما انه
لتعجبهم من لبن ارتضعه كما يقال لله ابوه ولله دره واضافوه لله اشارة الى انه
لا يقدر عليه سواه واراد بالعارفين مشايخ الصوفية لما سيحكيه عنهم فان
العارف مختص في العرف باوليا الله التوحيد اثبات ذات وهي ذات الله غير
مشبهة للذوات جميعا بوجه من الوجوه ولا معطلة من الصفات اصلا نعني
المعطل فقد الزينة والتعطل المراد به النفي هنا اي غير منفي عنها الصفات
كما يقول المعتزلة هربا من تعدد القدما والمحذور تعدد ذوات قدما لا
ذوات وصفات وفيه تشبيه للصفات بالزينة وزاد هذه النكتة
وهي معنى التوحيد الذي قاله المشايخ الواسطي تقدمه ترجيحه بما وهي اي
الزيادة التي زادها فهو عايد على ما فهم مما قبله مقصودنا الدلالتها على
ما عقد له هذا الفصل فقال ليس كذاته ذات اي ليس كحقيقته حقيقة
فلا يشاركه بوجه من الوجوه اذ لو شاركه لزم امرا اخر غير ذاته غير ذات
غيره والا لاتحدا وهذا استلزم التركيب والحدوث ولا كاسمه اسم اي لا يشبه
مدلوله اسمه اسم اخر كما مر ولا كصفته صفة لانها عظيمة قديمة وغيرها ليس

كذلك الا من جهة موافقة اللفظ اللفظ في بعضها كسميع وبصير وحي فمثل في
حقه ليس مثله في غيره واذا كانت اللفظ متحدة المناسبة ما تم وصحة فقال
وجلت الذات القديمة اي عظمت وتعالت وتنزهت عن ان تكون لها صفة
حديثة اي محدثة موجودة بعد العدم لانها لو كانت صفة له للزم خلو
الذات عنها قبل وجودها وهو نقص لا يليق بجلاله والا استحال اتصافه بها
وهذا مبني على قدم صفات الافعال كما تقدم كما استحال ان يكون للذات
المحدثة صفة قديمة لامتناع وجود صفة قبل موصوفها وهذا
كله مذهب اهل الحق والسنة والجماعة الماتريدية فالجماعة اذا اطلق فالمراد
هؤلاء دون غيرهم من الفرق الضالة وقد فسر الامام ابو القاسم القشيري تقدمت
ترجمته قوله هذا اي قول الواسطي السابق ليزيده بيانا وايضاحا على ايضاح فقال
هذه الحكاية اي المحكي المنقول عن الواسطي تشمل وفي نسخة اشتملت على جوامع
اي امور جامعة مستوفية من مسائل التوحيد وهو اعتقاد ان الله واحد في
ذاته وصفاته لا مثيل له وحده وكونه لا شريك له في الوهيته واستحقاقه للعبادة
وكيف تشبه ذاته ذات المحدثات بفتح الدال المهملة اي الامور الحادثة وهي
بوجودها مستغنية مستقلة غير محتاجة ومستندة لغيرها لوجوب وجودها
وكونه عين ذاتها والا كانت ممكنة وكيف تشبه فعله فعل الخلق في حقيقته
ولوازمه وكماله وهو اي فعله لغير جلب بفتح الجيم وسكون اللام وفتحها وبا
موحدة وهو التحصيل واصل معناه السوق انس اي دفع نقص حصل
اي ليس شيء من افعاله تنفع له بل كله لنفع عباده فانه الغني المطلق ولا بخواطر
واعتراض والباسببه وفي نسخة لخواطر فاللام التعليلية واعراض بغين
معجمة اي ليس شيء من افعاله تعالى لخاطر يخطر عليه وباعث يدعوه لفعله كما تقدم
وفي نسخة ولا بجواهر واعراض بالمهملة والصحيح الاول
وهذا تحريف من الناسخ وان احتمل جمع الجواهر لذاته والاعراض لافعاله
على ما قصده وقوله وجد ماض للمجهول كما قاله البرهان وقع في مقابلة قوله
حصل اي ليس له دفع نقص حاصل ولا لخاطر وعرض موجود وفي بعض الشروح
بكسر الجيم وتشديد الدال اي ليس فعله باجتهاد وجد منه والذي غيره قوله
ولا بمباشرة ومعالجة الا ان قوله طرا بان ان الافعال الثلاثة فيها ضمير
عائد على الفعل فان معناه ليس فعله لدفع نقص حصل له او لخاطر وعرض
وجد في نفسه ولا لكد ظهر فيه فعله وقد وقع كل من الافعال الثلاثة
في محله فوصف النقص بحصول الانطار عليه ووصف الخاطر بانه وجد بعينه
في نفسه كما هو شأنه كان شأن للمباشرة كونها محسوسة فهذا ناشئ من عدم تامل

كلامه

كلامه والمباشرة كونها محسوسة فهذا ناشئ من عدم تامل كلامه والمباشرة
فعل الشيء بنفسه ومزاولته بجوارحه والفعل ضربان مباشرة وتولد كانه بمشي
بشرته وظاهر بدنه والمعالجة المباشرة بجد وقوة يقال اعتلجوا اذا اقتتلوا في
ليس فعله كفعل غيره بعلاج وانما هو بارادته من غير شيء من ذلك انما امره اذا
اراد شيئا ان يكون يقول له كن فيكون وفعل الخلق لا يخرج عن هذه الوجوه
المذكورة من جلب نفع ودفع ضر واعراض ومباشرة ومعالجة وقد قال
اخر منشا بخنا جمع شيخ والشيخ من كبر سنه وفي العرف من يصلح للافادة لانه
انما يحصل باتفاق العمر وله جموع منها مشايخ على الاصح وقال بعض اهل
اللغة انه لا اصل له ولم يسمع في كلام العرب ورد بانه سمع كما في شرح الفصيح ما
توهمتموه باوهامكم اي كل شيء واقع في اوهام الناس انه حقيقة البارئ ليس كما توهموه
او ادركتموه بعقولكم اي تصورتموه وعلمتموه بعقولكم فهو محدث مثلكم لان الاوهام
والعقول انما الفت بادراك ما شاهدته فتظن ان الله جل وعلا مثله وتقيس
الغائب على الشاهد والله اجل من ان يحيط به الادراك فالمدرك المحدود فالمشابه منه
وهو تعالى منزه عما لا يليق به مما الفته النفس من المدرك كما تقول ليس المراد انه لا
تدرك ذاته وصفاته بوجه ما فانه معلوم بالنظر الصحيح والبراهين القاطعة
فالمراد انه لا يدرك كنه ذاته وصفاته وسمي اسمائه بكنهه ولم نكلف بهذا وانما كلفنا
بمعرفة ذاته وصفاته ووحدانيته وانه لا رب ولا معبود سواه وقال الامام
ابو المعالي الجويني امام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد
الجويني النيسابوري ابو المعالي امام الائمة عربا وعجما فريد دهره نخبة الفلك
ونكتة عطارد صاحب الفضائل والتاليف الجليلة ولد ثامن عشر المحرم سنة
تسع وعشرة واربعمائة وتوفي في خامس عشرين من ربيع الثاني وجوين بضم الجيم من
نواحي نيسابور وهو شيخ الغزالي ومحجة من اطمان بطا مهملة ساكنة وميم
وهمزة مفتوحة ونون مشددة بمعنى سكن بعد انزعاج اي نفرة وتيقن عنده
بعد الشك والشبهة الى موجود انتهى اليه فكره اي تيقن ان الموجود على وجه
معين ارتسم في ذهنه انه الله فهو مشبه اي معتقد لتشبيه الله بغيره مما
في خزانة فكره وهو خطأ لانه ليس كمثله شيء وفكره انما هو محصور كانه المشاهدة
فيا تبه التشبيه منها واحترز بقوله اطمان عن الوسوسة فانها لا تنسب
بتشبيه لعدم ركون النفس لها ومن اطمان الى النفي المحض اي الخالص بان نفى
ذات البارئ حقيقة او حكما كالفلاسفة القائلين لا يصدر عن الواحد بالذات
الا واحد فهو معطل نافي للصانع وهم الدهرية القائلون بالطبائع الى غير
ذلك مما لا يصدر عن عاقل وان قطع اي جزم بموجود اله واجب الوجود

اعترف بالعجز عن درك حقيقته بكون الواو وقد تفتح اصل معناه اللحوق
ثم صار بمعنى العلم كالادراك لوصول العقل اليه اي عجز عن علمه بكنهه فهو موحد
لانه عرف الله وحده واعترف بانه لا يقدر على معرفته بكنهه وهو التوحيد
الصرف قال الراغب روي عن ابي بكر رضي الله عنه انه قال يا من غاية معرفته
القصور عن معرفته اذ كان غاية معرفته انه يعرف الاشيا فيعلم انه ليس شي
منه ولا بمثله بل هو موجده كل ما ادركته انتهى وما احسن قول ذي النون
المصري الزاهد العارف بالله ابو الفيض ويقال ابو الفياض واسمه ثوبان
بن ابراهيم الاخميمي كان ابوه نوبيا توفي رحمه الله سنة خمسين واربعين
ومائتين وكان عالما بالعلوم والخطوط القديمة وحدث انه قرا
من خط قديم

تدبر بالنجوم ولست تدري ۝ ورب النجم يفعل ما يشا ۝

وله ترجمة في الميزان حقيقة التوحيد ان تعلم ان قدرة الله في الاشيا اي
في ايجادها وابداعها بلا علاج اي بلا معالجة ومكابدة واستعمال الة وتعلم
ان صنعه لها بلا امتزاج المزاج لغة كالمزج الخلط وما ركب عليه البدن من
الطبايع وعند الاطبا كيفية لمن العناصر المتماسة بحيث يكسر سورة كل منها
سورة الاخر وهو بالمركبات العنصرية والمراد ان ايجاده لها لا يحتاج الى
مادة ومعاونة بركيبه منها بل قدرته تعالى العلية الغالبة اوجدته ابتدا
من العدم بمجرد ان لم يكن بمجرد قوله فيكون فلا يحتاج الى شي من العلل
الاربع كما اشار اليه بقوله وعلة كل شي صنعه بمجرده وبمجرد قدرته
ولا علة لصنعه تعينه في ايجاده اذا افعاله لا تعلل بالاعراض وما
تصوره وهمك فهو بخلافه فان ذاته لا تشبه الذوات وافعاله لا تشبه
افعال غيره فهو منزه عن ان تتصوره الاوهام وهذا الكلام عجيب نفيس
محقق من انفاسه تشهد بعلو الشرف وعلو القدر والفصل الاخير من كلام
ذي النون وهو الفقرة الثالثة اعني قوله وما تصوره وهمك فالله
بخلافه تفسير لقوله عز وجل اي بمعنى قوله ليس كمثله شي فانه لا مثل
له لا يرتسم في الوهم والثاني اي الفصل الثاني وهو قوله وعلة كل شي
صنعه ولا علة لصنعه تفسير وبيان لمعنى قوله عما يفعل وهم
يسالون فانه لا علة لفعله حتى يقال له لم تفعل كذا بخلاف غيره
من عبيده المكلفين والثالث في العد وهو الاول اعني قوله
حقيقة التوحيد ان نعلم قدرة الله في الاشيا بلا علاج وصنعه
لها بلا امتزاج تفسير لقوله انما قولنا لشي اذا اردناه ان نقول له كن

فيكون

فيكون فهو كلام لف ونشر مرتب وهذا تمثيل لسرعة الايجاد والتسخير
ثبتنا الله واياك على التوحيد اي على العقيدة في اعتقاد وحدانية الله
في ذاته وانفراده بجميع شؤونه والاثبات اي اثبات ما يليق بذاته لذاته
وصفاته لصفاته وليس المراد اثبات واجب الوجود المنافي للتعطيل فانه
معلوم من التوحيد الا ان يريد بمجرد التوليد والتنزيه لذاته وصفاته عما
لا يليق بها وجنبنا اي بعدنا طرفي الضلالة والغواية من طرفي التعطيل
والتشبيه من بيانيه واراد بالضلالة التعطيل وبالغواية ادعا التشبيه
والتجسيم وجعل للاعتقاد الحق طرفين افراط وتفريط والوسط هو الصراط
المستقيم والدين القويم وهذا كله استدلال على ان ما اطلق على الله وعلى
غيره ليس لاشتراكهما في حقيقة المدلول والمشي كما مر ولما كانت هذه
التسمية تشريفا وتمييزا لهم عما عداهم اردفه من القسم الاول وهو
المعجزات فقال

الباب الرابع من القسم الاول

فيما اظهره الله على اعدائه صلى الله عليه وسلم ما على اليه هو ما وضح نورها
فكني به عما كان شاهدا من المعجزات وهو الامور الخارقة للعادة التي يظهرها
الله على يد انبيائه عليهم الصلاة والسلام لالزام من كذبهم اذا عجزوا عن
الاتيان بالمثل هذا امر الفرق بينها وبين الكرامة وكذا الفرق ان المعجزة للنبي
والكرامة للرسول كما قيل فان الكرامة تكون للنبي ايضا كما اشار اليه
المص بقوله وشرفه من الخصايص والكرامات اي ما خصه الله به واكرمه
مما لم يكن لغيره والفرق بينها وبين السحر للتشريف ادعا النبوة فان الساحر قد يدعيها
كاذبا لانها امر الهي ليس بمزاولة العزايم ونحوها من تسخير الكواكب مما يدل عليه
قوله اظهره الله وهي دالة على صدقه في دعوى النبوة وما كان قبل البعثة
فهو ارهاص اي تاسيس للنبوة وادخلها بعضهم في المعجزة قال
الزركشي في البحر اختلف في دلالتها فذهب القشيري الى انها وضعية وما ول
وضعا يجوز ان يتبدل واختار الامام في الارشاد وابو اسحاق انها عقلية وقال
الامدي في ابكار الافكار الذي ذهب اليه المحققون ان دلالة المعجزة على
صدق الرسول ليست دلالة عقلية ولا سمعية اما الاول فلان ما يدل
عقلا يدل بنفسه ويرتبط بمدلوله لذاته وقد تقع الخوارق عند تصرم
الدنيا مع عدم دلالتها على تصديق مدعي النبوة فانه لا ارسال ولا رسول اذ
ذاك واما الثاني فلان الدلالة السمعية تتوقف على صدقه فلو توقف
على صدق الرسول عليها كان دورا بل دلالتها على صدقه غير خارج
عن الدلالات الوضعية النازلة منزلة قول الله صدق عبدي انتهى

وفيه بحث قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه حسب المتامل بسكون
السين اي يكفيه او كفايته والمتامل هو المفكر الناظر نظرا صحيحا انه كتابنا هذا
لم يجحد اي لم نؤلفه لمنكر نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ممن كفر به ولا لطاعن
في معجزاته اي معترض ومعارض متماد في نبوته بعضهم وان كان مظهرا للاسلام
كبعض الزنادقة واصل الطعن الوخز باللسان ونحوه فاستعير لمعيب
الناس وذمهم يقال طعنه يطعنه بالضم والفتح وقال ابن بري الاكثر في طعن
بالسلاح ضم عين المضارع وفي القول فتحها ونقله بعضهم عن غيره من الائمة
فنحتاج بالرفع على الاستئناف او النصب في جواب النفي بناء على
راي من جوزه مستدلا بقوله ٭
٭ لم الق بعدهم حيا فاخبرهم ٭ الا يزيدهم حبا الي هم ٭
وقد منعه بعض نحاة العرب الى نصب البراهين عليها اي على اثباتها بالادلة
القاطعة الملزمة لمن انكرها او طعن فيها ونفي اثباتها وايضاحها من قولهم
نصب راية اذا اشار اليه بانه لا يعدل عنده كما في الاساس وتحصين حوزتها
بفتح الحاء المهملة وسكون الواو وفتح الزاي المعجمة وهي الناحية والجانب
وتحصينها جعلها حصينة محفوظة كان عليها حصنا محكما وفيه استعارة تمثيلية
تخييلية بجعل المنكر كالعدو والقاصد لخراب المملكة ويقال حمى حوزه
ويتبعه بلده اذا احفظ جوازه وما يلزمه حفظه حتى لا يتوصل المطاعن
اليها جمع مطعن وهو الطعن والرد بالاباطيل الفاسدة التي تصدر عن
اهل الالحاد وضمير اليها للحوزة او للمعجزة والاول اولى وابلغ لان عدم
الوصول الى الحوزة يستلزم عدم الوصول اليها ونذكر شروط المعجزة
والتحدي بفتح المثناة الفوقية الحاء المهملة وكسر الدال المهملة المشددة
وبالتحتية وهو طلب المعارضة واصله تقابل الحاديين في حداء الابل
وحده معطوف على نحتاج الداخل في حيز النفي وحده بمعنى لعريفه
منصوب كقوله وفساد قول من ابطل نسخ الشرائع ورده اي لا بد كره
فساده ورده معطوف على فساده او ماض معطوف على ابطل اي لم نجمعه
لاجل شيء من ذلك حتى نحتاج الى ذكر ما يدفعه ويقيم الحجة على بطلانه كما هو
داب المتكلمين انهم يقدمون قبل مباحث اثبات النبوة او ذكر المعجزات مبحث
ابطال قول المنكرين للنسخ لعدم نوقفهم بينه وبين البدا وهم اليهود الذين
تمسكوا بذلك في ابطال نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ونبوة عيسى
عليه الصلاة والسلام مع وقوع النسخ فيها كما فصل في كتب الاصلين بل
الفناه لاهل ملته اي انما الفناه لاهل ملة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

تلمساني

من

ابن اقبرس

من المؤمنين به الملبين لدعوته بالباء الموحدة المشددة اي القائلين له اذ
دعاهم صلى الله عليه وسلم للتوحيد والدين الحق لبيك وهو عبارة عن
اطاعته وتصديقه ولذا قال المصدقين لنبوته لاقرارهم واعترافهم
بكل ما جاء به فلا يقال انه من التأليف الاسلامية كذلك فانه ليس بشيء
ثم بين الداعي لتاليفه فقال ليكون تأكيدا في محبتهم له صلى الله عليه وسلم
دفعا لما عسى يقال ان المؤمنين غير محتاجين له مع اعترافهم واقرارهم
بذلك فاجاب بانه مؤكد لمحبتهم له صلى الله عليه وسلم منماه لاعمالهم بالنون
من النمو بمعنى الزيادة مصدر او اسم محل اي يزيدهم رغبة في اعمالهم
الصالحة او يبلغهم الاعمال او يبلغ اعمالهم الى الله من نميته الحديث
اذا بلغته وليزدادوا ايمانا مع ايمانهم بذلك فانه يزيده او يثبته في قلوبهم
وفي تقدم نمو زيادة الاعمال على زيادة الايمان اشارة الى ان زيادته مبنية
على دخول الاعمال والقول في قبول الايمان الزيادة مقرر في محله ونيتنا
بالنون والمثناة التحتية المشددة والمثناة الفوقية والنون قبل
الالف اي قصدنا وما عزمنا عليه في هذا الباب ان نثبت في هذا الباب
اي نقرر ونكتب وهو بكسر الموحدة مخففة ومشددة روايتان من الافعال
والتفعيل امهات معجزاته اي كبارها وعظامها جمع ام ومشاهير اياته
غاير بينهما تفننا فان الايات بمعنى المعجزات ايضا والمراد ما اشتهر من كراماته
صلى الله عليه وسلم من غير تحدي غيره ليدل ما اثبتناه على عظيم قدره
عنده به لما اجراه على يديه من عظيم الايات واثبتنا منها اي ذكرنا من
تلك المعجزات المحقق اي ما اشتهر وشاع حتى لم يبق فيه شبهة والصحيح
الاسناد اي ما صح سنده والاسناد الاتيان بالسند وهو عبارة عن الرجال
الذين نقلوا الحديث منقول من سند الجبل وهو ما ارتفع من سفل الجبل
وقد يكون الاسناد بمعنى السند وصحته باستيفاء شروطه المذكورة في
في كتاب ابن الصلاح وغيره واكثره اي اكثر ما اثبتناه مما بلغ القطع اي وصل
الى رتبة القطع بحيث لا يقبل التشكيك كالقرآن او كاد اي قارب بلوغ
القطع لشهرته وصحته فهو وان كان ظنيا لكنه قوي حتى صار متيقنا
بما حفه من القرائن وحذف معمول كاد شائع في كلام العرب لا سيما في السجع
كما هو فيما نحن فيه واضفنا اليها اي ضممنا الى المعجزات المحققة والمغازية
بعض ما وقع في مشاهير كتب الائمة يعني ائمة الحديث الذين تلقى الامة
كتبهم بالقبول كدلائل النبوة للبيهقي والسنن ونحوها الكتب واما اذا
تامل المتامل المصنف ما قدمناه اي نظر بعين الرضا والانصاف في صفاته

التي قدمها المصنف قبل هذا الباب وهذا تاكيد لما قبله من ان ذكر المعجزات
ليس لاثبات نبوته صلى الله عليه وسلم لانه من تامل صفاته علم انه غير محتاج
في اثبات نبوته صلى الله عليه وسلم الى برهان بذكر معجزاته وانما ذكرت للحجة
وتاكيد ذلك كما قال المتنبي

صفات لم تزده معرفة ٭ لكنها لذة ذكرناها

من جميل اثره بفتحتين وهو بقية الشي وما بقي بعده من اثار فعله كالصدقة
الجارية والولد الصالح والعلم النافع مما يرسم في صحايف الايام وقيل
جمع اثره من اثره يوثره ايثارا اذا اعطاه وماثر العرب مكارمها ومفاخرها
التي يروى وتذكر وحميد سيره جمع سيرة كسدرة وسدر وهي الطريقة
والسنة المحمودة وبراعة علمه اي علمه الفايق على غيره يقال برع براعة
وبروعا اذا فاق في علم او غيره ورجاحة عقله اي عقله الزايد بحيث
لو وزن بغيره رجح عليه وحمله الراجح ايضا وحمله كماله اي جميع كماله التي
لم تجتمع لغيره وجمع خصاله جمع خصلة وهي الصفة الحسنة وهي مجاز من
الخصل وهي ما يعطى في الرهان فاستعير لما ذكر كما في ذكره الاساس وشاهد حاله
اي ما حكي عما كان نشاهد من حاله وفي تعبيره بالشاهد لطف لان فيه ايهام انه
تشهد لمحاسنه وهو بمعنى الحاضر وصواب مقاله اي ما يحكى من كلامه صلى الله
عليه وسلم الذي هو صواب كله وحكم والكل بالجر عطف على جملة وقوله
لم يمتر جواب اذا اي لم يشك ويشتبه عليه ويقع له تردد في صحة نبوته التي
ادعاها واظهرها وصدق دعوته اي صدقه صلى الله عليه وسلم في
مدعاه او فيما ادعاه الحق الله من دينه وتوحيده به وقد كفى هذا غير واحد
هذا فاعل كفى وهو اشارة لما ذكر من الجمل وما بعده وغيره مفعوله
في اسلامه والايمان به اي كفاه ما راه من احواله صلى الله عليه وسلم عن
طلب برهان زايد على نبوته وصدق رسالته والانقياد لامره
فاسلم وامن به وتبعه من غير تلعثم كابي بكر رضي الله عنه فانه كان كلما
راه صلى الله عليه وسلم قال ما خلق هذا الا لامر عظيم فلما دعاه للاسلام
قال هذا الذي كنت ارجو منك فروينا عن الترمذي الامام المشهور صاحب
السنن وقد قدمنا ترجمته وابن قانع بقاف ونون مكسورة مهملة بعد الالف
وصحفه بعضهم بنافع بنون وفا وهو غلط وهو عبد الباقي بن قانع الامام
الحافظ كما تقدم وغيرهما باسانيدهم جمع اسناد وجمع وان كان مصدرا
لنقله الاسمية الى عبد الله بن سلام الصحابي المشهور وهو بتخفيف اللام
وغيره مشدد اللام واختلف في بعضها ايضا قال لما قدم رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم المدينة في هجرته هو وابو بكر رضي الله عنه جيته لانظر
اليه جواب لما يعني انه سمع بقدومه صلى الله عليه وسلم من مكة وقولهم انه رسول
الله فاتاه ليعرف امره وهو من علما اهل الكتاب صاحب فراسة وذكا فلما
استبنت وجهه استفعال من البيان وهو الوضوح والظهور والسين
للمبالغة عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب اي لاح له من سيماه ونور النبوة
في محياه صلى الله عليه وسلم انه مثله لا يكذب فيما ادعاه فخلق الله فيه علما
ضروريا بصدقه صلى الله عليه وسلم مع ما كان علمه من صفته في التوراة
والكتب السالفة وقال لليهود يا معشر يهود اتقوا الله واقبلوا ما جاكم به
فوالله انكم لتعلمون انه رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي تجدونه عندكم
مكتوبا في التوراة باسمه وصفته واني اومن به واصدقه ثم شرع في ذكر سنده
لما رواه عن الترمذي ولم يقدمه لئلا يفصل بينه وبين ما استشهد له فقال
حدثنا به اي بحديث ابن سلام القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله الحافظ
المعروف بابن سكره كما تقدم حدثنا ابو الحسين الصيرفي بالتصغير ومن
قال ابو الحسن مكبرا فهو مخطي وابو الفضل ابن خيرون تقدمت ترجمته
عن ابي يعلى البغدادي بفتح التحتية وهو المعروف بابن زوج الحرة كما تقدم
عن ابي علي السنجي تقدم ضبطه وبيان نسبته عن ابن محبوب المعروف
بالمحبوبي راوي السنن عن الترمذي كما تقدم قال حدثنا محمد بن بشار بفتح
الموحدة وتشديد المعجمة كما تقدم قال حدثنا عبد الوهاب الثقفي ابو عبد
المجيد بن الصلت بن عبد الحكم بن ابي العاص الثقفي الحافظ وثقه ابن معين
وقيل انه اختلط في اخر عمره توفي سنة اربع وتسعين ومائة واخرج
له الستة وترجمته في الميزان ومحمد بن جعفر هو غندر كما تقدم وابن ابي
عدي محمد بن ابراهيم بن ابي عدي البصري الثقفي توفي سنة ثمان وتسعين
ومائة وترجمته في الميزان عن عوف بن ابي جميلة بفتح الجيم وكسر الميم
الاعرابي سمي به لسكناه بدرب الاعراب قال ابن دقيق العيد وهو ثقة
ثبت توفي سنة سبع واربعين ومائة واخرج له الستة كما في الميزان
عن زرارة ابن ابي اوفى وفي نسخة ابن اوفى وهو من خطا الناسخ وزرارة
بضم الزاي المعجمة وراءين مهملتين وهو مكنى بابي حاجب قاضي البصرة
ثقة عالم توفي في داره فقرا فاذا نقر في الناقور فشهق شهقة
ومات سنة ثلاث وتسعين وروى له الستة عن عبد الله بن سلام
الحديث كما تقدم وعن ابي رمثة التيمي بكسر الرا المهملة وسكون
الميم ومثلثة قبل هاء علم منقول من رمثة نوع من النبات واختلف

في اسمه فقيل رفاعة وقيل عمارة وقيل غير ذلك النبي وقيل عمارة التميمي اختلف في نسبته لتيم او تميم وهما قبيلتان مشهورتان وقيل انه بلوي ايضا اتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي ابن لي حكاية لحاله التي جاء بها والاولاد خلاف في القضية فارنته اي اراني به وعرفته لي عنه رآه باشارة ونحوها وهو بضم الهمزة مجهول اراه برؤيته لانه لم يكن رآه قبل ذلك فلما رآه قلت هذا ابني اشد اي بمجرد تعلق نظره به اعترف ببنوته صلى الله عليه وسلم لما شاهده من عظمته دون بنوته فا ونفع الله في قوله علما صح ورأيا نصه صلى الله عليه وسلم وروى مسلم وغيره ان ضمادا بكسر الضاد المعجمة وميم مفتوحة مخففة والف ودال مهملة وهو ضماد بن ثعلبة الازدي نسبة لازد شنوءة قبيلة مشهورة وكان صديقا للنبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة فلما قدم مكة وسمعهم يقولون فيه ما قالوه تابعه واسلم في اول الاسلام وكان عاقلا بطبيبه ويرقي ذكره ابن عبد البر في الصحابة وفي الصحابة شخص اخر يسمى ضمادا ولم وفادة ولا نالته لهما لما وفد عليه اي لما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وهو بمكة في ابتداء الاسلام والوفود القدوم على العظماء من مكان بعيد لقصد او كان برقيا من الناس في الجاهلية فلما سمعهم يقولون ان محمدا مجنون وفد عليه وقال يا محمد اني راق فهل بك من شيء فارقيك فاجابه صلى الله عليه وسلم دفعا لما قاله مما نسبه اليه كما بينه بقوله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان الحمد لله جوزوا في ان كسر الهمزة وتشديد النون وفتح الهمزة مع التخفيف وهو ظاهر والحمد وكون جملة انشائية او خبرية مشهور وحسن تأكيده سؤاله له وطلبه ان يرقيه لتوهم صدقهم فيما قالوه فاجابه صلى الله عليه وسلم وصدر كلامه بحمد الله اشارة الى ان الله انعم عليه بنبوته فغيره ودلما زعموه على ابلغ وجه ثم قال نحمده ونستعينه فاردف الجملة الاسمية بفعلية مضارعية لانه قصد بالاولى الحمد ثابت ومستحق له بالاستحقاق بقطع النظر عن الحامدين والجملة محتملة للخبرية والانشائية ثم اردفها بجملة اخرى لانشاء حمده بنفسه لما انعم الله به عليه من جلائل النعم التي اجلها نعم النبوة المؤيدة بالمعجزات الباهرة ولذا فصلها عما قبلها واتى بها مضارعية لتدل على الاستمرار التجددي واسنده لضمير المتكلم مع الغير اشارة الى انه لا يقدر وحده على وفاء حق حمده فان كان الضمير له وحده فليس لتعظيم نفسه بل لتعظيم الحمد والمحمود ونستعينه بمعنى نطلب المعونة والمساعدة منه على اداء حق حمده او على جميع امورنا التي من جملتها الحمد وفيه اقتدا بما ارشدنا اليه من ان الطلب

للنبي

للنبي يقدم عليه حمد الله وتعظيمه كما في سورة الفاتحة ولذا اردفه بقوله من يهده الله اشارة الى طلب منه الهداية الى الطريق المستقيم كما في قوله اهدنا الصراط المستقيم ومن شرطية جوابها قوله فلا مضل له اي لا يقدر احد على اضلاله ومن يضلل الله فلا هادي له وفيه تعريض بمن تعرض له صلى الله عليه وسلم باسناده له لاما لا يليق به وان الله بيده الهداية والضلال واشهد اي اعلم واذعن واعتقد ان لا اله الا الله اي لا معبود بحق سوى واجب الوجود المستحق لجميع المحامد وحده لا شريك له في الوهيته وجميع شونه وهو مؤكد لما قبله لتضمنه الحصر المقدم عليه وان محمدا عبده ورسوله ارسله لهداية خلقه وارشادهم لتوحيده وفيه دعوة بانه عبده وجواب لما قوله قال له ضماد المذكور لما سمع ما قاله صلى الله عليه وسلم اعد علي كلماتك هؤلاء المذكورة من قوله الحمد لله الخ وانما طلب اعادتها ليتاملها ويفهم ما اراده وهؤلاء اولئك اشارة الى جمع المذكر والمؤنث من العقلا كما قال الشاعر

ذم المنازل بعد منزلة اللوى ... والعيش بعد اولئك الايام

فالمشار اليه هنا الكلمات فلقد بلغن قاموس البحر اي اشتهرت هذه الكلمات في جميع اقطار الارض شرقا وغربا وقاموس البحر وسطه او لجته او قعره كما في كتب اللغة من قمسه اذا غمسه ووزنه فاعول وهذه اشهر الروايات واصحها وفيه روايات اخر فروي ناعوس بنون مثناة فوقية وعين وسين مهملتين بينهما واو ساكنة وروي ناعوس بفا بدل القاف ورواه ابو داود قاموس او قابوس على الشك في الميم والبا الموحدة وروي ناعوس بالنون ايضا وقيل انه من تصحيف ما عدا قاموس وفاعوس كما قال ابن قرقول يقال قال فلان لو لا بلغ قاموس البحر اي سمعه كل ذي روح حتى ذوات البحر وهو مبالغة في سموعه وروي قاعوس من القعس وهو خروج الصدر وبروزه وقيل انه تعجب ممن لم يسمعها ولم يصدق بها من العقلا مع بلوغها هذا المبلغ هات بكسر التا اسم فعل معناه اعطي يدك ابايعك بالجزم في جواب الامر ووجه استشهاد المصنف به انه بحمده وتشهده وسماع كلامه صلى الله عليه وسلم امن به من غير تردد وليس في كلامه ما يدل على صدق مدعاه ولكنه لما راى نور وجهه الشريف وحسن بهجته امن به وقال جامع ابن شداد في حديثه رواه عنه البيهقي وهو ابو صخرة الاسدي الكوفي المحدث روى عن صفوان وغيره واخرج له ابو داود والنسائي وتوفي سنة ثمان او سبع عشرة او عشرين ومائة كان رجل منا يقال له طارق بن عبد الله المحاربي وهو صحابي كما اشار اليه بقوله

ناحية أي رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة كما قاله ابن شداد وغيره
وله رواية عنه وقال ابن حبان انما ذاك بمكة بذي المجاز وهو سوق بينه
وبين عرفة فرسخ وهو مخالف لما قاله المصنف فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
ولمن لعتيد معه هل معكم شيء تبيعونه انما سأله لأنهم اعراب وانما يقدم مثلهم للبيع
والشرا قلنا هذا البعير فقال بكم تبيعونه قلنا بكذا وكذا وسقا من تمر
بكسر الواو وفتحها وهو ستون صاعا بما يكال فاخذ بخطامه بخاء معجمة وطاء
مهملة وميم وهو الزمام وزنا ومعنى أي رسنه الذي يقاد به والباء زائدة أي
اخذه ليخرجه ويذهب به وسار أي ذهب من عندنا بالبعير فقلنا أي قال
بعضنا لبعض بعنا بعيرنا من رجل لا ندري من هو حتى نطالبه بالثمن والوسق
المبهم في الحديث كان ستون صاعا كما ورد التصريح به في رواية أخرى وقوله
من هو مفعول ندري والمعنى لا ندري جواب هذا السؤال وعدى البيع بمن
وهو متعد بنفسه اما بناء على مذهب الاخفش من جواز زيادة من في
الاثبات وقال النووي انه لغة فيه فيتعدى بنفسه وبمن كانكح وزوج فانه
يقال انكحه وزوجه وانكح وزوج منه وقد وقع هذا في كثير من الاحاديث
فلا عبرة بقول من عده من لحن العوام وفي مسلم لو بعت من اخيك وفي
البخاري يبيعه من الصواغين الى غير ذلك مما لا يحصى تنبيه قوله
وسقا منصوب لانه تمييز وكذا مركبة من كاف التشبيه واسم الاشارة ثم كني
بها عن العدد وغيره ويكون مفردة ومكررة بعطف ودونه وذهب
البصريون الى ان تمييزها لا يكون الا مفردا منصوبا وذهب الكوفيون
الى ايضا تخصيص ما يكنى بها عنه فكذا اعلم كناية عن ثلاثة الى عشرة وكذا كذا
وكذا كذا عبدا كناية عن مائة فصاعدا او كذا كذا عبدا عن احد عشر
واخواته وكذا او كذا عبدا عن واحد وعشرين الى تسعة وتسعين وكذا عبدا
كناية عن عشرين واخواته وتفصيله في شروح التسهيل وقد افرده
بالتصنيف ابن هشام وغيره ومعنا ظعينة جملة حالية والمراد بالظعينة
المرأة الظعن وهو الارتحال ولذا قيل ان حقيقته امرأة في هودج على جمل
ثم تجوز به عما ذكر وللهودج بلا امرأة وللجمل نفسه وهو بظاء معجمة وعين
مهملة وسميت المرأة ظعينة لظعنها مع زوجها فقالت أي المرأة لما
سمعت كلامهم انا ضامنة لثمن البعير أي اعطيه لكم من عندي ان لم يجي لكم
منه وانما ارادت ايضا والثقة بانه لا بد ان يجيء به لما وقع في قلبها من انه صلى
الله عليه وسلم لا يغدر ويخلف بفراسة منها حين شاهدته ولذا
قالت رأيت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر هذا استئناف بيان لوجه

ضمنها

ضمانها لمن لم تعرفه بانها رأت في وجهه صلى الله عليه وسلم نورا وحسنا تدل
على انه ليس ممن يصدر منه شر وشبهت وجهه الشريف بالقمر عند كماله وزيادة
نوره على عادتهم في تشبيه الوجه الحسن به والا فمن اين للبدر مثل نوره وحسنه
ولقد اجاد بعض الظرفاء في قوله

بلاغته للبدر وجهك اجمل ... وما انا فيما قلته متجمل
لكنما الشيء بالشيء يذكر كما قيل
طبي اذا ما بدا محياه ... اقول ربي وربك الله
وقد هجا ابن الرومي البدر فقال
لو اراد الاديب ان يهجو البدر ... رماه بالخطة العشواء
قال يا بدر انت تغدر بالسار ... ي وتغري بزورة الحسناء
كلف في شحوب وجهك يحكي ... اثر فوق وجنة برصا
يعتريك المحاق في كل شهر ... فترى كالقلامة الحجناء
وتليك نقصان في آخر الشهر ... فيمحوك من اديم السماء

لا يخيسكم أي حسن صورته صلى الله عليه وسلم حسن سيرته فمثله لا يخيس
عند ما ظننتموه يقال خاس يخيس وتخوس اذا غدر وكذب فنكث عهده واخلف
وعده وهو بخاء معجمة وسين مهملة فاصبحنا أي مضى بعد اخذه صلى الله
عليه وسلم البعير يوما وليلة ثم دخلنا في صبيحة يوم بعده فجاء رجل من اتباع
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا الرجل لا يعرف اسمه بتمر فقال انا رسول رسول الله
صلى الله عليه وسلم اليكم ثم استأنف جوابه مقدر او مطوي كانهم قالوا ما نفعل
او ما نقول فقال يأمركم ان تاكلوا من هذا التمر الذي جاء به وتكتالوا
أي تكيلوا منه ثمن البعير حتى تستوفوا أي تأخذوا الثمن من التمر الذي
جاء به وافيا كاملا غير ناقص اكلتموه فانه هبة منه لكم وهذه من المكارم وحسن
المعاملة ما لا يخفى وفي الحديث خياركم احسنكم قضاء وورد في حديث رواه
ابن اسحاق في خبر الجلندي وقصته وهو أي الجلندي ملك عمان
وسلطانها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وفي القاموس جلندى بضم اوله
وفتح ثانيه وهو اللام المخففة ممدود وبضم ثانيه فيقصر ووهم الجوهري
فقصره مع فتح ثانيه قال الاعشى وجلندا في عمان مقيما ثم قيسا في حضرموت
المنيف ولا حجة له فيما ذكر لاحتمال انه ضرورة كما قال تلميذه البرهان
الحلبي وفي شرح المفصل لابن الحاجب الاولى ان لا تدخل عليه الالف واللام
ومعناه القوي المتخلص من الجلادة كما قاله المعري في رسالة الغفران
وعمان بفتح العين المهملة وتشديد الميم مدينة قديمة بالشام وبالضم

والتحقيق صنع عند البحرين وفي الشروح نقلا عن الذهبي انه لم يشعر احد
على اسلامه وهذا يدل على عدم جزمه به والذي نقله النووي في تاريخه
الجزم به وانه صلى الله عليه وسلم بعث عمرو بن العاص في سنة ثمان
من الهجرة الى جيفر وعبد ابني الجلندي وهما الى العبد وكان اعلمهما
واحسنهما خلقا فقال الى رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليك والى
اخيك فقال اخي يتقدم علي في السن وهو الملك وانا اوصلك اليه
فمكثت ببابه اياما ثم دعاني فدخلت عليه ودفعت اليه الكتاب ففض
ختمه وقراه ثم دفعه الى اخيه فقراه فقال دعني يومي هذا وارجع
الى غدا فلما رجعت اليه قال اني فكرت فيما دعوتني اليه فاذا انا
اضعف العرب اذ ملكت رجلا ما في يدي فعلته الى خارج فلما ايقن
بمخرجي ارسل الى واجابه الى الاسلام هو واخوه وصدقا بالنبي صلى الله
عليه وسلم وخليا بيني وبين الصدقة والحكم بينهم فلم ازل مقيما بينهم
حتى بلغني وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى وهذا يدل
على ان ملك عمان ابن الجلندي لا هو الا ان يقال كل من ملك عمان يسمى
جلندي واما ما في بعض الشروح من ان في بعض النسخ ملك غسان
بتشديد السين كشداد اسم قبيلة ولعل تلك القبيلة سكنت
سكنت تلك البلدة وكان الجلندي ملكها فما لا يعول عليه لمخالفته
الروايات والنسخ الصحيحة من هو الذي صححه السهيلي والشراح كلهم
لما بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام كما سمعته مفصلا
قال الجلندي والله لقد دلني على هذا النبي الامي الذي لا يقرا
ولا يكتب ووصفه به لشهرته صلى الله عليه وسلم به في الكتب القديمة
ولانه مدح له كما تقدم انه لا يامر بخير الا كان اول اخذ اي اول عامل بما امر
به صلى الله عليه وسلم ولا ينهى عن شيء الا كان اول تارك له كما قال
صلى الله عليه وسلم اني لا انهاكم شيئا احتاكم له وهو كما قيل
لا تنه عن خلق وتاتي مثله ، عار عليك اذا فعلت ذميم ،
وقوله انه الخ اسم تاويلا وهو فاعل دل وانه يغلب اعداءه وينتصر عليهم وهو
مبني للفاعل فلا يبطر اي لا يطغى ويغتر ويظهر الفرح وهو حقه مذموم
ويبطر من باب علم ويغلب بالبنا للمفعول اي يغلب احيانا فان الحرب سجال
كما جرت به عادة الله في انبيائه فلا يضجر اي يقلق ويجزع بل يصبر
ويحتسب ما اصابه في سبيل الله في ايامه فلا يضجر اي يتعلق احتسابا للاجر
ورضا بما قدره الله كما هو عادة الانبيا عليهم الصلاة والسلام ويفي

بالعهد

بالعهد فاذا عاهد صلى الله عليه وسلم احدا لا ينكث عهده كما قال تعالى واوفوا
بالعهد وينجز الموعود اي يعجل ما وعد به لكونه فالموعود اسم مفعول ويجوز
ان يكون مصدرا فانه جا على مفعول الا انه نادر واشهد انه نبي لما تحققه
من اخلاقه وكمال صفاته صلى الله عليه وسلم وهذا اشارة لما عقد له الفصل
من ان من تامل صفاته صلى الله عليه وسلم ومعجزاته صدق بنبوته وان لم
يشاهد معجزاته وقال نفطويه ابراهيم بن محمد الامام الجليل بن عرفة
ابن سليمان الازدي الواسطي النحوي المفسر الاديب وقد تقدمت ترجمته
وضبط اسمه بفتح اوله وثانيه وسكون يائه وان المحدثين يضمون ما قبل الواو
ويسكنونها للماثر في قوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في
زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية
ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار هذا مثل ضربه الله لنبيه
صلى الله عليه وسلم هذا بنا على الوقف على قوله الله نور السموات والارض وان معنى
قوله مثل نوره ان الضمير في قوله مثل نوره لمحمد صلى الله عليه وسلم وان المشكاة
هو او صدره والمصباح علمه والزجاجة قلبه والزيتونة نبوته والمعنى
ان نبوته تظهر وان لم يبد معجزة وبرهانا عليها وقد تقدم ذكر المصنف لهذه
الاية وان هذا احد تفاسيرها وان بعيد وانما اعادها هنا لما فيها
على هذا من دلالتها على المقصود من ان المتامل يشهد ويصدق بنبوته
وان لم يقم برهانا عليها فلا تكرار في كلامه كما توهم وهو على هذا تشبيه تمثيلي
وهو ظاهر يقول الله تعالى يكاد منظره اي ما يتعلق به النظر من ذاته
صلى الله عليه وسلم وصفاته يدل على نبوته وان لم يتلو قرآنا اي وان لم يظهر صلى
الله عليه وسلم معجزة وخص القرآن لانه اعظم معجزاته وتلاوة القرآن له
معلومة مروية وان لم يقل قرآنا ثم استشهد بما يدل على معناه فقال
كما قال ابن رواحة رضي الله عنه وهو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الانصاري
الصحابي احد شعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد شهد معه المشاهد الا
الفتح فانه مات شهيدا بمؤتة سنة ثمان من الهجرة وهو احد الامراء الثلاثة
بها وهم زيد بن حارثة وجعفر بن ابي طالب ومما روي من مدحه له صلى الله
عليه وسلم قوله

لو لم يكن فيه ايات مبينة ، لكان منظره ينبيك بالخبر ،

ومبينة بكسر الباء المشددة اسم فاعل وبفتحها اسم مفعول ومنظره مراده
وظاهره وفي رواية كانت بداهته وهذا على نحو قوله نعم العبد صهيب
لو لم يخف الله لم يعصه اي ما يترتب الجواب فيه على وجود الشرط وعدمه

وهو على فقد الشرط اولى ويجوز ان يبقى على حاله لانه عند ظهور الاية
لا يحتاج الاستدلال لظاهر الحال فلا اشكال فيه اصلا واصل نبيك
ينبوك بالهمزة فابدلت يا وسكنت على حد قراءة باريكم دفي جعل المنتظر
يخبرا من البلاغة ما لا يخفى وقد ان ان باخذ اي تشرع في ذكر النبوة م
والوحي والرسالة يقال اخذ في القراة اي شرع فيها واصل الاخذ التناول
باليد ثم تجوز به عن معان انها هذا وان بمعنى قرب اقا انه وبعده
اي بعد ذكرها نشرع في معجزة القراة وما فيه من برهان ودلالة اي دليل
قاطع على نبوته بفتح الدال وكسرها مصدر ويستعمل بمعنى الدليل ه
فصل اعلم امر بالعلم اهتماما بما بعده والخطاب عام لكل من وقف
على وقف على كتابه او لمن سال الرسالة لتاليفه كما تقدم ان الله جل اسمه اي عظم
وعظمت اسماوه وجلالة اسمه تدل على جلالته بالطريق الاولى قادر على ه
خلق المعرفة وهي العلم بالجزئيات ويكون بمعنى مطلق العلم ايضا في العلم
بذاته علما يقينيا وان لم يكن بالكنه والحقيقة واسمايه وصفاته الذاتية
وغيرها وجميع تكليفاته التي الزمهم بها من الامور الشرعية والعبادات
ابتدا نفسه بقوله دون واسطة بتوسطهم في اعلامهم وتعليمهم ما ذكر
لو شا كما حكى عن سنته اي عادته تعالى وطريقته في بعض الانبيا عليهم الصلاة
والسلام اذ عرفهم بعض الامور السابقة بدون واسطة بان اوقع ذلك في قلوبهم
وكشفه لهم او الهمهم او اراهم ذلك في منامهم الصادقة وهذا مما شاع وذاع
وملا الاسماع وكون كل علم ينقسم الى نظري وضروري المراد به معلوم الانبيا
كما صرحوا به وفي الكشاف جرت العادة بان كل علم نظري كسبي ثم في قدرة الله
تعالى احداث علم واحداث القدرة عليه من غير تقدم نظر قال
بعضهم كعلوم الانبيا الثلاثة ضرورية ولا نظرية تتعلق بهم العلم
بلا تقدم نظر لئلا يكونوا زمان النظر شاكين وذلك لا يتضح عليهم في
التوحيد ولو كان ضروريا لم يكن عليه اجر فجمع بين كونه مقدورا لينا
لو الاجرا وعدم تقدم النظر لتنفى الريب وهذا هو الذي ارتضاه المحققون
فما نقل عن بعض مشايخ الصوفية ان علوم الانبيا عليهم الصلاة والسلام
جميعها ضرورية غير مسلم وذكره بعض اهل التفسير في قوله وما كان
لبشر ان يكلمه الله الا وحيا بنا على ان الوحي يشمل الالهام ونحوه والمثل المراد
به ما كان بواسطة الملك فقط وجايزان يوصل الله سبحانه وتعالى علي قوله الاداة
اليهم جميع ذلك المذكور من العلوم السابقة بواسطة يبلغهم صفة ه
واسطة بالعرفية او الحكمية اي يوصله بكلام يدل عليه ويكون تلك

الواسطة

الواسطة اما من غير البشر كالملايكة مع الانبيا عليهم الصلاة والسلام سوا
راوهم متمثلين بصورة غير صورتهم او على صورتهم الاصلية كما وقع لنبينا
صلى الله عليه وسلم فلم يرهم كما كان ياتيه صلى الله عليه وسلم الوحي احيانا ه
كصلصلة الجرس والتلبس باتيه الملك مخصوص بالانبيا عليهم الصلاة بل قد يراه
غيرهم من خلص عباده كرامة او من جنسهم كالانبيا مع الامم الذين يبلغونهم عن
الله ما امرهم بتبليغه ولا مانع لهذا المذكور بقسميه من دليل العقل اي
من دليل هو العقل فالاضافة بيانية او حقيقية بمعنى انه غير مستحيل
خلافا للبراهمة الذين جعلوه مستحيلا لذاته فنفوا ارسال الرسل كفرا منهم
وضلالا لا عما نطقت به الكتب الالهية ودلت عليه الادلة العقلية
كما بين في الكتب الكلامية كما اشار اليه بقوله واذا جاز هذا فلم يستحل
ايضا بعد محالا عقلا وجات الرسل بما دل على صدقهم من معجزاتهم الظاهرة صح
المحققة وجب تصديقهم في جميع ما اتوا به عن الله وبلغوه لاممهم لان
المعجزة مع التحدي من النبي اي اظهار النبي معجزة له وطلبه ممن انكر نبوته
الاتيان بما يماثلها لان معنى التحدي هو الطلب المذكور لانه ماخوذ من
حدى الابل اذا تغنى لها لتنشط ومن دابهم فيه ان يتقابل شخصان ليتناولا
ذلك فهو من النبي قايم مقام قول الله الذي اقدره على ذلك وامره به صدق
عبدي ورسولي فيما ادعاه لما معه من البرهان الذي لا يقدر عليه
احد من جنسه فاطيعوه واتبعوه في كل ما يامركم به لانه من عند الله
وشاهد على صدقه في كل ما قاله وهو معطوف على قوله قايم خبران وقد
تقدم الكلام على دلالة المعجزة وانها سمعية او وضعية او وضعية
والفرق بينها وبين الكرامة والسحر وهذا الكلام كاف فيما قصدناه ه
والتطويل فيه خارج عن الغرض الذي صنف الكتاب لاجله فمن اراد تتبعه
اي الوقوف عليه تجده مستوفى خبر من احوالها اي تقف عليه تماما
وتفصيله في مصنفات ايمتنا وعلمائنا وفي نسخة من كتب ايمتنا والنبوة
في لغة من همزة اشارة الى ان فيه لغتين الهمز وتركه الا ان الهمز هو
الاصل كما ذهب اليه كثير من اللغويين والنحاة وان كان ترك الهمز هو الاكثر
ولذا قيل انه لغة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه انكر على من
قال له يا نبي الله بالهمز وياتي الكلام عليه ماخوذ من النبا وهو الخبر لانبائه
واخباره عن الله وقيل النبا عنه النبا خبر ذو فايدة عظيمة يحصل به
علم او غلبة ظن فلا يقال له نبا حتى يتضمن هذه الاشيا الثلاثة ويكون صادقا
فالخبر اعم منه وقد لا تهمز باثبات الفوقية والنبا المجهول اي النبوة ونحوه

قرائه بالمثناة التحتية باعتبار اللفظ على هذا التاويل اي تفسيره بالنبا
تسهيلا اي تبدل همزته واوا تخفيفا لكثرة الاستعمال فتبدل من جنس
الحركة التي قبلها وهي الضمة والتسهيل عند القرا بمعنى جعل الهمزة بينها
وبين الحرف الذي منه حركتها وليس بمراد هنا والمعنى اي معنى النبي المفهوم
من الكلام على هذا القول ان الله اطلعه على غيبه اي اعلمه واخبره
بغيبياته واعلمه انه نبيه الموحى اليه فيكون نبيا مُنَبّأ بصيغة المفعول
مشدد البا الموحدة ويجوز تخفيفها اي يكون من اطلعه واعلمه نبيا بمعنى
منبا فهو فعيل بمعنى مفعول او يكون معناه مخبرا بكسر البا اسم فاعل
عما بعثه الله به ومنبيا اسم فاعل بتشديد البا وتخفيفها عما اطلعه الله
عليه من علمه ومغيباته فهو فعيل بمعنى فاعل على هذا ويكون عند من
لم يهمز ان يقول بان اصله الهمز من النبا ماخوذ من النبوة مصدر
نبونه سلوة في الاصل نقل وشاع بمعنى المرتفع وهو ذكره باعتبار اللفظ او
نظرا للخبر اي ما ارتفع من الارض فهو كالمربوه لفظا ومعنى لا الرفعة
خلافا لمن عممه كالزمخشري ومن تبعه كما خصصه صاحب القاموس ثم بين
المراد منه بقوله معناه انه اي عالية مشهورة والنبية ضد الخامل لتنبه
سعده من نومة الخمول والمكانة كالرتبة تختص بالمنازل المعنوية فيجعل علوه
معنى بظهوره كعلوه حسا عند مولاه وربه الذي تولى اموره منيفة عالية
لا ينصعد لها سواه وهو على هذا ايضا فعيل بمعنى مفعول لانه صلى الله عليه
وسلم مرفوع على غيره او بمعنى فاعل لانه مرتفع لما ذكر من رفيع الدرجات ٥
فالوصفان اي وصفه بالنبي بمعنى المخبر او بمعنى المرتفع موتلفان اي
متوافقان بحسب المعنى لانه من بعثه الله واطلعه على ما لم يطلع ٥
عليه غيره له منزلة عالية ومن له مقام عال يطلع على ذلك او المراد بالوصفين
نفعيل بمعنى فاعل ومفعول والذي ارتضاه سيبويه انه مهموز كالذرع والبرية
التزم تخفيفه في الاكثر وكلاهما لغة والخلاف انما هو في ايهما اصل ولذا
قدم المصنف المهموز واما الرسول فهو المرسل اسم مفعول من ارسله
اذا بعثه لامر وتبليغ رسالة ولم ياتة فعول بفتح اوله اسم مفعول من
الا فعال بمعنى مفعل بضم الميم وفتح العين المهملة في اللغة اي لغة العرب
وكلامهم ويجوز ان يراد به علم اللغة وكتبها الا نادرا اي الا في الفاظ قليلة
قال السمين في الدر المصون فعيل بمعنى مفعول قليل جا منه ركوب
وحلوب بمعنى المركوب والمحلوب والرسول بمعنى المرسل انتهى وكلام المصنف يقتضي
ان النادر فعول بمعنى مفعول من المزيد وكلام العرب انه قليل بمعنى مطلقا

فان

فان الغالب فيه معنى الفاعل كصبور وشكور الا انه قد قيل ان الرسول
في الاصل مصدر بمعنى الرسالة لم يكن مما نحن فيه بل مجاز للمبالغة ٥
كالدرهم ضرب الامير اي مضروبه وقد ورد في قول كثير بهذا المعنى وهو
قوله ايضا
لقد كذب الواشون ما بحت عندهم . بسر ولا ارسلتهم برسول
اي برسالة فما قيل ان فيه شيا ليس بشي وارساله امر الله له بالابلاغ اي من ارسل
اليه اي تبليغهم شريعته ودينه بنفسه او بواسطة واشتقاقه من الارسال بمعنى
التتابع اي التوالي والتكرار لتبليغه فالمناسبة بينهما ظاهر ومنه قولهم
جا الناس ارسالا بفتح الهمزة جمع رسل بفتحتين اي فرقة بعد فرقة يتتابعه
يتبع بعضهم بعضا كما بينه بقوله اذا تبع بعضهم بعضا كما ورد في الحديث
انهم صلوا عليه صلى الله عليه وسلم ارسالا يتبع بعضهم بعضا ثم بين وجه اشتقا
بقوله فكانه صلى الله عليه وسلم الزم تكرير التبليغ مرة بعد اخرى الى امته
او الزمت الامة اتباعه فرقة بعد فرقة وامة بعد امة لعموم رسالته فالتكرار
والتتابع اما في نفس تبليغه او باعتبار اتباعه وامته ولو عطفه باو كما في نسخة
كان احسن فما قيل من ان في كلامه بحثا لانه ماخوذ من جهة المعنى
والاشتقاق من الالفاظ وان قولهم جا الناس ارسالا ليس مصدر ارسلته
لاختلاف المعنى كلام ناش من عدم فهم كلام المصنف وخلط وخبط لا يخفى على من له
بصيرة واختلف العلما في جوابه قولهم هل النبي والرسول بمعنى واحد فهما
مترادفان او بمعنيين اي انهما متغايران غير مترادفين وفي نسخة ام بمعنيين
ولذا قيل او احسن هنا وفيه كلام في المغني وشرحه ليس هذا محله فقيل
هما سوا اي متساويان او مترادفان لان الاول التساوي في الماصدق دون المفهوم
كالانسان والناطق والثاني التساوي فيهما فعبارته شاملة لهما الا انه ما بعده
اقرب الى الاول فمعناهما كل من اوحي اليه شرع واصله من الانبا وهو الاعلام
والارسال فيه اعلام ايضا لانه فيه انما ارسل لذلك فهما متساويان وانما اختلف مفهومهما
وتركيبا نه للعلم به مما قبله فلا يرد عليه الا ان الاعلام اعم لانه قد يعلمهم بما لم
يرسل به من نبوته وكذا قول الا ان الاية لا تدل على ما ذكر فانه من تلقي الركبان ٥
واستدلوا على تساويهما بقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي
لانه علق فعل الارسال بهما فاذا ارسل النبي لزم ان يكون الرسول نبيا والنبي رسولا
واليه اشار بقوله فقد اثبت لهما معا الارسال قال المستدل ولا يكون
النبي الا رسولا والا الرسول الا نبيا ورد عليه ان الاية انما تدل على ان النبي اعم من
الرسول فانهما ترقى من ذكر الاخص الى ذكر الاعم والحديث الاتي الناطق بزيادة عدد

الانبياء على عدد الرسل يا باه واعادة النفي تقتضي المغايرة فما ذكر ممنوع وقيل
مفترقان من وجه فبينهما عموم وخصوص وجهي فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا فالله
الى موجبه كلية وسالبة جزئية كما سيأتي بيانه والمشهور انه على هذا انسي اوحي اليه
بامر الهي امر بتبليغه ام لا والرسول من اوحي اليه بذلك وامر بالتبليغ وقيل انه
من كان له شريعة ناسخة لغيرها وقيل من انزل عليه كتاب والى اشار
المص بقوله او قد اجتمعا اي النبوة والرسالة في النبوة التي هي الاطلاع
بتشديد الطاء وتخفيفها اي سكونها على الغيب اراد به ما لم نعلمه من اوامر
الله وتشريعه له مما يختص به اولا وبغيره والاعلام من الله بخواص النبوة
اي ما يختص بالنبوة الشاملة للرسالة كالعصمة والوحي بواسطة الملك
او بدونها كما وقع لموسى عليه الصلاة والسلام اذ كلمه الله قبل ارساله او
الوثبة بمعرفة ذلك المذكور من الاطلاع والاعلام وفي نسخة لمعرفته باللام
بدل الباء السببية وحوزه درجتها اي درجة النبوة العلية والحوز بحاء مهملة
مفتوحة وواو ساكنة وزاي معجمة وهي حيازتها وتحصيلها وقوله
الاطلاع والاعلام اشارة الى الخاص النبأ المهموز وما بعده الى انه من النبوة
العالية وهي الرفعة كما تقدم ولا تكلف في شيء من كلامه كما توهم وافترقا اي النبوة
والرسالة في زيادة الرسالة اي الامر بالتبليغ المختص في الرسول دون النبي
وهو اي الرسالة وذكره مراعاة للخبر وهو الامر بانذار في الاعلام بما امر
بتبليغه وهذا القيد المخصوص هو الذي حصل به الافتراق فيما صدق عليه
النبي فلا مخالفة بينه وبين ما قاله المحققون كما قيل لانهم اعتبروا ذلك
في ما صدقا عليه لا في المفهوم وهذا كلام ناشئ من قلة التدبر كما قلنا اشارة الى
ما قررناه اولا وحجتهم اي دليل القائلين بان بينهما العموم والخصوص من وجه
وليستا مترادفين ماخوذة من الاية نفسها التي استدل بها من ذهب
القول الاول فانهم قالوا المستفاد التفريق بين الاسمين يعني النبي والرسول فان
العطف واعادة النفي يدل على تغايرهما ولو كانا شيئا واحدا لما حسن تكرارهما
في الكلام البليغ وليس المقام مقام اطناب ولا تاكيدا اذ لو كان لاكد كما حسن
التكرار لقوله كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ونحوه قالوا والمعنى
اي معنى الاية على هذا وما ارسلنا قبلك اي اوحينا واعلمنا من رسول
الى امة امر بتبليغهم ما ارسل به وفي بعض النسخ من نبي والاولى اوفق بالنظم
كما ظهر او نبي ليس بمرسل الى احد فافترقا على هذا التفسير افتراقا ظاهرا
وفي الكلام نوع خفاء اراد بعضهم نا فسره وفي الاية ترق لانه ترق في النفي بذكر
العام بعد الخاص وفي الاثبات ترقي به على العكس كما تقول ما في الدار انسان

ابن اقرب

ولا

عرضي

ولا حيوان ولو عكست كان ذكر الانسان بعده لغوا فان قلت
الذي استدل به اولا تعلق ارسلنا بهما فانه يقتضي ان النبي مرسل ايضا وما
ذكره المص لا يدفعه قلت وجه دفعه بما ذكر انه لما اقتضى هذا
العطف التغاير لزم تاويل ارسلنا بمعنى يشملهما اي ما ارسلنا فلا بكينا
بوحينا لاحد من نبي او رسول لان ارسل متعد بنفسه او هو من قبيل زججن
الحواجب والعيونا ومن زايده بعد النفي اي ما ارسلنا ولا نبانا قبلك
وقد ذهب بعضهم بجاز من الذهاب وهو الخروج من مكان الى اخر قال
في الاساس وذهب فلان الى قول ابي حنيفة اذا اخذ به واتخذه مذهبا
الى ان الرسول من جاء بشرع مبتدا فلم يكن مقرر الشرع غيره شرعه لم
يبنى الله ومبتدا بفتح الناصفة شرع ويجوز كسرها على انه حال من ضمير
جاء الاول اولى ومن لم يات به اي بشرع مبتدا لم يسبق اليه نبي غير رسول
وان امر بالابلاغ والانذار فبينهما عموم من وجه اخر والصحيح والذي
عليه الجم الغفير بعد الجماد في نسخة الجم والمعنى واحد اي الجماعة الكثيرة
والجم بفتح الجيم وتشديد الميم والغفير بغين معجمة وفاء وفي الصحاح الجما
الغفير جماعة الناس يقال جاءوا جما غفيرا عدد ونقصر والجما الغفير
بالمد وجم الغفير والجم الغفير اي جميعا فالراء زايدة والغفير صفة
لازمة للجما لا يفرد به ولعلها من الغفر وهو الستر لانهم لكثرتهم ستروا
وجه الارض ومعناه جاءوا جميعهم جملتهم شريفهم ووضيعهم وخواصهم بمنسه
كالمصدر يكاد اجمعا وقاطبة والجم الكثير ونصبه لانه اسم وضع موضع
المصدر وقيل انه مصدر ولا يلزم نصبه عند الكسائي وعليه
يمشي كلام المص لا على من الزمه النصب وليس المراد الجميع بل الاكثر حتى
يستشكل ويجاب بانهم لم يعتد بغيرهم وصيرهم كالعدم ان كل رسول نبي
وليس كل نبي رسول وهو صادق بالقولين الاخيرين فبينهما عموم وخصوص
من وجه لانه يشترط في الرسول دون النبي ان يؤمر بالتبليغ او ان يكون
له شرع جديد او انزل عليه كتاب والاول هو المشهور ولذا قال
المحدثون اذا ورد في الحديث ذكر احدهما او قال قال رسوله ونبيه لا يجوز
لان انه يبدل بمن يريده وقيل انه لا يلزم ولكنه اولى وهذا في غير الاذكار
فاما فيها توقيفية ولذا ورد في حديث ان بعضهم قال في بعض الاذكار
امنت بكتابك الذي انزلته ورسولك الذي ارسلته فقال له صلى الله عليه
وسلم قل ونبيك الذي ارسلته كما في شرع مسلم وفيه بحث وقيل
الرسول اعم ليشمل رسل الملائكة كجبريل عليه الصلاة والسلام لكن الكلام انما

هو في رسول البشر وقال صاحب القاموس في كتاب الصلاة والبشرات
النبي من اوحى اليه بامر يختص به في نفسه حتى لا يكون لغيره ان يتبعه فيه
فان امر بتبليغ ما امر به لامة مخصوصة او لجميع الناس فهو رسول فان لم
يكن له حكم يختص به فهو رسول لا نبي وان كان التبليغ له ما يختص به كنبينا
صلى الله عليه وسلم فهو نبي ورسول فعلى هذا بينهما عموم وخصوص مطلق
وليس كل رسول نبي وقال انه الحق الذي لا شك فيه وهو مخالف لكلام
المصنف واعلم ان النبي ان كان من النبا فهو مهموز وان كان من
النبوة فغير مهموز كما تقدم وهما اخبارهما قرى في السبعة واما
قوله صلى الله عليه وسلم لاعرابي قال له يا نبي الله اي بالهمز لست بنبي
الله ولكن نبي الله لانه في لغتنا بمعنى خرج من ارضه وطرد فلا يقال
ذلك منعه وورد ايضا لا تنبزوا باسمي فانما انا نبي الله ومعنى لا تنبزوا
والا تهمزوا وليس في هذا انما يقتضي منعه على الاطلاق كما قاله
ابن سيده واول الرسول ادم واخرهم محمد صلى الله عليه وسلم
ولا ينافي هذا ما في البخاري في حديث الشفاعة من انهم يقولون لنوح عليه
الصلاة والسلام انت اول الرسل الى اهل الارض لانهم لم يقولوا انه اول
الرسل مطلقا بل اول الرسل الى اهل الارض في عصره ولذا قال في الدعا عليهم
لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وادم عليه الصلاة والسلام انما ارسل
الى بنيه وهم مومنون به وادريس وشيث عليهما الصلاة والسلام لم تعم
رسالتهما وهذا الا ينافي اختصاص نبينا صلى الله عليه وسلم بعموم الرسالة
الى اهل الزمان فلم تختص بعصر ولا بقوم وعمت رسالته الانس والجن والملكة
كما تقدم وفي حديث ابي ذر الذي رواه احمد في مسنده وابن حبان والحاكم
في مستدركه وسياتي بطوله عنه صلى الله عليه وسلم ان الانبيا مائة
الف واربعة وعشرون الف نبي وقد قال الحاكم في مستدركه انه طعن
في بعض رواته وحكي انه منكر فقال القرطبي انه اصح حديث ورد في
عدد الانبيا والرسل عليهم الصلاة والسلام وقيل ان اصحابه عليه الصلاة
والسلام كانوا بهذه العدة ايضا عنده وفاته صلى الله عليه وسلم وعن كعب
الاحبار انهم الف الف ومائتا الف وعن مقاتل انهم الف الف واربعمائة الف
واربعة وعشرون الفا وقد عرفت ان الاول اصح ما في الباب
وذكر ان الرسل منهم اي من الانبيا عليهم الصلاة والسلام ثلثمائة وثلاثة
عشر اولهم ادم عليه الصلاة والسلام وقيل اربعة عشر وقيل خمسة عشر كعددهم
اصحاب طالوت ويوافقه ان احرف اسم نبينا بالجمل الكبير ثلثمائة واربعة

عشر اذ فيه ثلاثمائة لان الحرف المشدد بحرفين ولفظ ميم ثلاثة احرف فجملته
ماتان وتسعون ولفظ دال الجملة ثلاثين ولفظ حا بتسعة ففي اسمه الكريم
اشارة الى ان جميع الكمالات الموجودة في المرسلين موجودة فيه صلى الله عليه وسلم
وزيادة واحد على القول الاول والحديث طويل اورده الحاكم في مستدركه
كما مر على القول الاول والحديث طويل اورده الحاكم في مستدركه كما مر ونقله
البرهان ما في بعض رواته من الكلام وصوبناه لانه لا ثمرة له هنا فقد بان
لك معنى النبوة والرسالة على الاقوال الثلاثة من الترادف والعموم والخصوص
من وجه او مطلقا كما فصلناه وليسا اي النبوة والرسالة ذاتا للنبي عند المحققين
انه ليسا امرا ذاتيا في الرسول جبلة طبعه الله عليها كالعقل وغيره من الغرائز
وليست النبوة مكتسبة برياضة ولصفية باطن كما ذهب اليه الحكما وانما هي امر
طارئ عليه بارادة الله وفضله والله اعلم حيث يجعل رسالاته ولا صفة
ذات اي ليست صفة قائمة بذاته موجودة فيه صلى الله عليه وسلم قبل الوحي
خلافا للكرامية فانهم قالوا انهما امران غير الوحي وامر الله له بتبليغ شريعته
فصاحبهما متصف بهما وان لم يوح اليه اقول ان ارادوا ان الله
خلق له صلى الله عليه وسلم نفسا قدسية واودع فيها قوى يستعد بها لتلقي الوحي
والعلم به وان تسمى النبوة هذا وان اطلقوها على ما ترتب عليها وانه
ركب فيه نورا كان يشاهد في ابائه وينتقل في اصلابهم وذلك من نعم الله ايضا
كما جا انا انتقلنا الامر فيه سهل والا فهو لغو من القول والكرامية بتشديد
الرا وتخفيفها على القول وفتح الكاف وكسرها على التخفيف قال في المغرب
اخبرني صديقي الثقة ابن خولة ان عبد العزيز العوجي ذكر في تاريخه هذا
الرجل وهو محمد بن كرام الذي ينسب اليه الكرامية فقال كرام بوزن
جذام وقطام وقيل انه كرام على لفظ جمع كريم وهو الجاري على السنة
اهل سجستان لاهي بلدته كما قال فيه البستي رحمه الله
الا الذين بجهلهم لم يقتدوا • بمحمد بن كرام غير كرام
الفقه فقه ابي حنيفة وحده • والدين دين محمد بن كرام
فهم منسوبون لمحمد بن كرام بفتح الكاف وتشديد الرا كما قاله السمعاني وقال
لان والده كان يحفظ كرما او يعمل فيه وكذا صححه في الحيران وقال
ابن الصلاح انه لا معدل عنه وكذا صححه ابن ماكولا والذهبي وانكره ابن الهيثم
وهو من اهل مذهبه وادعى التفرد به كما مر عن الشيبي وانما هو بتخفيف الرا مع فتح
الكاف بمعنى كرم والكرامة وبكسرها على لفظ الجمع وكان صاحب مذهب في العقائد
وغيرها ولذلك وانه في الحديث وكان يجوز الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم

في الترغيب والترهيب لانه له الا علينه تعلمه ما عليه وما ت في القدس في صفر
سنة خمس وخمسين وسبعمائة في نظم الطم في بيان مقالتهم وفابدها
وتخويف اي تخويف وتفزيع لمن عدل عن مذهبهم فهذا مبني عليه قوله
اي هو مع ذلك ساقط ضعيف لا يعتد عليه ولا يلتفت اليه وتكون الا يربح بالتهويل
تزيين الباطل وتحرفته وفي القاموس التهويل الالوان المختلفة وزينة
النصارى وهذا اقرب لتسمية المهم واما الوحي فاصله اي معناه الحقيقي
الذي وضع له اولا الاسراع وفي الحديث اذا اردت امرا فتدبر عاقبته
فان كان رشدا فانته وان كان غيرا فتوجد اي اسرع فيه والغا للسكت
وقال الاعشى ٥ ٥
٥ مثل ريح المسك ذاكي ريحها ٥ صبها الساقي اذا قيل توح ٥
ويقال الوحي بمعنى اوما او تكلم بلا كلام خفي فلما كان النبي صلى الله عليه وسلم
يتلقى ما ياتيه من ربه بعجل سمي اي ما ياتيه من ربه وحيا وحيا اي متلقى
بسرعة فاطلق عليه المصدر مجازا لغة ثم صار حقيقة في كل ما يوحي اليه
وسميت الانواع الالهاميات وحيا كقوله تعالى واوحى ربك الى النحل تشبيها
بالوحي الى النبي في سرعة وقوعها في القلب فهو استعارة تحقيقية والالهام
القاء امر في الروع باعث على الفعل او الترك وسمي الخط وحيا على الاستعارة
التحقيقية ايضا او المجاز المرسل لسرعة حركة يد كاتبه هو وجه الشبه
بينهما ووحي بالحاجب واللحظ هو في الاصل نوع من العين ثم اطلق على النظر
فيقال لحظ بعينه وهو هنا مستعار لسرعة اشارتهما اي حركتهما بسرعة
للاشارة بهما ومنه اي من اطلاق الوحي على الاشارة قوله تعالى فاوحى اليهم
ان سبحوا بكرة وعشيا اي اوما بالهمزة في اخره وقد استعمل منقوضا
ايضا بالالف كاوحى لفظا ومعنى ورمز بتخفيف الميم اي اشار بالمعنى او الشفتين
وقيل معناه هنا كتب لان الوحي يكون بمعنى الكتابة كما تقدم ومنه
قولهم اي قول العرب الوحا الوحا بفتح الواو والمد والقصر ويقال الوحاك
بكاف الخطاب ايضا كما في الاساس وهو منصوب بفعل مقدر بلا عوا اي
السرعة والعجلة وقيل اصل الوحي لغة السر والاخفا ومنه
اي من كونه بمعنى الاخفا سمي الالهام وحيا لخفائه وهو اظهر مما تقدم من
ان معناه السرعة ومنه اي من اهل القبيل قوله تعالى وان الشياطين
ليوحون الى اوليائهم اي من تولوهم واصادقوهم من المشركين اي يوسوسون
في صدورهم اي يلقونه في قلوبهم والمراد بالشياطين مردة الجن والمراد
باوليائهم كفرة قريش او مردة الانس من مجوس وفارس والوسوسة ٥

كالالهام

كالالهام الالقا في القلب الا ان الاول يختص بالخير وهذا بالشر ولذا
اشعر بقوله ومنه قوله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه اي القي
بالبنا للمجهول في قلبها مناما او الهاما وقيل انه وحي حقيقي كالوحي للانبياء عليهم
الصلاة والسلام وقد فسر ذلك التفسير السابق في قوله تعالى وما كان
لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اي ما يلقيه في قلبه دون واسطة والذي
رجحوه في هذه الاية ان المراد بالوحي فيها المشافهة بكلام الله تعالى لنبينا صلى
الله عليه وسلم ليلة المعراج وكلامه لموسى عليه الصلاة والسلام وحديث
ابي ذر المشار اليه هو هذا قال دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله
عليه وسلم جالس فجلست اليه فقلت بابي انت وامي امرتني بالصلاة فاي
الصلاة قال الصلاة خير موضوع استكثر منه او اقل قال فقلت فاي الاعمال
افضل قال ايمان بالله وجهاد في سبيله فقلت اي المؤمنين اكمل ايمانا قال احسنهم
خلقا فقلت اي المسلمين اسلم قال من سلم المسلمون من يده ولسانه فقلت
اي الهجرة افضل فقال من هجر السيئات فقلت اي الصلاة افضل قال طول القنوت
قلت اي الليل افضل قال جوف الليل الغابر قلت فاي الصلاة افضل
قال فرض مجزئ عند الله وعند الله اضعافا كثيرة قلت اي الصدقة افضل
قال جهد من مقل يسير الى فقير قلت فاي الرقاب افضل قال اغلاها ثمنا وانفسها
عند اهلها قلت فاي الجهاد افضل قال من اهريق دمه وعقر جواده قلت
فاي شي اعظم مما انزل الله قال اية الكرسي يا ابا ذر ما السموات السبع والارضون
السبع في الكرسي الا كحلقة ملقاة في فلاة من الارض وفضل العرش على الكرسي
كفضل تلك الفلاة على الحلقة قلت بابي انت وامي كم الانبياء فقال
مائة الف واربعة وعشرون الفا قلت فكم الرسل من ذلك قال ثلاثمائة
وثلاثة عشر جم غفير قلت فمن كان اولهم قال ادم قلت
نبي مرسل قال نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه ثم سواه قبلا يا ابا ذر اربعة
سريانيون ادم وشيث واخنوخ وهو ادريس وهو اول من خط بالقلم ونوح
واربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيكم يعني نفسه صلى الله عليه وسلم
وابراهيم وسائرهم من بني اسرائيل فاول الانبياء ادم واخرهم انا واول انبياء بني
اسرائيل موسى واخرهم عيسى قلت فكم كتابا انزل الله قال مائة كتاب
واربعة كتب انزل على شيث ابن ادم خمسين صحيفة وانزل على اخنوخ ثلاثين
صحيفة وانزل على ابراهيم صحائف وانزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف
وانزل التوراة والانجيل والزبور والفرقان قلت فما كان في صحف ابراهيم
قال كانت امثالا كلها منها ايها الملك المغرور المسلط اني لم ابعثك لتجمع الدنيا بعضها

الى بعض ولكن لتردد عين دعوة المظلوم فاني لا اردها ونهى على العاقل ما لم
يكن مغلوبا على عقله ان لا يكون ظاعنا الا في ثلاث تزود لمعاد ومرمة لمعاش
ولذة في غير محرم **فصل اعلم ان معنى تسمية ما جاءت به الانبيا عليهم**
الصلاة والسلام هو اولا لخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها العجز عند العرب
ان لا يقدر على ما يريده يقال عجز بفتح الجيم يعجز بكسرها ويقال ايضا بكسر الجيم
في الماضي وفتحها في المضارع كما حكاه الاصمعي وغيره ويقال اعجزه كذا اذا فاته
وقيل المعجز في الحقيقة هو الله خالق العجز في من تحدى فلم يقدر على المثل فاذا
من حرجته عن مقدورهم لا يتصور فيهم العجز لعدم قدرتهم عليه وما لهم
عليه قدرة لا يتصور عجزهم عنه ايضا قال العجز يقارن المعجوز عنه
فلو عجزوا وجدت للمعارضة منهم فلم يوجد فالمعنى مجازا امتناع المعارضة
وانتفا القدرة وحقيقته ان الاعجاز اثبات المرسل اليهم فاستعير
لاظهار العجز واسند لسببه الذي هو اظهار الخوارق وجعل اسما لذلك التا
للتنقيل من الوصفية الى الاسمية او للمبالغة كما علامة وفيه بحث
لا يخفى وهي اي المعجزة **على ضربين** اي هي اسم شامل لنوعين مقدور وغير مقدور
ضرب هو من نوع قدرة البشر اي مقدور لهم الذي يمكنهم الاتيان بما يماثله
من نوعه **فعجزوا عنه** اي فطلب منهم فعجزوا عنه **فتعجيزهم**
عنه اي عاجزين والمصدر مضاف لمفعوله اي تعجيز الله اياهم **فعل الله دل**
على صدق نبيه اي خلق العجز فيهم ومنعهم عما من شانهم القدرة عليه
في نوه فعل الله تعالى صدق نبيه فيما ادعاه والعادة جارية بان يقع بعده
علم ضروري بصدقه **كصرفهم عن تمني الموت** اي منع الله اليهود عن تمني الموت
لما قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا
او نصارى تلك امانيهم فكذبهم الله والزمهم بقوله قل ان كانت لكم الدار
الاخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين
اي قل لهم يا محمد ان كنتم احباب الله والجنة مختصة بكم فاطلبوا الموت
فان من احب الله احب لقاءه ومن كانت داره الجنة بادر لدخولها فلم
يتمنه احد منهم ولو بلسانه لصرف الله لهم عن ذلك ولذا ورد ولو تمنوه
لم يبق على وجه الارض يهودي وسياتي بيان هذا مطولا في محله وهذا
حجة على صدقه صلى الله عليه وسلم قاله المفسرون وهذا وان
تركا وعدما متضمن لمعنى وجودي وهو السكوت والخوف ونحوه فسقط
ما قيل ان المعجزة فعل خارق وليس هذا من قبيل الافعال **وتعجيزهم**
عن الاتيان بمثل القران على راي بعضهم القايل بان اعجازه بالصرفة

اي بصرف العرب الفصحا عن معارضته مع تحديه لهم وتقريعهم بذلك
على رؤوس الاشهاد حتى عدلوا عن مجادلته الى محاربته المجالدة بالسيوف كما هو
مشهور معروف وهذا مذهب النظام وبعض المعتزلة والشيعة فقيل
بان لم يكن دواعي وبواعث لذلك وقيل سلبهم المعارف المذكورة في طبايعهم
من معرفة فنون البلاغة واساليبها على القولين المشهورين في الصرفة
والذي عليه الجمهور المحققون ان اعجازه انما هو بما تضمنه من الفصاحة
والبلاغة وغرابة الاساليب وبلاغة التراكيب وجزالتها وانواع البديع
ومطابقة المقامات وبدايع الفواتح والمقاطع وروايع الاستعارات
الى غير ذلك مما خرج عن طوق البشر وبلغ الى ذروة لا تصل اليها خطى الا
فكار مع حلاوة وطلاوة لعين السامع الى غير ذلك مما قرروه وقيل
اعجازه بما فيه من المغيبات وقيل بجميع ذلك والاقوال معروفة مقررة
في الاصول والمعاني وغيرها في كتب السلف **ونحوه** مما نوعه مقدور
لهم **وضرب من المعجزة هو خارج عن قدرتهم** اذ تحداهم به **فلم يقدروا**
على الاتيان بمثله كاحيا الموتى الذي وقع لابراهيم وعيسى عليهما الصلاة
والسلام كما قيل الا انما كان يدعا عيسى عليه الصلاة والسلام معجزة له دلجي
انما كان من الله لا منه بشا ذه فاحيى الموتى باذن الله واذا اخرج الموتى باذني
لا وجه له وهذا ايضا مما وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم فيما وقع لابويه على
الصحيح **وقلب العصا حية** معجزة لموسى صلى الله عليه وسلم وسياتي انه ما
معجزة لنبي من الانبيا الا ولنبينا صلى الله عليه وسلم مثلها وزيادة **واخراج ناقة**
من صخرة بلا واسطة واسباب معتادة معجزة لصالح عليه الصلاة والسلام
لما اقترح عليه جندع بن عمرو سيد قومه اي يخرج لهم من صخرة اسمها الكاتبة ناقة
عشرا فصلى ودعا ربه فتمخضت تمخض الشبوح بولدها فانصدعت عن
ناقة عشراء ثم نتجت مثلها في العظم فامن جندع في جمع من قومه
وتمادى غيرهم في الكفر حتى عقروها فاخذتهم الرجفة **ونطق الشجرة**
وفي نسخة الشجر وهذا مما وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم ومثله حنين
الجذع المشهور **ونبع الماء من الاصابع** اي من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم
وهذا مما وقع له صلى الله عليه وسلم ايضا كما سياتي ولله در الابوصيري
في قصيدة عارض بها بانت سعاد حيث قال

ونبع الماء عذبا من اصابعه ۝ وذاك اكد فيما جرى النيل

وانشقاق القمر معجزة له صلى الله عليه وسلم حتى صار فلقتين يشاهده
الناس وقد ثبت هذا في الاحاديث الصحيحة وروي من طرق متعددة وتخريجها

السيوطي وبه فسر قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر ولعل النبوة تقتضي
لتفصيله فيصلح النوع كله وامثاله مما لا يمكن ان يفعله احد الا الله
عز وجل فيكون الجزاء ذلك على يد النبي اي وتوعد من يبغي من انبيائه يجب
الظاهر فعله وهو في الحقيقة فعل الله تعالى الذي اظهره على يديه تعديه
وتحديه بتشديد الدال مصدر مضاف للفاعل وهو ضمير النبي والتحدي دعوه
على الله لامره به وهو طلب المعارضة والاتيان بمثله كما تقدم وهو مبتدا
وقوله من يكذبه مفعوله وقوله ان ياتي بمثله متعلق بالتحدي اي لان
ياتي بمثله او بدل من يكذبه او خبر وقوله تعجيزه خبر بعد خبر اي نظهر عجزه
عن ذلك واعلم ان المعجزات جمع معجزة وقيل جمع معجزة
لانه لما لا يعقل التي ظهرت على يد نبينا صلى الله عليه وسلم وصدرت
منه ودليل نبوته وبراهين صدقه عطف تفسير له كانشقاق القمر
ونحوه مما تقدم وسياتي مما لا يحصى من هذين النوعين معا خبران اي بعضها
معدود وبعضها غير معدود كالقرآن ونحوه وهو اي نبينا صلى الله عليه وسلم
اكثر الانبيا معجزة منصوب على التمييز اي معجزاته اكثر من معجزات سائر الانبياء
عليهم الصلاة والسلام وابهرهم اية تمييز والاية المعجزة لانها علامة للنبوة
والابهر اسم تفضيل من بهر بمعنى ظهر او غلب يقال بهر القمر وقمر
باهر اذا املا الارض ومن قول عمر بن ابي ربيعة

ثم قالوا اتحبها قلت بهرا • عدد الرمل والحصى والتراب

وفيه وجوه ذكرها الادبا فالمعنى ان معجزاته صلى الله عليه وسلم اكثر واظهر
واقوى واظهرهم برهانا هذا اعم مما تقدم لان البرهان وهو الدليل
القاطع اعم من المعجزة ويكون ان يريد المعجزة ايضا كما سنبينه في اخر هذا
الباب وقوله اكثر واظهر مما يدل على ان سائر الانبيا اتت بدلايل ومعجزات
وبراهين ومعجزات نبينا صلى الله عليه وسلم وبراهينه اقوى واظهر
وانها تسمى بذلك لانها تسمى بايات بينات وقد اطلق عليها اية وبرهان الا انه
لم يطلق عليها في القرآن معجزة قيل ولا في السنة والمعجزة مخصوصة
بالانبيا عليهم الصلاة والسلام وخوارق الاوليا تسمى كرامة وقد يطلق
عليها واطلق عليها المعجزة ايضا الامام احمد بن حنبل واباه غيره اي معجزاته
صلى الله عليه وسلم في كثرتها لا يحيط بها ضبط اي لا يحيط بها حصر
وعدا وحفظ لان الناس يطلقون على هذا نحو امر الضبط بمعنى الاخذ
باليد والحفظ بمعنى الصيانة واما اطلاقهم الضابط على القاعدة الكلية
فمولد من كلام المصنفين ووجه التجوز فيه احاطته بافراده ففي كلامه استعارة

مكنية

مكنية وتخيلية ولم يتعرض له في الاساس ثم بين ذلك بقوله فان واحدا منها
اي معجزة واحدة من جملة معجزاته صلى الله عليه وسلم وهو القرآن فان جملته
معجزة وكذا اياته وسوره قال الامام محي الدين في نهاية العقول التحدي
وقع مرة بالقرآن كقوله تعالى ان ياتوا بمثل هذا القرآن ومرة بعشر سور
كقوله بعشر سور ومرة بسورة كقوله فاتوا بسورة من مثله ومرة باية
كقوله فلياتوا بحديث مثله ولكن نهاية التحدي وهو كقول الرجل لمن يفاخره
هات قوما كقومي هات كنصفهم هات كربعهم هات كواحد منهم انتهى قال هذا
اشار المص بقوله لا يحصى اي لا يعد ويضبط وكانوا يعدون ما كثر بالحصى
ثم استعمل في مطلق العد ولذا قال الاعشى

ولست بالاكثر منهم حصى • وانما العزة للكاثر

عدد معجزاته اي معجزات القرآن بالف ولا الفين لما في كل اية من الاعجاز لا اكثر
من ذلك لما في الفاظه من البلاغة وفنونها كالتوكيد والتلميح والتشبيه
والاستعارة والايجاز وحسن الفواتح والخواتم والفواصل الى غير ذلك
مما لا يحصى لان النبي صلى الله عليه وسلم قد تحدى بسورة منه اي طلب
مثلها من بلغا قريش فعجز عنها مع عجز من تعاطى العلوم مما قبله او هي مبني
للمجهول وهذا الذي قال اهل العلم بالقرآن وبلاغته واقصر سورة
من القرآن وهو منون او هو جمع مضاف لضميره انا اعطيناك الكوثر سميت
بكونها هذا الكلام تسمى سورة الكوثر لذكره فيها لانها ثلاث ايات وسورة قل هو الله احد
كذلك وسورة النصر الا ان حروف هذه اقل منها فكل اية طويلة من القرآن بعدد
حروفها ومقدارها او ايات منه اي القرآن بعددها اي بعدد الكوثر ايات وحروفا
وكل ما هو قدرها معجزة للبلغاء عن معارضتها لما فيها من البلاغة وعدا بيان اعلى
مراتب الاعجاز فيه ومنه يعلم كثرته ثم فيها نفسها اي في سورة الكوثر ايات
كثيرة على ما سنفصله بعد تفصيلا لما انطوى اي اشتمل القرآن عليه
من المعجزات التي لا تحصى ولا تحصر ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم على ضربين
اي علم واستقري انقسامها انقسام كل كلي الى جزئياته فتنبه استقراؤها باعتلا
الراكب على مركوبه لانها اما ان تعلم علما يقينيا قطعيا اولا فالاول
ضرب منها علم قطعا ونقل الينا تواترا كالقرآن فلا مرية بكسر الميم وضمها وسكون
الرا المهملة ومثناة تحتية وهي الشك والتردد كما تقدم بيانه ولا خلاف بمجي
النبي صلى الله عليه وسلم به الباء الاولى بمعنى في والثانية صلة المجي ولا خلاف
ولا مرية في ظهوره من قبله بكسر القاف وفتح البا الموحدة ومعناه جهته
وجانبه كما سياتي في قوله من قبل الله على ما فيه واستدلاله اي استدلال النبي

صلى الله عليه وسلم على صدقه ونبوته بحجته الاضافة بيانية اي بحجة هي القران وانكرهنا المذكور الذي لا مرية فيه معاند جاحد اي منكر له عنادا مع علمه به فهو كانكاره وجود محمد صلى الله عليه وسلم في الدنيا وهو سفسطة وانكار للمحسوسات التي لا تسمع ولا تصدر من عاقل وانما جا اعتراض الجاحدين اشارة الى انكارهم لما غلبوا خلافه في الحجة به اي الاحتجاج به وانه كلام الله كقول المشركين هذا سحر مبين واساطير الاولين وما انزل الله على بشر من شي الى غير ذلك فهو اي القران في نفسه اي في كلامه الفرد وجميع ما تضمنه واشتمل عليه من معجز اي من كل امر معجز كالبلاغة والاخبار عن المغيبات معلوم ضرورة علما ضروريا لمن كان من اهل البلاغة ولذا قال الوليد بن المغيرة لما سمعه ان له حلاوة وعليه طلاوة واسفله مغدق واعلاه مثمر وما هو من كلام البشر كما ياتي بيانه والفضل ما شهدت به الاعدا فوجه اعجازه معلوم ضرورة عند اهل اللسان لا عند كل احد لما فيه من فنون البلاغة ونظرا اي استدلالا عند غيرهم او لا ستتار بعض وجوهه البديعة كما سنشرحه ونبينه قريبا قال بعض ايمتنا اي علما الحديث والتفسير المالكية اذ لا اختصاص بما ذكر بمذهبه ويجري هذا المجرى بفتح الميم اسم مكان او مصدر ميمي اي يقاربه ما تقدم ويشبهه لان ما جرى في مجرى شي ساواه على الجملة اي اجمالا من غير تفصيل لوجه المشابهة ردا على من جحد انه قد جرى على يديه اي صدر منه صلى الله عليه وسلم ايات وخوارق عادات عطف تفسير او من عطف الخاص على العام والاول اولى ان لم يبلغ اي يصل واحد منها معينا اسم مفعول حال من النكرة لموصوفها ولو رفع كان اولى القطع والجزم مفعول يبلغ فيبلغه جميعها اي مجموعها وهذا ليس التواتر المعنوي كشجاعة علي وزهد الحسن البصري فان كل حال من احواله هو لم يبلغ التواتر ومجموعها اجمالا بلغ ذلك بحيث لا يتوقف فيه كتذليله الجبابرة بما شاهدوه من خوارق عاداته وانقياد الملوك له وعجزه لكنه فلا مرية في جريان معانيها على يديه مشهودة ناطقة تشهد بصدق شاهده برسالته ولا يختلف مومن ولا كافر من الامم السالفة انه اي نبيهم قد جرت على يديه عجايب اي امور خارقة للعادة حيرت ابصارهم والبابهم حتى يعجب العجب منها وانما وقع خلاف المعاند في كونها اي تلك العجايب صادرة من قبل الله بكسر القاف وفتح البا اي من المبدا الفياض المبدع البدايع وقد قدمنا ان كونها اي كون العجايب من قبل الله وان ذلك من بمثابة قوله لرسوله صدقت في نبوتك رمزا او دعيته وسعى شانه منزلته وفي حكمه

مفعلة

مفعلة من اتاه بكذا اذا عوضه ومنه الثواب بالثا المثلثة كجزا الطاعة والجاحد العنيد يزعم تارة انه سحر وكهانة وان ما سمع من كلام الشجر والجماد كلام جن سحرها الى غير ذلك من الخرافات التي صارت اليها سحرة اذا عرفت هذا ذوي علم وقوع مثل هذا الذي وقع للانبيا والامم السالفة مما علمه كل مومن وكافر وبر وفاجر ايضا كما وقع لاولئك من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ضرورة اي علم علما ضروريا متواترا تواترا معنويا ضرورة وجود حاتم الطائي وشهرته تغني عن ذكره فاخباره في الجود مشهورة ايضا وكان في الجاهلية قريبا من مبعثه صلى الله عليه وسلم وادرك ابنه عدي الاسلام وكان من كبار الصحابة رضي الله عنهم وشجاعة عنترة بالقصر وتفا لسبب لها عنترا ايضا وهو عنترة بن معاوية ابن شداد العبسي وهو علم منقول من عنتر وهو نوع من الذباب ازرق وبونه اختلف في زيادتها وهو من فرسان العرب وفصحائها المشهورين وحلم احنف ابن قيس التميمي ادرك الاسلام واسلم لكنه لم ير النبي صلى الله عليه وسلم وهو من كبار التابعين والاحنف بفتح الهمزة وسكون الحا المهملة معناه مايل الرجل وله كلمات مشهورة في كتب الادب وفي الحلم حكايات عجيبة وكان من العمر بن تم وصح ذلك على طريق اللغة والنشر المرتب فقال لا تفاق الاخبار الواردة المروية عن كل واحد منهم ثم ابدل من قوله عن كل واحد قوله على كرم هذا يعني حاتما وشجاعة هذا يعني عنترة وحكم هذا يعني احنف واشار بهذا القرب ذكرهم وحضورهم في الذهن وان كان كل خبر يعني احنف واشار بهذا القرب ذكرهم من اخبارهم لا الثلاثة بنفسه اي وحده لا يوجب العلم القطعي ولا يقطع بصحته لعدم تواتره بانفراده وانما التواتر انما يحصل من مجموعها كالكرم والشجاعة والعلم الحاصل الا ما جرى على يديه صلى الله عليه وسلم تواترا تواترا معنويا لا لفظيا ه حقيقيا والمعنوي هو حصول العلم القطعي من مجموع امور جزئية واخبار واردة مستقلة كما اذا اخبر واحد بان حاتما اعطاه دينارا واخر بانه اعطاه بعيرا واخر بانه وهبه غنما واخر بانه كساه واخر بانه ذبح له فرسه فعلا تفقوا بحكمهم على مطلق الاعطا والتواتر الحقيقي اخبار جماعة عن جماعة يومن تواطيهم على الكذب في خبر واحد متفق اللفظ والمعنى وكلاهما يفيد علما ضروريا عند سماعه من غير حاجة الى نظر واستدلال بشروط متعددة في الاصول خلافا لامام الحرمين والرازي فانه عندهما يفيد علما نظريا لتوقفه على مقدمات اخر ولا يشترط فيه عدد مخصوص ولا اسلام والقسم الثاني من المعجزات ما لم يبلغ تبلغ الضرورة والقطع عطف تفسيري اي لم يصل

الى مرتبته وهو على نوعين نوع مشتهر منتشر اى له شهرة وشيوع بين
الناس ويسميه المحدثون مشهورا ومستفيضا ورواه العدد الكثير وشاع
الخبر به عند المحدثين الحفاظ الذين رووه وهو لا يبلغ رتبة المتواتر المفيد
للعلم الضروري ولا النظري وذهب بعض الاصوليين الى انه يفيد
العلم القطعي وقيل انه يفيد العلم النظري والمشهور انه يفيد الظن ولابد
ان يكون شهرته عن اصل وروايته فان اشتهر لا عن اصل فهو المسمى بالمشهور
على الالسنة لم يعتد به المحدثون ما لم يعلم اصله فان علم ذلك تقوى بشهرته
في الجملة والرواة ونقلة السير جمع ناقل بفتحتين ككاتب وكتبة والسير
جمع سيرة كما مر وهي اخبار الغازي والاخبار عطف تفسير كنبع الماء من بين
الاصابع اى اصابعه صلى الله عليه وسلم وتكثير الطعام الذي رواه النفر
وغيره كحنين الجذع وكلام المصنه والذراع الذي رواه الشيخان وغيرهما
ونوع منه لم يشتهر ولم ينتشر الا ما اختص به رواية الواحد والاثنان ورواه
العدد اليسير اى القليل ولم يشتهر اشتهار غيره كالقسم الاول والنوع الاول
من القسم الثاني ويسمى عزيزا وهو لا يفيد العلم الا بقرينة كما في جمع الجوامع
وقيل لا يفيده مطلقا وقال احمد انه يفيد العلم مع عدالة الراوي وادلة
لوجوب العمل به ولزوم تعديه من تحت العمل به وله ادلة مذكورة مع الجواب عنها
في الاصول لكنه اذا جمع الى مثله من احاديث المعجزات اتفقا في المعنى من اصل
الاعجاز وثبوته كما اشار اليه بقوله على الاتيان اى اتيان النبي صلى الله عليه وسلم
بالمعجزات فذمنا من جريانها على يديه وانضمام بعضها الى بعض القوي للمرء قال
القاضي ابو الفضل المصنف رضي الله عنه وانا اقول صدعا بالحق تقديم
المسند لافادة التقوية ويجوز ارادة الحصر لانفراده بمعرفته المخصوص منه
ومجموع ما قاله وقوله صدعا اى صادعا صدعا فهو حال او مفعول لاجله
او مطلق لمعناه اذ لا قول لانه بمعناه كقوله فاصدع بما تؤمر مستعار من
صدع الزجاج ونحوه من الاجرام الصلبة لاظهار الحق والجهر به كانه يصدع
قلبه او يصدع شبهته ويبطلها او انصداع الفجر لظهوره ويقال
للفجر صديع لهذا ان كثيرا من هذه الآيات والمعجزات المأثورة عنه
اى المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم معلومة بالقطع لتواترها حقيقة
او معنى اما انشقاق القمر اى اما معجزته صلى الله عليه وسلم بانشقاق القمر
بمكة حين سأله كفار قريش آية غير ما جاء به اولا فاراهم ذلك فهي ظاهرة
باهرة فالقران نص بوقوعه اى صرح به في قوله تعالى اقتربت الساعة
وانشق القمر وقد اتى اى اقتربت وقد حضر ومن آياته اقترابها

انشقاقه ولتضمنه معنى صرح عداه بالباء والا فهو متعد بنفسه فقد نوى اثر ذلك
لفظا على القراءة المشهورة وحكيه لقد ياتي تاويله بان معناه انه سينشق اذا
قامت القيامة والتعبير عنه بالماضي لتحققه وقوعه فهو استعارة تبعية
وقرينتها اقترانها بلفظ الساعة فلا يرد عليه انه لبس معه قرينة تصححه كما توهم
الا انه لا يدفع كونه خلاف الظاهر واخبر بوجوده في هذه الاية وقراءة انشق
تؤيد التاويل فقد تعارضا ويرجح الاول انه الاصل والمتبادر منه ولا يعدل
عن ظاهر بالتنوين اى عن ظاهر القران الا بدليل قوي يقتضي العدول عنه
وتاويله بما تقدم وقولهم انه لو وقع شاهده الناس كلهم يرده انه لم يبلغهم
ولم يخف على بعض الناس وجاء برفع احتماله صحيح الاخبار اي اخبار لخلاف الظاهر
وورد في الاخبار الصحيحة ما يرفعه ويدفعه كما سياتي من طرق كثيرة يؤيد
حمل الاية على ظاهرها لا سيما وقد ورد في الصحيحين وقد قال
خاتمة الحفاظ ابن حجر انه ما روي في الصحيحين يفيد علما نظريا وانه يتواتر
وقد صرح بهذا قبله ابو اسحاق الاسفرايني والحميدي وابو الفضل ابن طاهر
فان اختلف به قرائن ورد من طرق اخر زاد قوة وبلغ العلم المستفاد منه
تقرب من القطعي ثم اشار الى انه لا يلتفت لخلاف من خالف في مثل هذه المطالب
فقال فلا يوهن بالتخفيف والتشديد اي يضعف عزمنا اي ما عزمنا
عليه وتعمدناه جزما من اثبات هذه المعجزات وحمل النصوص الواردة بها على
ظاهرها من غير تاويل خلاف اخرق بالاضافة اي مخالفة شخص احمق واهله
الذي لا يحسن العمل بيده كانه يخرق ما يريد يفعله وقال الثعالبي في فقه
اللغة في انواع الحمق اذا كان احمق ثم الله فان كان معه عدم الرفق فهو
اخرق والحاصل ان المخالف في مثله جاهل الادراك وبلا معرفة
بالاحاديث ثم وصف ذلك المخالف بقوله منحل عرى الدين فهو بالجر صفة
اخرق اى هو منحل عقدة يقلل الدين ضعيفه لعدوله عن ظواهر النصوص
وتشبثه باذيال الشبه ودعوى تقصيم الغيب ونحو الرأي المهمل عنه والعرى بضم
جمع عروة وهي ما يعقد في الحبل لتمسك منه ويقال الراغب العرا مقصورا
الناحية وسند العروة وهو ما يتمسك به قال تعالى فقد استمسك بالعروة
الوثقى وعلى طريق التمثيل انتهى فان شبه الدين بالعروة فهو من اضافة
المشبه للمشبه به كلجين الماء وان شبه بالحبل للمتوصل به لما يعلو كما في الحديث
كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض فان الحبل استعارة مكنية تخييلية
والمراد انه غير متمسك بالدين ولا يلتفت الى سخافة مبتدع الالتفات
الاعراض للنظر الى شيء ثم صار كناية عن الرعاية للطف فاحسان ومنه

قوله تعالى ولا ينظر اليهم يوم القيامة والسخافة اصلها عدم احكام النسج ثم تجوز
به عن قلة العقل فيقال هو سخيف العقل لمن عقله وفكره غير قوي والمبتدع
مرتكب البدع وهو المحدث على خلاف الشرع وقوله يلقي الشك على قلوب ضعفا
المؤمنين اشارة الى ما هو من شان اهل البدع من القايهم الشبه والمشكلات على
الضعفا العقول من المؤمنين وخصهم بذلك لان غيرهم لا تقبل مثل هذه الاراء
الواهية واما ضعيف العقل فقد ياخذ باقوال الخصم فيتبعهم ويفتتن بل يرغم
هذا الفقير انفه بردّ ما قاله ويظهر جهله وسخافة عقله حتى يفتضح ويذل ويخزى
لان اصله ان يلصق انفه بالرغام وهو التراب فيجوز به عن الاذلال
والتحقير وكنى به هنا عما ذكرناه وهذه اشارة الى ما ذكر من النقول الصحيحة
التي لا تصرف عن ظاهرها بغير دليل وينبذه بالعرا سخفه النبذ بنون وموحدة
وذال معجمة يقال نبذه ينبذه كنصره ينصره اذا طرحه والقاه والعرا بالمد
المكان الخالي الذي لا سترة فيه وبالقصر الناحية ويقال عراه اذا قصده
وسخفه قلته وبيده وينبذ سخفه بالعرا اي القاه في مكان خالي عن الناس وهو
عبارة عن ابطاله بالكلية وهذا ابلغ من عدم الالتفات الذي هو معنى الاعراض
وعدم الاعتداد بالشيء فهذا ارق لان الاول يكون مع استماعه وحضوره عنه
وهذا ابعاد له منبه بالغلاة ولا تكرار في كلامه وتفسيره باهماله فهمل لا يلتفت عرضي
اليه وحاصله ان انشقاق القمر في الاية على ظاهره لوروده في الاحاديث
الصحيحة من طرق متعددة ممن حمله على ان المراد انه سينشق اذا قامت القيامة
يوم تنشق السماء بانه ليس وان ارتضاه لانه لو وقع شاع وزاد وملا الاسماع
لانه اية عظيمة وقيل معناه ظهر الامر لان العرب تضرب المثل بالقمر لما وضح
قال الشنفرى في لامية العرب

فقد حمت الحاجات والليل مقمر • وشدت لطيات مطايا وارحل

وقيل معناه انشقاق الظلام عند طلوعه كما يقال انفلق الصبح
والشق كما قال النابغة

فلما ادبروا ولهم دوي • دعانا عند شق الصبح داعي

والداعي على هذا عدم الوقوف على ما ورد في السنة والوهم لاقوال الحكما
الذاهبين الى امتناع الخرق والالتئام في الاجرام الفلكية ونحوه من الخرافات
الفلسفية وكذلك قصة نبع الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم وتكثير
الطعام القليل ببركته ووضع يده الشريفة رواها اي القصة الثقات
من حفاظ المحدثين والعدد الكثير عن الجم الغفير تقدم معناه مفصلا واتى
ايضا مع زيادة عن العدد الكثير من الصحابة كالشيخين عن انس رضي الله عنه

والبخاري

والبخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه قيل استعمل الجم الغفير مجرورا بالحرف
والذي في كتب العربية انه لازم النصب وجوز بعضهم رفعه كما تقدم ولا وجه
له لانه من لم يقل بلزوم نصبه يجوز جره ايضا اذ لا مانع منه ومنها اي روايته قصة
تكثير الماء والطعام ما رواه الثقات عن الكافة اي ما رواه جماعة عن جماعة ويستعمل
هذه العبارة من تعريف كافة وجره ووقع في كلام كثير من العلماء والفضلاء وقد خطاهم
فيه الحريري في درة الغواص وتبعه صاحب القاموس وغيره بناء على انه يلزم تنكيرها
ونصبها وقد صرح به كثير من النحاة قال في القاموس لا يقال جا الكافة لانه لا يدخلها
ال ولا نصبا ان وهم الجوهري وقد بسطنا الكلام عليه في شرح الدرة وبينا انه
مردود رواية فانه سمع في كلام العرب فان اردت معرفة ذلك فانظره متصلا عمن
حدث بها اي بتلك القصة من جملة الصحابة فاخبارهم بفتح الهمزة
وكسرها من نوع معطوف على قوله ما رواه اذ ذاك بفتح الهمزة اي بان ذلك
ويجوز كسرها كان في موطن بمعنى فاصله محل التوطن اجتماع الكثير منهم في
يوم الخندق بالمدينة وهو بفتح الخا المعجمة وسكون النون وفتح الدال المهملة
وقاف وهو فارسي معرب كنده بمعنى الحفر والمراد الخندق وتسمى غزوة الاحزاب
لاجتماع احزاب المشركين واليهود لها حول المدينة فامر النبي صلى الله عليه وسلم
بحفر خندق حول المدينة اشار عليه به سلمان الفارسي رضي الله عنه فلم يكن
ذلك معروفا عند العرب وانما هو من مكايد الفرس وكان ذلك في شوال وقيل
في ذي القعدة سنة اربع او خمس من الهجرة النبوية وقد فصلوها في السير
وفي غزوة بواط بضم البا وفتحها وهو اسم جبل من جهينة بينه وبين المدينة
اربعة برد يقرب رضوى وهو جبل بها وهي التي ظفر فيها النبي صلى الله عليه
وسلم بعير قريش سنة اثنين ولم يكن لها حرب ايضا وبواط فيقال فيه الصرف
وعدمه والظاهر الاول واشار بالاول الى قصة جابر رضي الله لما دعا رسول
الله صلى الله عليه وسلم لعناق ذبحها مع صاع من شعير خبزه فاتاه صلى الله عليه
ومعه ناس كثير وكان دعاه وحده فاكلوا وشبعوا وفضل ذلك الطعام وكانوا
نحو الف وقصة بواط انه وضع عنده صلى الله عليه وسلم ما قليل للوضوء فقال
لجابر نادي الناس فلما اتوا وضع يده الشريفة في الما فنبع الما من بين اصابعه
حتى توضوا كلهم كما سياتي وعمرة الحديبية بالجر عطف على الخندق يعني فيها
والحديبية مصغر كذ ونصبه اسم مكان او بير فيه قريبة من مكة سميت بشجرة
حدبا فيها وهي التي وقع تحتها بيعة الرضوان وهي بتخفيف اليا الثانية على
الصحيح وشددها بعضهم واليه ذهب كثير من المحدثين وكانت في سنة
ست والاية التي كانت فيه انه صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة معتمرا فلما

وصل اليها صده المشركون عن البيت وكان بالحديبية ركوة لتوضا منها وما البير قليل جدا تزعه الناس وشكوا العطش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزع سهما من كنانته واعطاه لناجية ابن عمير فغرزه في البير فجاش ماؤها وجاءت جارية من الانصار ومعها دلوها فالقت به على ناجية وهو في القلب وقالت منشده

يا ايها المايح دلوي دونكا ٭ اني رايت الناس يحمدونكا ٭
يثنون خيرا ويمجدونكا ٭ ارجوك للخير كما ترجونكا ٭

الى اخر ما فصل في السير وسيأتي بتمامه **وغزوة تبوك** في السنة التاسعة من هجرته او التاسعة وهو اسم موضع بين الشام والمدينة غير منصرف سميته بعين ما بها امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يمسوا ماءها فسبق بهما رجلان بسهمين جعلاها فيها ليكثر ماؤها فزجرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهما ما زلتما تبوكانها اي تحفرانها ليخرج ماؤها واشار المص الى انه فيه رواها ابو هريرة رضي الله عنه وهي ان الناس اصابتهم مجاعة فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله ادع بفضل الازواد فدعى بنطع وبسطه ودعى بفضل ازوادهم فجعل الرجل يجي بكف من ذرة والاخر بكف من تمر والاخر بكف من شعير ثم قال خذوا فاخذوا في اوعيتهم حتى ما بقي في العسكر وعا الا ملوه واكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة وعقد المص رحمه الله لكلاية فصلا كما سيأتي **وامثالها من محافل المسلمين** معطوف على الضمير للغزوات المذكورة والمحافل جمع محفل من حفل القوم اذا اجتمعوا وكثروا وقيل المحفل مجمع الرجال والماتم مجمع النسا والنادي مجمع الناس في الشتا ودار الندوة والمصطبة مجمع الغزا وقيل محل اجتماعهم لامورهم والمجلس مقر الناس في بيوتهم والخان محل المسافرين والحانوت محل البيع والشرا وقد يخص بمحل بيع الخمر **ومجمع العساكر** اي محل اجتماعهم وهو المعركة والعساكر جمع عسكر وهو الجيش والجمع الكثير مطلقا من الرجال والخيل وقيل انه معرب **ولم يوثر** بالبنا للمجهول اي لم ينقل من اثره اذا نقله ومنه الاثر بمعنى الخبر وقد يخص بغير الحديث **عن احد من الصحابة مخالفة للراوي** باسم الفاعل فيما حكاه الراوي من الامور والايات المذكورة **ولا نقل عن احد انكار لما ذكر عنهم** وذكر مبني للمجهول ونايب فاعله الضمير **او انه ما رواه** اي لم ينقل انكارا انهم رادوا من النبي صلى الله عليه وسلم كما رواه منهم الاخر بل سكتوا حين سمعوا من بعض الرواة انه شاهد بعض اياته صلى الله عليه وسلم **فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق** لانه في محل اقرار **اذهم المنزهون عن السكوت على الباطل** يسمعه من غيره كالنطق ولا يصرح له بانكاره وكون السكوت كالنطق

ليس

ليس على اطلاقه كما ذكره الفقها واهل الاصول ولذا قالوا السكوت في محل الحاجة بيان المنزهون عن **والمداهنة في كذبه** فان الصحابة كلهم عدول لا يخشون في الله لومة لائم والمداهنة الملاينة والمطاوعة الا ان الفرق بينها وبين المداراة ان المداراة في الحق والمداهنة في غيره ولذا جعلت من الغش قال تعالى افبهذا الحديث انتم مدهنون وهي استعارة من الدهن للين كلام صاحبها وجانبه وهي مذمومة لانها نفاق **وليس هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم** اي الصحابة رضي الله عنهم ليسوا ممن يطمع ويرغب في دنيا غيره ولا يخافون احدا عدلهم عن الحق لصلابة دينهم فلا يداهنون لان الحامل على المداهنة هذان الامران فليس عندهم ما يمنعهم من الانكار على من كذب **ولو كان** الاحسن ان يقول فلو بالفا لترتبه على ما قبله **ما سمعوه منكرا عندهم وغير معروف لديهم** اذ لم يبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله **لانكروه** على قايله تنزها عن الاقرار على الباطل وما يخالف الظاهر واحتمال ان غيرهم سمع ما لم يسمعه وحمل قايله على الصلاح بعيد مناف هنا لان الصحابة رضي الله عنهم في العصر الاول كان عندهم حرص على معرفة احواله صلى الله عليه وسلم واقواله لتوفر على نقلها والحمل لها والمعجزات المتحدى بها لغرابتها وعظمها ليس بما يخفى مثله مع تعدد عصرهم بجوز هذا الا خبر الاحاد مقبول فتدبر **كما انكر بعضهم** اي بعض الصحابة **على بعض منهم اشيا رواها من السنن** اي سنن الانبيا عليهم الصلاة والسلام جمع سنة بمعنى طريقة والمراد الاحاديث النبوية **والسير** جمع سيرة وهي احوال الغزاة **وحروف القران** اي قراءاته المتعددة فان كل وجه من القراءة يطلق عليه حرف وبه فسر حديث انزل القران على سبعة احرف اي لغات ووجوه منقولة على المعنى المشهور من معانيه وفي السنة النبوية ان عمر رضي الله عنه انكر على هشام بن حكيم قراءة قراها في سورة الفرقان لم يسمعها فجاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال سمعت هذا يقرا بغير ما اقراتنيها فقال اقرا يا هشام فقرا فقال هكذا انزلت ثم قال اقرا يا عمر فقرا فقال له هكذا انزلت ان هذا القران انزل على سبعة احرف فاقرءوا ما تيسر منه وفيه بيان لحكمته ومما وقع بين عمر وابن عباس رضي الله عنهم في انكاره عليه ما قاله في نكاح المتعة وامثاله كثيرة في كتب الحديث **وخطا بعضهم بعضا ووهمه في ذلك** يعني ان بعض الصحابة نسب بعضهم الى الخطا والوهم اذا ذكر امرا لم يكن معروفا عندهم مما يتعلق بسنن النبي صلى الله عليه وسلم وسيره او بالقراات وغير ذلك مما يتوقف على النقل ولا يقال بالراي فانهم لا مداهنة

عندهم ولا مدار له في الحق الا ترى ان عمر رضي الله عنه مع جلالته لما قبّل الحجر الاسود قال اني اعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولكن رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك فقبلتك فسمعه علي كرم الله وجهه فقال له لا تقل كذا فان الله لما اخذ العهد على ذرية بني ادم اودع كتاب العهد فيه فنحن من قبله فمن وفى بالعهد فيشهد له الحجر بذلك يوم القيامة فقال له عمر وقال لا عدمناك يا ابا الحسن والوهم والخطا هنا بمعنى زيف وهو بالفتح من الوهن وهو الضعف في الراي مما هو معلوم بيان لذلك فهذا النوع كله من المعجزات المروية بطريق الاحاد ولم يشتهر اشتهارا يقربه من التواتر يلحق بفتح اوله وضمه بالقطعي اي يعد من قبيل المقطوع به من معجزاته كما بيناه من نقل بعض الصحابة له نقلا صحيحا وسكوت غيرهم عليه ممن بلغه فهو كالاجماع السكوتي وايضا فالذي يؤيد كونها كالقطعي فان امثال هذه الاخبار المتعلقة بالمعجزات الثابتة في عصر الصحابة لو لم تكن صحيحة وكانت من الاخبار التي لا اصل لها رواية وبنيت على باطل بان كانت كذبا محضا تبطل وتضمحل اذ لا بد مع مرور الازمان عليها في نقلها في عصر بعد عصر وتداول الناس اي تلقي الناس لها فيما بينهم عصرا بعد عصر قال الراغب يقال تداول القوم تداولها بين الناس واهل البحث اي التفتيش عنها والمراد علماء الحديث الذين يبحثون عن رواة الحديث صحة وسقما من انكشاف ضعفها اي ظهوره وخمود ذكرها بان تنسى ولا يشتهر لها ذكر لكونها لا اصل لها كما نشاهد بالمثناة التحتية او الفوقية ويجوز قراءتها بالنون اي نعرفه ونحققه في كثير من الاخبار الكاذبة التي ظهرت في بعض الازمنة ثم تبين كذبها وصارت كان لم تكن شيا مذكورا كاخبار مسيلمة الكذاب واضرابه والاراجيف الطارية اي الاكاذيب التي حدثت في بعض السنين الخالية والاراجيف جمع ارجاف بكسر الهمزة وفتحها وهو ... الذي جمع رجفة من الرجف وهو الاضطراب والتحرك بحركات متوالية ولذا سمي الكذب ارجافا لاضطراب انواجه وقال بعض الشعرا في من اصابته رعشة في يده

فما كان من رجاف ككف مشكره • فالنحو من اصابه الرجفان •

وهي هنا بمعنى الاخبار السيئة التي تشيع بين الناس ثم تنسى لظهور كذبها والطارية بالهمز والياء التحتية من طرا اذا حدث وتجدد واعلام نبينا صلى الله عليه وسلم بفتح الهمزة جمع علم بمعنى علامة او راية كبيرة والمراد معجزاته المعلومة المشهورة هذه الواردة اي المروية من طريق الاحاد بالمد اي التي رويت احادا ولم تتواتر لا تزداد مع مرور الازمان الا ظهورا

ولو

ولو كانت غير صحيحة ازدادت خفا وضعفا ومع تداول الفرق اي تلقي الناس لها فرقة بعد فرقة وهو بكسر الفا وفتح الرا جمع فرقة وكثرة طعن العدو من اعدا الدين الكفرة والطعن القدح والدخل بالمعارضة وحرصه على توهينها اي تضعيفها وفي نسخة بدخل حرصه حضه بضاد معجمة اي حثه وتحريضه وتضعيف اصلها بالانكار والعناد وادعا انها سحر وافترا واجتهاد الملحد اي بذل طاقته وقوته والملحد المائل عن الحق من الزنادقة والالحاد الميل عن الاستقامة والحق في دين الله حاد عنه وعدل عن ابن عباس في قوله تعالى ان الذين يلحدون في اياتنا هو تبديل الكلام ووضعه في غير موضعه وفي نسخة باجتهاد بدل ذلك تامن اجتهد اي اتعب بنفسه وكدها محافظة على اطفاء نورها اي ابطالها فشبه المعجزات بسراج منير ونار على علم في الظهور والتحقق على طريق الاستعارة المكنية واضاف الاطفا اليها على طريق التخييل وعدى الاجتهاد بعلى مشاكلة لما قبله او ضمنه معنى الملازمة والانكباب فهو كما قال تعالى يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ومن حكم اهل الهند ان الرجل ذو المروة والعقل ليكون خامل المنزلة غامض الامر فما تبرح به مروته وعقله حتى يستبين ويعرف كالشعلة من النار التي يحجبها صاحبها وتابى الا ارتفاعا ومنه اخذ ابن الرومي قوله

• كالذي خاطا الشهاب ليخفى • وهو ادنى له الى التضريم •

ومنه اخذ الارجاني قوله

• ما انت تكتظي من عزور • ولم اخرت شمعة •
• كلما رام منه للراس نقعا • زاد خفضا كانه راس شمعه •

واحسن من هذا كله قوله في بعض الحساد

• رام بالذل ان ينكس قدري • حاسد زادني سنا وسناء •
• قلت ان الشهاب شعلة نار • كلما نكسوه زاد ضيا •

وقوله الا قوة وقبولا معطوف على قوله الا ظهورا كما ان قوله ومع تداول الفرق معطوف على قوله مع مرور الازمان وفي نسخة الزمان وقوله بظهور حقيقة وتيقنه وهو مقابل لما في ضده من التضعيف والقبول باذعان العقول السليمة له وهو مقابل لطعن الطاعنين وانكارهم وللطاعن اي المنتقص الذي يعيبها ويسعى في ابطالها والجار والمجرور حال من المستثنى لتقدمه بعد ما كان صفة وعداه بعلى في قوله عليها لانه ضمنه معنى المتعدي عليها لانه يتعدى بفي وقوله الا حسرة وهي التاسف والتندم

على نهم فاته وايس منه وعليلا بالعين المعجمة واصله جواره وتلهف
في الجوف من شدة العطش والمراد به هنا مجازا الحقد والحسد معطوف
غليله وانه لم يشاركه في متعلقة الابتداء في فتدبر وكذلك اي كاعلامه
بفتح الهمزة فيما ذكر من الازدياد اخباره بكسر الهمزة مصدر اخبر عن الغيوب
جمع غيب وهو ما خفي علمه عن الناس كالدجال والمهدي ودابة الارض
وغير ذلك مما اخبر به بعض الصحابة رضي الله عنهم واثباره بوزنه
اخباره ومعناه مما يكون في المستقبل من اشتراط الساعة ومما يقع بين
امته عليه الصلاة والسلام من الفتن وغيرها وما كان في الماضي
كاحوال الانبيا عليهم الصلاة والسلام من الفتن وغيرها والامم
السالفة ونحوه مما لا يعلم الا بوحي او حفظ الكتب الالهية التي لم يقراها
ولم يرمن عرفها معلوما انه من اياته ومعجزاته الخارقة للعادة اما الاول
فظاهر واما الثاني فلانه عليه الصلاة والسلام امي ولم يخالط من علم
كفاكه بالعلم في الامي معجزة • في الجاهلية والتاديب في اليتم •
على الجملة بالضرورة اي معلوم بعلم ضروري مجموعه واجماله وان لم
يكن كل فرد فرد كذلك وهذا حق اي امر محقق متيقن لا غطا عليه
ظاهر منكشف من غير لبس وشبهة فيه وقد قال به اي اعتقده
وصرح به تبعا لقائله كذا اذا انطق به وذلك به اذا ذهب اليه واختاره
من ايمتنا المقتدى بهم من الاشعرية او المالكية القاضي ابو بكر الباقلاني
الاصولي المالكي لانه المراد به اذا اطلق وبه صرح صاحب المقتفي هنا قال
والمراد بقوله والاستاد ابو بكر بن فورك كما تقدم في كلام المصنف
وقيل المراد بالاول ابو بكر ابن العربي شارح الترمذي وبالثاني ابو بكر
الباقلاني او العكس والاول مالكي والثاني عده المصنف من المالكية وعده
السبكي في طبقاته من الشافعية وقال التلمساني ان المراد بالثاني ابو بكر
محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي والاستاد بضم الهمزة واخره دال معجمة
معناه الماهر وهو معرب فارسيه بالدال المهملة والمولدون يريدون
به العلو اشي وقد بسطنا الكلام عليه في كتابنا شفا العليل فيما في كلام العرب
من الدخيل وغيرهما من الايمة اي ذهب هولا كلهم الى انها معلومة بعلم
ضروري قطعي فهي متواترة بحسب المعنى وان لم تتواتر مفردا لفظا وما
عندي اوجب قول القايل وفي نسخة تاخير ما عن عندي وهي ثابتة
ومعنى عندي في اعتقادي وحكمي وهو متعلق باوجب ان هذه
القصص المشهورة من باب خبر الواحد اي من قبيل خبر الاحاد التي لا تو

العمل

العمل واوجب بمعنى اقتضى واستلزم والجا اي لم يلجيه لذلك الا قلة مطالعته
للاخبار النبوية ومطالعتها الاطلاع عليها وروايتها وشغله بضم اوله
اي اشتغاله بغير ذلك من المعارف غير الاحاديث من العربية والامور
والعلوم العقلية وفيه تادب مع العلما وعدم المجاهرة بالقدح فيهم والا اي
لو لم نقل بقلة اطلاعهم لاشتغالهم عما ذكر فمن اعتنى اي كانت له عناية واشتغال
بطرق النقل اي الامور النقلية السماعية وطالع الاحاديث والسير النبوية
بان درسها وقراها لم يرتب اي لم يحصل عنده ريبة وشك في صحة هذه القصص
المشهورة عند المحدثين والحفاظ على الوجه الذي ذكرناه من جمع طرقها وضم
بعضها لبعض حتى تقوى وتصير متواترة بحسب المعنى قيل وقوله لم يرتب
فاض برد اعتراضه على من قال انها احاد اذ لم يرد به مجموعها بل جميع افرادها
وفيه نظر ثم اشار الى دفع شبهة وهي انه لو كانت الاحاد تحصل بها التواتر بالاعتنا
بالنقول ومطالعة الاحاديث كانت متواترة معنى عند غيره فقال
ولا يبعد ان يحصل العلم بالتواتر الحقيقي عند واحد ولا يحصل عند اخر
فبالطريق الاولى التواتر المعنوي وقد قيل بمثل هذا في البسملة
وجمع به بين الخلاف بين الايمة فانه اثباتها في اوايل السور واسقاطها
قرانان متواتران من السبعة كما قاله ابن الجزري ومن تبعه وان خفي على كثير
فان اكثر الناس يعلمون بالخبر المتواتر كون بغداد موجودة وهي
المدينة المشهورة بدار السلام اما السلامة اهلها من فساد وتغير المزاج
او لان نهرها يسمى السلام وهي فارسية معربة ومعناها محل البساتين
لان باغ معناه بستان وقيل بغ اسم صنم وداد معناه العطية اي عطية
الصنم ولذا كره بعضهم تسميتها بذلك وفيها ست اهمال الدالين واعجامهما
واهمال الاول واعجام الثاني وعكسه وبغدان بالنون مع الاهمال وزاد
يعقوب ابدال البا ميما مع الدال والنون والاهمال والاعجام والاهمال
اصح وقالوا بغدين ايضا والها مدينة عظيمة ودار الامامة
والخلافة بكسر اولهما وهما بمعنى والخلافة هي الولاية العامة لانه
خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي السلطنة حتى وسميت امامة
لان الامامة والخطبة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفا الراشدين
لازمة له لا يقوم بها غيره الا بطريق النيابة عنه كالقضا والحكومة
ولذا احتاجت لتقليد السلطان ونحوه ومعنى دارها مقرها ومحلها
واول من بنى بغداد هذه ابو جعفر المنصور المعروف بالدوانيقي ثاني
خلفا بني العباس واحاد بالمد جمع واحد لا يعلمون اسم لعدم سماعه فضلا

عن وصفها من كونها دار الخلافة منتزهة عظيمة البنا وفضلا منصوب
بالمصدرية بفعله او لونه ما نجدها والكلام فيها مبسوط في العربية مشهور
ثم ذكرنا لاخر في الشرعيات فقال وهكذا اي مثل امر بغداد نعلم الفقه
من اصحاب مالك المقلدين لمذهبه فتجوز بالصحبة عما ذكر تجوزا مشهورا
بالضرورة اي بالعلم الضروري اي البديهي لا الاضطراري لتواتره عندهم
نقوله وتواتر النقل عنه كالمنقول ان مذهبه ايجاب ام القران م
اي الفاتحة وجد التسمية منها مشهور في الصلاة للمنفرد والامام دون المأموم
فان قراءة امامه قراءة له وان لم يسمعها ولا فرق بين الصلاة الجهرية وغيرها
وكذا مذهب ابي حنيفة رضي الله كما فصل كتب الفقه واجزاء النية اي
نية صوم رمضان كله في اول ليلة من رمضان عما سواه الضمير راجع
لاول فلا يحتاج في بقية الشهر الى نية اخرى اكتفاء بتلك النية والاجزاء بمعنى
الكفاية والاغناء وقيل معناه سقوط القضا ورده الاصفهاني
في شرح المحصول والفرق بينه وبين الصحة مفصل في كتب اصول الفقه
وان الشافعي رضي الله عنه يرى من الراي بمعنى المذهب تجديد
النية كل ليلة قبل الفجر فمذهبه ان النية واجبة في كل ليلة لانه دينه
وهذا معلوم بالضرورة عند الفقهاء لتواتره عند اصحابه وغيرهم لان صوم
كل يوم عبادة مستقلة فيفتقر الى نية جديدة لحديث انما الاعمال بالنيات
والمراد الاعمال الشرعية اي انما صحتها وغيره يقدر انما كمالها كما بين في محله
والاقتصار على مسح بعض الراس اي ونعلم ضرورة ان الاقتصار على مسح بعض
الراس يجزي عند الشافعي لتواتر نقل ذلك عنه خلافا لمالك فانه يجب
عنده مسح الراس كله احتياطا وان مذهبهما اي مالك والشافعي ه
القصاص اي وجوبه في القتل بالمحدد اسم مفعول مشدد الدال وهو
حديد له حد جارح كالسيف ونحوه وغيره مما لا حد له كالعصا والحجر والحجر
وايجاب النية في الوضوء فهي واجبة عندهما لانه عبادة فلا بد من النية
فيه فيكون قربة ولتتميز العبادة عن العادة باخلاص العمل بالنية
واشتراط الولي وهو من يكون له ولاية شرعية على المنكوحة كالاب والسيد
في النكاح اي في صحته وانعقاده كما فصل في كتب الفقه وان ابا حنيفة
النعمان بن ثابت الامام المشهور شهرة تغني عن ذكر ترجمته يخالفهما في
هذه المسائل فلا يوجب القصاص في غير المحدد بل الدية ولا يوجب
النية في الوضوء وخالف فيه بعض الحنفية كما في الاسرار للدبوسي ولا يشترط
في النكاح الولي كما فصلوه يعني ان مذهبه يخالف مذهبهما في هذه المسائل

فانه

فانه لم يرجعها حتى يخالفهما والفقهاء يستعملون مثل هذه العبارة كثيرا في كتبهم
فيقولون خالفه فلان في كذا فلانا ان لا تقدم عصره عليه وغيرهم اي غيره
الفقهاء واصحاب المذاهب ممن لم يشتغل بمذاهبهم اي مذاهب الفقهاء ومن
ذكر من الايمة ولا روى اقوالهم ممن تقدمهم واشتغل بكتبهم لا يعرف هذا
الامر الذي فيه الخلاف منهم من مذاهبهم واقوالهم فضلا عما سواه اي
سوى هذا من دقائق المذاهب ومسائلها العربية وعند ذكرنا اياها هذه الحروف
نزيد الكلام فيها بيانا بتفصيلها وذكر ما يتعلق بها من الفوائد ان شاء الله تعالى
ذلك فصل في اعجاز القران اي في بيان اعجازه والقران بالهمز وقد
يسهل ويبدل ووزنه فعلان على الصحيح وتقدم بيان الاعجاز وهو جعل غيره
عاجزا عن معارضته والاتيان بمثله اعلم وفقنا الله واياك
اي رزقنا التوفيق والخلة وغايته وتصديره باعلم تنبيه له على ان ما بعده ه
امر مهم يلزم علمه ان كتاب الله العزيز بفتح الهمزة وهو وما بعده ساد
مسد مفعولي اعلم والعزيز بمعنى القوي الغالب وبمعنى الذي لا نظير له
ويجوز فيه الجر والنصب على انه صفة اسم او الكتاب ولكن الاولى رفعه قطعا
والكتاب المراد به القران لغلبته فيه ولزم معناه الكلام النفسي وما
بين الدفتين وكلاهما قديم عند بعض المحققين كالشهرستاني والكلام
فيه مشهور والمراد هنا الثاني لانه هو المتصف بالاعجاز منطو اي مشتمل
ومحتو انفعال من الطي وهو محرر على وجوه من الاعجاز كثيرة اي
انواع يعرف بها اعجازه وكونه لا يقدر عليه البشر وتحصيلها اي تحصيلها
اجمالا فالمراد بالمصدر اسم المفعول مبالغة كالدرهم ضرب الامير اي مضروبه
والضمير للوجوه من جهة ضبط انواعها اي حصرها وجعلها مضبوطة
في اربعة اوجه خبر تحصيل او متعلق بقوله ضبط اولها حسن تاليفه
اي نظم كلماته وتلفظه متوافقة والتيام كلمه عطف تفسير اي كونها
متناسبة بحسب الدلالة بحسب مقتضى مقاماتها والكلم اسم جنس جمعي
كلمة ككلم وتمرة لا جمع وكذا اسم جمع على الاصح وفصاحته تقدمها على البلاغة
لتوقفها عليها بمعناها المشهور في كتب المعاني ووجوه ايجازه اي قلة
لفظه وكثرة معانيه ووجوهه معروفة في المعاني وبلاغته الخارقة
عادة العرب عادة بالنصب مفعول خارقة بمعنى خارجة عن عادتهم كما
يقال خرق الاجماع اذا خالفه وخرج عنه ثم بين ذلك فقال وذلك اي
ما ذكر من عادتهم لانهم اي العرب كانوا ارباب هذا الشان هو الامر
العظيم والمراد به البلاغة وجعلهم اربابه اي اصحابها المالكون لها الذين

وقع منه

بيدهم ازمتها وهو مبالغة في اتصافهم بالفصاحة والبلاغة **وفرسان**
الكلام جمع فارس او جمع فرس الذي هو جمعه والعرس يكون ايضا جمع فارس
بمعنى مجيئ كما في شرح شواهد الايضاح ومنه قولهم لغة العرس فشبه
الكلام الذين تمكنوا من التصرف فيه بجواد علوه وتسابقوا في ميادين
البلاغة والرهان وفازوا بقصب السبق فيه **قد خصوا من البلاغة
والحكم** اي خصهم الله من دون الناس ببلاغة كلامهم المخصوصة
بلغاتهم وبما تضمنه من الحكم اي المعاني المحكمة المتقنة وما يحث على
مكارم الاخلاق ومحاسن الصفات وفيه كلام تقدم **بما لم يخص به غيرهم**
قيل كان الظاهر ان يقول بما لم يوجد في غيرهم لكنه عبر به للتشاكل
بما قبله ولان نفي الوجود يفهم من اختصاصهم به دون غيرهم فلا يقال
انه لا يلزم من نفي الاختصاص نفي الوجود وهو المقصود وفيه بحث
من الامم اي من جميع الامم السالفة واللاحقة **واوتوا** بالبناء للمجهول اي
اعطاهم الله **من ذرابة اللسان** المراد الجارحة المعروفة والكلام نفسه
والذرابة بالذال المعجمة والراء المهملة والموحدة اصل معناها حدة السيف
والسنان ونحوه وتستعمل في ان تسقى السم والذرابة السم فاستعير لطلاقة
اللسان مع الخلو عن اللكنة قال
ارحني واسترح مني فاني • ثقيل محملي ذرب لساني •
وهذا امر محمود وقد يكون بمعنى كونه سليطا فصيحا فيكون ذما كالحدة قال
تعالى سلقوكم بالسنة حداد **ما لم يؤته انسان** اي لم يؤت غيرهم من الامم
لكنه الى بما ذكر لقصد السجع والخطابة كقوله **ومن فصل الخطاب**
اي الخطاب البين الفاصل عند المحاجة الذي لا يلبس فيه ولا خفا كما تقدم
ما يقيد الالباب جمع لب وهو العقل ويقيدها بمعنى يحيرها اذا سمعته
حتى كانها قيدت ومنعت عن الحركة لدهشتها من حسنه وبراعته
جعل الله لهم ذلك المذكور الذي خصوا به **طبعا وخلقة** مركوزة في
طبايعهم لا بتكلف وتعلم وتقليد لغيرهم **وفيهم غريزة** اي جبلة وسجية مركوزة
فيهم **وقوة** المراد بالقوة مقابل الفعل وليس بمعنى الشدة وهذا استعمال
مولد وهو قريب من الطبيعة ايضا وتكرار الالفاظ المتقاربة لا باس به
هنا لانه مقام خطابة او المراد بالقوة القدرة اي هذا امر طبعهم الله عليه
وجعل لهم زيادة قدرة فيه فلذا عقبه بقوله **ياتون به على البديهة
بالعجب** اصل معنى البديهة المفاجاة ولذا قيل لكلام من غير
انتظار فكر ونظر بديهة فيقال اجابه على البديهة وله بدايع بداية

وهذا

عرضي

وهذا معلوم في بداية العقول والحقد في بدايه حريه والعجب بمعنى الامر
الذي يعد عجيبا لحسنه وجزالة معناه فكانه لم يعهد فما قيل انه غير صحيح
هنا لا وجه له **ويدلون به** بضم المثناة التحتية وسكون الدال المهملة
وباللام من ادلى دلوه في البير اي ارسله لاخذ الماء عبر به عن مطلق التوصل كما قال
عمر رضي الله عنه لما استسقى بالعباس رضي الله عنه وقد دلونا اليك مستشفعين
اي توسلنا **الى كل سبب** اي طريق ووسيلة الى حصول مهمات امورهم كالزام
الخصوم وجلب محبة القلوب واستعطاف الملوك والروسا فاذا ذكروا هذه
الوسائل عبروا عنها بعبارات بليغة رايقة تسحر السامعين وتقود بعنان البيان
سواد القلوب والخواطر في قوله سبب هنا تورية لانه في الاصل بمعنى الحبل كما ذكره
بعد الادلا فيه لطف وقيل المراد قبلنا وسقنا من الدلو وهو السوق والوح
وقيل المراد بالسبب الطلب العالي التشبيه باسبابه السموات اي نواحيها كانه شبه
ذلك الطلب في علوه بنيله بنواحي السما والعرب كانوا يصلون اليها بذلك للطالبة
بما نالوه من القرايح الزكية ولعل المراد بالاسباب مقتضيات الاحوال وقرينة
ذلك قوله **يخطبون** الخ انتهى ولا يخفى انه لا يلايم ما نحن فيه **بديهة**
اي ينشون الخطب بمقتضى طبايعهم بديهة من غير تكلف **في المقامات**
اي محافل الناس ومجامعهم على رؤس الاشهاد بديهة من غير تفضيح جمع مقام
او مقامة يقال قام بين يدي الامير مقامة حسنة اذا تكلم بعظة ونحوها
وكانوا يخطبون قياما ولذا سميت مقامة ثم اطلقت على نفس الكلام المقول
فيها كمقامات البديع والحريري وغيرهما **في المقامات** اي الامر العظيم
الشان الذي من شانه ان تقع فيه المخاطبات والمنازعات فكان لكل قوم خطيب
يقوم بينهم يحتج على مهماتهم وقيل انه الخطر الشان عظم او صغر
وسبب الامور لا يناسب المقام والتكلم بكلام بليغ ارتجالا لا بد له من سجية وغريزة
قوية **ويرتجزون به** اي ينشدون رجزا في تلك المقامات بديهة
بعد ونه كالخطبة ولذا ذهب بعضهم الى انه لنثر بشعر **بين الطعن والضرب**
كما ينشدونه في انديتهم وهذا كقول علي رضي الله تعالى عنه لما بارزه
مرحبا بخيبر • انا الذي سمتني امي حيدره •
كالليث غابات كريه المنظره • اكيلكم بالسيف كيل السندره •
وامثاله مما لا يحصى **ويمدحون** من يستحق المدح في مقاماتهم بديهة
بابلغ الاشعار **ويقدحون** اي يذمون ويهجون يقال قدح في عرضه
اذا عابه ومن فسره بقوله اي يقدحون افكارهم فيستخرجون محز الكلام في
احسن نظام لم يصب محز الكلام **ويتوسلون** بما ذكر من بليغ الكلام نظما

ويشعرون بالكلام

ونثرا ويتوسلون عطف تفسير اي بالمذكور الى مطالبهم العالية ويرفعون
من مدحوه بمدايحهم حتى يرتقي لمرتبة لم يكن لها لشهرة مدحه فيصير نابه الذكر
بعد انه كان خاملا كما وقع للمحلق لما نزل عنده الاعشى ضيفا فنحر له وسقاه
وعنده بنات لم يرغب احد في تزوجهن فمدحه بقصيدة قافية مشهورة
فلم يمض زمن حتى خطبوا بناته ورغبوا فيهن ويضعون مقدار من ذموه
بعد ذمهم حتى يصير شديد بينهم ففيه لف ونشر فيأتون من ذاك للمذكور كله
بالسحر الحلال السحر في الاصل الفطنة قوله وكلاما دقيقا ثم انه يشبه به
الكلام البليغ الذي يلذ به النفوس وتنجذب له القلوب ومنه ان من البيان
لسحرا فهو تشبيه بليغ والسحر معناه الحقيقي معروف وهو قبيح محرم
فوصفه بالحلال بيان للمعنى المراد منه وتجريد للتشبيه والسحر حقيقي
واقع وهو بامور يعرفها اهلها ويطوقون بالتشديد من الطوق وهو ما يجعل
في العنق من ذهب ونحوه من اوصافهم البديعة وفيه استعارة مكنية وتخييلية
اي من وصفهم لغيرهم بمدحهم احلى من سمط اللآل الاجمل بعضا زين واحسن
وسمط بكسر فسكون المراد به جنسه لعمومه بالاضافة فمن قال صوابه سموطه
لم يصب وهو السلك ما دام فيه الخرز والا فهو خيط وقال البرهان السمط
الخيط ما دام فيه الخرز والا فهو سلك ونعت الاطلاق ولسبه للجوهري ه
وقال ان غيره قال ان السمط للجوهر والسلك للخرز والنظام للآلي وفيه
نظر وفضله عقد المدايح على الآلي لانه لا يفنى ولا يبقا ومه تمنى لعزته
واصل الآل اللآلي بهمزة في اخره فابدلها ياء لسكونها وقفا ثم عاملة
معاملة المعتل في الوقف فاسقطها كالقاضي فيخدعون الالباب
الخداع هو المكر واظهار امر على خلافه لمن تريد به امرا مكروها والالباب
جمع لب وهو العقل كما مر والمراد انهم يستميلون العقول حتى تنقاد لهم
ففيه استعارة مكنية وتخييلية وتقدير ذوي العقول يذهب
برونق الكلام ويذللون الصعاب اي يسهلون بعضا حتى يهتم الامور
الصعبة فان كان من الذل بالكسر والذال المعجمة من الارض الذلول وهي
التي يسهل المشي فيها ففيه استعارة تبعية وكذا ان كان من الذل
بضمها والمراد على كل انهم يجعلونها مطيعة لهم ويجوز ان يكون
مكنية وتخييلية على ان الصعاب جمع صعبة وهي الناقة التي لا تنقاد
ويذهبون الاحن بكسر الهمزة وفتح الحا المهملة جمع احنة بكسر فسكون
وهي الحقد ويمحون الدمن بضم اوله وفتح ثانيه وكسر المثناة التحتية
المشددة ويجوز كسر الهاء مع سكون اليا اي يحركونها ويظهر دينها

والدمن

تلمساني

والدمن بكسر الدال المهملة وفتح الميم والنون جمع دمنة وهي في الاصل
ما في مبارك الابل من بعرها المتلبد بما عليه من ابوالها استعير للحقد ه
المضمر المجتمع في الباطن وهي استعارة بليغة شايعة في كلامهم قال

ارعى الامانة لا اخون ولا اري ابدا ادمن عرضه الاخوان

ويكون المراد به اثار السكان في الديار والمعنى انهم يندبون الاطلال وسكانها ه
فيمحون الاشواق بذكرها وان سلم من التكرار يبعد هنا فلا يغتر بما قيل
ويجرون الجبان بالتشديد والهمز والجراة وهي الاقدام والشجاعة والجبان
ضد الشجاع اي يجعلونه شجاعا بعد جبنه ويبسطون الجعد البنان باضافة
الجعد الى البنان والبنان الاصابع وعقدها وبسط جعدها واذهابه
جعودتها وهي انقباضها والجعد الصنف الى اليد او البنان كان الذم بمعنى
البخيل اللئيم فان اطلق كان بمعنى الجواد الكريم والجعودة ضد السبوطة
وهي الانبساط والمعنى انهم بعضا حتى يصيرون البخيل كريما قال
ابو عبيدة الجعد في صفة الرجال يكون مدحا ويكون ذما فاما المدح فمعناه
شديد الخلق مدبر للامور او ان شعره جعد غير سبط لان السبوطة اكثر
في العجم وفي الذم معناه القصير او البخيل ويجبرون الناقص كاملا ه
بحثه على اكتساب الكمال حتى يصير الطبع طبعا فان كانت الطباع تتغير
بغيرها وتبدلها ويتركون النبيه الشريف المشهور خاملا اي خامل الذكر
متروكا بعد شهرته بسبب ذمهم له وتنقيصه بالهجا ونحوه ثم قسم فقال
منهم اي من العرب البدوي وهم سكان البادية النازلون في الاخبية والدال
وهو بالبا الموحدة والدال المهملة المفتوحتين الذين لا يسكنون القرى ه
والامصار ويسمى ساكنها حضرا وحاضرة لحضور بعضهم لبعض فيها
والنسبة للبدو بالسكون على خلاف القياس ويقال بداوي بفتح اوله
وكسره او هو نسبة للبدا كالغني بمعنى البادية ايضا ذو اللفظ الجزل
اي صاحب اللفظ المحكم القاطع الفاصل ويكون الجزل بمعنى الكثير ايضا
ومنه الثواب الجزيل والقول الفصل بالصاد المهملة اي الفاصل
بين الحق والباطل قال تعالى انه لقول فصل وما هو بالهزل واصل معنى ه
الحجز ومنه فصول الكتب والكلام الفخم اي الضخم المعظم لشهامتهم وعدم
مداراتهم او الممتلي المعاني الرائقة يقال وجه فخم اذا كان ذا جلال ومهابة
او هو من التفخيم ضد منه الترقيق لاعتنائهم باخراج الحروف من حاق
مخارجها والجهر لها القول والطبع الجوهري اي صنعوا على جهر الصوت
وعلوه ومنه الحروف المجهورة قال في القاموس جهر ككرم فخم والصوت

تلمساني

ارتفع وكلام جهير ومجهر وجهوري عال وفي الحديث نادى بصوت جهوري
وفي نسخة جوهري عاله وفي الحديث نادى بصوت جهوري وفي نسخة
جوهري نسبة للجوهر وهو الخالص المنقى او القدم الحري فانه كان من
الجوهر المعروف كالياقوت والزمرد ونحوه فهو استعارة للنفيس وفي القاموس
الجوهر كل حجر يستخرج منه شي ينتفع به ومن الشيء ما وضعت عليه
جبلته والجرى المقدم انتهى والواو زايدة وقيل انه بمعناه المعروف
والعرب تمدح بالجهورية للكلام وتعبر به عن النبها والحسن
كما قال الاعرابي

جهير الرؤا جهير الكلام • جهير العطاس جهير النغم •

وهذا اشبه بطريقة المصنف في فصاحته والمنزع القوي مفعل من
النزع وهو الجذب والاخذ ونزع الما من البير اخرجه ونزع القوس جذبه
وهو مصدر ميمي او اسم مكان والاول اظهر اي باتيانه بنوع من الكلام يستخرجونه
من بين انواع الكلام بطبايعهم السليمة بحيث اذا سمعه السامع شفى غليله
ومنهم الحضري نسبة الى الحضر بفتحتين مقابل البدو وهو الحاضرة
ايضا والحضارة سكنى الحضر وهي الامصار والقرى ذو البلاغة البارعة
اي الفايقة من برع اقرانه اذا فاقهم برقة طبعه وتهذيب كلامه والالفاظ
الناصعة اي الخالصة من الالفاظ الوحشية العربية السالمة من الركاكة
والكلمات الجامعة للمعاني الكثيرة في الالفاظ القليلة الموجزة والطبع
السهل اللين المنقاد بسهولة لسلامة ذوقه واستحكام كلامه الذي هو ارق
من النسيم يكاد من عذوبة الالفاظ تترد مسامع الحفاظ فيدخل الاذن
بلا اذن والتصرف في القول القليل الكلفة فيخرج من نوع لنوع من غير
تكلف لكونه سجية له والقليل صفة للتصرف او القول فلا يورد في
كلامه ما يعسر فهمه على السامع لغرابته او تعقيده الكثير الرونق
اي الحسن واللطافة من رونق السيف وهو ماؤه وحسنه كما قال البحتري

وبديع كانه الزهر الضاحك • في رونق الربيع الجديد •

• مشرق في جوانب السمع ما • تخلقه عوده على المستعيد •

الرقيق الحاشية اصل الحاشية طرف البرد والثوب ورقة حاشيته عبارة
عن رقته وحسن نسجه والكلام يشبه بالحلل والبرود والتكلم بالنسج وفي
الاساس من المجاز عيش رقيق الحواشي وكلام رقيق الحواشي وهو عبارة عن
سهولته وسلامته بان يكون لفظه رشيقا عذبا وفحا سهلا ومعناه
ظاهرا مكشوفا وقريبا معروفا وكلا البابين اي كلا القسمين من كلام

البدوي والحضري في مقامه ومحله وعند اهله فلهما في البلاغة الحجة البالغة
قيل ان في الكلام تقديرا وصله واما كلا البابين الخ كما وقعت في جواب
اما الفقدرة ولا يخفى انه ركيك ولو حذفها كان انسب ولو قيل كلا مبتدا
خبره تقديره وكلاهما مما اختصوا به او مما له شان عظيم وما بعده مبني عليه
كان احسن لان اما حذفها من غير عديل ليس سهلا والحجة البرهان والدليل
من حجه اذا خصمه والزمه والبالغة بمعنى الواصلة والانفع افراد ضمير كلا رعاية
للفظه ومعناه وان جاز تثنيته وقد جمع بينهما القايل في قوله •

• كلاهما حين جد الجري بينهما • قد اقلعا وكلا انفيهما رابي •

والقوة الدامغة اي الطالبة لغيرها من ساير اللغات واصل الدمغ الحق
الباطل اي ابطاله ودمغت فلانا قهرته والقدح الفالج بكسر القاف وسكون
الدال والحا المهملتين واحد قداح الميسر وهو سهم بغير ريش وقداح الميسر
التي كانوا يقامرون بها في الجاهلية ولها اسما مشهورة ومنها ما له نصيب زايد
ومنها ما لا نصيب له والفالج بالفا واللام والجيم بمعنى الفايز يقال فلج امره
اي فاز وسعد اي لهذه اللغة شرف وقوة عند سماعه دقيق المرام ما تنتجه
الافكار واصابة الارا وجودة الانظار وهو امر لا تعلق له بنفس الكلام
والكلام فيه والمهيع الناهج بفتح الميم وسكون الها وفتح المثناة التحتية
وهو الطريق الواسع والناهج بمعنى البين الواضح المسلوك واصله السالك
تجوز به عن المسلوك كما في قولهم عيشة راضية واراد به سنن
لغتهم وظهور دلالتها لا يشكون ان الكلام طوع مرادهم فيه كان
الاحسن الظاهر ان يقول لا يشك بالبنا للمجهول ليكون ابلغ وهذا من عدم
معرفته بمقاصده فان هذا هو المناسب لما هو بصدده فان البليغ الفايق
اذا كان هذا حاله كان له اقدام على المعارضة عند التحدي فلله دره ما ادق
نظره والمراد انهم يعلمون ما جبلوا عليه من البلاغة والقدرة على ايراد
كل كلام بليغ في مقام على ما تقتضيه حاله وسكه في قوالبه ونظره لاساليبه
المطاوعة له ومعرفته بذلك والبلاغة ملك قيادهم بكسر القاف وهو حبل
تقاد به الدابة اي والبلاغة مملوكة لهم منقادة واصله ملكهم وفي قيادهم
تجوز عنه لما ذكره لانه ابلغ ففيه استعارة في الملك والقياد وكذا فيما بعده
على حد قوله سكر الليل يعني انهم متصرفون في افانينها من غير تكلف قد حووا
فنونها اي جمعوا وحازوا انواع البلاغة واقسامها والفنون جمع فن واستنبطوا
عيونها اي استخرجوا خيارها ومحاسنها واصل معنى الاستنباط استخراج الما
من الابار والعيون النابعة فعيون هنا في موقعها وفيها تورية لايهامه لعيون الما

دبجي

والمراد خيارها لان عين كل شي خياره وليس من اطلاق اسم الجزء على الكل كما توهم
ودخلوا من كل باب من ابوابها اي سهل عليهم الوصول الى مقاصدهم باي
عبارة ارادوها كالحقيقة والمجاز والكناية وبسط الكلام في مقام والايجاز
في مقام والتصريح والاخفا وفيه استعارة مكنية وتخييلية بجعل مقاماتها
تصورا واثبات لها ابواب متعددة ولذا عقبه بقوله وعلوا صرحها وهو
البيت العالي المزخرف بناؤه والبيت المنفرد وعلوا بتخفيف اللام بمعنى
صعدوا ونحوه تشديدها لبلوغ اسبابها جمع سبب وهو كل ما يتوصل
به لشي اخر كالحبل والسلم وهو علة للعلو اي علوا قصر البلاغة ليصلوا
الى ما فيه من الاسباب الموصلة لمهماتهم ومطالبهم النفيسة كمن يدخل
قصرا ليتناول الملك فينال العند لقا الملك انعامه واحسانه وفيه ايما لقوله
تعالى يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب الاية فما قيل

اي التبري

ان الاحسن ان يقول صرح اسبابها تركه احسن منه لان معناه انهم علوا
ذروة البلاغة فوصلوا بها لكل ما ارادوه لتعبيرها بما رانهم لمقاصدهم
واللام لام العاقبة هنا وفيه استعارة مكنية تخييلية لتشبيه مرتبة
الاعجاز التي عجزوا عنها بسلم يصلوا اليها فقالوا اي تكلموا بكلامهم
البليغ في الخطير اي في الامر العظيم الذي له خطر اي شرف ومزيد على
غيره والمهين بفتح الميم اي الحقير من المهانة وهي الحقارة ويعنوا
انهم تكلموا في كل فن من فنون الكلام متصرفين في الغث بفتح العين المعجمة
وتشديد المثلثة واصله اللحم المهزول الذي يكره تناوله فاستعير
للامر القبيح والفاسد وضده السمين وفي حديث ام زرع زوجي
لحم جمل غث وفي المثل غثك خير من سمين غيرك وقد علمت
ان فقالوا قالوا في اكثر النسخ بالقاف من القول وفي بعضها فغالوا
بالغين المعجمة وفتح اللام اي زادوا والاول رواية الانطاكي
وفسره التلمساني بانشاد المدح والهجا والمدح والذم او الجد
والهزل وله وجه وتقاولوا تفاعل من القول اي اوردوا الكلام
بينهم في القل والكثر بضم اولهما واجاز البرهان كسرها اي القليل
والكثير مدحا وذما وجدا وهزلا فثل وفيه نقل ولو قال
في الكثير والنزر كان احسن واخف وانسب بقوله وساجلوا في النظم
والنثر والتساجل تفاعل من السجل بالفتح وهو الدلو الكبيرة
وسجالا المصبه ثم لما كانوا يتناولون في سقي الماء استعاروه
الساجلة للعطا وللمفاخرة كما قال

من يساجلني يساجل ماجدا • يملو الدلو الى عقد الكرب •
ونسل الحرب سجالا اي تارة يغلب وتارة يغلب كما قيل
فيوما علينا ويوما لنا • ويوما نساء ويوما نسر •
فالمراد انهم تناوبوا او تفاخروا او تعارضوا في عد الماثر كما هو
متعارف عندهم وليس المراد به المبارزة بان يدعوا احدهما الاخر للتقاتل
فيبرزوا من الصف كما قيل فانه لا يجد له هنا وهي جائزة لفعل الصحابة
رضي الله عنهم لها ومنعها بعضهم شرعا لما فيها من المخاطرة والنظم
والنثر غني عن البيان فاراعهم اي بينما هم كذلك فجاهم امر بغتة لم يكن لهم
علم به ولم يخطر ببالهم مثله في الاساس مادا عني الا بمجيئه اي ما
شعرت الا به وهو من الروع بمعنى الخوف والفزع الا رسول كريم بعث
بالنبي الطاهر صلى الله عليه وسلم بكتاب عزيز لا نظير له شريف ومنيع بحماية
الله وهو استثنا مفرغ من عام مقدر اي لم يجاهم ويفزعهم شي
سوى رسول الله صلى الله عليه وسلم جاهم من الله اتاهم بخلاف هواهم وعلى
منام اذ كانوا يتوهمون ان رتبتهم في البلاغة لا يفوقها كلام فاتاهم
بكلام اخرس شقاشقهم واصم اسماعهم والبالمصاحبة اي مؤيد بكلام معجز
لا ياتيه الباطل اي لا ياتيه باطل وامر فاسد بحسب العقل والشرع او ما يبطله
كالنسخ والطعن المقبول من بين يديه اي قدامه وفي مقابلته ولا من خلفه
اي وراء ظهره والمراد من جهة من الجهات فلا يجد سبيلا يوصله اليه وما وقع
فيه من المطاعن اضمحل وانمحق حتى صار كالعدم ولذا قال تعالى لا ريب
فيه وقال تعالى جا الحق وزهق الباطل تنزيل من حكيم محكم لمصنوعاته ونديره
لجميع مخلوقاته حميد محمود بحمده جميع الكاينات بلسان الحال والقال احكمت
اياته اي نظمت نظما محكما لا يعتريه فساد ولا خلل ومنعها الله وحفظها من التبديل
والتحريف الذي وقع في غيره من الكتب فهو من احكمت الدابة اذا وضعت
في فمها حكمة تمنعها الجماح او جعلت حكيمة لاشتمالها على امهات الحكم النظرية
والعملية من حكم بالضم اذا صار حكيما واياته القران جمع اية وهي جملة كلمات
من القران لها ابتدا ومقطع وفصلت كلماته اي فصل وبين ما فيها من
الفوائد الجليلة كالعقائد الحقة والاحكام الشريفة والمواعظ والاخبار
الصادقة او جعلت سورا او انزلت نجما نجما او فرقت بين الحق والباطل
وجمعت الوعد والوعيد وبهرت اي غلبت وادهشت بلاغته العقول
جميعها لغرابة اسلوبها وحسن بديعها الذي اعجز البلغا وظهرت فصاحته
اي اتضحت كالشمس وسط النهار او علت وارتفعت مرتبة اعجازها على

تلمساني

كل مفوه اي كل كلام نظما ونثرا وتظافر بالظا المشالة كما في اكثر النسخ تفاعل
من الظفر وهو الفوز ونيل الاماني ايجازه اي قلة الفاظه الوافية باداء المعاني
من غير خلل واعجازه اي كونه في اعلى مراتب البلاغة المعجزة للبشر والمعنى
ان الايجاز اخذ من الاعجاز ما يختص به والاعجاز استوفى من الايجاز ما يحق
له ففيه مع المبالغة استعارة مكنية وتخييلية ثم قال انه لم يجد في كتب
اللغة ما يفسره به فقد قصر وفي بعض النسخ بالضاد المعجمة اخت
الصاد المهملة بمعنى تعاونا وتقويا على منع معارضته والاتيان بمثله
من ضفر الحبل والشعر اذا اجمع بعضه على بعض ليتقوى وهو مجاز مستعمل
يقال تضافر القوم اذا اجتمعوا او تعاونوا وقيل انه بالطا المهملة
من الطفرة بمعنى الوثوب اي وثب كل منهما والمراد انهما بلغا الغاية في بابهما
والاوجه الثلاثة معانيها متقاربة فلا وجه لتصويب بعضها دون بعض
وتظاهرت حقيقته ومجازه اي عضد كل منهما الاخر وقواه لما صار الظهير
ومستند الماء بينهما من العلاقة او تشابها في الظهور لوضوح معانيه وظهور
قرائنه لا كما يكون في بعض المجازات من الخفاء والتعقيد وتبارت في الحسن
مطالعه ومقاطعه اي تشابهت وتساوت اوائله واواخره من قولهم
فلان يباري فلانا اذا فعل مثله والتباري يكون بمعنى التسابق في الجري
فالمعنى ان مطلعه وهو مبدؤه ومقطعه وهو منتهاه وغايته كفواتح السور
والايات وخواتمها جاري كل منهما الاخر وسابقه ليحوز قصب السبق من
الفصاحة وصحة المعاني وهو عبارة عن تشابههما وحوى كل البيان اي ما
ينبغي بيانه واظهاره وجوامعه اي جوامع كلمه التي جمعت المعاني الكثيرة في
الفاظ قليلة وبدائعه اي ما ابتدع فيه مما لم يسبق مثله في كتاب وكلام الله
مما لا يقبل تحريفا ولا يخشى تصحيفا وكفى بالدهر مليا وبالذوق مستملنا
واعتدل اي استقام من غير افراط ولا تفريط مع ايجازه وعدم تطويله
لفظه حسن نظمه اي تناسب كلماته لفظا ومعنى وقلما يكون ايجاز كذلك
وهذا من ادلة اعجازه وليس هذا مكررا مع قوله حوى كل البيان جوامعه
وبدائعه كما توهم وانطبق اي وافق على كثرة فوائده اي معانيه التي
تفيدها مختار لفظه اي لفظه المهذب الذي كانه انتخب ونقي وهذا من
وجوه الاعجاز ايضا لان اللفظ الذي يفيد معاني كثيرة من الفصيح يحتاج
غالبا الى ترك الفاظ غير فصيحة وهم اي فصحاء العربية من كل باد وحاضر
افسح ما كانوا في هذا الباب مجالا اي اوسع يقال فسح له مجلسه فتفسح
فيه ومنه فسحت له ان يفعل كذا اي وسعت له فهو في فسحة منه وما كانوا

ابن اقبرس

معنى

لمعنى اكوانهم فما مصدرية واضافة افعل للمصدر على التجوز كاخطب ما يكون
الامير فاعاد الحال بمحل الجولان وهو الحركة والجملة حالية من ضميرها اعم
وهجا لا تمييز عن النسبة محول عن الفاعل والمراد بالباب جنس البلاغة وجعله
بابا لوصولهم به الى مقاصدهم اي جاءهم صلى الله عليه وسلم بالكتاب المجيد
ومجالهم في غاية الاتساع وتفسير المجال بالاتساع واما كان ينبغي عنده فيه
تكلف واشهر اي اعظم شهرة وفي نسخة فاشهرهم بالاضافة لضمير الناس
في الخطابة بفتح الخا اي انشاء الكلام في المحافل وقوله رجالا تمييز كالذي قبله
واشهر معطوف على خبرهم اي ورجالهم اشهر من غيرهم في هذا والمراد
بالرجال مطلق الذكور بل الاشراف كما يقال رجالات قريش لاشرافهم وليس
هنا منافيا لقوله حضوا من البلاغة والحكم بما لم يخص به احد من الامم لان
اسم التفضيل يقتضي مشاركة غيرهم لهم فيما كان مختصا بهم لان اختصاصهم
بما ذكر على ظاهره والتفضيل مجازي بان يكون على طريق الفرض كما في حديث
ما رايت ناقصات عقل ودين اذهب للب الرجل منكن اذ الخطاب لجنس النسا
او نقول انه على حد قولهم الخل احلى من العسل اي انه في حموضته اقوى من
العسل في حلاوته ولاسم التفضيل استعمالات اخر ذكروها في المطولات
واكثر في السجع وهو الكلام المنثور الذي له فواصل مقفاة كالشعر وهو
منقول من سجع الحمام لكونه على وتيرة واحدة ولذا لا يجوز اطلاقه على القران
والشعر وهو الكلام الموزون المقفى بالقصد ارتجالا اي تكلما به من غير فكر
وروية وهو في الاصل الانتصاب والقيام على الارجل فاطلق على التكلم قائما
لانه كان عادة لهم ثم نقل لما ذكر وشاع حتى صار حقيقة فيه وفي كتاب بدائع
الهداية انه في الاصل الانتصاب لسهولة ومنه شعر مرتجل وقيل
هو من ارتجال البئر وهو ان ينزلها برجليه من غير حبل كالبديهة وهو
من بده بمعنى بداه كما قالوا مدحه ومدهه الا ان الارتجال اسرع من
البديهة وبعده التروية انتهى وفي نسخة واكثر في الشعر والسجع
سجالا والمراد بالسجال هنا التجاور واصل معناه الدلو كما تقدم وقيل
المراد به المفاخرة واوسع في الغريب المراد به ما يستغرب من الكنايات
والمجازات البديعة لتصرفهم في الكلام وقيل المراد به ما يحتاج الى
تنقير وتفتيش من كتب اللغة وهو بالنسبة الينا فاله قلت
هذا مما يخل بالفصاحة وسياق الكلام لمدحهم قلت قال ابو
هلال في كتاب الصناعتين انه ليس مخلا الا لمن كانت لغته من الاعراب
والفحج من العرب العربا فاطلاق اهل المعاني غير صحيح ولم ار من نبه عليه

تلمساني

واللغة مقالا اللغة معناها الكلام ولكل قوم لغة وتكون اسما للعلم مدونة
يبحث فيه معناها والمراد هنا الاول والمقال مصدر ميمي بمعنى القول
يعني ان لغة العرب اكثر من سائر اللغات الفاظا فعلها تكون معنى او لادلة
اسما مترادفة حتى انه يوجد في كلامهم ما لم ماية اسم فاكثر وهذا فردوه
بالتاليف وهذا كناية عن كونهم اقدر على الكلام من غيرهم فاذا عجزهم
القران نفرهم نعلم عجزه بالطريق الاولى وعطف اللغة على الغريب من
عطف العام على الخاص بلغتهم التي بها يتحاورون الجار والمجرور صفة
كتابا وحال منه والتحاور ادارة الكلام والمراجعة فيه سوالا وجوابا من الحور
وهو التردد والضمير للعرب وقيل لقريش لان القران نزل بلغتهم فان
كان ما قبله كذلك فلا اشكال في كلامه ومنازعهم بفتح الميم والنون والزاي
معجمة وعين مهملة جمع منزع بالفتح مجرور بالعطف على لغتهم من النزع وهو
كما مر الجذب والاخذ والمنزع مصدر ميمي بمعنى النزع واسم مكان ويكون
اسما للسهم الذي يرمى به يقال رماه بمنزع اي بسهم بعيد المرمى قال
فهو كالمنزع المريش من الشوحط . الت به عيبا المغالي .
قال في الاساس وقيل وهو المراد هنا المناسب لقوله التي عليها يتناضلون
بالضاد المعجمة اي يتراموا بالسهام يقال ناضلته وخرجوا يتناضلون
ويتنضلون وتنضلت من الكنانة سهما اخترته ومن المجاز ناضل عن قومه
اذا دافع وحاج والمناضلة المفاخرة نشبه الكلام الدائر بينهم في المخاصمة
والمفاخرة بالسهام واثبت له المناضلة تخييلا وقيل المنزع هنا اسم
مكان والمعنى الحصر يتغالبون في كلامهم نظما ونثرا في حال المنازعة وهي
المجاذبة في الاعيان والمعاني وهو بعيد وابعد منه ما قيل ان
المنزع ما يرجع اليه الرجل من رايه وطريقته اي انا هم الكتاب بما هو دينهم
الذي لا يتركونه فاكبوا على مدا فعته صارخا بهم في كل حين حال من الكتاب
او الرسول من الصراخ وهو الصياح والندا بصوت شديد يسمع من بعيد
اي مصرخا بدعوته في كل وقت يتلو القران عليهم ويبكتهم ويدعوهم
لمعارضته ومقرعا بضم الميم وفتح القاف وتشديد الرا المهملة اسمي
معيرا وموبخا الخصم من القرع وهو الضرب ومنه القرعة لهم بضعا
وعشرين عاما سنة وهو بكسر البا الموحدة وضاد معجمة ساكنة وعين
مهملة وهو من الثلاث الى التسع من كسور العدد ويقال بضعة ايضا
في لغة قليلة وفيه اقوال اخر في القاموس هذا اصح ويستعمل مع العشر
وما فوقها الى تسعين ولا يختص ببعض العقود وهذه المدة مدة دعوته

صلى

صلى الله عليه وسلم من بعثته الى وفاته وقد اختلف فيها مع انه بعث على راس
الاربعين وحياته بعده فقيل عشرون وقيل ثلاث وعشرون وهو الاصح
وقيل خمس وعشرون ولذا قال بضعا من غير تعيين ولذا اختاره لانه
لم يحتج الى حصر ولانها قد يعبر بها عن الشدة والحفظ واعلم
ان البضع ليس كصريح العدد في انه يذكر مع المونث ويونث مع المذكر
وما نقله في القاموس عن مبرمان يرده ما في الحديث الايمان بضعة
وسبعون شعبة فلا يرد على المصنف ان الصواب ان يقول بضعة وعشرين
كما قيل ولا حاجة للتاويل على روس الملا اجمعين الروس جمع راس
وهو العضو المعروف والشريف السيد والملا الجماعة وقد يخص بالاشراف
ويقال الكلمة على روس الناس وعلى روس الاشهاد اذا صرح بما يريده واشاعه
لان من يريد ذلك يقوم في المحافل مستعليا على روسهم اي انه صلى الله عليه
وسلم لم يزل مظهرا لدعوته مدة بعثته منذرا لهم قائما عليهم بين اظهرهم
والجار متعلق بقوله مقرعا او تنازعه مقرعا وصارخا ام يقولون افتراه
هذا حال ايضا اي قايلا وتاليا لخصم ام يقولون الخ ولم يعطفه رعاية
لنظم القران فيكون اقتباسا من مشكاة انواره والافترا كالاختلاق الكذب
والاستفهام انكاري توبيخي قل ان كان الامر كما زعمتم فاتوا بسورة
مثله في النظم والبلاغة فانه نزل بلغتكم وانتم فصحا وادعوا من استطعتم
اي من قدرتم على دعوته ليعينكم على افترا كلام يضاهيه من دون الله اي
غير الله فانه القادر على كل شي ان كنتم صادقين في قولكم انه افترا وهذا
توبيخ وتقريع بتعجيزهم عن الاتيان بمثله وليس مقابلا للتحدي الاول كما قيل
انه اتى باية اخرى في معناها فقال وان كنتم في ريب في شك وشبهة مما نزلنا
على عبدنا اي نزل منجما بحسب الوقايع فاتوا بسورة من مثله الى قوله ولن
تفعلوا وقوله من مثله صفة سورة اي بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا
ومن للتبعيض او للتبيين وزائدة عند الاخفش اي بسورة مماثلة للقران
في البلاغة وحسن النظم او لعبدنا ومن للابتدا اي بسورة كائنة ممن هو على
حاله من كونه بشرا اميا لم يقرا الكتب ولم يتعلم العلوم او صلة فاتوا والضمير
للعبد وهذه ابلغ ما قبلها للدلالة على عجزهم في المستقبل بقوله ولن
ولن تفعلوا والكلام على الايات مما كفانا المفسرون مؤنته وقل لئن اجتمعت
الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران نظما وبلاغة لا ياتون بمثله
الاية وهو جواب قسم مقدر واللام موطئة ولم يذكر الملائكة لان اتيانهم
بمثله لا ينافي اعجازه فتامل وقل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات

اي محض كذب واختلاف منكم وحصر الكذب بالذكر لقوله وذلك اي طلب الاتيان
بالمفترى تهكما وتعريضا ان المفترى اسم مفعول اسهل تلفيقا ووضع
الباطل تناولا واروج تمويها ومع ذلك لم يقدروا عليه واللفظ اذا
تبع المعنى الصحيح كان اصعب لانه يلاحظ فيه ما في الواقع ونفس الامر
ثم يوتى باللفظ على طبقه وترتيبه بحيث لا يخرج عنه والمختلق بفتح
اللام اسم مفعول بمعنى الكذب المفترى كما قال تعالى وتخلقون افكا وهو
من الخلق بمعنى التقدير لانه امر يقدر في النفس من غير نظر للواقع وقيل
انه من الخلق وهو الثوب البالي لان الحق يزيد كل يوم جدة والكذب يزداد
بلى على الاختيار اقرب المراد بالاختيار ضد الالجاء والاضطرار فان الصادق
مضطر الى اتباع الحق وقد يضيق عليه نطاق البيان بخلاف الكاذب
فانه يجد برا واسعا كما قال تعالى الم تر انهم في كل واد يهيمون وفضل
هاهنا بحث وهو ان التحدي بقوله فاتوا بسورة الخ ان كان الاتيان بما
هو واقع على وجه الحق فهو غير ممكن قطعا وان كان بالاتيان بمثله
وعلى صورته لفظا فلا يخرج عن كونه مفترى وحينئذ يستوي الامران
والذي دار في خلدي انه ذكر مفتريات لمشاكلة قوله افتراه تهكما ه
وتعريضا لا كما قاله المصنف انتهى وليس بشيء لانا نختار الثاني وبقولهم
انهم لعجزهم لا يستويان وهو في غاية الظهور فقد يرد ضمن اقرب معنى
اهون ولذا عداه بعلى كقوله وهو اهون عليه ولولا ذلك لعداه بالى
او اللام ولذا اي لكون المختلق اسهل واقرب من الحق الصحيح عبارة
فضل اي كان الادبا ومن لهم دربة في صناعة الصياغة للكلام
فلان اي ان المنشي لرسائل الملوك ونحوه ممن يقول الحكم والمواعظ من
الفصحا يكتب كما يقال له اكتب في شان امر واقع رسالة فيفتق
اكمام الكلام عن زهر المعاني الزاهية الزاهرة حتى يفوح عبيرها
في نادي النزاهة وفلان ممن ينشي المقامات يكتب كما يريد من كل
ما يحضر وعلى خاطره من غير نظر لصدقه وكذبه فاذا ضعف
عليه التعبير عن معنى عدل عنه لغيره فهو يكتب كما يريد لا كما يراد وهذا
اشارة لما حكي عن بديع انه ريب لذ رايته بين كتبة الديوان لم يقدر على كتابة
الرسايل لما اخبر الصاحب بذلك قال دعوه فانه يكتب كما يريد لا كما يراد وحكى
مثله عن الجزري ايضا وللاول الذي يكتب كما يقال له على الثاني وهو
الذي يكتب كما يريد والمراد بالكتابة هنا مطلق الكلام وان لم يكتب فضل
اي زيادة وشرف رتبة وبينهما شاو اي مسافة ومدا بعيد والشاو بفتح الشين

المعجمة

المعجمة وسكون الهمزة وقد تبدل الفا وبالواو بمعنى السبق والغاية والامد
فتجوز به عن المسافة ثم كني به عن التفاوت الزايد فلم يزل صلى الله عليه
وسلم يقرعهم اي يعيرهم ويبكتهم ويشنع عليهم لما تحداهم بالقران اشد
التقريع لانذارهم بالهلاك والعذاب الاليم ويوبخهم غاية التوبيخ هو بمعنى
ما قبله لكن المقام مقام اطناب وخطاب يحسن فيه مثله ويسفه احلامهم اي
يصفهم بالسفه وهو قلة العقل وخفته والسفه الخفة والاحلام جمع حلم
بضمتين وضم فسكون وهو العقل ويحط اعلامهم بحا مهملة مضمومة واعلام
جمع بفتحتين وهي الرايات الكبيرة والجبل والسيد والاسم المختص والكل محتمل هنا
اي ينكس راياتهم ويهضم جانبهم ويذل ساداتهم ويزري بالقابهم والمعنى
كما قاله بعضهم ويحقرهم لضعفهم واظهار ضلالهم وسوء حالهم ويشتت
نظامهم اي يفرق جمعهم ويبطل امرهم بعد الاجتماع وجلاده والنظام ما ينظم به الدر
ونحوها والتشتيت التفريق فاستعير لما ذكر ويذم الهتهم اي اصنامهم التي
عبدوها في الجاهلية واباءهم الذين اقتدوا بهم في الكفر وقالوا انا وجدنا اباءنا
على امة وانا على اثارهم مقتدون والاباء المدح اب ويستبيح ارضهم وديارهم
اي يجعلها مباحة للمسلمين باستيلائهم عليها واجلائهم عنها واموالهم
ما ملكوه من الاثاث والمواشي وغيرها وهم في كل هذا المذكور من التوبيخ ه
والتسفيه وما بعده الى استباحة الاموال والديار ناكصون يقال
نكص على عقبيه اذا احجم وتاخر فاستعير للاعراض عن معارضته فيما فعله وما
اتى به القران عن معارضته والاتيان بمثله والجملة حالية من الضمير قبله محجمون
عن مماثلته اي عن الاتيان بشي يماثل اقصر سورة منه لما تحداهم واحجم كنكص
بمعنى تاخر وهو كناية عن عدم القدرة يقال احجمته فاحجم وهو من النوادر كقولك
كببته فاكب يخادعون انفسهم اي يموهون انفسهم امانيهم الكاذبة ويا ملونهم
اماني فارغة ويمكرون مكرا يعود عليهم بالوبال لانهم بذلك خادعوا انفسهم
فهو كقوله وما يخادعون الا انفسهم وتحقيقه في الكشاف وشروحه بالتشغيب
وهو تهييج الشر والفتن من الشغب بفتح الغين المعجمة وسكونها والتكذيب
اي بادعائهم كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من الحق الذي لا مرية فيه
والاغترا هو من قولهم كذبته نفسه اذا اخيلت له اماله الاغترا على
اتباع الباطل وهو بنفسه لا وجه له والذي غره قوله والاغترا بالاغترا فلذا
في النسخ الصحيحة بغين معجمة وراء مهملة ومدة وفي بعضها الاغترا افتعال
منه وكذلك التلمساني صوابه الاغرا بغير تا وهو المولع بالحث والتحريض
قال تعالى فاغرينا بينهم العداوة اي الزمنا ها اتولك قال بعضهم اصله

من الغرا الذي يلصق به وعلى هذا فاعتراض ساقط لما في القاموس من انه
يقال اغتراه اذا الصقه والمصنف اجل من ان يوهم في اللغة فانه قدوة
فيها ولا حاجة الى انه لمشاكلة الافترا الكذب كما تقدم وصيغة الافتعال
تفيد مبالغة ليست في المجرد كما قرره في قوله لها ما كسبت وعليها
ما اكتسبت **وقولهم** بالجر معطوف على التكذيب **ان هذا الا سحر
يؤثر** اي ينقل ويروى عن السحرة كاهل بابل وغيرهم وسبب نزول هذه الاية
ان الوليد لما سمع منه صلى الله عليه وسلم حم السجدة **قال** سمعت
من محمد كلاما ليس بكلام الانس ولا الجن وانه ليعلو ولا يعلى فقيل قد صبا
الوليد فقال ابن اخيه ابو جهل لعمه الله انا اكفيكموه فجلس عنده حزينا
وكلمه بكلام احماه فقال لهم تزعمون ان محمدا مجنون فهل رايتموه يخنق
وتزعمون انه كاهن فهل رايتموه يتكهن وانه شاعر فهل رايتموه **قال**
شعرا قالوا لا فقال ما هو الا ساحر اما رايتموه يفرق بين المرء واهله
وولده ففرحوا به وتفرقوا وبيان ذلك كله مبسوطا **واعلم** ان
السحر كما نقله الاكفاني في ارشاده قد صنفت فيه كتب كثيرة اكبرها غاية
الحكيم للمجريطي وهو حقيقي وغير حقيقي يقال له الاخذ بالعيون والى
القسمين الاشارة بقوله سحروا اعين **وقوله** واسترهبوهم وجاءوا
بسحر عظيم ولما خفيت اسبابه اختلفت طرقه فطريقة الهند تصفية
النفس وتجريدها لانهم راوه انفعالا يصدر عن النفس وطريق النبط عمل اشيا
مناسبة للغرض المطلوب مضافة لرقية وعزيمة ودخنة في **وقت**
مناسب وتلك الاشيا تماثيل ونقوش وعقد ينفثون فيها وكتابة
تدفن او تعلق في الهوا او تحرق والعزايم تضرع للكواكب المؤثرة
عندهم وطريق اليونان تسخير روحانية الافلاك **والكواكب**
دون اجرامها في وقت خاص وطريق القبط والعبرانيين **والعرب**
الاعتماد على اسما وعزايم مجهولة لانهم يخاطبون بها حاضر الاعتقاد
انها تصدر عن الجن بتسخير للملائكة لها والواقعة ثلاثة الاستخدام
والاستنزال والاستحضار ويكون نقطة بتوسط الروح ببدن منفعل
ينطق بلسانه كصبي وامراة حال غيبته عن الحس ويختص باسم
الاستحضار فان كان منا ما اختص باسم الجلبان انتهى ملخصا **وسحر
مستمر** اي دايم باق لما راوه من تتابع الوحي غضا طريا او محكم متقن
واصله من مر الحبل وهو فتل مرايره وهي طاقاته او ذاهب غير قار
من المرور او مستبشع من المذاقة **وافك افتراه** اي كذب اخترعه واختلقه ٢

والافك اسوا الكذب **واساطير الاولين** اي شي اخذه مما سطره الاولون
وزخرفوه وهو جمع سطر اي صف من الكتابة على خلاف القياس **وقال**
المبرد انه جمع اسطورة كارجوحة واراجيح على القياس او له مفرد مقدر
كاسطارة واسطيره **وقال** هذا هو النضر بن الحارث بن كلدة
وفيه نزلت الاية وقتل يوم بدر **والمباهتة** بالجر عطفا على التكذيب
وهي بمعنى البهتان وهو الكذب الذي يبهت ويدهش سامعه وكذا
قوله **والرضا بالدنية** بالهمزة ويبدل فيدغم ومعناه الخصلة الحقيرة
الخسيسة المنحطة التي لا يرضى بها من له عقل ومروة وفسرها بقوله
لقولهم قلوبنا غلف لان ظاهره الوصف بالحماقة وعدم الفهم وهو
امر مذموم لا يرتضيه العقل وهو جمع اغلف اي في غلاف يقال سيف
اغلف فهي بمعنى في اكنة جمع كنان بزنة كتاب غلفا ومغطاة
وغلام اغلف بمعنى اقلف والغلفة القلفة **وقيل** انه جمع غلاف واصله
غلف بضم اللام ككتب وبه قرئ ثم خفف بالسكون اي هي اوعية للعلم مملوة
به فلا نحتاج للتعلم منك وعلى الاول معناه لا نفهم ما تقول ولا يصل الينا
وهذا هو الملايم لكلام المصنف ولقوله **وفي اكنة مما تدعونا اليه**
وهو القران والايمان **وفي اذاننا وقر** اي صمم واصل معناه الثقل والحمل
ومن بيننا وبينك حجاب اي مانع عن وصول ما تقوله لنا وفي من اشارة
الى انه مبتدا او انه استوعب المسافة المتوسطة بينهما بحيث لم يبق
فراغ وهو تمثيل لنبو قلوبهم عن ادراكها ما دعاه له ومجاسمعهم
له وامتناع مواصلتهم وموافقتهم **وقال** الذين كفروا **لا تسمعوا
لهذا القران** اي لا تصغوا وتنصتوا له **والغوا فيه** بفتح الغين المعجمة
وضمها من لغي يلغى ولغا يلغو والاول **اصح** وهو القروية والمراد هنا
رفع الاصوات باي كلام كان حتى يشوش على قاريه فينقطع قراته او يمنع
من استماعه واللغو ما لا يعتد به وهو من اللغا وهي اصوات الطيور
يقال لغي لغوا ولغا وقد يسمى كل كلام قبيح لغوا **قال** تعالى لا يسمعون
فيها لغوا اي قبيحا كما قاله الراغب وانما فعلوا هذا لعجزهم عن معارضته
لعلكم تغلبون قاريه بقطع قراته فتغلبونهم اما هي بالجهر والسب كما هو شان
العاجز المعاند ومثله دنية لا يرضى **والادعا** مجرور كالذي قبله
مع العجز بقولهم لو نشا لقلنا مثل هذا وهذه وقاحة لفرط عنادهم
ومكابرة ولو استطاعوه ما منعهم ان يشاوا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز
عشرين سنة ثم قاتلهم بالسيوف فلم يقدروا مع استنكافهم من ان يغلبوا

خصوصا في الفصاحة دنايل هذا هو النضر بن الحارث لكنه اسنده الى الجميع م
كاسناد نعل الرجيل الى الموسين اذ على حد قولهم بنو فلان قتلوا قتيلا
والقاتل واحد منهم وقد قال لهم الله تعالى مكذبا لهم ولن تفعلوا
ففي قدرتهم في المستقبل فلو قدروا او لحميتهم فعلوا فلم يقل فلن تأتوا
بسورة من مثله لما لابد من الكناية والايجاز فما فعلوا او لا قدروا نفي الفعل
ظاهر والقدرة في الانسان قوة غير محسوسة فيقيمها بعلم من الخصم
وعجزوا وعبروا انهم ينطقوا ببنت شفة مع شدة غيرتهم واشتعال نار
حميتهم ومن تعاطى ذلك اي فعله وتكلم بما توهمه معارضة واصل
معناه المناولة من سخفائهم من الطيش وقلة عقل كمسيلمة
تصغير مسلمة بلام مكسورة وميمه مضمومة والعامة تفتح لامه
وهو خطا منهم والضمير للعرب وهو كذاب يضرب به المثل يقال اكذب
من مسيلمة وهو ابن حبيب اليمامي من بني حنيفة قبيلة وهذا لقبه
واسمه هارون ويقال له ابو ثمامة وكان وفد على النبي صلى الله عليه
وسلم ولم يسلم حتى قاتله خالد بن الوليد في خلافة ابي بكر رضي الله عنه
وقيل قتله وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه وكان له خيل ونيرنجات يوهم انها معجزات وارسل للنبي صلى الله عليه وسلم مكتوبا صورته
من مسيلمة رسول الله سلام عليك اما بعد فاني قد اشتركت معك بانه
لنا نصف الارض ولقريش نصفها ولكن قريشا يعتدون علينا فاجابه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب اليه من محمد رسول الله الى مسيلمة
الكذاب سلام على من اتبع الهدى اما بعد فان الارض لله يورثها من يشا
من عباده والعاقبة للمتقين انتهى ومن هذيانه الذي زعم انه وحي نزل
عليه والزارعات زرعا والحاصدات حصدا والطاحنات طحنا والخابزات
خبزا والثاردات ثردا ضفدع بنت ضفدعين الى كم تنقين لا الماء تكدرين
ولا الشراب تمنعين الى غير ذلك مما تمجه الاسماع وتستقبحه الطبايع
فكشف عواره في نسخة بدون فاو اثباتها احسن اي اظهر بافاته
من الكلام السخيف الركيك عيبه وحماقته وهو بضم العين المهملة
بزنة غراب على الافصح واخره راء مهملة وبفتح العين ايضا وتسكل
ابضا الافصح لجميعهم اي العرب ممن سمعه وقد نقل صاحب الدلايل
منه كلاما كثيرا وشرحه ولا حاجة لتسويد وجه الصحف به والعوار
ماخوذ من عور العين وفيه اشارة الى ما نقل من انه مسح عين من استشفى
بمسحه فابيضت عينه وسلبهم الله اي اخذ منهم والضمير لمن وجمع

نظر المعناه ما اكفره اي اعتادوه بطباعهم من فصيح كلامهم بيانه لما اي لما عوضي
ارادوا المعارضة لم يقدروا على كلام مثل كلامهم قبله ولبس هذا قولا بالصرفة
كما توهم لانه من فعل هذا الشيء لا صرفه وهذه الجملة معطوفة على جملة ما فعلوا
ولثبوت الواو للمعية والاحالية كما قيل والا اي وان لم يسلبهم الله
فصاحتهم المألوفة فلم يخف على اهل المميز بفتح الميم وسكون التحتية والزاي
المعجمة اي التمييز العقل وهذا الفاني بجواب لانه ماض لفظا ومعنى او هو
بتقدير المبتدا اي فهم لم يخف الخ ووجهه دفع توهم كون الاستثنائية
فانه نبغ ما قيل ان الصواب اسقاطها لصحة مباشرته للشرط يقال
مازه يميزه اذا ميزه اي لو نظر تلك الجمل وما زها ظهر انه كلام ما ارافه وماذا هي
انه ليس من نمط بفتحتين ونون وميم وطا مهملة اي من نوع الفصاحة وفي عوضي
طريقتها التي اعتادها فانه معجز خارق عن طوق البشر وضمير انه للقران يقال
عندي متاع من هذا النمط وهذا ابلغ من ليس فصيحا لانه نفي عنه كونه من جنس
فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم لو كانت وفيا حته بل ولوا عنه مدبرين امنراب
عن مثله ومدبرين اي معرضين حال مؤكدة لولوا المعنى رجعوا اعرضوا واتوا
مذعنين بذال معجمة وعين مهملة اي منقادين مسلمين والاذعان الانقياد
واما اطلاقه على العلم في قولهم اذعان النسبة لتصديق فمولد ليس من كلامهم من
بين مهتد اي مصدق بحقيقته واعجازه هداه الله له وبين مفتون متحير
في امره منكر لاعجازه وفيه لف ونشر مشوش ولهذا اي لكونه ليس من نمط
كلامهم لما سمع الوليد بن المغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يامر
بالعدل والاحسان الاية سأله ان يقرا عليه شيئا من القران لينظر في
امره فقرا هذه عليه دون غيرها لمناسبتها له لانه من افادته رحمه عظة
له وتنبيه وهو من رؤسا عقلائهم فرجا بذلك ان يهديه الله للاسلام قال
السيوطي هذا الحديث رواه البيهقي عن عكرمة مرسلا وفي المقتفى في الاحيا
في اداب تلاوة القران حديث ان خالد بن عقبة جاء الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال اقرا علي فقرا عليه ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى الاية
فقال له اعد فاعاد فقال ان له لحلاوة الى اخر ما ذكره المصنف هنا وكذا ذكره ابن عبد
البر في الاستيعاب بغير اسناد ورواه البيهقي في الشعب من حديث ابن
عباس بسند جيد الا انه قال ان الوليد ابن المغيرة بدل خالد بن عقبة
كما قاله المصنف وكذا ذكره ابن اسحاق في سيرته فان صح فهما قضيتان والوليد
والد خالد والمغيرة بضم الميم وكسر الغين المعجمة هو ابن عبد الله المخزومي
وباقي نسبه معروف مات كافرا وترجمته معروفة قال لما سمع ما تلاه

عليه النبي صلى الله عليه وسلم والله ان له اي لما تلا لحلاوة اي عذوبة وفصاحة عند من له ذوق فهو استعارة لما يستلذه السمع وان عليه لطلاوة بضم الطا ويجوز فتحها لغة ومثلثة وبكسرها ايضا فهو مثلث ومعناها الحسن والقبول والرونق وجا بمعنى السحر ايضا وهو استعارة كالذي قبله واكده بالقسم وان والاسمية وتقدم الخبر للحصر اشارة الى انه لا يشبه غيره من الكلام وان اسفله لمغدق بلام التوكيد وضم الميم وسكون الغين المعجمة وكسر الدال المهملة كما في النسخ كلها من الغدق بفتحتين وهو كثرة الما ورواه ابن اسحاق وان اصله لغدق وان فرعه لجناه والغدق فيه بفتح العين المهملة وسكون الذال المعجمة هو النخلة التي اصلها ثابت ورواه ابن هشام لغدق بفتح المعجمة وكسر المهملة من الغدق بفتحتين قال السهيلي ورواية ابن اسحاق افصح لانها استعارة تامة فيها اجزا الكلام نسبة اولها فالجناه بفتح الجيم والنون الثمرة وان اعلاه لمثمر اي له ثمر طيب كثير والجملة الثانية بتمامها استعارة تمثيلية والمراد انه كلام اصله قوي لفيض بن حلبس كلام البشر ومعانيه مفيدة مرشدة لسعادة الدارين وحسن العاقبة وهو كقوله تعالى ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السما او استعارتان تمثيليتان واراد باسفله ما تضمنه في المعاني كما يقال تحت هذا الكلام معان عزيزة واراد باعلاه ما ينتجه من الفوايد والعوايد التي تظهر من فهم معانيه وتيقنها فشبه الكلام لفصاحته وبلاغته بشجرة ثبتت عروقها في ماء عزيز فاهتزت وربت وانبعت ثمرا نضا وكثيرة وتعددت وجوه الا يكون مكنية وتخييلية تدفع اختلاف الروايات يدل على تعدد القصة ثم بنى على هذا قوله ما هذا بقول بشر لانه لا يشبه كلامهم بوجه من الوجوه وفي نسخة ما يقول هذا بشر بصيغة المضارع اي ليس من كلام البشر لحلاوة نظمه وبديع اسلوبه وبلاغة معانيه وجزالة مبانيه يعني انه ليس مفترى مختلقا وحصى البشر لانهم المعروفون بالبلاغة والا فهو معجز للجن ايضا مع ان في هذا الخبر التصريح بذلك حيث قال وليس بشعر فما فيكم رجل اعلم بالشعر مني ولا اعلم برجزه ولا بقصيده مني ولا باشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا وانه ليعلو وما يعلى وانه ليحطم ما تحته كما رواه البيهقي في الدلايل ثم انه روى العزاري ان الفاري على الوليد عثمان بن مظعون لا النبي صلى الله عليه وسلم كما رواه المصنف فان عثمان رضي الله عنه قال

ما اسلمت ابتدا الا حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلت ان الله يامر الاية وانا عنده فاستقر الايمان في قلبي فقراتها على الوليد بن المغيرة فقال يا ابن اخي اعد فاعاد الحديث وهذا يويد ما سبق من تعدد القضية وحكى ابو عبيد القاسم بن سلام بتشديد اللام الامام في الفقه والحديث واللغة البغدادي الحبر الهمام الجليل اخذ عن الشافعي وغيره وكان عبدا روميا لرجل من هراة واخبار الدور ترجمته معروفة توفي في سنة اربع او ثلاث وعشرين وماية ان اعرابيا سمع رجلا يقرا فاصدع بما تومر واعرض عن المشركين اي اجهر بما امرت بتبليغه ولا تبال بما يقولون وما موصولة او مصدرية واصل معنى الصدع التفريق والتمييز فاستعير لما ذكر لتفريقه بين الحق والباطل وقيل بل انه لا يجوز ان يكون مصدرية لانه بمعنى امرك وهو مصدر مبني للمفعول والصحيح عدم جوازه ولا موصولة لانه يحتاج لتقدير العايد اي تومر به ولا يجوز الا اذا جر بما جر به الموصول واتحدا متعلقا والاول متعلق باصدع والثاني بتومر فهو من تامله والا سبقه اليه بعض المعربين لان الخلاف في المصدرية الصريح لا في ان والفعل كما في هذه الاية ولانه انما حذف العايد بعد حذف الجار وبصده فسجد الاعرابي لما دهشه بلاغته وقال سجدت لفصاحته اذ ليست هذه اية سجدة وانما هزه العجب لفصاحته حتى ذل ووضع وجهه في التراب وكان هذا معروفا في مثله حتى قال بعضهم للشعر سجدت ولئن المعنى سجدت لله لاجل فصاحته كما توهم وضمير فصاحته للكلام المتلو لا للقاريه كما توهم لانه يناسب المقام وسمع اعرابي اخر رجلا يقرا فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا اي لما يئسوا من يوسف عليه الصلاة والسلام وزيدت السين والتا للمبالغة في الياس خلصوا بعضا اعتزلوا وانفردوا نجيا يعني متناجين في تدبير امره وهو يطلق على الواحد المذكر وغيره فقال اشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام لاعجاز بلاغته وخروجها عن طوق البشر فانكر اذا ادرك فوتك لما لم يطعمهم يوسف عليه الصلاة والسلام ولم يجبهم ذهبوا وتشاوروا فيما يقولون بعد هذا وكيف يرجعون لابيهم لهذا النظم عرفته بالذوق انه لا مناسبة بينهما ولولا خوف السامة فصلنا وجوه البلاغة فيها وحكي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان نايما بالمسجد اي مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة والظاهر ان مراده بقوله نايما مضطجعا لينام فانه يستعمل كثيرا بهذا المعنى لقوله واذا على راسه قايم اي في جانبه وراسه رجل منتصب القامة وليس المراد انه وا على راسه وهو حقيقة عرفية في مثله والجملة حالية والضمير لعمر رضي

الله عنه وفي نسخة فاذا هو تعايم على راسه فاذا تجابته فالبا للملابسة يتشهد شهادة الحق اي يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاستخبره اي طلب عمر رضي الله عنه الاخبار عن سبب تشهده وعن حاله فاعلمه ذلك الرجل المتشهد انه من بطارقة الروم بطارقة جمع بطريق بكسر الباء معرب بترك ومعناه الرئيس وقائد الجيش وقد تكلمت به قديما قال الجواليقي في كتاب المعرب البطريق بلغة الروم هو القايد للجيش وجمعه بطارقة وقد تكلموا به ولما سمعت العرب بان البطارقة اهل رياسة وصفوا الرئيس به يريدون المدح قال ابو دؤيب هم رجعوا بالعرج

هم رجعوا بالعرج والقوم شهد ● هوازن وتحدوها حماة بطارق ●

انتهى وهذا يقتضي ان بطريق هو المعرب وهو المعروف وقال ابن خالويه في كتابه ليس البطرك معرب بطريق عربية العرب قديما قال تعلوا لطوا اهرنودي التلال لم بطرك قد تمشي في غبط كتابه وهذا ما يتعجب منه لجوره والروم جيل من الناس معروفون سموا باسم جدهم روم ابن عيصو بن اسحاق وكان اصعر فلذا قيل لهم بنو الاصفر والواحد رومي ● وقول الجوهري راى غلط منه ممن يحسن كلام العرب وغيرها من العبرانية والسريانية والرومية وانما قال هذا التوطئة لانه يفهم القران والانجيل ويقدر على النظر في معانيهما ولذا قال وانه سمع رجلا من اسارى المسلمين بضم الهمزة وفتحها جمع اسير واصله من الاسر وهو الشد بالقيد ثم عم لكل من اسر وصار في يد عدوه يقرا اية من كتابكم ايضا المسلمون يعني القران فتاملتها اي نظرت بفكري في معناها فاذا قد جمع فيها ما انزل الله على عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام في الانجيل من احوال الدنيا والاخرة بيان لما اي من الاحوال التي تلزم العبد في الدنيا التي هي سببه للفوز والنجاح في الاخرة وهي اي الاية التي سمع قوله عز وجل ومن يطع الله ورسوله في امره مما فرض وسن ونهيه عن غيره ويخش الله ● ويتقه اي يخافه ويتجنبه ما يستوجب عقوبته اولئك هم الفائزون بسعادة الدارين وقوله بالبنا للمجهول ويجوز بناؤه للفاعل ويفرد بالافراد فاعله ضمير رجل وقيل انه روبه يقرؤنه بضمير الجمع ● للاسارى وهو يحتاج للتكلف وحكى الاصمعي بفتح الهمزة ساكنة وميم مفتوحة وعين مهملة وهو عبد الملك بن قريب بالتصغير ابن اصمع وهو لقب جده ومعناه صغير الاذن وهو امام اللغة والنحو والادب والنوادر ولد بالبصرة سنة ثلاث وعشرين ومائة وتوفي بها سنة عشر

ومائتين

ومائتين انه سمع جارية اي امراة شابة من العرب تتكلم بكلام فصيح فقال لها ● قاتلك الله ما افصحك تعجب من فصاحة لسانها وبالغ في تعجبه فانها يقال لمن اتى بامر بديع غريب وهي في الاصل جملة دعائية يراد بها شدة الاستحسان كانه ممن ينبغي ان يحسد ويدعى عليه فقالت او يعد بفتح الهمزة الاستفهامية والواو العاطفة والهمزة تقدمت من تاخير او داخلة على مقدر معطوف عليه ويعد بالبنا للتحتية مجهول او الفوقية معلوم هذا الكلام فصاحة اي فصيحا بعد قول الله اي مع فصاحة القران لا يقال لكلام غيره انه فصيح لمن سمعه فانه ازرى به لان فصاحته تصيرها كالعدم كالمتاع النفيس اذا شرحت ما هو اعظم نفاسة منه فانه يجد غير نفيس كما قيل

● ولا يفتح فيها عيران جمالها ● يصير كل الغانيات فتاحا ●

واوحينا الى ام موسى اي الهمناها وارينا ها مناما ان ارضعيه فاذا خفت عليه اي فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فجمع في اية واحدة بين امرين ارضعيه فالقيه ونهيين لا تخافي ولا تحزني وخبرين اوحينا وخفت عليه وبشارتين رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين والمراد بالفصاحة هنا البلاغة فانها تطلق عليها كما ذكره الشيخ عبد القاهر فصل اي الجمع بين ما ذكر في اية واحدة نوع من اعجازه اي القران منفرد بذاته اي مستقل بنفسه غير محتاج لغيره غير مضاف لغيره اي تابع لنوع غيره من البلاغة على التحقيق لان التوابع عند من عرفه والصحيح من القولين بالجر معطوف على التحقيق والظاهران من مراده بالقولين هنا ما قاله بعضهم القول بان اعجاز القران هل هو بمجموع بلاغته واسلوب نظمه او هو يتحقق بكل واحد منهما على حدته وانفراده بدون اضافة احدهما الى الاخر فان كلا منهما خارق للعادة خارج عن طوق البشر وهذا هو المتبادر من سياقه ودنيل المراد بالقولين القول بان اعجازه ببلاغته التي لا يرتقي احد الى مرتبتها والقول بانه معجز بغير ذلك كالصرفة والاخبار بالمغيبات ولا شك في ان من يقول باعجازه لبلاغته واسلوبه يقول ايضا انه بالنظر لمعناه ايضا اذ لا يمكن قطع النظر عنه كما قال العلامة الزركشي في برهانه اذ قال اكثر المحققين على ان الاعجاز من جهة البلاغة لكن يحتاج الى تفصيله فان اجناس الكلام مختلفة ومراتب البيان متفاوتة فمنها البليغ الرصين الجزل والفصيح الغريب السهل والجائز الطلق الرسل فهذه اقسام الكلام المحمود فالاول اعلاها والثاني اوسطها والثالث ادناها وقد حازت

تلمساني

بلاغة القران من كل شعبه فانتظم له عظم جمع الفخامة والعذوبة وهما كالمتضادين
لان العذوبة نتاج السهولة والمتانة والجزالة تعالجان الوعورة فكان
اجتماعهما فضيلة خص بها القران ليكون اية بينة وانما تعذرت على
البشر لان علمهم لا يحيط بجميع اللغة العربية وظروف معانيها والفاظها
لا تدرك جميع معانيها ووجوه نظمها فيتخيرون احسنها حتى يأتوا بمثله
وانما يقوم الكلام بلفظ حامل ومعنى عليه قايم ورباط له ناظم فاذا
تاملت القران وجدته استوفى ذلك كله ورقى لاعلى درجاته وهذا
لا يتيسر لغير العليم القدير فلما صار معجز الانه جا باحسن الالفاظ وابدع
النظم والتاليف واصح المعاني من الدعا للتوحيد وطاعة الرب المجيد
والتحليل والتحريم والعظة والتقويم والارشاد الى محاسن الاخلاق
والزجر عن مساويها واضعا كل شي في موضعه بحيث لا ترى محلا اولى من كل
موضع فيه مثلا اخبار القرون الماضية منبئا بالحوادث المستقبلة
ازمانها جامعا للحجج والمحتج له المؤكدة للزوم ما دعى له ولا شك ان
استيفا هذه الامور منسقا احسن نسق لا يمكن لغيره عز وجل **وكون القران**
من النبي صلى الله عليه وسلم بكسر القاف وفتح البا الموحدة واللام اي من
عنده قال تعالى فما للذين كفروا قبلك مهطعين ولسنعا والعقوة والقدرة
على المقابلة اي المجازاة فيقال لا قبل لي بكذا ومنه قوله بجنود لا قبل
لهم بها والمراد كونه بلغه بقوله **وانه اتى به** عطف تفسير ليس المراد انه
كلامه صلى الله عليه وسلم **معلوم ضرورة** لتواتر وتوفر الدواعي على نقله
وكذا **عجز العرب عن الاتيان به** اي بمثله **معلوم ضرورة** لمشاهدتهم
له وكذا **كونه** صلى الله عليه وسلم **متحديا** اي طالبا منهم الاتيان بمثله
معلوم ضرورة لسماعهم له وكذا **كونه في فصاحته** في سببيه
مستعارة استعارة تبعية بتشبيه السبب بالظرف المتمكن فيه **خارقا للعادة**
اي مخالفا لعادة فصحا العرب في كلامهم الفصيح من قولهم خرق الصف اذا تجاوزه
وتعداه **معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة** اي انواعها
ومقاماتها المقتضية لها لعجزهم عن معارضته وقد طلب منهم ذلك مرارا لا
تحصى وهم احرص الناس على ذلك **وسبيل من ليس من اهلها** اي طريق من ليس
من اهل الفصاحة الجبلية الموصلة لمعرفة اعجازه كالمولدين والعجم **علم ذلك**
اي الاعجاز واسم الاشارة قايم مقام الضمير **بعجز المنكرين من اهلها** لاعجازه
وانه ليس من كلام البشر اذا تحدوا **عن معارضته** والاتيان بمثله
وعن متعلق بعجز **واعترافهم** هو في الاصل افتعال من المعرفة صار بمعنى الاقرار

بما عرفوه فقوله **المعترين** بانه كلام الله المعجز من اقامة الظاهر مقام الضمير
باعجاز بلاغته لهم وغيرهم عن الاتيان بمثله شفقة الامر غلبت عليه الشقوة
وتعلق هذا باكثر بصدده اظهر من الشمس وانكاره مكابرة وقوله سبيل مبتدا
وعلم بزنة مسكن خبره مصدره على تعلم وان المبتدا معرفة باضافته لمن الموصولة
والخبر باضافته لاسم الاشارة ولارباب الحواشي هنا خبط بتعجب منه فمنهم
من قال على مجرور بدلا من من الموصولة ولكن مفعوله ومعجز الخ خبره اي سبيل
علم من ليس اهلا لكنه ايه كونه خارقا للعادة هو بعجز الخ واعجب منه قوله
ان علم بفتح العين وسكون اللام بمعنى علامة من علمت شعته اذا شققته
فهو اعلم وبعجز متعلق بمقدر وتفسير علم فعلا ماضي مبني للمجهول او للمعلوم
وهو تخليط لا داعي له ثم ذكر ايات استوضح بها ما قدمه فقال **وانه**
اذا تاملته اي امعنت النظر وتفقهته كمن ينظر ما الله فيه امل وانت فاعل
فعل مقدر يفسره ما بعده على حد قوله اذا السما انشقت ان منعنا دخولها
على الجملة الاسمية **قوله تعالى ولكم في القصاص حياة** وما اودع فيه من البدايع
الروايع مع لطايف الايجاز وانواع الاعجاز الساطعة من شكا ته ورسوخ عرقه
في الفصاحة وحلاوة ثمرة بلاغته في الذوق وما اشتمل عليه من بديع البديع
كالاعراب بجعل القتل الذي هو ضد الحياة ظرفا لها لان من علم انه اذا قتل
اقتص منه كف عنه فكان سببا لحياة من يهم بقتله وهو اوجز مما عدوه من
افصح كلامهم وهو قولهم القتل انفى للقتل مع ما فيه من التكرار والقتل مطلقا
لا ينفيه بخلاف القصاص بتصريح بالمعنى المراد اذ القتل قد يكون ظلما وغير
ذلك وفوايده كثيرة في شروح الكشاف والمفتاح والثمرة تدل على ثمرة الشجرة ولا اتو
العبرة تدل على سوء الادب **وقوله ولو ترى اذ فزعوا** من حلول الاجل
او من بعثهم من القبور او في يوم بدر فلا فوت **واخذوا من مكان قريب** اي من ظهر
الارض الى بطنها او من الموقف الى النار او من صحرا بدر الى قليبها ففي هذه الاية
من الايجاز والبلاغة وعذوبة الالفاظ ما يعرفه من له بصيرة **وقوله**
ادفع بالتي هي احسن اي ادفع سيئة من اسا اليك بالحسنة التي هي احسن من
كل شي حسن او باحسن ما يمكن دفعه ولا حاجة الى القول بان احسن بمعنى حسن
وعدل عنه للمبالغة فانظر ما في هذه الاية من الايجاز بحذف مفعول احسن
وهو السيئة لانه لا يدفع الحسن ولطف المعنى وما تضمنه من المبالغة ومكارم
الاخلاق وهذا القول احسن الى من اسا اليك المسيء فعله وفي طيه كالتنبيه
مكنة سيئة واما دعوى المناسبة للمقام بما فيها من دفع الصايل وتكلفه
المناسبة بينها وبين قوله **وقوله وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سما اقلعي** فبعيده

بمراحل وتخلف من غير طائل وفي هذه الاية من البلاغة المعجزة مع الايجاز
انه ناداهما كما ينادي العقلا وامرهما بما يؤمرون به تمثيلا لباهر قدرته وعظمته
لانقيادهما لما اراد كالمامور المطيع المبادر للامتثال لحذره من سطوة امره
والبلع استعارة للجفاف والاقلاع الامساك وفيها لطائف اخر مفصلة
في شرح المفتاح الاية وتمامها وغيض الما وقضي الامر واستوت على الجودي
وقيل بعدا للقوم الظالمين وقوله فكلا ممن ذكر قبله من المكذبين
اخذنا بذنبه اي عاقبناه به فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا اي ريحا عاصفة
فيها حصبا وهي الحجارة الصغيرة او ملكا رماهم بها وهم قوم لوط عليه
الصلاة والسلام الاية وتمامها ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا
به الارض ومنهم من اغرقنا والاول قوم ثمود ومدين والثاني قارون والثالث
قوم نوح وفرعون وفي الاية من وجوه البلاغة الاجمال والتفصيل وحسن
الشكل والنظم والاعلام باحوال من مضى للاعتبار والايجاز والانسجام الرائق
واشباهها اي ما يشبهها مما ذكر في البلاغة ووجوه الاعجاز من الاي اسم
جنس جمعي ككلم وكلمة او اسم جمع وهو المنصوب معطوف على مفعوله ه
تاملته ثم اضرب بيانا انه لا ينحصر في ايات مخصوصة مشيرا الى وجوه من
الاعجاز فيها فقال بل اكثر القران وجوب اذ قوله حققت تماما بينته لكنه
اتفاقا من ايجاز الفاظها وكثرة معانيها مع لطائف ودقائق ولطائف
ديباجة عبارتها فقيل معنى الديباج نوع من الحرير يرلد وبريقال
فلان لبس الديباج وركب الهملاج وقيل انه معرب فاصله ديباز بزيد
فيه الجيم كما يقال في تولون وهو من الامعاقو لنحو ثم استعير فقالوا ديبج المطر
الارض اذا زينها بالنبات والرياض وفلان يعدوه ديباجتاه اي حذاه وقرنه
صدره يبتذلها ومنه اخذ ديباجة الكتاب والقصيدة لاولها والحواميم
ديباج القران اي رياضه التي يرتع فيها القارئ فالمراد حسن عبارته
ففيه استعارة مكنية وتخييلية شبهت العبارة بحيث ثبت له
الديباج بمعنى الرياض والنبات ثم كني به عما ذكر وحسن تاليف حروفها
حيث كانت سالمة من التنافر والثقل وحسن تلاوم كلماتها بالهمزة وتبدل
بانتقاد تلاوم وملايمة اي مناسبتها وموافقتها وانما بدا بها وهو خطاء
رسم الهمزة بالواو لان الملاومة مفاعلة من اللوم فقراه بعض المحدثين
لم يبالوا وهي يعني للمرضي تعقيد ولا ضعف تاليف وتنافر كلمات ذات
تحت كل لفظة منها جملا كثيرة اي معاني كثيرة وفوائد عزيزة وجعل
ما يدل عليه تحته تجوزا وفصولا جمة اي انواعا كثيرا من محاسن الكلام

كما

كما يقال جعل الكلام فصلا فصلا او الجم الكثير وغاير بينهما تفننا كقوله وعلوما
زواخر بزاي وخا معجمتين ثم را مهملة اي علوما كثيرة كالبحار الزواخر
من زخر البحر اذا كثر ماؤه وارتفعت امواجه ففيه مكنية وتخييلية ويجوز
ان يكون تشبيها بليغا واستعارة مصرحة وترشيحا واخر ممنوع الصرف وما في
بعض النسخ من تنوينه للمناسبة لا وجه له ملئت الدواوين اي امتلات
كتب التفسير وغيره من الفنون من بعض ما استفيد بالبنا للمجهول
اي اخذه كل باحث عنه بحسب فهمه واذا املاها بعضه فكله لا يمكن حصره
ولا يعبر كتاب كما قال تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر
قبل ان تنفد كلمات ربي ودواوين جمع ديوان وهو الكتاب وقد تقدم الكلام
عليه وكثرة المقالات اي كلام الائمة والمصنفين في المستنبطات
عنها اي في المعاني والاحكام المستخرجة بطريق الاشارة والدلالات الالتزامية منه
وهو من قولهم استنبط الما من البير اذا استخرجه فما استفيد هو ما دل عليه
صريحا وما استنبط غيره ثم هو اي الغرا وعطفه بثم للتراخي رتبة عما قبله
في سرد القصص الطوال اي ذكرها في اثنائه مستعار من سرد الدرع لنسجه
واخبار القرون السوالف معطوف على القصص جمع قصة والمراد بالقرون السوالف
الامم المتقدمة على عصر النبوة من سلف بمعنى تقدم والقرن مدة من الزمان
تختلف فيها والمراد اهله التي يضعف في عادة الفصحا عندها الكلام
صفة للقصص والاخبار اي انها لطولها اذا اريد ذكرها بتمامها يصعب على
الفصيح حكايتها وتضعف نطقه عن ادائها واجالها لمن لا يعلمها لا تنعقد
فايدة بعقدها وليس المراد انه واقع في الخارج بعجز الفصيح عنه
مطابقة حكايته له ويذهب ما البيان اي رونقه وحسنه لانه لطوله قد
لا تتناسب كلماته ويختل نظامه ويحكم ارتباطه والبيان ايضاح المعاني وهو
معطوف على يضعف الصلة فيه عايد مقدر كالذي قبله اية لمتامله اي
علامة بينة لمن تامل نظمه وسرده القصص والاخبار ورواية خبر المبتدا ه
الذي هو او مبتدا مؤخر والجار والمجرور خبر مقدم والجملة خبر هو والرابط
الالف واللام القائمة مقام الضمير اي هو في سرد قصصه ابلغ تامله
حق التامل وقوله من ربط الكلام صفة لاية ومن بيانية او هو متعلق بمقدر
اي نظهر كونه اية دالة على اعجازه من ارتباط الكلام بعضه ببعض بالجر بدل من
الكلام اي من كون اجزايه في غاية التناسب حتى كان كل كلمة مرتبطة باختها
والتيام سرده بالهمزة والياء اي مناسبة كلماته المسرودة اي المتتابعة كحلق
الدرع الداخل بعضها في بعض مع فصاحتها وحسن تاليفها وتناصف وجوهه

المراد بالوجوه انواع بلاغته من الاستعارة والكناية وتناصف تقابل على من النصفة
والانصاف تقابل اعضاؤه تتناصف حسنا اي لا ينقص حسن بعضها عن
بعض وهو من بليغ الكلام الذي لا يعرفه الا من ذاق حلاوة العربية كما اشار
اليه المبرد رحمه الله تعالى في الكامل قال الشاعر

لما عزمت الى تناصف وجهها ٭ عرض المحب الى الحبيب الاول ٭

وامثل معنى الانصاف المواساة ونحوها كانك تعطيه نصفا وتاخذ نصفا
ومن ظن عدم تغاير هذه المعاني فقدرهم كقصة يوسف عليه الصلاة
والسلام على طولها قصها الله تعالى على اعجب ترتيب وابدع تهذيب بحيث
لم ينضب ما بيانها ولم ينحل عقد نظامها مرتبطة الصوادر بالاعجاز على اصبح
وجه واوضح نهج ثم اذا ترددت اي اذا كررت تضعف المذكورة في القران من
قولهم فلان يتردد على فلان اذا كان يكثر الاتيان اليه كقول بعضهم

انه كنت لم اكثر زيارة حيكم ٭ نجيتكم بغير تردد ٭

اي ما كرر من قصص القران ليس تكرارا مخلا اذ تزداد قد اختلفت
العبارات عنها تذكرت في كل مكان لمعنى ضربت له مثلا غير المكان الاخر
وحكيته بعبارات مختلفة النظم والالفاظ وان كان المعنى واحدا على كثرة
ترددها وتكرارها والجار والمجرور متعلق بضمير عنها وهذا امر عظيم
تدبره تاملها وحكى عن ابن عباد رحمه الله انه ماتت له طفلة شديد حزنه عليها فتعدد
لما صلوا على جنازته في محفل عظيم قام الناس لتعزيته فلم يعد عبارة المعزي
لما مع كثرتهم وكونه في حالة حزن والم حتى تعجب الحاضرون من بلاغته حتى
يكاد كل واحدة من القصص المكررة تنسى في البيان صاحبتها بحيث ان سامعها
كانه انما سمعها الان ولم يبق لها ذكر قبل ذلك لان العبارة غير الاولى ٭
والبيانات ومناسبة المقام تفيد نوا بداخر يتجدد لمن سمعها حظا عظيما
وعبر بكاد لانها لا تنسى حقيقة وتتناصف في الحسن اي حسن العبارة
المغايرة لما تقدمها وجه مقابلتها لتفادتها باعتبار المقامات المحكية
فيها كقصة ادم وحوار موسى عليه الصلاة والسلام مع بني اسرائيل ولا تنفر
النفوس من ترديدها وتكريرها هذا اشارة الى الجواب عما
قاله بعض الطاعنين في القران بان فيه مكررات كثيرة وهو مما ينفر منه
الطبع السليم ولا معاداة لمعادها اي لا تعادي الطباع المكرر المعاد
في القران من قصصه كما قال الشاعر ٭ طبع النفوس معاداة المعادات ٭
وفيه تلميح لما ذكر وتجنيس لطيف فصل الوجه الثاني من وجوه
اعجاز القران من اعجازه صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب

٧٦

اشار بالاسلوب والصورة الى مغايرته للوجه الاول فانه باعتبار ما دونه وتباين
كلماته واتحاد عباراته ومخالفته معانيه وهذا باعتبار نظمه وطريقه
الوارد فيها فانه مع حلاوة فصاحته التي تدخل الاذن بلا اذن وتستدعي
الاصغاء لتنادي الرغبة فيه لا يشبه الشعر ولا الخطب ولا غيره مما كانت
عادتهم في محاوراتهم تزيين الاسماع بزوائد عوائده ولهذا اضحك ما قيل
انه بحسب المعنى راجع للاول لان حسن تاليفه والتيام كلمه راجع ٭
لصورة نظمه فانه تنزل المخالف لاساليب كلام العرب
ميزة عنه قلت لا لان تنزل الخارق للعادة بمعناه انتهى والاساليب جمع ٭
اسلوب وهو الفن والنوع من انواع الكلام يعني انه على اسلوب لا يشبه
اسلوب كلامهم وفي كلامه اشارة الى ان الاعجاز ليس بمدار على الالفاظ
ولذا عبر بالنظم دون اللفظ قال عبد القاهر النظم توخي المعاني
على حسب الاغراض التي صنع لها الكلام لا تنوا لها في النطق وضم بعضها
لبعض كيف ما اتفق ومناهج نظمها ونثرها مجرور معطوف على اساليب
اي مخالف لمناهجها جمع منهج وهو الطريق اي لا يشبه كلامهم المنظوم
وهو الشعر ولا المنثور من الخطب وغيرها الذي جا عليه صفة نظمه اي
النظم الذي جا من عند الله واردا على اسلوبه العجيب الذي لا يشبه كلام
البشر ووقفت مقاطع اية جمع اية مضاف لضمير القران وفي نسخة اياته
والمقاطع جمع مقطع وهو اخر الكلام الذي يقف عليه القارئ وقفا تاما
او كافيا واسناد الوقف اليها مجازي والواقف انما هو القارئ وهو بمعنى
انتهت ووصلت ولذا عداه بالى وهو معطوف على الصلة وانتهت
فواصل كلماته اليه وفي بعض النسخ وقفت مقاطع ايه عليه والفوا
جمع فاصلة وهي الكلمة الاخيرة من الفقرة ونحوها والضمير للموصول
تتقدم بمضان اي الى اخره قالوا الايقال في القران انه سجع وانما يقال
فواصل لقوله فصلت اياته ولم يوجد اي لم يسمع كلام بليغ قبله
ولا بعده نظير له يماثله في بلاغته وعلوه بيانه وغرابة اسلوبه
ولا استطاع ولا قدر احد مما ثلة شي منه بان ياتي بكلام يشبهه
في الجزالة والبلاغة بل حارت فيه عقولهم لو نعوا في الحيرة فالعناد
منعهم من الاعتراف وظهور اعجازه بكذبهم في قولهم انه مفترى او سحر
او نحوه مما لا يقبله الطبع وتدلهت دونه احلامهم بفتح الدال
المهملة واللام المشددة والها اي دهشت وتحيرت في شانه فهو قريب
مما قبله وفي نسخة تولهت بواو بدل الدال من الوله وهو الحيرة ايضا

والاحسن ان يفسروا لتدلهم بذهاب العقل من الهوى فيكون ترقى من
حيرته الى ذهابه ودونه بمعنى ما لم تبلغ منزلته كما فى قوله لا تتخذوا
بطانة من دونكم والاحلام جمع حلم وهو بمعنى العقل وله معان اخر يعنى
الا عقول لهم لم تصل اليه اذ تحيرت فيما هو اقل منه فكيف به ولم تهتد الى
مثله اي لم يسمعوا به من فصحائهم ولم يقدروا على الاتيان بشيء مما تماثله
او يقرب منه في جنس كلامهم الذي يقدرون عليه وتفي به قواهم البشرية
من نثر كالخطب والرسايل او نظم من القصايد والنتف او سجع وهو
الكلام المقفى غير المنظوم وهو يطلق بمجموع هذا او على الكلمات الاخيرة
من الفقر ويطلق على الاتيان به وبنفس التوافق الواقع فيه او رجز وهو
نوع من الشعر معروف وافرده الذكر مع دخوله في النظم لانه خالفه
في عدم التزامهم رويا واحدا فيه فعد نوعا مستقلا من الكلام افرد باسم
يخصه ولم يعده بعضهم من الشعر حتى سمي قايله راجزا لا شاعرا او شعر
لو لم يذكره كان احسن لانه مكرر مع النظم ولما سمع كلامه صلى الله عليه
وسلم الوليد بن المغيرة تقدم ضبطه ابو خالد بن الوليد وكان من صناديد
قريش وعقلايهم وفصحايهم الا انه لم يهده الله للاسلام فمات كافرا كما مر
واسم ولده خالد رضي الله عنه سيف الله وقرا عليه القران اي اسمع
الوليد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض القران رجا اسلامه رق
قلبه ومال طبعه الى الاعتراف به والاسلام واصل الرقة الغلظة نتجوز به
عن الملاينة والميل كما قال ابو سعيد المغربي

تدطال شوقي الى ثغور ... ملأى من الشهد والرحيق
عنها اخذته الذي تراه ... يجذب من شعره الرقيق

فجاه ابو جهل لعنه الله لما بلغه ميله الى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليصده عنه وكان ابن اخيه واسمه عمرو بن هشام منكرا عليه ميله لسماعه
واستحسانه لما قراه صلى الله عليه وسلم وهو حال من فاعل جا فقال
اي الوليد رادا لانكار ابي جهل عليه والله ما منكم يا معشر قريش احد
اعلم بالاشعار مني انكارا لقولهم انه شاعر والله ما يشبه الذي يقوله
محمد صلى الله عليه وسلم من القران شيا من هذا الشعر الذي ينشد
واشار اليه بالقريب لشهرته وحضوره في الذهن كالمشاهد المحسوس
وفي خبره الاخر اي في خبر اخر عن الوليد رواه البيهقي عن ابن عباس
رضي الله عنهما حين جمع الوليد قريشا يعني اشرافهم ورؤساهم عند
حضور الموسم مفعل من الوسم وهو العلامة والمراد موسم الحجاج وهو زمان

اجتماعهم لانه معالم كانوا يجتمعون فيها بمكة وحضوره مجيئه فانه ادعى اهله
فلما كان يجتمع به جميع قبايل العرب من كل فج خشي ان يسمعوا بامر النبي صلى الله
عليه وسلم فيتبعوه فجمعهم ليبيتوا امرهم ويروا رايا فيما يصد الناس عنه صلى الله
عليه وسلم كما اشار الى بيان ذلك بقوله وقال ان وفود العرب جمع وفد
وهم الجماعة الذين يقدمون من بلادهم الى مكة من غير اهلها واصل معنى
الوفد الاشراف ترد اي تقدم من غير البلاد واصل الورود الذهاب للماء
فاجمعوا فيه اي في النبي صلى الله عليه وسلم وامره اي دبروا وتداركوا رايا اي امرا
تعتقدون له فايدة وتتبعه واجمعوا بقطع الهمزة من الاجماع يقال اجمعت
كذا واجمعت على كذا واكثر ما يقال فيما يكون جمعا يتوصل اليه بالفكر نحو فاجمعوا
امركم وشركاكم ويقال اجمع المسلمون على كذا اذا اجتمعت اراؤهم عليه
ويجوز ان يكون همزته همزة وصل ايضا لانه يقال جمع له رايا ايضا وبه فسر
قوله تعالى ان الناس قد جمعوا لكم اي جمعوا اراءهم وتدبيرهم كما قاله الراغب
ولا عبرة بانكار الحريري في الدرة لصحته كما بيناه في شرحها لا يكذب بعضكم
بعضا اي اتفقوا على امر قبل قدومهم حتى لا يحصل افتراق كلمة واختلاف في شانه
فقالوا نقول هو كاهن وهو الذي يخبر عن المغيبات ويدعي معرفة الاسرار
وكانوا في العرب كثيرا كشق وسطيح وكان لهم كلام مسجع منصنع فمنهم من
له جني يخبره ويلقي اليه الاخبار ومنهم من يدعي معرفة ذلك باسباب
وامور ياخذها من كلام السايل وفعله وحاله ويقال له عراف واكثرها
امور ظنية تصيب احيانا فقال الوليد لهم والله ما هو بكاهن
انه حاله لا يشبه حال الكهان وكلامه لا يشبه كلامهم المسجع الذي كانوا يلفقونه
ويتمقونه وفيه اكاذيب باطلة فلبس هذا هنا ابا تقبلوا ولا يروج عند العقلا ما هو
بزمزمته ولا سجعه الضمير للنبي صلى الله عليه وسلم والضمير للملابسة اي
ليس معروفا بزمزمته او للكلام المفهوم من السياق اي وما كلامه مشتبها بزمزمته
والزمزمة صوت خفي لا تكاد تفهم وكان للكهان زمزمة بها يحضرون بها الجن
وزمزمة المجوس قراتهم وكلام الكهان كان مسجعا ولذا كره النبي صلى الله عليه وسلم
قول القايل في الجنين كيف يدي من لا اكل ولا شرب ولا استهل ومثل ذلك
بطل وقال هذا من اخوان الكهان وهذا لا يدل على كراهة السجع مطلقا
فانه في كلامه صلى الله عليه وسلم به احيانا فانه لم يرض الوليد هذا الراي فيه
صلى الله عليه وسلم قالوا نقول هو مجنون اي رجل اختلط عقله فاختل
كلامه وفعله وذلك باصابة الجن له وهو المعروف عندهم وقد يكون بغلبة
خلط سوداوي على الدماغ وادراكه وهو المعروف عند الاطباء داخله

من جنه واجنه اذا ستره لاستتار عقله ومنه الجنان والجنين قال
الوليد ردا عليهم هذا ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته
اي لا يشبه حاله حال المجانين والخنق بفتح الخاء المعجمة وسكون النون
مصدر وهو الاختناق والمجنون يقال له مخنوق بكسر النون وفتحها والوسوسة ٢
بفتح الواو مصدر وهي شيء يلقى في القلب او في السمع بصوت خفي وتحريك
المرء به نفسه ولذا سمي حديث النفس قالوا فنقول شاعر قال
اي الوليد ما هو بشاعر اذ ليس كلامه يشبه الشعر لا وزنا ولا معنى اذ
الشعر مدح وهجو وتشبيب وليس فيما سمعوه منه صلى الله عليه وسلم شيء من
ذلك قد عرفت الشعر كله بانواعه واوزانه ومعانيه ثم فصل بعضها منه
بقوله رجزه هو نوع من الشعر معروف مسمى بالرجز ويقال للقصيدة منه
ارجوزة وجمعها اراجيز وسمي رجزا لاضطرابه في وزنه باختلاف اوزانه واختلاف
قوافيه وهزجه بفتحتين ومعجمتين وهو اسم لبحر من بحور الشعر معروف
وبه فسر هنا ولكن الذي قالوه ان اسماء البحور منقولات اصطلاحية
نقلها الخليل بن احمد رحمه الله فهي منقولة من الهزج لنوع مضطرب
من الاغاني ولو قيل انه اسم لضرب من الشعر كانت العرب تتغنى به كان اقرب
والنسبة بقوله وقريضه لانه ليس اسم بحر من بحور العروض لانه في اللغة
بمعنى الشعر مطلقا من قرضه بمعنى قطعه فعيل بمعنى مفعول لان الشاعر
يقطع نوعا مخصوصا من الكلام لعروض لوزنا الظاهر ان المراد به ما يقابل القصائد
وهي المقطوعات وقرض الشعر ملكة يقتدر بها على نظمه وفي العرف معرفة
محاسن الشعر وقبيحه ومبسوطه اي مطولاته تقابله مطلقا المقابلة
لما قبلها ولا يجمع انواعه من الطويل والبسيط وغيره فمن فسره
ببحر البسيط وقال زيادة الميم فيه لمشاكلة قوله ومقبوضه فقد
تكلف ما لا دليل عليه وكان المراد بمقبوضه مختصرا وانه المسمى في العروض
بالمجزو والمنهوك وليس المراد مصطلح العروضيين وهو المحذوف ثاني السبب
الخفيف الذي هو خامس كمفاعيل الذي حذفت ياؤه فصار مفاعلن لان هذا
اصطلاح احدثه المولدون لا تعرفه العرب فذ بها قوله رجزه وما عطف
عليه منصوب ملكا من الشعر لانه كلام لا بد فيه توكيد لا يصح البدل منه
لا انه لا يصح مفعولا كما توهم قالوا فنقول هو ساحر قال ما هو بساحر اي النبي
انكره لما يعلمه من ان الساحر هو الذي يستعين على ما ياتي به من خارق العادة
بامر علوي او بعزائم يسخر لها الجن او طلسمات يستمزج بها السفلي بالعلوي
والناس جميعهم يعلمون انه صلى الله عليه وسلم ليس كذلك ولذا قال ولا نفثه

ولا عقده بفتح العين المهملة وسكون القاف او بضم ففتح جمع عقده والنفث
النفخ مع ريق والعقد عقد حبال او شعر مضفور ونحوه كما يعرفه السحرة مما
يزاولونه آخارقة للعادة في الخارج عنه وكنى به عن انه ليس عمل مما تعمله السحرة
فقد ربي صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم ولم يرا احد منه ذلك فلما احتطاهم
الوليد في وصفهم له صلى الله عليه وسلم به وبين لهم ان تدبيرهم الباطل
لا يروج على عاقل كما قيل

يا سطوة الله حل عقد ما ربطوا ۞ وشتت شمل اقوام بنا اختلطوا
الله اكبر سيف الله قاطعهم ۞ وكلما تد علوا في ذمهم هبطوا

قالوا فما نقول بالنون او بالمثناة الفوقية اي نحن او انت يا وليد وما
رايك قال ما انتم بقائلين من هذا اي من مثل هذه الآراء شيئا في حقه
الا خانا اعرف انه باطل ليس بمقبول عندي ولا عند العقلاء الذين يعرفونه
وتقديم الضمير لتقوية الحكم لانه تقدم المنفي فيه الكلام اذ للحصر لتسفيه
اعتقاد بعض جهلتهم فيه والجملة حالية مستثناة بجواز اقترانها بالواو
وعدمه وان اقرب القول في حقه وانه كان الكل مفترى انه ساحر بفتح
الهمزة وكسرها كما في كل ما وقع بعد افعل تفضيل مضاف للقول على انه
المصدر خبران او الجملة المحكية ولا يحتاج لرابط لانها عين المبتدا هنا
وهذا رجل عنا وختم الله على قلبه وسمعه وجعلت عنا كب الضلالة
على بصره ثم بين وجه اقربيته بحسب النظرة الحمقي بقوله فانه سحر اي كان
كالسحر ووجه المشابهة انه يفرق بين المرء وابنه بالباء الموحدة والنون او
الياء المثناة التحتية ومعناهما ظاهر والمرء واخيه وفي نسخة بين المرء
وابيه واخيه والمرء وزوجه اي امراته وفيه لغتان هذه وزوجته
بالتاء التانيث والمرء وعشيرته اي اتباعه الادنون المعاشرين له وقد كان
ذلك فان من ذاق حلاوة الاسلام ترك ما عداه لاجله صلى الله عليه وسلم
كما كان مشاهدا في الصحابة رضي الله عنهم ومنهم من ترك ملكه كثيرا بن
النجاشي كما في سيرة ابن هشام والتوفيق بين هذا وبين ما حكاه الزمخشري
عن الوليد هذا من انه قال لهم ما هو الا ساحر اما رايتموه يفرق بين المرء
وما حكاه عنه في قوله ان هو الا سحر يؤثر كما تقدم انه اراد ما هنا من
انه كالساحر فيما ذكر لكنه سافر في تعرض الجزم ليروج عندهم او انه قال
مرة ثم راجع عقله فرجع عنه وهو الاوفق بما في الآية وبمناسبة ما ذكر لما
هو بصدده في غاية الظهور فالقول بان الانسب انه يذكر ما حكي عنه من
انه قال لبني مخزوم والله لقد سمعت محمدا يقول انفا كلاما ما هو ان كلام

حلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو ولا يعلى
كما تقدم لا نجد له فتفرقوا من المجلس الذي جمعهم للمشاورة فيه وجلسوا على
السبل بضمتين جمع سبيل وهو الطريق بمجرى الوافدين بما قالوه حتى ٥
لا يتبعوه في بحث رواة الناس منه حتى لا يبعد قومه فيقولون لكل من راوه
محمد شانه كذا وكذا فاحذروه لا يفتنكم عن دينكم والجملة الاولى معطوفة
او حالية بتقدير قد وكذا الثانية من ضمير تفرقوا وهما حالان متداخلتان فقالوا
ذلك لكل من قدم للحج ففشا امره صلى الله عليه وسلم في قبائل العرب وخشي ابو
طالب من ذلك ومن تجييش النبي صلى الله عليه وسلم لالهتهم وسبها ان يقع منهم
ما يحرضهم على ضرره فقال قصيدته اللامية الطويلة المشهورة يمدحه
صلى الله عليه وسلم فيها فقوله
لعمري لقد كلفت وجدا باحمد . واحببته دأب المحب المواصل .
الخ ولولا خوف الاطالة لاوردتها لما فيها من مدحه صلى الله عليه وسلم
وبيان حقيقته وتقييده بحمية ما انزل الله في الوليد وقصته المذكورة التي
هي سبب النزول وهذا من اقامة الظاهر مقام الضمير للتسجيل عليه بذم
الله له ذرني ومن خلقت وحيدا الايات اي دعني معه فانا اكفيكه
من كيدا عدا بوقا الدكا كان وحيدا منفردا من اهله وعشيرته لنركحم لدار
لا نظير له وتمام النظم وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت
له تمهيدا ثم يطمع ان ازيد كلا انه كان لاياتنا عنيدا ساره هقه صعودا
انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم ادبر
واستكبر فقال ان هذا الا سحر يوثر والكلام على هذه الايات مفصل
في التفسير والمقام لا يسعه وقال عتبة بن ربيعة بن عبد شمس
ابن عبد مناف والد هند ام معاوية رضي الله عنهما وهذا قتله عبيدة
ابن الحارث في غزوة بدر كافرا اني سمعت القران يا قوم قد علمتم اني لم اترك
الا وقد علمته وقراته وقلته هذا عبارة عن انه عنده علم بالكتاب
المنزل لقراته بعضها وانه قرا القصص السالفة وقال الشعر وله سعة
علم بالبلاغة وليس ظاهره مرادا لانه لا يمكن لمثله ادعاه والله لقد
سمعت قولا يعني به القران الذي سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتلوه والله ما سمعت مثله قط هو للاستغراق في الماضي ما هو بالشعر
الباء زائدة اي ليس بشعر ولا يشبه كما مر ولا بالسحر ولا بالكهانة اي ليس
يشبه كلام السحرة والكهنة المسجع المتكلف ولم يكن في قائله شيء من اعمال
السحرة المعهودة والكهانة مصدر كهن يكهن بكسر الكاف وفتحها كالكتابة

والقسامة كما قاله الشريشي في شرح المقامات وقال النضر بفتح النون والضاد
المشددة وسكون الضاد المعجمة علم منقول من النضارة بمعنى الحسن ابن الحارث
ابن علقمة بن كلدة بن عبد مناف ابن عبد الدار الذي قتله النبي صلى الله عليه وسلم
بالصفراء صبرا وقصته مذكورة في السير نحوه اي مثل ما قاله عتبة والوليد
في اعترافه بالقران وانه لا يشبه كلام البشر وفي حديث اسلام ابي ذر الغفاري
الصحابي رضي الله عنه وهو جندب بن جنادة كما مر وغفار قبيلة من العرب
مشهورة وغفار قبيلة من كنانة وهو غفار بن مليل بن ضمرة ابن بكر بن عبد مناة
ابن كنانة بن خزيمة وحديثه رواه مسلم وغيره ونقله البيهقي في دلائل النبوة
واسنده الى عبد الله بن الصامت وهو حديث طويل وكان اسلامه بمكة رابع اربعة
فلذا كان يقول كنت ربع الاسلام وقوله ووصف اخاه انيسا بالتصغير ووصف
ماض والجملة حالية بتقدير قد فقال تفسير لوصفه المذكور والله ما سمعت
باشعر من اخي انيس لقد ناقض بقاف وضاد معجمة من المناقضة مفاعلة
من النقض وهو هدم البنا وحل طاقات الحبل ثم صارت بمعنى كون الكلام له معنى
لا يمكن اجتماعه مع نقيضه كزيد قائم وزيد ليس بقائم وهذا اصطلاح ٥
المنطقيين وعند العرب نقائض الشعر في الجاهلية انه اذا قال
احدهم شعرا ذكر فيه افتخارا بابائه وشرفهم على قوم غيره او ذكر فيه هجا غيره
ومثالبه ونقيض حسبه والرد فيعارضه غيره بشعر يذكر فيه ضد ما قاله
ويسمى ذلك مناقضة ويقال للقصائد نقائض ومنه نقائض جرير والفرزدق
لقصائد من الطرفين جمعت وشرحت وفي الاساس يقال في كلامه تناقض ٥
وهذا شعر نقضه ونقيضه وتناقض القولان وناقض الشاعران وناقض احدهما
الاخر بقول قصيدة ينقض ما جبه عليه وهذه القصيدة فلان وهما
نقائض ومنه نقائض جرير والفرزدق انتهى وفسره في الشرح الجديد
بما في النهاية من ان المناقضة مفاعلة من نقض البنا وهو هدمه اي ينقض
قولهم وينقضون قوله واراد به المراجعة والمرادة انتهى وهو تفسير
لا يفي بالمقصود لما عرفته اثني عشر شاعرا في الجاهلية اي عارضهم في قصائدهم
فاتى بمثلها وهذا يدل على فصاحته ومعرفته بالشعر وقدرته على انشائه
في زمان الجاهلية كان فيه الشعر الفحول كثيرا وذكر هذا تمهيدا لما سياتي
من انكاره عليهم في قولهم ان النبي صلى الله عليه وسلم شاعرا انا احدهم ذكره
اعترافا بقوة شاعريته وانه اي اخاه انيسا انطلق الى مكة اي ذهب
اليها بعدما كان في غنم لهما ترعى فقال لاخيه ابي ذر صاحبا بمكة فاكفني امر الغنم
حتى اتيك فانطلق حتى اتى مكة فابطا على ابي ذر ثم اتاه فقال ما حبسك قال

رآني رجلا يزعم انه على دينك الى اخر القصة التي ذكرها البيهقي واشار الى ه
بعض منها المصنف بقوله وجا يخبر النبي صلى الله عليه وسلم الي اخيه
ابي ذر وكان اسلم بمكة قبل اخيه واسلم اخوه بعده فهما صحابيان قلت
له بعد ما اخبرني بما يقول الناس فيه صلى الله عليه وسلم قالت يقولون
شاعر كاهن ساحر اي بعضهم يقول هذا وبعضهم يقول هذا ثم اشار الى بطلان
ما قالوه بقوله لقد سمعت قول الكهنة جمع كاهن مثل كاتب وكتبة ما هو
اي النبي صلى الله عليه وسلم بقولهم ولقد وضعته بالضاد المعجمة المفتوحة
والعين المهملة الساكنة اي وضعت قوله صلى الله عليه وسلم على اقرا الشعر
يعني انه قابله وقاسه بالشعر ونزله عليه لينظر هل فيه ما يشبهه وهو مجاز
من قولهم وضع النعل على النعل اذا طابقه به لينظر هل هو مساو له ام لا واقرا
قرا بفتح الهمزة والمد جمع قلة اريد به الكثرة هنا قال في القاموس اقرا الشعر انواعه
واعاده اي اشكاله فهو جمع قرء بالضم وقيل انه جمع قر بالفتح وهو طريقه وانواعه
ونحوه وقال الزمخشري انه قوافيه التي يختم بها كاقرا الطهر التي ينقطع عندها
الدم واحدها قرء فتحا وكسرا وضما فهو مقاطع اياته وحدودها فلم يلتئم بالهمز
من الملائمة اي لم اره مناسبا ولا موافقا له لفظا ومعنى واين الثريا من الثرى
ولذا قال الفقهاء رحمهم الله لا يكتب قبل البسملة واجازها بعضهم مع الكراهة
قال وهذا في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ونحوه من التوحيد والمواعظ ومنظوم
العلوم واما الهجا فينبغي انه لا يختلف في عدم كتابتها فيه كما قاله التلمساني
وما يلتئم اي يتيسر ويتفق على لسان احد بعدي انه شعر بفتح همزة انه اي
لا يتم لاحد غيري ان يقول انه شعر لانه ليس احد باعلم بالشعر واقدر عليه
مني فلو امكن لاحد ان ينزله على الشعر ويجاريه به لكنت افعله فحيث لم يتيسر
لي لا يتيسر لغيري والمراد ابطال كونه شعرا بعد ما ابطل كونه سحرا وكهانة فلذا
عقبه بقوله وانه اي النبي صلى الله عليه وسلم لصادق في قوله انه كلام معجز
من عند الله وانهم اي الكفرة لكاذبون في جميع ما قالوه ونسبوه له
من الاباطيل وتتمة الخبر انه قال لا تنس هل انت كافيني حتى انطلق فانظر قال
نعم وكن على حذر من اهل مكة فانطلقت حتى اتيت مكة فقلت
لرجل ابن هذا الذي تدعونه الصابي فاشار الي فمال الي اهل الوادي يرجموني
حتى خررت مغشيا علي ثم اتيت زمزم فشربت منها وغسلت الدم ودخلت
استار الكعبة ولبثت نحو ثلاثين ليلة وما لي طعام الا ماء زمزم فسمنت وما
وجدت سخفة جوع فبينما انا في ليلة واذا امرأتان تطوفان وتدعوان اسافا ونائلة فلما
رأياني ولولا وانطلقتا فاستقبلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر

هابطين من الجبل فقال ما لكما قالتا الصابي بين الكعبة واستارها فجاء رسول
الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر فاستلما الحجر وطافا ثم صليا فاتيته وحييته
بتحية الاسلام وكنت اول من حياه بها فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته
ممن انت قلت من غفار فرفع راسه ثم قال متى كنت هنا قلت منذ ثلاثين
ليلة ويوم قال فما كان طعامك قلت ما كان لي طعام الا ماء زمزم فسمنت
حتى تكسرت عكن بطني فقال انها مباركة انها طعام طعم وشفاء سقم فقال ابو بكر
يا رسول الله ائذن لي في اطعامه الليلة فانطلقت معهما حتى فتح بابه وجعل يقبض
لي من زبيب الطائف فكان ذلك اول طعام اكلته بمكة ثم اتيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال اني وجهت لارض ذات نخل ما احسبها الا يثرب فهل انت
مبلغ عني قومك لعل الله ينفعهم بك ويأجرك فانطلقت حتى اتيت اخي انيسا
فقال لي ما صنعت قلت اسلمت فقال ما بي رغبة عن دينك فاني اسلمت
وصدقت ثم اتيت امي فقالت مثله ثم احتملت واتيت قومي فاسلم نصفهم
قبل ان يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكان يؤمهم خفاف
وهو سيد قومنا فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اسلم
بقيتهم وجاءت اسلم فقالوا يا رسول الله نسلم على الذي اسلم عليه اخواننا
واسلموا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفار غفر الله لها واسلم
سالمها الله وهذا خبر اسلامه باختصار والاخبار في هذا الذي ذكرته من ه
اعتراف البلغا باعجازه وانقياد من هداه الله منهم للايمان به صحيحة
كثيرة مع اختلاف انواعها ورواتها والاعجاز لجميع الخلق بتعجيزهم عن
الاتيان بمثله بكل واحد من النوعين الذين ذكرهما والنوع الاول
منهما الايجاز والبلاغة بذاتها اشارة الى قوله في اول هذا الفصل اولها
حسن تاليفه والتيام كلمه وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة
عادة العرب وحاصله ان اعجازه من نفس جوهر كلامه بكونه
في اعلى طبقات الفصاحة والبلاغة بحيث يسلم عن ضعف التاليف
وتنافر الحروف والكلمات والتعقيد ورعاية معان ووجوه يقتضيها
المقام ويتضمن نكات يعجز عنها طاقة البشر والمراد بقوله بذاتها
ان الاعجاز منسوب لنفس كلماتها وما تركب منها والنوع الثاني ه
ما اشار اليه بقوله او الاسلوب الغريب بذاته يعني كونه على نمط لا يشبه
نمط كلامهم المنظوم ولا المنثور فانه ليس بشعر ولا رجز ولا سجع ه
ولا خطب وان وقع فيه من غير تكلف سجع احيانا ونظم حتى ذهب
الخطيب في تكملة العمدة الى ان النظم الواقع فيه مقصود كالابيات

والاستطارها التي يقع في اثنا الانشا نادرا ولا يسمى لها الكلام شعرا لانه لم يقصد بالذات وهو قول غريب وقوله بالذات بمعنى فقط وتغاير النوعين ظاهر وان لم يفرق بينهما بعض الشراح وقال ان في النوعين تداخلا اذ لا يتصور كونه اسلوبا غريبا دون البلاغة الى اخر ما ذكره مما لا طائل تحته اذ كل واحد منها بضمير الواحدة المؤنثة الراجع للبلاغة وفي نسخة منهما مثنى والضمير للنوعين وقيل الاولى اولى وكل منهما اخيره نوع اعجاز على التحقيق غير محتاج الى الاخر ثم بين اعجازه بقوله لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منها لفصاحتها وكلامها وفي نسخة منهما كما تقدم خارج عن قدرتها لانه مباين اي مخالف لفصاحتها وكلامها لما فيه من وجوه البلاغة التي لا تحيط بها قدرتهم ولم تالفه طباعهم مع انسجامه وعذوبته الفائقة والى هذا القول الدال على ان كل واحد منها نوع مستقل من الاعجاز كائن في اثباته ذهب غير واحد اي جماعة كثيرة من ائمة المحققين العارفين بالبلاغة ووجوه الاعجاز يعني ان منهم من قال اعجازه بما تضمنه من وجوه بلاغة كلامه وفصاحة كلماته كالجاحظ ومنهم من قال بلاغته باسلوبه الغريب ونظمه العجيب الذي لا يشبه كلام البشر ولا تطيقه القوى والقدر مع انه بلغتهم ٥ وكلماته كلها بضم الم يعرفونها كما قيل في معنى الحروف في اوائل السور كالم والمر يعني انه كلام مركب من هذه الحروف التي يركب منها كلامكم فلم لم تاتوا بمثله وذهب بعض المقتدى بهم اسم مفعول بوزن مصطفى الى ان الاعجاز في مجموع البلاغة والاسلوب لا بكل واحد منهما وحده والى على ذلك القول الذي اختاره وضمنه اي بمعنى استدل نعداه بعلى بقوله تمجه بضم الميم وجوز بعضهم فتحها اي ترميه ولا تعتد به الاسماع بفتح الهمزة جمع سمع بمعنى الاستماع وبمعنى جارحة السمع بقاذح الماء من فيه اذا طرحه ففيه استعارة مكنية وتخييلية لتشبيه الاذن بالفم والكلام بالماء في الرقة والعذوبة ونبرئه الحرارة كما قال بعض اهل العصر

يكاد من عذوبة الالفاظ • تشربه مسامع الحفاظ

وقال العزي

وتعير المعتاد بحسن بعضه • للورد حد بالانوف يقبل

وتنفر عنه القلوب من النفار وهو الذهاب بسرعة فكان القلوب يهرب منه لعدم قبولها له وهو عبارة عن كونه قولا ضعيفا مردودا ٥

ولذا قال في الاول لانه قول الائمة المحققين واشار بالمقتدى بهم الى ان هذا القول له وجه ايضا ليس كالقول بالصرفة والصحيح ما قدمناه من ان كل واحد منهما وحده في الاعجاز كاف فيه والعلم بهذا كله اي العلم باعجازه ببلاغته واسلوبه العجيب على القولين ضرورة وقطعا بنصبهما اي من سمعه قطع بما عنده من العلم الضروري في انه اعلى طبقات الكلام وهو مما يدرك بالذوق ولا يدرك بالوصف كالملاحة في الطريق لمن تتبع كلام البلغاء وجد منه علم البلاغة الذي يورثه علما ضروريا ولذا قال ومن تفنن في علوم البلاغة اي عرف فنونها ومارسها حتى حصل له ملكة يعرف بها خواص التراكيب ووجوه ايرادها في طرقها المختلفة في الوضوح وانواع محسناتها البديعية وهو علم المعاني والبيان وتوابعهما وارهف اي سن وحدد ودقق من قولهم ارهف السيف فهو مرهف اذا استخف ورق حده خاطره ولسانه اي فكره ونطقه بحيث يسهل عليه تحويره والتعبير عنه واصل الخاطر المعنى الذي يخطر على القلب الذي هو محل القلب الذي هو محل العقل والفهم ويراد به نفس الفهم والعقل فانه لممارسته حتى تمكن من علمه واللسان الجارحة ويراد به نفس الكلام فشبه ذلك بالسيف المسنون في سرعة نفوذه ودقته وارهف فعل ماض فاعله ادب هذه الصناعة اي صناعة البلاغة ٥ وعلم المعاني والبيان والادب بوزن طلب يكون بمعنى الظرف والحسن والعلم يقال ادبه فاحسن تاديبه اي علمه واصله من المادبة وهي الطعام الذي يدعى له كما قيل الادب مادبة لا احد فيها مادبة ويصح ارادة كل واحد هنا والاخير انسب واما اطلاق الادب على علم النظم والنثر فمولد واه قريب من معناه الاصلي واصل الصناعة معرفة ما يزاوله بالجوارح كالخياطة ثم شاع في معنى العلم لم يخف عليه ما قلنا اي جميع ما تقدم ان كلا منهما نوع مستقل وقد اختلف اهل السنة في وجه عجزهم عنه اي في ٥ سببه ومنشئه الذي يوجد به عجز العرب الفصحاء عن معارضته فاكثرهم يقول اي قال وعبر به لحكاية الحال الماضية حتى كانها حاضرة انه اي وجه اعجازه ناش مما جمع في قوة جزالته الجزالة الغلظة والصلابة والقوة يقال حطب جزل ثم تطلق على الكثرة يقال عطاؤه جزيل فاستعير هنا للاحكام ٥ نظمه وعدم ركاكته واضافة القوة اليه اشارة الى انه في اعلى مراتب الاحكام حتى انه لا يتطرق اليه خلل اصلا ولا يختلف نظمه ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ولا حاجة لتفسيره بالقوة ويقال للقوة قوة فيفضي اضافتها اليها ونصاعة الفاظه بفتح النون والصاد ٥

عوضي

والعينين المهملتين اي وضوحها وخلوصها ومنه ابيض ناصع وقيل الجزالة القطع ومنه القضا الجزل اي القاطع للشك ونضاعته بياضه وهو تكلف لاداعي اليه وكونه اشارة الي المحسنات البديعية لا وجه له وحسن نظمه وايجازه لسلاسته وانسجامه واسلوبه طريق بلاغته التي لا يسلكها كلام غيره وقوله ما جمع تقدم من تاخير متعلق بقوله لا يصح ان يكون في مقدور البشر مقدور اسم مفعول او مصدر علي وزن مفعول بمعني القدرة اي لا يمكنهم القدرة علي مثله لما جمعه مما لا تطيقه قدرتهم وانه من باب الخوارق اي من جنسها ونوعها يقال هذا من باب هذا وبابته اي من جنسه الممتنعة افعال الخلق عليها اي التي لا يقدرون عليها كانها امتنعت عنهم وابته مطاوعتهم وهو من بليغ الكلام كاحيا الموتي بفتح الميم جمع ميت وهذا مما وقع لعيسي وابراهيم الخليل عليهما الصلاة والسلام وقلب العصا حية كما وقع لموسي عليه الصلاة والسلام وسيفا كما وقع لنبينا صلي الله عليه وسلم واطلقه المصنف ليشملهما فيكون فيه ذكر المعجزة لنبينا عليه الصلاة والسلام كما ثبت في معجزاته ثم ذكر مذهبا اخر فقال وذهب الشيخ ابو الحسن الاشعري امام اهل السنة وقد تقدم بعض من ترجمته الي انه اي القران المعجز مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور البشر اي انه فرد من افراد الكلام البليغ داخل فيه مندرج في جنسه ومثله قولهم الحيوان جنس تحته الانسان والفرس وهو نحوه معروف ويقدرهم الله عليه عطف تفسير لما قبله علي مذهبه من خلق الافعال ولكنه لم يكن هذا فيما مضي ولا يكون في الحال والمستقبل فعجزهم الله هذا وعجزهم عنه بتشديد الجيم اي عن معارضته والاتيان بمثله وقال به جماعة من اصحابه وهذا هو القول بالصرفة وفيه اختلاف ايضا فقيل معناه ان فيهم قدرة علي النظم مثله وعندهم علم بوجوه البلاغة واساليبه حالة التحدي لكن الله صرف دواعيهم عن ذلك مع توفر اسبابها من التقريع والتبكيت وتكرار الطلب وهو قول النظام والاستاد من اهل السنة وقيل بل سلبهم الله عند التحدي القدرة والعلم بعلوم البلاغة فاذا ارادوا ذلك لم يقدروا عليه ولتسميته صرفة بحسب ظاهر الحصر وما علم من اقتدارهم وهذا مذهب المرتضي علم المهدي من الشيعة ونقل عن الاشعري ايضا الا انه لم يشتهر عنه وكلام المصنف يحتمل الوجهين فان قلنا هذا اشارة الي الاتيان بمثله فهو المذهب الاول وان قلنا الاقدار فهو الثاني وحمله بعضهم علي الثاني وقال

يحتمل ان يكون المراد بابي الحسن رجلا اخر غير الاشعري ولا حاجة لمثله من التكلف وعلي الطريقين بل الطرفين من اعجازه ببلاغته واسلوبه او الصرفة عجز العرب عنه ثابت محقق مع كمال بلاغتهم وفرط ذكائهم وتفحش عنادهم الاطفا نوره وما زاده الا اشتعالا واضاءة واقامة الحجة عليهم بتبليغهم بل قل قليل منه مما يصح اي يمكن وينبغي فانه ورد بهذا المعني في اللغة ان يكون في مقدور البشر علي مذهب الاشعري وتحديهم مصدر مضاف لمفعوله اي طلب النبي صلي الله عليه وسلم من العرب الفصحا ان ياتوا بمثله اي مثل القران في البلاغة وعجز العرب مبتدا خبره ثابت واقامة مثله مبتدا خبره ابلغ في التعجيز بغيره مما لا يقدرون عليه كاحيا الموتي واحري افعل تفضيل بحا وزاء مهملتين بمعني احق واولي بالتقريع وهو التوبيخ والتعيير من القرع بالعصا وهو الضرب والاحتجاج بمجي بشر مثلهم من جنسهم واهل لغتهم يعني لبشر من قدرة البشر لازم علي القول الاول من اعجازه بذاته وصورته وهو اي المذكور من عدم قدرتهم اظهر في اعجازه اي اظهرها وابلغها لسائر الايات الباهرة لارتفاع شانه وعلوه في مرتبته من لا يدبروا منها كلام بليغ كما مر تفصيله واتم دلالة بالنصب علي التمييز والجر علي الاضافة والدلالة بكسر الدال المصدر او بمعني الدليل وافتح من فتحها افصحها ورد علي وادل لعجزهم عن معارضته وعلي كل حال من الاحوال السابقة اي سواء قلنا بانه معجز ببلاغته او بالصرفة عن معارضته فقد عجزوا ان ياتوا في ذلك بمقال اي لم يسمع منهم كلام عارضوه به ولو صدر منهم ذلك شاع وذاع وصبروا علي الجلا بفتح الجيم والمد وهو ترك الوطن والمال والقتل لفرط عنادهم وعدم انقيادهم وتجرعوا اي شربوا جرعة بعد جرعة كاسات جمع كاس وهو ما يشرب به الخمر ونفس الخمر الصغار والذل بفتح الصاد المهملة وهو المذلة فالعطف تفسيري وفيه استعارة تصريحية او مكنية اي صبروا علي التحقير والاهانة وتجرعوا غصصها وكانوا من شموخ الانف بفتح الهمزة والمد وضم النون جمع انف كذا ضبطوه ويجوز فتح الهمزة وسكون النون بالافراد والشموخ بضم الشين المعجمة مصدر شمخ اذا ارتفع وهو كناية عن غاية التكبر والجملة حالية بتقدير قد وابا الضيم بكسر الهمزة والموحدة والمد مصدر اي اذا امتنع مما يكرهه والضيم الذل والتحقير بحيث لا يوثرون بالمثلثة اي لا يرضون ذلك اي الذل والتحقير والضيم اختيارا اي باختيارهم وعدم جبرهم وقهرهم ولا يرضونه الا اضطرارا اي قسرا والجاء وهو عطف تفسير لما قبله ونصبهما علي التمييز او المفعول

المطلق والا مركب من ان الشرطية ولا النافية اي وان لم يكن الامر كما ذكره
فالمعارضة للقران بالاتيان بما يماثله لو كانت من قدرهم بضم القاف
وفتح الدال المهملة جمع قدرة اي لو كانت المعارضة مقدورة لهم
والشغل بها اهون عليهم جملة حالية اي اشتغالهم بمعارضته
اسهل عليهم من الصبر على ما ذكر واسرع بالنجح بضم النون وسكون الجيم
وحا مهملة وهو الظفر والفوز بمطلوبهم وهو ابطال الحجة عليهم
وقطع العذر اي قطع ما اعتذروا به عن عدم المعارضة من الاعذار
الفاسدة وافحام الخصم اي اسكاته عما قرعهم به لديهم اي عندهم وهو
متعلق بجميع ما قبله من اسرع واهون وقطع وافحام وهم من هم
قدرة تمييز والجملة حالية وليس قدرة حالا بمعنى مقتدرا كما قيل
لتكلفه وهم مبتدا اول ومن استفهامية وهم الثاني خبره او بالعكس
على المذهبين والجملة خبرهم اي وهم اي شيء هم اي امر عظيم لا يقدر قدره
ولا يعلم كنهه وهو من ابلغ المدح كقولهم زيد وما زيد كقوله تعالى
الحاقة ما الحاقة وهو مشهور في كلام العرب والعجم وقد يقال
هم بدرن من اي هم القوم المعروفون بالبلاغة وشهامة النفس واباة
الضيم الذين لا يقاد لهم فيه احد فما هيك بما وقعتهم في حضيض الذل
وتركتهم الصبا والدبور ايدي سبا على الكلام متعلق بقدرة وقدرة
اي مقتدرين لهم وهو منصوب رواية ودراية معطوف على قدرة في
المعرفة به اي معرفة الكلام وصياغته لسلامة فطرتهم وصفا
قريحتهم بجميع الانام متعلق بقدوة والي بر للقافية اي هم في كل ذلك
ائمة مقتدى بهم لا تبعا لغيرهم فكيف عجزوا او رضوا بما رضوا ثم انه
لما ذكر شيم انفتهم وتكبرهم ربما توهم متوهم ان تركهم المعارضة لعدم تنزلهم
وعدم مبالاتهم فدفعه بقوله وما منهم احد الا من جهد ماض
بزنة ضرب فالاستثنا مفرغ من عام مقدر جهده بفتح الجيم
وضمها الطاقة والمشقة وقيل الجهد بالفتح المشقة
وبالضمة الوسع وقيل الجهد بالضم ما يجهد الانسان فيه اي
يجتهد فيه ويتعب نفسه كقوله تعالى لا يجدون الا جهدهم فالمعنى
انهم بذلوا ما عندهم في الطلب فلم يقدروا على شي منه واستنفذ
ما عنده بالدال المهملة اي استفرغ ما في طاقته وقوته فيا خفا
ظهوره اي القران او النبي صلى الله عليه وسلم واطفا نوره
ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره المشركون فما جلوا اي اظهروا

من جلا العروس على المنصة بزينتها لو كر البنات لجده في ذلك اي ما
اجتهدوا فيه وحاولوه خبيئة بفتح الخا المعجمة وكسر البا الموحدة
وسكون المثناة التحتية والهمزة والها فعيلة بمعنى مفعولة اي مخباة
في ضمائرهم ومستورة خلف استار سرائرهم من بنات شفاههم اي كلمة
يتلفظون بها شبهت بالبنت والشفة بالام لظهورها منها اذ هي استعارة
مشهورة مكنية او مصرحة ولا اتوا بنطفة بضم النون وسكون الطا المهملة
والفا هي الما الصافي من نطف بمعنى صب والناطف السايل والمراد القطرة
القليلة وفي بعض النسخ نقطة بالقاف مقدمة على الطا وتسمى اللولوة
نطفة ايضا كما قاله الراغب والنطفة تطلق على قليل الما وعلى كثيره
كما في الحديث فجاء رجل ينطف في اداوة وهو المراد هنا من معين مياههم
المعين الما الجاري ظاهرا والميم زايدة من العين وقيل انها اصلية
من معن بمعنى سال في الارض ومياه جمع ما واصله موه اي لم يقدروا على شي
مما طلب منهم وهو استعارة مصرحة مرشحة او مكنية اي مع ما لهم
من موارد فصاحتهم ومجاري كلامهم لم يجدوا قطرة من عذب نطافه مع طول
الامد اي اتساع زمن التحدي وكثرة العدد من فصحائهم وتظاهر
اي تعاون ومساعدة الوالد وما ولد اي الكبير والصغير وهذا دفع
للشبه وازالة الاعذار اذ لو ضاق الزمان وقل الاعوان كان لهم معذرة
ما بل ابلسوا بالبنا للفاعل وفتح الهمزة يقال ابلس اذا ايس وقيل دهش
ابليس لياسه من رحمة الله وكان اسمه عزازيل ويكون بمعنى الانكسار والحزن
والمراد الاول فما نبسوا بنون وبا موحدة مفتوحة مخففة وروي بتشديدها
كما في قوله ان كنت غير صايد فنبس
ومعناه نطقوا اي لم ينطقوا وهو مختص بالنفي ذا وه والبيت المذكور وقد يقال
المخصوص بالنفي المخفف فتدبر ومنعوا بالبنا للمجهول فانقطعوا عن
المعارضة بعجزهم وقد يقال هذا اشارة الى القولين فابلسوا ما نبسوا
يشير للعجز الطافهم عن بلاغته ومنعوا اي منعهم الله اشارة للصرفة وفي
الارشاد لامام الحرمين فان قيل ان العرب لم تترك المعارضة للعجز بل
لعدم الاكتراث به قيل هذا ركيك من القول لا يخطر ببال العاقل
وقد كانوا اذا قال شاعر شعرا في حقهم هاموا المعارضة فكيف وقد
نعوا اشد نعي وحقرت اصنامهم وسفهت احلامهم وقوتلوا حتى
نكست اعلامهم وقد مر ما نبهناك عليه من اشارة للصنف لهذا
ونحوا بمعنى الاضراب لتوكيد نفي المعارضة كما يقال ما تكلم زيد بل سكت

معجزا ايضا او نوعا من اعجازه الاشارة الى اعجازه بنفس كلامه واخواص
تراكيبه وبصورة نظمه واسلوبه ولم يلتفت للصرفة لضعف القول بها
عنده كما تقدم فصل الوجه الثالث من وجوه الاعجاز
اي اعجاز القرآن الكريم بوجه آخر الوجهين السابقين او غير الوجوه
الثلاثة ما انطوى عليه اي اشتمل عليه ووقع في ضمنه من الاخبار بكسر
الهمزة مصدر بالمغيبات بفتح الياء المثناة التحتية المشددة جمع مغيب
او مغيبة اسم مفعول وهو شامل لما سبق مما لم يدركه هو ولا اهل عصره
وما سيقع بعد ذلك مما لا يعلمه الا الله والمراد هنا الثاني لان الاول لا
يمكن الوقوف عليه ولذا عطف عليه قوله وما لم يكن ولم يقع ممن فسره
بما كان ووقع في القرون الماضية بناء على ان الاصل في العطف التغاير فقد
خالف لانه الآتي من جنيه ما سبق به وان كان صحيحا في نفسه لانه ما جاء فيها
فوجد بعده لك مطابقا لخبره ومصداقا له وعبر عنه بالماضي وان
كان مستقبلا بالنسبة لما قبله على الوجه الذي اخبر به في هذه
الآية كقوله تعالى في سورة الفتح لتدخلن المسجد الحرام اللام داخلة على
جواب قسم مقدر للتاكيد والتحقيق ان شاء الله علقه بالمشيئة مع تحققه
تعليما للعباد او تلويحا بعدم دخول بعضهم لموته او غيبته او حكاية لما
قاله ملك الرؤيا او النبي صلى الله عليه وسلم آمنين حال من فاعل لتدخلن
والشرط اعتراض لانه صلى الله عليه وسلم رأى وهو بالمدينة قبل عام الحديبية
انه دخل مع اصحابه واخبرهم بذلك فظنوه انه في ذلك العام فلما صدهم المشركون
عن الدخول شق عليهم ذلك فاخبرهم الله بانه سيقع بعد ذلك وكان كما اخبر
وقوله تعالى وهم من بعد غلبهم سيغلبون فاخبر الله تعالى ان الروم
تغلب فارس بعد مدة اقل من عشرين سنة وكان كما اخبر الله به في كتابه
وذلك ان الروم كانوا اهل كتاب وفارس لا كتاب لهم كالمشركين فكان
المشركون كلما تحارب فارس والروم يرجون غلبة فارس ويفرحون بذلك
تفاؤلا بغلبتهم للمسلمين فبعث كسرى جيشا الى الروم فالتقيا باذرعات
وبصرى فغلبت فارس الروم ففرح المشركون وشق ذلك على المسلمين
فانزل الله هذه الآية واخبر ابو بكر رضي الله عنه المشركين بذلك وقال
سيظهر الروم على فارس فلا تفرحوا وقد اخبر الله نبينا صلى الله عليه وسلم
بذلك فقال له امية بن خلف كذبت فقال بل انت كذبت يا عدو الله فقال اجعل
بيني وبينك اجلا على عشر قلائص ياخذها الصادق منا فراهنه على
ذلك لثلاث سنين فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال له

مد الاجل وزد في الرهان فان الله قال في بضع سنين وهي من الثلاثة الى التسع
فجعل القلائص مائة الى تسع سنين ففعل فوقع ذلك بعد سبع سنين فاخذ القلائص
ابو بكر رضي الله عنه فقال له صلى الله عليه وسلم تصدق بها وكان هذا قبل تحريم
القمار وانما امره بالتصدق بها لانه علم خبثها لانها ستحرم او شكرا لله على تصديق مقالته
وقوله تعالى ليظهره على الدين كله هذا وعد من الله بان دين رسوله صلى الله عليه
وسلم سيظهر ويغلب سائر الاديان ويقهر اهله جميع الامم فان العزة لله ولرسوله
وكان كما قال من غير شبهة وكم شاهدنا من تاييد الله لجنده ونصرهم مع ما للكفرة
من الكثرة في المال والجند وقوله وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات
ليستخلفنهم الآية اي ليجعلنهم خلفا في ارضه مالكين لها منصورين على اعدائهم
وهذه الآية وان كانت عامة المراد بها غلبة المسلمين لاهل الردة في خلافة ابي
بكر الصديق رضي الله عنه وقوله اذا جاء نصر الله والفتح الى آخرها اي الى
آخر السورة وهذه الآية وان كانت شاملة لكل فتح لكنها نزلت مبشرة بفتح
مكة ناعية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولما نزلت وتلاها رسول الله صلى الله
عليه وسلم عليهم بكى العباس رضي الله عنه فقال له ما يبكيك يا عم فقال
نعيت اليك نفسك فقال انه كما تقول وعبر بالمجيء ايماء الى ان المقدرات متوجهة
من الازل الى اوقاتها المعينة لها مترقبة التقدم وفيه من البلاغة ما لا
يخفى ثم اشار الى تفسير ما ذكر بقوله فكان جميع هذا كما قال الله عز
وجل مطابقا لما اخبر به والاشارة الى ما تقدم من المغيبات المخبر بها وكان بمعنى
تحقق ووقع بعد الاخبار به ثم فصله على اللف والنشر بقوله فغلبت
الروم وهم جيل من الناس معلومون فارس وهم الفرس اي قوم العجم ويطلق على
بلادهم ايضا وهو لفظ معرب لان اسم الثاني قديما اهل وقد تقدم بيانه وهو
ممنوع من الصرف للعلمية والتانيث في بضع سنين اي سبع سنين كما مر اي
في راس سبع سنين وآخرها والراس يطلق على ذلك مع الزمان ويكون بمعنى الاول
ايضا ودخل الناس في دين الاسلام افواجا اي جماعات كثيرة بعد جماعة كثيرة
وفوجا بعد فوج لما اعز الله الدين واشتد اعلامه في الخافقين وهذا اشارة لما في
سورة النصر السالفة فمات صلى الله عليه وسلم وفي بلاد العرب كلها موضع
لم يدخله الاسلام واستخلف الله المؤمنين في الارض اي جعلهم خلفاء
لرسوله صلى الله عليه وسلم بعده واخر هذه الآية عن ذكر سورة النصر لان
الاستخلاف وقع بعد ذلك الدخول وان تقدمت فيما ذكر قبله وهذا مبني
على عموم الذين آمنوا في قوله وعد الله الذين آمنوا الآية لجميع الامة وعدم
اختصاصها بابي بكر الصديق رضي الله عنه كما تقدم ومكن فيها اي في الارض

دينهم وهو دين الاسلام اي جعله متمكنا ثابتا الا يزول الى يوم القيامة يقال مكنته ومكنت له فتمكن وهو في الاصل من المكان وملكهم اياها اي الارض لانه اشرف المعمور منها في ايديهم وباقيها في انقيادهم فهم بالقوة كالمالكين لها او انه باعتبار ما سيكون بعد نزول عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام الى الارض على دينه معدودا من امته صلى الله عليه وسلم ولهذا قال

من اقصى المشارق الى اقصى المغارب اي ابعد مكان من جانب المشرق الى ابعده من جانب المغرب وقدم المشارق اقتداء بالكتاب والسنة او لشرفه لانه محل الوسل وفيه الاراضي المقدسة وقد وقع للادبا مفاخرة بينهما فقال يحيى الدين بن محموله

من اين للغرب فضل • الا من يتعالى
والشمس تفقد فيه • والبدر يلقى هلالا
ولا يزال النقص فيه • فكيف يحوي الكمالا

وقال

فلا تجحد الشرق فخرا وخذ • من الوصف فيه على ما اتفق
مهب الصبا ومعيد الضيا • ووجه الزمان وثغر الفلق

وعارضه الوداعي رحمه الله فقال

الغرب خير وعند ساكنه • امانة اوجبت تقدمه
فالشرق من نيرين عندهم • يودع ديناره ودرهمه

ثم انصف من قال

حوى كل من الافقين فضلا • يقربه الغبي مع النبيه
فهذا تطلع الانوار منه • وهذا تبتغي الايواء فيه

وهذه لحة ادبية ونفحة مسكية احمضنا بها كما قال عليه الصلاة والسلام في حديث صحيح رواه مسلم عن ثوبان رضي الله عنه زويت لي الارض بزاي معجمة وواو وياء مبني للمجهول اي جمعت وطويت وسيبلغ ملكه بضم الميم امتي ما زوي لي منها وجمع لمراي عيني وما زوي منها هو المشارق والمغارب السابقة وتوهم بعضهم انه غيره وان اول الحديث مخالف لاخره ثم جمع بينهما بان المراد بما زوي المعمور منها وما من شانه ان يمكث فكانه قال جمعها وفيه ما لا يخفى وقدم المصنف خبر الله على الحديث رعاية للادب بتقديم الاصل الاشرف وقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فاخبر الله تعالى بقوله بحفظ القران من التبديل والتغيير في سائر الزمان بدلالة الاسمية المؤكدة فكان كذلك في المستقبل

كما اخبر فلا مبدل لكلماته بخلاف ساير الكتب فانه تعالى وكل حفظها للامم المنزلة عليهم فقال بما استحفظوا من كتاب الله اي طلب حفظه منهم فوقع فيها التبديل والتحريف حتى صارت لا يوثق بما نقل منها والمراد بالذكر القران لا يكاد يعد بالبنا للمجهول اي لا يعد لكثرته من سعى اي اجتهد في تغييره وتبديل المحكمة ويكاد يجيء بمعنى قرب ونفي القرب من العدد ابلغ من نفي العدد وقال تبديل محكمه دون تبديله ارشادا الى انه من تبديله وقوله من الملحدة بيان لمن اي من الطايفة الملحدة من الالحاد وهو الميل كما مر سموا بذلك لعدولهم عن ظواهر الشرع بعدوتا ويلها بامور سخيفة ويسمون باطنية وهم الاسماعيلية وزعم بعضهم ان مصحف عثمان رضي الله عنه نقص منه بعض القران كما ذكره القرطبي في اوايل تفسيره والمعطلة الذين نفوا الصانع وتستروا بزي الاسلام صيانة حوفا من القتل وسعوا في نقض الدين وترويج ما يروج على بعض العقول القاصرة لا سيما القرامطة هم طايفة من الملحدين ايضا قال السمعاني في الانساب القرمطي بكسر القاف وسكون الراو وكسر الميم والطا المهملة نسبة لطايفة خبيثة وهم من اهل هجر والحسا واصلهم رجل من سواد الكوفة يقال له قرمطة وقيل حمدان بن قرمط وسبب ظهورهم ان جماعة من ولاد بهرام جور ذكروا باهم وجدودهم وما كانوا فيه من العز والملك وزوال ذلك بدولة الاسلام في ايام ابي مسلم الخراساني ونقله الخلافة الى وابنه وهو من الموالي وهم اولاد الملوك فاتفقوا على رفع الاسلام وقالوا ينبغي ان نفرقهم ونفسد الرعايا عليهم فقسموا الدنيا اربعة اقسام لكل ربع رجل منهم واحد ذهب الى الكوفة فاول من اجابه حماد بن قرمط فاعانه على الدعوة وقيل انما سموا قرامطة لان النبي صلى الله عليه وسلم راى عامرا يمشي وهو من اهل المدينة فقال انه ليقرمط في مشيه انتهى اي يقارب خطاه ومنه الخط المقرمط وعلى هذا فهو عربي وقيل انه معرب وان جدهم كان يسمى كرميه فغيروه وعربوه وكان رجلا احمر العينين من سواد الكوفة فالكاف ه عجمية في الاصل من الكرمية وهي الحرارة وكان ظهوره في سنة ثمان وسبعين ومايتين فلم يزل يظهر الصلاح حتى اجتمع عليه الخلق فزعم ان النبي صلى الله عليه وسلم بشر به وانه الامام المنتظر فابتدع مقالات وزعم انه انتقل الله كلمة المسيح وجعل الصلاة ركعتين بعد الصبح وركعتين بعد المغرب والصوم يومين بالنيروز والمهرجانات فكانت له وقايع وحروب ودعاة ه وخلفا مذكورة في التواريخ حتى ظهر منهم سليمان بن الحسين الجنابي فعاث في البلاد وافسد وقصد مكة فدخلها يوم التروية سنة سبع عشرة وثلاثماية

في خلافة المقتدر لعنه الله قتل الحجاج ورماهم بزمزم وقلع باب الكعبة واخذ كسوتها
واخذ الحجر الاسود فبقي عندهم سنين ثم ردوه مكسورا فنصب في محله وقد
كان بذل لهم فيه خمسون الف دينار فابوا ولم يزالوا كذلك حتى اخذوا الشام وغيرها
حتى قاتلهم جوهر القائد فهزمهم وقتل منهم خلقا كثيرا وكانت مدة خروجهم
ست وثمانين سنة وكانوا يحرفون القران ويتاولونه بتاويلات فاسدة لم يقبلها
العقول وما بعد سيما يجوز فيه وجوه الاعراب الثلاثة كما تقدم بيانه فاجمعوا
كيدهم بقطع الهمزة والمراد بالكيد الحيلة والمكر في تحريف القران وحولهم
وقوتهم اي اعملوا حيلهم وبذلوا قوتهم وقدرتهم في ان يحرفوا القران اليوم
منصوب على الظرفية فيتعلق بتعد بعد اليوم او بنزع الخافض اي الى هذا
اليوم والمراد مطلق الزمان والوقت الحاضر في زمن المصنف رحمه الله نيفا
بكسر النون المشددة وسكونها بعد نون مفتوحة ومعناه الزيادة اي مدة
تزيد على خمسمائة عام وهي مدة سعي هولا لما ذكر فما قدروا في هذه المدة
الطويلة على اطفاء شي من نوره تمثيل لحالهم في سعيهم في تحريف القران بمن
اراد اطفاء نور عظيم منتشر في الافاق ولا على تغيير كلمة من كلامه تفسير لما قبله
بجعل كلام الله نورا ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه فضلا عن كلمة
من كلامه فهو ترقي والحمد لله على هذه المنة العظيمة وهي حفظ الله لكلامه ونفا
رونق نظامه وخيبة سعي من سعى في اطفائه وافتضاح جهلة اعدائه ومنه
اي مما اخبر به من المغيبات المعجزة قوله عز وجل سيهزم الجمع ويولون
الدبر نزلت بمكة فلم يدر الصحابة رضي الله عنهم ما المراد بها حتى كان يوم بدر
سبع سنين من نزولها فلبس صلى الله عليه وسلم درعه وهو يقول سيهزم الجمع
ويولون الدبر قال ابن عمر رضي الله عنهما فعلمت المراد منها اي سيهزم كفار قريش
ويولون المسلمين ادبارهم اي يجعلون المسلمين متولين على ادبارهم بالطعن والضرب
تعبير عن شدة انهزامهم بابلغ عبارة ففيها اعجاز لفظا ومعنى وقوله قاتلوهم
يعذبهم الله الاية اي ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين
وفيها من الاخبار عن الغيب ان ناسا من اليمن وبني خزاعة اسلموا وبقوا
بمكة بعد الهجرة فلقوا من المشركين اذى شديدا فشكوا ذلك لرسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال ابشروا فان الفرج قريب فنزلت هذه الاية فكان بعدها
ما اوقع الله بهم من القتل ونصرة المومنين التي شفيت بها صدورهم وخزيهم
بالسبي والجلا وسلب نعمهم وقوله هو الذي ارسل رسوله بالهدى الاية
فيها اخبار بالغيب من ظهور دينه على ساير الاديان على رغم انفهم وقد تقدم
الكلام على هذه الاية وقوله لن يضروكم الا اذى اي لا يتعدون عليكم الا باذية

يسيرة كالطعن فيهم وتهديدهم وان يقاتلوكم الاية اي يولوكم الادبار ثم لا ينصرون
فاخبر انهم كلما قاتلوا غلبوا وكانت عاقبة النصر لنا عليهم والامور بخواتيمها
واخره سبحانه فكان كل ذلك اي وقع كلما اخبر الله به قبل على طبق خبره من هزيمة
جموعهم وبغدرهم بما يشفي صدور المؤمنين واظهار دينه وتولية الدبر لكل من
قاتل منهم ومما في القران من المغيبات ما بينه اي القران من كشف اسرار المنافقين
اي اظهار ما اخفاه المنافقون في قلوبهم مما لا يعلمه الا الله مما انزل في حقهم في سورة
المنافقين وكشف اسرار اليهود ومقالهم اي اظهار ما قالوه فيما بينهم وهم
يظنون انه لا يشعر به غيرهم وتكذيبهم في حلفهم اي كذب المنافقين وتقسمهم عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم على مقالتهم انها صادقة والله يعلم انهم كاذبون
كما ذكر في سورة المنافقين ومثله كثير في القران وتقريعهم بذلك اي توبيخ
الله لهم بسبب ما قالوه وحلفهم بايمان فاجرة ثم مثل لما ذكر بقوله كقوله
عز وجل ويقولون في انفسهم اي قول اليهود فيما بينهم وفي خلوة تناجيهم لولا
يعذبنا الله بما نقول اي هلا عذبنا الله بقولنا في حق محمد لو كان نبيا ادعى
علينا حتى يعذب اذ كانوا يقولون هم والمنافقون فيما بينهم في حق النبي صلى الله
عليه وسلم والمسلمين فاخبر الله بذلك وفضح سرايرهم ورد بقوله حسبهم جهنم
يصلونها فبئس المصير وقوله تعالى يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك
الاية يعني انهم يسرون في ضمايرهم غير ما يظهرونه لك اذا اتوك وهذا بيان لحال
المنافقين ومكرهم والذي اخفوه ثم لم يظهروا احد وقد غشيهم النعاس ولم يكن
لهم هم غير تخليص انفسهم من القتل فقال بعضهم لبعض في خلوة من المومنين
لو كان لنا من الامر شي ما قتلنا ههنا الاية فاعلم الله رسوله صلى الله
عليه وسلم بذلك فاخبرهم بما قالوه وهو من جملة المغيبات وقوله
عز وجل ومن الذين هادوا سماعون للكذب الاية اي سماعون لقوم اخرين
لم ياتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه وقوله من الذين هادوا يحرفون
الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا
ليا بالسنتهم وطعنا في الدين دعى عليهم بالصمم او بالموت او لا يسمع ما دعينا اليه
فاخبره الله تعالى بتحريفهم كتابهم ومقالتهم وعدم اطاعتهم وهو من الاخبار
بالغيب الدال على اعجاز القران وهذا في حق اليهود في الاية كلام مفصل في
التفاسير واحتمالات اخر ووجوه من الاعراب ليس هذا محل تفصيلها وقوله
في هذه الاية وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا في الدين اي بالتكذيب والاستهزاء
والسخرية فهذا اخبار بالغيب عما كان اليهود يقصدونه من التحقير ويبرزونه
في صورة التوقير فيقولون راعنا وصفا له صلى الله عليه وسلم بالرعونة

موهمين الناس نظره ومعاينته لهم مكرا منهم ولعبا بالسنتهم وكلامهم وقد قال
الله تعالى في حال كونه مبينا بالبنا اي مظهرا ما قدره الله وقضى به واعتقده المؤمنون
من الظفر باحدى الطائفتين العير او النفير يوم بدر اي في وقعتها لان
اليوم يطلق على ذلك في قولهم ايام العرب كما تقدم وهو من المغيبات التي
اخبرهم بها بقوله واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم بدل اشتمال مما قبله
وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم الشوكة استعارة من الشوكة المعروفة
للقوة والحدة بكثرة السلاح والرجال ومنه شاكي وشاك السلاح للرجل المستعد
للحرب بالآلة وهذا اخبار للمؤمنين بامر وقع في انفسهم وودوه واحبوه وهو
مغيب عن النبي صلى الله عليه وسلم اعلمه به جبريل عليه الصلاة والسلام فلما تلاه
عليهم زاد ايمانهم باعجاز القرآن وذلك ان المسلمين لما علموا بقدوم عير المشركين
بما معهم من التجارة واحبوا الخروج اليها علم الكفار بذلك فخرج ابو جهل عقبا باهل
مكة وهم النفير فلما علم ابو سفيان بخروج النبي صلى الله عليه وسلم اخذ بالعير
الى جانب ساحل البحر فقيل لابي جهل ارجع بالناس فابى وسار بمن معه الى نجد فوعد
الله نبيه صلى الله عليه وسلم باحد الامرين الظفر بالعير او قتل النفير وكانت
الصحابة رضي الله عنهم يودون في انفسهم اخذ العير لما فيها من المال
وقلة ما عندهم من السلاح والرجال فقدر الله انهم يلقون العدو ليقطع دابر
الكافرين فقتل صناديدهم وايد الله المؤمنين واعز الدين ومنه اي من اخبار
بالغيب في كلام المعجز قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين هم خمسة من
الكفار او سبعة كانوا يؤذونه صلى الله عليه وسلم اشد الاذى ويسخرون به
فاخبره الله بهلاكهم شرعا وكفايته امرهم قبل وقوعه فكان كما قال
وهذا من جملة المغيبات التي اخبر بها رسوله صلى الله عليه وسلم كالذي قبله
ولذا جعلهما في قرن كما اشار اليه بقوله في سبب نزول هذه الآية كما رواه الطبراني
في الاوسط ولما نزلت هذه الآية عليه صلى الله عليه وسلم بشر بذلك اصحابه
اي بهلاكهم لما كان عندهم من الالم من شدتهم فاخبرهم بان الله كفاه اياهم
باهلاكهم وكان المستهزئون نفرا بمكة من اهلها ينفرون الناس عنه
ويطعنهم واستهزائهم ويؤذونه فهلكوا وهم الاسودين عبد يغوث والاسود بن
عبد المطلب والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدي بن قيس وقيل
منهم الحارث بن عيطلة وفكيهة ابن عامر الفهرية والحارث ابن الطلاطلة
ذكرها الماوردي في اعلام النبوة وفي الاحاديث اخبره صلى الله عليه وسلم
بهلاكهم وكيفيته وتدبروا به جملا جملا وكيفية هلاكهم مفصل في السير
وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم هلكوا في ليلة واحدة والذي ذكره غيره

انهم هلكوا في ايام متقاربة بعدما دعى عليهم بفنا البيت فاجاب الله دعوته صلى
الله عليه وسلم وانزل عليه الآية كما قال في الهمزية

وكفاه المستهزئين وكم ساء ۞ نبيا من قومه استهزاء
فرماهم بدعوة من فنا البيت ۞ فيها للظالمين فناء
خمسة كلهم اصيبوا بداء ۞ والردى من جنوده الادواء

ومن الاخبار بالغيب قوله والله يعصمك من الناس اي يحفظك من جميع الناس
الذين يريدون بك سوءا وكان الصحابة يحرسون النبي صلى الله عليه وسلم في السفر
اسفاره فلما نزلت منعهم من الحراسة وهذا الاخبار في ما اصابه صلى الله عليه
وسلم باحد لان الآية نزلت بعدها والمراد حفظه من القتل كما قصده الخضري
في حضا نصه فكان كذلك اي محفوظا معصوما كما اخبره الله وكان هنا تامة
وكذلك اي وقع ووجد كما اخبر به او ناقصة وكذلك خبرها وتولشه على كثرة
من رام اي قصدوا ضره مفعوله وفسره بقوله وقصد قتله اشارة الى
صحة ما تقدم عن الخضري من ان العصمة انما هي عن القتل لا عن غيره من انواع
الاذى والاخبار بذلك معروفة صحيحة كما في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله
قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فادركنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم في واد كثير العضاة فنزل تحت شجرة فعلق سيفه بغصن
من اغصانها وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر فاتاه رجل وهو
صلى الله عليه وسلم نائم فاخذ السيف فاستيقظ وهو قائم على راسه والسيف
مصلت في يده فقال له من يمنعك مني فقال الله ثم قال ذلك ثانيا فقال الله فشام
السيف فها هو جالس ثم لم يعرض له رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ملك قومه
فانصرف حين عفا عنه وقال والله لا اكون في قوم هم حرب لك ومثله كثير فصل
الوجه الرابع من وجوه الاعجاز القرآني ما انبأ به اي ما اخبر الله به من اخبار
القرون السالفة هو جمع قرن وهم اهل كل عصر وقرن ما له من الاقتران لاقتران
زمانهم واحوالهم فقيل هو اربعون سنة وقيل ثمانون وقيل
مائة وقيل هو مطلق الزمان اي اخبار الامم والملل المتقدمة والبلاد
البعيدة مما لا يطلع عليه الا من تتبع التواريخ او ساح في اقطار الارض وقد
عمر عمرا طويلا وكلا الامرين منتف في حقه صلى الله عليه وسلم والامم
البائدة اي الهالكة الذين اتاهم الموت وطحنتهم رحى الدهر حتى اندرست
آثارهم والشرائع الداثرة بدال مهملة وثاء مثلثة من دثر اذا ذهب فلم يبق
له اثر والدثور دروس بعض النسيان فالمراد معرفته بالشرائع القديمة التي نسيت
ونسخت احكامها من تدثر بثيابه اذا التفف بها وفي تعبيره نوع من البلاغة

في التعيين لان السالفة والبائدة والدائرة متغايرة اللفظ متغايرة
المعاني مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة بيان لما كقوله من اخبار علي
حدثوك تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا على ما حقق في شروح الكشاف
الا الفذ الفذ هو الفرد والشاذ وهما بمعنى وكلاهما بذال معجمة وفي الحديث
لا تدع شاذة ولا فاذة من اخبار اهل الكتاب اخبار جمع حبر بكسر الحاء المهملة
وفتحها وسكون الموحدة وراء مهملة ومعناه العالم الحافظ الواسع علمه
والعرف يخصه بعلماء اهل الكتاب ومنه كعب الاحبار للتابعي المشهور ويقال
له كعب الحبر ووجه اطلاقه انه من الحبر وهو المداد الذي يكتب به والنسبة
نسبة كعب المذكور او لانه يحبر الكلام ويزينه وفي المصباح الحبر بالكسر
المداد الذي يكتب به واليه نسب كعب فقيل كعب الحبر لكثرة كتابته بالحبر
حكاية الازهري وعن الفراء الحبر العالم والجمع احبار مثل حمل واحمال ويقال
الاحبار ايضا اي علماء العلماء وكذا في تهذيب الاسماء للنووي وحينئذ
فلا عبرة بقوله في القاموس كعب الحبر بالفتح ولا تقل كعب الاحبار الذي
قطع عمره في تعلم ذلك اي تعلم اخبار من سلف وشرائعهم فاذا كان لا
يعلمه الا من قرأه ودرسه طول عمره واما من كان اميا في امة امية لم يقرأ
من لم يعلم بذلك تعلمه به واخباره به مفصلا امر خارق للعادة في حقه
محال لا لذاته بل لما انه فيورده متفرع على قوله اميا اي اذا اخبر به النبي في الوحي
اي النبي صلى الله عليه وسلم المتلو المنزل عليه يورده اي يذكره
النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه حال من الفاعل او صفة مصدر مقدر
اي ايرادا اتيا على وجهه اي على اتم حال يليق به وينبغي له كما يقال
دبر الامر على وجهه كما في الاساس ويأتي به على نصه اي في غاية مرتبة من
كماله ورفعته يقال بلغ الشيء نصه اي نهايته كما في الاساس لان معنى
النص الرفع ومنه المنصة وفيه تورية لان عبارة القران تسمى نصا فيعترف
العالم بذلك بصحته وصدقه اي من يعلم تلك الاخبار والشرائع اذا
سمعها من لم يسمع بها علم صحة كلامه وصدقه فيما قاله اذا شك ولا اي مثل
النبي صلى الله عليه وسلم او مثل هذا الكلام لم ينله اي لم تصل اليه النبي صلى الله
عليه وسلم بتعليم اي من البشر بل بوحي من الله وقد علموا اي علم الناس
من المسلمين والمشركين انه صلى الله عليه وسلم امي اي لا يعرف القراءة
والكتابة فقوله لا يقرأ ولا يكتب صفة له مفسرة وموضحة
وقول النحاة الجملة المفسرة لا محل لها من الاعراب ليس على اطلاقه ولما
كان هذا لا يكفي لاحتمال ان يسمعه ممن قرأ وكتبه قال ولا يشتغل بدراسة

اي بحفظ وتلق من الافواه ولا مشافهة بضم الميم وتليها شين مثلثة ثم الف وفاء وهاء
اي مداومة طلب ومجالسة تحتك فيه الركب حتى يؤثر فيها الاحتكاك وهو عبارة
عن كثرة الجلوس مع اهل العلم بالاخبار والشرائع للتعلم منهم وهو مجاز من ثفن
البعير اذا بركت والثفنة ركبته التي يبرك عليها حتى يغلظ من حك الارض كثفنة
على كذا اذا اعتمد وكان يقال لابن عباس ذو الثفنات لغلظ جلوده في طلب
العلم او لكثرة سجوده حتى يصير في جبهته اثر السجود وهذا ابلغ مما قبله
وهو الصحيح الموافق لدأب المصنف في بلاغته وما قيل من انه بمثلثة
وقاف وموحدة من ثقب اي اذا اتقد وذهن ثاقب والاول بمعنى التعب
من ثفنت يد الرجل بكسر الفاء اذا غلظت من كثرة العمل فهو من تحريف
الكتبة الذي لا يلتفت اليه من له علم بكلام العرب وان نقله عن بعض الشراح
وقد تقدم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اميا لا يعرف الخط ولا يكتبه
وانه من معجزاته وربما قيل انه مخصوص باول امره وانه كتب
بيده الشريفة عام الحديبية فكان ذلك معجزة له اخرى وقد شنع على قائله
علماء الاندلس ونسبوه للزندقة كما هو مبسوط في محله ولم يغب عنهم
اي لم يغب صلى الله عليه وسلم عن قومه غيبة يحتمل انه تعلم فيها ما اخبرهم
به ولا جهل حاله احد منهم من ولادته صلى الله عليه وسلم الى وفاته حتى
يتوهم تعلمه ذلك من اهل الكتاب وقد كان اهل الكتاب اي احبار اليهود
والنصارى كثيرا ما يسألونه اي في كثير من الاحيان فهو منصوب على الظرفية
وما مزيدة لتأكيد معنى الكثرة او هو صفة مصدر مقدر اي يسألونه صلى الله
عليه وسلم سؤالا كثيرا عن هذا اي عن خبر من تقدم من الامم السالفة
فينزل عليه عقب سؤالهم جوابا لهم من القران ما يتلو عليهم منه ذكرا
المراد بالذكر القران المذكور لهم كقصص مصدر بالفتح او جمع قصة بالكسر
اي سير الانبياء مع قومهم فيذكره صلى الله عليه وسلم لهم مفصلا بابلغ عبارة
والطف اشارة وخبر موسى والخضر بفتح الخاء وكسر الضاد المعجمتين
ويجوز سكونها مع فتح اوله وكسره وهو ما قصه الله في سورة الكهف
وموسى هو ابن عمران الكليم على الاصح لا نبي اخر كما يزعمه اهل الكتاب والخضر
هو بليا بن ملكان على اقوال في الاختلاف في اسمه وقد اختلف ايضا في نبوته
وفي رسالته وانه هل هو حي الى الان او مات قبل المائة الاولى او قبل مماته صلى الله
عليه وسلم واكثر العلماء الصوفية على انه حي الان الا ان الله اخفاه عنا وقد
اطبق اكثر الصالحين على ذلك وانهم يلاقونه ويأخذون عنه وانه يحج في كل
سنة وليس في ذلك دليل قاطع ولكن حسن الظن يقتضي ما قالوه والاكثر

انه ولي لا نبي ومن الغريب ما قيل انه ملك وسمي خضرا لانه اذا جلس على الارض
اخضرت له وفي جامع الاصول عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال
صلى الله عليه وسلم انما سمي بذلك لانه جلس على فروة بيضا فاخضرت تحته
ويوسف واخوانه وهي قصة اخوانه والخلاف في كونهم انبيا ام لا سيأتي مفصلا وقد
كان اليهود سألوه صلى الله عليه وسلم عنها فانزل الله عليه السورة واصحاب
الكهف ومعناه الغار لانهم وجدوا فيه واختلف في مكانها واسماهم
يوما بينا اختلف في ضبطها وكانوا افرادا من ملك يسمى دقيونس وقصتهم مفصلة
في التفاسير وسبب نزولها ان قريشا بعثوا النضر بن الحارث وعقبة بن
معيط الى احبار اليهود ليسألوهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وامره لانهم
عندهم علم من الكتاب الاول فقدموا المدينة قبل الهجرة وسألوهم عن
ذلك فقال لهم الاحبار سلوه عن ثلاث فان اخبركم عنها فهو نبي مرسل
والا فهو متقول سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الاول ما كان
امرهم العجيب وعن رجل طاف مشارق الارض ومغاربها ما كان نبأوه
وسلوه عن الروح ما هي فان لم يبينها فهو نبي مرسل على ما ياتي فسألوه عن
ذلك فقال اخبركم غدا ولم يقل ان شا الله فانقطع عنه الوحي اياما
اختلف في عددها فارجف بذلك كفار مكة وحزن رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم انزل الله عليه ما قصه في سورة الكهف وذي القرنين
اختلف فيه وفي اسمه وسبب تسميته فقيل يوما في اسمه هرديس وقيل
حمير اسمه الصعب بن ذي مراثد وفي خطبة لقس بن ساعدة

اين الصعب ذو القرنين . ملك الخافقين .
واذل الثقلين . وعمر العين .

ثم كان كلحظة عين وهو الاسكندر وسمي ذا القرنين فقيل لانه عمر مدة
قرنين وقيل لانه ضرب على قرني راسه وقيل لذوابتين
له والقرون الشعر وقيل غير ذلك ولقمان وابنه وهو لقمان بن عنقا
ابن مروان وكان وليا صالحا وقيل انه نبي والاصح خلافه وقيل انه نوبي
من اهل ايلة واسم ابنه فاران عند ابن قتيبة واشباه ذلك من الانبيا
والقصص والاخبار المذكورة في القران عمن مضى من الامم السالفة وبدء
الخلق اي ابتدا خلق الله للدنيا وما جرى في ذلك مما لا يطلع عليه
الا من قرا الكتب ودرسها وخلقه للسموات والارض وما في التوراة والانجيل
من احكام الشرائع والتوحيد والزبور وصحف ابراهيم وموسى من المواعظ
كالاذكار وذكره لبدء الخلق لما تضمنه من الاخبار عما سلف ايضا من اخبار الامم

خبار
فلا يرد عليه ما قيل من انه بدء الخلق اخبار عن فعل الله وهو جدير بالحاقه بالا
بالغيب ما صدق فيه العلما منها اي الاحبار من اهل الكتاب حين ذكره لهم
ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها لكونها مطابقة للواقع ولما عندهم مما لم يمكن
انكاره بل اذعنوا لذلك فاقروا به واعترفوا منقادين له بل اذعنوا لذلك
فاقروا به واعترفوا منقادين له فمن موفق اسم مفعول من التوفيق اي الذين
سمعوا ما قصه صلى الله عليه وسلم عليهم وعرفوا حقيته منهم من وفقه الله
لهداه وامن بالمد فعل ماض مفتوح الاخر بما سبق له من خير اي بسبب ما
سبق له في علم الله الازلي وحكم بانه سعيد فسبق فعل ماض بسين مهملة
والموحدة وقاف والخير هو احسان الله وانعامه عليه بهدايته وتجويزه
كسر سينه قيل بالمثناة تحتية ماض مجهول سافرائي بما ساقه
الله له واوصله اليه من الخير ومن شقي معاند حاسد اي اشقاه الله حتى
حمله العناد والحسد على عدم الانقياد لما علم حقيته كما حمل الحسد ابليس لعنه
الله على ضلاله لما كتب له من الشقاوة الازلية فلم يصدق ولم يؤمن ومع
هذا العناد والحسد الذي اظهروه فلم يحك بالبنا للمجهول ونائب
فاعله انه انكر الواقع بعد سطور وهو ما لفا التفريعية تفصيله
وتبيين لقوله لم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها فالمقام مقام الاطناب
وحط انه لا وجه للاعتراض عليه بانه لا موقع له بعدما تقدم اي لم يذكره
عن واحد من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له صلى الله عليه وسلم
اي هم مع انهم اشد الناس عداوة له وعلى بمعنى مع كقوله وانه لحب الخير اي على
حب الخير لشديد واحرصهم على تكذيبه اي على شيء من كلامه بعده ولا على
نسبته الى الكذب فيه وطول احتجاجه عليه الصلاة والسلام عليهم اي اي
اقامته الحجة عليهم بما في كتبهم المنزلة على انبيائهم عليهم الصلاة والسلام
وتقريعهم اي توبيخهم وتفضيحهم بما انطوت عليه مصاحفهم جمع مصحف
بتثليث الميم كما نقل عن ثعلب والفتح غريب من اصحف اذا جمع الصحف وفي
بعض الصحف هنا وكثرة سوالهم له عليه الصلاة والسلام عما لا يعلمه
الا من له تبحر في العلم منهم وتعنيتهم اياه تفعيل من العنت وهو المشقة
والتعب اي تكليفهم بما هو شاق عن اخبار انبيائهم متعلق بسوالهم واسرار
علومهم اي الامور الخفية الدقيقة من علومهم ومستودعات سيرهم اي سيرا
لهم عما اودع في مصاحفهم من سير انبيائهم واعلامه لهم بمكتوم شرائعهم
وفي نسخة مكنون بدل مكتوم اي اخباره صلى الله عليه وسلم لمن ساله منهم
عن امور مكتومة مخفية عندهم ستروها عن غيرهم ومضمنات كتبهم

انه مما تضمنتها كتبهم من الاحكام وغيرها مثل سؤالهم عن الروح في الحديث
الصحيح الذي رواه الشيخان كما تقدم بيانه وذي القرنين واصحاب
الكهف وعيسى لما قال علما اليهود للمشركين سلوه عنها فان سكت او اجاب
عن الجميع فليس بنبي وان اجاب عن الاولين وسكت عن الروح ووكل علمها الى
الله فانه كذلك في التوراة فهو نبي مرسل وحكم الرجم اي سؤالهم له صلى الله
عليه وسلم عن حكم الرجم للزاني المحصن الذي انكروه فبينه لهم صلى الله
عليه وسلم كما في التوراة وما حرم اسرائيل على نفسه اسرائيل هو
يعقوب عليه الصلاة والسلام ومعناه صفوة الله وكان اليهود سالوه امتحانا
له عما حرم على نفسه فقال لحوم الابل والبانها او العرق وسببه فيما قيل قصته
انه كان سكن البدو فخرج من اخيه العيص ثم نذر انه ان دخل بيت
المقدس سالما من الامراض والافات ان يذبح اخر اولاده فاعزم عليه
فلما سار وقرب منه بعث الله ملكا فركبه فمرض بعرق النسا حتى
كان من وجعه ما كان وذلك لئلا يلزمه ذبح ولده فحرم على نفسه
ما سرا لانه يضر عرق النسا وكان ذلك باجتهاد منه والانبياء يجوز لهم الاجتهاد
على الصحيح ويعقوب مات بمصر فحمله يوسف عليهما الصلاة والسلام
فدفنه عند ابيه بوصية منه وسالوه ايضا عن ما حرم عليهم اي على
بني اسرائيل من الانعام ومن طيبات من المآكل كانت احلت لهم اي
جعلها الله حلالا لهم فحرمت عليهم ببغيهم اي حرمت عليهم عقوبة بسبب
ظلمهم يشير الى قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الاية فحرم
الله عليهم ما لم يكن مشقوق الاصابع من البهائم والطيور كالابل والنعام
والاوز والبط وفسر كل ذي مخلب من الطير وكل ذي حافر من الدواب
وحرم عليهم شحم البقر والغنم والكليتين اما المتصل بالظهر والجنب كما بينه
المفسرون وفصلوه في سورة الانعام وقوله ببغيهم اي بقتلهم انبياءهم
واخذهم اموال الناس بالباطل فقالوا ان الله لم يحرم علينا شيئا فنزلت
هذه الاية بتكذيبهم حتى افتضحوا واذعنوا ومثل قوله تعالى ذلك
مثلهم في الانجيل الاية اشارة الى قوله سيماهم في وجوههم من اثر
السجود كزرع اخرج شطأه الى اخر ما ذكره في اخر سورة الفتح فاخبرهم
الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بما في كتبهم وغير ذلك من امورهم
التي نزل بها القران مما لا يعلم مثله الا بوحي فاجابهم عما سالوه وعرفهم بما كتموه
مما اوحي اليه من ذلك السابق ذكره كله انه انكروا ذلك او كذبوه بفتح همزة ان
والمصدر المسبوك منها وما دخلت عليه نائب فاعل لم يكن وهو ظاهر اضرب

عن ذلك اضرابا انتقاليا على سبيل الترقي فقال بل اكثرهم صرح اي تكلم بكلام صريح
ناطق بجحد نبوته اي قال انه صلى الله عليه وسلم انه كاذب في دعوى النبوة وانه لم
نبوة صحيحة وصدق مقالته اي صدقه فيما قاله صلى الله عليه وسلم مما ادعاه
ومما نقله عن كتبهم وصدق مصدر مضاف للفاعل او للمفعول ما من مشدد الدال
ومقالته منصوب مفعوله واعترف بعناده وحسده اياه فاقر بانه جحده لما
جاء به صلى الله عليه وسلم محض عنادا وحسدا وافرد ضمير حسده رعاية لافراده
لفظ اكثر ورد بضمير الجمع رعاية لمعناه وليس حسده فعلا ماضيا لقوله فانه بابا
كاهل نجران بفتح النون وسكون الجيم وراء مهملة قبل الف ونون وهم قوم من نصارى
نجران العرب منزلتهم بين مكة واليمن على سبع مراحل من مكة سموا نجران بنجران
ابن زيد بن سبا وسياتي الكلام عليهم وابن صوريا بضم الصاد وراء مهملتين
وواو ساكنة قبل وبشناة تحتية مقصور وجوز البرهان مده وهو عبد الله
ابن صوريا وهو حبر من احبار اليهود الذين كانوا بالمدينة وهو الذي وضع يده
على اية الرجم وهو لفظ عبراني واختلف في اسلامه فقيل انه اسلم وقيل
مات على كفره وابني اخطب تثنية ابن واخطب بزنة افعل التفضيل بخاء معجمة
ساكنة وطاء مهملة مفتوحة وموحدة على لا يهما وهما حيي بضم الحاء المهملة
وفتح الياء المثناة التحتية يليها ياء مشددة وابو ياسر وهما يهوديان من يهود
المدينة معروفان ماتا على كفرهما وحيي هذا هو ابو صفية ام المؤمنين رضي
الله عنها قالت كان عمي ابو ياسر اخبرني اني اليه كان يقول انه تجده في
كتابنا فيقول نعم هو هو فيقول له فما في نفسك منه فيقول معاداته وغيرهم
من احبار اليهود والنصارى ومن باهته في ذلك بعض المباهتة اي لم يعترف
بحقيقة ما جاء به صلى الله عليه وسلم وادعى انه كذب مكابرة منه بتبالد بهتته
وباهته اذ اكذبه ونسبه للبهتان • ويشكر طيب المسك كذبه الشذا •
وقوله بعض المباهتة اي في بعض اموره التي يمكن المكابرة فيها وفيه اشارة
الى ان من اخباره صلى الله عليه وسلم ما لا يمكن انكاره من احد من العقلاء
وقد علمت تبالد بهتته بكذا او باهته كما في الاساس ومن انكره فقد اتى
ببهتانه من عنده وادعى ان فيما عندهم من كتبهم من ذلك لما حكاه متعلق
بقوله مخالفة بالنصب اسم ان ومن الموصولة في قوله ومن باهته مبتدا خبره
دعي الى المباهلة المجهول اي دعاه الرسول صلى الله عليه وسلم باذن ربه الى اقامة
حجته اي الى دليل بالاتيان ببعض من كتبهم يخالف ما اخبرهم به وكشف دعوته
اي بيان ما ادعاه فقيل له اي قال الله له صلى الله عليه وسلم قل لهم
فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين الى قوله الظالمون يعني قوله

فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فاولئك هم الظالمون وسبب نزولها
ان اليهود قالوا له صلى الله عليه وسلم تزعم انك على ملة ابراهيم وانت تاكل لحم الابل
والبانها وذلك محرم في شرعه وقيل ان المسلمين قالوا لهم انما حرمت عليكم
الطيبات ببغيكم فقالوا انها كانت محرمة قبل ذلك فامروا باحضار التوراة
حتى يتلى ما فيها من تحريم ذلك فلم يجدوا ذلك فيها فافتضحوا فصل
انهم اتوا برجل وامراة زنيا فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم كيف تفعلون
فقالوا نحممهما ونضربهما فقال لهم ان الذي في التوراة رجمهما فانكروه
فقال لهم كذبتم ايتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين فاتوا بها
وقروا احكم الزاني فيها فوضع القارئ يده على اية الرجم وقرا ما قبلها
وما بعدها فانتزعت من يده وجد فيها اية الرجم نزلها فقرع ووبخ
اي قرعهم الله وعيرهم بتكذيبهم وافترائهم على الله صريحا وتلويحا وجعلهم
ظالمين ودعى الى احضار ممكن غير ممتنع وهو امرهم بالاتيان بالتوراة وهي
حاضرة بين ايديهم نصا دوا انتسابه لمن معترف بما يجحده وانكره من
احكام التوراة ومن متواقح بضم الميم ومثناة فوقية مفتوحة وقاف وحا
مهملة اي متكلف للوقاحة وهي قلة الحيا وصلابة الوجه حتى لا يبالي
فافتضاحه كالمراد به ابن صوريا الذي وضع يده على اية الرجم فقال له ابن
سلام ارفع يدك يا اعور كما اشار اليه بقوله يلقي على فقيه يخفيه اي ما يفضحه
فيجعله سخرة بين الناس من كتابه اي من الكتاب الذي معه بيده اي
يضعه عليه وعلى الايات التي فيها ما يخالف دعواه ويكذبه ولم يوتوا
بالبنا للمجهول بمعنى ينقل معطوف على قوله فلم يمكن المتقدم ونايب
فاعله ان واحدا منهم اي من اهل الكتابين اظهر خلاف قوله
صلى الله عليه وسلم من كتبهم اي من الكتب التي عندهم مما انزل على
انبيائهم ولا ابدا اي اظهر نقلا صحيحا ولا سقيما اي محرفا لفظه او ماولا
معناه من صحفه جمع صحيفة وهي الكتاب قال الله تعالى بيانا لما كانوا
عليه في هذا الامر يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما
كنتم تخفون من الكتاب كصفته صلى الله عليه وسلم وقصة الرجم وبشارة
الكتب ببعثته صلى الله عليه وسلم ونشانه ويعفوا عن كثير لجهله وستر
عليهم رجا هدايتهم بتوفيق الله الاية وهي قد جاءكم من الله نور وكتاب
مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات
الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم فصل هذه
الوجوه الاربعة من اعجازه بينة في غاية الظهور لا نزاع فيها اي لا ينازع

احد من العقلاء في كونها ثابتة معجزة ولا مرية بكسر الميم وضمها بمعنى شبهة
وشك في ذلك وهي عامة في جميع الايات وفي جميع الاخبار الواقعة فيها كما قال
ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ومن الوجوه
البينة في اعجازه من غير هذه الوجوه الاربعة اي جمع اية وهو اسم جنس جمعي
كتمر وتمرة وليس كل ما يفرق بينه وبين واحده بالتاء اسم جنس جمعي كما فصله البدر
ابن مالك في باب الجمع من شرح الالفية والاية جملة من القران لها مبدأ ومقطع
وردت بتعجيز قوم اي اعجازهم اظهارا لعجزها تعينه مخصوصة من الناس
في قضايا جمع قضية وهي الحادثة الواقعة في حكم قضاء الله وقدره
واعلامهم انهم لا يفعلونها الاعلام بكسر الهمزة مصدر اعلم مجرور
معطوف على تعجيز والضمير للقضايا فما فعلوا ولا قدروا على ذلك
المذكور من تلك القضايا ونفي القدرة ابلغ من نفي الفعل كقوله عز وجل
لليهود لما ادعوا دعاوى باطلة كقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او
نصارى فكذبهم والزمهم الحجة فقال مخاطبا باله صلى الله عليه وسلم قل
ان كانت لكم الدار الاخرة وهي الجنة عند الله خالصة اي خاصة بكم
وهو حال من الدار الاخرة والخطاب لاهل الكتاب من دون الناس
اي باقيهم من المؤمنين وغيرهم فتمنوا الموت ان كنتم صادقين
في قولكم انكم من اهل الجنة وانها مخصوصة بكم لان من تيقن دخول الجنة
اشتاق لها واحب التخلص من هذه الدار واكدارها ومن احب لقاء الله
احب الله لقاءه ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم فنفى عنهم تمني الموت
في جميع الازمنة المستقبلة بقوله لن وابدا وما قدمته ايديهم الكفر
بالله وتحريفهم التوراة فما في هذه الاية من المعجزات لانه اخبار بالغيب
وهو كما اخبر اذ لو تمناه احد منهم مع توفر الدواعي على نقله اشتهر والتمني
وان كان من اعمال القلب الخفية كما ياتي فالتلفظ به وقولهم تمنينا مما لا
يخفى ولا تمنوه ما نوافهم لحرصهم على الحياة وخوفهم لن يتمنوه وقد صرفهم
الله عن ذلك معجزة له صلى الله عليه وسلم وقد استشكل ما قاله المص
هنا بان ما ذكره هنا داخل في الوجوه السابقة فان قوله لن يتمنوه ابدا مثل
فاتوا بسورة من مثله الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا اعلامهم بانهم
لا يفعلون لعجزهم وعدم قدرتهم فهو داخل في النوع المتقدم لانه اخبار
عما سياتي الله يعلمه في المستقبل لجعله الله اولى منه غير مسلم وقد
سوى بينهما في الكشاف والجواب عنه انما تقدم امر معجز في نفسه في سائر
الازمنة بخلاف ما نحن فيه فان قول احدهم ليتني امر سهل وهو امر ممكن لهم

وَلِعَيْرِهم واجبارِه انما هو مجرد الاخبار عن عدم وقوعه فهو مغاير لما قبله
وادي منه بمراتب قال ابو اسحاق الزجاج في تفسيره المسمى بمعاني القرآن
وهو تفسير جليل يعتمد عليه الزمخشري في كشافه وهو ماخذه كما مر وهو العلامة
في فنون العربية التي تلقاها عن المبرد واسمه ابراهيم ابن السري بن سهل بن
الزجاج نسبة لصنعته توفي سنة احدى عشرة وثلاثمائة يوم الجمعة تاسع
عشر جمادى الاخرة كما تقدم في هذه الاية اعظم حجة واظهر دلالة على
صحة الرسالة اي رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانه قال فتمنوا
الموت واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمنه واحد منهم وفي نسخة
احد منهم وفي الكشاف فان قلت التمني من اعمال القلوب وهو
سر لا يطلع عليه احد فمن اين علمت انهم لن يتمنوه قلت
ليس التمني من اعمال القلوب وانما هو قول الانسان ليت لي كذا وليته كلمة
تمن ومحال ان يقع التحدي بما في الضماير والقلوب ولو كان بالقلوب لقالوا قد
تمنيناه بقلوبنا ولم ينقل انهم قالوه وفي حواشيه للقطب انه استدلال
على ان التمني ليس من افعال القلوب لان التحدي انما يكون باظهار المعجز لالزام
من لم يقبل الدعوى والتمني ليس بمعجز فهو كقول الخصم اخلف لي ان كنت
صادقا في دعواك فقال التحدي هنا بطلب دفع المعجزة فانه اخبر انهم
لن يتمنوه ابدا معجزة طلب دفعها بتمنيهم والدفع لا يكون الا بامر ظاهر
وهو كلام حسن منعه قول من لم يصل الى المقصود وعن النبي صلى الله
عليه وسلم في حديث رواه البيهقي من طريق الكلبي عن ابي صالح عن ابن
عباس رضي الله عنهما بهذا اللفظ الاتي واحمد في مسنده عن ابن عباس مرفوعا
بسند جيد بلفظ لو ان اليهود تمنوا الموت لماتوا والذي نفسي بيده
اقسم بالله قسما مناسبا للمقسم عليه فان معناه الذي روحه بيد الله ان شاء
ارسلها فتحيى وان شاء امسكها فتموت وكان النبي صلى الله عليه وسلم
كثيرا ما يقسم به لا يقولها اي كلمة التمني المفهومة من السياق رجل منهم
اي واحد من بني اسرائيل والرجل على ظاهره او المراد ما يعم المرأة الا غص
بريقه غص بضم الغين المعجمة وفتح الصاد المشددة المهملة او بفتحهما
رقا على ضمير الرجل وعليه اقتصر بعضهم ولا ينافي الا في لكونه لا زمان
كما توهم والغصة ما يقف في الحلق فيمنع النفس حتى تهلكه يقال
غص بالطعام وشرق بالشراب وشجي بالعظم وجرض بالريق وقد يستعمل
كل منها مكان الاخرى والريق رطوبة الفم وغصص الدهر مصائبه وهو
كناية عن سرعة وقوع الموت بهم كما في النهاية واليه اشار بقوله يعني

٩٧

يموته مكانه اي في مكانه الذي غص فيه فلا يمهل لانتقاله لغيره فصرفهم
الله عن تمنيه مصدر مضاف لمفعوله وهو ضمير الموت وجزعهم بفتح الجيم
وتشديد الزاي المعجمة وفتحها وفتح العين المهملة وفي نسخة في جزعهم
وكونه جزعهم بالراء المهملة غلط ليظهر صدق رسوله صلى الله عليه وسلم وصحة
ما اوحي اليه ثم بينه بقوله اذ لم يتمنه احد منهم لخوف الموت لتيقن صدق
خبره وكانوا على تكذيبه احرص لو قدروا على تكذيبه بان يتمنوا ولا يموتوا
والجملة حالية تبعد برقدر ولكن الله بالتخفيف والتشديد يفعل ما يريد
من تمنيهم وعدمه فظهر بذلك اي بصرفهم عما هم احرص عليه معجزته وبانت
حجته بصدق خبره عن الغيب قال ابو محمد الاصيلي تقدم الكلام عليه وعلى
نسبته من عجيب امرهم اي اليهود انه الضمير للشان لا يوجد منهم جماعة
ولا واحد من يوم اي من حين امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله قل لهم
تمنوا الموت بقدم عليه اي على تمني الموت ولا يجيب اليه اي الى قوله
تمنوا الموت او الى قول احدهم تمن الموت لشدة خوفهم لما جبلهم الله عليه من
حرصهم على حب الحياة كما قال ولتجدنهم احرص الناس على حياة وهذا
المذكور من امتناعهم عن التمني موجود مشاهد لمن اراد ان يمتحنه منهم
اي كل من اراد ان يعرفه اذا ذكره لهم ظهر له ما في طباعهم والامتحان هو التجربة
وانما ذكره دفعا لما يقال التمني امر خفي فقد يقال انه موجود ولم يطلع عليه
وكذلك اية المباهلة اي مثل تحدي النبي صلى الله عليه وسلم في بني اسرائيل قصة
المباهلة في نصارى نجران لان فيها تكليفا بالتكلم بامر لو قالوه هلكوا اذ قد
اخبره الله به قبل وقوعه فكان كما اخبر ولم يجبه احد منهم الى ما دعاهم اليه
كما لم تتمن اليهود الموت فهو من هذا المعنى يعني انهما متقاربان كما قررناه انفا
واصل معنى المباهلة كما حققه الراغب من البهل وهو الاهمال
كارسال البعير وحل صرار الناقة يقال ابهلت فلانا اذا خليته وارادته
ومنه الابتهال وهو تضرع الدعاء قال ومن فسره باللعن فلانه من
من الاسترسال فيه قال الشاعر ٥ نظر الدهر اليهم فابتهل ٥
اي استرسل اليهم فافناهم انتهى وفيه رد على بعض اهل اللغة اذ ظن ان م
حقيقته الملاعنة ويؤيده ظاهر قوله ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على
الكاذبين حيث وفد عليه الوفد هو القادم من غير اهل الديار
وحيث هنا للزمان اي لما قدموا عليه من بلادهم اساقفة نجران جمع
اسقف بضم الهمزة والقاف وبينهما سين مهملة واخره فاء مشددة وهو
رئيس النصارى في دينهم قاضيهم وامامهم قيل سمي به لانه خاشع وخضوعه

ونجران بفتح النون واسكان الجيم بلدة كانوا فيها وهي بين مكة واليمن على سبع
مراحل من مكة قدموا منها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ستون راكبا
منهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم ومنهم ثلاثة نفر يؤول اليهم امرهم واميرهم اسمه
المسيح ثم العاقب والسيد وصاحب رحلهم الايهم وابو حارثة ابن علقمة اخو بكر
ابن وائل اسقفهم وامامهم وقصتهم مشهورة في الاسلام وابوا الاسلام اي امتنعوا
ان يسلموا الا دعا لهم حقيقة دينهم وعدم نسخه فانزل الله عليه
صلى الله عليه وسلم في حقهم اية المباهلة بقوله فمن حاجك فيه من بعد
ما جاءك من العلم الاية وتمامها تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم
وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ومعنى وانفسنا
وانفسكم اي ليدع بعضنا بعضا فان الانسان لا يدعو نفسه وكيفيتها
كما فسره الله ان يجمع كل من المتخاصمين اهله ثم يتوجه كل منهما الى الله ويقول
اللهم ان هذا يقول كذا وكذا وانا اقول كذا وكذا اللهم فاجعل لعنتك
على الكاذب منا فان عذاب الله يعجل بمن كذب من سنته فما لم يستجب
قال سلطان العلماء العز بن عبد السلام اسند الله بعض اهله سلم بمكة
فقال اباهله الى الله فعجل فلم يمض سنة حتى هلك من باهله وانما
جمع الاهل لخوفهم حلول العذاب من الله بهم اجمعين ومن ثم قال
هنا معنى الابتهال بالعذر والفتح اللعنة لم يصبه كما مر عن الراغب
وهذا انما نحن فيه من نجه ومن قال الاسقف مشتق من السقف كما قاله
ابن السكيت الحق الحجة فيه كلامه تناقض فامتنعوا منها اي من المباهلة
خافوا لما شاهدوه من الهلاك على انفسهم بدعائه صلى الله عليه وسلم
ورضوا باداء الجزية وهي الخراج الموظف على الناس ويطلق على ما يعين
على الاراضي فاختاروها مع ما فيها من المذلة وكانوا قالوا له صلى الله عليه
وسلم ما لك تشتم نبينا فتقول عبد الله فقال هو عبد الله ورسوله وكلمته
القاها الى العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رايت انسانا من غير اب
فانزل الله عز وجل ان مثل عيسى عند الله الاية ثم دعاهم للمباهلة وذلك ان
ان العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم انه نبي وانه ما لاعن قوما
نبي قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم اي هلكوا جميعا لاجابة دعائه عليهم
ثم قال لهم ان ابيتم الا الاقامة على دينكم فصالحوه وانصرفوا الى دياركم
وروي ان العاقب لهذا منهم هو السيد الذي كان يسمى شرحبيل فقال
لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلموا يكن لكم وعليكم ما للمسلمين
وعليهم فابوا فقال نقاتلكم فقالوا ما لنا طاقة بحربك ولكن نصالحك

على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدي اليك كل عام الفي
حلة الفا في صفر والفا في رجب فصالحهم صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال
لو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا وفيه دليل
على مشروعية الملاعنة قاله في المواهب وقد جنبته وانه لا يختص على الكاذب
سنة كما سمعته وقد علمت ان هؤلاء امتنعوا من الملاعنة كما امتنع اليهود
عن تمني الموت ولذا اورده المصنف هنا ومثله قوله وان كنتم في ريب
مما نزلنا على عبدنا الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا اي مثل قوله
فمن حاجك فيه فاخبرهم الله في هذه الاية انهم لا يفعلونه في المستقبل
ابدا وهو ما دل عليه الجملة المعترضة بين الشرط وجزائه وهي قوله
ولن تفعلوا كما كان في الماضي الدال عليه فان لم تفعلوا فان عجزهم عن
معارضة القران امر محقق ووقع وانما اتى بان الشرطية وكان يقتضي المقام
اذا اعتبارا بما عندهم من الشك في قدرتهم تهكما بهم وهذه الاية
اي قوله تعالى وان كنتم في ريب الخ ادخل في باب الاخبار بالغيب
اي انه راجح فيه اظهر واوضح لتحقق نفيه في المستقبل بالنفي في الماضي
الذي علم من التحدي بخلاف اية تمني الموت واية المباهلة لعدم تقدم شيء
من نوعها وقيل الا ان فيها تصريحا بنفي فعلهم في المستقبل بخلاف
اية المباهلة فان فيها اشعارا بالعجز عن المباهلة في الحال والاشعار
بالنفي في المستقبل الذي هو من الاخبار بالغيب من لوازمها لا من صريحها
وفيه بحث ولكن فيها من التعجيز ما في التي قبلها اي في اية سورة البقرة التي
فيها تعجيزهم عن الاتيان بمثل سورة ما من مثله بعجز كتعجيزهم عن المباهلة
وفيه نظر فانهم لم يعجزوا عن المباهلة وانما خافوا من عاقبتها فاحجموا عنها
ولو ارادوها لم يكن عندهم مانع منها فتدبره فصل ومنها
اي من وجوه اعجاز القران وجه غير الوجوه الاربعة التي تقدمت
الروعة بفتح الراء والعين المهملتين المرة من الروع وهو الفزع والخوف
الذي يلحق عند سماعه لجلالته وهيبته كما وقع لسيدنا عمر رضي الله عنه
لما سمع اول سورة طه فاسلم من غير تردد لما وقع في قلبه عند سماعه التي
تلحق قلوب سامعيه اصلهم بالحق قلوب السامعين له لجذبته نوريته
لا صارفه لتغيير القران واسماعهم الغضب مطبوع على قلوب مغفول
لحق وهو جمع سمع بمعنى الحاسة وفيه تسمح لان الفزع لا يلحق السمع وانما يلحق
القلب بواسطته وهو كقوله ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى اي
لتذكر احداهما الاخرى اذا ضلت كما حقق في الكشاف وشروحه وانما عطف

عليه ليفيد ان هذه الروعة تلحق من يفهمه ومن لا يفهمه مومنا كان او كافرا
فاقيل ان في عد هذا وجها مستقلا من وجوه الاعجاز نظرا لانه معنى زايد
على النظم مشروط بتدبره وهو في المومن واضح واما في الكافر فليتقوبه ليتبين
نسديد لمن القى السمع وهو شهيد وقوله عند سماعه بآباه والضمير هنا
للقرآن والهيبة بالرفع معطوفة على الروعة ومعناه الخوف يقال
هابه اذا خافه كما في القاموس وهو قريب من الروعة والمحقق انهما ليسا
بمعنى واحد كما في عروس الافراح قال ربما يتوهم ان الروع والمهابة واحد
وليس كذلك بل الروع الفزع والمهابة الاجلال قال
• اهابك اجلالا وما بك قدرة • علي ولكن ملا عين حبيبها •
وقال الشريف في قول السكاكي • ادخال الروعة وتربية المهابة •
المهابة يراد بها عرفا الحالة التي تكون في قلوب الناظرين الى الملوك
وتربيتها تقويتها والروعة الخوف الذي يتجدد بمخاطبتهم انتهى التي تعتريهم
اي تطرد عليهم وتغشاهم عند تلاوته وقراءته والاول ناظر للسامع والثاني
للقاري نفسه او هما بمعنى لقوة حاله اي لما فيه من الحالة القوية باعتبار
ما فيه من المواعظ والانذار وهذا ناظر للروعة عند من فهمه
وابانة خطره اي علو مرتبته على غيره من الكلام الذي يجابه سامعه
والهيبة وافرد الضمير لانهما شي واحد او كالواحد على المكذبين
به اعظم منها على المومنين لشدة خوفهم منه كما قيل الخائن
خائف والمومن وان هابه فهو متلذذ به مطمئن قلبه ببشايره حتى
كانوا اي المكذبون يستثقلون سماعه لصعوبة ما فيه عليهم ويزيدهم
سماعه نفورا عن الحق والاصغا اليه كما قال تعالى واذا ذكرت
ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا اي ولو معرضين عنه
لعدم ذكر الهتهم فيه ويودون اي يحبون انقطاعه اي قطع تلاوته
عندهم لكراهتهم له لخبث طباعهم كما تضر رياح الورد بالجعل
ولهذا المذكور من محبة انقطاعه وكراهتهم له قال صلى الله
عليه وسلم في الحديث الذي رواه الديلمي وغيره عن الحكم بن عمير
وسيأتي تمامه ان القرآن صعب في نفسه بمعنى انه لا يقدره
احد على ما كانه وضبط الفاظه وحفظها بسهولة كما قال تعالى انا
سنلقي عليك قولا ثقيلا مستصعب بفتح العين وكسرها اي يعسر
فهمه وتفسيره بالراي ولا يمكن تغييره وتحريفه لانه لا ياتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه لانه ليس من جنس كلام البشر على من كرهه

من الكفار والمنافقين وهو اي القرآن الحكم بفتحتين اي الحاكم الفاصل
بين الحق والباطل بما تضمنه من الاحكام والبر والفاجر بما نصبه فيه من
الادلة الدالة على حقيته ولذا اتصل له توقان وهذا في حق غير المومن
واما المومن معادلة لاما مقدرة معلومة مما قبله اي اما غير المومن
فلا يزال صعبا عليه لكراهته له واما المومن فلا تزال روعته به
بفتح الراء وخوفه من زواجره ومواعظه وهيبته منزلة الحاصلة
بسببه وهيبته اياه الضمير الاول للمومن والثاني للقرآن او بالعكس
مع تلاوته اي قراءته من تلاه اذا تبعه او هو بمعناه اللغوي اي اتباع لاوامره
ونواهيه والتلاوة في العرف تختص بالقرآن وتستعمل الا تختص به
توليه اي تعطيه من اولاه معروفا اذا اعطاه فهو بضم المثناة الفوقية
وسكون الواو وكسر اللام المخففة انجذابا بنون وجيم وذال معجمة وموحدة
من جذبه اذا ما لم يجهته بشدة اي ليستميل قلبه وسمعه لجنبه له وتشبه
الشي منجذب اليه وتكسبه بضم التاء الفوقية وسكون الكاف هشاشة
بفتح الهاء والسين المعجمة اي مسرة وخفة ولينا لما فيه من البشارة
والمعاني اللذيذة التي تحمله في نشاط لميل قلبه اليه وتصديقه به
فهو دايما يرتع بكره منه في روضات انيقة فاذا عرف من يناجي وانه جليس
الرحمن سر ونشط ثم استشهد لهذا بقوله قال تعالى تقشعر منه
جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله اي تحرص
جلودهم ابدا انهم تقشعر يره اي تقام من الخوف من هيبته فاذا تامله وتدبره
لان قلبه وجلده لانسه وسروره به فلذا ترى بعض الصالحين اذا
تلى القرآن تواجدوا وهاجوا وقد يتعدى ذلك الى الغشي وشق الثياب
ونحوه ومثله لاينكر ومن لم يذقه لا يعرف ولا ياتي هذا انه لم يقع من الصحابة
رضي الله عنهم لان مقامهم تمكين وقد بسط هذا في الاحيا فان اردته
فارجع اليه وعدي تلين بالى لما فيه من معنى الميل وذكر الجلود في الاول
وضم اليها القلوب في الثاني اشارة الى ان الاول قبل التدبر التام فاذا تدبر
ذلك رق في قلبه وزالت تلك الحالة الظاهرة عنه وقال
تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل الاية تمامه لرايته خاشعا متصدعا
من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون وهنا
تمثيل لما فيه من الروعة التي تهد الجبال فما بالك بالرجال والاية مبينة في
التفاسير فلا حاجة للتطويل بذكر ما فيها ويدل على ان هذا
اي ما يحدث للقلوب والاسماع من الروعة والمهابة شي خص به القرآن

دون غيره من الكلام انه امر يعتري اي يطرو ويحدث من لا يفهم معانيه
ولا يعلم تفاسيره ممن لم يمارس كتبه ويقروها حتى يقف على دقايقه ولطايفه
فعلم من هذا ان تاثر السامع به ليس فيه فامر رباني ولذا كان له شانه قاد به
وسامعه وان لم يفهمه بخلاف غيره كما روي عن نصراني ليس من شانه فهم
القران ولا الوقوف على تفسيره نفيه ايضاح لما قبله انه مر بقاري ٥
يتلو القران جهرا فوقف ليسمع قراته وهو يبكي فقيل له مم تبكي
وانما سيل عن سبب بكايه لانه لا يصدق به ولا يفهمه فقال للشجا
والنظم الشجا بفتح الشين المعجمة والجيم مقصورا يقال شجا يشجي شجا وهو
شجي اذا حزن او طرب او غضب والثاني السبب هنا كما قاله البرهان ٥
والمراد بالنظم رونق انتظامه وحسن اسجاعه فاثر ذلك في نفسه ولا يفهمه
حتى ابكاه وسمع بعض العرب جارية اعجمية حسنة الصوت تغني بالفارسية
فشوقه ذلك واشجاه وقال

وسمعة يحار السمع فيها • ولا يفهمه لا يفهم صداها
ولم افهم معانيها ولكن • ورت كبدي فلم افهم شجاها
فكنت كانني اعمى معنى • يحب الغانيات ولا يراها

ولم يذكر المصنف رحمه الله ان ذلك القاري قرا بصوت حسن حتى يكون
تاثره وطربه لنغماته وهو ابلغ وادل على ما قصده وهذه الروعة
الحاصلة عند سماع القران لمن لم يتدبره قد اعترت جماعة وحصلت لهم
قبل الاسلام اي قبل اسلامهم وبعده ثم فصل حال من اعترته الروعة
قبل اسلامه لكنه تسمح في العبارة لان الفعلية تقتضي عروض الاسلام ٥
فلا يناسب قوله ومنهم من كفر وكذلك قوله بعده فعبارته لا تخلوا من ٥
المسامحة وكان الظاهر ان يقول اعترت جماعة منهم من اسلم ومنهم من
بقي على كفره بقوله فمنهم من اسلم لها اي لهذه الروعة لاول وهلة
بفتح الواو وسكون الهاء وهي المرة من الوهل وهو الفزع يقال وهل منه
واليه اذا فزع ثم قيل اول وهلة لاول ما يقرع السمع ويقع في الوهم والفكر
وهو المراد كما اشار اليه في الاساس اي اسلم بمجرد ان قرعه وامن به
اي صدق بقلبه ومنهم من كفر اي دام على كفره لاصراره على عناده ٥
لحماقته وجاهليته فحكي في الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان مسندا
عن جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف الصحابي رضي الله عنه
وقد تقدمت ترجمته وانه اسلم في فتح خيبر او فتح مكة انه قال
سمعته رسول الله وفي نسخة النبي صلى الله عليه وسلم يقرو في صلاة

٩٥

المغرب وذلك قبل اسلامه بالطور اي بسورة الطور فلما بلغ هذه الاية ام خلقوا
من غير شيء اي من غير خالق لهم كما تقول الدهرية ام هم الخالقون لانفسهم
بشهادة قولهم بعد ام خلقوا السموات والارض وقرا الى قوله ام هم المصيطرون
اي المدبرون للاشيا كما يريدون وفيه اشارة الى انهم لا يوقنون ام عندهم خزاين ربك
يقال مصيطر ومسيطر للسيد المالك كاد قلبي ان يطير اي حدث عندي نوع
وخوف شديد ظننت ان قلبي ذاب وفني حتى لم يبق معي وطيران القلب
يراد به نار شدة الخوف وهو المراد هنا لان القلب متحرك دائما بالحرارة فاذا
زالت الحرارة الغريزية لخوف او شدة شوق وحبه زاد خفقانه فيشبه
حينئذ بطاير يخفق جناحه كما قال القايل

كان قطاة علقت بين اضلعي • لاد فوادي دايم الخفقان
وقلت
عجبا لقلبي طاير نزوعا • وعليه ناحل اضلعي تقفص

وعليه قول العرب انزح روعه كما حقق في كتب اللغة وفي رواية اخرى
غير رواية الشيخين وذلك اول ما وقر الايمان في قلبي وقر بالقاف بزنة
ضربه بمعنى سكن وثبت وذلك انه كان مشركا فاثار فيه ما بهره اذ فهم ما اشارت
فلما سمع الاية وفهم ما علم ما فيها من برهان الايمان القاطع لعرق الكفر
الدال انها على انه لا خالق يستحق العبادة الا الله فسكن قلبه بعد اضطرابه
حتى كاد يطير وهذه رواية البخاري ايضا في المغازي وفي رواية فصدع قلبي
وفيه دليل على صحة رواية المسلم ما تحمل حال كفره وفيه بيان لروعة القران
لمن سمعه وان تلك الروعة سبب لاسلامه وعن عتبة بن ربيعة
هو ابو الوليد بن عبد شمس بن عبد مناف المشهور وهو ممن قتل كافرا ببدر فلا نتوهم
اسلامه بقول المصنف عن عتبة هنا وهذا الحديث رواه ابن اسحاق
في سيره والبغوي في تفسيره انه كلم النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به
من خلاف قومه يشير لما في السير من ان ابا جهل لعنه الله قال
لقريش قد التبس علينا امر محمد فلو تاه منا من كلمه فذهب اليه عتبة
وكان ذا راي وحزم وقال له يا محمد انت خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب
فلم تشتم الهتنا وتسفه احلامنا وتضللنا وانت منا بسطة قومنا فان
كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللوا وكنت رييسا وان كان بك الباه
زوجناك من تختار من بنات قريش وان كنت تريد المال جمعنا لك من اموالنا
حتى تكون من اكثرنا مالا وان كان لك ري لا تستطيع رده طلبنا لك الطب
وبذلنا فيه اموالنا او كما قال والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع كلامه حتى

فرغ فقال له افرغت يا ابا الوليد قال نعم قال له اسمع مني ما اقول
فتلا عليهم اي على الوليد ومن معه او من علم انه سيبلغه ما تلاه عليه
من سورة حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت اياته الى قوله
فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اي الصاعقة
التي اهلكت قوم هود وقوم صالح فامسك عتبة على فيه اي وضع
يده على فم النبي صلى الله عليه وسلم حتى يقطع كلامه وما تلاه عليه
من هذه السورة لخوفه من وقوع ما انذرهم به وفي نسخة فامسك عتبة
بيده على فم النبي صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم ان يكف اي سأله
مقسما عليه بالرحم وهي القرابة القريبة المقتضية للرحمة والتعطف
عليهم من حلول ما ذكره من العقاب بهم يقال ناشدته ونشدته اذا
استحلفت عليه قسم استعطاف وفي رواية اخرى لابن اسحاق
في سيرته عن كعب القرظي فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقرؤ
قال الراغب جعل لفظ عام في الافعال كلها اعم من فعل وصنع
واخواتها ويأتي على انحاء فيجري مجرى صار وطفق فلا يتعدى فيقول
جعل زيد يقول كذا الخ فالمعنى انطلق في قراءة السورة وقوله
لا يتعدى اي هي من افعال الشروع والفعل خبرها لا مفعولها والشروع
لا ينافي الاستمرار كما توهم وعتبة مصغ اسم فاعل مفتعل بوزن منذر
اي مستمع لقراءته منصت لها ملق يديه خلف ظهره لا اعتماده عليهما
فقوله معتمد عليهما كالتفسير له حتى انتهى اي وصل الى اية
السجدة فسجد صلى الله عليه وسلم وقام عتبة من عنده لا يدري بم
يراجعه اي يكلمه بعد تلاوته لروعته النازلة وهيبته بما سمعه منه
صلى الله عليه وسلم ورجع الى اهله اي دخل عتبة منزله ولم يقابل
احدا ممن كان ينتظر خبره ولم يخرج من بيته الى قومه واستمر في بيته
حتى اتوه ليسألوه عن انقطاعه عنهم ما سببه فاعتذر لهم عن
عدم خروجه لهم واخباره بما جرى له معه صلى الله عليه وسلم وقال
فيما اعتذر لهم به والله لقد كلمني النبي صلى الله عليه وسلم بكلام والله
ما سمعت اذناي بمثله قط اي ما ثله في حسنه وجزالته وتأثيره
في القلوب فما دريت ما اقول له فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم
الظالمين وفيه دليل لما عرض فيه من الروعة والهيبة لمن بقي على كفره
ممن اضله الله على علم وفي رواية ابن اسحاق ايضا فقالوا والله لقد جاءكم ابو الوليد
بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس اليهم قالوا ما وراءك يا ابا الوليد

قال ورائي اني سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر
ولا السحر ولا الكهانة يا معشر قريش اطيعوني وخلوا بين هذا الرجل
وبين ما هو فيه واعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعته نبأ عظيم
فان تصبه العرب كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه
عزكم وكنتم اسعد الناس به فقالوا سحرك والله يا ابا الوليد قال
هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم وقد حكى بالبناء للمجهول عن غير واحد
اي عن كثير وغير الواحد شامل للقليل والكثير ولكنه حتى عرفا بهذا
كما مر ممن رام معارضته اي قصد ان يأتي بكلام يماثله في البلاغة انه
اعترته اي حدثت له واصابته روعة وهيبة حين تلاه وسمعه
كف بها اي بتلك الروعة والفزع عن ذلك اي المذكور من روم المعارضة
ثم ذكر بعض من سخف عقله ممن هم بذلك فقال فحكي ان ابن المقفع
طلبه ذلك ورامه اي قصد معارضة القران والكلام بما يماثله وابن المقفع
للبرهان الحلبي المقفع بضم الميم وفتح القاف والفاء المشددة قبلها
العين المهملة ولم يتعرض ابن ماكولا لبيان حركة الفاء وهي مضبوطة
في النسخ بالكسر والذي احفظه الفتح وذكر ابن ماكولا شخصا يقال له
مروان ابن المقفع فليحرر هل هو هذا ام لا انتهى وهو غريبة من مثل
هذا الحافظ فانه بالفتح من غير شبهة قال في القاموس مقفع اليدين
كمعظم متشنجهما ومروان بن المقفع تابعي وابو عبد الله بن المقفع فصيح
بليغ وكان اسمه روزبه او داذبه بن داذويه قبل اسلامه وكنيته
ابو عمرو ولقب ابيه بالمقفع فتقفعت يداه اي تشنجتا وهذا انما
يعرفه الخاصة والعامة الا ان التلمساني قال في حواشيه المقفع
اليابس اليدين والرجلين من برد وقال ابن مكي في تثقيف اللسان انه
الصواب فيه المقفع بكسر الفاء لانه كان يعمل القفاع جمع قفعة وهي شيء
يشبه الزنبيل بلا عروة من خوص ولبيى بالكبير وقيل انه كان كاتب
المنصور وهو اول من هذب المنطق وقتله سفيان المهلبي لما ولي
البصرة وحضره اهلها ومنهم ابن المقفع فذكر عنده الوطيس
فلم يعرفه وسأل عنه من حضر فضحك ابن المقفع ثم انصرفوا فامر
ابن المقفع بالجلوس حتى خلا المجلس فامر بتنور عظيم فامر بان يسجر وامر
بطرحه فيه فاحترق كما في شكاة انوار الخلفاء وكان ابن المقفع من جملة
قوم زنادقة كانوا يجتمعون لذكر مطاعن القران وصياغة هذيان
يعارضونه بها كما اشار اليه المصنف بقوله وشرع فيه اي في المعارضة

فذكره لا لتانيث الضاد غير معتبر لتنا وله بالذ والفعل يمر بحبي يقرد
وقال يا ارض ابلعي ماءك وقد تقدم بيان بلاغته وما فيها من وجوه
الاعجاز على ما في المفتاح وشروحه فجئ ما عمل يعني عمله وابطل ما في صحفه
لما راها لا مناسبة بينها وبين شيء من الكتاب العزيز وقال اشهد
اي اقروا اعترفوا واعلم كل احد انه هذا لا يعارض اي لا يقدر احد على الاتيان
بمثله وما هو من كلام البشر لظهور اعجازه وكان ذا افصح اهل وقته
فليس ممن قال ذلك بغير علم لمعرفته بصناعة الصياغة والمراد بوقته
زمانه وعصره الموجود فيه وكان يحيى بن الحكم بفتح الحاء المهملة والكاف نحو
بعدها وقيل انما هو الحكيم بوزن الطبيب كما ذكره الذهبي وقال
انه من شعراء المائة الثانية توفي بعد مائة وخمسين ولست على ثقة منه وذكره
ابن خلكان في تاريخه وقال انه من شعراء الاندلس وذكره في الذخيرة ايضا
الغزال بمعجمة وزاء مشددة وقيل انها مخففة عند الذهبي
ايضا في كتاب المشتبه فعلى الاول هو وصف منسوب لصنعة الغزل
وعلى الثاني هو علم منقول من اسم الحيوان وهو بكري قرطبي الدار كان له
في زمن هشام بن الحكم اقول الذي ذكره ابن حيان في المقتبس
تاريخ الاندلس انه يحيى بن الحكم البكري الجياني لقب بالغزال في صغره
لحسنه وكان في المائة الثالثة حكيم الاندلس وشاعرها وله شعر في غاية
الحسن وارسل لقيصر ثم عاد للاندلس وعمر اي من العمر مائة وثلاثين سنة
وارسل رسولا لبلاد الفرنج فاعجب ملكها فنادمه وسالته امراته عن
سنه فقال عشرين سنة فقالت له فما هذا الشيب فقال اما رايت
مهرا فلا اشهب فضحك لذلك وهذا الشعر يقوله في قصيدة

قالت اراه توريد قد نورا ۞ دعابة توجب انه ادعبا ۞
قلت لها ما باله انه ۞ قد ينتج المهر كذا اشهبا ۞

قال وحكي انه اراد ان يعارض سورة الاخلاص فعرضته له خالة
او خشية توبته وهو ما ذكره المصنف الاني بليغ الاندلس في زمنه
اي معروف بالبلاغة وفصاحة النظم والنثر في عصره والاندلس بفتح
الهمزة وضم الدال وفتحها وضم اللام لنبي الاوهي معرب لم تتكلم بها
العرب قديما وانما عرفتها في الاسلام فاذا نونت في عجمة اشتهر على
الالسنة انها تلزمها ال وتنوين دخل بدونها في قول بعض العرب
سالت القوم عن انس فقالوا باندلس وانداس بعيد وهي بلغا لها
لا نظير لها سوا قلنا نعلل انه فعلل والظاهر انه الهمزة لا لان بعدها

اربعة احرف ولو كانت عربية جاز ان يقال فيه لها انفعل فان قلت
قال سيبويه انفعل الشيخ المسن ولا يعرف ما في اوله زيادة ثان مما لحق بجار بنا
على الفعل قلت هو في الغولي الجنه وهي تجاه تونس ارض تحتوي على
بلاد وليست جزيرة الا ان البحر يحيط بها من ثلاث جهات هي اكثرها فلذا سماها
بعضهم جزيرة فحكي بالبنا للمجهول انه رام شيا من هذا اي معارضة القران
ونسج كلام على منوالهم في الفصاحة فنظر في سورة الاخلاص التي هي اقصر
سورة اي تدبر في نظمها ليأتي من عنده بمثلها وسميت سورة الاخلاص لاشتمالها
على ما يجب اخلاص اعتقاده من التوحيد لذات الله وصفاته ليحذو على
مثالها من حذو وتوخا مهملة وذال معجمة اذا قدرت قدرا اي مقابلته وحذا
النعل بالنعل اذا اقطعها بمقدارها وقابلها فالمعنى ليقول مثلها وفي الحديث
لتركبن سنن من قبلكم حذو النعل بالنعل اي تعملون مثل اعمالهم من غير
زيادة ونقص فهو استعارة تمثيلية وينسج بزعمه بزاي معجمة مثلثة وهو
الظن واكثر ما يستعمل في الكذب فان زعم مطية الكذب على منوالها
هو بمعنى ما قبله والمنوال بكسر الميم خشبة ينسج عليها الثياب
فهو استعارة تخييلية ومكنية بتشبيه التكلم والكلام ببرود تنسج
واثبت لها ما لزم من النسج والمنوال او هي تمثيلية او تبعية وهو من ثمل
قال اي ابن الحكم فاعترتني اي عرضت لي في حال النظر خشية اي خوف وتعظيم
له ورقة اي رقة قلب وخشوع او ضعف ولين النفات اذ الظاهر جعلته
والحمل الايجاز القسر على التوبة عما كنت هممت به او الندامة على ما عزم عليه
والانابة اي الرجوع عنه وفي نسخة والاية وتركته لذلك لعلمه بانه امر
لا يقدر عليه البشر فصل ومن وجوه اعجازه المعدودة
اي الذي عده العلماء منها اشارة الى انه مسبوق بذكر كونه اية معجزة
باقية فسره بقوله لا يعدم ما بقيت الدنيا اي مدة بقائها الى قيام الساعة
وما ورد في حديث حذيفة من انه ياتي ليلة يرفع فيها القران لا يبقى في
الارض منه اية هو بعد نزول عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام
وظهور ياجوج وماجوج وهو في حكم الساعة ووجود الدنيا حينئذ والعدم
سوا وبقاؤه بنفس تلاوته محفوظا من النسخ والتبديل والتغيير وهذا
فضل تميز به عن سائر الكتب الالهية فضلا عن غيرها وما قيل
من ان عد هذا من وجوه الاعجاز لا وجه له فانه لا تعلق له بالنظم المعجز
ساقط فان بقاءه كما ذكر من لوازم اعجازه بعدم مشابهته لكلام البشر حتى
يوتى بامثاله او يدخل فيه ما ليس منه او ينقول في جملة ما اخبر الله به عنه فهو

من عنده وهذا انسب بقوله مع تكفل الله تعالى بحفظه فقال انا
نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون والمراد بالذكر القران وضمير له لا له
صلى الله عليه وسلم فلما تولى حفظه بعظمته وجلال ذاته ولم يكله لغيره
كغيره المقول فيه بما استحفظوا من كتاب الله كما تقدم تبدل وتبدد حفظه
لبقا حافظه ومن نعته بنعت حفظه وقال لا ياتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه الاية فلا يجد اليه سبيلا من جهة من الجهات
ما يبطله ولا يكون قبله ولا بعده ما يكذبه او ينسخه وساير معجزات
الانبيا والرسل عليهم الصلاة والسلام اي بقيتها غيره انقضت اي
مضت وذهبت بانقضا اوقاتها اي بعد عصرهم ومن وجودهم انعدمت
فلا يبقى الا خبرها اي الاخبار الماثورة عنها دون ذاتها ونفسها كعصا
موسى وناقة صالح وانفلاق البحر وغيرها مما هو مذكور في السير كما قيل
وانما المرء حديث بعده ۞ فكن حديثا حسنا لمن وعى
والقران العزيز اي المنيع المحمي حماية من ناله الباهرة اياته
اي الغالبة لغيرها والظاهرة واياته بمعنى انواع معجزاته السالفة
او كل اية متلوة منه فقوله الظاهر معجزاته على الاول توضيح وتوكيد وعلى
الثاني بيان وتاسيس باقية على ما كان عليه اليوم اي الى يومنا هذا
فتعريف اليوم للتعريف الحضوري كهو في الان والجار والمجرور خبر المبتدا
وهو القران والمراد باليوم عصر المولف كما اشار اليه بقوله مدة خمسماية
عام وخمس وثلاثين سنة وروي سبع بدل خمس والصواب
الاول لانه روي ان تاليفه للشفا كان في ايام قضايه في سنة خمس وثلاثين
وخمساية قاله التلمساني هكذا نقله الثقاة عن ابي عبد الله بن مرزوق
وانا سمعته منه انتهى لاول نزوله الى وقتنا هذا اي من ابتدا الوحي ۞
ونزول القران على نبينا صلى الله عليه وسلم ووقت تاليف المصنف لهذا
الكتاب فاللام بمعنى من كما سمعت لا صريحا اي منه كما ذكره النحاة ويدل
عليه مقابلته بالى حجته قاهرة المراد بالحجة نفس القران اي هو حجة ۞
غالبة لمن كفر به او المراد ما فيه من الحجج والادلة ومعارضة ممتنعة
اي الاتيان بمثله لا يمكن فلم يقع والاعصار كلها طافحة الاعصار جمع ۞
عصر بفتح فسكون لا ضم وسكون لان الجمع غير قياسي وطافحة بطا وحا
مهملتين بينهما الف وفاء من طفح اذا فاض وتدفق باهل البيان
متعلق بطافحة فان كان حالا مرسلا بمعنى ممتلئة فظاهر وان كانه
استعارة تخييلية على ان البيان شبه بالما على طريق الكناية والمعنى

بيان

٩٨

بيان اهل الكتابة والمراد العارفون بايراد التراكيب البليغة على حسب
مقاماتها وحملة اللسان حملة جمع حامل ككاتب وكتبة وهو الحافظ للسان
بمعنى اللغة العربية وايمة البلاغة اي العلما بعلم البلاغة من المعاني والبيان
وقرض الشعر وغيره من العلوم الادبية وفرسان الكلام الذين لهم فطرة
مجبولة على القدرة على التكلم بكلام بليغ نظما ونثرا وفيه استعارة مكنية
تخييلية اذ شبه الكلام بجواد فاره والمتكلم برجل عارف برياضته والسبق
به واثبت له وجهابذة البراعة اي اساتذة الفصاحة الفايقة في بابها
جمع جهبذ بكسر الجيم والباء وبينهما ها ساكنة واخره ذال معجمة ويقال جهبذ
جهبذ اي عالم خبير وهو لفظ معرب واصل معنى الجهبذ النقاد البصير
والسمسار الخبير فاستعير لما ذكر كذا قالوا والذي عندي في هذه التراكيب
الخمسة ان المراد بها اهل اللسان العارفون به بجبلة نقادة وطبيعة
وقادة والعلما بعلوم العربية واللغة فالمراد باهل البيان الفصحا وبالحملة
علما اللغة وبالايمة البلغا كالخطبا من العرب العربا وبالفرسان الشعرا
واهل الانشا المجيدين وبالجهابذة العلما بقرض الشعر وانشا النثر فلا تكرار
في كلامه وان كان مقام خطابة يحمد فيه البسط والاسهاب وكان هو لا يرتضيه
مهتد لا يكد طبعه والعناد وضده والملحد منهم كثير الملحد اسم فاعل
من الحد عن الحق اذا مال ومنه لحد القبر والالحاد كما قال الراغب
ضربان الحاد الى الشرك بالله والحاد الى الشرك بالاسباب فالاول ينافي
الايمان ويبطله والثاني يوهي عراه ويحل عقدته والمعادي للشرع عنيد
اي مهما خاصم بادله بجحده في عداوة وتمرد واعتدا وعدم انقياد لفظا ومعنى
اي مع كثرة من يريد المعارضة فما منهم من اتى بشي من الكلام يوثر اي يحفظ
وينقل في معارضته والاتيان بما ياتيه ولا الف كلمتين في مناقضته
المناقضة التكلم بما يخالفه ويبطله ومنه نقايض جرير كما تقدم في المراجعة
والمحاورة ولا قدر فيه على مطعن صحيح اي لم يعبه ولم يعترض عليه
باعتراض يسمع منه وقد نحا ذلك بعض الزنادقة فافتضح وصار سخرة
كما بين في مطاعن القران التي ذكرها السلف ولا قدح القدح ذكر الغايب
بما فيه قدح في نسبه وعرضه اذا ذمه وقدح الزناد ضربه لاجل النار والمراد
الاول لكنه تورية بالثاني لقوله المتكلف من ذهنه في ذلك الا بزند
شحيح والمتكلف هو الذي يفعل ما لا يحسنه بكلفة منه والذهن
قوة الفكر وذلك اشارة الى القدح او الطعن والشحيح البخيل استعارة للزند
الذي لا يخرج منه شرر منيرة اي لم يفده قدحه شيا غير الخيبة يقال

زند شحيح اذا كان لا يوري ولله دره ما الطف صنعه ومن لم يذق حلاوة
كلامه قال لو قال ولا اصوب المتكلف بسيف ذهنه الا ارتد وهو حرج
وخن استعارته كون الذهن يوصف بالتوقد والاشتعال كما قيل

• ويكاد يحرقه توقد ذهنه • لولا مياه الجود منه والندا •

لكن لا يقدم الجناة انما فالبلغ السكوت في محله بل الماثور والمنقول
عن كل من رام ذلك اي قصد الطعن فيه بذكر ما يؤدي زكاة حمقه القاوه
في المعجز بيديه الا لقا بالقاف بمعنى الرمي ومفعوله محذوف اي القاه
نفسه ورميها في مهالك المعجز دمها وفيه فتشبه المعجز سبيره وغوها مما يهلك
الواقع فيه وبيديه متعلق به اي هو الرامي والطارح لنفسه وفضل
معناه الثقي بنفسه بها في المعجز والمزومه لجعله طرفا له وهو معنى
ركيك وقول التلمساني اي القا بالغين المعجمة من لغو الكلام الذي يحسن
السكوت عنه لا عليه والنكوص على عقبيه اي الماثور الرجوع عما قاله
بالاعتراف بعجزه نكص على عقبيه وهما مؤخر الرجل اذا رجع القهقرى
وقال الراغب النكوص الاحجام عن الشي وفي القاموس نكص على عقبيه
رجع عما كان عليه من خير فهو خاص بالرجوع عن الخير ووهم الجوهري
في اطلاقه وتعقب عليه ان قلت معارضة القران شر فكيف
يكون الرجوع عنها نكوصا على العقبين قلت هو مبني على زعمه او هو
تهكم به كما اطلق على رجوع الشيطان يوم بدر عن اعانة قريش على النبي صلى
الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه
على ان الاصح جواز اطلاقه على خلافه نادرا اقول هذا استعارة
من رجوع القهقرى لان معنى الرجوع على العقبين حقيقة فتجوز به
عن العود الى حالة الاول مطلقا سوا كان او خيرا فالحق ما قاله الجوهري

فصل وقد عد جماعة من الايمة ومقلدي الامة
ضبطه بفتح لام مقلد لمناسبة ما قبله وفصل انه يكسرها والمراد
بالاول المجتهدين وذلك ان تقول انه اشارة الى ضعف اقوال الخصم في اعجازه
وجوها كثيرة منها انه قاريه لا يمله اي لا يسام طبعه من كثرة قراءته
ولو اعاده مرارا كثيرة مع ان الطباع جبلت على معاداة المعاد اه
وسامعه لا يمجه اي لا يكره تكراره على سامعه يقال مج الشراب ونحوه اذا
رماه من فيه فالمج حقيقته طرح المايع من الفم فاذا كان غير مايع يقال
لفظه فاقيم الاذن مقام الفم واللفظ مقام الماء لرقته ولطفه وهي استعارة
لطيفة كما قال الغزي فيما تقدم

وتغير

• وتغير المعنا ذيحس بعضه • للورد خذ بالانوف بقبل •

فاستعير لتركه استعارة تبعية او مكنية وتخييلية فكانه كالنفس الذي
يكره لا يعلم فيه لانه مادة الحياة كما قال البحتري

• ردي خد بنكر ما املكته مستمعا • ومن يمل من الانفاس ترديدا •

ومجة بمجة بضم ميم المضارع كقبلة يقبله فهو من باب قتل بل الاكباب
على تلاوته اي ملازمة قراته وتكراره فهو مجاز من الاكباب وهو الوقوع على
الوجه كما قال افمن يمشي مكبا على وجهه وفي اختياره على الوقوع اشارة الى
توجهه اليه قال لبيد

• بنوح الهالكي على يديه • مكبا يجتلي نقب النصال •

يزيده حلاوة اي تزداد قراته تزيده حلاوة فعنه ترقى من عدم الملل
الى زيادة حلاوته واصاب به المحز لان ما يحب يكون مرا او مالحا يكرهه الطبع
وهو كقول الشاطبي رحمه الله تعالى

• وخير جليس لا يمل حديثه • وترداده يزداد فيه تجملا •

وترديده اي اعادته وتكريره يوجب له محبة لزيادة حلاوته وحسنه
لا يزال كلما كرر غضا اي جديدا وهو مجاز من غض الصوت
والطرف قال • جارية شبت شبابا غضا •
طريا اي رطبا ناعما فلا تتغير بهجته ونضارته قال الشاطبي رحمه الله

• واخلق به اذ ليس يخلق جدة • جديدا مواليه على الجد مقبلا •

فكانه في كل مرة قريب عهد بالنزول وغيره من الكلام ولو بلغ من الحسن
والبلاغة مبلغه اي لو فرض ان بعض كلام البشر وصل الى رتبة في البلاغة
يمل بالبنا للمجهول اي على قاريه وسامعه مع الترديد اي مع التكرير مرارا
ويعادى اذا اعيد اي يكره ويثقل وتنفر منه النفس كما تنفر ممن يعادي بجفا
وهذا على فرض المحال والا فقد تقدم انه لا يوجد مثله ولا ما يقرب منه وان
الثريا عن يد المتناول وكتابنا معاشر الامة المحمدية النازل الينا
بواسطة نبينا صلى الله عليه وسلم وهو القران مستلذ به في الخلوات
اي يجد قاريه لذة اذا اختلى بقراته وخص الخلوة لانها محل اجتماع الحواس
واطمينان القلوب بذكر الله فهو فيها اعظم لذة وان كان له لذة ايضا بقراته
بين الناس ايضا ويونس بالبنا للمجهول اي يجد به انسا يدفع وحشته في الازمات
جمع ازمة وهي الشدة كما في حديث اشتدي ازمة تنفرجي ولام خلوة وزاي
ازمات ساكنتان في المفرد والجمع لانها اذا جمع على فعلات تسكن في الاسما
وتحرك في الصفات كما بين في التصريف والضمير في كتابنا الجماعة المومنين

لا للتعظيم لانه لا يناسب المقام فتأمل ولو قال كتابا يستانس به في الخلوات ويستعان به على الازمات كان احسن وما قصده المصنف اعم لانها قال لان الخلوة انسب باللذة وقرينتها الا ان المرء يستلذ الخلوة بمن يحبه قال

ولذة الاحسن مكشوفة • يسعى لها كل عدو رقيب •

والشدائد لا يجد فيها رفيقا يعين عليها ويدفع كربها او المعاني فليلة الرفقا فلكل وجهة **وسواه من الكتب** سوي اذا ضم اوله او كسر قصر فاذا فتح مد والروايه على القصر وهو بمعنى غير لكنه تغني تعبيره بالاول بغير وفي هذا السوى والظاهر ان المراد بالكتب الكتب المنزلة قبله كالزبور **لا يوجد فيها ذلك** اي اللذة والانس المذكورين **حتي احدث اصحابها** اي اخترعوا والمراد باصحابها من يقروها **لها لحونا** اي للكتب التي يقروئها اللحون جمع لحن واحد الحان الاغاني والنغمات التي تزين بها الاصوات وتورث بضروب الموسيقى على مقاماتها وشعبها مما هو معروف عندهم فيقال لحن في قراءته اذا طرب والحن معان منها هذا والايماء والرمز وان اشتهر في خطا الاعراب والمراد بها ترجيع الاصوات للتطريب والغنا تحسينا للقراءة والشعر وفي الحديث اقروا القران بلحون العرب واصواتها واياكم ولحون اهل الفسق واهل الكتابين يعني اليهود والنصارى يقروون كتبهم بلحون ذلك وهكذا يفعل اهل مصر بقراتهم في مجامع الناس المعروفة بالحزن وهي مما حرمه الفقها وشددوا النكير على فاعله ولا ينافي قوله صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقران على احد المعنيين فان المراد به الحان العرب المذكورة من غير تمطيط وتغيير كما فصل في اداب القاري **وطرقا** جمع طريق وهي ما يجري على قانون الموسيقى وضروبها الموزونة **يستجدون** اي يطلبون وجودها او يجلبون بها لمن يسمعهم **بتلك اللحون** والنغمات **تنشيطهم** اي وجود نشاطهم وطربهم **على قراءتها** اي على قراءتها مع انها لا تنشطهم لها كما يستعملون فتحملهم على تلاوتها اذ على اصل وضعها بغير ما هو كمعنا لهم ان اريد باللحون تغني القاري بنفسه ويحتمل ان يريد بها احدثوه مما يكون مع القاري من الات الطرب كالمزامير وما يسمى ارغنون من اوتار كثيرة تضرب مع القراءة ويأتلف بعضها ببعض حتى كان القاري يغني على نغماتهم على قريب الابة

• يملي على عود له انغامه • وتراه يحرك اذنه ان قصرا •

ولهذا اي لما اختص به القران من عدم ملل قاريه وما تجده **وصف**

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم القران في حديث رواه الترمذي عن علي كرم الله وجهه بدون قوله الاية هو الذي لم تنته الجن الخ **بانه لا يخلق** بفتح اليا وضم اللام اي لا يبلى ويتغير حاله بمرور الزمان ويجوز فتحها وضم اوله وكسر اللام من اخلق بمعنى خلق لانه ورد متعديا ولازما فلامه مثلثة بمعنى واحد **على كثرة الرد** والرد كالترديد بمعنى كثرة التكرار في العادة ورده ورديده بمعنى كررته وكثرة التكرار في العادة تؤثر وتغيير ما كرر كالثوب اذا تكرر لبسه كما قيل

• اما ترى الحبل بتكراره • في الصخرة الصما قد اثر •

وفيه استعارة مكنية وتخييلية لتشبيهه ببرد رقيق يلبس ليتجمل به والمراد به اما الملازمة فيه بمعنى ما تقدم من ان قاريه لا يمله وكل مكرر يمل او لا يتغير بتحريف ونسخ فلا يبلى وقد ورد ان بعضهم كرر اية واحدة طول ليلة **ولا تنقضي عبره** بكسر العين المهملة وفتح البا الموحدة جمع عبرة بسكونها والمراد بها عجايبه او مواعظه التي يعتبر بها ويتغير وهو عبارة عن كثرتها وبقايها فالثاني اولى لئلا يتكرر مع قوله **ولا تفنى عجايبه** اي كثرتها لا تنفد ولا تنتهي جمع عجيبة وهي ما يتعجب منه كلما اعدت النظر فيها ظهر لك ما هو اغرب واعجب مما عرفته اولا **هو الفصل** اي الحد الفاصل بين الحق والباطل فيقال كلام فصل اي حق مبين محكم او للفصول المتميز من غيره فهو فعل بمعنى فاعل او مفعول **ليس بالهزل** كما قال تعالى وما هو بالهزل اي ليس فيه لعب ولا كلام سخيف وهو في الاصل من الهزل ضد السمين فهو كلام سمين لا غث فيه لما فيه من الاوامر والنواهي التي لها بها سامعها **لا تشبع منه العلما** اي لا تستغني عنه ولا تزال تستنبط منه معاني وفوايد في كل حين وفي الحديث منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا فشبهه بماكول به قوام حياتهم الا ان كلما كول يشبع الملتذ اذا امتلا منه جوفه وهذا مخالف له لكن فيه استعارة تبعية او مكنية وتخييلية

• فوايد فوايده ممدوده • والوان لذايذه غير مقطوعة ولا ممنوعة •

ولا تزيغ به الاهوا بفتح المثناة الفوقية وزاي وعين معجمتين بينهما تحتية ساكنة من زاغ اذا مال وعدل عن منهجه والاهوا بالمد جمع هوى وهو ما تهواه وتشتهيه الانفس من الضلال لانه لا يضل من اتبعه ويميل الى هوى نفسه الامارة **ولا تلتبس به الالسنة** جمع لسان وهو الجارحة المعروفة شاع في الكلام واللغات فالمعنى انه لا يشتبه غيره من الكلام فلا يمكن اختلاطه به وادخاله فيه لان اسلوبه ونظمه لا يشبه غيره فالمراد انه لا يمكن ان

ان يدس فيه دسيسة وقيل المعنى انه لا يعسر قرانه على المومنين وهو بعيد
لانه انفعال من اللبس وهو لا شتباه وقوله هو الذي لم تلبث الجن حين
سمعت ان قالوا اصل معنى انتهى بلغ النهاية وهي اخر الشي وعليه ويكون
بمعنى كف وترك وهذا هو المراد هنا اي لم تكف الجن عن هذه المقالة
ومن لم يترك شيا بادر اليه واقبل عليه ولذا قيل معناه لم يلبثوا وان
مصدرية بفتح الهمزة ومحله نصب او جر بتقدير عن وما قيل
انه في معنى العلة اي لم ينتهوا عن القول من اجل قولهم لقومهم اذ رجعوا
اليهم فيه خلط وخليط انا سمعنا قرانا عجبا اي عجبا في بلاغته وعلو شانه
وبركته وعزته يهدي الى الرشد هو مصدر وصف به للمبالغة اي يدل
على الصواب من الايمان والتوحيد وهو تبكيت لقريش اذ مكثوا
سنين مع معرفتهم بالفصاحة لم يفهموه وهو لا الجن بمجرد سماعهم من
غير توقف امنوا به وذلك البرهان انه كانوا سبعة شاصر وماصر
ومنشى وماشى والاحقب وهولا الخمسة ذكرهم ابن دريد في منافيه
عمر بن العزيز قال بينما هو يمشي بفلاة اذا هو بحية ميتة فكفنها
بفضل ردائه ودفنها فاذا قايل يقول يا سرق اشهد بالله لقد
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لتموتن بارض فلاة ويدفنك
رجل صالح فقال له عمر رضي الله عنه من انت رحمك الله قال
رجل من الجن الذين سمعوا القران من رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يبق منهم الا انا وسرق وهذا سرق قدمات وعن ابن مسعود رضي الله
عنه انه كان في نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشون
فرفع لهم اعصار عظيم ثم انقشع فاذا حية قتيل فعمد رجل منا الى ردائه
فشقه وكفن الحية ببعضه ودفنها فلما جن الليل اذا امراتان تسالانه
ايكم دفن عمرو بن جابر فقلنا ما ندري من عمرو فقالتا ان كنتم ابتغيتم
الاجر فقد وجدتموه ان فسقة الجن اقتتلوا مع مومنيهم فقتل عمرو
وهو الحية التي رايتموها وهو ممن استمع القران من رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال الذهبي الذي دفنه بالمعرج صفوان بن المعطل
وهو من الصحابة وسماه عمرو بن طارق وممن لقي رسول الله صلى الله
عليه وسلم منهم عد من الصحابة والاعتراض بانه ينبغي ان يعد
منهم الملائكة ايضا كجبريل وميكائيل رده الذهبي بانه ارسل اليهم ولم
يرسل الى الملائكة وبيانه يحتاج لتفصيل ليس هذا محله وشيخنا
الديلمي الرملي على مقتضى كلام الذهبي تبعا لوالده والمعتمد خلافه

فارساله

فارساله صلى الله عليه وسلم عام لكل الخلق حتى الجن وهولا من الجن
جن نصيبين بلدة بالجزيرة لا باليمن كما قيل والكلام على الجن مبسوط في كتاب
لقط المرجان في احكام الجان وسياتي بيانه في الكلام على نطق الشجر ومنها
اي من وجوه الاعجاز التي ذكرها بعضهم جمعه لعلوم ومعارف اي علوم
كلية كانت في الامم السالفة كعلم النجوم ودقايقه وعلم الطب كما في قوله لا
الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر وقوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا والمعارف
الجزئية كالاخبار عن قصة يوسف عليه الصلاة والسلام وتفصيلها بما
لا يعرفه الا من شاهدها ومن ذلك ما قيل ان قوله تعالى الى ظل ذي
ثلاث شعب انه اشارة الى شكل المثلث وبعض احكامه المذكورة في الهندسة
وفيه اشارة الى انه لا يفهم تفسيره الا من تضلع من جميع العلوم لم تتعهد
العرب بالبنا للمفعول اي لم تعرف في عهدها ومن ثم لها عامة اي جميع
العرب وعامة منصوب على الحال لافادة العموم مثل كافة وقاطبة ولا محمد
صلى الله عليه وسلم قبل نبوته ونزول الوحي بها عليه خاصة اي لم تعرف
له صلى الله عليه وسلم بخصوصه علم لها قبل البعثة اما بعدها فقد
اطلعه الله على علوم الاولين والاخرين بمعرفتها متعلق بتعهد والضمير
للعلوم والمعارف ولا القيام بها ومداومته عليها ولا يحيط بها احد
من علما الامم اي لم يحط علم احد من علما السلف كالحكما والاحبار من اهل الكتاب
بشي منها ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم اي لم يدونوا قبله حتى يقال انه
اخذ علمه منها وفسر ما ذكره بقوله فجمع فيه من بيان علم الشرايع
جمع مبني للمجهول اي جمع الله في كلامه مما ذكر والشرايع جمع شريعة وهي
والملة والدين بمعنى متحد الماصدق متغاير المفهوم وهي ما شرع الله سابق
للعمل به الخير في الدارين منقولة من الشريعة وهي مورد الماء والطريق
الواسع كالشارع والتنبيه على طرق الحجج العقليات اي تنبيه الناس
وارشادهم الى نصب الادلة العقلية وكيفية الزام الخصم بها كما في قصة
ابراهيم عليه الصلاة والسلام ونظره للكواكب لاقامة الحجة على وجود
الصانع وكما في قوله ولو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وغيره مما لا يخفى
كما ياتي بيانه والرد على فرق الامم الضالة ممن عبد الكواكب
وغيرهم ببراهين قوية محكمة الالزام جارية على قانون المناظرة والجدل
واداب البحث بينة ظاهرة سهلة الالفاظ كما يعرفها
كل من يسمعها

تكاد من عذوبة الالفاظ ۝ تسترق مسامع الحفاظ

كما تريموجزة المقاصد قليلة الفاظها الدالة على معانيها المهمة الكثيرة
فليس فيها اختصار مخل ولا عبارة مغلقة دام المتحدثون بعد
بالبنا على الضم اي بعد الوثوق عليها والمتحدثون بزنة اسم الفاعل بحا مهملة
ودال معجمة ولام وثاف وهو مدعي الحذق وهو سرعة الفهم اي تصدى مدعي
الذكا في العلم لاقامة البراهين يقال تحذلق اذا اظهر الحذق وادعى اكثر
مما عنده كتحذلق توهما حوذ من الحذق ولامه زائدة ان ينصبوا ادلة
مثلها نصب الدليل قدرة على الاتيان بمثل ادلته وبراهينه كقوله اوليس
الذي خلق السموات والارض رد على منكري الحشر والمعاد الجسماني اي من
قدر على اختراع مثل هذه الاجرام العظيمة من العدم بقادر على ان يخلق
مثلهم اي مثل هذه الاجسام الحقيرة الصغيرة وليعيدها وهو اهون عليه
كما قال تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس فهذه حجة ظاهرة
وقوله قل يحييها الذي انشاها اول مرة اي من اوجدها من عدم محض قادر
على اعادتها واحيائها بالنظر للاول وفي هذه ايضا حجة باهرة ومنها قوله
لو كان فيهما اي في السما والارض آلهة الا الله لفسدتا فلو تعددت
الالهة فسد نظام العالم وبطل وفيها برهان قوي قطعي وليس اقناعيا
كما في شرح العقائد ويسمى برهان التمانع وفي بيانه واعتراضه كلام مفصل
لا يسعه هذا المقام وقد افرده بالتاليف خاتمة المحققين مصلح الدين
اللاري مجيبا من القلادة فاحاط بعنق التقليد فان لكل مقام مقالا
الى ما حواه اي مضموما ما ذكر من البراهين الى ما اشتمل القرآن عليه
من علوم السير جمع سيرة وهي الطريقة والاخلاق الحميدة وتخص في
العرف بالغزوات واحياء الجهاد ولعل وجهه هنا وانبا الامم اي اخبار
من مضى منهم والمواعظ والحكم اي امور الترغيب والترهيب وجوامع
الكلم المحكمة المرشدة لتكميل النفوس بالملكات الفاضلة واخبار الدار
الآخرة من الجنة والنار والحشر واهوال الموقف وغير ذلك واخبار الدار
الآخرة ومحاسن الاداب جمع ادب وهو الاوصاف المحمودة التي يشرف
صاحبها والشيم بشين معجمة ومثناة تحتية وميم ايضا بزنة عنب
جمع شيمة وهي الطبيعة واهل مصر تستعملها بمعنى ذات المأكول
القيراطي رحمه الله تعالى

لك يا نيل مصرنا • كرم اخجل الديم •
انت فينا حقيقة • ظاهر الوصف والشيم •

وهي لغة عامية لا اصل لها قال الله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء

اي لم نترك شيئا يحتاج اليه الا بيناه في القرآن بنا على ان المراد بالكتاب القرآن
لا اللوح المحفوظ كما فسر والتفريط الترك المخل ضد الافراط وهو
متعد بفي من غير تضمين معنى اغفلنا كما توهم والمعنى انه يشتمل على جميع
ما يحتاج اليه اجمالا او تصريحا وتلويحا كما بينه المفسرون ومن زائدة بعد النفي
في المفعول الذي تعدى اليه بتضمين ترك ونحوه ثم اردفه بانه تويد ان المراد
بالكتاب القرآن فقال ونزلنا عليك يا محمد الكتاب تبيانا لكل شيء اي
بيانا لكل شيء يحتاج اليه وهو بكسر التا مصدر على خلاف القياس بمعنى مبين ولا
ثاني له غير تلقا على كلام فيه ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل
ضرب المثل معلوم اي اتينا لكل امر مهم بمثال يوضحه لما في ضرب الامثال من الفوائد
المهمة وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي عن علي رضي الله
عنه تقدم بعضه وذكره بلفظه هنا مع زيادة فيه ان الله انزل القرآن
من اللوح المحفوظ نجما بحسب المصالح والانزال والتنزيل يستعمل كل منهما بمعنى
الاخر فاذا اجتمع بينهما او قامت قرينة اريد بالانزال الدفعي وبالتنزيل
التدريجي كما فصلوه امرا بالمدحال من الفاعل او المفعول على الاسناد
المجازي وزاجرا اي ما نعا دافعا وناهيا والزجر الطرد بصوت
ثم يستعمل تارة في الطرد واخرى في الصوت كما قاله الراغب وسنة
خالية اي طريقة متبعة مستقيمة لمن كان قبلكم من الامم من خلا بمعنى
ذهب ومضى ويكون بمعنى تفرغ ومثلا مضروبا جعله عين المثل مبالغة
لكثرة اشتماله على الامثال كغيره من الكتب الالهية وهي مفيدة لما تمثل
له لتنزيل المعقول منزلة المحسوس قال البيضاوي ولامر ما اكثر الله والانبيا
والحكما في كلامهم من الامثال وقوله فيه نباؤكم بالرفع كالمعطوف عليه
انكان نايبا عن مضروبا فهو متعلق بمضاف اي مثل نبائكم وان كان مبتدا
فعليه خبر مقدم والجملة حالية وتغيير الاسلوب يحتاج لنكتة فلعلها
الاشارة الى انها حال اخرى غير مختصة بالقرآن كالتي قبلها والنبأ الخبر
عن امر عظيم والخطاب للامة وقيل للصحابة رضوان الله عليهم
وخبر ما كان قبلكم غاير الخبر تفننا واشارة لشرف هذه الامة وما شامل
لمن يعقل تغليبا للاكثر او لصفات من يعقل كقوله وما ملكت ايمانكم ونباء
ما بعدكم اي ما بعد النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم او لما يقع
بعدهم الفتن واشراط الساعة وغير ذلك الى يوم القيامة وحكم ما بينكم
اي بيان للاحكام فيما يقع ويحدث بينكم معاشر هذه الامة المحمدية وهو
بضم الحا المهملة وسكون الكاف لا تخلقه طول الرد تقدم معناه وانه

عرضي

بضم اوله ونتحه من الملالة والمزيد اي لا يبليه ويغثيه تكرار تلاوته
ولا تنقضي عجائبه هو الحق ليس بالهزل تقدم تفسيره من قال
به صدق اي من اخبار بما فيه وحكم به فقد الى بامر صادق لا ريب فيه
وفي القاموس قال به غلب ومنه تجاذ من تعطف بالعز وقال به وهذا
لا يناسب قوله صدق ومن حكم به عدل اي قضى بما فيه من الاحكام فهو عادل
فانه حكم الله وما ربك بظلام للعبيد ومن خاصم به اي خاصم بحجته
والته ماخوذة منه فلج اي غلب وفاز بالنصر على من خاصمه وهو بفتح
الفا واللام وجيم يقال فلج اذا فاز وظفر بالغلبة ومن قسم به اقسط اتم
بفتح القاف والسين المخففة اي من تولى قسمة امر وقسمه بما في كتاب الله
كقسمة المواريث والغنايم وغيرها عدل يقال قسط اذا جار واقسط
بالهمزة اذا عدل فهو مقسط فالهمزة للسلب كاشكيته اذا ازلت
شكايته وهو ماخوذ من القسط وهو الميزان كالقسطاس وفي الحديث
ان الله يختص القسط وهو الميزان كالقسطاس وفي الحديث ان الله
يخفض القسط ويرفعه وهو تمثيل ويقال قسط اذا عدل ايضا فهو من الاضداد
ومن عمل به اجر بالبنا للمفعول اي جاز الاجر والثواب الجزيل ومن تمسك
به هدي الى صراط مستقيم هو كقوله فقد استمسك بالعروة الوثقى
ففيه استعارة مكنية وتخييلية منا تنزيل المعقول منزلة المحسوس
لا انفصال لمن اقتدى به الطريق الحق وهو الصراط المستقيم الذي
لا عوج فيه ولا ضلالة ومن طلب الهدى من غيره كمعتقد اقوال
غيره واضله الله اي جعله شقيا ضالا لعدوله عن الطريق الحق ومن
حكم عليم غيره قصمه الله اي قتله واهلكه هلاكا شديدا واصل
معنى القصم القطع بابانة وانفصال فاستعير لما ذكر وعوة في هذه
الجملة ان يكون خبرية ودعائية انشائية هو الذكر الحكيم الذي بمعنى القران
والحكيم ذو الحكمة لاشتماله عليها او سمي باسم قائله اي الحكيم فاعيل بمعنى فعل
بمعنى فاعل اي الذي يحكم الاشيا ويتقنها او الحاكم لهم وعليهم او المحكم
الذي لا خلل فيه والنور المبين الواضح البين الذي تهتدي بانواره
العقول الى الخروج من ظلمة الجهل والضلالة والصراط المستقيم
اي الموصل الى السعادة الابدية فيصل الناس به ومنه الى المقصد الاسنى
كما تصل من الطريق الى ما تريد من الدار وتنازلها وحبل الله المتين
اي عهده وامانته الذي يؤمن العذاب وكل ما يكره ويتوقى على النفس
ويتوصل به الى ما يبتغيه ويوصله لمطالبه والمتين بمعنى القوي المحكم يقال

متن

متن اذا صلب والشفا النافع اي ان يراد بالشفا ظاهره لانه يشتفى
به فيشفى من بعض الامراض او يراد به مطلق النفع على طريق المجاز المشعر
وعلى طريقة الاستعارة بان يشبه الجهل بالدا او يجعل ما يزيله كالدوا
والعلاج النافع الذي لا يستقيم بجده لنفعه في الدنيا والاخرة عصمة
لمن تمسك به بكسر العين وسكون الصاد المهملتين فعلة من العصم وهو
الامساك والاعتصام التمسك وتجوز منه عصمه ايضا والاكثر الافصح الكسر
وتجي العصمة بمعنى السوار ومنه المعصم لانه محلها والمراد انه حام ومانع
لمن اتبعه وعمل به عن ارتكاب الفاحشة والزلل ونجاة لمن اتبعه اي ينجي له
ويخلص مما يخشاه لا يعوج بفتح اوله وتشديد جيمه وفي نسخة اي ليس
فيه خلل لفظا ومعنى كما قال تعالى ولم يجعل له عوجا والعوج بفتحتين الميل
والانعطاف المدرك بالبصر وبكسر اوله ما يدرك بالبصيرة فيقوم
بالنصب في جواب النفي اي لا يحتاج الى تقويم يزيل عوجه فليس كسائر الكلام
المحتاج للاصلاح ولا يزيغ بمعجمتين بوزن يصيح اي لا يميل عن الحق والصواب
فيستعتب بالنصب اي لا يستحق العتاب واللوم لعدم خروجه عن الاستقامة
والعتب مخاطبة ادلال وتوجده ففيه استعارة مكنية وتخييلية وفي رواية
الترمذي ولا تزيغ به الاهوا اي يميله ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة
الرد تقدم بيانه ونحوه اي نحو هذا الحديث المروي عن علي كرم الله وجهه
ما رواه الحاكم عن ابن مسعود وقال اي ابن مسعود رضي الله عنه فيه
ولا يختلف اي لا يقطع فيه ما يخالف بعضه بعضا مع طوله وبعد عهده
ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ولا يتشان بفتح اليا
التحتية والتا الفوقية والشين المعجمة والف بعدها نون مشددة
تفاعل من الشن وهو القربة البالية فهو استعارة للبلا والفنا بمعنى
قوله في الرواية الاخرى لا يخلق على كثرة الرد وفي رواية لا يتغه ولا يتشان
والتفه الحقارة وشي تفه حقير كذا هو في اكثر الروايات وصححوه وفي نسخة
ولا يتشانه بيا تحتية مفتوحة وشين معجمة والف بعدها نون وهمزة
من الشنان وهو البغض والعداوة فاستعير لتنافر الكلمات وعدم تناسبها
حتى كان بينها عداوة او التخالف فيما بينه فهو كقوله ولا يختلف معنى وهو معنى
ظاهر مشكوك فما نقل انه الصواب هو الاولى ان اراد بحسب
الرواية فمسلم وان اراد بحسب الدراية فلا وجه له فيه نبا الاولين
والاخرين تقدم بيانه بما يغني عن اعادته وفي الحديث الذي رواه ابن الضريس
في فضائل القران عن كعب الاحبار انه قال في التوراة انزلت على محمد تذكرة

واخرج ابن ابي شيبة في المصنف عن مغيث بن سمي مرسلا انزلت على توراة
محدثة قال الله تعالى عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم اني منزل عليك توراة
اي كتابا سماه وشبهها بالتوراة لكثرة ما اشتمل عليه من الاحكام والمواعظ
والوعد والوعيد والامثال والحكم والعقائد اليقينية فاطلاق التوراة
عليه استعارة تصريحية او مجاز امرسلا او حقيقة ان قلنا انه عبراني
معناه كتاب وانما عبر به لشهرته وعظم شانه فانه اجل كتاب نزل قبل القران
ولشهرته بين اليهود من اهل الكتاب الذين هم اقرب اليه وهو حديث
تدي نزل عليه صلى الله عليه وسلم قبل الوحي او في ابتدا امره حديثة اي قريبة
عهد بالنزول وهو كقوله ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث فلا قبل فيه
لمن يقول فيه بحدوث القران ولما كان كلام الله تعالى نورا وشفا قال
تفتح بها اعينا عميا اي ترشد بها من كان في ضلالة كالاعمى لعدم اهتدائه
للحق واذانا صما اي وتسمع بها اذانا لا تسمع الحق فتقبله وقلوبا غلفا
لا يصل اليها ما يهتدي بها الى السعادة كانها في غلاف وغشاء مانع عن وصول
الحق اليها وعن الفهم فقد تقدم بيانه فسمي ازالة المانع مطلقا فتحا وهو
من قبيل قوله متقلدا سيفا ورمحا فيها اي في التوراة بمعنى القران
ينابيع العلم جمع ينبوع وهي العين التي ينبع منها الما الجاري فشبه
العلم النافع بالما الذي يحيى به النفوس على طريق الاستعارة المكنية
واثبت له الينبوع على طريق التخييل وفهم الحكمة اي ما تفهم الحكم وجه
المواعظ وكل كلام محكم نافع جعل الفهم كانه فيها مبالغة لكونها ينبوعه
ومعدنه وربيع القلوب الربيع يكون بمعنى الخصب والمطر اي فيها
ما تحيى به القلوب وتنمو وتخصب وتمرح وتنشرح وتتنزه وتتفتح ففيه
استعارة لطيفة وعن كعب بن مانع المعروف بكعب الاحبار كما تقدم عليكم
بالقران اي تعلقوا بمعنى الزموه وتمسكوا يقال عليك كذا وبكذا فالمراد ملازمته
تلاوته وتدبر معانيه فانه فهم العقول اي مفهم للعقول ما يخفى عليها فهو
مصدر بمعنى اسم فاعل مبالغة لا بمعنى مفعول كنسج بمعنى منسوج فانه ركيك
كما يرشد اليه قوله بعده هذا بيان للناس ونور الحكمة اي منورها او هو كالحياة
الما اي يرحم بشره نورها وتلالا وصفوا وتهتدي بها وقال تعالى ان
هذا القران يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون يعني انه يبين
فيه لاهل الكتاب ما اشتبه عليهم واختلفوا فيه مما لم يعرفوه من كتابهم
ففيه اشارة الى ان القران جمع للاحكام من غيره من الكتب المنزلة
قبله واوضح وقال تعالى هذا بيان للناس وهدى الاية اي لجميع الناس
عرضي

من

من اهل الكتاب وغيرهم وموعظة للمتقين والايات مما يؤيد ما قاله كعب
ثم وضح ما قاله وفسره بقوله يجمع فيه اي في القران مع وجازة الفاظه
اي اختصارها وقلة الفاظه مع كثرة معانيه وجوامع كلمه معنى للمعاني
الجمة في الفاظ قليلة واضحة وتطلق على القران كما في حديث اوتيت
جوامع الكلم اضعاف ما في الكتب قبله معمول لجمع اي جمع ما يزيد على ساير
الكتب قبله اومثليه التي الفاظها على الضعف منه مرات اي مع زيادة
الفاظها عليه بامثاله جمع من المعاني ما يزيد على امثاله معانيه وضعف
الشي يكون بمعنى مثليه وامثاله والتضعيف الزيادة مطلقا وفيه كلام
لاهل اللغة ليس هذا محله ومنها اي من وجوه الاعجاز التي ذكروها
جمعه فيه اي جمع الله في القران بين الدليل والمدلول الدليل هو الدال
المرشد اي ما يمكن التوصل بالنظر فيه الى مطلوب خبري والمدلول هو المطلوب
بما لدليل هنا وان كان بمعنى المعنى مطلقا ثم بين معنى الجمع المذكور بقوله
وذلك اي الجمع بينهما انه احتج بالبنا للمجهول فهو بضم اوله وثالثه اي
ان الله اقام فيه الحجة على ما اراد اثباته والالزام به لمن اقيمت
عليه الحجة بنظم القران اي بنظامه البديع المعجز وحسن وصفه براو وصاد
مهملتين وفي الابواو كما في بعض النسخ وهو رصف البنا وهو ضم بعضه الى بعض
فالمراد حسن نظمه وتاليفه كما يولف البنا شيا فشيا حتى يتم ويكمل في غاية
الاحكام وضميره لله او للقران وايجازه وبلاغته وفي نسخة اعجازه اي
كونه في اعلى طبقات البلاغة المعجزة لكل بليغ واثناؤه البلاغة
بالنصب على الظرفية خبر مقدم اي في خلالها والثنايا بالمد على وزن افعال
جمع ثنا بالفتح والقصر وهو ما انثنى ودخل بعضه في بعض كما اشار اليه ابن هشام
اللخمي في شرح الدريدية كامره وهذا هو الدليل السابق ذكره ثم ذكر المدلول
فقال امره ونهيه ووعده ووعيده وغير ذلك من المقاصد العظيمة
التي ارادها الله فالتالي له اي القاري يفهم ويتدبر معانيه يفهم موضع
الحجة والتكليف بالجر والنصب من كلام واحد وسورة منفردة عن
غيرها مما هو حجة او يحتج عليه يعني ان كل مقدار معجز منه دال على مقصد
من مقاصده يكون دالا على مطلوب ومدعى وعبارته الدالة عليه برهانه
مصدق له لاعجازها وقيل المعنى انه وقع فيه الجمع المذكور
كما في قوله في سورة الواقعة لما حكى كلام منكري المعاد وهو ابذا متنا الخ
عقبه بما قطع عرق شبههم بقوله افرايتم ما تمنون الخ وقيل
انه كقوله فلا تقل لهما اف وكانه نبههما انه حجة لتحريم التافيف وما فوقه
عرضي
د. بلجي

باجتنابه وقوله فصل لربك واخر نحرة لوجوب الصلاة والاضحية ان مكلف
بها وهذا كلام لا محصل له ومحل يحتاج للتحرير ومنها اي من وجوه اعجازه
انه جعله في حيز يقال تحيز وتحوز تفعيل من هذه المادة معناها في كلام
العرب يتضمن العدول من جهة اخرى من الحيز وهو فنا الدار ومرافقها
ثم نقل لكل ناحية ما المستقر في موضعه كالجبل لا يقال له متحيز ويراد
بالتحيز عند غير العرب ما يحيط به حيز موجود وهو اعم من هذا والمتكلمون
يريدون به اعم من هذا وهو كل ما اشير اليه سوا كان له حيز اولا فالعالم
كله متحيز كما قاله ابن تيمية المنظوم الذي لم يعهد اي المؤلف الواقع على
طريقة لا يشابه شيا من كلامهم المنظوم شعرا ولا خطبة ولا رسائل
مع كونه واضح الدلالة بلسانهم وهذا انما يعرفه من له معرفة بكلام
العرب نظمه ونثره وسجعه كما بينه في كتاب الابانة ثم قال فان
قلت وما هذه المباينة العظيمة التي بين القران وبين ساير كلام
العرب وجميع المنظوم والاوزان حتى صار لاجلها معجزا باهرا قلت
هي ما في القران من البلاغة التي لا يقدر اشد اهل البلاغة واللسن
نحو ما في البيان ان ياتي بمثلها او بما يقاربها ولم يكن في حيز المنثور اي لم
يشبه اقسام منثورهم من السجع الملتزم فيه حروف روي الشعر ولا
خطابه لمقاطع فصول الخطب ومواضع استراحتها لا لاشتماله على الفواصل
كما توهم لان المنظوم اسهل على النفوس اي الكلام المنسق نظمه وتاليفه
على نهج واحد والمعطل عليه المنثور بالمعنى السابق واوعى للقلوب
اي ادخل في وعايه وهو القوة الحافظة له وفي الحديث بعد ذكر الانبيا
الذي رايتهم في السما اوعيت منهم اي ادخلته في وعا قلبي فهو اسم تفضيل
من المبني للفاعل على القياس واللام داخلة على المفاعل كما يقال هو اوعى
ولا تلبس فيه والصواب والقلوب اوعى له كما توهم واحلى على الافهام اي يستعذبه
الذوق السليم بجد له لذة وحلاوة فالناس اليه اميل اكثر ميلا ومحبة
كما قال السعري فاني الى قوم سواكم لاميل
والاهوا اليه اسرع جمع هوا وهو ميل النفس وانجذابها اي ميل القلوب
نحوه اشد من ميلها لغيره ومنها اي من وجوه اعجازه تيسيره
تعالى حفظه لمتعلميه اي من يريد تعلمه وتقريبه على متحفظيه
اي تسهيل حفظه لمن يريده قال الله تعالى ولقد يسرنا القران
للذكر في الكشاف معنى الاية سهلناه للادكار والاتعاظ بان شحناه
بالمواعظ الشافية وصرفنا فيه من الوعد والوعيد وقيل معناها

سهلناه

سهلناه للحفظ واعنا من اراد حفظه وتجوز ان يكون معنا يسرناه هيئناه
من ناقة للسفر اذا رحلها وفرسه للغزو اذا اسرجه والجمه كما قال
وقمت اليها باللجام ميسرا . هنالك يجزيني الذي كنت اصنع .
وعلى الوجه الثاني بنى المصنف استشهاده بالاية وساير الامم قبل هذه
الامة من اهل الكتابين وغيرهم لا يحفظ كتبها الواحد منهم اي لا يوجد فيها
واحد يحفظ كتابهم ابنياهم الا نادرا وروي عن ابن جبير انه بني اسرايل لم يكن
فيهم من يحفظ التوراة فكانوا لا يقرونها الا نظرا في مصحفها غير موسى وهارون
ويوشع بن نون وعزير فقيل النصارى نعم الله وقيل انها حرفت فجا عزير
وتلاها عليهم كما انزلت من حفظه فافتتنوا به وقالوا انه ابن الله وقد من الله
على هذه الامة بان يسر عليهم حفظ كتابه وجعل فيهم حفظة له لا تحصى
الى الان فكيف الجما منهم اي فاذا لم يتيسر ذلك لواحد منهم الا نادرا فكيف
يتيسر للكثير والجما بفتح الميم المشددة والمد بعد جيم مفتوحة من الجم
وهو الاجتماع والكثيرة التي لا تعد وفي بعض النسخ فكيف الجم بدون مد
وهما صحيح روايته ودرايته وفي الاساس عدد جم والحكم جما جما غفير
والجم الغفير اشتق من جمة الشعر وما قيل من ان الصواب الجم لانه
لا يتلفظ بالجما الا موصوفا نحو جا الجما الغفير لا اصل له وذلك انما هو
اذا كان منصوبا كما ذكره اهل العرب على مرور السنين عليهم اي مع طول
اعمارهم وامتداد ازمنتهم لم يتيسر لهم حفظ كتبهم والقران متيسر
حفظه للغلمان اي غلمان هذه الامة واطفالهم في كتبهم اي اقرب مدة
اي زمن قليل كسنة ونحوها لما شاهدناه وغلمان يكتبون العين المعجمة
رهوم صبي يولد الى ان يشب ومنها اي من وجوه الاعجاز عند بعضهم
مشاكلة بعض اجزايه بعضا اي مشابهة بعضه لبعض فان انواع
المشاكلة في الهيئة والصورة والمدة في الجنسية والشبه في الكيف والشكل
الدال وهو في الحقيقة الانس الذي بين المتماثلين في الطريقة ومن هذا
قيل انها من اشكال ذا الان واصل المشاكلة من الشكل اي تقيده
الدابة باشكاله ومنه شكل الكتاب وحسن ايتلاف انواعها اي مناسبة
انواع تلك الاجزا ان يكون كلما تدبرنا مناسبة وبدله المركبة ايتلافها اي الفة
وحسن مناسبة تامة والتيام اقسامها بهمزة وبدونه ابدا لها يا ايتلافها والتيام
وانضمام كل قسم اي مشاكلة وحسن التخلص من قسمة الى اخرى وهو ان
يوافق مطلع المسابقة مبدا اللاحقة حتى يصيرا كالقصة الواحدة
والخروج من باب الى غيره اي الانتقال من نوع من الكلام الى نوع اخر في

اي

ذكر الخروج من الباب لطف ظاهر على اختلاف مقاصد الضمير للقرآن او على
بمعنى مع اي قراه مع اختلاف مقاصده لا يخرج عن المناسبة التامة في جملة
وتفاصيله وهذا يعلم من كتاب المناسبات وقد صنف فيه كتب اجلها مناسبات
البقاعي وحسن التخلص مما اعتني به البلغا والشعرا كقوله

يقول في قومس صحبي وقد اخذت ... منا السرى وخطى المهرية القود
امطلع الشمس تبغي ان تؤم بنا ... فقلت كلا ولكن مطلع الجود

والانتقال من غير مناسبة يسمى اقتضابا وانقسام السورة الواحدة
على امر ونهي وخبر واستخبار اي استفهام وهو احد اقسام الانشا المقابل
للخبر وعد الاقسام بعطف المعطوف تعدده بالي اقسام وانما تعدى بعلى
لما يعطي تلك الاقسام فيقول النقد ينقسم الى دراهم ودنانير ويقول
قسمته على الفقرا والمساكين فان استعمل احدهما في مكان الاخر واراد
الكلام كما نحن النكتة وهي على القسم الكلي كانه امر خارج قسم على افراده او
القواعد فاد كلا حصته منه لوجوده في ضمنه فلا يحسن ذلك في كل محل ولا
من كل قايل ووعد ووعيد واثبات نبوة وتوحيد كقوله وما كنت
ثاويا في اهل مدين اذ قضينا الي موسى الامر وقوله انا الله الاه وتقرير
لبعض ما شرع اولا وترغيب وترهيب بوعد من اتقى بالنعيم المخلد وان من
كفر في سوا الجحيم متعيما ذكر الجبر ولكن من فوايده كضرب الامثال
وذكر القصص للعبرة بها دون خلل اي امر يخل به وينقصه بتخلل فصوله
اي تكون في اثنا فصوله الفصل عبارة عن جمل من الكلام مستقلة وتقبل
انه بمعنى الفاصلة وهي الكلمة مما يضاهي السجع والكلام الفصيح من كلام
البشر اذا اعتوره اي تردد عليه وتطاول تداوله مثل هذا اي تقسيم
انواع من المقاصد كوعد ووعيد وغيره وتخلل فصوله التي ينسجها المتكلم
الفصيح ضعفت قوته لانه يخالط قايله بتعدد انواع المقاصد فينزع عن
مرتبته التي ساقها في اوله ولانت جزالته اي متانته وشدته ويعلب
لعذها وقل رونقه اي صفاوه ونضارته وتقلقلت الفاظه
اي اضطربت والقلقلة في الاصل الحركة بعنف ويقال تقلقل في البلاد
اذا طال سفره فاستحضرنا فر الكلام الطويل فتامل اي تدبر وانظر
النظر والفكر في اول سورة ص والقران ذي الذكر وما جمع فيها
بالبنا للفاعل او المفعول وانت صمير اذ لا انه بمعنى الفاتحة اولا كتاب
الثابت مما اضيف اليه من اسم السورة من اخبار الكفار اي كفار قريش
من تعجبهم بارجايهم تذيرمنهم وقولهم انه ساحر كذاب وغيره وشقاقهم

اي

اي عداوتهم لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم بقوله بل الذين كفروا في عزة
وشقاق وتقريعهم وتوبيخهم باهلاك القرون من قبلهم بقوله كم اهلكنا
قبلهم من قرن وما ذكر فيها من تكذيبهم محمد صلى الله عليه وسلم في قولهم ما
سمعنا بهذا ان هذا الا اختلاق وتعجبهم مما اتى به في قوله انزل عليه الذكر
من بيننا الخ والخبر عن اجماع ملتهم على الكفر الخبر هنا بمعنى الاخبار والملا
جمع جماعة الاشراف والروسا وذلك انه لما اسلم عمر رضي الله تعالى عنه
شق عليهم اسلامه فاجتمعوا عند ابي طالب وقالوا انت شيخنا وكبيرنا
وقد رايت ما فعل هولا السفها فاقض بيننا وبين ابن اخيك فجابهم له
صلى الله عليه وسلم وقال له يا محمد هولا قومك يسالونك القصد فلا تمل
عليهم كل الميل فقال لهم ماذا تسالوني قالوا دعنا والهتنا وندعك
والهك فقال ارايتم ان اعطيتكم ما سالتموه اتعطوني انتم كلمة واحدة
تدين لكم بها العرب والعجم قالوا نعم وعشرا قال تقولوا لا اله الا الله فقالوا
امشوا واصبروا على الهتكم ان هذا لشي عجاب وما ظهر من الحسد في كلامهم
اي ما ظهر في كلامهم مما يدل على حسدهم له صلى الله عليه وسلم على ما اتاه الله
في قولهم اانزل عليه الذكر من بيننا مما دل على اعترافهم وتبكيتهم بصدقه
صلى الله عليه وسلم الا انه اخرس السنتهم واعمى قلوبهم وتعجيزهم حيث
قال ام عندهم خزاين رحمة ربك العزيز الوهاب ام لهم ملك السموات والارض
وما بينهما فليرتقوا في الاسباب فانهم لما انكروا اختصاصه صلى الله عليه وسلم
من بينهم بالنبوة بين لهم انها رحمة منه يصيب بها من يشا ممن ارتضاه من
عباده ولا مانع لما اراده فانهم لا يملكون خزاينه والتصرف فيها حتى يمنعوا
النبوة في مرادهم فان انكروا ذلك فليصعدوا الى السما ولينزلوا الوحي
لمن ارادوه وفي هذا غاية التهكم بهم واظهار عجزهم وقصورهم وتوهينهم
اي اظهار ضعفهم ووهن كيدهم وتحقيرهم بقوله جند ما هنالك مهزوم من
الاحزاب اي هولا الذين كذبوك وتحزبوا عليك جند وقد حقارة لهم على
التصرف في الامور الربانية فلا تكترث بهم ووعيدهم بخزي الدنيا بهزيمتهم
والاخرة بذوقهم العذاب فيها وتكذيب الامم قبلهم اي وعدهم بذكر من
كذب من الامم قبلهم واهلاك الله لهم بقوله كذبت قبلهم قوم نوح وعاد
وفرعون الى قوله فحق عقاب ووعيد هولا يعني كفار قريش الذين كذبوه
كما كذب الامم لرسلهم فيحل بهم ما حل بهم مثل مصابهم منصوب بقوله وعيدهم
وتصبير النبي صلى الله عليه وسلم على اذاهم اي امره بالصبر بقوله اصبر
على ما يقولون الخ وتسليته بكل ما تقدم ذكره من بيان حال امرهم وان له

صلى الله عليه وسلم فيمن تقدمه من الرسل اسوة ثم اخذ اي شرع بعد تعييره وتسليته في ذكر داود عليه الصلاة والسلام بقوله واذكر عبدنا داود الخ تسليا لما في قصته من تقطيع المعصية بذكر ما صدر منه من خلاف الاولى الذي صدر منه فعوتب عليه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب فيا لكن بغيره فهذا وجه ذكره هنا فتدبر وقصص الانبيا بفتح القاف ذكر سوها كسليمان وايوب وابراهيم واسحاق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام بقوله ولقد فتنا سليمان الخ نذكرهم الله منا عليهم كل هذا المذكور في اول سورة ص مذكور في اوجز كلام واحسن نظام على اتم ارتباط من غير خلل تركيبه ونقصه وتنقلها نما حسنه وحسنه اي من اعجاز القران وفي بعض النسخ ومنها ويحتمل ان يريد مما ذكر في اول سورة ص الجمل الكثيرة من المعاني لقوله التي انطوت عليها واشتملت الكلمات القليلة بالنسبة لمعانيها في القلة والكثرة ه طباق البديع ويشكل عليه ان يجعل هذا الا ايجاز وقد تقدم ذكره غير مرة فلا حاجة لاعادته وعده وجها مستقلا ولذا استدرك بقوله وهذا كله اي ما ذكرها وكثير مما ذكرنا في هذا الفصل من اوله الى هنا انه ذكر في اعجاز القران مضافا الى وجوه كثيرة لم نذكرها الايمة اكثرها داخل في بلاغته اشار بقوله اكثرها الى آن منها ما لا يدخل في البلاغة كتسهيل حفظه وان كان يرجع اليه بوجه بعيد والا لم يعده الايمة من وجوه الاعجاز فلا يجب ان يعد فنا منفردا في اعجازه بل يجعل من توابعه او غرائبه الا في باب تفصيل فنون البلاغة فيعد فنا منها كتشاكله اجزائه وحسن التخلص فانه فن منفرد من البلاغة لا من الاعجاز فانه لا يتوقف عليه انه من المعجز مالا يكون فيه ذلك كسورة الاحلام مثلا وكذلك اي مثل المذكور كثير مما قدمناه عنهم اي عن الايمة يعد في خواصه وفضائله لا اعجازه لانه لا مدخل له فيه وحقيقة الاعجاز عند من لم يقل بالصرفة انما هي الوجوه الاربعة التي قدمها المصراوة التي ذكرنا فليعتمد عليها في تحقيق الاعجاز ويستند اليها من اراد تحقيقه وما بعدها مما ذكر في هذا الكتاب فانما هو من خواص القران التي لا توجد في كلام غيره وعجائبه التي لا تنقضي اي لا تعد ولا تتناهى وبالله التوفيق اي منه التوفيق والهداية للوقوف على عجائبه التي لا تتناهى الا من الله وعنايته وفي بعض النسخ والله الموفق وفي حديثه من شغله القران عن دعائي ومسالتي اعطيته افضل ثواب الشاكرين اللهم فاجعله ربيع قلبي وشفاء همي وغمي

ثم

١٠٧

ثم عقب معجزة القران التي هي اعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم بمعجزة اخرى عظيمة مناسبة له في انها سماوية ومعجزة عليه فقال فصل في انشقاق القمر وحبس الشمس اي في ذكر معجزته صلى الله عليه وسلم بشق القمر له وجعله فلقتين وفي منع الشمس عن سيرها للغروب كما سياتي بيانه وهذا كان عقبه فصل الاسرا وفي بعضها رد الشمس الا في نسخة علي والتصر في الترجمة على هذا لانهما في المعنى سوا لما سياتي قال الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر قدم اقتراب الساعة عليها تخويفا للمنكرين ذلك وانما قاله وتقريرا في نفوس المومنين ايضا اذ تشقق السموات بها فالقادر على ذلك الفعال لما يريد كيف لا يقدر على شق القمر واقترانه بمجي ساعته قريبة من بعثته صلى الله عليه وسلم في الالف السابعة على ما اشتهر عند المحدثين وغيرهم وانما كانت الساعة قريبة لان عمر الدنيا على المشهور سبعة الاف وكسر وقيل الكسر ذلك وقد بعث نبينا صلى الله عليه وسلم في اخرها ه وحيث لم يبق الاصابير قوله انشق القمر اي وقع شقه وجعله فلقتين في الزمن الماضي مكة معجزة له صلى الله عليه وسلم اذ قال المشركون له ارنا اية وهذا ما عليه جمهور المفسرين وقيل ان المعنى انه سينشق في المستقبل اذا قامت القيامة وعبر بالماضي لتحققه ورده جماعة وقالوا انه مبني على قول الفلاسفة ان الاجرام العلوية لا تقبل الخرق والالتيام يكذبه القران وقوله فاذا انشقت السما فكانت وردة كالدهان وقوله وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر اي دائم او محكم من امر الحبل اذا احكم فتله وقد ثبت انشقاق القمر له صلى الله عليه وسلم في الصحيحين واخبر به جماعة من الصحابة واليه اشار بقوله صلى الله عليه وسلم اخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي واعراض الكفرة عن اياته ومعجزاته التي لا يمكن البشر الاتيان بمثلها واجمع المفسرون واهل السنة على وقوعه في الماضي وقال السبكي رحمه الله انه متواتر لا يجوز انكاره ورد واقول الماوردي ان الجمهور على خلافه وقال بل ينشق بمعنى سينشق فانه لو رجع لم يبق احد الا راه ولم يعتد المصنف رحمه الله بعده المقالة وهي لا تخرق اجماع السلف من اهل السنة وشذ له لبشر من اهل التفسير بل من هذا التاويل عنده الا ان بعضهم نظر الى حكاية الاجماع بان السجاوندي والنسفي قالا في تفسيرهما انه منقول عن الحسن البصري وكذا قال ابو الليث في تفسيره ان معناه سينشق وعزاه بعضهم للجمهور ومن الغريب ما حكي عن بعض شراح المدونة ان فلقة منه نزلت بجنبه وخرجت

من محمد صلى الله عليه وسلم ولما ارسل ابو بكر بن الطيب رسولا لملك الروم
بقسطنطينية وقيل له انه اجل علماء الاسلام احضر بعض بطارقته
لمناظرته فقال له اتزعمون ان القمر انشق لنبيكم فهل للقمر قرابة منكم حتى
تروه دون غيركم فقال له هل بينكم وبين المائدة اخوة ونسب اذ
رايتموها ولم تزها اليهود ويونان والمجوس الذين انكروها وهم في جوارها
فافحم ولم ينبهت حدثني اخبرنا الحسين بن محمد هو ابو علي الغساني الجياني
تقدم مفصلا ترجمته الحافظ من كتابه لا بقراءته عليه قال
حدثنا البخاري الامام المشهور قال حدثنا مسدد عبد الملك
لقب له بكسر هعد وهو مسدد بن مسرهد بن مسربل بن مغربل بن مرعبل
ابن ارندل بن سرندل بن عرندل بن ماسك بن المستورد محدث
البصرة وقال ابو نعيم لو كان في اول هذه النسبة بسم الله الرحمن الرحيم
كانت رقية للعقرب وهو امام حافظ روى عنه اصحاب الستة
وتوفي سنة ثمان وعشرين ومائتين قال حدثنا يحيى بن سعيد
ابن ابان الاموي الحافظ اخرج له اصحاب الستة وتوفي سنة اربع وتسعين
ومائة وسنة ثمانون وترجمته في الميزان عن شعبة بن الحجاج العتكي
الحافظ امير المومنين في الحديث كما تقدم وسفيان ابن عيينة ابو محمد
الهلالي الكوفي احد الاعلام الذي اخرج له الستة وتوفي سنة ثمان وتسعين
ومائة كما تقدم عن الاعمش سليمان بن مهران السابق ترجمته عن ابراهيم
النخعي السابق ترجمته عن ابي معمر الازدي الكوفي وهو بفتح الميمين وسكون
الحاء عن ابن مسعود رضي الله عنه قال انشق القمر على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم اي في زمنه وحياته والعهد ياتي بهذا
المعنى كما في القاموس وغيره وذكره للرد على من يقول انه سيكون بعده
يوم القيامة فرقتين بكسر الفاء وسكون الراء المهملة بمعنى قطعتين
والمراد نصفين وانتصابه على المصدرية من معنى انشق كقعد جلوسا
او تقديره وافترق فرقة فوق الجبل وفرقة دونه بالنصب بدل من
فرقتين والجبل حراء او ابو قبيس وفرقة بكسر ورفعه بتصويره يعني
في مقابله منفصلا عنه لا تحته كما قاله الماسياني فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا انما قال ذلك لان المشركين
اجتمعوا اليه صلى الله عليه وسلم فقالوا ان كنت صادقا فشق لنا
القمر فرقتين فقال لهم ان فعلت تومنوا قالوا نعم فسال ربه ان
يعطيه ما قالوا فانشق القمر فرقتين ورسول الله صلى الله عليه وسلم

ينادي

ينادي يا فلان يا فلان اشهدوا وذلك بمكة قبل الهجرة رواه ابن الجوزي
في الوفا عن ابن عباس رضي الله عنهما وقاله لانه وقع ليلا في وقت
الغفلة اي اشهدوا على معجزتي ونبوتي ووقوع ما طلبوه لانهم
اهل بهتان وتجدون في صحيح مسلم انه انشق مرتين قال ابن القيم
في كتاب اغاثة اللهفان المراد بها الافعال لا الاعيان لقوله
في الحديث انشق القمر مرتين اي فلقتين فلا حجة في هذا على بعضهم زعم
ان الانشقاق وقع مرتين ويابى ما فيه عن ثوبه وفي رواية مجاهد
التي رويت عن ابن مسعود في الصحيحين ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم
جملة حالية تفيد انه شاهد ذلك ولم يسمعه من غيره وفي بعض طرق الاعمش
كما رواه احمد في مسنده بزيادة قوله بمنى منون وعن منونة اسم بقعة معلومة
سميت لما لكثرة ما يمنى فيها من الدماء او يراق ويقال لها المنازل ايضا
ويقال نزلوا اذا اتوا منى قال ابا زلة اسماء غيرنا زلم قاله ابن هشام اللخمي
في شرح المقصورة واختلفت الروايات في محل الانشقاق فقيل بمكة
وقيل بمنى وفي اخرى راى حراء بينهما وقيل شقه منه على ابي قبيس واخرى
على السويداء والذين طلبوا منه ذلك صلى الله عليه وسلم الوليد بن المغيرة
وابو جهل والعاص بن وائل والعاص بن هشام والاسود بن عبد يغوث
والاسود بن عبد المطلب ونظراؤهم وهذه الروايات في محله لا تنافي
بينها لان كل راى اي يرى القمر باثر امكانه وبيد ورواه ايضا عن ابن مسعود
الاسود بن يزيد بن قيس بن عبد الله بن علقمة بن سلامان ولم يجيه
المصنف لشهرته وهو من كبار التابعين معروف بالرواية عن ابن مسعود وهو
من المعروفين بالزهد وكثرة العبادة توفي سنة خمس وسبعين وقال
اي ابن مسعود حتى رايت الجبل يعني جبل حراء على ما تقدم بين فرقتي القمر
اي فلقتيه وقطعتيه لبعد ما بينهما وهو بضم الفاء وفتحها والضم ازلي لانه
نقله بالفتح للمرة وبالكسر للهيئة وبالضم للمقدار كما صرح
كالعوثة للمعرون والفرجة الفضاء بين الشيئين يخرج به عن المفرج
نفسه اذ الظاهر ان القطعتين المنفرجتين وقصة ابي عمرو مع الحجاج
في قراءته غرفة وتمامه من العرب ربما ضاقت النفوس من الامر له فرجة
كحل العقال مشهورة رواه اي ما ذكر عنه اي عن ابن مسعود كما
ذكره البيهقي في الدلائل مسروق بن الاجدع الهمداني الكوفي من كبار التابعين
تقدمت ترجمته وانه توفي سنة ثلاث وستين انه اي انشق ازاي ابن
مسعود كان بمكة وزاد فقال كفار قريش سحركم ابن ابي كبشة يعنون ه

النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن حجر هو احد اجداد النبي صلى الله عليه وسلم
فقيل هو جد وهب جد النبي صلى الله عليه وسلم لامه وقيل عليه وسلم
ان ام وهب اسمها عاتكة بنت الاوقص بن مرة بن هلال ثم لم يقل احد من النسا
بين ان الاوقص يكنى بابي كبشة وقيل هو جد عبد المطلب لامه وتعقب
ايضا بان ام عبد المطلب سلمى بنت عمرو بن زيد الخزرجي ولم يقل ان عمرا
يكنى بابي كبشة ايضا وقيل انه ابوه من الرضاعة وهو الحارث بن عبد
العزى ولم يثبت تسمى كبشة كنى لها ذكره ابن حبيب ان له اجدادا
من قبل ابيه وامه يكنوا بذلك وانما قالوه لانه من عادتهم اذا انتقصوا
احدا نسبوه لجد غامض له وفي النهاية انه رجل من خزاعة خالف قريشا
في عبادة الاوثان وعبد الشعرى العبور فلما خالفهم النبي صلى الله عليه وسلم
ولم يرض الهتهم شبهوه به في ذلك وفي القاموس ابو كبشة كنية وهب
ابن عبد مناف او كنية عمرو والد حليمة السعدية مرضعته صلى الله عليه
وسلم وعلى كل حال ارادوا بهذا تنقيصه فزاده شرفا فقال
رجل منهم اي كفار قريش قبحه الله ابو جهل ان محمدا ان كان سحر القمر حين
شقه او خيل له شقه فانه لا يبلغ اي لا يصل شيء من سحره ان يسحر اهل
الارض كلها فسلوا من ياتيكم من بلد اخر غير مكة هل راوه اي القمر انشقه
او الامر الذي وقع وفي نسخة هل راوا هذا فاتوا اي الواردون قدم على
اهل مكة من غيرها فسالوا اي سالوهم هل راوا ذلك فاخبروهم لما سالوهم
انهم راوا مثل ذلك اي مثل رويتهم له لتشبيه بين الرويتين والمرئي
واحد وهو القمر المنشق وحكى السمرقندي تقدمت ترجمته عن
الضحاك نحوه اي مثل الحديث الذي ذكره اولا وقال اي الضحاك كما
رواه فقال ابو جهل لقريش لما شاهدوا انشقاق القمر بعد ما سالوه
فابعثوا الى اهل الافاق بالمد جمع افق بضمتين او بضم فسكون وهو
هنا بمعنى الناحية وما ظهر من الفلك ومطلع الشمس كما بينه علماء الهيئة
وهو الافق المرئي والافق الغير المرئي له احكام اخر والمعنى ارسلوا الى
سائر من جاوركم من البلاد ليسالوا من بها حتى تنظروا اي تعرفوا اراوا
ذلك ام لا الهمزة استفهامية وفي نسخة هل راوا شاهدوا امثل ما
راه اهل مكة ام لا لم يروه لانهم خيل لهم امر لم يقع وفي نسخة حتى
ينظروا بنونين فاخبر اهل الافاق انهم راوه اي القمر حالة كونه منشقا
والفاء فصيحة اي فسالوهم فاخبروا فقالوا يعني الكفار هذا سحر مستمر
اي دائم باق ذاهب على حاله الى غير النهاية من المرور او محكم قوي من امرار الحبل

وهو

وهو شدة فتله وقال ابو عبيدة معناه باطل وهو بعيد بحسب
اللغة وانما اتى لو انه سحر مستمر لان هذه اشارة الى المقاصد قبله من الايات
المتتابعة بتقفوا بعضها اثر بعض كما اشار اليه القاضي ولولا هذا لم يتات ما قالوه
فان انشقاقه لم يستمر بعد الليلة التي وقع فيها وهذا يكون اشارة للشخص
وللنوع كما حققه النحاة ورواه ايضا عن ابن مسعود علقمة بن قيس بن
مالك النخعي الفقيه الكبير التابعي الجليل ولد في حياة المصطفى صلى الله عليه
وسلم وتوفي سنة اثنين وستين والرواية عنه مشهورة في الكتب الستة
فهؤلاء الاربعة يعني مجاهدا والاسود ومسروقا وعلقمة كلهم رووا هذا
الحديث عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه ثم ذكر له طريقا اخر فقال
ولقد رواه غير ابن مسعود كما رواه ابن مسعود وتقدم حديث
ابن مسعود وجعل رواية غيره كالمتابعة له لانه لم يرو حديث الانشقاق
رواية سندها في غاية الصحة واعتمدها الائمة غيره كهي مما اتفق عليه
الشيخان واحمد بن حنبل وابن الصلاح وغيره رجحوا ما اتفق عليه الشيخان
على غيره وقال انه مقطوع بصحته منهم اي ممن رواه غير ابن مسعود
واعاد ضمير الجمع نظرا للمعنى انس وابن عباس وابن عمر وحذيفة
وعلي وجبير بن مطعم رضي الله عنهم وهذه الروايات كلها في الكتب
الستة وغيرها مخرجة فرواية انس وابن عباس في الصحيحين ورواية ابن
عمر في صحيح مسلم والترمذي ورواية حذيفة ابن اليمان في الدلائل وغيرها
ورواية ابن مطعم بكسر العين في مسند احمد والبيهقي ولذا قال فقال
علي من رواية ابي حذيفة الارحبي واسمه سلمة بن صهيب على الاصح
نسبة لارحب حي من همدان بهمزة مفتوحة وراء مهملة ساكنة وحاء مهملة
مفتوحة وباء موحدة نزل بالسنة وهو من الثقات المشهورين انشق القمر
ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والجملة حالية ومنهم من نحى لعلي ومن
كان معه لا لمن تقدم وعن انس خادمه صلى الله عليه وسلم وحديثه من
مراسيل الصحابة لان الحادثة وقعت ولم يسلم اذ ذاك وهذا من متحد حديث
ابن مسعود رضي الله عنه سال اهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم ان يريهم آية
معجزة غير ما راوه وفي الرواية المتقدمة انهم سالوه ان يشق لهم القمر
فاراهم انشقاق القمر فرقتين بكسر الفاء وسكون الراء وفي رواية فلقتين
باللام بدلها وهما بمعنى قطعتين ونصفين كما مر حتى راوا حراء بينهما
اي بين القطعتين وما زائدة للتاكيد وفي نسخة حذفها وحراء بكسر الحاء
المهملة وفتح الراء المهملة وهمزة ممدودة وتفتح حاؤه مع القصر وهو

وجبل بمكة معروف كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعبد فيه كذا في الحجة
التلمساني وقال انه يذكر ويونث ويصرف ولا يصرف
وهذا ما ذكره غيره من اهل اللغة اذا عرفت هذا فما قاله الخطابي من ان العامة
يغلطون في حرا ثلاث غلطات يفتحون حاه وهي مكسورة ويقصرونه وهو
ممدود ويميلونه وهو لا يجاز لا اصل له الا قلة النظر في كتب اللغة رواه
عن انس قتادة وفي رواية معمر وغيره عن قتادة عنه اي عن انس
اراهم القمر مرتين انشقاقه بالنصب بدل من القمر بدل اشتمال وفي تقديم
مرتين في هذه الرواية دليل على ما قلناه سابقا من ان التعدد في الاراءة
لا في الانشقاق وانه مرتين كما ذهب اليه من نظر لظاهر هذه الرواية وان
ما قيل من ان المرة في الازمان والاحوال وايضا قد تكون في
الاعيان والاول اكثر وهذا من قبيل الثاني معناه وجعل فرقتين بل فلقتين
واحد وان هذا خفي على من قال ان الانشقاق قد وقع مرتين وهو لم يقع الا مرة
بلا اختلاف فيه ودعوى الحافظ العراقي في منظومته الاجماع على تعدده سهو
منه وغفلة عما ذكره غيره تواتره بينهما وما قيل من انه كان مرة بمكة
ومرة بحرا وهو على ثلاث اميال من مكة في طريق الذاهب
لمنى وانه يدل على تعدد الازمان والاماكن المتناقض في هذه الروايات
وهي كلها صحيحة ولا يمكن عادة ان يكون الناس الذين راوه في ذلك الوقت
في هذه الامكنة الثلاثة وقد قالوا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فهذا انما يقطع بتعدد الازمنة والامكنة ليس بشي فانهم اذا راوه بمكة
شاهدوا ان نوع فلقة منه خلف حرا او اخرى امامه من تعدد النظر لسمته
من الافق وان لم يكونوا ثمه كما مر ولا يخفى بعد كون من ذكر من كبار الكفرة معه
بمنى او غيره من جبال مكة وبواديها فالذي يحرر في الجمع بين هذه
الروايات انه شاهد ما بين الفلقتين حرا لكونه اظهر في دفع الانكار فانه لو
تقارب لقالوا هو لا تحول العقول انه من غلط الحس فلما اشهدهم النبي صلى
الله عليه وسلم على ذلك اشار مرة الى فلقة منه وقال اشهدوا يا فلان ويا فلان
ثم اراهم من اخرى فلقة اخرى فقال اشهدوا وكل هذا كان بمكة ليلا والقمر
في وسط السما يحاذي حرا وكذا غيرها من الجبال والاماكن البعيدة فلا
تعدد في الشق ولا تدافع بين الروايات ولا يطعن في شي منها وهذا
ان شا الله مما لا ينبغي العدول عنه فان القول بان المرة في الاعيان
لا صحة له في اللغة واستعمال الناس فلو قطع انسان بطيخة قطعتين
دون عدد واحد وقال قطعتها مرتين كذب من سمعه واستهزا به فعليك بالنظر

الجديد

الجديد وان نطرح من جهة فكره على التقليد فنزلت اقتربت الساعة
وانشق القمر مؤيدا للمعجزة صلى الله عليه وسلم وهذا تقوى الحديث وصار
كالمتواتر وباينه بانه سينشق اذا قامت القيامة باه قولت بعده وان يروا اية
يعرضوا ويقولوا سحر مستمر كما لا يخفى على من له نظر سديد ورواه عن جبير
بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه جبير بن محمد فرواه عن ابيه عن جده وجبير
الثاني روى عنه ابو داود حديثا واحدا قال الذهبي ولا اعلم له مخرجا
ولا توثيقا وزاد ان ابن حبان ذكره في كتاب الثقات ورواه عن ابن
عباس عبيد الله بن عتبة الامام الجليل الفقيه احد الفقها السبعة
وهو ثقة مامون خرج له اصحاب الكتب الستة وتوفي سنة ثمان وتسعين
وماية ورواه عن ابن عمر مجاهد ابن جبير وقد قدمنا ترجمته ورواه
عن حذيفة ابو عبد الرحمن السلمي بضم السين وفتح اللام وهو ابو عبد
الرحمن بن حبيب الامام المشهور مقري الكوفة وحافظ السنة توفي سنة
ثلاث وسبعين تقريبا وخرج له الايمة الستة ومسلم بن ابي عمران
الازدي البصري وهو ابو عبد الله المعروف بالبطين نسبة للازد بسكون
الزاي المعجمة ويقال لها اسد بالسين ايضا قبيلة عظيمة والازد اسم
جدهم الاعلى وهي باليمن واليهم تنسب الانصار واكثر طرق هذه
الاحاديث صحيحة الطرق هي الاسانيد والرواة تسمى طرقا لوصول
الحديث الينا منها وعبر بالاكثر اشارة الى ان في بعضها ضعفا وقيل
مراده بالصحيح هنا ما يقابل الحسن فكلها صحيحة مع التفاوت فيها
والاية مصرحة بما في الحديث من الانشقاق وفيه اشارة لما قلناه من
ان فيها ما يمنع التاويل الذي جوزه بعضهم ولا يلتفت الى اعتراض
مخذول اصل معنى الخذل ترك النصرة والاعانة ثم قيل لمن لم يكن
على الحق وطريق الهداية والمراد من انكر هذا بقصد الطعن في المعجزة
كمن اول الاية بخلافه فانه ذهب اليه بعض المفسرين كما مر الا انه
ايضا لا ينبغي القول به ايضا بانه لو كان هذا الانشقاق لم يخف
على اهل الارض كلهم اذ هو شي ظاهر لجميعهم تعليل القول لم يخف اذ لم ينقل
الينا عن اهل الارض انهم رصدوه تلك الليلة اي ترقبوه ونظروا
الى مطلعه والرصد الرقيب ومنه اخذ الرصد المعروف عند المنجمين فهو
منقول منه وليس بمعنى لغوي فلم يره الشق رايه هنا بقرينة والشق
حال اي وقت الشق ولا يلزم ان يعرفوا انه سينشق في تلك الليلة فيرصدوه
كما قيل بل يكفي فيه سماعهم له من النبي صلى الله عليه وسلم فيرصدوا

ما فعدهم به ليعرفوا حال خبره وهو ظاهر وان الثانية تعليل لعدم الالتفات
ثم اجاب بجواب اخر على فرض تسليم ما ذكر فقال ولو نقل بالبنا للمجهول
البنا انهم رصدوه فلم يروه انشق عمن لا يجوز تواطؤهم على الكذب
اي طائفة من اهل الارض لا يجوز اجتماعهم على الكذب في خبرهم لكثرتهم
من الملا وهم الجماعة المجتمعون المتفقون على امر واحد لانهم يملاون
مكان اجتماعهم لما اللام جواب لو وما نافية لنفيها مخففة كانت
علينا به حجة اي لم يكن ما اجتمعوا عليه حجة ودليلا يقوم على عدم
وقوعه وعلينا مقدم من تاخير متعلق بحجة لتوسعهم في الظرف اذ ليس
القمر في حد واحد الحد الموصوف المميز للشيء ماخوذ من الحد بمعنى
الحاجز ومنه حدود الداري ليس القمر على حال واحد لجميع اهل الارض
اي عند جميعهم لاختلاف احوالهم باختلاف مطالعه بالنسبة لبعض دون
بعض فقد يطلع في ليلة في بعض البلاد دون بعض كما بينه علما الهيئة
فقد يكون ليلة الانشقاق طالعا بمكة دون محل غيرها فلو قال
غيرهم لم نره انشق في تلك الليلة لم يكذبوا لذا قال المصنف فقد
يطلع على قوم قبل ان يطلع على اخرين ولهذا لو شهد اهل بلد برؤية
هلال رمضان لم يلزم غيرهم صومه كما قرره الفقها وقد يكون سواء القمر
من قوم بضد ما هو من مقابليهم من اقطار الارض جمع قطر بضم فسكون
وهو الناحية كالطلوع في بعضها والخفا في بعض او يحول بالحا المهملة
اي يكون حائلا مانعا من رؤيته بين قوم وبينه سحاب او جبال
شاهقة فلا يرونه مع رؤية غيرهم له ولهذا اي لكونه ليس على حال
واحد في جميع اقطار الارض نجد الكسوفات في بعض من البلاد دون بعض
منها والكسوف معروف وهو كون جرم القمر عند مضي مسود لحلول ظل
الارض بيننا وبينه كما بين في محله وفي بعضها جزئية وفي بعضها كلية
والكسوف الجزئي كسوف جزء منه والكلي كسوف جميع جرمه بنسبة للجزء
والكل وفي بعضها لا يعرفها الا المدعون لعلمها اي في بعض البلاد لا يعرف
الكسوفات بعض الناس الذين يعرفون علم الهيئة دون غيرهم مما لا يعرفون
كالكسوف تحت الارض فانه يقع كثيرا عندهم ويترتب عليه احكامه
وغيرهم لا يعرفها الا بعد على تصورها دعوى لا دعا اشارة الى انه مثله
ليس ثابت عند علما الشرع بعد ليس المراد به اختلاف المطالع كما قيل
وما ذكره المصنف بنا على ان الكسوف يقال في القمر فلا يرد عليه ما قيل
من ان الصواب ان يكون الخسوف قال الراغب الخسوف للقمر والكسوف

للشمس

للشمس وقال بعضهم الكسوف فيهما اذا زال بعض ضوئهما والخسوف اذا ذهب
كله يقال خسفه الله وخسف هو اي ذهب وقد يستعمل كل منهما بمعنى الاخر مطلقا
عليه الاستعمال في عرف التخاطب وعليه مشى المصنف فلا اعتراض عليه
ولو تفصيل النسبة هذا المحل ذلك تقدير العزيز العليم اي سير القمر واحواله
من الكسوف وغيره كله بتقدير الله العلي العظيم الغالب بقدرته على كل
مقدور المحيط علمه بكل معلوم لا كما يقول الفلاسفة انه بقوة تكليفية
لاحكام جوبية لا يمكن تخلفها وقيل انه وقع في اصل الحكيم بدل العليم
وان صوابه العليم لانه الموافق للتلاوة واعتذر له بانه لم يرد الاقتباس من
القران ولذا لم يقل قال الله تعالى والذي رايناه في النسخ العليم وانه
القمر كانت ليلا اي الاية والمعجزة بانشقاق القمر وقعت في الليل قال
الخطابي الحكمة في ذلك ان من طلبها من قريش طلبها ليلا فاراد الله تعالى
وقوعها ليلا ولو اراد وقوعها نهارا لتكون محسوسة لهلاك احد بعد ذلك
ولكن الله تعالى جرت عادته باهلاك كل امة اتاها نبيها باية عامة يدركها
الحس انهم لم يومنوا بها فخص الله تعالى هذه الامة برحمته فجعل اية نبيها
صلى الله عليه وسلم على حال لا يقتضي اهلاكها والعادة من الناس بالليل
اي فيه الهدو والسكون عطف تفسيري اي النوم وعدم الحركة كما قال
جعل الليل سكنا والهدو بهمزة بعد القاف ويجوز ابدالها واوا وادغامها
وايجاف الابواب اي اغلاقها بكسر الهمزة وسكون المثناة التحتية وجيم
وفا واصل معناه الاسراع في السير واستعمل في الاغلاق لانه مما يسارع اليه
عند الحاجة لاسيما ليلا وهو نحو سابغ شابح مما قيل انه لم يوجد في كتب
اللغة فلعله هنا وجف بمعنى اضطرب وان الهمزة فيه للسلب لان تغلق
الابواب يزيل الاضطراب فغلقه لاداعي له ومن تعلق بابه ولا يخرج من بيته
لا يرى القمر فكنى به عن ذلك وقطع التصرف والنظر لشيء فضلا عن صعود النجوم
وكما قال ابن الغتر في انه هذا امر لا يستبعد ولا يكاد يعرف من امور السما
شيئا الا من رصد ذلك الامر يعتني بالنظر اليه وترقبه ليلا واهتبل به
اي بذل جهده واعتنى غاية الاعتنا من قول العرب اهتبل الصيد اذا
طلبه من مظانه وهو متعد بنفسه وعداه المصنف بالبا لانه ضمنه
معنى الاعتنا وكذلك اي لكونه امرا ليليا في زمان غفلة ونوم ما يكون
الكسوف القمري كثيرا في البلاد ما زائدة لتحقيق الكلام وقيد بالقمري
بنا على شمول الكسوف للشمس والقمر واحترز عن الشمس لظهوره واكثرهم
لا يعلم به حتى يخبر بالبنا للمفعول اي يخبره الناس بوقوعه وكثيرا ما

منصوب على الظرفية او المصدرية وما زائدة للتأكيد **بعد**
التفات بعجائب يشاهدونها من انوار بيان العجائب والنور على ظاهره
لانه قد حدث في الجو نور زايدا على ما عهد او المراد به شعل نارية كذوات
الاذناب التي تمتد في الافق في بعض الليالي بسبب طلوعها نور تذكر في كتب
الملاحم **ونجوم طوالع عظام تظهر في الاحيان بالليل في السما ولا علم**
عند احد منها لانها تسير تحت الارض حتى تقطع درجات في دايرتها وتصل
الى ما فوق الارض فتظهر بعد الخفا وهو مشاهد كثيرا فصل فيه
وخرج الطحاوي بالخاء المعجمة المفتوحة وتشديد الرا المهملة المفتوحة
قبل الجيم والتخريج نقل حديث بسنده من الكتب المعتمدة ومسانيد الايمة
المحدثين وبيان صحته وغيرها والطحاوي بفتح الطا والحا المهملتين
والف وواو بعدها يا نسبة منسوب لطحا وهي قرية من قرى مصر وهو الامام
الجليل العمدة المحدث ابو جعفر احمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك
ابن سلمة بن سليم الازدي ثم المصري الحنفي لا المالكي كما توهم ولـ
ـد سنة تسع وثلاثين وتوفي في ليلة الخميس مستهل ذي القعدة سنة
احدى وعشرين وثلثماية وكان شافعيا من تلامذة المزني ثم تحنف
وانتهت اليه رياسة الحنفية بمصر وله تاليف جليلة **في مشكل الحديث**
هو كتاب جليل له في الحديث اشتهر بالآثار **عن اسما بنت عميس** مصغر
زوجة ابي بكر الصديق رضي الله عنهما وترجمتها مشهورة وكانت
اولا زوجة جعفر بن ابي طالب **من طريقين** وسندين مختلفين في رواية
هذا الحديث عنها ورواه الطبراني باسانيد مختلفة رجال اكثرها
ثقات وهذا الحديث في رد الشمس وحبسها لعلي رضي الله تعالى كما سيأتي عنه
قال ابن الجوزي انه موضوع بلا شك ورواياته مضطربة وفي رواته
رجال متهمون بالكذب والوضع كاحمد بن داود وقال الدارقطني وابن حبان
انه كذاب متروك الحديث وضاع وعمار بن مطر متروك ايضا ذكره الذهبي
في الميزان وذكر كلام الناس فيه وانه روى حديث رد الشمس وتعقبه
بما روي عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه انه صلى الله عليه وسلم قال
لم ترد الشمس الا على يوشع بن نون وفي طريقه الثاني فضيل بن مرزوق
وقد ضعفه يحيى وقال ابن حبان انه روى الموضوعات وهذا الحديث
باطل قال ابن الجوزي ولا اتهم به الا ابن عقدة فانه رافضي يحدث
بمثالب الصحابة وقد رواه ابن مردويه من حديث داود بن فراهيج عن
ابي هريرة قال نام رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجر علي ولم يكن علي صلى

العصر

العصر حتى غربت الشمس فذكر نحوه وداود ضعيف ضعفه شعبة قال
ابن الجوزي ومن غفلة واضعه انه نظر الى فضيلة ولم يتلمح الى عدم
الفايدة فيها فان صلاة العصر بغيبوبة الشمس صارت قضاء ورد
الشمس ورجوع الشمس لا يعيدها ادا وقد ذكر ابن تيمية الحديث
في كتابه رد الروافض بطرقه وما فيه واطال فيه **قلت**
طالعته ورايت ما ذكره فيه من ان ذلك كان مرتين وانشد فيه شعرا
للحميري **ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يوحى اليه** مرة بالصهبا
وراسه في حجر علي جملة حالية والحجر مثلث الحا المهملة ثم جيم
ساكنة ورا مهملة بمعنى الحضن وهو معروف والاظهر ان المراد انها
كانت موضوعة على ركبته وهو نايم **فلم يصل علي** رضي الله عنه صلاة
العصر حتى غربت الشمس وغابت فانتبه **فقال رسول الله صلى الله**
عليه وسلم لعلي اصليت يا علي بهمزة الاستفهام وفي نسخة هل
فقال لا اي لم اصلها **فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم**
انه كان في طاعتك وطاعة رسولك لانه لم يزعج رسول الله صلى الله عليه
وسلم من منامه وانتظر تيقظه **فاردد عليه الشمس** اي اعدها لمكانها الذي
غربت منه ليصلي الصلاة في وقتها يقال اردد بالفك ورد بالادغام وهو
دعا وقد سمعت ما قاله ابن الجوزي انه لا فايدة فيه بعد ما صارت
قضا وباقي ما فيه **شرقها** اي في محل شروقها وفي رواية شروقها وهذا
في بعض النسخ وهو بفتح الرا وسكونها وهو بدل من الشمس او منصوب
على الظرفية ومعناه ضوءها او ارتفاعها على الحيطان او انبساطها
على الارض وقيل انها انما حبست ومنعت من الحركة حتى يودي
الصلاة في وقتها وبنا فيه قول **فقالت اسما فرايتها غربت**
ثم رايتها طلعت بعدما غربت ووقعت على الارض والجبال
وذلك بالصهبا في القاموس قلعة بقرب خيبر وكذا قاله
غيره وفي قوله **في خيبر** مسامحة او فيه مضاف مقدر اي في قربها وخيبر
بوزن جعفر ارض بقرب المدينة فيها قلاع وقرى كان لها ساكن اليهود
ثم خربت والى هذه الاشارة بقوله في الهمزية

ردت الشمس والشروق عليه ۝ لعلي حتى يتم الادا
ثم ولت لها صرير وهذا ۝ لفراق له الوصول ولوا

فقالت اسما فرايتها غربت ثم رايتها طلعت بعدما غربت ووقعت
على الجبال والارض قال الطحاوي وهذان الحديثان ثابتان

روايته وأكثر ورواتها ثقات جعلهما حديثين والمذكور حديث واحد
فتسميته لانه روي من طريقين كما ذكره واعترض عليه بعض الشراح وقال
انه موضوع ورجاله مطعون فيهم كذابون ووضاعون ولم يدر ان الحق خلافه
والذي غره كلام ابن الجوزي السابق ولم يقف على ان كتابه اكثره مردود وقال
خاتمة الحفاظ السيوطي والسخاوي ان ابن الجوزي في موضوعاته تحامل تحاملا كثيرا
حتى ادرج فيه كثيرا من الاحاديث الصحيحة كما اشار اليه ابن الصلاح وهذا
الحديث صححه المصنف واشار الى ان تعدد طرقه شاهد صدق على صحته
وقد صححه قبله كثير من الائمة كالطحاوي واخرجه ابن شاهين وابن مندة
وابن مردويه والطبراني في معجمه وقال انه حسن وحكاه العراقي في التقريب
ولفظه انه صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بالصهباء ثم ارسل عليا في حاجة
فرجع وقد صلى النبي صلى الله عليه وسلم العصر فوضع راسه في حجر
علي فنام ولم يحركه حتى غابت الشمس فقال صلى الله عليه وسلم اللهم ان عبدك
عليا احتبس نفسه على نبيه فرد عليه الشمس الخ وانكار ابن الجوزي
فائدة ردها القضا لا يجدي له فانها فاتته بعذر مانع عن الادا وهو
عدم تشويشه على النبي صلى الله عليه وسلم وهذه فضيلة اي فضيلة فلما
عادت الشمس حاز فضيلة الادا ايضا انتهى قال ابن حجر في شرح الارشاد
لو غربت الشمس لم ترد الا ليوشع حين قاتل الجبارين يوم الجمعة فلما ادبرت
الشمس خاف ان تغيب الشمس ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فدعا الله
فرد عليه الشمس حتى فرغ من قتالهم فقد اجيبت عنه بانه قال لم ترد
فقصة خيبر اذ المراد لم ترد لاحد من الامم السالفة فالحصر اضافي مع ان نقل
ابن حجر عن المصنف في الاكمال ان الشمس حبست لنبينا صلى الله عليه وسلم
في الخندق حين شغل عن صلاة العصر حتى ادركها ادا وما روي انه قضاها
بعدما غربت الشمس لعله كان في يوم اخر وفي تفسير البغوي والكواشي ه
والثعلبي ان الشمس ردت لسليمان ايضا وروي عن علي رضي الله عنه ردها عليه
على الشمس في الاية لعلها وانه لم يحرك كما ذكر وانا قول ان السيوطي صنف
في هذا الحديث رسالة مستقلة سماها كشف اللبس عن حديث رد
الشمس وقال انه سبق عليه لابي الحسن الفضلي وارد طرقه باسانيد كثيرة
وصححه بما لا مزيد عليه ونازع ابن الجوزي في بعض من طعن فيه من رجاله
والحاجة التي ارسل صلى الله عليه وسلم لها عليا قسمة غنائم خيبر وما
ذكره من الحديث المعارض له ما لا يعارضه وهو انه لم يكن لنبي معجزة الا وكان
لنبينا مثلها وهذه المعجزة كانت ليوشع ومثلها لداود من غريب طرقه ما رواه

الطبراني في الكبير عن اسماء ايضا قالت اشتغل علي رضي الله عنه مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم في قسمة الغنائم يوم خيبر حتى غابت الشمس فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي اصليت العصر قال لا يا رسول الله
فتوضا رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس في المسجد فتكلم بكلمتين او ثلاثة
كانها من كلام الحبشة فارتجعت الشمس كهيئتها في العصر فقام علي فتوضا وصلى
العصر ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل ما تكلم به قبل ذلك فرجعت
الشمس الى مغربها فسمعت لها صريرا كالمنشار في الخشبة وطلعت الكواكب
انتهى واذا صح الحديث علم منه ان الصلاة ليست بقضا لم يتعين بهذا الدعا
الادا اذ لو لم يكن له فائدة لما اراده واورد عليه ولا حاجة الى ان يقال
انه من خصائصه فانه لا يقع مثله حتى يقاس عليه وقد يقال نظيره على
القول باختلاف المطالع فالوصام اول يوم من رمضان ببلده ثم سافر
وافطر ووصل لبلد فيها الشهر ناقص وعلم انه تم ببلدته فهل يلزمه قضاؤه ام
لا وحكى الطحاوي عن احمد بن صالح وهو ابو جعفر الطبري الحافظ
الثقة روى عنه اصحاب السنن وتوفي في سنة ثمان واربعين ومائتين وله
ترجمة في الميزان كان يقول لا ينبغي لمن سبيله العلم اي لمن طريقته
وداْبه الاشتغال بالعلم ومعرفة الحديث فيجعل نفس العلم طريقا لاخذ
يصل به صاحبه الى سعادة الدارين التخلف عن حفظ حديث اسما بنت
عميس الذي رد فيه الى رد الشمس لانه من علامات النبوة اي من الايات الدالة
على نبوته لانه معجزة عظيمة وهذا مؤيد لصحته فان احمد هذا من كبار ائمة
الحديث الثقات ويكفي في توثيقه ان البخاري روى عنه في صحيحه
فلا يلتفت الى من ضعفه وطعن في رواته وهذا ايضا يسقط ما قاله ابن ه
تيمية وابن الجوزي من ان هذا الحديث موضوع فانه مجازفة منهما وما قيل
من ان هذه الحكاية لا موقع لها بعد نصهم على وضع الحديث وان كونه من
علامات النبوة لا يقتضي تخصيصه بالحفظ وحفظ لا يعمل به بعدما سمعت
وروى يونس بن بكير بالتصغير وهو ابو بكر الشيباني الامام الثقة وقول
ابي داود انه ليس بحجة مردود فان ابن معين وثقه وقال
انه صدوق توفي في سنة تسع وتسعين ومائة وله ترجمة في الميزان في زيادة
المغازي روايته عن ابن اسحاق محمد بن يسار صاحب السيرة ه
وروايته مفعول روى لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم واخبر
قومه من قريش بما اسري به بالرفقة والعلامة التي في العير بكسر العين
وهي الابل والرفقة جمع رفيق بشان الوادي اخبرهم بقافلتهم ومن فيها

من الجماعة المترافقين والعلامة هي قوله صلى الله عليه وسلم انه يقدمها جمل اورق عليه ما نصل وا شهر في السير وباني لعصنه قريبا قالوا متى يجي جوابنا اي في اي يوم تصل لمكة وسئلوا لهم لا منكار انه صلى الله عليه وسلم قال يوم الاربعا بتثليث الباء والمد اي جي يوم الاربعا فلما كان ذلك اليوم بالرفع والنصب والاول اولى لان نعته فاعل كان التامة بمعنى وجد اشرف قريش بشين معجمة وراء مهملة اي قاموا على شرف وهو المكان المرتفع وقوله ينتظرون حالا ومستانف اي ينتظرون قدوم عيرهم وقافلتهم في اليوم الموعود وقد ولى النهار اي قارب ذلك اليوم وهو يوم الاربعا ان يتم ويدخل الليل بغروب الشمس فيه ولم يجي العير وتصل اليهم في المكان الذي وقفوا فيه لانتظارها فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اي سال ربه وتضرع له ان يمد ذلك اليوم حتى يجي العير قبل انقضائه فزيد له في النهار ساعة وذلك انه حبست له الشمس ساعة اي امسكها الله بقدرته وعوقها عن سيرها المعتاد مقدار ساعة حتى قدمت العير قبل غروبها في ذلك اليوم وقد تقدم انها حبست له صلى الله عليه وسلم في الخندق ايضا وفي سيرة مغلطاي نقلا عن الخطيب في كتاب النجوم انها حبست لداود عليه الصلاة والسلام ايضا وقال ان رواية ضعيفة وذكر البغوي وغيره في سورة ص انها حبست لسليمان عليه الصلاة والسلام حين عرض الخيل كما مر انفا

تنبيه الذي ذكرنا من حبس الشمس وان العير قدمت بعد العصر قبل الغروب فيه مخالفة لما من انها قدمت صباحا وعليه اقتصر المفسرون كالزمخشري والبيضاوي في اول سورة الاسرا وهو انه صلى الله عليه وسلم لما رجع من الاسرا اخبرنا بعلمهم لتكذيبهم له فمر به ابو جهل عدو الله وقال له مستهزئا هل استفدت من شي قال نعم اسري بي الليلة الى بيت المقدس قال ثم اصبحت بين ظهرانينا قال نعم قال ان حدثت قومك بهذا اتقال نعم فنادى هلموا فانقضوا اليه حتى جلسوا اليهما فقال حدثهم بما حدثتني به فقصه عليهم فمن بين مصفق وواضع يده على راسه تعجبا للكذب على زعمهم وارتد ناس وسعى بعضهم الى ابي بكر رضي الله عنه وقال له هل لك في صاحبك يزعم انه اسري به ثم قال ان كان قال ذلك فقد صدق واني لاصدقه فيما هو اعظم من ذلك من اخبار السما فسمي لذلك الصديق وكان فيهم من راى المسجد الاقصى فقالوا له هل تستطيع ان تنعته لنا قال نعم فنعته لهم ثم التبس عليه بعض امره

يجي

فجيء بالمسجد الاقصى ووضع دون دار عقيل فنظره ونعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب ثم قالوا له اخبرنا عن عيرنا هل لقيتها قال نعم مررت على بني فلان بالروحا وقد اضلوا بعيرا لهم وطلبوه وفي رحالهم قدح ما فعطشت فشربته فسالوهم هل وجدوا الما في القدح قالوا نعم وهذه اية قال ومررت بعير بني فلان وفلان راكب قعودا لهم فوقع وانكسرت قالوا نعم وهذه اية قالوا فاخبرنا عن عيرنا قال مررت بها بالتنعيم قالوا اخبرنا عن عدتها واحمالها وهيأتها ومن فيها قال كنت في شغل عن ذلك ثم مثلت له فنعتها ذلك لهم وقال تقدمها جمل اورق عليه غرارتان مخيطتان تطلع عليكم عند طلوع الشمس قالوا نعم وهذه اية اخرى ثم خرجوا يشتدون نحو الثنية وقالوا لقد قضى محمد بيننا وبينه حتى اتوا الكدا فجلسوا ينتظرون طلوع الشمس كي يكذبوه فقال قائل منهم هذه الشمس قد طلعت وقال اخر هذه الابل قد طلعت يقدمها بعير اورق فيها كما ذكره فقالوا ان هذا الا سحر مبين انتهى مع طي لبعض الفاظه وهذا ما نقله او ذكره المص رحمه الله والعجب من بعضهم اذا اوره هذا هنا ولم ينبه لما قلنا

فوالله ما ادري احلام نايم ۰ الَمّت بنا ام كان في الركب يوشع

لطيفة من الاتفاقات الحسنة ان المظفر الواعظ ذكر يوما قريب الغروب فضايل علي كرم الله وجهه ورد الشمس له والسما مغيمة غيما مطبقا فظنوا ان الشمس غربت وهموا بالانصراف فانقشع السحاب ولاحت الشمس صافية الاشراق فاشار اليهم بالجلوس وانشد ارتجالا

لا تغربي يا شمس حتى ينتهي ۰ مدحي لال المصطفى ولنجله

واثني عنانك ان اردت ثناهم ۰ انسيت اذ كان الوقوف لاجله

ان كان للمولى وقوفك فليكن ۰ هذا الوقوف لخيله ولرجله

فصل في نبع الما من بين اصابعه اي خروجه من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم معجزة له يقال نبع ينبع نبعا ونبوعا من باب نصر وعلم وضرب ومنه الينبوع لعين الما وهو مصدر مضاف لفاعله **وتكثيره ببركته صلى الله عليه وسلم** اي تكثير الما ببركة وضع يده الشريفة فيه وهو نبع ايضا والما يشاهده الناس وقد كان هذا مرات كثيرة وروي بطرق متعددة في الصحيحين وغيرهما ففي بعضها الى بقدح وفي بعضها زيادة والما قليل يكفي جماعة كثيرة في بعضها كانوا خمسمائة وفي بعضها ثمانمائة وفي بعضها خمسمائة والف او غير ذلك مما اختلفوا جمعه في العجائب وهذه المعجزة اعظم من معجزة موسى عليه الصلاة والسلام اذ نبع له الما

من الحجر لانه معنا وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار الاية واما خروجه من لحم ودم
فلم يعهد كما قال الشاعر رحمه الله

ان كان موسى سقى الاسباط من حجر • فان في الكف معنى ليس في الحجر

ولله در الابوصيري في قوله في لاميته

ومنبع الماء عذبا من اصابعه • وذي اياد علينا قد جرى النيل

قالوا وهذا الماء افضل من ماء زمزم والكوثر ويحتمل قوله وبكثيره
ان لا يكون عطف تفسير بل من عطف الاعم على الاخص ليشمل ما كان بدعائه
وتفل ريقه فيه وهو الاظهر والبركة اليمن واصل معناه زيادة الخير
فهو مناسب هنا جدا انما الاحاديث في هذا لكثيرة جدا اي كثيرة عظيمة
تفوت الحصر وهو مصدر لازم النصب والتكبير وفيه ايما الى انها لا تدركه
الا بغاية الجهد والاجتهاد فيها فقال النووي رحمه الله انها بلغت مرتبة
التواتر وروى حديث نبع الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم جماعة
من الصحابة بفتح الصاد مصدر في الاصل كالصحبة ثم صار جمعا للصحابي
منهم انس وجابر وابن مسعود رضي الله عنهم واشار بمن التبعيضية
الى انه روي عن كثير غير هؤلاء كالبراء وابن عباس لانه وقع بين الجم
الغفير منهم في الحديث وغيرها كما قال اولا انه احاديث كثيرة جدا
فلا حاجة لما قيل ان الكثرة باعتبار المخرجين لها في كتبهم من ائمة
الحديث حتى صار متواترا تواترا معنويا وانما نص على رواية هؤلاء القوة
صحتها بروايته الامام مالك والشيخين لها حدثنا ابو اسحاق بن جعفر الفقيه
رحمه الله تعالى عليه هو ابو احمد القاضي اللواتي نسبة للتواتة بفتح اللام
والواو المخففة تليها تا مثناة فوقية وهو شيخ المصنف قال
حدثنا القاضي عيسى بن سهل صاحب الصحيح وتقدمت ترجمته قال حدثنا
ابو عمر بن الفخار بفتح الفا وتشديد الخا لقب بمعنى كثير الفخر ونوع من
الاواني يعمل من الطين ولذا قيل

لا تفخرن امرؤ بذات يد • فالكسر يدنو لكل فخار

وقيل على المصنف ان الصواب ابو عبد الله بن الفخار قال ابن رشد
ابو عمر الذي يروي عن ابي عيسى ليس بابن الفخار وانما هو ابن القطان
الفقيه وهو ابو عمر احمد بن محمد بن عيسى القرطبي المتوفى سنة ستين
واربعماية وبقراته على ابي عيسى سمع الموطا برواية يحيى لكن ابن حاتم
لم يذكر الرواية عنه وانما يروي عن عبد الله محمد بن عمر ابن الفخار
المتوفي سنة تسع عشرة واربعماية ففي كلام المصنف سهو من وجهين

اذ سماه ابو عمر وهو ابو عبد الله وفي قوله قال حدثنا ابو عيسى قال
حدثنا يحيى اذ اسقط راويا بين ابي عيسى ويحيى وهو عبيد الله ابو مروان
وقد ذكره المصنف على الصواب في غير هذا المحل فيما مر وفيما سياتي وابو
عيسى هذا هو يحيى بن عبد الله بن يحيى بن يحيى بن كثير صاحب مالك وراوي
الموطا عنه وليس من قبيل الانقطاع لتصريحه بصيغة التحديث
اللهم الا ان يقال انه جعل اعتمادا على ذكره في غير هذا المحل قرينة على تقديره هنا
فليتامل قال ابو محمد القرطبي صوابه حدثنا عيسى حدثنا عبيد الله الخ
وصوابه ابو عيسى بالكنية لا عيسى بالاسم لان ابا عيسى انما يحدث عن عبيد
الله بن يحيى عن ابيه وابو عيسى هو يحيى بن عبد الله بالتكبير ابن يحيى سمع
عم ابيه عبيد الله بالتصغير بن يحيى وقد تقدم على الصواب في فصل
الحلم والاحتمال ويأتي ايضا كذلك في فصل كنيته قال حدثنا مالك امام
دار الهجرة المشهور عن اسحاق بن عبد الله بن ابي طلحة الامام المشهور الفقيه
وانس عمه توفي سنة اثنتين وثلاثين ومائة عن انس بن مالك قال فيما رواه
مالك في موطا به عنه والشيخان عنه رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
و قد حانت صلاة العصر بمهملة ونون اي قربت او دخل وقتها وهو
ماخوذ من الحين بمعنى الوقت فالتمس الناس الوضوء بفتح الواو وهو الماء
الذي يتوضأ به ويجوز ضمها والالتماس افتعال من اللمس بمعنى المس وهو ثم
صار حقيقة في مطلق الطلب فلم يجدوه فاتي بالبنا للمجهول بوضوء
تقديره باناء وضوء بقرينة قوله فوضع يده فيه وفي مسلم بقدح رجراج
وامر الناس ان يتوضؤوا منه قال انس فرايت الماء ينبع من بين اصابعه
فتوضا الناس من عند اخرهم اي جميعهم تقدم معنى ينبع وانه بتثليث
البا وقد قالوا انه يحتمل ان الماء خرج من اصابعه صلى الله عليه وسلم
حقيقة وهو الظاهر ويحتمل انه كثر من غير نبع الماء منها وانما وضع يده
فيه سترا عن الناس حتى لا يروه فيفتتن بعضهم به وتادبا مع الله الذي يوجد
المعدوم سواه واصابع جمع اصبع وفيه عشر لغات تثليث الهمزة
مع تثليث البا والعاشرة اصبوع قال ابن مالك رحمه الله

تثليث با اصبع مع ضم همزته • والفتح والكسر والاصبوع قد كملا

وعند مثلث العين والافصح الكسر وهي ظرف مكان يلزم النصب على
الظرفية او الجر بمن ويتجوز بها عن العلم وغيره من معانيه وقوله
من عند اخرهم لفظ مسموع من فصحا العرب قديما وقال النووي انه لغة
لبعضهم وعندهم من للغاية بمعنى الى ولم يات على الاصل لانه الى عنده لحن

عندهم ونقله عن سيبويه وقيل بل هي هنا ابتدائية لا بتدأ الخانة
اذ لم تستح بمعنى اليه وانه كناية عن الاستيعاب والشمول في المعنى لو وصفوا كلهم
بحيث لو قيل انه ابتدأ او وضوءهم كان من اخرهم صدق قلت
اقول يصح ايضا من اخرهم بدونه عنده كما في الكشاف في اول البقرة وما
ذكره ركيك جدا فالصواب ان يقال انه كناية كما قال ذو توجيه
انما الوضوء كانه ماخوذ ومبتدأة من اخرهم والمعروف انه لا يبذل الا
ما فضل عن حاجته فانهم بذلوه لان لهم ولكن لعلهم وما قاله النووي
اسهل واظهر وقد نقل انه لغة في شرح مسلم وهي عبارة النبي صلى الله عليه
وسلم ولشرح الكشاف فيه كلام فتنبه ورواه ايضا اي كالرواية التي تبع
عن انس عن قتادة كما في صحيح مسلم قال انس في هذه الرواية بانا فيه
ما الانا بكسر الهمزة مفرد وتقدم ان انية جمعه وليس مفردا كما يتوهم
يغمر اصابعه بالغين المعجمة والميم والراء المهملة هو ما يسترها ومنه استعير
الغمرة للشدة او لا يكاد يغمرها يعني انه قليل لا يغطيها وتقدم انه
صلى الله عليه وسلم انه تعاله تسترا وتادبا مع الله الذي لا يوجده
المعدوم سواه وكاد للمقاربة ونفيها ابلغ من نفي الفعل الذي هو
خبرها والكلام عليها مشهور فلا حاجة لتكثير السواد به هنا كما فعله
بعضهم قال اي قتادة لانس رضي الله عنه كم كنتم معاشر الناس
الذي توضؤوا من ذلك الماء قال زها بضم الزاي المعجمة والمد ويقال
ايضا لها باللام اي مقدار ثلاثمائة رجل واصل الزها العدد الذي يعدى
بالتخمين فقد ينقص او يزيد بمقدار يسير يقال زهوته القوم اذا احذرتهم
وقدرتهم من غير عد حقيقي وليس من الزهو بمعنى الفخر والعجب
وفي رواية عنه اي عن انس رضي الله عنه وهم بالزوراء عند السوق الزوراء
مكان مرتفع قريب من مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وثمة سوق
ورواه اي حديث نبع الماء ايضا حميد بالتصغير وهو المعروف بالطويل
واختلفوا في اسمه فقيل تير وقيل تيرويه وقيل طرخان وقيل
غير ذلك وهو ابو عبيدة مولى طلحة الطلحات الخزاعي او الدارمي
مات وهو قائم يصلي سنة اثنين واربعين ومائة وهو ثقة اخرج له الائمة
الستة الا انه نسب للتدليس وترجمته في الميزان وثابت والحسن
ابن ابي الحسن البصري كما تقدم عن انس وتفرد البخاري عن مسلم
بالرواية الاولى والثالثة واتفقا على الثانية وفي رواية حميد قلت
كم كانوا قال كانوا ثمانين ونحوه عن ثابت عنه اي عن انس وعنه

ايضا اي عن انس وهم نحو من سبعين رجلا وفي مسلم عنه ايضا بين الستين الى
الثمانين ويحمل اختلاف الرواية عنه عليها بانهما كانا قضيتين في وقتين رووا فحينا حال
حدث عنهما واذا كان الامر على التقريب والتخمين فلا اشكال ايضا واما ابن مسعود
ففي الصحيح اي الحديث الصحيح او صحيح البخاري عنه اي عن ابن مسعود
رضي الله عنه من رواية علقمة تقدم ترجمته بينما نحن مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم اي كانوا مجتمعين عنده وبين ظرف والالف فيه اشباع
كافة عن الاضافة كما ذكره البخاري وفي نسخة بينا وهي كبينما فيما ذكره وتقع
بعدها الجملة الاسمية والفعلية وقد تتلقى باذ واذا والاصمعي يستفصح
تركهما كما هنا وليس معنا ماء فقال لنا اطلبوا من معه فضل ماء اي بقية
من ماء كائنة او زيادة منه على حاجته وقدمه صلى الله عليه وسلم انما طلبه
تسترا لئلا يتوهم انه يوجد له من العدم دون الله وهو الواحد الموجد لكل
احد ومنا ربه لذلك مع الله ولو شاء لا وجده به عما به وطلبه له من الله ولو
شاء لا وجده ابتداء من غير شيء فاتي به بالبناء للمجهول والفاء فصيحة اي فطلبوه
فما وجدوه لبعضهم واتي به فصبه في اناء اي صبه وسكبه في اناء اخر ليكون
وكانه الذي به في مزادة لا يدخلها اليد ثم وضع كفه فيه اي في الاناء الثاني
والعطف بثم لما بينهما من تراخ يسير بدعا به اي دعا الله ثم اخذ يجعل
ينبع بتثليث الموحدة كما مر وجعل بمعنى صار ولبس الاسناد مجازا كما قيل
من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم وهذه القصة هي المتقدمة واما
اعادها اشارة الى تعدد طرقه الدالة على ذلك ويحتمل ايضا غيرها وفي
الصحيح اي صحيح البخاري او المراد في الحديث الصحيح له ولغيره عن
سالم بن ابي الجعد الاشجعي الكوفي وهو من كبار التابعين الثقات روى
عن ابن عباس وغيره وتوفي سنة مائة وله ترجمة مفصلة في الميزان
عن جابر رضي الله عنه عطش الناس يوم الحديبية وهو يوم معروف
بمكان معروف بين مكة والطائف وهو مصغر وياؤه مخففة على الافصح
ويجوز تشديدها كما تقدم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه
اي عنده في مكان قريب منه ركوة بتثليث الراء المهملة وكاف وواو والافصح
فيه الفتح وجمعه ركا بالكسر والمد وهي اناء للماء من جلد كالابريق فتوضأ
صلى الله عليه وسلم منها واقبل الناس نحوه اي جاؤوا له صلى الله عليه وسلم
وقالوا لم ليس عندنا ماء الا ما في ركوتك جملة حالية والاستثناء متصل
فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور اي
ينبع ويرتفع لزيادته من بين اصابعه كامثال العيون اي كان بين كله

اصبعه من اصابعه الشريفة عينا نابعة ووقع اي في حديث سالم هنا
فقلت لجابر رضي الله عنه كم كنتم معاشر الصحابة قال لو كنا مائة
الف لكفانا لكن المشاهد من تواتر الدال على عدم انقطاعه
كنا خمس عشرة مائة يعني الفا وخمسمائة رجل وهم اصحاب الشجرة وبيعة
الرضوان وقد اختلف في عددهم وهذه رواية مشهورة ولذا اقتصر
عليها المصنف وقيل كانوا الفا واربعمائة وصحح هذه الرواية
البيهقي وقيل كانوا الفا وثلاثمائة وقيل الفا وخمسمائة واربعة
وقيل وخمسة وعشرون وقيل وثمانون وقيل وثلاثمائة وجمع
ابن دحية رحمه الله بين الروايات بانه كان حزرا وتخمينا لا تحقيقا
وتحديدا ورواية سبعمائة وهم من راويها وروي مثله بالبناء للمجهول
اي مثل حديث سالم المذكور عن انس عن جابر وصحح في النسخ بدون عاطف
بينهما فالاصح هذا فانه ليس رواية انس عن جابر في الكتب الستة كما قاله
البرهان الحلبي وفيه اي في هذا الحديث انه كان بالحديبية كما في الرواية
التي قبله وفي رواية الوليد بن عبادة بن الصامت عنه اي عن جابر رضي
الله عنه والوليد هذا ولد في حياته صلى الله عليه وسلم وتوفي في خلافة
عبد الملك بن مروان وهو ثقة لكنه قليل الحديث واخرج
له الشيخان والترمذي وابن ماجه وهو يروي عن ابيه في حديث
مسلم الطويل صفة للحديث في ذكر غزوة بواط بضم الباء الموحدة
وفتح الواو المخففة والف وطاء مهملة وهي ثاني غزواته وهي معضلة
في مسلم وغيره وتكون بفتح بائه ايضا وهي اسم لجبال جهينة على بريد
من المدينة فهي بقرب الينبع وكانت في ربيع الاول سنة اثنتين وفي
هذا الحديث معجزة له صلى الله عليه وسلم قال قال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا جابر ناد بالوضوء ناد امر من النداء محذوف
الاخر المعتل والوضوء بفتح الواو وهو منصوب بعقده ومفعول ناد
مقدر ايضا اي ناد الناس وقل لهم اعطوا او ناولوا الوضوء وهو الماء
الذي يتوضا به وفيه حث لهم عليه وذكر الحديث بطوله
وفيه ان رجلا من الانصار كان يبرد لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ماء في شجب فلما اخبره انه نادى فلم يجد الماء قال له انطلق الى فلان الانصاري
فانظر هل في اشجابه من شيء قال فانطلقت اليه فاخبره بما عنده
وانه لم يجد عنده الانصاري الا قطرة ارادوا قليلا جدا في عزلاء
شجب بالاضافة اي في فم قربة بالية وعزلا بفتح العين المهملة وسكون

الزاي المعجمة ولام بعدها مدة وهمزة وهو في الرواية ونصب الماء منها
وجمعه عزالي بفتح اللام وكسرها والشجب بفتح الشين المعجمة وقيل
او كسرها وسكون الجيم وبالموحدة ما قدم من القرب اذا عتق وتعلق
عليها العرب ونحوها وجمعه شجب واشجاب واصل معناه الهلاك فاتي
به بالبناء للمفعول ويجوز بناؤه للفاعل في الرواية الاولى وضميره للمذكور
النبي صلى الله عليه وسلم فغمزه بفتح الغين المعجمة والميم والزاي المعجمة
اي وضع يده عليه وكبسه لكن الغمز هنا كالذي في قوله

٭ وكنت اذا غمزت قناة قوم ٭ كسرت كعوبها او تستقيما ٭

والغمز بالعين الاشارة بها لمعنى اخر وتكلم بشيء لا ادري ما هو وفي
الحديث انه صلى الله عليه وسلم جعل يتكلم بشيء لا ادري ما هو على غيره وقد
تقدم حكاية مثله في رد الشمس المتقدم وقال ناد بجفنة الركب
الجفنة كالقصعة لفظا ومعنى وهي التي تشبع العشرة وقيل الصحفة
ثم المأكلة والركب بفتح ثم سكون اسم جمع لراكب والمراد الناس وان يكونوا
راكبين بالفعل وهذا وقع في رواية لقتادة والذي في مسلم ناد بجفنة
فكأنه لم يكن معهم الا جفنة واحدة وضمن ناد معنى ائتني بها بدليل قوله
فاتيت بها بالبناء للمفعول كما قاله البرهان وغيره ويجوز البناء للفاعل
وقيل مفعوله محذوف اي ناد القوم ليأتوا بجفنتهم او هي
منزلة من يعقل لان الله خالق فيها ادراكا حتى تنادي هي فتاتي بنفسها
ويكون ذلك معجزة له صلى الله عليه وسلم لانه لم ينقل لنا مثله فوضعها
بين يديه وذكر جابر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
بسط يده بالسين والصاد وهما لغتان اي وضع يده الشريفة في الجفنة
مبسوطة ليكون ابرك وفرق اصابعه وصب جابر عليه ما كان في القربة
من الماء وقال اي النبي صلى الله عليه وسلم بسم الله تبركا وطلبه
بنفع الماء وعمل الفيض لصحة نيته واقتصر عليه لانه المأثور في سائر الافعال
لا لبيان انه يجري بدون الرحمن الرحيم كما قيل ولو قلنا فاعل قال
بسم الله جابر كان اوفق بما في الرواية من انه وضع يده في قعر الجفنة
وقال خذ يا جابر فصب علي وقل بسم الله فصببت عليه صلى الله عليه وسلم
وقلت بسم الله فلا يقال كيف استبد جابر بالصب من غير اذنه فان ذكر
المصنف غير الرواية ونسبه لجابر لما نقل نجاه بانه كان لجابر وما علم
من داب الصحابة رضي الله عنهم معه صلى الله عليه وسلم قوية على ما ذكر قال
جابر رضي الله عنه فرايت الماء يفور اي يزيد ويرتفع حتى تدفق من فم

الغدر اذا اعلاما فيه من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم ثم قارب الجفنة
اي قاربها وهو مضاف مقدر او الاسناد مجازي للمبالغة في قربه انه
واستدارة اي دارها وهو الاول الحال اذا اراد بسرعة بركة كانه يدور وبين
المراد ان الجفنة نفسها استدارت لعظم الامر فانه لا يحصل له حتى
استلات وامر الناس بالاستقا فاستقوا حتى رووا اي اخذ كل منهم
من الماء بكفيه ودوابه وشربوا حتى ذهب عطشهم والري مقابل
العطش وفيما زاده المصنف بعض مخالفة لما في صحيح مسلم بحسب
اللفظ دون المعنى كقوله ودارت وفي بعض نسخه فارت الجفنة ثم فارت
بالتكرار فقلت هل بقي احد له حاجة اي قال جابر فقلت
الخ وهل هنا نفي ايضا نافية كقوله صلى الله عليه وسلم هل ترك لنا
عقيل من دار ونحوه اي لا يكون استغنى منه وقوله فرفع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة الفا فيه فصيحة اي فقال
لا فرفع الخ وحديث جابر هذا ليس في شي من الكتب الستة غير مسلم ه
وهي ملاى بوزن سكري اي مملوءة بالماء لم ينقص شيئا مما اخذوه وعن
الشعبي هو من كبار التابعين محدثه هذا مرسل والمرسل يستدل به
عند مالك والمصنف مالكي المذهب اتي النبي صلى الله عليه وسلم بالبنا للمجهول
اي اتاه بعض الصحابة باداوة بكسر الهمزة وفتح الدال المهملة
وهي الغدو او وعاء وجمعها اداوى وهي انا صغير للماء من جلد ولذا اضافها
لقوله ماء في بعض اسفاره فقيل ما معنا يا رسول الله ماء غيرها
فسكبها اي صبها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه او امر بصبها
ووضع اصبعه بالافراد وقد تقدم لغات الاصبع وانها عشرة ه
وسطها بفتح السين وسكونها وهو منصوب على الظرفية اي وضعه
في وسط مائها وفي الفرق بين الوسط ساكنا ومحركا كلام في كتب
العربية ليس هذا محله وبيناه في شرح الدرة وغمسها في الماء تفسير لما قبله
والغمس بمعنى الادخال وجعل الناس يجيئون ويتوضؤون جعل هنا
بمعنى صار وطفق نحو جعل زيد يقول كذا وهو احد افعال الشروع ثم
يقومون بعد الوضوء قال الترمذي ابو عيسى امام اهل السنة المشهور
صاحب الجامع وغيره وفي الباب اي في هذا الباب الذي ذكره
من معجزاته ونبع الماء عن عمران بن حصين بضم الحاء وفتح الصاد ه
المهملتين اي روي عنه مثله ومثل هذا الامر المعجز المروي في هذا
الحديث في هذه المواطن جمع موطن وهو موضع التوطن وهو هنا بمعنى

المجالس حلقة بفتح الحاء المهملة وكسرها وفتح اللام والحلقة الكثيرة الناس
والجموع الكثيرة اي جموع الناس الكثيرة في مثل هذه المحافل لا تتطرق
التهمة بضم المثناة الفوقية وفتح الهاء ويجوز تسكينها وتاؤه مبدلة
من الواو والتهمة ما يتوهم ويظن في شي على خلاف الواقع وقيل التسكين
غلط وهو ظاهر ما في القاموس والصحاح ولكونه الا اذا اتهم به وقيل
انه بالسكون مخففه وبالفتح اسم كما في شرح المفتاح لابن كمال وفيه
نظر وتتطرق بمعنى تصل واصل معناه يجد طريقا الى المحدث به بفتح الدال
المهملة المشددة وكسرها لانهم كانوا اسرع شي الى تكذيبه اي تكذيب
المخبر عنه او الخبر لو وقع بين الناس كثيرين لا يمكن تواطئهم على الكذب
لما جبلت عليه النفوس من ذلك اي الاسراع الى التكذيب ولانهم
اي من حضر تلك المحافل كانوا ممن لا يسكت على باطل فلا يقرونه على
ما قالوا اذا كذب فيهم وقد عرفوا اخلاقه ولا يخافون في الله لومة لائم وهولا
المذكورون من الصحابة وغيرهم قد رووا هذا الحديث الذي فيه نبع الماء
من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم واشاعوه ونسبوا حضور الجم الغفير
له اي قالوا انه وقع في محافل ناس لا يحصون لكثرتهم فلا يمكن كونه كذبا وحضور
الجم الغفير كما والجم الغفير اي كلهم شريفهم ووضيعهم بحيث لم يتخلف
منهم احد وفيه لغات واستعمالات كثيرة ذكرها في القاموس وليس هذا محل
تفصيلها ولم ينكر احد من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم اي لم ينقل احد
ان ما نقلوه من هذه المعجزة ايضا لا اصل لها ونحوه انهم فعلوه وشاهدوه
بفتح همزة ان بدل من ما حدثوا او ما فعلوه كوضوئهم وتعددهم الاداوة
وصب الماء وغيره مما تقدم وما شاهدوه نبع الماء وتدفقه وكثرته
فصار ما ذكر من كثرة من نقله من عدول الصحابة وعدم انكاره كتصديق
جميعهم له اي لذلك الخبر والحديث بنقلوا تواترا تواترا معنويا واثرا مجمعا عليه
وفي نسخة لهم فصل ومما يشبه هذا اي من المعجزات
المشبهة لنبع الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم من معجزاته
بيان للماء او حال منه اسم الاشارة تفجير الماء ببركته صلى الله عليه وسلم والتفجير
الشق الواسع يقال فجر الارض فانفجرت وتفجرت ومنه الفجر بمعنى الصبح
واضافته للماء اضافة مجازية من اضافة ما للمحل الى الحال قال عز
وجل وفجرنا الارض عيونا او التفجير مجازي بمعنى الاخراج وهو شائع ه
فيه وقوله ببركته اي ببركته بيمنه وجوده من مكان اخرج منه الماء
والبركة الخير الدائم وهي في الاصل من البرك وهو الموضع الذي يضعه

البعير على الارض اذا برك ومنه البركة وهي الموضع الذي يحبس فيه الما
وقوله تبارك وتعالى انزلني منزلا مباركا اي كثير الخير وتباركوا اتيتم
بمعنى ما اجترءه الذي افاضه على عباده وهو لا يتصرف ولا يستعمل في غير
الله وابتعاثه وهو انفعال من البعث وهو الاثارة والاخراج للما حتى
جرى بمسه ودعوته اي بلمسه بمحله ودعائه فيه واخر هذا
عن سجه مرتين اصابعه لان الاول اقوى في المعجزة لاحتمال هذا
لكونه من الاتفاقيات كغيره من الما الجاري وفي بعض النسخ انبعاثه
من الانفعال بالنون وهما بمعنى واحد مطاوع بعثه فانبعث وانبعث
كانشق واشتق وجعل هذا اشبهها بما ذكر لما تقدم مما روى مالك
في الموطا ومسلم في صحيحه وعزاه المصنف للموطا دونه لان روايته لحديث
اعلا سندا عنده او للترجيح روايته عن معاذ بن جبل الصحابي المشهور
رضي الله عنه في قصة غزوة تبوك بفتح المثناة الفوقية اسم مكان
بين الشام والمدينة غزاه صلى الله عليه وسلم في غزوة مبينة في السير
وانهم اي الجيش الذي كانوا معه صلى الله عليه وسلم وردوا العين
بعرفتهم للعهد اي عينا بتبوك نزلوا عليها في سفرهم هذا وهي تبض
مضارع بض بزنة رد بموحدة وضاد معجمة مشددة من بض الما اذا
سال قليلا قليلا ويجوز ان يكون بصاد مهملة من بص اذا لمع وبرق
وهو رواية فيه وهو كناية عن قلة الما ولذا قال بشي من ما
مثل الشراك بكسر الشين المعجمة وفتح الرا المهملة والف وكاف وهو سير
النعل الذي يكون على وجهه وشبهه به لقلته وضعف جريانه وليس
بمعنى اخدود في الارض كما قيل فغرفوا من العين بايديهم حتى
اجتمع الما الذي يغرفونه في شي من الاواني التي كانت معهم ولبس فيه
قلب وان الامثل غرفوا في شي حتى اجتمع ما كثير كما توهم ثم غسل رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه ضمير فيه للشي بمعنى الانا
او للما وهو الظاهر منه ولكنه لمشاكلة قوله ثم اعاده فيها اي في العين
التي غرفوا منها وضمير اعاده للما لا للوجه كما توهم فجرت بما كثير
اي جرى من تلك العين ما كثير فاستقى الناس اي شربوا وسقوا دوابهم
قال معاذ بن جبل رضي الله عنه في حديث ابن اسحاق صاحب
السير فيما رواه عن معاذ في سيرته فانخرق بنون وخا معجمة ورا مهملة
وقاف اي انفجر انفجارا شديدا من الما ما له حس كحس الصواعق
الحس بحا وسين مهملتين بمعنى الصوت المحسوس بحاسة السمع وهو مجاز

مشهور

مشهور يقال لما يشبه حس اي يسمع حركته والصواعق جمع صوت شديد من
الصاعقة وهي الصيحة وهو من تشبيه المحسوس بالمحسوس وهذا كان في رجعته
صلى الله عليه وسلم من تبوك قال ابن اسحاق ثم انصرف قافلا من تبوك الى المدينة
وكان في الطريق ما يخرج من وشل ما يروي الراكب والراكبين والثلاثة بواد
يقال له وادي المشقق فذكر القصة ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم بعد
جري الاستقا يوشك بضم اليا المثناة التحتية وفتح الواو وشين معجمة
مكسورة وكاف مضارع اوشك وفتح شينه لغة رديئة كما في القاموس وغيره
ومعناه يقرب ويسرع من غير بطء يا معاذ ان طالت بك حياة اي ان طال الله
عمرك ورايت هذا المكان ان ترى بعينك وهو على يوشك ثناه بالفتح مصدرية
ما هاهنا ما موصولة اي الذي هاهنا وهو اشارة للمكان قد ملي بالبنا
للمجهول جنانا منصوب على التمييز وهو بكسر الجيم جمع جنة بفتحها وهي
البستان اي يكثر ماؤه ويخصب ارضه فيكون بساتين ذات ثمار وشجر كثير
والحديث طويل اقتصر المصنف على بعضه المراد منه اختصارا وفي حديث
البرا ابن عازب بفتح البا الموحدة كما تقدم وسلمة بن الاكوع افعل من
الكوع بفتحتين وهو اعوجاج اليد وحديث البرا في صحيح البخاري وحديث
سلمة بفتحتين في مسلم وحديثه اي حديث سلمة الذي رواه مسلم
اتم من حديث البرا كما سياتي في قصة الحديبية التي تقدم ما فيها
بيعة الرضوان وهم اربع عشرة مائة رجل من الصحابة كما تقدم وبيرها
اي وما بيرها لا تروي بضم المثناة الفوقية خمسين شاة الشاة معروفة
وروي اشا بهمزة مكسورة في اوله ومفتوحة في اخره وهي النخلة الصغيرة
فنزحناها اي اخرجنا جميع ما فيها من الما بطينه فلم نترك فيها قطرة
من مايها فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جباها بفتح الجيم والبا
الموحدة مقصور وهو فم البير وما حولها وبالكسر ما جمع فيها من الما ويرده
شفاها بشين معجمة وهما هنا بمعنى قال البرا واتى بالبنا للمفعول بدلو منها
اي من تلك البير اي بادلوا بما نزحوه منها فبصق اي القى ريقه ودعا
بعد بصاقه او هو شك من الراوي هل بصق فيها او دعا الله لتكثير مايها
كما اشار اليه بقوله وقال سلمة راوي الحديث ما دعا واما بصق فيها
بكسر همزة اما فيهما بيان للشك في الرواية وضمير فيها راجع للبيرة للدلو
كما قيل فجاشت البير اي فار ماوها حتى ارتفع لكثرته من جاشت
القدر اذا غلت فاروو انفسهم وركابهم اي شربوا منها حتى ارتووا هم
وسقوا ركابهم حتى رويت والركاب بكسر الرا المهملة الابل جمع لا واحد له من

لفظه واعلم ان حديث البراء رواه البخاري ولفظه تعدون انتم الفتح فتح
مكة وقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية
كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم اربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها
فلم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فاتاها فجلس على
شفيرها ثم دعا باناء من ماء فتوضأ ثم مضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها
غير بعيد ثم انها اصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا اي صرفتنا ونحن وابلنا رواء
ولم يتضح للمقام بهذا الاجمال الا حديث سلمة في صحيح مسلم وهو انه قال
قدمنا الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن اربع عشرة مائة
وعليها خمسون شاة لا ترويها قال فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
على جبا الركية فاما دعا واما بصق فيها قال فجاشت فسقينا واستقينا قال
ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعانا للبيعة في اصل الشجرة فبايعته
اول الناس ثم بايع حتى اذا كان في وسط الناس قال بايع يا سلمة فقلت
قد بايعتك يا رسول الله في اول الناس قال وايضا قال ورآني رسول الله صلى الله
عليه وسلم اعزل اي ليس معي سلاح فاعطاني حجفة او درقة ثم بايع حتى كان
في اخر الناس قال الا تبايعني يا سلمة قلت قد بايعتك يا رسول الله في اول الناس
واوسط الناس قال وايضا فبايعته الثالثة الحديث ومنه نعلم ما قدمه
المصنف من ان حديث سلمة اتم لما فيه من تفصيل القصة وانه كان عليها
من يستقي للشاحين فرمزوا ولم يذكره كيفية الماء بعده وما جرى له معه صلى الله
عليه وسلم وفي غير هذه الروايتين كذا في اكثر النسخ بتوحيد هذه
وفي بعضها هاتين الروايتين فقيل وهو الصواب لتثنية المشار
اليه ووجه بانه وحد اسم الاشارة لاتحاد الروايتين معنى لان القصة فيهما
واحدة لكنه لا يخلو من تكلف في الروايتين رواية البراء ورواية سلمة
في هذه القصة اي قصة الحديبية من طريق ابن شهاب الزهري وتقدمت
ترجمته مرارا في الحديبية تفسير للقصة فاخرج سهما من كنانته
هي ما يوضع فيه السهام لانها تكنها اي تسترها فوضع بالبناء للمجهول وفي
بعض النسخ فوضعه اي امر بوضعه في قليب ليس فيه ماء
القليب البئر المحفورة من غير بناء فان بنيت فهي طوي وتذكر وتؤنث
وهو مخالف للروايات السابقة انه كان ماء قليلا والذي وضع السهم البراء
وقيل ناجية فروي الناس بفتح الراء المهملة والمثناة التحتية
وكسر الواو اي شبعوا هم ودوابهم لقوله حتى ضربوا بالعطن
هو بفتح العين والطاء المهملتين ودون محل تبرك فيه الابل عند الماء

بعد

بعد شربها للعود للعلل بعد نهل وضربوا بعطن اقاموا من ضرب الخيمة اذا
نصبها فقال ضربت الابل بعطن اذا بركت يعني انهم لما رأوا كثرة الماء نزلوا عنده
وهذا الحديث رواه البيهقي في مسند المروان بن الحكم والمسور بن مخرمة قال
فيه الحديث خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيارة البيت لا يريد حربا
فذكر الحديث وفيه انه صلى الله عليه وسلم قال ايها الناس انزلوا فقالوا ما بالوادي
ما ينزل عليه فاخرج سهما من كنانته اعطاه رجلا من اصحابه فقال انزل في القليب
واغرزه فيه ففعل فجاش الماء حتى ضرب الناس بعطن وفيه ان الذي نزل في
البئر خلاد الغفاري ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بجماعة وقيل
هو ناجية السلمي وكان البراء بن عازب رضي الله عنه يقول انا الذي نزلت
كذا في دلائل النبوة وعن ابي قتادة هو الحارث بن ربعي وقيل اسمه عمرو
وهذا الحديث رواه البيهقي ايضا ولذا عطفه فقال وذكر ان الناس شكوا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش في بعض اسفاره لانه كان يوما
شديد الحر فدعا بالميضاة بكسر الميم وياء منقلبة عن واو لانها آلة الوضوء
وهي مقصورة وزن مفعلة وقد يمد فوزن مفاعلة وجمعه بمعنى طلب
مطهرة ماء الوضوء فانها فجعلها في ضبنه بكسر الضاد المعجمة وسكون الباء
الموحدة والنون وهو ما تحت الابط قريب من الحضن يقال اضطبنته اذا
جعلته في ضبنك وبه سمي العبادلة في الغريبين والمراد انه امسكها وضمها
اليه ثم التقم فمها اي ادخل فمها في فيه كما يدخل اللقمة فالله اعلم اي
قال الراوي اني لا اعلم نفث فيها ام لا اي النفث في تلك الميضاة ام لا
والنفث بنون وفاء مثلثة نفخ لطيف بغير ريق كالنفخ واقل من التفل فشرب
الناس من تلك الميضاة ورووا اي حصل لهم الري المزيل للعطش وملأوا
واكلوا ما معهم مما فضل عن شربهم فخيل بالبناء للمجهول الي انها كما اخذها مني
اي مثل ما اخذها مني وانما قال خيل لانه بالحدس اذ لم يتحقق مقدار ما كان
فيها وكانوا اثنين وسبعين رجلا وروي مثله عن عمران بن حصين
وذكر الطبري محمد بن جرير الامام المشهور حديث ابي قتادة المذكور
على غير ما ذكره اهل الصحيح اي فيه مخالفة لما رواه اصحاب الحديث
المعتنون بتصحيحه وان النبي صلى الله عليه وسلم خرج لهم اي لهؤلاء
المذكورين من الصحابة رضي الله عنهم ومدد اهل مؤتة بضم الميم وسكون
الواو وجوز بعضهم همزها ساكنة ثم مثناة فوقية وهي ارض من البلقاء
وقرية بين تبوك وحوران من الشام ومددا بمعنى تقوية ودفعا عند ما بلغه
قتل الامراء اما مصدرية والامراء جمع امير وهم زيد بن حارثة مولى رسول الله

صلى الله عليه وسلم وجعفر بن ابي طالب وعبد الله بن رواحة وذلك انه صلى الله
عليه وسلم ارسل الحارث بن عمير الازدي بكتابه الى ملك بصرى فلما نزل مؤتة
عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقتله ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
زيد بن حارثة على ثلاثة الاف وارسلهم لقتال شرحبيل وقال ان قتل
زيد فاميركم جعفر فان قتل جعفر فاميركم عبد الله بن رواحة فان قتل
فليرض المسلمون برجل منهم وعقد للسرية لواء ودفعه لزيد واصحابهم كما ذكره
اهل السير فلما التقوا قتل زيد ثم جعفر ثم عبد الله كما اخبرهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم اخذ الراية خالد بن الوليد الى اخر الحديث
وفيه معجزات له صلى الله عليه وسلم من اخباره بالغيبة كما اشار اليه
بقوله وذكر ابن جرير حديثا طويلا فيه معجزات وايات للنبي صلى الله
عليه وسلم مما ذكره وما شاهده من جعفر وطيرانه في الجنة بجناحين وغير ذلك
مما فضله الله به وعظم قدره وفيه اعلامهم بمقتلهم الخ في عدد وذكر ابن جرير
حديث الميضاة السابق قال فالقوم زهاء ثلاثمائة اي قريب
من ذلك بطريق الحزر والتخمين كما تقدم انفا وفي كتاب مسلم انه
صلى الله عليه وسلم قال لابي قتادة وقد راى معه ميضاته احفظ علي
ميضاتك هذه امسكها عندك فانه سيكون لها نبا اي خبر عظيم
وقصة عجيبة في امرها بها وكفا بينه القوم وما يظهر لها من المعجزة العظيمة
وذكر نحوه اي مثل ما تقدم ومن ذلك اي من قبيل المعجزة السابقة
في تفجير الماء حديث عمران بن حصين حين اصاب النبي صلى الله عليه
وسلم فوجه رجلين من اصحابه اي ارسلهما لجهة من الجهات
واعلمهما انهما يجدان امراة بمكان كذا الرجلان عمران بن حصين
الراوي وعلي بن ابي طالب كرم الله وجهه وقيل انهما علي والزبير بن
العوام وفي التحقيق ان عليا خرج في نفر من اصحابه ولم يسم احد هذه
المراة الا انه وقع في السير انها اسلمت ولم يذكروا اسم المكان الا انه
في الحديث انه بروحة خارج ان كانت القصة واحدة معها بعير قال اهل
اللغة انه يطلق على الذكر والانثى عليه مزادتان المزادة بفتح الميم ظرف
من جلد يحمل فيه الماء كالقربة وهو من الزيادة لانه يزيد فيه جلد
مع جلد لا من التزود كما توهمه بعضهم وقال تحته المزود الحديث
فوجدا امها المراة واتيا بها الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل في اناء من
مزادتيها اي جعل ماء من مائها في اناء عنده اي وضع فيه بعض ماء المزادتين
وقال فيه اي في الماء الموضوع في الاناء ما شاء الله ان يقول المراد دعاه

وذكر

وذكر انه صلى الله عليه وسلم وكونه بما لم يسموه ولذا ابهموه ثم اعاد الماء الذي اخذه في
انائه من المزادتين فرده بعد ما دعا له في المزادتين العليين للمراة ثم فتحت
عزاليهما بالبناء للفعل للمجهول والعزاليهما بكسر اللام جمع عزلاء وهو فم القربة
كما تقدم والتانيث والجمع ولكل للقربة الا فم واحد وقيل لانهما
كانت تتعدد في قربتهم عزلاء من اسفل وعزلاء من فوق وما كان من
اسفل يخص باسم العزلاء والاحسن ان الجمع قد يطلق على الواحد والبشر على حد
قوله قد صغت قلوبكما لاختصاصه بما اذا كان المضاف مثنى وانما جنح على مايا
كما يفاخرته وللضرورة العطشى وقد قيل الا هذه المراة اسلمت
لما شاهدت هذه المعجزة العظيمة منه صلى الله عليه وسلم الناس ان علوا
منه فملئوا اسقيتهم جمع سقا وهو انا من جلد يوضع فيه الماء حتى لم يدعوا
شيئا من اوانيهم الا ملئوه منه قال عمران بن حصين رضي الله عنه وانا يخيل
الي بالبناء للمجهول وانهما لم تزدادا الا امتلاء للجملة حالية بتقدير مبتدا اي حاله
كونها رفع يخيل اي ان المراد بعد اخذ الناس منهما الماء انهما لم ينقصا بل ان ازدادا
عما كانا عليه ثم امر صلى الله عليه وسلم ان يعطوها من زادهم شيئا بدلا مما اخذ
من مائها تفضلا منه فان ماءها لم ينقص فجمع بالبناء اي جمع الناس للمراة
حتى ملئوا ثوبها وحملوه على بعيرها وقال صلى الله عليه وسلم للمراة اذهبي
فانا لم ناخذ من مائك شيئا ولكن الله سقانا من فضله واختلفت
الروايات هنا ففي بعضها ما ذكره المص فقط وفي بعضها انهم ملئوا اسقيتهم
وسقوا البهائم وانه امرهم بذلك واستعماله صلى الله عليه وسلم من ماء
القربة التي للكافرة لا ينافي النهي منه عن استعمال اوانيهم واتهم بخبث وامره
بغسلها اذا اضطر الاستعمال لها لاختصاصه بما يحتمل النجاسة كتقدرهم
واوانيهم التي يضعون فيها الخمر والخنزير وترب الماء لا نتوهم فيها ذلك
الحديث بطوله اي اقرا الحديث بطوله وتمامه ان اردت الوقوف عليه
وفيه اشارة الى انه حديث طويل مروي في كتب الحديث كالبخاري وغيره
لاشتماله على رجوعها لقومها وذكرها لهم القصة بتمامها وتعجبها
مما راته من المعجزة له صلى الله عليه وسلم لكن المصنف اقتصر على محل
الشاهد منه وعن سلمة بن الاكوع رضي الله عنه تقدم بيان انه
قال قال نبي الله صلى الله عليه وسلم في يوم من الايام هل من وضوء
بفتح الواو كما تقدم وانه الماء الذي يتوضا به وبالضم نفس الفعل ومن
زائدة في المبتدا المقدر خبره اي هل معكم وضوء وسوغ الابتداء ومن زائدة
في المبتدا بالنكرة وقوعه بعد الاستفهام فجاء رجل باداوة بكسر الهمزة

ودال مهملة اي اناء من جلد صغير فيها نطفة اي ما قليل وقد تطلق على
على غيره لتنزيله منزلته لتكثيره واصل معناها القطرة ويقال نطفة
الرجل لمنيه فافرغها في القدح اي صبها في اناء فتوضانا كلنا بالرفع توكيد
لضمير الفاعل ندغفقه دغفقة مفعول مطلق وندغفقه بضم النون وفتح
الدال المهملة وسكون الغين المعجمة ثم فا مكسورة وقاف اي نصبه صبا كثيرا
من قولهم عيش دغفق اي واسع اربع عشرة مائة من الرجال واربع خبر مبتدا
مقدر اي ونحن اربع الخ او بدل من ضمير ندغفقه اي توضانا لانه بيان ٥
لعدد من توضا وكثرتهم مع قلة الما وصغر الانا فيفيد على الحالة
من احد الضماير وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي رواه
البيهقي والبزار وابن خزيمة في مسنده بسند صحيح في جيش العسرة
بضم العين وسكون السين المهملتين وهي غزوة تبوك الواقعة في سنة
من الهجرة وسميت بذلك لانها اتفقت في زمان كانت النفقة
والزاد في غاية القلة عندهم ولذا لم يوري النبي صلى الله عليه وسلم فيها
كما كانت عادته في اسفاره ولعثمان بن عفان رضي الله عنه فيها البلا
البيضا لما جهزهم بماله كما هي في السير ونسمى الفاضحة لافتضاح المنافقين
والعسرة هي الشدة والضيق وذكر عمر رضي الله عنه ما اصابهم اي الجيش
العسرة من العطش لقلة الما حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر
فرثه هو ما في كرشه فيشربه اي يشرب ما عصره منه مع تغيره وقلته
وهم كانوا يفعلون ذلك لضرورتهم فرغب ابو بكر رضي الله عنه
الى النبي صلى الله عليه وسلم والرغبة طلب ما يحبه ويبعد به المطلوب بفي
فيقال رغب في كذا ولقصده بعن فيقال رغب عنه ويكون بمعنى التضرع
فيتعدى بالى وهي طلب منه اي تضرع وتذلل في الدعا اي في دعايه صلى الله
عليه وسلم وتوجهه لربه ليزيل ما بالناس من الباس الذي علمه منهم
فرفع يديه نحو السما التي جعلها الله قبلة للدعا ورفع اليدين نحوها
سنة لمسح الوجه بهما بعده كما ذكره ابن الجزري وغيره وتضرع النبي
كان وراده طفق يقتضي ربه اي يدعوه ويناشده في سرعة اجابته فلم
يرجعهما بفتح اليا اي لم يرد يديه من دعايه ويرجع متعديا كما في قوله
فان رجعك الله ويكون لازما ايضا حتى قالت السما اي غيمت
وظهر فيها سحاب من قولهم قال له كذا اذا تهيا له واستعد كما في القاموس
وفي بعض الحواشي يقال قالت السما اذا رعدت وغيمت وتفسيرها
بامطرت لا يناسب قوله فانسكبت اي انسكب ماوها فالاسناد مجازي وكون

السما

السما بمعنى المطر يعد هذا كذا قوله انسجد اما كقوله
اذا نزل السما بارض قوم ٥ رعيناه وان كانوا غضابا ٥
فملوا ما معهم من الانية جمع انا وان وعضهم بظنه مفردا وهو وهم كما
مر والانا معروف فلم يجاوز العسكر فيجاوز ضمير مستتر للسما بمعنى السحاب
او للمطر المعلوم من السيادة وهذه معجزة اخرى وعن عمرو بن شعيب
بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص السهمي الصحابي المشهور وفي الاحتجاج
به وهذا اختلاف والاقوال والاكثر على الاحتجاج به وهو يروي عن ابيه
وغيره واخرج له اربعة من اصحاب السنن وهذا الحديث ليثبتها
وتوفي سنة ثمان عشرة ومائة ودفن بالطايف ان ابا طالب قال
للنبي صلى الله عليه وسلم وهو رديفه اي راكب خلفه وضمير هو للنبي ٥
صلى الله عليه وسلم وضمير رديفه لابي طالب بذي المجاز بفتح الميم والجيم والف
ثم زاي معجمة وذي بمعنى صاحب اي محل الجواز وذو المجاز اسم سوق بقرب
عرفة كانوا يجتمعون فيه في الجاهلية كما كانوا يجتمعون بعكاظ وهذا الحديث
رواه ابن سعد عن ابن اسحاق بن الازرق عن عبد الله بن عون عن عمرو
وعطشت وليس عندي ما فنزل النبي صلى الله عليه وسلم عن الدابة
التي كان عليها وضرب بقدمه الارض فخرج الما فقال صلى الله عليه وسلم
لابي طالب اشرب فشرب وهذا كان قبل البعثة بل لم يذكره المصنف
على سبيل الاحتجاج لان ابا طالب كافر لا يعتد بقوله والاحاديث في هذا ٥
الباب اي باب نبع الما وخروجه ببركته صلى الله عليه وسلم كثيرة ومنه
الاجابة بدعا الاستسقا اي دعاوه صلى الله عليه وسلم بطلب السقي ٥
واعطا الما عند الحاجة له وما جانسه اي شابه الاستسقا من السما كما ذكره
هنا وهو ماخوذ من الحس وهو معروف فصل مناسب لما قبله
لان الاكل والشرب توامان ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم تكثير الطعام ببركته
ودعايه النافعين عند الحاجة وبداه بحديث رواه مسلم في صحيحه بسند
صحيح وهو حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله هو الحافظ ابن سكرة
وتقدمت ترجمته قال حدثنا العذري تقدمت ترجمته نسبة والد بجوها
ضم الجيم وفتحها قال حدثنا ابن سفيان هو ابراهيم بن محمد ابن سفيان راوي صحيح
مسلم وقد تقدمت ترجمته قال حدثنا مسلم ابن الحجاج صاحب
الصحيح المشهور كما تقدم قال حدثنا سلمة بن شبيب ابو عبد الرحمن ٥
النيسابوري الحافظ الثقة اخرج له اصحاب السنن وتوفي سنة سبع واربعين
ومايتين قال حدثنا الحسن بن اعين افعل تفضيل من العين وهو الحسن

ابن اعين بن محمد الحراني الثقة قال حدثنا معقل عن ابي الزبير
محمد بن مسلم الثقة وترجمته مشهورة عن جابر الصحابي
المشهور رضي الله عنه ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه
اي يطلب منه طعاما له ولاهله لشدة احتياجه وهذا الرجل لم يعرفوا
اسمه لانه من اهل البادية والطعام ما يوكل وبه قوام البدن ويطلق
على غيره مجازا فاطعمه اي اعطاه لان الاطعام يكون بمعنى الاعطاء كثيرا
حتى انه لكثرته ليستعمل فيما لم يكن ماكولا فيقال اطعمه السلطان بلدة
وهو مجاز مرسل او استعارة شطر وسق شعير الشطر هنا بمعنى النصف
وهو اصله ويكون بمعنى البعض مطلقا وبمعنى الجهة كقوله تعالى
فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره والمراد
جهته والوسق بفتح الواو وكسرها وسكون السين المهملة وثانيه
بمعنى الحمل فيقال وسق بعيره اي حمله وصار حقيقة في ستين صاعا
بصاعه صلى الله عليه وسلم وهو ثلاثمائة وعشرون رطلا حجازية واربعمائة
وثمانون رطلا عراقية على الاختلاف في قدر الصاع والمد فشطره
ثلاثون صاعا وعلى الاول مائة وستون رطلا وعلى الثاني مائتان واربعون
رطلا والكلام في المقادير الشرعية مفصل في كتب الفروع فما زال
ياكل منه وامراته بالرفع معطوف على الضمير المستتر في ياكل من غير فصل
موكد كاسكن انت وزوجك الجنة وهو الافصح وقد يعطف بفاصل من غير
مميز كما هنا فان فصله بقوله منه وهو فصيح ايضا وقد يعطف من
غير فاصل اصلا كما في قول علي كرم الله وجهه كنت وابو بكر وعمر
لكنه قليل وضيفه اي من ينزل عليه من غير اهله وهو يطلق على
الواحد وغيره ولذا لم يختص بالعدد فيقال ضيف وضيفان وضيوف
اي لم يزالوا ياكلون منه وهو باق بحاله من غير نقص لانه لا يزال يكثر ببركة
النبي صلى الله عليه وسلم وهو محل استشهاد المصنف وفي نسخة
وضيف حتى كاله غاية لاكلهم اي استمروا ياكلون منه من غير نقص شيء
الى ان كاله فظهر نقصه بعد الكيل بما ياخذه منه فكانت البركة في
ترك كيله حتى لو لم يكله لم ينفد وترك الكيل والعد فيه بركة لما فيه
من الاتكال على الله وهو اكثر بركة وهكذا اجرى عادة الله واما ما
ورد في الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم كيلوا طعامكم يبارك
لكم فيه فهو بالنسبة لمن كان يخشى خيانة فيه وقيل المراد
كيلوا ما تخرجونه للنفقة منه لئلا يخرج اكثر من الحاجة او اقل

بشرط

بشرط ان يبقى الباقي مجهولا غير مكيل وقيل انه انما كان كذلك لاقتضائه
سرا من اسرار الله ينبغي كتمه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم واخبره بتكثير
ما اعطاه له صلى الله عليه وسلم ببركته فقال لو لم تكله لاكلتم منه
اي لاستمريتم تاكلون منه الى غير النهاية ولقام بكم اي لكفاكم مدة حياتكم
وكان فيه قوام لكم من غير نقص وهذا الرجل هو جد سعيد بن الحارث
وكان استعان به صلى الله عليه وسلم في نكاحه فانكحه امراة فطلب
منه طعاما ما يقوم به ويزوجه ولم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
شيء فبعث ابا رافع وابا ايوب الانصاري بدرعه فرهناه عند يهودي
في شطر وسق من شعير فدفعه اليه قال فاكلنا منه سنة وبعض سنة
ثم كلنا فوجدناه كما ادخلناه ومن ذلك اي تكثير الطعام ببركته صلى الله
عليه وسلم حديث ابي طلحة المشهور في قصته التي رواها الشيخان عن
انس رضي الله عنه وهو زيد بن سهل بن الاسود الانصاري الصحابي
رضي الله عنه توفي سنة احدى وثلاثين وقيل غير ذلك والمشهور
بمعنى انه كثرت رواياته في كتب الحديث وتعددت طرقه ويحتمل ان يريد
بالمشهور معناه المعروف في مصطلح الحديث واطعامه صلى الله عليه وسلم
مرفوع عطف على حديث ثمانين او سبعين رجلا بجزم مسلم بالثمانين
من اقراص من شعير جمع قرص وهو رغيف صغير اتى بها انس
بن مالك وفي نسخة جاء وهو عم ابي طلحة تحت يده اي ابطه بكسر
الهمزة وكسر الباء وتسكن والابط ما تحت المنكب وخصه به لان اليد تشمله
وغيره والابط يذكر ويونث فامر بها اي بالاقراص ففتت يقال فتته اذا
قطعه باصابعه قطعا صغيرة بمقدار الانملة وقد يطلق بمعنى التكسير
مطلقا وقال فيها اي في شانها بان دعا ببركتها وذكر اسم الله
عليها وفي بمعنى على كقوله لاصلبنكم في جذوع النخل ما شاء الله
ان يقول اي ما قدره الله وعلمه من الذكر الذي لم نطلع عليه وهو حديث
طويل في الصحيحين اختصر المصنف على بعضه اعتمادا على شهرته وفيه
ان ابا طلحة رضي الله عنه قال لام سليم لقد سمعت صوت رسول
الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا اعرف فيه الجوع فهل عندك من شيء فقالت
نعم فاخرجت اقراصا من شعير وفيه انه دعا القوم عشرة عشرة وحكمته
انه لا يزدحموا على قصعة واحدة كانت صغيرة وهذا كان بالمدينة
لا بالخندق كما توهمه القسطلاني والحديث طويل والكلام عليه
مفصل وفيه انهم بعد ما اكلوا دفعه لاهل المنزل فاكلوا واطعموا جيرانهم

وحديث جابر رضي الله عنه الذي رواه البخاري في اطعامه صلى الله عليه وسلم
يوم الخندق اي في قصة الخندق المشهورة في السير ومعناه معروف وهو معرب
كنده بمعنى المحفور الف رجل بالنصب مفعول اطعام ويوم الخندق منصوب
على الظرفية وحديث مبتدا خبره مقدر اي من ذلك صاع شعير
بالاضافة وفي نسخة من صاع من شعير وتقدم معنى الصاع وعناق
بفتح العين وهي الانثى من اولاد المعز لم يتم لها سنة وقيل
هي التي قاربت الحمل ولم تحمل قال جابر فاقسم بالله لاكلوا وفي نسخة
لقد اكلوا وانما اكده بالقسم لانه امر غريب خارق للعادة اكده بالقسم لانه مظنة
الانكار حتى تركوه وانحرفوا اي اكلوا كلهم حتى شبعوا وقاموا وانصرفوا
والانحراف الميل الى جهة اخرى غير التي كان متوجها لها من
الحرف وهو الطرف ومنه قوله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف
اي على طرف غير متمكن وان برمتنا لتغط البرمة بضم البا الموحدة
وسكون الرا المهملة ثم ميم وهي القدر مطلقا او من حجارة وهو المعروف
وجمعها برام وتغط بفتح المثناة وفتح او كسر الغين المعجمة وبعدها
طا مهملة مشددة اي تغلي غليانا شديدا يسمع له صوت كغطيط النائم
والمخنوق كما هي اي على حالها الاول لم ينقص منها شي مع كثرة من اكل
منها وهذا محل الشاهد وان عجيننا ليخبز اي انهم استمروا على خبز
العجين وابقاؤه شيا فشيا حتى اكلوا منه ولم ينقص ببركة النبي صلى الله
عليه وسلم لانه بصق في البرمة والعجين وبارك عليه كما ذكره المصنف
بقوله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق في العجين والبرمة
وبارك فيهما ومعنى بارك دعا فيهما بالبركة اي الزيادة والنمو رواه
اي روى هذا الحديث عن جابر سعيد ابن ميناء بكسر الميم وسكون
المثناة التحتية والنون والمد والقصر والمعروف وعدمه على الوزنين
فعلا او مفعال وسعيد هذا اخرج له البخاري ومسلم ومينا علم منقول
من الميناء وهو موضع السفن وجوهر الزجاج وايمن بزنة افعل من اليمن
وهو ابن الحبشي المكي والد عبد الواحد بن ايمن مولى حمزة المخزومي ه
الثقة وقال ابن حبان انه ايمن ابن ام ايمن مولاة رسول الله صلى الله
عليه وسلم واخو اسامة لامه قال البرهان وفيه نظر لان ابن ام ايمن ه
هذا قتل بحنين فقط خلط ترجمته وتبعه التلمساني وعن
ثابت مثله اي مثل حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن رجل من
الانصار وامراته ولم يسمها قال وجي بمثل الكف وفي نسخة بملء

الكف

الكف فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يبسطها في الانا ويقول ما شاء الله
ان يقول فاكل من في البيت والحجرة والدار وكان ذلك ايضا ذكر من الثلاثة
قد امتلا ممن قدم معه صلى الله عليه وسلم لذلك وبقي بعد ما شبعوا مثل
ما كان في الانا وقد علم ان ذلك ببركته صلى الله عليه وسلم وحديث ابي ايوب
اي ومن ذلك حديث ابي ايوب الذي رواه عنه الطبراني والبيهقي وهو انه صنع
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولابي بكر حين قدما المدينة في الهجرة
من الطعام زهاء اي مقدار ما يكفيهما اي طعاما يكفي رجلين فقط وهو بيانه
لقلته فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لما اخبره بذلك ودعاه ادع ثلاثين
من اشراف الانصار وانما خصهم بذلك لتتالفهم كي يسلموا فان ذلك كان في اول
الهجرة وسماهم انصارا لعلمه صلى الله عليه وسلم بانهم سينصرونه وتفاولا
بذلك فدعاهم فاكلوا حتى تركوه اي شبعوا وتركوا الطعام او الاكل منه ثم قال
ابو ايوب فاكل من طعامي مائة وثمانون رجلا ذكر بعضا منهم وترك الباقي كانه
لكونهم لم يدعهم بامره والمذكور رواية وسكوت عن ابي بكر والنبي صلى الله عليه
وسلم وعن سمرة بن جندب تقدمت ترجمته وانه بضم الدال وفتحها اتي النبي
صلى الله عليه وسلم بالبنا للمجهول اذ لا يتعلق غرض ببيان الاتي هنا بقصعة
بفتح القاف ولا تكسر القصعة فيها لحم مطبوخ فتعاقبوها اي دخل جماعة
من الصحابة بعد جماعة لان كلا منهم اتى على عقب بعض اي من غير فاصل بينهم
لانه محل الاعجاز من غدوة حتى الليل بالجر وتكون رفعه ونصبه يقوم قوم
ويقعد اخرون تفسير لما قبله من تعاقب القوم وفصل عليه المعروف
من حديث سمرة من غدوة الى الظهر فيقوم قوم ويقعد اخرون قال
فقيل لسمرة هل كان يمد قال فمن اي شي تعجب ما كان الا من هنا واشار الى السما
ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق رضي الله عنهما اي من معجزاته
صلى الله عليه وسلم في تكثير الطعام ببركته وهذا الحديث رواه الشيخان
صحيحيهما كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ضمير كنا له ولغيره من الصحابة
وخبر كان ثلاثين ومائة ومع النبي حال من اسم كان او هما خبران او الخبر بعد
خبر وذكر في الحديث انه عجن صاع من طعام روي ببنا عجن للفاعل
ونصبه صاعا وبنائه للمفعول ورفعه وصنعت بمعنى طبخت في قوله
وصنعت شاة فشوي ببنا المفعول سواد بطنها المراد به الكبد خاصة
او حشوها مطلقا والاول اظهر قال اي عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنهما
وايم الله قسم كعهد الله وهو مبتدا خبره محذوف تقديره قسمي فهو مرفوع
وجوز بعضهم جره بواو القسم وفيه لغات كثيرة وهمزته همزة وصل

وموانع وتبتل حرف وتبتل الله في الاصل جمع يمين والكلام عليه مفصل
في باب العتق ولا يجوز الاضافة بعده الا لفظ الله وجوز ابن مالك جر غيره ٥
ما من الثلاثين ومائة احد الا وقد حز له حزة بفتح الحاء المهملة والحز
هو القطع بالسكين والحزة بالضم القطعة من اللحم من سواد بطنها
اي كبدها والحز بعينه بحسب الظاهر وهو السبب بحل الاستشهاد
لكفاية الكبد لحضرة في تفرقتها عليهم ثم جعل منها اي طبخ من الشاة ما جعل
على قصعتين فاكلنا اجمعون بالرفع تاكيد لاسم كان من غير ان يكون تابعا
لكل كقوله لاغوينهم اجمعين وفضل في القصعتين اي افضل
من لحمها مقدار في القصعتين بعدما اكلوا حتى شبعوا وقد صرح بذلك في الصحيح
فحملت ولو ذكره المصنف لكان اولى لانه محل الشاهد وفضل بمعنى بقي
فيه ثلاث لغات كدخل يدخل وعلم يعلم وبالكسر في الماضي وضم عين المضارع
وهي شاذة ومن التداخل فانه من الفضيلة فبالفتح والضم لا غير فحملته
على البعير فيما شاهده ما بقي بعد اكلهم كلهم ومن ذلك اي من معجزاته
صلى الله عليه وسلم في تكثير الطعام ببركته صلى الله عليه وسلم ما رواه
ابن سعد والبيهقي وصححاه حديثه رواه عبد الرحمن بن ابي عمرة
بفتح العين وسكون الميم وبالراء المهملة الانصاري عن ابيه ابي عمرة بشير
ابن عمرو ابن محصن الانصاري النجاري الصحابي البدري قتل مع علي
كرم الله وجهه بصفين وفي اسم ابي عمرة اختلاف وابنه عبد الرحمن اخرج
له اصحاب الكتب الستة الا الدارقطني فقط وهو ثقة وهذا الحديث
مروي عن في بعض غزواته صلى الله عليه وسلم ونحوه اي مثل حديث عبد
الرحمن لسلمة بن الاكوع وابي هريرة في مسلم وعمر بن الخطاب فرواه
ابو علي بسند جيد فذكروا اي هؤلاء مخمصة بفتح الميمين بينهما خاء معجمة
ساكنة ثم صاد مهملة وهي الجوع من الخمص وخلو البطن من الطعام
اي مجاعة اصابت الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض
مغازيه جمع مغازة بمعنى موضع الغزو او هو بمعنى الغزو نفسه
واختلف في هذه الغزوة والذي كما في مسلم وخرج مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم في غزوة وفي دلائل النبوة انه في غزوة غطفان وفي
غيره عن ابن عباس انه في مرجعهم من الحديبية فكلمه بعض اصحابه وقالوا
جهدنا وفي الناس ظهر فانحره لنا الحديث فاقصينه مرتين فدعا
ببقية الازواد اي طلب من كل رجل منهم ان يأتي بما بقي عنده مما
زاده فجاء الرجل بالجثية بفتح الحاء المهملة وسكون الثاء المثلثة

والمثناة التحتية ويقال حثوة بالواو ولا بد يقال حثية كحثى وحثو وهي
والحفنة بالفاء والنون بمعنى وهو ما يملؤ اليدين وبالثاني اخذهما ويروى
بالجبنة بخاء معجمة مضمومة ثم بعدها موحدة مفتوحة ساكنة ونون وهي ما
يحمل في الحضن تحت الكشح والاول اشهر واظهر وتعريف الرجل هنا للعهد
الذهني كادخل السوق وليس المراد به رجلا معينا من الطعام اليسير الذي ٥
بقي عنده وفوق ذلك اي ازيد منه بيسير واعلاهم اي اكثرهم زادا
وبقيته الذي يأتي بالصاع من التمر فجمعه اي وضع ما اجتمع من الازواد
على نطع بكسر النون وفتح الطاء المهملة بزنة عنب بساط من ادم ٥
وفيه لغات اربع هذه افصحها وبفتح نونه مع فتح الطاء وسكونها وبكسر
نونه مع سكون الطاء قال سلمة فحزرته بحاء مهملة وزاي معجمة
وراء مهملة اي قدرته بطريق الحدس والتخمين كربضة العنز براء مهملة مفتوحة
وقيل انها مكسورة لا غير لان المراد بها الهيئة وموحدة وضاد معجمة
من الربوض وهو كالجلوس في الانسان والبروك للابل والجثوم للطير اي مقدار
مقعد او حجم عنز باركة على الارض او هو تقدير للموضع من النطع بموضع ربوض
ثم دعا الناس باوعيتهم اي طلب مجيئهم ومعهم اوعيتهم ليأخذوا مما اجتمع
عنده وفي الحديث حتى ملؤا ازودتهم قال المصنف في الاذكار كذا الرواية
عن جميع شيوخنا فالازودة بمعنى الاوعية كما سميت الاسقية روايا وهو
انفا جاءوا باوعيتهم فما بقي في الجيش وعاء الا ملؤه مما اجتمع عنده
وبقي منه اي فضل منه بقية بعدما اخذ الجميع كفايتهم والمصنف اقتصر
على محل الشاهد من الحديث لطوله وفيه انهم اكلوا حتى شبعوا ثم حشوا ما
في اوعيتهم وتتمته انهم لما اصابهم الجوع قال له بعضهم لو امرت ما نحرنا
نواضحنا اي ابلنا فقال انحروا فقال عمر رضي الله عنه ان نحروا قل
الظهر يعني ما يركب ولكن ادع بفضل ازوادهم يجيء الرجل بكف ذرة ٥
والاخر بكف تمر والاخر بكسرة حتى اجتمع على النطع فدعا بالبركة وقال
خذوا فاخذوا واكلوا وفضلت فضلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله الحديث وعن ابي هريرة في حديث
رواه ابن ابي شيبة والطبراني بسند جيد امرني رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان ادعو له اهل الصفة تقدم ان الصفة محل مرتفع في الدار
والمسجد وغيره مفرز عن غيره للجلوس فيه وكان في مسجده صلى الله عليه
وسلم محل كذلك فيه المنقطعون عنده صلى الله عليه وسلم من فقراء الصحابة
الاعراب وغيرهم كسلمان وابي ذر قال ابو نعيم في الحلية كانوا نيفا ومائة

وفي عوارف المعارف انهم كانوا نحو الاربعمائة ونحوه في الكشاف فلا ينافيه
ما روي انه روي منهم نحو ثلاثين رجلا يصلون مع النبي صلى الله عليه وسلم
بلا اردية وهؤلاء هم صفوة خلق الله هنيا لهم وانا اتوسل الى الله بهم
ان يجعلنا في بركتهم فتتبعتهم اي ذهبت لكل واحد منهم في مكانه كانه
يعد لانهم في النهار يتفرقون في المدينة لان كل احد لا يخلو من حاجة
يذهب لها حتى جمعتهم عند النبي صلى الله عليه وسلم فوضعت
بالبنا للمجهول بين ايدينا صحفة بالرفع نائب الفاعل وهي اناء بين الصغير
والكبير تعد للطعام واكلنا ما شئنا وفرغنا اي حتى شبعنا وانتهت ارادتنا
للاكل وهي مثل ما وضعت جملة حالية اي وهي مملوءة بما فيها كما كانت
حين وضعت بين ايدينا الا ان فيها اثر الاصابع اي اصابع من اكل منها
وهذا تشبيه لها بها بعد الاكل كما لها قبله فليس فيه تشبيه الشيء
بنفسه كما لا يخفى وكان اهل الصفة يسمون اضياف الاسلام لان اكثرهم اعراب
وقاله الكنا بضمير المتكلم مع الغير لان ابا هريرة منهم وعن علي ابن ابي
طالب في حديث رواه احمد والبيهقي بسند جيد جمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم بني عبد المطلب وكانوا اربعين رجلا وهذا كان بمكة
في ابتداء البعثة منهم قوم هو في الاصل مصدر قام ثم صار اسم جمع للرجال
خاصة لقيامهم بالامور يأكلون الجذعة بفتح الجيم والذال المعجمة والعين
المهملة وهي من المعز والغنم ما لم تكمل له سنة وقيل انه في البقر ما دخل في الثالثة
والمراد هنا الاول اي اقل ما يكفيهم كما يقال لمن دونهم اكلة رأس ويشربون الفرق
بفتح الفاء والراء المهملة وتجوز تسكينها وهو مكيال يسع ثلاثة آصع وهي
ستة عشر رطلا كما تقدم اي يرويهم ما فيه وفي النسخ هنا اختلاف ففي بعضها
بني عبد المطلب منهم من يأكل جذعة بني عبد المطلب منهم قوم من يأكل الجذعة
وفي بعضها منهم قوم يأكل وفي بعضها منهم قوم يأكلونه وهذه اقربها وفي التي
قبلها تكلف ما وقال التلمساني المراد بالجذعة جذعة الابل كما ورد مفسرا
في بعض الروايات وهي التي تدخل في الخامسة فصنع لهم مدا من
طعام اي طبخه وسواه فاكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو ما موصولة وهو
مبتدا خبره محذوف اي قبل الاكل والجملة صلته والمراد انه لم ينقص كانه ما
اكل منه شيء ثم دعا بعس بضم المهملة وتشديد السين المهملة وهو قدح
من خشب يروي الثلاثة والاربعة والمعنى بعس من لبن طلبه من اهله
لهم فشربوا من العس حتى رووا اي تم شربهم منه وبقي كانه لم يشرب
منه شيء وتفصيله كما في الدلائل للبيهقي وغيره بسند صحيح انه لما نزل

عليه قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين الاية قال صلى الله عليه وسلم ان بدأت
قومي بها رأيت منهم ما اكره فصمت فجاء جبريل عليه الصلاة والسلام فقال
يا محمد انك لم تفعل ما امرك به ربك عذبك فدعا عليا رضي الله عنه
واخبره بذلك وبما قاله جبريل له ثم قال له فاصنع طعاما واعدلنا عس
لبن ثم اجمع بني المطلب وهم نحو اربعين من اعمامه فلما اجتمعوا قدم لهم
الطعام وقال كلوا بسم الله فاكلوا ثم شربوا فلما اراد ان يكلمهم قال
ابو لهب سحركم فتفرقوا ولم يكلمهم ثم انه فعل مثل ذلك فلما اراد ان يكلمهم
تفرقوا وفي الثالثة قال يا بني عبد المطلب انه لم يجئكم احد بافضل
مما جئتكم به اني قد جئتكم بامر الدنيا والاخرة الى اخر الحديث وفي البخاري
عن ابن عباس رضي الله عنهما انها لما نزلت صعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم على الصفا ونادى يا بني فهر يا بني عدي ويا بطون قريش حتى اجتمعوا
الخ ولعل ذلك تكرر فحضره لاتم عمم وقال انس في حديث رواه الشيخان
واللفظ لمسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم لما في نسخة حين ابتنى بزينب
بنت جحش ام المؤمنين رضي الله عنها وهو افتعال من البناء وهو التزوج
هنا ويقال بنى بها وعليها امر اي امر النبي صلى الله عليه وسلم انسا ان يدعو له
قوما سماهم اي عينهم باسمائهم وكل من لقيت بتا الخطاب ومن منصوبة محلا
بفعل مقدر اي قال له صلى الله عليه وسلم ادعهم وادع كل من لقيته من غيرهم فهو
تعميم بعد تخصيص لمن اعتنى به فدعاهم اي فقال فدعوتهم حتى امتلأ البيت
بالناس المراد به المنزل كله وقيل انه اراد به الصفة التي فيه كما ذكره مصرحا
به والحجرة هي بمعنى البيت والغرفة وكان لكل زوجة من ازواجه صلى الله
عليه وسلم حجرة تخصها واصل معنى الحجرة بقعة تفرد ببنا ونحوه وقدم
اليهم تورا بمثناة فوقية مفتوحة وواو ساكنة وراء مهملة وهو اناء من
صفر او حجارة كالاجانة او كالقدح الذي يشرب فيه فيه قدر مد من تمر بيان
للمد ونحوه وقد تقدم تفسيره فجعل بالبنا للمفعول حيسا مفعوله
الثاني وهو بفتح الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية والسين المهملة
وهو تمر خلط بسمن واقط او دقيق قال

التمر والسمن معا ثم الاقط ... او الدقيق الحيس لما يختلط

وقال ابن قرقول انه قيل انه تمر ينزع نواه ويخلط بالسويق والاول
اعرف واصل معنى الحيس الخلط فوضعه صلى الله عليه وسلم والضمير للتور
قدامه بين يديه وغمس اصابعه اي ادخلها فيه لتحصل البركة وليطيب قلوبهم
باكله معهم والسنة ان ياكل بثلاث اصابع ففيه تعليم لهم وجعل القوم يتغدون

بذال المعجمة من الغذا المعجمة وهو اعم من الغدا بالدال المهملة وفي مسلم انه
دعا الناس بعد ارتفاع النهار فيصح ان يكون بالمهملة ايضا كما في المفتاح ه
ويخرجون من الحجرة وبقي التور نحوا تمييز او حال مما كان قبل الاكل منه
لم ينقص نقصا كثيرا وكان القوم احدا واثنين وسبعين رجلا وهو شك من
الراوي وقيل ان هذه القصة في بنائه صلى الله عليه وسلم بصفية
والراوي ادخل قصة في قصة وقيل يحتمل انه اتفق الشيان من الشاة والكيس
الذي لام سليم وفي نوادر بقي التور نحو ما اي بقي ما فيه وفي رواية اخرى
في هذه القصة اي قصة وليمة زينب رضي الله عنها او مثلها فيما ذكر من
ان القوم كانوا زهاء ثلاثمائة اي مقدارهم وانهم اكلوا حتى شبعوا وقال
لي بعدما شبعوا ارفع التور من مكانه فما ادري حين وضعته بضم التاء
للمتكلم اي حين وضعته او بتاء التانيث الساكنة كالتي في قوله كانت
بالتانيث باعتبار الدانة اكثر ام حين رفعت بالوجهين وروي لم ترتفع له
ارفع بلام الامر والخطاب والاول اولى وانصح وهذا الحديث طويل في مسلم
اختصره المصنف اقتصارا على محل الشاهد منه وفي حديث جعفر
الصادق عن ابيه محمد الباقر عن علي بن ابي طالب جده والد محمد اعني زين
العابدين بن علي بن الحسين بن علي فهو حديث منقطع كما رواه ابن سعد
نا ان كان لفظنا المذكور على الاصح في الحديث مرسل او معضل فهو ضعيف
ان فاطمة الزهراء طبخت قدرا اي طعاما في قدر ففيه تجوز او هو بتقدير
مضاف اي طعام قدر لغدائها بمعجمة وهو ما يؤكل في يوم اي وقت
او بمهملة وهو ما يؤكل اول النهار اي لاجل غدائها وفي نسخة تتغدى به
ووجهت عليا اي ارسلته الى النبي صلى الله عليه وسلم اي لجهته والمراد
بيته ليتغدى معها فامرها اي قال لها اغرفي من القدر فغرفت
بالغين المعجمة بجميع نسائه النسخ المعروفة صحفة صحفة منصوب
كتعلمت النحو بابا بابا والصحفة اناء صغير معروف ثم له ولعلي ثم غرفت
له صلى الله عليه وسلم ولعلي ثم لها اي ثم غرفت لنفسها ما تتغدى به
رضي الله عنها ثم رفعت القدر بعد ما غرفت لجميع من ذكر وانها لتفيض
جملة حالية وتفيض بفاء وضاد معجمة من الفيض والمراد انه بعد ما غرف
منه بقي مملوا الطعام كثيرا يسيل من جوانبه ببركته صلى الله عليه وسلم
وكانها بعثت له صلى الله عليه وسلم ليجيئها ويأكل معها وحده فلم يأت وامرها
بما ذكر ضد لما فيه من مكارم الاخلاق والايثار قالت فاطمة فاكلنا
اي اكلنا كلنا من طعامها والضمير للقدر لا نطاق منه ونبتل

نحوز

تكون كبيرها ثابتها فالمراد ان اهله فاطمة واهل بيتها اكلوا مما
بقي في القدر بعدما فرقته ما شاء الله اي الذي اراده الله لنا او مدة
ارادة الله ذلك وهو كناية عن كثرة ذلك فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
في حديث اخر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان يزود اربعمائة راكب
اي يعطيهم ما يكفيهم من الزاد من احمس بوزن احمر بحاء وسين مهملتين بينهما
ميم اسم قوم من العرب وهم بطن من ضبيعة يقال لهم بنو احمس وهو من الحماسة
قال
وهي الشدة والصلابة ويقال لقريش الحمس لتصلبهم في دينهم في الجاهلية
عمر رضي الله عنه يا رسول الله ما هي الا اصوع بفتح الهمزة وضم الواو ويجوز
ان تبدل همزة كما في الصحاح وهو ما يشرب فيه ويكال المعلوم وهو جمع صاع قال
ابن قتيبة فيه لغات صاع وصوع وصواع ويجمع على اصوع واصيعان وفي
كثير من الروايات اي في الحديث آصع بالمد والصواب اصوع انتهى وقوله
والصواب اصوع غير مسلم واذا جاء عن رسول الله نطق به فعقل وهو مبني على عدم
صحة الاستدلال بالحديث في العربية وهو على الاطلاق فاسد اي قال
عمر رضي الله عنه لتبرير التمر الذي عندي يكفي فانه اصوع قليلة فان الصاع
مكيال يسع اربعة امداد والمد رطل وثلث او رطلان عراقيان على اختلاف
فيه كما تقدم والضمير اعني هي راجع للاصوع فان تاخر لفظا ورتبة
كما في قوله تعالى ان هي الا حياتنا الدنيا قال الزمخشري هذا ضمير لا يعلم
ما يعني به الا بما يتلوه من بيانه واصله ان الحياة الا حياتنا الدنيا ثم وضع الضمير
موضع الحياة لان الخبر يدل عليها ويبينها ومنه قوله ه
هي النفس ما حملتها تتحمل ه وهي العرب تقول ما شاءت ه
انتهى قال ابن مالك وهذا من جيد كلامه وفيه كلام في شرح التسهيل لا يسعه
المقام قال صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه اذهب وافعل ما امرتك
به ولا تبال بقلة ما عندك فذهب عمر فزودهم منه اي اعطاهم ما يكفيهم
من التمر الذي عنده وكان اي التمر قدر الفصيل هو ولد الناقة الصغير
الرابض اي البارك على الارض وهو بيان لمقداره تخمينا من التمر بيان لمقدره ه
وبقي بحاله اي لم ينقص شيء مما اعطاهم منه وهو من المعجزات من رواية
دكين خبر مبتدأ مقدر اي وهذا الحديث من رواية دكين وهو بضم الدال
المهملة وكاف مفتوحة ثم يا التصغير ونون رواه الغزي بالراء بدل الدال
وقال انه الصحيح ودكين هو ابن سعيد بالتصغير وقيل سعد وقيل
سعيد المزني وقيل الخثعمي وله صحبة وهذا الحديث رواه ابو داود في الادب
قال اتينا النبي صلى الله عليه وسلم فسالناه الطعام فقال يا عمر اذهب

فاعطهم ثم ارسلني الى العلية فاخذ المفتاح من حجرته فسح وليس لاعنبر هذا
الحديث فلم يروه غير ابي داود الاحمسي نسبة لبني احمس قبيلة كما
تقدم وهو صفة وكيع ومن رواية جرير اي مثل رواية وكيع ولم يخرجه
ومثله اي مثل المروي المذكور ما اخرجه احمد والبيهقي بسند صحيح من
رواية النعمان بن مقرن بضم الميم وفتح القاف وكسر الرا المهملة
المشددة وفتح القاف ساكنة والرا مخففة مكسورة وهو احمسي
ايضا واحمس بطن من مزينة وتقدم انهم من ضبيعة من نسل ادبن طابخة وللنعمان
سبعة اخوة كلهم صحابة هم النعمان ومعقل وعقيل وسويد وسنان وعبد
الرحمن ولم يعلم السابع قال السهيلي بنو مقرن المزني هم البكاؤن الذين
الذين نزل فيهم ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم الاية الخبر بعينه
بالرفع والنصب والبا مزيدة في التاكيد يقال هذا عينه وبعينه
كما ذكره وتلطف القايل متغزلا

ه تخلف هذا قاتلي ه بعينه وحاجبه ه

وزيادة حاجبه فيه من كلام المولدين لتوهمهم ان لا يهامهم ايضا الناصرة
الا انه قال وهذه الرواية اربعمائة راكب من مزينة
نزاد قوله من مزينة وكذا رواه ابو داود في سننه قيل واختلاف
الروايات يدل على تعدد القصة وفيه شي ومن ذلك اي معجزاته
صلى الله عليه وسلم في جعل القليل كثيرا حديث جابر بن عبد الله الانصاري
رضي الله عنهما وهذا الحديث رواه البخاري في دين ابيه بعد موته
اي قصته لما مات ابوه وعليه دين اراد اداه لغرمائه وكان قد بدل
بموحدة وذال معجمة اي اعطى وهو مجاز بمعنى اراد بدله لغرماء ابيه
جمع غريم وهو صاحب الدين الطالب له من الغرام وهو اللزوم كما قال
تعالى ان عذابها كان غراما اصل ماله اراد باصل ماله نخله وكل
له كان يتفوت منه والمال في لسان العرب لا يختص بالنقود كما في العرف
وشاع اطلاقه على الابل قديما كما شيرالبه قوله فلم يقبلوه اما لانه
لا يفي بدينهم او لعدم احتياجهم او لانه لم يكن مرضيا لهم ولم يكن في
ثمرها اي الضمير الراجع للمال نظرا لمعناه لان المراد به هنا النخل جمع
نخل وهي تونث والثمر بالمثلثة واحده ثمرة ولا حاجة لجعله راجعا الى
موال المعلوم من قوله ماله ولا الى تفسيره بالفوايد مطلقا فيشمل الابل
والنتاج كما احتمل ولا وجه له لما ستسمعه في الحديث وقوله
سنتين مثنى سنة وفي نسخة سنين بصيغة الجمع والاول هو الصحيح

كفاف ونهم بفتح الكاف بمعنى ما يغنيه ويكفيه ومنه اللهم اجعل رزق آل محمد كفافا
اي مقدار الكفاية وبفتحها معناه الخيار وهو غير مناسب هنا كقراة نحو
مثناة فوقية وان صح معنى وستين ظرف مستقر لانه متعلق بتمر بالمعنى
المصدري كما لا يخفى فجاء النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان امره بجذها
بفتح جيم وذال معجمة وجوز اهمالها وكلاهما بمعنى قطع الثمار وجمعها وجعلها
بصيغة المصدر بيادر بمثناة تحتية وذال وراء مهملة جمع بيدر بزنة
حيدر وهو الموضع الذي يوضع فيه التمر ليتيبس والبر ونحوه ليخلص
من تبنه والكوم من الطعام كالتمر والحنطة ويصح ارادة كل منهما هنا ه
والظاهر الثاني والبيدر هو الجرين والجرن واهل العراق يسمونه الاندر
وجمعه انادر وفي المغرب يسمونه نادر وكانه غلط من الاندر في اصولها
اي جعلها كوما كوما في اصول الثمار وهي النخل والمراد انه كومه في حديقته
نخله حتى يعلم مقدارها فمشى فيها النبي صلى الله عليه وسلم وفيه مضاف مقدر
اي في ارضها او المراد ما بينها وتحولها لتحصل البركة ويتيمنوا بتيمنه فيها
ودعا الله تبارك وتعالى ان يبارك فيها ففعل ثم اذنه فاوفى منه جابر غرماءه اي
اعطاهم مما في البيدر مقدار حقهم بتمامه من قولهم اوفاه حقه ووفاه ه
فاستوفاه وتوفاه اخذ تمامه وضمير غرماءه لابيه لعلمه مما تقدم او لانه
لقيامه في ادا دينه وفي نسخة غرماء ابيه وهي ظاهرة وفضل اي بقي منه
بعدما ادى كل ذي حق حقه وهو مثلث الضاد والفتح افصح مثل
ما كانوا يجذون بفتح المثناة التحتية وضم الجيم وتشديد الذال معجمة
او مهملة اي ما كانوا يقطعونه من ثمارها في كل سنة وفي رواية مثل ما
اعطاهم اي بقي مثل ما اعطى غرماء ابيه وفيه زيادة كثيرة على ما في الرواية
الاولى لان ثمرها لا يفي بدينهم في سنتين او سنين قال اي جابر رضي الله
عنه وكان الغرماء يهود بالنصب خبر كان وهو ممنوع من الصرف لانه علم
لهذه الطايفة وقد ينكر وينون فعجبوا من ذلك اي مما راوه من كفايته
ثمرها وزيادته مع انه كان لا يكفي في سنين وهو من معجزاته صلى الله عليه
وسلم العظيمة وهذا الحديث في البخاري وغيره اختصره المصنف
على محل الشاهد منه وكان ابو جابر عبد الله استشهد باحد وترك عليه
دينا كثيرا وله ست بنات وكان الدين لرجل من اليهود ثلاثين وسقا فاستنظره
جابر فلم ينظره فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فكلم اليهودي فلم
يرض فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم بجذاذ ثمره فاتاه وطاف بيدره ثلاث
مرات وامره بان يكيل لهم فكان حقهم وفي لفظ ثلاثين وفضل سبعة عشر

وفيه فلما حضر جذاذ النخل اتيته صلى الله عليه وسلم وفيه تصريح بان ماله حديقة نخل وهذا اما دعا له بالبركة فلا تكن من الغافلين وقال ابو هريرة رضي الله عنه في حديث رواه البيهقي مسندا اصاب الناس مخمصة اي جوع كامر فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل عندك من شيء من جنس الطعام ومن زائدة هنا لاطرادها بعد النفي او الاستفهام وشيء مبتدا خبره مقدم كما ذكرناه قلت نعم شيء من التمر قليل في المزود بكسر الميم وهو وعاء الزاد قال فاتني به فاتاه به اي بالمزود او التمر فادخل يده الشريفة في المزود فاخرج منه قبضة بفتح القاف وهي المرة كالضربة اريد بها المقبوض من القبض وهو الاخذ بالكف وبالضم اسم المقبوض فبسطها اي وضعها مبسوطة متفرقة ليعلم قلتها ودعا بالبركة اي بان يبارك الله فيها حتى تزيد ثم قال صلى الله عليه وسلم بعد ما دعا ادع عشرة من الناس فدعاهم فاكلوا حتى شبعوا من ذلك التمر ثم قال ادع عشرة كذلك اي فدعوتهم فاكلوا حتى شبعوا وهكذا حتى اطعم الجيش كلهم وشبعوا وهذا يقتضي انه كان في بعض غزواته وقد صرح به في بعض الروايات كما سياتي وقال لي خذ ما جئت به لانه اطعمهم وبقي ما جاء به كما كان وهو محل الاستشهاد فانه امره بعد ان ياخذ كل ما اراد وقال له ولا تكبه ليبارك له فيه كما مر وادخل يدك واقبض منه ولا تكبه فقبضت على اكثر مما جئت به قال فاكلت منه واطعمت اهلي ومن اردت اطعامه حياة رسول الله اي مدة حياته صلى الله عليه وسلم وفي مدة حياة ابي بكر وعمر الى ان قتل عثمان ابن عفان رضي الله عنهم فانتهب مني بالبناء للمجهول اي نهبه الناس واغاروا عليه فاخذوه في زمن الفتنة فذهب اي عدم ولم يبق منه شيء ولولا ذلك لكفاه مدة حياته لما فيه من البركة وفي رواية رواها الترمذي في سننه وحسنها عن ابي هريرة رضي الله عنه فقد حملت من ذلك التمر الذي اعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم اي جعلته محمولا معي في اسفاري كذا وكذا كناية عن مقدار ما حملته من وسق بيان لكذا وكذا والوسق حمل بعير كما مر في سبيل الله اي في اسفاري غازيا وسبيل الله الطريق الموصلة اليه فاذا اطلق فالمراد به ما ذكر وفي رواية فلقد حملت بلام القسم وكان يعلقه خلف رحله وكان يقول اصبت بثلاث مصائب لم اصب بمثلهن موت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل عثمان وذهاب مزودي وبهذا الحديث

بطريق اخر قريبة مما هنا وذكرت مثل هذه الحكاية بالبناء للمجهول وانث لانه اكتسب التانيث من المضاف اليه وفي نسخة وذكر وذكر في غزوة تبوك وان التمر كان بضعة عشر تمرة وذكره لانه ابلغ في المعجزة للغاية قلت ومنه اي من تكثير الطعام ببركته صلى الله عليه وسلم حين اصابه الجوع وعلمه منه صلى الله عليه وسلم فاستتبعه النبي صلى الله عليه وسلم اي طلب منه ان يتبعه فقال له اتبعني وكن ماشيا معي فتبعه فوجد لبنا في قدح في بيته قد اهدي اليه صلى الله عليه وسلم وامره ان يدعو اهل الصفة ليكونوا ابعض مغردهم فقراء المهاجرين الذين تقدم بيانهم قال فقلت وما وقع هذا اللبن فيهم وما مقداره القليل كان لهم كنت احق منهم لشدة جوعي وما علمه الرسول من حالي ان اصيب منه شربة اي من ذلك اللبن اتقوى بها اي يكون فيها تقوية لضعف جوعي وليس هذا انكارا على النبي صلى الله عليه وسلم لانه لا يليق بمثله فهو اما تعجب منه لما استغربه قبل مشاهدة الحقيقة وشبهه من الخواطر لا يؤاخذ بها ويحتمل غايته انه ارتكب خلاف الاولى ولا حاجة لمثله فدعوتهم اي النبي صلى الله عليه وسلم وبعد حضورهم امرني ان اسقيهم وفي نسخة وذكر امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يسقيهم فجعلته اي شرعت اعطي الرجل منهم فيشرب بالنصب حتى يروى بفتح المثناة اي يروي عطشه ثم ياخذه الاخر فيشرب حتى يروى وهكذا حتى روي جميعهم اي جميع اهل الصفة قال ابو هريرة فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم القدح الذي فيه اللبن وهذا القدح يحتمل ان يكون لصاحب اللبن الذي اهداه له وهو من اقداحه صلى الله عليه وسلم وصب فيه اللبن الذي جاءه وقال صلى الله عليه وسلم لابي هريرة بقيت انا تاكيد لضمير الفاعل للعطف عليه قوله وانت اقعد فاشرب فامره بالقعود لان الشرب قائما من غير ضرورة مكروه فشربت ثم قال اشرب مرة اخرى ومازال يقولها اي كلمة اشرب واشرب بالرفع اي وانا اشرب والجملة حالية حتى قلت لا اشرب بعد هذا لنفي للشرب المامور به كانه اعتذر عن رده بقوله والذي بعثك بالحق لا اجد له اي اللبن مسلكا اي لم يبق في جوفي محلا خاليا يدخله وهو جواب القسم انه لم يكن تاكيدا للنفي قبله وما بعده استئناف او تعليل له فاخذ صلى الله عليه وسلم اي تناوله من يد ابي هريرة رضي الله عنه القدح فحمد الله على ما انعم به من الزيادة وسمى فقال بسم الله وشرب الفضلة اي ما بقي منهم بعد شربهم كلهم والحديث بتمامه في صحيح البخاري اقتصر المصنف منه على محل الشاهد منه كما هو دابه وفي حديث خالد بن عبد العزى الذي رواه البيهقي مسندا

عنه ولم يذكره اصحاب الكتب الستة وخالد هذا كما قاله البرهان هو
ابن سلامة ابو خناش بخا معجمة مضمومة ونون وفي اخره شين معجمة ونون له
مخففة وهو خزاعي وله صحبة وروى عنه ابن مسعود رضي الله عنه
وقال التلمساني انه خالد بن حزام بن خويلد بن اسد بن عبد العزى ابن
قصي هاجر الى الحبشة في المرة الثانية فمات في الطريق وهو ابن اخي خديجة
ام المؤمنين رضي الله عنها انه اجزر النبي صلى الله عليه وسلم شاة
بالنصب مفعول اجزر بمعنى اعطى والنبي بالنصب ايضا مفعول اول واخره
اعطاه جزره وهي شاة او نعجة او كبش او عنز تعطى للجزر اي تذبح ولا
تكون في الناقة فانه يقال اجزره او جزره اذا اعطاه جزورا البعير الذبح
ولا تكون في الناقة فانه يقال اجزره او جزره اذا اعطاه جزورا الغير
الذبح كالركوب وهو معنى قول الجوهري يقال اجزرت القوم اذا اعطيتهم
شاة يذبحونها او كبشا او عنزا ولا تكون الجزرة الا من الغنم ولا يقال
اجزرتهم ناقة لانها قد تصلح لغير الذبح انتهى وفي القاموس هنا كلام
غير مهذب وقصة خالد هذه كانت بالجعرانة لما نزل عليه صلى الله عليه
وسلم واسي ثم بدلت له صلى الله عليه وسلم العمرة فارسله الى رحله من
تمامه كما في بعض الشروح هنا وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة
لاجلهم واطعامهم فلا يبد عيالهم بفتح المثناة الفوقية وضمها وضم
الموحدة وكسرها وفا على ضمير الشاة يقال بده بوحده وقال
مهملة مشددة بيده اذا فرقته قال ابن القطاع بددت الشي فرقته
كابددتهم العطا فرقته فيهم وفي المحكم ابدا الطعام بينهم اذا اعطى كل
واحد منهم نصيبه على حدته وهو بيان لكثير بعني ان الشاة اذا
فرقت عليهم لا تكفيهم وقوله عظما عظما اي اذا فرقته عليهم
قطعة قطعة وعظمة بعد عظمة لا تكفيهم لكثرتهم وان النبي صلى الله
عليه وسلم بفتح همزة ان بالعطف على قوله انه اجزر الخ الذي
هو مبتدا تقدم خبره وهو قوله في حديث خالد اكل من هذه الشاة
التي اجزرها له خالد وجعل فضلتها اي ما بقي منها بعد اكلهم في دلو خالد
هو وعا من ادم وجلد يستقى به الما والمراد هنا جراب يشبه الدلو ويكون
ان يريد حقيقته لانه لم يكن معه وعا غيره ودعا له اي لخالد ونحوه
الا يعود للدلو بالبركة اي بالزيادة ولفظه اللهم بارك لابي خناس ه
فنثروا ذلك الطعام الذي في الدلو اي رموه لعياله بكسر العين قال
الصاغاني في التكملة انه جمع عيل كجياد جمع جيد وهو من يلزمه الانفاق

عليه ويكون اسما للواحد كما استعمله الحريري في مقاماته وذكره المطرزي في شرحه
فاكلوا وافضلوا اي ابقوا بقية زادت عن كفايتهم ببركته صلى الله عليه وسلم
وبركة دعائه وذكر خبره اي خبر خالد او خبر ما ذكر من الاكل والزيادة الدولابي
فاعل ذكر وهو بضم الدال المهملة وواو ساكنة ولام والف وبا موحدة وهو اسم
بلدة نسب اليها وهو منقول من الدولاب بضم الدال وفتحها معرب دولاب
وهو الحافظ ابو بشر محمد بن احمد بن حماد ابن سعيد بن مسلم الانصاري الرازي الوراق
المحدث الجليل صاحب التصانيف روى عنه الكبار كالطبراني وابو حاتم وتوفي
بين مكة والمدينة بالعرج في ذي القعدة سنة عشر وثلاثمائة ومولده سنة
اربع وعشرين وفيه كلام مفصل في الميزان في ترجمته وله ذرية مشهورة ولهم
دولابي اخر وهو ابو جعفر بن الصباح صاحب السنن والمراد الاول
كما ذكره البرهان وغيره وفي حديث الاجري بالمد وضم الجيم وتشديد الرا
المهملة منسوب للاجر المعروف بالطوب نسب لعمله وهو ابو بكر بن محمد الامام
البغدادي تفصيله في ترجمته في انكاح النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة
لعلي اي عقد نكاحها واللام مزيدة للتقوية ان النبي صلى الله عليه وسلم
امر بلالا ان ياتي بقصعة مملوءة من اربعة امداد وخمسة من حنطة او غيرها
ويذبح جزورا بنصب يذبح بان مضمرة بعد مقدرة وجزورا مفعوله
وان يذبح معطوف على مقدر كما اشرنا اليه اي على امر بتقدير فامره ان يذبح
والجزور بوزن الشكور راس من الابل ناقة او جملا سمينة لا انها تجزر
اي وهي مؤنثة سماعية وان عمت بغيرها شبه تغليبية فانهم لوليمتها الوليمة
هي الدعوة للطعام يصنع في النكاح خاصة وتجمع على ولايم وهو مستحب
قال بلال رضي الله عنه فاتيته بذلك الذي امرني به من القصعة والجزور
فطعن في راسها ان كان الضمير للقصعة فراسها بمعنى اعلاها وان كان للجزور
فهو ظاهر وطعنه فيها ادخال يده فيها او مسها لتحصل البركة فيها ه
ثم ادخل الناس اي امر بدخولهم ليأكلوا رفقة رفقة بالنصب اي حال كون
دخولهم جماعة بعد جماعة والرفقة بضم الرا وكسرها بمعنى الجماعة المترافقين
للمصاحبة ياكلون منها جملة مستانفة او حال مقدرة حتى فرغوا اي اكلوا
جميعا الى ان شبعوا او فرغوا من اكلهم وبقيت منها فضلة اي فضل منها
ما زاد على اكلهم فبرك فيها وفي نسخة بها وبركة بتشديد الرا المهملة
اي دعا بان يبارك فيها وان يجعل فيها البركة وهو الزيادة والنمو وامر بحملها
اي حمل القصعة بما فيها او بحمل الفضلة الى ازواجه اي الى بيوتهن وقال
لازواجه كلن واطعمن من غشيكن بفتح الغين المعجمة وكسر الشين ه

المعجمة اي كل من يأتي البكن من غير اهل البيت فقال عشه غشا وعشاه اذا
اتاه اتيانا ما قد غشيه اي ستره وفي حديث انس الذي رواه الشيخان مسندا
تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض ازواجه وهي صفية بنت حيي رضي
عنها في مرجعه من خيبر بمحل يسمى سد الصهبا قال انس رضي الله عنها فصنعت
امي وكنيته والدة انس ام سليم بضم السين مصغرا واسمها سهلة
وهي زوجة ابي طلحة الخزرجية الصحابية الصحالية الفاضلة وكان لها منزلة
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حليسا وقد تقدم انه طعام يصنع من
لبن واقط وتمر وسمن وحاس اي يخلط بعض بعض فجعلته اي وضعته في تور
بفتح المثناة الفوقية واسكانه وا مهملة وهو انا من صفر او حجارة واسع
رحراح كالصحيفة القريبة العقر ثم ذهبت بضم التا وهو ضمير المتكلم
به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضعه على الارض وادع لي
فلانا وفلانا ممن كان معدمة من كبار الصحابة وخصهم تشريفا لهم ثم قال
ومن لقيت اي وادع كل من صادفته فدعوتهم اي دعيته من عينه او لا وكلم
يقل دعوتهما اما لان قوله فلانا وفلانا مختصر كناية عمن عينه من القوم
او لان الاثنين جمع على قوله ولم ادع اي لم اترك احدا الا دعوته لعينه
الا دعوته كما امرني به وذكر انس القوم اي من دعاهم كانوا زهاء اي
مقدار ثلاثمائة رجل فاجتمعوا ثمة حتى ملوا الصفة وهي موضع
مظلل قدام البيت او سكة عليه فيه وليس المراد صفة المسجد المعهودة
والحجرة وهي البيت الصغير المفرد من الدار فقال لهم صلى الله عليه وسلم
بعد اجتماعهم تحلقوا تفعل اي استديروا حول الطعام كالحلقة طايفة
بعد طايفة من غير ازدحام عشرة عشرة ليسعهم مكان الطعام ووضع
النبي صلى الله عليه وسلم يده على الطعام الموضوع وهو الطعام الذي
جاء فدعا عليه بالبركة وقال ما شا الله ان يقول اي ما اراد الله من
دعائه الذي علمه وابهمه لانه اسره فلم يسمعوه لانه من الاسرار التي
خصه الله بها فاكلوا حتى شبعوا كلهم فقال صلى الله عليه وسلم لي اي
لانس ارفع التور بما فيه فما ادري حين وضع عنده قبل الاكل منه
كان الطعام اكثر ام حين رفع بالبنا للمجهول وفي بعض النسخ رفعته
ورفعته واعلم ان هذا الحديث ذكره بعينه عن انس قبل هذا الا ان عادته
هنا تقتضي ان القصة صحيح تكررها وانه وقع مرة في تزوجه صلى الله
عليه وسلم بزينب بنت جحش واخرى حين تزوج صفية وقد استشكله
المصنف في شرح مسلم فقال ما وقع في الحديث من انه تكثير الطعام كان

في

في وليمة زينب يخالف الروايات المشهورة من ان وليمتها كانت بالخبز
واللحم ولم يذكروا فيها الطعام وانما فيه انهم شبعوا من الخبز واللحم فيه
وهم من الراوي ادخل فيه قصة في قصة فان التكثير في قصة صفية لا في
وليمة زينب التي نزلت فيها اية الحجاب وتعقبه القرطبي بانه لا وهم
وانه لا مانع من الجمع بين الروايتين بان الذين دعوا للخبز واللحم اكلوا
وذهب منهم جمع وبقي اخرون فجاء انس بالحيس فدعا الناس كما
ذكره المصنف هنا وقال ابن حجر ايضا لا وجه لانكاره تكثير الطعام في
حديث الخبز واللحم فان انسا قال انه اولم بشاة اشبعت الناس وما نزل
حتى شبعهم وهم نحو الالف فالظاهر ان المصنف راي هنا تعدد القصة
ولذا صرح بزينب اولا ولم يسمها اشارة الى انها صفية الا انه فيه توقف
عندي من جهة اخرى فان وليمة صفية كانت في السفر وذكر الصفة والحجرة
ينافيه والحيس فيها صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم لام سليم
وما فيه من ان ام سليم اهدته له صلى الله عليه وسلم بعد قدومه
المدينة فوجا بغير وجه لا يخفى ما فيه من البعد وبعد كل كلام فكلام المصنف
فيه اضطراب يحتاج للتحرير واكثر احاديث هذه الفصول الثلاثة
اي نبع الما من بين اصابعه وانفجاره بدعوته وتكثير الطعام ببركته
في الصحيح من الاحاديث وكتبها المعتمدة وقوله اكثر اشارة المصنف
بعضها وقد اجتمع على معنى هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة
يعني توافقوا على ما يفيده المجموع بقطع النظر عن كل واحدة على حدة
وتقدم ان البضع بكسر البا من الثلاثة الى التسعة مع اختلاف في استعماله
فيما فوق العشرين والصحيح جوازه لوروده في الحديث وقوله بضع
وعشرين درجة في فضل الصلاة وتفصيله مشهور رواه عنهم اضعافهم
من التابعين ثم رواه عن الاصحاب من التابعين وتبع التابعين من لا
يعد بعدهم بصيغة المجهول وفي بعض النسخ من لا يعد بالنون واكثرها
اي اكثر احاديث الفصول الثلاثة في قصص مشهورة بحسب الرواية
ومجامع مشهودة جمع مجمع وهو محل يجتمع فيه الناس بكثرة قال
الفرزدق ۞ اذا جمعتنا يا جرير المجامع ۞
والمشهد من الشهود بمعنى الحضور وفيه تجنيس وتوارية بديعية وما يقع
بان كثيرا من الناس لا يمكن ان يكون غير واقع او منتقل ولا يمكن التحدث
عنها الا بالحق اي لا ينقل عن مثلها الا الامور الصادقة المحققة ولا يمكن
ان يسكت الحاضر في مجالس وقوعها اذا تحدث بها وضمن الحاضر

يعني الشاع تعداه باللام في قوله لها على ما ابكره منها مما خالف الموانع
فصل في كلام الشجر الاية بفا انه والشجر ما قام على ساق واحده شجرة
وما عداه نبات وقد يطلق على بعض النبات شجر كاليقطين والحنطة
والكلام ما يتلفظ به اسم وهي بمعنى التكلم وتكليمه له صلى الله عليه وسلم
بان خلق الله فيه نطقا فلما كان هذا امرا خارقا للعادة لم يخل من
معجزة فلا حاجة لذكره كما يستل وشهادتها له بالنبوة من عطف ه
الخاص على العام واجابتها دعوته اي طلبه صلى الله عليه وسلم منها
الاتيان نحوه كما سيأتي وذلك منها حديث رواه البيهقي والبزار والدارمي
مسندا عن ابن عمر وهو ما ذكره بقوله حدثنا احمد بن محمد بن علبون
بفتح العين المعجمة وسكون اللام وموحدة ممنوع من الصرف للعلمية
وشبه العجمة كزيدون وسعدون ومثله كثير في لسان اهل المغرب
الشيخ الصالح فيما اجازنيه عداه بنفسه لمفعولين وهو لغة
حكاها ابن فارس في المجمل وتعديه باللام والباء والاجازة الاذن بالرواية
عنه والكلام على انواعها ولغتها مفصل في ابن الصلاح وحواشيه فلا
حاجة لذكره هنا عن ابي عمرو الطلمنكي بالطاء المهملة واللام والميم
المفتوحات ونون ساكنة وكاف تقدم الكلام عليه وعلى نسبته عن ابي بكر
ابن المهندس المعروف بابن طاهر والمهندس بوزن اسم الفاعل ويقال
مهندز بالزاي وهو معرب وليس في لغة العرب دال بعدها زاي والهندسة
اسم علم معروف من الرياضيات وفي العرف العارف باحوال البناء عن
ابي القاسم البغوي نسبة الى بغ ويقال بغشور قرية بين مرو وهراة ه
واصلها بغشور يخفف وهنا هو عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان
الامام الحافظ الجليل البغدادي بن بنت احمد ابن منيع وليس هو البغوي
المشهور صاحب المصابيح والتفسير محيي السنة ومولده هذا في رمضان
سنة اربع عشرة ومائتين وتوفي ليلة عيد الفطر سنة سبع عشرة
وثلاثمائة وترجمته في الميزان قال حدثنا احمد بن عمران الاخنسي
بياء النسبة لاخنس بخاء معجمة ونون وسين مهملة بوزن افعل وقيل
انه اخنس بخير نسبة لقبيلة وهو كذلك في بعض النسخ وقيل
هما واحد وقيل اسمه محمد وتوفي في حدود الثلاثين ومائتين وكان
ببغداد والسلام قال حدثنا ابو حيان التيمي بحاء مهملة مفتوحة
ومثناة تحتية مشددة ملفوف لتيم قبيلة مشهورة وهو امام
ثقة اخرج له الستة وتوفي سنة خمس واربعين ومائة وهذا الحديث

منقطع

منقطع فانه سقط بين ابن عمران وابي حيان راو وهو محمد بن فضيل كما سياتي
في كلام المص وتردد في تعيينه البرهان ومثله لا يكون رجما بالغيب
وكان صدوقا وثقة ردا على من طعن فيه عن مجاهد تقدمت ترجمته
عن ابن عمر الصحابي المشهور رضي الله عنهما قال كنا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم في سفر فدنا منه اي قرب منه من الدنو اعرابي نسبة
الى الاعراب وهم سكان البادية من العرب وفي النسبة اليه وهو جمع حقه
ان يرد لمفرده كلام مشهور فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا اعرابي اين
تريد اي تقصد بمسيرك وسفرك هذا قال الى اهلي اي اريد مكانا فيه
اهلي ولم يعينه لانهم نزالة رحالة وعداه بالى لتضمنه معنى التوجه والارادة
متعدية بنفسها وانما قدم سؤاله تانيسا وازالة لما في نفسه من مهابته
صلى الله عليه وسلم فانه كان مهيبا لمن رآه وتوطينه لقوله قال هل لك الى خير
اي هل تنقاد وتذعن لخير مما انت فيه قال وما هو اي الخير الذي دعوتني له
قال تشهدان مخففة من الثقيلة لا اله الا الله وحده لا شريك له
حال لازمة اي متوحدا منزها عما يشاركه في ذاته وصفاته وفي كونه معبودا
بحق وقوله لا شريك له تاكيد لوحدانيته بعد تاكيد وان محمدا عبده ه
ورسوله قدم العبودية تنزيها لنفسه عن الاطراء في مدحه قال
الاعرابي من يشهد لك على ما تقول من دعوى الرسالة قال هذه السمرة
بفتح السين المهملة وضم الميم وراء مهملة مفتوحة وهي شجرة عظيمة
ذات شوك من الطلح واشار اليها لقربها منه وفي نسخة بعد ما تقدم
فادعها فانها ستجيبك قال فدعوتها وهي اي السمرة بشاطئ الوادي
بشين معجمة والف وطاء مهملة وهمزة بمعنى جانب وطرف والوادي الارض
الواسعة المنخفضة من ودى بمعنى سال لان فيها من المياه السائلة فاقبلت
الفا فصيحة اي فدعاها لتشهد له فاقبلت تخد الارض بمثناة فوقية
وخاء معجمة مضمومة ودال مهملة مشددة اي تشقها ومنه الاخدود ه
وشقها للتشبيه بعروقها التي في جوف الارض ولولا ذلك لم يتحرك حتى ه
وقفت بين يديه صلى الله عليه وسلم بان قامت محاذية له قريبا منه
فاستشهدها ثلاثا اي قال لها ثلاث مرات وطلب منها ان تشهد بانه
رسول الله وجملة تخد الارض حالية اذ شهادتها وانما كرر استشهادها
تاكيدا لليقين وذلك في قلب الاعرابي فشهدت له بانه رسول الله كما قاله
ارسله الله الذي لا شريك له ولم يبين ما نطقت به لانه معلوم من السياق
ثم رجعت الى مكانها الذي كانت فيه وفي هذه القصة معجزات له صلى الله

عليه وسلم خلق الله في الجماد ادراكا وانطقه وحركه ارادية حتى تهاوى بها وتذهب
وتعود وتعف على سبيل التحدي فهذه المعجزة منطبق على كل واحدة منها وفي
حديث رواه البزار مسندا عن بريدة بضم الموحدة وفتح الرا المهملة
ومثناة تحتية ودال مهملة علم منقول من مصغر البردة المعروفة وهو ابو
عبد الله ابن الحصيب مصغر حصب بمهملتين وموحدة وهو صحابي اسلم قبل
بدر وشهد الحديبية ومات بمرو خراسان غازيا في ايام معاوية او يزيد سنة
اثنين او ثلاث وستين من هجرته صلى الله عليه وسلم سال اعرابي النبي
صلى الله عليه وسلم اية اي علامة ومعجزة تدل على انه رسول الله حقا يؤمن
به فقال له قل لتلك الشجرة مشيرا لشجرة كانت ثمة وهي تلك الشجرة
كانت ثمة وهي تلك الشجرة المذكورة في الحديث الذي قبله او غيرها رسول
الله يدعوك بكسر الكاف اي يطلب منك المجي اليه والحركة نحوه قال
اي بريدة فدعاها قالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها
وخلفها اي مالت ميلا شديدا وتحركت في جهاتها الاربع حتى تخلص ه
عروقها من الارض وتمكنها الحركة نحوه صلى الله عليه وسلم فقطعت
عروقها المتمكنة في مغرسها وهو اما على ظاهره او المراد انها تخلصت وهذا
هو الظاهر من قوله ثم جاءت تخد الارض وتشقها تجر عروقها من خلفها
وهذا يدل على انها لم تنقطع ولو تقطعت فسدت ولم تبق نابتة حالها
وتنبيه انه معجزة اخرى مخالفة للعادة من بقائها بعد تقطع عروقها التي
هي سبب حياتها والجملتان حالان مترادفتان او متداخلتان والثانية
مؤكدة للاولى ولذا لم يعطف عليها مغبرة اي مسرعة في مشيها قال تعالى
فالمغيرات صبحا ومنه الغارة على العدو وهو منصوب على الحال ايضا
ومغبرة اسم فاعل من الغارة وبعد الغين المعجمة مثناة تحتية ساكنة ورا
انه بنا موحدة مشددة مكسورة ورا مهملة مخففة وقيل
الغين ساكنة والبا مفتوحة مخففة والرا مفتوحة مشددة من الغبار
وهو حال من الفاعل المستتر او من العروق ولكل منهما ذهب بعض حتى
وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا منه مواجهة له
حتى وقفت بين فقالت السلام عليك يا رسول الله وفيه شهادة ه
برسالته ونبوته ولم يذكر انه رد عليها السلام لان السلام انما شرع تحية
موجبة للرد في حق البشر لانها ليست من اهله كما وقيل
من انه صلى الله عليه وسلم رد عليها السلام مكافاة لها لا وجوبا اذ ليست
مكلفة امن يحتاج للنقل فكان عليه بيانه والسلام دعا بالسلامة وقيل

دلجي

دلجي

انه هنا اسم لله اي الله معك حفيظ لك وفيه كلام ليس هذا محله قال
الاعرابي مرها بضم الميم امر اصله او امرها لحففت فلترجع الى منبتها والتغيير
للامر ومنبتها بكسر البا موضع نباتها ويجوز فتحها فامرها فرجعت لمحلها
فدلت عروقها اي ادخلتها في الارض اصلها فاستوت اي انتصبت قائمة
من غير ميل لها فقال الاعرابي لما راى هذه المعجزة فامن به صلى الله عليه وسلم
ايذن لي امر من الاذن بكسر الهمزة الاولى وسكون الثانية ويجوز ابدالها ياء ه
اسجد لك مجزوم في جواب الامر او جوابه شرط مقدر اي ان تاذن لي في السجود
اسجد لك فابى صلى الله عليه وسلم ذلك وقال لو امرت احدا ان يسجد لاحد
اي لو جاز لي امر مخلوق بالسجود لمخلوق مثله لامرت المراة ان تسجد لزوجها
لوجوب طاعته عليها ولما له عليها من الحقوق الموجبة للتعظيم والخضوع ه
والسجود والركوع لا يجوز لغير الله في ملتنا وقد قيل انه كان جائزا في ه
الشرائع التي قبل شريعتنا بقصد التعظيم لا العبادة ولذا قال تعالى
ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا وكان الضمير ليوسف عليه الصلاة
والسلام ولذلك جاز سجود الملائكة لادم عليه وعليهم الصلاة والسلام
ثم نسخ هذا في شريعتنا وكان ذلك تحية الملوك عندهم ولذا طلب
الاعرابي الاذن في تعظيمه عليه الصلاة والسلام لذلك فنهاه عنه وكذلك
الانحنا على هيئة الركوع نهينا عنه وعوضنا عن ذلك تحية الناس بالسلام
والمصافحة فقال الاعرابي لما نهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن السجود
فاذن لي اقبل مجزوم في جواب الامر يديك ورجليك تعظيما لك فاذن له
في تقبيل يديه ورجليه فقبلهما وفيه دليل على جواز تقبيل اليد والرجل من
الفاضل كما مضى وذلك اذا كان لزهده وصلاحه او علمه وشرفه ولنسبه مكروه
بل يستحب اذا التعظيمه لامر ديني كما قاله النووي في الاذكار فان كان لامر دنيوي
فهو مكروه وقد ورد في احاديث كثيرة صحيحة تقبيل يد النبي صلى الله عليه
وسلم وهذا رد على المتولي من ائمة الشافعية حيث اطلق القول بعدم جوازه
وفي الصحيح اي الحديث الصحيح او المراد به صحيح مسلم لانه رواه هنا
الحديث مسندا ابنه في حديث جابر بن عبد الله الطويل بالجر صفة الحديث
وصفه به لتوجيه عدم ايراده بتمامه هنا ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى الصحرا يقضي حاجته لانه لم يكن في بيته خلا وهكذا اسايرونهم وهو
كناية عن التغوط اي ذهب لاجل ذلك فلم ير شيئا يستتر به اي حايلا بينه ه
زائدة اي فاجاه نعتة من غير ترقب منه اي فاذا هو فالمبتدا مقدر هنا
في شاطئ الوادي بالهمزة اي طرفه وجانبه فانطلق رسول الله صلى الله

عليه وسلم الى احداهما اي توجه الى احدى الشجرتين حتى قرب منها **فاخذ**
بغصن من اغصانها اي امسكه صلى الله عليه وسلم بيده **فقال** للشجرة
انقادي علي اي طاوعيني ومثلي علي لتكوني ساترة له عن الاعين **باذن**
الله اي بتيسيره وتسهيله وارادته لا بقوة جدلي وان اذن الله بنحوه
به تجوزا مشهورا **فانقادت معه** اي طاوعته ومالت حتى سترته كما اراد
وانما امسك غصنها ولم يكتف بمجرد دعوتها كما في الحديث الذي قبله
لان ذلك كان لاظهار المعجزة حتى يسلم الاعرابي وهنا لم يقصد ذلك ه
كالبعير المخشوش اي كانقياد البعير المخشوش لمن يقوده لسهولته وهو
اسم مفعول لخا معجمة وشين معجمتين وهو الذي يوضع في انفه خشاش ه
بكسر الخاء البعير الذي تخشونه وهو بخرق انفه ويوضع فيه شي يذلل به
فان كان عودا من خشب فهو خشاش وان كان مفتولا من وبر ونحوه فهو
خزام وان كان من نحاس ونحوه من المعدنيات فهو برة كما قاله الخطابي
وبهذا علمت موقع قوله المخشوش هنا لان الغصن من جنس العود
فلذا لم يقل المخزوم وهي نكتة سرية لم ينبهوا عليها والتشبيه في السرعة
والسهولة وفيه تشبيه الشجرة بالبعير وهو واقع في كلامهم كعكسه
في قوله في الابل ه

لمن شجر قد انقلتها ثمارها ٭ سفاين بر والسراب بحارها ٭

والخشاش ماخوذ من قولهم خش بمعنى دخل لادخاله في الانف وقوله
الذي يصانع قايده صفة البعير وهو يطلق على الذكر والانثى كما مر
والمصانعة مفاعلة من الصنع وهو العمل والمراد به الملاينة وسهولة
الانقياد مستعار من المصانعة وهي المداراة والاعطا ولذا قيل للرشوة
مصانعة كما قاله الراغب **وذكر** اي جابر رضي الله عنه في حديث
هذا **انه** صلى الله عليه وسلم **فعل بالاخرى** اي بالشجرة الاخرى التي
كانت بالوادي **مثل ذلك** اي مثل ما فعل بالاولى بان امسك غصنا منها
حتى انقادت له صلى الله عليه وسلم بسهولة **حتى اذا كان** صلى الله عليه
وسلم اي حل ووجد **بالمنصف** بفتح الميم وسكون النون وفتح الصاد ه
المهملة المخففة اي حل في وسط المكان **بينهما** اي بين الشجرتين وهذا
استرله **قال التئما** بفتح المثناة الفوقية وكسر الهمزة اي انضما
واجتمعا **علي باذن الله** بتيسيره وارادته والالتئام الاجتماع ومنه
التئام الجرح والاو الاستتار من روية العورة واجب اذا كان عنده
من لا يغض بصره ممن يحرم نظره اليها وهذا لا ينافي كون هذا

معجزة

معجزة له صلى الله عليه وسلم فانه اللازم التستر باي وجه كان **وفي رواية**
اخرى لحديث جابر رضي الله عنه من غير طريق مسلم **فقال** صلى الله
عليه وسلم **يا جابر قل لهذه الشجرة** التي بشاطي الوادي **يقول لك رسول**
الله صلى الله عليه وسلم الحقي بصاحبتك اي تحركي واذهبي حتى تكوني مع الشجرة
الاخرى وسماها صاحبتها لكونهما في واد واحد او باعتبار ما يؤول اليه اللحوق
والانضمام **حتى اجلس** لقضا الحاجة مستترا **خلفكما ففعلت**
بزاي معجمة وحا مهملة وفا وفي نسخة فرجعت برا وعين مهملتين بينهما جيم ه
حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما بان جعلهما بينه وبين الناس قال جابر رضي
الله عنه **فخرجت احضر** بضم الهمزة وسكون الحا المهملة وكسر الضاد المعجمة
والرا المهملة اي اسرع في العدو من الحضر بالضم والسكون قال الجوهري ه
الحضر بالضم العدو ويقال احضر الفرس احضارا واحتضر اذا عدا انتهى فهو
مضارع المزيد للمتكلم كاكرم يكرم **وجلست احدث نفسي** حديث النفس ه
مجاز عما يخطر بالبال من هذه الامور العجيبة والمعجزة الشريفة التي
شاهدها رضي الله عنه من معجزاته صلى الله عليه وسلم وانما اسرع وعدا
لما كان تعلمه منه من المبالغة في التستر والابعاد عن الناس اذا قضى حا
جته لشدة حيائه صلى الله عليه وسلم حتى انه كان يذهب وهو بمكة لقضا
حاجته الى المغمس وهو مكان بينه وبين مكة نحو ميلين ولذا تادب ولم
يمش على ثوره حتى يقضي صلى الله عليه وسلم منتظرا لبعده عنه **فالتفتت**
اي حولت وجهي وانا جالس الى جانبه لانظر ما حدث بعد الحدث **فاذا**
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا الحايبة اي فاجاني رؤيته بعد التفاتي
فابصرته **مقبل** اسم فاعل من الاقبال مرفوع خبر رسول الله صلى الله ه
عليه وسلم وفي نسخة مقبلا بالنصب على الحالية من حقه اي جا مقبلا
والجملة خبر المبتدا او الحال مؤكدة كولي مدبرا **واذا الشجرتان قد افترقتا**
وعادتا كل واحدة منها لمحلها وهي جملة اسمية حال من الضمير المستتر في
مقبل **فقامت كل واحدة منهما على ساق** منتصبة في منبتها مفارقة
لصاحبتها والساق حقيقته فيما قام عليه الشجر وما لا ساق له فهو نجم ونبته
فاذا ظهر على وجه الارض فهو عشب فاذا غطى الارض فهو كلا كما فصله
اهل اللغة **فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفة** يسيرة لينتظر
لما اكرمه الله به من مشي الشجر لاجله **فقال براسه** اي حركه **هكذا**
وفسره بقوله **يمينا وشمالا** منصوب على الظرفية اي في جانب اليمين والشمال
وقال هنا بمعنى مال اي ميل راسه الشريف في الجهتين قال في القاموس

قال ابن الانباري يحكى قال المعاذ يقولون قال فاكل وقال فضرب وقال للتكلم ومال
واقبل الى اخر ما نصه وقيل قال هنا مجاز عن الاشارة لاشتراكهما
في الافهام وقيل انه ادلا لهما في الرجوع الى مكانهما وهو لا يوافق
قوله فقامت كل واحد منهما على ساق فتدبر وروى اسامة بن زيد
في حديث اخرجه البيهقي في الدلايل وابو يعلى بسند حسن عنه نحوه اي
بمعنى الحديث الذي قبله قال اسامة قال لي رسول الله صلى الله
عليه وسلم في بعض مغازيه جمع مغازة بمعنى الغزاة او محلها كما مر هل
استفهام ثم تحديث المستفهم عنه للعلم به اذا استهجان ذكره اولانه لم يتحقق
اولم يفهمه اولم تجده في اصله اي هل ترى مكانا لا يقال تقضا الحاجته
والنداء اشاره لقوله يعني مكانا لحاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحاجة هنا كناية عن البول والغايط فقلت ان الوادي ما فيه
موضع بالناس اللام سببية وما نافية اي ما فيه موضع خال بسبب نزول
الناس فيه فهو مملو بهم فقال هل ترى من نخل او حجارة من تبعيضية يمكن ان
يستتر بها كالنخل الذي يقضي الحاجة خلفه ويكون فيه سترة ومن زايدة
بعد الاستفهام قلت ارى نخلات جمع نخلة متقاربات اي قرب
بعضها من بعض وهو مناسب للستر بها للجلوس بينها وروي متكاربات
بالكاف وهي لغة بمعنى متقاربة والكاف تبدل كثيرا وقيل في الشواذ
لا تكهر في لا تقهر وانه بصرية وكونها علمية بعيد فهي صفة نخلات
منصوبة قال انطلق وقل لهن اي للنخلات ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يامركن ان تاتين اي تجتمعن وتتزايدن بكن ليكون استر له
لمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم اي لمكان خروج اليه لقضا حاجته
فيه وقل للحجارة مثل ذلك اي مثل قولك للنخلات من امره صلى الله عليه وسلم
لها ان تاتين لمخرجه وفي كلام اسامة تعلم بامر الحجارة اما لعدم الحاجة اليها
مع النخيل اولانها لم تكن مرفوعة حتى تجد سترة فقلت
ذلك لهن الفاء فصيحة اي فذهبت فقلت ما امرني به لهن فوالذي
بعثه بالحق نبيا اي بالدين الحق لقد رأيت النخلات يتقاربن اي يدنوا
بعضها من بعض حتى اجتمعن في مكان واحد والحجارة بالنصب
يتعاقدن اي ينضم بعضها الى بعض حتى تصير كالبنيان المعقود ه
بعضه ببعض حتى صرن ركاما بضم الراء المهملة اي بعضها فوق بعض
خلفهن متعلق بركاما والضمير للنخلات يعني ان الحجارة اجتمعت
مع النخل وفي نسخة تجلس خلفهن فالضمير للنخلات والحجارة فلما قضى ه

حاجته قال لي قل لهن يفترقن اي ترجع كل نخلة وحجرة الى موضعه الذي كان
فيه اولا فوالذي نفسي بيده اي الله الذي روحي في قبضته يتصرف وارادته
ان شاء ابقاها وان شاء اماتها والنفس تطلق على معان مشهورة منها الروح وغاير
بين القسمين تفننا مع ما سبق الاول للقسم عليه من ان له دينا حقا وهو رسول
له معجزات منها ما ذكر وما سبق الثاني لحال الدين ان من امن بالله وخشيه لا يتكلم
الا بالحق لاسيما في ما ذكر لقد رأيتهن والحجارة بالنصب عطف على الضمير او هو
مفعول معه والضمير للنخلات واللام في جواب القسم يفترقن حتى عدن
الى مواضعهن وفيه معجزات له صلى الله عليه وسلم في سعي النخل والحجارة بامره
مرتين وخلق الله فيها قوة تسمع وتاتمر بامره والحديث طويل وفيه معجزات
اخر منها ان امراة اتت له صلى الله بولد لها صغير كان يصرع فتفل في فيه فلم يجد له
ذلك وان امراة اتت له صلى الله عليه وسلم بشاة فشواها اسامة له فقال له
ناولني منها ذراعا فناوله ثم قال ذلك فناوله ثم قالها فقال اسامة انها غير
ذراعين فقال لو سكت لم تزل تناولني منها وكان ذلك في سفره للحج بجمل يناله
له الروحا وقال يعلى ابن سيابة في حديث صحيح رواه احمد والبيهقي والطبراني مع
بزيادة يرضي على منقول من المضارع وسيابة بفتح السين المهملة وتشديد الياء
المثناة التحتية والف وموحدة بلفظها اسم امه فيرسم ابن بالالف وابوه مرة
ابن مرازم وقيل مرة بن وهب الثقفي وقيل انهما اثنان وهو صحابي ه
بصري او كوفي وترجمته مفصلة في الاصابة والرواية عنه نادرة وهو من اهل الشجرة
كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير بفتح الميم مصدر ميمي او اسم زمان
او مكان قيل والاول اولى وذكر نحوا من هذين الحديثين
اللذين قبله في ذهابه لقضا حاجته وامره للشجرتين غير انه قال
وذكر فامر وديتين تثنية ودية بفتح الواو وكسر الدال المهملة والمثناة
المشددة قبل الهاء وهي صغار النخل التي تخرج من اصول كبارها فتنقل وتغرس
وتسمى فسيلا وفراخا فانضمتا اي انضمت احديهما للاخرى كما مر وفي
رواية اشاءتين بفتح الهمزة وفتحها وكسرها في بعض النسخ خطا وشين
معجمة والف ممدودة وهمزة وتاء تانيث مثنى اشاة وهي من صغار النخل ه
ايضا لكنها اكبر من الودية وهمزتها الثانية منقلبة عن يا وقيل اصلية
وعن غيلان بن سلمة الثقفي في تجربة وغيلان بفتح الغين المعجمة وتحتية
مثناة ولام ونون وهو غيلان بن سلمة بن معتب بوزن المعلم بالتشديد
ابن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف الصحابي الشاعر اسلم
بعد الطايف وتوفي اخر خلافة عمر وهو الذي اسلم على عشر نسوة وفي هذه

الرواة لم تعين الشجرتان وعن ابن مسعود مثله في غزاة حنين اسم موضع
معروف وغزوة حنين كانت بعد الفتح بسنة كما فصل في السير وضمير
مثله راجع لما ذكر من أمر الشجرتين وعن يعلى بن مرة وهو ابن سيابة أيضا
اشارة الى ما مر من الاختلاف في اسم أبيه كما عرفته آنفا وان سيابة اسم أمه
وذكر أشياء رآها من رسول الله صلى الله عليه وسلم أي ذكر ابن سيابة أمورا
خارقة للعادة من معجزاته صلى الله عليه وسلم شاهدها منه صلى الله عليه
وسلم شاهدها منه صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة فذكر ان طلحة
أو سمرة بفتح المهملة وضم الميم نوعان من شجر البرية ذات شوك لشبه العضاة
وأو للشك من الراوي في تلك الشجرة جاءت فطافت به صلى الله عليه وسلم
أي دارت حوله وفي بعض النسخ فأطافت بهمزة قبل الطاء المهملة وهو
بمعناه يقال طاف وأطاف وتطوف واستطاف بكذا اذا ألم به ودار حوله
وأما كونه من الطوف بمعنى الغائط ويقال منه اطاف وطاف اذا ذهب
الى البراز ليتغوط وانه أسند الى الشجرة مجازا فتكلف لا حاجة اليه ولبشع
في هذا التجوز بمعنى حسن يرتكب لأجله وان كان صحيحا بحسب اللغة
ولا يناسبه قوله بعده ثم رجعت الى منبتها أي موضعها الأول الذي هو
نبتت فيه فقال صلى الله عليه وسلم انها أي تلك الشجرة استأذنت
ان تسلم علي أي استأذنت ربها ويجوز أن يكون هذا مجازا أي المعنى انها طلبت
من الله أن يعطيها قدرة كقدرة العقلاء من المشي اليه صلى الله عليه وسلم
والسلام عليه بالمقال لا بلسان الحال وهذا أصرح في انه لم يكن للتغوط
كما قيل وفي حديث عبد الله ابن مسعود الذي رواه الشيخان مسندا
آذنت بالمد بمعنى أعلمت وفاعله شجرة الآتي وقوله النبي صلى الله عليه
وسلم بالنصب مفعوله وبالجن متعلق به أي بحضورهم عنده صلى الله عليه
وسلم واستماعهم منه القرآن ليلة استمعوا له منصوب على الظرفية أي في
الليلة التي استمعوا قراءته صلى الله عليه وسلم للقرآن شجرة وفيه دلالة
على انه صلى الله عليه وسلم لم يرهم عيانا في هذه القصة وانما كانوا عنده
وهو لم يرهم وانما نطقت الشجرة وأعلمته بحضورهم واستماعهم وفي
هذه القصة كلام ستفصله وعن مجاهد عن ابن مسعود في هذا
الحديث الذي رواه الشيخان ان الجن قالوا له صلى الله عليه وسلم لما
اجتمعوا به من يشهد لك بانك رسول الله قال هذه الشجرة ثم دعا
للشهادة فقال تعالي يا شجرة بفتح اللام وسكون الياء التحتية وهو
أمر من تعالى يتعالى بالطلوع فكان عاليا ثم عم وصار بمعنى أقبل مطلقا وكثر

اللام

اللام قال كثير من النحاة انه لحن ولم يرتضه الزمخشري وقال انه قرئ به في
الشواذ وانه لغة وعليه قول أبي فراس وهو أسير يسمع تغريد حمامة
شوقته لأوطانه

ومعاهده واخوانه … أقول وقد ناحت بقربي حمامة
أيا جارتا هل بات حالك حالي … معاذ الهوى ما ذقت طارقة النوى
ولا خطرت منك الهموم ببالي … أتحمل محزون الفؤاد قوادم
الى غصن نائي المسافة عالي … أيا جارتا ما أنصف الدهر بيننا
تعالي أقاسمك الهموم تعالي … تعالي تري روحا لدي ضعيفة
تردد في جسم يعذب بالي … أيضحك مأسور وتبكي طليقة
ويسكت محزون ويندب سالي … لقد كنت أولى منك بالدمع مقلة
ولكن دمعي في الحوادث غالي … فجاءت امتثالا لأمره صلى الله عليه وسلم اذ

قال تعالي تجر عروقها لأنها لما خرجت من محلها أخرجت عروقها التي
كانت في داخل الارض فلما مشت جرت خلفها لها أي لعروقها أو للشجرة
نفسها قعاقع أي صوت قوي كصوت الرخام وهو جمع قعقعة وهي حكاية صوت
الحركة من الأجرام الصلبة وقيل يجوز أن يراد به صوت كلام جوهري لها اذا
نطقها الله أو الصوت من شق الأرض كما مر لها جابة تحت الارض أو صوت
اصطكاك اعضائها وقال الحافظ العراقي حديث مجاهد عن ابن مسعود
رضي الله عنه مرسل نقلا عن شيخه العلائي وابن الصلاح وذكر مجاهد
مثل الحديث أي ما يشابهه لفظا ومعنى أو نحوه أي قريبا منه وان لم
يكن بينهما شبه تام ونحو يكون بمعنى مثل مطلقا ويكون بمعنى ما يقرب منه
وان لم يكن مثله وهو المراد هنا للجمع بينهما وقوله في أول الحديث ان الشجرة
أعلمته بالجن يقتضي انه لم يرهم وقوله بعده انهم قالوا له من يشهد لك ه
يقتضي انه رآهم وخاطبهم وتناقض فيه لأن القصة تعددت وتحقيقها في كتاب
آكام المرجان في أحكام الجان انه صلى الله عليه وسلم لما أيس من ثقيف رجع
من الطائف فسلكته تقام نخلة يصلي جوف الليل فمر به نفر من الجن من
نصيبين وسمعوا قراءته فأسلموا وأتوا قومهم منذرين كما أخبر الله عنهم
بقوله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الخ في هذه القصة كما في الصحيحين
لم يقرأ عليهم ولا رآهم وانما كانت الشياطين لما حيل بينهم وبين خبر السماء
تفرقوا في الارض ليعلموا سبب ما حدث فمر به صلى الله عليه وسلم فمنهم
من جاء تهامة وهو راجع من عكاظ وقد قام يصلي الفجر بأصحابه فلما
سمعوا قراءته صلى الله عليه وسلم قالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر

استمعوا ورجعوا اخبروا قومهم وانزل الله عليه قل اوحي السورة كما قاله
ابن عباس رضي الله عنهما قال البيهقي وهذا كان في اول امره ولم يرهم واتاه
مرة اخرى داعي الجن فرآهم وقرا عليهم كما رواه ابن مسعود وفي القصة الاولى
لم يرهم وانما اعلمه بهم الشجرة وروي انه صلى الله عليه وسلم قرا عليهم سورة
الرحمن فكانوا كلما قال فباي آلاء ربكما تكذبان قالوا ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب
فلك الحمد وابن مسعود اعلم بقصة الجن من ابن عباس لانها كانت قبل الهجرة
سنة احدى عشرة من النبوة وابن عباس طفل وقال السهيلي رحمه الله انهم
كانوا يهود ولهذا قالوا من بعد موسى دون عيسى كما ذكره ابن سلام واختلف
في عددهم فقيل سبعة وقيل تسعة وفي مسلم انه قيل لابن مسعود هل
صحب احد منكم النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن قال لا ولكنا فقدناه ليلة
فالتمسناه في الاودية فلم نجده فبتنا بشر ليلة فلما اصبحنا جاء من قبل حراء
وقال اتاني الليلة داعي الجن فذهبت معه وقرات عليهم القرآن وانطلق
بنا وارانا آثارهم وآثار نيرانهم وذكرنا ما امرهم به من الزاد وهذه غير الليلة
التي اعلمهم بها وذهب معه ابن مسعود وخط له خطا وغاب عنه ثم
عاد اليه وكانت بمكة وقد قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه من احب
منكم ان يحضر الليلة امر الجن فليفعل فلم يحضر احد منهم غيري
فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة خط لي برجله خطا ثم قال لي
اجلس فيه ثم انطلق حتى قام فقرا فغشيته اسودة حالت بيني وبينه
صلى الله عليه وسلم ثم انصرفوا امثال قطع السحاب الى الفجر ثم اتاني وفي
هذه الرواية ان ابن مسعود قال سمعتهم يقولون من يشهد انك
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى آخر ما ذكر من قصة الشجرة وما هنا
من اعلامه لهم وخروجه معه الخ وما روي عنه من انهم التمسوه
وباتوا بشر ليلة يدل على ان قصة الجن تعددت وقول البيهقي
انها واحدة لا يمكن فيه الجمع بين الروايتين ويعينه ما رواه ابو نعيم في
دلائله من ان القصة كانت بالمدينة بالبقيع وروي ابن الزبير انه
حضرها بالمدينة فهذه ثالثة وذكر شيئا عن بلال باحاديث مفصلة
ثم قال ومجموع الاحاديث ان وفادة الجن عليه صلى الله عليه وسلم كانت
ست مرات الاولى لم يشعروا بها والتمسوه فيها فلم يجدوه والثانية
كانت باعلى مكة في الجبال والثالثة ببقيع الغرقد قد حضرها ابن
مسعود رضي الله عنه وخط عليه الخط والرابعة كانت مع ابن مسعود
ايضا والخامسة خارج المدينة مع ابن الزبير والسادسة في بعض اسفاره

مع بلال رضي الله عنه ولكل منها حديث مسند ان اردته فانظر الكتاب
المذكور فانه لم يصنف في معناه مثله اقول وفيما ذكرناه معجزات
اخر منها انقياد الجن له صلى الله عليه وسلم باختيارهم وهي اعظم من تسخيرهم
لسليمان عليه الصلاة والسلام ومنها كلام الشجرة له ومنها سعيها له وعودها
لمحلها بعد خروج عروقها من منبتها وهو امر خارق للعادة وفي الحديث فوائد
كراهة الاستنجاء بالعظم ومنها ان غيره صلى الله عليه وسلم بعث للجن كموسى
عليه الصلاة والسلام وانهم مكلفون وقد اختلف هل بعث منهم رسول ام لا
فقيل منهم رسول يسمى يوسف وثمة فوائد اخر لا يسعها نطاق البيان هنا
قال القاضي ابو الفضل هو المصنف رضي الله عنه وهذا اكده لما تقدم
بقوله فهذا ابن عمر وبريدة وجابر وابن مسعود ويعلى بن مرة واسامة
بن زيد وانس بن مالك وعلي بن ابي طالب وابن عباس وغيرهم الى قوله
قد اتفقوا على هذه القصة نفسها يعني كلام الشجر او معناها بما يدل
على ذلك وقد رواه عنهم اي عمن ذكر من الصحابة من التابعين اضعافهم
لتعدد طرقهم والضعف هو المثل او الثلاث فصارت في انتشارها اي
اشتهار رواياتها عنهم من القوة حيث هي يعني انها نقلت عن كثير من
الصحابة والتابعين حتى بلغت المتواتر المعنوي وصارت في مرتبة
قوية لا يشك فيها احد من العقلاء وحيث ظرف مكان مضاف لجملة وهي ضمير
القصة مبتدا خبره محذوف تقديره هي معروفة مشهورة وذكر ابن فورك
تقدم الكلام عليه وعلى صرفه نونه وعدمه وانه امام ثقة جليل القدر
انه صلى الله عليه وسلم سار في غزوة الطائف اسم بلدة قريبة من مكة
كثيرة المياه والاشجار يقال ان جبريل اقتطعها من ارض صنعاء وهي المذكورة
في سورة ن في قوله تعالى فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون والطائف
هو جبريل عليه الصلاة والسلام اقتلعها وطاف بها حول البيت ثم انزلها
حيث هي كما نقله السهيلي عن بعض المفسرين قال فلذا سميت بالطائف
وهذه الغزوة كانت في السنة الثامنة من الهجرة ليلا متعلق بسار
وهو وسن بوزن حذر والوسن قريب من النعاس وفي فقه اللغة في مراتب
النوم اوله النعاس ثم الوسن ثم الترنيق ثم الكرى والغمض ثم التغفيق
ثم الاغفاء ثم التهويم ثم الغرار ثم التهجاع وهو الهجوع يعني انه صلى الله
عليه وسلم نعس وهو سائر على دابته بحيث لا يرى ما في طريقه فاعترضته
سدرة اي وقع اتفاقا ان شجرة في طريقه اتته دابته لها بحيث كادت
تمنعه عن سيره لسدها طريقه وهو صلى الله عليه وسلم لنومه لم يعدل

عن الطريق اخرى فاذا هو جنب له نصفين اي انشقت وتباعد بعضها عن بعض
بحيث صار بينهما فرجة يمر فيها الراكب حتى جاز بينهما اي بين النصفين
وبقيت الشجرة شجرتين على ساقين قائمة الى وقتنا اي الى زمن ادركه
ابن فورك وهي هناك اي في الارض التي فيها من الطايف معروفة
معظمة لانها من اثار معجزاته صلى الله عليه وسلم ومن ذلك اي من معجزاته
صلى الله عليه وسلم في الشجر ما ورد في حديث رواه الدارمي وابن ماجة
والبيهقي كما قاله السيوطي حديث انس ان جبريل عليه الصلاة والسلام
قال للنبي صلى الله عليه وسلم وراه حزينا جملة حالية اي وقد راه محزونا
لعدم اطاعة قومه له في اول البعثة اذ عرض نفسه على القبايل اتحب ان
اريك اية اي معجزة تزيل حزنك لانه اذا اطاع دعوته الجماد دل ذلك على ان
الناس ستطيعه ولكن تاخيره لحكم خفية قال نعم احبه ولكن ليزول
حزني واعلم ان الله سينصرني ويلين قلوب قومي لاجابة دعوتي فنظر رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى شجرة من وراء الوادي الذي كان فيه
مع جبريل فقال جبريل له صلى الله عليه وسلم ادع تلك الشجرة
اي امرها بان تاتي اليك ولم يدعها هو ليكون معجزة له لا لجبريل كما توهم
فامرها فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه صلى الله عليه وسلم بمكان قريب
منه ثم قال مرها فلترجع الى مكانها التي كانت فيه فامرها فعادت
الى مكانها كما كانت وعن علي كرم الله وجهه نحوه قال السيوطي
لم اجده عن علي وانما هو عن جابر رضي الله عنه ولم يذكر فيها اي في
هذه الرواية جبريل وكلامه له وانما الذي فيه انه صلى الله عليه وسلم
قال اللهم ارني اية اي معجزة تلزم من رآها دالة على اني مستجاب
دعوتي وبعيد بلاغي واللهم معناه يا الله كما فصل في النحو لا ابالي من كذبني
بعدها لانها معجزة قطعية لا يفيد انكارها وجحدها عنادا ولا ابالي
بمعنى لا اعتد ولا التفت لمن خالفها قال ابن فارس رحمه الله في المجمل
اشتبه على اشتقاق لا ابالي فرايته قول ليلى الاخيلية
تباليه واياهم هبالة نحدثا * ورود القطا الاجم برمتي
اذ فسر تبالي بالمبادرة للاستقا يقال تبالي القوم اذا تبادروا الماء عند
قلته وانتظار بعضهم لبعض بقولهم لا ابالي معناه لا ابادر الى اقتنايه
بل انبذه ولا اعتد به انتهى فدعا شجرة وذكر مثله من مجيئها ورجوعها
وحزنه بالنصب اي التعب والكدر كما مر لتكذيب قومه له في اول امره
وطلبه الاية لحزنه اي لقومه المكذبين لا له صلى الله عليه وسلم لانه على

يقين

يقين من امره وعلمه بقدرة ربه وذكر ابن اسحاق مما رواه في سيرته ورواه
ابو نعيم والبيهقي عن ابي امامة بسند من طريقين موقوفا ومرسلا انه النبي
صلى الله عليه وسلم اري ركانة مثل هذه الاية في شجرة دعاها فاتت
حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعي فرجعت كما مر قريبا في الحديث الذي ذكره
لكن وركانة بضم الراء المهملة وفتح الكاف المخففة والف بعدها نون وهاء
وهو ركانة بن عبد بن يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف القرشي المكي الصحابي
الذي اسلم عام الفتح وتوفي بالمدينة في خلافة معاوية رضي الله عنه سنة اثنتين
واربعين وكان اشد الناس قويا جسيما معروفا بالقوة في المصارعة بحيث
انه لم يصرعه احد قط ولم يمس جنبه الارض مغلوبا قط وقد صح انه صلى الله
عليه وسلم صارعه فصرعه واما مصارعته لرجل اخر يقال له ابو جهل
فلم يصح كما قاله المقدسي وكان قبل اسلامه يرعى غنما له بواد اضم بالمدينة
وهو من افتك الناس واشدهم فخرج صلى الله عليه وسلم يوما من بيته وتوجه
لذلك الوادي فلقيه ركانة وليس ثمة احد غيرهما فقال له انت الذي
تشتم الهتنا وتدعو الهك العزيز ولولا رحم بيني وبينك لقتلتك ولكن
ادع الهك ان ينجيك مني اليوم وانا ادعوك لامر وهو ان تصارعني وتدعو
الهك ان ينجيك مني اليوم وانا ادعوك لامر وهو ان تصارعني وتدعو الهك
وادعو اللات والعزى فان غلبتني فلك من غنمي هذه عشرة تختارها
فصارعه صلى الله عليه وسلم فغلبه فقال لم تصرعني وانما غلبني الهك وخذلني
اللات والعزى وما وضع جنبي على الارض احد قبلك ولكن عد فان صرعتني
فلك على عشرة اخرى فعاد فصرعه فقال له كما قال اولا ثم دعاه ثالثة
فصرعه فقال له دونكها ثلاثين من غنمي تختارها فقال له لا اريد ذلك ولكن
ادعوك الى الاسلام فاسلم تسلم من النار فقال لا الا ان تريني اية فقال له
ان اريتك اية تسلم قال نعم وكان بقربه شجرة سمرة فقال لها اقبلي باذن
الله فانشقت اثنتين واقبل نصفها حتى كان بين يديه صلى الله عليه وسلم
وبين يدي ركانة فقال ارني امرا عظيما مرها فلترجع فقال ان امرتها فرجعت
اتسلم قال نعم فامرها فرجعت والتامت بقضبانها وفروعها مع نصفها
الاخر فقال له اسلم فقال اكره ان يتحدث نساء المدينة وصبيانها باني
اجبتك لرعب دخل قلبي منك ولكن الغنم لك فقال لا حاجة لي فيها وانطلق فلقيه
ابو بكر رضي الله عنه فقال له تخرج الى الوادي وبه ركانة فضحك صلى
الله عليه وسلم فقال ان الله عصمني وحدثه الحديث المار والحديث يقتضي
جواز المصارعة الا انهم قالوا انها بالمال حرام كالمسابقة عليه والجواب

انه صلى الله عليه وسلم لم يطلبه منه وانما اثره على مقاتلته لمزيد رجائه
اسلامه او انه من خصائصه صلى الله عليه وسلم او نحو ذلك ورده الغنم
عليه قيل انه كان بعد اسلامه وصارعه هنا ثلاثا وقيل مرتين وقيل
انه كان صارعه بمكة ولم يسلم الا يوم الفتح وعن الحسن في حديث رواه
البيهقي مرسلا وهو الحسن بن علي رضي الله عنهما وقيل يحتمل
انه الحسن البصري رحمه الله انه صلى الله عليه وسلم شكى الى ربه من قومه
في اوائل البعثة قبل قوة الاسلام واهله شكى اليه انهم يخوفونه وانهم
يخوفونه كما قال تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او
يخرجوك وعطف تفسيري لان المراد انه صلى الله عليه وسلم شكى له تعالى تخويفهم
له وانما شكى ذلك لانه خاف التقصير في تبليغ ما ارسل به فلا ينافي كونه صلى
الله عليه وسلم على كمال اليقين من الله في رسالته كما توهم وهذا قبل الهجرة
وقبل نزول قوله تعالى والله يعصمك من الناس وسأله اية ومعجزة يعلم بها
ان لا مخافة عليه انه هنا مخففة من الثقيلة وفاعلها انه فاوحى الله
اليه ان ايت وادي كذا من اودية مكة فان فيه شجرة فادع غصنا منها
اي غصنا وطرفا من اطرافها ياتك مجزوم في جواب الامر ففعل اي
الى الوادي وعاد الغصن كما امر يخط الارض خطا اي يشقها شقا وهذا
يدل على انه غصن مع بعض ساق منها وهو بمعنى قوله فيما تقدم بجذره
ويحتمل ان الطا مبدلة من الدال المهملة وقيل المراد الخط الاثر
مشبه الذي يشبه خط الكتابة كقول الابوصيري

جاءت لدعوته الاشجار ساجدة * تمشي اليه على ساق بلا قدم
كانما سطرت سطرا لما كتبت * فروعها من بديع الخط في اللقم

حتى انتصب بين يديه اي قام عنده فحبسه ما شاء الله اي جعله مدة
من الزمان اراد ها الله قائما عنده ثم قال ارجع كما جئت فرجع الى مكانه
الذي كان فيه في التام باصله فقال صلى الله عليه وسلم علمت
ان لا مخافة علي بتسخير الجمادات لامتثال امري الدال على ان من عصاه سير
جمعها كان عليه ونحوه ما في فيما رواه البزار وابو يعلى والبيهقي بسند
حسن ما هو قريب مما ذكر في هذا الحديث مروي عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وقال عمر فيه اي فيما رواه ارايي ايه لا ابالي من كذبني
بعدها اي لا اعتد ولا اهتم به لاطمئنان قلبي وذهاب خوفي فذكر نحوه وعن
ابن عباس رضي الله عنهما في حديث رواه البخاري في تاريخه والدارمي
والبيهقي بسند انه صلى الله عليه وسلم قال لاعرابي ارايت بهمزة

الاستفهام وتا الخطاب بمعنى اخبرني وقيل الرؤية هو مجاز مشهور ورايه فيه علمته
او بصرية فاريد به لازمه كما بينه النحاة ان دعوت ان شرطية اي امرت
هذا العذق اشارة لعذق كان عنده وهو بكسر العين المهملة وسكون
الذال المعجمة والقاف وهو العرجون من النخلة وشماريخها كما بينه بقوله
من هذه النخلة وقد يطلق على النخلة نفسها ولا ينافيه قوله من هذه
النخلة فلا وجه لتفسيره به هنا وقيل ان النخلة يقال لها عذق
بفتح العين اتشهد اني رسول الله اي اتؤمن بي وبما ارسلت به وتقر به لك
قال نعم اشهد بانك رسول الله فدعاه اي العذق بان امره بالمجيء اليه
فجعل اي طفق وصار العذق ينقز بفتح المثناة التحتية وسكون النون
وضم القاف وكسرها كما في المحكم فلا تقتصر على الضم نقص في آخره اي يحجل
ومعناه يثب صعدا ويرد هذا الحديث مفصلا البيهقي وقال
ان الاعرابي من بني عامر حتى اتاه ووصل الى مكان عنده بقربه فقال
له ارجع فعاد الى مكانه الذي فيه وخرجه بالتشديد اي رواه بسنده الترمذي
وقال هذا حديث صحيح متنا وسندا فصل من معجزاته صلى
الله عليه وسلم ما اشتهر في قصة حنين الجذع الحنين بفتح الحاء المهملة
ونونين بينهما يا تحتية وهو صوت كالانين يكون عند عدم الشوق لمن يهواه
اذا فارقه ويوصف به الابل كثيرا قال الجوهري الحنين الشوق وتوقان النفس
تقول حن اليه يحن حنينا وحنين الناقة صوتها في نزاعها الى ولدها والجذع
بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة وعين مهملة وهو ساق النخلة اليابس وقيل
انه لا يختص به لقوله تعالى وهزي اليك بجذع النخلة وتعريفه جنس للعهد
والمراد به جذع كان قائما بالمسجد النبوي كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب
يستند اليه ويخطب قائما ولم يكن له منبر فلما وضع له المنبر وخطب عليه صلى الله
عليه وسلم سمع للجذع حنين لفراقه له كما ياتي قال البرهان وغيره انه الخبر
به متواتر وكذا في المصباح هنا وهذا الجذع من سواري المسجد النبوي وهكذا
كانت سواريه كلها وسقفه من جريد النخل كما ياتي في رواية جابر وقوله يدع اي
يخلق الله فيه حياة وصوتا فانه لا يلزم من سماع صوته عنده
ان يكون منه ما لا ينبغي ذكره وبعض هذه الاخبار المذكورة في الفصل
الذي قبل هذا من كلام الشجر ومشيها اليه صلى الله عليه وسلم اي يقويها
ويؤيدها وهو بعين مهملة وضاد معجمة من عضده اي ساعدها
حديث انين الجذع الانين صوت المريض والانين والحنين متقاربان
وقيل الانين فيه زيادة امتداد الصوت وفي تعبيره به اشارة الى انه

لحقه الم كما يلحق المريض ولله در الشهاب المنصوري في قوله

۞ يا للسنا فصحا قد خرسته ۞ ان الجماد بفضله نطقا ۞

واعلم ان المصنف انما عطف الانين على الحنين لنكتة وهي ان حقيقة الحنين في الابل نحو اذا فارقتها اولادها ثم شاع في مطلق الشوق ولو بالكلام كقوله

۞ والمرء يشتاق الديار واهلها ۞

۞ والمرء يشتاق الديار واهلها ۞ وحنينه ابدا لاول منزل ۞

واما الانين فانه لا يفهم كالتأوه ففيه اشارة الى ان حنين الجذع لم يكن بكلام يفهم فهو من عطف الخاص على العام فتنبه وهو اي الحديث الجذع في نفسه بقطع النظر عن غيره مما يؤيده فانه غير محتاج لذلك لانه مشهور ومنتشر اي شايع بين الخلف والسلف والخبر به متواتر لكثرة طرقه الصحيحة ونقل جماعة له عن جماعة لا يمكن تواطئهم على الكذب خرجه اهل الصحيح اي رواه مسندا اصحاب الكتب الستة الصحيحة كالبخاري ۞ ومسلم وابن حبان وابن خزيمة وما وصل الينا منهم بطرق متعددة صحيحة يكون متواترا حقيقة لاجماع من بعدهم على صحتها كما قاله ابن حجر رادا على ابن الصلاح في قوله ۞ ان التواتر لا يكاد يوجد ۞ كما بينه في شرح النخبة والمراد باهل الصحيح من التزم ان يورد في كتابه ۞ الاحاديث الصحيحة عنده ورواه من اصحابه بضعة عشر تقدم ان البضع من الثلاثة الى التسعة فاذا زاد على العقود مطلقا كبضعة وستين ونحوه على الصحيح عند اهل اللغة وهو بكسر الباء وفتحها منهم اي من الصحابة الذين رووه مرفوعا ابي بن كعب كما رواه عنه الشافعي في مسنده وابن ماجه والدارمي والبيهقي وجابر بن عبد الله كما رواه عنه البخاري وانس ابن مالك كما رواه عنه الترمذي وصححه وعبد الله بن عمر كما رواه عنه البخاري وعبد الله بن عباس كما رواه عنه احمد في مسنده باسناد صحيح على شرط مسلم والدارمي والبيهقي وسهل ابن سعد كما رواه عنه الشيخان وابو سعيد الخدري بالدال المهملة كما تقدم في ترجمته رواه عنه الدارمي وام سلمة ام المؤمنين كما رواه عنها البيهقي والمطلب ابن ابي وداعة بفتح الواو والدال المهملة والف وعين مهملة بعدها هاء ابن الحارث ابن صبرة بن سعيد القرشي السهمي الصحابي ممن اسلم عام الفتح رواه عنه احمد والزبير بن بكار وكلهم حدث بمعنى الحديث فجميع رواياتهم متفقة بحسب المعنى وكانه اشارة الى ان تواتره معنوي لا اصطلاحي لما مر عن

ابن

ابن الصلاح وقد علمت ما فيه قال الترمذي صاحب السنن الامام المشهور وقد تقدمت ترجمته وحديث انس صحيح انما نص على صحته لرجحانه عنده على غيره لا لنفي صحة غيره حتى ينافي ما مر من رواية اهل الصحيح له او لانه في بعض طرق الذي وقال جابر بن عبد الله في روايته كان المسجد اي مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة مسقوفا اسم مفعول من سقفت البيت ونحوه اذا جعلت عليه سقفا وهو معروف على جذوع نخل جمع جذع وقد تقدم يعني ان له سواري وضع السقف عليها من النخل والاضافة بيانية فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب اي قام للخطبة يقوم مستندا الى جذع منها وكانه هنا يفيد تكرار ذلك كثيرا منه صلى الله عليه وسلم لان كان اذا كان خبرها مضارعا تفيد ذلك في استعمال العرف كقولهم كان حاتم يعطي الضيف وقال الله تعالى وكان يامر اهله بالصلاة والزكاة وهو مما صرح به في كتب العربية والاصول وفي وجه دلالتها على ذلك كلام مقرر مشهور لا حاجة لنا به فلما صنع بالبنا للمجهول وفي نسخة وضع له صلى الله عليه وسلم المنبر بكسر الميم من نبره بمعنى رفعه وسماه لانه يرتفع القايم عليه به على غيره سمعنا لذلك الجذع الذي كان يستند اليه صلى الله عليه وسلم في خطبته صوتا كصوت العشار بكسر العين المهملة وشين معجمة والف وراء مهملة جمع عشراء كنفساء وهي الناقة التي اتى عليها الحمل ۞ عشرة اشهر وزال عنها اسم المخاض ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع وبعد وضعها ايضا والمراد جوارها حين وضعها او عقبه نزاعا لولدها اذا لم تره وفيه مما ينبغي التنبه هنا لما عرفته من ان الحنين اصل في النوق والتشبيه به لشدته وانه لحزنه على فقد رفقته صلى الله عليه وسلم كما انه في النوق كذلك ويزيده حسنا ان النوق تشبه النخل بالمعنى المقصود تشبيه مسموع بمسموع فقط كما قيل وفي رواية انس انه صلى الله عليه وسلم لما قعد على المنبر خار الجذع حتى ارتج المسجد ۞ بهمزة الوصل وسكون الراء المهملة وفتح التاء الفوقية وتشديد الجيم مطاوع رجه فارتج اذا حركه حركة شديدة واضطرب وهو متعد مضاف اي اهله او هو على ظاهره بان تحرك حيطانه وجدرانه لشدة صوته اما حقيقة او لظن ذلك ممن هو به لخواره بضم الخاء المعجمة وفتح الواو وبعدها الف وراء مهملة بوزن نعاله وهو بناء مطرد في اسماء الاصوات والخوار في الاصل كما قال الراغب صوت ۞

بصياح البقر ثم توسعوا فيه في اصوات جميع البهايم وفي بعض النسخ جؤار
بضم الجيم وفتح الهمزة والراء المهملة وهو بمعنى الاول قال
الراغب قال تعالى اليه تجأرون من جأر اذا افرط في الدعا تشبيها
له بجؤار الوحشيات كالظبا ونحوها انتهى والمعنى فيهما واحد
اي صاح وفي رواية سهل وكثر بكا الناس لما رأوا به البكا بمد ويقصر
محروف وما موصولة والعايد محذوف اي رأوه بالجذع ورأى بصرية
وكونها قلبية يجوز على بعد والمرئي حركته ونحوها والبا بمعنى في او سببية
وفيه تجوز اي الجذع او اثاره بسببه اذ الصوت لا يرى ويجوز كونها
مصدرية وفي رواية المطلب ابن ابي وداعة وابي بن كعب
حتى تصدع وانشق عطف تفسيري لا تحقيقه الصدع شق الاجسام
الصلبة كالزجاج والحديد يقال صدعته فانصدع وصدعته فتصدع
ثم استعير منه صدع الامر اذا انفصل كقوله فاصدع بما تؤمر ومنه صداع
الراس لوجعه وانصداع الفجر وهو مبالغة في شدة صياحه كما يقال
صاح حتى انفلق ويجوز بقاؤه على ظاهره ويؤيد الاول قوله
فنزل النبي صلى الله عليه وسلم اي نزل عن منبره واتى له فوضع يده عليه
فسكت اي ترك جؤاره لما ناله المه بقربه صلى الله عليه وسلم ومسه له
زاد غيره اي غير المطلب وهو رواية ابي بن كعب فقال النبي
صلى الله عليه وسلم ان هذا بكا لما فقد من الذكر فقد كقتل من الفقد
وهو العدم بعد الوجود فهو اخص من العدم والمراد بالذكر ذكر الله او الموعظة
او القرآن ويجوز ان يكون نفس النبي صلى الله عليه وسلم لانه اطلق عليه
الذكر ايضا وزاد غيره اي غير الغير او من ذكر والذي نفسي بيده ه
قسم بالله على عادته صلى الله عليه وسلم والنفس الروح هنا وبيده معناه
بقبضته قدرته وتصرفه حياته ومماته حتى اراد لو لم التزمه هو افتعال
من اللزوم وعدم الفراق ثم استعير للعناق كما في الاساس يقال التزمه
اذا اعتنقه وضمه اليه لم يزل هكذا اي لم يستراح وجؤاره الى يوم
القيامة تحزنا على مفارقة رسول الله صلى الله عليه وسلم اي امر بعض
الصحابة باخذه اي بدفنه فدفن تحت المنبر وانما امر بذلك لئلا يشتغل
به الناس وربما افتتن به بعد العصر الاول وفيه اشارة الى انه
سينبت في الجنة كما سيأتي في ان بعض اغصان الاشجار بعد قطعها اذا انه
دفن ينبت ويطلع من الارض واعلم ان سواري المسجد في زمنه صلى
الله عليه وسلم معدودة مفصلة في تاريخ المدينة كعبة حرمه

ومنبره

ومنبره صلى الله عليه وسلم كان من خشب اثل الغابة والاثل بالمثلثة شجر
معروف والغابة اسم موضع بالمدينة فيه اشجار وفي البخاري الذي صنعه
له صلى الله عليه وسلم اقوال الاول انه قبيصة المخزومي وقيل انه غلام
للعباس اسمه صباح وقيل هو غلام اسمه باقوم او باقول باللام غلام
سعيد بن العاص وقيل هو تميم الداري وقيل غلام لسعد بن عبادة
وقيل انه غلام امرأة انصارية وقول الكرماني رحمه الله انه غلام لعايشة
رضي الله عنها لا مستند له فيه وقيل انها عايشة الانصارية وقيل
هي من بني ساعدة وكان وضع منبره صلى الله عليه وسلم في السنة السابعة وقيل
الثامنة من الهجرة وعلى القول بانه تميم تكون التاسعة لانه اسلم سنة تسع
الا ان يقال لعله قبل اسلامه وهو اول منبر في الاسلام وكان درجه ثلاثا
ومن قال اثنتين اسقط محل قيامه صلى الله عليه وسلم وقيل انه كان اكثر من
ثلاث وكان طوله اكثر من ذراعين وعرضه ذراع وطول صدره وهو مسنده
ذراع وله رمانتان اللتان يمسكهما بيده الكريمة في قيامه ولما حج معاوية
رضي الله عنه كساه قباطي ثم لما رجع كتب لمروان وهو عامله على المدينة
فرفعه وزاد عليه ست درجات فصارت تسعا ثم قدم جدده بعض بني العباس
واتخذ من اعواده القديمة امشاطا يتبرك بها الى اخر ما فصل في تاريخ
المدينة كذا في حديث المطلب وسهل ابن سعد واسحاق عن انس
وفي بعض النسخ هنا وفي بعض الروايات فدفنته تحت منبره او جعلته
في السقف انتهى وضمير دفنته وجعلته على هذه الرواية لاعواده او للنازل
الجذع بالخشبة واسحاق المذكور هو ابن عبد الله ابن ابي طلحة
الانصاري اخرج له الستة وتوفي سنة اثنتين وثلاثين ومائة من الهجرة
وكونه دفن تحت المنبر على ظاهره او يتسمح لانه نقل انه دفن في يسار
المنبر وروي دفن في المسجد وفي حديث ابي فكان اذا صلى النبي صلى الله
عليه وسلم صلى اليه اي استقبله وجعله كالسترة للمصلي من المار
فلما هدم بنا المسجد والهدم والهد نقض البنا ونحوه المسجد اي مسجده
صلى الله عليه وسلم وهدمه في زمن عمر رضي الله عنه لانه بنا في عهده
صلى الله عليه وسلم لم يكن بالحجارة ثم هدمه عثمان رضي الله وزاد فيه كما ذكر
في تاريخ المدينة اخذه ابي رضي الله عنه هذا لا ينافي ما مر من انه جعل
في السقف او دفن تحت المنبر او في المسجد قريبا منه لجواز وضع النبي صلى
الله عليه وسلم له تحت المنبر ثم رفع في السقف لئلا يداس بالارجل تكريما
لاثر الرسول صلى الله عليه وسلم ثم حين الهدم اخذه ابي تبركا به وكان عنده

الى ان اكلته الارض وروى في رواية الارضة بفتحات وهي دويبة
صغيرة تاكل الخشب وغيره من الثياب والكتب وهي العتة وقال
الامام المزي ان هذه الرواية هي المشهورة عند المحدثين وما ذكره المص
صحيح والارض فيه اما بمعناها المشهور لانها تبلي ما يدفن فيها فاستعير
له الاكل او هو بتقدير اي دابة الارض وهي تلك المتقدمة بعينها او هو
مصدر ارضت الارض ارضا اذا اكلتها الارضة وبه فسر قوله تعالى دابة
الارض تاكل منساته كما ذكره السيوطي ولابن عنين

• يا اهل مصر وجدت ايديكم • عن بسطها بالنوال منقبضة •
• لما عدمت النوال عندكم • اكلت كتبي كانني ارضة •

فليس في كلامه مما يعترض به عليه كما توهم قال القسطلاني فان قلت
هذا يخالف قوله صلى الله عليه وسلم لو لم التزمه لبقي هكذا الى يوم القيامة
وكيف يتصور هذا مع قوله كل من عليها فان قلت هذا وقع
على طريق المبالغة كقوله حتى يلج الجمل في سم الخياط وان لم يقع وهذا
مما لا حاجة اليه وبقاؤه على ظاهره لا مانع منه فان الله علق بقاءه على
عدم تحوله بما تحول فاذا انتقل تغير وفني وقد علم الله بما ذكر وعاد رفاتا
عاد هنا بمعنى صار لا بمعنى رجع لامر كان عليه وهو احد معنييه كما بين
في كتب اللغة وغيرها والرفات بضم الراء المهملة وفاء ومثناة فوقية
كالفتات وهو ما تكسر وتفرق وذكر الاسفرايني بكسر الهمزة وسكون
السين المهملة وفتح الفاء والراء المهملة فالف بعدها همزة مكسورة ونون
بلدة بالعجم نسب اليها هذا الاستاذ الامام الاصولي المتبحر في سائر العلوم
المعروف بالزهد والورع وهو ابو اسحاق لانه اذا اطلق فالمراد هو وان
نسب لهذه البلدة غيره من الائمة كابي حامد وطاهر بن محمد ان النبي
صلى الله عليه وسلم دعاه اي دعا الجذع المذكور الى نفسه اي امره بان
ياتيه ويقبل ساعيا اليه وزاد لفظ نفسه هنا لئلا يتحد ضمير الفاعل
والمفعول بواسطة ودونها فانه ممتنع في غير افعال القلوب وما الحق
بها كما تقرر وقد اورد عليه نحو قوله • وهزي اليك بجذع النخلة
وصرهن اليك وقد اجيب عنه بما يطول وقد فصلناه في السوانح
والمقام يضيق عنه هنا فجاء يخرق الارض اي يشقها بمشيه فيها فالتزمه
واعتنقه ثم امره بالرجوع لمحله فعاد الى مكانه الذي كان فيه من المسجد
وهذه زيادة منه لا يقال مثلها من قبل الراي وهو امام ثقة على ان هذا
رواه الامام البيهقي في دلائله والحافظ ابو القاسم في تاريخه عن العباس

كما في الشرح الجديد ولو وقفت عليه المصنف عزاه له وفي حديث بريدة
علم منقول من تصغير البردة المعروفة وهو بريدة بن الحصيب بن عبد الله
بن الحارث بن الاعرج السلمي واختلف في كنيته فقيل ابو عبد الله وقيل
ابو سهل وقيل غير ذلك وهو صحابي اسلم حين مر به النبي صلى الله عليه
وسلم حين مر به النبي صلى الله عليه وسلم مهاجرا ثم قدم المدينة قبل الخندق
ثم نزل البصرة واخرج له احمد في مسنده وغيره وليس هو بريدة الاسلمي
كما توهم فانه تابعي وله احاديث مرسلة فظن انه صحابي ولم يترجم في الميزان
فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم للجذع حين سمع حنينه ان شئت
بنا الخطاب فخاطبه لما علم ان الله خلق فيه حياة وادراكا ان اردك الى
مكانك الحائط الذي كنت فيه هو في الاصل اسم فاعل من حاطه اذا احاط
به واراد عليه ثم نقل للبستان نفسه الذي فيه الشجر والنخل وهو المراد هنا
ولذا قال الذي كنت فيه تنبت لك عروقك بدل من قوله اردك او مستانف
لبيان الرد الى مكانه الذي نبت فيه ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمرة
الخوص بضم الخاء المعجمة وواو ساكنة وصاد مهملة واحده خوصة وهي
كالورق للنخل والتمر بمثلثة واحد ثمرة اي تعود لك خلقتك بتمامها
ونضارتها وان شئت مفعوله مقدر اي غرسك تقول له اغرسك
في الجنة جواب الشرط مجزوم فيا كل اولياء الله من ثمرك معطوف على الجواب
وهذا مرتبط بقوله فالتزمه في الكلام الذي قبله تخيره صلى الله عليه وسلم
بين الحياة الدنيوية والحياة الاخروية ثم اصغى له صلى الله عليه وسلم بصاد
مهملة وغين معجمة اي امال راسه وقربها منه يستمع ما يقول اي ليسمع
قوله وما يجيبه به وهو الصغي بمعنى الميل يقال صغت الشمس اذا
مالت للغروب وصغيت الاناء واصغيته اذا املته واصغيت
الى فلان ملت بسمعي نحوه وحكى صغوت اليه اصغو صغوا وصغيت
اصغى قاله الراغب فقال اي الجذع بل تغرسني في الجنة
اي تصيرني غراس الجنة لا تغرسني بعدك فيا كل مني اي من ثمري اولياء
الله واكون في مكان لا ابلى فيه ابلى كافنى لفظا ومعنى من البلا بالكسر
وهو الفنا فاختار الحياة الباقية كسبا براهل الجنة واشجارها وابلى
بفتح الهمزة وضمها خطا فسمعه من يليه اي سمع كلام الجذع والضمير
الاول له والثاني يحتمل عوده له وللنبي صلى الله عليه وسلم ويليه
بمعنى يقرب منه فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد فعلت
بضم التاء للمتكلم اي جعلتك من غراس الجنة ثم قال صلى الله عليه وسلم اختار

دار البقا كما تقدم على دار الفنا وهي الدنيا فكان الحسن البصري التابعي
الامام المشهور اذا حدث بهذا بكى وقال يا عباد الله الخشبة يعني الجذع
تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تقدم تفسير الحنين شوقا اليه
مفعول مطلق لقوله تحن كجلست قعودا او مفعول له والاول
اولى لان قوله لمكانه لاجل المتعليل انه لم يكن بدلا من قوله اليه ويحتمل
انه علة متداخلة شوقا علة لتحن ولمكانه علة لقوله شوقا اي الخشبة
اشتاقت لعلو مقامه وجلالة قدره وهي جماد وهذه معجزة له صلى الله
عليه وسلم اعظم من معجزة موسى عليه الصلاة والسلام في العصا واحيائه
عيسى عليه الصلاة والسلام للموتى لان الشوق والكلام يستلزمان
الاحيا عند الاشعري وان قيل انه مجرد الصوت المسموع لا يستلزمه
كما تقرر في محله فالمكان على حقيقته وهو الجهة او بمعنى علو قدره
وشرفه صلى الله عليه وسلم كما اشرنا اليه فانتم احق من الجماد ان تشتاقوا
الى لقائه ونقل عن صاحب القاموس انه استاذ سلطان اليمن
في الحج وزيارة النبي صلى الله عليه وسلم نكتت اليه بكلام قال فيه انه صح
في الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال لا يخل المؤمن ان يمر عليه اربع سنين
ولا يتجدد له شوق للحج وزيارة سيد المرسلين

وقد تجدد لي من الشوق ما شيب عمره عن الطوق ۝ وقد تضعضع السن ۝ وتقعقع الشن
فما هو الاعظم في جرابه ۝ وقد بلغت ذاته الرقابه
الى اخرما قال وتلك انا حين وقفت على ما كتبه
لم لا احن الى المختار من اضم ۝ والجذع حن اشتياقا بعد فرقته
انى لا عجبه من خشب سندة ۝ ما هزها الشوق احيانا الروضة

والشوق نزاع النفس للشي والهيجان اليه ونقل ابن عطية في سورة
الكهف انه سمع الجوهري الواعظ يقول كنت احب اهل الخير بالسنة
بركتهم وشرف صحبتهم حتى ذكره الله في كتابه فالخشبة تحن والجلب
تحب وهذا عبرة لاولي الالباب وفقنا الله لما يقربنا اليه ورواه
عن جابر حفص بن عبيد الله ويقال عبيد الله بن حفص بتصغير
عبيد فيهما وقيل انه حفص بن عبد الله بلا تصغير قال البرهان
والصواب الاول وهو حفص ابن عبيد الله ابن انس بن مالك وهو يروي
عن جده فروي عنه اصحاب السنن وقال ابو حاتم انه لم يثبت له سماع الا
عن جده وايمن الحبشي والد عبد الواحد بن ايمن مولى ابن ابي عمرة ۝

المخزومي

المخزومي وقد وثقه ابو زرعة وقد تقدم فيه كلام وان ابن حبان خلط
في ترجمته وايمن منقول من افعل التفضيل من اليمن وهو البركة وابو
نضرة بفتح النون وسكون الضاد المعجمة وراء مهملة ووقع في بعض
النسخ نصرة بالموحدة وصاد مهملة وهو تحريف وليس لنا ابو بصرة
غير ابي بصرة واسمه حميل وليس له رواية عن جابر كما قاله الحافظ
الحلبي وابو نضرة الاول اسمه المنذر ابن مالك بن قطعة العبدي النضر
له رواية عن ابن عباس وغيره واخرج له اصحاب السنن وله ترجمة
في الميزان وكان فصيحا ثقة توفي سنة تسع ومائة وابن المسيب
سعيد الامام المعروف تقدمت ترجمته وان ياءه تفتح وتكسر وسعيد
ابن ابي كرب بكاف وراء مهملة وبا موحدة الهمداني وله ترجمة في الميزان
وكريب مثله الا انه مصغر وهو ابن شدية مولى ابن عباس وابو صالح
وهو ذكوان السمان وتقدمت ترجمته ورواه عن انس بن مالك الحسن
البصري وقد تقدمت ترجمته وثابت البناني وقد تقدمت ترجمته
واسحاق ابن ابي طلحة السابق ترجمته ورواه عن ابن عمر نافع ابو عبد
الله مولى ابن عمر الامام الثقة المشهور توفي سنة سبع عشرة ومائة
واخرج له الستة وابو حية بفتح الحا المهملة وتشديد المثناة
التحتية واسمه يحيى الكلبي الكوفي الامام الثقة والد ابي حباب
يروي عن ابن عمر ولهم ابو حية اخر يروي عن علي وترجمته في الميزان ايضا
ورواه ابو نضرة السابق ذكره قريبا وابو الوداك بفتح الواو وتشديد
الدال المهملة ثم الف وكاف وهو جبر بن نوف البكالي له ترجمة في الميزان
عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه وقد تقدمت ترجمته وعمار بن ابي عمار
مولى بني هاشم وهو ثقة اخرج له مسلم عن ابن عباس وابو حازم بحا مهملة
وزاي معجمة وهو سلمة بن دينار الاعرج المدني الثقة احد الاعلام اخرج
له الستة وعباس بعين وسين مهملتين بينهما موحدة مشددة والف ابن
سهل بن سعد الساعدي توفي سنة بضع عشرة ومائة وقد زاد على
التسعين واخرج له اصحاب السنن عن سهل بن سعد ابو عباس المذكور
روى عنه ابنه وغيره وكثير بفتح الكاف وثلثة وراء مهملة ابن زيد
الاسلمي ابو محمد المدني وله ترجمة في الميزان عن المطلب السابق ذكره
وروايته كثير عنه ليس لها ذكر في الكتب الستة كما قاله البرهان ۝
وعبد الله بن بريدة عن ابيه عبد الله قاضي مرو وعالمها الثقة وترجمته
في الميزان والطفيل بصيغة تصغير طفل ابن ابي عن ابيه ابي بن كعب

وكنيته ابو بطن لعظم في بطنه قال القاضي ابو الفضل وهو المصنف
رضي الله عنه فهذا يعني حديث حنين الجذع حديث كما تراه
يعني انه علم مما ذكره من كثرة طرقه عن الصحابة والتابعين وغيرهم
انه خرجه اهل الصحة اي الثقات من المصنفين الذين التزموا في كتبهم
رواية الاحاديث الصحيحة ورواه من الصحابة من ذكرناه في هذا الفصل
وغيرهم من التابعين ضعفهم بكسر الضاد المعجمة لان كل صحابي
روي عنه من طرق كما فصله فاذا ضممتهم الى من لم يذكره فاذا علمته
هذا اتحقق عندك القطع بصحته لتواتره ومن دون هذا العدد الذي ذكره
يقع العلم اي يوجد العلم وتتحقق صحته فكيف به لمن اعتنى اي اهتم به
وتقيد بهذا الباب من معجزاته صلى الله عليه وسلم والله المثبت
بضم الميم وبالمثلثة المفتوحة وتشديد الموحدة قبل المثناة اي تونيق
الثبات وعدم تقلب القلب لحكمة من الله على عبده المؤمن فيثبته
على الصواب وهو ضد الخطا فصل ومثل هذا
من حنين الجذع واشتياقه ونطقه في سائر الجمادات اي جميعها
او بقيتها والجماد ما لا روح له ومثل مرفوع خبره ما بعده او فاعل
فعل مقدر اي ورد مثله وهذا يحتمل انه اشارة لجميع ما سبق
من كلام الشجر وغيره واستشهد بحديثه رواه البخاري وهو ما
اشار اليه بقوله حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي
تقدم بيانه وترجمته قال حدثنا القاضي ابو عبد محمد بن المرابط
بصيغة اسم الفاعل من المرابطة وهي الاقامة بالثغور بنية الجهاد
وهو محمد بن خلف بن سعيد بن وهب المري توفي بالمدينة قاضيا بها
سنة ثمانين واربعمائة وكان مفننا في العلوم سمع من المهلب
والداني وغيرهما قال حدثنا المهلب ابو القاسم والمهلب
بصيغة المفعول هو ابن ابي صفرة وفي التكنية بابي القاسم وجوازه
على الصحيح كلام مشهور تقدم وباقي بيانه قال حدثنا ابو
الحسن القاضي علي بن محمد بن خلف الحافظ القابسي كما تقدم
قال حدثنا المروزي ابو زيد كما تقدم قال حدثنا الفربري
تقدم بيانه وبيان نسبته على اللغتين في اسم بلده قال
حدثنا البخاري صاحب الصحيح وقد تقدم بيانه قال حدثنا
محمد بن المثنى وهو محمد بن المثنى ابو موسى العنزي الحافظ الثقة
الورع توفي سنة اثنتين وخمسين ومائتين وترجمته مفصلة

في

في الميزان قال حدثنا ابو احمد الزبيري بضم الزاي المعجمة وهو محمد
بن عبد الله بن الزبير بن عمر الزبيري نسبة لجده وليس هو الزبير
ابن العوام بل هو كوفي مولى لبني اسد توفي سنة ثلاث ومائتين حدثنا
اسرائيل ابن يونس بن ابي اسحاق السبيعي الكوفي ابو يوسف الثقة اخرج له
الستة وتوفي سنة اثنتين وستين ومائة وترجمته في الميزان عن منصور
ابو عتاب ابن عتاب ابن المعتمر السلمي من ائمة الكوفة عن ابراهيم
ابن يزيد النخعي عن علقمة بن قيس تقدم بيانه عن عبد الله ابن
مسعود قال اي ابن مسعود لقد كنا معاشر الصحابة نسمع تسبيح
الطعام وهو يؤكل جملة حالية اي حال اكلنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفي غير هذه الرواية يعني رواية البخاري وهو رواية
الترمذي عن ابن مسعود ايضا كنا ناكل مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه اي قوله سبحان الله وحمدا
مما يناسبه لان معنى قوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده تسبيح حقيقي
بلسان القال لا بلسان الحال وانه يشهد له تذييله بقوله ولكن لا
تفقهون تسبيحهم وهو حديث صحيح حسن اخرجه الترمذي عن ابن
يسار ايضا من طريق اخرى وفي قوله كنا الخ دليل على تكرره انه وقع مرارا
عديدة كما تقدم وفي هذا معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم وكرامة
للصحابة اذا سمعوا ما لم يسمعه غيرهم وهذه المعجزة اعظم من معجزة
فهم منطق الطير والجبال لسليمان وداود عليهما الصلاة والسلام
وفي الدر المنثور للسيوطي ان كل شيء يسبح الا الكلب والحمار والتسبيح
معناه تنزيه الله عما لا يليق به واهل الظاهر اولوا الاية بلسان الحال
كالزمخشري وجعلوه خطابا للمشركين ولذا قال لا تفقهون ولم يقل
لا تسمعونه وذكر المصنف هذه الرواية لما فيها من التصريح بانه
كان بحضرته صلى الله عليه وسلم ولبعض الشراح هنا كلام طويل تركته
وقال انس اخرجه ابن عساكر في تاريخه اخذ النبي صلى الله عليه وسلم
كفا اي مقدارا يملأ الكف وهو باطن اليد وقيل فيه مضاف مقدر
اي ملء كف من حصى جمع حصاة وهي صغار الحجارة فسبحن في يد رسول
الله صلى الله عليه وسلم من وضع الظاهر موضع المضمر تعظيما ه
واشارة الى انه معجزة وفي نسخة في يده حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن
اي وضعهن وهو استعارة شائعة في الاجرام الصغيرة كصببنا
الصبرة من المكيل واصله في المائعات كالماء في يد ابي بكر فسبحن

جملة خالية ثم صبهن في ايدينا فما سبحن وفي قوله حتى سمعنا اشارة
الى خفا صوتهن وفيه دليل ظاهر على فضل ابي بكر رضي الله عنه
على غيره وايما الى خلافته ومعنى قوله فما سبحن انه ما سمع
تسبيحهن اذ ان التسبيح لم يكن من الجمادات وايما الا لاقران اولي
وروى مثله ابو ذر رضي الله عنه رواه الطبراني والبيهقي
والبزار والمثلثة في مجرد تسبيح الحصى بلا ايماء في قوله وذكر انهن
سبحن في كف عمر وعثمان رضي الله عنهما وهذا الحديث عن ابي ذر
في دلائل البيهقي قال كنت ابتغي خلوات النبي صلى الله عليه وسلم فرايته
يوما خاليا فاغتنمت خلوته فجئته حتى جلست اليه فجاء ابو بكر فسلم
ثم جلس عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاء عمر فسلم وجلس
عن يمين ابي بكر ثم جاء عثمان فسلم وجلس عن يمين عمر وبين يدي رسول
الله صلى الله عليه وسلم سبع حصيات فاخذهن فوضعهن في كفه
فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن ثم اخذهن
فوضعهن في يد ابي بكر فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن
فخرسن ثم تناولهن فوضعهن في يد عمر فسبحن حتى سمعت لهن حنينا
كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن ثم تناولهن فوضعهن في يد عثمان ه
فسمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم هذه خلافة النبوة وهكذا اخرجه الحافظ
ابو القاسم في تاريخه مسندا عن انس رضي الله عنه وفيه ادفعه
بعد عثمان ثم وضعهن في ايدينا رجلا رجلا فما سبحت حصاة منهن
وفي رواية صبهن في ايدينا رجلا رجلا الخ وفي الشرح الجديد
انه لم يذكر عليا رضي الله عنه وكرم وجهه فانه كان سبحها في يده
عبره مخصوصا بالخلفا فهو خليفة كابنه الحسن ايضا واجاب
بانه لم يكن حاضرا ثمة او لان خلافته ادركت الفتنة على ان مثله
لا يشين مقامه رضي الله عنه مع ما له من المناقب اقول
الظاهر ان هذه الوقائع متعددة لان رواية ابي ذر انه لم يسمعه غيره
وما في رواية البيهقي يقتضي انه حضرها جماعة من الصحابة لقوله
رجلا رجلا وعلى كليهما لم يكن معهم علي رضي الله عنه وفيها اشارة
الى عدم امتداد خلافته استقلالا قال علي رضي الله عنه في حديث
رواه الدارمي والترمذي بسند حسن كنا بمكة مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فخرج صلى الله عليه وسلم الى بعض نواحيها

فما

فما استقبله وفي بعض النسخ فما استقبلته شجرة اي وقعت في مقابلة
وجهه قريبا منه ولا جبل الا قال له كل واحد منهما السلام عليك يا رسول
الله ان خلق الله فيه نطقا وان لم يكن معه حياة لانه لا تلازم بينهما ولكن
الظاهر انه كان فيه حياة ايضا وهذا كما قاله ابن اسحاق رحمه الله كان
في بدء النبوة تطمينا لقلبه صلى الله عليه وسلم وتبشيرا له بانقياد الخلق
له بعده واجابتهم لدعوته وعن جابر بن سمرة في حديث صحيح رواه مسلم
اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي اي يقول السلام عليك يا رسول الله ونحوه
قيل انه الحجر الاسود قال السهيلي وغيره ورد في المسندات
ان هذا الحجر هو الحجر الاسود وهذا اصح الماثور وقد قيل انه حجر
غيره وانه معروف الى الان بمكة في محل يقال له زقاق المرفق والناس يتبركون
به الان ويقولون انه الذي كان يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وهذه
المعجزة اعظم من معجزة داود عليه الصلاة والسلام في قوله انا سخرنا الجبال
معه يسبحن لانها تسبح بيده وفي يد من اراده من امته وتسبيح الطعام
اعظم منهما لانه لم يعهد مثله والجبال قد وصفت بالخضوع والخشوع ه
وتاكيده بالا وتنكيره اشارة الى ان له شانا خاصا به وانه حجر ليس كساير
الحجارة ولذا فسر بالحجر الاسود كانه لا يمر بحجر ولا شجر الا سلم عليه كما
اشار اليه بقوله وعن عائشة رضي الله عنها في حديث صحيح رواه
البزار في مسنده لما استقبلني جبريل عليه الصلاة والسلام اي
نزل علي واتاني بالرسالة جعلت اي صرت لا امر بحجر ولا شجر الا قال
السلام عليك يا رسول تشريفا له وتعظيما وانها لعموم رسالته وانه
يقربه الحجر كيف بكثرة البشر وعن جابر بن عبد الله في رواية البيهقي لم يكن
رسول الله صلى الله عليه وسلم في ابتدا بعثته يمر بشجر ولا حجر الا سجد له
اي انخفض حتى مس الارض على هيئة السجود تواضعا له صلى الله عليه وسلم
تعظيما له وتكريما كما سجدت الملائكة لادم عليه الصلاة والسلام والسجود
لغير الله انما يمتنع من البشر وهذا محمول على السماع منه صلى الله عليه وسلم
كما وقع التصريح به في الحديث السابق ومثله لا يقال من قبل الراي فلا حاجة
الى ان يقال انه علم من باب الكشف وفي حديث العباس رضي الله عنه
رواه البيهقي عن اسيد الساعدي اذا اشتمل عليه الضمير للعباس اي ه
الحديث الذي ذكره فيه انه كان في وقت اشتمل اي ضمه في رداء له وبنيه
وهم عبد الله وعبيد الله والفضل وقثم بملاءة بميم مضمومة ولام وهمزة
ممدودة وهاء هي الازار والملحفة وقيل الملاءة الازار الذي لم

شقتان فان كان له شقة واحدة فهي ريطة براء وطاء مهملتين والجمع
ملا وريط ودعا لهم اي للعباس وبنيه بالستر من النار الستر ما يمنع
المستور ويحجبه فهو مجاز واستعارة لما يمنعهم من دخولهم للنار وعن
ارتكاب ما يوجب العذاب بها وهو بفتح السين مصدر ستره ثم شبهه بقوله النحو
في قوله كستره صلى الله عليه وسلم اياهم بملاته اذ قال
يا رب هذا عمي وصنو ابي وهؤلاء بنوه فاسترهم من النار كستري اياهم بملاتي هذه
فامنت بفتح الهمزة والميم المشددة والنون اي قالت امين
طلبا لاستجابة دعائه اسكفة الباب بضم الهمزة وسكون السين
المهملة وضم الكاف وفاء مشددة مفتوحة وهاء وهي العتبة وما يعلوه الداخل
من الباب ومن المجاز وتحت الدمعة على اسكفة عينه اي جفنه الاسفل
وهذا محل الشاهد من الحديث لنطق الجماد فيه وحوايط البيت
جمع حايط وهو معروف اي جدرانه المحيطة بجوانبه ونواحيه امين امين
مرتين ثم فعل امين بمعنى استجب وفيه لغات اشهرها مد الهمزة وتخفيف الميم
وروي قصرها وتشديد الميم وفيه كلام في التفسير واللغة مشهور
وامين امين اما معمول لمقدر اي وقالت امين او لامنت لتضمنه معنى
القول وتكريره اما على التوزيع اي قالت الاسكفة امين والحوايط
امين ويحتمل ان كلا واحد منهما كرر قوله امين تاكيدا او تحقيقا للمقال اذ قد
يغفل عن مثله وهذا الحديث بتمامه في دلايل البيهقي وفيه انه قال
للعباس يا ابا الفضل لا تفارق انت وبنوك بيتك حتى اتيكم فان لي بكم
حاجة فانتظروه فلما اتاهم قال كيف اصبحتم فقالوا بخير فقال تقاربوا
تقاربوا فاجتمعوا فجمعهم معه في ملاته وقال يا رب هذا
عمي وصنو ابي وهؤلاء بنوه فاسترهم من النار الى اخر ما ذكره المصنف
وفي دلايل ابي نعيم انهم كانوا سبعة الفضل وعبد الله حبر الامة ابو
الخلفاء وعبيد الله وعبد الرحمن وقثم ومعبد وام حبيبة اختهم وفيهم
يقول عبد الله الهلالي

ما ولدت نجيبة من فحل * بجبل نعلمه او سهل
كستة من بطن ام الفضل * اكرم بها من كهلة وكهل
عم النبي المصطفى ذي الفضل * وخاتم الرسل وخير الرسل

ومثل هذه القصة حديث اهل الكساء في المباهلة المتقدم وهو جمع النبي
صلى الله عليه وسلم الخمسة من اهل بيته وهم النبي صلى الله عليه وسلم وعلي
وفاطمة والحسنان في كساء وقال انا جبريل عليه الصلاة والسلام

كان منهم كما قيل

الفضل من عنه الفلك * خمسة رهط وملك

وقال الخالدي

اعاذلي انما الكسا لفتى * كسا نبيه خير الاكسا

وقال ابو علي البصير لمن وعده بكساء ثم اخلف

من غزل من هذا الكسا ونسج من * هل في عماد طرازه ام في عدنه
ولاي وقت بعد مدة قرة * هيت وانتظار المن تحزنه
ام ذا كسا العبا آل محمد * فالصفح عن بذله امر حسن

وهذا من تشبيه المعقول بالمحسوس المشاهد فلا يقال عليه ان المشبه
هنا اعظم من المشبه به والمعهود في التشبيه عكسه كما قيل
وعن جعفر ابن محمد عن ابيه محمد الباقر بن زين العابدين فقال
السيوطي لم اجد هذا في كتب الحديث يعني المشهورة فلا ينافي اطلاع المص
عليه مرض النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه جبريل عليه الصلاة والسلام
بطبق فيه رمان وعنب المذكور في اللغة ان الطبق بمعنى الغطاء والمر
اد هنا الوعا مجازا الا انه على هيئاته والظاهر انهما من ثمرات الجنة
وكونه من ثمرات الدنيا وانه لو كان من الاخرة لم يعز لقوله اكلها دايم لا
ينقطع البتة كالبحث عن كونهما فاكهة اولا فاكل منه صلى الله عليه وسلم
فسبح اي فسبح ما اراد الاكل منه اذ تناوله بيده لا بعد الاكل كقوله اذا قمتم
الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم الاية ولم يذكر هذا انه الطعام لكونه
ليس من طعام الدنيا المعهود له فضيلة فلذا ذكره مع الجماد وهو ما لا روح
له مطلقا وعن انس ابن مالك في حديث رواه احمد والبخاري والترمذي
وابن ماجه صعد النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان
احدا بضمتين وقد يسكن ثانيه وفي نسخة ان تسكينه ضرورة وهو جبل
معروف بقرب المدينة وقد قال صلى الله عليه وسلم فيه انه جبل
يحبنا ونحبه واخبر انه سيكون في الجنة فرجف الجبل بهم اي تحرك
حركة شديدة واضطرب واضطرابه اما لمهابته صلى الله عليه وسلم
او لخوفه من الله او لزلزلة اتفقت عند صعوده عليه فقال
اثبت احد بضم اخره من غير تنوين اي يا احد فامره صلى الله عليه وسلم
بالثبات وعدم الحركة وقد خلق الله فيه ادراكا وحياة اذ فهم كلامه
وامتثل امره وهو محل الشاهد في هذا الحديث اي ينبغي ان يكون فيك
وقار وسكون لشرف من علا عليك ممن ينبغي عدم الاضطراب المشوش

ابن اقبرس

عليهم فلذا قال فانما عليك نبي يعني نفسه صلى الله عليه وسلم وصديق يعني ابا بكر رضي الله عنه وشهيدان يعني عمر وعثمان رضي الله عنهما لانهما قتلا ظلما كما لا يخفى ورواه بعضهم وشهيد بالافراد وقالت لم يصنع عثمان اختصارا وانتصارا ولا وجه له وكل الشراح على خلافه وروي انه صلى الله عليه وسلم ضربه برجله اي ركضه بها ومثله اي مثل الحديث الذي في احد ما رواه مسلم عن ابي هريرة في حرا بالمد والقصر والتذكير والتانيث والصرف وعدمه وهو جبل معروف على ثلاثة اميال من مكة وقد تقدم الكلام عليه وزاد في هذه الرواية على ما تقدم من ذكر عمر وابي بكر ومعه علي وطلحة والزبير وفي رواية سعد بن ابي وقاص بدل علي وقال في هذه الرواية فانما عليك نبي او صديق او شهيد او هنا الواو للتقسيم وتصاعبر المصنف عند سياقة هذه الرواية فيما يأتي فقال اثبت انما عليك نبي وصديق وشهيد ويأتي الكلام عليها واراد بذلك ما يشمل ما فوق الواحد وبالشهيد المقتول ظلما مطلقا لان عمر رضي الله عنه قتله ابو لؤلؤة غلام المغيرة الكافر وعثمان قتل في الدار واختلف في قاتله وعلي رضي الله عنه قتله ابن ملجم الخارجي الشقي والزبير رضي الله عنه قتل بوادي السباع ظلما وطلحة رضي الله عنه اعتزل الناس فاصابه سهم فقتله فكلهم قتلوا ظلما فهم شهداء حقيقة وحكما وروي انه صلى الله عليه وسلم قال اسكن حراء فما عليك الا نبي كما رواه مسلم والترمذي عن ابي هريرة رواه الترمذي والنسائي وفي حرا ايضا عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال عثمان في هذه الرواية ومعه عشرة من اصحابه انا فيهم وزاد في رواية عثمان عبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص قال ونسيت الاثنين تتمة العشرة وهي طلحة والزبير وفي حديث اخر رواه ابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه سعيد ابن زيد ايضا ابن عمرو بن نفيل احد العشرة المبشرة مثله الا انه لم يذكر عثمان وفي الصحابة سعيد بن زيد انصاري اشهلي وهو غير هذا الا انه لا يخرج له رواية وذكر في هذه الرواية ايضا عشرة وزاد نفسه فيهم وقد روي في حديث الهجرة المذكور في السير فلم يسنده السيوطي هنا انه حين طلبته قريش لما خرج مهاجرا وارسلوا خلفه من يطلبه منهم قال له ثبير بثاء مثلثة مفتوحة وموحدة مكسورة ومثناة تحتية ساكنة وراء مهملة جبل بالمزدلفة عن يسار الذاهب الى منى وله جبال اخر تسمى

ثبيرا

ابن التين وغيره
ثبتا النقطة الالف

ثبيرا كلها مجازية وسمي ثبيرا من الثبور باسم رجل كان يسمى ثبيرا دفن به فسمي باسمه اهبط يا رسول الله اي انزل من على ظهري واذهب الى مكان اخر تختفي به عنهم ثم علل امره بالهبوط والنزول منه الى مكان اخر بقوله فاني اخاف ان يقتلوك على ظهري فيعذبني الله بالنصب معطوف على يقتلوك وانما خاف العذاب بسبب قتله لانه لو لم يذكر له ذلك مع علمه بانه ليس فيه مكان يستره كان غشا منه يستحق به العذاب ولانه لو قتل على ظهره غضب الله على المكان الذي كان يقع فيه مثل هذا الامر العظيم كما غضب على ارض ثمود فلا يقال انه كيف يعذب بذنب غيره ولا تزر وازرة وزر اخرى حتى يوجد بان خوفه بمعنى حزنه وتاسفه عليه ونحوه من التخيلات التي لا وجه لها كما قيل فقال له حرا اسم جبل كما تقدم الي يا رسول الله بتشديد اليا المفتوحة تقديره ائت الي اذ هو اسم فعل بمعنى اقبل وقال له ذلك لانه الهمه الله ابه تقدره على ان يشتمل له الكهف ويستتر في جوفه ونحو ذلك مما تفرح به سلامته صلى الله عليه وسلم وكان هذا قبل توجهه صلى الله عليه وسلم الى غار ثور الذي اختفى فيه عند الهجرة وروى ابن عمر في حديث رواه مسلم والنسائي واحمد في مسنده وما ذكره المصنف هو رواية احمد بلفظه ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا على المنبر اية وما قدروا الله حق قدره اي ما عظموه حق تعظيمه وما عرفوه حق معرفته قيل ان بعض احبار اليهود قال يا محمد ان الله يمسك السموات يوم القيامة على اصبع والارضين على اصبع والجبال على اصبع والماء والثرى على اصبع وسائر الخلق على اصبع ويقول انا الملك انا الله فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تعجبا ثم قرا وما قدروا الله الاية ونحوه في جامع الترمذي وقال الخطابي انه انكار لمقالته لتوهمه ان لله يدا حقيقية ذات اصابع وهو منزه عن مثله ولذا قال ثم قال اي النبي صلى الله عليه وسلم بعدما تلا الاية يمجد الجبار نفسه اي يعظم وينزه ذاته تمجيدا يمجد بالحاء المهملة من الحمد والثناء الجميل وفي ذكره الجبار لموافقته للقران وهو صيغة مبالغة من الجبر وهو القهر ونفوذ الامر والنهي وفيه دليل على جواز اطلاق النفس بمعنى الذات على الله وانه لم يكن بطريق المشاكلة كما ورد في القران ايضا وليس من قبيل قوله تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك ولا اعلم ما في نفسك فانه يشترط فيها المشاكلة لان اطلاق اخر ومن اشترط ذلك مطلقا فقد وهم وهذا مما خفي على كثير من الفضلاء يعني المقصود من الاية تعظيم كبريائه توقيفا لعباده على كنه ذاته فلذا قال انا الجبار انا الجبار وكرره للتاكيد والنهو

انا الكبير المتعال اي المتعالي في عظمته عما يخطر بالعقول وحذف
اليا في الوقف وهو جائز اي انا الجليل المتكبر العلي الاعلى المنزه عن
الجارحة وفيه اشارة الى ما ذكر من الاصبع واليد والقبضة تمثيل
لجلالته تعالى وعظم ذاته فرجف المنبر اي اهتز واضطرب من مهابة
مقاله صلى الله عليه وسلم حتى قلنا اي قال من كان حاضرا ليخرن عنه
اي ليقع النبي صلى الله عليه وسلم من شدة اضطراب المنبر من عليه او ليهدم
المنبر وهذا وما شابهه من معجزاته صلى الله عليه وسلم لنطق الجبال له
وفهم المنبر كلامه وتحركه وهو محل الشاهد وعن ابن عباس
في حديث اخرجه الشيخان والبزار والطبراني وابو يعلى عن جابر وابن مسعود
ايضا كان حول البيت في الجاهلية وقبل الفتح ستون وثلاثمائة
صنم اتخذها قريش الهة يعبدونها من دون الله مثبتة الارجل بالرصاص
في الحجارة اي ثابتة ارجلها ممكنة في الارض برصاص جعل عليها حتى لا تسقط
وتزول من مكانها والرصاص معروف قال الجوهري بفتح الراء والعامة تكسره
انتهى فكسره كسمه لحن من العامة وكون الاصنام حول الكعبة لانوثها
ورد في كثير من الروايات فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد
اي مسجد مكة المشرفة عام الفتح اي فتح مكة جعل اي شرع وطفق
يشير بقضيب وعصا كانت في يده اليها اي الى الاصنام المذكورة
والتي تتعلق بيشير ولا يمسها بيده ولا بقضيبه لا استكراها صلى الله
عليه وسلم لها ولانها لو مسها توهم ان سقوطها بشدة دفعه لها ويقول
حال من فاعل يشير لا من فاعل يمسها كما قيل وان جاز بتكلف اي
قائلا جاء الحق وزهق ذهب الباطل والحق التوحيد والاسلام والباطل
ضده وزهوقه ذهابه واضمحلاله وزهقت نفسه خرجت فما اشار
بالقضيب الى وجه صنم اي ما هو على صورة وجه مقابل له الا وقع خر ساقطا
لقفاه اي على قفاه فاللام بمعنى على كقوله • فخر صريعا لليدين وللفم ••
والاستثناء مفرغ من اعم الاحوال اي في حال من الاحوال سقوطه
ولا اشار لقفاه الا وقع لوجهه اي الى جهته اشار صلى الله عليه وسلم
اليها من الصنم وقع على مقابلها حتى سقطت كلها وما بقي منها صنم
تاكيد اذ سقطت كلها والقفا مقابل الوجه وهو مقصور ويمنع مده في
اللغة ضعيفة وقيل انه ضرورة والحاصل انها سقطت
كلها باشارته صلى الله عليه وسلم من غير ان يمسها واختلفت الروايات
فقيل اشار بيده وقيل بقوس وقيل بقضيب وقيل

بعود وهذا انما كان حول البيت واما ما كان في جوفه فانه امر باخراجه ولم
يدخل صلى الله عليه وسلم البيت حتى اخرجت منه ومحيت الصور التي كانت
فيه ولم يتعرض له المصنف مع انه في الصحيحين لان كلامه في طاعة الجماد
له صلى الله عليه وسلم وهذه الاصنام كانت موثقة بالرصاص لو ارادوا قلعها
لم يمكنهم قلعها الا بعلاج شديد وقد سقطت باشارته من بعيد فهو كتحرك الشجر
من غرسه له صلى الله عليه وسلم فلذا اقتصر عليه المصنف واشار اليه
بقوله مثبتة بالرصاص ومثله اي مثل هذا الحديث وبمعناه في حديث
ابن مسعود الذي رواه الشيخان وقال اي ابن مسعود في روايته
فجعل يطعنها اي الاصنام المذكورة ويطعن بفتح العين كمنع يمنع وتجوز
ضمها والاول اشهر وافصح خلافا لمن عكس وقد تقدم اختلاف الروايات
فيما طعن به وجه مقاربته والذي مر في الرواية السابقة انه اشار اليها
من غير ان يمسها بيده وما فيها من عصى ونحوها وهذه الرواية تقتضي
انه مسها بالعصا ودفعها بها كالطاعن لها فبينهما اختلاف ولذا فسر
بعضهم طعنها باشارته اليها من غير مس وهو خلاف الظاهر وقيل
انها كانت كثيرة فاشار لبعض منها وطعن بعضها منها فلا تعارض
في الروايات ويقول معطوف او حال بتقدير وهو يقول جاء الحق اي
الدين الحق والتوحيد او وعد الله بفتح مكة وما يبدئ الباطل
وما يعيد الابداء الايجاد ابتداء من غير سبق ايجاد اخر والاعادة الايجاد
مرة بعد مرة اخرى وما هنا يجوز فيها ان تكون نافية اي الشرك هلك
واضمحل واستفهامية استفهاما انكاريا وهو بمعنى النفي ايضا فالمعنى واحد
وانما ذكر حديث ابن مسعود لانه في الصحيحين وقدم الاول لانه ارفق
بمراده هنا وفيه زيادة ثقة وهي مقبولة ومن ذلك اي مما ذكر من امر
الجمادات حديثه الذي رواه الترمذي والبيهقي مع الراهب
وهو بحيرا واسمه جرجس ويقال جرجيس بامن عبد القيس نصاري
تيما بصري وهو ممن امن به صلى الله عليه وسلم قبل بعثته صلى الله
عليه وسلم ولذا عده بعضهم من الصحابة كورقة بن نوفل وفي المسئلة
اختلاف ذكره البرهان في النبراس وغيره وقيل انه كان يهوديا
واسمه بفتح الباء مقصور وممدود وتسميته راهبا توهم نصرانيته
لان الرهبانية وهي الزهد في الماكل وغيره لشدة رهبته اي خوفه
معروفة فيهم كما لا يخفى في ابتدائه صلى الله عليه وسلم اي وهو
صغير السن لم يبعث اذ خرج تاجرا اي لاجل التجارة مع عمه

ابي طالب واعترض عليه بانه لما خرج مع عمه المذكور كان عمره تسع سنين وقيل اثنا عشر ولم يكن تاجرا انما تعرض لعمه وهو خارج وقال له تتركني وليس معي احد فاخذه معه وانما خرج تاجرا بعد ذلك مع ميسرة غلام خديجة رضي الله عنها وميسرة هذا لم يذكر في الصحابة وقد مات قبل البعثة وفي هذه الخرجة لقي راهبا اخر وهو نسطورا وقصته مشهورة ايضا ففي كلام المصنف ما لا يخفى وما قيل في الجواب من ان تاجرا حال من ضمير عمه او حال من ضميره صلى الله عليه وسلم المستتر في خرج وجعله تاجرا بالمجاورة لعمه الذي خرج للتجارة تعسف وتكلف جدا وكان الراهب لا يخرج من صومعته لما كان يترهب فيها الى احد ممن يمر عليه من ابناء السبيل لان صومعته كانت على طريق قريش في ممرهم للشام تجارا فكان يراهم ولا يخرج اليهم لانفراده واشتغاله بعبادته على عادتهم فخرج على خلاف عادته لما نزل قريبا منه ابو طالب والنبي صلى الله عليه وسلم معه والصرهم فجعل اي صار يتخللهم بفتح المثناة التحتية والفوقية والخاء المعجمة واللام المشددة بعدها لام مخففة اي يدخل في خلالهم ويدور بينهم ينظرهم واحدا بعد واحد من تخلل القوم اذا دخل بينهم كما في الصحاح حتى اخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم اي امسك بيده الشريفة فقال هذا سيد العالمين اي اشرف المخلوقات كلهم لما راى فيه من الصفات التي علمها من كتبهم يبعثه الله اي برسالة لدعوة الكافة لعمها بناه رحمة للعالمين اي لاجل رحمتهم جميعا بمجيبه بما يسعدهم مما يناله في الدنيا والاخرة كما تقدم فقال له اي للراهب اشياخ من قريش جمع شيخ وحقيقته الكبير السن ثم شاع في الشريف المتقدم على غيره ما علمك مما ذكرته من كونه سيدا او رحمة عامة اي من اين عرفت هذا فقال انه لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا له وهو شاهد ذلك من صومعته لما نزلوا عنده ومن معه لم يروا ذلك لاشتغالهم باحوالهم في السفر ولا تسجد الا لنبي تعظيما له اذا مر بها او نزل عندها والسجود للتحية والاكرام كان سنة عندهم على ان امتناعه انما هو في حق العقلاء دون غيرهم فانهم لا يتصور منهم شرك فالبحث عنه لا وجه له وذكر القصة الى اخرها مفصلة كما في السير وشهرتها تغني عن ذكرها ثم قال اي الراهب فاقبل صلى الله عليه وسلم للمنزل وعليه غمامة تظلله دون من معه من رفقته فلما دنا من القوم الرافقين له الذين نزلوا قبله

وجدهم

وجدهم سبقوه الى في الشجرة فلما جلس صلى الله عليه وسلم مال الفيء اليه اي الى جانبه الذي جلس فيه والفيء هو الظل او الظل بالغداة والفيء بالعشي لانه من فاء اذا رجع وهذا اقوى مثل معناه لكن توسعوا فيه فاستعملوا كلا منهما مقام الاخر والغمامة السحابة اي البيضاء والمراد الاول وخبر بحيرا صحيح روي من طرق صحيحة الا انه طعن فيما رواه الحاكم فيه من ان سبعة من الروم اقبلوا يقصدون قتله صلى الله عليه وسلم فاستقبلهم بحيرا وقال لهم ما جاء بكم فقالوا ان هذا النبي خارج في هذا الشهر واتاه بعثناه فقال لهم ارايتم امرا اراده الله هل يستطيع احد رده قالوا لا فبايعوه عما ارادوه واقاموا معه ورده ابو طالب وبعث معه ابو بكر بلالا رضي الله عنهما فقال الذهبي انه حديث منكر وانما طعن فيه لان ابا بكر رضي الله عنه كان صغيرا اذ ذاك ولم يملك بلالا وقيل انه هذا مندرج فيه من حديث اخر والافة فيه من رواية وما افق الاخبار لا رواتها حسب

فصل في الايات في ضروب الحيوانات الايات جمع اية وهي العلامة والمعجزة لانها علامة نبوته النبي والضروب جمع ضرب وهو البني النوع حدثنا سراج بن عبد الملك ابو الحسين الحافظ قال حدثنا ابي قال حدثنا القاضي يونس رجال هذا السند تقدموا كلهم مع الكلام عليهم وعلى اسمائهم فلا حاجة للتكرار الممل قال حدثنا ابو الفضل الصقلي بفتح الصاد المهملة والقاف وكسر اللام المشددة وياء نسبة لصقلية جزيرة بالاندلس كثيرة الاشجار والثمار قال الشاعر

ذكرت صقلية والاسى • يهيج نفسي تذكارها •

وكسر صادها خطا وان ذكره البرهان ظنا من عنده قال حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده قالا حدثنا ابو العلا احمد ابن عمران قال حدثنا يونس ابن عمرو كذا في النسخ وقد سقط منه احمد راو وصوابه حدثنا عمران حدثنا محمد بن فضيل قال حدثنا يونس ابن عمرو كما في بعض النسخ موصولا وهو من رجال مسلم واصحاب السنن الاربعة وترجمته في شروحها كما تقدم ويونس هو ابن اسحاق السبيعي وهو ثقة صدوق وقيل انه مضطرب لا يحتج به وترجمته في الميزان توفي سنة تسع وخمسين ومائة قال حدثنا مجاهد وفي نسخة عن مجاهد عن عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها ومجاهد هو ابن جبر كما تقدم وقيل ان مجاهدا لم يسمع منها فالصحيح خلافه قالت عائشة كان عندنا داجن من المداجنة وهي لزوم

البيوت وسكونها والمراد تحاشاه تالف البيوت وتعلف فيها وتطلق على غيرها من الحيوانات التي تربى في البيوت كالناقة والحمام والمراد بقولها عندنا منزلة الذي يسكنه وكذا في قوله فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قر وثبت مكانه اي وقف او ربض في مكانه لا يتحرك تادبا معه صلى الله عليه وسلم واذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزله جاء وذهب اي مشى في البيت وتردد فيه لانه ليس عنده من يهابه وفيه حصل المعنى انه لم يتعرض لعدم رؤيته صلى الله عليه وسلم اشيا فالرؤية وهذا الحديث صحيح رواه احمد والبزار وابو يعلى والبيهقي والدارقطني وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم لان الحيوانات التي لا تعقل ومهابته له وروي داجنة بالهاء وراجن وراجنة بالراء وهو من القرار وهو السكون وعدم الحركة وروي عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه في حديث رواه الطبراني والبيهقي وروي ايضا عن عائشة وابي هريرة وهو ضعيف كما قاله السيوطي وليس بموضوع كما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في محفل بفتح الميم وسكون الحاء المهملة وكسر الفاء واللام محل يجتمع فيه ناس كثيرون من حفل بمعنى جمع من اصحابه اذ جاء اعرابي اي دخل بغتة عليهم رجل من اهل البادية غير معروف قد صاد ضبا جملة حالية بفتح الضاد وتشديد الباء حيوان بري اكبر من الجرذون يشبه الحرباء والاعراب تصطاده وتاكله فقال الاعرابي للصحابة من هذا سائلا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه ينكره او لم يعرفه فقالوا له زجرا نبي الله اي هو نبي ورسول صلى الله عليه وسلم

وليس فوقك يا هذا الجبابرة ٭ البيت يعرف من الكوت والحرم

فقال واللات والعزى وهما صنمان عبدا في الجاهلية واصل اللات اللاة فحذفوا الهاء وادخلوا التاء التانيث عوضا عنها وهو من لوى سمي به لانهم كانوا يلوون عليها في طوافهم حولها وكانت تحله الطائف لقريش وثقيف والعزى تانيث الاعز شجرة من السمرة كانت لغطفان بعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها فقتلها وقال يا عزى كفرانك لا سبحانك اني رايت الله قد اهانك ثم اخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك العزى ولن تعبد ابدا واقسم الاعرابي

عوضه

لهما لانه لم يكن مسلما كما يدل عليه ما بعده من قوله لا امنت بك اي ما امنت بك يا رسول الله او يؤمن بك هذا الضب بنصب يؤمن اي الا ان يؤمن هذا الضب فاو هي من ادوات النصب ايضا بعدها وفيه معجزة لك من نطق هذا الحيوان واقراره برسالتك واو بمعنى الا او الى غاية لانتفا ايمانه وهما ينتصب بعده المضارع بعد النفي ونحوه وفي نسخة حتى بدلا او وطرحه اي رمى الاعرابي الضب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم اي في منتها بلبثه قريبا منه فقال صلى الله عليه وسلم له اي للضب يا ضب بالضم لانه منادى مفرد فاجابه بلسان بين كلام ظاهر مفهوم يسمعه القوم الذين عنده جميعا لبيك اي اجابة لك بعد اجابة وهو مثنى منصوب على المصدرية كما بينه النحاة وسعديك اي مساعدة وطاعة لك بعد طاعة وهو مثله في المعنى والنصب وهما عبارة عن سرعة الاجابة والانقياد والطاعة يا زين من وافى القيامة اي من تزين وتحسن من كل من جاء الى القيامة والموافاة الحضور والمجي والقيامة معروفة وانما جعله زينا اي زينا لاهلها ومن بها لانه صلى الله عليه وسلم سيدهم وقائدهم والشفيع فيهم وهذه العبارة شائعة في لسان عامة العرب فيقولون يا زين القوم لاشرفهم واحسنهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للضب من تعبد سائلا ليعرف معبوده ليدله بوصفه بما يعرفه كل احد قال الذي في السما عرشه وهو في الاصل سرير الملك والعرش والكرسي اجمالا معلوم وتحقيقه في كتب التفسير والمراد بالسما ما يقابل الارض او جهة العلو مطلقا فلا ينافي ما ذكر ومن انه فوق السموات كما قال وسع كرسيه السموات والارض والكلام في هذا المقام اخر لا يحيط به ظروف الحروف وفي الارض سلطانه اي في الارض ومن فيها يظهر عدله وحكمه وقهره لمن فيهما من الثقلين وسلطانه وان كان على كل موجود لكن ظهوره فيمن لم يخالفه ظاهر فيهما والسلطان في الاصل مصدر من التسلط والقهر وفي البحر سبيله اي طريقه التي جعلها مسلوكة لعباده بتسخير الريح ونحوه مما لا يقدر عليه غيره كما قال تعالى وهو الذي يسيركم في البر والبحر ولذا كانت الكفرة لا يدعون فيه سواه كما قال فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين وفي الجنة رحمته المختصة العظمى الباقية وان كان رحيم الدنيا والاخرة وفي النار عذابه وفي نسخة عقابه فلما امن بالله ووصفه بما هو مختص به دالا على عظمته قال له صلى الله عليه وسلم ليكمل ايمانه من انا اي اذا امنت بي فمن انا

قال رسول رب العالمين اشارة الى عموم رسالته صلى الله عليه وسلم
لكل موجود حتى الجمادات والحيوانات وخاتم النبيين فلا نبي بعدك كما تقدم
وقد افلح وفاز بسعادة الدارين من صدقك واقر برسالتك وخاب من
كذبك بانكار رسالتك وعدم اجابة دعوتك فاسلم الاعرابي لما رآه
معجزته صلى الله عليه وسلم وعلم علما ضروريا بتوحيد الله والاقرار برسالة
رسوله صلى الله عليه وسلم وهذا الحديث طويل رواه البيهقي وفيه
ان الاعرابي من بني سليم وانه كان ذاهبا بالضب ليشويه ويأكله فلما رأى
النبي صلى الله عليه وسلم وقع له ما ذكره المصنف من اسلامه قال
لا اتبع اثرا بعد عين والله لقد جئتك وما على ظهر الارض احد ابغض
الي منك وانت اليوم احب الي من نفسي وولدي فلما اسلم وتشهد قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي هداك الى هذا الدين يعلو ولا يعلى
ولا يقبل الا بصلاة ولا صلاة الا بقراءة ثم علمه الصلاة والقراءة وعلمه
سورة الاخلاص وكان هذا سببا لاسلام قومه وقد وهم على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد علمت ضعف الحديث وان قال الذهبي انه
موضوع ومن ذلك اي من معجزاته صلى الله عليه وسلم في تسخير الحيوانات
وانطاقها قصة كلام الذيب المشهورة التي رواها احمد والبزار والبيهقي
وصححها عن ابي سعيد الخدري هو سعد بن مالك الصحابي كما تقدم
بينا راع تقدم ان بينا من الظروف وان الالف للاشباع او كافة عن
الاضافة فراع في محل رفع او جر وهو اسم فاعل من رعى الغنم ونحوها وهو
معروف وقوله يرعى غنما له ذكره لبيان ان الغنم له فليس باجنبي
فانه كان يرعى غنما فان الراعي قد يرعى غيرها كالابل والبقر واختلف
في اسم هذا الراعي فقيل انه اهبان بن اوس وقد جرى عليه المصنف
فيما يأتي وانه وقع مثل هذه القصة لابي سفيان بن حرب وصفوان بن امية
في ذيب اخذ شاة فتبعه الراعي فقال له الذيب من لها يوم السبع
يوم لا راعي لها غيري وان الذي كلمه الذيب اهبان ابو اوس الاسلمي
وقيل اهبان بن عقبة عم سلمة بن الاكوع اصحاب الشجرة وقيل
اهبان بن الاكوع وعند السهيلي انه رافع بن ربيعة وقيل هو
اهبان بن عباد الخزاعي وقيل الذي كلمه الذيب سلمة بن الاكوع
وياتي بيان ذلك كله وقيل اهبان بن صيفي وعن ابن عساكر ان الذي كلمه
الذيب رافع بن عميرة الطائي كلمه الذيب وهو في ضان له يرعاها ودعاه
النبي صلى الله عليه وسلم وامره باللحوق به صلى الله عليه وسلم فقال

دعيت

رعيت الضان احميها زمانا * من الضبع الخفي وكل ذيب
فلما ان سمعت الذيب نادى * يبشرني باحمد من قريب
سعيت اليه قد شمرت ثوبي * عن الساقين قاصدة الركيب
فالفيت النبي يقول قولا * صدوقا قال لي بالقول الكذوب
فبشرني بدين الحق حتى * تبينت الشريعة للمنيب
وابصرت الضياء يضيء حولي * امامي ان سعيت ومن جنوبي
الا ابلغ بني عمرو بن عوف * واخوتهم جذيلة ان اجيبي
دعا المصطفى لا شك فيه * فانك ان اجبت فلن تخيبي

وقد علم ان قصة كلام الذيب وقعت مرارا عديدة على انحاء مختلفة وكلامه
وان كان لحكمة لكن اقراره به معجزة له صلى الله عليه وسلم عرض الذيب لشاة
منها اي اتاها لاختطافها اذا اخذها فاخذها الراعي منه اي ادركه وانتزعها
من يده اي ردها فاقعى الذيب اي مكث على عقبيه ناصبا يديه كما هو معروف في
اقعاء الكلب والذيب ونحوهما خلاف ما ذكره الفقهاء في كتاب الصلاة فقال
الذيب بعد اقعائه للراعي الا حرف استفتاح هنا تتقي الله اي تخافه وتخشاه
حلت بضم الحاء المهملة وسكون اللام وفتح التاء الخطاب اي فصلت وفرقت
بيني وبين رزقي الذي رزقه الله لي قال الراعي العجب من ذيب
يتكلم بكلام الانس وفي نسخة البشر وهما بمعنى تعجب من نطقه وليس من شأنه
ذلك فقال الذيب مجيبا له الا اخبرك باعجب من ذلك اي من كلام حيوان
اعجم رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحرتين بفتح الحاء المهملة وتشديد
الراء المهملة وبالتاء [illegible] تثنية حرة وهي [illegible] ذات حجارة سود
كانها اسودت من الحر والحرتان بالمدينة [illegible] ذات حجارة سود كانها اسودت
من الحر والحرتان بالمدينة يحدث الناس بانباء ما سبق
وفي نسخة من سبق اي الامم السابقة واخبار الغيب وانما جعله اعجب
لانه اخبار بالغيب معجز فلا اعجب من نطق حيوان انطقه الله
الذي انطق كل شيء وكون الامر عجيبا يختلف باختلاف الاسباب والانباء
جمع نبا وهو الخبر فاتى الراعي النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بكلام الذيب
وقصته معه فقال النبي صلى الله عليه وسلم للراعي قم من عنده فاذهب
للحاضرين فحدثهم بما شاهدته ليزداد ايمانهم ويسرهم ما ظهر من معجزاته
ثم قال صدق والحديث فيه قصة لما فيه من الغرابة وانه من اشراط
الساعة لقوله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم
السباع الناس ويكلم الرجل شراك نعله وعذبة سوطه وتخبره فخذه بما

بما حدث في اهله ولما لم يكن في هذا استشهاد لما هو بصدده اسقطه واعتذر
عنه بقوله وفيه اي في بعض رواياته طول ولذا تركته لعدم الحاجة
اليه هنا وروي حديث الذئب عن ابي هريرة رضي الله عنه رواه احمد
والبزار والبيهقي وصححه والبغوي وابو نعيم بسند صحيح وفي بعض الطرق
بضمتين جمع طريق نحو ما مر عن الرواية فقال الذئب للراعي انت اعجب
اي حالك اعجب من حالي في حال كونك واقفا على غنمك اي مراعيا وحافظا
لها وتركت نبيا اي وقد تركت الخ فالجملة حالية بتقدير قد لم يبعث
الله نبيا من انبيائه السالفة قط اعظم منه عنده واجل قدرا ومنزلة
عنده به وهو تمييز لنسبة اعظم وقد فتحت له ابواب الجنة بتشديد
تاء فتحت وتخفيفها اي هيئت واعدت له والجملة حالية ايضا وقوله
واشرف اهلها يدل على ان المراد انها انفتحت حقيقة لينظر من فيها
من الملائكة والاشراف النظر من مكان عال ماخوذ من الشرف وهو
المكان العالي على اصحابه ينظرون قتالهم اي ينظرون اليهم وهم صفوف
واقفون في القتال كصفوف الملائكة وما بينك وبينه الا هذا
الشعب بكسر الشين المعجمة وسكون العين المهملة بعدها موحدة
وهو منفرج بين جبلين يعني انه قريب منك لا عذر لك في التخلف عنه
فتنصر في جنود الله اذا ذهبت اليه وتصير من حزب الله المفلحين
فتخلفك عنه مع هذا اعجب من نطقي الذي تعجبت منه قال الراعي
للذئب لما اشار عليه بالذهاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن لي بغنمي اي اذا ذهبت اليه من يتكفل لي بحفظ غنمي حتى اجيء لها
قال الذئب انا ارعاها اي احفظها واحرسها حتى ترجع
اليها من عنده صلى الله عليه وسلم فاسلم الرجل وهو الراعي اليه
غنمه اي سلمها للذئب وتركها عنده ومضى الى النبي صلى الله عليه
وسلم وذكر قصته مع الذئب وما كلمه به وما فعله معه واسلامه
الغنم له ووجود النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل كما قاله
له الذئب فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بعدما قص قصته
عليه واسلم وامن به صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك تجدها بوفرها
بفتح الواو وسكون الفاء اي بتمامها وكمالها لم ينقص منها شيء في قولهم
ارض وفر لم يرع بنا بها فوجدها كذلك اي تامة غير ناقصة وذبح
للذئب منها شاة جزاء له على صنيعه وارشاده له وعن اهبان بن اوس
عطف على قوله عن ابي هريرة وهو بضم همزة اهبان واوس بفتحها

علم منقوط معناه العطية وهذا الحديث رواه البيهقي والبخاري في تاريخه
عنه انه كان صاحب هذه القصة المذكورة في كلام الذئب وانه المحدث
بها وانه المحدث بها والمكلم الذئب كما في الروض الانف وانه كان في غزوة
ذي قرد وروي ايضا وعن سلمة بن عمرو وهو ريد بن الاكوع وانه ابن الاكوع
لا سلمة كما في الفتح وبحوه بفتح همزة انه وكسرها كان صاحب هذه
القصة ايضا يعني انها تعددت وكانت سبب اسلامه وفي مرآة الزمان
لسبط ابن الجوزي اهبان بن الاكوع اسمه عقبة من الطبقة الثالثة من المهاجرين
وهو مكلم الذئب في رواية انه هشام وقد اختلفوا فيه فقال هشام هو اهبان
ابن الاكوع وعن الواقدي هو ابن اهبان بن الاوس الاسلمي الصحابي من اسلم نزل
الكوفة وتوفي في خلافة معاوية وحكى ابن سعد عن ابن الاشعث ان مكلم الذئب
اهبان بن عياذ بن ربيعة بن كعب بن امية بن نقطة باخرته من اسلم وذكره
جدي في التلقيح ان اسمه اهبان ابن ربيعة اهبان ابن الاكوع ابو عقبة واهبان
ابن اوس الاسلمي واهبان بن صيفي الغفاري واهبان ابن عباد الخزاعي مكلم
الذئب قال وذكر انه مكلم الذئب اهبان ابن اوس انتهى ولم يذكر في
الرواية منهم سوى اهبان بن الاكوع وعلى قول الواقدي اهبان بن اوس
الاسلمي وعلى قول ابن الاشعث اهبان بن صيفي الغفاري انتهى فهذه
اقوال ارتضى المصنف منها قول الواقدي فان كانت القصة تعددت فلا خلاف
وليس في الصحابة من اسمه اهبان بن عقبة وقد يقال انه غلط من ابي
عقبة فليحرر مثل حديث ابي سعيد الخدري انه روي سبب اسلامه مثله
روي عبد الله بن وهب الثابت في ترجمته مثل هذا المذكور من كلام
الذئب انه جرى اي وقع واتفق لابي سفيان بن حرب والد معاوية وام حبيبة
المشهورين رضي الله عنهم وصفوان بن امية الصحابي المعروف وقع هذا لهما
قبل اسلامهما وكانا من اشد الناس عداوة له صلى الله عليه وسلم قبل اسلامهما
فلما اسلما صار صلى الله عليه وسلم احب اليهما من نفسهما مع ذئب وجداه
اخذ ظبيا اي اراد اخذه بجريه خلفه في الحل ليأخذه بقرينة قوله
فدخل الظبي الحرم فانصرف الذئب عنه لانه في الحرم المحرم صيده او انه
الغالب منه بعد اخذه فتعجبا من ذلك اي من كون الذئب عرف حرمة
الحرم وكف عن صيد امكنه وهو ليس من العقلاء فقال الذئب
لما سمع تعجبهما او علمه من حالهما اعجب من ذلك الفعل الذي صدر
منه محمد بن عبد الله موجود بالمدينة يدعوكم الى الجنة بدعوته
للاسلام الذي هو مقتضى دخولها وتدعونه الى النار بقولكم له لم لا توا

وتعبد الجنتنا مما هو سبب للخلود في النار وانما كان هذا اعجب لانه يخالف
لما يقتضيه العقل ونطق حيوان اعجم لقدرة الله وانذاره لنبي عجيب
لكن هذا في النظر السديد والعقل السليم وليس باعجب من عبادة الحجارة **فقال**
ابو سفيان واللات والعزى لئن ذكرت بضم التاء وفتحها **هذا** اي تكلم الذيب
بما قاله **بمكة** اي ذكرته لاهلها **لتتركنها خلوفا** بضم الخاء المعجمة واللام
والفا مضمومة او جمع خالف والمراد تركها خالية من اهلها بان يسلموا جميعا
ويخلونه له صلى الله عليه وسلم لان من سمع مثله لا يتردد في صحة رسالته
صلى الله عليه وسلم وسعادة من اتبعه او المراد يدعها واهلها متغيرة ◦
فاسدة لما يقع بين اهلها من الفساد والفتن باختلاف الكلمة فالاول
من قولهم اتيت الحي فوجدته خلوفا اي لم يبق فيه احد من الرجال بل النسا
والخلوف خوالف لانهن يخلفن الرجال والثاني من قوله صلى الله
عليه وسلم لخلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك اي رائحة تغيره
وقد روي مثل هذا الخبر الذي وقع لابي سفيان وصفوان **كذا انه جرى**
لابي جهل واصحابه اي انهم شاهدوا امثاله وتعجبوا منه ولكن الله
اشقاهم واشقاهم **وعن ابي العباس بن مرداس** بكسر الميم وهو من الصحابة
شاعر مجيد شجاع شهم وكان ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية كالصديق
رضي الله عنه وجماعة الا انه كان من المولفة قلوبهم ثم حسن اسلامه ونور
الله قلبه **لما تعجب** لما ظرف متعلق بعقله اي وقع ذلك او شرطية
جوابها قوله فاذا طاير فاذا جواب لما قد يقترن بالفا لكنه نادر **من كلام**
ضمار بكسر الضاد المعجمة وميم واخرها را مهملة بوزن كتاب كما في القاموس
وفي بعض نسخ الذيل والصلة للصاغاني بالدال المهملة وفيه نظر
كما قاله البرهان الحلبي **صنمه** بالجر بدل من ضمار فانه اسم صنم كان يعبده
مرداس ورهطه **وانشاده** بالجر معطوف على كلام **الشعر** بالنصب
مفعول المصدر **الذي ذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم** صفة الشعر
وضمير انشاده للصنم وسبب ذلك ان مرداس لما احتضر قال
لابنه يا عباس اي بني اعبد ضمارا فانه ينفعك ويضرك فتفكر عباس
يوما عند ضمار وقال انه حجر لا يضر ولا ينفع ثم صاح باعلى صوته
يا الهي الاعلى اهدي للتي هي اقوم فصاح صايح من جوف الصنم ◦

اودى ضمار وكان يعبد مرة ◦ قبل البيان من النبي محمد ◦
وهو الذي ورث النبوة والهدى ◦ بعد ابن مريم من قريش مهتدي ◦
قل للقبايل من سليم كلها ◦ اودى ضمار وعاش اهل المسجد ◦

فخرق

فخرق عباس ضمارا ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم **فاذا طاير سقط** اي خر منه
الجو بغتة عليه **فقال** الطاير **يا عباس اتعجب من كلام ضمار** بالتنوين
والصرف الا انه وقع في الشعر غير مصروف فانه لم يكن ضرورة فهو جايز وتعجبه
لنطق الجماد بما سمع من جوفه وانكاره لتعجبه لانه كلام شيطان في جوفه وكلام
الطاير اعجب منه **ولا تعجب من نفسك ان رسول الله يدعو الى الاسلام**
حذف مفعوله للتعميم اي كل احد اليه **وانت جالس** في منزلك متخلف عن اجابة
دعوته صلى الله عليه وسلم التي هي السعادة العظمى **فكان ذلك** المذكور مما
سمعه من الصنم والطاير **سبب اسلامه** لانه لما سمع ما ذكر نهض في ثلاثماية
فارس من قومه وهم سليم فلما راه النبي صلى الله عليه وسلم تبسم فقال
له يا عباس حدثنا ما رايته فقص عليه القصة واسلم وقتل
الضمار الا ان صنما لخزاعة يتجه كون اليه وانه قصد نطقه ونعت لعمر بن ◦
الخطاب وكان له صنم اخر والقصة ونطق الاصنام واخبارها ببعثة النبي
صلى الله عليه وسلم ونعته بزارا وفيها اخبار مذكورة في السير قيل انما تركها
المصنف لان النطق المسموع منها من الجن **وعن جابر بن عبد الله** رضي الله
عنهما في حديث رواه البيهقي **عن رجل** اسمه اسلم وعن الواقدي ان اسمه
يسار وهو رجل اسود كان راعيا قاتل حتى قتل كما ذكره ابن سيد الناس في سيرته
في غزوة خيبر **اتى النبي صلى الله عليه وسلم وانه وهو على بعض حصون**
خيبر قوله وهو محاصر له اي وهو صلى الله عليه وسلم مقيم عنده
لفتحه والحصون جمع حصن وهي القلعة التي يتحصن بها لا القصر كما
قيل والاحد في هذا الكلام وقيل الصغير للرجل قيل بعده ◦
قوله **وكان في غنم يرعاها لهم** اي لاهل خيبر والظرفية بمعنى المعية او هي
مجازية كقوله واذا كنت فيهم الاية **فقال يا رسول الله كيف بالغنم**
اي كيف افعل بالغنم اذا اسلمت وهي ملك غيري وانا اجير **فقال احصب**
وجوهها اي ارمها في وجوهها بالحصباء وهي صغار الحجارة ودقاقها ورواه
فسر من انه حكمه هذا ان الحصارة بمعنى العقل في قوله
وان لسان المرء ما لم يكن له ◦ حصاة على عوراته لدليل ◦
ومعنى الاحصا بمعنى العد او احد العلم والهداية لها الى اهلها هديا
لا معنى له وانما المراد انه اذا ضرب وجوهها وليت مدبرة فهداها الله
ببركته صلى الله عليه وسلم للرجوع لمنازل اصحابها حتى يخلص من عهدة
ضمانها كما اشار اليه بقوله **فان الله سيؤدي عنك امانتك** وهي الغنم
التي سلمت لك اي يوصلها ويبلغها **ويردها الى اهلها** وهم اصحابها الملاك

عوضي

ويلي
عوضا

لها تخرج انت عن عهدة منها فقال فنفعل ما امرته به رسول الله صلى الله عليه وسلم فسار قد كل شاة حتى دخلت الى اهلها وانما كان هذا لانه كان مستامنا وفي يده امانة لاهل خيبر قبل فتحها فلذا ردها صلى الله عليه وسلم لاصحابها مع ما فيه من تطييب قلبه من خروجه من عهدتها ولذا لم يجعلها غنيمة فانه علم انها شاكونة كذلك بعد الفتح والراعي كان عبدا اسود رفيقا لبعض اهل خيبر فلما غزاها النبي صلى الله عليه وسلم وسمع خبر النبي من اليهود جاء واسلم وحسن اسلامه واستشهد في تلك الغزوة بحجر اصابه او سهم ولم يصل صلاة قط فشهد له صلى الله عليه وسلم بالجنة وانه راى عنده زوجتان له من الحور العين كما رواه معضلا في دلائل النبوة وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم الظاهرة كما لا يخفى وعن انس في حديث صحيح سنده رواه احمد والبزار دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائط انصاري الحائط معروف ويتجوز به عن البستان وهو المراد هنا وابو بكر وعمر ورجل من الانصار في الحائط اي البستان غنم ۵ فسجدت له صلى الله عليه وسلم تعظيما له لما شاهدته من نور نبوته والهمها الله معرفته فقال ابو بكر لما راى سجودها له صلى الله عليه وسلم نحن احق بالسجود لك منها يعني لو كان به السجود لغير الله والجار الاول متعلق بالسجود والثاني باحق وفي بعض النسخ تقديم لك على السجود لانه ظرف يتوسع فيه ومعمول المصدر غيره لا يتقدم عليه لضعف عمله الحديث وتمته انه صلى الله عليه وسلم قال لا ينبغي لاحد ان يسجد لاحد واحد المخصوص بالنفي يشمل الواحد وغيره ويختص بالعقلاء كما صرحوا به ففيه اشارة الى ان الغنم ونحوها من غير جنس الناس سجودها تعظيما ليس ممنوعا كسجود الكواكب ليوسف عليه الصلاة والسلام وعن ابي هريرة قال السيوطي هذا الحديث رواه البزار بسند حسن وحديث ثعلبة ابن مالك رواه ابو نعيم وحديث جابر رواه احمد والدارمي والبزار والبيهقي وحديث يعلى بن مرة احمد والحاكم والبيهقي بسنده ۵ صحيح وحديث عبد الله بن جعفر مسلم وداود وحديث عبد الله ابن ابي اوفى ابو نعيم والبيهقي دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائطا اي بستانا فجا بعير كان في البستان ۵ فسجد له صلى الله عليه وسلم وذكر مثله اي مثل الحديث الذي قبله فقالوا هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ونحن نعقل فنحن احق ان نسجد لك فقال صلى الله عليه وسلم لا يصلح لبشر ان يسجد لبشر ولو صلح لامرت المراة

ان تسجد لزوجها لما له من الحق وروى مثله في الجمل عن ثعلبة بن مالك الصحابي وهو ممن استشهد باحد لكن الذي ذكره ابن عبد البر انه ثعلبة ابن ابي مالك القرظي وابو قدم من اليمن على دين اليهود ثم فنزل على بني قريظة فنسب اليهم ثم اسلم فقوله ابن مالك صوابه ابن ابي مالك وجابر بن عبد الله ويعلى بن مرة وعبد الله ابن جعفر بحديث الجمل وسجوده روي من طرق ۵ متعددة مروية عمن ذكر والقصة واحدة كما بينه السيوطي قال كل منهم او عبد الله بن جعفر وكان لا يدخل احد من غير اصحابه البستان الا شد عليه الجمل شد هنا بمعنى اسرع وحمل حملة عليه قال الراغب يقال شد واشتد اذا اسرع وشد عليه حمل يعني انه كان عقورا هائجا على كل من استغربه فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم عليه اي على الجمل في البستان دعاه وامره بالاقبال عليه فوضع مشفره بكسر الميم وسكون الشين المعجمة وفتح الفاء والراء المهملة وهو في الابل كالشفة للانسان والجحفلة للفرس والخرطوم للسباع والمنقار للطير كما بينه اهل اللغة في الفروق في الارض وبرك بين يديه البروك للجمل كالجلوس للانسان من البرك وهو صدر الجمل ونحوه فخطمه اي وضع زمامه الذي يقاد به في راسه وعلى فمه لانه برك عنده صلى الله عليه وسلم وانقاد لم ينفر للانه وما كان لا يطاق وقال صلى الله عليه وسلم لمن عنده ما بين السما والارض شي من الحيوان ذوات الطيور وغيرها والمراد بالارض الجنس فيشمل الاراضي السبع الا يعلم وفي نسخة الا ويعلم اني رسول الله بعلم خلقه الله فيه والهامه له الا عاصي الجن والانس الا من عصى الله ورسوله وكفر فانه ينكر معرفتي اي معرفته اني رسول الله صلى الله عليه وسلم خفا وعاصي نحوه انه يكون مفردا واصله عاصين حذفت النون للاضافة والياء لالتقاء الساكنين وتقدم الجن لسبقهم خلقا ومعصية لان من عصى الله ابليس والاكثر حيث اجتمعا تقدم الجن في القران وشبله عن عبد الله بن ابي اوفى هو وابوه ۵ صحابيان رضي الله عنهما شهد المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي دعا له النبي صلى الله عليه وسلم حين اتى بصدقته وقال اللهم صل على آل ابي اوفى وحديثه مذكور في دلائل النبوة لابي نعيم والبيهقي ولفظه قريب مما ذكره اولا وفي اخبار في حديث الجمل ان النبي صلى الله عليه وسلم سالهم عن شانه لما انه منهم ويبطش بكل من قرب منه فاخبروه وفي نسخة فاخبر بالبناء للمفعول انهم ارادوا

وبجد لانه ضعيف كما سياتي وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لهم انه شكى كثرة العمل وقلة العلف وهو بفتحتين نحل بمعنى المعمول
والمعلوف يطلق على قوت الدواب من الحبوب وغيرها وشكايته اما بلسانها
بنطق فهو من المعجزات وفي رواية انه شكى الي انكم اردتم ذبحه ونحره والنحر
ما يستعمل في الابل النحر وفي غيرها الذبح والفرق بينهما قريب جدا ولذا
استعمل كل منهما بمعنى الاخر ومعرفته ارادتهم بالالهام بعد ان استعملتموه
اي اكثرتم العمل به من التحميل ونحوه في شاق العمل اي فيما يشق اي يصعب
عليه من العمل وقولهم عمل مشتق غير مسموع فكانه مبني على ان التعدية
بالهمزة مقيسة وفيه خلاف مذكور في كتب اللغة من صغره الى انه
بلغ الكبر وعجز عن العمل فقالوا نعم اعترافا بما ذكر فبئس الجزا الذي ارادوه
وهذا الحديث اخرجه الطبراني وابن ماجه في سننه في غزوة ذات
الرقاع عن جابر وعن تميم الداري وفيه انه صلى الله عليه وسلم قال
ما هكذا جزا المملوك الصالح بعينه فابتاعه منه وارسله يرعى في الشجر
حتى توفي والحديث فيه طول وروي بالمعنى للتجوز لتسهيل وهذه
القصة بهذا التفصيل لا يخرج رادها في قصة العضبا
بفتح العين المهملة وسكون الضاد المعجمة والموحدة والمد وهي اسم
ناقة للنبي صلى الله عليه وسلم ومعناها المشقوقة الاذن وقد اختلف
في ناقته العضبا والقصوا والجدعا بالمد فيهما ايضا هل هن ثلاثة او واحدة
لها القاب متعددة اذ اشتاد فذهب التميمي والعراقي في منظومته
الى انها واحدة ولا عضبه ولا جدع اي شق اذنها وانما هو لقب
وقيل كان باذنها عضب اي شق وفي البخاري ان الجدعا هي التي
هاجر عليها وقيل ان التي هاجر عليها القصوا وعن ابن عباس انه
صلى الله عليه وسلم خرج ذات ليلة فمر بناقة باركة في الدار فقالت
السلام عليك يا رسول الله يا زين القيامة يا رسول رب العالمين فالتفت
وقال وعليك السلام فقالت اني كنت لرجل من قريش يقال له
اغضب فهربت منه فوقعت في مغارة فكان اذا غشيني الليل استوحشني
السباع ينادي بعضها بعضا لا تؤذوها فانه مركب محمد فاذا اصبحت رتعت
نادتني كل شجرة الي الي فانك مركب محمد حتى جئت هاهنا فسميته عضبا
باسم صاحبها وفيه ايضا قالت له صلى الله عليه وسلم ادع الله ان يجعلني
مركبك في الجنة فقال قد فعلت وقد قيل ان هذا الحديث
كان في سنده طعن وقد سميت عضبا وقصوا وجدعا بدال مهملة ومثلها

ومختصرة

ومختصر منه والكل متقاربة المعاني والجدع قطع طرف الاذن فاذا بلغ الربع فهو قصو
فاذا جاوزه فهو عضب فاذا استوصل فصلم ونقل ابن الجوزي عن ثعلب ايضا كلها ه
القاب لناقة له ولا جدع لها ولا عضب واختاره في القاموس وكلامها ه
النبي صلى الله عليه وسلم كلام بمعنى تكليم مصدر والنبي منصوب به مفعوله
وتعريفها له بنفسها كما سمعته انفا ومبادرة العشب اليها بالدال المهملة
مفاعلة من البدار وهو الاسراع وقد تقدم انه كان ينادي تعالي الي فالمراد
طلبه منها ان ترعاه بل غيره والعشب بالضم معروف في الرعي الى مكانه رعيه
وتجنب الوحوش لها اي عدم اذيتها واكلها لها كما مر وندا لهم لها انك
معدة لمحمد ولركوبه وضميرهم للعقلا وعبر به لصدوره فعل العقلا منها وهو
الندا كما في قوله رايتهم لي ساجدين وانها لم تاكل ولم تشرب بعد موته صلى
الله عليه وسلم حتى ماتت من الحزن والاسف على فراقه صلى الله عليه
وسلم فقيل انها التي اشتراها ابو بكر رضي الله عنه من بني الحريش مع اخرى
بثمانماية درهم فلما هاجر اشتراها صلى الله عليه وسلم منه باربعماية درهم وقد
ذكر قصتها مفصلة ابو سعيد في كتاب الشرف وكان له صلى الله عليه وسلم
نوق اخر كما بينه اصحاب السير ذكره الاسفرايني رحمه الله وقد تقدمت
نسبته وترجمته وروى ابن وهب هذا الحديث لم يخرجوه واما ابن وهب
فقد تقدمت ترجمته ان حمام مكة الموجود بحرمها الى الان والحمام كل ذات طوق
بره اواهلي وقيل انه مخصوص بالبركة وقيل انه كل ما عب وهدر والعب
كرع الماء من غير تنفس والهدير ويقال الهدل ترجيع صوت الطائر المعروف
اظلت النبي صلى الله عليه وسلم اي اجتمعت فجعل ظلها عليه ووقايته من الحر
فقيل ولذا كانت محترمة لا تصاد وقيل انها من نسل حمامة الغار
وسياتي يوم فتحها اي فتح مكة فدعا لها بالبركة فاجاب
الله دعاءه فيها وكانت محترمة لا تصاد كما تقدم وروي عن انس رواه عنه
ابن سعد والبزار والطبراني والبيهقي وابو نعيم وزيد بن ارقم والمغيرة
ابن شعبة قال امر الله ليلة الغار منصوب على الظرفية والغار غار ثور
الذي اختفى فيه صلى الله عليه وسلم لما هاجر وقصته مشهورة مذكورة
في القران غنية عن البيان فنبتت من وقتها والامر هنا مجاز عن التسخير
كقوله كونوا قردة فنزل لها منزلة المامور المختار وروي شجرة بالمد وهما
بمعنى والشجرة كانت من الطلح نحو القامة قاله السهيلي وهي بمقدار
القامة ولها زهر ابيض وبها شي يشبه القطن يحشى به المخاد كالريش
خفة ولينا واحده رآه كما في كتاب النبات قال الشاعر

٭ ترى وذاك السديف على حام ٭ كتمثال الوالده الصفيح ٭
نجاه النبي صلى الله عليه وسلم نجاه بضم النون المثناة الفوقية المبدلة
من الواو واصله وجاه اي في مقابلة وجهه باب الغار فسترته عمن ينظر
بحيث لا يراه من طلبه من كفار قريش وامر اي الله حمامتين ذكروا انثى
فعششتا وباضتا على تلك الشجرة فوقفتا بفمه اي بفم الغار لانه مثله
لا يكون الا بعيدا خاليا من الناس وروي في حديث نسجت عليه ما صلى الله عليه
وسلم انه دعا لهما بالبركة فاتخذن الى الحرم فافرخا كل حمام به وفي حديث
الاكل سموا الله ودنوا وسمتوا اي اذا بدأتم بالاكل كلوا مما يليكم ودنوا منكم
واذا فرغتم فسمتوا اي ادعوا لمن اكلتم عنده وقيل ان الشجرة جاءت تسعى
من مكان اخر تشق الارض كما اشار اليه القائل
٭ قامت اليه شجرة تستره ٭ من نظر العدو باحسن الاغصان ٭ سترة
وفي حديث اخر رواه ابن سعد والبزار والطبراني والبيهقي وابو نعيم
عن انس وزيد بن ارقم والمغيرة بن شعبة وفيه نسجت عليهما
ودعا لهما واتخذن الى الحرم فافرخ ذلك الزوج كل شيء في الحرم كما تقدم
ان العنكبوت نسجت على بابه اي على باب الغار وقته فلما اتى الطالبون
له صلى الله عليه وسلم الذين قصوا اثره واتبعوه ليأخذوه وراوا ذلك
المذكور من الشجرة والحمام والعنكبوت بباب الغار قالوا لو كان فيه
اي في هذا الغار احد من الناس لم تكن الحمامتان بفراخ ببابه
الذي منه المرور والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع كلامهم لقربهم منه
بحيث لو امعنوا النظر راوه فانصرفوا راجعين تاركين للطلب
وكانوا فتية من قريش مضوا خلفه صلى الله عليه وسلم ومعهم سراقة
القائف يقص اثره فلما انتهوا الى الغار راوا نسج العنكبوت والحمامتين
على بيضهما فقالوا انه لو دخل احد لم يكن مثل هذا فتحققوا بحيث
لو طاطا احدهم راسه راه صلى الله عليه وسلم وفي هذا معجزات
شاعت حتى بلغت حد التواتر ورواه المحدثون من طرق كثيرة صحيحة
وقد قال فيه الشعراء كثيرا ويعجبني قول ابن الخطيب
٭ ودود القز ان نسجت حريرا ٭ يجمل لبسه في كل شي ٭
٭ فان العنكبوت اجل منها ٭ بما نسجت على راس النبي ٭
٭ وانظر هذا مع قولي ٭
٭ على غار ثور عنكبوت بنسجه ٭ لقد حاز فخرا فاق كل فخار ٭
٭ لذلك دود القز يهلك نفسه ٭ وقد غار من نسج لدى فم غار ٭

وفيه

وفيه معان اخر لا نطيل بها تنبيه قول الابوصيري في همزيته
٭ اخرجوه منها وآواه غار ٭ وحمته حمامة ورقاء ٭
٭ وكفته بنسجها عنكبوت ٭ ما كفته الحمامة الحصداء ٭
الحمامة بنونين هي الدرع لانها تجن البدن اي تستره والحصداء المحكمة
النسج كما في كتب اللغة وهذا البيت حرفه شراحه وصاحب المواهب
اذ جعلوه الحمامة الحصداء اي الكثيرة الريش وهذا قول من لم يصل الى العقو
ويفسره قوله في البردة
٭ وقاية الله اغنت عن مضاعفة ٭ من الدروع وعن عال من الاطم ٭
وعن عبد الله بن قرط بضم القاف وراء مهملة ساكنة يليها طاء مهملة
وهو صحابي ثمالي وكان اميرا على حمص من قبل معاوية وقتل بارض الروم
سنة ست وخمسين واخرج له اصحاب السنن واحمد في مسنده وغيرهم
وهذا الحديث رواه الحاكم والطبراني وابو نعيم مسندا قرب بالبناء
للمفعول اي بعض الصحابة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بدنات
جمع بدنة وهي ما يعد للنحر من الابل خاصة ولا يطلق على البقر وغيرها وان كانت
في حكمها شرعا في الاجزاء عن سبعة وقال ابن الاثير انها من الابل والبقر
حقيقة وبدنات بفتحات وقال العزفي البدنات بضم الموحدة وسكون
الدال ودي دبانه على خلاف القياس الا ان يكون جمع بدن فهو جمع الجمع وهو
بعيد الا ان تساعده الرواية وسميت بدنة لعظم بدنها خمسا او ستا
او سبعا الشك من الراوي فطفقن يزدلفن اليه اي تقربن
من الزلفى وهي القربة ابدلت تاؤه دالا لاجل الزاي اي تتقدم كل واحدة
منهن اليه صلى الله عليه وسلم رغبة في ان يذبحها وانقيادا لامر الله
من الله بايتهن يبدا في الذبح وهذه معجزة باهرة وعن ام سلمة
في حديث رواه الطبراني والبيهقي وابو نعيم هند اذ مملكة كان النبي صلى الله
عليه وسلم في صحراء فنادته ظبية اي كلمته بنطق سمعه الناس بلسان
الحال فقالت له يا رسول الله فالتفت اليها فاذا هي موثقة عندها
اعرابي نائم فقال ما حاجتك قالت صادني هذا الاعرابي
ولي خشفان مثنى خشف بوزن طفل بمعجمتين وهو الظبي الصغير الذي
لم تتم له في ذلك الجبل بتلك الصحراء فاطلقني حتى اذهب
فارضعهما وارجع بنصب الافعال الثلاثة قال او تفعلين اي ترجعين
الي ان اطلقتك قالت نعم فاطلقها والاعرابي نائم لا يشعر به لكن فذهبت
فارضعتهما ثم رجعت فاوثقها وربطها كما كانت فانتبه الاعرابي وراى

رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
الك حاجة قال تطلق هذه الظبية فاطلقها من وثاقها فخرجت
تجري وهي تقول اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فالجملة حالية
بتقدير مبتدا وقد ذكرنا من روى هذا الحديث وقد صححه ابن حجر لوروده
من طرق اخر فلا تلتفت لقول ابن كثير انه لا اصل له لان في سنده مجاهيل
وانما اسناده الى النبي صلى الله عليه وسلم لانه ملكها بالحيازة واتلاف ملك
الغير بغير اذنه ممنوع والواو في قوله واو تفعيل محركة عاطفة
على مقدر اي مقولين ذلك وترجيعي الى واستينافيه على القولين فيه
مثله وفي الحديث معجزات ظاهرة ومن هذا الباب
اي باب المعجزات باطاعة الحيوانات ما روي قال السيوطي لم اقف
على هذا الحديث هكذا واخرج البيهقي انه وقع لسفينة حين ضل عن
الجيش بارض الروم الا ان البخاري يذكره في تاريخه كما قاله المصنف
فلا اعتراض عليه من تسخير الاسد اي تذليله وانقياده لسفينة
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من خدمة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو الذي لقبه سفينة لانه رآه في بعض اسفاره
حاملا لامتعة فقال له انما انت سفينة فاشتهر بذلك واختلف في
اسمه فقيل رومان وقيل مهران وقيل طهمان وروى عنه
مسلم وغيره من اصحاب السنن وفي الحديث مناسبة اتفاقية لانه
اذ وجهه الى معاذ بن جبل حال كونه باليمن وهو الاقليم المعروف
وسفينة من مولدي العرب وقيل من فارس اشتراه رسول الله
صلى الله عليه وسلم واعتقه وقيل ان ام سلمة اعتقته
لخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم ارسل معاذ
ابن جبل لليمن ليجمع الزكاة فلقي الاسد في طريقه فعرفه اي قال له
انه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه كتابه فالهمه الله
فهم كلامه وكف عنه فهمهم الهمهمة صوت لا يفهم وقيل
صوت فيه بحة وفي الحديث ان سفينة قال ظننته السلام يعني
عليه او على رسول الله وتنحى عن الطريق اي تاخر عنه في ناحية
متنبا عدا عن الطريق ذهابا لخوفه وذكر اي سفينة في منصرفه
اي انصرافه ورجوعه من اليمن مثل ذلك اي مثل ما وقع له في ذهابه
فيكون لقيه في سفره هذا مرتين وفي رواية اخرى عنه
اي عن سفينة وهذه الرواية هي التي رواها البيهقي والبزار ه

وصححها

وصححها السيوطي في تخريجه ان سفينة تكسرت به في بعض اسفاره فخرج
الى جزيرة فاذا الاسد اي فاجاه بها اسد لقيه فيها والجزيرة معروفة فقلت له
للاسد انا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل اي طفق وصار يغمزني
بسكون الغين المعجمة وكسر الميم وضمها وزاي اي يجسه واصل الغمز الاشارة بالجفن
فتجوز به عن الدفع الخفيف بقرينة قوله بمنكبه بفتح الميم وكسر الكاف
وهو راس الذراع وما بين الكتف والعنق حتى اقامني على الطريق اي حتى
انتهى الى الطريق ليعرفه بما يذهب فيه وقال البيهقي قال
سفينة وكنت في البحر فانكسرت السفينة فركبت لوحا منها فالجاني
الى اجمة فيها اسد فرايته اقبل الي فقلت يا ابا الحارث انا مولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاقبل نحوي حتى ضربني بمنكبه ثم مشى معي حتى اقامني على
الطريق ثم همهم ساعة وضربني بذنبه فظننته انه يودعني فكان اخر عهدي
به وفيه معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بانقياد الاسد له اذ ذكر اسمه
وكرامة لسفينة ايضا رضي الله عنه واخذ عليه الصلاة والسلام باذن
شاة اي امسكها واخذ المتعدي بالباء بمعنى امسك بخلاف اخذه فهو بمعنى تناول
لقوم من بني عبد القيس اسم قبيلة مشهورة باذن اصبعه بكسر الهمزة
مثنى اصبع معروف وفيه لغات عشر تقدمت ثم خلاها اي خلى اصبعيه
عنها وتركها فصار ذلك اي اخذه باذنها بمعنى اثره ميسما بكسر الميم اصله
موسم فقلبت واوه ياء من الوسم وهو الكي فهو اسم الآلة التي من الحديد يعني فاطلقه
على العلامة واثرها مجازا الا يطلق على العضو الذي فيه الاثر كما ورد في
الحديث فيها اي الشاة ونسلها بعد بالبنا على الضم اي بعدها
او بعد اخذه وعهده قالوا وهذا الحديث لا نعلم من رواه من المحدثين
وما روي عن ابراهيم بن حماد بسنده هذا الحديث رواه ابن حبان
لكنهم قالوا انه ضعيف من كلام الحمار ونطقه له صريحا بقاله الذي
اصابه بخيبر اي وجده بها لما فتحها وقال له ما اسمك قال
يزيد بن شهاب وانه من نسل ستين حمارا كلها لم يركبها الا نبي وقال
لقد كنت اتوقع ان تركبني اذ لم يبق من نسل جدي غيري ولا من الانبياء
غيرك وكنت ليهودي فكنت اعثر به عمدا فكان يجيعني ويضرب ظهري فسماه
النبي صلى الله عليه وسلم يعفورا هو في اكثر النسخ مصروف منون
منصوب لانه مفعول سمى وروي غير منون قيل للمنع صرفه
للعلمية ووزن الفعل كيعقوب قال التلمساني الاول فيه نظر لان
زيادة الواو فيه اخرجته عن شبه الفعل والظاهر صرفه ويعقوب

لم يمنع صرفه لذلك بل للعلمية والعجمة الا ترى ان يعفر بضم اليا يصرفه
لذلك قال في الصحاح الاسود بن يعفر بضم اليا منصرف لانه قد زال
عنه شبه الفعل انتهى وليس في اوزان الفعل يفعول وفي هذه
المسئلة كلام في شرح التسهيل واعلم انه صلى الله عليه وسلم كان له
حماران يعفور وعفير وهو الذي رمى نفسه في البير كما سياتي وقيل
هما واحد وقال ابن فورك انه كان من مغانم خيبر وقيل
انه عفيرا كان اشهب وهو مما اهداه له المقوقس ملك القبط وكان له
حمارا اخر اهداه له فروة كان يركبه واخر اعطاه له سعد بن عبادة
وقصة يعفور هذه نقلها السهيلي في الروض عن ابن فورك في كتاب
الفصول قال السهيلي وزاد الجويني في كتاب الشامل وانه كان يوجهه
الى دور اصحابه فيضرب عليهم الباب براسه ويستدعيهم ومعنى
يوجهه يرسله الى جهته ودور جمع دار ويستدعيهم يعني يطلب
منهم اجابة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا اذا اخرجوا
لدقه الباب وراوه علموا انه يطلبهم لا انه يكلمهم لكنه يفهم
ما امره به النبي صلى الله عليه وسلم بالهام من الله وهو من معجزاته
اذ سخر له وفهم مراده وان النبي صلى الله عليه وسلم لما مات تردى
الحمار اي القى نفسه وطرحها في بير كانت بالمدينة معروفة لابي الهيثم
ابن التيهان فكانت البير قبره والتردي تفعل من الردى وهو الهلاك
وهو مخصوص بهلاك من القى نفسه يقال تردى من الجبل وفي البير اذا
سقط او القى نفسه فيها جزعا وحزنا على فراق رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفقده فمات وكونه صلى الله عليه وسلم كان له حمار
وانه كان يركبه والركوب سنة لا كلام فيه وانما الكلام في هذا
الحديث فانه رواه ابن حبان بسند ضعيف فيه من ضعف فيه حتى قيل
انه كذب موضوع كما قال ابن الجوزي وغيره وقال بعضهم
لا اصل له ومما ذكر من معجزاته في الجماد والبهائم ونطقها حديث الناقة
الذي رواه الطبراني عن زيد بن ثابت بسند فيه مجاهيل والحاكم عن
ابن عمر وقال الذهبي انه موضوع التي شهدت بنطق بين عند
النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبها ومالكها الذي قيل انه سرقها
فقالت انه ما سرقها وانها ملكه فحكم له صلى الله عليه وسلم بها ولا
للقاضي ان يحكم بعلمه او نقول انه من خصائص الانبيا عليهم الصلاة
والسلام والحديث نحو ما قال زيد بن ثابت غزونا مع صلى الله عليه وسلم

حتى اذا كنا بمجمع طرق المدينة بصرنا باعرابي اخذ بخطام بعير حتى وقف عليه
صلى الله عليه وسلم وقال السلام عليك يا نبي الله فرد عليه السلام فجاء رجل
وقال انه سرقه هذا البعير فرغا البعير وهو منصت له ثم قال
للرجل انصرف فان البعير شهد بانك كاذب الى اخره وفي العنز اي في حديث
العنز الذي اخرجه ابن سعد والبيهقي وابن عدي عن سعد مولى ابي بكر
رضي الله عنه التي اتت رسول الله صفة العنز وفي نسخة النبي صلى الله عليه
وسلم في عسكره حال اي وهو في عسكره وقد اصابهم عطش ونزلوا على غير
ما اي في مكان لا ما فيه وهم زهاء ثلاثماية اي قريب عددهم تخمينا من ثلاثماية
رجل وقد تقدم الكلام على زهاء ومعناه وضبطه فحلبها رسول الله صلى
الله عليه وسلم يحتمل انه على ظاهره وان يكون امر بحلبها والاسناد مجازي
فاروى بلبنها الجند باجمعهم لما سقاهم فشربوا حتى زال ما كان بهم من
العطش والري ضده ومنه اروى والعسكر والجيش والجند بمعنى ففيه
تفنن واسناد اروى للنبي صلى الله عليه وسلم لانه سببه بحلبه وسقيه
فهو مجاز ايضا ان لم نقل فاعل اروى ضمير يعود على ما حلبه المفهوم مما قبله
مع بعده ثم قال صلى الله عليه وسلم لرافع براء وعين مهملتين بينهما الف
وفا بزنة اسم الفاعل من الرفع علم لصحابي كانت تلك العنز عنده وتعد
ترجمته املكها اي خذها وامسكها ملكا لك لانها لا صاحب لها اذ وجدته
بارض العدو ويحتمل ان يكون معناه شدها واربطها من ملاك الامر وملك
العجين ونحوه وما اراك مالكا لها لها ارى على ذلك وهو بضم الهمزة
مبني للمجهول اي لا اظنك تملكها اذ تحفظها فربطها رافع بشدها بوثاق ثم ذهب
ورجع فوجدها قد انطلقت اي انحلت من وثاقها ومضت وغابت عنه فالفا
فصيحة ورواه اي حديث هذه العنز ابن قانع بقاف ونون وعين
مهملة وغيره من الرواة من غير هذه الطريق فقد رواه البيهقي وابن
عدي قالوا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر وكنا اربعماية
فنزلنا في موضع ليس فيه ما فشق ذلك علينا واعلمناه بذلك فجات
شويهة لها قرنان فقامت بين يديه صلى الله عليه وسلم فحلبها
وشرب حتى روي وسقانا حتى روينا وقال يا رافع املكها الليلة وما
اراك تملكها فاخذتها فربطتها وقمت ثم قمت في بعض الليل
فلم اجدها فاخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان لها نبا فقال
يا رافع ذهب بها الذي جاء بها وما قيل من انها ليست من جنس
حيوان الدنيا وانما هي كبش الفدا وانما سماها عنزا لكونها على صورة

لا وجد له مثله من خلاف الظاهر يحتاج للرواية والذي اوهم ذلك
قوله وفيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لرافع لما اخبره بانطلاقها
ان الذي جاء بها هو الذي ذهب بها يعني الله او الملك ومن هذا
القبيل ما روي انه عليه الصلاة والسلام قال لفرسه الفرس واحد
الخيل يطلق على الذكور والانثى الا انه مؤنث سماعي فرسه وكان له
صلى الله عليه وسلم عدة افراس مذكورة في السير باسمائها ومن اتى
ملكها ولا داعي لتفصيلها هنا كما ذكره بعضهم وقد قام الى الصلاة
في بعض اسفاره والفرس غير مربوط ولم يامر احدا بامساكه فخاطب
الفرس وقال له لا تبرح اي لا تزل من مكانك الذي انت فيه فتبرح
من البراح وهو المكان الواسع تبرح بمعنى تثبت في مكانه وبمعنى زال
وهو نفي معنى فاذا دخل عليه صار نفي نفي وهو اثبات كما هنا فمعناه
اثبت والزم كما حققه النحاة واهل اللغة بارك الله فيك دعا له
من البركة وهي تقدم وباقي انها حتى نفرغ من صلاتنا وتتمها
وهو غاية لثباته في مكانه وجعله قبلته اي جعله في جهة
قبلته ساترا ومانعا لمن يمر بين يديه صلى الله عليه وسلم وفيه
دليل على جواز الاستتار بالحيوان والكلام عليه مفصل في كتب
الفقه لا حاجة لذكره هنا فما حرك الفرس عضوا من اعضائه وهو
بضم العين وكسرها وسكون الضاد المعجمة معروف حتى صلى
اي اتم صلاته صلى الله عليه وسلم وفيه معجزة له صلى الله عليه وسلم
لفهم الحيوان كلامه واطاعته له وانقياده لعلمه بانه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي بعض النسخ هنا زيادة وهي ويلتحق بعضها
المذكور من معجزاته اذ من كلام الحيوانات لان فهم لغته لم يعرفها كفهم
العربي كلام العجمي تركيب منه ومنشا به له ما روى الواقدي صاحب
السير ومحمد بن عمر بن واقد قاضي العراق وعالمها وقد قيل
فيه ضعيف ونسب للوضع وقيل انه مجمع على ضعفه ونازع
فيه بعضهم وقال كفى برواية الشافعي عنه دليلا على صحة
ما رواه وترجمته في الميزان مفصلة وكما في اول سيرة ابن سيد
الناس ان النبي صلى الله عليه وسلم لما وجه رسوله جمع رسوله الى
الملوك من العرب والعجم اي ارسلهم لجهتهم ونواحيهم لما فشا الاسلام
وقوي بخروج ستة نفر منهم اي ستة رجال من الرسل والنفر اسم
جمع للثلاثة فما فوقها الا انه يستعمل بمعنى الرجل الواحد كما بيناه في شرح

الدرة

الدرة وقد صرح به الكرماني في شرح البخاري وهو عربي فصيح ايضا وكان
ارساله لهم في يوم واحد خرجوا من عنده صلى الله عليه وسلم
فيه فاصبح كل واحد منهم يتكلم بلسان القوم الذي بعثه صلى الله
عليه وسلم اليهم من غير مضي زمان يحتمل التعلم فيه وتفصيل
الرسل ومن ارسلوا اليه مفصل في السير ايضا وهذا معجزة له صلى
الله عليه وسلم لحصول بركته لهم والحديث في هذا الباب كثير وقد
جئنا منه بالمشهور من ذلك ومما وقع منه في كتب الائمة رضي الله عنهم
ونفعنا ببركاتهم خاتمة مما يلتحق بمعجزاته صلى الله عليه وسلم في
الحيوانات والجمادات ما ذكر في بعض الكتب وشاع في الاقطار ونظمه
الشعراء في فصيح الاشعار من انه صلى الله عليه وسلم كان في بعض الاحيان
اذا مشى غاص قدمه في الحجارة بحيث بقي ذلك الى الان وارتسم فيها مثاله
بعينه والناس يتبركون به ويزورونه ويعظمونه كما في القاموس ونقل منه لمصر
في ايام متعددة حتى نقل الى السلطان قايتباي اشتراه بعشرين
الف دينار واوصى بجعله عند قبره وهو موجود الى الان وانه صلى الله
عليه وسلم اذا مشى على الرمل احيانا لا يكون لقدمه اثر فيه الا ان هذا
لم ينضبط لان هذا امر عدمي لا يعرفه الا من كان حاضرا معه وقد
ذكر هذا السبكي في تائيته وغيره وقال الامام القسطلاني في
المواهب اللدنية كان صلى الله عليه وسلم اذا مشى على الصخر غاصت
قدماه فيه كما هو مشهور قديما وحديثا على الالسنة ونطق به الشعراء
في قصائدهم النبوية والبلغاء في منثورهم مع اعتضاده بوجود اثر
قدمي الخليل عليه الصلاة والسلام في حجر المقام المنوه به في التنزيل
في قوله تعالى فيه ايات بينات البالغ تعيينه وانه اثره مبلغ
التواتر وفيه يقول ابو طالب

وموطئ ابراهيم في الصخر رطبة ۝ على قدميه حافيا غير ناعل ۝

وما في البخاري من معجزة موسى عليه الصلاة والسلام بتاثير ضربه في
الحجر ستا او سبعا لما فر بثوبه حين اغتسل وقد صح مما من معجزة لنبي
الا ولنبينا صلى الله عليه وسلم مثلها او ما يدانيه وجود اثر حافر بغلته صلى الله
عليه وسلم في مسجد بطيبة عرف بها الى الان يقال له مسجد البغلة
وما ذاك الا من سره صلى الله عليه وسلم اخفى بيانه لكونه ادخل في الدلالة
على انه ادنى منزلة من الخليل صلى الله عليه وسلم على وجه اعلى مسند
ونقل المجد الشيرازي عن ابن النجار في المقام المطابق بعده لو كان حافر

البغلة ومسجدها انه في عزلي هذا المسجد اثر كما انه اثر موقوف يذكر انه
صلى الله عليه وسلم اتكى عليه بمرفقه الشريف فاثر فيه وفي اخر اثر
اصابعه انتهى وممن ذكر اثر البغلة السيد السمهودي في تاريخ المدينة
وقال انه مسجد بني ظفر من الاوس شرقي البقيع بطرف الحرة الغربية ويعرف
بذلك وذكره ابن النجار في تاريخه ايضا لكن قال الشيخ محمد بن يوسف
الدمشقي في سيرته ان هذا الاثر لم ار له في شيء من كتب الحديث وممن انكره الشيخ
برهان الدين الناجي وقال السيوطي في فتاويه لم اقف له على اصل ولا
سند ولا رايت من خرجه في شيء من كتب الحديث وتبعه تلميذه العلقمي في
شرح الجامع الصغير وزاد انه لم يوجد في شيء من التواريخ المعتمدة فلا
يسوغ نسبته له صلى الله عليه وسلم وقد تعقبه من علماء عصره الشيخ
الصالح المحدث احمد المتبولي شارح الجامع الصغير فقال بعدما ساق
ما قلناه مفصلا سبحان من لا يخفى كيف هذا السيوطي وقد قال ٢
في خصائصه الصغرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وطئ على صخر الا واثر
فيه وعزاه للحافظ رزين العبدري انتهى قلت لا سهو ولا نسيان
فان السيوطي رحمه الله لم ينكر هذه المعجزة وانما انكر ما يوثر بعينه
في الاماكن التي ذكروها وكذا انما قاله صاحب المواهب الا ان ما نقله
السيوطي من قوله ما وطئ صلى الله عليه وسلم على صخر الا اثر فيه لا ينبغي
لان الظاهر انه كان في اول البعثة كما ان التحجر والشجر الذي تقدم واما
كونه لا اثر لقدمه صلى الله عليه وسلم في الرمل فقد رواه ابن سبع
والنسابوري وغيرهما بسند ضعيف وقال انه صلى الله عليه وسلم
الطف خلق الله واخفهم ولذا لم يوثر مشيه في الرمل ولا ينافيه تاثيره
في الحجارة فانما هو لخفاء اثره وتبكيت حاسديه واتهم انتهى من الحجارة
الا انه وقع في الاحيا ما يقتضي خلافه لانه نقل في اثر فيه ان بعض الصحابة
انكر على ابي موسى رضي الله عنه دعاءه على المنبر لعمر رضي الله عنه انه لم يذكر
ابا بكر رضي الله عنه فقام من الملا بالمسجد وقال له اين من كان
قبله فشكاه لعمر فامر باشخاصه اليه من البصرة فلما جاءه دق عليه
الباب فخرج اليه وقال له ازعجتني من وطني فسأله عن سبب شكايته
امير منه فقص عليه القصة فبكى رضي الله عنه وقال والله
ليوم وليلة لابي بكر رضي الله عنه خير من خلافتي يعني باليوم لما قام
على المنبر خطيبا يوم مات النبي صلى الله عليه وسلم وبالليلة ليلة ذهابه
معه الى الغار فكان يمشي تارة خلفه وتارة امامه وتارة بجانبه بقصد بذلك

اخفا اثر قدمه في الرمل حتى لا يشعر به من يقصو اثره قلت
وكان هذا مستند ابن خلدون في مقدمة تاريخه اذ ذكر فيها ان الدعاء
للسلاطين في الخطبة سنة وان كان الزركشي قال في كتاب المساجد انه بدعة
لا ينبغي تركها لخوف الفتنة فاعرفه فانه من الفوائد النفيسة فصل
من معجزاته صلى الله عليه وسلم في احيا الموتى وكلامهم له صلى الله عليه
وسلم واحيا مصدر مضاف لمفعوله وفاعله الله او النبي صلى الله عليه
وسلم لانه سببه وان كان الفاعل الحقيقي هو الله وهو اعظم معجزاته صلى
الله عليه وسلم ولذا قال في البردة

لو ناسبت قدره اياته عظما • احيا اسمه حين يدعى دارس الرمم

وقد تكلم الناس في معنى هذا البيت واورد عليه ان من جملة معجزاته
صلى الله عليه وسلم القران وقد قال صلى الله عليه وسلم اية من كتاب
الله خير من محمد وال محمد فكيف لا يكون في معجزاته ما يناسب مقداره في
الشرف واجيب بان المراد بمعجزاته ما احدثه الله على يديه والقران
صفة لله قديمة ومعناه انه لا يعد شيئا من معجزاته عظيما بالنسبة اليه
الا ان يكون منها ان كل احد لو دعا باسمه وتوسل به في احيا الموتى وقع
له ذلك بان يقول اللهم اني اسالك بمحمد صلى الله عليه وسلم ان تحيي
صاحب هذا القبر وليس عطف الكلام من عطف الخاص على العام كما
توهم وكلام الصبيان الذين في المهد مما لم يبلغوا السن يتكلم فيه مثلهم ولذا
عطف على كلام الموتى لانه ليس من شانهم الكلام واخره لانهم احيا من شانهم
الكلام فهو دونه مرتبة والمراضع جمع مرضع اسم مفعول وهو الولد
الصغير على القياس وليس جمع راضع على خلاف القياس كما قيل
وليس جمع مرضع بكسر الضاد وهو الام لانه ليس فيه خرق للعادة ولا
مرضعة بالفتح بمعنى بنت صغيرة ترضع وان الاحسن ان يقول
الاطفال لانه عطف تفسير للصبيان بمعنى من ابتدا رضاعته والاطفال
كالصبيان لا تؤدي ما تؤداه الذي قصده وشهادتهم له صلى الله عليه وسلم
بالنبوة اي قول من في المهد انك نبي الله ورسوله وعطفه على كلام
الصبيان من عطف الخاص على العام ثم شرع في اثبات ما ذكره بحديث
اورده ابو داود مسندا عن ابي هريرة رضي الله عنه فقال
حدثنا ابو الوليد هشام ابن احمد الفقيه اي المتبحر في معرفة
الاحكام الشرعية الفرعية وقيل المراد به العالم بالعلوم الشرعية
مطلقا بقراءتي عليه والقاضي ابو الوليد محمد بن رشد علم منقول من

ابن القبرى

عند الغني ٥ هو محمد بن احمد بن احمد ابن رشد الامام في كل فن الجليل قاضي
قرطبة تولى قضاها بعد ابي القاسم ابن احمدين سنة احدى عشرة وخمسماية
ثم عزل سنة اربع عشرة وولي ابو القاسم وذلك في سلطنة يوسف بن ٥
تاشفين قال القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي الذي تقدمت ترجمته
وغير واحد سماعا واذنا يعني انه سمع منهم واذنوا له في الرواية عنهم قالوا
حدثنا ابو علي الحافظ الغساني الذي تقدم قال حدثنا ابو عمر الحافظ
هو عبد البر الامام المشهور كما تقدم قال حدثنا ابو زيد عبد الرحمن
ابن يحيى بن محمد المعروف بابن العطار قال حدثنا احمد بن سعيد تقدمت
ترجمته قال حدثنا ابن الاعرابي تقدم قال حدثنا وهب بن بقية
الواسطي ابو محمد ويقال له وهبان توفي سنة تسع وثلاثين وماتين وروى
له مسلم وابو داود والنساي عن خالد هو الطحان هو خالد بن عبد الله
ابن عبد الرحمن بن يزيد المعروف بالطحان كان من الزهاد الصالحين يقال
انه اشترى نفسه من الله ثلاث مرات فيتصدق بوزنه فضة توفي سنة
تسع وتسعين وماية وولد سنة عشر وماية واخرج له اصحاب الكتب
الستة عن محمد بن عمرو بن علقمة وله ترجمة في الميزان عن ابي سلمة
احد الفقها السبعة كما تقدم عن ابي هريرة رضي الله عنه ان
يهودية من يهود خيبر اسمها زينب بنت الحارث امراة سلام بن مشكم
صاحب الكنز وهو من بني النضير وقتل ابوها زينب اخت عبد الله
بن سلام اهدت للنبي صلى الله عليه وسلم بخيبر شاة مصلية
اي مشوية من صلاه بالنار اذا شواه واصلها مصلوية فقلبت
الواو يا وادغمت وكسر ما قبلها سمتها اي وضعت فيها السم يقال سممته
انا والعامة تقول سممته وهو خطا كما قال السراج الوراق رحمه الله ٥

٥ رزقت بنتا ليتها لم تكن ٥ في ليلة كالدهر قضيتها ٥
٥ فعلت ما سميتها تلك لو ٥ مكنت منها سميتها ٥

وقد يقال اصلته سممتها بثلاث ميمات ابدلت الثالثة يا على القياس
فاكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها واكل القوم الذين كانوا معه
من الصحابة رضي الله عنهم اي شرعوا في الاكل فقال صلى الله عليه
وسلم ارفعوا ايديكم اي كفوها عن الاخذ منها للاكل فابعدوا ايديكم
عنها واصل الرفع الاعلا فكنى به عما ذكر وشاع حتى صار حقيقة فيه
فانها اخبرتني انها مسمومة وهو محل الشاهد لانها كلمته صلى الله عليه وسلم
وهي ميتة بكلام لم يسمعه غيره ولو شا الله اسمعهم كلامها فمات بشر بن

قال حدثنا ابو داود الامام صاحب السنن

البرا بفتح البا الموحدة والرا المهملة وابن معرور بسكون العين المهملة
وفتحها خطا وهو صحابي خزرجي شهد العقبة وبدرا واكل اللقمة
في الحال ولم يزل مريضا حتى مات بعد سنة قال صلى الله عليه
وسلم لليهودية ما حملك على ما صنعت من السم ووضعه حتى حصل منه ما
حصل وهو مجاز مشهور من الحمل المشهور من قوله حمله كذا اذا حمله عليه
اذا كلفه به قال تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها اي كلفوا ان يقوموا
بحقها فلم يفعلوا انا لمعنى ما دعاك لصنعك هذا قالت الداعي لي ٥
اردت معرفة حالك واختبارك ان كنت نبيا لم يضرك ما وفي نسخة
الذي صنعت من وضع السم واهلكك له وان كنت ملكا بكسر اللام اي سلطانا
اوحت الناس منك بموتك فلما لم يضره السم ضررا يظهر لغيره علم بذلك انه نبي
وهذه معجزة له صلى الله عليه وسلم لان الله عصمه من اذى الناس ولم يمكن
احدا من قتله صلى الله عليه وسلم باي طريق كان وانما احتجم بعده كما روي
هنا بيانا لاستحباب المداواة وتعليما للامة ولذا لم تخبره الشاة قبل
الاكل وليتنا له مرتبة الشهادة العظمى من غيرا هانة له صلى الله عليه وسلم
واختلف في السم هل كان في الشاة كلها او في الذراع زيادة على غيره ٥
لانها سالت ما احبه اليه فقالوا الذراع او كان في الذراع بعض نعط لذلك
ذهب الى كل منهما ناس وانما سالها صلى الله عليه وسلم لتعرف ثبات
القصة ولانه كان بينه وبين اليهود عهد وهذا انقض له قال
اي ابو هريرة راوي الحديث كما ذكره البيهقي وان كان رواه مرسلا ه
في محل اخر فامر بها اي بقتلها فقتلت وقد روي هذا الحديث
اي حديث ابي هريرة رضي الله عنه من طريق اخرى في الصحيحين عن انس
ابن مالك وفيه اي فيما رواه انس قالت اردت قتلك
ان لم تكن نبيا كما مر فقال لها ما كان الله ليسلطك من التسلط
والسلاطة وهي التمكن من القهر والاذية كما قال تعالى ولو شا الله لسلطهم
عليكم على ذلك اي القتل روي على مسند اجريا المتكلم والكاف مكسورة
لان الخطاب لمونث كما قاله التلمساني فقالوا الا نقتلها وفي نسخة
نقتلها بتقدير همزة الاستفهام وفي اخرى الا نقتلها قال لا تقتلوها
ولعل هذا كان قبل موت بشر بن البرا ولهذا يجمع بين هذه الرواية
ابي هريرة انه قتلها وبه يجاب عما قيل انه مشكل لانه كيف يعفي ٥
عنها مع قتلها للبرا الا ان يقال ان البرا عفى عنها او يقال انه لا يقتل
بالسم وانما يستحق الدية على ما فصل في كتب الفقه وكذلك روي بالبنا

للمجهول اذ روى هذا الحديث عن ابي هريرة من رواية عبد الله بن وهب
ابن بقية شيخ ابي داود الذي روى فقال فما عرض لها
عرض بفتحتين بمعنى تعرض المشدد اي تركها ورواه ايضا جابر
ابن عبد الله كما في سنن ابي داود والبيهقي وفيه اي فيما رواه جابر
اخبرتني به اي بالسم الذي فيها هذه الذراع اي ذراع الشاة وهو
مؤنث سماعي ولذا قال هذه وكذا الفخذ الاتي مؤنث قال
جابر رضي الله عنه ولم يعاقبها اي لم يقتلها وفي بعض النسخ وفي
رواية الحسن البصري ان فخذها هو بفتح الفاء وكسر الخاء وسكونها ما
فوق الساق كلمتني اي قالت لي انها اي الشاة مسمومة اما الان السم
عمها او في ذراعها فقط كما مر وهذا لا ينافي ما مر من ان الذراع كلمته
لانه لا مانع من ان تكلمه الذراع والفخذ معا ويكون عود الضمير للفخذ
بناء على احد الوجهين وفي رواية ابي سلمة بن عبد الرحمن قالت
اني مسمومة وكذا لكذا اي مثل هذه الرواية ذكر الخبر السابق.
ابن اسحاق في سيرته وقال فيه فتجاوز عنها اي عفا عنها ولم
يقتلها في اول الامر لما مات البراء قتلها به كما مر في الجمع بين الروايتين
او لم يقتلها بسببه اما لانه لا يوجب القتل او لامر اخر رواه وفي
الحديث الاخر الذي رواه الشيخان عن انس انه قال
فما زلت اعرفها اي اعرف الفعلة التي فعلتها اليهودية في لهوات
رسول الله صلى الله عليه وسلم بفتح اللام والهاء والواو جمع لهاة
بوزن فتاة وهي لحمة في اقصى سقف الحلق التي تنطبق على احد اخر اللسان
في اول الحلق وهي لا ترى الا اذا فتح الفم انفتاحا تاما فكانه يريد لحما
الفم باطلاقا الجزء على الاقل كما في قولهم اللهي تفتح اللها فكان لحما
اثر في ظاهر فمه من بشر وعوها لان الاطلاع على حقيقتها بعيد
وقيل المراد انها اثرت في صورته تاثيرا قليلا يظهر لمن تامله
فاراد باللهاة الصورة ولا يخفى ما فيه والحديث في البخاري وفيه
كلام في شروحه والحاصل انهم اختلفوا في قتلها كما مر وعن
ابن شهاب انها اسلمت فتركها لاسلامها وفي الروض الانف انه تركها
اولا لانه كان لا ينتقم لنفسه فلما مات بشر قتلها قصاصا به الا ان فيه
ان فقهاء الشافعي قالوا ان من قدم لضيفه طعاما مسموما فاكل
منه وهو لا يعلم فمات لا يجب القصاص والذي قيل انه انما قتلها
سياسة او لنقض العهد والقصاص يجب فيه المماثلة والذي في البخاري

عرضي

ان اليهود سموها لا ينافيه لانه كان بامرهم واتفاقه معهم وفي حديث
عن ابي هريرة الذي رواه عنه ابن سعد بسند صحيح ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال في وجعه يعني مرضه الذي مات فيه بلا ارتفاع الله
ما زلت اي ما زلت متلبسا به اي في وقت منذ زمن وقت بعد لقيته ما زلت
اكلة بضم فسكون وهي ما يؤكل كاللقمة لما يعرف لان بفعله بالفتح للمرة
وبالكسر للهيئة وبالضم للمقدار كما قاله البخاري خيبر بمنع الصرف
بلدة على ايام من المدينة اهلها يهود تعاودني بضم المثناة الفوقية
وفتح العين المهملة والف ودال مهملة مشددة ونون الوقاية وضمير
المتكلم اي تعود الي مرة بعد مرة اخرى في اوقات معلومة من العداد وهو
كما قاله ابن الاثير ما ياتي لوقته كالحمى والسم وقال السهيلي تعاد
بمعنى تعتادني وقيل هو ما يهيج بعد سنة من الم اللدغ ونحوه
وليس المراد بالالم نقص في الذوق لانه لا يجد مثله المرء فما قيل
من انه المراد مكابرة في المحسوس لا وجه له مع انه ينافي قوله فالان مبني
على الفتح ولا يستعمل بغير اداة وهو الزمن الحاضر قطعت اي الاكلة
بسمها وتاثيرها ابهري بهمزة مفتوحة وموحدة وهاء وراء مهملة
بزنة افعل التفضيل وهو عرق كبير متصل بالقلب او داخله وهما ابهران
وقيل هو الوريد وهو اذا انقطع يموت صاحبه وقيل
انه الاكحل وموته بهذا السم لا ينافي قوله تعالى والله يعصمك من الناس
لانه قبل نزول هذه الاية بل لان المراد عصمته صلى الله عليه وسلم من
قتلهم له بسيف ونحوه مجاهرة بحيث يظهر في وقته وهذا مع انه سم ساعته
لم يظهر فيه صلى الله عليه وسلم حتى عد من معجزاته لخفاء اثره وانما قدر الله
تاثيره فيه بعد زمان تبرزه الشهادة وهذا انما الا داخل المخلوق فيه
ومرضه الذي مات منه صلى الله عليه وسلم كان حمى مع صداع روي
ابو يعلى بسند ضعيف انه ذات الجنب وارد عليه انه صلى الله عليه
وسلم لم يقسط روية فلما افاق صلى الله عليه وسلم قال
كنتم ترون ان بي ذات الجنب ما كان الله ليجعل لها علي سلطانا والله
لا يبقى في البيت الا لد فعلوه واللدود ومنها ذات الجنب وقد ورد
ان ذات الجنب من الشيطان واجيب بان ذات الجنب قسمان لان منه
ما يكون في مستبطن الحشا وهو المنفي واخر يكون بين الاضلاع وهو
المروي في الحديث المذكور والحمى المذكورة انما كانت بسبب ذلك السم
وحكى ابن اسحاق ان بكسر الهمزة وتخفيف النون الساكنة المخففة

عرضي

اخلعم

من التقبلة وانتهما منعقد اصله انهم كانوا المسمون لبودون بفتح اللام وهي
لام الابتدا ويرون بضم اليا المثناة التحتية اي يكون وبذكون فتحها ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا بسم الشاة ليكرمه الله بنيل الشهادة
مع ما اكرمه الله من النبوة وقال ابن سحنون بضم السين وفتحها
ومنع الصرف وهو محمد بن عبد السلام المالكي الامام المشهور عمدة مذهب
مالك كما تقدم اجمع اهل الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قتل اليهودية التي سمته كما مر في بعض الروايات مع ما فيه ودعواه الاجماع
مع هذا غير مسلمة منه لكون الرواية الاخرى ما ولد عنده كما مر لانصفي
كدنه واليه اشار المص بقوله وقد ذكرنا اختلاف الروايات
في ذلك الدال على خلاف ما قاله ابن سحنون عن ابي هريرة وانس
وجابر وغيرهم من الصحابة فمع ذلك كيف تصح دعوى الاجماع وما ذكر في
الحديث الذي قبل هذا من كون اثار السم تشاهد في لهواته
من ستمنت العقبة تلانيا في كون الفصل معقودا لاحيا الموتى كما
توهم وكذا ما ذكر في الحديث وفي رواية ابن عباس البخاري واما ابن سعد
اي صلى الله عليه وسلم دفعها اي سلم المراة التي سمته لاولياء بشر ابن البرا
يعني ورثته الذين لهم دعوى القصاص وكذلك اي مثل ما اختلف
في قتل من سمه وحكمه كذا اختلف في قتل من سحره وفي نسخة الذي وهو
رجل يهودي من بني زريق يقال له لبيد بن الاعصم كما صرح به تحديد
سحره صلى الله عليه وسلم حتى كان يخيل اليه انه يفعل الشيء وما يفعله
ثم شفاه الله منه كما سيأتي الكلام على قصته في كلام المصنف وقال
القواني دعوه عنه اي الساحر اثبت اي اقوى واصح واصل
معناه اشد ثبوتا ولزوما فاستحضر لما ذكر عنهما مما شوا اهل السنة
والحديث وروي عنه انه قتله وفي الوفا عن زيد بن ارقم قال
سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يهودي فاشتكى لذلك اياما
فاتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال ان رجلا من اليهود سحرك ه
عقد لك عقدا في بير كذا وكذا فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليا فاستخرجها فجاء بها فحلها فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة
فقام كانما نشط من عقال فما ذكر لذلك اليهودي ولا راه في وجهه
وذكر الثعلبي انهم قالوا له صلى الله عليه وسلم الا تاخذ الخبيث
فتقتله فقال اما انا فقد شفاني الله واكره ان اثير على الناس منه
شرا ابسبي وقتل الساحر ذكره الفقها مفصلا في الفروع وفي السحر وجواز

تعلمه

تعلمه كلام مشهور وروي الحديث اي حديث الشاة المسمومة السابق لاحد
السحر كما توهم البزار عن ابي سعيد الخدري فوضع النبي الا انه قال
في اخره فبسط يده وبدها صلى الله عليه وسلم ليتناول من لحمها وقال
لمن عنده من الصحابة كلوا متبركين بسم الله فاكلنا منها فلم يضر منا احد
وهو مضادم لحديثه اي الصحيح الذي تقدم وقال السيوطي نقلا عن
الشيخ ابن حجر انه هذا الحديث منكر قال القاضي ابو الفضل
مصنف هذا الكتاب رضي الله عنه وقد خرج حديث الشاة المسمومة اهل
الصحيح الذين اعتنوا بتصحيح الحديث وروايته وخرجه الايمة
في كتبهم كاصحاب السنن وهو حديث مشهور بين المحدثين واختلف الايمة
النظر من المتكلمين وغيرهم من نقاد الحديث في هذا الحديث اي باب خلق
الله الكلام في اجسام غير ناطقة ثم بين وجوه اختلافهم بقوله فمن قايل
يقول هو كلام يخلقه الله في الشاة الميتة بالتشديد والتخفيف او الحجر
او الشجر ولما كان الكلام يطلق عند المتكلمين على اللفظي والنفسي بالاشتراك
او بالحقيقة في الاول والمجاز في الثاني او بالعكس اشار الى ان المراد الاول
بقوله وحروف واصوات اي هوا يخرج من الجسم فيتكيف بكيفية مخصوصة
ومجموعها هو الحروف ذات المخارج المعروفة وهو معطوف على قوله
كلام يحدثها اي يوجد تلك الحروف والاصوات فيها اي في تلك الاجسام
بلا اعادة مخلوقة فيها لعدم توقفها عليها ويسمعها بضم التحتية اي
يجعلها مدركة بالسمع لمن شاء من خلقه الاحيا منها اي من تلك الاجسام
لا من الاصوات والحروف كانه قال دون تغيير اشكالها جمع شكل
بفتح فسكون وهو الصورة والهيئة ومنه المشاكلة قال تعالى واخر
من شكله ازواج اي هو مثله في الهيئة ومنه قولهم الناس اشكال
والاذن وهو من الشكل بمعنى تقييد الدابة كما قاله الراغب فقوله
ونقلها من هياتها اي نقلها من هياتها الاصلية الى هيئة اخرى لذوات
الارواح والنطق وهو اي عدم لزوم ما ذكر مذهب الشيخ ابي الحسن
الاشعري امام اهل السنة والقاضي ابي بكر الباقلاني فعندهما الحياة
ليست بشرط لخلق الكلام في الاجسام وقوم اخرون من اهل السنة
ذهبوا الى اشتراط ذلك والى ايجاد الحياة بها اولا قبل نطقها وصدوره
الكلام منها ثم ان الكلام بعده اي بعد ايجاد الحياة بها وحكي هذا
ايضا عن شيخنا ابي الحسن الاشعري كما حكي القول الاول عنه فله قولان
في هذه المسئلة والصحيح لاهل السنة المعلوم من الشيا انه الشيخ

هو الحسن وشاع بمعنى الاسناد ولا يلزم ان يكون المصنف ادركه وتلمذ له كما لا يخفى
في مثله وكل من القولين محتمل اسم مفعول اي جائز عقلا يحتمل لما قصد به عند
النطق اذ يخلق الله فيه حياة وان ينطقه به ولها ولا يناقض على ما تقرر ما له في
كلام الشيخ حتى يحتاج لحمل احد قوليه على الكلام النفسي لاستلزامه الحياة
كاستلزام العلم لها والاخر على اللفظي لعدم استلزام خلقه في محل خلوها منه
ومثل هذا الا يلتفت له حتى ليسود به وجه المصحف كما لا يخفى اذ لم يجعل الحياة
شرطا لوجود الحروف والاصوات وحينئذ يحتمل ان الله تعالى خلق فيها حياة
ويحتمل انه انطقها بدون ذلك اذ لا يشترط وجوده ولا عدمه اذ لا يستحيل
ويمتنع عقلا وجودها اي الحروف والاصوات مع عدم الحياة بمحلها
اي وجدها من غير جارحة وحياة ونحوها فاما اذا كانت
اي الحروف والاصوات او هذه العبارة التي هي الكلام فالتانيث لمراعاة
الخبر في قوله عبارة اي يعبر بها فالظاهر الثاني عن الكلام النفسي
الذي يعبر به عندهم وتحقيق الكلام النفسي والفرق بينه وبين العلم
فيه كلام طويل في علم الكلام يضيق عنه المقام عنه فلا بد من شرط الحياة
لها لانها العلم او مستلزمة له وعلى كل حال فلا بد من الحياة فيها اذ لا يوجد
كلام النفس الا من حي اذ لا بد من نفس تقوم والنفس لا تكون الا ذات
حياة واما الكلام اللفظي فلا يشترط فيه ذلك خلافا للجبائي بضم الجيم
وتشديد الموحدة المشددة والمد وبالنسبة الى الجبائية بالسواد وهو
ابو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام بتخفيف اللام ابن خالد بن حمران بن
ابان مولى عثمان بن عفان البصري رئيس المعتزلة مات سنة ثلاث وثلاثمائة
من بقية سائر متكلمي الفرق اي فرق اهل السنة والمعتزلة فانه تفرد
في احالة وجود الكلام اللفظي اي عده محالا عقلا وعادة والحروف
والاصوات الا من حي مركب قائم بحسب الصورة على تركيب من بنيه
منه النطق بالحروف والاصوات بان يكون جسما له آلة نطق
وجوده ثم لما ورد عليه ما تواتر من نطق غيره قال ونقل له تكلف ومثله
اشار بقوله والتزم ذلك اي وجود التركيب المذكور في الحصا جمع حصاة
جمع حصاة فالجذع والذراع الذي نطق له صلى الله عليه وسلم لتواتره
وقال ان الله خلق لها حياة وخرق لها فما اي الفم وغيره من
غيره من الاعضا كما خرق سمعه وشقه اذا ابرزه وصوره وبنا آلة
للكلام امكنها انتقادها وجعلها متمكنة من الكلام والنطق وهذا
اي المذكور من الالة والاعضا دعوى بلا بينة اذ لو كان اي ما ادعاه وقع في

الخارج

الخارج لكان نقله اي وجد نقله وشيع لكان فيها تامة والتهمم به تفعل من
الهم اي الاهتمام والاعتنا به اكد بالمد واكد بالواو بمعناه اي اقوى واشد
من التهمم بنقل تسبيحه اي تسبيح الحصا وحنينه اي الجذع كما تقدم والامر
بالعكس فانه نقل تسبيحه وحنينه ونطقه نقلا شائعا فلم ينقل احد شيئا
له فم ولا لسان فما ذكره مكابرة في المحسوسات ودعوى يشهد الحس بخلافها
ولم ينقل احد من اهل السير اي رواة الحديث والسير النبوية والرواية
شيئا من ذلك المذكور الذي ادعاه فدل عدم نقلهم على سقوط دعواه
اي بطلانها مع انه لا ضرورة داعية اليه في النظر والفكر في الامور المعقولة
واما كون الله خلق ذلك فاخفاه فهو من دعواه والله الموفق
للصواب وروى وكيع بفتح الواو والكاف المكسورة هو ابو سفيان ابن
الجراح ابن مليح بن عدي الرواسي رفعه اي رواه مرفوعا له صلى الله عليه
وسلم عن شمر بن عطية هو بشين معجمة مفتوحة وميم ساكنة وراء مهملة وفي
نسخة زاي مهملة قال البرهان لا اعرفه بذال ولا براء والذي في البيهقي انه
عن شمر بن عطية عن بعض اشياخه فيحتمل انه تحرف على الناسخ ان النبي صلى
الله عليه وسلم اتي بصبي قد شب اي كبر وصار شابا وهو لم يتكلم قط
من طفوليته لشبابه لانه خلق اخرس فقال له من انا فقال
رسول الله فانطقه الله معجزة له صلى الله عليه وسلم بعدما كان ابكم وذكر هذا
في الفصل الذي بعده اظهر فانه كان هذا بتنزيل الابكم منزلة الميت
والجماد لعدم القدرة على النطق وتقدم وروى عن معرض بن معيقيب
بميم مضمومة بزنة اسم الفاعل وقيل مكسورة مشددة وروي معيقب
بيا وقيل معيقلا بلام رايت من النبي صلى الله عليه وسلم عجبا
اي امرا عجيبا وقع عنده وهو انه جيء بالبناء للمجهول اي جاء اليه بعضهم
بصبي يوم ولد مجهول ايضا فذكر وانه وتعرض مثله اي مثل ما مر
من انه قال له صلى الله عليه وسلم من انا فقال له انت رسول الله وهو
معروف في المعجزات بانه حديث مبارك اليمامة وفي نسخة وكان يسمى
اي ذلك الولد مبارك اليمامة لقوله صلى الله عليه وسلم له بارك الله فيك
واليمامة علم لارض باليمن منقول من اسم طائر وهذا موجود في النسخ كما يا
ويعرف بحديث شاصونه بشين معجمة والف وصاد مهملة وواو ساكنة
تليها نون وهاء وهو اسم راويه اي راوي هذا الحديث وبيانه ما قال
السيوطي في خصائصه الكبرى قال الخطيب اخبرني علي بن احمد الرزاز
قال حدثنا ابو عمر محمد بن عبد الواحد بن ابي هاشم املاء قال

حديث شاصونة

حدثنا محمد بن يونس بن موسى الكديمي املاء قال حدثنا شاصونة بن عبيد ابو
محمد اليمامي منصرفا من عدن سنة عشرو مائتين بقرية يقال لها الجردة
قال حدثنا معرض بن عبد الله اليماني عن ابيه عن جده قال حججت
حجة الوداع فدخلت مكة فرايت بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
ووجهه مثل دارة القمر وسمعت منه عجبا اتاه رجل من اهل اليمامة بغلام
يوم ولد وقد لفه في خرقة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا غلام
من انا فقال انت رسول الله صلى الله قال صدقت بارك الله فيك ثم ان
الغلام لم يتكلم حتى شب قال ابي فكنا نسميه مبارك اليمامة قال
شاصونة سمعت هذا الحديث منه منذ ثمانون سنة ولم اسمع منه الا هذا
الحديث قال الدارقطني كان الكديمي يتهم بوضع الحديث وما تكلم به فيه غير حديث
شاصونة وذكر انه حدثه عمن لم يخلق بعد فلما بلغه ذلك قال
عقدته بيني وبينه عقدة لا احلها الا بين يدي الجبار فانهى الشر
الخبر فكان لا يذكره الا بخير وقال الخطيب ان الكديمي لما املى هذا
الحديث استعظمه الناس وقالوا انه كذاب الا انه قد وقع البنا من غير طريق
الكديمي ثم ساقه بسنده الخ قال السيوطي فقد وقع لي وايته من طريق فهو
حديث حسن وسبب انكاره الامن الامور الخارقة للعادة لكنه وقع في
حجة الوداع مع كثرة الناس فكان حقه ان يشتهر انتهى باختصار فقول
بعض الشراح تبعا لابن دحية انه موضوع غير مسلم وتبعه السيوطي
هنا من غير تعقب لم ينبغ كلامه تنافي وفيه اي في هذا الحديث
فقال النبي صلى الله عليه وسلم له اي للصبي حين تكلم صدقت
بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم بعد مبني على الضم اي بعد
ذلك الكلام حتى شب اي كبر ووصل سن النطق فكان يسمى مبارك اليمامة
لدعا النبي صلى الله عليه وسلم له بالبركة وكانت هذه القصة
بمكة في حجة الوداع بفتح الواو وكسرها سميت لها لانها اخر
حجة صلى الله عليه وسلم وقد ذكر فيها ما يشعر بقرب اجله وانه يودع
فيها امته وعن الحسن البصري وقد مر ترجمته وهذا الحديث
لم يخرجه السيوطي ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر انه
طرح بنية له صغيرة في وادي كذا لم يعينه راويه اي رماها
ثمة فماتت ودفنها ای وادها على عادة الجاهلية ه
فانطلق ای مشى صلى الله عليه وسلم معه الى الوادي الذي ذكره له
وناداها اي نادى النبي صلى الله عليه وسلم بنت ذلك الرجل باسمها يا فلانة

وجي

اجي

احيى باذن الله تعالى اي بارادة الله تعالى وقدرته والاذن يكون بمعنى
ما ذكر يكون امتثالا فخرجت حية من قبرها وهي تقول لبيك وسعديك
اي اجابة لك بعد اجابة واسعادا لك بعد اسعاد ومعناه سرعة الاجابة
والانقياد ولا يستعمل الا مثنى والكلام عليه مشهور في كتب النحو كما تقدم
فقال لها لما اجابته ان ابويك قد اسلما فان احببت ان اردك عليهما
بعد استقرارا الحياة فيك رددتك عليهما قالت لا حاجة لي فيهما
ولا اريد الرجوع اليهما وجدت الله وما عنده من الخير خيرا لي منهما
ومما عندهما وفيه دليل ان صح الحديث على ان اطفال الكفار غير معذبين
وهو الاصح وفيه من المعجزات احيا الموتى وكلامهم ونطق الطفل الصغير
ايضا وقد نطق في المهد جماعة منهم من ذكر في هذه الاحاديث
وسيأتي تمامه واعلم ان من تكلم في المهد من الاطفال كثيرة
عدوا منهم عيسى ابن مريم وصاحب الاخدود وابن ماشطة فرعون ه
وصاحب جريج وشاهد يوسف وشاهد الامة والجبار وما ذكره المصنف
وقد نظمهم السيوطي في قوله

تكلم في المهد النبي محمد • ويحيى وعيسى والخليل ومريم
ومبري جريج ثم شاهد يوسف • وطفل لذي الاخدود يرويه مسلم
وطفل عليه مر بالامة التي • يقال لها تزني ولا تتكلم
وماشطة في عهد فرعون طفلها • وفي زمن الهادي المبارك يختم

وقد تقدمت الاشارة الى ذلك ايضا وعن انس في حديث رواه البيهقي
وابن عدي مسندا ان شابا من الانصار توفي وامه عجوز عمياء وهذا
مما يدل على شدة حزنها لكبر سنها وعجزها المحوج لولدها فسجيناه
بالسين المهملة والجيم اي غطيناه من قولهم سجا الليل اذا ستره
بظلمته الا رض او كفناه وعزيناها اي صبرناها وسليناها بذكر
ما لها من الاجر ونحوه كما هو معلوم والتعزية تسلية اهل الميت وندب وهي
معروفة فقالت لهم لما عزوها مات ابني فيه استفهام مقدر اي امات
ابني وانما قالته اما لانها لم تعلم او لتتذكر ما بعده او لذهولها بالمصيبة
قلنا نعم فقالت اللهم ان كنت تعلم اني هاجرت الهجرة الانتقال
من بلد الى اخر وهذا الاينافي كونها من الانصار لانها قد تسكن في مكان
بعيد هاجرت منه اليك والى نبيك الهجرة الى الله بالهجرة لرسوله
صلى الله عليه وسلم والا فالله معها انما كانت رجاء ان تعينني بالفوتية
خطاب لله لانه هو المعين على كل شدة الشدة بمعنى الصعوبة هنا اي على

كل امر شاق يصعب على النفس تحمله لا سيما فقد الولد مع كبر السن وعدم
البصر وعلقت بان المشعرة بعدم الجزم باعتبار ان خلوصها في هجرتها
لله ورسوله مما يخفى على غيرها ومن شانه ان تشكك فيه لا لانها لا تعلم
ذلك لا تريباي توسلها به الى الله او باعتبار القبول او نحا هلا رجا للاجابة
وبرجا منصوب مفعول له فلا تحملني بالحا المهملة وتشديد الميم ونون
التوكيد بمعنى لا تكلفني لان التكليف كالحمل الثقيل فاستعير له كقوله
تعالى لا تحملنا ما لا طاقة لنا به على نجريا المتكلم هذه المصيبة
يعني موت ولدها في هذه الحالة فما برحنا اي ما ذهبنا من مكاننا الذي
كنا فيه حتى كشف ولدها الثوب عن وجهه بعد ما غطي به فطعم
وطعمنا اي قدم لنا طعاما فاكل منه ولدها فاكلنا معه وذكر وانه عاش
الى وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وبقي بعده كما ذكره ابن ابي الدنيا
وفيه معجزة حيث انه احيي الميت للدعا باسم النبي صلى الله عليه وسلم فلا
يقال ان هذا كرامة لام الصبي وروى الراوي له البيهقي رحمه الله عن
عبد الله بن عبيد الله الانصاري بتصغير الثاني كنت فيمن دفن ثابت
ابن قيس اي حضر دفنه ابن مالك بن زهير بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة
ابن كعب بن الحرث الانصاري المدني الصحابي وكان خطيب الانصار وشهد
له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة وكان قتل باليمامة وروى له البخاري
والنسائي وابو داود وكان جهوري الصوت فلما نزل يا ايها الذين امنوا
لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي احتبس عن الحضور عنده لانه كان يرفع
صوته اذا تكلم فسئل عن سبب ذلك فقال قد علمتم اني ارفعكم صوتا
على رسول الله فانا اخشى ان اكون من اهل النار فذكر ذلك لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال بل هو من اهل الجنة وقال
التلمساني انه كان باذنه صمم فلذا كان يرفع صوته وفيه
ان الاصم لا يحتاج لرفع صوته فقد قال ابن حجران الصحابة
لم يكن فيهم اصم وكانت وقعة اليمامة في ربيع الاول سنة اثنتي
عشرة في خلافة الصديق واليمامة اسم بلدة من جانب اليمن وهي بلدة
مسيلمة الكذاب وهي على ستة عشر مرحلة من المدينة وقد قالوا
انه اوصى بعد موته وتفذت وصيته ولم تنفذ وصية احد بعد موته
وذلك انه لما قتل كان درعان فسرقت اخذها وجعلت تحت قدر
وكانت النفس درعه فراى رجل ثابتا في منامه فقال اوصيك بوصية
فاياك ان تقول انه حلم فتضيعها اني قتلت امس فمر بي رجل فاخذ

درعي ومنزله في اقصى الناس وعند خبايه فرس يستن في طوله وقد كفى
على الدرع برمة وفوق البرمة رحل فات خالدا يعني اميرهم فمره
فليأخذها واذا قدمت المدينة فقل لابي بكر ان علي دينا لفلان مقداره
كذا والدين فلان وفلان وان رقيقي فلان حر فاتى الرجل خالدا فاخبره
فبعث الى من عنده الدرع فوجدها كما وصف واخبر ابو بكر بوصيته فاجاز
سمعناه حين ادخلناه القبر يقول اي سمعنا كلامه ففيه مضاف مقدر
والضمير مفعول له الاول وقوله يقول مفعوله على ما ذهب
اليه ابو علي الفارسي من ان سمع اذ اتعدى لغير مسموع نصب مفعولين
وغيره يقول انه متعد لواحد مقدر والجملة حالية او مستانفة وقد
ابن الشيد ابا علي في هذه المسالة في كتاب الحلل كما نقلناه في غير هذا
المحل وانما عنده محمد رسول الله ابو بكر الصديق مبتدأ وخبر اي الكامل
في التصديق بنو الصدق لانه لم يرتب في تصديقه صلى الله عليه وسلم
وقد سبق الناس في ذلك فلذا خص بالصديقية وسيأتي تحقيقها عمر
الشهيد اي المخصوص بالشهادة الكاملة من بين الخلفاء لان قاتله كافر
مجوسي وهو ابو لولوة غلام المغيرة بخلاف قاتل عثمان فانه من رعاع
الناس وهو شهيد ايضا عثمان بن عفان البر الرحيم ذو البر والاخاء
لشهرته بالكرم وهو رحيم ايضا اي ذو رحمة ورافة بالمسلمين لحسن
اخلاقه وشفقته فنظرنا اليه لما تكلم بعد موته لنوهما انه عادت
اليه حياته فاذا هو ميت اي فاجانا بغتة معرفة كونه ميتا على حاله وانما انطقه
الله الذي انطق كل شي لتحقق حياة الشهدا فتامل وقوله هذا
كان عند سوال الملكين لزانه قلنا ان الشهدا يسالون وفيه نظر
وذكر بالبنا للمجهول وهذا مما رواه الطبراني وابو نعيم وابن منده
ورواه ابن ابي الدنيا عن انس ايضا عن النعمان ابن بشير الصحابي الانصاري
الخزرجي البدري وهو اول من بايع ابا بكر واستشهد مع خالد بن الوليد
بعين التمر بعد انصرافه من اليمامة والنعمان اول مولود بعد الهجرة
ولد بعد اربعة اشهر منها ومات بقرية من قرى حمص في ذي الحجة سنة
اربع وستين وولاه معاوية حمص والكوفة ان زيد بن خارجة
هذا اصح مما وقع في بعض النسخ انه ابن خارجة وان كان من بني الحارث
ابن الخزرج لانه زيد ابن خارجة بن زيد ابي زهير بن مالك من بني الحارث
ابن الخزرج قال في الاستيعاب ولم يختلفوا في انه هو الذي تكلم
بعد الموت وقال ابن سيد الناس قال ابو نعيم الاصبهاني خارجة ابن

زيد هو الذي تكلم بعد الموت على اختلاف فيه والصحيح انه زيد بن خارجة
كما قاله ابن عبد البر وابن الاثير في اسد الغابة وكذا قاله الذهبي
وقيل المتكلم ابوه وهو وهم لانه قتل باحد وجزم به ابن الجوزي ولم يحك
فيه خلافا ولابن ابي الدنيا جزء افرده لمن تكلم بعد الموت ثم نقف
عليه خر ميتا اي سقط من قيام في حال كونه ميتا واصل معنى خر سقط
سقوطا يسمع منه خرير والخرير صوت الماء والريح ونحوه مما يسقط من علوه
قال تعالى وخروا له سجدا في بعض ازقة المدينة جمع زقاق كغراب وهو الطريق
فرفع بالبناء للمجهول اي اخذ من مكانه الذي سقط فيه وسجي بالبناء للمجهول
اي غطي اذ سمعوه بين العشائين اذ هنا فجائية والتقدير فبينما هو كذلك
اذ سمعوه الخ والعشائين يعني المغرب والعشاء على التغليب والنساء يصرخن
بالصاد المهملة والخاء المعجمة والنون النسوة حوله يقول تقول
ثان لقوله سمعوه او حال اذ هو جملة مستانفة كما مر ويقول القول
انصتوا انصتوا اي استمعوا وكرره للتاكيد فحسر عن وجهه
بضم الحاء وكسر السين وبالراء المهملة اي كشف بعد ما كان عليه غطا فقال
لما كشف عن وجهه محمد رسول الله النبي الامي وخاتم النبيين اي اخرهم
بعثا كما مر كان ذلك المذكور من كونه رسولا ونبيا اميا خاتما للرسالة
في الكتاب الاول اي في جنسه من الكتب المتقدمة او اللوح المحفوظ
المكتوب فيه كل ما قدره الله ثم قال زيد بن خارجة مخاطبا لمن
كان عنده اولمن يصح ان يتوجه الخطاب اليه او تجريدا من نفسه مخاطبا
ماموما ان كان قوله صدق صدق امركا وهيا اليه بعض الشراح
فان كان ماضيا كما هو ابناه يضبط القلم واعتمد عليه في الشرح الجديد
وقال ثم قال صدق مستمرعا به للنبي صلى الله عليه وسلم والامر
ظاهر اي صدق محمد صلى الله عليه وسلم فيما بلغ عن الله وذكر
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر وعمر وعثمان وكانه لم يذكر
عليا رضي الله عنه لعدم ادراكه خلافته لانه توفي في زمن عثمان كما ذكروه
ومراده الثنا عليهم رضي الله عنهم بما نعلمه وايدوا به الدين الذي بلغه
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه ثم قال السلام عليك
يا رسول الله دعا له صلى الله عليه وسلم واصله سلمت سلاما فاقيم المصدر
مقام فعله ثم عدل الى الرفع وجعل مبتدا للدلالة على الثبوت ثم عرف للدلالة
على استغراق انواع السلام الذي يوجه للانبياء بادة ومعناه السلامة
من النقايص والتكريم والتشريف له بما يليق بجنابه كما بينوه وخص وصف

الرسالة بالذكر لانتفاع الامة بها الذي هو من جملتهم ورحمة الله وبركاته
والرحمة بمعنى الانعام والاحسان او ارادة ذلك وفيه دليل على جواز الدعا
بالرحمة للنبي صلى الله عليه وسلم خلافا لمن اباه لورود ها في حديث التشهد
كما مر والبركات جمع بركة وهي الخير الالهي وكثرته قال الراغب
اصل البركة صدر البعير وغيره وبرك البعير القى بركه واعتبر فيه معنى
اللزوم فقيل ابتركوا في الحرب وبركا القتال مكان يلزمه الابطال وسمي
محبس الما بركة والبركة ثبوت الخير الالهي في الشي قال تعالى لفتحنا
عليهم بركات من السما والارض ولما كان الخير الالهي يصدر من حيث
لا يحس على وجه لا يحصى ولا يحصر قيل لكل ما يشاهد منه زيادة
غير محسوسة مبارك وفيه بركة ثم دعا ميتا كما كان قبل تكلمه حيث
سجي ولكن فاته قد تقدم المقام والفضل معقود لذكر معجزاته
صلى الله عليه وسلم باحيا الموتى وانطاق من ليس من اهل النطق له وما هنا
الحديث ليس كذلك قيل هو من امته صلى الله عليه وسلم
ومحا بته وكلامه بعد موته كرامة له وكرامات الامة من جملة كراماته
وقد يقال انه دليل على ما قبله وموكد له لانه اذا كان في امته بعد
عنه مثله فكيف لا يقدر عنه صلى الله عليه وسلم فصل
في معجزاته صلى الله عليه وسلم في ابرا المرضى جمع مريض كقتلى وقتيل
وبراوهم زوال مرضهم وحصول الشفا لهم واصل البرء البراة والتبري
التفصي مما يكره وكذلك قيل برئ من المرض اذا تخلص منه وذوي العاهات
جمع عاهة وهي الافة ويقال عاه الزرع اذا اصابته العاهة والعاهة
قد تخص بالامراض المزمنة وقد لا تخص بها فتكون الامراض مما يعرض
مما لم يزمن كالحميات ونحوها فتكون اعم فائدة وهو المراد هنا فليس
من عطف المترادفين وتطلق العاهة على بعض الاعضا كالشلل والعرج
والعمى وقد يكون بعضها خلقي ايضا وهذا هو المعروف اخبرنا ابو
الحسن علي ابن مشرف فيما اجازنيه وقراته على غيره وتقدم
الكلام على هذا او على معنى الاجازة قال حدثنا ابو اسحاق
الحبال بحا مهملة وموحدة مشددة كما تقدم في ترجمته قال
حدثنا ابو محمد بن النحاس بحا مهملة ايضا كما تقدم قال حدثنا ابن
الورد وعبد الله ابا جعفر بن محمد بن الورد وابن زبجو بن زاوي سريه
ابن هشام عن البرقي هو ابو سعيد عبد الرحيم ابن عبد الله بن عبد الرحيم
ابن ابي زرعة البغدادي الزهري مولاهم المعروف بابن البرقي نسبة للبرقة

انه مكان عن ابن هشام ابو محمد عبد الملك بن هشام بن ايوب الامام الا
النحوي صاحب السير وهو حميري معافري بصري وسكن مصر وتوفي
بها سنة ثلاث عشرة ومائتين وله تاليف نفيسة ككتاب الانساب
وغريب اشعار السير وغيره كما فصله ابن خلكان في تاريخ وفاته ه
اختلافه عن زياد البكائي بفتح الموحدة وتشديد الكاف والمد وهو
ربيعة بن عامر بن صعصعة سمي البكاي لانه دخل على امه فراها تحت
ابيه وهو صغير فخرج يصيح ويقول ان ابي قتل امي توفي سنة ثلاث وثمانين
ومائة وروى له اصحاب السنن وترجمته في الميزان مفصلة عن
محمد ابن شهاب محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري
شيخ ابن اسحاق الامام المشهور كما تقدم ووقع في بعض النسخ هنا ابن هشام
وهو غلط من الناسخ كما في المقتفي وعاصم بن عمر بن قتادة ابن النعمان
الظفري الثقة امام رواة المغازي توفي سنة تسع او سبع وعشرين
او عشرين فقط ومائة اخرج له الستة وترجمته في الميزان وجماعة
ذكرهم فاعل ذكرهم فاعل ذكرهم لابن شهاب الزهري بقصته احد
بطولها متعلق بذكرهم والمعنى في قصة احد غزاتها وما وقع
فيها قال قالوا ان الجماعة المذكورين الذين رووا هذا
الحديث من طريق ابن اسحاق التي اسندها المصنف عنهم ورواه ه
البيهقي ايضا قال سعد ابن ابي وقاص الصحابي المشهور في
قصة احد التي رواها بطولها ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليناولني اي يعطيني بيده وهو معنى المناولة ومنه النبال
جمع النبل السهم الذي لا نصل له بفتح النون وسكون الصاد المهملة
قبل اللام وهو حديدة في طرف السهم كالرمح وفي بعض النسخ نفل بفاء معجمة
بدل الصاد وقال البرهان والصحيح الاول والثاني لا يتضح معناه
ولا يستعمل قلت هو هنا بعيد هنا وانه رواية وكانه من ه
تحريف النساخ الا ان معناه صحيح ايضا لان النفل هي السهام والمعنى انه
ليس مما يرمى به لانه لا نصل له فيؤول الى الرواية الاخرى وان كان لا وجه
له هنا فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد بعد مناولته
السهم له ارم به بكسر الهمزة والميم من الرمي والضمير للسهم وفي الكلام مقدر
اي فيرمي ويقتل من اصابه سهمه مع انه لا نصل له ومثله لا يقتل عادة
وهذه معجزة له صلى الله عليه وسلم ولذا ذكره المصنف وان لم يكن محل ه
الشاهد ورمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ اي يوم احد

عن قوسه فقال رمى عن قوسه وبقوسه عن لا قوسه حتى اندقت اي انكسرت
والقوس مؤنثة سماعية واصل معنى الدق الرض كرم صلبه واصيبت
يومئذ عين قتادة ابن النعمان اصيبت مبني للمجهول اي اصابها سهم فاخرجها
واذهبها وروي اصيبت بدون تانيث للتاويل بالعضو او للفاصل بينهما
حتى وقعت عينه على وجنته الوجنة اعلى الخد وما يلي العين من الوجه
ويطلق على الخد كله فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده اي
اعادها حيث تدعينه التي سالت لمكانها فكانت العين المردودة بيده صلى الله
عليه وسلم احسن عينيه اي اجملهما واقواهما حسنا اي احسن من عينيه
اللتين كانتا له قبل ما اصيبت وردت عينه فلا يرد عليه ان الشي لا يكون
احسن من نفسه وقوله اصيبت عينه ظاهره ان ما اصيبت عين ه
واحدة وهو كذلك عند الاكثر وروي ان عينيه اصيبتا فيكون من التعبير
عن العضوين المتفقين واحد وصفة فاشبها احدهما وهو فصيح مشهور كما
يقال نظرت بعينه ومشى بقدمه كما قرره النحاة وقالوا انه حقيقة مشهورة
وروي ان عاصم بن عمر ابن قتادة وفد على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه
فقال له من انت فقال بديهة

انا ابن الذي سالت على الخد عينه • فردت بكف المصطفى اي رد
فعادت كما كانت لاول امرها • فيا حسن ما عين ويا حسن ما ردا

فقال عمر

تلك المكارم لا قعبان من لبن • شيبا بماء فعادا بعد ابوالا

وروي انه صلى الله عليه وسلم قال له ان شئت رددتها لك وان شئت
فاصبر ولك الجنة فقال يا رسول الله ان الجنة لعطاء جزيل جميل ولكني اكره
العور فردها واسال الله لي الجنة فردها ودعا له وكان لرسول الله صلى الله
عليه وسلم قسي اختلف اهل السير في عددها فقيل سبع وقيل
ست وهي الروحاء والصفراء من نبع والبيضاء من شوحط والزوراء والكتوم
سميت به لعدم صوت لها والسداد وروي المربان لصوتها والتي انكسرت
باحد هي الكتوم كما في الهدي النبوي والكلام على قسيه صلى الله عليه
وسلم ومن اين صارت وتوجيه تسميتها مذكور في السير وشروحها
وروى قصة قتادة المذكور فيها رد عينه وهي قصة فيها طول اقتصر
المصنف على محل الشاهد وذكروا لها لما فيه من المعجزة ايضا عاصم بن
عمر بن قتادة صاحب القصة ويزيد بن عمرو بن قتادة كذا في النسخ كان
في النسخ كما قال البرهان الحلبي والصواب يزيد بن عياض عن ابن عمر

ابن قتادة فعينه سقط لان عاصما شيخ يزيد او يسقط عن عاصم ويزيد بن
عياض الليثي الحجازي حدث عن نافع لخ ورواها ابو سعيد الخدري
عن قتادة وابو سعيد هو اخو قتادة لامه وقتادة بن النعمان انصاري اوسي
وشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم بدرا واحدا وغيرهما من المشاهد
وكانت فاتحة يوم احد وقيل يوم بدر وقيل
يوم الخندق والصحيح الاول كما قاله ابن عبد البر وقد اختلف كما ترى هل قلعت
عينه او عيناه والمشهور الاول ووقع الثاني مصرحا به في بعض الروايات
ايضا كما رواه ابو نعيم الاصبهاني ونقله السهيلي وقال الدارقطني انه
غريب تفرد به عمار بن نصر عن مالك وهو ثقة قال ابن حجر في شرح
الهمزية فهي زيادة ثقة فتقبل وترجح بها رواية الثنتين وهو رد على
من قال ان هذه الرواية غلط وفيه نظر وقد اختلف ايضا هل انفصلت
او لا فقيل انها بقيت معلقة وقيل سقطت فاتى بها او بهما في
كفه فقال يا رسول الله ان شئت فاصبر ولك الجنة وان شئت رددتها
فقال يا رسول الله اني محب للنسا وعندي امراة احبها فاخشى ان تقذرني
فردها وادع الله لي الجنة ففعل فكانت اقوى عينيه واحسنهما وتوفي
وهو ابن خمس وستين سنة سنة ثلاث وعشرين وصلى عليه عمر رضي
الله عنه ورواه البيهقي انه صلى الله عليه وسلم بصق على اثر سهم اي جعل
ريقه بما فيه على جراحته في وجه ابي قتادة الحارث ابن ربعي الانصاري
السلمي الصحابي توفي بالمدينة وهو ابن اربع وخمسين وقيل ابن
سبعين وفي وجه ظرف لغو متعلق بقوله بصق او مستقر حال او صفة
لسهم في يوم ذي قرد بفتح القاف والراء المفتوحتين والدال المهملتين وروي
بضمتين بحكاه وهو اسم ما بينه وبين المدينة مسافة يوم وليلتين من
جهة خيبر والقرد الوبر والصوف الردي المتجعد سمي به لانه يتعاطى
فيها او لكثرة طحلبه المتشبه به واليوم هنا بمعنى الغزو كما يقال
ايام العرب وقد تقدم ويقال ذو القرد معرفا وهي غزوة تسمى ايضا غزوة
الغابة وكانت قبل الحديبية وقيل بعدها فرده في الهدي
النبوي والقرطبي في شرح مسلم وسببها انه كان لرسول الله صلى الله عليه
وسلم لقاح ترعى بالغابة فيها ابن ابي ذر وامراة من غفار فاغار عليها
عيينة بن حصن الفزاري في اربعين فارسا فاستاقوها وقتلوا ابن ابي
ذر واسروا المراة فركبت المراة ناقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على غفلة
منهم ونذرت ان نجت لتنحرنها فنجت فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم

بذلك

بذلك فقال لا نذر في معصية الله ولا لاحد فيما لا يملك وادركه رسول
الله صلى الله عليه وسلم ونودي يا خيل الله اركبي وكان اول
ما نودي به فادركهم في جماعة من الصحابة وقتل سبعة فاستنقذ منهم عشرا وفروا
بباقيها كما فصل في السير قال ابو قتادة فما ضرب الجرح واثر السهم
علي اي ما المني ولا اوجعني ضربانه ولا سلط علي ضربانه من الضربان يقال
ضرب الدهر بمعنى الم ولا قاح اي سال منه قيح ومدة يقال قاح يقيح وقيح
وتقيح والقيح صديد وهو شي كالماء اصفر تخالطه قليل دم وهذا حديث
حسن صحيح رواه الترمذي والبيهقي وروى النسائي والترمذي والحاكم
والبيهقي وصححوه والنسائي بالهمزة نسبة لنسا بلدة ويقال
نسوي بالواو ايضا وهو ابو عبد الرحمن بن شعيب بن علي بن سنان الامام
المشهور صاحب السنن توفي سنة ثلاث وثلاثمائة على الاصح وله ثمان
وثمانون ولم يتاخر على الثلاثمائة من اصحاب السنن غيره عن عثمان بن
حنيف بضم الحاء المهملة وفتح النون وفا مصغر وهو اخو عباد وسهل ابن وهب
وله صحبة ورواية روى عنه احمد واصحاب السنن وهو من الاشراف ولي
سواد العراق والبصرة وعاش الى زمن معاوية وسنفرد هذا
الحديث قريبا الا ان البرهان قال كان ينبغي للقاضي ان يذكر سنده ليعلم
ان صحابيه ليلا يتوهم ان النسائي سمع منه وتبعه سهل ان اعمى لم يذكروا
اسمه قال يا رسول الله ادع الله لي ان يكشف عن بصري المعنى ان يدعوا
له بان يفتح بصره ويزيل الله عنه العما فعبر عنه بالكشف وهو ازالة الغطا
فاما ان يكون على بصره غشاوة وجلدة رقيقة تطلب ازالتها او شبه
عدم الرؤية بحجاب حايل بينه وبين المبصرات والرواية بازالته
فعند استغاثته فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم امرا له
انطلق اي قم من مجلسك هذا فتوضا امر بالوضوء ثم صل ركعتين
نافلة وتسمى صلاة الحاجة ومنه اخذ ان كل من اهمه امر ينبغي له ويستحب
ان يصلي قبل الدعا تقربا الى الله ثم قل اللهم اي يا الله والكلام عليه
مشهور اني اسالك واطلب منك حاجتي هذه واتوجه اليك اصل
معنى التوجه المقابلة بالوجه فاريد الاخلاص في القصد للدعا والتوسل
بنبيك وفي بعض النسخ بنبي بالاضافة ليا المتكلم محمد نبي الرحمة
بدل من نبيك او عطف بيان وقد تقدم معناه ثم التفت من خطابه
لله الى خطاب نبيه صلى الله عليه وسلم لانه واسطته في كل ما يحصل
من الاحسان والفيض الالهي يا محمد اني اتوجه بك الى ربك اي اتوسل

فيما طلبته من الله وهو ان تكشف عن بصري حجابه المانع له عن الرؤية وفيه
مقدمة اي ندعوا فاجبر وندا وه صلى الله عليه وسلم باسمه انما يحرم اذا كان
بحضرته واذا لم يكن في دعا انا نؤ دا امر به كما هنا لقوله قل اللهم الخ فان امتثال
الامر هو عين الادب كما ذكره ابن حجر ثم قال ان نداه صلى الله عليه
وسلم باسمه لعله كان قبل علمه بحرمته او قبل تحريمه بقوله تعالى لا
تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا لكن بظاهر وعدله
صلى الله عليه وسلم عن دعايه له بامره ان يدعو لنفسه تعليما وارشادا
لامته وتواضعا وتادبا مع الله وهذا الحديث مسند صحيح اخرجه
الترمذي والحاكم وغيرهما وكان ابن حنيف وبنوه يعلمونه الناس وقد
حكوا فيه حكايات فيها اجابة دعا من دعا به من غير تاخر وقد خرجه البرهان
الحلبي من طرق متعددة فلم يبق فيه شبهة فاحفظه اللهم شفعه
اي اقبل شفاعته في وهو يحتمل ان يريد شفاعته صلى الله عليه
وسلم فيه في الدنيا برد بصره او شفاعته له في الاخرة او ما يشملهما
وهذا اولى ومنه علم استحباب الدعا عقب الصلاة وروي بالبنا
للمجهول والراوي له الواقدي وابو نعيم عن عروة ان ابن ملاعب الاسنة
قال البرهان الحلبي ان ملاعب الاسنة لا يعرف اسمه ولا ترجمته
واما ملاعب السنة فهو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة
ابن عامر بن صعصعة سمي ملاعب الاسنة جمع سنان وهو حديدة
في طرف الرمح تعد للطعن ويقال له ملاعب الرماح سمي بذلك لانه في يوم
سوبان بن بزيد طوفان وهو كان فيه بالناس وعمم وبعثه وكان اخوه
طفيل بن مالك فارس قورل وهو اسم فرس له فر في ذلك اليوم فقال
فيه الشاعر

فررت واسلمت ابن امك عامرا ٭ يلاعب اطراف الوشيج المزعوع ٭

فسمي بذلك ملاعب الرماح وملاعب اطراف الوشيج الاسنة وهو عم لبيد
وهو ابو براء عامر وذكره بعضهم في الصحابة وقال الذهبي الاصح
انه لم يسلم لانه قدم المدينة وعرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم
الاسلام فلم يسلم وهو عم لبيد بن ربيعة المسمى بربيعة المعترين اصابه
استسقا اصل معناه طلب السقي وهو اسم مرض معروف قال في
الاساس سقي بطنه واستسقى وبه سقي بكسر السين وهو ان يقع الما
الاصفر في بطنه انتهى وهو مرض علاجه صعب لا يكاد يبرا من اصابه
منه فبعث الى النبي صلى الله عليه وسلم قاصدا

يلتمس

يلتمس منه الدعا وان يشفيه الله ببركته وهذا يدل على انه اسلم خلاف
ما مر كما مر فاخذ صلى الله عليه وسلم لما نزل عليه قاصده امره بيده حثوة
من الارض بفتح الحا المهملة وسكون المثلثة ويقال حثية باليا ايضا وهو
مل يده او يديه وهي من التراب هنا فتفل بفتح المثناة الفوقية والفا وفي
نسخة بفتح عليها اي الحثوة من ماء فمه المبارك ثم اعطاها اي حثوة التراب
رسوله اي رسوله للنبي صلى الله عليه وسلم فاخذها متعجبا مما اعطاه وانه
مثله لا يجدي به الاستسقا بل يزيده لان مبداه سدة في الجوف والتراب
يزيدها كما يشاهد من ياكل الطين يرى بفتح اليا اي يظن انه قد هزي به
الضمير للرسول او لمرسله وهزي بالبنا للمجهول او يعتقد ويجوز فيه
بنا الفاعل ايضا ما تاه بها اي بالحثوة وهو اي ابن ملاعب الاسنة على
شفا بفتح الشين المعجمة والفا مقصورة اي قريب من الموت واصل
الشفا مكان متصل بحفرة كالبير قال تعالى على شفا جرف هار
ويجوز ان يراد به الكناية عن الموت ويراد بالحفرة القبر والجملة حالية
وبينه وبين قوله فشربها فشفاه الله تجنيس بديع ايضا وضعها
في ما وشربها فشفاه الله ببركة النبي صلى الله عليه وسلم وذكر العقيلي
بالتصغير وهو الامام الحافظ ابو جعفر محمد ابن عمرو بن موسى بن حماد المكي
صاحب كتاب الضعفا الذي رتبه الهيثمي وهو ثقة جليل توفي سنة
اثنين وعشرين وثلثماية عن حبيب بن فديك حبيب بفتح الحا المهملة
وموحدتين بينهما يا مثناة تحتية وقيل انه بخا معجمة مضمومة
وفديك وقيل فويك بضم الفا والدال المهملة مفتوحة مصغره
وكان وقيل ابن بواو بدل الدال وقيل برا مهملة ذكره الذهبي
في الصحابة وقيل انه حبيب ابن عمرو بن فديك السلاماني وقد
اضطرب فيه وفي اسمه واخرج حديثه هذا البيهقي والطبراني وابن
ابي شيبة في مسنده عن رجل من بني سلامان عن امه ان خالها حبيب
ابن فديك حدثها ان اباه خرج به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعيناه مبيضتان فسأله عما اصابه فقال كنت اقود جملا لي فوقعت
رجلي على بيض حية فاصبت في بصري فلا ابصر شيا والى ما ذكر من الاختلاف
في اسمه اشار بقوله ويقال فويك بواو وبرا بدل الدال
ان اباه ابيضت عيناه لغشاوة غطتها اذ هو عبارة من الغمائم
لا يبصر بهما شيا فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمثلثة
اي تفل بريقه في عينيه فابصر بهما فذهب عنه عماه في ساعته

فرايته يدخل الابرة اي الخيط في الابرة لقوة بصره وصحته
وهو ابن ثمانين سنة وهو سن تضعف فيه بصر مثله وان لم يعرض له عا
رض وليس في الحديث ان البياض لم يزل بعينيه مع شدة نظره ونور بصره
وانه اعظم في المعجزة كما قيل لاحتمال ان البياض زال بسرعة ولم يصرح
به لانه معلوم ورمي بالبنا للمجهول كلثوم ابن الحصين بضم الحا وفتح
الصاد المهملتين ونون مصغر حصن وهو ابو رهم الغفاري الصحابي
وهو من اصحاب الشجرة وشهد احدا واستخلفه رسول الله صلى الله
عليه وسلم عام الفتح يوم احد لما وقع السهم في نحره وخشي الموت من وقوع
السهم نحره اي مقدم عنقه عند حبل الوريد الذي لا يعيش من جرح
به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه اي في نحره وكل
جراحة فبرا بفتحات وهمزة مقصورة اخره ويقال برئ
بزنة علم وضربه كما قاله ابن السكينة اي حصل له البرء من حينه
وهذا الحديث لم يخرجه وروى الطبراني حديثا مسندا انه صلى الله
عليه وسلم تفل بتا مثناة وفا ولام مفتوحات اي بصق على شجة
عبد الله ابن انيس الشجة بفتح الشين المعجمة وجيم المشددة جراحة
ضربة في الوجه او الراس وقد تطلق على ما في غيرهما من الجسد والمراد
الاول وانيس مصغرا ابن اسعد بن حرام بن مالك ابن غنم بن كعب الجهني
الانصاري الصحابي شهد احدا وكان صلى الله عليه وسلم بعثه مع
عبد الله بن رواحة ونفر من الصحابة الى اسير بن رزام بخيبر لما جمع
جمعا من غطفان لغزو رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له
ان قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم اكرمك فلم يزالوا به
حتى خرج معهم فحمله ابن انيس على بعيره حتى اذا كانوا بالقرقرة بقرب
خيبر ندم ففطن له ابن انيس وضربه بسيفه فقطع رجله وضربه اليسير
ابن انيس بعصاه فشجه فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
تفل في شجته فلم تمد بضم المثناة الفوقية وكسر الميم وتشديد الدال
المهملة المفتوحة اي لم يبق فيها مدة وفتح تعالى امدح الجرح اذا
صارت فيه مدة وهي القيح كما في الصحاح وغيره والمدة بكسر الميم
وتفل في عيني علي ابن ابي طالب رضي الله عنه في حديث رواه الشيخان
عن سهل ابن سعد يوم خيبر وكان رمدا بزنة حذر منصوب معمولا
اي به رمد وهو وجع العين فاصبح بارئا اي صار بارئا في الحال
لانه تاخر برؤه الى وقت الصباح واصبح له معنيان هذا احدهما والثاني

بتمامه

تمامه في الصحيحين وغيرهما وفي دلائل البيهقي عن بريدة اليومية لا يخرج
فلما نزل خيبر اخذته فلم يخرج فاخذ ابو بكر رضي الله عنه الراية وقاتل قتالا
شديدا ثم اخذ عمر وقاتل فلما اخبر بذلك قال لاعطينها غدا رجلا
يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فتطاول الناس لذلك فاصبح
وجاء علي وقد عصب عينيه فقال ادن الي وتفل في عينيه ففتحهما واعطاه
الراية وروي انه وضع راسه في حجره ثم تبصق في راحتيه وذلك بتمامه عند
والحديث طويل والكلام عليه وعلى الاستدلال به لتفضيل علي مشهور
غير محتاج للبيان وفي صحيح البخاري انه صلى الله عليه وسلم نفث
على ضربة بساق سلمة بن الاكوع يوم خيبر فبرئت من حينها والضمير
للساق لانها مؤنثة سماعا او للضربة وبراه هذه اثر الجراحة والثاني
وروى عبد بن حميد في تفسيره انه صلى الله عليه وسلم نفث في
جراحة اي جعل ريقه عليها في رجل زيد بن معاذ حين اصابها السيف
الى الكعبة حين قتل ابن الاشرف فبرات رجله اي جرحها واعترض
البرهان الحلبي على المصنف بان قصة كعب بن الاشرف مفسرة في السير
ورواها مسلم في الجهاد كغيره وذكروا الجماعة الذين اشتركوا في قتله
باسمائهم وليس فيهم من اسمه زيد بن معاذ بل لا يعرف في الصحابة من
اسمه زيد بن معاذ الا ان يكون نسبه الى احد اجداده والى جدا على
له وهو خلاف الظاهر والجرح الذي في راسه او رجله على الشك
من الراوي في قصة كعب انما هو الحارث ابن اوس بن معاذ بن النعمان
ابن اخي سعد ابن معاذ الاشهلي وقد سمى البخاري الذين قتلوا كعبا و
ومنهم الحارث ابن اوس بن سعد بن النعمان وهو الذي تفل رسول الله
صلى الله عليه وسلم على جرحه وقيل هو الحارث بن اوس
بن النعمان وقيل هما واحد وقال التلمساني ان العزيز نقل
في تفسيره في سورة الحشر ما ذكره المصنف بعينه وقال
انه زيد بن معاذ وهو ابن اخي سعد بن معاذ فالمصنف نقل ما قاله
الا على تحقيق وقع له ولا يخفى ما فيه فانه مصادم للمنقول الصريح
ومثله لا يقال بسلامة الامير وكعب ابن الاشرف
بزنة افعل التفضيل من الشرف يهودي من بني نبهان وقصته كما في
السير انه لما اصيب اصحاب القليب من كفار قريش وبلغه الخبر
قال ان كان محمد اصاب هؤلاء لبطن الارض خير من ظهرها
فلما تحقق الخبر خرج لمكة يحرض الكفار على رسول الله صلى الله عليه وسلم

ويبكي اصحاب القليب ويرثيهم بشعره تارة وتارة يشبب بنسا المسلمين
حتى اذاهم فقال صلى الله عليه وسلم من لابن الاشرف فانه اذى الله
ورسوله فقال محمد بن مسلمة اخو بني عبد الاشهل انا لك
به يا رسول الله قال فافعل ان قدرت فرجع فاقام ثلاثا لا ياكل الطعام ولا
يشرب فقال له لم تركت الطعام والشراب قال قلت
قولا لا ادري اني به ام لا قال عليك الجهد فقال لا بد ان نقول
فقال قولوا ما بدا لكم فانتم في حل من ذلك فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة
وسلكان بن سلامة ابو نايلة الاشهلي وكان اخا ابن الاشرف من الرضاعة
وعباد بن بشر وقيس وابو عبس بن جبر ثم قدموا الى عدو الله فتقدم
ابن سلامة رضيعه فتحدث معه وتناشده الاشعار وكان شاعرا
ثم قال له ويحك يا ابن الاشرف اني جئتك لحاجة اذكرها لك فاكتم قال
افعل قال كان قدوم هذا الرجل علينا بلا من البلا عادتنا العرب
ورمتنا عن قوس واحدة وانقطعت عنا السبل حتى ضاعت
العيال وجهدت الانفس فقال كعب قد اخبرتك ان الامر سيصير
لما اقول فقال انا لا نحب ان ندعه حتى ننظر لم يصير شانه وقد
جئتك استسلفك وقال الدمياطي الذي تحدث معه ابو نايلة
وهو الذي نزل له كعب من حصنه فلما استسلفه قال
له ترهنوني ما تثق به قال ارهنوا ابناكم ونساكم قال اردت ان تفضحنا
انت اشب اهل يثرب واعطرهم ولكن نرهنك الحلقة والسلاح فقال
ان فيها لوفا واراد ان لا ينكر مجيئهم مسلحين ولي اصحابا مثلا لذلك
فرجع الى اصحابه وامرهم ان ياخذوا السلاح ويجتمعوا اليه
فلما فعلوا شيعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البقيع في ليلة
مقمرة فلما انتهوا الى حصنه هتف به ابو نايلة وكان كعب
حديث عهد بعرس فقالت له امراته انك رجل محارب لا ينبغي
لك الخروج في مثل هذا الوقت وان في الصوت لشرا وانه صوت
يقطر منه الدم فقال ان الكريم لو دعي لطعنة ليلا اجاب

٥ والبلا موكل بالمنطق ٥

فقال لها انه ابو نايلة لو وجدني نايما ما ايقظني وانه في ملحفة
فتحدثوا معه ثم قالوا نمشي لشعب العجوز نتحدث بقية ليلتنا
قال ان شئتم فتماشوا ساعة ثم وضع ابو نايلة يده على راسه ثم شمها
وقال ما رايت كالليلة طيبا اعطر من هذا ثم ماشى ساعة

وفعل

وفعل مثل ذلك ثم اخذ بفودي راسه وقال اضربوا عدو الله
فضاح صيحة اشرف عليه اهل الحصون فلما قتلوه اتوا براسه ويقال
انها اول راس حملت في الاسلام وقيل بل راس ابي عزة الجمحي وقيل
راس عمرو بن الحمق فاصاب الحارث بن اوس سيف من اصحابه
برجله فابطا عليهم ثم اتاهم يتحامل فحملوه اخر الليل فاتوا به رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو يصلي فاخبروه بقتله وجراحة صاحبهم فتفل
على جراحته كما ذكره المصنف على ما فيه وفي هذه القصة
اشكال مشهور وهو انهم تكلموا في حقه صلى الله عليه وسلم بما لا يجوز مما
ظاهره ومثله كفر ولا اكراه فيه وقد اجيب عنه عند الفقها وغيرهم
بانه لم يقصد ظاهره وهو من المعاريض التي تجوز للمصلحة واذا تاملت
ما قالوه تجده يحتمل المدح وقد ادلت لحضرة النبي صلى الله عليه وسلم فيه
وسيأتي تفصيله في محله اخر الكتاب ان شا الله وفي قوله الى الكعبه
نكتة يعني ان صدقه السيف امتد الى ان وصلت الى كعبه وكانه
قصد تجنيسا لان ابن الاشرف اسمه كعب فكانه قال جرح الى
الكعب في قصة كعب وعلى كل حال فكلامه هنا فيه ما فيه فتامل **و نفث**
على ساق علي بن الحكم يوم الخندق على هذا صحابي وهو اخو معاوية
بن الحكم السلمي وهذا الحديث خرجه ابو القاسم البغوي في معجمه كما قاله
السيوطي ويوم الخندق هذا كان في غزوة الاحزاب سمي به لان سلمان
رضي الله عنه اشار الى النبي صلى الله عليه وسلم بحفر خندق حول المدينة
ولم تكن العرب تعرف ذلك وانما كانت تعلمه ملوك الفرس قال
الطبري ان اول من عمله منوشهر بن ايرج بن افريدون وهم يزعمون
ان افريدون بن اسحاق واكثرهم على خلافه وخندق معرب كنده ٥
ومعناه الحفر وهو من الالفاظ الاسلامية **اذ انكسرت**
اي ساقه لا يظانونه وهي ما بين القدم والركبة **فبرى** اي صح وزال
ما به من الكسر ويقال بري كعلم وبرء كضرب واخره مهموز **مكانه** مكانه
بالنصب على الظرفية اي كاينا في مكانه وموضعه الذي ركب عليه
ولما نزل عن فرسه الذي كان عليه لما جاه يستشفيه قال ابو القاسم
البغوي باسناده عن معاوية بن الحكم عن ابيه قال كنا مع النبي صلى الله
عليه وسلم فنزى اخي علي بن الحكم فرسا له الخندق فاصاب رجله جدار
الخندق فدقها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وما نزل عن فرسه فمسحها له
وقال بسم الله فما اذاه شي منها وقد عد ابو حاتم البغوي في الثقات ورده

البيهقي في الدلائل عن علي كرم الله وجهه قال اشتكى علي بن ابي طالب
اي مرض مرضا والمرض بسبب شكاة فجعل يدعو الله لما صحح كما سياتي فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لما سمعه اللهم اشفه او عافه شك من الراوي
في لفظه والمعنى واحد ثم ضربه برجله ليقوم من مضجعه وقام فما
اشتكى ذلك الوجع بعد مبني على الضم اي بعد ضربه او دعائه او هما ولفظ
البيهقي عن عبد الله بن سلمة قال سمعت عليا رضي الله عنه يقول
اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا شاك اقول اللهم ان كان اجلي قد حضر
فارحني برجله وقال كيف قلت فاعدت عليه فقال اللهم
اشفه او قال اللهم عافه قال علي فما اشتكيت وجعي ذلك بعد وقطع ابو جهل
يوم بدر اعترض على المصنف بان المعروف ان القاطع عكرمة بن ابي جهل
لا هو وان المقطوع معاذ بن عمرو بن الجموح حين ضرب اباه وقد نقله
ابن سيد الناس عن المصنف يد معوذ بضم الميم وفتح العين المهملة
وتشديد الواو المكسورة وتفتح وذال معجمة ابن عفرا بعين مهملة وفا
ساكنة وراء مهملة ومدة اسم امه وهو ممن شهد بدرا وهم اربعة
عشر ومعوذ ابن الحارث بن رفاعة البخاري الانصاري وعفرا بنت
عبيد بن ثعلبة البخارية وعرف بامه هو واخواه معاذ وعوف شهدوا
بدرا فاستشهد عوف ومعوذ بها وبقي معاذ الى زمن عثمان رضي الله
عنه والذي في سيرة ابن سيد الناس ان معاذ بن عفرا قتل
ابا جهل فضربه ابنه عكرمة على عاتقه فطرح يده وتعلقت
بجلدة من جنبه فاجهضه القتال فقاتل عامة يومه وهو يسحب
يده خلفه فلما اذته وضع عليها قدمه فقطعها فجاء يحمل يده فبصق
عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والصقها فلصقت
كما كانت في مكانها ببركته وبركة بصقه الشريف الذي نفثه
عليها وهذا لا ينافي كونه فعل الله تعالى ولا حاجة لذكر مثله
رواه ابن وهب وقد علمت ما يخالفه مما رواه ابن اسحاق
وصححه ابن سيد الناس والمصنف في غير هذا الكتاب وقيل
ان ابن وهب لا شك في جلالته فما رواه لا يخالف ما قاله ابن اسحاق
لجواز كون معاذ قطعت يده ايضا وعكرمة قطع يد اخيه معاذ
وابو جهل نفسه قطع يد معوذ والصقها رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم نقل وهذا امر غير نقل صريح لا يقبل مثله بمجرد الاحتمال
فلا ينبغي ذكره من غير تنبيه ومن رواية بيده اي من رواية ابن وهب

ابن الجوزي

مرطي

التي رواها ابن اسحاق والبيهقي عنه كما نقله السيوطي ايضا كرواية الاولى ان
حبيب بالتصغير وخاء معجمة وتوحدة بن تصغير خبيب وهو المغفل ابن يساف
بكسر اليا اخر الحروف وسين مهملة والف وفا ويقال اساف بهمزة
مكسورة اصيب بالبنا للمجهول اي اصابته ضربة سيف يوم بدر مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربة على عاتقه وكتفه حتى مال شقه
الذي اصابته الضربة بقطع يده وانفصالها عن عاتقه من غير انفصال
فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم اي رد عضوه الى مكانه الذي كان به
ونفث عليه حتى صح اي التام وعاد كما كان وقيل ابن عيينة بن عمرو
الخزرجي شهدا بدرا واحدا وكان بالمدينة حين قدم رسول
الله صلى الله عليه وسلم وتاخر اسلامه حتى سار رسول الله صلى الله عليه
وسلم وتاخر اسلامه حتى سار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بدر فلحقه واسلم
الى بكر وشهد بدرا فضربه رجل على عاتقه يومئذ فمال شقه فاتاه صلى
الله عليه وسلم فتفل عليه ورده فالتام فانطلق وقتل الذي ضربه
وتزوج ابنته بعد ذلك فكانت تقول لا عدمت رجلا وشحك هذا الوشاح
يعني الضربة التي في محل الوشاح فيقول لا عدمت رجلا عجل اباك الى النار
والى ذلك اشار المصنف وروى ابن ابي شيبة عن ام جندب انه صلى
الله عليه وسلم اتته امراة من خثعم بخاء معجمة ومثلثة وعين مهملة
وميم بزنة جعفر اسم جبل واسم قبيلة نزلت عنده منها هذه
المراة لا انها كانت نازلة بالجبل كما توهم معها صبي وهو ابنها به بلاء
وهو ما نزل به الناس وفسره بقوله لا يتكلم فان كان المعنى لا يقدر
على الكلام فاراده انه كان اخرس او ابكم وان كان بمعنى انه بعد ذهول
وعدم عقل للكلام فهو مستانف وهذا هو المراد كما سياتي فاتي
بما بالبنا للمجهول اي امر من ياتيه بما فاتاه فمضمض فاه فمضمض
متعدد وفاه مفعوله والمضمضة ادارة الما في الفم بعد تحريكه
او هو لازم ضمن معنى غسل وغسل يديه بذلك الما ثم اعطاها
اياه اي اعطى المراة ذلك الما الذي رده في اناء بعد المضمضة
وغسل اليدين منه وامرها بسقيه اي امر المراة بان تسقي الصبي
من ذلك ومسه به مصدر مضاف للمفعول اي مسحه بالما فلما
فعلت ما امرها به برا وعقل عقلا يفضل بزنة يقعد ويرفد عقول
الناس اي يزيد على عقول الناس الذين من امثاله وهذا
الحديث رواه احمد في سنده بسند متصل بابن عباس قال ان امراة

جاءت بولدها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت يا رسول الله ان به لمما اي جنونا يأخذه عند طعامنا فيفسده علينا قال فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره ودعا له فثع ثعة اي تقيا فخرج من فيه مثل الجرو وهو الكلب الصغير جدا وفي كون هذه القصة ما ذكره القاضي بعينه نظر لما بينهما من الخلاف مع احتمال تعدد القصة وهو الظاهر فلا وجه لجعلها قصة واحدة بل هذه الثانية رواها احمد والبيهقي وابن ابي شيبة كما اشار اليه المصنف بقوله وعن ابن عباس رضي الله عنهما جاءت امراة بابن لها به جنون فمسح صلى الله عليه وسلم صدره بيده المباركة الشريفة فثع ثعة بفتح المثلثة وتشديد العين المهملة اي قاء مرة واحدة كما قال اهل اللغة وقال بعض اهل اللغة ثع بمعنى سعل وروي الحديث من طرق متعددة فخرج من جوفه وبطنه مثل الجرو الاسود بجيم مثلثة وراء مهملة ساكنة وواو وهو الصغير من اولاد الكلاب والسباع ويطلق على صغار الحنظل والقثاء ايضا وهو محتمل هنا وجمعه اجر وكادل بكسر اخره وحذف الواو بعد قلبها ياء فشفي بالبناء للمجهول اي شفاه الله وفي حديث رواه البيهقي والنسائي والطيالسي بسند صحيح انه انكفأت بنون وكاف وفاء وهمزة مفتوحة بعدها تاء تانيث ساكنة اي انقلبت القدر التي يطبخ فيها اي وقع ما فيها من طعام حار كالنار المحرقة على ذراع محمد بن حاطب بن الحارث بن معمر القرشي الجمحي الصحابي الذي ولد بالحبشة وهو اول من سمي محمدا في الاسلام وحاطب بزنة فاعل بحاء وطاء مهملتين وموحدة علم منقول من جامع الحطب وسمي به لذلك وهو طفل صغير والجملة حالية وفيه تقدم ان في خرق ذراعه فمسح عليه اي انه صلى الله عليه وسلم مسح على ذراع محمد او على محله بنفسه ودعا له ونفل عليه اي نفخ فيه بريقه الشريف وفي نسخة وتفل فيه فبرا لحينه من غير بطء وشلل يكون في ايام عديدة ومحمد بن حاطب هذا صحابي ابن صحابي توفي عام اربع وسبعين بمكة وقيل بالكوفة وفي حديث رواه الطبراني توفي عام اربع وسبعين بمكة والبيهقي بسند ان كانت في كف شرحبيل بضم الشين المعجمة وفتح الراء وسكون الحاء المهملة وموحدة مكسورة ومثناة تحتية ساكنة ولام قال ابن السيد في شرح ادب الكاتب عن الاصمعي شرحبيل اعجمي وكذا شراحيل وايل معناه الله ومعنى شراحيل ودبعة الله عند اهل اليمن

وراي اكثر البصريين خلافه بل شرحبيل كعندبيل وشراحيل كسراويل جمع سمي به او بزنة الجمع الثاني وهو عند سيبويه اسم عربي غير منصرف الجعفي بضم الجيم نسبة للجعفة مكان معروف وشرحبيل صحابي ذكره الذهبي سلعة بكسر السين وسكون اللام وعين مهملة زيادة بين الجلد واللحم كالغدة وفيها لغات فتح سينها مع سكون اللام وفتحها ويقال سلعة بزنة عنبة وقول البرهان من فتح اراد الشجة لا وجه له فان فيها لغة والكل بمعنى ولا ينافي كون السلعة بمعنى الشجة كما في القاموس والسلعة المتاع الذي يباع ايضا تمنعه اي تلك السلعة لكونها في داخل كفه القبض على السيف وعنان الدابة بكسر العين المهملة وهو ما يقاد به الفرس ونحوه فشكاها اصلة شكي منها المضرة لها للنبي صلى الله عليه وسلم فما زال يطحنها اي يدير كفه عليها بقوة كما تدور الرحا وهو معنى الحاويون كسائل يسأل حتى رفعها اي حتى ازالها من كفه ولم يبق لها اثر في كفه بصره وعينه ففي قوله يطحنها استعارة وفي حديث رواه الطبراني عن ابي امامة انه صلى الله عليه وسلم سالته جارية اي امراة صغيرة السن او خادمة لبعض اهل المدينة وهو ياكل جملة حالية اي حال تناوله من طعامه فناولها اي اعطاها من بين يديه اي من طعامه صلى الله عليه وسلم الذي كان بين يديه وكانت الجارية قليلة الحيا لوقاحتها فقالت الجارية له صلى الله عليه وسلم انما اريد سوالي ان تناولني من الذي وضعته من الطعام في فمك وقصدت التبرك والتلذذ بما فيه ريقه الشريف لكن فيه من ترك الادب ما لا يخفى فناولها ما في فيه ولم يجبها ردها بعنف ولم يكن صلى الله عليه وسلم يسال بالبناء للمفعول اي يساله احد شيا فيمنعه بالنصب في جوابه النفي فلما استقر الطعام الذي ناولها من فيه في جوفها القي بالبناء للمفعول اي القى الله عليها من الحيا بالمد واما بالقصر فهو المطر ما لم يكن امراة بالمدينة اشد حيا منها اي حياء لم يكن في امراة غيرها لشدته ببركته صلى الله عليه وسلم فما موصولة او موصوفة في محل رفع نايب فاعل القي والجملة صلة او صفة بتقدير العايد اي ما لم يكن به اي بسببه وذكر هذا لان قلة الحيا من النقائص النفسية والجبلة الخسيسة التي يصغر ذو الحيا فيها سببه الحديث ظاهرة هنا وفي هذا الباب من امثاله مما ذكرنا احاديث كثيرة من ارادها تتبعه

بالنظر في كتب الحديث **فصل في اجابة دعائه صلى الله عليه وسلم** اي دعائه للناس وعليهم **وهذا** الاثر المذكور هنا من الاجابة وذكرها رعاية للخبر في قوله **باب واسع جدا** بكسر الجيم منصوب على المصدرية فهو في الاصل ضد الهزل ثم استعمل في معنى الزيادة العظيمة المحققة هنا وهو ظاهر **واجابة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لجماعة** اي لاجل ناس استحقوا ذلك سواء كان ذلك لهم او عليهم كما اشار اليه بقوله **دعا لهم وعليهم** فان دعا اذا تعدى باللام كان للنفع لانه ومثل لهم بدعائه بما ينفعهم واذا تعدى بعلى كان للضرر كانه انزل عليهم البلاء بسببه عليهم وهذا الخصوص بلفظ دعا الا ترى صلى الله عليه وسلم على محمد يتعدى بعلى للرحمة لما فيه من الحنو والشفقة قيل انما اعاده بلفظ الافراد دون الجمع المعنوي كدعائه كما تقدم لارادة التنصيص على ما وقع منه فردا فردا فالاول على الاجمال المطلق والثاني على الاجمال التشخيصي وقد ادرج شيئا منه عقد له هذا الفصل في الفصل الذي قبله انتهى **متواتر على الجملة** اي متواترا معنويا باعتبار معناه الاجمالي وان لم تتواتر افراده **معلوم ضرورة** اي بعلم ضروري غير محتاج لدليل **وقد جا** اي ورد في حديث رواه احمد بن حنبل **في حديث حذيفة** ابن اليمان الصحابي المشهور **كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دعا لرجل ادركت** اي وصلت واثرت دعوته المستجابة له **ولده وولد ولده** فوصل اثرها لهم وظهر فيهم ثم استشهد لما ذكره بقوله فيما رويناه من حديث الصحيحين عن انس رضي الله عنهم **حدثنا ابو محمد العتابي** هو بفتح العين المهملة وتشديد المثناة الفوقية نسبة لعتاب كما تقدم **بقراءتي عليه** من صحيح البخاري **قال حدثنا ابو القاسم خلف بن محمد** الذي تقدمت ترجمته وتقدم انه يجوز التكني بابي القاسم على الصحيح من ان النهي مخصوص بعصره صلى الله عليه وسلم او بالجمع بين الاسم والكنية **قال حدثنا ابو الحسن القابسي** الحافظ السابق ترجمته **قال حدثنا ابو زيد المروزي** نسبة لمرو كما تقدم **قال حدثنا محمد بن يوسف** الفربري كما تقدم **قال حدثنا محمد بن اسماعيل** الامام الحافظ البخاري **قال حدثنا عبد الله بن ابي الاسود** واسمه حميد البصري الحافظ روى عنه البخاري وغيره وتوفي سنة ثلاث وعشرين ومائتين وترجمته في الميزان **قال حدثنا حرمي** بفتح الحاء والراء المهملتين وهو حرمي

من

ابن عمارة بن ابي حفصة العتكي توفي سنة احدى ومائتين **قال حدثنا شعبة عن قتادة عن انس** تقدم تراجم هؤلاء كلهم **قال انس** رضي الله عنه **قالت امي** لرسول الله صلى الله عليه وسلم واسم امه رميلة وقيل الرميصا وهي انصارية صحابية وهي ام سليم **يا رسول الله خادمك انس** بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد الانصاري النجاري وكنيته ابو حمزة وكان لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة صغيرا فخدمه وشهد معه المشاهد وفي عمره اختلاف والاصح انه عمر مائة الا سنة وقيل احدى وتسعين وقيل مائة وعشرين وقال النووي الاصح انه جاوز المائة ومات بمكان يسمى الطف على فرسخين من البصرة ودفن به وقيل انه اخر من مات بالبصرة من الصحابة وقال ابو عبد البر لا اعلم احدا مات بعده غير ابي الطفيل وخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة اقامته بالمدينة وروى عنه كثيرا فروى عنه الفي حديث ومائتين وستة وثمانين حديثا **ادع الله له** ولم يعين الدعوة بل فوضتها له صلى الله عليه وسلم **قال اللهم اكثر ماله وولده** اكثر وكثر بمعنى **وبارك له فيما اتيته** اي فيما اعطيته من المال والولد فاجاب الله دعوته حتى مات له في الطاعون الجارف من نسله سبعون ولذا قيل وفي هذا دليل على فضل الغني على الفقير وان نفوا ان الغني الشاكر خير من غيره والفقير الصابر خير من غيره والظاهر انه يتفاوت بحسبه كما ورد في الحديث القدسي ان من عبادي من لا يصلحه الا الغنى وان من عبادي من لا يصلحه الا الفقر ودعائه صلى الله عليه وسلم بالبركة لانه من بورك له فيما اوتي لم يكن فيه ضرر ولا تقصير في الحقوق فهو غني محمود **ومن رواية عكرمة** عن انس كما اخرجه مسلم **قال انس فوالله ان مالي لكثير** ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم **وان ولدي وولد ولدي** لكثير [illegible] **ليتعادون اليوم** المراد باليوم الزمن الحاضر مطلقا ويتعادون بضم الياء المثناة التحتية وفتح العين المهملة المخففة والف بعدها دال مشددة وواو جماعة ونون اي يزيدون **على نحو المائة** وهو تفاعل من العد وروي في الصحيحين وغيرهما ليتعادون بلا زيادة نون والمعنى واحد وقد وقع في نسخ الشفا بالروايتين ايضا في الاساس بنون وبلا نون يتعادون على نحو ثلاثة اي يزيدون انهم كان بعضهم يعد بعضا ثم عبر به عما ذكر انهم عدو والمعنى انهم يزيدون على ما يقرب

من المائة اقتصارا على التيقن المتحقق وفي رواية قالوا هذه
الرواية لا يعرف من رواها وما اعلم احدا اصاب اي وجد عنده
من رخا العيش اصل الرخا بفتح الرا المهملة فخا معجمة ومد بمعنى اللين ثم
استعير للسعة والعيش بمعنى المعيشة ما اصبت اي كالذي اصبته انا
ولقد جواب قسم مقدر وقد هنا للتحقيق وكثيرا ما تقترن بها
جواب القسم دفنت بيدي بالتثنية هاتين اشارة ليديه ليبين
انه على ظاهره وحقيقته في الجارحة لا بمعنى القدرة والتصرف مائة
من ولدي ولد ولدي ثم بين ان المراد بالولد الاولاد الكبار لصلبه فقال
لا اقول ان الولد كان سقطا بتثليث السين المهملة وهو ما سقط من بطن ماسقط
امه قبل مدة تمام حمله او ان ولادته ولا ولد ولد نفاه لان ولد الولد يطلق
عليه مجازا وعلى ما يشمل الولد الصلبي وغيره بعموم المجاز وهو منصوب
بمقدر اي لا اقول دفنت سقطا الخ والجملة مفعول القول وحديث
انس هذا صحيح روي من طرق مختلفة في الفاظها اختلافا يحتاج
للتوفيق ان لم تكن القصة متعددة وفي الوفا لابن الجوزي انه كان
صلى الله عليه وسلم قال في دعائه له واطل حياته وان انسا قال
فاكثر الله مالي حتى ان لي كرما يحمل في السنة مرتين وولد لصلبي مائة
وستة وفي مسلم انه قال دخل رسول الله صلى الله عليه
وسلم علينا وما الا انا وامي وام حرام خالتي فقالت امي يا رسول
الله خويدمك انس ادع الله له فدعا لي بكل خير وكان في اخر ما دعا لي
اللهم اكثر ماله وولده وبارك له فيه وفيه ايضا جاءت امي الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ازرتني بنصف خمارها وردتني
بنصفه فقالت هذا ابني اتيتك به يخدمك فدعا له ونبيه
انه صلى الله عليه وسلم مر بامي فسمعت صوته فقيل يجوز ان يكون
مر فعرفت صوته فلا ينافي دخوله دارها فدخلها تنبيه
قال ابن قتيبة ان ثلاثة من اهل البصرة رزق كل منهم مائة ولد لصلبه
انس وابو بكرة وخليفة بن بدر وفي تاريخ ابن خلكان ان عثيم ابا العنبر
بادس خلف مائة ذكر وستين انثى ومنه اي من دعائه صلى الله
عليه وسلم كما رواه البيهقي دعاؤه لعبد الرحمن ابن عوف
الصحابي احد العشرة المبشرين بالجنة وهو من اعيان الصحابة وترجمته
معروفة بالبركة اي بان يبارك الله له فيما رزقه قال
عبد الرحمن فلو رفعت حجرا من مكانه بيدي لرجوته بتركة دعائه

صلى الله عليه وسلم انه اصيب واجد تحته ذهبا ففتح الله عليه
اي يسر له امور الدنيا بسهولة واصل الفتح ازالة الاغلاق والاشكال
قال تعالى فتحنا عليهم ابواب كل شي اي وسعنا عليهم باقبال انواع الخيرات
عليهم وهذا ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم فانه لما قدم المدينة
اخا بينه وبين سعد بن الربيع وتعاطى التجارة فرزقه الله مالا كثيرا
ومات في سنة احدى وثلاثين وقيل اثنين وثلاثين وهو
ابن خمس او ثلاث او اثنين وسبعين سنة ودفن بالبقيع فحفر الذهب
من تركته بالفؤس الحفر معروف وهو في الاصل اخراج تراب الارض قيل
المراد هنا قطعه لانه في صدر الاسلام لم تكن تضرب الدنانير وانما كانت تاتي
من عند الروم ويجعل الذهب والفضة سبائك وقطع توزن فكان عنده
منها قطع كثيرة لما اريد قسمتها كسرت والتركة بفتح اوله وكسر ثانيه ما تركه
الميت خالصا من حق الغير والفؤس بضم الفا والهمزة تليها واو ساكنة
وتبدل الفا خفي مجلت فيه الايدي بفتح الميم والجيم ويجوز كسرها وفي
اخره لام وتا تانيث وضمير فيه للحفر المعلوم مما قبله والمجل يكون في اليد تغيير
من كثرة العمل حتى خرج في ايديهم نفطات وجراحات من كثرة عملهم واخذ
كل من زوجاته واحدة من زوجاته ثمانين الفا لم يبين هل هي ذهب
او فضة وهل هي مثاقيل او دراهم الا انه وقع التصريح في رواية بانها
دراهم الا انه وقع التصريح في رواية بانها دراهم والعادة ان يعد الذهب
بالمثاقيل والفضة بالدراهم وكن اي زوجاته اللاتي مات عنهن وورثنه
اربعا من النسوة وقيل ان نصيب كل واحدة من هولا الزوجات
الاربع مائة الف وقيل بل صولحت بالبنا للمجهول احداهن اي صالحها
بعض ورثته بعد موته على طريق الخارج من التركة لانه طلقها
في مرضه الذي مات فيه والمطلقة في مرض الموت ترث اذا مات وهي
في العدة ولم يكن الطلاق بطلب منها بشروط مفصلة في كتب
الفقه وهو مذهب ابي حنيفة رضي الله عنه وخالفه في ذلك الشافعي
في احد قوليه وذهب الى كل من المذهبين كثير من الصحابة كما فصل
في كتب الفقه وليس هذا محله على نيف بفتح النون وتشديد اليا
المكسورة بوزن كيس وهو كل ما زاد على عقد الى ان يبلغ ما فوقه
من العقود من ثمانين بمعنى زاد ويجوز تخفيفه وثمانين الفا من الدنانير
واوصى بخمسين الفا من الدنانير كما ذكره الطبري في الرياض النضرة
قال اوصى عبد الرحمن بن عوف بخمسين الف دينار في سبيل الله واوصى

عبد الرحمن بن عوف بخمسين الف دينار في سبيل الله واوصى بحديقة
واوصى لامهات المؤمنين فبيعت باربعماية الف واوصى لمن بقي من اهل
بدر لكل رجل باربعماية دينار وبالف فرس في سبيل الله وهذا
كله بعد صدقاته الفاشية اي الظاهرة المشهورة من فشي السر
اذا شاع في حياته وعوارفه العظيمة جمع عارفة وهي ما يعتاد من
الاحسان والعطا باجعل المعروف عارفا مبالغة وتمليحا وهو من لطايفه
المشهورة ثم اشار الى شي مما ذكر فقال اعتق يوما ثلاثين عبدا و
تصدق يوما بعير بكسر العين المهملة وهي الجمال التي تحمل الميرة اسم
جمع لا واحد له وقد يقال لكل الميرة من الابل وغيرها والمراد الاول
لقوله فيها سبعماية بعير وردت عليه اي جاءته مع قافلة
ارسلها للتجارة تحمل من كل شي اي عليها احمال من امور مختلفة كالبر
والتمر والثياب والاستغراق عرفي اي من كل ما عهد حمله للتجارة
فتصدق بها اي بالابل وبما عليها من طعام وغيره باقتابها
جمع قتب بفتحتين وبجوز اسكان تانيه وهو اكاف صغير يوضع على
سنام البعير ليقيه واحلاسها جمع حلس بكسر الحا المهملة
وسكون اللام وسين مهملة وهو كسا يوضع تحت الاكاف
على ظهر البعير فهذا قليل مما ذكر في مناقب بن عوف وصدقاته
فانه لا يعد ولا يحصى وكان اهل المدينة عيالا عليه يصلهم
دايما ويقضي ديونهم ويقوم بمونة فقرايهم وليس هذا محل
تفصيله ودعا صلى الله عليه وسلم لمعاوية ابن ابي سفيان
رضي الله عنهما بالتمكن في البلاد التمكن تفعل من المكان والمراد
به القدرة على التصرف فيها يقال مكنته ومكنت له قال
تعالى ولقد مكناكم في الارض فنال الخلافة اي صار خليفة
وسلطانا مالكا للبلاد بدعايه صلى الله عليه وسلم وهو اشارة
الى حديث رواه ابن سعد فيه انه قال له اللهم علمه
الكتاب ومكن له في البلاد وقه العذاب ومعاوية رضي الله عنه
اسلم هو وابوه وامه هند واخوه يزيد في فتح مكة وقال
معاوية انه اسلم يوم الحديبية وكتم اسلامه عن ابويه وشهد
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا فاعطاه من غنايم هوازن
اربعين اوقية ولما بعث ابو بكر رضي الله عنه الجيش الى الشام سار
هو واخوه يزيد معهم فاستخلفه ابو بكر على دمشق ثم اقره عمر عليها

ثم

ثم اقره عثمان عليها فلما قتل لم يبايع عليا لطلبه بدم عثمان ممن كان
معه ممن باشر قتله وجرى بينهما ما جرى في وقعة صفين مما ينبغي الكف
عنه وقال صلى الله عليه وسلم لمعاوية اللهم اجعله هاديا مهديا وورد
في فضايله احاديث اخر فكان في اول امره اميرا لابي بكر وعمر وعثمان رضي
الله عنهم فلما قتل عثمان استقر مكانه ولم يمتثل امر علي كرم الله وجهه
لاجتهاد اداه لذلك فلما قتل علي واستخلف ابنه الحسن رضي الله عنه
سار معاوية الى العراق وسار اليه الحسن ثم راى ان الخطب عظيم تراق
فيه دما المسلمين فسلم الامر لمعاوية باختيار منه فرجع الى المدينة
فتسلم منه معاوية الخلافة واتى الكوفة فبايعه الناس واجتمعوا عليه
فسمي ذلك العام عام الجماعة وصار معاوية خليفة حقيقة بعد ما كان
الحق مع علي كرم الله وجهه كما ارتضاه القاضي ابو بكر بن العربي لا متغلبا
كما اشار اليه المصنف بقوله نال الخلافة فاندفع ما قيل من انه
الصواب ان يقول نال الامارة او الملك لقوله صلى الله عليه وسلم
الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يكون ملكا عضوضا وسيأتي الكلام على
ذلك كله وكملت الخلافة بمدة الحسن بعد ابيه ستة اشهر وقيل
الخلافة بالمعنى اللغوي لانه خلف من قبله او الخلافة اتباع السنة
ودعا صلى الله عليه وسلم لسعد بن ابي وقاص اي دعى دعا مستجابا
لسعد بن ابي وقاص رضي الله عنه كما ورد في حديث رواه الترمذي
مسندا متصلا عن سعد والبيهقي عن قيس بن ابي حازم مرسلا حسنا
وابو وقاص كنية ابيه وهو مالك بن وهيب بن عبد مناف الزهري
القرشي احد العشرة المبشرة بالجنة وهو اول من اراق دما في
الاسلام وهو من الشجعان الذين كانوا يحرسون رسول الله صلى
الله عليه وسلم واخر العشرة موتا مات سنة خمس وخمسين وله
بضع وستون او سبعون سنة او ثمانون ودفن في البقيع ومناقبه
مشهورة ان يجيب الله دعوته اي كل دعوة له فما دعا على احد
الا استجيب له بالبنا للمجهول والاستجابة بمعنى الاجابة قال
٥ وداع دعا يا من يجيب الى الندا ٥ فلم يجبه عند ذاك مجيبا ٥ ٥
واصل معناه الاجابة قال الترمذي قال النبي صلى الله
عليه وسلم اللهم استجب لسعد اذا دعاك وعن المقداد رضي الله
عنه ان سعدا قال يا رسول الله ادع الله ان يستجيب دعاي فقال
يا سعد ان الله لا يستجيب دعا احد حتى يطيب طعمته فقال

ثمانيا

ادع الله ان يطيب طعمه فقال ادع الله ان يطيب طعمي فاني لا اتوب
الا بدعائك فقال اللهم اطب طعمه سعد الحديث ودعواته مشهورة
مأثورة وقد اجيب له دعوات مخرجة في الصحيح وغيره **ودعا**
صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي عن ابن عمر رضي الله
عنهما **بعز الاسلام** اي بان الله يعز الاسلام اي يقويه وينصره ويظهره
باحد الرجلين **بعمر** رضي الله عنه **او بابي جهل** لما كان يعلم من شدتهما
وشجاعتهما وتفرسه فيهما الا على التعيين وكان هذا بمكة قبل الهجرة
وتمكن المسلمين من اظهار الدين **فاستجيب له في عمر** بان هداه الله
واعز به دينه وشقيت الشقاوة لابي جهل عمرو بن هشام فرعون هذه
الامة فقتل كافرا يوم بدر في السنة الثانية من الهجرة والمراد بعز
الاسلام عز اهله والا فهو دائما عزيز لانهم كانوا قبل اسلام عمر
لا يظهرون صلاتهم عند البيت خوفا من المشركين فلما اسلم رضي الله
عنه قاتلهم حتى صلوا معه عند الكعبة ولذا قال ابن مسعود
رضي الله عنه كان اسلام عمر فتحا وهجرته نصرا وخلافته
رحمة وتشريكه صلى الله عليه وسلم له مع ابي جهل لانه لم يتعين عنده
احدهما او لم يعينه لامر ما وقد روي من طرق انه صلى الله عليه
وسلم خص عمر بالدعا فقال اللهم اعز الاسلام بعمر بن الخطاب
اللهم ايد الاسلام بعمر وجمع الروايتين بانه لما تفرس فيهما الشهامة
ونفوذ الكلمة بحيث لا يعصى امرهما دعا بذلك ثم لما تبين له باعلام
من الله او الهام منه ان الايق بذلك عمر خصه بدعائه ثانيا وكرره
حتى استجيب له وقصة اسلامه مفصلة في السير **قال**
ابن مسعود ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر لانه اظهر ذلك وقاتلهم
في بلدهم كما فعل حمزة ايضا رضي الله عنه فكان ذلك ابتدا الظهور وكان
ما كان مما لم يخل في خواطر الامكان **و**مما وقع له صلى الله عليه وسلم
من اجابة دعائه ما رواه البيهقي والحاكم وصححه عن عمر رضي الله
عنه **اصاب الناس في بعض مغازيه عطش فسأله عمر الدعا**
للناس ان يسقيهم الله من فيض فضله **فدعا فجاءت سحابة** اي ظهرت
سحابة عقب دعائه صلى الله عليه وسلم وفيه استعارة لتشبيهها برجل
يسمع نداه فجاه فهي تمثيلية تبعية او تخييلية كما في قوله **فسقتهم**
اي شربوا من ماء مطرها وقوله **حاجتهم** مفعول له لتضمينه
معنى اعطتهم حاجتهم وهي الما الذي يزيل عطشهم **ثم اقلعت**

اي انجلت وكفت عن المطر بعد قضاء حاجتهم من مائها قيل هذه الغزاة
هي غزاة بدر المشار اليها بقوله في سورة الانفال وينزل عليكم من السما
ماء ليطهركم به كما ذكره ابن الجوزي في الوفا وساق الحديث بتمامه **ودعا** صلى
الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن انس رضي الله عنه **في الاستسقا**
في دعائه وطلبه ان يسقيهم **فسقوا** بابلغ المجهود اي سقاهم الله عقب
دعائه ودوام السحاب بمطر **ثم شكوا اليه المطر** اي من كثرته ودوامه
المضر بهم **فدعا** الله بانه يكف المطر ويقلع السحاب **فصحوا** اي صحت
السما وانكشف غيمها فاسناد الصحو اليهم مجازي وهو بفتح الواو بزنة
رموا ودعي بضمها وامثله صحوا فنقل وحذف **ودعا لابي قتادة**
الحارث بن ربعي الصحابي وقد تقدمت ترجمته وهذا الحديث رواه البيهقي
في الدلائل وبين دعاءه بقوله **افلح وجهك** الفلاح الظفر والمراد به البغية
وهو دنيوي وهو نيل ما يطلب بحياة الدنيا والبقا في عز وغنى واخروي
وهو النعيم المخلد والوجه معروف وقد يعبر به عن الذات كما في قوله
ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام **اللهم بارك له** اي لابي قتادة رضي
الله عنه وتقدم معنى البركة **في شعره وبشره** والشعر معروف
والمراد به ما يستحسن ويعد زينة والبشر ظاهر الجلد والبدن وكنى
بذلك عن جملته وجميع بدنه فدعا له صلى الله عليه وسلم بان يعمر على
احسن تقويم كاملا جميع اعضائه **فمات وهو ابن سبعين سنة كانه**
ابن خمس عشرة سنة في نضارته وقوته لم يتغير بدنه ولم يشب
شعره ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم له وتوفي بالمدينة سنة
اربع وخمسين وقد تقدم ان الفلاح دنيوي واخروي وما ذكره من تمام
خلقته دنيوي فتمامه يدل على فوزه بالفلاح الاخروي لان الكريم
اذا طلب منه امران فعجل احدهما دل على انه يعطي الاخر وانما اقتصر
على هذا لانه معلوم مشاهد دال على غيره كما قيل

كما احسن الله فيما مضى ٭ سيحسن الله فيما بقي

وقال صلى الله عليه وسلم **للنابغة** الجعدي وهو قيس وقيل
حبان بن عبد الله بن عدس بن ربيعة بن عمرو وفي الشعراء من لقب
بالنابغة غيره كالنابغة الذبياني ولكنه اذا اطلق يراد به
هذا وهو احد المخضرمين المعمرين قيل انه عاش مائتين وثمانين
سنة وقيل مائة واربعين وقيل مائة وعشرين سنة كما ياتي
واجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم واخرج له يحيى بن مخلد حديثا وخلاع

النبي صلى الله عليه وسلم بقصيدته الرائية وهي نحو مائتي بيت في غاية
البلاغة انشدها بين يديه صلى الله عليه وسلم فدعا له بما ذكره
المصنف ولما بلغ قوله منها

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا ۰ وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

قال الى اين يا ابا ليلى فقال الى الجنة قال نعم ان شاء الله ثم لما انشده
صلى الله عليه وسلم قوله

ولا خير في حلم اذا لم تكن له ۰ بوادر تحمي صفوه ان يكدرا
ولا خير في جهل اذا لم يكن له ۰ حليم اذا ما اورد الامر اصدرا

قال له صلى الله عليه وسلم لا يفضض فاك وروي لا يفضض
الله فاك بضم اوله وسكون ثانيه وكسر الضاد يليها ساكنة مضارع
افض كاعلى يعلي قال المرزوقي في شرح الفصيح تقول العرب في الدعاء
عليه فض الله فاك وفي الدعاء له لا يفضض الله فاه ومصدره الفض
ومعناه الكسر وبعض العرب تقول لا يفضض الله فاك اي لا يجعله
فضاء خاليا من الاسنان وهذا كقوله

قد ترك الدهر فاه بلا ۰ ۰

انتهى فعلى الاول الفم مجاز على ما فيه
من الاسنان وعلى الثاني على حقيقته والنابغة لقب له لانه نبغ في الشعر
اي فاق اقرانه فيه لكنها لغة كعلامة فما سقطت له سن ببركة دعائه
صلى الله عليه وسلم له والسن واحدة الاسنان المعروفة وقد قالوا
زيادة السن نقص في الفم فالسن الاول العمر والثاني احد الاسنان
وفي رواية لحديث النابغة المذكور فكان احسن الناس ثغرا بثاء مثلثة
مفتوحة وغين معجمة ساكنة وراء مهملة وهو ما تقدم من الاسنان
ويقال اثغر الغلام بتشديد المثلثة واتغر بتشديد المثناة ويطلق الثغر
على الفم ويصح ارادته هنا وثغرا منصوب بتمييز اذا سقطت له سن
نبتت له اخرى مكانها لئلا يخلو فمه من الاسنان وعاش عشرين
ومائة وقيل اكثر من هذا فقيل مائة واربعين وقيل
مائتين واربعين وقيل مائتين وثمانين لان دعاءه صلى الله عليه وسلم
له لا تسقط اسنانه يتضمن الدعاء له بطول العمر وفيه معجزة له صلى
الله عليه وسلم باجابة دعوته فيه واكثر اعمار هذه الامة ما بين الستين
والسبعين وما زاد لا يزيد غالبا على مائة وعشرين ويزعم الاطباء ان العمر
الطبيعي وقد زاد بعضهم على ذلك كما استقصاه الاصمعي في كتاب
المعمرين ومنهم سلمان الفارسي وقد اختلفوا في مدته كما هو مفصل في

ترجمته وفي الحديث ما يدل على ان مدح الشعر اللائق غير مكروه وان
الاحسان لمن مدحهم بعطية وجائزة او بدعاء جميل من القول سنة
وقصيدة النابغة هذه طويلة بليغة رواها ابن حجر بتمامها في بعض
كتبه ولولا خوف الاطالة لاوردناها هنا ودعا صلى الله عليه وسلم
لابن عباس في حديث رواه الشيخان وابن عباس هو عبد الله ابن العباس بن
عبد المطلب عمه عليه حتى صار عالما بالعلم لدعوة دعا بها نبيه
وقوله اللهم فقهه في الدين معمول مقدر اي فقال
او قائلا الخ اي فهمه وعلمه قال الراغب الفقه التوصل الى علم غائب
بعلم شاهد فهو اخص من العلم قال تعالى ذلك بانهم قوم لا يفقهون
والفقه العلم بالاحكام الشرعية يقال فقه اذا صار فقيها وفقه بمعنى
فهم وفقهه فهمه وتفقه اذا طلبه فتخصص به كما قال تعالى ليتفقهوا
في الدين انتهى وعلمه التأويل اي التفسير وقد يفرق بينهما فيقال
التفسير بيان معنى القرآن بما هو ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم
او كبار الصحابة والتأويل بيانه بما تقتضيه قواعد العربية وهو تفعيل
من الاول بمعنى الرجوع الى الاصل ومنه الموئل للموضع الرجوع فهو رد الشيء
الى الغاية المرادة منه علما كان او فعلا فالعلم كقوله وما يعلم تأويله
الا الله والفعل كقوله ۰ وللنوى قبل يوم البين تأويل ۰
وقوله تعالى يوم يأتي تأويله اي بيان غايته المقصودة منه وقوله
ذلك خير واحسن تأويلا بمعنى احسن معنى وترجمة وقيل
احسن ثوابا في الاخرة فدعاؤه له صلى الله عليه وسلم بان يعلمه
الله الشريعة المحمدية وان يجعله للوقوف على معاني كلامه فاجابه
الله دعاءه حتى كان معول الناس عليه في ذلك فسمي بعد بالحبر
على الضم اي بعد دعائه صلى الله عليه وسلم له او بعد موته صلى الله
عليه وسلم الحبر مفعول ثان وهو بكسر الحاء وفتحها ومعناه العالم
المتقن الذي تتقن آثاره بعده فاصل معنى الحبر الاثر المستحسن ومنه
ذهب حبره وسبره اي جماله وبهاؤه اي كان يدعى الحبر في الصحابة وسائره
والناس يسمونه بذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم توفي وابن عباس
ابن عشر او ثلاث عشرة او خمس عشرة سنة على اختلاف فيه وترجمان
القرآن ترجمان بالضم كعنوان والفتح كزعفران وبفتح اوله وضم الجيم
وهو من يفسر لسانا بلسان ويطلق الترجمان على من يبلغ الكلام
وللترجمة اطلاقات اخر وفي كلام المصنف شبه اللف والنشر فان كونه

خير الامة ناظر لعقوله فقهه في الدين وكونه ترجمان القرآن ناظر لعلم
التأويل والتفسير ودعاؤه صلى الله عليه وسلم لابن عباس وقع
مرارا وروي من طرق صحيحة منها ما روي عنه انه قال دعاني صلى الله
عليه وسلم الخلاء فوضعت له وضوءا اي ما يتطهر به فقال
من صنع هذا فقالوا ابن عباس فقال اللهم الخ قال ابن المنير مناسبة
الدعا لما تعلمه انه يدل على ذكائه لعلمه بانه يحتاج لطلب الما فبادر
لذلك وكان عند خالته ميمونة ليلا وهي المخبرة له بما صنعه وفي
رواية علمه الكتاب وزده علما وفهما ووضع يده على كتفه وفي
رواية انه صلى الله عليه وسلم ضمه لصدره واول من لقبه بترجمان
القرآن ابن مسعود وكان اعلم الناس بالفقه والفرائض واشعار
العرب وايامها وكان يجلس للافادة فكان لا يسأل عن شيء الا وجد عنده
علم منه كل ذلك ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم ودعا صلى الله
عليه وسلم في حديث رواه البيهقي عن عمرو ابن حريث لعبد الله
ابن جعفر بن ابي طالب بن عبد المطلب بن عبد الله الهاشمي صحابي
ولد بالحبشة وتوفي سنة تسعين او ثمانين ومائة روى عنه
احاديث عدة وجعفر هو الطيار ذو الجناحين وكان عبد الله والده
من اسخى الناس حتى لقب بالجود وقطب السخا بالبركة اي الزيادة
والنما في صفقة يمينه اي في بيعه وشرائه ومعاملته وسمي ذلك
صفقة لانهم كانوا اذا تبايعوا تصفق احدهم يده بيد الاخر
والصفقة ضرب اليد بصوت وذكر اليمين لان الاكثر في الاخذ
والعطا بها فيما فما اشترى شيئا الا ربح فيه اي وجد فيه
ربحا وفائدة ودعا صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البيهقي
في الدلائل وابو نعيم للمقداد بن الاسود والمقداد هو ابن عمرو بن
ثعلبة وانما اشتهر بابن الاسود لانه تربى في حجره وهو صحابي
مشهور توفي في خلافة عثمان رضي الله عنه بالبركة اي الزيادة
في ماله فكان عنده غرائر من المال ببركة دعائه صلى الله
عليه وسلم له والغرائر جمع غرارة بكسر الغين المعجمة وهي
معروفة وقال الجوهري اظنها معربة قال ابو نعيم قالت
ضباعة بنت الزبير وهي زوجة المقداد خرج المقداد يوما لقضا
حاجته فبينما هو جالس خرج جرذ من جحره بدينار ولم يزل يخرج
دينارا دينارا حتى بلغ سبعة عشر فجاء بها المقداد للنبي صلى الله عليه

واخبره

واخبره بخبره فقال له ادخلت يدك في الجحر قال لا والذي بعثك بالحق
فقال تصدق بها فقال اللهم بارك الله لك فيها قالت ضباعة
فما فني اخرها حتى رأيت غرائر الورق في بيت المقداد انتهى ودعا بمثله
اي بمثل ما دعى للمقداد وغيره في حديث رواه البخاري والدارقطني واحمد
في مسنده لعروة ابن ابي الجعد البارقي نسبة الى بارق الازدي واختلف
فيه فقيل عروة بن ابي الجعد وقيل ابن الجعد وهو صحابي مشهور روى له
اخرج له الستة واحمد وبارق بطن من الازد نزلوا عند جبل يقال
له بارق فنسبوا اليه قيل من قال ابن الجعد فقد اخطأ وولاه عمر قضا الكوفة
قال عروة فلقد كنت جواب قسم مقدر اقوم بالكناسة بضم الكاف
معناه القمامة ثم صارت علما لسوق مشهور بالكوفة وقيل انه يجوز ان يراد
به حقيقته اي اقوم بمقام حقير يستبعد الكسب في مثله وهو بعيد فما
ارجع اي اعود من المحل الذي تمت فيه زاد البخاري فيه اي في حديث عروة
فكان عروة رضي الله عنه لو اشترى التراب ربح فيه ببركة دعائه صلى الله
عليه وسلم وتروى مثل هذا اي مثل عروة المذكور لغرقدة ايضا بفتح الغين
المعجمة وسكون الرا المهملة وقاف ودال المهملة واحدة الغرقد وهو شجر
معروف له شوك يسمى العوسج والعضاه وبه سمي بقيع الغرقد وهو مقبرة
اهل المدينة وغرقدة صحابي يسمى ابا شبيب روى عنه ابنه ندت
له ناقة الضمير للنبي صلى الله عليه وسلم وندت ماض بفتح النون وتشديد
الدال المهملة بمعنى نفرت وشردت حتى غابت عن نظره فلا يراها واصل
معناه انفردت عن الذهاب وهذا يختص بالابل ونحوها فلا يقال
ند الرجل وليس ضميرله لعروة كما توهمه بعضهم فجاء بها اعصار ريح الاعصار
بحروف مهملة ريح شديدة تثير غبارا وترتفع الى السما كانها عمود وهي
الزوابع وقيل ريح تثير سحابا ذات رعد وبرق والمراد الاول
هنا حتى ردها الاعصار عليه اي على النبي صلى الله عليه وسلم وهذا
الحديث لم يخرجوه وكون الضمير لغرقدة لا يناسب المقام وان اتفقوا
عليه والظاهر ما قلناه وليس هذا ايضا كما في الشرح الجديد ما وقع
في غزوة بني المصطلق لانها هاجت بها ريح شديدة فاذتهم وكانت
ناقته صلى الله عليه وسلم ضلت ليلا فقال انها هبت لموت عظيم من الكفار
وهو رفاعة ابن زيد فقال بعض المنافقين ايزعم محمد انه يعلم الغيب
وهو لا يعلم مكان ناقته فاتاه جبريل فاخبره بما قال وبمكان ناقته فالتبس
الى اخر القصة اذ ليس فيها ان الريح ردت الناقة عليه فلعل المصنف

وقف عليه من طريق اخر وفيه الرجح ودعا صلى الله عليه وسلم في حديث
رواه مسلم فيه انه دعا لام ابي هريرة رضي الله عنهما بان يهديها الله
للاسلام وكانت مشركة فاسلمت وهداها الله للاسلام وشرف
الصحبة واسمها اميمة بنت صبيح بن الحارث بن دوس كما ذكره ابن بشكوال
وابو صبيح بالموحدة وقيل صفيح بالفا وقيل اسمها ميمونة
وحكى القولين ابن الاثير في اسد الغابة واما ابو هريرة فقد تقدم الكلام
على اسمه والخلاف فيه وكان رضي الله عنه حريصا على اسلامها فدعاها
للاسلام فاسمعته ما يكره في حق النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه وهو
يبكي فقال له اني كنت ادعوها للاسلام فتابى فدعوتها اليوم فاسمعتني
فيك ما اكره فادع الله ان يهديها فقال اللهم اهد ام ابي هريرة فخرج
مستبشرا بدعايه صلى الله عليه وسلم فلما اتى الباب سمعت
خشف قدميه فقالت مكانك يا ابا هريرة وسمع خضخضة الما فاغتسلت
ولبست درعها وخمارها وفتحت له الباب فلما دخل قالت يا ابا
هريرة اني اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فرجع
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحا وقال ابشر يا رسول الله
فقد اجيبت دعوتك وهدى الله امي فحمد الله تعالى فقال يا رسول
الله ادع الله ان يحببني انا وامي الى عباده المؤمنين ويحببهم الينا
فقال اللهم حبب عبيدك هذا وامه الى عبادك وحببهم اليهما فكان
لا يسمع به احد ولا يراه الا احبه كما ذكره مسلم والبيهقي في دلايله ودعا
صلى الله عليه وسلم لعلي ابن ابي طالب في حديثه رواه البيهقي وابن
ماجه بسند صحيح متصل لعلي رضي الله عنه ان يكفى بالبنا للمجهول
اي ان يكفيه الله بفضله الحر والقر اي البرد وهو بفتح الحا وتشديد الرا
المهملتين وهو ضد البرد والحرارة سخونة تعرض للهوا من نحو الشمس
والنار ومنها ما يعرض للبدن من الطبيعة كحرارة المحموم والقر بضم القاف
وتشديد الرا هو البرد وخص ببرد الشتا كما خص الحر بحرارة الصيف
وهو المراد وحكى ابن قتيبة تثليث قافه فيجوز فتحها هنا للازدواج
واصله من القر لان البرد يقتضي السكون والحر يقتضي الحركة كما قاله
الراغب فكان علي رضي الله عنه بعد دعايه صلى الله عليه وسلم له
يلبس في زمن الشتا ثياب الصيف الخفيفة كالقميص الواحد وفي
زمن الصيف ثياب الشتا وهي المضربات المحشوة والثياب الثخينة
ولا يصيبه اي لا يجد ولا يحس حر ولا برد اي المهما ويقصد باظهار ذلك

انه اختص بها من يخالفه بعد غيره لدعايه صلى الله عليه وسلم له فاذا كان لا
يضره شدة حر الصيف لا سيما حر الحجاز ولا شدة برد فصل الشتا بغيره
بالطريق الاولى لانه دعاه صلى الله عليه وسلم له بخيبر لما اصابه رمد
شديد قال عبد الرحمن ابن ابي ليلى كان علي رضي الله عنه يلبس
في الحر القبا المحشو الثخين ولا يبالي بشدة الحر ويخرج في البرد الشديد
بثوب خفيف ولا يبالي فسئل عن ذلك فقال انه صلى الله عليه وسلم اعطى
الراية يوم خيبر ابا بكر ثم عمر فلم يحصل فتح على يديهما فقال لاعطين
الراية اليوم رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله
خيبر على يديه فدعاني واعطاني الراية وكان لي رمد شكوته له صلى الله
عليه وسلم فقال اللهم اكفه الحر والبرد مع ان ما الم رضي الله عنه كان
من الرمد ووجع العين لانه صلى الله عليه وسلم علم ان رمده كان من
زيادة الدم الذي حصل له من الحر فدعا له برفع ذلك وزاد عليه
دفع الم البرد لانه ضده فربما اذاه لقوته بعدم ضده وفي نسخة
من الاساءة وليسوءه من السوء بدل قوله يصيبه والمعنى
واحد ودعا صلى الله عليه وسلم لفاطمة ابنته رضي الله عنها في
حديثه رواه البيهقي عن عمران بن حصين الله معمول دعا وفي نسخة
ان الله ان لا يجيعها اي ان لا يجعلها متالمة من الجوع وترك الطعام
والاكل قالت فاطمة رضي الله عنها فما جعت بضمير المتكلم
بعد مبني على الضم اي بعد دعايه وبركته قال عمران بن حصين
كنت مع صلى الله عليه وسلم فاقبلت فاطمة ووقفت بين يديه
ينظر اليها وقد اصفر وجهها من الجوع فوضع يده على صدرها
وقال اللهم مشبع الجاعة ورافع الوضيعة ارفع فاطمة بنت محمد قال
عمران فرايته وجهها وقد احمر وذهبت صفرته ثم جيتها فقالت
ما جعت بعد يا عمران قال البيهقي بعد ما ذكر الحديث هذا كان ثم
قبل نزول اية الحجاب وذكر دفع الجوع عنها بعد بعد دفع الحر والبرد
وعن علي لما بينهما من المناسبة مما لا يخفى وشاله صلى الله عليه
وسلم في حديثه رواه ابو اسحاق بلا اسناد والبيهقي عنه وابن جرير
من طريق الكلبي الطفيل ابن عمرو بضم الطا المهملة والفا المفتوحة
وسكون المثناة التحتية واللام كتصغير عقيل ابن عمرو بن طريف
ابن العاص بن ثعلبة بن سليم الازدي الدوسي ويقال له ذو النور
وقتل في وقعة اليمامة تقدم ان وقعتها وكانت في ربيع الاول

سنة اثني عشر في خلافة ابي بكر رضي الله عنه وقيل قتل في عام اليرموك
في خلافة عمر رضي الله عنه وهو من كبار الصحابة واصحاب النور ستة
أسيد بن حضير بضم الهمزة وعباد بن بشر وحمزة بن عمرو الاسلمي ه
وقتادة بن النعمان والطفيل والحسن بن علي رضي الله عنهم ولكل منهم
قصة مذكورة في محلها **انه لقومه** مطعون سال اي سال النبي صلى الله
عليه وسلم معجزة تكون معه يؤمن بها قومه اذا دعاهم للاسلام وكان
امن بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة ودعا قومه فلم يطيعوه ه
فقال يا رسول الله ان دوسا قد عصت وابت فادع عليها فقالوا
هلكت دوس ان دعا عليها فقال اللهم اهد دوسا نعلم ان الله هداهم
ببركة دعائه فطلب الطفيل منه صلى الله عليه وسلم ان يريهم اية ه
يهتدوا بها **فقال اللهم نور له** الضمير للطفيل اي اجعل معه نورا
يكون اية لصدقه رضي الله عنه **فسطع له نور بين عينيه**
اي ظهر بين عينيه نورا ساطعا واصل معنى السطوع الارتفاع ه
والظهور وهو المراد هنا **فقال** اي الطفيل لما علم بذلك
النور الذي بين عينيه **يا رب اني اخاف** من قومي اذا رأوا ذلك النور
ان يقولوا مثلة خبر مبتدأ مقدر اي هو وهذا مثلة بضم الميم وسكون
المثلثة ولام بعدها هاء وهو التنكيل والعقوبة وتغيير الخلقة
الاصلية بقطع بعض الاعضاء وتسويد الوجوه ونحوه وهذا هو المراد
هنا اي خشي ان يجدوه عارا لتوهم انه برص ونحوه وجوز بعضهم فتحه
وتحتيهما وكسرها وهو تكلف لا داعي له **فتحول** ذلك النور ه
الى طرف سوطه اي لما شكى الى الله ما خافه وتضرع اليه
انتقل النور من بين عينيه الى سوط كان معه والسوط في الاصل
بمعنى الخلط تسمى به ما يتخذ للضرب من جلد ونحوه وهو معروف
فكان اي سوطه **يضيء في الليلة المظلمة** كالشمع والمصباح **فسمي**
الطفيل **ذا النور** اي صاحب النور لذلك ويروى الظلماء بدل الظلمة
ولا اشكال في شيء من هذا كما توهمه بعضهم واعترض منه انه قال
روي صوته بصاد مهملة ومثناة فوقية ثم تكلم في تاويله بحرا ه
فان لا ينبغي تسويد هذا الوجه الصحيح وقصة الطفيل كما نقله
ابن عبد البر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان الطفيل سيدا مطاعا
في قومه وشاعرا لبيبا فقدم مكة ومشى اليه قريش فقالوا انك سيد
قومك وانا نخشى ان يلقاك هذا الرجل فيغويك رسول الله صلى الله عليه وسلم

فيصيبك

فيصيبك فانه يفرق بين المرء وزوجه وولده فما زالوا ينهوني ويحذروني
منه حتى قلت لهم لا ادخل المسجد الا سادا اذني حشوتهما كرسفا انه
قطنا فدخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم فقربت
منه فابى الله الا ان يسمعني قوله فقلت في نفسي ان هذا العجز وانا
امرؤ ثبت لا يخفى علي الحسن والقبيح والله لاسمعنه فان كان رشدا اخذته
او غيا تركته فنزعت ما باذني واستمعت له فلم اسمع باحسن ولا اجل مما قاله
فانتظرته صلى الله عليه وسلم حتى انصرف وتبعته فدخلت
منزله معه وقلت له يا محمد ان قومك قالوا كذا وكذا وقد سمعت
ما قلت ووقع في نفسي انه حق فاعرض علي دينك وما تامر به وتنهى
عنه فاسلمت ثم قلت يا رسول الله اني راجع لقومي وانا فيهم سيد
مطاع وانا داعيهم الى الاسلام فادع الله ان يجعل لي اية تكون ه
عونا لي عليهم فقال اللهم اجعل له اية قال فخرجت حتى اشرفت
على حاضرة دوس ولي هناك ابي شيخ كبير وامراة وولد فلما علوت الثنية
ظهر بين عيني نور كالشهاب فقلت اللهم في غير وجهي فاني اخشى ان
يظنوه مثلة لفراق دينهم فتحول في راس سوطي فلقد رايتني اسير
وانه على راس سوطي كانه قنديل معلق فيه فلما قدمت عليهم اتاني ابي
فقلت اليك عني فلست منك ولست مني فاني اسلمت
واتبعت دين محمد فقال اي بني ان ديني دينك فاسلم وحسن اسلامه
ثم اتتني صاحبتي فقلت لها كما قلت لابي فاسلمت
وحسن اسلامها واغتسلت ثم دعوت دوسا فابت وتعاصت علي فاتيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة فقلت يا رسول الله ان دوسا
غلب عليها الزنا والربا فادع عليهم فقال اللهم اهد دوسا فرجعت
اليهم واقمت بين ظهرانيهم ادعوهم الى الاسلام حتى استجاب لي منهم
من استجاب ثم قدمت المدينة عليه صلى الله عليه وسلم بعد احد ه
والخندق بثمانين او سبعين من اهل بيتي حتى فتحت مكة وارسله
رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحراق صنم عمرو بن حممة فاحرقه
واقام معه حتى قبض ثم بعثه ابو بكر رضي الله عنه الى مسيلمة
فاستشهد باليمامة وقيل باليرموك في خلافة عمر كما تقدم **ودعا على مضر**
اي انه صلى الله عليه وسلم كما ورد في حديث صحيح رواه الشيخان ه
والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما والبيهقي عن ابن مسعود رضي
الله عنه دعا عليهم ومضر اسم قبيلة عظيمة سميت باسم الجد وهو

مضر بن معد بن عدنان وفي وجه تسميته اختلاف وتسمى مضر الحمرا
وتسمى مضر ربيعة وقبيلته ربيعة الفرس لان نزارا اباهم اوصى لمضر
بالذهب وهو يونث فيوصف بالحمرة ويقال ذهب حمرا واعطى ربيعة
الخيل فيقال لها ربيعة الخيل وكان شعارهم في الحرب العمايم والرايات
الحمر وشعار اهل اليمن الصفر وبه فسر قول ابي تمام في الربيع
محمرة مصفرة فكانها عصب تمنن في الوغى وتمضر
ومضر ابو قريش فاقحطوا بالبا الموحدة اي اصابهم القحط لاحتباس
المطر عنهم حتى كادوا يهلكون وهلكت دوابهم ويكون بناوه للفاعل
قيل وهو الافصح لانه لازم والهمزة للصيرورة لا للتعدية حتى
استعطفته قريش اي سالوه صلى الله عليه وسلم ان يعطف عليهم
ويرحمهم بدفع القحط عليهم وما حل بهم من البلا فدعا الله له
ان يعطيهم ويزيل قحطهم فسقوا اي سقاهم الله وامطر ارضهم وزال
عنهم القحط بدعايه صلى الله عليه وسلم لما لم يجيبوا دعوته انه
قال اللهم اجعلها عليهم سنينا كسني يوسف فاقحطوا حتى اكلوا
الجراد والدم والعظام فقال ابو سفيان او كعب بن مرة انك
تامر بصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم فقال
اللهم اسقنا غيثا مريعا طبقا غدقا عاجلا غير رايث نافعا غير ضار
فما اتى عليهم جمعة حتى مطروا كما رواه ابو نعيم في الدلايل ودعا
صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن ابن عباس رضي الله
عنهما على كسرى بكسر الكاف وقد تفتح وهو معرب خسرو وهو لقب
لكل من ملك الفرس واسم هذا الذي كتب اليه النبي صلى الله عليه وسلم
كتابا يدعوه فيه الى الاسلام ابرويز بن هرمز وهو من اولاد انوشروان
وانه قيل ابرويز معناه المظفر وانوشروان معناه مجدد
الملك كما قاله السهيلي رحمه الله حين مزق كتابه
الذي بعثه صلى الله عليه وسلم اليه يحثه فيه على الاسلام وسعادة
الدارين وكان بعثه صلى الله عليه وسلم مع عبد الله بن حذافة
السهمي وقيل مع غيره فقطعه تحقيرا به وقيل
جعله هدفا ورماه بالسهام حتى مزقه تحقيرا لشانه وقيل
لانه كتب اسمه فوق اسمه وصورة الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم
من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى
وامن بالله ورسوله وشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له

ارسله

ابنائهم

ارسله الى الناس كافة ليبلغ من كان حيا ويحق القول على الكافرين اسلم تسلم
فان توليت فان عليك اثم المجوس وقوله حين مزق كتابه وان كان
الدعا بعده حين بلغه خبره لبعد زمان اما لان المراد زمانه مجاز
لان الحين تطلق على مطلق المدة كما في قوله هل اتى على الانسان
حين من الدهر او المراد حين بلغه تمزيقه فيه تقدير فما قيل
انه كان ينبغي ان يقول من اجل تمزيقه كتابه ليس بشي ان يمزق الله
ملكه معمول دعا اي بان يمزق الخ باهلاكه وانتقال ملكه
لغيره تمزيق كل ممزق فلم يبق له اي لكسرى او للملك باقية اي نفس
باقية من عقبه او هو مصدر بمعنى بقية او بقا والمقصود يكون
بوزن فاعلة قليلا ولا تبقى لفارس هو معرب بارس بالبا العجمية
وتطلق على القبيلة وعلى بلادهم رياسة اي ملك ونفاذ كلمة
في اقطار الدنيا وفي نسخة البلاد اي في جميع نواحيها فقطع الله
دابرهم وافناهم بدعايه صلى الله عليه وسلم عليهم لما عصوه وتجبروا
فلم يزل امره في انحطاط حتى قتله ابنه شيرويه ثم مات
ابنه بعده بزمن يسير ومات دولتهم حتى انقرضوا كما فصل في التواريخ
والحديث في البخاري والكلام عليه مبسوط في شرحه ودعا
صلى الله عليه وسلم في حديث رواه ابو داود والبيهقي انه دعا على
صبي صغير قال ابن حبان اسم الصبي يزيد بن الهوام وقيل انه
لا تعرف اسمه وحديثه ضعيف وقال الذهبي اظنه موضوعا لانه
اشكل عليهم بان الصغير غير مكلف فكيف يدعو صلى الله عليه
وسلم مع رافته به وما اجاب به البرهان الحلبي من ان الاحكام انما
تعلقت بالبلوغ بعد احد كما قاله التقي السبكي او بعد
الهجرة كما قاله غيره اذ هو مبني على خطاب الوضع المتعلق
بالاتلاف وهو لا يشترط فيه التكليف لا يخفى ما فيه على بعده منه
واغرب ما قيل ان الله اطلعه صلى الله عليه وسلم على حال
هذا الصبي وانه سيصير متعديا وانه لو لم يكن كذلك اضر بالناس
فلذا دعا عليه كما اطلع الخضر عليه الصلاة والسلام على
الغلام الذي قتله وانه لو عاش كان كافرا وقد ورد في الحديث
انه صلى الله عليه وسلم له ان يحكم بالباطن احيانا كما يحكم بالظاهر
وانه من خصايصه صلى الله عليه وسلم وقد افرده السيوطي
بجزء الغد فيه الا انه هنا تعسف لا يلتفت اليه فقطع عليه

[illegible]

صلاته بمروره بين يديه صلى الله عليه وسلم وقطع الصلاة مجاز عن
افسادها وتقليل ثوابها حتى يحتاج للاعادة والمصلي اذا صلى في غير العمران
يستحب له ان يجعل بين يديه سترة تمنع المار عن المرور بجنبه وبين
القبلة وينبغي ان يكون مرتفعة ارتفاعا تاما فكأنه صلى الله عليه وسلم
لم يكن له سترة في هذه الصلاة اذ كانت ومر الصبي بينه وبين التارة
وحينئذ فلو مر انسان او حيوان لا يقطع صلاته عند الجمهور من
المحدثين والفقهاء ولا يفسدها كما صرحوا به وذهب بعضهم الى انه
يقطعها لانه ورد في احاديث صحيحة منها ما رواه ابو ذر انه صلى
الله عليه وسلم قال اذا قام احدكم يصلي بسترة ما يمنعه
بين يديه مثل آخرة الرحل فاذا لم يكن ذلك فانه يقطع صلاته
الحمار والمرأة والكلب الاسود وخصه لانه ورد في الحديث
الكلب الاسود شيطان وقد علمت ان الجمهور على خلافه
فقيل انه منسوخ وقيل انه مأول والمعنى يقطع خشوعه في صلاته
وهو صلى الله عليه وسلم وان كان لا يشغله عن الله شيء لعله تشوش بها
لا منه ان يقطع الله اثره محمول دعائه صلى الله عليه وسلم
على ذلك الصبي بان يقطع الله اثره والاثر يحتمل ما يؤثره بمشيه
وغيره ويبقى بعده علامة عليه وقطع الاثر يكنى به في الاكثر
عن الفناء والذهاب بالكلية فيقال ما بقي له عين ولا اثر كما قيل
الدهر يفجع بعد العين بالاثر • فما البكاء على الاشباح والصور •
وهو هنا كناية عن كونه زمنا مقعدا لان الاثر انما يكون من الماشي
فاذا انقطع مشيه انقطع اثره ويجوز ان يراد المعنى الحقيقي فلذا
قيل انه كناية لا مجاز كما اشار اليه بقوله فاقعد
الصبي وصار مقعدا زمنا لا يمكنه المشي ليبس اعصاب
رجله التي يتحرك بها وروي ان يقطع الله دابره والدابر في الاصل
الاخر كما في قوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا اي آخرهم فلم يبق منهم
احد فاستعير هنا للزمانة بان يسلبه الله قوة مشيه وهذا رواه
ابن حبان عن ابن مهران قال رأيت مقعدا بتبوك تسمى يزيد بن مهران
يقول مررت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي
فقال اللهم اقطع اثره فما مشيت بعد وقد سمعت ما فيه
وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم عن سلمة
ابن الاكوع انه صلى الله عليه وسلم قال لرجل قال البرهان الحلبي

اسم هذا الرجل بسر بضم الموحدة وسكون السين وراء مهملتين من
اعجمه فقد صحف وهو بسر بن راعي العير الاشجعي رآه يأكل بشماله
كل بيمينك ارشادا الى السنة فان الاكل بغير اليمين مكروه وقوله
كل الخ مقول القول فقال لا استطيع اي لا اقدر على الاكل بيميني فقال
له صلى الله عليه وسلم لا استطعت بيانا لخطاب وهو دعاء عليه
بان يسلبه الله القدرة على الاكل باليمين فلم يرفعها اي يده اليمنى لانها
مؤتفة اي لم يقدر بعد دعائه صلى الله عليه وسلم ان يرفع يده
اليمنى الى فيه ويحركها لانها شلت وبطل عملها لانه صلى الله
عليه وسلم امره بالتيمن وهو سنة في الاكل والشرب لقوله اذا
اكل احدكم فليأكل بيمينه واذا شرب فليشرب بيمينه فلا يتركه
الا لعذر وقد علم صلى الله عليه وسلم انه لا عذر له وانه انما لم يمتثل امره
الا لتكبر ولذا قال المصنف في شرح مسلم انه كان منافقا
الا ان الذهبي قال انه صحابي جليل فيحمل انه كان كذلك في اول
امره ثم لما ظهرت له هذه الآية تاب واخلص لله فلا اشكال فيه وما
قيل من ان ترك المندوب لا يقتضي استحقاق العقاب ليس
بشيء لانه تخالفه امره صلى الله عليه وسلم مشافهة بغير عذر لا يجوز ابن التين
وليس هذا الرجل جاهليا كما توهم هذا القائل وخبط وخلط هنا
على عادته وليس في قوله فقاله دون دعا اشارة لما توهمه
وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الحاكم
والبيهقي وابن اسحاق من طرق صحيحة مسندة لعتبة ابن ابي لهب
الجهني عدو الله ورسوله واسمه عبد العزى ابن عبد المطلب
ابن هاشم المشهور وكان له ثلاثة اولاد عتبة وعتيبة بالتصغير
ومعتب اسلم منهم اثنان يوم الفتح ولم يهاجرا من مكة وبقي واحد منهم
على الكفر وهو عقير الاسد وكان عنده ابنة للنبي صلى الله عليه وسلم
فطلقها فاذاه فدعا عليه بما يأتي فافترسه الاسد بالزرقاء من ارض
الشام كما رواه الحاكم من حديث ابي نوفل وقال انه صحيح الاسناد قال
تجهز ابو لهب وابنه عتبة الى الشام فنزلا بالسراة قريبا من صومعة
راهبه هنا سباع فاحذروا فقال ابو لهب لمن معه انتم قد عرفتم
سني وحقي قالوا اجل فقال ان محمدا دعا على ابني فاجمعوا متاعكم على
هذه الصومعة وافرشوا لابني عليها وناموا حوله ففعلوا ونام عتبة
فوق متاع فجاء الاسد فشم وجوههم ووثب على عتبة فقطع رأسه

وذهب قيل انه لم يهلك لما فيه من خبث الطوية ببغض خير البرية
الا انه قيل ان العقير عتيبة مصغر وان عتبة اسلم وحسن
اسلامه فهو من كبار الصحابة والصواب عتيبة وقال البرهان
ان الذي في نسخ الشفا بالتكبير وكذا صححه بعضهم كذا قال
الذي اسلم عتبة بالتصغير والمشهور ان المصغر عقير الاسد والمكبر
هو الصحابي فما في بعض النسخ مما خالفه على قول خلاف المشهور انتهى فقد
علمت الاختلاف فيه وفي النسخ والاصح منها اللهم سلط عليه
كلبا من كلابك قال في حياة الحيوان الاسد يسمى كلبا لانه يشبهه
في بعض احواله برفع رجله اذا بال فلما اضاف الكلب الى العظيم علم
انه اعظم ما يسمى بذلك الاسم كما قال الثعالبي والى ذلك اشار بقوله
فاكله الاسد وفي دلايل النبوة للبيهقي كانت ام كلثوم ابنته صلى الله عليه
وسلم في الجاهلية تحت عتيبة بن ابي لهب واختها رقية تحت
اخيه عتبة فلما نزلت تبت يدا ابي لهب وتب قال ابو لهب لابنيه
راسي من راسكما حرام ان لم تطلقا ابنتي محمد وقالت امهما حمالة
الحطب مثله فطلقها عتيبة واتاه صلى الله عليه وسلم فقال له اني
طلقت ابنتك فلا احبك ولا تحبني وشق ازاره وسفه عليه
فقال صلى الله عليه وسلم اللهم سلط الخ ثم خرج في نفر من قريش الى الشام
فكانت قصة الاسد وفي روايته وتسميته ابنه اختلاف كما مر ولا خلاف
في اصل القصة وقد ذكرها حسان رضي الله عنه في شعره وقال
صلى الله عليه وسلم لامراة يا كلك الاسد فاكلها الاسد قال
البرهان الحلبي هذه المراة لا اعرفها وذكر غيره انها بنت
المطعم الانصارية فانها اتت النبي صلى الله عليه وسلم وهو مولي ظهره
الشمس فضربت منكبه فقال من هذا اكله الاسد فقالت انا ابنة
مطعم الطير ومباري الريح ابو ليلى جئت لاعرض نفسي عليك
لتتزوجني فقال قد فعلت فرجعت الى قومها واخبرتهم فقالوا
انت امراة غيرى وللنبي صلى الله عليه وسلم نساء فيدعوا عليك
فرجعت وقالت له اقلني فاقالها وتزوجت بغيره فبينما هي في حايط
بالمدينة افترسها ذيب فالاسد هنا بمعنى الحيوان المفترس فلا ابعاد
ان دعوته صلى الله عليه وسلم عليها لم تتحقق وهذا الحديث
سقط من بعض النسخ ومن ذلك حديثه صلى الله عليه وسلم
المشهور الذي رواه مسلم والبخاري عن عبد الله بن مسعود في

دعايه صلى الله عليه وسلم على قريش قبل الهجرة بمكة حين وضعوا اي
وضع بعض منهم فهو من اسناد البعض الى الكل السلا بفتح السين المهملة
واللام المخففة مقصور وهو جلد رقيق يخرج مع الولد من بطن امه
ملفوفا فيه قيل وهو كالمشيمة من المراة وفي النهاية الاول
اشبه لان المشيمة انما تخرج بعد الولد والسلا وهو للمواشي ان نزع
عنه ساعة يولد بقي حيا والا هلك وكذا اذا انقطع في البطن ويقال
للولد بعينه سلا ايضا تسمية له باسم محله ويكون فيه دم ونحوه على رقبته
الشريفة والرقبة مؤخر اصل العنق عند الكتفين وهو ساجد عند
البيت في صلاته والجملة حالية مع الفرث والدم حال من السلا والفرث
بالفاء والراء المهملة والثاء مثلثة هو السرجين ما دام في الكرش ودماهم
فاعل سمى ضمير ابن مسعود وضمير المفعول لقريش وهو يدل على ان المراد
بعضهم لا الجميع كما اشرنا اليه وهم السبعة المذكورون في الاية ولا بواو
نسخه كما تقدم ويحتمل ان فاعل سمى هو النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي
صرح به سياق اهل الحديث فقال اي ابن مسعود فلقد رايتهم
قتلوا يوم بدر فاجاب الله دعوته صلى الله عليه وسلم فيهم وحديث
ابن مسعود هذا في الصحيحين كما مر قال انه صلى الله عليه
وسلم كان يصلي عند البيت وابو جهل واصحاب له جلوس فقال بعضهم
لبعض ايكم يجي بسلا جزور بني فلان فيضعه على ظهر محمد اذا سجد
فانبعث اشقى القوم فجا به وانتظر النبي صلى الله عليه وسلم
حتى سجد فجعله بين كتفيه وانا انظر فجعلوا يضحكون ورسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يرفع راسه حتى جاءت فاطمة رضي الله عنها
فطرحته عنه فرفع صلى الله عليه وسلم راسه الشريف ثم قال اللهم
عليك بقريش ثلاث مرات اللهم عليك بابي جهل وعتبة بن ربيعة
والوليد بن عتبة وامية بن خلف وعقبة بن ابي معيط وعمارة ابن
الوليد وعدهم والذي جا بالسلا اليه عقبة وهو اشقاهم لمباشرته
الفعل كما شفي غيره والكلام على الحديث مفصل في شروح البخاري
واما استمراره صلى الله عليه وسلم في سجوده مع ما عليه من النجاسة
المفسدة للصلاة فقد اجابوا عنه باجوبة منها انه صلى الله عليه وسلم
لم يرها حتى تحقق نجاستها وكان هذا في اخر الصلاة فلا يلزم
اعادتها مع انه كان قبل الهجرة وتحقق شروط الصلاة المفروضة
ثم انه قيل انهم كلهم لم يقتلوا ببدر ولم يلقوا في قليبها قال

عقبة ابن ابي معيط اسر ببدر ثم قتل صلى الله عليه وسلم نفرا من حلة
منها وعمارة بن الوليد مات بالحبشة فقيل انه باعتبار اكثرهم وغالبهم
على ما فيه **ودعا** صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البيهقي بسند
من طرق صحيحة **على الحكم بن ابي العاص** ابن عبد شمس بن عبد مناف
بن قصي القرشي الاموي وهو ابو مروان وعم عثمان بن عفان وهو ممن
اسلم في الفتح **وكان** اي الحكم **يختلج بوجهه** اي يحرك وجهه
وبعضه كحاجبه وعينيه **ويغمز** بعينيه اي يحركهما مشيرا بهما
وهو جالس **عند النبي صلى الله عليه وسلم** قاصدا باشارته
وغمزه لمن يراه ثم من المنافقين ونحوهم انه ما تحدث به الرسول
صلى الله عليه وسلم لا اصل له كما اشار اليه بقوله **اي لا** فهو تفسير
للغمز المراد منه ولبين المراد بالغمز هنا العيب كما **قيل**
لانه غير مناسب هنا لانه كان يفعله لما عيبه المعنى في اللغة فلا وجه
لتفسير يغمز بيعيب لانه كان يخبر المنافقين باسراره صلى الله
عليه وسلم ولما **قيل** انه كان يحرك ذقنه وشفتيه
محاكاة لفعله صلى الله عليه وسلم **فراه** صلى الله عليه وسلم
وهو يختلج **فقال له كن كذلك** دعا عليه بان لا يزال وجهه
يختلج **فلم يزل يختلج الى ان مات** بدعائه وكان موته في خلافة
عثمان قبل فتنته والقيام عليه باشهر وكان صلى الله
عليه وسلم اخرجه من المدينة ونفاه الى الطائف ومعه ابنه
مروان **وقيل** ان مروان ولد بالطائف فلم يزل بها الى ان
رده عثمان في خلافته فكان بسبب رده وابنه ما كان ولما توفي
رسول الله صلى الله عليه وسلم سال عثمان ابا بكر رضي الله
عنه في رده فقال ما كنت لارد من نفاه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال اني سالته رسول الله صلى الله عليه وسلم
رده فوعدني به فقال ابو بكر رضي الله عنه اني لم اسمع ذلك ولم يكن
معه بينة ثم لما ولي عمر ساله ذلك فقال كما **قال** ابو بكر
فلما ولي عثمان عمل بعلمه ورده فلا وجه للتشنيع عليه بذلك
والطعن بسببه في خلافته كما تزعم الشيعة مع انه رضي الله عنه
علم من الحكم انه تاب وخلصت طويته واختلف في سبب نفيه فقيل
انه كان يستخفي ويسمع ما يسره رسول الله صلى الله عليه وسلم
لكبار الصحابة في امر المشركين والمنافقين **فيخبرهم** به وقيل

انه

١٦٦

انه كان يحاكي مشي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحركاته فيفعل مثلها ويتفا مو
في مجلسه فلما علم ذلك منه نفاه وروي عن عائشة ام المومنين رضي الله
عنها انها قالت لمروان لما قال في حق اخيها عبد الرحمن ما **قال**
اما انت فاشهد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن اباك وانت
في صلبه تشير الى ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما
سيدخل عليكم رجل لعين فدخل عليهم الحكم ثم ذا **وقيل**
فليت عثمان لم يحكم بعودته • رضي بما حكم الصديق في الحكم •
ودعا صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البيهقي وابن جرير موصولا عن
ابن عمر رضي الله عنهما قال بلغنا انه صلى الله عليه وسلم دعا **على محلم**
بميم مضمومة وحاء مهملة مفتوحة ولام مشددة مكسورة فميم **ابن جثامة**
بضم الجيم وتشديد الثاء المثلثة والف وميم وهاء واسمه جثامة
ابن بدر بن قيس بن ربيعة الكناني الليثي اخو الصعب **قيل** انه نزلت
فيه اذا ضربتم في سبيل الله الاية **فمات** اي محلم هلك عقبه دعائه عليه
لسبع اي عند سبع او بعد سبع ليال من دعائه صلى الله عليه وسلم
وهذا رواه ابن سيد الناس وغيره وقال السهيلي انه مات بحمص
ايام ابن الزبير وسيأتي مثله وبينهما بون بعيد كما قاله البرهان الحلبي
فلفظته الارض اي قذفته وطرحته واخرجته من بطنها لعدم قبولها
وهذا مما شوهد كثيرا وورد في الحديث يبقى في كل ارض شرار اهلها
تلفظهم ارضوهم **ثم ووري** بواو مضمومة فالفه وراء مكسورة
ومثناة تحتية اي ستر وغطي وعيبه فهو مجهول واراه اذا غيبه
فلفظته الارض مرات فلما توالى لفظها له اصبحوا اوه فوق الارض
تفضيحا له واشارة الى انه من الاشرار فعجزوا **فالقوه** اي القوا بدنه
محلم **بين صدين** مثنى صد بضم الصاد المهملة وفتحها وتشديد
الدال المهملة وهو ناحية الوادي او الشعب او الجبل **ورضموا
عليه الحجارة** رضم بفتح الراء المهملة والضاد المعجمة وميم من الرضم
بالفتح والسكون وهو وضع الصخور بعضها فوق بعض كالبنا **والصد**
بالضم والفتح **جانب الوادي** وهو الارض الواسعة وهذا احد الاقوال
فيه كما تقدم وسبب دعائه صلى الله عليه وسلم انه بعث في سرية
امر عليها عامر بن الاضبط فبلغوا بطن راد فقتل محلم عامرا فلما بلغه
صلى الله عليه وسلم ذلك قال اللهم لا تغفر لمحلم ثلاث مرات **فلفظته**
الارض مرات فقال صلى الله عليه وسلم ان الارض لتقبل من هو شر منه

ولكن اراد الله ان يجعله لكم عبرة فالعقوبة بيّنة صوحي جبل حتى اكلته السباع
قال الزبيدي الصحيح الشق قال التلمساني والذي رواه ابن عبد
البر مسندا الى القعقاع عن ابيه انه قال بعثنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم في سرية الى اضم فلقينا عامر بن الاضبط فحيانا بتحية الاسلام
فحمل عليه محلم فقتله وسلبه فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
واخبرناه نزل يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا الاية
وقد نقل ان المقتول عامر ومحلم بن جثامة وان محلما نزل حمصا ومات
بها في زمن ابن الزبير رضي الله عنهما ولاهل العلم اختلاف في سبب
نزول الاية المذكورة وفيمن نزلت على اقوال كثيرة واختلف في محلم
هذا بعد تحقق اسلامه وصحبته هل كان منافقا ام لا وجحده
صلى الله عليه وسلم رجل بيع فرس اي انكره وكان اشتراها منه صلى
الله عليه وسلم وهذا الرجل اعرابي يسمى سوادا بن قيس وقيل
ابن الحارث وهو صحابي والفرس المرتجز كما قاله الجوهري وقيل
الطرف بكسر الطاء المهملة وقيل النجيب وهي اي هذه الفرس التي شهد
فيها اي في بيعها للنبي صلى الله عليه وسلم خزيمة بخاء اي بجيم
ويقال اسمه ابو خزيمة وهو صحابي مشهور قتل بصفين مع علي
رضي الله عنهما سنة سبع وثلاثين ولما شهد له قبل صلى الله عليه
وسلم شهادته وجعل شهادته بشهادتين وهو من خصائصه رضي
الله عنه فرد الفرس بالنصب مفعوله ولعمر مبني على الضم
اي بجحده وشهادة خزيمة له النبي صلى الله عليه وسلم
هونا عليه دعا الرجل الذي جحد البيع وهو متعلق برد فانه ردها
صلى الله عليه وسلم تعففا منه وتكرما فقال له اذ ردها اللهم ان
كان كاذبا فلا تبارك له فيها اي لا تجعل له بركة في سعره فاصبحت
اي الفرس شاصية برجلها اي لا تجعل له بركة في سفره البارايدة وشاصية
بشين معجمة والف وصاد مهملة وشاة مثناة تحتية ... اي رافعة
رجلها والمراد ان رجلها مرفوعة والاسناد مجازي وارتفاع رجلها
كناية عن انها ماتت وانتفخ بطنها حتى صارت رجلها مرفوعة كما
يشاهد في الجيف بعد ايام يقال شصا الميت اذا انتفخ وارتفعت
يداه ورجلاه كما قاله اهل اللغة ووقوع مثله عادة بعد ايام فوقوعه
بسرعة من الايات الباهرة وقصة خزيمة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم ابتاع الفرس من ذلك الاعرابي وتبعه ليقبض الثمن فجعل الناس

يبادرو

يبادرونه ويزيدون ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا يشعر فناداه الاعرابي
ان كنت مبتاع الفرس والا بعته فقال صلى الله عليه وسلم قد ابتعته
فقال هلم شاهدا فقال خزيمة انا اشهد فقال له صلى الله عليه وسلم
احضرتنا فقال بابي انت وامي انا اصدقك في اخبار السما افلا اصدقك
في اخبار السما افلا اصدقك في ابتياع فرس فسماه رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذا الشهادتين وقال من شهد له خزيمة فحسبه وكان كلامه
الاعرابي كان قبل اسلامه او قبل خلوص اسلامه والا فمثله لا يليق وهذا
الباب اي باب دعا النبي صلى الله عليه وسلم واجابة دعائه
وقع كثيرا وروي في احاديث كثيرة اكثر من ان يحاط به اي لا يمكن احد من
علما هذه الامة ان يحصر جميع دعواته صلى الله عليه وسلم فانها كثيرة جدا
وما نقله المصنف منها قطرة من بحر نعلم ظاهرا سواء احاط الا ويحصل
به اليقين لمن كان من المومنين وقوله اكثر من ان يحاط به كقولهم
اكثر من ان يحصى ومثله كثير وتاويله مشهور فان ظاهره غير مراده
لا يخفى انه اكثر من الاحاطة وقد بينوه في محله حتى افرده بعض فضلاء
العصر بجز مستقل والاحاطة بالشي معناها استقصا جميع افراده
خاتمة الدعا معناه التضرع الى الله في تحصيل ما ينفع ودفع ما
يضر وقد قيل اذا كان كل شي بقضايه وقدره وقد جف القلم
فما فايدة الدعا واجيب بانه امر تعبدي بمحافظته
على مقام العبودية وقد يكون ذلك معلقا بالدعا موقوفا عليه
كما اشار اليه صلى الله عليه وسلم بقوله اعملوا فكل ميسر لما خلق
له ومن انكر الدعا وقال انه لا فايدة فيه فقد ضل عن سوا السبيل
فاعرفه فصل في كراماته صلى الله عليه وسلم اي ما اكرمه
الله به من الامور الخارقة للعادة والكرامة اعم من المعجزة لان المعجزة
تكون بعد دعوى النبوة مقارنة للتحدي بالفعل او بالقوة والكرامة
لا تشترط وتكون للنبي وغيره من اوليا الله وان غلب في العرف
جعل الكرامة للولي والمعجزة للنبي الا انها لا تختص بذلك على
ما عرف وما كان منها قبل النبوة للنبي يسمى ارهاصا لانه تاسيس
للنبوة ومقدمة لها وبركاته اي ما وقع له صلى الله عليه وسلم
ببركته من الخوارق وانقلاب الاعيان له اي تبدل حقيقتها وماهيتها
وصورتها اذ ذلك جايز واقع على الاصح وليس بممتنع كما توهم
وليس هذا الفصل مقصورا على هذا وان كان اعظمه كما تبين

الاحسن ان يقول في كراماته بانقلاب الاعيان لمن دظاهر ان الاعيان جمع
عين وهي الذات فيما لمسه بيده الشريفة او باشره المباشرة ان يلي الامر
بنفسه فهي اعم من اللمس لان اللمس والمس متقاربان اخبرنا احمد بن محمد
بن عبد الله ابن عبد الرحمن بن علبون الخولاني شيخ المصنف توفي سنة ابن ابي ترس
ثمان وخمسمائة وكان في الحديث وسائر الفنون امام عصره قال
حدثنا ابو ذر الهروي تقدم بيان ترجمته اجازة وحدثنا القاضي
ابو علي سماعا ابو علي هو ابن سكرة السابق ترجمته والقاضي ابو محمد عبد الله
ابن عبد الرحمن وغيرهما ابن عبد الرحمن هو ابن سعيد كما تقدم
قالوا حدثنا ابو الوليد القاضي الباجي الحافظ وقد تقدم قال
حدثنا ابو ذر يعني الهروي المتقدم قال حدثنا ابو محمد السرخسي المتقدم
وابو اسحاق المستملي المتقدم وابو الهيثم الكشميهني المشهور
قال حدثنا الفربري تقدم بيان لغته ونسبته قال
حدثنا البخاري صاحب الصحيح المشهور قال حدثنا يزيد بن زريع
بالتصغير ابو معاوية البصري ولد سنة احدى ومائة ومات
سنة ست وثمانين ومائة كذا في النسخ هنا وصوابه حدثنا البخاري
حدثنا عبد الاعلى بن حماد حدثنا يزيد بن زريع وهكذا هو في صحيح
البخاري فسقط هنا اما من قلم المصنف قال حدثنا سعيد
ابن ابي عروبة كما تقدم وفي نسخة عن سعيد عن قتادة تقدمت
ترجمته عن انس ابن مالك الصحابي المشهور ان اهل المدينة
فزعوا مرة اي وقع منهم فزع بفتح الفا والزاي المعجمة والعين
المهملة قال المبرد في الكامل الفزع في كلام العرب على وجهين
احدهما الخوف والذعر والاخر الاستنجاد والاستصراخ يقال
فزع وافزع اذا وهو من الاضداد قال زهير
اذا فزعوا طاروا الى مستغيثهم ❊ طوال الرماح لا ضعاف ولا عزل
وقال النبي صلى الله عليه وسلم انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون
عند الطمع والمراد هنا الاول اي وقع خوف استصرخوا بسببه
وهو اشهر معنييه فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم
لسماع صياح الناس وفزعهم لظنهم ان عدوا هجم عليهم فسبق الناس
كلهم الى الجانب الذي سمع منه الصوت وراه الناس في رجوعه فقال
لهم لن تراعوا وهو راكب فرسا لابي طلحة ركبها عريا من غير
سرج عليه وابو طلحة هو زيد بن سهل الانصاري النجاري العقبي

البدري وهو احد النقباء ليلة العقبة وممن شهد المشاهد مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم وله مقام محمود باحد كما تقدم روي عنه احاديث
كثيرة وتوفي سنة اربع وثلاثين من هجرته كان يقطف او به قطاف
بكسر القاف وبالطا المهملة والفا والشك فيه من الراوي قال
الزجاج لا يقطف بضم الطا في قولهم تقطف الدابة بمعنى تبطي واما من
قطف العنب فبكسر الطا كما قاله الزمخشري والقطاف بكسر
القاف الاسم منه وقال الجوهري القطوف في الدواب البطي
وقال ابو زيد الضيق المشي وهما متقاربان وقد يوصف به الانسان والجمل
وهو عيب في الخيل وهو معنى قوله او به قطاف وقال غيره
اي غير انس يثبطا مكان يقطف بمثناة تحتية مضمومة وبا موحدة
مفتوحة وطا مهملة مشددة مفتوحة وهمزة مضارع بطا والبطو
ضيق فهو تقريب من الرواية الاولى والظاهر ان المراد به هنا انه
كان يوصف بالبطء وينسب اليه ذلك وهو مبني للمجهول
فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفزع ولقي
ابا طلحة قال له وجدنا فرسك بحرا اي كالبحر في شدة جريه وعدوه
وسهولته وهو استعارة تصريحية كما يقال بحر فلان في علمه اي
توسع فكان ذلك الفرس بعد مبني على الضم اي بعد قول النبي صلى الله
عليه وسلم له ذلك ببركته لا يجارى مبني للمجهول مفاعلة من الجري
وهو مما يوصف به الما والحيوان ايضا فهو تجريد يشبه بالترشيح وفيه
هنا مبالغة والمعنى لا يسبق فكانه لذلك لا يجاريه احد بقرينة السياق وهذا
الحديث رواه البخاري والكلام عليه مفصل في شروحه وكان ذلك الفرس
يسمى مندوبا ومما رواه الشيخان من هذا النوع انه صلى الله عليه وسلم
نخس جمل جابر ابن عبد الله الانصاري الصحابي المعروف رضي الله
عنهما ونخس بخا معجمة وسين مهملة كنصر من النخس وهو ان يطعنه
في جنبه او نحوه بعود او نحوه وكان ذلك بعد في يده وكان ذلك
الجمل قد اعيا اي تعب وتلف حركته من السير فنشط
بكسر الشين المعجمة في الماضي وفتحها في المضارع اي اسرع في السير
وخف من النشاط ضد الكسل والمراد انه ذهب اعياؤه فابدا قوة
وسرعة وفي النهاية روي كثيرا انشط وليس بصحيح يقال
نشطت العقدة اذا عقدتها وانشطتها وفي الحديث كانما انشط من
عقال ونشطت الدلو اذا جذبتها بقوة انتهى يعني ان الصواب

هنا النشط من المزيد وأصل معناه الجذب بسرعة وإذا صحت الرواية بخلافه
فكيف يقال إنه غير صواب ولا يخفى أنه استعارة فيجوز أن يستعار من
نشط الدلو إذا انتزعها فيشبه الجمل بدلو في بئر ويشبه نخسه له حتى جد
في سيره بإخراجه من البئر كأنه جذبه وأبرز قوته التي لم يكن ظاهرة
فيه حتى كان أي جابر أو الجمل لا يملك رأسه أي الزمام معقود الجمل ويملكه
يجوز بناؤه للمعلوم فالضمير فيه لجابر وللمجهول فهو للجمل ومعناه أنه
لا يقدر على ضبطه وجذبه لأنه لشدة نشاطه يجذبه من يده
وبيان ذلك في هذا الحديث كما في الصحيحين قال جابر رضي الله عنه إنه
كان معه صلى الله عليه وسلم في غزاة فأبطأ به جمله فمر به صلى الله
عليه وسلم فقال له ما شأنك فقال أبطأ بي جملي وأعيى فتخلف
فنزل ونخسه بمحجن ثم قال له اركب قال فصار لا يقدر على كفه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم إنه اشتراه ثم وهبه له كما فصل قصته
في الحديث وشرحه وفي بيعه اختلاف أيضاً وفيه من بركته
صلى الله عليه وسلم ولطف معاملته مع أصحابه وكرمه ما لا يخفى وهذه
الغزوة هي غزوة ذات الرقاع كما في شرح البخاري وصنع مثل ذلك أي
مثل ما صنع مع جابر رضي الله عنه في حديثه رواه البيهقي بفرس
جعيل بضم الجيم وفتح العين المهملة مصغر بلا لام وهو جعيل
ابن زياد وقيل إنه سمرة الصحابي الكوفي وقيل اسمه جعال
الأشجعي بشين معجمة وجيم وعين مهملة منسوب لأشجع وهي
قبيلة وحديثه هذا رواه عنه عبد الله بن أبي الجعد قال
كنت في بعض غزواته صلى الله عليه وسلم على فرس عجفاء ضعيفة
في أخريات الناس فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شأنك
فقلت إنها عجفاء ضعيفة فضربها بمخفقة كانت في يده وقال بارك الله
لك فيها قال فلقد رأيتني أول الناس ما أملك رأسها وبعت
من بطنها عدة كثيرة وإليه أشار بقوله خفقها رسول الله
صلى الله عليه وسلم أي ضربها بمخفقة كانت معه بكسر الميم وسكون
الخاء المعجمة وفتح الفاء وقاف وهو اسم آلة من الخفق وهي الدرة وقيل
إنها عصا والخفق الضرب ومنه خفق الطائر بجناحيه وخفقان
القلب والخافقان كله يرجع لهذا وبرك عليها بالتشديد تفعيل
من البركة أي دعا لها مراراً بالبركة فيها فلم يملك رأسها أي لم
يقدر على ضبط رأسها بلجامها لقوة سيرها وجذبها له وهذا

٨٩
من قولهم ملك العجين إذا عجنه بقوة والملك مأخوذ من هذا إذ هو
حقيقته نشاطاً أي من شدة نشاطها وباع من بطنها أي مما ولدته
وحصل من نسلها الخارج من بطنها والبطن حقيقة الجوف ثم شاع في
الولد والنسل باثني عشر ألفاً وهذه بركة عظيمة له عائدة صلى الله
عليه وسلم ولعله كان له عنده منها بطون متعددة تتناسل فيكون له
ذلك بأولادها وأولاد أولادها وفيه لف ونشر فقوله لم يملك ناظر لقوله
خفقها وقوله وباع الخ ناظر لقوله وبرك عليها وهو ظاهر وهذا
رواه النسائي وابن عبد البر في الاستيعاب وفي حديث رواه ابن سعد
من حديث إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة أنه صلى الله عليه وسلم
ركب حماراً قطوفاً قليل السير متقارب الخطى لسعد بن عبادة الأنصاري
سعد هو المشهور فرده أي أعاده صلى الله عليه وسلم لصاحبه
بعدما ركبه إذ معناه صيره لأنهم ذكروه بمعناها ونقلوا عملها صرحوا
به فعلى الأول ما بعده حال وعلى الثاني مفعول ثان هملاجاً بكسر الهاء
وسكون الميم ولام وجيم وهو فارسي معرب وهو من البراذين يهوان
لا يساير مبني للمجهول أي يسبق كل ما سار معه فتغير بما ذكر مما لعله
كما مر في قوله لا يجارى وروى البيهقي أنه كانت شعرات من شعره
صلى الله عليه وسلم وهو بفتح العين فيهما في قلنسوة خالد بن الوليد
أي أنه رضي الله عنه وضعها في داخل قلنسوته بطانتها والقلنسوة بفتح
القاف واللام وضم السين وفتح الواو وقيل هاء لما يوضع على الرأس
وهي معروفة ويقال قلنسة كما في الصحاح فلم يشهد أي لم يحضر
قتالاً وحرباً قاتل فيه إلا رزق النصر أي الانتصار من الله تعالى على
أعدائه بقتلهم أو هزمهم ببركة ملك الشعرات التي كانت في قلنسوته
وجملة إلا رزق الخ حال مستثناه استثناء مفرغاً من أعم الأحوال
وحكى ابن العديم أن ابن أبي طاهر العلوي كان عنده أربعة
عشر شعرة من شعره صلى الله عليه وسلم فبلغه أن بعض
أمراء حلب يحب العلويين ولم يكرمهم فأرسل له وأهدى له الشعرات
لما أكرمه ثم أتاه بعد أيام فعبس ولم يلتفت إليه فسأله عن
السبب فقال له قال لي فلان إن هذه الشعرات لا أصل لها فسأله
إحضارها فأحضرت فطلب منه ناراً موقدة فألقاها فيها فرمى شعرات
منها في النار فلم تحترق بل صارت أحسن ما كانت فقبل يده وأجله وأنعم عليه
بنعم لا تحصى وأكرمه غاية الإكرام وفي الصحيح أي في الحديث الصحيح

او صحيح مسلم لانه هذا الحديث رواه مسلم وابو داود والنسائي ه
وابن ماجه عن اسما بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما انها
اي اسما اخرجت اي اظهرت واخرجت للناس جبة بضم الجيم وتشديد
البا الموحدة وهي ثوب مخيط طيالسية قال النووي هو بالاضافة
جبة لطيالسة جمع طيلسان بتثليث اللام والاشهر فتحها وطيالسة
منون مصروف لانه بزنة ثمانية ورفاهية ويجوز نصبه على انه
صفة جبة كثوب اخلاق وقد سقط لفظ طيالسة من بعض النسخ
وهذه الجبة كانت عند اختها عائشة ام المومنين فلما ماتت
بعد النبي صلى الله عليه وسلم بنحو خمسة واربعين سنة انتقلت
لها والطيالسة نوع من الاكسية قيل انها ذات اعلام خضر ولذا
روي جبة خضرا فوصفت بوصف بعضها ومعنى كطيالسة
خلقته وقيل انه جمع طيلس كفيعل وهي المتقن النسج وقيل
الطيلسان كسا اخضر يعرف بالساج وقيل الطيلسان ردا من الصوف
تشتمله العجم ولذا يقال يا ابن الطيلسان في الشتم وقالت
اسما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها اي كان يكثر لبس
هذه الجبة لان كان يفعل كذا يدل على تكرر الفعل عرفا كما ذكره الاصوليون
وليس بلازم في الوضع فنحن نغسلها وناخذ ما غسلها فنعطيه للمريض
فنستشفي المرضى بها اي بما بها بان يشرب منه ويمسح به الابدان ه
تيمنا باثاره صلى الله عليه وسلم فيرزقهم الله الشفا ببركته وفي مسلم
انها جبة كسروانية نسبة لكسرى اي عجمية وانها كانت ملفوفة
بالديباج واستدل به بعضهم على حل النسجات من الحرير وقيده بعضهم
بان لا يزيد على اربعة اصابع ولا ينافي كونها من الطيالسة ما قيل
انه صلى الله عليه وسلم لم يستعمل الطيلسان وكرهه بعضهم لما روي
انه حلية قوم الدجال واخبرنا القاضي ابو علي هو ابن سكرة وقد
تقدم عن شيخ ابي القاسم بن المامون ابن محمد بن هشام الرعيني ه
السبتي المعروف بابن المامون الامام المشهور قال كانت عندنا ه
قصعة بفتح القاف ولا تكسر وهي الجفنة المعروفة ولا تختص في
العرف بما كان من الخشب وقيدها النووي بما كانت تشبع عشرة قال
ابن المامون يحتمل انها كانت عنده وصلت اليه بطريق من الطرق
ويحتمل انها كانت بديارهم وبلادهم من قصاع النبي صلى الله عليه
وسلم بكسر القاف جمع جفنة وصحاف وجمع على قصع ايضا وقصاع جمع

صلى الله عليه وسلم لم يجدوها ولم يذكروا صفتها لانه كان لا يعتني بها
ولا يجدها ولا يدخرها فكنا نجعل فيها الما للمرضى جمع مريض فيستشفون
بها اي يطلبون الشفا ايتحصل لهم بشربهم مما وضع فيها لبركة اثاره
واخذ جهجاه الغفاري جهجاه بجيمين مفتوحتين بينهما ها وبعد
الاخيرة ها وقيل انه صوابه جهجا مقصورا بها في اخره والغفاري بكسر
الغين نسبة لغفار وهي قبيلة معروفة واختلف في اسم ابيه فقيل هو ابن
مسعود وقيل ابن سعد حرام وقيل ابن سعيد وقيل ابن قيس
وهو صحابي مهاجري مدني روي عنه احاديث وشهد المشاهد كلها مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم وتوفي بعد عثمان رضي الله عنه بسنة القضيب
يعني قضيب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان مع الخلفا والقضيب
عصى قصيرة من يد عثمان بن عفان لما قام عليه قبل يوم الدار فقيل
اخذه وجذبه من يده وهو على المنبر وقيل بعد نزوله منصرفا ه
لداره ليكسره اي اخذه يقصد ان يكسره وظاهره انه لم يكسره ه
لصياح الناس عليه وقال ابو عبد البر وبعض اهل السير انه كسره
على ركبته اي اتكى على ركبته في كسره كما هو معتاد فصاح به الناس ليمنعوه
من كسر قضيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه امر عظيم وجراة لم
يرضوها ولذا قال ابن العربي لا يصح كسره والعصا عما اطاع او عصى وهذه
العصا كان يعتمد عليها النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب وكذا الخلفا
بعده فاخذته اي اصابته ووقعت به واصل معنى الاخذ التناول
فتجوز به عما ذكر الاكلة كفرحة وهو دا يصيب بعض الاعضا فيتاكل
اي يتفتت وينقطع وهو نوع من الجذام والفرق بينهما مذكور في مفصلات
كتب الطب والناس يقولونه الاكلة بالمد وقد قيل انه خطا الا ان الثعالبي
انشد لبعض العرب في كتابه ثمار القلوب
ومن انت هل انت الا امرو ه اذا صح نسبك في باهله ه
وللناس هل على خيره ه كتابه لا كله الا كله ه
ولم يضبطه فيه وهو من ائمة اللغة فيصح ان تقرا عبارة المصنف
به الا انه تعارضه الرواية فقطعها اي قطع جهجاه ركبته او رجله
من ذلك لئلا يسري المرض لبدنه فان هذا المرض يعالج بقطع العضو
كما قيل
القطع طب كل عضو فاسد ه فلا حاجة لما قيل ان الضمير للعصا على
للاكل وذكره تاويل المرض ونحوه ومات الجهجاه قطعها قبل

تمام الحول اي السنة التي وقع فيها القحط بسبب اهانته لقضيبه صلى الله
عليه وسلم قال ابو عمر ابن عبد البر في الاستيعاب انه تناول العصا من يد
عثمان رضي الله عنه وهو يخطب فكسرها على ركبته فوقعت الاكلة في ركبته
وتوفي بعد عثمان بسنة وهو مناف لكلام المصنف من وجهين لان ظاهره
انه لم يكسرها وانه حال عليه الحول وفي الروض الانف انه انتزعها
من يد عثمان رضي الله عنه حين اخرج من المسجد ومنع من الصلاة فيه
وهو ايضا مخالف لكلام ابن عبد البر في قوله انه اخذها وهو
على المنبر وكان عثمان لما قام عليه الناس وهجموا المدينة يخرج
يصلي بالناس على عادة الخلفاء الراشدين ثم خرج في اخر جمعة فحصبوه
حتى وقع من على المنبر ولم يعد الى الامامة فصلى بهم ابو امامة
بن سهل ثم حصروه ومنعوه من المسجد وكان من القائمين عليه
الجهجاه فشافهه بما لا يليق وفعل بالقضيب ما فعل وفي جرأته
على قضيب رسول الله صلى الله عليه وسلم اشكال لا يخفى فالظاهر
انه لم يعرف انه القضيب وحمقه وغضبه على عثمان رضي الله عنه
لا يسوغ له مثل ذلك وعثمان رضي الله عنه كان مجتهدا متاولا فيما
انكروه عليه وما هذه الا زلة عظيمة لا تليق بمن كان مؤمنا
صحابيا و روى البيهقي عن انس رضي الله عنه حديثا متصلا انه
صلى الله عليه وسلم سكب من فضل وضوئه السكب بمعنى الصب
والفضل وضوئه ما زاد عليه وقال شيخنا المقدسي قدس الله
روحه في كتابه الوضوء بالفتح في المصدر كما في الصحاح والضم
مصدر عن اليزيدي والفتح اولى وفي كتاب سيبويه فيما جاء على فعول
بالفتح توضأت وضوءا وتطهرت طهورا وولعت ولوعا وقبلت قبولا وقال
ابن خروف في شرحه زعموا ان الوضوء اسم الماء كالوقود ولم
يحك عمن يوثق به الوضوء بالضم قلت ولولا انه ضعيف ما ذكره
منه الجوهري والقاضي عياض وتبعه النووي وكلاهما لم يجوزاه
انتهى ما قاله شيخنا فلك هنا الفتح والضم في بير قبا بضم
القاف والمد مكان بقرب المدينة الشريفة غير مصروف
ويجوز صرفه ايضا باعتبار المكان والقصر لغة ثانية وقال
في التبصرة انه اسم اماكن ثلاثة ويليه الياء فباي واي قباشرعاته
قبا ذي والقصر لغة فيه ايضا فما نزفت البير اي انقطع
ماؤها بعد مبني على الضم اي بعدما سكب فيها فضل وضوئه صلى

الله

١٩١

الله عليه وسلم ونزفت بفتح الزاي المعجمة ويجوز كسرها فهو مبني للفاعل
ويجوز بناؤه للمفعول ايضا لانه ورد متعديا وغير متعد ومن اقتصر
على الثاني فقد قصر وتقدم ان ثلاثيه يتعدى ومزيده لازما على خلاف
القياس ككبه الله فاكب وله اخوات فصلناها مع الكلام عليها في السوانح
والمصنف قال انه صب فضل وضوئه اي بقيته ووقع في رواية انه تفل
فيها وعد هذا من كراماته وتقدم انه من معجزاته صلى الله عليه وسلم
نعني بالماء في بير المدينة وبير تبوك لانه ثمة وقع التحدي لمشاهدة
الكفار له وهنا لم يقصد التحدي كما قيل و روى ابو نعيم في دلائله
انه صلى الله عليه وسلم بزق بزاي وصاد وكلاهما بمعنى وهو مج الريق
من فيه في بير كانت في دار انس بن مالك خادمه صلى الله عليه وسلم
فلم تكن بالمدينة بير من ابارها اعذب منها اي احلى والذ من مائه
وهذا كان بين اظهر المؤمنين فلذا لم يعده معجزة كما اشرنا اليه
ومر صلى الله عليه وسلم على ماء في بعض اسفاره فسال عنه
اي عن اسمه فقيل له اسمه بيسان بموحدة مكسورة وقال
التلمساني بالفتح وهو الظاهر لموازنته لنعمان الاتي ولولاه جاز
فتحه وكسره ومثناة تحتية ساكنة وسين مهملة والف ونون
وماؤه ملح جملة حالية اي لا عذوبة فيه فلما سمع بما يوهم البؤس
ضد النعيم لم يحب صلى الله عليه وسلم مما يتشاءم به فغيره لانه كان
يحب الفال الحسن فقال بل هو نعمان بفتح النون فعلان من النعيم
والنعمة وبيسان موضعان احدهما بالشام وهو في حديث الدجال
والاخر بالحجاز وهو الذي مر به رسول الله صلى الله عليه وسلم
في غزوة ذي قرد وهو المذكور هنا فغير اسمه نعمان ماؤه فاشتراه
طلحة رضي الله عنه وتصدق به فقيل له طلحة الفياض وضبطه
الانطاكي في حواشيه هنا بضم النون والصواب ما تقدم وفي الشرح
الجديد انه بكسر النون فكانه قصد بذلك موافقة بيسان وهو
ملح الفصيح ومالح لغة ايضا لكنها غير فصيحة وليست لحنا كما قيل
لورودها في النظم والاخبار والنثر كثيرا ولولا خوف الاطالة اوردناه
وماؤه طيب هذا من جملة مقوله صلى الله عليه وسلم والاستئناف
كلامه فطاب ببركته صلى الله عليه وسلم لما غير اسمه وقال
انه طيب وروى ابن ماجه في حديث مسند انه صلى الله عليه وسلم
اتي بالبناء للمجهول اي اعطاه بعض اصحابه صلى الله عليه وسلم

وجاءته بدلو مملوء من ماء زمزم ورواه البيهقي عن وائل الحضرمي الا انه
لم يقل فيه انه من ماء زمزم فمج فيه اي النبي صلى الله عليه وسلم
ماء فيه وريقه فصار ريحه اطيب من رائحة المسك وقريب منه قصة
نافع احد القراء السبعة المذكورة في شروح الشاطبية ومن كراماته
صلى الله عليه وسلم ما رواه الطبراني عن ابي هريرة انه اعطى الحسن
والحسين لسانه الشريف اي وضعه في فمهما فمصاه اي جذبا ريقه
وشربا منه وهما يبكيان جملة حالية اي باكيين عطشا تمييز او مفعول
له لان العطش حرارة يقتضي اشتهاء ما يشرب فسكتا اي فسكن عطشهما
وتركا البكاء وكان الاحسن ان يذكر هذا مع قوله وكان يتفل في
افواه الصبيان الخ وفي حديث صحيح رواه مسلم عن جابر انه كانت لام
مالك الانصارية الصحابية وهي ام سليم بنت ملحان قيل
والصواب ان يقول ام انس بن مالك وفي الصحابة ام مالك البهزية
وليست هذه وقد يظن انها ام مالك هذه ليست ام انس وقد
قالوا انه لا يعرف اسمها وفي شرح المصابيح للتوربشتي ان ام مالك
في الصحابة اثنتان ام مالك الانصارية وام مالك البهزية وهي
صاحبة العكة انتهى عكة بتثليث العين المهملة والمشهورة
منها ضمها وهي صغيرة من جلد يوضع فيه السمن غالبا وكانها مشددة تهدي
فيها للنبي صلى الله عليه وسلم سمنا اي ترسل به على طريق الهدية
وهو بفتح السين المهملة وسكون الميم وفتحها لحن قال
الزبيدي السمن للبقر والغنم وذكر للعوني ايضا في القاموس انه
سلا الزبد ولم يقيده فامرها النبي صلى الله عليه وسلم
ان لا تعصرها الامر هنا بمعناه اللغوي لان قوله لا تعصيرها
نهي لا امر وهو باعتبار لازمه لان النهي يلزمه الامر بالكف وعلى الاول
هو مطلق الطلب والعصر الضغط للظرف ليخرج بقية ما فيه
مما تلا فيه اشارة الى انه لا ينبغي النظر لتقليل ما فيها واحتقاره وتعظيم
ما قل من نعم الله يزيده ويجعل فيه البركة ولذا قيل انه
فيه دقيقة لمن نظر بعين الحقيقة والعصر بكسر الصاد كضرب
يضرب ثم دفعها اي دفع صلى الله عليه وسلم العكة اليها اي الى
ام مالك المهدية له فاذا هي اي فاجاها نحية مملوءة بزنة المفعول
مهموز ويجوز ابدال الهمزة واوا وادغامها سمنا فاتاها بنوها
يسالونها الادم بضم الهمزة وسكون الدال المهملة وضمها

وهو

وهو جمع ادام هو ما يؤتدم به مع الخبز كالسمن والعسل واختلف الفقهاء
في اللحم هل يسمى اداما عرفا ام لا فلا يحنث في ماده وفي الحديث سيد ادام الدنيا
والاخرة اللحم وقيل الادم ما يصلح به الطعام فليس عندهم شيء
يعني من الادام فتعمد اليها اي تقصدها وتمسكها بيدها وعمد يعمد
بفتح الماضي وكسرها في المضارع ويجوز العكس كما في شرح الفصيح للبلي
فتجد فيها سمنا كما كانت فلا تنقص فكانت تقيم ادمها اي تجده قائما
اي باقيا على حاله حتى عصرته غاية للاقامة اي لما عصرته انتهت
اقامة السمن في العكة ونقص وذهبت بركته لما خالفت امره صلى
الله عليه وسلم قال النووي في شرح مسلم الحكمة في ذلك ان عصرها
ينافي التوكل والتسليم ويتضمن التدبير والاخذ بالحول والقوة فعاقبها
الله بزوال ما انعم عليها فلم يذكر هذا في المعجزات لانه لم يتحد به ولانه
حصل في بيت ام مالك وفي اسد الغابة لابن الاثير انه صلى الله عليه
وسلم امرها ان لا تعصرها ثم دفعها اليها فلما اخذتها اذا هي مملوءة فاتت
النبي صلى الله عليه وسلم وقالت يا رسول الله انزل في شيء فقال
ما ذاك يا ام مالك قالت رددت على هديتي فدعا بلالا وسأله عن ذلك
فقال والذي بعثك بالحق لقد عصرتها حتى استحييت فقال
هنيئا لك يا ام مالك هذه بركة عجل الله ثوابها ثم علمها صلى الله عليه وسلم
ان تقول دبر كل صلاة سبحان الله عشرا والحمد لله عشرا والله اكبر عشرا
وهذا صريح في ان ما ذكر بركة لا معجزة بملاحظة صلى الله عليه وسلم
كما قيل فتدبر وفي حديث رواه البيهقي انه صلى الله عليه وسلم
كان يتفل بفتح المثناة التحتية وسكون التاء المثناة الفوقية
وضم الفاء وكسرها والتفل البصاق وخصه البيهقي بيوم عاشوراء
في افواه الصبيان والافواه جمع فم باعتبار اصله لان اصله فوه
والصبيان جمع صبي والمراد بهم الصغار الذين يرضعون ولهذا
قال المراضع بزنة مساجد جمع مرضع بفتح الضاد اسم مفعول
من الرضاع وهو مص الثدي لا جمع رضيع بمعنى مرضع كما قيل
فان فعيلا لا يجمع على مفاعل وادعاء انه على خلاف القياس لا حاجة اليه
وفي بعض النسخ مراضيع بزيادة الياء وهي رواية وهو على
خلاف القياس كما قيل في جمع خاتم خواتيم الا ان ابن عصفور
قال انه شاذ وادعى بعضهم انه ضرورة لا تصح فائدة وفي الحديث
الاعمال بخواتيمها وما قيل انه تقدير هذا الكلام صبيان المراضع

بين نسخ

وهي الامهات خطا اللهم الا ان وقع له رواية صحيحة في المواضع الاضافة
ولم نجده في شي من النسخ فيجزيهم بضم المثناة التحتية وسكون الجيم
وكسر الزاي المعجمة وهمزة اي يكفيهم واهل الاصول فسروا الاجزا
بالصحة وفي المحصول وشروحه كلام في الفرق بين الاجزا والصحة
ريقه الشريف الى الليل اي فيكفيهم عن الرضاعة النهار كله ببركته
صلى الله عليه وسلم فيقوم المص منه مقام لبن الام الكثير ومن كرامته
اي من كرامته صلى الله عليه وسلم ما رواه البيهقي بركة يده فيما لمسه
اللمس قريب من المس وهو وضع اليد على الشي فقوله بيده تاكيدا
وتجويز كنظرته بعيني والبركة الزيادة المعنوية والحسية كما تقدم
وغرسه لسلمان الفارسي اي لاجله كما سياتي والغرس وضع اصول
الشجر في الارض لينمو وفي نسخة اوغرسه فهو شك من الراوي وسلمان
هو ابو عبد الله الفارسي مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
من قرية يقال لها جي من قرى اصبهان او رام هرمز ولم يتخلف عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما اعتقه وكان من علما الصحابة
وزهادهم المعمرين وكان رضي الله عنه يعمل الخوص وياكل منه
مع ان عطاه من بيت المال خمسة الاف كل سنة وكان اذا اخذها
تصدق بها قال النووي رحمه الله اتفقوا على انه عاش مائتين
وخمسين سنة وقيل ثلثمائة وخمسين سنة وتوفي بالمداين ودفن
بها سنة خمس او ست وثلاثين وقد قال صلى الله عليه وسلم
ان الجنة لتشتاق له وكان مولاه قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
منه وقصته مشهورة حين كاتبه مواليه من اليهود وهذا ينافي ما قاله
البرهان انه صلى الله عليه وسلم اشتراه وجمع الموالي ولم يكن له الا
مولى واحد تجوزا وقد قيل انه على ظاهره لانه ورد انه اشتراه
من قوم من اليهود وفيه نظر والمولى هنا هو السيد وهو مشترك
بينه وبين العبد وله معان اخر والكتابة معلومة مفصلة في كتب
اللغة على ثلاثمائة ودية بفتح الواو وكسر الدال المهملة وياء مثناة
تحتية مشددة قبل الهاء هي صغار النخل فعلقت لهم كلها تعلق
بفتح التا الفوقية وسكون العين المهملة وفتح اللام ثم قاف
اي ثبتت بعد غرسها وتم غراسها من علقت المراة اذا حبلت وقال
بعض الشراح تو كل محوها من علق يعلق كعلم يعلم وقيل
نذكره وضم لامه لينكتب فهو متداخل من بابين والمراد الاكل هنا وهو

الظاهر وجملة كلها تعلق بدل مما قبله وقوله وتطعم اي يوجد فيها ما يوكل
من ثمرها يريد ان المراد مما قبله تدركه والا جاز ان يكون عطف تفسير وهو
بوزن تكرم وعلى اربعين اوقية بضم الهمزة وتشديد اليا فيقال وقية
ايضا بفتح الواو وقال السعد في شرح الكشاف الاوقية افعولة فاصلها
اوقوية فاعلت او فعلية من الاوق وهو الثقل والمراد اربعون درهما
كما في كتب اللغة وعند الاطبا وهو المتعارف الان انها عشرة دراهم
وخمسة اسباع درهم وقال الزمخشري انها اثنان واربعون
درهما انتهى وقيل انها سبعة مثاقيل من ذهب بيان
للاوقية وانها ليست من فضة ولفظ الوقية وقع في حديث رواه الشيخان
فقول بعضهم انها عامية كما في النهاية لا وجه له اللهم الا ان يريد
انها المشهورة بين العوام فلا ينافي تصحيح اهل اللغة كما في القاموس
وغيره والنش بفتح النون وتشديد الشين المعجمة عشرون
درهما فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من مجلسه الى نخله
عين لغراسها وغرسها له بيده الشريفة تبركا الا واحدة
منها غرسها غيره قيل هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه
كما رواه ابن عبد البر وقيل انه سلمان ووفق بينهما بانهما غرسا
معا وان كل واحد منهما غرس واحدة فاخذت كلها بمعنى انها
طلعت وادركت وهو مجاز كانها اخذت من الارض ما قامت به
ونبتت كما يدل عليه قوله عليه السلام الا تلك الواحدة التي غرسها غيره فقلعها
من محلها فردها اي اعادها الى محلها فاخذت اي نبتت
وادركت ببركة يده الشريفة وثبتت وهو من معجزاته صلى الله عليه
وسلم الباهرة وقوله الا واحدة يدل على بطلان التوفيق
بانهما غرس كل واحد منهما ودية وفي بعض السير انه صلى الله عليه وسلم
غرسها كلها من غير ذكر الواحدة فينبغي ان يحمل على القصة
اجمالا فانه غرس تلك الواحدة بعد ذلك فلا منافاة بينهما وفي كتاب
البزار بموحدة وزاي معجمة والف وراء مهملة نسبة لعمل بزر
الكتان تيا عند البغداديين وهو الحافظ المشهور فاطعم
النخل اي اثمر ذلك النخل الذي غرسه صلى الله عليه وسلم بيده
الشريفة من عامه اي في سنته التي غرسها فيها وفي انتهائه
الا الواحدة فقلعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرسها
فاطعمت من عامها واضافة العام لها حقيقة لوقوع الغراس

بيه واعطاه اي اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمان مما كوتب عليه
مثل بيضة الدجاجة اي قدر حجمها لا وزنا كما قيل من ذهب
جاء من المغانم فقلبها ادارها على لسانه الشريف لتحصل فيها بركته
ولا حاجة الى ان يقال انه دعا بالبركة فيها ولم يسمع فانه لا يقال
مثله بالرأي فوزن سلمان رضي الله عنه منها لهم اوقية اي
لمن كاتبه كاملا اربعين اوقية وبقي عنده مثل ما اعطاهم وهي اربعون
اخرى وكانت في رأي العين دون ما كوتب عليه من الذهب
لكنها زادت وزنا ورجحت ببركته صلى الله عليه وسلم وهو من نحو الاعجاز
قيل يجوز ان يكون فاعل وزن النبي صلى الله عليه وسلم وكذا بقي
وبقي بكسر القاف المخففة ويجوز فتحها مشددة وقصة سلمان
رضي الله عنه طويلة مفصلة في السير وحاصلها انه كان
مجوسيا وهو من قرية بفارس كان ابوه دهقانها وهو ممن يعبد النار فمر
سلمان برهبان في كنيسة يصلون ويتعبدون فاعجبه امرهم وقال
هذا خير من ديننا فلما اخبر اباه بذلك نقم عليه وقيده مخافة
ان يتبعهم فارسل سلمان اليهم يقول اذا كان عندكم من يذهب
الى الشام اخبروني به وكانوا قالوا ان ديننا هذا بالشام فاخبروه
فكسر قيده وذهب معهم وجاء الى الشام ودخل كنيسة فيها
قسيس يتعبد بها فاستمر عنده الى ان مات ثم ذهب
لاخر بعمورية ثم لاخر بالموصل ومكث عنده حتى حضر واشرف
على الموت فقال له الى من ما افعل قال ان ديننا هذا قديم وقد
قارب نبي على الحنيفية يظهر بارض النخل فسأله عن علامته
فقال خاتم النبوة ولا ياكل الصدقة ويأكل من الهدية فمر به
قوم من كلب وكان له بقرات وغنيمات اكتسبها من عمله
فاعطاها لهم على ان يحملوه الى ارض العرب فغدروا به واسروه
وباعوه من يهودي وقيل ابتاعته امرأة والاصح الاول
فكان يخدمه حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
فبينما هو على نخلة من النخيل وسيده الذي اشتراه منهم تحتها
اذا برجل غريب جاء الى سيده المذكور وقال هل سمعت
ما تقول الانصار قدم عليهم رجل من مكة وهو معهم بقبا الان
فلما سمع مقالته عراه ما يشبه الحمى ونزل يسأل الرجل عما قاله
فنهره سيده فاصمت مقالته ثم ذهب اليه صلى الله عليه وسلم بتمرات

ويجي

من نخل سيده فاكلها فلما رأى العلامات المذكورة وجاء كما بينهم على ما
ذكره المصنف فان قلت تقدم في الحديث انه مولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال سلمان منا اهل البيت فكيف يكون هذا وهو
مكاتب وكيف الاكل صلى الله عليه وسلم مما اتى به والعبد لا يملك شيئا
قلت اجيب عنه بوجوه منها انه روي انه صلى الله عليه
وسلم اشتراه منه بما ذكر وعلى هذا فلا اشكال ومنها انه علم
انه لم يملكه الذين كاتبوه انما باعوه ظلما وغصبا ولو علم فهو مولاه لا
مولى من كاتبه صلى الله عليه وسلم ما اهداه له لانه اجيز له
اذن له سيده في دفعه لمن يريد وفي حديث حنش بفتح
الحاء المهملة والنون وشين معجمة ابن عقيل بفتح العين
وكسر القاف وقيل مصغرا وهو صحابي ترجمته في الاستيعاب
وغيره وهذا الحديث رواه بطوله قاسم بن ثابت في الدلائل
عن المسور بن مخرمة سقاني رسول الله صلى الله عليه وسلم
شربة من سويق بالسين وقد تبدل صادا وهو قمح يقلى ويطحن
ثم يجعل في ماء ونحوه من المائعات ويشرب فهو طعام وشراب وشربة
بفتح الشين المرة من المشروب وقيل بضم الشين كما قيل فهو
مفعول به لا مفعول مطلق كما قيل شرب صلى الله عليه وسلم
اولها وشربت اخرها يعني انه صلى الله عليه وسلم شرب منها اولا
لتحصل البركة فيها ثم ناولها لي فشربت بقيته فما برحت
اي لم ازل بعدما شربت سؤره اجد شبعها اي حصل عندي الشبع بزنة
العنب وهو معروف اذا جعت اي اذا جاءتني الجوع والحاجة
الى الطعام وريها بكسر الراء وهو ما يحصل في الجوف من الماء ونحوه يغني
عن الماء اذا عطشت اي جاءتني الحاجة الى الشرب ونحوه
والضمير للشربة وبردها اذا ظمئت بزنة علمت بهمزة
بعد الميم ويجوز ابدالها وهو من الظما وهو العطش فغاير بينهما في
العبارة تفننا اي لم يفارقني بعد شربها الشبع والري ببركة سؤره
صلى الله عليه وسلم وفي حديث صحيح رواه احمد في مسنده عن ابي
سعيد انه صلى الله عليه وسلم اعطى قتادة بن النعمان ابا زيد ويكنى
ابا عمر وهو صحابي مشهور توفي سنة ثلاث وعشرين وصلى عليه عمر
رضي الله عنه وهو الذي ردت عينه كما تقدم وهو من الانصار
وصلى معه العشا جملة حالية بتقدير قد اي وقد صلى مع رسول الله

عليه وسلم العشا في ليلة مظلمة مطيرة اي ذات ظلمة من ظلمة
الليل والسحاب المطبق بالمطر وهو متعلق باعطى عرجونا بضم العين
وسكون الرا المهملتين وضم الجيم كعنقود ويكسر ويفتح كفردوس وبهما
قرئ وهو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف وقيل وزنه
فعلول والنون اصلية وبه ذهب صاحب القاموس والصحيح الاول
وقال صلى الله عليه وسلم لقتادة انطلق به اي خذ العرجون واذهب
به لمنزلك فانه سيضيء من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا
اي مقدار عشرة اذرع في طريقك حتى تبصرها وليست العشرة
من الاشارة كما قيل فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا وهو ضد
البياض والمراد جسم اسود والسواد يطلق على الجثة والشبح وفي توقيق
عرجه الايات للبادري انه كان هيئة قنفذ فاذا رايته فاضربه حتى
يخرج من البيت فانه اي السواد المرئي الشيطان تصور بهذه
الصورة فانطلق قتادة فاضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد
السواد فضربه حتى خرج من بيته كما اخبر به صلى الله عليه وسلم
قيل ما ذكره المصنف رحمه الله رواية بالمعنى فان لفظ الحديث
كما رواه ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج ذات
ليلة لصلاة العشا وهاجت السماء الظلمة وبرقت فراى
رسول الله صلى الله عليه وسلم قتادة فقال له نعم يا رسول الله
علمت ان شاهد الصلاة قليل فاحببت ان اشهدها فقال
له اذا انصرفت فاتني فلما انصرف اعطاه عرجونا وقال خذه فسيضيء
امامك عشرا وخلفك عشرا الحديث ويفهم جا متعديا فعشرا
مفعوله والا فهو منصوب على الظرفية والشيطان المراد به
واحد من الجن المردة او ابليس بعينه ومنها اي من كراماته
صلى الله عليه وسلم في قلب الاعيان ما رواه البيهقي في حديث
مسند وهو دفعه لعكاشة ابن محصن الصحابي المشهور وهو بضم
العين وتخفيف الكاف وتشديدها وشين معجمة علم منقول
والاصل العنكبوت او بيته وهذه القصة نقلت وهو
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم والدفع اصل معناه
الازاحة باليد والمنع ويطلق على الاعطا والتسليم كما يقال
دفع له المال جذل حطب بجيم مكسورة وذال معجمة ساكنة
ولام وقد تفتح جيمه وهو عود غليظ اذا اصل من اصول الشجر ومنه

المثل انا جذيلها المحكك وهو عود ينصب لتحتك به الابل الجربى
فاستعير لمن يرجع لرايه ويستشفى بصائب رايه في المهمات والخطب ما يلبس
من اغصان الشجر وهو معروف وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله
عليه وسلم سبقك بها عكاشة وقد كان قال يدخل الجنة سبعون الفا
بغير حساب وهم الذين لا يرقون ولا يسترقون فقال عكاشة ادع الله
ان يجعلني منهم فقال جعلك الله منهم ثم قام اخر فقال مثل ما قال
فقال له صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة قال ابن عبد البر الثاني
كان من المنافقين ورده السهيلي بانه ورد في رواية فقام رجل من خيار
المهاجرين ولا تنافي وانما قال له الثالث ولعل الساعة الاولى كانت
ساعة اجابة انقضت او لانه عرف صلى الله عليه وسلم انه لو دعا له استرسل
الامر وطال وعم سائر الناس وهو مما يكتم وذلك ضربه حين
انكسر سيفه يوم بدر اي في وقعة بدر كما مر في الطلاق اليوم على
مثله فعاد في يده اي صار لا انه عاد لكونه بمعنى رجع ولكنه ما اشبا هنا
ويعنى صار كما نقل في محله سيفا صارما اي قاطعا ومنه الصرم
وهو المجرد والقطيعة طويل القامة اي طويلا مستقيما ابيض
اللون شديد المتن اي قوي الجرم صلبا من المتانة وهي القوة ولذا
سمي الظهر متنا لقوته واشتداد الاعضا وقوامها به فقاتل به ببدر حتى
انقضت ثم لم يزل السيف عنده اي في ملكه وتصرفه والعند
للحضرة لترد لمعان احوتها هذا استشهد اي حضر به المواقف
اي فقال الكفرة الي ان استشهد في قتال اهل الردة واستشهد
بمعنى صار شهيدا وقيل معناه طلب الله منه الشهادة وذلك
في خلافة ابي بكر رضي الله عنه وهو مشهور وقوله الي ان
استشهد كناية لبقائه في يده بلا انتهاء لفقده عند اهل بعده
كما توهم وكان هذا السيف يقال له العون سمي بهذا المصدر مبالغة
لاعانته على الاعدا اذ كان من عادة العرب واهل النجدة الاول
انهم يسمون الات حروبهم ويخيولهم باسما كالاناسي ودفعه مقدر مرفوع
مبتدا خبره مقدر اي من كراماته صلى الله عليه وسلم دفعه
او هو معطوف على دفعه السابق بلا تقدير وهو الاولى لعبد الرحمن
ابن جحش يوم احد اي في وقعة احد المشهورة وهو ابن عمته
صلى الله عليه وسلم اميمة بنت عبد المطلب وهو من المهاجرين
بالهجرتين ويسمى المجدع لانه استشهد باحد ومثل به فقطع انفه واذنيه

عوضي
عوضي

لانه طلبه ذلك من الله وقصته مشهورة في السير ورواها البيهقي
مسندة وقد ذهب سيفه جملة حالية او معترضة فاعطاه
صلى الله عليه وسلم عسيب نخل عسيب بوزن كريم بعين وسين
مهملتين ومثناة ساكنة وباء موحدة فنخل وهي جريدة النخل
لا خوص عليها والصواب ما في الصحاح من انه من السعف ما فوق
الكرب لم ينبت عليه خوص كعسيب الذنب فرجع اي صار
العسيب وهو اخذ معنى الرجوع ويكون لازما ومتعديا سيفا
مفعوله جمع قال ابن عبد البر في الاستيعاب انقطع سيف عبد الله
ابن جحش يوم احد فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم احد عرجون نخلة فصار في يده سيفا فقاتل به فانه
كان منه يقال الى ان بيع من بغا التركي بمائتي دينار وكذا ذكره ابن
سيد الناس وغيره وهذه الرواية تدل على ان العسيب اصل
العرجون لا الجريد كما قيل فهذا اعظم من معجزة موسى
عليه الصلاة والسلام في عصاه لانها بقيت بعده صلى الله عليه
وسلم وعصا موسى لم تبق بعد موته وقد وقعت مرارا في عصي
متعددة وتلك عصاة واحدة وفي سيرة ابن سيد الناس مثله
لسلمة بن اسلم يوم بدر ومنه اي ومن هذا النوع من الكرامات
والبركات بركته صلى الله عليه وسلم في در والشاة
درور بدا الدر ابن مهملات مصدر در الشاة ونحوها درورا سال
لبنها من ضرعها بكثرة والدر اللبن ومنه لله دره ثم شاع في معنى
الخير والنفع والشاة من الغنم واصلها شوهة فاعلت
وتطلق على ما يشمل المعز مجازا والشياه بن تره حال جمع شاة
الحوايل جمع حايل وهي التي تحمل مطلقا او ما حمل عليها
فلم تحمل وقيل ايضا ما لم تحمل سنة او سنتين وقيل ايضا
جمع حول جمع حايل جمع الجمع ووصفها بذلك لانها ابعد من الدر
باللبن الكثير ذكره للايضاح والتاكيد والا فالدر
مطلق الخروج على طريق التجريد والمجاز المرسل كقصة
شاة ام معبد عاتكة بنت خالد الخزاعي اخت حبيش الصحابي
المعروف بالاشعر وابو معبد اسلم ومات في حياة النبي صلى الله
عليه وسلم وله رواية وقال السهيلي انه لا يعرف اسمه
وقيل اسمه حبيش وقيل اكتم بن ابي الجون ومنزلها بقديد

عرضي

١٩٦

وقصة ام معبد مشهورة وتقدمت الاشارة اليها وافردها الحافظ
العلائي بالتاليف وملخصها ان النبي صلى الله عليه وسلم مر على
خبائها وهو مهاجر للمدينة فنزل عندها وطلب منها زادا
فقالت ما عندي غير شاة عجفا لا لبن فيها فمسح صلى الله عليه وسلم
ضرعها فدرت ما كفاه ومن معه وبقي في الاناء بقية فلما جاء زوجها
اخبرته بخبره وصفته فعرفه ثم قدمت عليه المدينة
بولد صغير لها واسلمت كما بيناه سابقا وتفصيله في السيرة
وشروحها وهو مشهور فلا حاجة لذكره هنا ومنها قصة اعنز جمع عنز
معاوية بن ثور بالمثلثة بن عبادة بكسر العين ابن البكاء الوحشي
وقصته رواها ابن سعد وابن شاهين عن الجعد بن عبد الله وفي
نسخة الحرقي انه معونة بعين مضمومة ونون مفتوحة ولم يذكره الحافظ
الحلبي ونقل خلافه عن الذهبي وكان وفد على النبي صلى الله عليه وسلم
وهو شيخ كبير ومعه ولده بشر ومعه الصحيح ابن البكا والاصم
ابن كعب فقال يا نبي الله بابي انت وامي امسح على وجه ابني فمسح عليه
واعطاه اعنزا سبعا ودعا لها بالبركة قال الجعد وكانت
السنة ذات قحط وغلا اصابه بني البكا فما اصابتهم بركته صلى الله
عليه وسلم دعته الاعنز وكتب لهم كتابا هو عند بني بشر
المذكور وفيه الاعنز وفي ذلك يقول بشره
رضي الله عنه

وانا الذي مسح الرسول براسه ۞ ودعا له بالخير والبركات

وشاة انس وقصتها كقصة شاة ام معبد الا ان الشراح لم يذكروها
ولم يذكرها السيوطي في تخريجه ايضا لعدم الوقوف عليها وغنم
حليمة مرضعته صلى الله عليه وسلم اي قصة غنمها التي
رواها ابو يعلى والطبراني وغيرهما بسند حسن لما حملته صلى
الله عليه وسلم لترضعه في سنة كان فيها قحط اصاب ارض
قومها وقل النبات فيها فكان غنمها تاتي من المرعى وقد رعت كثيرا
ودر لبنها وغنم قومها تاتي عجافا جائفة الضروع يتعجبون منها وما ذاك
الا ببركته صلى الله عليه وسلم ويمن قدمه وحليمة بنت عبد الله
ابن الحارث السعدية وزوجها الحارث بن عبد العزى
وقد اسلمت هي وزوجها واولادها كما تقدم ومرضعته بالجر
بدل من حليمة وشارفها بالجر عطف على غنم والشارف الناقة

المسنة المهزولة وسخل الجفا تشمل الذكر والانثى والمعز والمراد ه
الاول وكانت خرجت من بلدها مع زوجها وابن رضيع لها ومعهم
شارف ليس في ضرعها قطرة لبن فكانوا لا ينامون من الجوع فلما اخذ
النبي صلى الله عليه وسلم لترضعه قام زوجها فوجدها رافه حافلة
بالدر فحلب منها ما شربوا كلهم وشبعوا وباتوا بخير ليلة فقال
لحليمة انك نسمة مباركة فقالت الا والله ارجو بركته الى اخر القصة
وشاة عبد الله بن مسعود التي روى قصتها البيهقي وابن مسعود
رضي الله عنه من كبار المهاجرين السابقين وترجمته تقدمت
وكان وهو صغير يرعى غنما لعقبة بن ابي معيط فمر عليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضي الله عنه فقال له هل عندك
لبن قال نعم لكني مؤتمن فقال له ايتني بشاة لم ينز عليها الفحل فاتيته
بجذعة فاعتقلها ومسح ضرعها ودعا الله واتاه ابو بكر بصحفة
فحلب فيها وقال لابي بكر اشرب ثم قال للضرع اقلص فعاد كما كان
وكان هذا سبب اسلامه وكانت لم ينز عليها فحل نزا الذكر على الانثى اذا
علاها لينكحها وانزاه غيره وهو مخصوص بالبهائم والسباع والفحل
الذكر فيصح في ينز ان يكون بفتح اليا التحتية وضم الزاي المعجمة مبني
للفاعل ويصح ضم اوله وفتح اخره بالبنا للمجهول وهو مبالغة
في عدم اللبن بنفي اللازم البعيد لانه اذا نزا عليها حملت ثم ولدت
ثم يدر لبنها وشاة المقداد بالجرابة قصتها التي رواها مسلم والبيهقي
وهو ابن عمرو لا الاسود وان اشتهر به كما ياتي ابن عبد يغوث
الصحابي المشهور وقصته انه قال كنت انا وصاحبان لي قد بلغ
منا الجهد فعرضنا انفسنا على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلم يقبلنا احد فاتينا النبي صلى الله عليه وسلم فانطلق بنا الى اهله
فاذا ثلاث اعنز فقال احتلبوا هذا اللبن بيننا فكنا نحتلب
فيشرب كل بنصيبه ونرفع للنبي صلى الله عليه وسلم نصيبه
فيجي من الليل فيشربه فوقع في نفسي ذات ليلة انه صلى الله عليه
وسلم ياتيه الانصار لحاجتهم لهذه الجرعة فشربتها ثم ندمت
خشية انه اذا لم يجدها يدعو علي فاهلك فلم انم وقد نام ه
صاحباي فجا صلى الله عليه وسلم كعادته ليكشف الانا فلم يجد شيا
ووقع بصره الى السما فقلت الان يدعو علي فقال اللهم اطعم من ه
اطعمني واسق من سقاني فاخذت الشفرة وانطلقت الى الاعنز

لا ذبح ما سمن منها فاذا هن حفل كلها فحلبت انا حتى علته رغوته وجيت
اليه صلى الله عليه وسلم به فشرب ثم ناولني فلما علمت انه روي واصبت
دعوته ضحكت حتى استلقيت فقال صلى الله عليه وسلم احدى سواتك ه
يا مقداد يعني انك فعلت سوءة فما هي فقلت يا رسول الله كان مني كذا وكذا
فقال ما هذه الا رحمة من الله لو كنت ايقظت صاحبيك فاصابا منها فقلت
والذي بعثك بالحق ما ابالي اذا اصبتها واصبت فضلك من اخطاه من ه
الناس ومن ذلك اي من كراماته وبركاته صلى الله عليه وسلم كما رواه ابن
سعد عن سالم بن ابي الجعد مرسلا تزويده اصحابه اي اعطاهم ه
ما يتزودونه اي يكون زادا والزاد يشمل الما والطعام والمراد الاول
لقوله سقاما السقا ككسا جلد كالقربة يوضع فيه الما واللبن ه
ونحوه وضمن تزويد معنى اعطا ولذا نصبه السقا وهو على النسخ
وقوله سقا ما المراد به سقا فيه ما كما يشهد له ما بعده بعد ان
اوكاه اي شده بالوكا وهو ما يربط القربة ونحوها ودعا فيه
اي دعا في شانه وامره وبسببه وبعد متعلق بتزويد فلما حضرتهم
الصلاة اي دخل وقتها حتى كانها جاتهم وهذا يقتضي انه كان ما يصلح
للوضوء نزلوا فحلوه اي حلوا وكاه ليستعملوا ماه فاذا هو لبن حليب
اي فاجاهم كونه لبنا خالصا بعدما كان ماء وهذا من قلب
الاعيان ببركته صلى الله عليه وسلم وزبده بتاليف حدة او ه
بالاضافة لضمير اللبن او للسقا باديا في كلا نسخته في فمه اي في فم السقا
والزبد دليل على خلوص لبنه وجودته وانما اوكاه لئلا يتوهم ان اللبن
وضع فيه ويبدل لمن لم يكن معه وفي نسخة نزلا فحلاه بضمير التثنية
لرجلين كان السقا معهما وهذا الحديث من رواية حماد بن
سلمة بن دينار الامام ابو سلمة احد الاعلام وله ترجمة ه
في الميزان كما تقدم وذكر انه ممن رواه عليه لان المعاد من اسلوبه
في تحريره قبل بيان انشاء هذا الحديث حيث رواه مثل هذا الامام
الثقة العابد الزاهد الذي كان مجاب الدعوة معدود من الابدال
ومسلم ممن اخذه ودعنه والمغاربة والمصنف من اجلهم ه
بيشوه ان مسلم فلا يعتمد ولا يعتبر عنه وقال ان البخاري
لم يرو عنه الا على طريق الاستشهاد وخلنا من قلة الانصاف وسلمة
بفتحتين كما مر ومسح على راس عمير بن سعد اي امر صلى الله عليه
وسلم يده على راسه قال الحافظ البرهان الحلبي كذا في نسخ منه ه

الكتاب وفي بعضها عمرو بن سعد بلا تصغير وهو ابو كبشة الانماري
الصحابي وعمير من الصحابة ايضا ولا اعرف من جرت له هذه القصة
منهما وقال السيوطي ان الذي رواه الزبير بن بكار في اخبار المدينة
عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد انه عبادة لا عمير ولعل ذلك واتفقا
وفي نسخة التلمساني عمير بن سعيد وقال انه ابو يحيى النخعي الكوفي
مات سنة خمس عشرة ومائة ودبرك بالتشديد اي دعا له صلى الله عليه
وسلم بالبركة في عمره وصحته فمات وهو ابن ثمانين اي وقد بلغ سنة
الثمانين فجعله ابنها مجازا ومثله مشهور يجعلون الدهر كالاب والام كما
يقال ابن الليالي حاني قال

فمحضت للمولود يوم ... اي دهرها حاملة تمام

فما شاب اي ببركة مس يده الشريفة لم يشب رأسه وشعره ولم يهرم
فنفي الهرم بنفي الشيب لانه من لوازمه وروي للبنا للمجهول تاء تبع
فاعله مثل هذه القصص من بركاته صلى الله عليه وسلم عن غير واحد
اي عن كثير بنفي الوحدة كناية عن الكثرة منهم السائب ابن يزيد بن
سعيد بن ثمامة بن الاسود ومدلوك بفتح الميم وسكون الدال
المهملة وضم اللام وواو تليها كاف وهو ابو سفيان الفزاري له
وفادة على رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلم مع مواليه وعلق
البخاري حديثه في غير الصحيح وذكر ابن حبان فقال مدلوك
ابو سفيان كان يسكن الشام واتى النبي صلى الله عليه وسلم فمسح براسه
فكان ما مسّت يداه اسود وما سواه ابيض انتهى وفيه تفصيل
عدم الشيب وان كان الشيب وقارا الا انه مدحه لدلالته على الصحة
كامر ولكل شيء جهة مدح وجهة ذم وقد افرد ذلك الثعالبي في
كتاب سماه مدح الشيء وذمه وروى الطبراني والبيهقي انه كان يوجد
لعتبة بن فرقد اي كان موجودا عنده والمضارع لحكاية الحال
الماضية وهو ابو عبد الله عتبة بن فرقد بن يربوع السلمي الصحابي
شهد خيبر وابتنى بالموصل دارا ومسجدا وابنه عمرو يعد من الاولياء
وسكن عتبة الكوفة ويقال لاولاده الفراقدة وفي الموصل طيب
نائب فاعل يوجد والمراد بالطيب الرائحة الطيبة وفسر انه تعدي
مضافا اي رائحة طيبة تشم من جسده ويفوح في مجلسه يغلب
طيب نسائه اصل معنى الغلبة القهر والاستيلاء فاستعير
للزيادة والقوة كما ورد غلبت رحمتي غضبي وروي سبقت فالمراد

ان رائحته تزيد على رائحة غيره حتى لا يظهر عنده فانه روي كما في الدلائل وغيره
والاستيعاب عن زوجته ام عاصم انها قالت كنا عنده ثلاث نسوة ما
منا واحدة الا وهي تجتهد في الطيب لتكون اطيب ريحا من صاحبتها
وعتبة لا يمس طيبا فكان اطيب منا ريحا فقلت له في ذلك فقال
اصابني الشرى على عهده صلى الله عليه وسلم فاقعدني بين يديه وتجردت
من ثيابي فتفل في كفه ودلك الاخرى ثم امرّها على ظهري وبطني فعبق
بي ما ترون والى هذا اشار بقوله لانه رسول الله صلى الله عليه وسلم
مسح على بطنه وظهره وهو متعلق بتعليل لقوله يغلبه وسلت
الدم عن وجه عائذ بن عمرو اي مسح صلى الله عليه وسلم وجهه
بيده متكيا عليه حتى اخرج ما عليه من الدم وهذا معنى السلت
ويختص باخراج المائع والرطب الملتصق بشيء اخر فقال سلت القصعة
اذا اخرجت ما بقي على جوانبها لتنظف كما في صحاح الجوهري وهو معنى معروف
فلا وجه لما قيل انه من سلت الدم قطعه وعائذ بعين مهملة
وذال معجمة اسم فاعل من العوذ سمي به وهو عائذ بن عمرو بن هلال
المزني من اصحاب الشجرة وهو من له رحبته هذا رواه عن الطبراني
وكان عائذ جرح يوم حنين اي في وقعته التي وقعت مع هوازن سنة
ثمان من الهجرة كما فصّل في السير وحنين اسم موضع قريب من الطائف
بينه وبين مكة ثلاثة اميال سمي باسم حنين بن مهلائيل لنزوله به وجملة
وكان الخ حالية ودعا له لجهاده في سبيل الله فكانت له غرة بيضاء
منيرة كغرة الفرس من اثر يده الشريفة لما مسح وجهه والغرة
بياض منتشر طولا وعرضا في وجهه فان قلت سميت
غرة وليس فيه مثله كما توهم فانه كبياض يد موسى عليه الصلاة والسلام
والفرق بينه وبين البرص ظاهر وفي نسخة ولا كغرة الفرس اي هو
لا تشبه غرته لما فيه من النور وليس كالوضح في البدن وذكر ابن الحلبي
انه صلى الله عليه وسلم مسح على راس قيس ابن زيد وهو صحابي له وفادة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان سيد قومه وفي بعض النسخ
يزيد بيائين اوله وابوه يسمى عامرا الجذامي نسبة لجذام كغراب
قبيلة مشهورة ودعا له صلى الله عليه وسلم بانه بقاء صحته وعافيته
فهلك اي مات فالهلاك الموت بمعنى وقد يخص الهلاك بموت
بموته غير مرضية لكنه ليس معنى وضعيا وهو ابن مائة سنة وراسه
ابيض لشيبه وموضع كف النبي صلى الله عليه وسلم وما مرت عليه

بيده اسود لم يشب ببركته صلى الله عليه وسلم وكان يدعى الاعز اي
كان يسمى بالاعز لما في وجهه من النور فيقول دعوت ابني محمدا اذا استثنيه
به وروي بالبنا للمجهول والذي رواه البيهقي مثل هذه الحكاية
لعمرو بن ثعلبة الجهني في مسحه صلى الله عليه وسلم براسه وبقيا
اثره في وجهه وموته كما كانت مات قيس على احسن حالة وثعلبة
هو وهب بن عدي بن مالك البخاري الزهري والجهني منسوب
لجهينة وهي قبيلة مشهورة وقصته كما في دلايل البيهقي انه
قال لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيالة فاسلمت
ومسح على وجهي فمات عمرو وقد اتت عليه مائة سنة وما شاب
منه شعرة مستها يد رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجهه
وراسه والسيالة بوزن سحابة وسين مهملة ولام موضع قريب
من المدينة ومسح صلى الله عليه وسلم على وجه اخر قال
لا اعرفه وقيل لعله خزيمة بن سواد بن الحارث لانه روي
انه مسح على وجهه فصارت له غرة بيضا وقيل لعله طلحة
ابن ام سليم فانه روي انه صلى الله عليه وسلم مسح ناصيته فكان
كغرة فما زال على وجهه من اثار انواره صلى الله عليه وسلم ومسح
صلى الله عليه وسلم وجه قتادة بن ملحان بكسر الميم ويجوز فيه الضم
وعد منه وقتادة هذا صحابي له رواية وترجمته فكان له بريق اي لمعان
وصفا نشوة من اثر نور يده الشريفة عليه حتى كان ينظر
بالبنا للمجهول في وجهه اي يقابل وجهه بوجهه ليرى الناظر
صورة وجهه فيه لشدة صفا بشرته كما ينظر في المراة بكسر الميم
اسم الة من الروية معروفة والظاهر انه مبالغة في صفايه وحسنه
وليس المراد حقيقته ووضع صلى الله عليه وسلم يده على
راس حنظلة في حديث رواه البيهقي بطوله مسندا ابن خديم
قال ابن ماكولا هو بكسر الحا المهملة وسكون الذال المعجمة
وفتح المثناة التحتية وميم وقال ان حنيفة جد ابي حنظلة
له صحبة وكذا قال الذهبي في المشتبه والتجريد حذيم بن حنيفة
ابن حذيم الحنفي والد حنظلة فيما قيل صحبة وكذا بنوه وابنه صحبة
وفيه خلاف انتهى فعلم منه انهم اربعة لهم صحبة وقد قال ابا
الجوزي لا نعلم اربعة ادركوه صلى الله عليه وسلم الا ابا قحافة وابنه
ابا بكر وابنه عبد الرحمن وابنه محمد ويكنى ابا عتيق انتهى والصحيح

ان عتيق تابعي وجزم عليه الذهبي في تجريده ولو قالوا عبد الله بن
الزبير وامه اسما وابوها ابو بكر وابوه ابو قحافة كان صوابا فانه
لا خلاف في صحبتهم فحصل من مجموعه ثلاثة اشخاص ولهم رابع
ذكره العراقي في حاشيته العينية وحنظلة مالكي وقيل
حنفي وقيل سعدي هذا احصل ما قاله البرهان وبرك عليه
بالتشديد اي دعا له بالبركة وقال بارك الله فيك فكان يؤتى
بصيغة المجهول اي ياتيه الناس بالرجل بعريفه للعهد الذهني
المساوي للنكرة قد ورم وجهه جملة حالية اي اصابه
مرض ورم منه وجهه والشاة بالجر من المعز والضان قد ورم
ضرعها وهو كالثدي للانسان وهو معروف فيضع محل الورم
من الوجه والضرع على موضع كف النبي صلى الله عليه وسلم
الذي مسه به فيذهب الورم الذي كان اصابه وروي ابن عبد
البر في الاستيعاب انه صلى الله عليه وسلم نضح في وجه زينب
بنت ام سلمة بفتحتين علم منقول من اسم شجرة معروفة
وام سلمة هي ام المومنين وزينب بنتها ربيبة رسول الله صلى
الله عليه وسلم واخت ابي الزبير من الرضاعة ونضح بنضح من
باب ضرب يضرب بمعنى رش بالما ونحوه نضحة اي رشة من ما فما
كان يعرف في وجهه امراة اي ما كان يرى وينظر في وجه احد من
النسا او يعلم بالاخبار الخبر ما بها من الجمال اي حسن الوجه ورونقه
ما بها اي ما كان بها من ذلك ببركة الما الذي رشه صلى الله عليه وسلم
في وجهها لان ذلك الما كان مسه صلى الله عليه وسلم قال
ابن عبد البر في الاستيعاب دخلت زينب على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو يغتسل فنضح في وجهها ما فلم يزل ما الشباب
بوجهها حتى كبرت وعجزت وكانت عند عبد الله بن زمعة فولدت
له وكانت من افقه اهل زمانها واعقلهم واسم ام سلمة هند
وقيل رملة وابوها حذيفة المعروف بزاد الراكب
وزينب ولدت بارض الحبشة فقدمت بها امها وكان اسمها
برة فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب ومسحه
صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة المباركة على راس صبي
كان ذلك الصبي به عاهة اي افة ومرض والمراد انه كان اقرع
واسم هذا الصبي لا يعرف فبرا بوزنه ضرب واخره مهموز فابرا

يعني خلق بفعل اي زالت عاهته وشفي مما به واستوى شعره
اي نبت وتم وحسن من قولهم استوت الثمرة اذا كملت والشعر معروف
بفتح العين وسكونها وهذا الحديث لم يخرجه السيوطي ولا غيره من
الشراح ومثله روي في خبر المطلب بن قتادة ومسح صلى الله عليه
وسلم على غير واحد اي على كثير كما مر بيانه من الصبيان المرضى جمع
مريض والمجانين فبرؤا اي زال ما بهم من المرض والجنون قيل
هذا كله كان ينبغي ذكره في فصل ابرا المرضى وذوي العاهات واكثر فصوله
متداخلة ولكل وجهة لمن تدبر وعرف مقاصد المصنف وفي حديث
لم يخرجوه انه صلى الله عليه وسلم اتاه رجل بادرة بضم الهمزة وسكون
الدال وبالرا المهملتين وها وهو انتفاخ في الخصيتين معروف فامره ان
ينضحها اي يرش على ادرته بما من عين مج فيها اي كان صلى الله عليه وسلم
تفل وبصق فيها ففعل اي رش من ماءها على ادرته فبرا اي شفاه الله
وزال ورمه على السرعة ببركة الله بركته صلى الله عليه وسلم في الما
الذي خالطه ريقه وضمير فيها للعين اي عين الما لانها مؤنثة وفي بعض
النسخ فيه بالتذكير فالضمير للما او للعين لتاويلها به والامر فيه
سهل وتجوز في الادرة فتح الهمزة مع سكون الدال وفتحها وقد
قيل انها انتفاخ فيها او في احد جانبيها وقد يكون بلحم يزيد فيها او ريح
لما يعرض الاطبا ويتمحل تجوز في صادها الفتح والكسر وفي تعميه
الحواشي ان الرجل اسمه المهلب بن قنافة بفتح القاف والبا الموحدة
الخفيفة ولام وروي هلب بن قنافة وهلب بضم الها وسكون اللام
بزنة قفل وقنافة بضم القاف ونون مفتوحة مخففة وقال ابن
عبد البر هو الصواب اذ لم يكونا قصتاه وذكر الطبري هو المهلب
ابن يزيد بن عدي بن قنافة بن عدي بن عبد شمس بن عوف الطائي وفد
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبه فرع فمسح برأسه فنبت
شعره فسمي المهلب لذلك وفي حديث يروى عن طاوس ابن
كيسان اليماني ابو عبد الرحمن اليماني المشهور وهو من ابنا الفرس
واسمه ذكوان فلقب بطاوس لانه طاوس القرا روي عن ابن عباس وابي هريرة
وغيرهما وكان راسا في العلم والعمل توفي سنة ست او خمس ومائة
واخرج له السنة وهو ممن اتفق على زهده وعلمه حج اربعين حجة
وصلى الصبح بوضوء العتمة اربعين سنة الى غير ذلك من مناقبه وهو
من اجلا التابعين ودفن بمكة رضي الله عنه لم يوت النبي صلى الله عليه وسلم

بالبنا

بالبنا للمجهول اي لم يأته احد باحد به مس يا في تفسيره فصك في صدره بصاد
مهملة وكاف مشددة اي ضرب صدره بيده المباركة والصك مطلق الضرب
او اشده الا ذهب المس عنه ويروي بما به وهذا الحديث موقوف
على طاوس ولم يذكروا من رواه عنه والجملة حالية تأتي بالواو وقد
وبدونها به عن الجنون قال تعالى كالذي يتخبطه الشيطان من المس
لانه يقال لكل على ما ينال الانسان من الاذى كقوله مستهم البأسا والضرا
وروي احمد عن وايل ابن حجر مسندا انه صلى الله عليه وسلم مج اي صبه
من فيه في دلو فيه ما اخرج من بير ثم صب فيها اي في البير الما الذي
مج فيه ريقه ففاح منها ريح المسك الريح هنا بمعنى الرايحة
ويطلق في الاصل على نفس الهوي والمراد انه شبه في الطيب وهو اتم
منه واطيب ولكن جعل مشبها به لشهرته وفي حديث مشهور رواه
مسلم عن سلمة ابن الاكوع انه صلى الله عليه وسلم اخذ قبضة
بفتح القاف وضمها من تراب اي مل كفه من التراب يوم حنين اي
في وقعتها المشهورة في السير ورمى بها اي بترابها في وجوه الكفار
فاصابتهم جميعا وقال شاهت الوجوه جملة دعائية بمعنى قبحت
وقبحها الله فهي من الشوه والتشويه وهو القبح قيل واول
من تكلم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقع مثله في يوم بدر
كما في السير وهو شي اقدره الله عليه كما قال وما رميت
اذ رميت ولكن الله رمى فان ايصال هذا المقدار اليسير الى اعين هولا
الجم الغفير من صنع الملك القدير فانصرفوا اي الكفار حال كونهم
يمسحون القذا بفتح القاف والذال المعجمة والف مقصورة وهو
ما يقع في العين من التراب ويكون ايضا ما يقع في الما المشروب
ونحوه مما يكدره عن اعينهم اي يزيحونه ويزيلونه منها لتاذيهم به
ومنعهم من الابصار وفتح العين وهو معروف وواحده قذاة
وفي الحديث يرى احدكم القذاة في عين اخيه ويعمى عن الجذع
في عينه وهو مثل يضرب لمن يرى عيوب الناس الصغيرة ولا يرى
عيوبه الكبيرة وهو مثل تمثل به النبي صلى الله عليه وسلم ونظمه
بعض المتاخرين فقال

واعجب المرء مع علمه ... ان الليالي عمره سارقه
ينظر في عين اخيه القذا ... ولا يرى في عينه البارقه

وتوفيقه فانصرفوا بمعنى انهزموا لما وصل التراب الى اعينهم

والمس الجنون والمس باليد [illegible]

وفاك شاهت الوجوه وفيه معجزة عظيمة له صلى الله عليه وسلم وفي بعض
النسخ انه صلى الله عليه وسلم ضرب صدر جرير بن عبد الله البجلي
الصحابي وصلى الله عليه وسلم ضرب بصدره رضي الله عنه وليس هو جرير
الشاعر وخص الصدر لانه محل الرهبة والامن لانه نفس القلب
ودعا له وكان جرير ذكر له صلى الله عليه وسلم انه لا يثبت على الخيل اي
لا يقر على ظهورها لعدم فروسيته فصار جرير رضي الله عنه
من افرس العرب اي اقواهم واثبتهم على ظهورها ببركة دعائه صلى
الله عليه وسلم له فالفا فصيحة اي فدعا له فصار الخ ومسح
صلى الله عليه وسلم راس عبد الرحمن بن زيد ابن الخطاب ابن نفيل
القرشي العدوي المدني الصحابي وهو صغير وكان اتي به الى النبي صلى الله
عليه وسلم فحنكه وكان دميما بدال مهملة بمعنى حقير واما ذميم
بالمعجمة فهو بمعنى مذموم ولا يصح مرادا هنا ودعا له بالبركة اي
بالزيادة في خلقته وسائر اموره ففرع بفاء وراء وعين مهملتين
مفتوحات الناس اي جنسهم وفي نسخة الرجال بدله بمعنى زاد عليهم
طولا اي في طول قامته وتماما بان تم سائر اعضائه وكمل الله خلقته
ببركة دعائه له صلى الله عليه وسلم والى هنا انتهى ما زاد في الاصل ونقل من
خط المصنف وشكى اليه صلى الله عليه وسلم ابو هريرة الصحابي
المشهور رضي الله عنه وقد قدمنا ترجمته النسيان مصدر نسي بكسر النون
وهو ضد الحفظ والفرق بينه وبين السهو ان الثاني يتنبه صاحبه بادنى
تنبيه والفرق بينه وبين الخطا ان صدوره امر ناشئ عن غير قصد فامره
صلى الله عليه وسلم ببسط ثوبه اي بان يضعه على الارض وينشره
وغرف بيده فيه اي فعل فعلا شبيها بمن يغرف من شيء ما يضعه في اخر
وضمير فيه للثوب ثم امره بعدما غرف فيه بضمه اي ضم ثوبه على جسده
ففعل اي ضمه عليه حتى كانه صار بدنه ما غرفه له فما نسي بعد بالبناء
على الضم اي لم ينس ابو هريرة شيئا مما كان يسمعه منه صلى الله عليه وسلم
ومن غيره لما ناله من البركة قال ابو هريرة رضي الله عنه فما كان
احد احفظ مني لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم الا ابن عمر رضي الله
عنهما لتقدم اسلامه عليه ولانه كان يكتب وهذا الحديث
رواه البخاري وفيه بدل الثوب الرداء ولا مخالفة بينهما لان المراد
بالثوب الملبوس مطلقا وان خص في العرف بالمخيط عنه فما فعله
صلى الله عليه وسلم من الغرف ونحوه بجعل المعاني المعقولة بمنزلة

الامور

الامور المحسوسة فجعل الحفظ كشيء عنده اغترف منه حتى ملا رداءه
وضمه عليه حتى يحفظ به ويستره من ظاهره لباطنه وهو صلى الله
عليه وسلم كما فوض اليه التصرف في عالم الشهادة فوض اليه التصرف
في غيره وهو سر دقيق لا يوقف عليه الا بالكشف فصل
ومن ذلك اي من خصائصه صلى الله عليه وسلم وكراماته الباهرة ما اطلع
عليه هو اما مبني للمجهول من الافعال اي اطلعه الله عليه او من الافعال
مبني للفاعل بتشديد الطاء من الغيوب بغين معجمة جمع غيب المصدر على
خلاف القياس من غاب بمعنى استتر عن العين يقال غاب عني كذا ويستعمل
في كل غائب عن الحاسة وما يغيب عن الانسان بمعنى الغائب والغيب
المستتر للناس لا لله لانه لا يعزب عنه مثقال ذرة وقوله
عالم الغيب والشهادة اي ما يغيب عنكم وما تشاهدونه وقوله يؤمنون
بالغيب اي بما لا يقع تحت الحواس ولا تقتضيه بداهة العقول
وانما نعلم باخبار الرسل عليهم الصلاة والسلام وما يكون في المستقبل
وهو معطوف على الغيوب عطف الخاص على العام لان الغيب
اما باعتبار انه موجود لم يطلع على غير الله او سيوجد فهو قبل وجوده
والعلم به من المغيبات والاحاديث الواردة في هذا الباب
اي في هذا النوع من كراماته صلى الله عليه وسلم في اخباره عن
الغيب الذي اطلعه الله عليه فانه لا يظهر على غيبه احدا
الا من ارتضى من رسول بحر تتشعب ينبغ اي في كثرته
كالبحر لا يدرك قعره بالبناء للمجهول والادراك الوصول وقعره قراره
وارضه اي لا يصل احد الى نهايته ولا ينزف بمعجمة وزاي مبنيا للمفعول
او للفاعل بزنة يضرب والنزف والنزح بمعنى اي لا ينفد ويفنى غمره
بفتح الغين المعجمة وسكون الميم المعجمة قبلها المهملة وهو
الماء الكثير جدا وهذه المعجزة في اطلاعه صلى الله عليه وسلم
على الغيب من جملة معجزاته اشارة الى كثرتها في التحدث عنه
ولا حرج المعلومة للناس على طريق القطع بتحقق بحيث لا يمكن
انكارها او التردد فيها لاحد من العقلاء وقوله المعلومة على القطع
صفة للمعجزات والقطع بنوعها ومجموعها وكذا تواترها تواترا معنويا
حاصلا من مجموعها بقطع النظر عن كل فرد فرد منها لما اشتهر
فيه كتواتر جود حاتم وهذا غير التواتر المصطلح عليه فانه جار في
بعضها كالقرآن والى هذا اشار بقوله الواصل الينا خبرها

جاريا على نهج التواتر المشهور لكثرة رواتها اي رواة مجموعها واتفاق
معانيها على الاطلاع على الغيب اي الامور المغيبة وهذا لا ينافي
الآيات الدالة على انه لا يعلم الغيب الا الله وقوله ولو كنت اعلم
الغيب لاستكثرت من الخير فان المنفي علمه من غير واسطة واما
اطلاعه باعلام الله له فامر متحقق لقوله تعالى فلا يظهر على غيبه
احدا الا من ارتضى من رسول قال ابن عطاء الله في لطائف المنن اطلاع
العبد على غيب من غيوب الله بنور منه بدليل اتقوا فراسة المؤمن
فانه ينظر بنور الله لا يستغرب وهو معنى قوله كنت بصره الذي يبصر
به فمن كان الحق بصره اطلاعه على غيبه غير مستغرب وقال
بعض العارفين قوله الا من ارتضى من رسول لا ينافي قول المؤمن في
تفسيرها الا رسولا او صديقا او وليا لان زيادة تنبيه على البعض كان
السلطان اذا قال لا يدخل علي اليوم الا الوزير لا ينافي دخول اتباع
الوزير معه فكذلك الاولياء اطلعهم الله على غيبه لم تره بنور نفسه
وانما رآه بنور متبوعه لم يكلفنا الله الايمان بالغيب الا وقد فتح لنا
باب غيبه والى هذا اشار الغزالي في اماليه على الاحياء ثم قال
ويحتمل ان يكون المراد بالرسول في الآية ملك الوحي الذي بواسطته
تنكشف الغيوب فيرسله للاعلام بمشافهة او القاء في روع
او ضرب مثل في يقظة او منام ليطلع من اراد وفائدة الاخبار
الامتنان على من رزقه الله ذلك واعلامه بانه لم ينل الشيء
بحوله وقوته فلا يظهر على غيبه احدا من عباده الا على يدي رسول
من ملائكته ارسله لمن قرع قلبه لانصباب انهار العلوم الغيبية
في اوديته حتى يصل لاسرار الغيب المكنونة في خزائن الالوهية
انتهى فاعرفه فانه من المهمات وقد سبق اشار القاضي في
تفسيره وبقي ثمة اسرار لا تسعها الحروف ثم انه بين ما اجمل
بحديث رواه ابو داود عن حذيفة وعدل عما رواه الشيخان لما
في طريقه التي رواه منها من الزيادة فقال حدثنا الامام ابو بكر
محمد بن الوليد الفهري المعروف اجازة منه بروايته عنه
وقرائه على غيره اشارة الى انه رواه من طرق متعددة قوية والقراءة
والاجازة طريقان اختلف في ايهما اقوى وقيل انهما متساويان
وهو الظاهر قال ابو بكر حدثنا ابو علي التستري على ابي احمد
على الامام المشهور احد رواة سنن ابي داود وتستر كجندب بلده

معروفة

معروفة وسينه مهملة واعجامها لحن قال حدثنا ابو عمر الهاشمي
وهو القاسم بن جعفر بن عبد الواحد قال حدثنا اللؤلؤي
وهو ابو علي محمد بن احمد بن عمرو السابق ترجمته قال حدثنا ابو
داود صاحب السنن المشهور كما تقدم قال حدثنا عثمان بن ابي
شيبة ابن محمد بن ابراهيم ابو الحسن الكوفي الحافظ توفي في سنة تسع
وثلاثين ومائتين واخرج له اصحاب السنن وغيرهم وترجمته في الميزان
قال حدثنا جرير ابن عبد الحميد الضبي صاحب المصنفات المشهورة
الثقة توفي في سنة ثمان وثمانين ومائة واخرج له الستة وترجمته في الميزان
وغيره عن الاعمش هو سليمان بن مهران كما تقدم في ترجمته عن ابي
وائل سفيان بن سلمة الاسدي المخضرم توفي في سنة اثنين وثمانين
وهو من العلماء العاملين ثقة اخرج له الستة عن حذيفة ابن اليمان
الصحابي المشهور صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي
اخبره بالفتن وما سيكون وروى عنه احاديث كثيرة وكان عمر
رضي الله عنه اذا لم يشهد حذيفة جنازة لا يشهدها هو لاطلاعه
على المنافقين باعلام منه صلى الله عليه وسلم له بذلك توفي رضي
الله عنه سنة ست وثلاثين بعد قتل عثمان وروي عنه لا تقوم
الساعة حتى يسود كل قبيلة منافقوها وحديثه الطويل في الفتن
مشهور والنه اشار بقوله قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
الضمير للصحابة والمراد انه خطبهم يوما فعبر بالقيام عن الخطبة
لان الخطيب يخطب قائما اي قام ونحن عنده والظرفية مجازية
مقاما بفتح الميم اسم مكان او مصدر ميمي فهو مفعول مطلق
فما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقامه هذا شيئا ما
يكون اي يوجد ويحدث بعده مما يهم من احوال المسلمين ومن
يتولى امورهم بعده وما يكون بعده من الفتن والحروب فيكون
فيكون تامة والجملة صفة شيئا في مقامه ذلك اي في خطبته التي
خطبها وهو من وضع الظاهر موضع المضمر لكمال العناية به الى
قيام الساعة اي من زمنه الخ فعدوه لدلالة المقام عليه
الا حدثه اي الا حدثنا به وذكر لنا انه سيوجد وفي نسخة حدث
به والفعل في تأويل الاسم كقولهم انشدك الله الا فعلت
والاستثناء متصل لدخول المحدث به في الشيء وقيل انه منقطع
بمعنى لكن حفظه من حفظه الضمير للتحديث المفهوم من السياق

ونسيه من نسيه اي حفظه بعض السامعين له ونسيه بعضهم قد علمه
اصحابي هولاء الحاضرون عنده او المراد اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهذه الزيادة في رواية ابي داود ولم يذكرها البخاري وانه
الضمير للشان ليكون منه الشي اي يوجد شي مما حدثنا به في ذلك المقام
في الخارج قد نسيته لطول العهد بحديثه فاراه بعيني بعد ما وجد
فاعرفه فاذكره اي اتذكره بعد ما نسيته فاتذكر ما اخبرنا به صلى
الله عليه وسلم ثم شبه تذكره ايضا حالة بقوله كما يذكر الرجل وجه
الرجل اذا غاب عنه اذا راه عرفه فيه تقديم وتاخير اي كما ان الرجل
اذا غاب عنه رجل كان وجهه وسيماه وهو في مخيلته الا انه لم
يذكره فاذا راه تذكره وعرفه فليس اذا متعلقا بيذكر بل بمعنى المعلوم
من الكلام وهو من تشبيه المعقول بالمحسوس تشبيها تمثيليا ثم قال
حذيفة فيما رواه ابو داود وزاده على ما رواه الشيخان ما ادري
انسي اصحابي هذا الحديث ام تناسوه اي اظهروا انسيانه لا لغفلة
الاهتمام به كانه تنسل بل لانه من الاسرار التي لا ينبغي ان يحدث
بها كل احد والله قسم اكد به ما بعده ما ترك رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قايد بالقاف والدال المهملة وفي رواية هذه
والمراد به المتقلقل الذي من معهم جند تتبعهم كما يتبع الجمل والفرس
من يقوده ويمشي خلفه فتنة فيأتي للمحاربة وايقاع الضرر
بالمسلمين كالحجاج وغيره من اصحاب البدع من زمنه الى ان تنقضي
الدنيا اي الى ان تتم وتنتهي مدتها بخروج العالم وبذهاب مقدمات
الساعة كخروج الدجال وياجوج وماجوج يبلغ من معه اي يصل
من معه من اتباعه والضمير للقايد ثلاثمائة رجل فصاعدا الا قد
سماه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم باسمه واسم ابيه وقبيلته
بحيث لم يبق شبهة فيه وهذا الحديث رواه من طرق اخر مفصلا
على كلام فيه ذكره ابن الجوزي وغيره وقال ابوذر الصحابي المشهور
في حديث رواه احمد والطبراني وغيرهما بسند صحيح لقد تركنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ذهب عنا وانتقل الى الاخرة من بين
اظهرنا ولم يدع شيا الا بينه لنا بحيث لا تخفى علينا شي بعده وكان
قد خطب قبيل موته خطبا اطال فيها مرة من الصباح الى الظهر ومرة
من الظهر الى قبيل الغروب ولم يدع شيا الا بينه لاصحابه وما تحرك
طاير جناحيه في السما اي في الجو كنا يدعي بيان كل شي الا ذكر لنا منه

علما

علما وفي نسخة الا ذكرنا منه علما اي تذكرنا من طيرانه علما يتعلق به فكيف
بغيره مما يهمنا في الارض وهذا تمثيل لبيان كل شي تفصيلا تارة واجمالا
اخرى وقد خرج اهل الصحيح اي رووا باسانيدهم ما صح عندهم
كالشيخين واصحاب السنن والمسانيد والائمة الحفاظ المتقنون كاحمد
والشافعي وابو حنيفة ومالك ما اعلم به اصحابه صلى الله عليه وسلم
مما وعدهم به بيانا لما من الظهور على اعدايه بغلبتهم وفل شوكتهم
وفتح مكة الذي اخبر به قبل وقوعه تحقيقه الله وبيت المقدس كما
رواه البخاري وغيره وبيت المقدس تقدم الكلام فيه وقد اخبر صلى
الله عليه وسلم تميما الداري بفتحه لما اسلم واقطعه ارضا بها ثم فتح
في خلافة عمر رضي الله عنه فاعطى تميما اقطاعا عد فيه سنة عشرين من
الهجرة والشام واليمن والعراق يعني به ما يشمل العراقين عراق العرب
والعجم وكلها مجرورة بالعطف على مكة والشام واليمن والعراق بلاد
معروفة وكان اخباره صلى الله عليه وسلم بذلك بمكة قبل الهجرة
في حديث رواه ابن دحية في كتاب مرج البحرين في اخبار المشرقين
والمغربين واصل معنى العراق شاطي البحر وقيل انه معرب وظهور
الامن من الممالك الاسلامية وهو مجرور اي اعلم اصحابه بظهور
الامن حتى تظعن المراة بظا معجمة وعين مهملة ونون اي تسافر وحدها
من الظعن بفتح العين وسكونها وهو السفر قال تعالى يوم ظعنكم
وذكر المراة للمبالغة في الامن لطامع ضعفها وشدة خوفها اذا امنت
علم امن غيرها بالطريق الاولى من الحيرة الى مكة بكسر الحا المهملة
وسكون المثناة التحتية وفتح الرا المهملة والها مدينة بقرب
الكوفة وانم بلدة اخرى بقرب نيسابور لا تخاف المراة الا الله كناية
عن انها لا تخاف احدا من الناس من قطاع الطريق واللصوص وغيرهم
وان المدينة يعني طيبة وهو علم بالغلبة عليها واصل معناها
كل مصر يجتمع فيه ستغزى روي بغين وزاي معجمتين من الغزو وهو
القتال وهو اشارة الى وقعة الحرة الاتي ذكرها فانها وقعة عظيمة
قتل فيها المسلمون حتى تركت الصلاة في الحرم وروي بعين وراء
مهملتين ومثناة فوقية مفتوحة وهي مضمومة في الرواية الاولى
اي تخرب وتخلو فتصير عرا ليس فيها احد والعرا الفضا الخالي من
الناس قال تعالى فنبذناه بالعرا وهذا لم يقع بعد ولعله يكون قرب
الساعة وقيل انه وقع وهو مقتضى السياق فهو اشارة الى قصة

الحرا ايضا فان الناس ارتحلوا فيها منها وتركت الصلاة والاذان حتى سمع الاذان
من مرقده صلى الله عليه وسلم ثم امنهم يزيد حتى عادوا لها واعلمهم صلى
الله عليه وسلم ثم امنهم يزيد حتى عادوا لها واعلمهم صلى الله عليه وسلم
بفتح خيبر على يد علي في غد يومه الذي اخبرهم فيه بفتحها كما رواه
الشيخان عن سهل بن سعد لما كانت وقعة خيبر وتعسر فتحها قال
صلى الله عليه وسلم لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه
الله ورسوله يفتح الله على يديه على ما فسر في السير واعلم
صلى الله عليه وسلم اصحابه بما يفتح الله على امته اي بما يسره الله لامته
من فتح البلاد ان وما يوسع لهم من الدنيا بكثرة المال
والعزة ويؤتون بالبنا للمجهول اي يؤتيهم الله من زهرتها اي زهرة
الحياة الدنيا فهي زينتها وطيب نضارتها ونعيمها وهذا رواه الشيخان
من طرق صحيحة وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر الكنوز جمع كنز معرب
كنج وهو المال المدفون ويطلق على كل نفيس مدخر والمراد هنا خزائنهما
وكسرى بكسر الكاف وفتحها وهو علم لملك من ملوك الفرس ثم صار علم
جنس لكل من ملكهم او نكرة وقيصر علم ملك من ملوك الروم ثم اطلق على
ملك لهم كذلك ومعناه المشقوق لان امه ماتت حين ارادة وضعه
فشقت بطنها واخرج منها حيا وهو اشارة لحديث رواه الشيخان
عن ابي هريرة وغيره من طرق وفيه اذا هلك كسرى فلا كسرى
بعده واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذي نفس محمد بيده
لتنفقن كنوزهما في سبيل الله وقد حقق الله ما اخبر به صلى الله عليه وسلم
وصدق الله وعده وكان ذلك على خلفائه رضي الله عنهم وما يحدث
بينهم اي اعلمهم صلى الله عليه وسلم بما يحدث بين امته من الفتون
بوزن دخول مصدر بمعنى الافتتان كما في الكرماني ونسخ جمع فتنة كما قاله
البرهان والفتنة اصلها الاختبار ثم قيلت لكل ما يقع بين الناس من
النزاع والحروب وفي نسخة وصوابه الفتن جمع فتنة كما في بعض
النسخ لان الفتون الميل للزنا ونحوه من الفجور وليس بشئ فانه ورد
بمعنى الفتنة ايضا وهو بطريق المجاز اي مطلق الميل والاختلاف
في الكلمة والاراء وهو سبب الفتن ولذا قيل انه لو قدمه كان
احسن والاهوا بالمد جمع هوى وهو ما تهواه النفس وتميل اليه
واذا اطلق خص بالامور الباطلة وسلوك سبيل من قبلهم من الامم
اشارة الى ما رواه الشيخان لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا

بذراع

بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم قيل يا رسول الله اليهود
والنصارى قال فمن والسنن بفتحتين الطريق وهو تمثيل لما احدثوه من
الضلال والبدع والتحريف كما صرح به في الحديث وافتراقهم اي افتراق هذه
الامة على ثلاث وسبعين فرقة اي ينقسمون الى هذه الاقسام وعداه بعلى
لما وقع عليه الانقسام من النهج المخصوص كما يقال الدار مبنية على
طبقات ثلاث وعلى بنائه كما قاله الدواني في حواشي الشمسية في
قوله رتبته على مقدمة الخ فقال الترتيب لا يتعدى بعلى فاما ان يكون
يتضمن معنى الاشتمال واما ان يريد مدخول على هذا الاسلوب الخاص وله
وحينئذ فاما ان يقال اذا تعدى بعلى انه فاما ان يكون يتضمن معنى الاشتمال
واما ان يريد مدخول على هذا الاسلوب الخاص وحينئذ فاما ان يقال
اذا تعدى بعلى تضمن البنا فانه يتعدى بعلى الى اسلوبه فيقال بني الدار
على طبقتين او يقال تعدى هنا بنا على ان معنى الترتيب جعل الاجزا
مترتبة وهو مقصور على انحا تتعدى بعلى الى النحو المعين انتهى وهذا
الحديث رواه احمد وابو داود والترمذي والحاكم كما في مناهل الصفا
للجلال السيوطي الناجية منها واحدة ايما الفرقة الناجية من هذه
الفرق فرقة واحدة وهم اهل السنة والجماعة المتمسكون بكتاب
الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث
فانه قال فيه ليأتين على امتي ما اتى على بني اسرائيل حذو النعل بالنعل
والقذة بالقذة وان بني اسرائيل افترقت على ثنتين وسبعين ملة
وستفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا ملة واحدة
او فرقة واحدة قالوا يا رسول الله من هم اي الناجون منهم قال
من كان على ما انا عليه واصحابي يعني الناجية انهم على الحق فهم ناجون من
غضب الله وعذابه وفي قوله ستفترق اشارة الى انه لم يقع في زمانه
صلى الله عليه وسلم اختلاف وانه انما يحدث ذلك بعده بل بعد الخلفاء
الراشدين وفي قوله ملة اشارة الى ان الخلاف المذكور في الدين والاعتقاد
فلا ينافيه ما وقع بينهم في امور حربية وقد بينت هذه الفرق وفصلت
في كتاب الملل والنحل وفي علم اصول الدين وهذا من جملة ما اطلعه
الله عليه من المغيبات وفي حديث رواه الشيخان عن جابر رضي الله
عنه وانهم سيكون لهم انماط جمع نمط كسبب واسباب وهو البساط
يعني ان امته صلى الله عليه وسلم يتوسعون في الدنيا حتى يتخذون
الفرش النفيسة لبسط الله لهم الرزق بعد ما كانوا فيه من الفقر

وضيق المعيشة وقوله بعد احدهم في حلة ويروح في اخرى وما بعده من حديث رواه الترمذي عن علي وحسنه والغدو بغين معجمة ودال مهملة سير اول النهار ويقابله الرواح والحلة هو الثوب النفيس ولا تطلق الا على ثوبين احدهما فوق الآخر الا انهم توسعوا فيه فاطلقوه على ما قلنا والمراد تعدد لباسهم ونفاسته بعد ما كانوا عليه من التقشف كما ان قوله ويوضع بين يديه اي بين يدي احدهم صحفة بزنة قصعة وهي اناء الطعام ويرفع اخرى اي صحفة اخرى اشارة الى تلون اطعمتهم وتعددها ونفاستها وتستر بيوتهم بالبنا للمجهول اي يسترون حيطان بيوتهم وابوابها في نسخة ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة وهذا كما يفعله الامرا والعظما الذين اتسعت دنياهم حتى كسوا الحجارة والجدران وهذا لم يكن في العصر الاول وهو اسراف وقد ورد النهي عنه ثم قال صلى الله عليه وسلم مخاطبا لاصحابه في آخر الحديث الذي رواه الترمذي وغيره وانتم اليوم المراد به مطلق الزمان الحاضر خير منكم يومئذ اي احسن منكم حالا من حالكم الآتي الذي يبسط لكم فيه الرزق ويوسع عليكم فيفضلهم على انفسهم باعتبار ان لان الرزق الكفاف خير من غني يشغل عن عبادة الله ويتعب القلب والبدن كما يشاهده من ابتلي به ومما اعلم به صلى الله عليه وسلم اصحابه انهم اذا مشوا المطيطا كما ورد في حديث رواه الترمذي عن ابن عمر الا ان الذهبي قال في ميزانه انه لم يصح والمطيطا بضم الميم وفتح الطا المهملة ومثناة تحتية ممدود كما في الصحاح ويقصر ايضا كما في النهاية وهو مبني على التصغير كالكميت وهي مشية فيها مد اليدين فهو منصوب على المصدرية والمراد به التبختر وهو كالثريا والمريطا ويجوز فتح ميمه وكسر طائه وهو من مط بمعنى مد ومن مطا مطوا كما بين في كتب اللغة وخدمتهم بنات فارس والروم اي اتخذوا الجواري والخدم منهم وخصهما لان الرقيق كان منهم في الاكثر لانهم كفرة يجلب سبيهم لاهل الاسلام كثيرا ولانهم مع تكبرهم وتعاظمهم يصيرون خدما ارقا لاهل الاسلام ففيه اشارة لعزهم وعلوهم على غيرهم وفارس علم للجيل المعروف ممنوع من الصرف ويطلق على بلادهم ايضا وهو معرب پارس بالبا العجمية ولا يدخل عليه الالف واللام والروم جيل معروف ايضا سموا باسم ابيهم رد الله باسهم بينهم جواب اذا والباس معناه الخوف الشديد لا مطلقه والمراد به العداوة ووقوع القتال بينهم لان الله كان

اعطى نبيه صلى الله عليه وسلم النصرة بايقاع الرعب في قلوب اعدائه الكفرة وبقي من ذلك اثر فيمن اقتدى به من الخلفا فلما اشتغلوا بزخرف الدنيا نزع الخوف من قلوب الاعدا وصار بعضهم يعادي بعضا ويقاتله لما بينهم من التحاسد والتباغض وطلب كل منهم ما في يد الآخر لما ظهرت الملوك المتغلبة فصار الامر لمن غلب وسلط شرارهم على خيارهم الشرار جمع شر بمعنى شرير والخيار جمع خير بمعنى مخفف خير وتسليطهم بقهرهم والعلو عليهم بالظلم وهو كالتفسير لما قبله وكان ابتدا ذلك بعد فتح فارس والروم وسبي ذريتهم واستخدامهم وتنافسهم في الدنيا وذلك من الدولة الاموية الى الآن واخبرهم صلى الله عليه وسلم بقتالهم الترك كما ورد في حديث رواه الشيخان لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك صغار الاعين حمر الوجوه ذلف الانوف كان وجوههم المجان المطرقة وقد ورد هذا الحديث من طرق بالفاظ مختلفة والترك بضم التا جيل من الناس يقال لهم بنو قنطورا وهي امة لابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام واختلف في نسبهم اختلافا كثيرا والمشهور انهم اولاد يافث بن نوح عليه الصلاة والسلام وقيل انهم الديلم وقيل المراد بهم هنا ياجوج وماجوج وعلى كل حال فهم قوم من الكفرة دارهم بعيدة من ديار الاسلام ومنهم التتار ولهم وقائع مشهورة كوقعة جنكيز وهلاكو المفصلة في التواريخ والخزر بضم الخا وسكون الزاي المعجمتين وراء مهملة وهم جيل من الناس كفرة قيل انهم من الترك وقيل من العجم وقيل من التتار لانهم جمع اخزر وهو الضيق العين وقيل المراد بهم الاكراد ووقائعهم كلها مشهورة فقد وقع ذلك كما اخبر به صلى الله عليه وسلم وروي الخزر بفتحتين ايضا في بعض نسخ الشفا كما سمعته وقاله وبزاي معجمة ساكنة ونسبه نظر والخزر ضيق العين والنظر بمؤخرها والروم اي بما وقع من اخباره صلى الله عليه وسلم اصحابه اخباره بما سيكون من قتال الروم وهم قوم معروفون من ولد روم بن عيص ابن اسحاق سموا باسم ابيهم ثم قيل روم وروم كزنج وزنجي وقد ملكوا الشام ثم اختلط بهم قوم من العرب من غسان واصل مساكنهم جهة الشمال وذهاب كسرى بفتح الكاف وكسرها اي ذهاب ملكه وقومه بعد ظهور دولته وتغلبه وفارس من ارض العراق وغيرها وقد تقدم بيانه حتى لا كسرى ولا فارس اي

حتى لا يبقى له ذكر ولا ملك إلى يوم القيامة ولا إنما تدخل على نكرة فأما
أن نقول إنه نكرة في الحديث لا قيصر فهو كقولهم لكل فرعون موسى أي
لكل جبار مبطل من يغلبه عليه ويمحو أثره أو فيه مقدر أي لا مثل كسرى
ومثل وغير لا يتعرفان بالإضافة **بعده** أي لا يكون بعده من جنسه
وذهاب قيصر ملك الروم بذهاب ملكه وقومه **حتى لا قيصر بعده**
وهذا مما رواه الشيخان أيضا لكن ليس فارس إلا أنه وقع في رواية
طرفيهما **وذكر** صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به من المغيبات التي كانت
كما قال **أن الروم** أي جنسهم المعروفين **ذات قرون**
وفي نسخة ذات القرون بالتعريف جمع قرن وهم الجماعة في عصر
واحد أي كلما مضى قرن نقوم يملك ملكهم منهم وقيل القرن
السنة أي كلما هلك ملك ملك بعده غيره كما بينته زيادة كلما هلك
قرن خلفه مكانه قرن وقيل المراد قرون شعورهم التي كانوا يطولونها
ويعرفون بها للإشارة إلى طول عمرهم **إلى آخر الدهر** أي يمتد ملكهم
بدوامهم بخلاف فارس فإن الله مزقهم ومزق ملكهم بدعوته صلى الله
عليه وسلم لما مزقوا كتابه لهم كما هو مذكور في السير وتقدم
أيضا وهو مشاهد إلى الآن لبقاء بعضهم ملك لملكهم وذلك أنه صلى
الله عليه وسلم لما أرسل الكتب للملوك في عهده كتب لكسرى فلما
قرأ كسرى كتابه مزقه فقال صلى الله عليه وسلم مزق الله
ملكهم فكان كما قيل

وكسرى كسرى تمزيق الكتاب بعده • أذاقه الله تمزيقا بتمزيق

وأما قيصر فلما أتاه كتابه صلى الله عليه وسلم مع دحية قبله وأجله
وعظمه ورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يثبت ملكه وقد ذكروا أن
مكتوبه صلى الله عليه وسلم إلى الآن عند ملوكهم يجلونه وهو محفوظ
في صندوق من ذهب وأوصى بعضهم بعضا بحفظه فإن ملكهم لا يزال
قائما ما دام هذا الكتاب عندهم حتى أنهم أخرجوه لابن الصائغ الحنفي
لما أرسله السلطان قلاوون إلى ملك النصارى بالمغرب لأمر مهم
وقالوا له هذا الكتاب نبيكم لجدنا نحفظه ونتبرك به وكان عند ملك
طليطلة وهو إلى الآن عندهم ولكن الله يهدي من يشاء **واعلم**
صلى الله عليه وسلم أصحابه **بذهاب الأمثل فالأمثل من الناس**
الأمثل هنا بمعنى الأشرف لأنه أكثر مماثلة ومشابهة لأهل الحق والصدر
الأول والفاء للترتيب التفاضلي لا ثباته للأول ثم للثاني وهكذا إلى أن

يبقى حثالة لا عبرة بهم وفي الصحاح فلان أمثل بني فلان أي أدناهم للخير
وهؤلاء أماثل القوم أي خيارهم أي أعلمهم صلى الله عليه وسلم بموت
الأقرب إلى الخير قبل غيره وفي البخاري يذهب الصالحون الأول
فالأول ويبقى حثالة كحثالة الشعير أو التمر لا يباليهم الله بالة أي
لا يرفع لهم قدرا ولا يقيم لهم وزنا والحثالة بالمهملة والمثلثة من كل
شيء رديئه **وتقارب الزمان** في حديث رواه الترمذي عن أنس رضي الله
عنه لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر
والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كالساعة والساعة كالضرمة
بالنار بضاد معجمة مفتوحة وراء مهملة مفتوحة وهو حشيش يحترق
بسرعة والتقارب تفاعل من القرب والمراد قصره وقلته لأن القصير
يقرب بعضه من بعض ويقال للقصير متقارب ومتى زفه وهذا
يكون إذا قربت الساعة في آخر الزمان كما ورد التصريح به في بعض
الروايات واختلفوا في معناه فقيل المراد أنهم يوسع عليهم من الدنيا فيتلذذون
بعيشهم ويكونون مسرورين زمان الناس يستقصرون الأيام الهنية
بالقصر والشعراء فيها حاصلا لنا عائدة ومعان لطيفة يعرفها من له إلمام
بالأدب كقول أبي تمام

أعوام وصل كاد ينسي طيبها • ذكر النوى فكأنها أيام
ثم انبرت أيام هجر أعقبت • بجوى أسى فكأنها أعوام
ثم انقضت تلك السنون وأهلها • فكأنها وكأنهم أحلام

وهو الذي ارتضاه الخطابي واعترض عليه الكرماني بأنه لا يناسب
قوله بعده **وقبض العلم** وقال ابن حجر إنما احتاج الخطابي لتأويله
لأنه لم يقع النقص في زمنه والذي تضمنه الحديث نجده في زماننا
هذا فإنا نجد من سرعة الأيام ما لم نجده في العصر الذي قبله وإن لم يكن
هناك عيش مستلذ كما قيل

كفى حزنا أن الحياة هنية • ولا عمل يرضى به الله صالح

فالحق أن المراد نزع البركة من كل شيء حتى من الزمان وذلك من علامات
قرب الساعة وهذا هو الذي ارتضاه النووي رحمه الله وقيل
المراد تقاربه وقصره قصر الأعمار فإن كل قرن أهله أقصر أعمارا من
أعمار القرن الذي قبله وقال البيضاوي في شرح المصابيح يتسارع
انقضاء الدول وانقراضها وهنا وجه آخر قريب من الأول وهو أنه
لكثرة الظلم والأحزان والاشتغال بأمور الدنيا وكثرة الحرص على تحصيلها

يغفلون عن اوقاتهم ولا يتعرضون لها كما قلت

ان الزمان مقصود هيبته به ‌ ‌ بركاته اذ زادت الالام

ثم ذاك الا انه ندفر من ‌ ‌ خونه وقد جارت به الحكام

وهو مناسب لذكر الفتن بعده في قوله وهو مناسب لذكر الفتن بعد
في قوله وظهور الفتن والهرج وجمع فتنة وهي معروفة
وهذا قد شاهدناه وقبض العلم بمعنى اخذه لا نزعه من الناس وذلك
بموت العلما حتى يبقى ناس جهلة اذا استفتوا افتوا بغير علم وبهذا
فسره صلى الله عليه وسلم لما سيل عنه وموتهم بالكلية
انما يكون اذا اقتربت الساعة فلا ينافي هذا قوله في الحديث
الصحيح الاتي لا تزال طايفة من امتي ظاهرين على الحق حتى ياتيهم امر
الله فانه قال ذلك والهرج بالها وسكون الرا المهملة وجيم بمعنى القتل
واصل معناه لغة الكثرة وقد ورد تفسيره في الحديث بالقتل وورد
بمعنى اختلاط الناس بعضهم ببعض وقيل انه لغة حبشية وهو
معرب صار عربيا فصيحا ومنه قولهم في هرج ومرج وقال
صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن زينب ام المؤمنين
رضي الله عنها ويل للعرب من شر قد اقترب اي قرب ودنا زمنه
وهي كلمة تفجع وتعجب فتعجب مما ينالهم من المشقة والهلاك
بفتن تقع بين المسلمين كقطع الليل المظلم يصير المتمسك فيها
بدينه كالقابض على الجمر يشير الى امر عثمان وعلي رضي الله عنهما
وويل مبتدا وان كان نكرة لما فيه من الدعا مثل سلام عليكم
وهي ترد للتحسر والتحير والكلام عليها مفصل في العربية واللغة
والمراد بالشر ما اشار له بقوله اقتربت الساعة وقيل انه اشارة
لفتح سد ياجوج وماجوج لان الحديث اوله قالت زينب رضي
الله عنها استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم من النوم محمرا
وجهه يقول لا اله الا الله ويل للعرب الى فتح اليوم من ردم ياجوج
وماجوج اي السد وعقد تسعين يعني جعل سبابته مضمومة لاصل
ابهامه يشير للفرجة اليسيرة بينهما بحساب المشهور ومثله
كثير في الحديث لتعارفه بينهم والحديث والكلام عليه مبسوط
في شرحه واعلم صلى الله عليه وسلم اصحابه ايضا بانه
زويت له الارض مبني للمجهول اي جمعت وضم بعضها لبعض
حتى يطلع على جميعها فاري مشارقها ومغاربها اي جميع الارض

وجوانبها

وجوانبها كما يضم البساط الكبير حتى يصير في محل واحد يحيط به الناظر اليه
سريعا واري بضم الهمزة مبني للمجهول اي اراه الله جميع ذلك ومشارقها
مفعول ثان والمشارق والمغارب كناية عن الجميع كما في قوله رب
المشارق والمغارب والجمع باعتبار تعدد المطالع كما ذكره المفسرون
وقيل انه لم يذكر الجنوب والشمال لان معظم ابتدا وملك هذه الامة في جهتي
المشرق والمغرب وهكذا هو في الواقع كما اخبر به صلى الله عليه وسلم وفي
قوله وسيبلغ اي يصل ملك امته اي سلطانهم وحكمهم اشارة اليه
ما زوي له صلى الله عليه وسلم منها اي الارض او المشارق والمغارب
ومن تتمة الحديث ومن تفصيلية او تبعيضية ولذلك كان
اي وقع ما ذكر من الامتداد امتدت ملكتهم واتسعت او امته بمعنى
انتشرت في نواحيها في المشارق والمغارب ما بين ارض الهند بيان
للمشارق والمغارب اذ بدا اقصى المشرق بيان لارض الهند اذ بدا انتها
الى بحر طنجة بفتح الطا المهملة ونون ساكنة وجيم بلدة مشهورة بساحل
بحر الغرب حيث لا عمارة وراه اي انتهت الى مكان من ذلك البحر
لا عمارة بكسر العين اي ليس بعده بلاد ولا جزاير معمورة وطنجة
لفظ بربري وهي مدينة عظيمة فتحت في الاسلام ثم استولى عليها
النصارى في سنة سبعين وثمانماية بعد قتال عظيم فلما راى المسلمون
ان لا معين لهم ولا معيشة سلموها لهم فانا لله وانا اليه راجعون
ولم تزل النصارى ظاهرين ثمة حتى تملكوا اكثر البلاد بغاد الاسلام
غربا كما يعرفه من اراد تفصيل ذلك فلينظر تاريخ الاندلس وذلك
الذي امتد لهذه الامة ما لم يملكه احد من الامم السالفة ولم يمتد
الممالك الاسلامية في جهة الجنوب ولا في جهة الشمال مثل ذلك
اي مثل امتدادها في المشرق والمغرب لما قيل في تفسيره انه بلغ
ملكها اقصى الجهات الاربع مهاب الريح قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا لم
ينتبه لما قلناه وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم
عن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه لا يزال اهل المغرب سياتي
تفسيله ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة غاية لاستمرار
ظهورهم بتاييد الله لهم واعلايه لكلمة الدين بجهادهم وقوله
ظاهرين اصل معنى الظهور العلو على الظهر ويطلق على ما يلزمه وهو
الشهرة والعلو وقد يراد به العلو المعنوي وهو الغلبة والقهر وقد اختلفوا
في المشرق والمغرب ايهما افضل فذهب الى كل منهما طايفة وهو خلاف

لا طايل تحته قال ابن العماد في كتابه كشف الاسرار استدل من قال
بفضل الغرب بهذا الحديث واجيب بان الثابت لا تزال طايفة
من امتي ظاهرين على الحق حتى ياتي امر الله وهم بالشام فاذا ثبت
هذا اللفظ فالمراد الشام لانه غربي المدينة وقوله على الحق
خبر بعد خبر لانه ليس المعنى على الظهور على الحق بل انهم ظاهرون على
الخلق اي انهم ظاهرون وانهم على الحق وهو ضد الباطل اذ هو
متعلق بظاهرين بتضمين معنى محافظين مداومين على اقامة الحق
وشاير الدين ذهب ابن المديني في تفسير هذا الحديث وهو علي ابو
عبد الله جعفر بن نجيح ابو الحسن امام اهل الحديث واعلمهم به
في عصره وقال النسائي كان الله لم يخلقه الا لهذا الشان وقال
البخاري ما استصغرت نفسي الا بين يدي علي ابن المديني الخ وكان من
احسن الناس كلاما على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي لليلتين
بقيتا من ذي القعدة سنة اربع وثلاثين ومايتين وله ثلاث
وسبعون سنة روى عنه البخاري وغيره من اصحاب السنن وهو
منسوب لمدينة الرسول على خلاف القياس والقياس مدني كما نبه
النحاة والمشهور انه يقال مديني في النسبة لمدينة المنصور فرقا
بينه وبين المنسوب للمدينة المنورة ولكنه اشتهر بذلك وله
في الميزان وقال ابن الاثير النسبة الى المدينة مديني
والاكثر مدني والمديني نسبة الى مداين سبعة غيرها كما فصله
وقال الجوهري المدني نسبة لمدينة الرسول والمديني نسبة
لمدينة المنصور وبين كلاميهما تناف وقال ابن الصلاح في الكلام
المسلسل بالاولية المديني نسبة لمدينة اصبهان وهو من المدينة
الا انه سكن البصرة وفي القاموس النسبة لمدينة الرسول
مدني ولمدينة منصور واصبهان وغيرهما مديني وقال
الكرماني قال الحافظ المقدسي قال البخاري المديني الذي تحول
عنها وكان منها انتهى الى انهم العرب مطلقا ووجه تسميتهم اهل
الغرب بقوله لانهم المخصوصون بالسقي بالغرب بفتح الغين المعجمة
وسكون الراء المهملة والموحدة وهي الدلو العظيمة المعروفة
تذكر وتونث سماعا وقيل المراد بالغرب الحدة والشوكة وتقدم
تفسيره بالشام ايضا ومنه غرب الشباب لحدته وللغرب معان
كثيرة في كتب اللغة وغيره اي غير ابن المديني من علما الحديث

يذهب الى انهم في الحديث اهل المغرب بميم في اوله وقد ورد المغرب
كذا اي بهذا اللفظ في بعض الروايات وهو موئد للتفسير الثاني ولكنه
بعينه لاحتمال انه رويه في الحديث بمعناه فهو رواية بالمعنى ولولا هذا
لم يفسره لغيره وفي حديث اخر من هذا القبيل رواه الطبراني
وعبد الله بن احمد بن حنبل من رواية ابي امامة عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال لا تزال طايفة من امتي ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم
من الكفرة بالجهاد في سبيل الله حتى ياتيهم امر الله يعني الساعة واشراطها
وهو غاية لظهورهم على ظاهرها او المراد انهم لا ينعدم ظهورهم كقوله
صلى الله عليه وسلم ان الله لا يمل حتى تملوا كما حققه الكرماني وغيره
وهم كذلك اي ياتون على حالتهم والجملة حالية قيل يا رسول
الله واين هم من البلاد ومقرهم قال ببيت المقدس بالاضافة وفيه
لغات مقدس كمرجع اسم مكان او مصدر ميمي من القدس وهو الطهر اي
المكان الذي يطهر فيه العابد من الذنوب او يطهر فيه العبادة من الاصنام
وجا فيه ضم الميم وفتح القاف والدال المشددة اسم مفعول من التقديس
اي التطهير وجا بكسر الدال المشددة اسم فاعل لانه يقدس العابد فيه
من الاثام ويقال البيت المقدس بالتوصيف والاظهر الاضافة
والظاهر ان الطايفة المذكورة الامرا والحكام وولاة الامور
لانهم المعروفون بالظهور والغلبة وقيل انه يشملهم ويشمل
غيرهم من الفقها والمحدثين وكل من يامر بالمعروف وينهى عن المنكر وقال
البخاري هم اهل العلم ونقل عنه ايضا انهم اهل الحديث
وكل محتمل والتعميم اولى كما لا يخفى وفي شرح مسلم للقرطبي بعد ما ذكر
رواية اهل المغرب من طرق متعددة وصححها انه يدل على ابطال
التاويلات فيه والمراد بالمغرب جهة المغرب من المدينة التي اقتضى
بلاد المغرب فيدخل فيه الشام وبيت المقدس فلا منافاة بين
الروايات وفي رسالة للطرطوشي ارسلها لاهل المغرب وذكر فيها
هذا الحديث وقال فيها هل ارادكم رسول الله صلى الله عليه
وسلم بهذا الا لما انتم عليه من التمسك بالسنة وطهارتكم من
البدع واقتفا اثر السلف وفيه دليل على صحة الاجماع واخبر صلى
الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي والحاكم عن الحسن
بن علي رضي الله عنهما بملك بني امية وهذا من جملة ما اخبر به
صلى الله عليه وسلم من المغيبات وهم بنو مروان بن الحكم ابن ابي العاص

ابن امية ابن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي وقد رواه البيهقي مرسلا
من طريق اخر في سنده ضعف **وولاية معاوية** ابن سفيان
ابن حرب بن امية بن عبد شمس ولقد اجاد المصنف رحمه الله اذ عبر
في بني امية بالملك ولم يدخل فيهم معاوية وعبر في معاوية
رضي الله عنه بالولاية الشاملة للملك والخلافة كما سنذكره عن
قريب والفرق بين الملك والخلافة والولاية ان الملك هو
السلطنة بطريق التغلب والخلافة ما كان ببيعة اهل الحق لمن
هو قرشي جامع لشروط الخلافة المذكورة في الاصول
والولاية اعم منهما فيشملهما وتشمل الامارة ونيابة الخلفا وغيرهم
كما في الحديث الاتي مع الكلام عليه الخلافة بعدي ثلاثون عاما
ثم تصير ملكا عضوضا ومعاوية كما تقدم كان اولا اميرا ثم صار ملكا
وهو اول ملوك الاسلام ثم خليفة بعد الحسن رضي الله عنه
برضاه خليفة فلذا كان ذكر الولاية فيه اشارة لهذا ولكن
عثمان رضي الله عنه من بني امية لانه خليفة حق ومعاوية
وان كان منهم نسبا الا ان ابا سفيان بن امية فلم يدخله المصنف
فيهم لما ذكرناه وقيل انه اول ملوك بني امية ولكل
وجهة وقد ورد في الحديث انه صلى الله عليه وسلم راى
مناما بني امية على منبره الشريف فساءه ذلك فانزل الله عليه
تسلية له صلى الله عليه وسلم سورة الكوثر وسورة القدر لان
ملك بني امية كان الف شهر لا تزيد ولا تنقص فاعطى الله امته
في كل سنة ليلة تعدل ملكهم وتزيد بما لا يحصى وفيه من الاسرار
الخفية ما لا يخفى على ذي بصيرة **ووصاه** اي وصى عليه
الصلاة والسلام معاوية اذا ملك بالعدل والرفق لما قال
له اذا ملكت فاسجح قال معاوية رضي الله عنه لما زلت اطمع في
الخلافة منذ سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل
في قوله اذا ملكت اشارة الى انه رضي الله عنه لم يكن خليفة وانما
كان ملكا وروى البيهقي عن معاوية انه قال ما حملني على الخلافة
الا قوله صلى الله عليه وسلم يا معاوية ان ملكت فاحسن وهو
ضعيف الا ان له شواهد منها ما رويه انه تبع بالاداوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال له يا معاوية ان وليت امرا فاتق الله
واعدل وروي ما يقرب منه من طرق متعددة وهذا من جملة ما اخبر

به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ومنه ايضا قوله **واتخاذ بني امية**
مال الله دولا كما ورد في حديث رواه الترمذي والحاكم والبيهقي عن
ابي هريرة رضي الله عنه اذا بلغ بنو ابي العاص اربعين او ثلاثين
اتخذوا دين الله دغلا وعباد الله خولا ومال الله دولا ودولا
بضم الدال المهملة وفتح الواو جمع دولة بالضم والفتح وهو ما
يتداول اي ياخذه واحد بعد واحد والمراد انهم استاثروا به
ومنعوا حقوقه فاسرفوا وبذروا وضيعوا بيت مال المسلمين
وهم اول من فعل ذلك في الاسلام واول ملوكهم بعد معاوية
ابن يزيد مروان ابن الحكم ثم ولي ابنه عبد الملك وتمت دولتهم
بالرابع عشر مروان ابن محمد كما فصله المورخون **وخروج ولد العباس**
بعد انقراض الدولة الاموية اي ولد العباس بن عبد المطلب
كما ورد في حديث رواه احمد والبيهقي بسند فيه ضعف وهو مما اخبر
به رسول الله صلى الله عليه وسلم والولد يطلق على الواحد والجمع
والمراد هنا الثاني بالرايات السود اشارة الى ما في هذا الحديث
تظهر الرايات السود لبني العباس حتى ينزلوا بالشام ويقتل الله على ايديهم
كل جبار وعدو لهم وفي رواية تخرج الرايات السود من خراسان لا يردها
شيء حتى تنصب بايليا اي بيت المقدس وفي سنده ضعف وكان صلى
الله عليه وسلم اخبر العباس ان الخلافة تكون في ولده فكانوا يتوقعون
ذلك وقد وردت تبشيره صلى الله عليه وسلم ولام الفضل
زوجته من طرق افردها السخاوي بتاليف ليس يسع تفصيله
هذا المقام وكان شعار بني العباس السواد في لباسهم وراياتهم وسببه
انه صلى الله عليه وسلم اخبرهم بذلك وقيل سببه ان مروان
الحمار اخر بني امية لما بلغه دعوة ابي مسلم الى محمد بن علي الامام ومات
محمد فعهد الى ابنه ابراهيم فاتى به مروان وسجنه فلما احس بالقتل
اوصى اتباعه بالثبات على امرهم واستخلاف اخيه السفاح فلما
قتل لبسوا السواد اظهارا للحزن ثم وجدنا للاخذ بثاره فاستمر
ذلك فيهم ولا منافاة بين الروايتين ولم يزل ذلك الى عهد المامون
ابن الرشيد في سنة احدى ومائتين فامر بترك السواد ولبس الخضرة
لمحبته للعلويين حتى خلع اخاه المؤتمن وجعل العهد لعلي الرضي فمات
ولم يتم امره فكلمه العباسيون في اعادة شعار السواد وترك الخضرة
ففعل وهذا اول لبس العلويين الخضرة وليس مبداه كما توهمه

المتأخرون في سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة برسم الملك الاشرف بمصر
وفي ذلك يقول ابن جابر الاندلسي

جعلوا لابناء الرسول علامة … ان العلامة شان من لم يشهر
نور النبوة في كريم وجوههم … يغني الشريف عن الطراز الاخضر

وقال ابن حبيب

عمائم الاشراف قد تميزت … بخضرة رقت وراقت منظرا
وهذه اشارة ان تحشروا … في جنة الخلد لباسا اخضرا

وقال ابن المرحل

اطراف تيجان اتت من سندس … خضر كاعلام على الاشراف
والاشرف السلطان خصهم بها … شرفا ليعرفهم من الاطراف

ولكن ولكن الاول لما لم يستمر وترك حتى نسي توهموا ان ابتداءه
كان كذلك وكان سبب حدوث شعارهم ان يهود تاهوا بحمل عمامة
تعظم ودخل بعض الاشراف فلم يلتفت الناس لعدم العلم
به فامر بذلك وقال السبكي انه مستحب واستنبطه من قوله تعالى
ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين وهو كلام حسن **وملكهم** اي ملك
بني العباس الخلفاء **اضعاف ما ملكوا** اي اضعاف ملك بني امية
واضعاف خلفائهم فان اولهم السفاح بويع في ربيع الاخر سنة
اثنتين وثلاثين ومائة واستمر ملكهم الى سنة ست وخمسمائة
وكانوا نحو ثلاثين ببغداد

ثم انقضت تلك السنون واهلها … وكذا الامر من قبل ومن بعد

وخروج المهدي في اخر الزمان كما ورد في حديث رواه اصحاب
السنن وغيرهم من طرق كثيرة الا انه قيل ان اسانيده لا تخلوا من
ضعف وفيه اختلاف كثير افرد بالتاليف فقيل انه عباسي وقيل
انه علوي وانه يملك سبع سنين وكنيته ابو القاسم واسمه محمد بن عبد
الله وفي بسط الامن والعدل وقيل المراد به عيسى بن مريم عليه
الصلاة والسلام وذكره النبي صلى الله عليه وسلم باسمه وصفته
كما فصلوه في احواله مبسوطة في تذكرة القرطبي وهو ممن يملك الارض
كلها اذ قد ملكها مسلمان سليمان عليه الصلاة والسلام وذو القرنين
وكافران نمرود وبخت نصر **وما نال اهل بيته من تقتيلهم وتشريد**
يقال نال كذا اذا وصل اليه ويجوز ان يكون فاعله مستتر يعود
لما فاعل مضوبه ويجوز ان يتعدى بتقدير ما ناله اهل بيته وما

بل انه لا يجوز رفعه لا وجه له لانه مما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات
كما في حديث رواه الحاكم ان اهل بيتي سيلقون بعدي من امتي قتلا
وتشريدا وضعفه الذهبي والتشريد الطرد والتفريق من شرد البعير
اذا ند وشردته فلانا من البلاد وشردت به قال تعالى فشرد بهم من خلفهم
وقتل علي بن ابي طالب كرم الله وجهه اي مما اخبره صلى الله عليه وسلم
بقتل علي كما رواه احمد والطبراني في حديث فيه **وان اشقاها** اي اشقى الخلائق
او الدنيا او الطائفة الخوارج او اشقى هذه الامة **الذي يخضب هذه** اشار به
الى لحيته **من هذه** اشارة لراسه اي يضربه على راسه ضربة يسيل بها دم
حتى يبل لحيته والخضاب صبغ معروف فشبه دمه بالخضاب لتغييره لونها
كما يغير الخضاب ففيه استعارة وهو عبد الرحمن ابن ملجم بضم الميم
وسكون اللام وفتح الجيم على زنة اسم المفعول كما قاله النووي في
تهذيبه وغيره **اي لحيته من راسه** اي من دمها وهو تفسير لما
قبله وقصة الخوارج والتحكيم وقتل علي مشهورة لا حاجة لنا بها
وكذا قصة اهل بيته واخباره بقتل سبطه بكربلا **وانه** يعني عليا
كرم الله وجهه **قسيم النار** ظاهر كلامه ان هذا مما اخبر به صلى الله عليه
وسلم الا انهم قالوا لم يروه احد من المحدثين الا ان ابن الاثير قال
في النهاية الا ان عليا قال انا قسيم النار يعني ان الناس فريقان فريق
معي فهم على هدى وفريق علي فهم على ضلال فنصف معي في الجنة ونصف
علي في النار انتهى قلت ابن الاثير ثقة وما ذكره علي لا يقال
من قبل الراي فهو في حكم المرفوع اذ لا مجال فيه للاجتهاد ومعناه انا ومن
معي قسيم لاهل النار اي مقابل لهم لانه من اهل الجنة وقيل
القسيم المقاسم كالجليس والسمير وقيل اراد بهم الخوارج ومن قاتله
كما في النهاية **يدخل اولياؤه الجنة** اي من والاه ونصره وكان من
حزبه ويدخل بفتح المثناة التحتية وضم الخاء المعجمة ويجوز ضم اوله
وكسر ثالثه فيرفع اولياؤه او ينصب او يدخل بفوقية وذلك باذن من الله
تكرما على الثاني لان كبار الامة لهم شفاعة ثمة كما ورد في حديث
ويدخل اعداؤه النار لبغضهم له وعدم اتباعهم الحق وفي الغيلانيات
انه ينادي يوم القيامة اين اصحاب محمد فيؤتى بالخلفاء رضي الله عنهم
فيقول ادخلوا من شئتم الجنة ودعوا من شئتم او ما هو بمعناه **فكان ممن
عاداه** اي اظهر العداوة له **الخوارج** وهم الذين خرجوا عليه عند
التحكيم فكانوا اثني عشر الفا اصحاب صلاة وصيام وقد اخبر عنهم النبي

صلى الله عليه وسلم وذكرهم بصفاتهم وكان لعلي رضي الله عنهم وقايع مدونة
في التواريخ وهم من الفرقة الضالة لانهم اعتقادات فاسدة واعمال
فاسدة والواحد منهم خارج وخارجي والناصبة اي الفرقة او الطائفة
الناصبة ويقال لهم النواصب وهم قوم تدينوا ببغض علي كرم
الله وجهه قال ابن السيد من نصبت الشرك والحبالة فاستعير
ذلك لكل من يكيد ويوقع المكروه واشتق منه هذا الاسم انتهى وفي
الكشاف النصب بغض علي كرم الله وجهه وعداوته وهو بالصاد
المهملة وهم من الخوارج ايضا وطايفة ممن ينسب بالياء التحتية
او المثناة الفوقية وهي ينتسب انتحالا من النسبة اليه
اي الى علي لانهم كانوا يعتقدون انه الخليفة بحق وان الامامة حقه
وتلك الطائفة من الروافض من الرفض وهو الترك سموا بذلك لتركهم
السنة والجماعة كفروه اي نسبوه الى الكفر لتركه الخلافة
وهي حقه وهو زعم فاسد وحماقة وهم المنكرون للتحكيم وقولهم
لا حكم الا لله وهي كلمة حق اريد بها باطل وقد كفروا غيره من الصحابة
ايضا وقوله ممن دعاه اشارة الى ان من دعاه ليس محصورا
فيمن ذكر فان كثيرا من بني امية وانجابا سبيين اظهروا عداوته
وسبه وقال صلى الله عليه وسلم كما رواه الشيخان
بقتل عثمان وهو يقرأ القرآن في داره من المصحف
وروى الترمذي عن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم ذكر فتنة فقال
يقتل فيها هذا مظلوما يعني عثمان رضي الله عنه وحسنه
وهو من جملة ما اخبر به من المغيبات فكان كما قال والمصحف
بضم الميم وكسرها محل الصحف لجمعه ما كان فيها كما يأتي وانه عسى
ان يلبسنها اي بعسى هنا تأدبا لعدم جزمه واستعارها للاستقبال
اللازم للترجي اي سيلبسنه واستعار القميص للخلافة استعارة
مرشحة بقوله ومنهم يريدون خلعه اي القميص المستعار وهو
عوده لعثمان وخلعه بمعنى عزله فانهم وظاهره اجتمعوا
لخلعه فلم يرض لانه صلى الله عليه وسلم نهاه عنه بقوله فلا
تخلعه فقتلوه فاهدر الله بدمه سبعين الفا فقتلوا بصفين
وغيرها كما رواه الترمذي عن عائشة رضي الله عنها ان عثمان
اصبح يحدث الناس فقال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا عثمان افطر عندنا فاصبح صائما وقتل في يومه وانه

سيقطر دمه على قوله فسيكفيكهم الله وهو السميع
العليم اي تأخذ ثارك من قتلتك وهذا رواه الطبري في كتابه الرياض
النضرة ورواه الحاكم عن ابن عباس وقال الذهبي انه موضوع
وتبعه السيوطي والظاهر منه ان دمه وقع على هذه الآية
وقيل المراد انه اريق دمه وهو يقرؤها وهو بعيد وفيه ابن الخرس
اخبار بمغيبات منها وقوع هذه الفتنة وان عثمان سيقتل شهيدا
وان القرآن سيجمع في مصحف فانه لم يكن في زمنه صلى الله عليه وسلم
مصحف واختلفوا فيمن قتله فقيل رومان بن سرحان وقيل
الاسود التجيبي وهذه اول فتنة ومصيبة وقعت في الاسلام

ومن لم يقاس الدهر لم يعرف الاسى ۞ وفي غير الايام ما وعد الدهر ۞

وان الفتن لا يظهرن ما دام عمر حيا روى البيهقي هذا
الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما والشيخان عن حذيفة ان لقي يوما
عمر ابا ذر فاخذ بيده وعصرها فقال دع يدي يا قفل الفتنة
فقال له ما هذا يا ابا ذر قال جئت يوما ونحن عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم فكرهت ان تتخطى الناس فجلست في ادبارهم
فقال لا تصيبكم فتنة ما دام هذا فيكم وقال عمر رضي الله عنه
يوما ايكم يحفظ ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفتنة
التي تموج كموج البحر فقال حذيفة ليس عليك منها يا امير المؤمنين
ان بينك وبينها بابا مغلقا قال ايفتح ام يكسر قال بل يكسر
قال اذن لا يغلق ابدا فقيل له اكان عمر يعلمه قال نعم كما ان الغد
دون الليلة اقول في هذا اسرار من كنايات البلاغة عجيبة
فان قوله فيه تموج اشارة الى الفتنة العظيمة فتنة المال والاولاد وقوله
وقوله يكسر يشير الى انه يقتل فيهجم الناس على الخلفا والباب
اذا انكسر لا يقفل وقوله دون الغد الليلة كناية عن انه كان يقينا
عنده وانما سأل ليعلم هل علمه غيره ام لا وخطب خالد بن الوليد
يوما فقال ان امير المؤمنين قد بعثني الى الشام وهو بهمه
فالقى بوانيه بثنية وعسلا اراد ان يؤثر به غيري فقال
له رجل اصبر ايها الامير فان الفتن قد ظهرت فقال اما وابن
الخطاب حي فلا انما ذلك بعده اذا كان الناس بذي بلى او بذي
بلى ان ينتظر الرجل هل يجد مكانا لم ينزل به ما نزل بمكانه من الشر
فلا يجده نعوذ بالله اذكركم واياكم اولئك الايام وبوائقه جمعه

بابنة اي حيره وسعد والبثنية خطة منسوبة لبثينة ناحية بدمشق ه
وكنـ هي الزبدة اي كانها عسل وزبد لما يجبى من اموالها وذي بلياد
يريد به طوائف بلا امام وكل من بعد حتى لا يدري موضعه فهو بذي بلي من بلي في
الارض اذا ذهب اراد ان امور الناس تضيع بعد عمر رضي الله عنه و
اخبر صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البيهقي من طرق وهو مما
اخبر به من المغيبات بمحاربة الزبير لعلي وهو ظالم له
وكان صلى الله عليه وسلم راهما يوما وكل منهما يضحك فقال
لعلي اتحبه فقال كيف لا احبه وهو ابن عمتي صفية وعلى ديني فقال
للزبير اتحبه فقال كيف لا وهو ابن خالتي وعلى ديني فقال
اما انك ستقاتله وانت له ظالم فلما كان يوم الجمل قاتله فبرز له
علي رضي الله عنه وقال ناشدتك الله اسمعت من رسول الله صلى
الله عليه وسلم قوله انك ستقاتلني وانت لي ظالم قال نعم ولكن
انسيته وانصرف عنه فلما كان بوادي السباع خرج عليه ابن جرموز
فقتله واتى براسه كما فصله المورخون و مما اخبر به صلى الله عليه وسلم
من المغيبات نباح الكلاب الحوءب على بعض ازواجه
يعني عايشة رضي الله عنها وهو بحا مهملة وواو ساكنة وهمزة ه
مفتوحة وموحدة اسم ما او موضع وقرية فيه الما في طريق الذاهب
من المدينة الي البصرة قال ابن عبد ربه في العقد وبعضهم يقول
فيه الحواب بضم الحا وتشديد الواو والمشهور الاول قال
الشاعر من الخوارج

وما ابرئ الزبير وطلحة ۰ ومن التي نبحته كلاب الحوأب

وفي معجم البلدان اصل معناه الوادي الواسع وانما كان المراد عايشة رضي
الله عنها لانه صلى الله عليه وسلم كان يوما وعنده نساوه فحدث ثم
نعد فقال ايتكن تنبحها كلاب الحواب سايرة الي المشرق في كتيبة
فكانت عايشة في وقعة الجمل فلما مرت بذلك المكان نبحتها كلابه
فسالت عن اسم ذلك المكان فقيل لها الحواب فهمت بالرجوع فحلفوا
لها انه ليس بالحواب والحواب ايضا اسم مخلاف بالطايف قتل
فيه سلمى المرادية عتيقة عايشة وقيل ايضا انها المرادة بالحديث
ايضا لانها كانت مع نسايه صلى الله عليه وسلم لما حدثهن به كما
في المعجم والصحيح خلافه لما ياتي في بقية الحديث والنباح بضم النون
وكسرها صوت الكلب والتيس وقيل انه اي الحواب سمي باسم حواب

بنت

بنت كلب لنزولها به كما قاله ابن ماكولا واختلف في وزنه فعيل او فوعل ه
وقيل فعال وفيه الاخبار بالمغيبات وهو حديث صحيح رواه ه
البزار عن ابن عباس وهو من تتمة حديث الزبير رضي الله عنه لان عايشة
ذهبت معه لتصلح بينه وبين علي فاتفق ما اتفق في وقعة الجمل و اخبره
صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث انه يقتل حولها ممن كان معها قتلى كثيرة
قيل كانوا نحو ثلاثين الفا وتنجو اي تسلم هي بعد ما كادت
اي قاربت عدم النجاة فنبحت كلاب الحواب على عايشة عند
خروجها الي البصرة وهذا الحديث صحيح كما مر وروي من طرق عدة عن
ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال لنسايه ليت شعري ايتكن صاحبة
الجمل الادبب تنبحها كلاب الحواب والادبب كثير شعر الوجه وكذا ادغام لمشاكلة
الحواب فكان ما اخبر به لانه لما قتل عثمان رضي الله عنه وكانت هي وامهات
المومنين حاجات في ذلك العام فبايع الناس عليا واخذ الثار بقتلة
عثمان من غير رضى منه لكنه خشي الفتنة لكثرتهم وتخلفهم واشتد
غيظ الناس فخطبتهم عايشة رضي الله عنها وحثتهم على الطلب
بدمه ودفع الخوارج عن البلد الحرام فاجابها الناس وقالوا لها
حيثما سرت نحن معك فسارت في هودجها على جمل يقال له عسكر
وودعتها امهات المومنين يبكين فسمي ذلك العام عام النحيب فلما وصلت
الي الحواب واناخوا جملها نبحتها الكلاب فقالت ردوني ردوني واخبرته
بما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها الزبير يا ام المومنين
اصلحي بين الناس اصلحي بين الناس فسارت لذلك فكان ما كان و مما اخبر به
صلى الله عليه وسلم من المغيبات ان عمار ابن ياسر الصحابي المشهور ه
تقتله الفية الباغية من البغي وهو الخروج بغير حق على الامام ولفظ
مسلم قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمار تقتلك الفية الباغية
ذر وكي وتا تحد في النار فقتله اصحاب معاوية
وكان هو مع علي بصفين وهو صريح ان الخليفة بحق هو علي رضي
الله عنه وان كان معاوية مخطيا في اجتهاده كما في حديث اذا اختلف ه
الناس كان ابن سمية مع الحق وابن سمية هو عمار رضي الله عنه كان مع
علي هذا هو الذي ندين الله به وهو ان عليا كرم الله وجهه على الحق
ومجتهد مصيب في عدم تسليم قتلة عثمان ومعاوية رضي الله
عنه مجتهد مخطي في دعوى الفتن والقتال فماذا بعد الحق الا الضلال
ولما اول معاوية حديث عمار ليجد مجالا لانكاره فقال انما قتله

من اخرجه ولذا قال علي كرم الله وجهه لما بلغه قوله فرسول الله
صلى الله عليه وسلم قتل حمزة رضي الله عنه لما اخرجه لاحد كما نقله
ابن وحشية رحمه الله في قتاله بصفين وهو ابن سبعين سنة قتله ابن الغادية
واحتز راسه ابن جزء وفيه علي رضي الله عنه وقال
صلى الله عليه وسلم في حديث تقدم لعبد الله بن الزبير لما شرب دما من
فصلاته صلى الله عليه وسلم ويل للناس منك وويل لك من الناس
وويل هنا للتحسر والتاسف وتكون للدعا بالهلاك وكان الله ه
عليه وسلم احتجم واعطاه دمه وقال له ارقه في محل لا يرى فلما رجع ه
قال له صلى الله عليه وسلم لعلك شربته فقال نعم فقال له ذلك
واستدل به على طهارة فضلاته وكان الناس يرون ان ما عنده
من القوة والجراءة مكتسبة من ذلك الدم والمراد من الناس الحجاج
وويله من الناس لانه من كان على الحق جرا على المقاتلة عليه مكثرا
عداوة وحساده وينال من الناس اذى ووقع له ذلك رضي الله عنه
حتى قتل هو وابنه ظلما وعدوانا كما اخبر به صلى الله عليه وسلم فلم يرق
ذلك الدم حتى اراق دمه وقال صلى الله عليه وسلم في اخباره
عن المغيبات في حديث صحيح رواه الشيخان في حق قزمان بقاف
مضمومة وزاي معجمة ساكنة وميم وهو منسوب لبعض الانصار وكان شجاعا
لكنه منافق وكان قاتل قتالا شديدا اعجب الصحابة رضي الله عنهم
كما اشار اليه بقوله وقد ابلى مع المسلمين وابلى بفتح الهمزة
وموحدة ساكنة ولام ساكنة والف مقصورة فعل ماض من ابلى
بمعنى اختبر ويقال ابلى بلاء حسنا في الحرب اذا اصيب في قتاله واجاد
والجملة حالية اي انه شجاعته واقدامه الا ان ذلك لم يكن خالصا
لله وقد اطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على حاله فقال
فيه انه من اهل النار فعجب الناس من ذلك فاظهره الله لهم فقتل
نفسه لما كثرت الجراحة فيه واثخنته واختلفت الروايات في هذا
الحديث بعد الاتفاق على صحته لرواية الشيخين له عن ابي هريرة
فقيل انه كان ذلك باحد وقيل بحنين وقيل بخيبر واذنه
حنين الواقع في صحيح مسلم تحريف من خيبر لغزوة حنين بها خطا
وقيل ان القصة تعددت فانه صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته
راى رجلا فقال انه من اهل النار فلما قاتلوا قاتل معهم اشد القتال
حتى اثخن بجراحات كثيرة فقال صلى الله عليه وسلم انه من اهل

النار فكان بعض الناس يرتاب فلما اشتد عليه الم الجراحة قتل نفسه
فقيل انه جعل سيفه بين ثدييه وتحامل عليه حتى مات وقيل اخرج من
كنانته سهما نحر به نفسه وقيل قطع عروق يده فاخبر النبي صلى الله
عليه وسلم بذلك تصديقا لما قاله فقال ان الله ليؤيد الدين بالرجل الفاجر
وامر مناديا ينادي في الناس انه لا يدخل الجنة الا مؤمن اي مؤمن
كامل وهو علم منه انه منافق او انه ارتد قبل موته والمنادي قيل
بلال وقيل عبد الرحمن بن عوف وجمع بين الروايات بتعدد القصة
او بانه وقع كل ذلك من تحامله وغيره وتعدد من نادى وفيه اشارة الى انه
لا ينبغي النظر لظاهر العمل ولا الاتكال عليه وروى الطبراني والبيهقي
من طرق بعضها متصل وبعضها موصول وبعضها مرسل وبعضها منقطع انه
صلى الله عليه وسلم قال في حق جماعة من الصحابة كانوا عنده
فيهم ابو هريرة و[illegible] وسمرة بن جندب اخركم موتا في النار
اخركم مبتدا خبره محذوف تقديره يموت موتا في النار موتا مفعول
مطلق والجار والمجرور متعلق بالخبر او بالمصدر او اخركم فاعل يموت
واما كونه مبتدا وموتا تمييز والظرف خبره فان احتمل فليس مرادا ولذا
قيل ان هذا اما تمثيل او تورية لان المراد انه يحترق في الدنيا حريقا ص
يموت به لا انه يدخل نار جهنم لان ابن عساكر روى عن ابن سيرين ان
سمرة اصابه كزاز وهو مرض يصيب صاحبه برد لا يدفو منه فكان
عملوا له قدرا عظيما مسخنا ويجلس عليه ليدفا من بخاره فسقط فيه
فاحترق وقيل انه مات في حق قيل ويحتمل انه على ظاهره بان يدخل
النار في الاخرة ثم يخرج لا تصريحه منه كالذي صححه السيوطي وغيره
الاول واليه يشير المصنف بقوله فكان بعضهم اي بعض من قيل
لهم في حقهم ذلك ممن تقدم يسال عن البعض من رفقائه الذين قال
صلى الله عليه وسلم فيهم ما مر قال ابو حكيم المصيني كنت اذا لقيت ابا هريرة
سالني عن سمرة فاذا اخبرته بحياته فرح فسالته عن ذلك فقال كنا عشرة
في بيت فقال صلى الله عليه وسلم اخركم موتا في النار فمات منا ثمانية
ولم يبق غيري وغيره وكان اذا قيل له مات سمرة يغشى عليه
خوفا من ذلك فكان سمرة اخرهم موتا هرم بزنة علم اي كبر سنه
وضعف بدنه واصابه هزال الشيخوخة وخرف بخا معجمة مفتوحة
وراء مهملة مكسورة اي فسد عقله وتغير من الكبر فاصطلى
اصله اصتلى فابدلت التاء طاء لمجاورة الصاد اي تدفى بالنار اي بنارا

أو تدلّه فاحترق فيها لغفلة أهله عنه وضعفه عن الحركة فعلم
صحة ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم قبل وقوعه ولم يكشف لهم
الغطاء عن مراده ليجدّوا في أعمالهم ويداوموا على الخوف والمراقبة
أو لأنه صلى الله عليه وسلم لم يؤذن له في ذلك وهو من الحكم الخفية قيل
إن ما ذكر لم يُرَ منقولاً عن غير المصنف ولم يذكر أحد أن سمرة حرق بل لم
ينقل أن أحدًا من الصحابة حرق إلا بسر بن أرطاة إذ ابن أبي أرطاة على
القول بأنه صحابي وقد نجّى سفينة مولاه صلى الله عليه وسلم
كما قاله البرهان وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه ابن
إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة أنه قال في حنظلة ابن أبي
عامر الأنصاري الصحابي المشهور بالغسيل فعيل بمعنى مفعول
من الغسل سمي بذلك لأن الملائكة غسلته لما استشهد بأحد وكان
جنبا فقتله أبو سفيان بن حرب وقيل قتله شداد بن الأسود الليثي
وهو حنظلة بن عامر الراهب الذي لقبه رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما بالفاسق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الملائكة
سلوا زوجته يعني امرأته وزوجته فإنه يقال للمرأة زوج كالرجل
في الفصيح وقد يقال زوجة للفرق عنه أي عن حاله فإنه
صلى الله عليه وسلم علم أن تغسيله لجنابة وهي لا يطلع عليها غيرها
كما أشار إليه بقوله فإني رأيت الملائكة تغسله
والشهيد لا يغسل وكان ذلك بأحد فسألوها فقالت خرج من
بيته لأحد جنبا من جماع امرأته أعجله الحال أي محبة الجهاد واللحوق
برسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغسل يعني فسكوت عن الاغتسال
من جنابته لخوفه أن يبطئ عن حضوره معه صلى الله عليه وسلم
فيفوته ذلك الموقف وفي رواية قالت كان جنبا فغسلت أحد
شقي رأسه فلما سمع صوتا خرج فقتل وكان ابتنى بزوجته في تلك الليلة
وهي جميلة بنت أبي بن سلول المنافق قال أبو سعيد
ابن مالك بن سنان الخدري وقد تقدم ذكره مرارا فوجدنا رأسه
أي رأس حنظلة لما قتل يقطر ماء من أثر تغسيل الملائكة له وهذا
من ظهور ما في عالم الغيب وهذا إنما وقع في بعض النسخ ملحقا بالأم و
والشهيد في المعركة لا يغسل لكنه لو كان جنبا هل يكرم بغسله
أم لا اختلف فيه فقيل نعم لأنه لسبب آخر وهو ظاهر الحديث
والكلام عليه مفصل في كتب الفقه وقال صلى الله عليه

وسلم

وسلم في حديث رواه أحمد والترمذي وهو مما خفي فيه إذ فيه مع الحكم
إخبار ببعض المغيبات الخلافة في قريش ولو كان هذا لمجرد الحكم لم يكن
مما خفي فيه لأنه صلى الله عليه وسلم حكم باستحقاقهم لها وقع أم لم يقع وقد
وقع كما أخبر مدة طويلة إلى انقضاء دولة بني العباس وفي حديث آخر رواه
البخاري لا يزال هذا الأمر يعني الخلافة في قريش ما أقاموا الدين بيان للغاية
أي ما حموا شوكة الإسلام وأقاموا شعائر الدين الظاهرة فإذا غيروا غيّر
الله ونزع الملك منهم وقد وقع كما قال صلى الله عليه وسلم وفيه روايات
متغايرة يحتاج الكلام طويلا طويناه خوف الإطالة والسآمة والملل وفي
رواية حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة وما ظرفية مصدرية أي مدة
إقامتهم والإجماع منعقد على أن الخلافة مختصة بقريش وقال
صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم والبيهقي يكون أي يوجد صلى الله
عليه وسلم في ثقيف قبيلة معروفة كذاب ومبير أي مهلك يكثر القتل
بغير حق من البوار وهو الهلاك قال تعالى وكنتم قوما بورا أي هالكين
فرأوهما من الرأي أي رأى العلماء أن المراد في الحديث بها الحجاج ابن يوسف
الثقفي وهذا مما أخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ففي حديث مسلم
أن أسماء رضي الله عنها من طريق مسلم أنها قالت للحجاج إن في ثقيف كذابا
ومبيرا أما الكذاب فقد رأيناه وأما المبير فلا إخالك إلا إياه وقال
النووي رحمه الله أجمع العلماء على أن المبير هو الحجاج وقال هشام
ابن حسان إنه قتل مائة وعشرين ألفا والكذاب هو المختار ابن عبيد
الثقفي ابن مسعود بن عمرو بن عمير ففي عبارته لف ونشر مشوش وأبوه
أسلم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره فلم يعد في الصحابة
والمختار هذا كان يزعم أن جبريل عليه الصلاة والسلام يأتيه وكان يظهر
مع ابن الزبير ومحمد بن الحنفية واستحوذ على الكوفة وأظهر التشيع
واجتمع عليه ناس كثيرون وطلب الأخذ بثأر الحسين فقتل كثيرا من
قتلته وعظم أمره وكان يتكهن ويزعم أنه يوحى إليه وله كرسي يحاكي
به تابوت بني إسرائيل فهو ضال مضل واستمر على ذلك مدة حتى قتله
مصعب ابن الزبير ولعن حجاج أشهر من أن يذكر وأن مسيلمة يعقره
الله أي مما أخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ما ورد في الحديث
الصحيح الذي رواه الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما من ظهور مسيلمة
الكذاب وأن الله يقتله ومسيلمة بصيغة التصغير ولامه مكسورة
والعامة تفتحها وهو خطأ قبيح كما مر وهو رجل من بني حنيفة كنيته أبو

ثمامة ادعى النبوة وزعم انه يأتيه الوحي بقرآن فكان له هذيانات
سخيفة ولما قدم وفد بني حنيفة المدينة على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو معهم لم يقابله وقال لو جعل الامر لي بعده اتبعته فبلغ
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قاله فقال لو سألني هذه
الشظية ما اعطيتها له فرجع معهم وتخرق بتعبده فاتبعوه
وزعم ان النبي صلى الله عليه وسلم اشركه معه في امره وكتب اليه
من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فاني قد اشركت
في الامر معك فان لنا نصف الارض ولقريش نصفها ولكنهم يعتدون
فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من محمد رسول الله الى
مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة
للمتقين فاخفى الكتاب وكتمه كما من عنده اظهره لاصحابه وزعم
انه صدقه فيما قاله فكذبه من بني حنيفة ثمامة ابن مالك رضي
الله عنه ونهى الناس عنه وقال وكان مؤمنا رضي الله عنه

مسيلمة ارجع ولا تمحك ۞ فانك في الامر لم تشرك ۞
كذبت على الله في وحيه ۞ هواك هوى الاحمق الانوك ۞
فما في السما لك مصعد ۞ وما لك في الارض من مبرك ۞

وكان يلقب نفسه برحمن اليمامة ولما توفي رسول الله صلى الله عليه
وسلم جمع جموعا سفها فجهز له ابو بكر رضي الله عنه جيشا اميرهم
خالد بن الوليد رضي الله عنه فقتل مسيلمة كافرا لعنه الله قتله
وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه وشاركه فيه ناس والعقر اصله
يستعمل في الحيوان كعقر الناقة وكونها عقيرة اشارة الى انه بهيمة
من البهائم ماتت ميتة جاهلية فلم يزل كذلك ۞ ومما اخبر
به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ما رواه الشيخان عن عائشة
رضي الله عنها ان فاطمة الزهراء ابنته صلى الله عليه وسلم
ورضي عنها اول اهله لحوقا به وروي لحاقا اي اول من يموت
بعده صلى الله عليه وسلم من اهل البيت فماتت بعده بستة
اشهر وقيل ثمانية اشهر وقيل مائة يوم وهي اصغر بناته
صلى الله عليه وسلم واحبهن اليه وهي اول من غطي نعشها من
النسا في الاسلام واول الحديث انه صلى الله عليه وسلم سارها في
مرض موته فبكت ثم دعاها فسارها بشيء فضحكت فسالته عن ذلك
بعد موته صلى الله عليه وسلم فقالت سارني اولا بانه يموت

في

في مرضه هذا فبكيت ثم سارني باني اول اهله يتبعه فضحكت ولما توفيت
دفنها علي كرم الله وجهه ليلا واختلف في محل دفنها فقيل في قبة ولدها
الحسن قرب محرابها وروى احمد بن حنبل في المناقب انها اغتسلت
ولبست ثيابا لها وكفنا وقالت اني مقبوضة فلا يغسلني ولا يكشفني احد
فامتثل امرها وفيه كلام للفقهاء وانه هل يكفي غسلها في الحياة عن غسل
الميت ام لا انه يعارضه ما روي من انها امرت فاطمة بنت عميس ان تغسلها
وقيل انه من خصايصها وفي اللآلي للسيوطي عن ام سلمة قالت مرضت
فاطمة فقالت يا امتاه اسكبي لي غسلا فسكبته فاغتسلت ثم قالت
هاتي ثيابي الجدد فناولتها فلبستها فقالت قدمي الفراش فقدمته
فاضطجعت مستقبلة ثم قالت اني اليوم مقبوضة فلا يكشفني احد
فقبضت مكانها واتى علي فاخبرته فدفنها بغسلها وقال ابن الجوزي انه
موضوع ورد بانه رواه الطبراني الا انه يعارضه ما روي بخلافه كامر ولعله
من خصوصياتها وانه اخبرها به وانذر بالردة اي اعلم اصحابه صلى الله
عليه وسلم اصحابه بمن يرتد بعده وما يكون من قتالهم وقد وقع ذلك
في خلافة ابي بكر رضي الله عنه والانذار اخبار بامر مكروه مخوف ضد
التبشير وهو مما رواه الشيخان ايضا عن ابن عمر رضي الله عنهما ۞
وكان ذلك بعد ابتدا خلافة الصديق بسبعة اشهر وستة ايام فانه
بعد انتقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتد كثير من الناس الا
اهل الحرمين والبحرين فكفى الله امرهم بابي بكر رضي الله عنهم بعد ان قاسى
منه امورا شديدة ۞ ومما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات في حديث
رواه اصحاب الكتب الستة مسندا ونقله ان الخلافة اي خلافة رسول
الله صلى الله عليه وسلم حق وخلافة النبوة انما تكون لمن تمسك بالسنة
من قريش وهي بعده ثلاثون سنة ثم تكون اي تتحول الخلافة وتصير
ملكا عضوضا اي سلطنة بالقهر من غير وجود شروطها فكانت
الخلافة الحقيقية كذلك اي كما اخبر به صلى الله عليه وسلم وتمت
المدة التي ذكرها بمدة الحسن بن علي ابن ابي طالب كما رواه سفينة
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت خلافة الصديق رضي
الله عنه سنتين واربعة اشهر وخلافة عمر رضي الله عنه عشر سنين
ونصفا وخلافة عثمان رضي الله عنه اثني عشر سنة الا اياما وخلافة
علي رضي الله عنه اربع سنين وتسعة اشهر واياما وفي المغرب
خلافة ابي بكر سنتان وثلاثة اشهر وتسع ليال وعمر عشر سنين وستة

اشهر وخمس ليال وعثمان اثنى عشر سنة الا اثنى عشر ليلة وعلي خمس
خمس سنين الا ثلاثة اشهر فتتم المدة بمدة الحسن لما بويع في عشر رمضان
الاخير سنة اربعين من هجرته ثم سلم لمعاوية في نصف جمادى الاولى سنة
احدى واربعين فمدته كانت سبعة اشهر ونصفا وايامها فيها تتم الثلاثون
كما ذكره المصنف والملك بضم الميم والعضوض بفتح العين صيغة مبالغة
اي ثم يكون ملك عضوض نحو العين جمع عض بكسرها وهو الشرس
الخبيث والملك السلطان والخليفة امير المؤمنين ويقال
خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه خلفه في القيام بامر المسلمين
ولا يقال خليفة الله لغيره اي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البزار عن ابي عبيدة رضي الله عنه
والبيهقي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ان هذا الامر اراد به
دين الاسلام وامر الشريعة المحمدية بدا بهمزة في اخره اي ابتدا في اول
امره او بالف مقصورة بمعنى ظهر وبرز من كون العدم الى الخارج والظاهر
الاول هنا نبوة ورحمة بالنصب على الحالية او بنزع الخافض اي
بدا بنبوته صلى الله عليه وسلم ورحمته للعالمين بالتقادم من الضلال
والكفر وامور الجاهلية وهذا في حياته صلى الله عليه وسلم ورحمته
ثم يكون بعده رحمة وخلافة في زمن الخلفاء الراشدين واخر الرحمة
اولا لانها نشاته من النبوة وقدمها هنا لسبقها على الخلافة لان رحمته
صلى الله عليه وسلم كانت قبلهم واستمرت ثم يكون بعد الخلافة
ملكا عضوضا بفتح العين وضمها كما تقدم في رواية ملك عضوض وهو
استعارة لضرر رعيته او مكنية بتشبيه ظلمهم وتعديهم على الرعية
ببعض حيوان مفترس يعض من رآه ثم يكون بالنحية والقهر للامر
عتوا وجبرية العتو بضم العين الخروج عن طاعة الله يقال
عتا يعتو عتوا وعتيا والجبرية بفتح الجيم والموحدة وتسكن ايضا من تجبر
وهو الاكراه في الوهن قال الراغب الاجبار في الاصل حمل الغير
على ان يجبر الامر لكن تعورف في الاكراه المجرد فقيل اجبرته على كذا وسمي الذين
يدعون ان الله يكره العباد على المعاصي في تعارف المتكلمين مجبرة وفي
قول المتقدمين جبرية وجبرية انتهى وقال غيره الجبرية بفتح الباء
قهرا وتكبرا ولفظ الحديث الذي رواه البيهقي ان الله بدا هذا الامر
نبوة ورحمة وكائنا خلافة ورحمة وكائنا ملكا عضوضا وكائنا عتوا
وجبرية وفسادا في الامة يستحلون الفروج والخمور والحرير وينصرونه

على

ابن الترس

على ذلك ويرزقون ابدا حتى يلقوا الله وهما منصوبان خبر كان ويروى بالرفع
فكان تامة فمروي جبروتا بمثناة فوقية والعتو بمثناة ايضا فما قبل
الاخير مثلثة ومعناه الفساد وقوله تعالى ولا تعثوا في الارض مفسدين
فالحال مؤكدة وقوله في الحديث عتوا وجبروتا وفسادا في الامة
يلزمه عطف الشيء على نفسه وفي الكشاف معناه اشد الفساد فقيل
لهم لا تتمادوا في الفساد في حال فسادكم انتهى وكونه اشد الفساد
يحتاج الى النقل وفي الصحاح ما يخالفه لانه فسره بمطلق الفساد ويلزمه
ان يكون النهي عن التمادي في حال الفساد انتهى ملخصه فيه بحث
واعتراضنا لانه اطال فيه من غير طائل وانا اقول لا يخلوا ما في كلامه
من الخبط فان العتو هنا بالمثناة والمثلثة تحريف وما عثرا منه
على العلامة من قصور نظره فان مثله لا يطلب منه النقل ومراده ان
العتو الا ان بمعنى الفساد فالمراد بقوله مفسدين مستمرين على الفساد
لان الاصل التاسيس وتقدير في سورة البقرة في امر المؤمنين بالايمان
ومثله كثير ومما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات
مما اشار اليه بقوله واخبر صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم
بشان اويس ابن عامر المرادي نسبة لمراد قبيلة مشهورة القرني
بفتحتين نسبة لقرن ابن ردمان بن ناجية بن مراد وغلط الجوهري في
نسبته لقرن المنازل كما غلط في فتح قرن المنازل كما في القاموس وتبعه
بعض الشراح هنا وقال ابن حجر في فتح الباري بالغ النووي في حكاية
الاتفاق على تخطيه في تحريك قرن المنازل وحكى المصنف عن تعليق
القابسي ان من قال بالاسكان اراد الجبل ومن قال بالتحريك اراد البلد
وقال الكرماني اويس القرني منسوب الى قبيلة بني قرن ولا منافاة بينه
وبين ما قدمناه وفي طبقات الاولياء للشرجي انه خير التابعين
مطلقا بشهادة النبي صلى الله عليه وسلم له وكان ادرك التابعين
مطلقا بشهادة النبي صلى الله عليه وسلم له وكان ادرك زمن النبي
صلى الله عليه وسلم ولم يره لاشتغاله ببر امه وعن عمر رضي الله
عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
يأتيكم اويس ابن عامر امداد من اهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص
فبرا منه الا موضع درهم منه لانه دعا الله ان يزيله الا لمعة اذكر بها نعمه
على فمن ادركه منكم فاستطاع ان يستغفر له فليفعل ووصفه صلى الله
عليه وسلم بانه اشهل وصهوبة بعيد ما بين المنكبين شديد الادمة

ضارب بذقنه الى صدره رام ببصره الى موضع سجوده يبكي على نفسه ذو طمرين
لا يؤبه به مجهول في الارض معروف في السماء لو اقسم على الله لابره تحت منكبه
الايسر لمعة بيضاء الا وانه اذا كان يوم القيامة قيل للناس ادخلوا وقيل
لاويس قف واشفع فيشفعه الله في ربيعة ومضر يا عمر ويا علي اذا انتما
لقيتماه فاطلبا منه ان يستغفر لكما فمكثا عشر سنين يطلبانه فلم
يلقياه فلما كانت السنة التي توفي فيها عمر قام على ابي قبيس فنادى
يا اهل اليمن هل فيكم اويس فقال شيخ وقال لا ندري ما اويس ولكن
ابن اخ لي خامل ذكرا واهون من ان ترفعه اليك وهو في ابلنا يرعاها فخرج
عليه عمر رضي الله عنه كان لا يريده ثم قال له اين هو فقال
باراك عرفات فركب عمر وعلي رضي الله عنهما اليه فاذا هو قائم يصلي فلما
عليه ورد السلام من الرجل فقال راعي ابل واجير فقالا لسنا نسالك عن ذا انما
اسمك فقال عبد الله فقالا كلنا عبيد الله ما اسمك الذي سمتك
به امك قال ما تريدان فاخبراه بما قال لهما رسول الله صلى الله عليه
وسلم لهما فعرفاه بانفسهما فقام وسلم عليهما وقال لهما جزاكما
الله عن امة محمد خيرا واستغفر لهما كما امرهما رسول الله صلى الله
عليه وسلم بذلك فقال له عمر رضي الله عنه مكانك يرحمك الله
حتى اتيك بنفقة من عطائي وكسوة من ثيابي فقال لا ميعاد لي ولا تراني
بعد اليوم وما اصنع بالنفقة والكسوة ثم اقبل على العبادة وتوفي
بصفين على ما قيل عام سبع وثلاثين شهيدا مع اصحاب علي رضي الله
عنهم وقال ابن سلمة غزونا اذربيجان في زمن عمر رضي الله عنه
ومعنا اويس فلما رجع مرض ومات فدفناه وجعلنا على القبر علامة
فلما رجعنا لم نجد له اثرا والاول اصح لقول ابي هريرة ان اجتماعه
بعمر في السنة التي توفي فيها فكيف يكون غزا في ايامه وقيل
دفن بدمشق والله اعلم انتهى وهذا هو المراد بشانه الذي
اشار اليه المصنف وعلمت ان اويسا لم باليمن كما توهمه
بعض الناس وانه افضل التابعين وافد لقي عليا وعمر وادرك
زمنه صلى الله عليه وسلم لما ورد في الحديث الصحيح ان خير
التابعين رجل يقال له اويس القرني وقال احمد بن
حنبل افضل التابعين سعيد ابن المسيب قال العراقي لعل احمد
لم يقف على هذا الحديث او لم يصح عنده وفيه انه ذكره في مسنده
ولم يضعفه وانما يوجه بانه اراد انه من خير التابعين بحسب

التبعية وقال النووي افضلية اويس بشدة زهده وخشيته لله
وافضلية سعيد بكثرة علمه وحفظه الحديث فلا منافاة بينهما وقيل
افضلهم الحسن البصري وقيل حفصة بنت سيرين ولا شك انه
الافضل على الاطلاق لاويس وبالعلم النافع لسعيد وفيه نظر و مما
اخبر به صلى الله عليه وسلم ما رواه مسلم من طرق عن ابي ذر رضي الله عنه
بان امراء يؤخرون الصلاة عن وقتها لفظ الحديث كيف انت اذا كانت
عليك امراء يؤخرون الصلاة عن اوقاتها قلت فما تامرني
قال صل الصلاة لوقتها فان ادركتها معهم فصل فانها لك نافلة وفي رواية
وان كنت قد احرزت صلاتك قال النووي المراد في الحديث تاخيرها
عن وقتها الاختياري لا عن وقتها مطلقا يشهد له امره صلى الله عليه وسلم
باعادتها معهم بعد ادائها منفردا اذ لا اعادة بعد خروج وقت الصلاة
ولا جماعة في الصلاة المقضية والقول بان المراد تاخيرها عن جميع وقتها
دعوى بلا بينة ولا شاهد ولم تكن تقبل الوشاة المراد الامراء لغة فيشمل
الملوك وخصهم لان الامامة كانت وظيفة لهم في سلطانه او حاكم بلده يؤم
الناس في المكتوبات او يستخلف من يصلي لهم وقد وقع هذا في زمن بني
امية لانهم اول من غير رسم الخلافة وقد وقع هذا التاخير في زمن
الحجاج ولم ينكر عليه ذلك و مما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات
ما رواه احمد والطبراني والبزار انه قال سيكون في امتي ومن هم
لعصر الفتح في امته ثلاثون كذابا فيهم اربع نسوة ادعاء النبوة فيهم
بطريق التغليب والذي في صحيح مسلم انهم قريب من ثلاثين وورد
في حديث اخر انهم سبعة وعشرون دجالا منهم اربع نسوة والذي ذكره
المصنف رواية اخرى وتسميتهم امته بناء على ظاهر حالهم او المراد بالامة
امة الدعوة والمراد بالكذب فيهم كذب مخصوص وهو ادعاء النبوة وقد وقع
هذا بعده صلى الله عليه وسلم من الرجال مسيلمة والاسود العنسي
بالنون ومن النساء سجاح التي ظهرت باليمن وقصتها مشهورة وتفسيره
بما ذكروه مصرحا به في الحديث بحديث في امتي دجالون كذابون وانا خاتم
النبيين لا نبي بعدي ولو استقصى عدتهم لبلغت ما ذكر والدجال
الكذاب الذي يخلط ويلبس فقال دجل امره اذا خلطه وموهه ولبس فيه
حتى يخفى ومنه الدجال المشهور وجمعه دجالون ودجاجلة وفي حديث
اخر رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه ثلاثون دجالا
كذابا عطف بيان على ما قبله اخرهم الدجال الكذاب الاعور الذي يظهر

في اخر الزمان ويقتله عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فالتعريف
فيه للعهد وتقدم انه من الدجل وهو الكذب والتمويه وفي تذكرة
القرطبي فيه اقوال اخر احدها انه ابن صياد يدعي الالوهية
ويظهر امورا خارقة للعادة ولا يدخل مكة والمدينة والقدس معه
جنة ونار وحيا لمن خبز كلهم يكذب على الله ورسوله كذبه على الله قوله
انه اوحي اليه وعلى رسوله قوله انه بشر لي واخبر بنبوتي كقول مسيلمة
انه اشركني في امره ويحتمل ان يكون الرسول منه بشر الملائكة لقولهم
ان جبريل نزل علي واوحي الي كذا وقال صلى الله عليه وسلم
في حديث رواه البزار والطبراني باسناد صحيح من حديث طويل عنه
يوشك بضم اوله مضارع اوشك بمعنى قرب ودنا واسرع بفتح
وشكا واوشك ان يكثر فيكم العجم هم خلاف العرب مطلقا لان لسانهم
عجم اي غير ظاهرة لهم وقد يخص باهل فارس والاول اقرب هنا والمراد
انه يكثر فيهم حكمهم وامارتهم عليهم كما في كثير من الدول كالاموية
والاكراد والاتراك الذين كانت فيهم السلطنة والدولة ولذا قال
ياكلون افياكم جمع فيء وهو الغنيمة من الكفار بغير قتال ويطلق
على مطلق الغنيمة والاكل فيه تجاوز عن الاستيلاء عليه واخذه
قهرا ومنع المستحقين منه بغير رحمة واضافة الافياء اليهم
باعتبار الحاقهم ويحتمل ان يراد بافيائهم ما لهم الذي بايديهم
سماه فيا لانه مما افا الله لهم بغير مشقة عليهم ويضربون رقابكم
اي يقتلونهم بغير حق والخطاب خطاب مشافهة لخير المؤمنين
من القرينة فيشمل جميع من بعد عصر النبوة كما في غيره خطابا بات
الشارع وانما جعله قريبا منهم لان كل ات قريب والدنيا ساعة
وقد فسره الشارح الجديد بما لا وجه له فتركه خير من ذكره وقال
صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان لا تقوم الساعة
حتى يسوق الناس بعصاه اي يملك الناس ويسخرهم كما يريد من غير
مانع ولا كد وتعب وفيه استعارة تمثيلية لتشبيهه
براع لغنم يسوقها بعصاه يهش بها عليها وفيه اشارة الى ضعف
الناس وجهلهم فكانهم غنم شانه همها ان ترعى والعصا فيه
كما في قولهم فلان تحت عصا فلان اي منقاد لامره وحكمه وهم
عبيد العصا رجل من قحطان الذي عرف اليمن وقحطان ابو اليمن
وهذا الرجل الجهجاه كما ورد في الحديث وقحطان اسمه يقظة

عرض

اف

او يقظان وكان خيرا ومنع ادراك الناس فسمي قحطان لقحط الرزق بسببه
وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان ايضا
خيركم المراد امته ولفظ الصحيحين خير امتي وهو المراد قرني
اي عصري وما في الذي انا فيه والمراد اهله لقوله ثم الذين يلونهم
اي يتبعونه بعدهم بلا فصل وهم الصحابة والتابعين لهم باحسان
ثم الذين يلونهم وهم تبع التابعين والقرن اهل زمان اجتمعوا
واقترنوا فيه في اعمارهم وجميع احوالهم وفي تفضيله كلام تقدم
والخيرية ان كانت بالنسبة لما بعده وهو الظاهر فلا كلام فيه
وان كان على اطلاقه لا يلزم منه تفضيل اصحابه على الانبيا عليهم
الصلاة والسلام لان المراد تفضيل الجملة والمجموع على المجموع
لا تفضيل كل فرد على كل فرد وثم لبيان التراخي في الرتبة كالافضل
والافضل ولا شبهة في فضل العصر والجملة اهله من غير تفضيل
فلا ينافيه حديث امتي كالمطر لا يدري الخير في اوله ام في اخره فان
هذا من واد وذاك من واد اخر وهذا اشارة الى انه قد يجي في الامة
من ينفع الناس نفعا عظيما لم يتيسر لغيره ممن سبقه وهذا
بالنظر لافراد مخصوصة وذاك بالنظر لمجموع العصر وشتان ما
بينهما ولذا عبر بالقرن فلا يتوهم واهم نظر لعمر ابن عبد العزيز
وما صدر منه ولعثمان وما كان في عهده تفضيل لعصره فيفضل
ويفضل ثم يأتي بعد ذلك قوم وروي ثم ان بعدكم قوما يشهدون
ولا يستشهدون اي يؤدون الشهادة قبل ان تطلب منهم ومثله
لا يقبل وهذا لا ينافي ما ورد في الحديث ان خير الشهود من ياتي
بالشهادة قبل ان يسالها فان هذا محمول على من كان عنده علم بامر يحتاج
فيه وصاحبها لا يدري ايضا عنده فيخبره بما عنده ليستشهده
عند حاجته ويحمل مقال على مقام ويخونون ولا يؤتمنون هو عطف
مؤكد لما قبله لان الخائن لا يؤتمن او المراد ظهور خيانتهم حتى لا يامنهم
احد بعد ذلك بخلاف من خان مرة فانه قد يؤتمن او المراد انهم يخونون
فيما لم يؤتمنوا عليه كمن سرق او غصب ونحوه وينذرون بضم
الذال المعجمة وكسرها ولا يوفون بما نذروه من غير عذر ومانع
لهم ويقال وفى واوفى بمعنى ويظهر فيهم السمن اي عظم البدن
بكثرة لحمه وهذا علامة على كثرة اكلهم وشبعهم وترفههم وعدم
خوفهم من الله وعدم تفكرهم فيما قبله الامور وروي ياتي في اخر

الزمان قوم يتسمنون وفي التوراة ان الله يبغض الحبر السمين وفي الفائق
الذي سمن وكثر رطوبة بدنه كان بليدا مغفلا غير مكترث بدينه ودنياه
فجعل هذا كناية عما ذكر لانه من لوازمه غالبا فلا ينافيه ما نشاهد من كون
بعض العلماء والصلحا سمين الجثة خلقة انشاه الله عليها لقوة نطفة
ابويه وقيل المذموم منه ما يكتسب دون الخلقي لانه ورد في الحديث
ويل للمتسمنات يوم القيامة اي اللواتي يتعاطين التسمنة وهي دواء
يسمن به وروي تخلف قوم يحبون السمانة بفتح السين المهملة
وهي السمن وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البخاري
عن انس رضي الله عنه لا ياتي زمان الا والذي بعده شر منه المثنى
جملة حالية يجوز في مثلها الواو وتركها والحديث هكذا
قال الزبير بن عدي اتينا انسا رضي الله عنه نشكو اليه الحجاج
فقال اصبروا فانه لا ياتي زمان الا والذي بعده شر منه حتى تلقوا
ربكم سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم وروي اشر على اصل
كاخير والمستعمل منهما خير وشر وسمعا على الاصل نادرا وفي معنى
هذا الحديث ما اشتهر من انه صلى الله عليه وسلم قال كل عام ترذلون
الا انهم قالوا لم يرد بهذا اللفظ وان كان معناه ثابت في احاديث
كثيرة فهو رواية بالمعنى وقال الحسن البصري لما ذكر يحيى ابن عبد
العزيز بعد الحجاج لا بد للناس من تنفيس يعني ان الله ينفس عن عباده و
يكشف عنهم البلا احيانا وقال صلى الله عليه وسلم في حديث
رواه الشيخان هلاك امتي على يدي اغيلمة من قريش اغيلمة
تصغير اغلمة وهو جمع قلة نحو فيه التصغير على لفظه وهو
في حكم المفرد وفي القاموس جمع غلام غلمة واغلمة وغلمان والغلام
الشاب نحو طرشاربه وهو المراد كما في النهاية من انه تصغير غلمة
على القياس ولم يرد في جمعه اغلمة ومثله اصيبية تصغير صبية
كلام لا وجه له فانه جمع القلة لجمع قلة اخرى في التصغير مما لا يعقل
ولا يسمع ولو لم يرد غير هذا ادلنا على انه سمع فيه اغلمة فلا حاجة
للتعسف في تاويله والمراد بهلاكهم ضياع امورهم وهلاك بعضهم
قال ابو هريرة راوية اي راوي هذا الحديث لو شئت
سميتهم لكم بنو فلان وبنو فلان اي لو اردت ان اسميهم لكم سميتهم كيزيد
فانه اباح المدينة ثلاثة ايام وقتل من خيار اهلها ناسا فيهم ثلاثة
من الصحابة فانه رايت بكارة الف عذرا وكبني مروان بن الحكم وغيرهم

من

من بني امية ولم يسمهم خوف الفتنة واخبر صلى الله عليه وسلم عن بعض المغيبات
في حديث رواه الترمذي وابو داود والحاكم بظهور القدرية في قوله
صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس هذه الامة وهم لما قالوا بان الاشيا كلها
ليست بقضا الله وقدره وان الانسان خالق لافعاله وانها بقدرته
سموا قدرية لاثباتهم القدرة للعبد لا لانكار قدرة الله على افعاله
وشبههم بالمجوس لانهم اثبتوا خالقين خالق الخير وهو النور الذي
سموه يزدان وخالق الخير وهو النور الذي سموها يزدان وخالق الشر
الظلمة سموها اهرمن وهؤلاء لما نسبوا افعال العباد لهم قالوا
بتعدد الخالق على ما تقرر في الاصول واما معنى القضا والقدر فعند
السلف القضا ارادة الله الازلية المتعلقة بجميع الاشيا خيرها
وشرها والقدر ايجاده على ما قضاه اولا وعند الفلاسفة القضا
علمه بما عليه الوجود حتى يكون احسن نظام ويسمونه العناية والقدر
خروجها على وفقه وهؤلاء القدرية هم المعتزلة واما القدرية الذين انكروا
القدر وان الامر انف اي مستانف لا يعلمه الا بعد وجوده فليس المراد
بالحديث هم لانهم انقرضوا فلم يبق منهم احد والرافضة الذين اخبر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بظهورهم كما ورد في حديث رواه البيهقي
من طرق الا انها كلها ضعيفة فقال يكون في امتي قوم في اخر الزمان
يسمون الرافضة يرفضون الاسلام وروي ويلفظونه فاقتلوهم فانهم
مشركون امتي وقيل بان توجيه التسمية ان الرفض معناه لغة
الترك وقيل هم قوم تركوا حب الشيخين من التبعية وهم اثنا
وعشرون فرقة وقد وقع ما اخبر به الصادق الامين لما ظهر الفاطميون
ومن بالعجم الان منهم وسب اخر هذه الامة اولها اي اخبر صلى الله
عليه وسلم بان من تاخر من امته سيظهر سبه اولها وهذا من
المغيبات وروي في حديث رواه البغوي عن عايشة مرفوعا فقال
لا تذهب هذه الامة حتى يلعن اخرها اولها وقد وقع هذا
كثيرا من الرافضة فاظهروا سب الشيخين وسب عايشة
ومعاوية وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم ووقع من بني امية
سب علي كرم الله وجهه على المنابر وادخل معهم في هذا من سب
بعض الاوليا وعلما السلف وذكرهم بالسو وافترى عليهم ما لم يقولوه
كما شاهدناه من بعض السفها يسبون ابن عربي وابن الفارض
ونحوهما من اوليا الله حتى صنف بعضهم تصانيف في الرد عليهم

ومقامهم اعلى من ذلك والاشتغال بمثل هذه التصنيع للزمان وتسويد
لوجوه الاوراق نفعنا الله ببركاتهم وحشرنا في زمرتهم و اخبر صلى
الله عليه وسلم بقلة الانصار بعد عصر النبوة وهم الاوس والخزرج
وسموا انصارا لانهم نصروا الرسول صلى الله عليه وسلم واووه وهو جمع
ناصر ونصير غلب على هذه القبيلة ولو اسبت اليهم انصاري وكم
يرد لواحده وهذه الاشارة لما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما
انه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات
فيه فجلس على المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد
فان الناس يكثرون وتقل الانصار حتى يكونوا كالملح في الطعام فمن
ولي منكم شيئا يضر فيه قوما وينفع فيه اخرين فليقبل من محسنهم
ويتجاوز عن مسيئهم اي ان اهل الاسلام لا يزالون يدخلون فيه افواجا
وهولا يقلون ولا يكثر نسلهم فان اجداد الاكثر تكثر في كل جيل فلم تزل
قلتهم الى ان صاروا بالنسبة لغيرهم كالملح في الطعام ووجه
التشبيه انهم مع قلتهم فيهم صلاح والصلاح ذا اهم يذهبون بيتهم كالملح
فانه يذوب فيما وضع فيه وقد كان كما قال فان الان في المدينة
لم يبق منهم الا القليل كما اشار اليه بقوله فلم يزل
امرهم يتبدد المراد بامرهم ما به بقاؤهم وانتظام حالهم من املاكهم
واتباعهم ويتبدد بمعنى يتفرق ويتشتت حتى يفنى ويضمحل ويقلون
حتى لم يبق لهم جماعة اي لم يبق من نسلهم قوم يجتمعون في المدينة
كما كانوا عليه اولا وهكذا السادات العظام اذا مات واحد منهم لم يقم
بعده من يخلفه و اشار لسبب ذلك بقوله و انهم سيلقون
سيلقون بعدي
بعده اي تلقى الانصار بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اثرة بفتح
الهمزة والمثلثة والرا المهملة فيهما ويجوز كسر الهمزة وسكون
المثلثة وهما بمعنى وهو الاستبداد وقيل الثاني شدة
الاستبداد اي يلقون بعده صلى الله عليه وسلم من يوثر غيرهم ويقدمه
عليهم في العطا من الديوان ويقل نصيبهم من الفيء فتضيق من الغي
معيشتهم وفي نفسهم شرف وحمية فيتشتتوا ويتبدد امرهم ه
قال ابن سيد الناس كان ابتدا هذا في زمن معاوية رضي الله عنه ويجوز
في اثرة ان يكون جمع اثر كثارات وكتبه اي اثر لنفسه وقومه عليهم
وبعده فاصبروا حتى تلقوني على الحوض والحديث طويل في الصحيحين
وهذا كله من الاخبار عن المغيبات و منه اخباره صلى الله عليه وسلم

بشان الخوارج الذين خرجوا على امير المومنين علي كرم الله وجهه بالنهر
وان وهم خوارجية الاف فقاتلهم حتى قتلهم واستشهد بعض اصحابه
وقيل كانوا اكثر من ذلك بكثير وحديثهم رواه الشيخان وصفتهم بالجر
عطفا على شان وهم فرق من اهل الضلال كالمحكمة الذين انكروا تحكيم
الحكمين والازارقة المنسوبين الى نافع بن الازرق وغيرهم مما لا حاجة
لتفصيل اخبارهم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم فيهم انهم اهل
صلاة وصيام يحقر احدكم صلاته في جنب صلاتهم وصيامه في جنب
صيامهم الا انهم مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية وقد كفروا مرتكب
الكبيرة واكثر الصحابة ومواطنهم الجزيرة وعمالات الموصل وحضرموت
وبعض نواحي المغرب و اخبر صلى الله عليه وسلم بالمخدج الذي فيهم
وهو بضم الميم وسكون الخا المعجمة وفتح الدال المهملة ويروى بفتح
الدال المهملة الخا وتشديد الدال والمعنى واحد وهو المخدوج
وهو الناقص خلقة ومنه الخداج وهو اشارة لما في حديث الصحيحين
من انه صلى الله عليه وسلم قسم في بعض الايام قسما فقال له رجل منهم
وهو ذو الخويصرة اعدل يا رسول الله فقال ويحك ومن يعدل
اذا لم اعدل لخبت وخسرت فقال عمر رضي الله عنه ائذن لي اضرب
عنقه فقال له دعه ان له اصحابا يحقر احدكم صلاته الخ وايتهم
رجل اسود احدى عضديه مثل ثدي المراة او مثل البضعة تدردر ولما
كانت وقعتهم وقتالهم على خطب الناس وذكر الحديث ه
وقال اطلبوا المخدج فطلبوه فوجدوه تحت القتلى فجاء واليه يعالج
شعرات فنصعد فشقوه فلما راى احدى ثدييه مثل ثدي المراة عليه شعرات
سجد شكرا لله تعالى اذ صدق نبيه صلى الله عليه وسلم وعلم
انه على الحق وهم على الباطل و ان سيماهم بكسر السين وهي العلامة
التحليق اي يحلقون شعورهم ولم يكن في الصدر الاول حلق
الرؤوس الا في النسك وهذه الاحاديث ظاهرة في تكفيرهم كما قال
الخطابي وفيه اختلاف وقيل المراد به الغلو والارتفاع من قولهم
حلق الطائر اذا طار وعلا وما ذكرناه على ان حلق جميع الراس ليس
بممنوع وليس فيما ذكر دليل على حرمته ولا كراهته على انه استدل
لجوازه بحديث صحيح على شرط الشيخين انه صلى الله عليه وسلم راى
صبيا حلق بعض راسه فقال احلقوه كله او اتركوه كله قال
النووي رحمه الله في شرح مسلم وهو صريح في اباحته وقال قال

الفقهاء انه جائز على كل حال فان شق عليه تعهده بالتسريح والدهن
استحب حلقه وان لم يشق استحب تركه ويرى رعاء الشاء يروى بالتحتية
مبني للمجهول ورعاء بكسر الراء المهملة والمد جمع راع كرعاة ورعيان
والشاء بالمد جمع شاة وهي معروفة رؤوس الناس ورؤوس جمع رأس
وهو مجاز مشهور بمعنى الرئيس ويروى بالتاء الفوقية والخطاب
لغير معين كقوله تعالى اذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم ويكون رفعه
ونصبه والحفاة العراة العراة جمع عار من اللباس والحفاة جمع
حاف وهو من ليس في رجله نعل وهذا الحديث في الصحيحين
بمعناه وبعض الفاظه فالمصنف رواه من طريق آخر ورواه
بالمعنى يتطاولون في البنيان اي يتفاخر بعضهم على بعض في بنائه فيريد
كل منهم ان يزيد على غيره فيغالي باراه اذا عارضه فتبارى وابترى
وهذا او ما قبله كناية عن توسع من لا قدرة له في الدنيا عليها
وعلوه على غيره حتى يصير بينا يجد فعوه وذلك كثرة مفاخرة
بعضهم لبعض في البناء العالي كالقصور المشيدة والمساجد المزخرفة
وفي مسلم اذا رأيت الحفاة العراة رعاء الشاء الصم البكم ملوك الارض
ورؤي يتطاولون بالبناء بمعنى انه من اشراط الساعة اذا اهل
البادية ونحوهم ممن لا تليق لهم ولا نقل يتوطنون البلاد ويبنون
القصور ويرأسون وجهلة الناس واذا بهم يصيرون حكاما وارباب
عظيم الشان ولقد اظهر ما اخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم
من هذه المغيبات وهو الان عيانا اي بالعين وكنى بكونهم رعاء الى
انهم مجهولون الانساب جهلة وانهم مشغولون عن عبادة الله
ورؤي يتمارون بالميم بمعنى يتمادون او المعنى واحد وان تلد الامة
اي الجارية المملوكة التي اتخذت سرية ربتها بالتأنيث وربت
ورب بمعنى سيد وسيده والرب لغة له معان السيد والملك والمربي
المدبر والقيم والمنعم ويطلق على الله وعلى غيره مضافا وغير مضاف
نكرة ومعرفة بحسب القرائن والمقامات والمراد هنا السيد ذكرا
كان او انثى وانثه باعتبار النسمة وهو من حديث صحيح مشهور رواه
الشيخان وغيرهما وهو من المغيبات واشراط الساعة التي اخبر بها
صلى الله عليه وسلم اصحابه وفي معناه اختلاف كثير فقيل معناه ان الاماء
تلدن الملوك فتكون امه امة من جملة رعيته وقيل هو عبارة
عن فساد احوال الناس في اخر الزمان وكثرة بيع امهات الاولاد حتى يشتري

الرجل

الرجل امه وهو لا يدري انها امه فلا يختص بام الولد والامة قد تلد
حرا من غير سيدها لوطئها بشبهة فتوتر او رقيقا بنكاح او زنا ثم
وتعتق تتداول الايدي امه حتى تشتريها ابنتها وقيل معناه
كثرة العقوق حتى يستطيل الولد على امه استطالة السيد والذي
عد من الاشراط على الاول كثرة التسري فلا ينافي تسري النبي صلى الله
عليه وسلم بمارية وغيرها وفي الشروح كلام مبسوط في هذا الحديث
وفيه من دلائل النبوة الاعلام بكثرة التسري والسبي بعد ظهور الاسلام
واستيلاء المؤمنين على الكفرة وتملكهم ديارهم والانذار بان غايته الاعلام
لا يدانه بقيام الساعة وكل شيء بلغ الحد انتهى ومما اخبر به صلى الله عليه
وسلم ان قريشا والاحزاب لا يغزونه ابدا الاحزاب جمع حزب وهو
الطائفة الكثيرة المجتمعة للتعصب والقتال وتعريفه هنا للعهد
اذ المراد احزاب مخصوصون في الغزوة المشهورة وانه هو الذي يغزوهم
فقد اخبر بذلك في الاحزاب وهي غزوة الخندق وبعد احد والخندق
لم تغزه قريش وهو صلى الله عليه وسلم حين فتح مكة واتى بالجملة
مؤكدة بالاسمية والاو ضمير الفصل لتحقيق وقوعه ونصره ولذا
قال صلى الله عليه وسلم يوم فتحها لا تغزى قريش بعد هذا الى يوم
القيامة اي لا تعود مكة دار كفر ولا تغزو هنا الكفار فلا ينافي ما
وقع لبعض المسلمين كالحجاج وكذا احداث ذي السويقتين قال
النووي قدره انه صلى الله عليه وسلم قال هذا السبع يعني من ذي
القعدة ومما اخبر به رواه الشيخان ايضا انه صلى الله عليه وسلم
اخبر بالموتان بضم الميم بزنة بطلان وبفتحها وسكون الواو وهو مصدر
بمعنى الموت الكثير وبفتح الميم والواو لا يصح هنا لانه بمقابل الحيوان
وفي القاموس الموتان بالتحريك خلاف الحيوان او ارض لم تحي بعد
وبالضم موت يقع في الماشية ويفتح انتهى يعني ان فعلان بفتحتين
في المصادر يختص بما يدل على الحركة كالجولان والدوران وهو من
محاسن اللغة العربية اذ جعل اللفظ على وفق معناه فلذا امتنع
تحريكه هنا الذي يكون بعد فتح بيت المقدس وكان ذلك خلافة
عمر رضي الله عنه بعمواس بفتحتين وهي قرية من قرى بيت المقدس
نزل بها عسكره وهو اول طاعون وقع في الاسلام مات فيه
سبعون الفا في ثلاثة ايام وكان ذلك سنة ست عشرة من الهجرة
وعمواس قرية بين الرملة وبيت المقدس مات فيها ابو عبيدة بن الجراح

والحديث الاول عن عوف ابن مالك رضي الله عنه قال اتيت النبي
صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وهو في قبة من ادم فقال اعدد ستا بين
يدي الساعة موتي ثم فتح بيت المقدس ثم موتان ياخذ فيكم كقعاص الغنم
بقاف وعين وصاد مهملتين والموت به الغنم من وقتها ثم استفاضة
المال وعدها الى اخرها وفتنة وهدنة بينكم وبين الاصفر والموتان
ان خص بالماشية كما مر فهو هنا مجاز مرسل لمطلق الموت او استعارة
ولا ينافيه باداة التشبيه لانه وجه اخر وهو شدة السرعة
والمنافي له ذكر التشبيه لانه من وجه اخر وهو شدة السرعة
والمنافي له ذكر التشبيه في ذلك المجاز بجنسه وقد اشار لما
قلناه الشريف في حواشي الكشاف في قوله

كان اذني قلبه خطلاوان

وهو من الفوائد النفيسة وما وعد من سكنى البصرة بتثليث
البا فمعناها ارض غليظة او ذات حجارة والفتح اشهر وافصح وهي
بلدة اسلامية ويقال لها بصيرة بالتصغير ابتنا بناها عتبة
ابن غزوان في خلافة عمر سنة سبع عشرة وسكنت سنة ثمانية
ومن شرفها انه لم يعبد بها صنم وينسب اليها بصري بكسر وفتح
ولا يجوز الضم وهذا الحديث رواه ابو داود عن انس قال
له صلى الله عليه وسلم يا انس ان الناس يمصرون امصارا وان مصرا
منها يقال له البصرة فان انت مررت بها او دخلتها فاياك وسباخها
وكلاءها وسوقها وباب امرائها وعليك بضواحيها فانه يكون بها
خسف وقذف ورجف ومسخ وضواحيها نواحيها ومنه قريش الضواحي
للنازلين ببطحا بحا ظواهرها وكلاءها بتشديد اللام موضع سفنها
وفي هذا من اعلام النبوة والاخبار بالغيب ما لا يخفى وتجوز
كسر ما دها وهي حصن لدفنه بالعرب تسمى البصرة ايضا والمراد الاول
وسكنى مصدر كعقبى بمعنى الاقامة بها ونزولها ومن اخبارها
صلى الله عليه وسلم عن الغيب ايضا في حديث رواه الشيخان
انهم اي امته عليه الصلاة والسلام يغزون في البحر بعده
صلى الله عليه وسلم فانه لم يكن ذلك في حياته والمراد بالبحر البحر الملح
لانه اذا اطلق ينصرف اليه ولم يتعهد في غيره الا نادرا كالملوك
على الاسرة وهو تشبيه بليغ والاسرة جمع سرير وهو مقعد
نعد للملوك مرتفع يجلسون عليه ترفعا وتعظيما ومؤخر المراكب

المعدة للغزو الذي يقعد عليه رئيسهم يعمل على هيئة سرير الملك
بعينه كما يعرفه من شاهده فهو من الاعلام المعجبة لانه لم يكن ذلك بديار
العرب ولم يره احد منهم فتوصيفه صلى الله عليه وسلم له كمن عرفه وجلس
عليه مما تحار فيه العقول والحديث عن انس رضي الله عنه عن خالته
ام حرام بنت ملحان وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نام عندها لانها
لانه محرم لها ثم استيقظ صلى الله عليه وسلم وهو يبتسم فقالت له
ما اضحكك يا رسول الله قال اناس من امتي عرضوا علي يركبون البحر
الاخضر كالملوك على الاسرة قالت ادع الله ان يجعلني منهم فدعا لها
ثم نام فرأى ذلك فقال لها ما قال اولا ودعا لها وقالت لها انت
من الاولين فخرجت مع زوجها عبادة بن الصامت مع المسلمين الغزاة
في البحر مع معاوية رضي الله عنه فلما انصرفوا قرب لها دابة تركبها
فوقعت فماتت شهيدة ثمة واختلف في زمنه فقيل في زمن معاوية
كما مر وقيل في زمن عثمان رضي الله عنه وجمع بينهما بانه في
زمن عثمان امر معاوية بغزو البحر فغزاه بامر عثمان ثم لما ولي الخلافة
غزاه بنفسه وفي الحديث معجزات اخباره صلى الله عليه وسلم
عن غزوهم البحر وغلبتهم وظهور شوكة الملوك فيهم وان ام حرام منهم
او لهم وفيه دليل على جواز ركوب البحر للرجال والنساء خلافا لمالك
في كراهته للنساء في رواية عنه وان الغزو فيه مشروع مطلوب وورد
في الحديث ان غزو البحر يزيد اجره على البر بعشرة درجات لما فيه
من المشاق وهذه الغزاة اول غزاة فيه وهي فتح قبرس وكان عمر رضي
الله عنه لم ياذن في ذلك اولا ثم لما ذكر له هذا الحديث امر به وجهز
الاسطول كما هو مفصل في محله وليس المراد بالتحقيق الحديث بحر الشام
وتعريفه للعهد بل مطلقه كما لا يخفى وام حرام رضي الله عنها مدفونة
بقبرس وقبرها معروف بها يزار وفي نسخ بسبج البحر بمثلثة وموحدة
وجيم وهو وسطه ومعظمه اخبر صلى الله عليه وسلم وان الدين
لو كان منوطا اي معلقا بالثريا لناله اي وصل اليه رجال من فارس
اي ناس منهم من نياط الثريا كناية عن غايته وهي كواكب مجتمعة اختلف
في عدتها كما مر وهي المنازل المشهورة اي الثريا وهي مشهورة بالعلو
في السما ويضرب بها المثل ولفظها مصغر من الثروة كما تقدم والدين بمعنى
الايمان او الشرع وما يتعلق به وهو كناية عن ان هؤلاء يصلون منه
لما لم يصل اليه غيرهم فقط وهذا من حديث رواه الشيخان وهو من اعلام

النبوة ايضا لما ظهر فيهم من الاوليا والعلما وما ظهر فيهم من التصانيف التي لا تعدو لم يات الدهر بمثلها وما كان فيهم من التصانيف خدمة كتاب الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تجد فنا الا وقد حاز واه قصب السبق فيه وانظر الي البخاري هل له مثيل وليست هذه شعوبية كما يتوهمه من يتعصب تعصب الجاهلية وانما هو تحقيق لما اخبر به سيد البرية صلى الله عليه وسلم وفارس جيل معروف ويقال لهم العجم ايضا وهم من اولاد سام بن نوح على الاشهر وفارس اسم جدهم سموا به ويطلق على بلادهم ايضا والحديث مروي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال كنا جلوسا عنده صلى الله عليه وسلم فانزل عليه سورة الجمعة وقوله فيها واخرين منهم لما يلحقوا بهم فقلت من هم يا رسول الله وفينا سلمان الفارسي رضي الله عنه فوضع صلى الله عليه وسلم يده عليه ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لناله رجال او رجل من هولاء وقوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ولا مانع من تعدد سبب النزول كما حققه المفسرون والاشارة بهولاء الى ان المشار جلبس هولاء

ومن ذلك ما رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه انه قال هبت اي هبت ريح لشدة والنبي صلى الله عليه وسلم في غزاته اي في غزوة من غزواته وهي غزوة تبوك وهو محل من ارض الشام كما قيل وفيه نظر لموت منافق اي رجل من المنافقين وهو رفاعة ابن زيد بن التابوت احد بني قينقاع وكان من عظما اليهود كهف المنافقين فلذا سماه منافقا وقال ابن الجوزي انه عم قتادة بن النعمان وذكر عنه قتادة رضي الله عنه انه راى منه ما يدل على صحة اسلامه وقال الذهبي في التجريد لم صحبته فتسميته منافقا على حقيقته وظاهره ورواية اخرى لموت عظيم من عظما الكفار وهو ايضا محمول على ظاهره او هو باعتبار ما في قلبه من الكفر المعتمد وصحح البرهان ان هذه الغزاة غزوة بني المصطلق وكان في ذلك في رجوعه منها سنة ست او اربع او خمس قبل الخندق على اختلاف فيها وهذه علامة لما ذكر لانها تدل على غضب الله كما في ريح عاد التي اهلكتهم كما تهلك ريح السموم من هبت عليه لانه استدل بها كما استدل بالنجوم وحوادث الجو عند الحكما والمنجمين ولا حاجة الى انه يقال انها علامة لما صنعه الله وقدره واطلع من اراد عليه والممنوع انما هو اسناده لها وجعلها موثرة فيه فلما رجعوا اي النبي صلى الله عليه وسلم

ومن معه من تلك الغزاة وجدوا ذلك اي ما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من المغيبات بموت ذلك المنافق المذكور فهلكه في وقت اخباره صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الطبراني عن رافع بن خديج رضي الله عنه بسند صحيح لقوم من جلسايه من الصحابة رضي الله عنهم وهو جمع جليس بمعنى مجالس مثل كريم وكرما ضرس احدكم اي واحد منكم ايها الحاضرون في النار اي اذا كان في جهنم مثل احد اي كالجبل المذكور عظما وهو عبارة عن ان احدهم يموت كافرا لما في حديث اخر ضرس الكافر مثل احد وجسم المعذب كلما زاد زاد عذابه فكان اشد عليه وكونه عبارة عن ثبات عذابهم وقوة صبرهم عليه كما قيل في غاية البعد قال ابو هريرة رضي الله عنه الذي كان الخطاب له فذهب القوم الذين كانوا جلساه اي ماتوا كلهم كما اشار اليه بقوله يعني ابو هريرة بقوله ذهب القوم ماتوا فان الذهاب حقيقته الانصراف عن مكان وقد يخص بالموت كقول قس

في الذاهبين الاولين من القرون لنا بصاير

وبقيت انا ورجل منهم ولم يعينه لكراهته والستر على من كان صحابيا بحسب الظاهر واسمه الرحال ابن عنفوة والرحال براء مهملة وحاء مهملة ولام وقيل انه بالجيم وهو الاصح ورابة وهو من اهل اليمامة فقتل مرتدا حال من ضمير قتل النايب عن الفاعل والضمير لرجل يوم اليمامة اي في حرب كان باليمامة وهي اسم ارض معروفة شرقي الحجاز ومدينتها العظمى الحجر ويسمى حجر اليمامة ايضا وقتله زيد بن الخطاب في حرب مسيلمة لعنه الله وكان معه وقدم مع وفد بني حنيفة على النبي صلى الله عليه وسلم واسلم وتعلم القران فلما ادعى مسيلمة الشركة مع النبي صلى الله عليه وسلم في الوحي ارتد او شهد انه بذلك واعلم الصحابة رضي الله عنهم يعنيب عنهم وهو مبني للفاعل بونه الكون وفاعله ضمير النبي صلى الله عليه وسلم وهذا الحديث رواه ابو داود والنساي عن زيد بن خالد الجهني بالذي غل بغين معجمة ولام مشددة من الغلول وهو السرقة خفية كان الايدي غلت عنها او من الغلل وهو الما الجاري تحت الشجر وكثر استعماله في السرقة من الغنايم خرزا بخا معجمة وزا مهملة وزاي معجمة واحده خرزة وهي حجارة تنظم ويزين بها كالجوهر من خرز يهود ممنوع من الصرف لانه علم لهذه الطايفة سموا باسم جدهم يهودا بن

ابن اقيس

بجى

يعقوب اخو يوسف والمراد يهود خيبر لانه توفي بها فذكر ذلك له صلى الله
عليه وسلم فقال صلوا على صاحبكم فتغيرت وجوه الناس لذلك فقال
ان صاحبكم قد غل في سبيل الله ففتشنا متاعه وما معه فوجدت
تلك الخرزة التي غلها في رحله اي في منزله وما معه تعد مؤنة وهي
لا تساوي درهمين واصل الرحل ما يوضع على البعير ويتجوز به هنا عن
محل النازل فيه بما معه وهذا الرجل لا يعرف اسمه واعلم
ايضا بما هو من الغيب بالذي غل اي سرق كالثوب الشملة وهي المرة من
الشمول وكساء صغير يشتمل به الانسان وهذا بعض حديث رواه الشيخان
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال اهدى رجل لرسول الله صلى الله
عليه وسلم غلاما اسمه مدعم فبينما هو يحط رحل رسول الله صلى الله
عليه وسلم جاءه سهم عائر فقتله فقلنا هنيئا له الجنة فقال
صلى الله عليه وسلم كلا والذي نفسي بيده ان الشملة التي اخذها
يوم خيبر من الغنائم قبل القسمة لتشتعل عليه نارا ففيه اخبار عن
الغيب باعتبار اخباره بسرقته وبكونه معذبا وعائر بمهملة وراء
مهملتين اصابه من غير قصد من عار الفرس اذا انفلت وقيل
انه اشارة لحديث المصابيح وهو ان رجلا نقل عليه صلى الله عليه وسلم
يقال له كركرة بفتحتين او كسرتين فمات فقال صلى الله عليه وسلم
هو في النار فذهبوا ينظرون فوجدوا عنده عباءة غلها واقتصر
واقتصر السيوطي رحمه الله على الاول وانه الذي عناه المصنف
وهو الظاهر والنووي في المبهمات على الثاني والبرهان تبعه
والذي اوجب عدول الجلال عنه لفظ الشملة وفيه تعظيم
الغلول في الغنائم لتعلق حق المسلمين كلهم به واذا عوقب عليه الاثم
او تصدق به وقيل انه محرق وقيل انه مبني على التعزير
باخذ المال وهو منسوخ واذا كان هذا من الكبائر فما حال ولاة الامور
اليوم فانا لله وانا اليه راجعون وحديث ناقته اي مما علم
به صلى الله عليه وسلم من المغيبات حديث ناقته الذي رواه البيهقي
عن عروة مرسلا حين ضلت ناقته وغابت عنه حتى لم يردها وكيف
تعلقت ناقته بالشجرة بخطامها بكسر الخاء المعجمة وهو زمام
ومعقودها وكان صلى الله عليه وسلم طلبها لما ضلت فقال رجل
من المنافقين كيف يزعم انه يعلم الغيب ولا يعلم مكان ناقته الا يخبره
الذي ياتيه بالوحي فاتاه جبريل فاخبره بقول المنافق وبمكان ناقته

فقال

فقال صلى الله عليه وسلم ما ازعم اني اعلم الغيب وما اعلمه ولكن الله اخبرني
بقول المنافق وبمكان ناقتي وهي في الشعب قد تعلق زمامها بشجرة كذا فخرجوا
يسعون قبل الشعب فوجدوها حيث قال وكما وصف فجاءوا بها وسمى
ذلك المنافق وهو زيد اللصيت او ابن اللصيت بفتح اللام وكسر
الصاد المهملة وكان اولا من اليهود وما ذكرناه من عبارة المتن هو الصحيح
كما ذكره السيوطي في مناهل الصفا في تخريج احاديث الشفا ووقع
في بعض النسخ وحيث هي ناقته حين ضلت وفي اخرى ومن ضلت
ناقته حيث هي حين ضلت وكيف الخ فقال بعضهم يجوز عطف على الاول
او مبني على الكسر كما جوزه النحاة وحيث خرجت عن الظرفية معمولة
لا علم وناقته مبتدا وهي مبتدا ثان خبره محذوف اي موجودة والجملة
في محل جر باضافة حيث وانت في غنى عن مثله ومن المغيبات التي اعلم
النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه بها ما رواه الشيخان عن علي كرم الله وجهه
حين اعلم بشان كتاب حاطب ابن ابي بلتعة الصحابي البدري
المشهور الذي ارسله الى اهل مكة لما تجهز النبي صلى الله عليه وسلم
لفتح مكة ولم يعلم احدا بتوجهه ومقصده فكتب حاطب كتابا
اعلمهم فيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه اليكم بجيش
كالليل يسير كالسيل واقسم بالله لو سار اليكم وحده نصره الله عليكم
فانه منجز له ما وعده فخذوا حذركم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لعلي وبعض الصحابة اذهبوا الى روضة خاخ فثمة جارية معها مكتوب
فاتوني به وكان صلى الله عليه وسلم اخفى مسيره فاتوا المحل فوجدوا
الجارية فانكرت ففتشوها فلم يجدوا معها شيئا فهموا بالرجوع ثم بدا لعلي
رضي الله عنه ان خبره صلى الله عليه وسلم صدق فهددا الجارية فاخرجته
الكتاب من عقيصتها فلما اتوا به قال عمر رضي الله عنه دعني اضرب عنقه
فقال لا فان الله اطلع على اهل بدر وقال اصنعوا ما شئتم فاعتذر له
حاطب بانه ليس له ثمة اهل وما لا فخشي ضياعه فاراد ان يصنع فيهم يدا
مقتضى حفظه فقبل عذره كما تقدم والقصة مفصلة في شروح السير
والبخاري والكتاب كان مع امراة تسمى ام سارة ومما اخبر به صلى الله
عليه وسلم من المغيبات ما رواه ابن اسحاق والبيهقي والطبراني حين
اعلم بقصة عمير بالتصغير بن وهب بن خلف مع صفوان
ابن امية بن خلف حين ساره اي اخبر عمير صفوان سرا في خفية لم يسمعه
احد والسر انه يقتل النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتيه بغتة بحيث

لم يشعر به احد وكان شجاعا فاتكا وشارطه على قتل النبي صلى الله
عليه وسلم اي اشترط عليه ما يعطيه ان فعل ذلك فلما جاء عمير الى النبي
صلى الله عليه وسلم قاصدا لقتله فاطلعه رسول الله صلى
الله عليه وسلم على الامر السر الذي كان بينهما لم يطلع عليه
غيرهما وهما بمكة اسلم عمير وحسن اسلامه لما شاهده من المعجزة
الباهرة وذلك ان عمير بن وهب جلس مع صفوان ابن امية وهو ابن عمه
في الحجر بعد بدر فذكروا اصحاب القليب ومصابهم فقال
صفوان والله ليس في العيش بعدهم خير فقال عمير صدقت
والله لولا دين علي ليس عندي قضاؤه وعيال اخشى ضياعهم لركبت
الى محمد حتى اقتله فان لي فيهم علة ابني اسير عنده فاغتنمها
صفوان فقال علي دينك انا اقضيه وعيالك مع عيالي اواسيهم ما بقوا فقال
اكتم علي شاني ثم شحذ سيفه وسمه وانطلق حتى اتى المدينة
واناخ بباب المسجد متوشحا بسيفه فراه عمر رضي الله عنه فقال
هذا الكلب عدو الله ما جاء الا لشر فاخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ادخله علي فاقبل عمر رضي الله عنه حتى اخذ بحمالة سيفه في لببه
ثم ادخله فلما راه صلى الله عليه وسلم قال ارسله يا عمر ادن يا عمير
فدنا فقال ما جاء بك قال جئت لهذا الاسير فاحسنوا فيه قال
فما بال السيف في عنقك قال قبحها الله ما اغنت شيئا قال اصدقني
ما الذي جئت له قال ما جئت الا لذلك قال بل قعدت انت وصفوان
بالحجر فذكرتما اصحاب القليب وقلت لولا دين علي وعيال لخرجت
الى محمد حتى اقتله فتحمل بدينك وعيالك وجئت لتقتلني فقال اشهد
انك رسول الله وقد كنا نكذبك وهذا امر لم يحضره الا انا وصفوان فوالله
اني لاعلم انه ما اتاك به الا الله فالحمد لله الذي هداني للاسلام وتشهد
فقال فقهوا اخاكم دينه واقرئوه القران واطلقوا اسيره واما صفوان
فهرب خائفا يوم الفتح ثم جاء مستامنا فاسلم وحسن اسلامه وكان عمير
ابغض الناس لعمر فلما اسلم كان احب الناس اليه وهو من سادات
قريش وفصحائها ثم تمت سيادته بالاسلام وله احاديث في السنن واخبر
ايضا فيما رواه احمد والحاكم والبيهقي بسند صحيح بالمال الذي
تركه عمه العباس بمكة عند ام الفضل لبابة بنت الحارث
ابن حزن الهلالية زوجته كنيت باسم ابنها الفضل كما كني العباس
ابو الفضل وهي من اشراف الصحابة رضي الله عنها يقال انها اول

امراة

امراة اسلمت بعد خديجة وكان كتم ماله عندها حتى عن اولاده كما اشار
اليه بقوله بعد ان كتمه فلما اسر ببدر لما خرج مع كفار قريش وطلب
منه الفدا فقال لا مال لي فقال له صلى الله عليه وسلم ما صنع المال
الذي وضعته عند ام الفضل فقال ما علمه غيري وغيرها فاسلم
وقيل انه لم يسلم قبل الفدا الا ليبقى له ماله الذي افتديت به فقال
لم اكن لاحرم المؤمنين ما طمعوا فيه من مالي وقد قيل انه اسلم
قبل ولكن كان يخفي اسلامه لما فيه من نفع المسلمين من وجوه لا تعد
وفي بعض النسخ ام الفضيل بالتصغير وهو خطا من الناسخ اصل الحديث
انه وكانت قريش بعثت بعد اسراهم فقال العباس يا رسول الله اني كنت
مسلما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اعلم باسلامك فان يكن
كما تقول فالله يجزيك فاما ظاهر امرك فقد كان علينا فافد نفسك
وابني اخيك نوفل بن الحارث وعقيل بن ابي طالب وحليفك عتبة واخي
بني الحارث قال ما عندي ما يفي بالفدا قال اين المال الذي دفنته
عند ام الفضل وقلت ان اصبت في سفري فالمال لولدي
فقال والله يا رسول الله هذا شي ما علمه غيري وغيرها فاحسب
لي ما اصبتم فقال لا ذاك اعطاه فقدا فانزل الله يا ايها النبي قل
لمن في ايديكم من الاسارى الاية ومقتضى كلام المصنف فاسلم انه ما اسلم
الا حينئذ والذي قاله انه اسلم قبل فتح خيبر وكان يكتم اسلامه وقال
ابن عبد البر قيل اسلامه كان قبل بدر وكان المسلمون بمكة يثقون
وكان العباس يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم احوال المشركين
واحب ان يقدم عليه المدينة فكتب اليه فمقامك بمكة خير ولذا قال
صلى الله عليه وسلم يوم بدر من لقي العباس فلا يقتله فانه انما خرج مكرها
ومما اخبر به صلى الله عليه وسلم فيما رواه البيهقي عن عروة وسعيد
ابن المسيب مرسلا انه اعلم انه سيقتل بنفسه ابي ابن
خلف كما تقدم تخريجه لعنه في احد فانه كان يسمى سرقا وكان اذا
لقيه بمكة يقول عندي فرس اعلفها كل يوم لا اقتلك عليها فيقول
له صلى الله عليه وسلم بل انا اقتلك ان شاء الله فلما كان يوم احد اقبل
يقول ابن محمد لا نجوت ان نجا فاعترض دونه جماعة من المسلمين فقال
صلى الله عليه وسلم خلوا سبيله وتناول حربة ممن معه على ترقوته
فطعنه طعنة لم يخرج منها دم ووقع عن فرسه ورجع اليهم فقالوا له
ما بك من باس فقال لو بصق علي محمد لقتلني فقتله الله في مرجعه

من احد وما اعلم به صلى الله عليه وسلم انه قال في عقبة بن
ابي لهب انه ياكله كلب من كلاب الله فاكله الاسد وهو ذاهب
الى الشام والاسد يسمى كلبا وهو يشبهه صورة ولما اضافه الى الله
افادته الاضافة تعظيما كما قاله الثعالبي في المضاف والمنسوب وقد تقدم
ان ابا لهب كان له اولاد معتب وعتبة وعتيبة بالتصغير وان
المصغر هو عقير الاسد والمكبر اسلم وكان من كبار الصحابة
فالصواب ان يقول المصنف عتيبة بالتصغير الا ان من علماء الحديث
من قال مثل ما قاله المصنف فالاعتراض غير مسلم ثم ان المصنف
ذكر هذا في فصل اجابة دعائه فتكون هذه الجملة دعائية
انشائية وكلامه هنا يقتضي انه خبر به اخبر به عن امر مغيب
فبين كلاميه تدافع والجواب عنه ان كلامنا يحتمل فذكره
ثمة باعتبار وهنا باعتبار ويؤيده انه لما خاف من الاسد
قال له رفقاؤه لما اشتد رعبك قال ان محمدا قال لي كذا وهو لا يقول
الا صدقا والصدق من خواص الخبر وقد يقال ان الدعاء عند
من تحقق اجابته خبر معنى و اخبر صلى الله عليه وسلم
عن مصارع اهل بدر اي محال قتلهم ووقوعهم على الارض يعني من قتل
بها من كفار قريش وصناديدهم فقال قبل وقعتها هذا مصرع فلان
وهذا مصرع فلان مشيرا الى محال قتلاهم فيها قبل وقوعه فكان
كما قال وسماهم اهلها لبقاء جثثهم فيها كما يقال اهل
الدار لمن بها فكان ما اخبر به عن مصارعهم كما قاله لم
يتجاوز احدهم موضعه الذي عينه له رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفيه من الاخبار بالغيب ما لا يخفى وهذا الحديث
كما في صحيح مسلم وغيره انه صلى الله عليه وسلم قام ببدر قبل قتالهم
وقال هذا مصرع فلان ووضع يده على الارض ثم قال هذا مصرع
فلان ووضع يده عليها وعدهم واحدا واحدا فما تعدى المصارع عنهم فلم
يتجاوز احد منهم موضعه فصرعوا كذلك ثم جروا بارجلهم وطرحوا في
القليب ثم جاء صلى الله عليه وسلم حتى وقف عليهم وقال يا فلان
ابن فلان يا فلان بن فلان يناديهم باسمائهم واحدا واحدا هل
وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فقال الصحابة يا رسول الله اتكلم اجسادا
لا ارواح لها فقال والذي نفسي بيده ما انتم باسمع منهم لكلامي ولكنهم
لا يستطيعون ان يردوا وقال صلى الله عليه وسلم في حديث

صحيح

صحيح رواه الشيخان في الحسن ابن علي بن ابي طالب ان ابني هذا
سماه ابنا له مجازا لانه يطلق على الولد وعلى ولد الولد اطلاقا شائعا حتى
صار حقيقة عرفية فيه سيد اي شريف رئيس مسود في قومه لشرف
نفسه وذاته وفضائله على غيره من جهات والسيد اطلاقات
ويطلق على الله وعلى غيره كما تقدم تفصيله وسيصلح الله به اي
بسببه بسعيه في الصلح والاصلاح فئتين عظيمتين من المسلمين والفئة
الجماعة من فاء بمعنى رجع والمراد بهما من كان معه ومن كان مع معاوية
رضي الله عنهما وفي صحيح البخاري عن الحسن عن ابي بكرة قال
رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن
الى جنبه وهو يلتفت الى الناس مرة واليه مرة ويقول ان ابني هذا
سيد ولعل الله ان يصلح به بين فئتين من المسلمين وهو حديث صحيح
مروي من طرق وفي رواية فئتين عظيمتين قال ابن عبد البر رحمه
الله في الاستيعاب لما قتل علي رضي الله عنه بايع الحسن اكثر من اربعين
الفا على الموت وكانوا اطوع له واحب له من ابيه فبقي نحو سبعة اشهر ٣
خليفة بالعراق وخراسان وما وراءها ثم سار رضي الله عنه الى معاوية
وسار معاوية اليه فلما تراءى الجمعان بناحية الانبار علم الحسن انه سيقع
قتال يذهب فيه كثير من المسلمين فارسل الى معاوية يخبره انه يفوض
له الامر بشرط ان لا يطلب احدا من اهل المدينة والحجاز والعراق
بشيء كان في ايام ابيه فاجابه معاوية وقد طار فرحا الا انه قال
عشرة انفس لا ادعهم منهم قيس بن سعد فراجعه الحسن وقال لا ابايعك
وانت تطلب احدا منهم لا قيس ولا غيره فارسل له معاوية رقا ابيض
وقال اكتب فيه ما شئت وانا التزمه فاصطلحا على ذلك وعلى ان
الامر له بعد معاوية فالتزمه كله معاوية ووفا ذلك اكثر الناس حتى كانوا
يقولون للحسن يا ذل المسلمين وعار المؤمنين ولما سلم الامر له
قال له اخطب الناس فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد
فان اكيس الكيس التقى وان احمق الحمق الفجور الا وان هذا الامر
الذي اختلف فيه انا ومعاوية حق لامرئ كان احق به مني او حق لي تركته
لمعاوية ارادة اصلاح المسلمين وحقن دمائهم وان ادري لعله فتنة
لكم ومتاع الى حين ثم استغفر الله ونزل و مما اخبر به صلى الله عليه
وسلم ما رواه الشيخان من قوله لسعد ابن ابي وقاص مالك بن وهيب
ابن عبد مناف احد العشرة واصحاب الشورى ومشاهده اذا اطلق لم يقيده

عرضي

بما يخرج سعد بن معاذ وغيره من سعود الصحابة فلا اعتراض عليه
كما قيل ولسعد معطوف على قوله في الحسن اي قال لسعد
لعلك تخلف وفي نسخة انك ان تخلف بان المصدرية في خبرها حملا
لها على عسى لا ايضا اختها في الترجي كما قال

لعلك يوما ان تلم ملمة

وكان سعد رضي الله عنه مرض بمكة وكان يكره ان يموت بالارض
التي هاجر منها فاتاه صلى الله عليه وسلم يعوده فقال يا رسول
الله اوصي بمالي كله فقال لا الى ان قال الثلث كثير الى اخر الحديث
وهو مشهور ولم يكن له الا ابنة وقد طال عمره فخشي ان يموت
ثمة وذلك في حجة الوداع وقوله تخلف بضم المثناة الفوقية
وتشديد اللام اي تبقى بعد هذا الزمان فكان كما قال
فانه عاش بعد ذلك نحو خمسين سنة وقوله حتى ينتفع بك
اقوام ويستضر بك اخرون قال النووي في هذا الحديث من
المعجزات تحقق ما اخبر به فانه عاش بعد ذلك زمانا كما تقدم ونفع
الله به المسلمين لما كان على يده من الفتوح وهدى الله به ناسا
اسلموا على يديه وغنموا امتعة وضر الله به ناسا من الكفار جاهدهم
وقتلهم وسبا وليس المراد بضرره ضرر المسلمين لان ابنه عمرا
كان اميرا على الجيش الذي قتلوا الحسين لانه لم يرض بذلك ولا تزر
وازرة وزر اخرى وقال ابن حبيب المراد انه تولى العراق واتى
بقوم ارتدوا واتبعوا سجع مسيلمة لعنه الله فاستتابهم فتاب
بعضهم وانتفع به وابى بعضهم فقتلهم فتضرروا به وهذا اولى
عند بعضهم وقيل الرواية انما هي يضر بك اخرون والمصنف
اراد باستعمال لعل وجعل المصنف الترجي اخبارا لانه بمعناه
وهو المراد لكن عبر به تادبا منه وقد صرحوا بان الترجي في حق الله
ورسوله والاولياء تحقيق معنى كما قاله ابن الملقن واخبر صلى الله
عليه وسلم في حديث صحيح رواه البخاري عن انس بقتل اهل مؤتة
بضم الميم وسكون الواو والهمزة فانهما لغتان كما في القاموس
وهي اسم موضع بالشام كان فيه غزاة مشهورة واضافة اهل للجهة
ولا يجوز ان يكون الاستغراق كما قيل لانه انما اخبر بقتل ناس
منهم قبل مجيء الخبر له صلى الله عليه وسلم بيوم والذي اتى بالخبر يعلى
منبه وكان صلى الله عليه وسلم نعاهم لاصحابه فقال اخذ الراية زيد

فاصيب ثم اخذها جعفر فاصيب ثم اخذها ابن رواحة فاصيب
وعيناه تذرفان حتى اخذ الراية سيف من سيوف الله يعني خالد بن
الوليد ففتح الله عليهم فلما اتاه يعلى قال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان شئت اخبرني وان شئت اخبرتك فقال اخبرني فاخبره
ووصفهم له فقال له والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفا واحدا
وقوله يوم قتلوا متعلق باخبر وبينه صلى الله عليه وسلم
وبينهم اي المقتولين بمؤتة مسيرة شهر او ازيد ذكره تحقيقا لانه
اخبار بالغيب لبعده بحيث لا يمكن مجيء الخبر له صلى الله عليه وسلم
في يومه ولذا ورد في هذا الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال
ان الله رفع لي الارض حتى رايت معتركهم وربما قيل ان المدينة
ليس بينها وبين مؤتة هذا المقدار بل بينهما عشرة مراحل كما يعرفه
من سلك طريقها لكنه لم يعرفه لبعد بلاده يقتضي انه قاله من نفسه
من غير تثبت فيه وليس كذلك فانه يختلف باختلاف الاحوال كالسير
ماشيا وكسير الجمال في القافلة باحمالها بخلاف الفرسان ويختلف
ايضا بطول الايام وقصرها فالامر فيه سهل وبموت النجاشي
اي اخبر صلى الله عليه وسلم بموته كما رواه الشيخان عن ابي هريرة
رضي الله عنه يوم مات متعلق باخبر وذلك سنة سبع من
الهجرة وصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الغائب وبه
استدل الشافعي على جوازها وهو ملك الحبشة واسمه اصحمة
كما تقدم وهو الذي ارسل اليه مكتوبه خلافا لابن القيم في الهدي
النبوي اذ قال ان الذي كاتبه غيره فان كل من ملك الحبشة يقال
له نجاشي بفتح النون وكسرها وتخفيف الياء وتشديدها وهو
بارضه جملة حالية والضمير للنجاشي اي والحال ان النجاشي مات بارض
الحبشة فهو اخبار عن الغيب ويحتمل ان يعود للنبي صلى الله عليه
وسلم وقت موت النجاشي كان بارضه اي المدينة فلا يحتمل انه
رآه عادة وان امكن ان يرفع له حتى رآه كما قاله من لم يقل بالصلاة
على الغائب كما قيل من خصائصه ايضا واخبر ايضا صلى الله
عليه وسلم في حديث اخرجه البيهقي فيروز علم عجمي ممنوع من
الصرف وهو من ولد كسرى ملك فارس ومعناه الفوز والظفر
وفاؤه مفتوحة وقد تكسر وفيروز ديلمي والديلم جيل من العجم
اذ قتل الاسود اي جاء بخبره وقدم عليه اي على النبي صلى الله

عليه وسلم رسولا من كسرى بموت كسرى ذلك اليوم بعينه
على الطوفية أي يوم ورد عليه أو يوم مات كسرى فلما تحقق
فيروز القضية التي قصها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأخبره بموت كسرى الذي هو رسوله أسلم فآمن برسول الله
صلى الله عليه وسلم وفاز فوزا عظيما وقصته رويت من طرق
وحاصلها أنه صلى الله عليه وسلم كتب له مكتوبا فيه بسم الله
الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس سلام على
من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله
وأن محمدا عبده ورسوله وأدعوك بدعاء الله عز وجل فإني
رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين
فأسلم تسلم الخ فلما قرأ كتابه مزقه فمزق الله ملكه وكتب إلى باذان
عامله على اليمن أن ابعث إليه رجلين جلدين يأتيانه فبعث
قهرمانه بابويه ومعه أخوه من الفرس ومعهما مكتوب يأمره فيه
بالانصراف معهما فلما أتياه قال ائتياني غدا فلما أتياه قال
لهما إن الله سلط على كسرى ابنه شهرويه فقتله في وقت
كذا فأخبرا باذان بما قاله فقال لننظرن ما قاله فإن تحقق
فهو نبي مرسل فلم يلبث أن قدم عليه مكتوب شهرويه بما وقع
فأسلم وأسلم معه أبناء فارس باليمن وحسن إسلامهم وكسرى هذا
اسمه أبرويز وهذا ما ذكره المؤرخون وأصحاب السير وأما ما ذكره
المصنف فلم يشتهر ولم ينقل أحد أن من الصحابة من اسمه فيروز
لكن السيوطي نقله عن دلائل النبوة للبيهقي فقيل إنه لبس فيهما
ذلك وفي الاستيعاب أن فيروز الديلمي وفد على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأنه الذي قتل الأسود العنسي وكذلك ذكر قصة
فيروز على الوجه الذي ذكره المصنف الماوردي في أعلام النبوة
وأطال فيها وأخبر صلى الله عليه وسلم أبا ذر الغفاري كما
رواه أحمد في مسنده بتطريده أي بنفيه من المدينة
وقد ذكر الحريري في الدرة العرفة أن طرده وأطرده وطرّده
المشدد وأنه إنما يقال في النفي الأشد كقول أبي سفيان
وأنت الذي طردتني كل مطرد وطرده وأطرده بمعنى نحاه
وكثير من أهل اللغة لم يقولوه كما كان أي وقع ما أخبر به صلى
الله عليه وسلم بعينه ووجده أي وجد رسول الله صلى

الله عليه وسلم كيف بك إذا أخرجت منه أي من هذا المسجد وكيف استفهام
عن الحال والظاهر أنه ليس على حقيقته هنا فإنه صلى الله عليه وسلم عالم
ما سيجري عليه وإنما مراده إخباره بحاله وما يكون له كقوله تعالى وما
تلك بيمينك يا موسى والمعنى كيف ظني أو علمي بك في هذه الحالة قال
أسكن المسجد الحرام يعني مكة المشرفة قال فإذا أخرجت منه الحديث
أي اقرأ الحديث أو اذكر الحديث الذي رواه أحمد ومعناه أنه كان يخدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وينام في المسجد وليس له مأوى غيره
فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فرآه نائما فقال
له أراك نائما فقال أين أنام وهل لي بيت غيره فقال له صلى الله عليه
وسلم كيف بك إذا أخرجوك منه قال ألحق بالشام أرض الهجرة
والمحشر وأرض الأنبياء فأكون رجلا من أهلها قال فكيف بك
إذا أخرجوك منه الثانية قال آخذ سيفي فأقاتل حتى أموت فوكزه
صلى الله عليه وسلم بيده وقال خير لك أن تنقاد حيث
قادوك حتى تلقاني وأنت على ذلك وأما تطريده رضي الله عنه
فلا أصل له والصحيح ما رواه قتادة من أنه صلى الله عليه وسلم
قال لأبي ذر إذا رأيت المدينة بلغ بناؤها سلعا فاخرج منها وأشار
إلى جهة الشام فلما زاد بناؤها ذهب إلى الشام ثم إنه رضي الله
عنه أنكر إلى معاوية بعض أموره فشكاه لعثمان فكتب إليه أقبل
إلينا فنحن أرعى لحقك فقدم عليه ثم استأذنه في الخروج إلى الربذة
فأذن له فأقام بها إلى أن مات وما قيل أن الذي فعل أن عثمان أمر
بإزعاجه بعنف فلما وصل قال له ما حملك على ما صدر منك فقال
أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا بلغ بنو العاص ثلاثين
رجلا جعلوا مال الله دولا وعباد الله خولا ودين الله دغلا فيريح
الله العباد منهم فقال له أخرج من هذه البلدة فخرج منها قال
أكثرهم لا أصل له ويعيش وحده أي أخبره رسول الله صلى الله عليه
وسلم بأنه يعيش بعد خروجه من المدينة وحده معتزلا عن الناس وفي
نسخة عيشته بالنصب ويموت وحده فكان كما قال لأن البيهقي روى
أن أم ذر لما حضرته الوفاة بكت فقال لها ما يبكيك فقالت ما لي لا
أبكي وأنت تموت بفلاة وليس عندنا كفن فقال لا تبكي فإن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لنفر كنت فيهم ليموتن أحدكم بفلاة يشهده عصابة
من المسلمين وأنا ذلك الرجل فأبصري الطريق فخرجت فإذا برجال

على علي رحالهم فاخبرتهم بذلك فدخلوا عليه فقال انشدكم الله ان
يكفنني منكم من لم يكن نقيبا ولا اميرا فقال غلام منهم انا اكفنك يا عم
في ردائي وثوبين في عيبتي من غزل امي قال فكفني فلما مات كفنوه وصلوا
عليه ودفنوه **واخبر** صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم **ان**
اسرع ازواجه به لحوقا اي اولهن موتا من امهات المؤمنين بعده
اطولهن يدا لم يقل طولاهن بالتانيث لان اسم التفضيل المضاف
يجوز فيه المطابقة وعدمها وهذا يحتمل ان يكون من الطول بالضم
ضد القصر ومن الطول بالفتح وهو الجود والانعام والاحتمالات
المعنيين فتسابق ازواجه صلى الله عليه وسلم بعده كن يقسن اذ
رعتهن لينظرن للاطول منها فلما ماتت زينب رضي الله عنها
علمن ان المراد الثاني فالحاصل ان على الاول كان استعارة ويدا ترشيح
للاستعارة مع ما فيه من التورية لان اليد بمعنى النعمة **فكانت**
اي اطولهن يدا او اسرعهن لحوقا به فاسمها ضمير عائد على ما ذكره
وقوله **زينب** خبرها وهي زينب بنت جحش ام المؤمنين رضي
الله عنها **لطول يدها بالصدقة** بيان للمراد كما تقدم وتوفيت
رضي الله عنها سنة عشرين او احدى وعشرين وليس المراد زينب
خزيمة التي كانت تدعى ام المساكين والحديث عن عائشة من طريق
قالت قلن ايتنا اسرع لحوقا بك قال اطولكن يدا فاخذن يتذارعن
وفي رواية اخذن قصبة يذرعن بها اي يقسن اذرعتهن لظنهن
ان المراد الحقيقة فلما توفيت زينب علمن المراد لانها كانت
اكثرهن صدقة وكانت تعمل بيدها وتتصدق وما في البخاري عن
عائشة رضي الله عنها ان بعض ازواجه صلى الله عليه وسلم
قلن له ايتنا اسرع لحوقا بك قال اطولكن يدا فكانت
اسرعنا لحوقا فعرفنا ان طول يدها الصدقة وكانت تحب
الصدقة مشكل لما تقدم لما رواه مسلم من انها زينب وهو الذي
صححوه وفيه اضطراب ايضا لان اوله يقتضي ان المراد الطول
الحقيقي وما بعده يدل على خلافه ولذا قال الكرماني ان فيه
تلفيقا وحذفا ولم يلتفت لايهامه خلاف المراد اعتمادا على شهرة
القصة وهو غاية ما يقال فيه فتامل وهو مجاز مرسل بعلاقة
مجاورة الصدقة لليد او شبه الصدقة باليد فهو استعارة
مصرحة والطول ترشيح والقرينة ان عظم اليد لا يقتضي سرعة

هذه

هذه الفضيلة فلا يرد انه لم يكن فيه قرينة لم يصح المجاز وان كانت
كيف يفهمن خلاف المراد حتى تذارعن وهن من اهل اللسان **اقول**
التحقيق انه استعارة تمثيلية بان يشبه كثرة الاحسان والتصدق وايصال
البر ومن اوصله بشخص له طول في يده يصل به لما لا يصل اليه غيره
اذا مدهما او هو مجاز مرسل باستعمال طول اليد في لازمه وهو ايصال
الانعام او اليد استعارة مصرحة والطول ترشيح ويحتمل انه كناية
واخبر صلى الله عليه وسلم فيما رواه البيهقي من طرق **بقتل الحسين**
ابن علي ابن ابي طالب رضي الله عنهما **بالطف** بفتح الطاء المهملة
وتشديد الفاء وهو مكان بناحية الكوفة **واخرج** صلى الله عليه
وسلم **بيده تربة** اي مقدار كف من ترابه اراه لبعض اصحابه واهل
بيته **وقال** اذا اخرجها **فيها** اي في ارض هذا التراب
منها دفنها بموته وبقتل **مضجعه** اي مصرعه اذ يقتل وجيمه مفتوحة
وبكسر والاول الفصيح وافصح وفي التعبير بانه رضي الله عنه
حي شهيد لان امثله محل يضطجع فيه النائم واصل الحديث عن
عائشة رضي الله عنها ان جبريل كان عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم فدخل عليه الحسين فقال جبريل من هذا قال ابني فقال
ستقتله امتك قال بسببه اخبرتك بالارض التي يقتل فيها واشار جبريل
بيده الى الطف من العراق واخذ تربة حمراء فاراه اياها وقال هي في ذلك
مما انه يقتل بكربلاء اسم الموضع والطف اسم ناحية يشتمل عليه وكان
قتله في عاشوراء وقتل معه جماعة من اهل البيت وقيل ان هذه
التربة كانت عندهم وانها في يوم قتله يظهر عليها دم واختلف
فيمن باشر قتله قاتله الله واخزاه وجعل سجين مثواه ولا ان العزى
هنا فقال انه بريء منها **وقال** صلى الله عليه وسلم في حديث
رواه ابن عدي والبيهقي مسندا **في زيد بن صوحان** بضم الصاد
المهملة وواو ساكنة وحاء مهملة والف ونون وهو زيد بن
صوحان ابن حجر بن الحارث العبدي اخو صعصعة وله وفادة على النبي
صلى الله عليه وسلم وقيل انه تابعي وقال الذهبي ومن خطه كان
كان زيد بن صوحان مواخيا لسلمان يعني يكثر يا سلمان تحبه له وكان زاهدا
عابدا ذكر له مناقب كثيرا وعده من الصحابة وهو صوحان معناه
اليابس يقال صوح النبت اذا ما يبس **يسبقه عضو** من اعضائه
الى الجنة اي يدخل الجنة قبله لانه قطع في سبيل الله قبل موته ومعنى

السيف اما تقدمه حقيقة ولا مانع من ان يحفظها الله في الجنة
فاذا استشهد وصلها ببقية اعضائه في الجنة وامور الاخرة
لا تقاس على امور الدنيا وتجوز ان يراد ان يده تقطع في سبيل الله او
ثم يستشهد بعد ذلك فكني عنه بما ذكر ولفظ الحديث من سره ان
ينظر الى رجل يسبقه بعض اعضائه الى الجنة فلينظر الى زيد بن
صوحان وفي سنده هذيل بن بلال وهو ضعيف فقطعت يده
الشمال كما رواه الذهبي في الجهاد لم يعينه للخلاف فيه فقيل انه كان
يوم نهاوند وقيل في قتال المشركين وقيل وروي انه صلى الله
عليه وسلم شهد لثلاثة من التابعين بالجنة اويس القرني وزيد
ابن صوحان وجندب الخير وقتل مع علي رضي الله عنه في وقعة الجمل
وعلى هذا فاخباره عن الغيب اقوى وابلغ في اطلاعه على امره
قبل خلقه وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه
مسلم وغيره في الذين كانوا معه اي حاضرين معه وهم بحراء
اسم جبل معروف بقرب مكة بنحو ثلاثة اميال يمد ويقصر ويذكر
ويؤنث فيجوز صرفه وعدم صرفه كما تقدم فتحرك وهم عليه
فقال له صلى الله عليه وسلم اثبت اي لا تتحرك وترجف
وتتزلزل ولفظه كما في صحيح مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان على حراء هو وابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت
فقال اهدأ فما عليك الا نبي او صديق او شهيد وزاد بعضهم سعدا
وابدله بعضهم بحكاه على ما للمصنف رواه انما عليك نبي وصديق
وشهيد والمعنى واحد فالنبي معناه المراد به ظاهر وكذا الشهيد
وتفصيله وتحو قع الترتيب في الحديث على تفصيلهما في القرآن والصديق
فعيل صيغة مبالغة من الصدق ضد الكذب وطعن في تفسيره اقوال
فقال ابن المظفر انه من صدق بامر الله وبرسله بحيث لا يخالجه
شك في شيء وقال الخطابي رحمه الله الصديق يكون افضل الصحابة واختاره
البغوي وقيل من صدق بالانبياء عليهم واختاره الرازي انهم
اول من صدق الرسل ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم ما عرضت الاسلام
على احد الا وله كبوة الا ابو بكر فلذا رضي الله عنه مزية بانه صار قدوة
لغيره ولذا اجمعوا على تسليم هذا اللقب له ومرتبة الصديق تليه
بل مرتبة النبوة وكما فوق ذلك بالنالية الكمال ابن الزملكاني فقتل
علي وعمر وعثمان فقتل علي كرم الله وجهه عبد الرحمن بن ملجم من

الخوارج

الخوارج وقصته مشهورة وقتل عمر رضي الله عنه ابو لؤلؤة غلام المغيرة ابن
شعبة وكان عمر رضي الله عنه لا يأذن لمحتلم من المشركين ان يدخل المدينة
فاستاذنه المغيرة في غلامه هذا لانه كان نجارا وله صنائع ينتفع بها الناس
فاذن له في دخوله فضرب عليه سيده في كل شهر شيئا يؤديه فشكى ذلك
لعمر فساله عن صنعته فاخبره فقال ما خراجك بكثير فغاظه ذلك
واضمر قتله فضربه بخنجره وهو يصلي فاستشهد وعثمان رضي الله عنه
استشهد يوم الدار في قصته المشهورة وطلحة والزبير اما طلحة ابن عبيد
الله فقتل يوم الجمل وهو يحاربه لعلي وقيل كما مر انه ذكره وعظه فاعتزل
حربه ثم اصابه سهم فمات منه واما الزبير رضي الله عنه فرجع عن قتال
علي فقتله ابن جرموز بوادي السباع كما تقدم وطعن بالبناء للمجهول
سعد ابن ابي وقاص سنة خمس او اربع وخمسين وهو اخر من مات
من العشرة المبشرة بالجنة وقيل مات سنة ست وقيل سبع وخمسين
وقيل سنة اثنان وثمانون وطعن يعني اصيب بالطاعون وهو من اقسام
الشهادة ايضا وان لم يكن مثل غيره من كل وجه ولذا اخره المصنف وقول مدلجي
بعضهم انه لم تنله الشهادة غير مناسب هنا الا ان يدخله في الصديقين
وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البيهقي لسراقة بضم السين
وتخفيف الراء المهملتين مخفف وقاف وهو سراقة ابن مالك ابن جعشم بن مالك
ابن عمرو ابو سفيان الكناني المدلجي سكن مكة وهو الذي خرج في طلب
النبي صلى الله عليه وسلم فساخت به فرسه في القصة المشهورة ويأتي في كلام
المصنف الاشارة لبعضها ثم اسلم وتوفي سنة اربع وعشرين وقيل
مات بعد عثمان وفي الصحابة من اسمه سراقة غيره وفي هذا اخبار عن الغيب
وخص سراقة لانه اعرابي من البادية ولبس مثله لما يلبسه المترفون
من ملوك العجم وانه عظمة من ايات النبوة وعز الدين كيف بك كيف
جوابه عما ابهم من الاحوال وهو استخبار يتضمن التعجب من حاله التي هو
عليها الان لان كل احد لا ينفك عن حالة من الاحوال اذا اطلع عليه ما لم يعهد
مثله ونال ما لم ينله امثاله فكنى عما ذكر وفيه من البلاغة ما لا يخفى
اذا لبست اي وضعت في يديك وساعديك ومثله يسمى لبسا اذ كان
المعروف اطلاقه على ما يعم البدن من الثياب والحلل سواري مثنى سوار
بضم السين وكسرها ويقال اسوار بضم الهمزة وكسرها ايضا وهذا انما كان
تتزين به العجم والملوك وان كان الان مختصا بالنساء عند العرب وبعد الاسلام
حتى يقال على غيرهن كسرى لقدم انه كان من ملوك العجم وخص بعضهم

وهو كسرى الذي ادرك عهده الاسلام كما تقدم وان كافه مكسورة وتفتح
وهو معرب خسرو ومعناه واسع الملك فلما اتي بهما اي بسواري كسرى
لعمر رضي اتي بصيغة المجهول معنى او اصل يعدي باللام وفي نسخة عمر بدونها
البسهما اي سراقة تحقيقا لما اخبر به صلى الله عليه وسلم ويجوز البسه
اياهما وهو الاولى وقال عمر رضي الله عنه الحمد لله
حمد الله على تصديق كلمة النبوة واعزاز دينه وزوال الشوكة اعدائه
وما فتح الله على يديه الذي سلبهما من يدي كسرى والبسهما سراقة
وهو بدوي اعرابي متقشف هو من احاد امته صلى الله عليه وسلم
والحديث كما رواه في دلائل النبوة عن الحسن ان عمر رضي الله عنه لما اتي
بسواري كسرى ابن هرمز وضعهما بين يديه وفي القوم سراقة دفعهما
في يديه فبلغا منكبيه فقال الحمد لله الذي جعل سواري كسرى بن هرمز في
يدي سراقة ابن مالك ثم قال له قل الله اكبر الله اكبر وحمد الله لما سر من نعمة
الفتح واعزاز الدين وكبر تعظيما لمالك الملك الذي يؤتي ملكه من يشاء وينزعه
ممن يشاء فتبارك الذي بيده الملك وهو الذي قصم من نازعه رداء كبريائه
فلا سلطان الا سلطانه ولا عز لغيره الا عزه وليس في هذا استعمال
للذهب ولبس الرجال له وهو من المحرمات لانه لم يفعله الا تحقيقا
وتصديقا لرسوله صلى الله عليه وسلم من عزائه بفرعها ومثله لا يعد
استعمالا فلا حاجة لما قيل ان فيه مصلحة ومفسدة وارتكبت
المفسدة فيه لاجل المصلحة وهو تحقيق المعجزة فانه لا يحصل الا به
وقال صلى الله عليه وسلم في جملة اخباره عن المغيبات في حديث
رواه ابو نعيم في الدلائل والخطيب في تاريخه تبنى بالبناء للمجهول والباني ابو
جعفر الدوانيقي ثاني خلفاء بني العباس مدينة هي البلدة العظيمة
من التمدن وهو التعيش والسكنى الكثيرة وتكون اكبر من البلدة والقرية
بين دجلة بدال مهملة مفتوحة او مكسورة من دجله اذا غطاه ومنه
الدجال لتغطيته الحق لتخليطه في امره وهو علم لنهر مشهور بالعراق ولا يجوز
دخول الالف واللام عليه لانه علم مرتجل ودجيل مصغر علم نهر الاهواز
حفره اردشير ابن بابك اول ملوك بني ساسان بالمداين عليه قرى كثيرة ه
ويخرجه من اصبهان وقيل انه خليج متشعب من دجلة وقطربل
بضم القاف وسكون الطاء المهملة وضم الراء المهملة وضم الباء الموحدة
المشددة وقد تخفف وتشدد اللام وهو موضع بالعراق تنسب اليه الخمر
والصراة بفتح الصاد والراء المهملتين ثم الف ذهاب وهو نهر بالعراق ايضا

مشهور وهو الاصح المعروف وفي بعض النسخ والصراة بابدال الصاد زاء بلدة
بالعجم وقد ضرب عليه وصحح الصراة وهو المعتمد تجبى اليها اي يجمع مال غيرها
من البلاد الى تلك المدينة وهو عبارة عن انها دار الخلافة العظمى وكرسي الممالك
يقال جبى الخراج والمال اذا جمعه للسلطان بامره خزائن الارض اي
ما كان يخزونا في غيرها من البلاد بيد اهاليها يخسف بها اي يخسف الله
ارضها ودورها باهلها وقد وقع ما اخبر به صلى الله عليه وسلم من بنائها
في الدولة العباسية وجباية الاموال اليها وبقي امر الخسف وسيظهر كما اخبر
به صلى الله عليه وسلم فان الذهبي ذكره في ميزانه في ترجمة عمار بن سيف
الضبي الكوفي راوي هذا الحديث وقال انه منكر جدا والله اعلم
بامره يعني بغداد اسم المدينة المشهورة وتسمى دار السلام وهو اسم اعجمي
عرب وفيه لغات تقدم الكلام عليها وقال في حديث رواه الامام
احمد والبيهقي عن سعيد ابن المسيب مرسلا وحسنه قال ولد لاخي
ام سلمة عن امها غلام سموه الوليد فقال صلى الله عليه وسلم لا تسموا
باسماء فراعنتكم سموه عبد الله فانه سيكون في هذه الامة رجل يقال
له الوليد هو شر لامتي من فرعون لقومه قال الاوزاعي كانوا يرونه انه الوليد
ابن عبد الملك ثم راوا انه ابن اخيه الوليد ابن يزيد بن عبد الملك
الجبار الذي كان مفتاح ابواب الفتن على هذه الامة وكان ماجنا سفيها
مدمنا للخمر نسب اليه ما يقتضي الكفر وقيل يجوز ان يرادا كلاهما
لخبثهما وعتوهما الا ان الثاني اشقاهما وفي هذا معنى حسن وهو ان فرعون
مصر الكافر كان اسمه الوليد كما اشار اليه في الحديث وقال ابن الجوزي
ان هذا الحديث موضوع لكنه ثبت عند المصنف فان موضوعات ابن
الجوزي مدخول فيها في كثير منها وصحح في الشرح الجديد ان المراد انما هو
الثاني المعروف بالفاسق بويع بالخلافة بعد هشام ابن عبد الملك لست
خلون من ربيع الاخر سنة خمس وعشرين ومائة وظهر من فسقه
وولعه بالملاهي وتهاونه بالدين امور شنيعة لا حاجة لنا بها ولذا جعله
صلى الله عليه وسلم شرا من فرعون موسى مع الاتفاق على كفره لانه كان في
زمان الكفر وهذا كان في الاسلام غض طري وقال صلى الله
عليه وسلم في حديث رواه الشيخان لا تقوم الساعة اي لا ياتي زمانها
ولفروا اوانها حتى تقتتل فئتان اي طائفتان وجيشان من هذه
الامة المسلمة دعواهما في اعتقادهما ودينهما واحدة وهي الاسلام والدين
الحق وقد وقع هذا في صفين في وقعة علي ومعاوية رضي الله عنهما

ثم سري ذلك لكثير بعد ذلك تكلم وقع بين المسلمين من الحروب والوقايع
التي لا تحصي الان الوقعة الاولي اقل ما دهم اهل الاسلام من الامور المنكرة
التي كانت ثلمة في الدين وقال صلي الله عليه وسلم في حديث
رواه البيهقي والحاكم عن الحسن بن محمد مرسلا لعمر ابن الخطاب رضي الله
عنه في سهيل بن عمرو ابن عبد شمس بن عبد ود ابو يزيد العامري القرشي
احد خطبا قريش اسلم يوم الفتح واستشهد باليرموك وقيل انه
توفي بالشام سنة ثمان عشرة وقال الواقدي توفي سنة تسع عشرة
في طاعون عمواس وكان يقوم خطيبا يحرض المشركين علي قتال النبي صلي الله
عليه وسلم فلما اسر يوم بدر قال عمر يا رسول الله انزع ثنيتيه فيدعي
انزع ثنيته السفليين فلا يقوم خطيبا عليك بعد اليوم لانه كان اعلم
السفلي اي مشقوقها فاذا انتزعت ثنيتاه السفليين يندلع لسانه فلا
يطيق الكلام وهذا ابن عمر رضي الله عنه اشر بتح فقال صلي الله
عليه وسلم لعمر دعه عسي ان يقوم مقاما اي يقوم خطيبا في مقام
ينفع بخطبته وياتي بما يمحو مقالته الاولي وقد مر ان عيسي بن الله ومن
رسول الله صلي الله عليه وسلم تحقيق لسرك يا عمر فكان كذلك
اي وقع ما قاله صلي الله عليه وسلم وتحقق ما اخبر به من المغيبات
فسره وسر المسلمين مقامه لما قام بمكة مقام ابي بكر الصديق رضي
الله عنه اي مثل مقامه بالمدينة وخطب بخطبته مثل خطبته يوم
بلغهم اي بلغ المسلمين بمكة موت النبي صلي الله عليه وسلم وخطبهم
في مقامه بمكة بنحو خطبته اي بخطبة مثل خطبة ابي بكر بالمدينة
لفظا ومعني ثم بين المماثلة بقوله وثبتهم اي ثبت المسلمين علي دينهم ٥
وقوله بصايرهم باعلامهم ان رسول الله صلي الله عليه وسلم بشر وم
كل نفس ذايقة الموت فقال من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات والله حي لا
يموت وابو بكر رضي الله عنه قال من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات
ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت فتواردا علي معني واحد في
مقام عقل فيه كثير من كبار الصحابة دهشة من هذه المصيبة العظيمة
وقال صلي الله عليه وسلم كما رواه ابن اسحاق والبيهقي لخالد
ابن الوليد وكان وجهه اي ارسله متوجها لاكيدر بضم الهمزة وكاف
وراء مهملتين كمصغر اكدر ويقال له اكيدر دومة بضم الدال المهملة
وقد تفتح ويقال لها دومة الجندل ويقال دوما بالمد وهي ايليا وهو موضع
بين مكة وبرك الغماد او بين الحجاز والشام سميت بدوما ابن اسماعيل

لانه

لانه كان بنزلها انك تجده اي تصادف اكيدر يصيد البقر اي بقر الوحش
لانها التي تصاد وكان صلي الله عليه وسلم بعثه في اربعماية وعشرين فارسا
الي اكيدر بن عبد الملك بن عبد الحي ابن اعيا ابن الحارث بن معاوية الكندي
كما قاله الخطيب والماوردي وفي مختصر الشافعي انه ابن كندة او غسان
وكان نصرانيا قد ملك دومة واهلها فاتاه خالد رضي الله عنه في ليلة
مقمرة فوجده يصطاد الوحش هو واخوه حسان فشدوا عليه
فاستاسروا اكيدر وقاتل اخوه حتي قتل فقدم به علي النبي صلي الله عليه وسلم
فصالحه علي الجزية وحقن دمه وخلي سبيله فمات نصرانيا وقال
البلاذري انه عاد الي دومة فلما توفي رسول الله صلي الله عليه وسلم
نقض العهد فحاصره خالد وقتله مشركا نصرانيا وقيل انه اسلم واهدي
للنبي صلي الله عليه وسلم حلة سيرا فوهبها لعمر وعده ابن منده وابو نعيم
في الصحابة وقال ابن الاثير ان الهدية صحيحة واما اسلامه فلغلط
باتفاق اهل السير وقيل انه اسلم ثم ارتد بعده صلي الله عليه وسلم
وعلي هذا لا يبدع في الصحابة ايضا فوجدت بالبنا للمجهول هذه الامور
المذكورة في هذا الفصل كلها في حياته بعدما اخبر بها ووجد بعضها
بعد موته كما قال صلي الله عليه وسلم اي مطابقة لخبره ومماثلة
له منه ومضمونه الي ما اخبر به جلساه من الصحابة من اسرارهم
اي ما اسروه واخفوه وبواطنهم اي امورهم المخفية وقلوبهم وهو بيان
لما اخبر به من اسرار المنافقين اي ما اسروه في انفسهم ولا يخبروا به
احدا منهم ولا من غيرهم او ما كانوا يتقولونه سرا بينهم بحيث
لا يقف عليه المؤمنون وكفرهم المضمر في قلوبهم مع اظهارهم الايمان
وقولهم فيه اي في حق النبي صلي الله عليه وسلم وفي المؤمنين
وهو معطوف علي اسرار المنافقين عطف تفسير كقولهم اسهم ابراه
لهم وقد استقبله الصحابة انظروا كيف اردهو لا السفها عنكم
فاخذ بيد ابي بكر وقال له مرحبا بسيد تيم وشيخ الاسلام وثاني اثنين
في الغار وباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد عمر فقال
له مرحبا بسيد بني عدي الفارق في دين الله ثم اخذ بيد علي فقال
مرحبا يا ابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم فاخلاه رسول الله صلي الله
عليه وسلم ثم افترقوا فقال لاصحابه كيف رايتموني فعلت فاثنوا
عليه خيرا ان بكسر الهمزة وسكون النون المخففة من الثقيلة واسمها
ضمير شان مقدر كان بعضهم اي بعض المنافقين يقول وفي نسخة

لقوله لصاحبه اي من هو معه منهم اذا اراد ان يتكلم بشيء في حقه صلى الله
عليه وسلم سواء عندنا اسكت ولا تنطق بشيء من امره ثم بين وجه امره بالسكوت
شفقتنا عليه ليحقق ما قاله فوالله لو لم يكن عنده من يخبره بما يقوله
في شانه من ملك او جن يبلغه ما يقال فيه لاخبرته حجارة البطحا
وهي ارض مسيلة يسيل فيها الما والمراد بحجارتها ما فيها من الحصا يعني
ان الحجارة تعلمه بما غاب عنه وهذا اشارة ايضا لما وقع له صلى الله
عليه وسلم لما فتح مكة وامر بلالا بان يعلو ظهر الكعبة ويؤذن عليها
وابو سفيان بن حرب وعتاب بن اسيد والحارث بن هشام جلوس بفنا
الكعبة فقال عتاب لقد اكرم الله اسيدا ان لم ير هذا اليوم وقال
الحارث اما وجد محمد مؤذنا غير هذا الغراب الاسود فقال ابو سفيان
لا اقول شيا لو تكلمت لاخبرته هذه الحصا فخرج عليهم النبي صلى الله
عليه وسلم وقال علمت الذي قلتم وذكر مقالتهم فقال
الحارث وعتاب نشهد انك رسول الله ما اطلع على هذا احد كان معنا
فنقول اخبرك به واعلامه بالجر معطوف على ما اخبر به وهو اشارة
الى ما في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها وهو مصدر مضاف
لفاعله ومفعوله محذوف اي اعلامه الناس بصفة السحر الذي
سحره به لبيد بن الاعصم وهو يهودي من بني زريق وقصة سحره
مشهورة في السير والتفاسير وكونه اي السحر المذكور الذي وضعه
في مشط بضم الميم وكسرها وسكون الشين المعجمة وطا مهملة اسم
الذي معروفة يسرح بها الشعر ويقال لها مشط ايضا ومشاطة
بضم الميم وهي ما يسقط من الشعر اذا سرح والثاني من الكتان في جف
بضم الجيم وتشديد الفاء وهو وعا الطلع الذي يكون عليه كالغشا
وفي نسخة جب بالموحدة بمعنى داخل جوف ومنه جب البير وهو مضاف
لقوله طلع نخلة ذكر والطلع ما يخرج من النخل في طرف منطبق
عليه معروف والنخل منه ذكر وانثى تحمل بتمرها المعروف وانه
بفتح الهمزة والضمير للسحر المذكور الذي في بير ذروان اي وضع في هذه
البير وهي بير بالمدينة لبني زريق وهي بذال معجمة مفتوحة وراء مهملة
ساكنة وواو بزنة نعلان فكان كما اخبر به رسول الله صلى الله عليه
وسلم كما قال ووجد السحر على تلك الصفة التي وصفها فهو من
اخباره صلى الله عليه وسلم بالغيبة بوحي من الله كما فصلوه وعن هشام
ابن عروة عن ابيه عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم لما سحر قال اتاني

رجلان

رجلان فقعد احدهما عند راسي والاخر عند رجلي فقال احدهما لصاحبه
ما وجع الرجل قال مطبوب اي مسحور قال من طبه قال لبيد بن الاعصم قال
في اي شي قال في مشط ومشاطة وجف طلع ذكر قال واين هو قال في بير ذروان
فجاها صلى الله عليه وسلم في ناس من اصحابه فاستخرجه فلما رجع قال
يا عائشة كان ماها الحنا وكان رؤوس نخلها رؤوس الشياطين فقلت
هلا اخرجته يا رسول الله قال قد عافاني الله فكرهت ان اثير على الناس
منه شرا فامر بها فدفنت قال ابو عبيدة هو عند المحدثين بير ذروان
وقال ابن قتيبة عن الاصمعي هو خطا وصوابه بير اروان بالهمزة انتهى وفي
القاموس بير ذروان بالمدينة وهي ذو اروان بسكون الراء وقيل
بتحريكه انتهى وفي مسلم بير ذي اروان قال النووي وهو صحيح والاول
اجود واصح ويحتمل ان الاول مخفف منه واعلامه قريشا كما رواه البيهقي
عن الزهري في الدلائل مخففا باكل الارضة بفتحات دودة تاكل الورق وتكون
فيه اذا انطبق زمانا فكانه لا يمر به الهوى وهي معروفة وعلى انواع ومنها
ما ياكل الخشب تسمى سوسة هنا بر وسة تاكل الخشب قال تعالى ما دلهم
على موته الا دابة الارض تاكل منساته والارض بالسكون مصدر ارض اذا
كان بها ارضة اضيفت لها لم يطبق المفصل ولبسته هي الدابة المسماة
سرفة كما قيل وكذا من قال انها سوس الخشب ما في صحيفتهم
الاصل فيه للعهد اي الصحيفة المشهورة وسياتي بيانها التي تظاهروا
بها اي تعصبوا وتعاونوا باتفاقهم على عهود كتبوها في تلك الصحيفة
كاسبابا في على بني هاشم وهم محمد من قريش وقطعوا بها رحمهم اي تعهدوا
عينا كتبت في الصحيفة قطع رحمهم اي قرابتهم اي ابطلوا حقوق القرابة
بينهم وبين بني عمهم من بني هاشم واصل الرحم مقر الولد ثم شاع في القرابة
حتى صار حقيقة فيها وانها اي الارضة وهو معطوف على اكل الارضة
اي واعلامه صلى الله عليه وسلم بانها ابقت فيها اي الصحيفة كل اسم الله
دون غيره مما عاهدوا عليه فمحته لانه باطل وابقت اسم الله تبركا واذا
وهذا على احدى الروايتين والاخرى ستاتي وتوجيههما فوجدوها
كما قال صلى الله عليه وسلم واخبر به عن الغيب فهو من معجزاته
وما ذكره المصنف من ابقا اسم الله تعالى وازالة غيره للاشارة الى انه
امر باطل على احدى الروايتين كما علمت وفي رواية اخرى ابقا الحسنة
اسم الله والغت غيره من عهودهم الفاسدة للاشارة الى ان الله بري منهم
وانه لا يليق ذكرها ابن سيد الناس في سيرته فاذا صحت الروايتان اشكل

ذلك لان القصة واحدة والصحيفة واحدة وقوله البرهان في
التوفيق بينهما انه لم نقل ان رواية انها لحسه اسم الله اقوى والمعول
انما هو عليها انه كتب نسختان علقت احداهما في الكعبة
والاخرى كانت عندهم بعيد انه لم يقع ذلك في رواية اصلا وقد قيل
ان كاتبها شلت يده وهو منصور ابن عكرمة وقيل بغيض بن عامر بن
هشام وحاصل قصتها انهم لما اشتد عليهم امره صلى الله عليه وسلم
واشتد على المسلمين فهموا اراد وقتله فلم يرض به ابو طالب
وبنو هاشم فقالوا ما تسلموه لنا ان تعتزلوا عنا جميعا في الشعب بحيث
لا يعاملونا ولا يجتمعون معنا فرضوا بذلك وكتبوا العهد صحيفة
علقوها في الكعبة فكان كلما جا اهل البادية بابياع منعوهم عنهم فلبثوا
ثلاث سنين كذلك حتى ضاق عليهم الحال وندم بعض قريش واراد نقض
العهد فبينما هم كذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي طالب
يا عم ان الله ابطل عهدهم واكلته الارضة فخرج اليهم فقال انهم امامهم
ليسلم لهم النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرهم بالقصة فاتوا بالصحيفة
فوجدوها كما قاله فاذنوا لهم بالخروج من الشعب على ما فصل في السير
وكان ذلك مما اطلعه الله عليه من غيبه وهذا يقتضي صحة ما قاله
المصنف وان الرواية الاخرى غير ثابتة عنده وعلى كل حال فلم يجد
ما يشفي الصدور ووصفه لكفار قريش بعد الاسرا كما تقدم تفصيله
بيت المقدس مفعول وصف وقوله حين كذبوه في خبر الاسرا
اي في اخباره بانه اسري به لبيت المقدس ونعته اياه اي بيت المقدس
نعت من عرفه بالنصب مفعول نعته والنعت والوصف متقاربان
والمصنف غاير بينهما تفننا وقيل النعت يقال في غير الله ولا يقال
نعت الله ذكره بعض النحاة ولم يذكر له وجها واعلامهم بالجر اي اعلام
الكفار بعيرهم بكسر العين اي قافلتهم من عاد بمعنى سار واما بالفتح فهو
الحمار وليس بمراد هنا التي مرت عليها في طريقه لما رجع من الاسرا ٥
وانذارهم بوقت وصولها لهم والانذار هنا بمعنى الاعلام مجازا اذ
واصله التخويف والاخبار بما فيه خوف ضد التبشير ومن فسره بالتخويف
هنا لم يصب يعني قوله صلى الله عليه وسلم انها تقدم وقت كذا ٥
يقدمها جمل اورق كما مر فكان ذلك كله اي وجد ووقع كما قال
صلى الله عليه وسلم من غير زيادة ولا نقص فيما اخبر به وقد قدمنا تفصيله
ثمة فلا حاجة لاعادته الى ما اخبر به من الحوادث اي ما تقدم يعني

او

ان ينضم لغيره مما اخبر به مما سيحدثه الله بعده من الامور التي تكون في ٥
المستقبل ولم يات بعد مبني على الضم اي لم يقع عقب اخباره بل بعده بازمان
متباعدة بعضها ظهرت مقدماته وبعضها لم تظهر فاذا جا الاوان يجي كما
خبره صلى الله عليه وسلم لا يتخلف والى ذلك اشار بقوله فمنها ما ظهرت
مقدماته بكسر الدال اي علاماته المتقدمة عليه كقوله صلى الله
عليه وسلم في حديث رواه ابو داود في سننه عمران بيت المقدس
بضم العين مصدر كالعمران بمعنى كونه معمورا بتمام بنايه وكثرة سكانه
وذلك باستيلا الكفرة عليه وتعميره وتقدم معنى كونه مقدسا بما فيه
وهو مبتدا خبره خراب يثرب بالمثلثة ومنع الصرف وهو اسم المدينة
الشريفة وجعله عينه مبالغة كقولهم عتابه السيف والنبي المراد
التشبيه فالحمل في قوله عمران بيت المقدس خراب يثرب وما بعده على
طريق في التشبيه الاستعارية بجعل ما يقرب من الشي بلا اصله
كانه هو بعينه فلا يقال انه غيره فكيف اخبر به عنه وخراب يثرب
الذي يجر عنده بيت المقدس خروج الملحمة اي ظهورها والملحمة بحاء
مهملة وهي موضع المعركة والقتال ويكون بمعنى الحرب نفسه كما في النهاية
الاثيرية وفي الصحاح انها الوقعة العظيمة في الفتنة من اللحم بمعنى
اشتبك ودخل بعضه في بعض كالسدى اللحمة او من اللحم لكثرة لحوم
القتلى فيها ومنه الملحمة اسم كتاب يذكر فيه احكام النجوم واثار الجو من السما
ونحوه والمراد به الفتن العظيمة والحروب التي تكون في اخر الزمان وخروج
الملحمة فتح القسطنطينية وفي نسخة قسطنطينية بغير الف ولام وبعد
النون الثانية يا مشددة وتخفف وهي مدينة عظيمة هي قاعدة ديار
الكفر وكرسيها وهي منسوبة لقسطنطين اسم اول ملك بناها وفيها
لغات ضم القاف وفتح الطا الاولى وضمها مع تخفيف اليا الاخيرة وتشديد
وحذفها فهي سته وقد وقعت في الحديث بالالف واللام واستعملها الناس بحذفها
كقول ابي تمام

حتى الثوى من نفح قسطلها على • حيطان قسطنطينة الاعصار

وهي المسماه برومية وقد اختلف هل فتحت هذه ام لا فقيل فتحت
في زمن الخلفا والاصح انها انما تفتح في اخر الزمان قبل خروج المهدي
وهو الذي صححه المقدسي في كتاب الدرر في اخبار المهدي المنتظر والذي او
اوقعهم في اللبس اشتراك الاسم فانه سمي بها مدن متعددة والمذكور
في هذا الحديث كله يكون اذا اقترب نزول عيسى عليه الصلاة والسلام ومما نعد

من الاشراط واليه اشار بقوله ومن اشراط الساعة واياتٍ
خلولها معطوف على قوله من الحوادث والاشراط جمع شرط بفتحتين
وهي العلامة والقدمة وهي الاية بمعنى وقت اي بما يكون الناس
من صغار امورها وعلامات القيامة التي تكون في اخر الزمان كالدجال
ودابة الارض القيامة وغيره مما هو مشهور غني عن البيان وهذا
كله مما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات وقد فصله القرطبي
في تذكرته وذكر النشر والحشر الذي هو اخر الاشراط فآخر الدنيا اذا
نفخ في الصور والنشر للميت اي يحيى فيقوم من قبره من نشر الثوب
اذا بسطه قال الشاعر

• • • •
• طوتك خطوب دهرك بعد نشره كذاك خطوبه طيا ونشرا •

والحشر سوق الناس الى المحشر للحساب واخبار الابرار بالجر اي مما
اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ما ورد في الحديث
من اخباره عن صلحا امته وتجارهم اي اخبارهم بما يسرهم وتقربه اعينهم
واخبار غيرهم بما يسوءهم ونكيهم فاخبار بفتح الهمزة جمع خبر او بكسرها
مصدر اخبر والابرار جمع بر او بار كركوب ورباب واصحاب وهو التقي
الصالح والفجار جمع فاجر وهو الفاسق والمجاهر بالمعاصي والمعنى انه
صلى الله عليه وسلم اعلم امته بما سيكون فيهم وهو كثير في الاحاديث
والجنة والنار اي ذكر احوالهما واهلهما وما سيكون فيهما وعرصات
القيامة بفتحات جمع عرصة بسكونها وهي كل موضع واسع لا بنا فيه
اي مما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ما ورد في الحديث من بيان
مواقف القيامة وعرصاتها ووصفها بصفاتها وبحسب هذا الفصل
البا زائدة كما في قولهم بحسبك درهم وهو بسكون السين المهملة مبتدا
خبره انه يكون ديوانا اي كتابا مدونا مستقلا وقد تقدم الديوان ومعناه
وهذا الفصل اشارة الى الفصل المعقود لاخباره صلى الله عليه وسلم
بالمغيبات وهذا عبارة عن المبالغة في كثرته كما ذكره في اوله والله لو
الف فيه تاليف مستقل دون غيره من معجزاته لم يكن انواعه بيانا مفردا
عن غيره من المعجزات يشتمل ذلك الديوان المعقود له على اجزا
تميز انواعه وافراد كل نوع بباب وحده منفردا من بينها ثم اعتذر لعدم
افراده بالتاليف بقوله وفيما اشرنا اليه اي مما ذكره في هذا
الفصل منه وهو خبر مقدم نكت من نكت الاحاديث التي ذكرناها
اي لطائف ودقائق نفيسة كما تقدم بيان النكت مفصلا وقوله كفاية

مبتدا

مبتدا مؤخر ولو حذف قوله نكت كان احسن لانه اذا كان مبتدا كان قوله
كفاية مبتدا اخر فيكون بدلا او صفة ثم ادله بكافيه وكله تكلف اي المقدار
الذي اقتصر عليه المصنف كاف عن افراده بالتاليف واكثرها اي النكت
المذكورة في هذا الفصل منقول في الصحيح من كتب الحديث المعتمدة
وموجود عند الايمة من علما الاثر ومشايخ المصنف وفي تعبيره
بالاكثر اشارة الى ان فيه ما هو ضعيف اذ لم يثبت كما بيناه لكن في اثنا
كتب فصل في عصمة الله له صلى الله عليه وسلم من الناس
اي منع الناس عنه العصمة الامساك والشد قال الراغب الاعتصام التمسك
بالشي واستعصم استمسك كانه طلب ما يعتصم به من ركوب الفاحشة
وعصمة الانبيا حفظه اياهم بما خصهم من صفا الجوهر ثم ما اولاهم من الفضائل
الجسمية والنفسية ثم بالنصرة وتثبيت اقدامهم بانزال السكينة عليهم
وبحفظ قلوبهم وبالتوفيق انتهى يعني ان حقيقتها التمسك ثم صار حقيقة
في المنع عن ارتكاب المعاصي وفي الحفظ عن نيل المضرة من اعدايهم والمراد
هنا المعنى الاخير كما اشار اليه بقوله وكفايته من اذاه اي كفايته
الله اياه بحفظه ممن قصد اذيته والمراد بالناس ما يشمل الانس والجن فانه
ورد بهذا المعنى كما ذكروه في تفسير المعوذتين او خصهم لانهم الذين
عادوه صلى الله عليه وسلم وقصدوا اذيته وقوله من اذاه من ذكر
العام بعد الخاص تنبيها على تجاذب استشهاده له بقوله قال
الله تعالى والله يعصمك من الناس يقتضي انه لم يقصد الاخبار
بحسب الظاهر وهذه الاية وسورتها مدنية على الاشهر وذلك
العلامة الخيضري في الخصائص يرده ما روي عن ابن عباس وغيره انه
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج بعث معه
ابو طالب من يحرسه حتى نزلت هذه الاية فقال له يا عماه ان الله عصمني
فلا حاجة لي بمن تبعثه معي وهذا يدل على انها مكية وفي مسلم عن
عايشة ارق رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فقال ليت
رجلا من اصحابي يحرسني الليلة فسمعت صوت السلاح فقال من هذا
قال سعد ابن ابي وقاص جئته لاحرسك فنام حتى سمعنا غطيطه وروى
الترمذي عن عايشة كان النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحرس
حتى نزلت الاية الخ اي فهذا يدل على انها مدنية فيحتاج للجمع وكونها
نزلت مرتين بمعنيين فالناس على الاول اهل مكة وعلى الثاني اعم خلاف
الظاهر ثم قال اكثر المفسرين انه هذا الذي كان يخشاه ويعصم منه القتل

لا الاعم فلا يرد عليه انه اذا عصم لم يلبس الدرع وشج وكسرت رباعيته.
وكان يحرس مع انه قيل انه كان تشريعا للامة ليأخذوا بالحزم وكسر الرباعية
والشج لنيل الحكمة وهي ان يشارك المؤمنين في المصيبة تسلية لهم
عما نالهم من فقد احبابهم وليشتد غيظهم على الكفار فيشتد بطشهم
بهم انتهى واما العصمة عن الذنوب فسيأتي في محله والى ما قدمناه اشار
في الكشاف ومن لم يفهم كلامه اعترض عليه بما لا يحصل له وقد تقدم انه
صلى الله عليه وسلم سم بخيبر وقال انه سبب موته لقوله الاكلة خيبر قطعت
ابهري وقالوا حكمته ان ينال اجر الشهادة ورتبتها مع مرتبته العلية
فيرد هذا على ما قالوه واجيب بان الله كفاه قتله بالسم حين
الاكل فلم يؤثر فيه فلما قضى اجله اثر فيه بقيته لعلو مقامه وليس لاحد
صنع فيه والقول بان الشيخ وغيره كان قبل نزول الاية ينافيه
ثبوت انها نزلت بمكة ولا مانع من ضمان الله عصمته بوحي غير متلو بمكة
وضمانه بالمتلو بالمدينة انتهى ولا يخفى ما في كلامه كما يعلم مما مر
ففيه السم غير واردة على العصمة من القتل لان المفهوم منه
ان يقتله عدو له مجاهرة بالبطش فيه بسلاح ونحوه خصوصا
ولم يظهر له اثر حال الاكل ولا بعده مما يطلع عليه اعداؤه
وانما كان بالسراية بعد زمان طويل ومثله لا يعد قتلا وقال
تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا امره بالصبر على اعباء الرسالة
ومشقة تبليغ ما امر بتبليغه ثم سلاه بانه لا يخاف من احد فانه
محفوظ بعين العناية من الله فاستعار العين للحفظ وجمعها
جمع تكثير لانه محفوظ من جهات الست ومن ظاهره وباطنه
وهذا اظهر مما في الكشاف وما قيل انه للمبالغة وانه ابعد
قال الراغب يقال فلان بعيني اي احفظه وارعاه كقولهم
هو مني بمرأى ومسمع وقوله واصنع الفلك باعيننا اي بحيث
نرى ونحفظ وفيه كلام مفصل ليس هذا محله وقال اليس
الله بكاف عبده فيه اثبات لكفاية الله على ابلغ وجه لانه
استفهام انكاري وهو نفي معنى ونفي النفي اثبات يعني ان عباده
يحفظون عبيدهم فكيف لا يحفظ عبده ولما كان العبد غير
معين هنا اشار بقوله نقلا عن السلف انه قيل معناه بكاف
محمد المراد بعبده لان الاضافة عهدية اعداه المشركين
وبعضه ان يكون دالا على المقصود ومطابقا لما تقدم وما قيل

من

من انها نزلت لما قالوا له صلى الله عليه وسلم انا نخاف ان تخبلك الهتنا
لكونك تعيبها ليس مطابقا لهذا المقام وقوله اعداه المشركين
باباه وقيل في تفسير هذه الاية غير هذا كالقول بان المراد
انه تعالى تكفل بارزاق جميع عباده وتوبيخه انه قرئ بكافي عباده بصيغة
الجمع وما يدل على عصمة الله له قوله تعالى كفيناك المستهزئين
الهزؤ السخرية والتهكم على سبيل التحقير والمراد بهم نفر من قريش كانوا
يؤذونه صلى الله عليه وسلم ويهزؤون به فاهلكهم الله لما اشتد اذاهم
ودعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما بينه المفسرون والمحدثون
في تفسير هذه الاية وهذا نوع من حفظ الله له بتعجيل اهلاك
عدوه وقد تقدم الكلام على هذه الاية وبيان هؤلاء وذكر هلاكهم والمقصود
من ذكر هذه الايات الاستدلال على ما عقد له الفصل بما يدل عليه
ويذكر بعض اثره المثبت لمراده وقال واذ يمكر بك الذين
كفروا الاية وقد تقدمت هذه الاية وبيان معناها فانما اتى بها
المصنف هنا استشهادا على عصمة الله له كما هو دابه والمكر هو
الحيلة والخداع ولا يوصف به الله الا مجازا على طريق المشاكلة وهي
اشارة الى ما كان بدار الندوة وهو مشهور غير محتاج للبيان واعلم
ان الشيخ الاكبر قال في بعض رسائله ان الله كما عصم نبينا في حياته
عصم رؤياه في المنام بعد وفاته من دعاية الشيطان ان يتحلى ويتمثل
في صورته الشريفة كذا انه معصوم من ان يؤذيه الاحلام وغيرها ثم
كل من يرى في المنام يتمثل في خيال الرائي الملك او النفس او الشيطان
الا الانبياء عليهم الصلاة والسلام فان الشيطان لا يتمثل بهم
عصمة لهم كما كانوا في حياتهم معصومين في البواطن من القائم
فاستمرت عليهم حياة وموتا في المحل الذي كانوا معصومين فيه
والرؤيا والنوم من عالم الباطن انتهى ثم شرع في ذكر الحديث
الذي رواه الترمذي عن عائشة فقال اخبرنا القاضي الشهيد
ابو علي الصدفي الاندلسي المعروف بابن سكرة ووصف بالشهيد
لانه استشهد في وقعة بالاندلس وقد تقدم الكلام عليه
وترجمته والصدفي بفتحتين نسبة لصدف بفتحتين قرية بقرب
بروان بقراءتي عليه لا بالاجازة والفقيه الحافظ ابو بكر ابن
عبد الله المعافري هو القاضي ابو بكر بن العربي ويقال
ابن عربي ايضا معرفا ومنكرا وبعضهم خصه بالتعريف ويقولون ابن

عن بلي بدون الاهو الشيخ محي الدين الصوفي نفعنا الله به وهذا المذكور هو
محمد بن عبد الله صاحب التصانيف الجليلة وابوه من كبار اصحاب
ابن حزم الظاهري وابنه ممن اخذ عن الغزالي وغيره ورحل الى الآفاق
الكبار وكان اخذ عنهم وتوفي بفاس في ربيع الآخر سنة ثلاث
واربعين وخمسمائة وكسند لغا فرنغين معجمة وفا وميم
مفتوحة وحكي في اسم الحي الضم وانكره ابن السكيت حي من همدان ه
وبلدة ولا ينصرف والكنية تكتب الثنا والغافرية قال حدثنا ابو
الحسن الصيرفي المبارك ابن عبد الجبار والحسين بالتصغير وما في
بعض النسخ الحسن مكبرا خطا من الناسخ وقد تقدمت ترجمته ه
قال حدثنا ابو يعلى البغدادي بفتح المثناة التحتية واللام
والف قال حدثنا ابو علي السنجي نسبة لسنج بسين مهملة مكسورة
ونون وجيم وهي قرية بمرو قال حدثنا ابو العباس المروزي وهو محمد
ابن احمد بن محبوب راوي الترمذي وقد تقدم قال حدثنا ابو عيسى
الحافظ ابن سعد الترمذي صاحب السنن امام الحديث المشهور ه
شهرة تغني عن ذكره قال حدثنا عبد بن حميد بلا اضافة لعبد
وقد تقدم قال حدثنا مسلم ابن ابراهيم الازدي الفراهيدي
ابو عمرو الامام الحافظ الذي اخرج له الستة توفي سنة مائتين واثنين
وعشرين قال حدثنا الحارث بن عبيد ابو قدامة الايادي البصري
له ترجمة في الميزان عن سعيد ابن الجريري بضم الجيم وفتح الرا ه
كالمصغر نسبة لجرير الضبي كما في الكاشف للذهبي عاد وترجمته
في الميزان عن عبد الله ابن شقيق التابعي العقيلي من كبار التابعين
توفي سنة مائة اوثمان وماية عن عائشة قالت كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحرس بصيغة المجهول اي يحرسه الصحابة
رضي الله عنهم في وقت الحاجة لذلك كالليل ووقت القيلولة
اذا كان خارج بيته حتى نزلت هذه الاية والله يعصمك من
الناس ونزولها بالمدينة لان سورة المائدة من اخر ما نزل وتقدم قول
اخر بانها مكية لكن الصحيح خلافه وفي بعض الحواشي عن ابن عرفة
انهم اختلفوا في صحة الدعا بالعصمة لغير النبي صلى الله عليه وسلم
والاية تدل على صحته لان العصمة مقولة بالتشكيك وقد كان صلى
الله عليه وسلم معصوما قبل نزولها والمراد بالناس الكفار فهو عام
مخصوص ولا مانع من التقاية على عمومه لان من المسلمين من يتصور

اذ ينبه

ادعيته لمن عنده قصد انتهى قلت قال ابن حجر في شرح الارشاد ه
اختلف في سوال العصمة فقيل يجوز مالك والشافعي في الرسالة نسالك
العصمة وكذا قول الشاذلي نسالك العصمة في الحركات والسكنات
وفي الحديث اذا دخل احدكم المسجد فليسلم على النبي صلى الله عليه
وسلم وليقل اللهم اعصمني من الشيطان وقيل يمتنع والحق انه
سال التوقي عن جميع المعاصي والرذايل في جميع الاحوال امتنع لانه طلب
مقام النبوة فان قصد التحصن عن افعال السوء فلا باس به انتهى وهذا
كله كلام غير مهذب لان العصمة لها معنيان احدهما الحفظ من اذية
الناس والثاني حفظه في نفسه عن ارتكاب المعاصي وكل منهما يكون
مقيدا او مطلقا فان قيد فهو جائز فيهما كاللهم اعصمني من الكذب
او الزنا او اللهم احفظني من اسر الكفار واعصمني من كيد الشيطان
والفجار ومطلق فيهما ولا مانع منه ايضا اذ لا مانع ان يقول اللهم ه
اعصمني من جميع الذنوب او من جميع الناس فانه امر مطلوب وقوله
انه طلب مقام النبوة كلام واه والذي اختصت به الانبيا عليهم ه
الصلاة والسلام وقوعه لهم لا طلبه فقد خلط هولا العصمتين
ولم يقفوا على الفرق بين المقامين فاعرفه فاخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم راسه من القبة بالضم وتشديد الموحدة
وهي كل بنا نقع من البنا او الخيمة والخباوقب اذا علا وليس معناه
ما هو مستدير على شكل كري كما تفهمه العامة فانه عرف طارئ والمراد
به هنا خبا كان يتخذه صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره ويحتمل
انه بيت صغير مستدير من الخيام وبيوت العرب وفيه من يحرسه من الصحابة
ناس كثيرون عدهم المجالي في شرحه ولا تترتب عليه فايدة هنا
فلذا تركناه فقال لهم ايها الناس انصرفوا من حولي واتركوا حراستي
فقد عصمني وحفظني ربي عز وجل فلا حاجة لي ان يحرسني الناس
وروي بصيغة المجهول انه صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل
منزلا اي تام به زمانا اختار له اصحابه شجرة تحتها حتى قال ه
يقيل فيلو لذا اذا نزل في وقت القايلة وهي الظهيرة وما قرب منها
للاستراحة سوا نام ام لا وان كثر فيها النوم فاتاه اعرابي
هذه فا فصيحة اي فاختاروا له في بعض اسفاره شجرة ليقيل تحتها
نزل تحتها وليس معه من يحرسه فاتاه الخ والاعرابي رجل من
اهل البادية تقدم بيانه فاخترط سيفه اي سله كما اخرجه من

فرايه ليضربه به وضمير سيفه اما للاعرابي فمعناه سل سيفا كان معه او للنبي صلى الله عليه وسلم فانه كان سيفه معلقا بالشجرة فلما هجم عليه الاعرابي اخذه وسله وهو صريح ما ياتي في لفظ رواية الصحيحين واصل معنى الاخترط ازالة ما على القضيب من ورقه او قشره فشبه ازالة غمده بذلك او هو من اخترطه اذا اخرجه من بطنه كحل العهد كالخرطوم ثم قال الاعرابي بعد اختراطه له صلى الله عليه وسلم من يمنعك مني الاستفهام انكاري بمعنى النفي اي لا يمنعك مني احد لاني دخلت عليك حين غفلتك وليس معك احد وعطفه بثم والظاهر الفاء لانه مهلة هنا فاما ان يكون تربص لينظر ما يصنع او كان اتاه من خلفه او استعمل ثم بمعنى الفا وهو كثير فقال الله اي يمنعني الله او الله يمنعني ويحميني فارعدت يد الاعرابي وقع في بعض النسخ بالهمزة المضمومة مبني للمجهول اي اصابته رعدة بكسر الراء وفتحها وهي اهتزاز اليد واضطرابها من غير قصد لشدة الخوف وقال التلمساني الصواب بحذف الف رعدت الثلاثي وهو خطا منه فان الذي صححه البرهان انه رعدت ثلاثي مبني للمفعول وبخط الشمني وغيره وقالوا انه من الانفعال التي لم يسمع فيها الا المجهول كحم وهو الموافق للرواية واللغة وسقط سيفه من يده لشدة ارتعاده من خوفه وضرب ذلك الاعرابي براسه الشجرة لما اعتراه من ذهاب عقله فلم يزل ينطحها حتى تكسر عظم راسه وسال دماغه لما انكسر قحفه الذي كان فيه الدماغ فنزلت الاية المذكورة والله يعصمك الخ وسيلان دماغه لانه كالدهن فلما انكسر راسه سال منه ذليس فيه كما توهم تجوز لتذهب النفس كل مذهب ممكن اي سال دما ونحوه وهذا الحديث بهذا اللفظ فالوالم يوجد في الكتب المعتبرة عند اهل الاثر ولم يذكروه في اسباب النزول والنبه اشارة بما بقوله وقد روي هذه القصة يعني قصة الاعرابي في الصحيح اي في الحديث الصحيح او في صحيح البخاري وان غورث بن الحارث وفي نسخة غويرث بالتصغير وغورث بغين معجمة مضمومة دوا وراه مهملة مفتوحة في المكبر ومثلثة صاحب هذه القصة وان النبي صلى الله عليه وسلم عفا عنه وهذا يخالف ما قبله في تلك الرواية من انه ضرب براسه الشجرة الخ اذ صريحها انه هلك بذلك السبب فينا في العفو عنه فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير

الناس

الناس لما راه من حلمه وعفوه عنه مع قدرته عليه وهذا الحديث رواه البخاري ومسلم عن جابر رضي الله عنه قال غزونا قبل نجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قفلنا ادركتنا القايلة في واد كثير العضاه فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق الناس يستظلون بالشجر ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة علق بها سيفه وغنا نومة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة علق بها سيفه وغنا نومة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا وعنده اعرابي فقال ان هذا اخترط سيفي وانا نايم فاستيقظت وهو في يده مصلتا فقال من يمنعك مني فقلت الله عز وجل ثلاثا ولم يعاقبه وروي انه شام السيف اي اغمده وفي سيرة ابن سيد الناس ان غورث رجل من محارب قال لقومه الا اقتل لكم محمدا اتكا به فاقبل اليه وسيفه في حجره فقال يا محمد اعطني سيفك انظر اليه فاعطاه له فاستله وجعل يهزه ويهم به فكبته الله فقال يا محمد اتخافني وفي يدي السيف قال لا يمنعني الله منك فرد السيف فانزل الله يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم الاية وروي ان السيف سقط من يده فاخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له من يمنعك مني فقال له كن خير اخذ فاسلم فرجع الى قومه وقال جيتكم من عند خير الناس وقد حكي مثل هذه الحكاية وفي كثير من النسخ حكيت مثل هذه الحكاية بتا التانيث لان المضاف يكتسب التانيث من المضاف اليه كقوله

:. كما شرقت صدر القناة من الدم :.

وهو كثير وجعله صفة مونث مقدر اي حكاية مثل هذه الخ كما قيل تكلف لا حاجة اليه وفي بعض النسخ وقد حكيت هذه الحكاية وهي ظاهرة بحسب اللفظ والاولى اظهر بحسب المعنى وانها جرت له صلى الله عليه وسلم اي وقعت يوم بدر اي في وقعة بدر يقال جرا لنا كذا اي وقع وهو مجاز من الجري فاستعير لما ذكر ثم صار حقيقة عرفية فيه وقوله وقد انفرد من اصحابه جملة حالية من ضميره اي منفردا عنهم لقضا حاجته كناية عن البراز مشهورة فتبعه رجل من المنافقين وذكر مثله بالنصب مفعول ذكر وهما تقدم له في سل سيفه وقوله من يمنعك ونحوه مما ذكر قبله وهذا الرجل لا يعرف كما قاله البرهان والحديث لم يخرج ايضا وقد روي رواه ابن اسحاق في سيرته عن

جابر بن عبد الله رضي الله عنهما انه وقع له صلى الله عليه وسلم **مثلها**
اي مثل هذه الحكاية والواقعة **في غزوة غطفان** بفتح معجمة وطا مهملة
مفتوحتين وهي قبيلة مشهورة غزاها النبي صلى الله عليه وسلم في سرية
نحو اربعمائة وخمسين فارسا في ربيع الاول بعد خمسة اشهر من الهجرة
بذي امر بهمزة وميم مفتوحتين وراء مهملة وهو اسم مكان ويسمى غزوة
غطفان وغزوة انمار وغزوة ذي امر لان انمارا اسم ذلك المكان ايضا **مع رجل**
متعلق بوقع **اسمه دعثور** بضم الدال وسكون العين المهملتين وثلثة
وواو وراء مهملة وهو علم بزنة بهلول منقول من اسم الحوض الصغير
ابن الحارث وهو رجل من بني محارب وتقدم ان غورث بن الحارث
وقال ابن سيد الناس في غزوة ذات الرقاع ان الخبرين لرجلين واحد
وكان جمع بين ثعلبة ومحارب للاغارة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما سمع بذلك خرج نحوه واستخلف على المدينة عثمان بن عفان فهو
بوادي ذي الجبال وكان قبل ذلك يدعي انه يهجم على رسول الله صلى الله
عليه وسلم في غزوته فكان منه مثل هذه القصة **وروي انه الرجل اسلم**
فلما رجع الى قومه الذين اغروه اي حرضوه على الفتك برسول الله صلى الله
عليه وسلم نعمة الله منه **وكان سيدهم واشجعهم** جماعة
خالية معترضة بانه لما رجعوا بها يابان لسبب اغرائهم له دا كنا منه على ذلك
قالوا له جواب لما **اين ما كنت تقول** انك دعا عليه لما هرب وقد
كان يقول اني اقتل محمدا **وقد امكنك** فاعله ضمير مستتر يرجع لما اي امكنه
الامر اذ لم تمنعه مانع فضلا ركنا له ويجوز ان يكون للنبي صلى الله عليه وسلم
لعلمه من السياق اي تمكنت منه سلطا دنيته له وحده ومعه سيف مسلول
في يده **فقال اني نظرت الى رجل ابيض طويل** حال بيني وبينه
ودفع في صدري فوقعت لظهري اي وقعت على ظهري لشدة دفعه
وقوته **وسقط السيف** الذي كان بيدي **فعرفت انه** اي الرجل الذي دفعني
ملك لانه لم يكن ثمة احد حين هجمت عليه ولان قوة دفعه ونها بتني
ليست مما عهدته **واسلمت** لما شاهدته مما يدل على نبوته قال ابن اسحاق
اصاب به صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره مطر فنزع ثوبه ونشره على
شجرة ليجف واضطجع تحته فقالوا له دعثور انفرد محمد فعليك به فاقبل
بسيفه حتى قام على رأسه وقال من يمنعك اليوم مني فقال الله
فتمثل له جبريل عليه الصلاة والسلام ودفع في صدره فوقع سيفه

فاخذه

فاخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له من يمنعك مني فقال
لا احد وانا اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله ورجع لقومه
ودعاهم للاسلام **قيل وفيه** اي في هذا الرجل وقصته **نزلت**
هذه الاية يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم
الاية وفي سبب نزولها اقوال اخر فقيل نزلت بعسفان لما شرعت
صلاة الخوف وقيل في بني قريظة وقيل في بني النضير كما سياتي
وفي رواية الخطابي وهو حميد او احمد بن محمد بن ابراهيم الامام الجليل
في العلوم الشرعية ينسب لجده الخطاب وقيل لزيد بن الخطاب
اخي امير المؤمنين عمر رضي الله عنه وتاليفه جليلة مشهورة ككتاب
الاثار وشرح السنن وغيره **ان غورث ابن الحارث المحاربي** منسوب
لمحارب القبيلة المشهورة وفي نسخة غويرث بالتصغير كما تقدم وذكر ان
ابن سيد الناس قال في غزوة ذات الرقاع في غورث بن الحارث ان المذكور في
غزوة ذي امر من الخبر يشبه هذا الخبر فالظاهر ان الخبرين واحد
وقال الذهبي في التجريد وعثور بن الحارث الغطفاني الاشجع
انه غورث وقال البرهان انه صنف عليه فهو عنده غلط وفي
هامش نسخة من الشفا عوض دعثور غويرث وعليها علامة نسخة
وصحت ايضا انتهى وهو كلام مضطرب يحتاج للتحرير **اراد ان يفتك**
بالنبي صلى الله عليه وسلم يفتك مثلث التاء الفتك وهو الهجوم
من حيث لا يشعر به على امر عظيم فيه مخاطرة ويطلق ويراد به القتل
مطلقا وفي الفتك القتل مجاهرة **فلم يشعر به**
اي لم يعلمه ولم يحس به في حال من الاحوال **الا وهو قايم على راسه**
المراد بقيامه على راسه وقوفه خلفه متصلا به **منتضيا** بضاده
معجمة اي مجردا ومسلا **سيفه** ليضرب به فلما راه **قال** صلى
الله عليه وسلم **اللهم اكفنيه بما شئت** الضمير لغورث وبما شيت
ما موصولة عايدها مقدر اي بالامر والسبب الذي شئته واردته
والمراد تفويض امر كفايته الى الله وتسليم امره كما ورد اللهم اكفنا
السوء بما شئت وكيف شئت وهو اقرب الى الاجابة من تعيين
ما يدفعه عنه فعقب قوله من غير مهلة **انكب لوجهه**
اللام بمعنى على اي سقط على وجهه يقال كبه فاكب وانكب اذا اوقع
وتلازمه متعد ومزيده لازم على خلاف القياس واللام بمعنى على
كما في قوله **.:.** يخر صريعا لليدين وللفم **.:.**

وقوله من زلخة متعلق بالكتف والزلخة بضم الزاي المعجمة وفتح
اللام المشددة وخاء معجمة وربما كسرت وروى بعضهم بتخفيف لام زلخة
وهي وجع يأخذ في الظهر يمنع الانسان من الحركة من الزلخ وهو الزلل
ويقال لزحلوقة تلعب بها الصبيان زلخها بضم الزاي وتشديد
اللام المكسورة وخاء مكسورة معجمة فيهما [illegible] الزلخة وقراءة بعضهم
بالجيم وهو غلط كما قاله الخطابي وهو ماض مجهول متعد لمفعولين
من باب أعطى والفاعل الله والمراد رجدها الله حين سل السيف
وقوله بين كتفيه لانها في تفسير الزلخة المذكورة فان ما بين
كتفيه من اعلى الظهر فهو تاسيس فاشارة لعلة سقوط سيفه
فانه اذا امتد للكتفين ضعفت اليد من حمله وندر سيفه من
يده اي من داخل قبضة كفه واما نجم وندر بنون ودال مهملة
مفتوحتين وراء مهملة اي سقط يقال ندر اذا خرج وسقط من جوف
او من بين اشياء والزلخة وجع الظهر وقيل اي قال غير الخطابي
في تفسيره اي تفسير غورث غير هذا المذكور من ان انه الفتاك
فانه روي انه جمع ناسا للاغارة فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
لحربهم هو بنو انمار وبني الحارث كما مر وان الامر والشان نضمير مقدر
فيه اي في غورث نزلت اية يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة
الله عليكم اذ هم قوم الاية وقيل كان صلى الله عليه وسلم
يخاف ترقبا فلما نزلت هذه الاية وهي يا ايها الذين امنوا الخ
او قوله والله يعصمك من الناس استلقى اي نام صلى الله عليه وسلم
واضعا ظهره على الارض لامنه اعداه واطمينان قلبه ثم قال
من شاء فليخذلني بخاء وذال معجمتين والخذلان ترك النصرة
واللام للامر وظاهره غير مراد فانه انشاء بمعنى الخبر اي الذي عني عن المعين
والحرس لان الله حامي وضمن انه لا يضرني احد يصل الي ولذا استلقى
والظاهر هنيد الامن والتبري من حوله وقوته اعتمادا على الله وحكاه
بعضهم لانه يقتضي ان هذه الاية مكية لان خوفه من قريش انما كان بمكة وسورة
المائدة كلها مدنية على الصحيح وكذا النزول بعده كما تقدم وذكر عبد
ابن حميد الحافظ المشهور وقد تقدم بيانه وهذا اثر رواه ابن جرير في تفسيره
مرسلا قال كانت حمالة الحطب وهي ام جميل بنت حرب بن امية
اخت ابي سفيان ابن حرب زوجة ابي لهب وسميت حمالة لانها كانت
تضع العضاة بعين وضاد معجمتين واحده العضا وهو شجر له

شوك

شوك اذا اوقد كان شديد الاحتراق فلذا قالوا نار الغضا للنار القوية
وقوله وهي جمر يحتمل ان يكون تفسيرا للغضا لانه يطلق على ناره كما يطلق
على محله قال

فسقى الغضا والساكنيه وانهم ... شبوه بين جوانحي وضلوعي

وان يكون حالا من الغضا وجمر بمعنى متوقدة اي تضعه حالة كونه جمرا
على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وممره من بيته للحرم وغيره تقصد
بذلك ان يمشي عليه فيؤذيه ويؤثر في قدمه وقد قيل في تسميتها
حمالة الحطب وجوه اخر مذكورة في التفاسير منها انه على ظاهره ومنها
انه عبارة عن النميمة وحمل الاوزار فكان صلى الله عليه وسلم وفي نسخة
فكانما بزيادة ما يطؤها اي يضع قدمه على تلك العضاة وهو حاف او بنعل
يؤثر مثلها فيها فيجدها كثيبا بالمثلثة ومثناة وموحدة وهو ما اجتمع
من الرمل اهيل مبني للمجهول يقال هال الرمل اذا اساله ولم يجمعه
كالربوة والمشي عليه حينئذ اهل والمراد انه يجده صلى الله عليه وسلم
سهلا لا يؤذيه كما كانت نار الخليل عليه الصلاة والسلام قال ابن مقبل

يمشين هيل النقا مالت جوانبه ... ينهال حينا وينهاه الثرى حينا

وذكر ابن اسحاق امام اهل السير وهو محمد بن اسحاق بن يسار الامام الثقة
الصدوق وان طعن فيه بعضهم وترجمته مفصلة في الميزان وغيره انها لما
بلغها نزول سورة تبت يدا ابي لهب وذكرها مصدر مرفوع معطوف
على نزول بما ذكرها الله به مع زوجها من الذم بيان لما وهو ما في السورة
اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد ومعه ابو بكر
رضي الله عنه وفي يدها فهر بكسر الفاء وسكون الهاء وراء مهملة وهو حجر ملء
الكف او هو الحجر مطلقا ومنه قولهم يهود خرجوا من فهرهم بيت
دارسهم كلمة معربة اصلها بهرا ابنا وقوله من حجارة بيان لفهر
فلما وقفت عليهما اي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر لم تر الا
ابا بكر واخذ الله ببصرها اي قبض وحبس نظرها عن نبيه صلى الله
عليه وسلم اي عن رؤيته وهو جالس عندها فاخفاه الله عصمة
له صلى الله عليه وسلم عن اذيتها وهذا يقتضي ان عصمته صلى الله
عليه وسلم كانت ثابتة قبل الهجرة كما تقدم فقالت يا ابا بكر
ابن صاحبك فقد بلغني انه يهجوني اي يذمني على ان الهجو لا يختص
بالشعر حقيقة او مجازا او هو منها لتوهمها انه شاعر كما ادعاه غيرها زعما
بما نزلت في حقها في سورة تبت والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه

خصته لانه نحل النطق بذنبها فرجعت خاسئة وهذا رواه البيهقي وغيره
عن اسما بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنه كما رواه ابن اسحاق وروى
ابو نعيم في الدلايل والطبراني بسند جيد عن الحكم بن ابي العاص والد مروان
وهو ممن اسلم عام الفتح وتوفي في خلافة عثمان وفي الصحابة من وافقه
في اسمه واسم ابيه ولكن المشهور هو هذا ولذا لم يغيره المصنف ٥
تواعدنا على النبي صلى الله عليه وسلم اي تواعد هو وبعض الكفرة على
قتله صلى الله عليه وسلم والفتك به في بعض الليالي وخرجنا في الميعاد نترقبه
نرقبه حتى اذا رايناه اي لما قرب منا وابصرناه بحيث تمكنا منه سمعنا
صوتا اي صيحة عظيمة خلفنا اي من خلفنا ما ظننا انه لم يبق بتهامة
احد ما يحتمل ان يكون زايدة ان كان التقدير انه لم يبق احد بتهامة
الا وقد هلك بتلك الصيحة وان يكون نافية اذا اريد ان جميع اهل تهامة
صاحوا علينا صيحة واحدة وقد لحقونا ليقتلونا فالمعنى اننا تيقنا وجودهم
خلفنا والمعنيان متقاربان والمال واحد ولهم هنا كلام لم يفصح
بالمراد وتهامة بكسر التاء معناها ارض منخفضة ذيقا بها لما تعد من التهم
وهو الانخفاض او لشدة الحر والريح او لتغير هواها يقال تهم الدهن
اذا تغير وهي ارض معينة وراء مكة من المغرب من ذات عرق الى البحر
والمدينة لانها منه ولا نجدية فوقعنا مغشيا علينا من هول تلك
الصيحة والغشي كالاغما ذهاب العقل مع سقوط القوى فما افقنا
من ذلك الغشي حتى قضى صلاته اي فرغ منها وادامها ومضى الى اهله
اي رجع من صلاته بالمسجد الحرام الى منزله ليلا ولم نظفر منه بشي
اردناه ثم تواعدنا على ما قصدناه وان نعود له ليلة اخرى فجينا
حتى اذا رايناه يقرب منا وهو مار للمسجد ليصلي به كما في المرة الاولى
خالت الصفا والمروة هما ربوتان مرتفعتان في محل سعي الحجاج معروفتان
والمراد بحيلولتهما تحركهما من مكانهما حتى يكونا بينهم وبينه صلى الله عليه
وسلم كما بينه بقوله فحالت اي الصفا والمروة بيننا وبينه
فمنعنا من الوصول اليه لعصمة الله له والصفا كالمروة مؤنثة
باعتبار البقعة والربوة وافرد ضميرها وكان الظاهر فحالتا ٥
لتاويله بحالت كل واحدة منهما وفي هذا معجزة له صلى الله عليه
وسلم ظاهرة وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه تواعدت انا
اكد ضميره ليعطف عليه وابو جهم بن حذيفة واسمه عامر او
عبيد بن حذيفة بن غانم ابن عامر العدوي اسلم عام الفتح وصحبه

صلى

صلى الله عليه وسلم وكان معظما في قريش توفي في عام الفتح في ايام ٥
معاوية وترجمته معروفة وهو صاحب الانبجانية ليلة منصوب
على الظرفية منون قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم
منصوب على انه مفعول او بنزع الخافض اي على قتله او لقتله او بمعنى
اي واعدنا قتله ونحوه فجينا منزله ليلا خفية فسمعنا النبي
وفي نسخة له وفي نسخة فتسمعنا اي اطلنا السماع لا تكلفناه كما في تفعل
فافتتح الكتاب ابتدا قراءته وقرا الحاقة ما الحاقة حتى انتهى الى قوله
فهل ترى لهم من باقية يعني قوله كذبت ثمود وعاد بالقارعة
فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية
سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما فترى القوم فيها صرعى
كانهم اعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية والمراد بالحاقة ما حق
وقوعه بهم من الدواهي او الساعة التي وقعت فيها من حق بمعنى
وجب وثبت وقوله وما ادراك ما الحاقة تهويل وتعظيم لها ٥
والطاغية الداهية المجاوزة الحد وهي الصيحة او الرجفة وعاتية
شديدة العتو والطغيان والحسوم ايام نحسة من صبيحة يوم الاربعا
الى الاربع اخر الشهر وقوله فهل ترى لهم من باقية استفهام بمعنى
النفي اي ما ترى لهم بقية او بقا على انه مصدر بزنة فاعلة وهو قليل
في كلامهم او نفسا باقية فضرب ابو جهم على عضد عمر وقال
نعمد النجا اي قم لتنجي من قدوم الهلاك بك خوفا من ان يحل بهما ما حل بثمود
وعاد لانهما كانا مكذبين له كما كذب اوليك رسلهم ففرا هاربين
اي قاما من محلهما مسرعين جادين في الهرب لخوفهما مما ذكر وهو
كقوله فتبسم ضاحكا فهاربين حال مؤكدة وعلى الاولى هو تجريد
نحو فكان اي ما ذكر من هذه القضية من مقدمات اسلام عمر
لتاثيرها في قلبه فاسلم بعدها بمدة يسيرة وهذا الحديث
لم يوجد بهذا اللفظ الا انه في مسند احمد بما يقرب منه وهو ان عمر
رضي الله عنه قال خرجت ليلة لاتعرض لرسول الله صلى الله عليه
وسلم قبل ان اسلم فوجدته قد سبقني الى المسجد فقمت خلفه
فاستفتح الحاقة فجعلت اتعجب من تاليف القران فقلت
والله ما هو بشاعر كما قالت قريش فقرا انه لقول رسول كريم
وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون فقلت هو كاهن فقرا ولا
بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين الخ فوقع م

الإسلام في قلبي كل موقع وليس فيه انه صحب الباجمهم وفي التعبير بمن التبعيضية
اشارة الى ان له مقدمات اخر الى ان اسلم لما سمع سورة طه في بيت اخته
في قصته المشهورة ومنه اي مما يشهد لان الله تعالى عصمه صلى الله عليه وسلم
من اعدائه العبرة المشهورة بكسر العين وسكون الموحدة وهو الامر العجيب
الذي يعتبر به ويتعظ من الاعتبار والعبرة هي الحالة التي يتوصل بها من معرفة
الشاهد الى الغائب من العبور ومنه العبارة واشار بقوله المشهورة الى انها
ثابتة مشهورة بين المحدثين غير محتاجة الى النقل من كتاب معين والكفاية
التامة اي كون الله عصمه وصانه صيانة تامة ليست ككفاية غيره كما قال له
يا ايها النبي حسبك الله عندما اخافته قريش تفعل من الخوف وهو
توقع المكروه يقال خوفه واخافه اذا فعل وقال له ما يدل على انهم يوقعون
المكروه به وفسره بقوله واجتمعت على قتله اي اتفقوا على ذلك الا
قليل منهم لغلبتهم لم يعتدوا وبيتوه اي قصدوا قتله وايقاعه ليلا في خفية
قال الراغب التبييت قصد العدو ليلا ويقال لكل فعل دبر بالليل
بيت قال تعالى اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وعلى هذا حديث لا صيام
لمن لم يبيت الصيام من الليل وبات موضوعة لما يفعل بالليل كظل لما
يفعل بالنهار انتهى ويقال هذا امر بيت بليل اي دبر بخلد ليلا لتوقع عليه
على غيره فخرج عليهم صلى الله عليه وسلم من بيته وهم لا يشعرون كما رواه
ابن اسحاق والبيهقي فقام على رؤسهم اي وقف عندهم وهم نيام وقد ضرب
الله على ابصارهم اي لم يبصروه بل لم يروه لاستغراقهم بالنوم وحجب
عيونهم عنه وقد كانوا احاطوا ببيته عليه الصلاة والسلام وذر بذال
معجمة وراء مهملة مشددة اي نثر التراب على رؤسهم اهانة لهم
وخلص منهم اي نجا من شرهم وهواهم وذلك كما قال ابن عباس رضي الله
عنهما ان قريشا حين اسلم الانصار رضي الله عنهم خافوا ان يتفاقم امره
عليه الصلاة والسلام عليهم فاجتمع كبارهم في دار الندوة واتفقوا على قتله
وتبيتوه فخرج عليهم وفعل ما ذكر وذهب الى الغار مهاجرا الى الله كما فصل
في السير وذكر فيها هؤلاء الذين اجتمعوا وبيتوا باسمائهم وانهم كانوا مائة
وانه صلى الله عليه وسلم خرج من ظهر البيت وطاطات له جارية اسمها
مارية خادمته حتى تسور الجدار الذي من ظهر البيت وحمايته
اي حماية الله له صلى الله عليه وسلم منهم وحفظه بعصمته من اعدائه ومنعهم
عن رؤيتهم اياه وابا بكر وهما في الغار اي غار ثور وثور اسم جبل بقرب
مكة والغار كالمغارة نقرة في الجبل كالبيت وسمي بثور بن عبد مناف

لنزوله

لنزوله به ويقال له ثور اطحل وهو اسم جبل اخر خلف احد بما هيا الله اي بما اعده
وليسره له ولرفيقه الجار متعلق بحماية والبا للسببية العادية من الايات
بيان لما اي المعجزات والعلامات الدالة على نبوته وصدقه وعصمته
ومن العنكبوت الذي نسج عليه سيأتي في طرفه عن قريب العنكبوت
دويبة معروفة تذكر وتؤنث وتنسج خيوطا دقيقة تمدها في الجو لصيد
الذباب وانما يكون ذلك في مكان خال لا يمر به شيء حتى قال امية بن خلف
احد صناديد قريش وقد تقدم انه مات كافرا ببدر وهو اسم موضع معروف
حين قالوا اي كفرة قريش لما قصوا اثره صلى الله عليه وسلم وانتهوا الى فم
ذلك الغار ندخل الغار لنفتشه لاحتمال انه مختف به ما اربكم بفتح
الهمزة والراء المهملة والموحدة ويجوز كسر الهمزة وتسكين الراء
وهو الحاجة المطلوبة وما استفهامية او نافية اي ليس لكم مطلوب وهو
محمد صلى الله عليه وسلم ولا حاجة فيه اي في الغار وعليه اي على فم
الغار ومدخله وفي ما اربكم من التورية اي ما اوقعكم في الشك فيما لا شك
فيه من نسج العنكبوت ما ارى بضم الهمزة وفتحها اي اظن واعتقد
انه قديم قبل ان يولد محمد اي قبل وجوده وولادته لانه مثله لا يكون
الا في مدة طويلة وفيه معجزة له صلى الله عليه وسلم كما قيل

القني في لظى فان احرقتني ◦ فتيقن ان لست بالياقوت
جمع النسج كل من حاك لكن ◦ ليس داود فيه كالعنكبوت

وقال الابوصيري رحمه الله

وقاية الله اغنت عن مضاعفة ◦ من الدروع وعن عال من الاطم

وقد نفت حمامتان ذكر وانثى على عش فيه بيض لهما وهذا لا يكون الا في
محل خال من الناس ووقفت بالفاء وروي بالعين المهملة من وقوع الطائر
وهو نزوله بمحل على فم الغار اي مدخله فقالت قريش لو كان فيه
اي في الغار احد لما كان هناك الحمام لما عرفته انفا وفي نسخة هنالك
باللام وهو اسم اشارة للمكان وقصة الحمام كما رواه البزار مسندا وغيره
ان الله امر العنكبوت فنسجت على فم الغار وارسل حمامتين وحشيتين
فوقفتا على وجهه فصد به المشركين عنه وحمام مكة من فراخهما وفي
المواهب ان الحمامتين باضتا في اسفل فم الغار ونسج العنكبوت
عليه فقالوا لو دخلاه لكسر البيض وتهلل النسج وروي ايضا انه نبت
في فمه شجرة صغيرة تسمى شجر الراء وهي شجرة بمقدار القامة لها زهر
وشي كالقطن يحشى به الوسائد امرها الله بان تنبت لتستره لما اقبل

فتبادر قريش باسلحتهم حتى اتوا الغار فلما رأوا ما به من المذكور رجعوا
وقال ابو بكر لو نظر احدهم الى قدمه رآنا فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقص القافة اثرها فانتهى
للغار فلما رآهم ابو بكر اشتد حزنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال ان قتلت انا فانا رجل واحد وان قتلت انت هلكت
الامة فقال له لا تحزن ان الله معنا كما نطق قوله لا تحزن دون لا تخف
فان فيه اشارة الى انه لم يخف على نفسه وانما حزن على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وامته لانه احب اليه من نفسه وكل شيء ولسع ابو
بكر في هذه الليلة عشر مرة فمزق ثوبه وجعله في الشقوق وسد
بعضها بقدمه اتقاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم واقام فيه
ثلاثة ايام ثم خرج منه فلقيه سراقة ولذلك ذكر المصنف قصته
عقب ذلك بقوله وقصته صلى الله عليه وسلم اي وما يدل على عصمة
الله له وحمايته سيرته الواقعة له مع سراقة ابن مالك بن جعشم بضم الجيم
والسين وربما فتحت ايضا وفي بعض النسخ شعجم بتقديم الشين كما في المغني
وفيه نظر وقصته في الصحيحين وهي مشهورة فانهم جعلوا لمن دله
عليه جعلا عظيما وهو ان لكل من اتى به او قتله ديته فلما خرج من الغار
رآه سراقة وكان ينزل بقديد بين مكة والمدينة وهو من جملة
من توجه اليه لطلبه فركب فرسه ليدركه فلما دنا منه صلى الله
عليه وسلم ساخت قوائم فرسه الى ابطها في الارض لدعائه عليه بقوله
اللهم اكفنا سراقة ثم ان الله هداه للاسلام فاسلم في مرجع النبي صلى
الله عليه وسلم من حنين فهو صحابي مدلجي حجازي كناني وهو الذي
صلى الله عليه وسلم البسه سواري كسرى فلما رأى ذراعيه ودقتهما اشتهر
في حديثه المشهور والمتقدم وقوله حين الهجرة اي في وقت
هجرته صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة وذكر ابن سعد ان سراقة
عارضهم يوم الثلاثاء بقديد والهجرة ترك الوطن من الهجر وهو بكسر
الهاء وفتحها وقد تضم وقد جعلت قريش جملة حالية وجعلت
من الجعل وهو ما يعطى في مقابلة عمل ما فيه اي في رسول الله صلى الله
عليه وسلم والاخبار به وفي ابي بكر لانه كان رضي الله عنه معه الجعائل
جمع جعيلة وهي كالجعالة بمعنى والجعالة مثلثة الجيم ويقال جعال ككتاب
وجعل بزنة قفل وتحقيقه تقدم وتلك الجعالة كما قاله السهيلي كانت مائة
ناقة اي حمرا كما قاله الماوردي في الاعلام وانذر به بالبناء للمجهول اي اعلم

سراقة

سراقة بالنبي صلى الله عليه وسلم يقال انذرته بكذا بمعنى وبجهة اي اعلمته
ويكون الانذار بمعنى التخويف ايضا وكيفية الاعلام مشهورة في السير وغيرها
وحاصلها ان رجلا اتى سراقة وقال له اني رأيت اسودة بالساحل اظنهم
محمدا واصحابه فقال بعد ما عرف انهم هم ليسوا هؤلاء ثم اخرج خلفهم فكان
ما ذكره المصنف بقوله فركب فرسه واتبعه حتى اذا قرب منه دعا عليه النبي
صلى الله عليه وسلم فساخت قوائم فرسه اي غاصت في الارض ودخلت
فيها حتى كادت تبتلعها وتخسف من تحتها يقال ساخ يسوخ ويسيخ بسين مهملة
وخاء معجمة في آخره بمعنى غاص ودخل وبمعنى الخسف فيقال ساخ الفرس وساخت
الارض وهما بمعنى واحد يختلف باختلاف المسند اليه وهذا مما اتفقت
عليه كلمة اهل اللغة وفي القاموس ساخت قوائمه ثاخت والشيء رسب
في الارض سوخا انتهى وثاخت في نسخة بثاء مثلثة بمعنى غاصت
كما ذكره في فصله وقد خفي على الشارح الجديد فتوهم انه ناخت
بنون بمعنى بركت فقال لا ينبغي هذا والذي ينبغي ان يفسره بغاصت
وهو غلط فاحش منه وخر عنها اي سقط من فوقها ورمى بنفسه عنها خوفا
من ان تخسف به الارض فيهلك لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه
بالخسف وضمير عنها للفرس لانها تذكر وتؤنث وتقع على الذكر والانثى وقد
قيل انها كانت انثى تسمى العود وقوائم الفرس رجلاها ويداها
وقد نقل بعض اهل السير ان الصديق رضي الله عنه له قصيدة فيها
هذه القصة منها

حتى اذا قلت قد انجدن عارضها ... من مدلج فارس في منصب واري
يردي به مشرف الاقطار معتزم ... كالسيد ذي اللبدة المستاسد الضاري
فقال كروا فقلنا ان كرتنا ... من دونها لك نصر الخالق الباري
ان تخسف الارض بالاحوى وفارسه ... فانظر الى اربع في الارض غوار
فهيل لما رأى ارساخ مهرته ... قد سخن في الارض لم يحفر بحفار
فقال هل لكم ان تطلقوا فرسي ... وتأخذوا موثقي في نصح اسراري

واستقسم بالازلام جمع زلم بفتحتين وبضم وفتح بزنة عمر وهي قداح
اي سهام لا ريش لها ولا نصل كان اهل الجاهلية يكتبون على بعضها
افعل وعلى بعض لا تفعل ويضعونها في متاعهم اذا ارادوا فاذا عرض لهم
مهم اخرجوا سهما لما يتخالفون به فيفعلون او يتركون وهو معنى الاستقسام
اي طلب ما قسم وقدر له وقيل كان يكتب على بعضها نهاني
ربي وبعضها غفل اي خال من الكتابة فاذا خرج غير الغفل عملوا به وان

حرج العقل افاد واحتي يخرج غيره ويسمون ذلك استقساما وا لهم الازلام اخر
اي سهام في الكعبة مكتوب عليها الحوازلي وهي التي استقسم بها عبد المطلب
على ذبح ولده وكذا كان عند كنانة ولخم مثلها اقداح الملكم السبعة التي
كانوا يتقاسمون بها وقيل الازلام حصى صغار يتعالمونها والصحيح الاول
فخرج له اي لسراقة ما يكره اي ان لا يضره لانه اني ليرده صلى الله عليه وسلم وابا
بكر وياخذ من قريش الجعل فخرج له لا تفعل فلم يتبعه ثم ركبه فرسه بعد
ما سقط عنها وساخت قوائمها ودنا اي قرب من رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو سائر بعيره حتى اذا سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وهو
لا يلتفت له لعدم مبالاته به واعتماده على ربه وابو بكر يلتفت
وراءه لخوفه على رسول الله صلى الله عليه وسلم او ليرى ما يقصده من شر انه
وخوفه لشدة حبه اله كان قال له في الغار لا تحزن ان الله معنا لانه
لا يتوهم انه مخصوص بذلك الوقت فقال ابو بكر له صلى الله عليه
وسلم اتينا بالبنا للمجهول اي اتانا العدو وادركنا من يطلبنا منهم
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن ولا تخف ممن اتانا
ان الله معنا اي مصاحبنا لنا بتاييده ونصره وحفظه وعصمته
لنا من جميع الاعدا فلا تخف ممن لحقنا منهم فلذا لم يلتفت النبي صلى الله
عليه وسلم لتمكنه وشدة ثقته وحولا ابي بكر رضي الله عنه لخوفه
وشفقته على رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بمعصية لنهي النبي
صلى الله عليه وسلم عنه لانه امر طبيعي ولا نسلم انه مقول له في الغار فان
المحب طنين وضنين بمحبوبه لا سيما هذا الرسول العظيم وليس هنا ما يحتاج
لجوز بل النبا فانه تطويل بغير طائل فساخت قوائم فرس سراقة مرة ثانية
بعد المرة الاولى الى ركبتيها تثنية ركبة وهي ما بين يديها ورجليها
وخر عنها اي وقع وسقط عن فرسه لما ساخت وانكبت على وجهها وزجرها
اي صاح عليها فنهضت اي قامت وتخلصت قوائمها من الارض ولعثانها
مثل الدخان اي غبار يرتفع في الجو كانه دخان كما ورد التصريح به في السير
قال ابن سيد الناس ولعثانها عثان مثل الدخان والعثان بضم العين المهملة
ومثلثة هو الغبار هنا ويكون بمعنى الدخان والدخان بضم الدال وتخفيف
الخاء وقد تشدد ويقال دخ ودخن والحاصل [illegible] قوائمها دخان
وهو استعارة للغبار فناداهم اي نادى سراقة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وابا بكر وفهيرة رفيقهما بالامان اي رفع صوته به قائلا اطلب الامان
الامان كما يفعله الناس والمراد تامينهم منه وانهم لا يلحقهم منه ضرره

وخوفه

وخوفه باخباره الاعدا او طلبه منهم والمراد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يعطوه امانا فلا يلحقه ضرر لخوفه منه ومن دعايه عليه وتقدم وروده
التصريح بالامان في سيرة ابن اسحاق والى الثاني اشار بقوله
فكتب له النبي صلى الله عليه وسلم امانا اي امر بكتابته له فالاسناد مجازي
لقوله كتبه اي كتاب الامان وهو رقعة من ادم وفي رواية ابن اسحاق فكتب
كتابا في عظم او رقعة او خرقة ثم القاه الي فاخذته ثم جعلته في كنانتي
ثم رجعت ابن فهيرة مصغر فهرة وهو عامر بن فهيرة مولى ابي بكر رضي الله
عنه وهو من مولدي الازد مملوك للطفيل فاشتراه ابو بكر منه فاعتقه
واسلم وكان يرعى غنما لابي بكر فيحلبها لهما كل ليلة في الغار باللبن
[illegible] ثم هاجر معهما وشهد بدرا واحدا وقتل ببير معونة
فلم يوجد جسده فيقال ان الملائكة دفنته وقيل رفعته
وقيل كتبه ابو بكر وجمع بينهما بان ابن فهيرة كتبه اولا فلم يرض
سراقة بكتابته وطلب كتابة ابي بكر لشرفه وشهرته فكتبه له وللنبي صلى
الله عليه وسلم كتاب تزيد على الاربعين مذكورة في المفصلات
ابن ابي الحديد فالحق مستقل واخبرهم اي اخبر سراقة النبي صلى
الله عليه وسلم وابا بكر وابن فهيرة بالاخبار اي باخبار قريش
وما جرى منهم بعد خروجهم من مكة وجعلهم الجعايل لمن اتى بهم
او قتلهم بينهم وامره النبي صلى الله عليه وسلم اي امر سراقة
ان لا يترك احدا من قريش اي لا يدع احدا يمكنه باخبارهم حين يلحق
بهم اي يسير خلفهم ويتصل اليهم بان يقول لم اره ونحوه ولو كذبا اذ هو
يجوز عند الضرورة والحاجة وفي حديث انس فقال يا نبي الله مرني
بما شئت قال تقعد مكانك لا تتركن احدا يلحق بنا قال فكان
اول النهار جاهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اخر النهار
مسلحة له فانصرف اي رجع سراقة عنهم حال كونه يقول للناس
جملة حالية مضارعية لا تغتر بوادي الفصيح اي يقول للناس والمراد بالناس
ان كان من لقيهم ممن خرج لطلبهم بقوله كفيتم ما هاهنا معناه ارجعوا
كفيتم الطلب فاني اخلتهم وما موصولة ويحتمل ان تكون نافية اي
ما هنا احد وان كان المراد النبي ورفيقاه فالمعنى عصمتم وسلمتم مما هنا
احد من الخوف والى كلا الوجهين ذهب الشراح وفي الشرح الجديد
خلط هنا عني عن الرد وذكر ابن سعد انه لما رجع قال لقريش قد
عرفتم نظري بالطريق وبالاثر وقد استبرات لكم فلم ار شيئا فرجعوا وقيل

بل قال لهما اي النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر رضي الله عنه ولم يذكر ابن فهيرة
لانه انما خاف دعاءهما لاعتقاده فيهما ادعوا لي ادعوتما علي فلذلك ادعتة الارض
تبتلعني فادعوا لي بالسلامة فدعوا له فنجا اي ذهب اما انما خاف
وقع في نفسه اي خطر بباله ووقر في قلبه واعتقد لما شاهده ظهور
النبي صلى الله عليه وسلم اي ظهوره على اعدائه وغلبتهم وظهور نبوته
وعلو شانه وكان ذلك من مقدمات اسلامه قال ابن اسحاق وقال
ابو جهل لما بلغه ما لقي سراقة فلامه في تركهم فانشده ابا حكيم

واللات لو كنت شاهدا ۔ لامر جوادي اذ تسيخ قوائمه ۔
عجبت ولم تشكك بان محمدا ۔ نبي وبرهان فمن ذا يكاتمه ۔

وفي خبر اخر يتعلق بما نحن فيه الا انه قيل انه لا يعرف من رواه
ان راعيا في رعاة الغنم في البرية عرف خبرهما اي خبر النبي صلى الله
عليه وسلم وابو بكر ووقوفه على مكانهما في الغار فخرج الراعي عن محله
يشتد اي يسرع في مشيه قال الراغب اشتد اذا اسرع يجوز
ان يكون من قولهم اشتدت الريح انتهى واما اسرع لاجل ان يعلم
قريشا بخبرهما ومكانهما فلما ورد الى مكة اي جاءها من محله الذي يرعى
فيه الغنم واصل الورود الى الماء فاستعير للغريب القادم لحاجة ثم عم
لما جاز وشاع فيه حتى صار حقيقة فيه ضرب للبنا للمجهول اي ضرب
الله على قلبه اي منع من الادراك وذهل عما جاء له كقوله تعالى وضربنا
على اذانهم وهو مستعار من ضرب الخيمة في الارض لضرب اوتادها واصله
ايقاع شي على شي كما قاله الراغب فليس كناية عن الذهول والغفلة
كما قيل فما يدري ويعرف ما يصنع ويقول وانسي مجهول
ايضا ما خرج له اي ما جاء له من مكانه الذي خرج منه حتى رجع
الى موضعه الذي جاء منه وهذه معجزة ظاهرة وعصمة قوية وفي دلائل
ابي نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم جاء فيما ذكر
عن ابن اسحاق في سيرته وغيره ابو جهل عمرو بن هشام فرعون هذه
الامة لعنه الله وهو فاعل جا وقوله بصخرة متعلق بجا اي بحجر
كبير وهو اي رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ساجدا وقريش
ينظرون له ما يصنع وكان ذهب يطرحها اي يرمي الصخرة عليه
وفي نسخة هنا وقد كان حلف ان راه ليدمغه اي يضربه بها ضربة
تكسر راسه وتبلغ دماغه وتسمى هذه الدامغة احد الشجاج التي
ذكرها الفقها في الجنايات فلزقت الصخرة بيده ولم يقع عليه

الصلاة والسلام ولزق بلام وزاي معجمة لغة في لصق بالصاد بمعنى التصق ويبست
يداه الى عنقه اي تشنجت بحيث لا يمكنه تحريكها واقبل اي انصرف من مقصده
نحو قريش حال كونه يرجع اي راجعا القهقرى ومعناه الى خلفه
موليا عن وجهته وفي العين القهقرى الرجوع على الدبر وهو قريب
منه وهو مفعول مطلق مؤكد للرجوع ثم سأله اي سأل ابو جهل لعنه
الله رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو له ففعل اي دعا له
صلى الله عليه وسلم لكرمه وحلمه فانطلقت يداه اي عادتا لما كانتا
عليه ولم يلتصقا ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم وكان ابو جهل يواعد
مع قريش بذلك اي بطرح الصخرة عليه صلى الله عليه وسلم اذا راه يصلي
وحلف لئن راه ساجدا ليدمغنه اي ليضربنه بصخرة يكسر راسه ويخرج
دماغه وهي احد الشجاج يقال دمغه اذا اصاب دماغه فقتله وهذا
مقدم في بعض النسخ كما مر وليدمغنه بفتح اليا وجوز بعضهم ضمها
والظاهر الاول فسالوه اي سال قريش ابا جهل عن شانه
اي امره وما منعه عما قصده فذكر لهم انه اي الشان او ابو جهل
عرض لي اي له كما في نسخة فيه التفات وفيه غلبة معنى التكلم
لان ذكر معنى قال دونه طرفه اي حال بيني وبينه فحل اي جمل
عظيم هايج وهو مخصوص بالبعير الذكر ما رايت مثله في عظمته وشدته
قط اي في جميع الزمان الماضي وهي ظرف لتوكيد نفي الماضي بفتح القاف
وتشديد الطا المثلثة وكسرها وكسوتها مخففة هم بي اي عزم
على الحملة علي والهجوم وقوله ان ياكلني بدل اشتمال من ضمير المتكلم اي
هم باكلي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لما سمع مقالته لهم
ذاك جبريل تمثل له بصورة فحل لو دنا اي قرب ابو جهل في رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالصخرة التي اراد طرحها لاخذه والله واهلكه اخذ
عزيز مقتدر وتفصيله كما في دلائل البيهقي والسيرة ان ابا جهل قال
يا معشر قريش ان هذا الرجل قد ابى الا ما ترون من عيب ديننا وشتم
ابائنا والهتنا وتسفيه احلامنا واني اعاهد الله لاجلسن غدا لحجر
لا اطيق حمله فاذا سجد فضخت به راسه فاسلموني او امنعوني وليصنع بعد ذلك
بنو عبد مناف ما بدا لهم فقالوا والله لا نسلمك لاحد فامض لما تريد
فلما اصبح جلس ينتظره صلى الله عليه وسلم وجلسوا في انديتهم ينتظرون
ما هو فاعل فلما جا صلى الله عليه وسلم وصلى فعل ما ذكره المصنف وله
وقايع مثل هذه حماه الله منها وعصمه وذكر السمرقندي امام الحنفية

المشهور وقد تقدمت ترجمته ان رجلا من بني المغيرة بن عبد الله ابن
محمد عمرو بن مخزوم جد ابي جهل وهذا الرجل قال
البرهان لا اعرفه وقال غيره انه الوليد بن المغيرة وقيل انه ابو
جهل اتى النبي صلى الله عليه وسلم ليقتله فطمس الله بصره اي
غطاه وغشاه حتى لم يره لانه اعماه واذهبه بالكلية كما يدل عليه
قوله فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم فرجع الى اصحابه فلم يرهم حتى
نادوه باسمه فعرف مكانهم واتاهم ثم راهم بعد ذلك بشهادة حتى يحتمل
انه عمي وذهب بصره وذكر السمرقندي ان في هاتين القصتين
اي قصة ابي جهل وقصة هذا الرجل نزلت انا جعلنا في اعناقهم
اغلالا الايتين يعني فهي الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين ايديهم
سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون قال
البغوي في تفسير هذه الاية نزلت في ابي جهل وصاحبيه
المخزوميين حلفه ان رآه صلى الله عليه وسلم ليرضخن راسه
وذكر ما ذكره المصنف غير انه حال بينه وبينه فحل وقال المخزومي
انا اقتله بهذا الحجر فاتاه وهو يصلي فاعماه الله الى اخره ما ذكره
المصنف وفي تفسير القرطبي انها نزلت في ابي جهل وصاحبيه
المخزوميين ثم ذكر قصة ابي جهل وان صاحبه الثاني هو الوليد
ابن المغيرة وانه الذي اعمى الله بصره ولم ير اصحابه حتى نادوه
تعالى الثالث والله لا اشدخن راسه وانه رجع وقال
بعد ما خر مغشيا عليه وسئل عن امره فقال حال بيني وبينه
فحل الود نوق منه الكلبي وانه لم ير مثله فنزلت هذه الاية فقيل انه
معارض لما ذكره المصنف فانه يقتضي ان الذي حال بينه وبينه الفحل
الرجل الثاني لا ابا جهل واما كونه من بني المغيرة او مخزومي فلا
منافاة فيه لانه كلا نسبه الى احد جديه كما مر واجيب
بان قصة ابي جهل تكررت فعلها مرة وحده ورأى الفحل ومرة
مع غيره او اقتصر في هذه الرواية على بعض القصة وفيه
نظر والاية على هذا من الاستعارة التمثيلية فشبه
يبس يديه وعدم قدرته على تحريكهما والوصول بمن غلت يده لعنقه
وشبه حالهم وما حال بينهم وبينه بمن بينه وبين مقصده سد
مانع عن الوصول فما قيل من ان الاية تعزير لتضمنهم اهل مكة
على كفرهم وابطال الله كيدهم فشبهت حالهم بهذه الحالة

لامنافاة

لامنافاة بينه وبين ما نقله لصدق هذا على ما نقله ومن هذا
علم ما في كلام البيضاوي من المؤاخذة كما بيناه في حواشيه ومن ذلك ٣
اي حفظ الله وعصمته ما ذكره ابن اسحاق امام اهل السير في سيرته
وغيره كالكلبي في تفسيره في قصته صلى الله عليه وسلم اذ خرج الى بني
قريظة بالظاء المعجمة وصيغة التصغير لجهينة قبيلة من يهود خيبر
معروفة في اصحابه اي في جماعة منهم ابو بكر وغيره فجلس مسندا
الى جدار بعض اطامهم بالمد والطاء المهملة جمع اطم بضمتين وهو الحصن
هنا ويكون بمعنى البيت المربع والقصر فانبعث مطاوع بعثه
فانبعث اي توجه وقام واصل معنى البعث الاثارة وقيل معناه هنا
اسرع واندفع عمرو بن جحاش بفتح الجيم والحاء المهملة المشددة
وآخره شين معجمة وهو من بني قريظة فقتل كافرا احدهم اي بني قريظة
ليطرح من فوق الجدار عليه صلى الله عليه وسلم رحى يقتله
بها لانه صلى الله عليه وسلم لما جلس تحت الحائط تحالفوا بينهم
وقالوا لن تجدوه على مثل هذه الحالة ابدا فمن يعلو الجدار ويرسل عليه
حجرا يقتله فقال سلام بن مشكم لا تفعلوا انه الله ليخبرنه بما هممتم
به ويكون هذا سببا لنقض العهد بيننا وبينه فاخبره جبريل عليه
الصلاة والسلام بذلك فقام النبي صلى الله عليه وسلم وانصرف
الى المدينة وكان هذا سببا لغزوهم ونقض عهدهم كما اعلمهم
بنقضهم اي اخبر بني قريظة في نبذ عهدهم واخبرا به بعد انصرافه
او قبله وقد اعترض على المصنف بان هذه القصة ليست مع بني
قريظة كما في السير وما في اخر في هذا الكتاب وانما هو مع بني النضير
وهو سبب غزوة بني النضير واما سبب غزوة بني قريظة فهو
وقعة الخندق وتظاهرهم مع قريش ونقضهم العهد وهو الصواب
قال ابن سيد الناس خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني النضير
ليستعين بهم في دية القتيلين اللذين قتلهما عمرو بن امية الضمري
للحلف بينهم وبين بني عامر فلما اتاهم قالوا نعينك يا ابا القاسم على
ما جئت ثم خلا بعضهم الى بعض وهموا به كما مر وقال ابن الملقن انه روي
ان بني النضير لما نزلوا ارادوا ان يلقوا عليه حجرا فاخبره جبريل فلم يصل
اليه صلى الله عليه وسلم ولم ينل منه وقد قيل ان قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم في هذه
القصة نزلت وجعل الهم حينئذ بالمؤمنين وان بسط اليد اليهم

مع انه بالنبي صلى الله عليه وسلم وحده لان ما يصيبه يصيبهم وموته
موته لهم ولذا اقتصل انها نزلت في الكفرة لما كانوا عاهدوا النبي على المؤمنين
يوصلون اليهم الضرر والاذية فقتل نزلت في الاعرابي الذي اخترط
سيفه اذ وجده وحده كما مر ونوله وقد قتيل يحتمل ان تكون ٥
اشارة الى ان هذه القصة في بني قريظة وان خالف الصحيح المنقول
ووقع في بعض التفاسير فتامله فانه غفلة عما ذكر لبعده مع قوله
عقبه وحكى السمرقندي انه صلى الله عليه وسلم كما رواه ابن الاثير
سيد الناس وغيره من اصحاب السير وقد تقدم انه الصحيح وانه
في كلام المصنف رحمه الله اشارة اليه خرج من المدينة
الى بني النضير بنون مفتوحة وضاد معجمة مكسورة وهم قوم من
يهود خيبر يستعين في عقل الكلابيين مثنى كلابي رجل ينسب
لبني كلاب وهي قبيلة من قريش والعقل مصدر عقل البعير يعقله
اذا ربطه بالعقال المانع له من الحركة واصل معنى العقل المنع ومنه
العقل المعروف لمنعه عما لا يليق كما اشار اليه القائل
قد عقلنا والعقل اي وثاق ٥ وصبرنا والصبر مر المذاق ٥
وسميت به دية المقتول لانه كانت عند العرب الابل يسوقها القاتل
ونحوه فيعقلها بفناء اهل القتيل لياخذوها واستعانته
صلى الله عليه وسلم المراد به طلبه ان يعينوه في الدية لما سيأتي
الذين قتلهما عمرو ابن امية وفي نسخة الكلابي بالافراد وقتل
مفردا ايضا وعمرو ابن امية هو الضمري بضاد معجمة مفتوحة ٥
وميم ساكنة وراء مهملة نسبة لبني ضمرة رهط قومه وهو عمرو
ابن امية ابن خويلد بن عبد الله بن اياس الصحابي الذي كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يبعثه في اموره وهو الذي ذهب للنجاشي
بكتابه فاجابه واسلم وزوجه ام حبيبة اسلم بعد احد وشهد بئر
معونة ومات بالمدينة في خلافة معاوية رضي الله عنه وهو الذي
قتل الكلابي فهو مرفوع فاعل قتل والتثنية هي الموافقة لما في
السير من انه صلى الله عليه وسلم بعث المنذر بن عمرو الساعدي احد
احد نقباء ليلة العقبة في ثلاثين راكبا من المهاجرين والانصار
الى بني عامر بن صعصعة فلقوا عامر بن الطفيل ببئر معونة ٥
فاقتتلوا فقتل المنذر واصحابه ونجا عمرو الضمري وحده او وصاحب
له على اختلاف في الرواية ورجعا فلقيا رجلين من بني سليم وكان

بينهم

بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم موادعة فانتسبا لهما الى بني عامر
فقتلاهما ولان عمرو لا يعرفه ذلك العهد ولو عرفه لم يفعله ولذا لزمته
الدية لانه خطأ فقدم قومهما على النبي صلى الله عليه وسلم يطلبون
ديتهما فخرج لبني النضير هو وابو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم يستعينهم
في العقل لانهم كانوا عاهدوه على ترك القتال والاعانة في الديات
فلما دخل عليهم وطلب ذلك منهم اجابوه وقالوا له اجلس حتى ناتي لك
بما سالت فجلس بجنب جدار من بيوتهم كما اشار الى ذلك بقوله
فقال له اي لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل منهم اسمه حيي بضم
الحاء المهملة وشد الياء تحتيتين الاولى مفتوحة مخففة والثانية
مشددة ابن اخطب بزنة افعل بخاء معجمة وطاء مهملة وموحدة
وحيي في خاء مع الكسر وهو من يهود بني النضير والد صفية ام المؤمنين
ومن رؤسائهم اجلس يا ابا القاسم حتى نطعمك ونعطيك ما سالتنا
من الدية وهو عطف تفسير على نطعمك لان الطعم بالفم في الاصل
للماكول فتجوز به عما ذكر كما يقال اقطعه الارض طعمة لذا اي عطية ٥
فجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر وعمر وزاد ابو نعيم الزبير
وطلحة وسعد بن معاذ واسيد بن حضير وسعد ابن عبادة وفي سيرة ابن
اسحاق في نفر من اصحابه فيهم ابو بكر وعمر وعلي ولا منافاة بين الروايات
وتوامر بفتح التاء الفوقية والواو ويقال بالهمز تفاعل من الامر
اي نظر كل امر الاخر والمراد به هنا المشاورة يقال وامره وآمره وقيل
الواو لغة العامة حيي معهم اي مع بني النضير اي تشاوروا واتفقوا
على قتله صلى الله عليه وسلم بالقاء الحجر عليه فاعلم جبريل النبي
صلى الله عليه وسلم بذلك الذي ارادوه قبل وقوعه فقام من تحت
الجدار مسرعا كانه يريد حاجة اي اراهم صلى الله عليه وسلم انه يريد ٥
حاجة لذا في نسخة حاجته بالاضافة فيحتمل قضا الحاجة المعهودة للانسان
فانه يكنى بها كثيرا حتى دخل المدينة ثم سار اليهم وحاصرهم ست ٥
ليال وهم داخل حصنهم فقطع نخلهم وحرقها تنكيلا لهم كما قال حسان ٥
وهان على سراة بني لؤي ٥ حريق بالبويرة مستطير ٥
فقال صلى الله عليه وسلم لهم اخرجوا ولكم ما حملت الابل فنزلوا ٥
على ذلك وحملوا اموالهم على ستمائة بعير ولحقوا بخيبر واخذ منهم صلى الله
عليه وسلم الاموال ومن الحلقة خمسين درعا وخمسين بيضة وثلاثمائة
واربعين سيفا فكان ذلك مرصدا لنوائبه ولم يسهم منها لاحد غير ابي

دجانة وسهل بن حنيف لفقرهما فقسمها بين المهاجرين رفقًا لمؤنتهم عن
الانصار اذ كانوا قاسموهم الاموال والديار لما هاجروا الى المدينة ثم انه قيل
ان ما ذكره المصنف يقتضي ان اليهود هموا بالقا الحجر عليه لم يلقوه وذكر ابن
الملقن كما امر اليهم القوه عليه صلى الله عليه وسلم فاخذه جبريل عليه
الصلاة والسلام ومنعه عن الوصول اليه والمشهور الاول
وذكر اهل التفسير معنى الحديث عن ابي هريرة كما رواه مسلم اي رووه
بهذا المعنى وفي بعض النسخ وروى اهل التفسير الحديث عن ابي هريرة
وهما احسن مما في بعضها وذكر اهل التفسير ومعنى الحديث بالواو العاطفة
فانه محتاج للتقدير اي وذكره اهل الحديث وعلى هذا فقوله
عن ابي هريرة خبر عن معنى وهو مبتدأ او الجملة معترضة بين ذكر
ومفعوله وهو ان ابا جهل وعد قريشا لئن رأى محمدا جواب قسم مقدر
لا مزيد انه حلف لهم على ما وعدهم به وقوله يصلي جملة حالية
ليطأن رقبته اي يدوس على عنقه برجله قبحه الله فلما صلى النبي صلى الله
عليه وسلم بالمسجد الحرام اعلموه اي اعلمه قريش به فاقبل متوجها اليه
ليدوسه اهانة منه لمن اعزه الله فلما قرب منه ولى ورجع عن مقصده
حال كونه ناكصا على عقبيه اي متأخرا راجعا الخلف والعقب موخر القدم
متقيا بيديه اي مادا يديه كي يدفع امرا يتقيه وفي بعض النسخ ولى
هاربا ناكصا على عقبيه فهي حال متداخلة او مترادفة ونكص على عقبيه
يستعمل فيمن ولى عن خير او عن شر كان عما نبته كما هنا الا انه قيل
ان الثاني نادر وقد ذهب الجوهري وصاحب النهاية الى انه يختص
بالاول وفي القاموس نكص عن الامر نكاكا عنه واحجم وعلى عقبيه رجع
عما كان عليه من خير خاص بالرجوع عن الخير ووهم الجوهري في الاطلاقه
او هو في الشر نادر انتهى وفي نفوذ السهم فيما في الجوهري من الوهم كون النكوص
مخصوصا بما ذكر عن ثابت في اللغة وقوله فلما تراءت الفئتان نكص
على عقبيه لا دليل فيه لانه وان كان رجوع الشيطان عن معاونة
الكفار بيده ليس رجوعا عن خير بحمله الاستعارة التهكمية وقد تم
الكلام عليه ايضا في مجاز القران فتامل فسئل اي سأل قريش
ابا جهل عن ذلك اي عن رجوعه كذلك وما سببه فقال
مجيبا لهم لما دنوت منه اشرفت اي اطلعت قريبا مني على خندق
حفير مملوءا نارا كدت اهوي اي اقع واسقط فيه وابصرت هولا عظيما اي
امرا مخوفا عظيما لم ار مثله مما ذكر ومن غيره كالفحل الذي اراد هلاكه وخفق

اجنحة

اجنحة اي اجنحة يضرب بعضها بعضا لها اصوات هائلة قد ملأت الارض
الذي كان فيها وهي اجنحة الملائكة التي ارسلت لحمايته ونصره صلى الله عليه
وسلم كما اشار اليه بقوله فقال عليه الصلاة والسلام تلك الملائكة
لو دنا اي قرب منه لايقاع ما قصده لاختطفته الملائكة عضوا عضوا اي
مزقته وفرقت اعضاءه وهو منصوب على الحال بتأويل مجزءا كعلمته النحو
بابا بابا كما فصله النحاة ثم انزل الله وحيه على النبي صلى الله عليه وسلم
في شأن ذلك فقال كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى الى اخر السورة
يعني الى [illegible] بكمالها ارأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى الخ وبهذا [illegible] ما ذكر
قوله كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية وقوله سندع الزبانية
كلا لا تطعه واسجد واقترب فالمراد بالانسان ابو جهل وطغيانه تجاوزه
حده قيل هذه القصة في صحيح مسلم فالذي ينبغي نقلها عنه
دون التفاسير وهو امر سهل لا ينبغي الاعتراض بمثله وتفصيل
معنى الاية في التفاسير فلا حاجة لذكره وروى البزار انه ابو نعيم في الدلايل
ان شيبة بن عثمان الحجبي بفتح الحاء المهملة والجيم وموحدة وياء نسبة
لحجبة جمع حاجب ككتبة جمع كاتب وفي النسبة الى الجمع يرد الى مفرده
والقياس حاجبي لكنه لما غلب على حجبة الكعبة جاز النسبة اليه
كانصاري او لانه علم لا يشبه المفرد ومثله ينسب اليه على قول والحاجب
من يتولى الحجابة وهو البواب ومن بيده المفتاح من الحجب وهو المنع
وشيبة علم منقول من الشيب المعروف وهو شيبة ابن عثمان ابن ابي
طلحة ابن عبد العزى ابن عثمان بن عبد الدار بن قصي الصحابي المشهور
خادم الكعبة ومن بيده مفتاحها وهو بيد اولاده الى الان اسلم يوم
الفتح وقيل يوم حنين ومات سنة تسع وخمسين واخرج له البخاري
واحمد في مسنده وابو داود ومن جملته تعرفه وما في بعض النسخ الجمحي غلط
من الناسخ ادركه صلى الله عليه وسلم اي لحق به وقد قتل اباه يوم
حنين في غزاتها وهو واد قريب من الطايف معروف وكان قبل
ذلك حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد الشهداء قد
قتل اباه عثمان ابن ابي طلحة وعمه طلحة بن ابي طلحة المشهور
وكان قتاله لهما باحد وكان طلحة ليث الكتيبة وحامل لوا الكفرة فلما
قتل حمل اللوا اخوه عثمان فقتل الا انه قيل ان المزي في السيران
ان الزبير قتل طلحة ثم ان علي ابن ابي طالب فلما اخذ اللوا اخوه عثمان
حمل عليه حمزة فقتله وقال الذهبي في تجريده ان الزبير قتل ابا شيبة

على ايضا وهو مخالف لما قاله المصنف كما قاله البرهان الحلبي وفي
سيرة ابن سيد الناس ان عليا ضرب اباه فازال منعته فحمل عليه
حمزة فقطع يده وكتفه وقده حتى بدا سحره اي رئته فكل من علي
وحمزة له دخل في قتله الا ان عليا لما ازال منعته وقوته لسبب
القتل له دخل في قتله الا ان عليا لما ازال منعته وقوته لما لسبب
القتل له حتى استحق سلبه فلا منافاة بين كلام المصنف وكلام غيره
فقال شيبة لما ادركه اليوم المراد به الوقت الحاضر ادرك ثاري
بمثلثة وراء مهملة بينهما الف وتهمز وهي الاصل وهو طلب
الدم واخذ حق من قتله من محمد لانه سبب قتله فاراد ان ينتقم
منه ويشفي غيظه وحرارة نفسه لتمكنه منه فلما اختلط الناس
في القتال وراحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم اتاه من
خلفه بحيث لا يراه ورفع سيفه بيده ليصبه عليه اي ليضربه
ويقتله ويأخذ بثاره ويشفي غليله ممن كان سببا لقتل ابيه وعمه
واصل الصب اراقة الماء واستعير للضرب بالالة كالسيف قال
تعالى فصب عليهم ربك سوط عذاب وبرجحه ان السيف يشبه بالماء
لرونقه وفرنده قال شيبة فلما دنوت منه لما قصدت ارتفع الي
اي علا وصعد الي من جانبه سواظ اي لهب من نار والشواظ اللهب
مطلقا او لهب لا دخان له او لا يخالطه غيره او يخالطه شيء اخضر
وهو بضم الشين المعجمة وكسرها وقوله من نار بيان موكد لان اللهب
لا يكون الا من النار اسرع في ارتفاعه من البرق فولت هاربا من خوف
ان يحرقني وحس بي رسول الله صلى الله عليه وسلم اي علم رجوعي عنه
فدعاني فجئته فوضع يده على صدري وهو ابغض الخلق الي
لانه استلحق فاشى القتل ولم يخلص ايمانه ولا في قلبه حقد على رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قتل ابيه وعمه فلما رفعها اي يده عن
صدري الا وهو احب الخلق الي فبدل الله بغضه بحبه وازال عن
صدره وقلبه الحقد واثر الكفر فلما علم ذلك منه الرسول صلى الله
عليه وسلم اخبره وقال لي ادن من العدو ومنهم وقاتل في
سبيل الله خالص السريرة مخلصا ببركة مس يده صلى الله عليه وسلم
له فتقدمت امامه بان تقدمت اضرب بسيفي كل من لقيته من الكفار
واقيه بنفسي اي اجعلها وقاية له صلى الله عليه وسلم ما نعه عنه
ولو لقيت تلك الساعة ابي الذي قاتلته فيها ابي لاوقعت به سيفي وقتلته

وفي

وفي بعض النسخ دونه والماخص للمبالغة في عموم قتله لمن لقي حتى اعز
الناس وللاشارة الى ان سبب بغضه وهو قتل ابيه قد زال بالكلية حتى
زوال عنده انه يقتله بنفسه فضلا عن قتل قاتله والحديث
مفصل في سيرة ابن سيد الناس بسند صحيح مروي عن شيبة نفسه وكان
صالحا ذا فضل حدث باسلامه وانه انما سار لحنين ليغتال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لكراهته له وان ذلك لم يزداد في تكلبه وتصميم عزمه
على قتله فلما اختلط الناس نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بغلته
فدنوت منه وذكر ما هم به وان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح
صدره وقال اللهم اعذه من الشيطان فاذهب الله ما بقلبه حتى
صار احب اليه من نفسه واهله وابيه فلما رجع ودخل خباءه فدخلت
عليه لم يغير حبا لرؤية وجهه فقال لي يا شيبة الذي اراد الله بك خير
مما اردت بنفسك وحدثني بكل ما اضمرته في نفسي مما لم اذكره فقلت
اني اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله ثم قلت استغفر لي
فقال غفر الله لك وعن فضالة ابن عمير عند ابن اسحاق وابن سيد
الناس وفضالة بضم الفاء وفتحها وتخفيف الضاد واللام وابوه عمير
ويقال عميرا لتصغير ابن الملوح الليثي والتصغير اصح والملوح بكسر
الواو المشددة وفتحها واقتصر على الثاني في القاموس قال
اردت قتل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح اي فتح مكة وهو يطوف
بالبيت فلما دنوت منه قال افضالة الهمزة للنداء وفي نسخة فضالة
بدون همزة وحرف النداء مقدر فيه قلت ويمكن ان تكون الهمزة للاستفهام
وفضالة خبر مبتدأ تقديره انت فضالة فقال نعم تقصد بقاله الاستفهام
حقيقة وكونه للتعجب مما تخلج في صدره اذا اجابه لنكته ابداؤ اعلام له
بانه فضالة كما نسب تكلف مما لا يخفى قلت نعم قال
ما كنت تحدث به نفسك حديث النفس ما خطر بالقلب قلت
لا شيء اي لم يخطر بقلبي شيء مما ظننته فضحك ثم قال استغفر الله اي دعا لي
بان يغفر الله له ما خطر بقلبه ووضع يده على صدري ليذهب
الله ما فيه من الضلال وما عزم عليه من الاوهام فسكن قلبي
اي اطمأن وذهب ما فيه من الوسواس وحدثته الرسول صلى الله عليه
اسلام فضالة ابن
وسلم وثلج صدره ببرد اليقين قال فضالة فوالله ما رفعها اي
رفع يده عن صدره حتى ما خلق الله شيئا احب الي منه وحدثته
كما في سيرة ابن سيد الناس انه اراد قتل النبي صلى الله عليه وسلم

وهو يطوف عام الفتح وذكر ما ذكره المصنف ثم قال فرجعت الى اهلي ومررت بامراة كنت اتحدث اليها فقالت هلم الى الحديث فقلت لا وانبعثت اقول

قالت هلم الى الحديث فقلت لا ❊ يابي عليك الله والاسلام
او ما رايت محمدا وقبيله ❊ بالفتح يوم تكسر الاصنام
لرايت دين الله اضحى بينا ❊ والشرك يغشى وجهه الاظلام

وفضالة الليثي هذا هو ابن وهب بن عمرو بن يحيى بن مالك ولبس هو الزهراني فانه تابعي غيره ومن ظنه هذا فقد اخطا ومن مشهور ذلك اي عصمة الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ما رواه ابن اسحاق والبيهقي بلا اسناد وابو نعيم في الدلايل مسندا الى عروة خبر عامر ابن الطفيل العامري وهو عامر بن الطفيل بن عامر بن مالك سيد بني عامر في الجاهلية مات كافرا بالاتفاق واربد بن قيس بفتح الهمزة وسكون الراء المهملة وفتح الموحدة والدال المهملة وهو اخو لبيد ابن ربيعة الصحابي لامه وكان شاعرا مغلقا ومات على الكفر ايضا حين وفدا على النبي صلى الله عليه وسلم وذلك انه لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك واسلمت ثقيف ودخل الناس في الاسلام افواجا قدمت عليه وفود الناس افواجا فوفد عليه اربعة من روسايهم عامر بن الطفيل واربد بن قيس وغيرهما وكان عامر قال له اي لاربد انا اشغل عنك وجه محمد اي الجهة حتى تبطش به فاضربه انت وحصنه لبسوه لما بينهما من العداوة فاستثارهم ثم لم يفعلوا شيئا مما امره به فلم يره اي لم ير عامر اربد فعل شيا مما اتفقا عليه من البطش به ومما تولى لمحمد صلى الله عليه وسلم ويلهيه فلما كلمه اي كلم عامر اربد في ذلك اي في الامر الذي اتفقا عليه بان قال له ما لك لم تفعل ما اتفقنا عليه من البطش برسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذر اليه وقال والله ما هممت ان اضربه اي اضرب النبي صلى الله عليه وسلم بالسيف الا وجدتك بيني وبينه اي اراك حايلا بيني وبين النبي صلى الله عليه وسلم بحيث لو ضربته ضربت صاحبه افاضربك انكار له اي كيف اضربك وكان عامر شاعرا ورئيسا مطاعا في قومه فقالوا له لما جا العرب افواجا للاسلام ان الناس قد اسلموا فاسلم فقال اني اليت لا انتهي حتى تتبع عقبي انا اتبع فتى من قريش ثم قدم هو واربد على النبي صلى الله عليه وسلم وقال له ما قصه المصنف فخرجوا اجمعين لبلادهم وفي الدلايل انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم

خالني

خالني يا محمد فقال لا حتى تومن بالله وحده وقال ذلك مرارا وهو يجيبه بذلك فقال والله لاملانها عليك خيلا ورجالا ثم غدا ابان يغزو المدينة فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اكفني عامرا فلما رجع اصابه طاعون في عنقه فمات في بيت امراة من سلول فكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية يعني اخشى موته في اخس قبيلة فمات كافرا وواروا اجسته التراب ورجع اصحابه لقومهم فقالوا لاربد ما وراك يا اربد فقال لا شي لقد دعانا لعبادة شي ولقد وددت انه عندي الان فارميه بالنبل حتى اقتله ثم خرج بعد مقالته هذه بيوم او يومين ومعه جمل له فاصابتهما صاعقة احرقتهما فهلك كافرا كما مر وعن ابن عباس ان عامر اقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد مع اصحابه وكان من اجمل الناس الا انه كان اعور فجعل الناس ينظرون لجماله واخبروا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان يرد الله به خيرا يهده فقام وقال يا محمد ما لي ان اسلمت فقال لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم فقال اتجعل لي الامر بعدك قال ذلك ليس الي انما هو لله يجعله حيث شاء قال اتجعلني على الوبر وانت على المدر اي حكم البادية وحكم المدن قال فما تجعل لي قال اجعل لك اعنة الخيل الغازية في سبيل الله قال اوليس لي اعنة الخيل اليوم قم معي اكلمك فقام صلى الله عليه وسلم معه وكان عامر اوصى اربد اذا خلا به ان يدور من خلفه ويضربه بسيفه وفيه ان العدوة كانت في ركبته وفي بيت القصة على وجوه اخر هذا محصلها كما في السير وكتب التفسير غير ان البغوي والقرطبي في التفسير ذكروا ان اربد دار خلفه صلى الله عليه وسلم واخترط سيفه فقال اللهم اكفنيهما بما شيت فوقعت عليه صاعقة فاهلكته وهو يقتضي انه مات قبل عامر وفي هذين التفسيرين ان اربد ابن ربيعة والمصنف قال انه ابن قيس ولا منافاة بينهما كما توهم لان ربيعة جده الاعلى وفي اربد نزل قوله ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء واجمعوا على ان عامرا مات كافرا كما مر وفي التجريد للذهبي عامر بن الطفيل بن مالك العامري سيد بني عامر في الجاهلية روى عنه ابو امامة كما ذكره المستغفري ونقله البرهان الحلبي وفيه نظر ومن عصمته اي حفظ الله له ان كثيرا من اليهود والكهنة جمع كاهن وهو الذي يخبر عن المغيبات وما يقع في المستقبل مما يتلقاه او يعرفه بفراسته ويسمى التابع عرافا انذروا به اي اخبروا واعلموا والانذار اعلام المخوف قبل وقوعه وعينوه لقريش اي بينوه

وانه لهم فاخبرهم بسطوته لهم اي انه يغزوهم ويقتلهم وحصوهم على قتله اي حثوهم وحرضوهم على ذلك حتى ينتلموا منه فعصمه الله عز وجل بان حفظه وعصمه من كيدهم مع انه صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم بعزوه حتى بلغ الله بلطفه وحفظه له فيه امره بان نصره واظهر دينه على جميع الاديان ان الله بالغ امره وبلغ بفتح اللام المخففة في البلوغ قال الراغب هو الانتهاء الى اقصى الامد والمنتهى مكانا او زمانا او امرا من الامور المقدرة انتهى ومن ذلك اي عصمه الله له صلى الله عليه وسلم وصيانته مما رواه الشيخان وهو نصره بالرعب اي بالقا الخوف منه في قلوب اعدائه ومن لم يتبعه مسيرة شهر اي من مكان بعيد عنه اذا قيل يقطع مسافته في شهر اي في ثلاثين يوما كما قال صلى الله عليه وسلم اي انه ثابت بهذا اللفظ في الحديث الصحيح كما تقدم وهو في الصحيحين وفي مسند احمد عن الطبراني عن ابي هريرة رضي الله عنه بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب قيل وهو مخصوص به صلى الله عليه وسلم ولو كان وحده وتقييده بالشهر لانه لم يكن بينه وبين اعدائه اكثر منه وتخصيصه به باعتبار من قبله فان ابن حجر رحمه الله قال ان ذلك لامته من بعده ايضا ويؤيده ان في مسند احمد الرعب يسعى بين يدي امتي شهرا والرعب كناية عما يلزمه من الظفر فصل مما اكرمه الله به صلى الله عليه وسلم من معجزاته امره الخارقة للعادة التي عجز غيره عنها وعن معارضتها والاتيان بمثلها وتا المعجزة للمبالغة كما علامة او للتانيث لان المراد الاية والعلامة والخصلة المعجزة الباهرة اي الغالبة او الظاهرة على غيرها من بهر القمر بضوئه الكواكب حتى اخفاها وهو تشبيه بليغ او استعارة مصرحة وخصه بما جمعه الله من العلوم والمعارف جمع معرفة كما قيل لانه على تقديره غير مناسب والعلم والمعرفة بمعنى وقد نفرق بينهما بتخصيص الثاني بالامور الجزئية او بما يسبقه جهل على كلام فيه تقدم تفصيله ومن بيانية ويجوز ان تكون تبعيضية والاول اظهر وخصه به اي جعله مخصوصا به دون غيره ممن قبله وكذا اخص امته بما لم يكن لغيرهم من الامم من العلم وكثرة التاليف والتصنيف الذي لم يكن لغيرهم من العلم وكثرة لامته من الامم مع قصر اعمارهم وضعف ابدانهم والبا تدخل على المقصور والمقصو عليه وليس انهما الاصل كلام مفصل في حواشي المطول لا حاجة لنا به هنا من الاطلاع اي الوقوف والعلم بيان لما على جميع مصالح

الدنيا والدين متعلق بالاطلاع ومصالح الدنيا ما يصلح به امر المعاش ومصالح الدين معرفة احكامه المصلحة لهم في الدارين ولا ينافي هذا اي اطلاعه على مصالحهما قصة بدر في احيائه صلى الله عليه وسلم الفدا وكان الاولى به ما راه عمر رضي الله عنه من قتلهم حتى عوتب صلى الله عليه وسلم على ذلك وكذا منعه صلى الله عليه وسلم الناس من تابير النخل فلم يثمر في ذلك العام فقال انتم اعلم بامور دنياكم مني اما لانه كما قيل كان له حالات واطوار منها ما يغلب عليه فيه عدم الالتفات للاشياء الظاهرة لقصره نظره على تفويض الامر لله والتوجه للعلم بالله وقطع نظره عن الحوادث الكونية وعلم عمر رضي الله عنه مقتبس منه ومن نور مشكاته كما قيل

كالبحر يمطره السحاب وماله ... من عليه لانه من مائه

وما قيل من انه صلى الله عليه وسلم بني امره في ذلك على الظن دون الجزم والانبياء قد يظنون في امور الدنيا المجردة عن الاخرة ما الامر على خلافه لينبه لشي وقيل انه انما كان ليعلم الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالمشاهدة وتبين الامر حتى يكون شرعا متبعا ولو بقي الامر كما كان فقد يقال انه كما وجد بقي والحكم بالدليل اقوى منه بالسكوت وفيه نظر وقال السنوسي اراد صلى الله عليه وسلم ان يحملهم على خرق العادة في ذلك اعتمادا على التوكل فلم يمتثلوا او لم يصبروا ولو صبروا لكان خير الحصر بان يمتثلوا او يصبروا سنين فاكثر فلو فعلوا لكفوا ذلك لانه اعلم منهم بذلك وغيره قيل وهو في غاية الحسن لمن تامله وسياتي تتمته ان شا الله تعالى ومعرفته صلى الله عليه وسلم بامور شرائعه التي شرعها الله له وللعباد على لسانه جميع شريعته وهي في الاصل طريق مسلوكة ومورودة مما يباح نقلت لموضع الحق توصل لسعادة الدارين والمناسبة بينهما ظاهرة وقوانين دينه جمع قانون وهي لفظة معربة من الرومية معناه الاصل المقيس عليه ثم نقل لقضية كلية يستخرج منها احكام جزئيا بها تجعلها كبرى لصغرى سهلة الحصول تنتج المطلوب كما تقرر في محله والدين والملة بمعنى وان تغايرا مفهوما والمراد بمصالح الدنيا والدين منافع ذلك وحكمه وفوائده وهو غير منضبط لامور الشريعة وقوانينها كما قيل من انه اذا

حصل له العلم بجميع مصالح الدنيا والدين فقد خص بما لم يحظ به بشر قبله
فيكون الثاني غير الاول ثم ما وقع قوله ومعرفته الخ لان جملة الدين
مبنية على جلب المصالح ودرء المفاسد فقط لا فايدة فيه كما تعلم مما
قررناه وسياسة عباده اي القيام بضبط العامة من عباد الله فالضمير
لله والسياسة لفظ عربي من ساسه يسوسه اذا دبر امره ومن قال
ابن كمال انه معرب من سه يسا اي ثلاثة قوانين فقد اخطا ولها معنى
اخر عند الفقها وربما تجعل مقابلة للشرع ولا يخفى ذلك هنا وفي
القاموس انها مصدر سست الرعية سياسة اذا امرتها ونهيتها
ومصالح امته المراد امة الاجابة او امة الدعوة والظاهر ان المراد غير ما
تقدم كالسوال عن امورهم وقضا ديونهم والاحسان الى فقرائهم وغير
ذلك من لطفه بهم ومعرفة ما كان في الامم قبله مما وقع لهم وجرى
بينهم من الاختلاف اي مخالفة بعضهم لبعض وما جرى لهم من
النعم والنقم الذي لا يعلمها الا القليل من اهل الكتاب وعلما بهم وهو
صلى الله عليه وسلم امي نشا في امة امية فلم يرحل البلاد النايية
ولم يعاشر بقايا الامم الخالية مما يبينه احسن بيان ويقرره احسن تقرير
وقصص الانبيا والرسل من عطف العام على الخاص والفرق بينهما
مشهور وقصص بكسر القاف جمع قصة او بفتحها مصدر قص قصته يقصه
قصصا اذا حكاه والجبابرة جمع جبار وهو المتكبر قال
الراغب الجبار في صفة الانسان الذي يجبر نقيصته بادعا منزلة
من التعالي لا يستحقها ولا يقال الا على طريق الذم كقوله
وخاب كل جبار عنيد ويقال للقاهر لغيره جبار كقوله تعالى وما انت
عليهم بجبار انتهى وقد تقدم ما فيه الكفاية والقرون الماضية
قبله من الامم وقد تقدم معنى القرن ومقداره من الزمن وانه
ثم اطلق على اهله قيل يجوز ان يراد الامم التي هلكت
ولم يبق منها احد لانه لا يطلق على ذلك وان يراد الزمن نفسه من لدن
ادم الى زمنه لدن ظرف زمان مبني ومعرب في لغة قيس وهو قريب
من معنى عند وبينهما فرق ذكره النحاة اي احاط علمه بذلك واخبر به امته
وحفظ شرايعهم وكتبهم ولم يقرا ولم يكتب ووعى سيرهم الوعي الحفظ
والجمع والسير جمع سيرة بالكسر وهي حالة الانسان غريزة او مكتسبة
يقال سيرة حسنة وسيرة قبيحة قال تعالى سنعيدها سيرتها الاولى
اي الى حالتها الاولى اي حفظه وجمعه في ذهنه كالحوادث وما كانوا عليه

وسرد

وسرد انبايهم اي سوق اخبارهم للناس سوقا حسنا منتظما كسرد حلقات الدرع
ونسجها وايام الله فيهم اي وقايعهم التي قدرها الله لهم والايام تطلق على الوقايع
والحروب كايام العرب وهو معنى مشهور صار حقيقة عرفية وقيل
المراد نعمه لا وجه له وصفات اعيانهم اي كبارهم ورؤسايهم وقيل
المراد ذواتهم كما وقع في الاسرا من ذكر الانبيا عليهم الصلاة والسلام
وصفات ذواتهم واختلاف ارايهم جمع راي اي عقايدهم ونحوها والمعرفة
بمددهم جمع مدة وهي مقدار من الزمن اي كم كانت مدة كل امة ومدة
ملكهم وملوكهم وانبيايهم واعمارهم جمع عمر بضم العين وفتحها وهي مدة
الحياة وحكم جمع حكمة وهو القول الصواب المتضمن النصيحة اي موعظة
حكمايهم جمع حكيم وهو العالم بالحكمة الناصح لغيره والعلم المحكمة في عصر
لحكما الفرس والعرب وغيرهم ومحاجة كل امة من الكفرة اي ذكر حجته
وبرهانه وما حاج به غيره وقيل المراد محاجته نفسه لغيره
كمحاجته لنصارى نجران ومباهلته لهم والظاهر ما قدمناه ومعارضة
اي مخالفته ورده كل فرقة وطايفة من الكتابيين اي اهل الكتاب
والمراد به التوراة والانجيل لان الزبور والصحف لم تتضمن الاحكام
فلم تشتهر وهو جمع كتابي بيا النسبة بما في كتبهم متعلق بمعارضة
وجمعها لاشتمالهما على ما في غيرها ولان الجمع بمعنى المثنى كثير واعلامهم
باسرارها اي دقايق معانيها التي لم يطلعوا عليها ومخبات علومها واخبارهم
بكسر الهمزة مصدر مضاف للفاعل ويجوز فتحها اي ما خفي عليهم منها
بما كتموه اي اخفوه كصفته صلى الله عليه وسلم وقصة رجم الزاني المشهورة
من ذلك الاعلام وما معه وغيروه بتحريف لفظه وتاويله
بغير معناه الى الاحتوا اي الاشتمال والحفظ والتضمن متعلق بجمع
لتضمنه معنى ضم او الى بمعنى مع على لغات العرب جمعها من غير قومه
وغريب الفاظ فرقها جمع فرقة وهي الطايفة المتفرقة والاحاطة
بضروب فصاحتها تركيبا وافرادا فانه صلى الله عليه وسلم يخاطب
كل قوم بلغتهم كما تقدم وامثالها جمع مثل وهو كلام شبه مضربه بمورده
وحكمها اي جوامع كلمها في النصايح فان العرب معروفة بذلك وحكما
العرب وحكمهم مشهورة ومعاني اشعارها فانه صلى الله عليه وسلم كان
يعرفها وان لم ينشدها موزونة ويتكلم بها والتخصيص اي تخصيص
الله اياه بنطقه بجوامع كلام العرب اي الالفاظ الحسنة البليغة الجامعة
للمعاني الكثيرة في الفاظ قليلة وقد يراد به القران ليليق بمراده ومفرده

جامعه الى المعرفة بضرب الامثال الصحيحة الامثال المتقدمة امثال
صادرة ممن قبله وهذه امثال ابتدعها صلى الله عليه وسلم
والامثال النبوية مشهورة مدونة والى كالتي تقدمت والجار والمجرور
هنا وما بعده متعلق بمقدر اوبكل مما قبله او متعلق به بعد
تضمينه والى فيها بمعنى اللام لان العامل الواحد لا يتعدى بحرفين
بمعنى واحد فاكثر الا على هذه الوجوه كما قرره في قوله تعالى
كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا وتقدم تفسير المثل وان ضربه من ضرب
الخاتم اذا طبعه وصاغه وانها صادرة كثيرا من الانبيا عليهم
الصلاة والسلام لتقرير المعاني في النفوس وايضاحها بجعل المعقول
كالمحسوس كما حققه في الكشاف والحكم البينة اي الظاهرة في نفسها
لانوار بديعة ومعانيه لطيفة لتقريب التفهيم الغامض اي المعنى الخفي
الدقيق وهو في الارض المكان المنخفض فاستعير لما ذكر وتقريبه
ايضاحه والجار الاول متعلق بضرب الامثال والثاني بالتفهيم
وقوله والتبيين للمشكل اي اظهار ما التبس وان كان غير
غامض واصل معنى الاشكال كونه غير متميز عن اشكاله واشباهه
وهو متعلق وراجع للحكم البينة الى تمهيد اي بسطه وتوطئته
لمن يبيانه مقدمات قواعد اي اساسه وقضاياه واصوله الكلية
الشرع المحمدي الذي جاء بوحي من الله الذي لا تنافض فيه
اي لا تخالف بين قضاياه واحكامه لاحكامها ولو كان من عند غير الله
لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ولا تخاذل تخاذل المتعجبان فلام
تفاعل من الخذلان وهو ترك نصرة من يستحق نصرته وهو استعارة
تمثيلية لان الشرع يعضد بعضه بعضا ويريده واحكامه متناسبة
متعاضدة كما ان القران يفسر بعضه بعضا ومن فسره بان قواعد
الشرع مشتملة على انه لا يخذل اخاه اذا ظلم لاقتضا قواعد
الشرع استوى الرفيع والوضيع والمالك والمملوك والعالم والجاهل عرضي
في جريان احكامه عليه من غير فرق بين صغير وكبير لم يات بشي يعتد به
مع اشتمال شريعته وتضمنها واحتوائها على محاسن الاخلاق
اي على بيانها للناس وحث الناس على التحلي بها وقد ورد في الحديث
بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقد تقدم معنى الخلق وان منه مكتسبا
وطبيعيا وان الخلق يقبل التغير ولذا ورد في الشرع النهي عن الاخلاق
الردية والامر بضدها ولولا ذلك لم يفد ومحامد الاداب

جمع

جمع محمدة وهي ما يحمد فعله والاداب بالمد جمع ادب بفتحتين وهو معاملة
الخلق بلطف وهذا ارادتهم كما قال صلى الله عليه وسلم ادبني ربي فاحسن
تاديبي وهو من اضافة الصفة للموصوف اي الاداب المحمودة وفسره
الادب في القاموس بالظرف وحسن التناول والفعل الجميل وكل شي
مستحسن عند ارباب الطباع السليمة وهو مجرور معطوف على محاسن
الاخلاق مفضل بزنة اسم المفعول بالضاد المعجمة والصاد المهملة
كما قاله اي مفضل على غيره او فضله للناس تفضيلا لم يكره ملحد
اي عادل عن الحق بتدليس ومعناه لغة الميل وخص بالميل عن الحق قال
الراغب الالحاد ضربان الحاد الى الشرك بالله والحاد الى الشرك بالا
سباب فالاول ينافي الايمان ويبطله والثاني يوهن عراه ولا يبطله
انتهى ذو عقل سليم مستقيم مدرك ادراكا شاملا ما ينفعه ويمنعه
من العدول عن الحق شيئا مفعول لمنكر الا من جهة الخذلان
تقدم ان الخذلان لغة عدم النصرة المراد به عدم التوفيق والتوفيق
خلق قدرة الطاعة في العبد عندنا وفسره المعتزلة بلطف الله
بعبده والخذلان المقابل له عدم لطفه به كما فصل في علم الكلام يعني
لا ينكره الا من خذله الله ولم يوفقه للعلم به ومشاهدة احواله ثم ترقى
عما ذكره فاضرب اضرابا انتقاليا او ابطاليا لانكاره باثبات ضده فقال
بل كل جاحد اي منكر له اي لما ذكر مما قدمه وكافر بما جاء به من الجاهلية
اي اهلها به اذا سمع ما يدعو اليه صلى الله عليه وسلم الخلق اليه
من الحق المبين صوبه اي اعتقد انه صواب واعترف به لان انكاره
مكابرة تاباها العقول السليمة والطباع المستقيمة واستحسنه
اي عرف حسنه واعترف به دون طلب اقامة برهان وحجة عليه
اي على شي اتى به لظهور حقيته كما وقع لكثير كعبد الله ابن ابي ابن
سلول وغيره مما ذكر في كتب الحديث والسير ثم ما احل لهم من الطيبات
اي اشتمال شريعته على ما جعلته حلالا للناس مما حرم غيره كبني
اسرائيل الذين حرموا كل ذي ظفر من البقر والغنم والغنم لحومها الا ما حملت
ظهورهما او الحوايا وحرم عليهم من الخبائث كالميتة والدم ولحم الخنزير
والزنا وغير ذلك من المحرمات وعطف ثم لما بينهما من تفاوت الرتبة وقيل
لان الاول تفصيل وهذا اجمال وبينهما تفاوت ودون ظاهر وفسر الثاني
الطيبات بما ليس بمستقذر والخبائث بضده والعبرة في ذلك بالطباع
السليمة واشتمال شريعته على ما صان به انفسهم من الهلاك كتحريم

قتل النفس بغير حق وقصاص القاتل **وأعراضهم** بفتح الهمزة جمع عرض
بكسر العين وسكون الراء وهو في العرف كل ما يخل تركه بالانسان وهو
المراد واختلف في معناه الحقيقي لغة فقيل هو ما يباح به المرء ويذم
سواء وصف به دون اسلافه ام لا وفي الحديث كل المسلم على المسلم حرام دمه
وعرضه وفي حديث اهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون فانما هو عرق
من اعراضهم تفسير بكل موضع يعرق من الجسد وقال الاصمعي يقال
هو طيب العرض اي الريح وفسر بعضهم العرض بالنفس فعلى هذا
هو عطف تفسير **واموالهم** فمن امن به صلى الله عليه وسلم
واتبع شرعه صان دمه وعرضه وماله **من المعاقبات** بيان لما
صان كالحد والتعزير والحبس **والحدود** كحد الزنا والسرقة والقذف
وشرب الخمر **عاجلا** اي في الدنيا وهو حال مقيد للمعاقبات
والحدود **والتخويف بالنار اجلا** في الاخرة لانه مستقبل من الاجل
وهو الوقت المحدود وفي بعض النسخ بدل التخويف التعريف
تفعيل من الحرق بالنار اي نار جهنم واختلفوا فيمن حد وعوقب
في الدنيا هل يسقط عنه عذاب الاخرة ام لا فقيل يسقط مطلقا
وقيل بشرط التوبة ايضا والى هذا ذهب المعتزلة وقيل
لا يسقط وانما شرع زجرا لترتدع الناس عنه والاصح الاول
لما ورد في الحديث من اصاب من ذلك شيئا فعوقب فهو كفارة
له ومن اصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو الى الله ان شاء عفى
عنه وان شاء عاقبه وما ورد في الحديث من انه صلى الله عليه
وسلم قال لا ادري الحدود كفارة لاهلها ام لا فقيل الاول
اصح وقيل انه صلى الله عليه وسلم قاله قبل العلم به فهو
منسوخ وقوله **مما لا يعلم** بالبناء للمجهول اي لا يعلمه غيره
من الناس وهو بيان لجميع ما تقدم من اول الفصل الى هنا **ولا
يقوم به جملة** اي بحفظه وتبقيته كما هو حقه وبه فسره
القوم بل **ولا ببعضه** فضلا عن كله الا من مارس ادرس اي
لازم دراسة الكتب واجتهد فيها **والعكوف عن الكتب**
السالفة قال الراغب العكوف الاقبال على الشيء وملازمته على
سبيل التعظيم ومنه الاعتكاف انتهى وهذا قيد لانه منحة
الهية خصه الله بها فما قيل انه لا حاجة اليه
وهم من قائله فقوله لا حاجة اليه فاعرفه فانه في غاية الظهور **ومناقبه**

ابن الترس

بعض

بعض هذه الظاهر انه بميم ونون وتاء وشلشة وهو بمعنى الاستغراق
كما في القاموس معطوف على الامر ومن والمعنى ظاهر وما في بعض النسخ
من انه بالفاء مفاعلة من النفث وهو نفل الريق من الساحر والراقي
ويطلق على لازمه وهو السحر والسحر قد شاع في الدقة وكان المراد اي
الدقيق في بعض هذه الامور وقوله مما يعلم الى هنا ساقط في اكثر
النسخ ولم يتعرض له الشراح **الى الاحتواء** اي مع اشتماله او بمعنو ما الى
الاشتمال **على ضروب العلم** اي انواعه جمع ضرب بفتح الضاد وكسرها
ويكون بمعنى المثل ايضا **وفنون المعارف** اي اقسام المعرفة المتعلقة
باحوال الدنيا واهلها كما ان ضروب العلم المراد بها ما يتعلق بالشرايع والاخرة
فهو من عطف المتغايرين لا من غيره على انه تفنن والفرق بين العلم
والمعرفة مشهورة **فالطب** اي معرفة ما يتعلق ببدن الانسان من
حيث الصحة والسقم وكان صلى الله عليه وسلم اعرف الناس به كما في الطب
النبوي وهو من العلوم القديمة المدونة وله معان في اللغة وهو
مثلث الطاء مشدد الباء **والعبارة** بكسر العين المهملة اي تعبير رؤيا
المنام وتفعيله عبر بتخفيف الباء والناس يشددونها وقد انكره بعض اهل
اللغة الا انه سمع في بيت انشده المبرد رحمه الله في الكامل وهو

ارأيته رؤيا ثم عبرتها ۞ وكنت للاحلام عابرا ۞

كما في الكشاف ووقع في بعض النسخ العبارة مضبوطا بفتح العين
ولم اقف عليه **والفرائض** جمع فريضة وهو النصيب من الميراث
والفرائض صار علما مستقلا ولذا النسبة اليه فقيل فرائضي **والحساب**
هو علم يتعلق بالعدد ولا تبنى الفرائض عليه في الاكثر قرنه به **والنسب**
اي معرفته بانساب العرب وغيرهم وهو من علم التاريخ وكان الصديق
رضي الله عنه اعلم الناس به بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وغير ذلك من العلم وانواعه **مما اتخذ اهل هذه المعارف** لو قال اهله
كان اظهر واشمل واخصر **كلامه صلى الله عليه وسلم فيها** اي في هذه
العلوم والمعارف وتنبيل الضمير للشريعة اي في شريعته وهو خلاف
الظاهر **قدوة واصولا** اي ادلة اي ادلة مثبتة لها او قواعد وضوابط
يرجعون اليها في الحوادث الجزئية اذا وقعت لهم **في علمهم** اي علومهم
التي دونوها في هذه الفنون **كقوله صلى الله عليه وسلم** في حديث
رواه ابن ماجه عن انس **الرؤيا** اي ما يرى في المنام من الاحلام مصدر يختص
بذلك ويقال في غيره رؤية بالتاء ورأيا **لاول عابر** متعلق بمقدر اي بعبارة

وموافقة لاول تفسير يفسر به والعابر هو الذي يعبر الرؤيا ويفسرها
واول الحديث كما اعتبروها باسمائها وكنوها بكناها والرؤيا لاول
عابر اي فسروها بما يناسب الفاظها كما قيل سالم فاول
بالسلامة وهو نوع من التعبير والتكنية لنبين من الكنية المشهورة بل المراد
به التمثيل كما في النهاية وهي عند اهل السنة امر يلقيه الله في قلب
عبده كالالهام وورد ان ملكا يلقيه وهو ملك الرؤيا وعند الحكما
ان الروح في النوم تفارق البدن وتتصل بالملا الاعلى فيلقى اليها ما يفيضه
على ذهن النائم فمنه ما يقع بعينه ومنه ما يدل بغيره ومنها اضغاث
احلام وعابة الشيطان لا تاويل لها ومن هذا القبيل ما هو من
غلبة الاخلاط كالصفرا اذا غلبت يرى النائم نارا والبلغم يرى ماء والسودا
يرى شيئا اسود وليس كل رؤيا كذلك كما يوهمه كلام الاطباء وانكار هذا
القسم لا وجه له ايضا والكلام على الرؤيا وحقيقتها واقسامها مبسوط في
محله قيل المراد بالعابر هنا العالم باحوال الرؤيا لا كل عابر وظاهر
كلام اهل هذا الفن بخلافه لانه عندهم كالفال والانجام فلا يختص
بمن ذكر وقد نقل ان رجلا راى انه شرب البحر فقصه على ابن سيرين
فقال هل ذكرته لاحد قال نعم قال لما قال لك قال قال انه يشق بطنك
فلم يعبرها له وقال انقضى الامر وقوله وهي على رجل طائر رواه
ابو داود والترمذي عن ابي ذر وصححه بزيادة بل بعينه واول
الحديث رؤيا المؤمن جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة وهي على رجل
طائر ما لم يخبر فاذا عبرت وقعت فلا تحدث بها الا حبيبا او لبيبا ورجل
بكسر الراء وسكون الجيم ولام وهو تمثيل لكونها كالفال على رجل طائر من خير
او شر ونحوه لصاحبه فكانها تبعد وتقرب من ان تقع بما في حركته وهو
معنى قوله لاول عابر وفيه من لطف البلاغة وحسنها ما لا يخفى
فان الطائر يكون للفال ومنه التطير ولعنى المراد به ظاهره كما توهم
وقد وقع في بعض الكتب الرؤيا على جناح طائر اذا قص وقع ولا ادري
هل هي رواية بالمعنى نظرا لرواية وفيه تورية في القص لانه
يكون من قص الجناح اذا قطع وتشبيه ومن قصص الرؤيا اي ذكرها
للعابر وفيه تحتمل للعبين ايضا من الوقوع والسقوط ونظمه
بعض المتاخرين فقال

رؤيا اذا اقصصتها ... وافت كبدر قد طلع
على جناح طائر ... فهو اذا اقص وقع

وهذا

وهذا الحديث روي من طرق اختلف العدد فيها فروي سبعين واربعة
وعشرين وستة واربعين جزءا والاخير من رواية البخاري وجعلها جزءا
من النبوة لان رؤياهم وحي صادق فقيل حقيقة العدد وقدره غير
مقصود والمقصود التكثير وقيل وجهه انه صلى الله عليه
وسلم اوحي اليه ثلاث وعشرين سنة منها ستة منام والباقي وحي يقظة على انواع
بينوها وجاءت امراة للنبي صلى الله عليه وسلم فقالت رايت ان
جذع السقف من بيتي وقع وعندي ولد اعور فقال يقدم زوجك
وتلدين ولدا برا ثم راتها [illegible] ذلك فقصتها على ابي بكر رضي الله عنه
فقال يموت زوجك وتلدين فاجرا الا انها في زمن الرؤيا كان زوجها غائبا
وهو عمود البيت فسقوطه بحينه قال

فاسقط علينا كسقط الندا ... باليل لا ناه ولا امر

واول العمود بالبر لغضه بصره عن المحرمات وفي رقيق كلامها الا بي بكر
كان زوجها مقيما وسقوطه موته والاعور يتشام به في المنام واحد
اختلف تاويله بحسب الحال وامثاله كثيرة وقوله صلى الله
عليه وسلم الرؤيا ثلاث انواع رؤيا حق بالاضافة والتوصيف
والظاهر الثاني وهو المناسب لما بعده وعلى الاول الاضافة بيانية
اي رؤيا حق فالمعنى واحد ورؤيا يحدث بها المرء نفسه المراد بها
خواطر تخطر بالبال لا موره [illegible] من عالم المثال والملك يشبه من
يحادث غيره في خلوة لما يورده عليها من الاماني والاوهام وهو في معنى
التجريد المذكور في علم البديع فهو بديع وليس المراد من نفسه
ذاته وهما معنيان متغايران يعني انه راى في منامه ما كان في فكره قبله
وهو من اضغاث الاحلام ورؤيا من تحزين الشيطان
بان يلقي له ما يكره ويخاف من وسوسته وورد في الحديث انه ينبغي
للانسان ان يتحول عن شقه الذي نام عليه ويستعيذ بالله من شره
ويتفل عن يساره او يصلي ركعتين ان انتبه ولا يحدث به احدا قال
السيوطي في مناهل الصفا في تخريج احاديث الشفا هذا الحديث
رواه الشيخان وغيرهما عن بضعة عشر من الصحابة الا انه قيل
ان الذي في مسلم عن ابن سيرين عن ابي هريرة اذا اقترب الزمان لم تكد
رؤيا المؤمن تكذب واصدقهم رؤيا اصدقكم حديثا ورؤيا المسلم جزء
من خمسة واربعين جزءا من النبوة ثلاثة رؤيا صالحة بشرى من
الله ورؤيا تحزين من الشيطان ورؤيا يحدث بها المرء نفسه فان راى

احدكم ما يكره فليقم فليصل ولا يحدث بها الناس قال واحب
القيد واكره الغل والقيد ثبات في الدين فلا ادري اهو في الحديث ام قاله
ابن سيرين انتهى ما في مسلم وقد اختلفوا في ما ذكر من كون الرؤيا ثلاثا
الخ فقيل هو مدرج في الحديث من كلام ابن سيرين وقيل هو موقوف
على ابي هريرة وقيل فيه انه مرفوع ويؤيده ان ابن حنبل رفعه
مسندا والحافظ السيوطي اعتمده وكذا المصنف فلا يرد عليه
ان ابن الملقن قال في شرح البخاري ان الصحيح انه ليس من كلامه
صلى الله عليه وسلم واختلف في قائله والصحيح انه ابن سيرين وقول
ابن حجر في فتح الباري انها ليست منحصرة في الثلاث فان منها رابعا
وهو اول الشيطان وخامسا وهو ما يهم به المرء في يقظته
وسادسا وهو تلاعب الشيطان وسابعا وهو ما يعتاده الانسان
وبينه وبين حديث النفس عموم وخصوص لعني بستي لانه راجع
لما ذكر في معناه وقد بسطنا الكلام على الرؤيا في تعليقه مستقلة
يضيق عنها نطاق المقام فانظرها ان شئت وقوله صلى الله
عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن ابي هريرة مسندا اذا
تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب التقارب تفاعل من القرب
ضد البعد واختلف في المراد به هنا فقيل المراد به زمان الربيع
وقرب الليل والنهار من التساوي وهو يدرك فيه الثمار وتتفتح
الازهار وتدرك السيم تتعتدل الطبائع البشرية فيه فيقوى
قواها على تلقي ما يقال لمن عليها وكذا اتفق اهل التعبير اصدق
زمان لوقوع الرؤيا زمان الربيع وقيل المراد به اخر الزمان
اذا قربت الساعة كما في زمان المهدي وتقاربه وتقصره اما حقيقة
لما في الحديث في ايامه السنة كشهر والشهر كجمعة والجمعة كيوم
واليوم كساعة وقيل انه لكثرة اشتغال الناس بالدنيا لسعتها
عليهم او لغيره لكن ذهب كل لترجيح احد الوجهين لوروده
يؤيده وقوله لم تكد الخ نفي للكذب بابلغ وجه بربها في لان ما لا يقرب
من الوقوع ابلغ مما لا يقع فليس نفيها اثباتا ولا اثباتها نفيا كما توهم
والعزيز واجيب عنه كما فصله النحاة وشهرته تغني عن ذكره
ويعقده وحصل الموي لان نفسه اقوى وعلقه اتم من غيره وقيل
انه لبعد العهد بالوحي عوضوا المبشرات وقوله صلى الله عليه
وسلم في حديث رواه الدارقطني وضعفه فلا وجه لما قيل من انه لا

صحة

صحة له اصل كل داء اي مرض وتغير مزاج البردة بموحدة وراء ودال
مهملتين مفتوحات وهي التخمة الاكثار من الطعام حتى لا يقدر على
هضمه سميت بها البرد المعدة حتى تضعف عن طبخه وتصفية اخلاطه
والمراد يكونه اصلا انه منشؤه ومبدؤه في الغالب
فان الداء الاكثر ما تراه يكون من الطعام او الشراب
وما روي عنه صلى الله عليه وسلم والراوي له الطبراني في الاوسط والمعجم
لم يثبته في حديث ابي هريرة من قوله صلى الله عليه وسلم
المعدة بوزن كلمة وبكسر الميم وسكون العين والدال المهملة مقر الطعام
كالكرش للحيوان والحوصلة للطائر حوض البدن تشبيه بليغ والحوض
مجمع الماء فتشبيهها به وشبه بما يستقي منه وقيل شبهها بعروق الشجرة
والبدن بفروعها وورقها وهو مكدر لما في الحوض من الصفا والتشبيه
ثم رشح ذلك بقوله والعروق اليها واردة جمع عرق وهو مجرى الدم والورود
الاتيان للماء ففيه او جمع وارد فتشبيه ايصال خلاصته الغذاء الى الاعضاء
بالاخذ من الحوض المورود والعروق تنقسم الى شريانات واوردة كما ذكره اهل
الشرح وان كان هذا حديثا خبر كان وقوله لا نصححه اي لا نحكم بصحته
حيث ما الموصول له قبل وروي حديث بالرفع بدلا من هذا والنصب او في
لضعفه وكونه موضوعا بالجر رده من ضعفه ونحوه رفعه على انه مبتدا
خبره تكلم عليه الامام ابو الحسن الدارقطني نسبة لدار القطن محله
ببغداد ولا يرد على المصنف انه كيف ذكر الموضوع وهو كذب عليه بعد
بيانه وقد اختلف فيه فقيل انه مرفوع قال الطبراني في الاوسط عن الزهري
عن ابي هريرة مرفوعا المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة فاذا صحت
المعدة صدرت العروق بالصحة واذا فسدت المعدة صدرت العروق
بالسقم ولم يروه عن الزهري الا زيد بن ابي انيسة تفرد به الرهاوي وقوله
تكلم الخ اي بحث في سنده وكونه مرفوعا وقال في كتاب العلل اختلف
فيه عن الزهري فرواه ابو فروة الرهاوي عنه وقال عن عائشة ولم
ينقل عن ابي هريرة وكلا الروايتين عن ابي هريرة لم يصح ولا يعرف من كلام
النبي صلى الله عليه وسلم وانما هو من كلام عبد الملك ابن سعيد ابن بحر
وقيل انه من كلام الحرث بن كلدة وعن ابن منبه ما يقرب منه
وذكر ابن ابي الدنيا اجمعت الاطباء على ان راس الطب الحمية والحكماء
على ان راس الحكمة الصمت وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت
الازمة دواء والمعدة داء وعودوا كل بدن ما اعتاده وقوله

صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما
خير ما تداويتم به السعوط بفتح السين وضم العين المهملتين وواو
وطا مهملات وكذا كل ما يداوى به في انفه على نحو ل بالفتح وهو ما يجعل
في الانف ويستنشق به لفتح السدد الدماغية ومنع النزلات
واللدود بفتح اللام وضم الدال المهملة وواو ودال مهملة
وهو ما يجعل في احد شقي الفم ويتغرغر به لدفع ورم به يعتري الصبيان
غالبا وهما في الاصل اسمان لمرضين في الراس وعلى الحلق ويسمى الثاني
نزلة الحلق وهو ورم فيه معروف وكان النسا يعالجنه برفعه
بالاصبع فنهاهم صلى الله عليه وسلم وامرهم بما ذكر وهو العود الهندي
يحك في الماء ثم يفعل به ذلك فيحلله بحرارته وهو ماخوذ من اللديد
وهو جانب الوادي كما قاله الاصمعي وهذا من معجزاته صلى الله عليه
وسلم فانه مرض خفي لا يعرفه اكثر الاطبا قديما فضلا عن زماننا وفي
الهدي النبوي لابن القيم من هذا النوع ما فيه للصدور والحجامة
وهي مص الدم بالة معروفة في الراس وبين الكتفين وهي في موخر
الدماغ تورث النسيان وهي في المشقفة في الراس مع انه مرض من
ورد فيها احاديث منها انه صلى الله عليه وسلم ما مر ليلة الاسرى
بملا من الملائكة الا قالوا له مر امتك بالحجامة والمشي بفتح الميم وكسر
الشين المعجمة وتشديد المثناة التحتية وهو المسهل يقال شربت
شيئا ومشوا سمي بذلك لان صاحبه يكثر المشي للخلا وفي الحديث لو كان
شي فيه شفا من الموت لكان في السنا ولبعض الشراح هنا كلام مختل
تركه خير منه وخير الحجامة اي انفعها يعني بعض الشهر يوم سبع
عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين في الوتر دون الشفع وهذا
الحديث رواه الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما وصححه وابو داود وعن
ابي هريرة مرفوعا وشينه مفتوحة وساكنة وغلب فيه المونث
على المذكر او ذكر لحذف المميز ونهى عن الحجامة في يوم الاربعا والسبت
والاحد وروي عن ابن حنبل انه كره الحجامة في غير هذه الايام وانما كانت
الحجامة في النصف الاخير والربع الثالث من الشهر انفع لان الاخلاط
تهيج في اوله وتسكن بعده لهبوط القمر فالاستفراغ فيما قل فلا
يضعف ويقولون انه ينبغي ان يكون في الساعة الثانية او الثالثة
ولا يكون عقبه حمام ولا جوع وشبع ولا في الصوم وفي العود الهندي
سبعة اشفية والمراد بالعود العود المعروف وقيل القسط

الابيض

الابيض وهو مبحث في باب المفردات من الطب والاشفية جمع شفا على خلاف
القياس والقسط بضم القاف ويقال كسط بالكاف والسبعة انه ينفع من ذات
الجنب وحصر البول وضعف شهوة الطعام والجماع والسم ويدر الطمث
وينفع امراض الكبد والريح والسبعة علمت بالوحي وما عداها بالتجربة
وقوله صلى الله عليه وسلم كما تقدم الكلام فيه ما ملا ابن ادم وعاءا شرا
من بطنه شبه البطن بالوعا الذي فيه الطعام وبعضهم ينبغي من بطنه والشر
في البطن بخفته لانه يفسد ويورث الكسل المانع من العبادة وفي المفصل
عليه تقديرية فان كان ولا بد اي لزوم واصل معنى البد الفارق فيقال
لا بد للطعام وثلث للشراب وثلث يكون خاليا للنفس اي لدخوله
وخروجه وهذا ايما الى انه لا ينبغي ملؤه بتمامه وان يكون ما فيه اقل من
ثلثه وهذا الحصر حديث رواه ابن ماجه والترمذي وابن خزيمة
مرفوعا وحسنوه وهو ما ملا ابن ادم وعا شرا من بطن حسب ابن ادم لقيمات
يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث الخ وجعله من طبه لانه بين مبدا
الصحة والمرض ومقدار ما يكفي لئلا يتوهم بعضهم انه يضعفه
وقد قال بعض اهل الكتاب للنبي في كتابكم الطب فقال له بعضهم
قوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال انها جمعت طب جالينوس
ثم ذكرنا ما يتعلق بحجامته صلى الله عليه وسلم بالاسناد ولم يراع في اللف
والنشر ترتيبا فانه ليس بلازم وقد يستحسن تركه اعتمادا على فهم السامع
فقال وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي عن فروة
واحمد عن ابن عباس مسندا وقد سئل عن سبا بهمزة في اخره
يجوز ابداله الفا وعلى همزة يصرف ولا يصرف فيجوز تنوينه وعدمه
وهذا لما اختلفوا فيه وفي مسماه اهو رجل ام امراة ام اسم ارض كان يسكنها
وينزل بها فقال هو اسم رجل سمي باسمه ارض وهي مدينة بلقيس باليمن
فلا خلاف بين القولين فصرفه ظاهر ومنعه لانه اريد به قبيلته
او انه اريد به الارض فباعتبار البقعة ولد عشرة من الاولاد الذكور
ولذا قال عشرة تيامن اي سكن اليمن منهم ستة اكثرهم ونسبوا اليه
وهم مذحج وحمير وكندة والازد والاشعريون كما ذكره علما النسب واهل
التاريخ واليمن اقليم معروف منه تهامة ومنها المدينة وتشام
اربعة اي سكنوا الشام بالهمزة وقد يمد ويبدل الفا وهو من الفرات
الى العريش وهم لخم وجذام وعاملة وغسان كما قاله الواحدي في تفسيره
ونحن هو لا قبائل وبطون واتحاد لين هذا محل تفصيلها الحديث

بطوله بالنصب اي اذكر هذا الحديث وفيه اشارة الى انه اقتصر على
بعض منه يكفي فيما اراده وترك الباقي لطوله والغنى عنه وقد اختلف
في وجه تسمية الشام شاما فقيل لانها في جانب اليسار وقيل له شومى
وقيل سميت باسم سام بن نوح وعربت بالاعجام وقيل انه بمعنى الشامة
لان فيها حمر وسود فيها وكذلك اي مثل ما تقدم من علمه صلى الله عليه
وسلم بالانساب جوابه صلى الله عليه وسلم لمن سأله وهو عمرو بن مرة
في نسب قضاعة في حديث رواه احمد وابو يعلى والطبراني عن عمرو
ابن مرة الجهني انه صلى الله عليه وسلم قال من كان هنا من معد فليقم
فقمت فقال اقعد فقلت ممن نحن قال انتم من قضاعة بن مالك
ابن حمير وقضاعة بضم القاف وضاد معجمة وعين مهملة ابو حي من اليمن
لقب به لانفصاله عن الناس لان القضاعة ما ينفصل عن اصل الحائط
وقيل من قضع بمعنى قهر لقهره لشجاعته من عاداه وقيل
القضاعة من اسماء الفهد او كلب الماء وغير ذلك المذكور مما اضطرت
بالبناء للمفعول وهو لغة القرآن الفصحى او الفاعل افتعال من الضرر
والاحتياج قال تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه العرب على
اي مع شغلها بضم ويجوز فتحها والاول هنا اولى اي اشتغالها
وتقيدها بالنسب اي بمعرفته وحفظه لاعتنائهم بضبط
انسابهم ومع ذلك اضطروا فاحتاجوا الى سؤاله صلى الله عليه
وسلم عما اختلفوا فيه لخفائه عليهم من ذلك اي معرفة ذلك اي
مشكل انسابهم ومعرفة ما اشكل عليهم مما حل امرهم ضبطه وهو صلى
الله عليه وسلم لا يعتني به ويشتغل بحفظه يدل على قوة معرفته
بالانساب وفي نسخة مصححة ومن ذلك بالواو فهو خبر مقدم وقوله
قوله مبتداه اي قوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه
البزار حمير وهم قوم من العرب ينسبون لجدهم ابن سبا ابن يشجب راس
العرب اي منزلتهم من الشرف في العرب بمنزلة الراس من الجسد
ونابها وهو سن كبير خلف الرباعية اي هم عدتهم وقوتهم وشدتهم وهم
من ولد معد بن عدنان ومن ذرية اسماعيل ومذحج بفتح الميم وسكون
الذال المعجمة وكسر الحاء المهملة وجيم وهما جبلان من العرب لمالك
وطي سميا باسم اكمة ولدتهما امهما عندها وسميت باسم ابنه ومنهم من فعل
وقال الجوهري اصليه نون لانه فعلل ووهم فيه عما فصل في كتاب سيبويه
وشروحه وليس هذا محله هامتها اي راسها وغلصمتها بفتح العين

المعجمة

المعجمة وسكون اللام وفتح الصاد المهملة وميم وهاء وهي اللحمة بين الراس
والعنق او راس الحلقوم وفيه اشارة الى اشتراكهما في الشرف وتخصيص
كل بفضيلة مع التفنن في التعبير فان الراس والهامة متقاربان والناب
والغلصمة يحتاج لكل منهما في اساغة الطعام الذي هو مادة الحياة وقيل
انه تفضيل لمذحج لان الحاجة للغلصمة اشد ولك ان تقول انه اشارة
الى ان في حمير مع الشرف شدة وقهر وفي مذحج لين وتبع وعلى كل حال
فاوصفوا بها دال على المدح والشرف على طريق التشبيه البليغ او المجاز
المرسل بتسمية الكل باسم الجزء وقوله ابي بكر رضي الله عنه في حديثه
المشهور انى هامة ام من لهازمها اي اشرافها او اوساطها يدل
على تفضيل حمير والازد بهمزة مفتوحة وزاي معجمة ساكنة ودال مهملة
وهو الازد بن الغوث وهو بالسين افصح كما في القاموس ابو حي باليمن منه
الانصار ويقال ازد شنوءة وعمان وسراة والازد بن الفتح محدث كاهلها
بوزن فاعل وهو ما يلي العنق من اعلى الظهر كما قاله الخليل وعليه
الكل والحمل وقيل ما بين كتفيه او موضع العنق في الصلب
وجمجمتها بضم الجيمين وميمين وهي عظام الراس وتطلق على الراس نفسه
وجماجم العرب بطون منها والجمجمة ايضا اسم قدح ونقل معروف وفيه
اشارة الى ان غيرهم وان كان اشرف كالمهاجرين والخلفاء لهم الفضل بعزتهم
وحملهم لان الانصار منهم وهمدان وهمدان بسكون الميم ودال
مهملة قبيلة باليمن وبفتح الميم اسم بلدة غاربها هو من البعير كالكاهل
من الانسان والكتف وذروتها بكسر الذال المعجمة وضمها وسكون
الراء المهملة اي اعلاها وسنامها ففيه من المعرفة بانساب العرب
وشانها في الشرف والاحاطة باحوالها ما لا يهتدي له سواه صلى
الله عليه وسلم وقيل اراد بالذروة اعلى السنام وان كان فيه
الضعف والنكارة لا حجة على هذا الحديث لتكريره ذكر الراس بالفاظ
مختلفة ولذا جزم ابن حجر بانه منكر قلت اما النكارة من جهة
الرواية فنسلم واما من جهة تكراره المذكور فتنفي بديع ونوع
من الفصاحة فلا وجه للاستدلال به وهو عليه وقوله
صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن ابي بكرة في خطبة حجة
الوداع ولفظ قوله في جميع ما وقع هنا بالحمرة رواية عن المصنف
والجار رفع بعضها ان الزمان قد استدار اي عاد لما كان عليه
كالدائرة التي يرجع انتهاؤها الى ابتدائها كهيئته يوم خلق الله السموات

والارض وتتمة الحديث السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاث
متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى
وشعبان انتهى وقيده بذلك دفعا للنسيء وتغيير الشهور الذي كانت
الجاهلية تفعله فانهم كانوا اهل حروب وغارات فربما اتى عليهم بعض
الاشهر الحرم وهم محاربون فيشق عليهم الترك فيحلونه وينقلونه
من شهر الى اخر ويسمى نقله من شهر لاخر نسيئة بعد سنة حتى
يعود لموضعه الاول فينتقل بذلك شهر الحج وكانوا يحجون في كل شهر
عامين فوافق حجة ابي بكر العام الثاني من حجة ذي القعدة فلما حج صلى
الله عليه حجة الوداع وافق حجة شهر ذي الحجة المشروع فوافق
كما هو الان فخطب واعلمهم ان حجة في هذا الشهر ليس اتفاقا لموافقته
لدوران الشهور في الجاهلية وانما هو امر شرعه الله وقدره في الازل
وامره به نسخا لما كانوا يفعلونه وامرهم صلى الله عليه وسلم بالمحافظة
عليه وانه لا يبدل ولا يدور دوران الجاهلية الاولى فقوله استدار
بمعنى رجع لما في علم الله وقضا به قديما وهو معنى قوله يوم خلق
الله الخ فنسي النسي ونسخ وكانوا اذا ارادوا ذلك يقوم رجل
من بني كنانة لانهم اهل غارات على جمل بالموسم وينادي باعلى صوته ان
الهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه فاستدارته بموافقة حجه
للمشروع ولذا لم يحج صلى الله عليه وسلم قبله وارسل ابا بكر رضي
الله عنه بالعهد ليظهر الحرم قبل الحج ونقل ابن حجر ان حجة
الوداع كانت والشمس في الحمل وقد تساوى الليل والنهار واعتدل
بثبوت شمس النبوة وقال الصدر القونوي في شرح الاربعين
حديثا له انه في هذا الحديث اسرار الهية لا يطلع عليها الا بعض
الكمل ثم قال ان النوع الانساني اوجد بالامر الالهي في اول دورة
السنبلة ومدته سبعة الاف سنة بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم
في الالف الاخير منها الجامع بين احكام السنبلة والميزان المختص
بالاخرة وان البروج تمازج بالقرب فامتزج في زمان بعثته
الدنيا بالاخرة البرزخية كالصبح بالنسبة للنهار فظهور النور
تدريجا حتى تطلع الشمس وكذلك ظهور احكام الاخرة من حين
المبعث الى طلوع الشمس من مغربها ومنه ظهر سر ختمية النبوة
والولاية انتهى ملخصا ومن لم يفهم الحديث ذكر ما لا مناسبة له به وكان بلغ
ينبغي ذكره وذكر هذا الحديث هنا اثباتا لعلمه بان الزمان

وحركاته

وحركاته الدورية مبنية عليه وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث ابن النرش
رواه الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما في الحوض اي في شان حوضه
الذي يكون يوم القيامة يشرب منه العطاش وقد تقدم الكلام فيه
رزقنا الله وروده وسقانا منه شربة لا نظمأ بعدها زواياه سوا
جمع زاوية وهو ما يحصل من تلاقي خطين من داخله وسوا بمعنى مستويه
وهذا يقتضي انه مربع متساوي الاضلاع مستقيمها فانه لا تتساوى
زواياه الا اذا استقامت اضلاعه وهذا امر مبني على المساحة ودقائق
الهندسة وذكر ابن ابي الاصبع انه نوع من البديع غريب سماه الاستقصا
وان منه قوله تعالى الى ظل ذي ثلاث شعب فقال انه تعالى انه ليس
بظل لان المثلث لا ظل له وهذا كله كلام يحتاج للتحرير لكن لكل مقام
مقال وهذا ايضا في مادة دقيقة من ان مسافته ما بين ايلة وصنعاء
ومسافة شهر وغير ذلك لا لانه اعلم باحواله شيئا بعد شيء كما قيل عرضي
بل لان المراد من كل زيادة سعته فهو كما في المثل كلا جانبي هرشى لهن
طريق وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه ابو داود وابن
ماجة عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما في حديث الذكر
وهو انه صلى الله عليه وسلم قال خصلتان وهو انه صلى الله
عليه وسلم لا يحصيهما رجل مسلم الا دخل الجنة وهما يسير ومن يعمل
بهما قليل يسبح الله عز وجل دبر كل صلاة عشرا ويحمده عشرا ويكبر
عشرا قال فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعقدها بيده فتلك
خمسون ومائة باللسان والف وخمسمائة في الميزان فاذا اوى الى فراشه
سبح وحمد وكبر مائة فتلك مائة باللسان والف في الميزان فايكم يعمل في اليوم
الفين وخمسمائة سيئة الى اخر الحديث وان الحسنة بعشر
امثالها فتلك مائة وخمسون على اللسان اي اذا اخرجت على اللسان
وذكره في دبر كل صلاة من الصلوات الخمس فانها ثلاثون مضروبة في
خمسة والف وخمسمائة في الميزان التي توزن بها الاعمال والوزن
اما للصحف او لها نفسها بجعل الاعراض اجساما وعند المعتزلة
انه تمثيل للمضاعفة اجرها فان الحسنة بعشر امثالها كما ورد في النص
وهو اقل مراتبها وقد يزيد على ذلك وهذا استدلال من المصنف
على معرفته صلى الله عليه وسلم بالحساب وهو بالنسبة لمقامه وحدة
ذهنه امر سهل وقوله يعقدها اشارة الى انه يحتمل انه صلى الله عليه
وسلم يعقد تسبيحها ولذا قال بعضهم انها بدعة ولذا قال السيوطي

في رسالة سماها المنحة في السبحة ايضا سنة فاذن يباشرها بنفسه
لانه صلى الله عليه وسلم راى عند بعض الصحابيات نوى تعد به الذكر
فاقرها عليه وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الطبراني
عن ابي رافع بسند قالوا ان فيه ضعفا وهو في موضع جملة حالية
وفي نسخة وهو موضع نعم موضع الحمام هنا بفتح الحا المهملة
وتشديد الميم بيت يعد للغسل يذكر ويؤنث ولم يكن في عصره صلى
الله عليه وسلم بالمدينة حمام ولم يدخله وهذا اخبار لما يذكره فانه
فيه يحال النا اذهاب الهوا ونعم للمدح والمخصوص به هذا وقيل
موضع الحمام كقوله نعم دار المتقين وقوله صلى الله عليه وسلم
في حديث رواه الترمذي عن ابي هريرة وصححه ما بين المشرق
والمغرب قبلة القبلة تطلق على المسجد كما في قوله واجعلوا بيوتكم
في احد التفاسير وعلى الكعبة وعلى جهتها وسمتها وهو المراد هنا لانه
المراد عند الاطلاق وهو اما بيان لقبلة اهل المدينة لانهم المخاطبون
او على من هي في جنوبه او شماله والتبس عليه وقال ابن عمر
اذا جعلت المغرب عن يمينك والمشرق عن يسارك فما بينهما قبلة
واما كون الواجب استقبال عين الكعبة او جهتها فبحث طويل
مفصل في التفسير وكتب الفقه لا يسعه هذا المقام والشاهد في
الحديث انه يدل على علمه صلى الله عليه وسلم بعلم الميقات
فان معرفة سمت القبلة باب منه تضمنه هذا الحديث وقوله
صلى الله عليه وسلم في حديث ذكره ابن الاثير في النهاية ولم يخرجه
السيوطي لانه لم يقف عليه لعيينة ابن حصن الفزاري ويكنى بابي مالك
واسلم يوم الفتح وكان من المؤلفة وكان من جفاة الاعراب وهو الذي
قال فيه صلى الله عليه وسلم انه الاحمق المطاع لانه كان سيد قومه
وعيينة علم منقول من تصغير العين او الاقرع ابن حابس ابن
عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع التميمي واسمه فراس ولقب بالاقرع
في راسه وهو من المؤلفة ايضا وكان شجاعا فارسا شريفا في قومه في
الجاهلية والاسلام اسلم وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
في وفد بني تميم وهو الذي نزل فيه ان الذين ينادونك من وراء الحجرات
وقصته مذكورة في السير والشك في المقول له من الراوي وقال
ابن الاثير انه صلى الله عليه وسلم عرض الخيل وعنده عيينة
فقال انا اعلم بالخيل منك فقال صلى الله عليه وسلم انا افرس بالخيل

منك

منك اي ابصر واعرف ومصدره الفراسة بفتح الفا والفراسة بالكسر
من التفرس وهو معنى اخر وهو رد عليه باسلوب حكيم ولم يقل له لست
كذلك لما علمه من انه اعرابي وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه
الترمذي عن زيد بن ثابت لكاتبه وكان له كتبة عدة والمقول له منهم
قيل انه معاوية رضي الله عنه وقد عد البرهان في حاشيته هنا كتاب
النبي صلى الله عليه وسلم فبلغ عددهم ثلاثة واربعين وعدهم شيخه
الحافظ العراقي وقال ان شيخه الجمال الانصاري افردهم بتاليف قلت
وقفت انا ايضا على تاليف لابن ابي الحديد فيهم وكانه لم يقف عليه ولم
نفصلهم هنا لان له مقاما اخر وكان المداوم على الكتابة له صلى الله عليه
وسلم زيد ومعاوية ضع القلم على اذنك لم يعينها والمراد اليمنى فانه اي ه
وضعها كذلك اذكر اي اكثر ذكرا بكسر الذال ومنها وهو ضد النسيان ه
للممل اسم فاعل اصله المملل ويجوز فيه ان يكون اسم مفعول ايضا اي ما يذكر
ويملى واملّ واملى بمعنى وهو القا ما يكتبه على الكاتب وبهما ورد القران
قال تعالى فليملل الذي عليه الحق وقال تعالى فهي تملى عليه والاصل
امللت فقلبت تخفيفا كما قاله الراغب واما قوله تعالى واملى
لهم ان كيدي متين فمعناه امهلهم هذا اي خذ هذا او اذكره ه
وقيل ها اسم فعل بمعنى خذ من غير تقدير والرسم بخلافه وهي كلمة
مستعملة في الانتقال والتخلص من كلام لاخر لما بينهما وهي كذلك
في القران وكلام العرب اي معرفته صلى الله عليه وسلم بالكتابة واحوالها
مع انه صلى الله عليه وسلم امي من امة امية لا يكتب ولا يحسب من معجزاته
لانه كان لا يكتب كما تقدم بيانه وانه قيل انه كان ذلك في اول امره
وانه كتب بعد ذلك في الحديبية كما ذكره بعضهم وقد ردوه وشنعوا عليه
كما فصله ابن حجر في تخريج احاديث الرافعي وقد تقدم بيانه في غير موضع
ولكنه اوتي بالنبوة المعقول للعلم بان المؤيد له هو الله علم كل شيء حتى
قد وردت اثار جمع اثر وهو ما يؤثر ويروى مطلقا وقد يخص بما يقابل
الحديث المرفوع من كلام بعض الصحابة او التابعين بمعرفته حروف
الخط اي كيفية رسمها وحسن تصويرها اي صورتها المستحسنة
عند اهلها ومن ما رسمها كقوله صلى الله عليه وسلم لكاتبه لا تمد بسم
الله الرحمن الرحيم اي لا تطول السين مدة طويلة من غير بيان اسنانها
فانه يلتبس صورتها ولا في نسخة لا تمد وا رواه ابن شعبان من طريق
ابن عباس رضي الله عنهما وابن شعبان وهو محمد بن القاسم بن شعبان

ابن اسحاق المصري المالكي توفي سنة خمس وخمسين ومائة وضعفه ابن حزم
ولا ترجمة في الميزان وقال السيوطي حديث ابن عباس لا يمد بسم الله الرحمن
الرحيم لم اجده وللديلمي من حديث ابن انس اذا كتب احدكم بسم الله الرحمن الرحيم
فليمد الرحمن وله من حديث زيد ابن ثابت اذا كتبت فبين السين في بسم الله
الرحمن الرحيم وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الاخر الذي يروى
بالبنا للمجهول وتائب فاعله قوله عن معاوية بن ابي سفيان احد
احد كتبته صلى الله عليه وسلم كما تقدم وفي نسخة الذي يروي معاوية
اي يرويه ويروي مبني للفاعل على هذه انه كان يكتب بين يديه
اي عنده وفي مجلسه فقال له الق الدواة امر بفتح الهمزة وكسر
اللام وكسر القاف لالتقا الساكنين يقال لاق الدواة يليقها ليقة ولاقها
والاقها ولاق يتعدى ولا يتعدى اي اصلح مدادها من قولهم لاق به
اذا الصق ومنه يليق بك كذا ولا يليق اي يناسب والاشهر استعمال
ذلك فيما يجعل في الدواة من حرير او نحوه لانه يصلحها ويمنع
كثرة اخذ المداد في القلم الذي قد يفسد الخط وحرف القلم اي اجعل
قطعه محرفا مراعيا على تقوير السنان ويكون تحريفه من جهة اليمين
وانصب الباء اي اجعلها مستقيمة او طولها قليلا لانها عوض عن الف
اسم وفرق السين اي اجعل اسنانها منفصلا بعضها من بعض ولا تعور
الميم اي تجعل دائرتها مطموسة كالعين العورا وهو بضم المثناة الفوقية
وفتح العين المهملة وكسر الواو المشددة وبراء مهملة وحسن الله
اي كتابته وصورة لفظه تعظيما لمسماه ومد الرحمن لم يبينوا معنى
المد فيه فهو بمعنى مد ما بين الميم والنون هكذا الرحمن عوضا عن الالف
الساقطة خطا او المراد رسم الفا بعده ويبعده مخالفة رسم المصحف
العثماني وجود الرحيم اي حسن كتابته والتجويد مطلق التحسين ويخص
في العرف بتحسين الخط وفي عرف القرا بتحسين التلفظ بالحروف ومراعاة
مخارجها وصفاتها وهذا الحديث رواه الديلمي في مسند الفردوس
وهذا اي معرفته صلى الله عليه وسلم بالخط وهو مبتدا خبره قوله
الاتي فلا يبعد والفا زائدة او خبر مقدر اي محقق ونحوه والفا في جوابه
الشرط وانه لم يصح الرواية انه عليه الصلاة والسلام كتب
بيده الشريفة اشارة الى ما قاله الباجي من انه روي انه صلى الله
عليه وسلم كتب بيده في الحديبية كما تقدم وانه لا يضر في كونه اميا
لانه كان في بدا امره لامر انقضى بانقضا سببه فهو معجزة اخرى له فلا

يبعد عقلا انه يرزق علم هذا اي علم الخط من غير تعليم ويمنع الكتابة
والقراءة من المصحف قبل ولا يبعد ان تقع منه الكتابة والقراءة في وقت
معجزة اخرى له بشهادة ما في البخاري انه صلى الله عليه وسلم اخذ الكتاب
فكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله في عمرة القضا وانه قال
لعلي كرم الله وجهه امح رسول الله لما اباها بعض المشركين فقال
والله لا امحوها ابدا فاخذ الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب هذا ما قاضى
عليه محمد بن عبد الله اقول قد علمت ان هذه مقالة صدرت
عن الباجي انكرها عليه اهل عصره ونسبوه للزندقة وعقد مجلس له
لحاجة علما عصره وقالوا انه مخالف لنص الحديث والقران وكونه
عد من معجزاته فاجاب بانه صرح به في حديث البخاري والتجوز
خلاف الاصل وفي القران ما يشير اليه لان قوله ما كنت تتلو من
قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك يقتضي كتابته من بعده وهو معجزة
لا تنافي كون اميته معجزة في اول امره وقد ذكره ابن ناجي وغيره من
شراح البخاري واما علمه صلى الله عليه وسلم بلغات العرب
جميعها قبائل وبطونا فكل احد لا يعرف ولا ينطق الا بلغته حتى لو
حاول التكلم بغيرها لم ينطق وحفظ معاني اشعارها وان كان لا يقول
الشعر ولا ينشده وان انشده نادرا غيره فكان في اكثر احواله الا انه
كان ترد عليه شعرا العرب المفلقون بمدائح يمدحونه بها وتنشد بين يديه
فيصغي لها ويعلم منها ما لم يعلمه غيره من فصحا العرب الا ترى كعبا لما انشد
قصيدته وقال فيها

• قنواني حرتين للبصير بها • عتق مبين وفي الخدين تسهيل •

قال الصحابة رضي الله عنهم الحرتان العينان فقال لهم صلى الله عليه وسلم
لا بل الاذنان وهو كذلك عند العرب الا ترى قول علقمة

• لها جرتان لحرف العتق فيهما • كسامعتي مذعورة وسط ربرب •

وقد نقل بعضهم نظاير لهذه القصة والثمرة تدل على الشجرة وفي ذكره
الشعر بعد الكتابة مناسبة تامة اذ كلاهما مما عرفه صلى الله عليه وسلم
ولم يعرفه ولم يتلبس به وهو من مقاصده الحسنة وفيه دليل على ان
ذكر الشعر والبحث عنه امر مسنون ككثيره من العلوم وقد قالوا ان معرفته
من فروض الكفاية حتى شعر المولدين كما ذكره السيوطي في شرح منظومة المعاني
والبيان واختلفوا بعد الاتفاق على امتناع الخط حتى قال الشافعية
بحرمتهما هل كان يحسنهما او لا فيقبل تعلمهما من القولين كما في الروضة

والحفظ يتعلق بالمعاني والالفاظ فلا وجه للاعتراض عليه بانه لو قال
لام كان اظهر فامر مشهور قد نبهنا على بعضه في اوائل الكتاب في فصل
فصاحته كما تقدم وكذلك اي مثل معرفته للغات العرب حفظه لكثير
من لغات العجم الامم غير العرب وهذا اترق في معرفته ودليل على انه
معجزة وموهبة ربانية كقوله في الحديث الذي رواه البخاري
عن ام خالد سنه سنه قاله صلى الله عليه وسلم لام خالد وهي
بنت خالد بن سعيد بن العاص وامها اميمة بنت خلف تزوجها الزبير
وهي صحابية ولدت بالحبشة وتربت بها وهي صغيرة ولذا تلطف النبي
صلى الله عليه وسلم وخاطبها بما تعرفه من لغتهم وان كانت عربية من صميم
العرب وقاله لها لانه اتى بثياب فيها خميصة صغيرة سوداء فيها
اعلام صفر وخضر فدعاها والبسها لها وقال لها ذلك كما فصله
البخاري وفيها لغات سنه سنه وسنا سنا بالقصر وسناه سناه مع
تخفيف النون وتشديدها وانكر بعضهم تخفيفها وروي بكسر سين
سنا فقول الكرماني انها عربية واصلها حسنة فحذفت حذف الحاء
كقوله كفا بالسيف شا اي شاهدا تاباه هذه الروايات وان الحذف
من الاسماء في غير ترخيم المنادى شذوذ ولم يعهد من الاول
وهي اي سنه بمعنى حسنه انتهى باعتبار الخميصة ولمناسبة سنة
لفظا بالحبشية اي فبلغة الحبشة وهم جيل معروف وقوله
صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان وغيرهما من طرق
في حديث الفتن المتقدم ويكثر الهرج بفتح الهاء وسكون الراء المهملة
وجيم وهو القتل بها اي بلغة الحبشة تفسيره صلى الله عليه وسلم وقال
ابن قرقول في المطالع تفسير الحديث بالقتل بلغة الحبشة وهو وهم
من بعض الرواة والا فهي عربية صحيحة واصل معناه اختلاط الناس
بعضهم ببعض ومنه لا يزال الهرج الى يوم القيامة والعبارة في الهرج
كهجره الى انتهى وهو رد لما قاله المصنف ولعل توهم انه تفسيره
مروي في الحديث ومنه يعلم انه ورد بمعنى الفتنة وما قيل
من انه المهرجان اسم يوم لانه يوم قتل يحيى بن زكريا لا وجه له لانه تعقب
انه فارسي ولم يقله احد وقيل انه من توافق اللغتين وهو اقرب
الى الصواب ان صحت الرواية فيه ومنه المثل هم في هرج ومرج والمعوج
بمعناه وتسكينه للازدواج وقد نظرفه القائل

• اني زمن الربيع فهاج قوم • الى الصهبا في هرج ومرج •

وقوله

وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث ابي هريرة الذي رواه
ابن ماجه عنه اشكنب درد وفي بعض الروايات اشكنب دروم بزيادة
ميم ساكنة واشكنب بهمزة مفتوحة وشين معجمة ساكنة وكاف عربية
مفتوحة ونون ساكنة وبا موحدة ساكنة وفسره المصنف بالبطن وفي
الفارسية بهمزة مكسورة وقد تفتح ويزاد بينها هاء فيقال شكنبه
بكسر الشين فعربت وغير لفظها ومعناها فان معناها الكرش عند
العجم ودرد بدالين مهملتين مفتوحتين بينهما راء مهملة ساكنة والميم
عندهم ضمير المتكلم وسيأتي ما فيه والصحيح اهمال الدالين واسقاط
الميم كما رواه ابن ماجه وضبطت الرواية عنه بانه قزويني اعلم
بلغته وثقة في الرواية كما قيل ان دال درد الاولى معجمة وهم من رواية
كرواية الميم لانه لا يناسب قوله اي وجع البطن فانه لو صح ذلك
قال اي وجع بطني وفسره غير بوجع بطنك والسب تركه لليم الا انه
يقال ترك معناه التعريب والذي رواه ابن ماجه شكم بشين مكسورة
وكاف مفتوحة وهو اصح لان شكم بالفارسية معناه البطن وفي سننه
قال ابو هريرة هجر النبي صلى الله عليه وسلم فهجرت وصليت ثم جلست
فالتفت الي وقال اشكم درد فقلت نعم يا رسول الله فقال قم فصل فان
في الصلاة شفا كذا صححه الشارح الجديد نقلا عن شيخنا ابن عبد الحق
السنباطي وغيره وهو الحق المعتمد فاعرفه فان شيخنا هذا خاتمة
الحفاظ بمصر واليه انتهى علم القراآت وله تاليف مشهورة رحمه الله
وروي اشكمب بكسر الهمزة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله
لابي الدرداء والمشهور الاول كما قاله التلمساني ولم يذكر وجه تكلمه
صلى الله عليه وسلم معه بالفارسية وهو ليس بعجمي فلعله اراد ستره
ولذا رواه قال ثم فسره لي وذكر البرهان بعض ما تقدم وقال
انه في بعض النسخ اشتغلت بالقاف وهو غريب ولم يسنده لرواية
فاعتمد على ما قدمناه وقوله بالفارسية اي باللغة الفارسية
نسبة لفارس بن كومرث وكومرث ابن سام او يافث وقيل انه ولد لصلبه
وقيل انه ادم عندهم ويقال لجنس الفرس وما تكلم به بالفارسية
لفظ سور في حديث جابر وهو الدعوة للطعام وبالفارسية العرس
الى غير ذلك اي مضمو ما ذكره من معرفته باللغات او من معارفه
التي لا تحصر مما لا يعلم بعض هذا او في نسخة بعضه فضلا
عن كله ولا يقوم به اي في حقه كله ولا ببعضه فضلا عن كله

ولا يقوم به اي توفي حقه كله ولا يعتقد تفصلا عن كله الا من مارس
الدروس اي عالجه واجتهد في حفظه ودراسته وتلقيه من اهله
وفي نسخة الدروس والعكوف على الكتب اي ملازمة مطالعتها ومد
والنظر فيها من الاعتكاف وهو ملازمة المكان فاستعاده لها ذكره فيما
تقدم دليل على جواز التكلم بغير العربية ولو بلا ضرورة خلافا لمن
ذهب لكراهته وروي فيه احاديث في ذاهبه لمن تكلم بالفارسية
نقصت مروءته وانه يورث النفاق وانه لسان اهل النار وحديث
الفارسية الدرية لسان اهل الجنة في الجنة ومثافنة اهلها مفاعلة
من ثفن ثفنته وثافنوه اي جالسهم وزاحمهم وهو ابلغ منه لانه من ثفنة
البعير اذا برك والثفنة ما غلظ لطول مسه للارض كالركبة والصدر
الدابة من ذوات الاربع يعني جلس بين يديهم للتعلم كالبعير البارك
على الارض وهذه هيئة المتعلم في ادبه وقال التلمساني هي المشقة
من ثافنته اعتمدت وفي شاقته بمثلثة وفاء وموحدة كما تقدم
انتهى وفي بعض النسخ مثافنته بنون وفاء ومثلثة اي باحثته
ونظر في الدقائق التي كنفاثات السحر وفيه نظر وفي بعض الشروح
ما لا يعجبه له هنا عمره منصوب على الظرفية متعلق بجميع ما قبله
اي نقل ذلك مدة عمره كلها ولم يترك طرفة عين وهو صلى الله عليه
وسلم رجل كما قال الله تعالى امي منسوب الى الام كأنه كما خرج من بطن
امه لم يتعلم وهو مبرور من كل عيب او الى امة العرب لانهم معروفون
به لكن كما قال الشاعر عمي خالي وابي وامي فقوله لم يكتب ولم يقرا
صفة كاشفة مفسرة وانما ذكر قوله كما قال الله تعالى تاديبا يعني لم
اصفه صلى الله عليه وسلم بهذا الا انا عالما وصفه الله به بقوله
ان اوحينا الى رجل منهم وهو ضد لما بعده وما قبله فلا يقال انه
ترك ادبه فانه مثله لا يقال له يا رجل كما لا ينادى باسمه فلله دره ما
ابعد مرماه ولا عرف بصحبة من هذا اي الكتابة والقراءة صفته
حتى يقال انه تعلم منه فهذه الصفة في حقه معجزة وفي حق غيره
نقص كما قال ۰ كفاك بالعلم في الامي معجزة ۰
ولا نشا اي لم يكن في اول نشاته وبكمال امره الى بعثته بين قوم لهم علم
اي معرفة بشيء من العلوم لانهم من الجاهلية ولا قراءة لشيء من هذه
الامور اي الكتب وغيرها لانهم لم يكونوا اهل كتاب ولا عرف هو
صلى الله عليه وسلم قبل بشيء على القسم اي قبل بعثته وظهور معرفته

بما ذكر بشيء منها اي مما ذكر من المعارف اللدنية ثم استدل على ذلك بقوله
قال الله تعالى وفي نسخة عز وجل وما كنت تتلوا من قبله اي القرآن
وما علمك الله من كتاب ولا تخطه بيمينك اي بيدك اليمنى التي يكتب
بها وهو تأكيد وتصوير وبين الله علة ذلك بقوله اذا لارتاب المبطلون
اي شكوا وقالوا تعلمه ممن قراه وكتبه ثم بين حال قومه في عدم ما ذكر
بقوله انما كانت غاية معارف العرب اي ما انتهى اليه علمهم ه
النسب اي معرفة انساب قبايلهم الى احداثهم الى اجدادهم واخبار
اوايلها اي ما وقع لابايهم واسلافهم من الحروب والوقايع والشعر
اي حفظ شعر من قبلهم من الفصحاء بدوا المقطعات والابيات
والبيان ليس المراد به علم البيان المعروف لانه امر حدث كانوا في غنى
عنه بالسليقة ولا ثمرة علم البلاغة كله كما توهم ايضا وانما المراد به
المنطق الفصيح المعرب عما في الضماير وعني به الخطب والرسايل ونحوها
من الكلام المنثور الذي كانوا ايده كونه في محافلهم لمقابلته للشعر وهو
المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم ان من البيان سحرا وانما حصل
ذلك لهم اي معرفة النسب وما بعده بعد التفرغ لعلم ذلك اي
مع ذلك لم تكن علمهم بما ذكر الا امرا زائدا واكتسابا وصرف زمان لكسبه
حتى عرف به بعضهم دون بعض فكان يقال فلان نسابة وفلان راوية
ونحوه والاشتغال بطلبه ومباحثة اهله عنه بالسؤال عنه
والحفظ له ولم يتعهد منه اعتنا بذلك في اول امره وهذا الفن
اي النوع الذي كانت العرب تعرفه وتعتني به نقطة من بحر علمه
صلى الله عليه وسلم اي اقل قليل بالنسبة لما ظهر من علمه لهم ه
ونقطة استعارة وبحر علمه استعارة او كلجين الماء ولا سبيل الى
جحد الملحد اي لا يمكن الكفرة المايلين عن الطريق المستقيم انكاره
وهو اشارة لتفسير قوله اذا لارتاب المبطلون لشيء مما ذكرناه
من معارفه متعلق بجحد واللام زايدة للتقوية ولا وجد الكفرة
حيلة بوجه ونهايتهم تلبيسا في دفع ما قصصناه مما تقدم تفصيله
الا قولهم اساطير الاولين استثنا متصل لانه مما احتالوا به على بعض
ضعفا العقول او منقطع لانه لا حيلة فيه وهو جمع اسطورة كاحدوثة
او جمع اسطار جمع سطر او اسطر او اسطور اي هي ما تلقاه من غيره
وتعلمه فرد الله قولهم المذكور وابطله بقوله لسان الذي يلحدون
اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين اي لسان من ادعوا انه تعلم منه

منه لسانه عجمي فكيف يمكن تعلمه اي التعلم منه ومعنى يلحدون يميلون عن
مقالتهم هذه ثم قالوا من انه تعلمه من رجل اعجمي مكابرة للعيان بكثير الغين
ولا تفحج فيه كما مر والمكابرة الانكار من غير دليل واصل معناه هجوم
السارق نهارا اي مغالبة في المحسوس لا تقيد فان الذي نسبوا
تعليمه له صلى الله عليه وسلم بزعمهم الباطل اليه متعلق ب
نسبوا اي اسندوه له اما سلمان الفارسي الصحابي المشهور رضي الله
الله عنه لانه كان عنده صلى الله عليه وسلم او العبد الرومي وهو
يحلبش غلام حويطب بن عبد العزى الرومي وكان ممن قرا الكتب
ثم اسلم وسياتي تفصيله وسلمان انما عرفه بالمدينة بعد
الهجرة وعلومه صلى الله عليه وسلم ومعارفه هذه كانت ظاهرة قبل
ذلك فكيف انه كان تعلمه وبعد نزول الكثير من القران حتى هذه
الاية وبعد ظهور ما لا يعد لكثرته من الايات الغرائب والعلا
الدالة على نبوته من المعارف المذكورة الدالة على ابطال زعمهم واما
العبد الرومي فكان اسلم قبل الهجرة ولكنه كان يقعد على النبي صلى
الله عليه وسلم ويتعلم منه فكيف يقال انه يعلمه واختلف بالبنا للمجهول
اي اختلف المحدثون في اسمه كما سياتي في كلامه فقيل انه بلعام او يعيش
او جبر او يسار اما بلعام فموحدة مكسورة وقول البرهان انها مفتوحة
لا اصل له ولام ساكنة وعين مهملة والف وميم ويعيش يعني انه بفتح
التحتية وعين مهملة وتحتية ساكنة وشين معجمة ذكره الذهبي
في الصحابة وقال انه غلام المغيرة وهو الذي نزل فيه انما يعلمه
بشر وجبر ياتي ايضا انه بجيم مفتوحة وموحدة ساكنة
وراء مهملة قال البرهان لم اقف عليه في الصحابة وكذا يسار
بفتح التحتية المثناة وسياتي تتمة لهذا في محله وقيل
بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس عنده اضراب عن اسلامه
وقراءته عليه الى انه كان عبدا روميا يحترف بصقل السيوف
عند المروة مع الناس فكيف قالوا انه تعلم منه وهو لم يجلس معه ولم يعرف
وقيل المخالفة بينه وبين الاول فانهما كان يجلس عند الاخر
فالاضراب انتقالي او ابطالي وكلاهما اي سلمان والغلام الرومي
اعجمي اللسان اي لسان كل منهما فيه عجمة وهم اي الطاعنون فيه بما ذكر
واسناد التعلم له الفصحا اللد جمع الد وهو الشديد الخصومة
ويجمع على لداد ايضا من اللدد وهو العنا وفي الحديث ابغض الرجال

الى الله الالد الخصم وهم الخطبا جمع خطيب وهو من يقوم على روس القوم
بكلام بليغ ملزوم مفحم ولا يشترط فيه ان يكون سجعا وقد كان للعرب في كل قوم
منهم خطبا معروفون بالبلاغة وارتجال الكلام الجزل اللسن بضم اللام
وسكون السين جمع لسن ككتف وهو الفصيح اللسان الطلق البيان وقيل
جمع السن فلا انهما بمعنى كما قيل بفتح الجيم وكسرها وقد عجزوا عن
معارضة ما اتى به اي مقابلته بكلام يحكيه والاتيان بمثله عطف تفسير مع
تحديه وطلبه منهم وتقريعهم بل عجزوا كلهم عن فهم وصفه ومعرفة كنه
بلاغته ووجه اعجازه ونظمه فتارة قالوا هو شعر وتارة قالوا انه سحر
وكهانة والحق يكذبهم في الفصاحة تنادي على فصاحتهم وصورة تاليفه
اي عجزوا عن فهم صورة تاليفه ونظمه المحكم فانه لا يشبه كلام البشر والتاليف
اخص من التركيب لانه تركيب مع الفة ومناسبة وفي اكثر النسخ رصفه
بالراء المهملة جمع رصف بفتحتين وهو في الاصل وضع بعض الحجارة على
بعض فاستعير لترتيب الكلام المتين المحكم وفي بعض النسخ ونظمه
وهو وما قبله معطوف على وصفه ويجوز عطفه على معارضته والاول
اقرب والنظم مستعار من نظم الدر لتناسق الكلمات التي هي كالجواهر وما
بعد بل ترق في العجز ومغايرته لما قبله ظاهرة لا تحتاج لتوجيه الا عند
عدم الفهم فكيف هي للاستفهام عن الحال والوصف المبهم ويراد بها
التعجب نحو كيف تكفرون بالله وقوله باعجمي متعلق بمقدر اي كيف الظن
باعجمي ومثل هذا تركيب شايع في كلامهم لقولهم كيف بك اذا اتاك الكن من
اللكنة وهي عدم افصاح اللسان وبيان النطق نعم بفتحتين وقد تكسر
عينه ويقال نعام ايضا في لغة وهي كلمة تقع في جواب الكلام الموجب
وقد تقع في ابتدا الكلام كما هنا فكانها جواب سؤال مقدر وفي غير جواب
كما يقال لمن طرق الباب نعم نعم وعليه حمل قول بعضهم نعم واريد الهلال كما تراه
كايا في وقال بعضهم انها زائدة في مثله وفيه كلام لم يحضرني الان وقد كان
سلمان الفارسي رضي الله عنه او بلعام وهو الغلام الرومي بفتح البا
الموحدة على ما تقدم والمشهور كسرها ويقال بلعم ايضا وهو اسم الغلام
الرومي او يعيش بفتح المثناة التحتية وعين مهملة ويا تحتية وشين معجمة
علم منقول من المضارع او جبر بفتح الجيم وسكون البا الموحدة وراء مهملة
وهو عبد الفاكه بن المغيرة وقيل لعبد الحضرمي فقيل ان سيده كان
يضربه ويقول له انت تعلم محمدا فيقول لا والله بل هو يعلمني ويهديني
او يسار بفتح المثناة التحتية وهذا المذكور مبني على اختلافهم في اسمه

كما تقدم بين اظهرهم خبر كان اي مقيما بينهم يعرفونه ويقال ظهرانيهم بالف
ونون مفتوحة كانه لاستناده اليهم ظهره وراه وظهره قدامه ثم كثر فشاع
في الاقامة بين قوم يخالطهم يحلونه مدة اعمارهم اي في جميع مدة اعمارهم
يخالطهم ويكلمهم ويخالطونه فكيف لا يعرفون حاله وهو استدلال على كذبهم
واصل معنى المدة الغاية ويطلق على جميع المدة المدة الطويلة كما في النهاية
وذكر الماوردي ان غلامين نصرانيين من عين التمر احدهما يسار والاخر جبر
كانوا يسندون لهما ما ذكر وقيل غير ذلك فهل حكي عن واحد منهم
اي من الكفرة شي من مثل ما جا به محمد صلى الله عليه وسلم يقتدر به نقله
عن هذين فان كان صبرا منهم لسلمان والغلام فهو للتعبير عن المثنى بضمير
الجمع نحو او في نسخة من مثل ما كان يجي به وهل عرف واحد منهم بمعرفة
شي من ذلك الذي جا به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الايات الباهرة
وهو كالذي قبله وما منع العدو حينئذ اي حين حضورهم معه على
كثرة عدده بفتح العين اي اي مانع لهم مع كثرتهم وحرصهم على تكذيبه
وفرط طلبه بدال مهملة وهمزة وواو وموحدة مصدر بوزن ه
العقود من الدأب وهو الجد والتعب يقال دأب اذا التعب ثم صار بمعنى
العادة المسببة عن ذلك وصار حقيقة فيه وقوة حسده بحا
مهملة وهو ما يبعثهم على الطلب وتحثهم ان يجلس الى هذا الذي
زعموا انه يعلمه فياخذ عنه اي يتلقى بتعلمه منه ايضا اي كما تعلم
منه النبي صلى الله عليه وسلم على زعمهم الفاسد ما يعارض به ما جا به ويعلم
ما ينجح به اي يجعله حجة ودليلا على شغبه اي الحاجة في حضوره دعا
وتهييج الشر يقال شغب به وعليه وهو بفتح الغين ه
المعجمة هنا لو توعم فانه لقوله طلب وهو لغة فيه كما في القاموس
وغيره وتسكن ايضا وهي اللغة المشهورة فيه ومن انكر الفتح زاعما
انه لغة عامية كالحريري لم يصب مع ان الكوفيين يجوزون تحريك كل
ما عينه حرف حلق كالشعر على انه لو صح ما قاله قلنا له انه ازدواج
وتشاكلة وحرفه بعض لشيعته كفعل النضر بن الحارث
وهو من كفار قريش وكان ذهب الى الحيرة ليتعلم منهم اخبار ملوك
الفرس رستم واسفنديار فكان اذا قرا النبي صلى الله عليه وسلم القرآن
وقص قصص الامم وحذرهم ما وقع جلس النضر بين قريش وقص عليهم
قصص ملوك الفرس وقال انا احسن مما جا به محمد وهو الذي
نزل فيه ومن قال سانزل مثل ما انزل الله الاية ثم انه لم يزل كذلك مصرا

علي

يجي

علي عداوته صلى الله عليه وسلم حتى اظفره الله عليه فقتل كما ذكره في السير
بما كان يخرقه متعلق بفعل ويخرق بمعنى يكذب والمخرقة لفظة مولدة ومعناها
افتعال الكذب بينها بما اخذوها من المخراق وهي خرقة يلعب بها من برقص
وهذه لفظة عربية فيما زايدة تصرف فيها المولدون وتوهموا اصالة
ميمها كما في قولهم تمسكن ويخرقه بضم التحتية وفتح الميم وخا معجمة
ورا مهملة وقاف به من اخبار كتبه الذي كان ياتي به ويقصها عليهم ه
ولا غاب النبي صلى الله عليه وسلم عن قومه ولا خرج من بلده الى بلد بعيدة
اقام بها اقامة يحتمل انه لقي بها من تعلم به وهذا معطوف على قوله
ولا عرف الخ ولا يضره طول الفصل وما اعترض بين المعطوفين ولا كثرة
اختلافاته اي رواحه ومجيئه مرارا عديدة يقال فلان يختلف الى
بلد كذا اي يسافر ويذهب اليها لانها مخالفة لمقره المعروف الى اهل
الكتاب وهم اليهود والنصارى والتعبير بالكثرة اشارة الى انه صلى الله
عليه وسلم وقع له مرتين الا انه فيهما لم يفارق رفقاه من قومه ولم يقم عند غيرهم
حين سافر الى الشام كما ياتي فيقال انه استمد منهم اي طلب المدد والاعانة
من اهل الكتاب بتعليمه لشي مما كان يتلوه على قريش بل لم يزل مقيما عندهم
بين اظهرهم في وسطهم مختلطا معهم وتقدم انه يقال بين اظهرهم وظهرانيهم
يرعى ضبطه بعضهم بضم المثناة التحتية اي يلاحظ ويحفظ فهو مرعي منهم
وهو مما لا يخفى امره عليهم وبعضهم فتحه وجعله من رعاية الغنم والمواشي
وهو المناسب لقوله في صغره اي وهو طفل وشبابه اي بعد ما بلغ وصار
شابا وكان من ذهب الى الاول انف من جعله صلى الله عليه وسلم راعيا
ولكنه وقع ذلك له ولغيره من الانبيا عليهم الصلاة والسلام ولم يكن
معيبا عندهم وهو اقوى في اثبات مدعاه لان من يرعى يكون في الغالب
معتزلا عن الناس بعيدا عن التعلم ثم لم يخرج من بلادهم بعد ما شب وبلغ
اربعين ما وجد وعرف حاله الا في سفرة واحدة او سفرتين الى بلاد الشام
مرة مع ابي طالب ورده من طريق باشارة بحيرا الراهب كما مر ومرة
في تجارة لام المومنين خديجة رضي الله عنها مع غلامها ميسرة فلم
ينفرد عن اهل بلده لا ابتدا سفر ولا اقامة ولم يترددا المصنف في السفرتين
حتى يرد عليه قول البرهان ان السفرتين محققين كما في السير فكان
ينبغي ان يقول الا في سفرتين جزما لانه السفرة الاولى لما رده فيها
عمه ابو طالب من الطريق كانت كالعدم فانه يقال لمن رجع انه لم يسافر
فلا وجه للاعتراض عليه ومثله لا يخفى واما ذهابه صلى الله عليه وسلم

ابن انبر

ثم من رضعته حليمة لبني سعد فلا نجد ثمة سفرا لاسيما والمراد سفر
خاص له بار اهل الكتاب وسفره بمكة التعلم منه وكذا ذهابه صلى الله عليه
وسلم الى الطائف الى بني عبد ياليل فانه لقربه لا يعد سفرا واهلها جهلة
اهل شرك لا علم عندهم يعلمونه وقوله لم يطل به اي في حلول السفر
مكثه اي اقامته وهو بفتح الميم وضمها مدة تحتمل فيها اي في المدة
تعليم القليل وتعلمه من علم وغيره فكيف الكثير الذي كانوا يعترفون
منه وهو اشتغالهم بانكاره ينفيه بطريق برهاني ثم اكده فاثبت
مدعاه بقوله بل كان في سفره في صحبة قومه لم يفارقهم ولم يخالط
غيرهم طرفة ورفاقه بفتح اوله مصدر كالسماحة بمعنى المرافقة
وهي الاجتماع في السير والسفر من المرفق لان كلا منهما يرتفق بصاحبه
عشيرته اي قومه وقبيلته من العشرة وهي الاختلاط قال في القاموس
عشيرة الرجل بنو ابيه الادنون او قبيلته لم يغب عنهم ويفارقهم
مفارقة يحتمل ملاقاة اهل الكتاب وتعلمه منهم ولا خالف حاله
التي نشأ عليها وعرف بها مدة مقامه بضم الميم مصدر بمعنى الاقامة
بمكة الى ان هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة وفاعل خالف
ضمير يعود له صلى الله عليه وسلم وحاله مفعوله وقوله من تعليم
بيان لمقدر في قوة المذكور لعلمه مما قبله اي ما خالفه لامر آخر من
تعليم الخ والتبست من زايدة في الفاعل ومحله رفع كما قيل
واختلاف اي مجي وذهاب فاصله مجي القوم بعضهم خلف بعض ه
فاستعمل المقيد في المطلق ومنه اختلاف الليل والنهار الى حبر
بكسر الحاء وفتحها وهو العالم من علماء اليهود او منجم اي عالم بالنجوم
واحكامها او قس بفتح القاف كما في القاموس وغيره واشتهر ضمه
وذكره ابن السيد في المثلثات رئيس علما النصارى او كاهن
وهو من العرب من يخبر عن المغيبات بواسطة جن ونحوه فاستوفى
اقسام من يمكن التعلم منه من انواع الناس ثم ترقى في ابطال
ما قالوه فقال بل لو كان هذا اي لو فرض خلاف ما ذكر من حاله صلى
الله عليه وسلم بان فرضنا اسفارا كثيرة له ومكثا مع اهل الكتاب
واختلافا للقسيسين والاحبار بعد مبني على الضم والتقدير بعد
ثبوت خلافه لانه نشأ بين اظهرهم يرعى في صغره وشبابه كما قيل
فانه غنم منا سبب لمن تامل كلامه كله لهاله ما اتى به صلى الله عليه وسلم
من معجز القرآن الذي لا يشبه شيئا من كلام البشر قاطعا لهم عذرهم

اعتذروا

اعتذارا بدعوى مخالفتهم له عنادا او بغيا منهم وجعله عذرا انما الى انهم
معترفون بجرمهم بدلالة الحال ومدحضا اي مزيلا ومبطلا من الادحاض
وهو الازلاق ففيه استعارة مكنية لتشبيههم بمن زلت قدمه لمشيه في اوحال
الشوك لكل حجة تشبثوا بها وهي اوهى من بيت العنكبوت وفي نسخة
لكل شبهة ومجليا بضم الميم وفتح الجيم وكسر اللام المشددة ويجوز
تخفيفها وتسكين الجيم وقال البرهان انه بضم الميم وسكون الخا المعجمة
وظاهرها فرس اه اي موضحا وكاشفا او مزيلا ومبعدا لكل امر
عليهم تخيلوه وتلبيس اختلقوا به فصل ومن خصائصه
صلى الله عليه وسلم التي خصه الله بها عن غيره من الرسل عليهم الصلاة
والسلام وسائر الخلق وكراماته التي اكرمه الله بها وشرفه وباهر
اياته اي ظاهر علامات نبوته ومعجزاته والجار والمجرور خبر مقدم ه
للحصر والاعتنا وقوله انباؤه بفتح الهمزة جمع نبا وهو الخبر
اي اخباره الصحيحة الواقعة له صلى الله مع الملائكة والجن وامداد
الله له بالملائكة بكسر الهمزة مصدر امده امدادا من المدد قال
الراغب امددت الجيش بمدد والانسان بطعام واكثر ما جا الامداد
في المحبوب والمد في المكروه نحو وامددناهم بفاكهة ونمد له من العذاب
مدا انتهى اي ارسال الله الملائكة عليهم الصلاة والسلام مددا له صلى
الله عليه وسلم واعانته كما سياتي وطاعة الجن له بانقيادهم وائتلافهم
لا بامداده ولذا خالف في العبارة بينهم وبين الملائكة ورؤية كثير
من اصحابه لهم اي للملائكة والجن كما سياتي ولا وجه لتخصيصه
بالجن ثم ابتدا بما ثبت مما قاله من القرآن فقال قال الله تعالى
وان تظاهرا اي تتعاونا عليه اي النبي صلى الله عليه وسلم
بما يسوؤه فان الله هو مولاه اي ناصره ومعينه وجبريل وصالح
المؤمنين الاية ابو بكر وعمر معطوف على محل اسم ان فيكونون ناصريه
الاية اي والملائكة بعد ذلك ظهير وضمير تظاهرا لحفصة وعائشة
ام المؤمنين والاية وسبب نزولها وتفسيرها مبسوط في محله
وقد تقدم في اول الكتاب بعض منه وقال تعالى اذ يوحي ربك
الى الملائكة اني معكم بنصري وتاييدي فثبتوا الذين امنوا ه
بالقتال معهم وتقوية قلوبهم بوعدهم بالنصر وظهورهم على اعدائهم
وهذا كان ببدر وقد كثروا عدد المشركين وعددهم وقلة المسلمين
وضعفهم وهو تعالى يؤيد من يشا بنصره وقال في قصة بدر

عليه وسلم

اذ تستغيثون ربكم تطلبون غوثه واغاثته فاستجاب لكم اجاب
دعاكم واخبر وعده لكم اني ممدكم الاية اي اقراها الى اخرها اي اني
ممدكم بالف من الملائكة مردفين اي متتابعين وقال تعالى واذ صرفنا
اليك نفرا من الجن يستمعون القران الاية اي املناهم واوصلناهم
اليك والنفر ما دون العشرة وهو لاجني تصغيره وهذا كان ببطن
نخلة في منصرفه صلى الله عليه وسلم من الطائف وقد ذكر هولاء النفر
وعددهم واسماهم في مفصلات التفسير واجتماع الجن به صلى الله عليه
وسلم وقع مرتين بل اكثر وهو شاهد على انه صلى الله عليه وسلم مرسل
للجن ولا شبهة فيه ولا خلاف عند من يعتد به حدثنا سفيان
ابن العاصي الفقيه تساعي عليه تقدم بيانه وبيان السماع ورتبته
قال حدثنا ابو الليث السمرقندي تقدمت ترجمته قال
حدثنا ابن سفيان هو ابراهيم ابن محمد بن سفيان راوي صحيح مسلم
عنه وترجمته معروفة قال حدثنا مسلم القشيري النيسابوري
صاحب الصحيح الصحيح المشهور قال حدثنا عبيد الله ابن معاذ
ابو عمر العنبري الحافظ الفصيح الثقة توفي سنة ثمانين وسبع
وثلاثين واخرج له اصحاب السنن قال حدثنا ابي معاذ ابن معاذ
التميمي الحافظ قاضي البصرة واليه انتهى علم الحديث بها توفي سنة مائة
وستة وتسعين واخرج له اصحاب السنن ايضا قال
حدثنا شعبة تقدمت ترجمته ايضا قال حدثنا سليمان الشيباني
ابن اخي سليمان فيروز او خاقان الشيباني بالمعجمة مولاهم الكوفي
الحافظ الثقة توفي سنة ثمان وثلاثين او احدى او اثنتين واربعين
وقول الواقدي وابن كثير سنة تسع وعشرين غلط واخرج له
الائمة الستة سمع زر بكسر الزاي المعجمة وتشديد الراء المهملة ابن
حبيش بالتصغير بحاء مهملة وموحدة وشين معجمة وهو ابو مريم الاسدي
ادرك وسمع عليا وعمر رضي الله عنهما وعاش مائة وعشرين سنة
وتوفي سنة اثنتين وثمانين واخرج له الستة عن عبد الله ابن مسعود
الصحابي المشهور وهذا التفسير اخرجه مسلم والترمذي والنسائي
موقوفا والذي ذكره المصنف رواية السنن وقال الترمذي انه حسن
صحيح ولفظه قال تعالى لقد راى من ايات ربه الكبرى قال
ابن مسعود رضي الله عنه في تفسيره وهو موقوف له حكم الرفع راى
جبريل في صورته الاصلية التي خلق عليها له ستمائة جناح الكلام ه

جواب

جواب قسم مقدر اي راى الاية الكبرى من ايات ربه والكبرى اسم تفضيل مؤنث
اكبر ومن تبعيضية وفيه ايماء الى انه راى ربه وهو قول الاكثر فقد راه
بعيني راسه وهو مذهب ابن عباس وارتضاه الاشعري والنووي وما
نقل عن عائشة رضي الله عنها من انكاره فقيل ان الذي قالته كما في مسلم عن
مسروق انه قال كنت متكئا عند عائشة فقالت يا ابا عائشة ثلاث
من تكلم بواحدة منهن فقد اعظم على الله الفرية قلت ما هن
قالت من زعم ان محمدا صلى الله عليه وسلم راى ربه فقد اعظم على الله
الفرية قال وكنت متكئا فجلست فقلت يا ام المؤمنين انظريني ولا
تعجلي الم يقل الله عز وجل ولقد راه بالافق المبين ولقد راه نزلة اخرى
فقالت انا اول من سال عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال انما هو جبريل لم اره على صورته غير هاتين المرتين رايته منهبطا
من السماء سادا عظم خلقه ما بين السماء والارض الحديث فليس فيه نفي
رويته لربه وانه صلى الله عليه وسلم ذكر لها ذلك وقد تقدم جميع ذلك
مع ما فيه وقد ذكرها انه راى جبريل وله ستمائة جناح سدت ما بين السماء
والارض والعدد لا مفهوم له فلا ينافي ان يكون اجنحته تزيد على ذلك فان
الملائكة اجسام مجردة قابلة للتشكل والخبر اي الحديث الصحيح المنبه
مع جبريل صلى الله عليه وسلم مع جبريل واسرافيل وغيرهم من الملائكة
اعاد ضمير الجمع على المثنى تعظيما لهما تنزيلا لهما منزلة الجماعة او لتنزيل تعدد
الصور الذي يشير اليه ما قبله وبينه بقوله بعده وما شاهده من كثرتهم
وعظيم صورهم ليلة الاسرا مشهور وفي نسخة وصورة بعضهم وحديث
الاسرا ورويته صلى الله عليه وسلم الملائكة والانبيا مشهور وتقدم طرف
منه ورويته للملائكة كملك الجبال وملك المطر واسرافيل صحيح مشهور
ايضا ومن اراد تفصيله فلينظر كتاب السيوطي المسمى بالحبائك في اخبار
الملائكة فانه كتاب جليل في بابه وفيه عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عيره المشركون بالفاقة اي الفقر
وقالوا ما انصفه الله من قولهم مال هذا الرسول ياكل الطعام الاية حزن
لذلك فنزل عليه جبريل وقال رب العزة يقريك السلام ويقول لك
وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام الخ فبينما جبريل
والنبي صلى الله عليه وسلم يتحدثان اذ ذاب حتى صار مثل البردة وهي
العدسة فقال له صلى الله عليه وسلم ما لك يا جبريل فقال فتح باب
من ابواب السماء لم يفتح قبل ثم عاد لحاله وقال ابشر يا محمد هذا رضوان

خازن الجنة فاقبل رضوان وسلم وقال يا محمد رب العزة يقرئك السلام
ومعه سفط من نور يتلألأ ويقول لك هذه مفاتيح خزائن الارض فنظر
لجبريل كالمستشير فضرب جبريل بيده الارض وقال تواضع لله عز وجل
فقال يا رضوان لا حاجة لي في الدنيا فقال اصبت اصاب الله بك ويروى
ان هذه الاية انما اتى بها رضوان تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك
جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا **اقول** ومن هذا
علم انه لم ينزل بالقران الا جبريل غير هذه الاية والسر فيها ذكر ان نزول
رضوان وهو مالك الجنان وتخييره دون بقية الملائكة علم منه جبريل
ان الله اراد له صلى الله عليه وسلم ما هو ارقى من ذلك في الجنة
وانه لم يرض محبوبا لدنيا الفانية ان يكون له ولو اراد خلافه اتاه ملائكة
الارض ومن له التصرف بها كاسرافيل والا جبريل عليه الصلاة والسلام
لا يقول شيا برايه ولا يفعل الا ما يؤمر به فانهم **وقد راهم** ايه الملائكة
بحضرته اي في مجلسه صلى الله عليه وسلم فالحضرة مصدر حضر يحضر
اذا جاء وقدم ويجوز فيه تجوزا مشهورا عن مكان الحضور نفسه ويستعمل
للتعظيم في صاحب المجلس فيقال الحضرة العالية تامر بكذا كالمقام
كما يكتبه اصحاب الرسائل **جماعة من اصحابه في مواطن** جمع موطن وهو
محل الوطن وهو هنا المطلق المكان مجازا مرسلا **مختلفة** اي متعددة واصل
معناه المتغايرة فاستعمل في لازم معناه وقد تقدم بعض من روية
الصحابة للملائكة عنده صلى الله عليه وسلم وفي بعض النسخ **فراه**
اصحابه جبريل في صورة رجل يسأله عن الاسلام والايمان والاحسان
وعن الساعة وهو اشارة الى الحديث الذي في اول البخاري في الكلام
عليه وعلى الفرق بينه وبين الاسلام تفصيل في شروحه
وراه اي ابن عباس واسامة بن زيد **وغيرهما** من الصحابة كعائشة
وام سلمة وعمرو وحارثة **عنده** صلى الله عليه وسلم **جبريل في صورة**
دحية ابن خليفة الكلبي الصحابي الجليل المشهور توفي في خلافة معاوية
وكان من اجمل الناس واجلهم ولذا كان جبريل عليه الصلاة والسلام ياتي
على صورته رضي الله عنه ودحية بفتح الدال وكسرها ومعناه الرئيس
بلغة اليمن وتمثل الملك مع عظم خلقته الاصلية بصورة صغيرة لتداخل
بعض اجزائه ولا بازالتها ثم اعادتها كما قيل بل لانهم انوار لطيفة
قابلة للتشكل والانضمام والانتشار كما يشاهد في اللهب في هبوب الرياح
وقول امام الحرمين انه كالقطن المنفوش تمثيل وتقريب للمعقول ايضا

فلا

فلا ينقلب حقيقة اذا تمثل رجلا كما نبينا لمن يخاطبه ولا بعد في ان يخص
الله بعض الانفس القدسية الملكية بقوة يقتدر بها على التصرف في بدنه
كما يريد كما قيل ان الابدال سموا ابدالا لانهم كانوا يرون لهم في بعض
الامكنة شبحا يقوم مقامهم لقدرة ارواحهم القدسية على التصور بصورهم
وهو المسمى بعالم المثال وفيه كلام في كتب الاصول والحكمة وبعض اهل
الشرع ينكره وتبعهم شارح المقاصد وقوله في صورة دحية بتقدير مضاف
اي في مثل صورة دحية ومما قيل انه تمثل لتمكنه منها واستقراره
فيها استقرار المظروف في ظرفه تكلف لا حاجة اليه لان مثله للشمول
والاحاطة يعد ظرفا حقيقة في العرف ورؤية ابن عباس رضي الله عنهما
له مرتين رواها الترمذي ورؤية اسامة لم يروها الشيخان عنها فقول
الشارح الحديث متفق عليه ناش من قصور النظر **وراى** ابن ابي وقاص في
حديث رواه الشيخان **على يمينه ويساره جبريل وميكائيل**
[illegible] **في صورة رجلين عليهما ثياب** تسميتهما وقع في الحديث
عن غير واحد وهذا كان يوم احد وقد قاتلا معه صلى الله عليه وسلم
قال النووي في شرح مسلم هذا اثبات كرامة الله به وفيه رد لمن قال
ان الملائكة لم تقاتل بغير بدر وقد صح انهم قاتلوا بحنين وهذا
هو الصواب وقال القرطبي في تفسيره لم تقاتل الا ببدر ووعد الله
المؤمنين باحد ان صبروا واتقوا ان يمدهم بالملائكة فلم يصبروا
فلم يمدهم وكان للنبي صلى الله عليه وسلم ملكان يقاتلان عنه واما في
الحديث دليل على ان رؤية الملائكة لا تختص بالانبياء عليهم الصلاة
والسلام بل تراهم الصحابة والاولياء **ومثله عن غير واحد** اي روي مثل
ما في هذا الحديث عن ناس كثيرين من طرق متعددة **وسمع بعضهم** اي
بعض الصحابة وغيرهم من الحاضرين **زجر الملائكة** زجرها اي
لخيلها على الجري بصوت **يوم بدر** اي وقتها حين القتال وهذا
رواه ابو نعيم والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رجلا من غفار
قال اقبلت انا وابن عم لي ونحن مشركان فصعدنا على جبل مشرف على بدر
ننتظر الوقعة وننظر على من تكون الدبرة فبينا نحن اذ دنت سحابة
فيها حمحمة خيل فسمعت قائلا يقول اقدم حيزوم فمات ابن عمي من خوفه
وكدت اهلك وحيزوم منادى اسم فرس الملك بالميم وروي حيزون بالنون
والصحيح الاول **وبعضهم راى تطاير الرؤوس** اي سرعة وقوعها بخفة
كطائر طار عن مقره وهذا رواه البيهقي عن سهل بن حنيف وابي داود

والتقى من الكفار في يوم بدر ولا يرده الضارب لانه ملك خفي عليهم
وبعضهم رآه وعرفه وقدره وكلاهما في احاديث ذكروها ويجوز ان تقول
ان التطاير استعارة شبهه بطاير وحمام طار من برج بدنه بنفسه
كانه ليس جزءا منه بدليل قوله ولا يرده الضارب والضرب قال ابو داود المازني
اني لاتبع رجلا من المشركين يوم بدر لاضربه فوقع راسه قبل ان يصل
اليه سيفي وكانوا يعرفون قتلى الملائكة بان بهم سمة نار تتجوه ورأى ابو
سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب قبل اسلامه يوم بدر انه يوم بدر
رجالا بيضا وجوههم ثيابهم على خيل بلق اي فيها بياض مع لون اخر
ما يقوم لها شيء اي لا يمكن ان يقاوم شدتها ذنبا لها شيء غيرهم قيل
او كثر لما راه من مهابة بطشها وسرعته وقيل ان الراوي لذلك
سهيل بن عمرو كما رواه البيهقي وهو مخالف لما رواه المصنف هنا وهو
هكذا في تخريج السيوطي لاحاديث هذا الكتاب وفي الشرح الجديد
انه رواه ابن اسحاق في سيرته ونقله في حديث طويل في مهلك ابي لهب
والعهدة فيه عليه قد كانت الملائكة تصافح عمران ابن حصين
بالكفاية الذي رواه مسلم انها كانت تسلم عليه ولا منافاة بينهما
فان الملاقيين يستحب لهما السلام والمصافحة تحية واكراما لان السلام
اما لان المصافحة تسليم يده له فهو اما لفظا ومعنى وحيا وعمران
ابن حصين هذا هو الصحابي الخزاعي رضي الله عنه وحصين علم منقول
من مصغر حصن وهو كان افضل من ترك البصرة توفي في خلافة
معاوية سنة اثنين وخمسين ومصافحة الملائكة له مشهورة في
الكتب المعتمدة في صحيح مسلم مسندا الى مطرف ان عمران رضي الله عنه
قال له كانت الملائكة تسلم علي حتى اكتويت فتركت الملائكة السلام علي
ثم تركت الكي فعادوا وقال له اكتم مادمت حيا قال النووي رحمه الله كان
به بواسير فاكتوى لها لقطع دمها وكان عظيم الصبر والتوكل وفي
العلاج ترك التوكل فلذا انقطعت الملائكة السلام عليه والا فالكي ليس
محرما الا قيل بكراهته اذا امكن العلاج بغيره كما ورد في المثل اخر الدواء
الكي ويروى انه كان يسمع في داره السلام عليه من غير ان يرى اهل الدار
المسلم كما ذكره الترمذي وهذا وان كان خارجا عما عقد له الفصل من
رؤية النبي صلى الله عليه وسلم الملائكة ورؤية الصحابة لهم عنده
فهو يعلم منه المقصود بالطريق الاولى او هو استطراد ورأى النبي صلى
صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البيهقي مرسلا عن عامر بن ياسر

رضي

رضي الله عنهما ورأى بصرية تعدت بالهمزة لمفعولين اولهما حمزة ابن عبد
المطلب عمه صلى الله عليه وسلم وفي نسخة لحمزة باللام فهي زايدة كما في ردف
لكم وثانيهما جبريل في الكعبة اي في داخلها او عندها فخر مغشيا عليه
خوفا من مهابته لانه رآه على صورته نقله ذلك البيهقي وطبقات ابن سعد
عن عامر بن ياسر ان حمزة رضي الله عنه قال يا رسول الله ارني جبريل على
صورته قال انك لا تستطيع ان تراه قال بلى فارنيه فقال له اقعد فقعد
فنزل جبريل على خشبة كانت في الكعبة فقال له ارفع طرفك فانظر فرفع
طرفه فرأى قدميه مثل الزبرجد الاخضر فخر مغشيا عليه واعلم
ان رأى اذا تعدى بالهمزة لمفعولين كان من باب اعطى قال ابن مالك لا تدخل
اللام عليهما لانه يلزم تعدي فعل بحرفين بمعنى وان تعدى احدهما لزم
الترجيح بلا مرجح ما لم يتقدما او احدهما فتعديه هنا باللام لا وجه له
وقال ابن هشام انه شاذ واللام زايدة كقول ليلى الاخيلية

احجاج لا تعطي العصاة مناهم ... ولا الله يعطي للعصاة مناها

فان كان هذا وردكه انه من الشاذ المسموع ولا اعتراض عليه واعلم
ان الحافظ السخاوي قال في كتابه عمدة الناس في مناقب العباس رضي الله
عنه ان العباس بعث ابنه عبد الله الى النبي صلى الله عليه وسلم فقام
ورآه عنده رجلا فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآه فقال له
متى جئت فقال منذ ساعة قال هل رأيت رجلا قال نعم قال ذاك جبريل
ولم يره خلق الا عمي الا ان يكون نبيا لكني اسأل الله ان يجعل ذلك في اخر عمرك
وله طرق من الاسانيد الا انه معارض برؤية جماعة من الصحابة لجبريل
لم يعموا لكن هذا ضعيف وتلك صحيحة فلا يتكلف الجمع بينهما وقد
عمي ابن عباس في اخر عمره فقال

ان ياخذ الله من عيني نورهما ... ففي لساني وقلبي منهما نور
عقل صحيح ورأي غير ذي زلل ... وفي فمي صارم كالسيف مشهور

وقال له بعض الامويين ما لكم يا بني هاشم تصابون في ابصاركم فقال
وانتم يا بني امية تصابون في بصائركم انتهى اقول ما ذكره من حديث
عمى الرائي لجبريل اذا ورد من طرق صحاح قويا وليس من قبيل الاحكام فيجعل
معارضا لها فلا بد من التوفيق فيحمل على من رآه وحده في بيت
ونحوه من مكان منحصر كالبيت من غير علم للنبي صلى الله عليه وسلم
برؤيته فلا يرد رؤية عايشة وغيرها وذلك لانه نور شديد قد يورث
ضعف البصر المؤدي للعمى اذا حدق فيه الناظر وطال نظره في نوره

الذي لم يتعرف وهو من الاسرار الالهية فتامله ثم ان المصنف قدم
الملائكة لشرفهم ثم ذكر الجن فقال وراى ابن مسعود في حديث رواه
البيهقي الجن في ليلة الجن وتذاكروا بنذارهم ودعوتهم للاسلام ودعائهم
وسمع كلامهم قال البرهان في المقتفى الذي في صحيح مسلم من حديث
ابن مسعود انه لم يكن مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن وقال
ابن سيد الناس في سيرته انه حديث ابن مسعود في كونه كان حاضرا في ليلة
الجن روي من طرق وفيه انه توضا بنبيذ التمر وذكر الشراح هنا كلاما
لا يحصل له والحق ما قاله ابو البقا الشبلي الحنفي في كتابه اكام المرجان
في احكام الجان من انه روي فيه احاديث متعددة منها ما رواه ابو داود
عن ابن مسعود ان علقمة قال له هل صحب النبي صلى الله عليه وسلم
ليلة الجن احد قال ما صحبه احد ولكن فقدناه ليلة فالتمسناه في الاودية
والشعاب فقلنا اغتيل استطير فبتنا بشر ليلة فلما اصبحنا جاء من قبل حرا وقال
اتاني داعي الجن فذهبت معه فقرات عليهم القران وانطلق بنا وارانا
اثار نيرانهم وذكر انهم سالوه الزاد فقال لكم العظم والبعر ونهى عن الاستنجا
بهما رواه احمد وهذه الليلة غير الليلة التي حضرها ابن مسعود
وهي في دلايل البيهقي بسنده قال ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لاصحابه بمكة من احب منكم ان يحضر الليلة امر الجن فليفعل فلم
يحضر احد غيري فانطلقنا حتى اذا كنا باعلا مكة خط لي برجله خطا امرني
بالجلوس فيه وانطلق حتى قام وافتتح القران فغشيته اسودة كثيرة حالت
بيني وبينه حتى ما اسمع صوته الى ان قال وسمعتهم يقولون لمن تشهد
لك انك رسول الله وثم شجرة فقال ارايتم ان تشهد هذه الشجرة
تومنون قالوا نعم فدعاها واستشهدت له فامنوا به وجمع البيهقي بين الرواية
فقال قوله ما صحبه منا احد اراد به حال ذهابه لقراءة القران الا
ان قوله انه اعلم اصحابه بخروجه بنا في تقدم له حتى قالوا انه استطير
او اغتيل وفيه تصريح بانه من فقده والتمسه وفي هذا الحديث
انه خرج له وخط له خطا جلس فيه فلا يصح ما قاله البيهقي وهذا كله
مبني على ظنهم انها ليلة واحدة ولا شك انها تعددت فمنها ما كان
بمكة كما تقدم ومنها ما كان بالمدينة كما في دلائل النبوة لابي نعيم مسندة
لابن مسعود والله فسل له ان كنتم مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليلة وفد الجن قال اجل اخذ كل رجل رجلا من اهل الصفة يعشيه
ولم ياخذ احد مني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ما اخذ كل احد

يعيشك

يعيشك فقلت لا قال انطلق معي لعلي اجد لك ما يعيشك فانطلقت
معه لحجرة ام سلمة فتركني ودخل ثم خرجت جارية فقالت لم يجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم لك عشا فرجعت الى المسجد والتقطت
بنوى الحب فجاءت الجارية وقالت احب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعته
ارجو العشا فخرج وفي يده عسيب نخل فعرض به على صدري وقال
انطلق معي حيث انطلقت فقلت شا الله وكررها ثلاث مرات فانطلقنا
حتى اتينا بقيع الغرقد فخط بعصاه خطا وقال اجلس فيه حتى اتيك
ولا تبرح فانطلق وانا اراه خلال النخل فثارت مثل عجاجة سودا فخفت
عليه وقلت الحق او استغيث الناس لظني هوازن مكرت به ثم ذكرت
قوله صلى الله عليه وسلم لا تبرح فسمعته يقول اجلسوا وهو يقرعهم
بعصاه فجلسوا حتى كاد ينشق عمود الصبح فذهبوا واتى لي فذكرته لما في
نفسي فقال لم وقد نصيبني انه في هذه الليلة كانت بالمدينة حضرها
ابن مسعود وما سبق عنه انه كان بمكة وقد وفدوا عليه صلى الله عليه
وسلم مرة اخرى حضرها ابن الزبير رواها الطبراني ومرارا اخر ذكرها في باب
مستقل بطولها ثم قال وهذه الاحاديث تدل على ان وفادة الجن كانت
ست مرات الاولى فقد فيها وقيل اغتيل والتمس بمكة والثانية
كانت بالحجون والثالثة كانت باعلا مكة بالجبال والرابعة كانت ببقيع
الغرقد والخامسة كانت خارج المدينة حضرها ابن الزبير والسادسة
كانت في بعض اسفاره حضرها بلال انتهى ملخصا وشبههم
اي ابن مسعود لا النبي صلى الله عليه وسلم لقول قتادة ابن مسعود لما قدم
الكوفة راى شيوخا سود الزط فقال اخرجوهم ما شبههم بالنفر
الذين صرفوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني الجن وفيه دليل على
انه راهم برجال الزط متعلق بقوله شبههم والزط بضم الزاي المعجمة
وتشديد الطا المهملة قوم من السودان طوال وفي القاموس انهم جيل
بالهند معرب جت بفتح الجيم والقياس يقتضي فتح معربه والواحد
زطي وذكر ابن سعد وهو محمد بن سعد كاتب الواقدي وقد تقدم وهو بصري
ان مصعب ابن عمير القرشي العبدري الصحابي البدري وهو ممن اسلم
قديما وكان يحمل راية رسول الله بين يديه لما قتل يوم احد اي في وقعته
قتله ابن قمئة لعنه الله ظانا انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي صحيح
البخاري عن خباب ان مصعبا لما قتل لم يكن له الا نمرة كنا اذا غطينا راسه
بها بدت رجلاه واذا غطي رجلاه بدت راسه فجعلوا على رجليه

شيا من الادخر اخذ الراية ملك على صورته اي تشكل بشكله وبرز على صورته حتى لا يتغير راية المسلمين فان وقوع راية العسكر فيه ضعف لهم ولتمام تلك الصورة فيه جعل كانه عليها راكب لتمكنها فيه فكان صلى الله عليه وسلم يقول له تقدم يا مصعب نحو الاعدا الى القتال فان الراية يتبعها المقاتلون لانه صلى الله عليه وسلم لشدة توجهه للقتال لم يشعر بقتل مصعب ولم يتامل حامل الراية فقال له الملك لست بمصعب كما ظننت وفيه لطف وتبشير بسهولة الامور وظهور النصر وان مع العسر يسرا وهذا بنا على انه لم يعلمه كما رواه ابن سعد في طبقاته وعلى ما رواه ابن ابي شيبة في مصنفه من انه صلى الله عليه وسلم قال يوم احد اقدم مصعب فقال له عبد الرحمن بن عوف لما سمع مقالته يا رسول الله الم يقتل مصعب يعني فكيف يناديه قال بلى ولكن ملك قام مقامه وسمي باسمه فهو الذي ناديته فيكون علم صلى الله عليه وسلم انه ملك وانما سمي لئلا يعلم الناس قتل حامل الراية فيحصل بينهم اضطراب وتشمت الاعدا بهم ويتمنون انهزامهم فعلم صلى الله عليه وسلم قتل مصعب وعلى الاول لم يشعر بقتله وكونه علمه ولم يخف اذ ظن ان الله احياه كما قيل مقيد فلا يقال كيف ناداه باسمه بعدما علم انه ملك مع ان هذا السؤال غير وارد رضي
اذ بعد علمه انه سمي باسمه لا محذور وكان مصعب رضي الله عنه حامل راية المهاجرين باحد ولوا الخزرج حامله الحباب ابن المنذر وقيل سعد ابن عبادة وراية الاوس بيد اسيد ابن حضير وما روي من ان حامل الراية باحد علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه لا ينافيه لان الراية كانت اولا بيد مصعب فلما استشهد اخذها الملك فلما انجلى الامر وعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل كما شنع به ابن قمية وصرخ ابليس اللعين ان محمدا قتل اخذ علي الراية بعدما امسكها الملك لحظة لئلا تسقط ويخذل ليلاء
المسلمون وتنفروا عن الكفار وقول الملك لست بمصعب يعني لست مصعبا المعروف لكم فلا يقال كيف قال ذلك بعدما سمي مصعبا وذكر عنبر واحد من المصنفين كالبيهقي وابن ماكولا عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه انه قال بينا نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم اذ اقبل شيخ بيده عصي كونه بيده عصا علامة شيخوخته فان العصا سلاح المشايخ ولله در الباخرزي في قوله

حمل العصا للمبتلى ۝ بالشيب عنوان البلا ۝
وصف المسافر انه ۝ القى العصا كي ينزلا ۝

بعلا

۝ فعلى الفتى من بعد ذي ۝ حمل العصا ان يرحلا ۝
وهو تلميح لقوله ۝ ۝ ۝
فالقت عصاها واستقرت بها النوى ۝ كما قر عينا بالاياب المسافر ۝

فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم ۝ سلامه بان قال له وعليك السلام وجواب السلام يقال له رد حقيقة وهو في الاصل مجاز لتشبيهه بمن اعطي شيئا فاعاده لصاحبه ثم صار حقيقة فيما ذكر وقال صلى الله عليه وسلم لمن سلم عليه بعد رده جوابه نغمة الجن وفي نسخة نغمة جني اي هذه او نغمتك نغمة الجن ومن لحظ فهو خبر مبتدا مقدر وقال الثعالبي في فقه اللغة حرس الكلام وحسن الصوت والنغمة بالفتح جمعها نغم بفتح النون وكسرها وهو شاذ ومع شذوذه فله نظائر كهضبة وهضب وخيمة وخيم وبضعة وبضع من انت من الجن وما اسمك وشهرتك وفيه اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم يعرفهم لانهم وفدوا عليه مرارا كما تقدم قال انا هامة بن الهيم بها مكسورة فمثناة تحتية فميم ابن لاقيس ابن ابليس في ضبط هذه الاسما اختلاف فقيل هامة بوزن قامة وقيل الاسم بالف ولام دون ها والصحيح الاول والهيم بوزن الفعل كما مر وقيل انه مهموز بوزن كيف روعلى في الشرح انه مضبوط بخط الحافظ بتشديد اليا بوزن قيم ولا تعتمد عليه والكلام على ابليس مشهور وهو ابو الجن كما ان ادم عليه الصلاة والسلام ابو البشر ويسمى عزازيل وقيل الحارث ويكنى بابي مرة ولاقيس بزنة فاعل وفي بعض النسخ لاقيس بزيادة يا وهو الاشهر الافصح حتى قيل ان اليا ساقطة سهوا من الكاتب فذكر للنبي صلى الله عليه وسلم انه لقي نوحا عليه الصلاة والسلام ومن بعده ۝ من الرسل والانبيا في حديث طويل وان النبي صلى الله عليه وسلم علمه سورا من القران سياتي والحديث عن عمر رضي الله عنه قال بينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبل من جبال تهامة اذ اقبل شيخ في يده عصا فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وقال نغمة الجن وغنتهم فقال له من انت قال هامة بن الهيم بن لاقيس بن ابليس قال ليس بينك وبين ابليس الا ابوين قال نعم قال فكم لك من العمر قال افنيت الدنيا عمرها وكنت مع نوح في مسجده مع امن به من قومه فلم ازل اعاتبه على دعوته عليهم حتى بكى وابكاني فقال لاجرم اني على ذلك من النادمين ۝ واعوذ بالله ان اكون من الجاهلين وقلت له يا نوح اني ممن شارك

في دم الشهيد هابيل فهل تجد لي من توبة قال يا هام هم بالخير وافعله
قبل الحسرة والندامة اني قرأت فيما انزل الله على انه ليس من عبد تاب الى
الله بالغا ذنبه ما بلغ الا تاب الله عليه فقم وتوضأ واسجد لله سجدتين ففعلت
من ساعتي ما امرني به فناداني ارفع رأسك فقد نزلت توبتك من السما فخررت
ساجدا لله وكنت مع هود في مسجده مع من آمن به من قومه فلم ازل اعاتبه
على دعوته على قومه حتى بكى وابكاني وكنت مع يوسف بالمكان المكين
وكنت القى الياس في الاودية واني القاه الان ولقيت موسى ابن عمران فعلمني
من التوراة وقال ان لقيت عيسى ابن مريم فاقرئه مني السلام وان عيسى
قال ان لقيت محمدا فاقرئه مني السلام فبكى صلى الله عليه وسلم وقال على
عيسى السلام ما دامت الدنيا وعليك يا هام بأدائك الامانة فقال يا رسول
الله افعل بي ما فعله موسى بن عمران فانه علمني من التوراة فعلمه رسول
الله صلى الله عليه وسلم سورة المرسلات وعم يتساءلون عن النبأ العظيم واذا
الشمس كورت وقل هو الله احد والمعوذتين وقال له ارفع الينا حاجتك
يا هام ولا تدع زيارتنا فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينعه لنا
فلست ادري احي هو ام ميت انتهى واعلم انهم اختلفوا في هذا ه
الحديث فقال ابن الجوزي انه حديث موضوع لا اصل له وذكر له طرقا ذكر
من في رواتها من الكذابين ولم ينقل وانته وخالفه فيه غيره وقال
ان تعدد طرقه تدل على صحته وابن الجوزي له مجازفة في موضوعاته
اكثرها مردودة وقد روى هذا الحديث من يعتمد عليه كالبيهقي
كما علمت وابن عساكر وغيرهما وذكر الواقدي محمد بن عمر بن واقد المديني ه
صاحب التاليف الكثيرة الغريبة وقد وثقه كثير وطعن فيه آخرون
توفي ببغداد سنة سبع ومائتين وعمره ثمان وسبعون كما تقدم وهذا
حديث صحيح رواه البيهقي والنسائي وغيرهما وهو مذكور في اكثر
التفاسير قتل خالد ابن الوليد وهو مصدر مضاف لفاعله
ومفعوله السودا عند هدمه العزى وفي نسخة قطعه وهو اظهر
لان العزى كانت شجرة او ثلاث شجرات في مكان واحد بنوا عليها بنا
وكانوا يعبدونها ويسمع منها اصوات فذكر الهدم باعتبار ما حولها
فهو منقبه بمضاف هو مفعوله هدم كقطع اي قطعها او هدم
بنايها وكانت تعظمها وهي سمرة السودا مفعوله قتل كما مر وفي
نسخة للسودا واللام للتقوية وهي شيطان في صورة امرأة سودا
التي خرجت له اي لخالد رضي الله عنه لما باشر قطعها ناشرة

شعرها

شعرها عريانة واضعة يدها على رأسها صائحة بأويلها وناشرة
شعرها بعد هامنصوب على الحالية وشعر بسكون العين وحركتها فجزلها
بجيم وزاي معجمة مفتوحتين والزاي مشددة للمبالغة وتخففه اي
جعلها جزلتين اي قطعتين ذكره وفي حذلها بذال المهملة مشددة وروي
عن خطه تجاوزه المعجمتين بمعنى قطعها ومعانيها متقاربة واشهرها
اولها والضمير للسودا اي قطعها بسيفه وهو يقول يا عزى كفرانك
لا غفرانك اني رأيت الله قد اهانك والعزى تانيث الاعز واعلم
خالد بما فعل النبي صلى الله عليه وسلم فقال تلك العزى ان كانت
الاشارة لما وقع به الفعل من الشجرة فظاهر وان كانت الاشارة ه
للسودا فتسميتها عزى مجاز اسم للشجرة والبنا باعتبار انها هي التي عبدوا
حقيقة دعموا انها كانت تخبرهم به من المغيبات وهو كما يقال الحج النجح
والنجح باطلاق الشي على المقصود منه فهي مجاز وكانت نخلة يعبدها قريش
وكانت وهي من اجل اصنامهم وقصة هدمها مفصلة في السير وخرج ه
خالد لها في ثلاثين فارسا والجن قادرة على التشكل بصور مختلفة كالملايكة
الان هذه اذا قتلها ما تصورت به هلك ولما قتلها خالد قال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم تلك العزى لن تعبد ابدا وقتل سادنها اي خادمها
بها وهو دبية بضم الدال المهملة وفتح البا الموحدة وتشديد المثناة
التحتية ابن حرمي من بني مرة وقال صلى الله عليه وسلم في حديث
صحيح رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه ان شيطانا هو
المتمرد من الجن من شطن اذا بعد او من شاط اذا احترق فنونه زائدة
او اصلية تفلت بتشديد اللام تعرض لي وثب بسرعة بغتة واصله
التخلص بغتة يقال انفلتت الدابة اذا تخلصت من مربطها البارحة
هي الليلة الماضية قبل وتلك التي تكلمت فيه يعني في ليلة يومه وقد
ترد بمعنى اليوم قبل موتك وفيه كلام في شرحنا [illegible] ليقطع
على بتشديد التا متعلق بيقطع بمعنى يبطل صلاتي التي كنت
اصليها ويجوز ان يتنازع هو وتفلت فامكنني الله منه اي اقدرني
عليه وعلى اخذه وحبسه فاخذته اي امسكته وعقته عن مضيه
ومروره بين يدي فاردت ان اربطه بكسر البا وضمها ابدا ونقله بونا قه
بضمه الى سارية اي عمود واسطوانة من عمد المسجد ومن سواري
جمع سارية المسجد المدني حتى تنظروا اليه كلكم لاجل ان تروه مربوطا
فذكرت دعوة اخي سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام وهي

قوله في دعائه رب اغفر لي كلامًا صدر مني من تقصير بالنسبة لمقام النبوة
وإن كان معصومًا وهب لي ملكًا اي سلطانًا عظيمًا لا ينبغي لاحد من بعدي
اي لا يتسهل لاحد غيري وهو احد معاني الابتغاء مطاوع بغى بمعنى طلب
وليس هذا حرصًا منه عليه الصلاة والسلام على الملك وسعة
الدنيا وانما طلب عظمة ينفرد بها لتكون خارقة للعادة والة على نبوته
معجزة له على تنفيذ اوامره بدا اظهار دينه وفي تقديم الدعاء
بالمغفرة على حصول الملك ايما الى ان السلطنة لا تخلوا من امور
تحتاج لامر لعفو الله او حيا من الله لطلبه امرًا لا يليق بغيره ولترك
مقام العبودية الذي ارتضاه نبينا صلى الله عليه وسلم وقال
الزمخشري ان سليمان عليه الصلاة والسلام نشا في بيت ملك ونبوة
فاراد ان يكون ما دته زايدًا على غيره خارقًا للعادة لتتم به امره ويعلم
انه ما استحقاق للقبض الالهي لا بجرد ميراث كاولاد الملوك ولا يتوهم
انه طلب نحو نعمه الله عليه والمؤمن يحب لاخيه ما يحب لنفسه لكيفه
بالنبي صلى الله عليه وسلم لانه خصائص الانبيا وطلبها امرا خرقيه
على ان هذا الشيطان امارد من المردة وياتي بعينه اليوم على النبي
صلى الله عليه وسلم شعلة نار وهو يصلي ليقطع صلاته فاخذه
هو بنفسه لا ملك منعه عنه كما في ... ولبعضهم هنا ه
ابحاث روايه لا طائل تحتها وقوله رب اغفر لي بل يفسر لقوله دعوة ابن النحوي
اخي وتسخير الجن داخل في هذه الدعوة لقوله بعدها فسخرنا له الريح تجري
بامره رخاء حيث اصاب والشياطين الخ ولما استجاب الله دعوته ترك صلى
الله عليه وسلم ذلك تادبًا منه وتاديًا وتواضعًا وتوقيرًا لسليمان صلى
الله عليه وسلم قال ابن عرفة رحمه الله ذما نقل عن الحجاج من انه
قال في حق نبي الله سليمان انه كان حسودًا من فسقه وجهله ... من كفره
وعدم علمه بمقامات الانبيا عليهم الصلاة والسلام فان للانبيا عليهم
الصلاة والسلام فاذ للانسان ان يطلب من الملك شيا يخصه به
اذا علم انه لا يعطيه الا لواحد من مملكته فيجوز ان يكون هو ذلك ه
الواحد وقوله فرده الله اي رده الله ذلك الشيطان باقتداره عليه
وتمكنه منه خاسيا اي خايبًا حقيرًا مطرودًا من كلامه صلى الله عليه
وسلم مخاصور واضح وقول البخاري قال روح فرده الله خاسيا بان لانه
وقع من رواية لانه روى فرده دون صريحه في ذلك وهذا الحديث
روي من طرق وفيها زيادة واختلاف ففي بعضها عرض لي في صورة

هو

هو واخذته فخنقته حتى وجدت برد لسانه على يدي وفي رواية سمع صلى الله
عليه وسلم يقول في صلاته اعوذ بالله منك ثم قال العنك بلعنة الله ثلاثا وبسط
يده كانه يتناول شيئا فسالوه عن ذلك فقال ان عدو الله ابليس لعنه الله
جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي وقوله في الرواية المارة فاخذته فخنقته
يعلم منه ان قول المصنف في شرح مسلم انه يحتمل انه لم يقدر عليه لا وجه
له فانه صلى الله عليه وسلم كان قادرا على ذلك فانه اوتي مثل كل معجزة
لغيره كما في ... في هذا الحديث تصريح بان الشيطان هو ابليس وقيل
يحتمل انه غيره وان الواقعة تعددت قال ابن عبد البر الجني على مراتب
جني وعامر وهو الذي يخالط الناس وارواح وهم الذين يتعرضون للصبيان
وجنتهم شيطان فوق ذلك الابناء الجان يقال له الابيض كما في تفسير
القرطبي وهذا اي ما كان له صلى الله عليه وسلم مع الملائكة والجن
باب واسع اشارة الى ان ما ذكره قليل من كثير وغيض من فيض وفي اكام
المرجان ونظر الى الشارية من التصرف الملكي الذي ترك لسليمان وتصرفه
صلى الله عليه وسلم بنو الدعوة للاسلام والامر والنهي فانه كان عبدا رسولا
وهو افضل من الملك النبي ثم ان حنفيه وفعله به ما فعل في صلاته احتج
به على جواز مثله في الصلاة كدفع المار وقتل الاسودين والمشي بعد
في صلاة الكسوف انتهى وفيه تامل فصل ومن دلايل نبوته
صلى الله عليه وسلم والدليل ما يعلم منه شي اخر ويكون قطعيا وظنيا قال
استاذ والدي الشيخ احمد بن قاسم في الايات البينات جمع دليل على
خلاف القياس ويحتمل ان يكون جمع دلالة بمعنى دليل فان امام الحرمين قال
ان الدليل يسمى دلالة وجمع فعالة على فعائل قياسي والظاهر ان تسمية
الدليل مجازا انتهى وقال الراغب الدلالة ما يتوصل به الى معرفة الشي
وتسمية الدال او الدليل دلالة كتسمية الشي بمصدره انتهى وفيه ه
دليل لما قاله امام الحرمين وانه سمع فلا وجه للتوقف فيه ولا القول
بعض شراح المنهاج الاصولي في قوله دليل الفقه وصوابه
ادلة وقال ابن مالك في شرح الكافية لم يات فعائل جمع اسم جنس ه
على فعيل فيما اعلم لكنه يقتضي القياس جايز في علم المونث كسعيد
علم امراة جمع على سعايد وذكر النحاة انه في غاية القلة ... وسمع
لفظين لا يقاس عليهما وهما وصايد جمع وصيد وهو الباب وسلايل
جمع سليل وهو ولد وزاد الجوهري سبايح جمع سبيع وقايل جمع افيل وهو
الصغير من الابل وقول بعضهم انه قيده بعلمه فقد يقال انه لا يمتنع سماعا

ولا فيما شاحنط لامعنى له وعلامات رسالته العلامة الامارة واكثر ما تستعمل
في الظنيات وفيما يكون قبل الوقوع والفرق بين النبوة والرسالة مشهورة وقد
يكونان بمعنى واضاف الدلايل للنبوة والعلامات للرسالة تفننا وقيل
لان النبوة اصل والرسالة وصف زايد انتهى والظاهر ما قلناه انه غاير
بينهما تفننا والمراد بالدلايل الدلايل القطعية وقدمها لشرفها واضافها
للنبوة لسبقها على الرسالة وكل ما دل على النبوة دل على الرسالة للزوم
لعقد بعد ثبوت نبوته في قوله اني رسول الله اليكم وكذا الرسالة
مستلزمة للنبوة ومبينة عليها فعلاماتها علامة لها ما ترادفت به
الاخبار اي تتابعت فجا بعضها يتبع بعضا من غير انفصال كان بعضها
ركب خلف الاخر ففيه استعارة مكنية وتخييلية والاخبار جمع خبره
عن البرهان وهم عباد النصارى وعلماوهم كثيرا في قصته المشهورة ٥
جمع راهب من الرهبة وهي الخوف لاظهار خشية الله والخوف منه مقابل
للراغب لتركهم الرغبة في الدنيا كما قيل ٥

يعوذني غلاما من نصارى حافي ٥ فاعجب له من راغب في راهب ٥

والاخبار جمع حبر بالفتح والكسر كما مر وهو العالم من اهل الكتاب
واشتهر في علما اليهود وقوله وعلما اهل الكتاب من عطف العام على
الخاص واهل الكتاب غلب على اليهود والنصارى فالمراد بالكتاب
التوراة والانجيل وغيرهما من الكتب السماوية وفي نسخة الكتب
جمعا وهما بمعنى من صفته صلى الله عليه وسلم وصفة امته واسمه وعلاماته
في التوراة عن كعب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد المختار
الخ وامته الحامدون وفي الزبور عن وهب ابن منبه سياتي
من بعدك نبي يسمى احمد ومحمد امته مرحومة اعطيتهم مثل ما اعطيت الانبيا
الى غير ذلك مما نقلته الثقات كقوله في علامته في الانجيل صاحب المدرعة
والعمامة والهراوة الجعد الراس الصلت الجبين الى اخر ما ذكره من حليته
نعم وذكر الخاتم بالفتح والكسر يعني خاتم النبوة الذي بين كتفيه
وقد تقدم الكلام عليه وانه مثل زر الحجلة وبيضة الحمام وانه ختم به
بعد شق صدره وفيه شعرات وخيلان عند بعض كتفه
الايسر وهو مذكور في كتب الله القديمة وما وجد بالنقل المنقول
من ذلك اي مما يدل على نبوته ورسالته في اشعار المتقدمين
من العرب المتالهين قبل بعثته صلى الله عليه وسلم العالمين بما في ٥
الكتب السماوية القديمة من شعر تبع بيان لما وجد وتبع نظم

الثنا وتشد بدال الموحدة اسم لملك اليمن وجمعه تبابعة سمي به لكثرة اتباعه
المنقادين له واصل معناه ٥ ولا يسمى تبعا الا اذا ملك حمير وحضرموت
واشتهر منهم اثنان تبع الاكبر والاول والثاني اباكرب وتبع الثاني هو الذي
اراد تخريب المدينة واستيطالها اليهود لما شكي له الانصار منهم لانهم من
نزلوا عندهم فقال له رجل منهم الملك اجل من ان يطير به نزق او يستخفه
غضب وامره اعظم من ان يضيق حلمه او يحرم صفحه وهذه البلدة مهاجر
لمن يبعث من ولد ابراهيم قال السهيلي وهذا الرجل من اليهود وهو احد
الحبرين اللذين كلما الملك سخيت ومنبه اوبنيامين ويانت ان شامول كلمة ايضا
فامن به وكسى الكعبة وهو اول من كساها والشعر المذكور قوله

شهدت على احمد انه ٥ نبي من الله باري النسم ٥
فلو مد عمري الى عمره ٥ لكنت وزيرا له وابن عم ٥
وجاهدت بالسيف اعداه ٥ وفرجت عن صدره كل غم ٥
له امة سميت في الزبور ٥ وامته هي خير الامم ٥
ويأتي بعدهم رجل عظيم ٥ نبي لا يرخص في الحرام ٥
يسمى احمدا يا ليت اني ٥ اعمر بعد بعثته بعام ٥

والاوس ابن حارثة بن ثعلبة العنقا ابن عمرو بن مزيقيا ابن ماء السما بن حارثة
الغطريف بن امرو القيس البطريق ابن ثعلبة البهلول ابن مازن ابن
الازد بن الغوث بن نبت ابن مالك بن زيد ابن كهلان بن سبا بن يشجب
ابن يعرب بن قحطان والاوس في اللغة الذيب او العطية سمي به وله تنسب
الانصار وكان اوس من عدة ناس من الفترة هداهم الله للتوحيد ولم يعبدوا
الاصنام وكانوا يعاشرون اهل الكتاب فيخبرونهم بان كتبهم فيه ذكر النبي
صلى الله عليه وسلم فيذكرونه في خطبهم واشعارهم وللاوس شعر فيه لم يذكره
احد هنا لم يذكره احد هنا من الشراح وهو سيد جواد طائي كان صديقا
لحاتم الطائي والاوس بالالف واللام كالحجر ولذا قال السهيلي انه منقول
من اسم العطية لا من اسم الذيب لانه علم جنس كاسامة لا تدخل عليه
الالف واللام قبل النقل فبعده اولى وقال التلمساني انه ورد هنا بدون
الف ولام وهو مخالف لما قاله الامام السهيلي وكعب بن لوي هذا
هو الصواب وفي بعض النسخ لوي بن كعب وهو غلط من الناسخ ولوي بهمز
ولا بهمز وهو تصغير لاي بمعنى البطو وهو اول من جمع يوم الجمعة وسماها
جمعة وكانت تسمى عروبة في الجاهلية فكان يخطب فيه الناس ويبشر
بالنبي صلى الله عليه وسلم فيما نقل من كلامه نظما ونثرا انه قال في خطبة له

اما بعد فاسمعوا وتعلموا وافهموا واعلموا الليل ساج ونهار صاج والارض مهاد والسما بنا والجبال اوتاد والنجوم اعلام الى قوله الدار داركم والظن غير ما تقولون حرمكم زينوه وعظموه سياتي له نبا عظيم وسيخرج منه نبي كريم وانشد

نهار وليل كل يوم بحادث • سوا علينا ليلها ونهارها •
يثوبان بالاحداث حتى تاوبا • وبالنعم الصافي علينا ستورها •
على غفلة ياتي النبي محمد • فيخبر اخبارا صدوقا خبيرها •

الى اخر ما رواه ابن الجوزي مسندا في كتاب الوفا وسفيان بن مجاشع التميمي الدارمي المجاشعي جد الفرزدق والاقرع بن حابس وكان احتمل عن قومه دياة فخرج في حي من تميم فاذا هم مجتمعون عند كاهنة فاتاهم وجلس عندهم فسمع الكاهنة تقول العزيز من والاه • والذليل من خالاه • والموفور من تلاه • والموتور من عاداه • فقال سفيان من يذكرين لله ابوك فقالت صاحب هدي وعلم • وبطش وحلم • وحرب وسلم وراس بهوس • ورابض شموس • وماحي بوس • وماهد عوس • وناعي ومنعوس فقالت سفيان لله ابوك من هو فقالت نبي مويد قد اتى حين يوجد • ودنا اوان يولد • يبعث الى الاحمر والاسود • بكتاب لا يفند اسمه محمد قال سفيان لله ابوك اعربي هو ام اعجمي فقالت اما والسما ذات العنان • والشجر ذات الافنان • انه لمن معد بن عدنان فامسك عن سوالها ثم ان سفيان ولد له ولد فسماه محمد رجا ان يكون هو النبي المذكور وهو احد من سمي به صلى الله عليه وسلم قبل بعثته كما تقدم وهذا اما ذكره المصنف من تبشيره به وله شعر فيه الان الشراح قالوا لم نقف عليه وما ذكر يكفي في المقصود وقيس ابن ساعدة الايادي قس بضم القاف وتشديد السين والقس العالم والايادي بكسر الهمزة نسبة لاياد حي من معد وكان من الحكما الزهاد كخمسة وخالد متقطعا للعبادة في برية وامن بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل بعثته وراه النبي صلى الله عليه وسلم مرتين بسوق عكاظ ولذا عده ابن شاهين وغيره في الصحابة وعمر حتى قيل انه عاش ثمانية او سبعمائة سنة وادرك الحواريين فكان على دين عيسى عليه الصلاة والسلام قيل وكانت السباع تدور عنده ولا تؤذيه وترد باصرتها بعصاه وهو خطيب بليغ يضرب به المثل وعن ابن عباس رضي الله عنهما لما قام الجارود على رسول الله عليه الصلاة والسلام وكان سيد قومه قال يا رسول

الله والذي بعثك بالحق لقد وجدت صفتك في الانجيل وبشر بك ابن البتول وانا اشهد ان لا اله الا الله وانك محمد رسول الله فاني هو وكل سيد من قومه وسرين لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني هو وكل سيد من قومه وسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له يا جارود هل في وفد عبد القيس من يعرف قسا قال كلنا نعرفه وكنت اقفو اثره كاني انظر اليه لعيتم بالمرة الذي هو له ليس يحفى الكتاب اجله ويقول

هاج للقلب من هواه ادكار • وليال خلالهن نهار •

في ابيات اخر فقال له صلى الله عليه وسلم فلست انساه بسوق عكاظ يذكر كلاما ما احفظه فقال ابو بكر رضي الله عنه كنت حاضرا وانا احفظه سمعته يقول في خطبته يا ايها الناس اسمعوا وعوا واذا وعيتم فانتفعوا انه من عاش مات • ومن مات فات • وكل ما هو ات ات • مطر ونبات • وارزاق واقوات • وابا وامهات • واحيا واموات • وجمع واشتات • وايات بعد ايات • ان في السما لخبرا • وان في الارض لعبرا • ليل داج • وسما ذات ابراج • وارض ذات رتاج • وبحار ذات امواج • ما لي ارى الناس يذهبون فلا يرجعون • ارضوا بالمقام فاقاموا ام تركوا هناك فناموا اقسم قس قسما • حاتما لا حانثا فيه ولا اثما • ان الله دينا هو ارضى من دينكم الذي انتم عليه • ونبيا قد حان حينه • واظلكم اوانه • فطوبى لمن امن به فهداه • وويل لمن خالفه وعصاه • تبا لارباب الغفلة من الامم الخالية • والقرون الماضية • يا معشر اياد • اين الابا والاجداد • واين المريض والعواد • واين الفراعنة الشداد • واين من شيد وزخرف ونجد • وغره المال والولد • اين من بغى وطغى • وجمع فاوعى • وقال انا ربكم الاعلى • الم يكونوا اكثر منكم اموالا واطول منكم اجالا • وابعد منكم امالا • طحنهم الثرى بكلكله ومزقهم بتطاوله • فتلك عظامهم بالية • وبيوتهم خاوية • عمرتها الذياب العاوية • كلا بل هو الله الواحد المعبود ليس بوالد ولا مولود • وانشا يقول

في الذاهبين الاولين من القرون لنا بصاير •
لما رايت مواردا للموت ليس لها مصادر •
ورايت قومي نحوها يمضي الاصاغر والاكابر •
لا يرجع الماضي الي ولا من الباقين غابر •
ايقنت اني لا محالة • حيث صار القوم صاير •

انتهى وروي له اشعار كثيرة فيها ذكره صلى الله عليه وسلم ثم كقوله ايضا •

• الحمد لله الذي لم يخلق الخلق عبثا • ولم يخلقنا سدى من بعد عيسى والكرة
• أرسل فينا أحمد خير من قد بعث • صلى الله عليه ما تاج له ركب وحث
إلى أحمد ذكره الإمام ابن الجوزي فإن حديث قس المذكور موضوع وذكر مرظ
أسانيده وبين من فيها من الكذابين ورده السخاوي وقال إنه مجازف
في الوضع ولا يلزم من كون السند فيه كذاب أن يكون المتن كذبا إذا
تعددت طرقه فقد ذكر رواه ابن سيد الناس بسنده للبيهقي كذا ب
ورواه غيره أيضا فالصحيح أنه ليس بموضوع وما ذكره عن سيف
ابن ذي يزن وغيرهم ابن ذي يزن من ملوك حمير وتنسب إليه الرماح ه
فيقال رمح يزني وأن ذي يزان يزاني وفيه وفي استقاقه كلام طويل ه
للصاغاني وقال الرضا أنه مصروف وفي الذيل في القاموس أنه ممنوع
من الصرف لوزن الفعل وأصله يزأن وفي الصاغاني في الذيل والصلة
منع صرفه وأطال فيه وقال مادة يزن غير معروف ولا تضاف ذو وهذا
إلا إلى أسماء الأجناس وفي شرح الدريدية لابن النحاس أن فيه قولين
أحدهما أنه من وزن حذفت الواو ولو توهمنا بين فتحة وكسرة ثم أبدلت
الكسرة فتحة تخفيفا فلا ينصرف على هذا والثاني أنه من أصله
وزن ثم قلبت الواو همزة كما في أحد ثم أبدلت ياء وسمي به فهو
منصرف انتهى وهذا الأخير علته ما أورده الصاغاني وقوله
لا تضاف إلا لأسماء الأجناس ممنوع فإنه يضاف للأعلام كما هنا وهي لغة
أهل اليمن يضيفونه لأعلام ملوكهم وعظمائهم ومن إضافة
المسمى للاسم ويقال لملوك اليمن الأذواء وقصة سيف مشهورة
في التواريخ والسير وكان ظهر على اليمن وظفر بالحبشة فنفاهم
بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين فأتته وفود العرب ه
تهنيه وتمدحه فأتاه قريش وفيهم عبد المطلب وأمية بن عبد
شمس وخويلد بن أسد وغيرهم من وجوه قريش فاستأذنوا عليه
فأذن لهم وهو مغطر بالمسك والعنبر وحوله أبناء الملوك فقال
لعبد المطلب إن كنت ممن يتكلم بين الملوك فتكلم فقال أيها الملك
إن الله قد أحلك محلا رفيعا • شامخا منيعا • وأنبتك نبتا طابت أرومته
• وعزت جرثومته • وثبت أصله • وبسق فرعه • في أطيب
موطن • وأكرم معدن • وأنت أبيت اللعن أيها الملك رأس العرب وربيعها
التي تخصب به ورأسها الذي له ينقاد • وعمودها الذي عليه العماد •
ومعقلها الذي إليه يلجأ العباد • سلفك لنا خير سلف • وأنت لنا خير خلف

ولن

ولن يخمل ذكر من أنت خلفه • ولن يهلك من أنت سلفه • ونحن أيها الملك
أهل حرم الله وسدنة بيته • أشخصنا إليك الذي أبهجنا بكشفك الكرب
الذي قد فدحنا فنحن وفد التهنئة • لا وفد المرزئة • فقال له سيف
وأيهم أنت أيها المتكلم قال أنا عبد المطلب بن هاشم قال ابن أختنا قال
نعم فأدناه وأقبل عليه وعلى القوم وقال مرحبا وأهلا • وناقة
ورحلا ومستناخا سهلا • وكرامة وفضلا • وملكا ربحلا • يعطي عطاء جزلا •
قد سمعت مقالتكم • وعرفت قرابتكم • وقبلت وسيلتكم • وأنتم أهل
الليل والنهار لكم الكرامة ما أقمتم • والحباء إذا ظعنتم انهضوا إلى دار
الضيافة والوفود وأمر لهم بالإنزال فأقاموا شهرا لا يصلون إليه
ولا يأذن لهم في الانصراف ثم أرسل إلى عبد المطلب وقال له بعد
ما قرب مجلسه يا عبد المطلب إني مفض إليك سرا لو يكون غيرك
لم أبح به ولكني وجدتك معدنه فليكن عندك مطويا حتى يأذن الله فيه
فإنه بالغ أمره إني أجد في الكتاب المكنون والسر المخزون الذي اخترناه
لأنفسنا دون غيرنا خبرا عظيما وخطرا جسيما فيه شرف الحياة وفضيلة
الوفاة للناس كافة ولرهطك عامة ولك خاصة فقال عبد المطلب
مثلك أيها الملك من سر وبر فما هو فداك أهل الوبر والمدر زمرا بعد
زمر فقال له إذا ولد بتهامة غلام به علامة بين كتفيه شامة
كانت له الإمامة ولكم به الزعامة إلى يوم القيامة فقال له عبد
المطلب أبيت اللعن لولا هيبة الملك وإجلاله سألته عما أزداد
به سرورا قال هذا حين زمانه الذي يولد فيه أو قد ولد واسمه
محمد يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه قد ولدناه مرارا والله
باعثه جهارا وجاعل له منا أنصارا يعز بهم أولياءه ويذل بهم
أعداءه ويضرب بهم الناس عن عرض ويستبيح بهم كرائم الأرض يعبد
الرحمن ويدحر الشيطان ويخمد النيران ويكسر الأوثان قوله فصل
وحكمه عدل يأمر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر ويبطله
فقال عبد المطلب أيها الملك عز جارك وسعد جدك وعلا كعبك
ونما أمرك وطال عمرك هل الملك أن يسرني بإفصاح فقد أوضح لي بعض
الإيضاح فقال والبيت ذي الحجب والعلامات على النصب إنك لجده بلا
كذب فخر عبد المطلب ساجدا فقال له ارفع رأسك فقد ثلج صدرك
وعلا أمرك فهل أحسست شيئا مما ذكرت فقال نعم أيها الملك إنه كان
لي ابن كنت به معجبا فزوجته كريمة من كرائم قومي آمنة بنت وهب

ابن عبد مناف يخاف ان بغلام سميته محمدا او مات ابوه وامه وكفلته انا وعمه يابن كثعنه شامة وتنبه كلما ذكرت من علامة فقال الذي ذكرت فاحتفظ به واحذر عليه اليهود فانهم له اعدا ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا واطو ما ذكرته لك دون هذا الرهط الذي معك فاني لسنة امني ان تدخلهم النفاسة يبتغون لك الغوائل وينصبون له الحبائل الجائرة وهم فاعلوها او ابناوهم ولولا اعلم ان الموت مختاجي قبل بعثه لسرت بخيلي ورجلي حتى اني يثرب واصيرها دار مملكتي فاني اجد في الكتاب الناطق والعلم السابق ان يثرب استحكام امره وموضع قبره واهل نصرته ولولا اني اقيه الآفات واحذر عليه العاهات لاوطات العرب كعبه واعلت على حداثة سنه ذكره ثم امر لكل رجل منهم بمائة من الابل وعشرة اعبد وعشرة اما وعشرة ارطال فضة وخمسة ذهبا وكرش مملو عنبرا وامر لعبد المطلب باضعافه وقال له اذا كان راس الحول فائتني بخبره وما يكون من امره فهلك قبل راس الحول فكان عبد المطلب يقول لا يغبطني احد من قريش بجزيل الملك فانه الى نفاد ولكن الغبطة بما يبقى لي شرفه وذكره في العقبى فاذا سئل عنه قال سيظهر بعد حين وفيه شعر له وعن ابن عباس انه قال العبد الملك استهد ان في احدي يديه ملكا وفي الاخرى نبوة فكانت النبوة والخلافة العباسية كما في كتب السير والتواريخ وبما ذكرناه من انه مات قبل الحول يعلم انه ليس بصحابي ولا بتابعي ثم ذكر الذهبي له في الصحابة لا وجه له والعجب من بعض الشراح نقل ما ذكره وقال انه تابعي فالحق انه ليس كذلك ولا مخضرم مخضرما ايضا كما قيل ولعل الذي ذكره الذهبي اشارة الى ان مثله لا يقال بالرأي ايضا وما عرف به من امره وكونه نبيا مرسلا وعرف بتشديد الراء مبني للفاعل لا للمفعول وان صح مبنيا على انه عرفه به اهل الكتاب والفاعل ابوه ابنه زيد بن عمرو بن نفيل قال الذهبي هو زيد ابن عمرو بن نفيل بن عبد العزى برباح العدوي الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يبعث امة واحدة لانه كان يطلب دين ابراهيم ويكره الشرك واهله ويوحد الله ويقول لقريش ما انتم على شيء قد اخطاتم دين ابراهيم باوثن لا تضر ولا تنفع بعد وكان بجالهم ولا ياكل ذبائحهم فاجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل نبوته وتوفي قبل مبعثه وقال شاممته اليهود به ه

والنصرانية

والنصرانية فكرهتهما وكنت بالشام فاتيت راهبا فقصصت عليه فقال اراك تريد دين ابراهيم يا اخا اهل مكة انك لتطلب دينا لا يوجد اليوم وهو دين ابيك ابراهيم فالحق ببلدك فان الله يبعث لك من ياتي بدين ابراهيم الحنيفية وهو اكرم الخلق على الله انتهى المراد منه ومن حفظه نقلته وروى غيره ايضا انه لقي راهبا بالجزيرة فساله عن دين ابراهيم فقال له ان كل من رايته من الاحبار والرهبان في ضلال وانك لتسال عن دين الله وقد خرج في ارضك وهو خارج نبي يدعو اليه فارجع اليه وصدقه فلقيه قبل بعثته ببلد حيث فقال يا عم ما لي ارى قومك قد ابغضوك فقال اما والله ان ذلك لغير نائرة مني اليهم ولكني اراهم على ضلال لذ يخرجني ابتغي هذا الدين ثم اخبره بما عرفه به الراهب من امره صلى الله عليه وسلم وهذا انما اتى به المصنف وعده من الصحابة توسعا لانه لم يجتمع به صلى الله عليه وسلم بعد النبوة وقيل بتصغير نفيل وهو العطية نقل للعلمية وقيل ان اليهود تلوه بالخم وورقة ابن نوفل احد النفر الذين كانوا في الفترة على الدين الحق من قريش وهو ورقة ابن اسد ابن عبد العزى بن قصي وهو معطوف على زيد اي وما عرف به ورقة من امره صلى الله عليه وسلم واخبره خديجة ام المؤمنين رضي الله عنها كما ذكره البخاري وامن به بعد ما لانه ولذا اتفق انه اول الصحابة وكان شيخا كبيرا نقروا الكتب وبعد في العبرانية وقال صلى الله عليه وسلم لما اخبره بامره ابشروا بكذا الذي بشر به ابن مريم ورآه صلى الله عليه وسلم في الجنة عليه ثياب خضر وقال لا تسبوا ورقة كما تقدم وله اشعار مدح بها النبي صلى الله عليه وسلم وعثكلان الحميري بفتح العين المهملة وسكون المثلثة وكاف ولام والف ونون ه والحميري نسبة لحمير قبيلة باليمن سميت باسم حمير بن سبا اي وما عرف به من امره صلى الله عليه وسلم ممن تقدم من الرهبان وقال الشراح لم نقف على قصة عثكلان وفي الخصائص ان ابن عساكر اخرج من طريق عبد الرحمن بن حميد عن ابيه عن جده قال سافرت الى اليمن قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم فنزلت على عثكلان ابن عواكن الحميري وكان شيخا كبيرا انزل عليه اذا جئت اليمن فنزلت عليه مرة فسالني عن عكرمة والكعبة وزمزم وقال هل ظهر منكم احد خالف دينكم فقلت لا ثم نزلت عليه بعد بعثه

صلى الله عليه وسلم وقد ضعف ونقل سمعه فنزلت عليه واجتمع عليه ولده وولد
ولده واحضروه بمكان نشد على عينيه عصابة واستنده وتنحى وقال
لي انتسب يا اخا قريش فقلت انا عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد
الحارث بن زهرة قال حسبك يا اخا زهرة الا ابشرك ببشارة هي خير لك
من التجارة قلت بلى قال ابشرك بالمعجبة وابشرك بالمرغبة ان الله
قد بعث في الشهر الاول من قومك نبيا ارتضاه صفيا وانزل كتابا وجعل له ثوابا
ينهى عن الاصنام ويدعو الى الاسلام يامر بالحق ويفعله وينهى عن الباطل
ويبطله فقلت ممن هو قال لا من الازد ولا ثمالة ولا من السرو ولا من
تنالة هو من بني هاشم وانتم اخواله يا عبد الرحمن اخف الوقعة وعجل
الرجعة ثم امض ووازره واحمل اليه هذه الابيات

اشهد بالله ذي المعالي • وفالق الليل والصباح
انك في السر من قريش • يا ابن المفدى من الذباح
ارسلت تدعو الى يقين • يرشد للحق والفلاح
اشهد بالله رب موسى • انك ارسلت بالبطاح
فكن شفيعي الى مليك • يدعو البرايا الى الفلاح

قال عبد الرحمن فحفظت الابيات وانصرفت فلما قدمت
مكة لقيت ابا بكر رضي الله عنه واخبرته الخبر فقال هذا محمد قد بعثه
الله فاته فلما اتيت بيت خديجة رأني صلى الله عليه وسلم فضحك
وقال لي اري وجها خليقا ان ارجو له خيرا فما وراءك قلت وديعة فقال
ارسلك مرسل برسالة هاتها فاخبرته واسلمت فقال اخا حمير مؤمن مصدق
بي ورب شاهد بي اولئك من اخوانه حقا انتهى وعلما يهود وفي نسخة
علما اليهود بالالف واللام وكلاهما صحيح كما بينه سيبويه في باب العلم
فانه يكون علما لهذه القبيلة فيمنع من الصرف ولا تدخل الالف واللام
قال الشاعر

اولئك اولى من يهود بمدحة • اذا انت يوما قلتها لم تؤنب

واذا قلت اليهود فانه بمعنى اليهوديين ولكن حذفوا ياء النسبة
انتهى وتفصيله شرا حدا اي ما عرف به من امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم علماؤهم مما قرؤوه في كتبهم ورووه عن اسلافهم كابن صوريا
وابن اخطب وابي ياسر ووهب بن يهود وغيرهم ممن لا يحصى ومنهم من
اسلم ومنهم من عاند حسدا فمات على كفره ثم ذكر بعضا منهم وعطفه
عطف الخاص على العام فقال واشباه عالمهم بشين معجمة وميم ولام

بينهما

بينهما الف بوزن فاعول وهو من علما اليهود وكان مع تبع وصيا حيث
وفي كتاب الوفا لما قدم تبع المدينة لنصرة الاوس والخزرج على اليهود
قال اني مخرب هذه البلدة حتى لا يقوم بها يهودي ويرجع الامر لدين
العرب فقال له شامول اليهودي وهو يومئذ اعلم اليهود ايها الملك
ان هذه البلدة يهاجر بني من بني اسماعيل مولده مكة واسمه احمد وهذه
دار هجرته وان منزلك الذي انت به سيكون فيه من القتلى من اصحابه
واعدائه امر عظيم فقال تبع ومن يقاتله وهو نبي قال له قومه قال
وابن قبره قال بهذه البلدة قال فاذا قوتل لمن تكون النصرة قال تكون له
مرة وعليه اخرى ثم تكون العاقبة له فيظهر حتى لا ينازعه احد ثم سأله
عن صفته فاخبره بها كما مر في حديث الحلية الشريفة وقوله صاحب
تبع اي الذي كان معه وهما اخران لما قدم المدينة فقالوا له لما قضى
عليهم شامول القصة المارة انا لن نبرح هاهنا لعلنا ندركه او ابناؤنا
فاعطى كل واحد منهم مالا وجارية فمكثوا فيها وقوله من صفته وخبره
صلى الله عليه وسلم كما عرفته انفا بيان لما عرف به وما الفي من ذلك اي
من صفته وخبره في التوراة والفي بهمزة مضمومة ولام ساكنة
وفا مكسورة ومثناة تحتية مبني للمجهول بمعنى وجد ونصوص
التوراة والانجيل كثيرة وسياتي طرف منها واعلم ان التابعة اربعة
وقد اختلفوا ايهم امن به صلى الله عليه وسلم هل الاكبر او غيره كما قاله
السهيلي وليس هذا محل تفصيله وقد تقدم بيانه اجمالا وقوله مما
جعله العلما اي مما يفهم بيانه لما الفي فيهما من صفته صلى الله عليه وسلم
وخبره وسنوه اي اظهروه ووضحوه للناس ونقله عنهم ثقات ممن
اسلم منهم اي من اهل الكتابين مثل عالمهم وحبرهم عبد الله ابن
سلام بتخفيف اللام وهو من اليهود وتقدم الكلام عليه وعلى سلامه
وبني سعية بالجر جمع ابن وسعية بسين مفتوحة وعين مهملتين
ساكنة ومثناة تحتية وقيل بنون بدل المثناة بل قيل النون
اكثر واشهر وهم ثعلبة واسيد بالتصغير والتكبير وفتح الهمزة
وزيد وقيل انهم سعنة لكن الذي في سيرة ابن سيد الناس عن ابن
اسحاق ان ثعلبة بن سعية واسيد بن سعية واسد بن عبيد وهم
نفر من هذل بنو عم قريظة والنضير اسلموا في الليلة التي نزلت
بها قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البرهان
وهذا هو الذي اعرفه وانهما اثنان لا جماعة فيحمل ان القاضي اي عم

اسيد بن عبيد فظنه اخاهم ويحتمل انه وقف على انهم ثلاثة انتهى وسبب
اسلامهم انه قدم عليهم رجل من اهل الشام يقال له ابن الهيبان اقام
عندهم وكان عالما يتبركون به ويستسقون فيسقون فلما حضرته
الوفاة قال يا معشر يهود انما اقدمني هذه البلدة خروج نبي قد اظل
زمانه وهذه البلدة مهاجره وقد كنت ارجوا ان ادركه فاتبعه فلما
بعث صلى الله عليه وسلم وهاجر وحاصر بني قريظة قال لهم بنو
سعية وهم احداث والله انه هو الذي عهد اليكم فيه ابن الهيبان
فقالوا ليس به قالوا بلى هو هو بصفته فنزلوا واسلموا واحرزوا
اهلهم واموالهم ذكرهم كما في الاكتفاء ولابي البيهقي **وابن يامين**
ابن عمير بن عمرو بن كعب بن جحاش من بني النضير وقيل انه
بنيامين ويقال يلبيامين باللام وهو احد الحبرين اللذين قدما من
اليمن مع تبع واسم الاخر الاخر سخيت وكانه تصغير سخت كما قاله
القسطلاني وقال الشارح المجد لم اطلع عليه **ومخيريق** بضم عرضي
الميم وفتح الخا المعجمة واليا الساكنة وكسر الرا المهملة واليا
الساكنة وقاف بصيغة المصغر وهو كما مر كان عالما حبرا من احبار
اليهود كثير المال والنخيل وكان يعرف رسول الله صلى الله عليه بصفته
الا انه غلبه الف دينه فلما كان يوم احد يوم السبت قال يا معشر يهود
انكم لتعلمون ان نصر محمد حق عليكم فقالوا اليوم السبت فقال لا سبت
لكم ثم اخذ سلاحه وخرج حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه باحد وعهد الى قومه ان قتلت هذا اليوم فاموالي لمحمد يصنع
فيها ما اراه ثم قاتل حتى قتل فجعل ماله صدقة بالمدينة وكان صلى الله
عليه وسلم يقول مخيريق خير يهود ويهود كما مر اسم هذه القبيلة
كما مر ولا شك انه منها ومن حزبها ولا يقال كيف اضافه لهم بعد اسلامه
والامر فيه سهل **وكعب** ابن ماتع وهو كعب الاحبار كما تقدم التابعي
المشهور ادرك زمنه صلى الله عليه وسلم في خلافة ابي بكر رضي الله عنه
ودخل في خلافة عمر رضي الله عنه وتوفي في خلافة عثمان سنة
ثنتين وثلاثين ودفن بحمص وروي عنه اثار كثيرة في صفاته صلى الله عليه وسلم
في التوراة كما في الوفا وكتاب الشرف لابي سعيد وفي خير البشر لابن ظفر
وسأله عمر رضي الله عنه عن صفته صلى الله عليه وسلم في التوراة فقال
انا نجده سيد الناس والصفوة مني ولدا وخاتم النبيين يخرج من جبال
فاران ومنبته القرظ من الوادي المقدس فيظهر التوحيد والحق ثم ينتقل

الى

الى طيبة فتكون حروبه وايامه بها ثم يقبض ويدفن بها الى غير ذلك
مما لا يحصى **واشباههم** من علمائهم الذين كانوا يعرفون امره صلى الله عليه
وسلم واخباره من كتبهم **ممن اسلم** وامن برسول الله صلى الله عليه
وسلم وراه كبحيرا نحو اذ لم يره ككعب **من علما يهود وبحيرا** عطفه على
علما يهود لانه ليس منهم فانه كان نصرانيا وبحيرا بفتح الموحدة وكسر
الحا المهملة ومثناة تحتية وراء مهملة والف مقصورة على المشهور
الا ان البرهان قال ان راه ممدودة بخط العلامة بن المرحل فلعله
وقف على لغة فيه وقصته صحيحة مشهورة في السير وهو راهب
كان منقطعا بصومعة له عند محل يقال له بصرى في طريق الشام
وكانت قافلة قريش تمر عليه فلا يلتفت لاحد منها فلما ذهب
ابو طالب للشام ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صغير ابن
تسع او اثنتي عشرة سنة نزل لهم وقال يا معشر قريش اني صنعت
لكم طعاما فاذهبوا معه وتركوه في رحالهم لصغر سنه فقال
لهم هل تخلف احد قالوا لا الا ولد صغير فدعاه حتى اتا فسالوه عن
سبب هذا ولم يكن دابه فقال اني رايت غمامة تظلله فلما نزل عنده
الشجرة مالت لجانبه وان مثله لا يكون الا النبي كما نجده في كتابنا وهذه
صفته ونظر لخاتم النبوة فيه فقال لابي طالب احترس عليه
من اليهود واقسم عليه ان يرده فقال انه رده وقيل اشرع في
سفره وعاد به والقصة مفصلة في السير وبحيرا هذا من اول من امن
به وعد من الصحابة ان قلنا ان من اجتمع به مؤمنا مطلقا يعد من الصحابة
ونسطور الحبشة احترز به عن نسطور الشام وغيره ونسطور هو
معرب ويقرا بالسين والصاد كما في بعض الشروح ونسطور الشام قصته
مذكورة في السير وهي قريبة من قصة بحيرا وفي بعض النسخ نسطور
بدون اضافة للحبشة وقد قال الشارح ان نسطور الحبشة غير
معروف ولعله من علما اهل الكتاب الذين كانوا عند النجاشي **وصاحب
بصرى** بضم البا الموحدة بلدة بالشام وهي بين المدينة والشام وقيل
انها حوران وهذا هو المعروف وفي نسخة راهب بصرى وصاحبها
ملكها الذي ارسل اليه النبي صلى الله عليه وسلم دحية بكتابه وهو
الحارث بن ابي شمر الغساني كما قاله ابن حجر وقال انه مات عام
الفتح ولم يذكر قصته واسلامه وما اخبر به عن امره صلى الله عليه وسلم
واسقف الشام وفي نسخة اساقفة الشام ويعني بهم صاحب ايليا ه

وهو قل وابن الناطور وغيرهم واسقف بضم الهمزة وسكون السين
المهملة وضم القاف وتشديد الفاء ولا نظير له الا اشوب وحكى ابن
سيده ثالثا وهو الاسلف للضالع وقال العيني في شرح البخاري ولا يرد
عليه الارح لانه جمع والكلام في المفرد وفيه نظر لا يخفى وقال
عبد الغافر الفارسي في كتاب مجمع الرغائب والغرائب في الحديث في
كتابه صلى الله عليه وسلم لاهل نجران لا يمنع اسقف من سقيفاه وجمعه
اساقفة والسقيفى مصدر كالخليفى ومعناه لا يمنع اسقف من تسقيفه
ولا راهب من ترهبه والمسقف الطويل مع انحنا وكذا الاسقف ويقال
هو بين السقف وفي خطبة الحجاج المعروفة اياكم وهولا السقفا قال
القتيبي انكرت السوال عنه فلم يعرفه احد وقال بعض اهل اللغة
انما هو الشفعا اي الذين يشفعون عند السلطان في المغرب انتهى وفي
القاموس وقول الحجاج اياكم وهذه السقفا تصحيف صوابه الشفعا
كانوا يجتمعون عند السلطان فيشفعون في المغرب انتهى وليس كما قال
فان الزمخشري اثبته في الفايق والاسقف عالم النصارى ورئيسهم
وضغاطر بضاد وغين معجمتين مفتوحتين بعدهما الف وطا وراء مهملتين
ويقال ضغاطر بنون ويقال طر بموحدة تحتية مفتوحة وفا وهو اسقف
من كبار الروم اسلم على يد دحية رضي الله عنه لما ارسله رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى هرقل وغير لباسه واظهر اسلامه فقتلوه كما
ذكره الذهبي في سنة ست من الهجرة وهو الذي ابهمه البخاري في اوله
في قصة قيصر حيث قال كتب هرقل الى صاحب له برومية كان نظيره
في العلم قال دحية لما خرج عظما الروم من عنده هرقل ادخلني وارسل
الى اسقف كان صاحب امرهم فقال لهم اهذا الذي كنا ننتظره وبشرنا به
عيسى عليه الصلاة والسلام اما انا فمصدقه ومتبعه فقال قيصر له انا نعلمه
وهذا ملكي فقال لي الاسقف خذ هذا الكتاب واذهب به الى صاحبك
واقرا عليه السلام واخبره اني اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
واني قد امنت به وصدقته وروى ابن اسحاق ان هرقل ارسل دحية
الى ضغاطر الرومي وقال انه في الروم انفذ قولا مني فاظهر اسلامه والقى
ثيابه ولبس ثيابا بيضا وخرج ودعا الروم الى الاسلام وشهد شهادة الحق
فقتلوه فلما خرج دحية الى هرقل قال له اما قلت لك انا نخافهم
على انفسنا فضغاطر كان عندهم اعظم مني وحينيذ فضغاطر تابعي مخضرم
وقيل انه المراد باسقف الشام السابق لكونه ساكنا بها وهو عندهم رئيس

دينهم

دينهم وعالمهم المتعبد المتخشع وهو فوق القسيس ودون المطران وكان
عالما بصفة النبي صلى الله عليه وسلم في كتبهم وقيل انه غيره وكذا حينئذ رضي الله
عنه وفد على هرقل مرتين والجارود بن عمرو بن العلا او ابن العلا ويكنى
ابا غياث او ابا عتاب واسمه بشر وكان سيد عبد القيس على دين النصرانية
وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة تسع فعرض عليه الاسلام
ورغبه فيه فاسلم هو واصحابه وحسن اسلامه وكان متصلبا في دينه وادرك
الردة ولما ارتد قومه دعاهم الى الحق وقال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا
عبده ورسوله وكفر من لم يشهد وله اشعار ورثي في السير كقوله

شهدت بان الله حق وسامحت • بنات فوادي بالشهادة والنهض
فابلغ رسول الله عني رسالة • بان حنيف حيث كنت من الارض

وسكن بالبصرة وقتل بفارس وقتل بها وبه سنة احدى وعشرين
وسمي الجارود لانه غار على بكر بن وائل فجردهم كما قال العبدي

ودسناهم بالخيل من كل جانب • كما جرد الجارود بكر بن وائل

وقيل لانه فر بابله وبها داء الى اخواله بني شيبان فعشا الداء اليهم فهلكوا
فهو فاعول من الجرد بالجيم وهو الاستيصال وسلمان الفارسي وقصة اسلامه
وملاقاته للرهبان وتبشيرهم له ببعث النبي صلى الله عليه وسلم
مشهورة تقدم بعض منها وتميم الداري نسبة للدار وهم بطن باليمن من لخم
هو ولد هاني بن حبيب بن نمارة بن لخم بن عبد الحارث بن مرة بن ادد منهم تميم
ابن اوس بن خارجة بن سواد ويقال اسود بن خديجة بن دراع بن عدي بن
الدار ويكنى بابي رقية فاسلم تميم سنة تسع وسكن المدينة ثم انتقل الى الشام
بعد قتل عثمان وكان من اهل الكتاب عالما بكتبهم فقرا فيها بعثة رسول
الله صلى الله عليه وسلم والتبشير به فقدم على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وامن به واقطعه اراضي بالقدس وقصته مشهورة افردها ابن حجر
وكذا السيوطي بالتاليف والنجاشي بفتح النون وكسرها وتشديد اليا
وتخفيفها واسمه اصحمة وقيل غيره لكن كسليم بالتصغير وهو ملك
الحبشة توفي في السنة التاسعة من الهجرة في شهر رجب وصلى عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الغايب وهاجر اليه المسلمون
الهجرة الاولى وكان قصة اسلامه المشهورة انه قال للقسيسين اشهد
انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه الذي بشر به عيسى ولولا ما انا
فيه من الملك اتيته وكنت احمل نعليه وكان من اعلم اهل عصره بالانجيل
يعرف صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبكي حتى يبل لحيته

وقد تقدم الكلام في ترجمته **ونصارى الحبشة** هم قوم منهم عرفوا صفته صلى الله
عليه وسلم في الانجيل واخبروا بها **واساقفة نجران** وفي نسخة اساقف بدونه
هاجمع اسقف وقد تقدم الكلام عليه قريبا اي علماؤهم ورؤساؤهم
ونجران بفتح النون وسكون الجيم وراء مهملة والف ونون وهو موضع
باليمن سمي بنجران بن زيدان بن سبا بينه وبين مكة سبع مراحل وليس
من الحجاز وبه يسمى اهله وهم نصارى وفد وا على رسول الله صلى الله عليه
وسلم اي ستون راكبا من اشرافهم وكان لهم علم بالكتاب واشرفهم ابو حارثة
كان ملوك النصارى عظموه لعلمه بالنصرانية فملكوه ومولوه وبنوا له الكنايس
واخدموه فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه اخوه كوز بضم
الكاف واخره زاي فتعثرت على بغلة له فتعثرت فقال له كوز تعس الابعد
فقال له لم يا اخي قال لم تو من لهذا النبي وانه الذي كنا ننتظره فقال
بلى والله فقال له فما يمنعك قال ما اصنع هولاء القوم شرفونا وتولونا
وقد ابوا الا خلافه فلو فعلت نزعوا منا كل ما ترى فاضمرها في نفسه
حتى اسلم وكان يحدث به فلما دخلوا المسجد الشريف وقت العصر وعليهم
الحبرات في جمال لم ير مثله فحانت صلاتهم فقاموا في مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم يصلون الى المشرق فقال دعوهم ثم اتوه صلى
الله عليه وسلم فكلمه منهم ابو حارثة والعاقب والايهم ودينهم
النصرانية والتثليث فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
اسلموا قالوا اسلمنا قال كذبتم يمنعكم الاسلام دعاكم لله ولدا وعبادة
الصليب واكل الخنزير فانزل الله فيهم اول سورة ال عمران فلما
اراد صلى الله عليه وسلم ملاعنتهم تشاوروا فقالوا انه ما لاعن نبي
قوما الا استوصلوا ثم نزلوا على امره فاسلم بعضهم وقبل بعضهم الجزية
وارسل معهم عبيدة ابن الجراح رضي الله عنه يقضي بينهم والقصة
مفصلة في كتب التفسير والسير **وغيرهم ممن اسلم من علما النصا**
وقد اعترف بذلك اي ببعثته صلى الله عليه وسلم وانه بشر به في الكتب
القديمة **هرقل** ملك الروم وقصته مشهورة في اول البخاري
وهرقل بكسر الهاء وفتح الرا وسكون القاف كاخر وحكى اسكان الرا
وكسر القاف وكان يعرف امره صلى الله عليه وسلم في الكتب
الالهية ولكنه احب الملك وحكم بشقاوته ما لك الملك وفي الاستيعاب
انه امن به صلى الله عليه وسلم وفيه نظر لانه قاتل المسلمين بموتة
ووعدهم ان يابيهم في العام القابل فالاصح الاول وقد مات على

النصرانية

النصرانية وكان عالما بالكتاب وباحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما اخبر به
دحية **وصاحب رومة** بضم الراء وسكون الواو وميم مفتوحة يليها هاء في اكثر
النسخ وفي بعضها رومية بياء مخففة عند اهل اللغة كانطاكية وغيرها
وعدوا التشديد لحنا لانه ليس نسبة عربية وبعضهم يشدد دها
واختلف فيه فقيل هو ابن الناطور بطاء مهملة وهو لفظ اعجمي معناه
حارس الكروم والعامة تقوله ناطر بدون واو وتجعله بمعنى الحارس
مطلقا وانه عجمي بعضهم وقيل هو ضغاطر الذي تقدم واعترض بانه
اسلم فلا يناسبه قوله بعد انه ممن حمله الشقا على البقا على كفره
الا ان يخص ذلك باليهود وهو بعيد وفي القاموس رومة بلدة عند طبرية
فيها رياستهم وعلمهم وقيل غير ذلك ولا وجه لما قيل ان الصواب
صاحبه برومة كما ورد في الحديث ولا دليل لما ذكره على ما زعمه **عالما**
النصارى مثنى عالم **ورئيساهم** مثنى رئيس وهو سيد القوم وحاكمهم
وهذا صريح فيما قلناه من انه كان صاحب رومية اي حاكمها **ومقوقس**
صاحب مصر اي ملكها ومقوقس بزنة اسم فاعل فوعل على رومي وقيل معناه
معناه عندهم مطول البنا وهو الذي اهدى الى النبي صلى الله عليه وسلم
بدحا من قوارير وجارية من مارية ومنه اخذت مصر ولم يسلم ومات نصرانيا
على الاصح واسمه جريج بن مينا كما قاله الدارقطني ولهم مقوقس اخر
عد في الصحابة قال الذهبي ولعله الاول وهو ملك القبط وصاحب
الاسكندرية وارسل له النبي صلى الله عليه وسلم كتابا يدعوه فيه الى الاسلام
فاجابه بما هو معلوم في كتب الحديث والسير وقد يدخلون عليه الالف
واللام **والشيخ صاحبه** اي صاحب المقوقس قال البرهان وغيره وهذا
الشيخ لا نعرفه الا ان المسعودي ذكره وذكر له قصته في كتاب العجايب
احال عليها في مروج الذهب فان وقفنا عليها الحقناها بما هنا **وابن صوريا**
بضم الصاد المهملة وواو ساكنة يليها راء مهملة مكسورة وشناة تحتية
والف مقصورة وقيل انها ممالة وهو عبد الله بن صوريا الاعور اليهودي
ولم يكن في زمانه اعلم منه بالتوراة وقال النقاش انه اسلم وقيل
اسلم ثم ارتد ولم يذكر ابن اسحاق اسلامه وعده من الاصابة في الصحابة وفي
معالم التنزيل انه الذي نزل فيه قوله تعالى من كان عدوا لجبريل وكلام
المصنف مبني على عدم اسلامه **وابن اخطب** بزنة افعل من الخطبة
وهو حيي ابو ام المومنين صفية رضي الله عنها **واخوه** ابو ياسر اليهوديان
اللذان قتلا كافرين صبرا في اسرا بني قريظة وكانا يعلمان امر النبي

صلى الله عليه وسلم وما في التوراة من ذكره بصفته ومع ذلك كانا اشد
الناس عداوة له كما ذكرت ذلك صفية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد
ما اسلمت وقالت لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة
غدا اليه ابي وعمي ثم جاآ بالعشي فسمعت عمي يقول لابي اهو هو قال نعم الحديث
وكعب بن اسد من بني قريظة وهو صاحب عقدهم وقال لهم لما حاصرهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر يهود انكم ترون ما نزل بكم من الامر
فتعالوا نتابعه ونصدقه فوالله لقد تبين لكم انه نبي مرسل وانه الذي
تجدونه في كتابكم فتامنوا على دمائكم واموالكم واهليكم فقالوا لا نفارق
حكم التوراة ولا نستبدل به غيره الى اخر القصة وما كان من نقضهم
العهد وقتلهم ويقال ان اسم كعب كنه بفتحتين وكان ومثناة ه
فوقية والمهملة والزبير بن باطيا الزبير هنا بفتح الزاي المعجمة
وهو من يهود بني قريظة ايضا قتل كافرا في وقعة بني قريظة وهو
جد عبد الرحمن بن الزبير بضم الزاي وقيل انه بفتحها كاسم جده
قيل والصحيح انه بالضم كما في تاريخ البخاري وقال
ابن مرزوق الزبير بفتح الزاي في اليهود وفي غيرهم بالضم والزبير
هذا قتله ثابت بن قيس بن شماس يوم بني قريظة وكان من اعلم اليهود وقد
روي عنه انه كان يقول اني وجدت سفرا كان ابي يختمه علي
ذكر احمد نبي يخرج بارض القرظ صفته كذا وكذا فتحدث به الزبير بعد
ابيه والنبي صلى الله عليه وسلم لم يبعث فما هو الا ان سمع بان النبي صلى الله عليه
وسلم خرج بمكة عمد الى السفر فمحاه وكتم شانه صلى الله عليه وسلم
وصفته وقال ليس به وباطيا بموحدة والف تليها طا مهملة ومثناة
تحتية والف مقصورة وفي بعض النسخ باطا بدون يا وكتب عليها
صح وقال التلمساني انها رواية وغيرهم من علماء اليهود
الذين عرفوا نبوته صلى الله عليه وسلم وذكروه بصفته نقلا عن كتبهم
واخبارهم ولم نذكرهم في مفصلات السير ممن حملة الحسد الذين عرفوا نبوته
صلى الله عليه وسلم وذكروه بصفته نقلا عن كتبهم واخبارهم ولهم ذكره
في مفصلات السير ممن حمله الحسد له صلى الله عليه وسلم كابن سلول
والحسد للعرب اذ كان هذا الرسول منهم دون نبي من بني اسرائيل
والنفاسة بفتح النون بمعنى المنافسة وفسرت بالحسد وهي مغايرة
له لانها المنازعة في الانفسية بان يدعي انه انفس واحق بما هو فيه
وانه لا يساويه ولا يستحقه وحمله بمعنى بعثه ودعاه لما ذكر حتى كانه حمله

حتى اوصله ثم صار حقيقة عرفية فيما ذكر على البقا على الشقا اي اصراره على كفره
او ارتداده عنادا او الشقا ضد السعادة وبين الشقا والبقا تجنيس والاخبار
الواردة في هذا الباب كثيرة لا تنحصر اشارة الى ان ما ذكره قليل بالنسبة
لما تركه منها اذ هي لا يمكن حصرها اي الاحاطة بها وقد قرع بالبنا للفاعل
والتخفيف والتشديد والقرع الضرب والصدم بما يسمع له صوت فاذا شدد
كان بنا لغة ويكون بمعنى التوبيخ والتعيير فاذا خفف فهو استعارة للمبالغة
في الزجر حتى كانه يضرب اسماعهم فاذا شدد فالمراد به توبيخهم بما ذكر
اسماع اليهود والنصارى خبرهم لانهم اهل الكتاب وقدم اليهود لانهم اشد
عداوة له صلى الله عليه وسلم وانكارا وعنادا وفي بعض النسخ يهود
والنصارى وعرف النصارى دون يهود لانه علم كما مر وقيل لان اليهود
اشد عداوة للمؤمنين ونحن نظيره بما ذكر انه في كتبهم متعلق بقرع وفاعله
النبي صلى الله عليه وسلم من صفته صلى الله عليه وسلم وصفة اصحابه
وفي نسخة وصفة امته وكلاهما صحيح متقارب المعنى فانه وقع في الكتب
الالهية ذكرهما خصوصا وعموما ففي التوراة انهم خير امة هم الاخرون
السابقون يوم القيامة اناجيلهم صدورهم يؤمنون بالكتاب الاول والاخر
ويقاتلون اهل الضلالة الى غير ذلك مما استوفاه ابن ظفر في كتاب خير
البشر بخير البشر واحتج صلى الله عليه وسلم اي اقام الحجة عليهم بما انطوت
عليه صحفهم اي ما حوته واشتملت عليه وفيه اشارة الى اخفائهم اياها وكتمه
لان الصحيفة اذا طويت لم ينظر لما فيها وصحف بضمتين وتسكن تخفيفا
جمع صحيفة وهي الكتاب والاكثر جمعه على صحائف لان فعيلة لا تجمع على
فعل الا نادرا من ذلك اي صفته صلى الله عليه وسلم وصفة امته وذمهم
بتحريف ذلك المذكور في كتبهم بتغيير بعض الفاظه وتفسيره بغير المراد
منه كقوله تعالى من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه الاية بدلوا
صفته صلى الله عليه وسلم اصلوا اخرها لحكم وقالوا ليس هو الموعود به
في كتابنا وكتمانه اي اخفا صفته صلى الله عليه وسلم وصفة امته كما قال
تعالى ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون وليهم السنتهم
ببيان امره اي تحريفه لغيره حسدا وبغيا لما يتركوا بيانه ويعدلوا
عنه لغيره كما اصل اللي فتل الحبل ونحوه فاستعير لصرفها عن
الصدق الى الكذب قال الراغب لوي لسانه كناية عن الكذب
قال تعالى يلوون السنتهم بالكتاب انتهى ودعوتهم الى المباهلة
على الكاذب اي نزع اسماعهم بدعوتهم اليها وطلبها منهم كما وقع له

صلى الله عليه وسلم مع نصارى نجران اذ دعاهم للمباهلة فابتهلوا الجزية
كما مر والمباهلة الملاعنة من البهل وهي اللعنة بان يقول كل منهما لعنة
الله على الظالم والكاذب منا وقد جرب ان المباهل لا تمضي عليه سنة
وقيل معناها التضرع والاجتهاد في الدعا وتعديته بعلى فما احد منهم
اي اليهود والنصارى الا من نفر اي اعرض وهرب عن معارضته فيما
قرع به اسماعهم ودابهم ترك المعارضة لعدم قدرته عليها واندا فاعله
ضمير من وانرده نظر اللفظة وجمعه في قوله ما الزمهم نظر المعنى
من وفاعل الزم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله من كتبهم
بيان لما اي مما الزمهم به من نصوص كتبهم كقصة الرجم المشهور اظهاره
معمول الزم اي الزمهم اظهاره اذ كتموه ولو وجدوا خلافه قوله
في كتبهم لكان اظهاره اسم كان وقوله اهون عليهم اي اسهل خبر كانه
من بذل النفوس بوحده وذال معجمة اي اعطايها للقتل ه
والاموال التي غنمها واخذها منهم قهرا وتخريب الديار ه
كما وقع ليهود خيبر وبني النضير وبنذ العناد اي تركه وهو اشنع لفعلهم
يقال نبذ النواة اذا طرحها وقد قال لهم جملة حالية اي لليهود لما قرع
اسماعهم بقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات
احلت لهم وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر فقالوا لسنا
اول من حرمت عليه فقد حرمت على ابراهيم ومن بعده حتى انتهى الامر
الينا فقال قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين
ليظهر انها لم تحرم الا عليكم لظلمكم وبغيكم فاسر بمحاجتهم بما فيها توبيخا
٢ لهم فلما قال لهم ذلك بهتوا ولم يا توا بسنة شفقة لانقطاع حجتهم
وظهور كذبهم كما في قصة الرجم وكانوا ادعوا ان لحوم الابل حرمت
على يعقوب ومن بعده في التوراة فتحققوا تحريمها فقال لهم صلى الله عليه
وسلم انها لم تحرم عليه وانما امتنع يعقوب من اكلها لانه كان
به عرق النسا وهي نقيره الى ما انذر به الكهان جمع كاهن وهو الذي
كان يخبر بالامور قبل وقوعها ويدعي الاطلاع عليها والانذار الاعلام
بما فيه موعظة وتخويف والى غاية لما تقدم اي انتهى ما ترادف من
الاخبار الى انذارهم به بقرب زمانه او الى بمعنى مع وكانت الكهان
تتلقى ذلك من الشياطين مثل شافع بن كليب شافع بشين معجمة
كاسم الفاعل من الشفاعة وكليب تصغير كلب وهو كاهن من كهان
الروم العرب اخبر بقعا بخبر النبي صلى الله عليه وسلم وهاجرته بالمدينة

كما

كما تقدم بيانه وقال الحافظ ومن تبعه لا اعرفه وشق وسطيح وهما
كاهنان من كهان العرب وشق بكسر الشين المعجمة هو شق بن صعب
بن يشكر وجده الاعلى ربيعة بن انمار وكان نصف انسان له يد واحدة ورجل واحدة
وعين واحدة وكانت العرب تاتيه فيخبرهم بما سياتي وسطيح بفتح
السين وكسر الطا المهملتين يخبرهم بما سياتي وسطيح بفتح السين
وكسر الطا المهملتين وثناة تحتية وحاء مهملة وهو ابن ربيعة
ابن مسعود ابن مازن بن غسان قيل ان جسده كان لا عظم فيه غير جمجمة
راسه فكان يدرج كالثوب فاذا غضب انتفخ وقيل انه عاش ثلاثمائة
سنة وقصتهما وذكرهما للنبي صلى الله عليه وسلم لما ارسل كسرى عبد
المسيح يسأله عن رؤيا هالته مذكورة في السير مشهورة ولهما قصص
كثيرة في التواريخ واذكار زمانه صلى الله عليه وسلم مشهورة ولهما
قصص كثيرة في التواريخ واذكار ماته صلى الله عليه وسلم وسواد ابن قارب
بلفظ السواد ضد البيا من وقارب بزنة اسم فاعل من القرب وهو سواد
الدوسي الصحابي وكان كاهنا من كهان العرب له ري من الجن ياتيه ويخبره
بالمغيبات فبينما هو ذات ليلة اذ اتاه فضربه برجله وقال له قم يا سواد ابن
قارب فاسمع مقالتي ان كنت تعقل انه قد بعث رسول الله من لوي ابن
غالب يدعو الى الله عز وجل والى عبادته ثم اتاه لياليا يقول له مثل مقالته
فركب ناقته والى المدينة واجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وامن به واخبره بخبره وبنيه وما قال له من الاشعار وسر بذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفصيله في السير وخنافر بفتح الخا
المعجمة ونون والف بعدها فا مكسورة وثم را مهملة وهو كاهن
من حمير له ري من الجن اخبره ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم فاسلم
على يد معاذ رضي الله عنه ولم ير النبي صلى الله عليه وسلم فهو تابعي وهو
ابن التوام الحميري وله جنية تسمى شصارا وصاشر وكان عاتيا ذا مال
وسعة فاسلم وحسن اسلامه وفي امالي القالي عن الكلبي قال
كان خنافر بن التوام الحميري كاهنا قد اوتي بسطة في الجسم وسعة
المال وكان عاتيا فلما وفدت وفود اليمن على النبي صلى الله عليه وسلم
وظهر الاسلام اغار على ابل المراد فلحق باهله ومعها الشجرة فحالفه
لها جودان وهو سيد بني سبع ونزل عنده بواد مخصبه وكان له ري
في الجاهلية لا يكاد يغيب عنه فلما فشا الاسلام فقده مدة حتى
ساه ذلك فبينا هو بذلك الوادي هوي عليه هوي العقاب وناداه

خنافر فقال شصار فقلت انا قال قل اسمع فقال ع نعم لكل مدة نهاية
وكل ذي امد الى غاية قلت اجل قال كل دولة الى اجل ثم
يتاح لها حول انتسخت النحل ورجعت الى حقايقها الملل انك سجير موصول
والنصح لك مبذول انى انست بارض الشام نفرا من ال العزام حكاما على
الحكام يزبرون ذا رونق من الكلام ليس بالشعر المؤلف ولا السجع
المتكلف فاصغيت فزجرت فعاودت فظلعت فقلت بم تهينمون
والى م تعترون قالوا خطاب كبار جاء من عند الملك الجبار فاسمع يا شصار
اصدق الاخبار واسلك اوضح الاثار تنج من اوار النار قلت
وما هذا الكلام قالوا فرقان بين الكفر والايمان رسول من مضر من
اهل المدر ابتعث فظهر فجا بقول قد بهر واوضح نهجا قد دثر
مواعظ لمن اعتبر ومعاذ لمن ازدجر الف بالاي الكبر قلت
ومن هذا المبعوث من مضر قالوا احمد خير البشر فان امنت اعطيت
الشبر وان خالفته اصليت سقر فامنت يا خنافر واقبلت
اليك اباد ر فجانب كل نجس كافر وشايع كل مؤمن طاهر والا هو الفراق
عن لا تلاق قلت من اين ابغي هذا الدين قال من ذات الاحرين
والنفر الميامين اهل الماء والطين قلت اوضح قال
الحق بيثرب ذات النخل والحرة ذات النعل فهناك اهل الطول
والفضل والمواساة والبذل ثم املس عني فبت مذعورا اراعي
الصباح فلما برق لي النور امتطيت راحلتي واذنت عبدي واحتملت
باهلي حتى وردت الجوف فرددت الابل على اربابها بحولها واستقابها
واقبلت اريد صنعا فاصبت بها معاذ بن جبل امير رسول الله
صلى الله عليه وسلم فبايعته على الاسلام وعلمني سورا من القران ه
فمن الله علي بالهدى بعد الضلالة والهدى والعلم بعد الجهالة
ثم ذكر له شعرا وشرح ما في الخبر من اللغة فان اردته فارجع اليه وفيما
ذكرنا كفاية وافعى نجران هو ملك من ملوك نجران كان كاهنا وهو
الافعى بن الافعى الجرهمي عن عاصم ابن عمر بن قتادة قال قدم شيخ من
همدان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه اربعون رجلا يحفونه
به فقال يا رسول الله حرفت وددرته وشمطته ثم رجع ذلك فاسود
شعري وثاب عقلي ونبتت اسناني وهو لا والدي يصلبني وخلعهم
من سللهم اصنعا فهم وقد سمعت افعى نجران يذكر في غابر الزمان انه
سيبعث نبي من صفته ان له خاتما يسطع نوره بين كتفيه يبعث

بمكة ويهاجر الى طيبة بالذي فضلك بالرسالة وايضاح الدلالة الا كشفت لي
عن خاتم نبوتك فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال حفظت
على طول العهد وانا ابلك المعتبر ثم كشف له عن خاتم النبوة فاكب عليه
يقبله وافعى نجران هذا هو الذي حكم بين اولاد نزار لما تشاحوا في ميراث
ابيهم وهم مضر وربيعة واغار واياد وقال يا مضر انت ابو النبي التهامي
فانا نجد في الاثار انه من ولد نزار بن معد بن عدنان واني لا ارى النبوة
بين عينيك ثم اذا اجلسه على سرير ملكه واخلس تحته وهذا ما اشار
اليه المصنف والشراح كلهم لم يقفوا عليه وجذل بن جذل الكندي
قال الحافظ الحلبي لا اعرفه وتبعه غيره من الشراح وهو كاهن
من كهان العرب اخبر بمبعثه صلى الله عليه وسلم قديما ولم ار تفصيل قصته
الان التلمساني قال جذل بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة ولام وقيل
انه بجيم ودال مهملة مفتوحتين من كندة وهي قبيلة معروفة لما ولد قد
امه لمسته ذكره حده من شدة البرقطنته جاريته فطوحته ورجها
في سكرات الموت فاشتغلت بموته ثم ذكرته بعد ثلاث وقد بشرت فيها
بولد ذكر لتسميه باسم ابيه فقامت وهي تظن انه مات فوجدته كلبة
ترضعه فحملته وسمته باسم ابيه وابن خلصة الدوسي بخاء معجمة ولام
وصاد مهملة مفتوحات هو كاهن من كهان العرب بشر بالنبي صلى الله
عليه وسلم ولم يذكروا له ترجمة ودوس بفتح الدال المهملة
قبيلة معروفة وقال في الخصائص الكبرى كفلا عن الهواتف عن مرداس
ابن قيس الدوسي قال ذكرت الكهانة عند النبي صلى الله عليه وسلم
فقلت يا رسول الله كانت عندنا جارية يقال لها خلصة لم نعلم
عليها الا خيرا اذ جاءتنا فقالت يا معشر دوس هل علمتم في الا خيرا قلنا وما
ذاك قالت اني لفي غنمي اذ غشيتني ظلمة فوجدت كحس الرجل مع المراة
فحملت فلما دنت الولادة وضعت غلاما اعضف له اذنان كاذني الكلب
فمكث فينا حتى انه لا يلعب فلما كان يتخشى صار يكذب فقلنا له ما هذا
فقال ما ادري كذبني الذي كان يصدقني اعتمدوني في بيتي ثلاثا ثم
ايتوني ففعلنا وفتحنا عنه فاذا هو كانه جمرة نار فقال يا معشر دوس
حرست السما وخرج خير الانبياء فقلنا من اين قال بمكة وانا ميت فادفنوني
براس جبل فاني ساضطرم نارا فاذا رايتم ذلك فاقذفوني بثلاثة احجار
قولوا مع كل حجر باسمك اللهم فاني اهدى واطفى فقلنا ذلك وانما خبئ قدم
علينا الحاج فاخبرنا بمبعثك يا رسول الله انتهى ومنه تعلم ان الشراح

لعدم وتوفيهم على قصتها ظنوها كاهنة كما ذكروا انما هي كاهنة فاعرفه فان
خلصة امراة والكاهن ابنها وسعدى بنت كريز بضم الكاف العربية
وبالراء المهملة واخره زاي معجمة وفي النسخ هنا اختلاف والصحيح
ما ذكرناه وهي خالة عثمان بن عفان اخت امه كانت في الجاهلية لها علم
وكهانة فاخبرت عثمان ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم وتزوجه بابنته
رقية فصدقها وكان ذلك سبب اسلامه فلما اسلم
كانت تنشده

هداك الله عثمان بقولي الى التي ... لها رشده والله يهدي الى الحق

وفي بعض النسخ سعدى بنت كريز وفاطمة بنت النعمان قال
التلمساني هي فاطمة بنت النعمان النجارية كان لها تابع من الجن وكان
اذا جا اقتحم عليها فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاها وقعد
على حائط الدار فقالت له لم لا تدخل فقال قد بعث نبي يحرم الزنا
فكان ذلك اول ما سمع بذكر النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة
وكانت في الجاهلية عالمة كاهنة ونعمان بضم النون هو نعمان بن قراد
وقيل هو علي بن نعمان بن قراد وروي عن ابن عمر وغيره وهو تابعي
ونعمان اسم موضع واسم الدم ايضا ومن لا يعد كثرة وفي نسخة يتعد
مطاوع اي لا يعد لكثرته لا لعدم اعتباره مضمونا او متنها الى ما ظهر
على السنة الاصنام الظاهر انه استعارة تمثيلية شبهها في ظهور صوت
شخص بكلام ويتكلم وهذا لا يصح لانه على مذهب الجبائي
الذي يشترط الالة المخصوصة للنطق وحتى لا تشترط الالحياة فالصواب
كلام الاصنام او نطق الاصنام الان يراد باللسان الكلام وليس يخفى لما
علمت من انها استعارة وهذا تغيير في وجوه الحسان وقد ذكر
ابن اسحاق وغيره كثيرا مما سمعه المشركون من جوف اصنامهم يقولون
ان امرهم بطل بظهور الرسول صلى الله عليه وسلم ويامرهم باتباعه وان
الباطل بطل وقد جا الحق من نبوته صلى الله عليه وسلم وحلول
وقت رسالته ومن بيانه مما كهم كان لمازن الطائي ثوب له يوما قربانا
فسمعه يقول يا مازن اقبل الي اقبل تسمع ما لا يجهل هذا نبي
مرسل جاء بحق منزل امن به كي تعدل عن حر نار تشتعل الى اخر ما في السير
من انه سمعه منه مرارا فكسره ورحل الى النبي صلى الله عليه وسلم
واسلم ونظايره كثيرة وكانت الشياطين هي التي تسمعهم الكلام منها
غيرانه يردهم وسمع مبني للمفعول معطوف على ظهر من هواتف الجن

وفي

وفي نسخة الجان وهما بمعنى وقد فرق بينهما بان الجان ابو الجن والجن
الجنس كله والهواتف جمع هاتف من الهتف وهو الصوت العالي وغلب
في صوت يسمع ممن لا يرى شخصه من صرح ولذا اخص بالجن عند العرب
وكان عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم كثرة لذلك وللحزامي كتاب
الهواتف جمع فيه ذلك فكان تلك الهواتف تخبر ببعض احوال النبي صلى الله
عليه وسلم وهذه اية عظيمة من اياته وظهوره بشانه كسماع ذباب ابن
الحارث هاتفا يقول يا ذباب اسمع العجائب بعث محمد بالكتاب يدعو فلا
يجاب وسماع ابن قرة الغطفاني هاتفا يقول جاء حق فسطع ودم باطل
فانقمع وسماع قريش هاتفا يخبر بنزوله صلى الله عليه وسلم على ام سعيد
الى غير ذلك نعم الكون السنة تطلق تخبر به وتدل على علو منزلته ولكن
الله يضل من يشا ويهدي من يشا والصوفية يسمعون الواردات الالهية
هاتفا ومن ذبائح النصب اي ما سمع منها اذ قربت للذبح والذبائح جمع
ذبيحة وهي ما يذبح من بقر ونحوه والنصب بضمتين جمع نصب بفتح
فسكون وهو ما ينصب من الحجارة والاصنام للعبادة وهو مثل ما سمع
عمر رضي الله عنه من عجل قرب رجل ليذبحه قربانا لصنم فقال يا ال ذريح
امر نجيح رجل فصيح يقول لا اله الا الله الى اخر ما رووه واجواف الصور
اي ما سمع من الاصنام التي كانوا يصورونها وهو جمع صورة بمعنى جثة
مصورة وهي التماثيل والاجواف جمع جوف وهو داخل كل شي وما وجد من
اسم النبي صلى الله عليه وسلم مكتوبا في الحجارة والقبور اي
وعلى القبور بالخط القديم المتقدم عهده كتابته والشهادة له بالرسالة
بذكر اسمه وانه نبي مرسل من الله مما اكثره مشهور بين الناس
وما الثانية بدل من الاولى او خبر والاولى مبتدا اذ هما موصولتان
وقد نقلته ثقات المورخين في قصص لا تخفى ومكتوب حال مرفوعا
خبر مبتدا محذوف ومنصوب بمفعول ثان لوجد والخبر مقدر اي ثابت
وقد تقدم انه وجد بخط عبراني على بعض الحجارة محمد تقي مصلح امين
وفي تفسير قوله تعالى وكان تحته كنز لهما عن ابن عباس انه لوح من
ذهب مكتوب فيه عجبا لمن ايقن بالقدر كيف ينصب عجبا لمن ذكر النار كيف
يضحك عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها كيف يطمئن اليها انا الله لا اله الا انا
محمد عبدي ورسولي وشرح ذلك كله بما فيه الكفاية واسلام من اسلم
بسبب ذلك اي ما راه من الكتابة القديمة والمراد انها بخبر اللسان العربي
وهو مما يدل على صدق ما كتب فاعرفه معلوم مذكور في السير والتواريخ

فصل ومن ذلك اي مما يدل على نبوته صلى الله عليه وسلم ورسالته
ما ظهر من الايات اي العلامات او الادلة عند مولده اي ولادته صلى الله
عليه وسلم فهو مصدر ميمي ما حكمته امه آمنة بنت وهب وهي اشهر من ان
تذكر ومن حضر ولادته من العجائب قيل اخر هذا الفصل وكان ينبغي
تقديمه لانه اقوال لتقدم المعجزات بحسب الشرف وبابه انه ذكر فيه
ما يتعلق بوفاته صلى الله عليه وسلم وهي متاخرة فهو ناظر لذلك او لانه
لا يختص بزمان وهو كالاجابة لما تقدم والعذر لكنه تاخروا العجايب
وما معه اشارة الى ما رواه ابو نعيم عن ابن عباس من ان امه صلى الله
عليه وسلم لما حملت به اتاها آت في منامها بعد ستة اشهر وقال
لها يا آمنة انك حملت بخير العالمين فاذا ولدتيه فسميه محمدا واكتمي
شانك فلما اخذني ما ياخذ النساء تعلم بي احد واني لوحيدة في
منزلي فطرقه فسمعت وجبة عظيمة وامرا عظيما هالني فرايت
كان جناح طاير ابيض قد مسح على فؤادي فذهب عني الرعب
وكلما احدثتم التفت فاذا انوار غالبة ونسوة طوال حولي فقلت
من اين علمن بي فقالت احداهن نحن آسية امرأة فرعون ومريم
ابنة عمران وهولاء من الحور العين فبينما انا كذلك واذا انا بديباج ابيض
بين السما والارض وقائل يقول خذاه عن اعين الناس ورجال
في الهوا بايديهم اباريق من فضة وقطعة من الطير مناقيرها من زمرد
واجنحتها من الياقوت فكشف الله عن بصري فرايت مشارق الارض ومغاربها
فرايت وعلما بالشرق وعلما بالغرب فوضعته صلى الله عليه وسلم
وكانت قريش مجدبة فاخصبت الى غير ذلك مما ذكروه قال ابن الجوزي
في تلقيح الفهوم اتفقوا على انه ولد يوم الاثنين في شهر ربيع الاول
عام الفيل واختلفوا فيما مضى منه على اربعة اقوال فقيل
لليلتين خلتا منه وقيل لثمان وقيل لعشر وقيل لاثنتي عشرة
خلت منه ومات ابوه وهو ابن خمس وعشرين سنة ورسول الله
صلى الله عليه وسلم حمل وقيل ابن سبعة اشهر وقيل ابن ثمانية
وعشرين شهرا والاصح الاول وكونه رافعا راسه عند ما وضعته
اي رفعه نحو السما كما رواه البيهقي شاخصا ببصره الى السما
قال الراغب شخص من بلده ذهب وشخص سمعه وبصره واشخصه
[illegible] وقوله شاخصة ابصارهم اي اجفانهم لا تطرف انتهى وقوله
الى السما [illegible] شاخصا وهذا اشارة تعلقه صلى الله عليه وسلم

بالملا

بالملا الاعلى وتوجهه من اول امره كما قال الابوصيري

رافعا راسه وفي ذلك الرفع ● الى كل سوددٍ ايما

رامقا طرفه السماء ومرمى ● عين من شانه العلو العلا

وروي انه خرج معه نور اضا له المشرق والمغرب وروي انه ولد واصابعه
مقبوضة مشيرا بالسبابة كالمسبح وما رأته امه كما رواه احمد والبيهقي
من النور الذي خرج معه عند ولادته وحديث النور الذي خرج
معه اضا له جميع الارض رواه جماعة وصححه ابن حبان والحاكم وعن
اسحاق بن عبد الله ان امه صلى الله عليه وسلم قالت لما ولدته خرج
من فرجي نور اضا له قصور الشام وتقدم في كلام المصنف عن ام عثمان
قالت ولدته مطبقا ما به قذر قال ابو شامة لان امر هذا النور اشتهر
ذكره في قريش واليه اشار العباس كما مر

يقول وانت لما ولدت اشرقت الارض ● وضاءت بنورك الافق

الخ وقال حسان رضي الله عنه

نورا اضا على البرية كلها ● من يهد للنور المبارك يهتدي

قال ابن رجب رحمه الله وهو اشارة الى نور هداية الذي محى ظلمة
الشرك كما قال تعالى قد جاكم من الله نور وكتاب مبين وقوله واضات
قصور الشام خصه لانه مشرق انوار النبوة وهي دار ملكه وما رأته
اذ ذاك اي وقت ولادته ام عثمان ابن ابي العاص ابو عبد الله
ابن بشر الثقفي واسمها فاطمة بنت عبد الله وعثمان هذا من اكابر
الصحابة تولى فتوحات وتولى قضا البصرة وروى عنها ابنها انها
شهدت مولده صلى الله عليه وسلم ورأت ما رأته من تدلي النجوم
التدلي الدنو والقرب كما قال الراغب وهو في الاصل استعارة
من الدلو وصار حقيقة عرفية في القرب وظهور النور الذي خرج معه
كما مر ويحتمل انه نور النجوم لقربها حين ما نظرا اي ام عثمان المذكورة
[illegible] ويجوز ان يقرا بالنون للحاضرين او الموجودين والاول
اولى ورأيته الا النور اي لا ترى شيئا غير المذكور النور
وهو مبالغة في قوته وانتشاره في جميع النواحي والظاهر ان تدلي النجوم
على ظاهره قال الابوصيري رحمه الله

وتدلت زهر النجوم اليه ● فاضاءت بضوئها الارجاء

وقيل يعني تدليها سقوطها ولا ينبغي مثله وقول الشفا ام عبد
الرحمن بن عوف الشفا بمعجمة مفتوحة وفا مشددة ومد كما قاله

انظر

الدلجي والمعول عليه ما قاله البرهان الحلبي انه بكسر الشين والعصر وهي
كما قاله الذهبي بنت هو عوف بن عبد الزهرية من المهاجرين والدة
عبد الرحمن وبنت عم ابيه عوف بن الحارث وقال السهيلي ان اسمها
عنقا ايضا وفي الاستيعاب انها اخت عبد الرحمن بن عوف وحكا عن الزبير
قال وقد قيل انها امه لما سقط صلى الله عليه وسلم على يدي اي وضعته
امه فنزل على يديها واستهل اي عطس لا صاح وان كان يقال استهل
الصبي اذا صاح بعد ايراد قولها شمته قايلا اي حال كونها تقول له صلى الله
عليه وسلم رحمك الله او رحمك ربك او يرحمك ربك تشميتا بنا على انه حمد
بفتح الكاف وقال التلمساني انه روي بكسرها والظاهر الاول وهو لم
يقسوه في الخطاب لامه اوله صلى الله عليه وسلم باعتبار التسمية
وتفسير استهل بعطس ذكره الدلجي ويشهد له قول الابوصيري

شمتته الاملاك اذ وضعته ۞ وشفتنا بقولها الشفاء ۞

اذ القول المذكور لا يقال الا عند العطاس اي الذي التشميت بالشين المعجمة
والمهملة فلذا حمل الاستهلال على العطاس مع تصريحهم بانه لم يجي
في شي من الاحاديث انه صلى الله عليه وسلم لما ولد عطس وفي الجامع الصغير
استهلال الصبي العطاس فاستهلال المولود لم يعتبار بمجرد رفع الصوت
والعطاس بقرينة الحوائج الذي لا يقال الا عند العطاس وهذا
الحديث رواه ابو نعيم في الدلايل عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله
عنه واضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى رايت قصور الروم
ولا منافاة بين هذه وبين رواية قصور بصرى والروم لانها كانت
اذ ذاك بيد الروم وتتمة الحديث ثم اضجعته فلم انشب
الا غشيتني ظلمة ورعب وقشعريرة ثم غيبت عني فسمعت
قايلا يقول اين ذهبت به قال الى المشرق فلم يزل ذلك على بالي
حتى ابتعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنت اول الناس اسلاما
وفي الخوارق امور غريبة من تنكيس اسرة الملوك وذهاب الحيوانات
من الغرب للمشرق للتبشير به صلى الله عليه وسلم وروي كما تقدم
في كلامه انه ولد مختونا مسرورا اي مقطوع كما تقدم الجزم به في كلام السرة م
المصنف بل قال الحاكم في مستدركه انه تواترت به الاخبار وخالف
الذهبي لا اعلم صحته فضلا وانه اجاب بعضهم بانه اراد بالتواتر
الاشتهار فقد جاءت احاديث كثيرة في ذلك قال الحافظ انه كثير ممن الحفاظ
من صححها ومنهم من ضعفها ومنهم من رآها من الحسان وتقدم ان هذا

الجواب بعيد وقيل انه ختن يوم شق صدره وتقدم ما عليه من الكلام وما
تعرفت به حليمة بنت ابي ذويب السعدية مرضعته وخبرها
مشهور وزوجها الحارث بن عبد العزى ظيره عطف بيان او بدل
من حليمة وزوجها وهو تثنية ظير وهو المرضعة في الاصل
وتطلق على الاب من الرضاعة كما هنا اذ الظير مشترك معنوي لانه من
ظار اذا عطف فلا اشكال في تثنيته فانه ليس نحو عينين من مسموع ۞
ايضا من بركته صلى الله عليه وسلم لما اخذته من امه ودر درلبنها
له اي زيادة حتى وجد له صلى الله عليه وسلم ولاخيه من الرضاعة
بعد قلته ولبن شارفها اي ودر لبن شارفها والشارف الناقة
المسنة والغالب ان لبنها لا يدر وخصب غنمها بكسر الخاء رعيها
في مكان مخصب في سنة مجدبة او هو مجاز عن سمنها او كثرة لبنها وكل
ذلك ببركته صلى الله عليه وسلم لكونه عندها اذ امثل معنى الخصب
بكسر الخاء المعجمة المكان الكثير العشب واول من ارضعته صلى الله عليه
وسلم ثويبة جارية ابي لهب ثم حليمة رضي الله عنها وتقدم ان حليمة
قد قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم فاكرمها وبسط لها رداه لتجلس
عليه وقال ابن عبد البر انها اسلمت وانكره الدمياطي وضعف فيه
مغلطاي جزاوله صلى الله عليه وسلم اخوة من الرضاعة مفصلة
في السير كما فصل فيها احوال مرضعته وذهابها به صلى الله عليه وسلم
وسرعة شبابه وحسن نشاته اي سرعة نمو خلقه وقامته ونشاته
ابتدا امره في صغره من نشا بحشا نهوضا نشوا وان حليمة قالت
والله ما بلغ سنتيه حتى صار غلاما جفرا وما جرى اي وقع وحدث
من العجايب في ليلة مولده اي في ليلة ولادته مما رواه البيهقي
وغيره وفي نسخة بيلاده وهما بمعنى وهذا يدل على انه ولد ليلا وهو الذي
رواه ابن السكن في حديث نقلوه والذي في مسلم وصححوه انه
ولد نهارا بعد الفجر وقيل طلوع الفجر وقبل طلوع الشمس وجمع
بينهما بان تلك الحصة قد تعد ليلا لعدم نهارا منه وبعضهم يريد ان اليوم
من طلوع الشمس تغيبه لا ينافي ما تقرر من ولادته نهارا الحديث
المتقدم عن ام عثمان بن ابي العاص على تقرير صحته من دلالته على انه ولد
ليلا فان زمان النبوة صالح للخوارق ويجوز ان تسقط النجوم نهارا اي
فضلا عن ان تكاد تسقط سيما اذ قلنا ولد عند الفجر لان ذلك ملحق
بالليل كما تقرر من ارتجاج اي تحرك واضطراب ايوان كسرى وهو

عوضي

فضره ومن الاولى بيان لما والثانية للعجايب وقيل بيان لما ايضا
وفيه نظر وكسرى بكسر الكاف وفتحها معرب خسرو وكسرى هذا
هو انوشروان بن قباد وهو غير كسرى الذي كتب له رسول الله
صلى الله عليه وسلم فمزق كتابه فهو ابرويز بن هرمز بن انوشروان
وهذا الحديث رواه البيهقي وابن ابي الدنيا وابن السكن والايوان
الصفة العظيمة والبنا العالي العظيم واصله اوان بتشديد
الواو فابدلت الاولى يا وفسر بعضهم الايوان ببيت الملك العظيم
المعد لجلوسه مع من زايد لفصل الامور وسقوط شرفاته
جمع شرفة بضمتين او بضم فسكون بوزن غرفة وشرفات
بضمتين جمع شرفة كما في تثقيف اللسان ويجوز سكونها وفتحها
كما قاله البرهان وفسرت باعاليه وانما هي ما يبنى علا اعلى الحايط
منفصلا بعضه من بعض على هيئة معروفة وله شرفات كثيرة
فسقط منها اربعة عشر بعدد من ملك من اولاده بعد ظهور الاسلام
فانقضت مدتهم في زمان قليل واطلاق شرفاته على ما ذكر لاستوا
القلة والكثرة فيه لاضافته او لانه لا جمع له سواه او لانه يجوز
استعمال كل من الجمعين في معنى الاخر وغيض بحيرة طبرية
غيض بفتح الغين المعجمة وسكون اليا التحتية وضاد معجمة
مصدر غاض يغيض اذا قل او ذهب يقال غاض الما وغاضه
الله واغاضه فيتعدى ولا يتعدى وبحيرة تصغير بحرة وهي
البركة الكبيرة التي كثر ماؤها وتطلق على الارض الواسعة والمراد
الاول وطبرية بلدة بالشام معروفة من الارض المقدسة بينها وبين
القدس مرحلتين وبحيرتها عظيمة الان البرهان قال
المعروف بالغيض بحيرة ساوة اللهم الا ان يريد عند خروج
ياجوج وماجوج فان اولهم يشربها وياتي اخرهم فيقول كان هاهنا
ما انتهى اقول ما قاله غير صحيح هنا لان الكلام فيما حصل عند ولادته
صلى الله عليه وسلم من الايات والعجب ممن تابعه على هذا
مع ظهوره وساوة بلدة اخرى بينها وبين الري اثنان وعشرون
فرسخا والصواب الحق ان المراد بحيرة طبرية وطولها
ستة اميال كذا عرضها وقد روى الحديث البيهقي
وابن ابي الدنيا وابن السكن كما نقله السيوطي وغيره فالمعترض
لم يقف على هذه الرواية فلعل ما هنا نقص نقصا لا ينقص شيه

في

في زمان طويل او غار ماؤها وهاتان عادتا بعد ذلك لما فيهما من العيون النابعة
التي تمدها الامطار وقد علمت ان بحيرة تصغير بحرة لا بحر والتا زايدة
كما تقرر وهي ممنوعة من الصرف للعلمية والتانيث وليست
التا مزيدة فيها بعد العلمية كتا التدبية لتاويلها بالبقعة وهو
تكلف لا داعي له وخمود نار فارس بمنع الصرف لانه علم اعجمي ونار
اقليم معروف هو واصله فكان ما غاض من الما فاض على النار
فاطفاها والخمود الانطفا وكان هذا الليلة مولده صلى الله عليه
وسلم فكان لها اي لتلك النار الف عام لم تخمد لشدة اشتعالها
وكثرة امدادها اياها وكانوا يعبدونها كما قال ابن هاني

• تجدت الى النيران اعصرها ومذ • شعرت به تجدل نيرانها •

وقال اخر •

• وذاك دليل للنجاة من اللظا • به لا انطفا النار من كل موقد •

وقوله ولم تخمد بضم الميم وفتحها لانه ورد من بابي نصر وعلم
وكان كسرى واتباعه يعبدونها ويطيرون فيها المسك والعنبر
ونحوه ولحقهم بها فتنة عظيمة اذ لم تزل موقدة ولم تخمد ويقصد النار
ورويا كسرى وقصتها على سطيح مذكورة في السير مشهورة وانه
صلى الله عليه وسلم كان وهو طفل صغير كما رواه ابن سعد وغيره
عن ابن عباس اذا اكل مع عمه ابي طالب واله اي اهل بيته وكان صلى
الله عليه وسلم عنده في حضانته بعد عبد المطلب وهو صغير
جملة حالية شبعوا من الطعام ورووا اذا شربوا الما ونحوه لاما
ولذا اجعله ما كولا لانه عدا ابركته صلى الله عليه وسلم مما لا يشبع منه
مثلهم لقلته واذا غاب عنهم فلم يكن معهم فاكلوا وحدهم في غيبته عنهم
لم يشبعوا او ياتوا جياعا وكان ساير ولد ابي طالب اي جميعهم او بقيتهم بعده
صلى الله عليه وسلم منهم تغليبا وانكر بعضهم ورود ساير بمعنى جميع
ورددناه في شرح الدرة يصبحون اذا قاموا من نومهم شعثا جمع
اشعث وهو المغبر المتغير لونه كما هو عادة الاطفال اذ قاموا من
نومهم في مضاجعهم ويصبح صلى الله عليه وسلم اي يدخل في وقت
الصباح اذا قام من نومه صقيلا اي رايق اللون غير متغير البشرة
فهو استعارة من المراة الصقيلة دهينا اي كان وجهه دهينا
بغالية دهنوها ما لا نوا يدهنونه به حتى تترك وجوههم كحيلا اي
مكحل العين وكل ذلك من غير صنع لاحد وهي منصوبة بيصبح اذ كانت

ناقصة او اخوالدًا ولاد ابي طالب سبعة اذ ذاك عقيل وجعفر ناقصة
او اخوال ولاد ابي طالب سبعة اذ ذاك عقيل وجعفر وطالب
وعلي وام هاني وام طالب وجماعة وكلهم اسلموا الا طالبا فانه مات
كافرا فهذا مجاز او حقيقة وفسر المدهون بخلاف الاشعث والمصفوف
بالمستوي الشعر والكحل بالذي لا رمص بعينه ولا قذى وكان ابو طالب
يحبه صلى الله عليه وسلم حبا شديدا ويؤثره على اولاده فاذا اتي بطعام
يقول لا تاكلوا حتى يأتي ابني وروي في بعض النسخ **وقالت ام ايمن**
هي بركة بنت محصن ابن ثعلبة بن عمرو بن حصن بن مالك بن سلمة
بن عمرو بن النعمان مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم **حاضنته**
اي التي كانت تربيه طفلا سميت حاضنة لانها تجعل الولد في حضنها وقيل
انها ارضعته وحبشية وابنها ايمن بن عبيد الحبشي وتزوجها زيد بن
حارثة وكانت وصيفة لعبد الله ابوه صلى الله عليه وسلم وروي
عنها في الصحيحين وادركت خلافة عثمان كما نقله الذهبي عن الواقدي
وفي مسلم عن الزهري انها توفيت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
بخمسة او ستة اشهر وهو الذي صححه النووي وخطأ الواقدي
فيما قاله وانما حضنته لموت امه **ما رايته صلى الله عليه وسلم
يشكوا جوعا ولا عطشا صغيرا ولا كبيرا** لان الله تكفل به فكان يبيت
عند ربه يطعمه ويسقيه كما قال ووجدك يتيما فآوى وحاضنة
اسم فاعل مؤنث من الحضن وليس فعلا من المفاعلة وانه عدل
عن حضنته لحاضنته للاشعار بالفاعلية من جانبه بتركاته كما توهم
وهو خطأ فاحش على عادته **ومن ذلك** اي دلائل رسالته المشاهدة
عند ولادته **حراسة السما بالشهب** وهي شعل النار المرتفعة في نجوم السما
جمع شهاب **وقطع رصد الشياطين** اي رصدهم وترجمهم لسماع ما تقول
الملائكة فتحفظه وتلقيه للكهنة فهو مصدر ويكون بمعنى راصد
وجماعة فلذا اطلق على الواحد وغيره والشياطين مردة الجن
ومنعهم اي منع لهم **من استراق السمع** وهو ان يختفي احد ليسمع
كلام من لم يرد سماعه فكانه يسرق الكلام الذي سمعه واعلم ان
رمي الشياطين بالشهب لم يحدث في زمنه صلى الله عليه وسلم فانه كان
قبل ذلك ايضا ولكنه لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم في زمان كان كثيرا
للكهنة وكانت الجن تخبرهم ببعض المغيبات فيلقونها للناس منعهم الله
من ذلك بالكلية حتى لا يلتبس الوحي بغيره فكثر الرجم بالشهب من جميع

النواحي

٢٨٩

النواحي فبطلت الكهانة ومنع الجن من الاطلاع على المغيبات ولذا لما
رأت قريش كثرة القذف بالنجوم قالوا اقتربت الساعة وخراب الدنيا فقال
لهم عتبة بن ربيعة انظروا الى العيوق ان كان رمي به فقد ان قيام الساعة
والا فلا والي هذا اشار قوله تعالى وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت
حرسا شديدا الاية وقد روي ان ابليس كان يخترق السموات فلما ولد عيسى
عليه الصلاة والسلام حجب عن ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه
وسلم حجب عن جميعها ومنع غيره من القرب منها والشهاب الذي يرمي به
قيل انه لا يخطيه ولكنه يحرقه ولا يقتله وقال الحسن انه يقتله
فقد علمت ان رمي الشهب لم يحدث في زمنه صلى الله عليه وسلم كما توهمه
بعضهم وانما كثر واشتد فيه وكانوا في الجاهلية اذا راوا شهابا سقط
قالوا يموت او يولد عظيم كما ورد في الحديث **ومن دلائل نبوته صلى الله
عليه وسلم ما نشأ عليه** اي خلقه الله عليه من ابتداء انشائه وطفوليته
من بغض الاصنام وكراهة قربها ومسها كما روى البيهقي ان زيد بن حارثة
مر بصنم فتمسح به فقال له صلى الله عليه وسلم لا تمسه ونهاه
عن القرب منه كما نهى ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ازر عنها
والعفة عن امور الجاهلية التي كانوا يرتكبونها فخلقه الله متنفرا
عنها لسلامة طبعه كاللهو واللعب وغيره والعفة حالة للنفس تمنع من
غلبة الشهوة والتعفف تعاطيها كما قاله الراغب **وما خصه** به
من ذلك فجعل فيه اخلاقا مرضية واعمالا زكية ونفسا قدسية
فعانه **وحماه** قبل بعثته من الصفات الردية **حتى في ستره** بفتح السين
المهملة وسكون المثناة الفوقية مصدرا اي ستر بدنه حتى لا يرى احد منه
صلى الله عليه وسلم ما لا ينبغي رؤيته كالعورة فكان لا يتعرى عند احد
وكانت الجاهلية تفعله حتى يطوفوا عراة احيانا وفي نسخة حتى ستره بجرد
يحيى وهو غاية لما قبله من الحماية وما قيل ان كان المراد كشف العورة
فهو قبيح عقلا وما دونها ليس بقبيح عقلا وشرعا الا ان يقال انه من
خصوصياته الدالة على نبوته لا طائل تحته **في الخبر المشهور** الذي رواه
الشيخان عن جابر رضي الله عنه والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما **عند
بنا الكعبة** اي لما بناها قريش ونقلهم الحجارة لبنائها وكان صلى الله عليه
وسلم ينقل الحجارة معهم **اذ اخذ ازاره** اي ملحفته التي كان يتزر بها
ليجعله على عاتقه اي اخذ الازار ليجعله على كتفه الذي يضع عليه
الحجارة حتى لا تؤذيه **ليحمل عليه** اي على عاتقه او ازاره الحجارة **وتعرى**

اي انكشف اسفله لنزع الازار عنه فسقط الى الارض مغشيا عليه
عورته وعينه شاخصة كلتيهما حتى رد ازاره عليه فستر عورته فقال
له عمه وهو العباس كما صرحوا به ما بالك اي ما شانك وحالك الذي عرض
لك حتى سقطت قال اني نهيت بالبنا للمجهول عن التعري وكشف
العورة كغيري وكانت قريش بنت الكعبة لسيل اتى من فوق الردم ورسول
الله صلى الله عليه وسلم ابن خمس وثلاثين سنة قال العباس فكانوا
ينقلون رجلين رجلين ينقلون الحجارة ازرهم على عواتقهم فاذا دنوا
من الناس لبسوها فبينما هو كذلك صرع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليستغيث وانما نظروا الى السما فقال له ما بالك يا ابن اخي فقال
نهيت ان امشي عريانا فكتمتها حتى بعثه الله مخافة ان يقال انه مجنون وفي
رواية ان ملكا نهيا نادى اه اشدد ازارك وروي انه لكمه لكمة
شديدة وقيل وهو اول ما نودي به ومن ذلك اي مما دل على نبوته في اول
امره ما رواه الترمذي والبيهقي اظلال الله تعالى له بالغمام في سفره
اي كون غمامة تسير معه صلى الله عليه وسلم اذا سار تقيه حر الشمس
دون غيره من الركب كما راه بحيرا لما سافر للشام مع عمه وراه غلام خديجة
لما سافر معه للشام فحض السفر لانه محل التالي من الشمس وفي رواية
لابن سعد ان خديجة ام المومنين ونساها اي النسا اللاتي كن معها عنده
الرومية فالاضافة لادنى ملابسة رايته لما قدم لمكة من سفره للشام
في تجارة لها وملكان يظلانه اي يمدان اجنحتهما عليه ليكون ظلة
له ووقاية من الشمس فذكرت خديجة ذلك اي ما رايته
لميسرة غلامها الذي بعثته معه صلى الله عليه وسلم في سفره وميسرة
بفتح السين وضمها فاخبرها ميسرة انه راى ذلك اي كونه
مظللا من الشمس بالملكين فلا ينافي ان خديجة رات تظليل الملائكة
وميسرة راى تظليل الغمام اذ ان الغمام كانت لسوقه ملائكة فجعلت
مظللة له بحائل انطمست ليسمى مظللا منذ خرج معه في سفره
الى الشام اي من اوله الى اخره وهذا الحديث رواه الواقدي عن
نفيسة بنت منية وهي احدى النسا اللاتي كن مع خديجة في علية
لها تنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم قال البرهان لم يذكر
ميسرة في الصحابة فكانه مات قبل نبوته صلى الله عليه وسلم وفي رواية
خديجة الملائكة كرامة لها رضي الله عنها وقيل وتروى بالبنا للمجهول والذي
رواه الواقدي وابن سعد وابن عساكر في تاريخه عن ابن عباس ان حليمة

بنت

بنت ابي ذويب السعدية التي ارضعته صلى الله عليه وسلم راته غمامة تظله
وتقيه من حر الشمس وهو مقيم عندها لما اخذته صلى الله عليه وسلم لحاجتها
لترضعه روي ذلك اي تظليل الغمامة له عن اخيه من الرضاعة يعني انه
راه في صغره ورواه بعد كبره لانه كان معه والظاهر ان مراده انه هو الذي
ذكره لامه والحال تشاهده لان عبارة الواقدي عن ابن عباس ان حليمة
خرجت تطلبه صلى الله عليه وسلم فوجدته مع اخيه من الرضاعة وهو ولدها
فقالت اني حر الشمس بكت شفقة عليه صلى الله عليه وسلم منها فقال
اخوه يا اماه ما وجد اخي حرا رايت غمامة تظله اذا وقف وقفت واذا
سار سارت معه وهذا يدل على انه ليس امرا اتفاقيا وهل كان هذا
دايما او احيانا لم ينقل فيه شي وما في المواهب نقلا عن الزركشي في شرح البردة
عن بعض العارفين انه صلى الله عليه وسلم كان مزاجه معتدل الحرارة والبرودة
فلا يحس بالحر ولا بالبرد فكانه صلى الله عليه وسلم في ظل غمامة منزها عنه اله
تنزل عليه انه ساقط لانه يقتضي ان تظليل الغمامة لم يكن حقيقيا
محسوسا وانما هو على طريق التمثيل قيل ... اذا زاد ذلك من نور
زاد عليه ويحتمل انه يريد انه لم يدم ذلك ولم يكن بعد بلوغه سن الاعتدال
لعدم النبوة لتمام اعتداله المعني عنه بعد النبوة لتمام اعتداله اذ انه كان
غنيا عنه فانما هذا تكريم من الله لم يرد عليه شي نعرفه فانه لا يخفى مثله
على مثله والذي في نسخ الشفا كما قاله البرهان عن اخيه مذكورا تحتية
والذي في سيرة ابن سيد الناس اخته بالمثناة التحتية الفوقية فهذا
تصحيف اوروايتان رواها ايضا ومن ذلك اي مما يدل على نبوته صلى الله عليه
وسلم وهو لم يذكروا من رواه من المحدثين انه نزل اي قعد في محل نزل
به في بعض اسفاره قبل مبعثه متعلق بمعنى بعثته ونبوته تحت
شجرة يابسة اي ليست بخضرة ولبس لها ورق فاعشوشب ما حولها
من الارض اي ظهر به عشبه لم يكن واخضر من ساعتها واينعت هي ثمرها
اي كثر عشبه ونباته والعشب الكلا ما دام رطبا وقدمه لما فيه من المبالغة
واينعت هي اي الشجرة وابرز الضمير لئلا يتوهم انه عايد على ما حولها ه
باعتبار انه ارض وهي مونثة سماعية ومعنى اينعت ظهر خضرة ورقها
وزهرها او ثمرها يقال ينعت الثمرة ينعا وينعا واينعت ايناعا
اذا نضجت قال تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر وينعه وقرئ وينعه وهو جمع
يانع وهو المدرك قاله الراغب فاشرقت اي ارتفعت وعلت اغصانها
وتدلت عليه صلى الله عليه وسلم قضبانها لتقيه وتظلله اغصانها

تجمع عصافير وبها اغلاها ونفر وعها بمحضر من رآه اي اذا كان عنده شاهد
حدوث ذلك وعلم منه ما يدل على كرامته لشرعته ومن ذلك ميل في الشجرة
الفي هو الظل مطلقا او بعد الظهيرة لا انه من فاذا ارجع والكلام عليه
مفصل في كتب اللغة وسيل الفي اذا وحدان مع ميل الشجرة نفسها في الخبر
الآخر الذي رواه عنه صلى الله عليه وسلم في سفره الى الشام وقصته
مع بحيرا الراهب كما تقدم حتى اظلته علة او غاية مقصودة من ميلها وكان
رفقاؤه صلى الله عليه وسلم سبقوه فجلسوا في الفي فلما جلس في الجانب
الآخر مالت الشجرة عليه بغيتها فظللته فرآه الراهب في قصته التي
تقدمت وكان مع عمه ابي طالب وهو ابن عشر سنين ومن دلايل نبوته
صلى الله عليه وسلم ما ذكر بالبنا للمجهول والذي ذكره ابن سبع من انه
بيان لما الموصولة لا ظل لشخصه اي لجسده الشريف اللطيف اذا كان
في شمس ولا قمر مما ترى فيه الظلال لحجب الاجسام ضوء النيرين ونحوهما
وعلل ذلك ابن سبع بقوله لانه صلى الله عليه وسلم كان نورا والانوار
شفافة لطيفة لا تحجب غيرها من الانوار فلا ظل لها كما هو شاهد في
الانوار الحقيقية وهذا رواه صاحب الوفا عن ابن عباس رضي الله
عنهما قال لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظل ولم يقم مع شمس الا غلب
ضوءه ضوءها ولا مع سراج الا غلب ضوءه ضوءه وقد تقدم هذا والكلام
عليه وفي رباعيتنا فيه وهي

ما جر لظل احمد اذ يال ... في الارض كرامة كما قالوا
هذا عجب وكم به من عجب ... والناس لظله جميعا قالوا

وقالوا هذا من القيلولة وقد نطق القرآن بانه النور المبين وكونه
بشرا لا ينافيه كما توهم فان فهمت فهو نور على نور فان النور هو
الظاهر بنفسه المظهر لغيره وتفصيله في مشكاة الانوار للغزالي
ومن دلايل نبوته صلى الله عليه وسلم ان الذباب كان لا يقع على
ما ظهر من جسده ولا يقع على ثيابه وهذا مما قاله ابن سبع ايضا الا انهم
قالوا لا نعلم من رواه هذا والذبابة واحدة ذباب ثم قيل انه سمي
به لانه كلما ذب آب اي كلما طرد رجع وهذا مما اكرمه الله به لانه طهره
من جميع الاقذار وهو مع استقذاره قد يجي من مستقذر قيل
وقد نقل مثله عن الشيخ عبد القادر الجيلاني ولا بعد فيه لان
معجزات الانبيا قد تكون كرامة لاوليا امته وفي رباعية لي

من اكرم مرسل عظيم حلا ... لم تدن ذبابة اذا ما حلا

هذا عجب ولم يدن ذو نظر ... في الموجود انه من خلاه اخلا

وينظرون بعض على النجم فقال محمد رسول الله ليس فيه حرف منقوط لان
الموجودات النقط تشبه الذباب تصيبن عنه اسمه ونعته عنه كما قلته
في مدحه صلى الله عليه وسلم

لو قدر به الذباب فلبس يعلو ... رسول الله محمود احمد
ونقط اخرى عليه بشكل ... لذاك الخط عنه قد تجرد

ومن ذلك اي من دلايل نبوته صلى الله عليه وسلم في اول امره ومنتهاه
كما رواه الشيخان تحبيب الله بجعله طبيعة له الخلوة اي الوحدة
والانفراد عن الناس للعبادة اليه حتى اوحي اليه اي انه كان يفعل قبل
بعثته حتى نزل الوحي عليه تكريما له صلى الله عليه وسلم وفي البخاري ثم حبب
اليه الخلا اي العزلة عن الناس اذ بها فراغ القلب والاعانة على التفكر
والانقطاع عن مالوفات النفس فكان يخلو بغار حرا فيتحنث فيه
وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل النبوة فاذا انزل منه طاف
بالبيت وذهب لاهله وخص حرا كما قاله ابن ابي حمزة لانه كان يتبرك به
وينظر منه البيت فيستقبله وقال حبب بصيغة المجهول اشارة
الى انه ليس تقليدا لغيره وانما هو جبلي بالهام الله له وهو من الارهاصات
حتى جاء الوحي وهو فيه ثم اعلامه صلى الله عليه وسلم اي اعلام الله
له بقرب موته ودنو اجله اي اخر عمره الذي اجل له وقدر وهذا مما رواه
الشيخان وفهمه صلى الله عليه وسلم من قوله تعالى فسبح بحمد
ربك وفي الصحيحين انه صلى على قتلى احد بعد ثمان سنين كالمودع للاحياء
والاموات ثم طلع المنبر فقال اني بين ايديكم فرط وانا عليكم شهيد
وان موعدكم الحوض الخ وقوله في خطبته ان عبدا خيره الله بين ان
يؤتيه من زهرة الدنيا ما شا وبين ما عنده فاختار ما عنده فبكى عمر
رضي الله عنه وقال فديناك بآبائنا وامهاتنا فقال عمر انظروا لهذا
الشيخ يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خيره بين زهرة
الدنيا وما عنده فكان اعلمهم بكلامه صلى الله عليه وسلم واشعر بذلك
لفاطمة كما تقدم في الحديث الى غير ذلك مما لا يحصى واعلامه صلى
الله عليه وسلم بان قبره بالمدينة كما رواه ابو نعيم عن معقل بن
يسار بلفظ المدينة مهاجري ومضجعي من الارض وان قبره في بيته
فقبره صلى الله عليه وسلم في مسكنه وكذا كان لكثير من الانبيا عليهم
الصلاة والسلام اشارة الى انهم احيا عند ربهم بين قوله وانه بيته

ومنبره روضة من رياض الجنة كما سيأتي يعني انها تنقل وتجعل روضة
في الجنة او ان العمل فيها يوجب لصاحبه روضة من رياض الجنة
وقال ابن ابي جمرة الاظهر ارادة المعنيين والجمع بينهما معا اذ لا مانع
منه ومن لم يعرف هذا قال لا بد من تاويله باعتبار القرب من اقرب
الخلق الى الله ومن قرب منه كالجالس في رياض الجنة لتنزل الرحمات
وتلذذه بالمشاهدات كما يقال اللهم اجعل قبر فلان روضة من رياض
الجنة وتخيير الله له عند موته اي لما قرب موته خيره الله بين
البقا في الدنيا والرحيل للاخرة كما سمعته انفا ورواه البيهقي في
دلايله وعن عايشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم في صحته يقول لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده في الجنة ويخير
فلما اشتكى صلى الله عليه وسلم غشي عليه فلما افاق شخص بصره لسقف
البيت وقال اللهم الرفيق الاعلى فقالت لا يختارنا وعرفت انه
خير فهمت ما فهم ابوها رضي الله عنهما وهو حديث صحيح فقال
اوتيت مفاتيح خزاين الارض والخلد فيها ثم الجنة فاخترته الى اخره مما
يطول ذكره وما اشتمل عليه حديث الوفاة اي وفاته صلى الله عليه
وسلم وهو حديث طويل رواه الشافعي في سننه والبيهقي من كراماته
التي اكرمه الله بها عند موته كبكا الملايكة وسماع صوت من السما
ينادي واحمداه الحديث وقول جبريل له صلى الله عليه وسلم ان الله
يقريك السلام ويقول لك وهو اعلم كيف تجدك الى غير ذلك وتشريفه
بما مر وغيره وصلاة الملايكة على جسده وفي نسخة عليه وكان اتيان
الجسد هنا لان الصلاة معناها الدعا ورحمة صلى الله عليه وسلم
غير محتاجة لذكر او لنكتة اخرى فتنبه لها ان الصلاة على
جسده رحمة مستمرة دايما لقوله ان الله وملايكته يصلون على
النبي الاية على ما روينا في بعضها اي في بعض طرق حديث الوفاة
وهو ما روي عن ابن عباس انه لما جهز صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثا
وضع على سريره في بيته فصلت عليه الملايكة فوجا فوجا ثم الناس
فوجا فوجا ثم نساؤه ثم النساء ثم الصبيان ولم يومهم احد كان صلى الله
عليه وسلم اوصى بذلك وذلك لعظم امره ولئلا يتنافسون في الامامة
والخلافة لان الخليفة يستحقها فمن زعم ان المراد بالصلاة مجرد الدعا
دون صلاة الجنازة لم يات بشي وكونه لم يومهم احد ذكره الامام الشافعي رضي
الله عنه في الام وغيره وصححوه وحكمته ما ذكر ولم يدع له صلى الله عليه وسلم

بدعا

بدعا الجنازة المشهور كما ذكره السهيلي بل قالوا اما السهيلي بل قالوا انا نشهد
انك بلغت الرسالة واديت الامانة ونصحت الامة الى اخر ما ذكره والحديث
يطول ذكره مذكور في كثير من كتب الحديث تركناه لطوله واستيذان ملك
الموت عليه اي طلب الاذن منه في قبض روحه الشريف ان اراد او تركه
حيا ولم يستاذن على غيره نبيا او غيره قبله روي ان جبريل قال
له صلى الله عليه وسلم ان ملك الموت بالباب يستاذن عليك ولم يستاذن
على احد قبلك ولا بعدك فقال ايذن له فقال السلام عليك يا محمد ان ربي
امرني ان اطيعك فيما امرتني به ان اقبض نفسك قبضتها وان تركتها تركتها
فقال اقبض يا ملك الموت كما امرت فقال جبريل السلام عليك يا رسول
الله هذا اخر موطئي من الارض وندايهم اي نداء الملايكة لهم الذي سمعوه ولم يروا من
ينادي ان لا اي بان لا الخ فان مصدرية ولا نافية تنزعوا القميص عنه
اي قميصه الذي عليه لما ارادوا انزاعه عند غسله بضم الغين وتكون
فتحها اشارة لما في حديث ابي داود والبيهقي الصحيح عن عايشة رضي الله
عنها انهم لما ارادوا غسله صلى الله عليه وسلم قالوا لا ندري انجرده من
ثيابه كما نجرد موتانا ام نغسله وعليه ثيابه فاختلفوا فغشيهم النوم
فنادى مناد من ناحية البيت لا تنزعوه غسلوه في ثيابه فغسلوه وعليه قميصه
يصبون الما فوق القميص ويدلكونه بالقميص فهو من جملة حديث الوفاة
وهذا تكريم له باجرايه على عادته فانه صلى الله عليه وسلم كان لا يتجرد عنده
احد واشارة الى ان تغسيله ليس للاحتياج اليه وانما هو لاجر السنة
وكفن في ثلاثة اثواب يمنية سحولية وما روي من تعزية الخضر عليه
الصلاة والسلام كما رواه البيهقي في دلايله بسند الى ما روي عن علي كرم الله
وجهه ورضي عنه انه قال لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم
سمعوا صوتا ولم يروا شخصا وهو يقول السلام عليكم اهل البيت ورحمة
الله وبركاته كل نفس ذايقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيامة وان في
الله عز وجل العزا من كل هالك ودركا من كل فايت فبالله فثقوا واياه فارجوا
واعلموا ان المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
فكانوا يرون انه الخضر عليه الصلاة والسلام كما رواه البيهقي وابن ابي
حاتم وقال في مراة الزمان ان المعزي هو جبريل لا الخضر ورواه العراقي
في تخريج احاديث الاحيا ان في الله خلفا من كل احد ودركا لكل رغبة ونجاة
من كل مخافة فالله فارجوا وبه فثقوا وسمعوا اخر بعده يقول ان في الله
عزا من كل مصيبة وعوضا من كل رغبة فالله فاطيعوا وبامره فاعملوا

فقال ابو بكر رضي الله عنه هذا الخضر والبسع ولم اجد في رواية ذكر اليسع واما ذكر الخضر في التعزية فقد انكر النووي وجوده في كتب الحديث وانما ذكره الاصحاب قلت بلى رواه الحاكم في المستدرك من حديث انس ولم يصححه ولا يصح ورواه ابن ابي الدنيا في كتاب العزا قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمع اصحابه حوله يبكون فدخل عليهم رجل طويل شعر المنكبين في ازار ورداء فتخطى الصحابة حتى اخذ بعضادتي الباب وبكى ثم قال ان في الله عزا من كل مصيبة وعوضا من كل ما فات وخلفا من كل هالك فالى الله فانيبوا واليه فارغبوا ونظره اليكم في البلا فانظروا فان المصاب من حرم الثواب فقال ابو بكر لعل هذا الخضر اخو نبينا جا يعزينا رواه الطبراني في الاوسط واسناده ضعيف جدا وابن ابي الدنيا عن علي بسنده ايضا وذكره الشافعي في الام غير ذكر الخضر انتهى وقال الحاكم وغيره انه غير صحيح لحديث انه لا يبقى على وجه الارض ممن هو عليها على راس مائة سنة من تلك الليلة واراد به الخواص كل احد فيشمل الخضر وغيره يعني به انكار وجوده دليل عندنا ابن حجر رحمه الله تعالى سنده ضعيف ولو فرض ثبوته لم يخالف الحديث المذكور لانه يخص من عمومه اذ صح ما ينقل عن بعض الصالحين من اجتماعه بالخضر الا انا لم نجد خبرا صحيحا يقتضي انه صاحب موسى عليه الصلاة والسلام والعلم عند الله والحاصل انهم قد اختلفوا في وجوده فالصوفية يثبتون وجوده وان منهم من رآه والمحدثون ينكرونه وبعضهم توقف فيه كابن حجر وشدد النكير على من اثبت حياته كصاحب مرآة الزمان حتى صنف في ابطاله كتابا مستقلا سماه عجالة المنتظر في شرح حال الخضر لكنا لا ننكر ما قاله المشايخ واختلفوا فيه هل هو نبي او ملك او عبد صالح من اولياء الله تعالى اطال الله عمره وجعل مرجع الاولياء والاقطاب الى ان يرى من انه لم ير شخصه تقتضي انه ملك ذكره في قوله **والملائكة** بالجر عطف على الخضر ليشير لما قلنا **اهل بيته** مفعول التعزية وهي الارشاد للصبر والتسلية عند المصيبة واعلم انه ليس الخلاف في وجود الخضر صاحب موسى عليه الصلاة والسلام انما هو في كونه عاش الى زمن النبوة والى الان **الى ما ظهر على اصحابه** صلى الله عليه وسلم والى هذه متعلقة بعقد اي تضمنوا ما ذكر من اول الفصل الى هنا او منتهيا وهو كما تقوله المصنفون الى آخره اشارة الى انه ترك امورا كثيرة من جنس ما ذكر للمراد وظهورها عليهم ان شرف صحبته صلى الله عليه وسلم

اثرتهم حتى ظهر منهم امور تشابه ما ظهر منه ببركته صلى الله عليه وسلم **من كراماته وبركاته** اي من مثل ذلك **في حياته ومماته** اي وبعد موته **كاستسقا عمر** بن الخطاب رضي الله عنه **بعمه** العباس رضي الله عنه ابن عبد المطلب اي تقديمه في دعا الاستسقا كما رواه البخاري وتفسيرهم عمه صلى الله عليه وسلم بالعباس وان كان ذلك اعمام غيره لانه لم يعش بعده صلى الله عليه وسلم منهم غير العباس وقد صرح به في الحديث واعمامه ابو طالب والزبير وعبد الكعبة وحمزة والغيداق وحجل واسمه المغيرة والعوام وضرار والحارث وهو اكبرهم وقثم مات صغيرا وابو لهب واسمه عبد العزى والغيداق واسمه مصعب ونوفل فهم ثلاثة عشر ولم يسلم منهم غير حمزة والعباس وجعل بعضهم الغيداق وحجلا واحدا فعدهم احد عشر وبعضهم عدهم سبعة وبعضهم عشرة لاسقاط بعضهم وكان عمر رضي الله عنه اذا وقع قحط استسقى بالعباس رضي الله عنه فوقع جدب شديد في خلافته عام الرمادة سنة سبع عشرة فقال كعب يا امير المومنين ان بني اسرائيل كانوا اذا حصل لهم مثل هذا استسقوا بعصبة الانبيا فقال عمر هذا عم النبي صلى الله عليه وسلم وصنو ابيه وسيد بني هاشم ثم صعد المنبر ومعه العباس وقال اللهم انا نتقرب اليك بعم نبيك ونستشفع به اتيناك مستغفرين مستشفعين ثم اقبل على الناس وقال استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السما عليكم مدرارا الى قوله انهارا ثم قام العباس رضي الله عنه وعيناه تنضحان فقال اللهم عندك سحاب وعندك ما فانشر السحاب ثم انزل الما منه علينا فاشدد به الاصل واطل به الفرع وادر به الضرع اللهم انك لم تنزل بلا الا بذنب ولم يكشف الا بتوبة وقد توجه القوم بي اليك فاسقنا اللهم الغيث وشفعنا في انفسنا واهلينا وفيمن لا ينطق من بهايمنا وانعامنا اللهم اسقنا سقيا وادعا نافعا طبقا سحاحا اللهم انا لا نرجوا الا اياك ولا ندعوا غيرك ولا نرغب الا اليك اللهم اليك نشكوا جوع كل جايع وعري كل عار وخوف كل خايف وضعف كل ضعيف اللهم انت الراعي لا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدار مضيعة فقد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الشكوى وانت تعلم السر واخفى اللهم واغثهم بغياثك قبل ان يقنطوا فيهلكوا فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فلم يتم دعاه حتى نشات سحابة فقال الناس ترون ترون ثم تلامت ومشت واستمرت ثم درت وارخت عزاليها كافواه القرب فما برحوا حتى علقوا الحذا وقلصوا المازر وطفق الناس يتمسحون بالعباس ويقولون له هنيئا لك ساقي الحرمين وفي

ذلك قال حسان رضي الله عنه سال الامام وقد تتابع جدبنا فسقى الغمام
بغرة العباس احيى الاله به البلاد فاصبحت مخضرة الارجاء بعد الياس
في ابيات اخر وتبرك غير واحد اي كثير من الناس بذريته صلى الله عليه
وسلم من السادة الاشراف نفعنا الله بهم ولهم في ذلك حكايات كثيرة ليس
هذا محلها وقد افرده السيد السمهودي شكر الله سعيه بتاليف مستقل
نافع فصل فيه فذلكة هذا الباب قال القاضي
ابو الفضل قد اتينا اي ذكرنا وجمعنا في هذا الباب الرابع المذكور
فيه معجزاته صلى الله عليه وسلم ودلائل نبوته واصل الاتيان المجيء
بسهولة وقد يكون بمعنى المجرد فيتعدى بعلى ولذا قال على نكت من
معجزاته واضحة الا ان نحو زيد عما ذكر من الجمع وعداه بتعديه فيه الاصلية
لانه من لوازم من يريد اخذ شيء وجمعه ان ياتي لحضه بنفسه اليه ويقال
اتى على كذا اذا استوفاه واستوعبه والنكت جمع نكتة وهي الامر
الدقيق الذي يحصل بفكر يقارنه نكت الارض بقضيب ونحوه كما مر
والنكت بمثناة فوقية ومن نطق بها بالمثلثة فقد اخطا فلا وجه
لزيادة ذكره البرهان هنا وجمل جمع جملة وهي الامر المجمل من علامات
نبوته صلى الله عليه وسلم مقنعة اي كافية عن غيرها مستعار
من القناعة وفي نسخة مغنية بالغين المعجمة والنون اي مستغنى
بها عن غيرها وهو مجرور صفة جملة ويجوز نصبه على الحالية في واحد
منها الكفاية عن غيره كالقران اي في الاقتصار عليه وضمير منها للنكت
والجمل والغنية بالضم والسكون في نابتة اي الاستغنا عن غيره لانه
يدل عليه دلالة قوية وتركنا الكثير منها سوى ما ذكرنا اشارة
الى ان ما ذكره قليل بالنسبة لما تركه واقتصرنا من الاحاديث
الطوال بكسر الطا جمع طويل على عين الغرض عين الشيء المختار منه
وهو المراد لا الحقيقة وان كان احد معانيها والغرض ما يقصد منها
ونا سدته واصل معناه الهدف فنقل لما ذكر وفص المقصد
اي الامر المقصود والفص مثل الفا بمعنى الاصل يقال اتى بالامر من فصه
اي من اصله قال الشاعر

ورب امرئ تزدريه العيون ۞ ويأتيك بالامر من فصه

وفص الخاتم ما يزين به من الجواهر ويقال نقل الحديث
بفصه اذا استوفاه وتظرف ابن نباتة رحمه الله تعالى في قوله

حملت خاتم فيه فصا ازرقا ۞ من كثرة اللثم الذي لم اخصه

لولا ما علم الرقيب قبالة ۞ من خاتم نقل الحديث بفصه

وقول الجوهري الخاتم تقول الفص بالكسر ظاهره انه غير صحيح وقد نقل
الثقات كابن السيد وغيره تثليثه كما علم والقصد بكسر الصاد وهو القياس وفتحها
بعضهم والمراد به المقصود كما مر فهو مصدر بمعنى مفعول فيه واقتصرنا من كثير
الاحاديث وغريبها هو بمعناه اللغوي اي ما يعد مستغربا غير معهود او غير
مشهور او المراد به ما اصطلح عليه المحدثون وهو كما قال ابن الصلاح
ما انفرد به بعض الرواة سوا انفرد بجمعه او بزيادة فيه كزيادة ثلاث في حديث
حبب الي من دنياكم ثلاث النسا والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة التي
تنفرد بها ابن فورك ونحوه غيره كما مر وهو لا ينافي الصحة اذا كان راويه
ثقة وقد يكون متعينا واما نه كثيرا ما اضافة الصفة للموصوف اي الاحاديث
الكثيرة على ما صح نقله ودرايته واشتهر بين المحدثين الا يسيرا
اي قليلا نورده وان لم يصح ولم يشتهر واليسير ما تجوز وسهل وشاع استعماله
بمعنى القليل لسهولته غريبه اي غريب الحديث وانما اقتصر على المشهور
الصحيح الشامل للحسن لان المعجزات الخارقة للعادة لا تخفى غالبا ثم اعتذر
عن ايراده في كتابه بقوله مما ذكره مشاهير الايمة لانهم يعتمدونه على نقلهم
لشهرة علمهم وفضلهم وان لم يره لغيرهم وحذفنا اي تركنا وعبر بالحذف وهو
الترك بعد الذكر اما لتنزيل ذكر غيره منزلته ذكره او لجعله لكونه مهما
وحقه ان يذكر بمنزلة المذكور والحذف اخص من الترك الاسناد واراد به
السند يتحمل ما يجاوزهم رواة الحديث او هو بمعناه الحقيقي في جمهورها
اي معظم الاحاديث واكثرها وترك ورود الحديث مسندا طلبا للاختصار
وعدم التطويل وهو مفعول لاجله وبحسب هذا الباب المذكور فيه
المعجزات وحسب بفتح فسكون بمعنى كافي او كفاية وهو مبتدا مجرور بالبا
الزائدة وخبره ان يكون ان يكفيه في شرفه والعلم بكثرة ما ورد فيه
عن ذكره واستقصائه وهو في المعنى تعليل لما ه لاختصاره الا ان العبارة
لا تخلو عن الحزازة لو تقصي مبني للمجهول بقاف وصاد مهملة اي استوفي
وبلغ اقصاه ونهايته وضبطه بعضهم بفاء بدل القاف وهو غير مناسب
هنا لان التفصي التخلص وهو غير مراد وتفسيره تبيع وخلص من مطالبه
تكلف لا ينبغي ان يكون ديوانا اي كتابا مستقلا مدونا جامعا لما في غيره
وتقدم الكلام على ان الديوان وانه معرب بكسر الدال وفتحها يشتمل على
مجلدات عدة اي كتب من شانها ان تجلد متعددة وعدة بكسر العين
بمعنى معدودة ومعجزات نبينا صلى الله عليه وسلم من سائر معجزات

جي

الرسل عليهم الصلاة والسلام اي من بقيتها او جميعها بوجهين احدهما كثرتها
وشهودها لان الكثرة تستلزم الشهرة تنبيـــه قال المصنف التلمساني
مجلدات جمع مجلدة وهي الكتب الكبيرة وهي عبارة فقهية مولدة ولا وجه
له لان المجلد ما عليه جلد كما في القاموس وفي رسالة المجلد لابي العلا المعري
المجلد لا يزال فيما عبر من الزمان تفيض مجلدا العرب من شام وبان قال
الراجز هل انت كاسل المعتمل مجلد يكشف عن تخض الابل انتهى فقد
اثبت ذلك وناهيك به من امام في اللغة فاذا اراد تخصيصها بالكتب
الضخمة والعالم ترد في كلام العرب فهو مجاز لا يتوقف على السماع والتجلد يكون
بمعنى التصبر وتطرف بعض المتاخرين في قوله

ملكت كتابا اخلق الدهر جلده ۝ وما احد في دهره بمخلد
اذا عاينته كتبي العتيقة جلده ۝ يقولون لا تهلك اسى وتجلد

وانه لم يوت نبي معجزة الا وعند نبينا صلى الله عليه وسلم مثلها
ابلغ ليس من البلاغة كما توهمه من قال كالقران العظيم فانه ابلغ معجزة
او ثبتة فان معناها هنا اعظم واقوى وليس مقيدا بالقران لان بلوغ الشي
وصوله لغايته ومنتهاه او هو من المبالغة على خلاف القياس وكثيرا ما تقولون
بهذا المعنى والمعجزة هنا في سياق النفي فتعم وتفيد الكثير والخارقة
للعادة اذا اعظم من شانه الشهرة والظهور فلا يرد عليـــه انه كان ينبغي
ان يقول اظهر وانه لا يلزم مما ذكره الظهور الذي ادعاه وقد نبه الناس
على ذلك اي تنبه علما الحديث ولا انا رو وفصلوه في كتبهم كابن المنير
في كتاب المقتفى فان اردته اي اردت معرفته والوقوف على ما بينوه
فتامل فصول هذا الباب اي اعد الطوفية وتدبر معانيه ومعجزات من
تقدم من الانبيا عليهم الصلاة والسلام تقف مجزوم في جواب الامر
على ذلك ان شا الله تعالى والوقوف في الاصل القيام تجوز به عن المعرفة
وهو مجاز مشهور ثم ان بعض الشراح ذكرها انورا شرفه الله بما
لغيره من الانبيا لا مساس لها بالمعجزات تركناها ولم نطول بذكرها واما
كونها كثيرة فهذا القران كله معجز وفي بعض النسخ وكله معجز بالواو
فالتقدير فهذا القران موجود معروف وجميع اجزايه معجزة فناهيك
به كثرة ثم شرع في بيان المقدار الذي يقع به الاعجاز فقالــــ واقل ما
يقع الاعجاز فيه عند بعض ايمة المحققين سورة انا اعطيناك الكوثر
وهي اقصر سورة في القران اذ اية تقديرها اي مساوية لها في الحروف
والكلمات وسورة مرفوع خبر اقل وفي نسخة بسورة بالجر وذهب

بعضهم الى انه كلام ايه كيف كانت طويلة بمقدار سورة ام لا معجزة وزاد بعضهم
وفي نسخة اخرون اي ترقى عن هذا المقدار الى ان كل جملة منتظمة منه اي منبئة
تامة معجزة وان كانت من كلمة او كلمتين فان قلـــت كيف يكون جملة
منتظمة وهي كلمة قلـــت يكون فيها مقدر كمدهامتان ونحوها
فتامل وليس هذا مبني على ان الاعجاز بالصرفة كما قيـــل والحق ما ذكرناه
اولا من ان المعجز اقصر سورة او مقدارها لقوله تعالى فاتوا بسورة اي سورة
كانت من مثله في الاعجاز والضمير للقران او للنبي صلى الله عليه وسلم كما في
الكشاف وفيه كلام مشهور ودخل مقدار السورة فيه بدلالة النص فلا يتوهم
انه ليس فيه التعرض للدليل الدال على مدعاه فهو اي طلب منهم معارضته
مع ما تنصره هذا القول المذكور اولا اي يقويه ويويده من نظر اي فكر وتدبر
وتحقيق يطول بسطه بيان الحق بالادلة والبراهين القاطعة لمن تدبره
ونظر ما فيه من مراعاة كل مقام وما احتوى عليه من الجزالة واللطافة
التي تحير العقول فقد تحداهم اولا بجملته فقال فاتوا بكتاب من مثله ثم
تحداهم بعشر سور فقال فاتوا بعشر سور مثله ثم تحداهم بسورة فسجل
عجزهم بعد ارخا عنان التكليف والحاصـــل ان الكلام اللفظي الذي وقع
التحدي به لا النفسي فانه لا يتصور فيه ذلك على الصحيح اختلفوا في
مقدار معجزة فذهب بعض المعتزلة الى انه بجميع القران وترد بالايتين
المذكورتين وقال القاضي يتعلق بسورة طويلة او قصيرة لظاهر
الاية وقال في موضع لها او بمقدارها قالوا ولم يقم دليل على العجز
عن اقل من هذا القدر وقيـــل لا يحصل العجز الا بايات كثيرة
وقيـــل قليله وكثيره معجز لقوله فلياتوا بحديث مثله الخ
فاذا كان هذا اي ثبت ان ما تحداهم به هذا المقدار الاقل فني القران
من الكلمات نحو من سبعة وسبعين الف كلمة ونيف اي وزيادة
على هذا المقدار من ناف بمعنى زاد وياوه مخففة وتشدد وكلما زاد على
عقد حتى يبلغ ما بعده فهو نيف على عدد بعضهم اي هذا مقداره
عند بعض دون غيره فانه كما قال الداني رحمه الله انه متفق وشعوا
بالنا العرفية الفا واربعمائة وتسع وثلاثون كلمة وحروفه ثلاثمائة
الف وثلاثة وعشرون الف وقيـــل ثلاثمائة الف واحد وعشرون
الف وخمسمائة وثلاثة وثلاثون حرفا وقيـــل انه الصواب
لا ما ذكره المصنف وهذا مع تصريحه بالنقل واتيانه بلفظ عند وارده
عند من انصف ولهم في عدده اختلاف قيل لان الكلمة والحروف لهما

الملاقات وقول السخاوي لا فائدة في عدد حروفه لانه لا يقبل
زيادة ولا نقصان لا وجه له لعدم الكسل وعدد كلمات انا اعطيناك
الكوثر عشر كلمات فتجزي القران بصيغة المصدر وفي نسخة فتجزى
بالمضارع المجهول واخره مهموز ويجوز ابداله الفا بان تجعل عشر ايات
عشر اجزا على نسبة انا اعطيناك الكوثر اي على مقدارها وانما زاد
نسبة ليشمل اية واحدة بمقدارها كما مر فالنسبة مجاز عن المقدار
ومعناها الحقيقي لغة واصطلاحا مشهور ازيد بالرفع خبر تجزى
المصدر وبالنصب ان كان فعلا اي تجزيه ازيد او يكون الازيد من سبعة
الاف جز كل واحد منها معجز في نفسه اي بقطع النظر عن غيره
فعلم ازيد من سبع الف معجزة وهذا مبني على ما تقدم من العدد
ثم اعجازه اي القران كما تقدم من ذكر الاختلاف في مقداره بوجهين
بلاغته اي ما فيه من مراعاة الوجوه التي بها يطابق اللفظ مقتضى
الحال وطريق نظمه اي اسلوبه وكونه على نسق لا يشبه غيره من الكلام
نظما وسجعا ونثرا وتناسب كلماته وايتا كل كلمة منه ما تستحقه
وتنزيلها في محل لا يليق بها غيره كما يعرفه من ذاق طعم البلاغة تقاربه
لاجله وان تكرره كما لا يخفى على من تامله حق التامل ونظر فيه بنور الايمان
فصار في كل جز من هذا العدد المذكور اثنا معجزات من جهة
بلاغته ومن جهة نظمه فتضاعف العدد اي عدد معجزاته
وهو ماض من التفاعل او مضارع من المفاعلة من هذا الوجه
اي من هاتين الجهتين البلاغة والنظم فان قلنا كل ماله معجزة صار
فيه من المعجزات ما لا يعد ويحصى قال ابن عطية رحمه الله الصحيح
الذي عليه الحذاق ان اعجازه بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة
الفاظه لانه عز وجل احاط بكل شيء علما واحاط بالكلام فاتى في كلامه بما لا
يحيط به علم غيره وقدرته وبهذا ابطل القول بالصرفة ثم فيه
وجوه اعجاز اخر غير ما ذكر من الطريقين من الاخبار بعلوم الغيب
بيان لوجوه اي الامور الغيبية بما سبق او سيقع فقد يكون
في السورة الواحدة من هذه التجزية اي الاجزا المذكورة
المضاعفة من جهتي الاعجاز الخبر اي الاخبار عن اشياء من الغيب
اي الامور المغيبة عن علمنا كل خبر منها بنفسه معجز اي باعتبار
اخباره عن الغيب وقطع النظر عن غيره من وجوه الاعجاز
فتضاعف بصيغة الماضي والمضارع كما مر العدد المذكور اي العدد

المضاعف

المضاعف لقوله كرة الى اخرى اي بعد مضاعفته السابقة وكرة بمعنى مرة
واصل الكر الرجوع بعد الفر فهو ضد الفرار قال امرؤ القيس مكر مفر مقبل
مدبر معا ثم وجوه الاعجاز الاخر التي ذكرناها وهي ذكر المغيبات توجب
التضعيف والزيادة الى ما لا يكاد يحصر كثرة هذا في حق القران دون
غيره من المعجزات التي تزيد على معجزات ساير الانبيا فلا يكاد ياخذ
العد معجزاته وفي نسخة العدد وهما بمعنى والمراد بالاخذ الاحاطة
مجازا بليغا كقوله لا تاخذه سنة ولا نوم اي لا يغلبه ولكن اي
لا يحيط بها العدد لكثرتها وهو بالغة ولذا قال لا يكاد ولم يقل لا ياخذ
ولا يحوي الحصر اي الاحاطة براهينه اي براهين اعجازه لان كل جزء
منه معجزة قاطعة البرهان واضحة البيان ولما فرغ من وجوه الاعجاز
العقلية اردفها بالنقلية فقال ثم الاحاديث النبوية الواردة
في الروايات الصحيحة والاخبار الصادرة عنه عليه الصلاة
والسلام في هذه الابواب اي ابواب اعجاز القران والتحدي بداوه
ابوابه معجزاته عليه الصلاة والسلام كما يؤيده قوله وعن ما دل على امره
اي نبوته وعلو شانه مما اشرنا فيما سبق من هذا الكتاب الى جملة
منه وفي نسخة الى جمل يبلغ نحوا اي قريبا من هذا المقدار الكثير
الوجه الثاني من وجهي ظهور معجزاته وشهرتها وانها اظهر من معجزات
الرسل قبله وضوح معجزاته اي شهرتها بحيث لا تجهل وهذا عين
ظهورها او مستلزم له والمراد به شدة انفتاحها بحيث لا تخفى على
احد غير اعمى الفكر والنظر وانها لا ارتياب فيها على تتابع تقاتها على ممر
الدهور وزياد شهرتها في كل عصر كالشمس في رابعة النهار وهذا
ما يدل على اظهريتها دلالة ظاهرة لا عينها فسقط ما قيل ان المدعى
ان معجزاته اظهر من غيرها والوضوح عين الظهور فهو مصادرة
للاستدلال على الشيء بنفسه وحاصله الظهور بالكثرة
ثم يرجع الى الوجه الذي قبله الا ان يقال المراد بقاؤها على وجه
الدهر الى يوم القيامة فيكون المراد الزيادة في الوضوح بحسب
الاعتبار وان كان فيه الاعجاز بمعجزات الرسل وفيه خلط وخبط
لا يخفى وقد اشار الى ما ذكرناه المصنف في تفسيره بقوله فانه
معجزات الرسل كانت بقدر همم اهل زمانهم اي همتهم فيما يهتمون
به ويعتنون وبحسب بفتح الحاء والسين وقيل انه بسكون السين
وهو بمعنى المقدار الفن اي النوع الذي سما اي اشتهر وعلا مقداره

بينهم لا عتنائهم به فيه قرنه بفتح القاف وسكون الراء اي عصره والمراد
به اهله مجازا او بتقدير مضاف والقرن الزمن المقترن فيه اعمارهم واحوالهم
واختلف في مقداره هل هو مائة سنة او ثمانون او اقل كما تقدم ثم تفصيل
هذا بقوله فلما كان زمان موسى كليم الله عليه الصلاة والسلام
اي زمن بعثته ونبوته غاية علم اهله اي اهمه واعظمه عندهم السحر
وهو معروف تقدم الكلام عليه بعثه اليهم بمعجزة تشبه ما يدعون
قدرتهم عليه وليست منه للفرق بين السحر والمعجزة تجلت على يدي موسى
عليه الصلاة والسلام منها ما خرق عادتهم اي خالف ما يعتادونه وتسهل
عليهم فعله واصل الخرق ابانة جسم من اخر فنقل لما ذكر لخرق الاجماع
اي مخالفته وهو استعارة صار حقيقة عرفية وذلك كقلب
العصا حية واليد البيضاء من غير سوء فلم يكن ما جاء به في قدرتهم
اي لا يقدرون عليه فيدخل في جملة مقدوراتهم وقد بطل سحرهم
بما عارضهم به وهي جملة حالية تشير الى ما قصه الله في كتابه العزيز
وفي نسخة وابطل بدون قد وهو معطوف على جاءهم وكذلك اي كزمن
موسى عليه الصلاة والسلام زمن عيسى ابن مريم صلى الله عليه
وسلم اغنى ما كان الطب اي اعظم ما كان في عصره وعهد رسالته
علم الله والطب في اللغة معناه العادة والسحر وفي العرف علم
يعرف به احوال الانسان من حيث الصحة والسقم واغنى افعل تفضيل
بغين معجمة ونون من الغنا وهو الفائدة وقيل انه بعين مهملة
ومثناة تحتية اي كثر مشقة وتعبا وقيل انه بغين معجمة
ومثناة تحتية اي اكثر مشقة وتعبا وقيل انه بعين معجمة ومثناة تحتية
من الغاية وهو النهاية وهو بعيد ولم نره في كلامهم لتفسيره بانهى ه
والطب مثلث الطاء مشدد الباء واوفر ما كان اهله اي اهل الطب وعلمائه
اي اكثر ما كان في زمنهم فجاءهم على يد عيسى عليه الصلاة والسلام ه
امر لا يقدرون عليه بواسطة علمهم بالطب فانهم لا يقدرون
على ازالة الامراض المزمنة والخلقية وقدرتهم في الاكثر على حفظ
الصحة ككم مريض اعيى الطبيب المداويا واتاهم ما لم يحتسبوه اي ما لم
يخطر ببالهم ويدره حسابهم وما لم يترقبوه وجعل امرا عليا ولم يقل
اتاهم بامر بيا وهو الظاهر اشارة الى انه من عند الله من غير تصنع وحيلة
وفي نسخة يحتسبوه اي يظنوه ويقدرونه بتسل ويجوز فيه ضم اليا
اي ينكرونه وهو بعيد لفظا لا معنى من احيا الميت بتخفيف اليا

وتشديدها

وتشديدها وابرا الاكمه الذي ولد اعمى مطموس العينين اي نحى عينه حتى يبصر
والابرص وهو الذي فيه بياض يخالف لونه والخفيف منه يسمى بهقا من دون
معالجة المعالجة المزاولة وعند الاطبا اداة الامراض بعد تشخيصها
وطب المراد به هنا المعنى المصدري اي اعطا الدوا وانما كان مداواة عيسى
عليه الصلاة والسلام بالدعا والتوجه الى الله وكان يجتمع عنده من المرضى
العدد ولم يقدر على المجي اليه يذهب بنفسه اليه ولان اطبا عصره
لا يقدرون على ما ذكر فلذا كان معجزة له صلى الله عليه وسلم تنبيه
قال البخاري في تفسير الاكمه الذي يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل انتهى
وقال السهيلي انه تول بيد فلا يرد الاعتراض بانه معنى الاعشا وانما الاكمه
من ولد اعمى وهكذا اي مثل ما ذكر ساير معجزات الانبيا في انها كانت
بمقدار علم اهل زمانه وما يجهلون به من الاحوال والعلوم ثم ان الله تعالى
بعث محمدا صلى الله عليه وسلم وجملة معارف العرب جمع معرفة بمعنى
المعروف عندهم لا جمع معروف ضد المنكر المجهول كما قيل وعلومها
اي ما يعلمونه من الجزئيات والكليات اربعة انواع البلاغة اي الملكة
والحيلة التي يعرفون بها تادية الكلام حقه في كل مقام من مقاماته
نظما ونثرا وهي ترسانه مبداءها والشعر الكلام الموزون المقفى والخبر
عمن سلف وما لحقهم من الوقايع والايام والانساب والمنازل والكهانة
بفتح الكاف مصدر وبكسرها هنا عند وحرفته وهي معانات
علم المغيبات تبليغها عن الجن كما مر وانزل الله عليه صلى الله عليه
وسلم ما ناسب قرنه واهل عصره اعني القران اي كلامه الموحى اليه الخارق
المخالف لهذه الاربعة فصول اي الانواع المذكورة وهي البلاغة وما
معها فهي جمع فصل وهو النوع المستقل المنفصل المتميز عن غيره من
الفصاحة وهي خلوص الكلام عن الغرابة وغيرها مما بين من فصح
بمعنى خلص ويشمل البلاغة والعرف بينهما اصطلاح طارئ في علم المعاني
ومعناها عندهم غني عن البيان لشهرته والايجاز اي اختصار الكلام
اختصارا غير مخل ويقابله الاطناب والمساواة ولم يذكرهما لعلمهما
بالمقابلة ولانهما الاكثر ويكاد الايجاز اكثر واعظم فهو اهم عندهم
والبلاغة وقيدها بقوله الخارجة لهذه عن نمط كلامهم اي
كلام العرب لمدخولها في الفصاحة كما مر والنمط بمعنى الجنس والطريقة
اي لا يعرفون مثل بلاغته لخروجها عن جنس بلاغتهم وما يعهدونه
في مخاطباتهم ومحاوراتهم والنمط الجماعة من الناس امرهم واحد فاستعير

لما ذكر اي نوعه وطريقته ومن النظم اي تأليف الكلمات وتركيبها متناسبة
كنظم الجواهر وعقدها وليس المراد الكلام المنظوم شعرا الغريب
اي الذي لم يتعهده البلغا في كلامهم والاسلوب اي الطريق العجيب
اي الذي يتعجب منه سامعه او يعجبه ويستحسنه الذي لم يهتدوا
اي لم يصلوا او يقدروا الي المنظوم اي المؤلف من كلامهم الي طريقه
فضلا عن الاهتدا اليه بنفسه حتي يعارضوه وينسجوا علي منواله
الذي هو نسيج وحده ولا علموا في اساليب الكلام مطلقا او المنثور
من خطبتهم واسجاعهم والاوزان الشعرية الموزونة علي بحوره منهجه
اي طريقه ومن الاخبار بكسر الهمزة ويجوز فتحها جمع خبر عن الكوائن
اي عما سيكون في المستقبل من المغيبات جمع كاين وهو معطوف علي قوله
من النظم واعاد من لانه نوع اخر من الاعجاز ولطول الفصل بينهما
كقوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا والحوادث اي ما يحدث
في المستقبل ابتدا والاسرار اي عما اسروه في انفسهم كقوله تعالى
في قصة ازدا جد صلى الله عليه وسلم واظهره الله عليه ه
والخفيات اي عما اخفوه عنه فاطلعه الله عليه والضماير اي
ما اضمروه في انفسهم كقصة مسجد الضرار ثم فسر ذلك بقوله فتوجد
تلك الامور المخبر عنها وما اسروا واخفي عنه علي ما كانت عليه
ذاتا وصفة مطابقة لما قاله ويعترف المخبر بفتح البا اسم
مفعول اي من اخبره الرسول بما اطلعه الله عليه عنها بصحة ذلك
الخبر الذي اخبرتم وصدقه بمطابقته للواقع وان كان المخبر بالفتح
اعدا العدو اي اقوى اعدايه واشدهم عداوة له صلى الله عليه
وسلم فاعدا افعل تفضيل من العداوة مسموع علي خلاف القياس والعدو
بمعني الاعدا لانه يطلق علي الواحد وغيره كقوله تعالى من قوم عدو
لكم اي مع شدة عداوته لا يمكنه انكاره هربا من وصمة التكذيب لظهور
صدقه فابطل القران او النبي صلى الله عليه وسلم الكهانة بفتح الكاف
مصدر وبكسرها صناعة وحرفة كما مر والرواية هنا الكسر لانه
الانسب التي تصدق مرة وتكذب عشرا صفة الكهانة اي التي
كذبها اكثر من صدقها كما ورد في الحديث ان الله تعالى اذا قضى امرا في السما
سبحت حملة العرش ثم اهل كل سما حتي ينتهي الي السما الدنيا فيستخبر
اهل كل سما من فوقهم حتي ينتهي الخبر الي اهل هذه السما فتخطفه منهم
الجن ويزيدون فيه من عندهم ما يزيدون من اكاذيبهم وبما فسرناه

ظهر

ظهر سقوط ما قيل صوابه ما يزيد لقوله عشرا لانه ورد في الحديث
يكذب اكثر من مائة او اكثر من غاية ثم اجتثها بجيم ومثناة ومثلثة والضمير
للكهانة اي قطعها بعد ابطالها وعطفه بثم لانه ابلغ مما قبله وابعد
رتبة واصل معناه نزع الشجر ونحوه بعروقه واصوله كقوله اجتثت
من فوق الارض ما لها من قرار ففيه استعارة مرشحة بقوله من اصلها
وان كان المراد به ازالتها بالكلية برمي الشهب بضم الشين وسكون الهاء
جمع شهاب اي رمي الشياطين بالشهب لمنعهم من استراق السمع لما تلقي
الكهنة والمراد زيادة الرمي وكثرته فانه كان قبل كما مر وفي نسخة رجم بدل
رمي ورصد النجوم رصد بسكون الصاد مصدر رصده يرصده اذا ترقبه
واعد له ما يمنعه ويجوز فتحها ويكون واحدا وجمعها كراصد وخدم
فهو من اضافة الصفة لموصوفها اي النجوم المرصدة اي المعدة لمنعهم
من السمع وذلك لان الشهب نجوم او شعل نار تنفصل منها وارتقاه ه
كثير لرصدها لانها مبدا لما يمنعهم وجا في القران من الاخبار
عن القرون والامم السالفة اي الماضية قديما وانبا جمع نبا وهو خبر
الانبيا والامم البايدة اي الهالكة الفانية في الزمن السابق يقال
باد يبيد اذا هلك وفي الحديث الجنة لا تبيد ابدا اي لا تهلك ابدا
ولا تموت والحوادث اي الامور الواقعة من خير وشر في الازمان
السالفة الماضية قبل ذلك ما يعجز من تفرغ لهذا العلم اي العلم
بالاخبار وتواريخ الامم عن بعضه اي عن معرفة بعض منه فضلا عن جميعه
وما فاعل جا ومن فاعل يعجز علي الوجوه التي بسطناها اي فصلناها علي
وجوه تقدمت مفصلة وبينا المعجز فيها اي اوضحنا المعجز انه فيها
بما اغنى عن اعادته ثم بقيت هذه المعجزة اي القران وفي نسخة المعجزات
باعتبار وجوه اعجازه الجامعة لهذه الوجوه اي وجوه الاعجاز المذكورة
انفا المضمومة الي الفصول الاخر يعني الاربعة المتقدمة التي ذكرناه
في معجزات القران ثابتة الي يوم القيامة لا تتبدل ولا تتغير ولا تذهب
ابقاها الله بينة الحجة اي ظاهرة الدلالة علي رسالته صلى الله
عليه وسلم لكل امة تاتي اي ظاهرة الدلالة بعد نزول القران جيلا بعد
جيل وعصرا بعد عصر لا يخفى وجوه ذلك الاعجاز الذي ذكروا علي من
نظر فيه اي من نظر في القران بتلاوته او سماعه وتامل وجوه اعجازه
اي اطال النظر فيها وكرره وهو من الاول تفعل نحو ربه عما وكل لترتيبه
الاول واستمداده الي ما اخبر به من الغيوب اي مع ما اخبر به من المغيبات

على هذا السبيل والطريق المذكور فلا يمر عصر وزمن اي يجي كالمار
على اهله وليس المراد به ينقضي لقوله الا ويظهر فيه صدق فيه
اي صدق القران او النبي صلى الله عليه وسلم بظهور مخبره بفتح
البا اي ما اخبر به او خبره على ما اخبر اي كائنا متحققا على وفق خبره
او بانيا على حاله في وجوه اعجازه السابقة اي اخبر به فهو مبني
للفاعل فيتجدد الايمان به كلما ظهر امر خبر به مصدق له بوقوع ما
فيه ويتظاهر البرهان اي يتقوى الدليل ويزيد قوة واصل
التظاهر المعاونة والمساعدة كانه يستمد لظهوره وليس
الخبر كالعيان وهو بكسر العين المعاينة والمشاهدة
ولا تفتح فيه العين وهو مثل ورد في الحديث الصحيح ليس الخبر
كالمعاينة لان الخبر يحتمل الصدق والكذب بقطع النظر عن قائله
فاذا شوهد تحقق بان المراد واطمان الفؤاد ولذا قال ابراهيم
ولكن ليطمئن قلبي كما قيل
ولكن للعيان لطيف معنى ... له سال المعاينة الكليم
والمشاهدة بحس البصر زيادة في اليقين الذي كان بالبرهان
القاطع والنفس اشد طمانينة الطمانينة والاطمئنان السكون بعد
بعد الا ترتاح الى عين اليقين اي الى ما تيقن بالمعاينة والمشاهدة
منها اي من طمانينتها الى علم اليقين اي العلم المتيقن بالبرهان القاطع
فالنفس مفضل ومفضل عليه باعتبار حالتين وان كان كل من عين
اليقين وعلم اليقين عندها اي عند النفس ومن علمها فانه عنده
تكون بمعنى العلم كما تسمى عند الله تعالى تارة وبحكم اخرى ه
حقا اي محققا ثابتا بلا مرية لكن الاول اقوى وفيه اشارة الى الفرق ثامن
بين عين اليقين وعلم اليقين وحق اليقين وفيه كلام فصلناه في غير
هذا المحل والاول ضروري وغيره نظري وسائر معجزات الرسل
تدمر وفصلناه في شرح البردة ان لفظ سائر بمعنى الباقي من السور
المهموز وبمعنى الجميع من السير المعتل وان من انكر الثاني كالحريري
وغيره لم يصب انقرضت بانقراضهم اي انقطعت وذهبت
معهم بسبب ذهابهم وعدمت بعد وجودها وعدم مبني للمجهول
لانه يقال عدمه لعلمه بمعنى اعدمه وعدم بزنة كرم بعدم بفتحتين
او بضم فسكون ذواتها وفي نسخة ذواتهم جمع ذات بمعنى نفس وفي
ثبوتها في اللغة كلام تقدم ويأتي والمعروف انه بمعنى صاحبه مؤنث

ذو

ذو المشهور في العربية اي تلك المعجزات تقدم فتنقرض وان علم ثبوتها
لكونها امرا غير مؤبد ومعنى عدم ذوات الانبياء ذهابها من الدنيا وعن
الحس وان كانت باقية في البرزخ احيا لا يموتون كما في حديث الاسرا
والاجماع بالانبيا ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم يعني القران ه
لا تبيد اي لا تفنى وتعدم ولا تنقطع اي تذهب بالكلية وآياته
اي معجزاته صلى الله عليه وسلم التي تضمنها القران تتجدد ولا تضمحل
بالضاد المعجمة والميم والحا المهملة واللام المشددة اي تنحل وتفنى كاضمحل
السحاب اذا انقشع ولهذا المذكور من بقا معجزته صلى الله عليه وسلم
اشار صلى الله عليه وسلم بقوله في حديث صحيح رواه البخاري
رحمه الله والاشارة هنا بمعنى التصريح او غير به لانه غير صريح فيما ذكر
لان الوحي الاتي اعم من القران فيحتمل ان المراد به احكام شريعته الباقية
الى يوم القيامة والظاهر ان المشار اليه ما مر من ان القران فيه
معجزات لا تحصى وليس بصريح الحديث كما سنه فيما حدثنا به القاضي
ابو علي ابن سكرة وقد قدمنا ترجمته قال حدثنا القاضي ابو الوليد
تقدم ايضا قال حدثنا ابو ذر الهروي وقد تقدم قال
حدثنا ابو محمد بن حمويه السرخسي وقد تقدم وابو اسحاق المستملي كما
تقدم وابو الهيثم الكشميهني كما تقدم قال حدثنا الفربري راوي
صحيح البخاري وقد تقدم ضبط نسبته قال حدثنا البخاري صاحب
الصحيح المشهور قال حدثنا عبد العزيز بن عبد الله العامري الاويسي
الفقيه الحافظ الثقة وترجمته في الميزان قال حدثنا الليث
تقدمت ترجمته عن سعيد المعروف بالمقبري عن ابيه ه
كيسان ابو سعيد المقبري نسبة للمقبرة لانه كان يتولى حفرها وهو مولى
بني ليث روى عنه اصحاب الكتب الستة وتوفي سنة مائة في خلافة
الوليد وهو ثقة عن ابي هريرة رضي الله عنه عبد الرحمن بن صخر وفي
اسمه اختلاف كثير لشهرته بكنيته كما مر عن النبي صلى الله عليه
وسلم في حديث صحيح رواه البخاري ومسلم والنسائي وما ذكره المص
لفظ البخاري قال ما من الانبيا تقديره ما من نبي من الانبياء ه
الا اعطي بالبنا للمجهول اي الا اعطاه الله من الايات اي المعجزات
الظاهرة ما مثله ما موصولة او موصوفة آمن بالمد ما من عليه
البشر على تعليلية كما في قوله تعالى على ما هداكم او تقديره ه
مستقرا عليه البشر يعني اهل عصره وانما كان الذي اوتيت

من الآيات والمعجزات وحيا اوحاه الله الي يعني القرآن المعجز المتحدى به
ثم رتبه على قوله فارجوا من الله بما اكرمني به من المعجزة المشتملة على معجزات
لا تتناهى الباقية الى يوم القيامة التي ليست كمعجزة غيري تنقرض بانقراض
الباقية الى نبوة من نبي في كل امة مما لا يحصى فلذا ارجو ان اكون دون بعضهم
اكثرهم تابعا اي امة يوم القيامة اذا احشرت الامم مع انبيائها
هذا معنى هذا الحديث عند بعضهم ممن فسره وبين المراد منه
فيه اشارة الى كثرة ما فيه من المعجزات وانه باق على وجه الدهر الى يوم
القيامة لا يقبل نسخا ولا كما في تبديلا ولا يبلى كغيره من الكتب والمعجزات
ومثله المراد بعيسى كما في توضيح شكك لا يخلو وعليه للتعليل كما مر وغير
بها لما بينهما من الدلالة على الاستعلاء بالظهور والغلبة الملزم لظفر بالايمان
به وقال انما مع كثرة ما له من المعجزات اشارة الى انه اعظم معجزاته
والعرب قد تخص الشيء في نوع كامل منه بادعا ان ما عداه لا يعد معه
لكماليته عن غيره وقد حقق الله رجاه صلى الله عليه وسلم وهو
الظاهر من معنى الحديث والصحيح ان شاء الله ثم اشار الى ان فيه
وجوها اخر بقوله وذهب غير واحد اي كثير من العلماء اي علماء الحديث
في تاويل هذا الحديث اي تفسيره وبيان ما يؤول اليه وعبر بالتاويل
اشارة الى انه خلاف الظاهر بحد ما صرح به وظهور معجزة نبينا
صلى الله عليه وسلم اي في بيان وجه ظهورها الى معنى اخر غير ما ارتضاه
من ظهورها اي بيان ظهورها بكونها اي هذه المعجزة الباهرة وحيا
اي كلاما يوحى اليه من الله فقوله وكلاما عطف تفسير لان الوحي
يحتمل المعنى المصدري ثم بين وجه الظهور على هذا فقال لا يمكن لاحد
ممن ينكره التخيل فيه بفعل من الخيال بالخاء المعجمة وفي نسخة التخييل
بالتفعيل منه والاول انسب بقوله ولا التحيل عليه بالحاء المهملة لانه
كلام بليغ دال على معناه وما قصد به ولا لنه لا يمكن الواقف عليه ان
يقول انه تخييل وتمويه لا اصل له ولا ان يعمل حيلة في الاتيان بمثله
كما عمل سحرة موسى عليه الصلاة والسلام بحبالهم اذ جعلوها تتحرك
كعصاه والتشبه به فان غيرها اي غير المعجزة القرآنية من معجزات
الرسل كلها قد رام اي قصد وطلب المعاندون اي المنكرون
لها عنادا باشيا متعلق برام طفئوا اي توهموا الخلل كالتوهم
لقربه منه معنى في التخييل والتمويه بها باظهار ما لا حقيقة له
على الضعفاء المراد بهم العامة الذين ضعف عقلهم عن الفرق بين السحر

والمعجزة

والمعجزة لعدم تمييزهم كالقاء السحرة عند فرعون ساحرو حبالهم وعصيهم
جمع حبل وعصا لابطال المعجزة عصى موسى بالاتيان بمثلها فلما ابتلعت عصا موسى
عليه الصلاة والسلام بالقوة وابطلته علموا انها معجزة فامنوا به
واختاروا القتل على اتباع فرعون ولم يغن كيده شيئا وشبه هذا
المذكور في قصة موسى مما يخيله بالمعجمة اي يلبس بدويه الساحر او يحيل
فيه بالحاء المهملة اي ياتي به حيلة منه غير واقعة ثم اشار الى ان معجزة
نبينا صلى الله عليه وسلم لا تقبل ما ذكر بقوله والقرآن كلام من جنس
الكلام البالغ غاية البلاغة ومثله لين الحيلة ممن لا يقدر عليه ولا للسحر
في التخييل فيه باذ يعمل بقوة السحر ما يوثر في شخص بلاغة له حتى يتكلم
بكلام بليغ خطبة او شعرا عمل اي تاثير كما عرفته انفا فان ساحرا لو اتى غابيا
لا قدرة له على كلام حسن ثم سحره بجميع انواع سحره لا يمكنه ان يقوم في
ناد منشدا او خطيبا فانه امر جبلي لا يمكن ايجاده لغير خالق القوى والقدر
فنجد الجلف الاعرابي يتكلم بكلام عند اعقل الناس واظرفهم لا يمكنه ان ياتي
بشيء منه ولهذا اعلم ان الكلام لا يكون بحيلة ولا سحر فانا بالكلام المحكم
جميع الفصحا واخرس السنة البلغا وهو المراد بقوله فكان القرآن
من حيث كونه كلاما من هذا الوجه اي من الجهة المذكورة بقطع النظر عن
غيرها من جهات الاعجاز عندهم اي عند المفسرين لهذا الحديث
بما ذكرنا بيانا من غيره من المعجزات لعدم قبول التخييل والتمويه كما لا يتم
اي يحصل ويتيسر وعبر بالتمام لانه يتحقق به الامر ولذا قيل الاعمال بخواتيمها
اي باواخرها لشاعر يتكلم بالمنظوم ولا خطيب يتكلم بالمنثور ان يكون
شاعرا او خطيبا بضرب اي بشيء ونوع من الحيل جمع حيلة والتمويه
اي التخييل والتلبيس وهو ماخوذ من تو لطخ موه النحاس بذهب او فضة
لتوهم من رآه انه ذهب او فضة وهو في الاصل من الما يذاب ويصير كالما
ثم يطلى به ويقول العامة لهذا انه ما الذهب وما الفضة وصيغة فعل
يكون للتنبيه كثيرا نا نكارا اهل المعاني لقوله انفسر بمعنى كالسلح
في البريق والمعاني لا وجه له كما مر والتاويل اي التفسير الاول الذي
قال انه الظاهر الصحيح اخلص افعل تفضيل من خلص بخا معجمة
ولام وصاد مهملة اي اصفى من الكدر اي الاشكال قال في المغرب الخلوص
الصفا ويستعار للوصول انتهى اذ هو بمعنى اجود او من الخلاص بمعنى
النجاة والسلامة وارضى افعل تفضيل من الرضى اي اكثر رضى وقبولا عند
العقول السليمة وفي هذا التاويل الثاني الذي ذهب اليه غيره

من علما الحديث ما يغمض بالبنا للمجهول وتشديد الميم قبل ضاد معجمة من تغميض الجفن وهو غطا العين ومعنى يغمض عليه الجفن انه يغمض عنه البصر والنظر فلا يلتفت اليه ويجتنب به اذ هو كالقذا في العين الذي يمنع انفتاح الاجفان وهو كناية عن انه غير سالم من الاعتراض ويغضي بغين وضاد معجمتين والف مبني للمجهول لا صل قافية السجع من اغضى الجفن اذا اطبقه او بمعنى سكت وهو قريب مما قبله قبل جعله مرجوحا لما فيه من ايهام ان معجزات الانبيا عليهم الصلاة والسلام يمكن معارضتها ولو بطريق التحيل والحيلة وثمة وجوه اخر وجه ثالث في اعجاز القران وانه اعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم على مذهب من قال بالصرفة اي ان الاعجاز بصرف الله قدرتهم وتمكنهم عن معارضته مع انهم بحسب الجبلة قادرون على الاتيان بمثله لو لا ما ذكر واليه ذهب النظام وكثير من المعتزلة والشريف المرتضى في الشيعة وان المعارضة له والاتيان بمثله كانت في قدرة البشر فصرفوا عنها اما بسلب قدرتهم ودعواتهم او بسبب علمهم بتاليف كلام مثله وتمكنهم منه او على احد مذهبي اهل السنة من ان الاتيان بمثله من جنس مقدورهم على الاتيان بكلام من جنسه اي مما هو في قدرتهم متمكنون منه ولكن لم يكن ذلك قبل بالبنا على الضم اي قبل ظهوره ولا يكون بعد بالضم ويقال المراد قبل التحدي وبعده لان الله لم يقدرهم بسكون القاف وفتحها وتشديد الدال وتخفيفها اي لم يجعل لهم القدرة على الاتيان بمثله قبله لانهم لم يسمعوا كلاما مثله ولا يقدرهم عليه بعده ولما كان هذا المذهب قريبا مما قبله اشار الى الفرق بينهما بقوله وبين المذهبين اي مذهب الصرفة والمذهب المذكور بعده فرق بين بالتشديد واضح ظاهر لتمكنهم في الاول من الاتيان بمثله لكن صرفوا عنه ولعدم تمكنهم منه على الثاني مع انه من جنس مقدورهم ومثله في الجملة وليس هذا نوع من الصرفة وذهب اليه بعض اهل السنة كما توهم وعجبت ممن قاله ثم تدبر وعليهما جميعا اي على هذين القولين فترك العرب الفصحا على المذ هنه الاذلال الاتيان بما في مقدورهم اي قدرتهم على الاتيان بما هو من مثله او مثل بعضه كاقصر سورة منه او تركهم الذي يقدرون عليه ورضاهم اي اختيارهم بالبلا اي بما ابتلوا به لعنادهم والجلا بفتح الجيم واللام والمد بوزن البلا وهو اخراجهم من ديارهم واوطانهم والسبا بكسر السين المهملة والموحدة والمد وهو سبي اولادهم واهلهم واسترقاقهم

والاذلال

والاذلال لانفسهم واهليهم وتغيير الحال التي كانوا عليها من العزة والشهامة وسلب النفوس بالقتل والفتك فيهم والاموال باخذ الغنايم منهم والتقريع باللوم والزجر والتعنيف والتوبيخ بذمهم وتقبيح ما هم عليه من الجهل والتعجيز باظهار عجزهم بالتحدي والتهديد لهم بانذارهم بعذاب الدنيا والاخرة والوعيد بما يفتح بهم ان لم يومنوا ابين اية اي اظهر علامة وهو خبر قوله فترك العرب للعجز عن الاتيان بمثله اي بمثل القران في فصاحته واعجازه والنكول وهو النكوص اي الرجوع والاعراض عن معارضته اي الاتيان بمثله وانهم منعوا من شي هو من جنس مقدورهم اي كلامهم الذي يقدرون عليه لانه نوعه المنشا بدله من جميع الوجوه والى هذا المذهب وهو انهم قادرون على شي من جنسه عاجزون عن مثله لا بالصرفة المصرفة وهذا هو الفرق بين القولين ذهب واختاره مذهبا الامام ابو المعالي الجويني منسوب الجوين بزنة المصغر اسم بلدة وهو امام اهل السنة عربا وعجما فريد الايمة عبد الملك بن عبد الله بن يوسف النيسابوري الشافعي امام الحرمين اعلم ايمة الشافعي هو ووالده ولد في ثامن عشر المحرم سنة تسع عشرة واربعماية وتوفي سنة ثمان وسبعين واربعماية في الخامس والعشرين من ربيع الاول وغيره من اهل السنة قال ابو المعالي وهذا الاعجاز عندنا ابلغ اي اقوى واكثر مبالغة في خرق العادة بالافعال البديعة اي المبتدعة الغريبة في انفسها اي في حد ذاتها اذ هو متعلق بالبديعة وفي نسخة في النفسا وهو متعلق بابلغ كقلب العصا حية لموسى عليه الصلاة والسلام وكانت من شجر اللوز ولها معجزات كانت تحمل زاده ونحو ذلك يتنفع بها في السفر وذلك مما فصلوه ونحوها كاليد البيضا وابرا الابرص والاكمه واحيا الموتى فانه اي الامر الثاني اي كونه ابلغ قد يسبق الى بال الناظر فيها وفكره وخاطره بدارا اي مبادرة وسرعة في اول نظره ان ذلك الامر البديع الخارق للعادة نشا من اختصاص صاحب ذلك الامر الذي ظهر على يديه بمزية معرفة اي بزيادة معرفة امتاز بها عمن لم تعد عليها في ذلك الفن اي النوع الذي كان يعتني به اهل زمانه وفضل علم به واحواله الى ان يرد ذلك الخاطر الذي سبق لفهمه صحيح النظر بالتامل والتدبر فيه حتى يعلم اعجازه ثم بين المعنيه بقوله واما التحدي اي طلب معارضة الكلام وتقدم انه مشتق من الحد التقابل الحداة في حدائهم للابل للخلايق جمع خليقة بمعنى خلق

مبين بكسر الميم جمع ماية من السنين في عصر النبوة وبعده الى عيرانها
لكلام من جنس كلامهم المقدور لهم ليأتوا بمثله علمة للتحدي فلم يأتوا
اي لم يقدروا على مثله وهم فحول البلاغة وقد تحدوا وعيروا قبلي وس الابنا
ولم يوجد توفر الدواعي اي كثرة ما يدعوهم لمعارضته وحثهم عليها من
الحمية الجاهلية على المعارضة ثم عدمها اي المعارضة مع كثرة دواعيها
الا ان منع الله الخلق عنها بالصرفة اذ بعدم القدرة على نوعه دون جنسه
فيصدق على المذهبين وفي نسخة الا منع الله الخ بمثابة اي هذا المنع
بمنزلة واصل المثابة المكان الذي يرجع الناس اليه او يكتسبون فيه
الثواب ثم شاع فيما ذكر كما اشار اليه الراغب وقيل اصله مبلغ
جموم البير والحجارة حولها ثم نقل لما ذكر وقد اصطلح الفقها على استعماله
للتشبيه كما قيل فالمراد انه نحو ما لو قال ايس وتعجزني اي منع الله القيام
على الناس مع مقدرتهم عليه وارتفاع الزمانة عنهم بان لا يكونوا مقعدين
وهو بيان لقدرتهم على القيام والقدرة بضم الدال وفتحها كما تقدم فلو انه
كان ذلك اي عدم قيامهم وعجزهم بتشديد الجيم اي جعلهم الله عاجزين عنه
لكان ذلك من اهر ايه اي اقوى معجزة واظهر دلالة على نبوته وبالله التوفيق
فيه اشارة الى انه توفيقا بين القولين لاتفاقهم من وجه واختلافهم
من اخر وقد غاب عن بعض العلما اي خفي عليهم لان من شان الغايب
ان يخفى فاريد به لازمه ظهور راية صلى الله عليه وسلم والتضمينه
معنى العلو قال سابر ايات الانبيا الذين سلفوا قبله حتى احتاج
للعذر عن ذلك اي عن كون معجزاته اظهر من معجزات غيره مع ان احيا الموتى
ونحوه من ايات الانبيا قد يتوهم انه اقوى واظهر بدقة افهام العرب
اصل معنى الدقة كون الشي دقيقا ثم استعير للوقوف على ما خفي من الامور
وذكا الباتها جمع لب وهو العقل الخالص والذكا قوة للذهن
تقتضي سرعة الانتقال ووفور عقولها الوفور من الوفرة وهي الكثرة
والزيادة والعقول جمع عقل وهو القوة المذكورة يعني ان هذا من شانه
هذا الجنس ولا يضره تفاوتهم بحسب الاشخاص فيما ذكر كما توهم مع
انه لا يرد على المصنف لانه حكاه عن غيره وانهم لما خصوا به من الذكا
والفطنة ادركوا المعجزة فيه اي في القران لما علموه من خواص
تراكيبه وجزالة معانيه وحسن نظمه والتيامه بفطنتهم اي قوة ذكايهم
وجاهم من ذلك اي حصل في نفوسهم من معرفة اعجازه وظهوره على غيره
بحسب ادراكهم بفتح السين اي حصل منه على مقدار ادراكهم وقوته

وغيرهم من الامم من القبط وغيرهم القبط بكسر القاف جيل من الناس كانوا قوم
فرعون بمصر وبني اسرايل اي اولاد يعقوب ابن ابراهيم واسرايل لقب
يعقوب لم يكونوا بهذه السبيل اصل معناه الطريق وهو كناية عن عدم
ذكايهم وفهمهم كالعرب وفي نفي سبيل الشي ابلغ من نفيه بل كانوا من الغباوة
وقلة الفطنة الغباوة عدم الفهم والبلادة وعطف قلة الفطنة عليه
عطف تفسير وقد جا غبي جاهل قال
ليس الغبي بسيد في قومه ۞ لكن سيد قومه المتغابي ۞
بحيث جوز عليهم فرعون انه ربهم حيث ظن مكان وهو خبر كان اي بلغت
غباوتهم ان فرعون قال لهم انا ربكم الاعلى فسلموا له ذلك وهذا
بالنسبة للقبط وجوز عليهم السامري وهو رجل من بني اسرايل يسمى موسى
بن ظفر وهو منسوب لرجل اسمه سامر ذلك في العجل اي انه ربهم فعبدوا
العجل الصغير من البقر بعد ايمانهم بالله فاضلهم السامري وكان من اهل
كرمان من قوم تسمى السامرة يعبدون البقر وكان منافقا يظهر فلما مضى
موسى عليه الصلاة والسلام صاغ لهم عجلا من الحلي وزينه بالجواهر
وقذف فيه ترابا من اثر فرس ركبه جبريل فكان يتحرك فقال لهم هذا
الهكم واله موسى وان موسى اخطا الطريق اليه فجاكم يكلمكم كما كلمه فاتبعوه
لسخافة عقولهم كما نقله المفسرون وغيرهم وعند ذا اي بني اسرايل
المسيح عيسى ابن مريم مع اجماعهم على صلبه واذا لهه ربا كيف يصلب
مع انه اعتقاد باطل وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم اي القى شبهه
على رجل اسرايلي فظن اليهود انه عيسى الصلاة فصلبوه وهذا جهل
عظيم منهم فجاءهم من الايات الظاهرة البينة للابصار اي لعدم
ذكايهم لانها كانت اياتهم في غاية الظهور تدرك بالبصر فقد غلظ انها
ما لا يشكون فيه فاعجا وعدم شكهم لظهور ما جاهم ومع هذا الظهور
فقالوا لموسى لن نومن لك حتى نرى الله جهرة اي معاينة بالبصار فالشكهم
فيما اتاهم به وتفصيله في التفاسير غني عن البيان ولم يصبروا اي بني
اسرايل على المن وهو طل كالعسل يقع على الاشجار فيجمع ويوكل والسلوى
والسلوى وهو طاير كالسماني واحده سلواه وكانوا لما خرجوا من التيه
قالوا لموسى عليه الصلاة والسلام اخرجتنا من العمران للقفر فادع
الله ان يرزقنا فانزل عليهم المن ثم سالوه ان يطعمهم من اللحوم فاتاهم بالسلوى
فكانوا ياخذونها بايديهم ثم قالوا لن نصبر على طعام واحد واستبدلوا
الذي هو ادنى اي طلبوا بدلا ادنى مما عندهم وهو الفوم والعدس والبصل

بالذي هو خير وهو المن والسلوى والبادا خلة على المتروك وفيها تفصيل
انورد بالتاليف والعرب على جاهليتها اي على حالها التي كانت عليه
قبل الاسلام من الجهل وانها انتزاعية والجاهلية مصدر بمعنى الجهل
وعلى بمعنى مع ويحتمل انها استعارة لتمكنهم في الجهل كقوله على هدى
من ربهم اكثرها يعترف بالصانع اي بوجوده تعالى ولكنه معطلة
لبعض الامم واطلاق الصانع على الله صحيح ثبت في السنة كما ذكره السيوطي
رحمه الله ولكنهم مما احدثوه وفي قوله اكثرها اشارة الى ان منهم
فرقة دهرية قالوا ما يهلكنا الا الدهر وفرقة عبدوا الملائكة وفرقة
عبدت الكواكب وانما كانت عبدة الاصنام منهم تتقرب بالاصنام الى
الله زلفى ولا تدعي انها خالقة وزلفة زلفى مصدر بمعنى الحظوة
من ازدلف بمعنى دنى وهو مصدر كالزلفة مؤكد لتتقرب من غير لفظه
ومنهم من امن بالله وحده من قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم
في الجاهلية كابن نفيل وقس بن ساعدة وامية ابن ابي الصلت
بدليل عقله وصفائه الذي هداه الى معرفة الله تعالى وتوحيده
للنظر في مصنوعاته وفي كل شيء له اية تدل على انه هو الاحد
الواحد ولما جاءهم الرسول صلى الله عليه وسلم اي بعثه الله تعالى
ليهديهم الى الله بكتاب الله المنزل عليه فهموا حكمته اي ما فيه من الحكم
والعلوم النافعة وتبينوا الفضل ادركهم وزيادة علمهم لاول
وهلة اي في اول نظرة بالبديهة منهم تعالى لفتيته اول وهلة لكون
الهاء فتحها اي اول شي ولام لاول توقيتية اي عند اول وهلة
معجزته يعني القران فامنوا به وازدادوا كل يوم ايمانا وتصديقا
بنبوته ومعجزته والايمان بمعنى التصديق يقبل الزيادة قوة وضعفا
عند المحققين وانه نقل ان الاعمال داخلة فيه كما تقرر في علم الكلام
ورفضوا اي تركوا الدنيا كلها في صحبته اي لاختيار صحبته على كل شي
وهجروا ديارهم واموالهم طلبا لرضى الله ورضاه صلى الله عليه وسلم
وقتلوا اباءهم وابناءهم المعاندين له لاجل نصرته واعزاز دينه في نصرته
فيها تعليله وراى هذا القايل الذي غاب عنه ما تقدم في معنى هذا
وزعم ان ظهوره اياه لما قال له ما يلوح لهم ولو اي يظهر له لفظ حسن
وبهجة من زبرج بكسر الزاي المعجمة وسكون البا الموحدة وكسر الرا
المهملة وجيم وهي الزينة والوشي الذي هو كالطلا وفيه اشارة الى عدم
قبوله لضعفه ولذا قال لو احتج اليه وحقق اي بينت حقيقته ٥

لكنا

٢٠٢

لكنا قدمنا من بيان معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم وظهورها من غير حاجة
لما ذكره من ذكا العرب وفهمهم ما يغني عن ركوب بطون هذه المسالك اي ادعا
مثل هذه الامور الخفية كالمتكلفة وظهورها اي ما يظهر منها يتصل
لذي تقى النظر والتدبر وبالله استعين والحمد لله وحده القسم الثاني
فيما يجب على الانام من حقوقه عليه الصلاة والسلام الوجوب الشرعي
ما يلزم شرعا وهو ظاهر والانام الخلق والناس والحقوق جمع حق وهو
ما يستحقه عليه الصلاة والسلام وهذا اتم من الاقسام الاربعة
التي ذكرها المصنف لخصنا الكلام فيه اي اختصرناه من غيره من الكتب
وبيناه وسهلناه في اربعة ابواب على ما ذكرناه اول الكتاب
اي في اجماله ما اشتمل عليه وفهرسته ومجموعها اي محصلها واجماله
من قولهم جمل الحساب والضمير للابواب الاربعة في وجوب التصديق به
عليه الصلاة والسلام في كل ما جاء عن ربه ويدخل فيه الايمان بانه رسول
والايمان بساير الرسل والكتب المنزلة وقدمه لانه الاصل فلا حاجة
لما قيل من انه حصه لانه المقصود من تصنيف الكتاب ولانه اشرفهم ٥
وخاتمهم واتباعه صلى الله عليه وسلم اي الاقتدا به فيما يلحق من خواصه
وهو مجرور معطوف على تصديقه اي بانه يجب اتباعه في وجوب الواجب
وسنية المسنون واباحة المباح وتحريم المحرم وفضل
ينبغي تقييده بالواجب لا المسنون وطاعته بامتثال اوامره واجتناب
نواهيه والطاعة كما قاله الراغب الانقياد ويضادها الكره
قال تعالى ايتيا طوعا او كرها واكثر ما تقال لما امر به فلذا عطفها
فانه قد يكون كرها حتى قال في الفرق ان المطيع مسلوب الاختيار مع
المطاع وفي الصحاح فلان مطيع لك اي منقاد لم يصعب في مدعاه واستدلال
ومحبته بان يكون صلى الله عليه وسلم احب اليه من نفسه واهله وماله
والمحبة الميل النفساني وهي معروفة ومناصحته له وهي لغة الخلوص
وشرعا ارادة الخير للمنصوح ويتعدى وعبر بالمناصحة دون نصحه لانها
ابلغ ولان الرسول صلى الله عليه وسلم نصح الامة وبالغ في نفعهم وتوقيره
اي تعظيمه والتادب معه بما هو لايق به صلى الله عليه وسلم وبره صلى الله
عليه وسلم ببذل ما في وسعه له من المال وغيره من امور الدنيا فما قيل
من انه تكرار ينبغي تركه لانه للطاعة لا وجه له وحكم الصلاة عليه
والسلام من الوجوب ومحله وزيارة قبره اي وحكم زيارة قبره عليه
الصلاة والسلام وعبر بالحكم فيهما لان وجوب ما قبلهما مستمر دونهما

وتعبيره به لا بنبي بيته صلى الله عليه وسلم وهذا حكمة دقيقة فيه
دون المقابر الباب الاول تقدم وجه تقديمه
في فرض الايمان به صلى الله عليه وسلم عبر فيما سبق بوجوب تصديقه
وهنا بفرض الايمان تفننا واشارة الى ان الفرض والواجب بمعنى عنده
هنا وان المراد بالتصديق الايمان لا معناه اللغوي والحنفية تقدم انهم
فرقوا بين الفرض والواجب بان الفرض ما ثبت بدليل قطعي بخلاف الواجب
فان الفرض لغة القطع وخالفهم فيه غيرهم كما بين في الاصول ه
ووجوب طاعته الى بوجوب هنا لما ذكرناه ولا اشارة الى انه فيما سبق
معطوف على تصديقه لا على وجوب فلا وجه لما قيل انه لا حاجة
اليه وانه ينبغي تقديمه واتباع سنته اي طريقته التي سنها صلى
الله عليه وسلم وشرعها فهو بالمعنى اللغوي فيدخل فيه السنن الاصطلاحية
وغيرها وهو معطوف على قوله او لا اتباعه ولم يجعل لانه غير مغاير لما
قبله لان اتباع سنته طاعة له فلا ينافي انه ينبغي ذلك اذا تقرر ذلك ثبت
بما قدمناه في هذا الكتاب ثبوت نبوته بالوحي اليه وصحة رسالته
بالوحي اليه لجميع الخلق واخرها لانها اخص وعبر بالصحة تفننا ولان
من الكفرة من ادعى عدم صحتها كاليهود المنكرين للنسخ وبعضهم من
ادعى عدم عموم رسالته وجب الايمان به وتصديقه في جميع
ما اتى به واخبرنا به وسند الايمان بالله ورسله وكتبه وغيرها انه لم نقل
ان الايمان بالله واجب عقلا مقدما على ما عداه لئلا يلزم الدور كما زعمه
بعض الماتريدية وخالف فيه بعض الاشعرية كما حقق في كتب الكلام
وقيل الايمان بالله تعالى مقدم على الايمان بالرسل والايمان بالرسل
متوقف على ثبوت الرسالة كما قاله ثم من امن به وجبت عليه طاعته
بامتثال ما جاء به من الشرايع انتهى وفيه نظر قال تعالى فامنوا بالله ورسوله
محمد صلى الله عليه وسلم والنور الذي انزلنا يعني ما اوحي به اليه صلى الله عليه وسلم
من الشريعة وهذا هو المناسب لما قبله وقيل المراد به القران
اذ هو باعجازه ظاهر بنفسه مظهر لغيره ببديع بيانه فاطلاق النور
عليه استعارة كما ذكروا لانه يهتدى به والامر للوجوب والاستدلال
بالاية ظاهر وقال تعالى انا ارسلناك شاهدا على من صدقه ه
وكذبه اوبعاقبه ومبشرا لمن امن بسعادة الدارين وحذف المبشر
به تعميما لتذهب نفس السامع كل مذهب كما في قوله ونذيرا منذرا
ومخوفا لمن عصاك لتؤمنوا بالله ورسوله الخطاب في انا ارسلناك له صلى

بن ابي ترس

الله عليه وسلم ولام لتؤمنوا لام كي وقيل الخطاب لهم اذ يكون لام امر وهو
بعيد وقرئ ليؤمنوا بالغيبة وهي ظاهرة لان خطابه صلى الله عليه وسلم
خطاب لامته وفيه كلام بيناه في حاشية القاضي والاستدلال بالاية
على التعليل لان الانذار يقتضي وجوب اتباعه على انه في غيبته عنه
بما قبله وبعده من قوله وقال تعالى فامنوا بالله ورسوله النبي
الامي الاية اي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون
وقد تكرر الامر به في القران في ايات كثيرة فالايمان بالنبي محمد صلى الله عليه
وسلم واجب لامر الله به مرارا متعين اي فرض عين لا فرض كفاية
يجب الاعتراف به باللسان والتصديق بالجنان فلا بد منهما شرعا اذ لا يتم
ولا يصح ايمان لاحد بالله الا به اي الا بالايمان برسوله صلى الله عليه وسلم
وبجميع ما جاء به ولا يصح اسلام الا معه اي الا مع الايمان برسوله بعينه ولنبي
هذا مبني على تغاير الايمان والاسلام على قول بل هو تاكيد لما قبله ه
لتغايرهما بحسب المفهوم وان اتحدا بحسب الماصدق فانه لا يكون مؤمن
الا وهو مسلم ولا مسلم الا وهو مؤمن لقوله تعالى فاخرجنا من كان فيها
من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين قال تعالى ومن لم يؤمن
بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا وفي الاية نص على ان الايمان
المعتد به انما يكون بالجمع بين الايمان بالله ورسوله فينتفي بانتفاء احدهما
لتفريع قوله فانا اعتدنا الخ عليه حدثنا ابو محمد الخشني بقراتي
عليه وهو حديث صحيح رواه مسلم والبخاري وابو محمد الخشني بضم الخاء والشين
المعجمتين ونون وياء نسبة تقدمت ترجمته قال حدثنا الامام ابو
علي الطبري تقدمت ترجمته قال حدثنا عبد الغافر الفارسي
تقدمت ترجمته قال حدثنا ابن عمرويه الجلودي وقد تقدم وان عمرويه
بفتح العين وسكون الميم وفتح الراء وضمها وان مثله صيغة تصغير
عند اهل البصرة مولد قال حدثنا ابن سفيان ابراهيم ابن محمد بن
سفيان راوي مسلم قال حدثنا ابو الحسين هو الامام مسلم القشيري
صاحب الصحيح المشهور قال حدثنا امية ابن بسطام بكسر الباء الموحدة
وفتحها وفيه الصرف وعدمه توفي سنة احدى وثلاثين ومائتين امام جليل
اخرج له الشيخان والنسائي قال حدثنا يزيد بن زريع بزنة مصغر
الزرع الامام الحافظ ابو معاوية البصري كما تقدم قال حدثنا روح
بفتح الراء المهملة والواو ساكنة وحاء مهملة وهو ابو القاسم التيمي ه
البصري الامام الثقة مات سنة نيف وخمسين ومائة عن العلاء بفتح

حدثنا

العين المهملة والمد ابن عبد الرحمن بن يعقوب عالم المدينة وهو ابو
شبل مولى الحرقة اخرج له مسلم واصحاب السنن عن ابيه عبد الرحمن
عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
امرت بينا للمجهول اي امرني الله اذ لا امر له صلى الله عليه وسلم سواه
ان اقاتل الناس اي بان اقاتلهم ومحله بعد حذف الجار نصب او جره
وهو عام للناس كلهم خص منه من ضربت عليه الجزية حتى يشهدوا
ان لا اله الا الله غاية لقتالهم ينتهي به ويتخصص بالغاية ويؤمنوا بي
اي بكوني نبيا رسولا ويؤمنوا بما جئت به من الله واوحاه اليه
من شريعته التي امر بتبليغها وتكليفهم بها فاذا فعلوا ذلك المذكور
من الشهادة والتصديق لما جاء به والتزام احكام شريعته عصموا
اي صانوا وحفظوا مني دماءهم بعدم المقاتلة لهم واموالهم فلا
توخذ بالغنايم ولا بسبب من الاسباب الا بحقها اي ان لم يستحق
اباحة دمائهم بقتل نفس ظلما ونحوه او يستحق اخذ اموالهم بمنع زكاة
او نحوه حق عليهم وحسابهم على الله اي امورهم بعد ما ذكر موكولة الى
الله اذا حاسبهم على ما اسروه في انفسهم وما لم تقف عليه من الكفر والمعاصي
فيثيب من يشاء ويعاقب والمنافق لا يتعرض الا اذا ظهر منه ما يقتضي
كفره ومثله الزنديق واختلفوا في قبول توبته فقيل يقبل مطلقا
وقيل قبل الاخذ وقيل لا تقبل مطلقا وتوبته ان خلصت
نفعته في الاخرة وقيل ان تاب مرة قبلت وان تكررت
لا وقيل لا تقبل ان دعي الى زندقته وقوله صلى الله عليه وسلم ويؤمنوا
بي اشارة الى ان اهل الكتاب لا يمنع قتالهم بمجرد الشهادة بان لا اله
الا الله ويدخل قتال البغاة ومانعي الزكاة وتارك الصلاة في قوله
الا بحقها وفي الحديث دليل على ان الايمان يكفي فيه الاقرار بما ذكر فيه
وانه لا يشترط فيه معرفة الادلة الاصولية كما قاله النووي رحمه
الله وليس مبنيا على قبول ايمان المقلد كما توهم قال القاضي ابو الفضل
رضي الله عنه والايمان به صلى الله عليه وسلم هو تصديق نبوته
اي التصديق بها وبرسالة الله له اي ارساله والاضافة اختصاصية
لا بمعنى اللام كما توهم وان كان المعنى عليها وتصديقه في جميع ما جاء به
عن الله بالوحي بالوعد وما قاله اي في جميع اقواله لانه صلى الله
عليه وسلم معصوم لا يصدر عنه ما يخالف الواقع لا سيما ما امر
بتبليغه وحكايته اي موافقة تصديق القلب اي اعتقاده والجزم

به واصل المطابقة بعدم وضع شيء على شيء هو طبقه وقوله بذلك اي
بالتصديق بالنبوة والرسالة شهادة اللسان بنطقه واعترافه بانه رسول
الله فاذا اجتمع التصديق به صلى الله عليه وسلم بالقلب والنطق بالشهادة
بذلك المذكور من رسالته وما جاء به باللسان تم الايمان الحقيقي المنجي في
الدنيا والاخرة والتصديق له اي كيفيته ولفظه كما ورد في هذا الحديث
الذي رواه المصنف عن ابي هريرة نفسه بالخبر تاكيد للتحديث من رواية
عبد الله بن عمر رضي الله عنهما امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله
الا الله وان محمدا رسول الله وهذه رواية مسلم عن ابن عمر وفيها ويقيموا
الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا الخ وقوله تم الايمان اي تحقق وصح
وليس مراده انه اذا وجد احدهما كتصديق القلب كان ايمانا ناقصا
كما سنفصله والنطق بالشهادة مع انه لا بد منه اختلف فيه هل هو شطر
او شرط والاعمال ليست داخلة فيه عند المحققين وفيه كلام مفصل في كتب
الاصول وشرح الصحيحين يضيق المقام عنه وقد زاده وضوحا اي
زاد صلى الله عليه وسلم ما ذكر بيانا في حديث جبريل عليه الصلاة والسلام
الذي رواه الشيخان كما تقدم اذ قال له جبريل لما جاءه صلى الله عليه وسلم
في صورة انسان اخبرني عن الاسلام اي حقيقته ومعناه شرعا وهو في
اللغة الانقياد والطاعة وقيل السؤال عن شرطيته وشروطه فقال
صلى الله عليه وسلم ان تشهد ان لا اله الا الله ان مخففة من الثقيلة
وتشهد بمعنى تعلم بان تقول اشهد الخ وقد اختلف هل يشترط فيه
لفظ الشهادة او يكفي ما يؤدي معناه والصحيح عندنا الثاني ولو بغير لفظ
العربية لمن لا يقدر عليه وان محمدا رسول الله ارسله لجميع خلقه
وذكر اركان الاسلام يعني قوله وتقيم الصلاة بالنصب عطف على
تشهد وجوز بعضهم رفعه استئنافا نظرا الى انه يكفي في اجراء احكام
الاسلام الشهادتان وكذا ما بعده وجوابه انه بيان لا كمله واقامة
الصلاة اداؤها وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت
ان استطعت اليه سبيلا قال صدقت فعجبنا له يسأله ويصدقه
ثم سأله صلى الله عليه وسلم عن الايمان اي عما يجب التصديق به شرعا
فقال مجيبا له ان تؤمن بالله اي تصديق بوجوده وانه واحد
في ذاته وصفاته وافعاله ولا شريك له في ذلك وليس هذا تعريفا
للشيء بنفسه لانه يكون متعديا بنفسه ومعناه الامن من التكذيب
ومتعديا بالباء لتضمنه معنى الاعتراف وقد يتعدى باللام لتضمنه

معنى القبول والاذعان والمعروف هو الاول وما وقع في التعريف ه
هو الثاني بل لان الاول معلوم والمسؤول عنه بيان متعلقاته التي
تجب الايمان بها اجمالا واعلم من الحديث تغاير مفهوم الاسلام والايمان فان
الاسلام لغة الاستسلام والانقياد وهو جزء من مفهوم الايمان الذي هو
هو التصديق بالقلب واللسان وقيل انهما مترادفان والاظهر انهما
متلازمان لا ينفك احدهما عن الاخر وقيل بينهما عموم وخصوص مطلق
فان الاسلام يتناول التصديق وامثال الطاعات كما فصل في علم الكلام ه
وملائكته جمع ملك من الالوكة وهي الرسالة واصله مالك ثم قلب
وجمع وحقق معوده وزادوه لتانيث الجمع او المبالغة وتقدم الكلام على ذلك
في الخطبة وهم اجساد نورانية سالمة من الكدورات الجسمانية قابلة
للتشكل والايمان بهم ان تؤمن بانهم عباد الله معصومون لا يفعلون غير
ما يؤمرون لا يعلم عددهم الا الله وكتبه التي هي كلامه تعالى المنزل
على رسله الازلي فيصدق بحقيتها ويعتقد ما تضمنته ورسله جمع رسول
وهو من اوحي اليه بشرع وكتاب وامره بتبليغه عباده الحديث
بالنصب اي اذكره او اقرأه واعرف ذلك الى اخره وهو واليوم الاخر
والقدر خيره وشره واقتصر المصنف رحمه الله على المقصود منه
فقد قرر اي بين النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث ان الايمان به
اي بالله وبما ذكر في الحديث يحتاج الى العقد اي الاعتقاد الجازم بالجنان
بفتح الجيم وهو القلب سمي به لاستتاره او استتار ما فيه من جنه اذا ستر
والاسلام به اي بالله او بما ذكر مضطر اي محتاج اليه ضرورة لانه لا يظهر
الانقياد بدونه ولذا غاير بينهما الى النطق باللسان ليعلم ما فيه تكلمه
وهذه الحالة اي اعتقاد الجنان والنطق باللسان هو المحمودة عند
الله والناس التامة بناء على انه اسم لفعل القلب واللسان كما ذهب
اليه بعض الاشعرية ووصفها بالتمام اشارة الى ان الاعتقاد بالجنان كاف وانه
بنطق به والنطق شرط لاجراء احكام الاسلام عليه في الدنيا كالصلاة ه
عليه ودفنه في مقابر المسلمين فمن امن بقلبه ولم يطلع به احد نفعه ايمانه الا
على وجه الاباء واما الحالة المذمومة لضررها في الاخرة فالشهادة
باللسان اي الاقرار والتلفظ بالشهادة بدون تصديق القلب
بالاعتقاد الجازم وهذا هو النفاق الذي يسمى صاحبه منافقا وهو
من يظهر الايمان ويخفي الكفر وهو لغة اظهار خلاف ما يضمر من نافقا
اليربوع وهو ما يخفيه من ابواب جحره ليخرج منه اذا احس بصائده كما قال

وليستخرج

ويستخرج اليربوع منه نافقا به قال الله تعالى اذا جاءك المنافقون الخطاب
له صلى الله عليه وسلم قالوا نشهد انك لرسول الله فاقروا بشهادة مواطئة
لقلوبهم بزعمهم فرد عليهم علام الغيوب بقوله والله يعلم انك لرسوله
وهو توطئة لقوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون في قولهم ذلك اي
قولهم انك لرسول الله عن اعتقاد وتصميم لان سياقه مؤكدا بهذه التاكيدات
يقتضي انه ناش عن اعتقادهم الجازم وتصديقهم القلبي او اللساني وهم لا
يعتقدونه جملة حالية اي والحال انهم ليسوا معتقدين لذلك كما اخبر الله
به فلما لم يصدق ذلك القول ضمائرهم اي ما اضمروه في قلوبهم او قلبهم لان
الضمير يطلق عليه لم ينفعهم ان يقولوا اي قولهم لم ينفعهم في الاخرة لانهم في الدرك
الاسفل من النار بالسنتهم ما ليس في قلوبهم لاعتقادهم خلافه فهو كذب غير
مطابق للواقع وليس هذا مبنيا على ان الكذب ما خالف الاعتقاد كما حققه
اهل المعاني وهذه الاية نزلت في ابن ابي ابن سلول رأس المنافقين واصحابه
وقصته مشهورة في كتب الحديث فلا نطول بها فخرجوا عن اسم الايمان اي عن
ان يسموا بما اشتق منه فيقال لهم مؤمنين في الدنيا عند من عرفهم فلم يكن
لهم في الاخرة حكمه وهو دخول الجنة فهم في الدرك الاسفل من النار بالسنتهم
ما ليس في قلوبهم لاعتقادهم خلافه فهو كذب غير مطابق للواقع وليس هذا
مبنيا على ان الكذب ما خالف الاعتقاد كما حققه اهل المعاني وهذه الاية
نزلت مع الكفار كما يأتي ودخولهم في الاخرة اشارة الى انهم تجري عليهم في
الدنيا حكمه نظرا لظاهر حالهم كما بينه بقوله اذ لم يكن معهم ايمان في الاخرة
لانكشاف حالهم وافتضاحهم فيها وقال معهم ولم يقل اذ لم يكونوا مؤمنين
اشارة الى ان ايمانهم لم يكن في قلوبهم فكانه كان مقارنا لهم لتلفظهم به فاذا
ماتوا فارقهم وبطل حكمه ولحقوا بالكافرين في الدرك الاسفل من
النار الدرك بفتح الراء وسكونها ما ينزل به للاسفل ضد الدرج يعني انهم
في قعر جهنم واخر طبقة منها وهي سبع طبقات جهنم ثم لظى ثم الحطمة
ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية ويطلق اسم كل طبقة منها على الجميع ايضا بالاشتراك
اللفظي او المعنوي وبقي جار عليهم حكم الاسلام في الدنيا فيعاملونه
معاملة المسلمين فلهم ما لهم وعليهم باظهار شهادة اللسان اي بسببه لانا
نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر والمراد بحكم الاسلام كل ما كان داخلا
في احكام الدنيا اي ما يحكم به لهم وعليهم من احكام الشرع المتعلقة
بالائمة اي السلاطين والخلفاء لا العلماء لانهم ليسوا مأمورين باجرائها
وحكام المسلمين كالقضاة وغيرهم من النواب وهذا حكم من لم يظهر لنا

وجه

ابن ابي

حالة منهم فان من ظهر حالة يكون كافرا فلا وجه لا يراده نقضا هنا كما
توهم ولهذا لم يقتل النبي صلى الله عليه وسلم على ابن ابي ابن سلول وان كان اطلع
عليهم وانما لم يقتله لمصلحة اشارة اليها في الحديث بقوله لئلا يتحدث
الناس بان محمدا يقتل اصحابه فكان هذا من حضا يصد في ابتدا الاسلام
ثم انتهى بانتهاء سببه ولهذا رفع عمر رضي الله عنه حكم المؤلفة قلوبهم
وهذا من عطف العام على الخاص ثم زادهم بيانا بقوله الذين احكامهم
جارية ومبنية على الظواهر من احوال الناس كلهم بما اظهروه من علامة
الاسلام اي احكام الدنيا جارية عليهم بسبب اظهارهم الاسلام بانقيادهم
له والتزامهم احكامه ظاهرا وانهم يعتقدوها بقلوبهم وفي نسخة علانا
وزادها اشارة الى انهم ليسوا مسلمين حقيقة وانما عليهم علامته
اذ لم يجعل بنا المجهول اي لم يجعل الله للبشر اي الناس كلهم سبيل اي طريق
الى السرائر جمع سريرة وهي ما في القلب مما لم يطلع عليه فلم يكلفهم بمعرفته
واجرا احكمه ولا امروا الضمير للبشر باعتبار المعنى بالبحث
اي التفحص والتفتيش عنها اي عن السرائر ثم ترقى فقال بل نهى النبي صلى ٢
الله عليه وسلم عن التحكم عنها اي الحكم على السرائر وعبر بالتحكم لما فيه
من التكلف او لانه ليس بحكم كما يقال يحكم الرجل لمن لا حكم له فقال
صلى الله عليه وسلم لاسامة ابن زيد في حديث صحيح رواه البخاري
لما اضطر بعض الكفار فاسلم فقتله لاعتقاده ان اسلامه بلسانه
خوفا من القتل فقال له اقتلته بعد ان اسلم هلا شققت
عن قلبه وهلا اداة تحضيض اذا دخلت على المستقبل افادت الامر
واذا دخلت على الماضي افادت الانكار والتوبيخ وشق متعد بنفسه
وعداه بعن لتضمينه معنى التفتيش اي شققت قلبه لتفتش عما فيه
من الاعتقاد وتعلم اقال ما قاله خوفا ام لا وهو كناية عن استحالة
الوقوف عليه لانه بشقه لا يدري ما فيه والذم فيه ظاهر لما فيه
من التوبيخ على ما لا يليق به وكان عليه ان يخبره حتى يعلم هل هو مخلص
ام لا لكن لما راه لم يسلم حتى رفع السيف ليقتله ظن ايمانه ايمان باس لا ينفعه
كحال الغرغرة فهو نما ولا متعمد للخطا في قتله والحديث كما
في الصحيحين عنه بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
الحرقة من جهينة فهزمناهم ولحقته انا ورجل من الانصار رجلا منهم فلما
غشيناه قال لا اله الا الله فكف عنه الانصاري وطعنته برمحي حتى قتلته
فلما قدمنا بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي يا اسامة

اقتلته

اقتلته بعد ما قال لا اله الا الله قلت يا رسول الله انما كان متعوذا
فقال اقتلته بعد ما قال لا اله الا الله فلم يزل يكررها وقال هلا شققت
عن قلبه فكيف تصنع بلا اله الا الله اذا جاءت يوم القيامة فقلت
استغفر لي يا رسول الله فقال كيف تصنع بلا اله الا الله الخ فلم يقبل عذره
زيادة تنبيه وموعظة وزجر والرجل المقتول اسمه مرداس الفزاري او
الفدكي وبما ذكرناه علم ان اسامة رضي الله عنه متاول في قتله ولم يسمع منه
كلمة الشهادة بتمامها حتى يحكم باسلامه وانما لامه رسول الله صلى الله
عليه وسلم لعجلته وعدم تثبته وان كان يجب عليه ان يختبره
فلم يقتله وهو مسلم شرعا كما لا يخفى فقول الداودي انه يلزمه الدية
لقتله لمسلم خطا وانما سكت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذكرها لعلمه
لعلم السامع بذلك او لانه كان قتل قبل نزول اية الدية والكفارة وقول
القرطبي انه لا يلزم من السكوت عدم الوقوع وقول غيره انه يحتمل انه لم يجب
عليه شي لانه ماذون له في اصل القتل فهو كالطبيب والخاتن او لم يكن له وارث
مسلم ولا ولي واسامة رضي الله عنه اقربه لكن لا حاجة اليه اقول
اذا لم يكن له وارث ديته لبيت المال ولا يصح عفو الامام عنه عندنا وان
رجح السبكي في فتاويه جوازه لمصلحة ولا دليل في الحديث له لما عرفته
ولا يستحق من بيت المال فتفسيله الدية لا يكون عفوا والفرق بين القول
اي مجرد التلفظ بالشهادة بلسانه والعقد اي التصديق بقلبه واعتقاده
جنانه ما جعل ما مصدرية اي جعله في حديث جبريل الذي تقدم
في سؤاله عن الاسلام والايمان الشهادة في التلفظ بها ركنا من الاسلام
لما قال في جوابه ان تشهد الخ وجعله التصديق من الايمان اي
الاعتقاد بالقلب وهذا بنا على تغاير الاسلام والايمان وفيه
اشارة المفسر تؤمن في قوله ان تؤمن بالله الخ وبقيت حالتان
اخريان بين هذين اي الاقرار بلسانه والتصديق بجنانه اي الجمع بينهما
ان يصدق المكلف بقلبه ثم يخترم بخا مجهة وتاء فوقية وراء مهملة
مبني للمجهول يقال اخترمته المنية والموت اذا اتاه بغتة بسرعة
واصل معنى الجزم القطع وتفريق المتصل فقيل له ذلك لقطعه
للحياة كما اشار اليه بقوله قبل اتساع وقت الشهادة اي التلفظ
والنطق بها لضيق الزمن فهذه حالة بين الحالتين السابقتين
وهما الاقرار اللساني والتصديق بقلبه الموافق له وهو مؤمن بالاتفاق
والثانية الاقرار باللسان وقلبه غير مصدق وهو منافق بالاتفاق

وحلف ما مر وهذه حالة بينهما فاختلف فيه اي في هذه حالة امومن هو ام لا فشرط بعضهم اي تال ـــــ انه من تمام الايمان القول والشهادة به باللسان فلا يكون هذا مومنا عنده لعدم تمام ايمانه وفقد شرطه عنده وعند بعضهم ان الشهادة جزء من الايمان وركن لا شرط فعرفه بانه اقرار باللسان وتصديق بالجنان وهو المشهور عند الاشاعرة فلا ايمان الا بهما الا عند العجز عن النطق ورآه ما مر من الرأي بعضهم فقال من اعتقد بقلبه واخترم قبل تمكنه من النطق مومن كالعاجز فيكون مومنا حقيقة ولقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان يخرج روي بالبناء للفاعل وللمفعول من النار من كان في قلبه باعتقاده مثقال ذرة اي وزنها ومقدارها في الثقل والذرة بالمعجمة صغار النمل والهبا وهو كناية عن غاية القلة وان كان عند الله عظيما وهو بعض من حديث في الصحيحين ولم يقل يدخل الجنة ابتدا لان المراد به العصاة المعذبون بسبب اخر او بترك الشهادة فيكون عاصيا بذلك والظاهر الاول ولذا بينه وبين الاستدلال به بقوله فلم يذكر في الحديث شيا سوى ما في القلب من ايمانه بمقدار ذرة وهذا المصدق بقلبه دون لسانه لعدم تمكنه من النطق مومن بقلبه فينفعه ايمانه عند الله لانه غير عاص اي تارك لما يلزمه ولا مفرط بتشديد الدال المهملة اي مقصر عمدا بتركه غيره وهو التلفظ بالشهادة وهذا الرأي الذي رآه بعضهم هو الصحيح في هذا الوجه اي الحالة المعذور فيها بعدم تمكنه وهذا وان صححه المتكلمون الا انه فيه ـــــ انما استدل به المصنف لا يثبت ما ادعاه لان هذا في عصاة امته الذين ثبت ايمانهم ويدل عليه ما في الصحيح عن النبي انه صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ثم ان ذكر الوزن في الايمان وهو من المعاني لانه كما قال الكرماني شبه بالجسم فاضيف اليه ما هو من لوازمه وهو الوزن ففيه استعارة بالكناية الثانية اي الحالة الثانية من هاتين الحالتين او يصدق بقلبه ويعتقد اعتقادا جازما ويطول بضم الفوقية وتشديد الواو المكسورة مهلة بميم وهاء مفتوحتين مفعول يطول ويجوز تسكين هائه مع فتح ميمه وضمها وهي التؤدة والثاني فاريد به لازمه وهو طول الزمان والمراد زمان سكوته وعدم نطقه بالشهادة وعلم ما يلزمه من الشهادة

والنطق

والنطق بها وهذه جملة حالية بتقدير قد اي سكت زمانا طويلا مع علمه بلزوم النطق والاعتراف بما صدق به قلبه فلم ينطق بها اي بالشهادة جملة منصوب على الحالية والمراد به مجموعها بانه لم يومن بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره او اجمالا لان الايمان لا ينفصل الملائكة والكتب ونحوها فلا استشهد في عمره ومدة حياته اي اتى بالشهادة وفي نسخة شهد ولا مرة اي مرة واحدة فهذا اختلف فيه ايضا كما اختلف في الذي قبله وهو في الاصل مصدر امر اذا رجع وشاع في المتشبه وفي تحقيقه كلام مشهور فقيل هو مومن لانه مصدق وحقيقة الايمان هو التصديق القلبي وقد اتصف به فيكفيه والشهادة من جملة الاعمال الزايدة على حقيقة الايمان وان كانت لازمة شرعا فهو عاص بتركها كمرتكب الكبائر غير كافر فهو غير مخلد في النار عند اهل السنة القايلين بان اصحاب الكباير غير مخلدين وقيل ليس بمومن لان الشهادة شرط فيه او شطر حتى يقارن عقده اي اعتقاد قلبه وجزمه شهادة لسانه اي التلفظ بها مطابقة لما في قلبه اذ الشهادة انشا عقد عند الاصوليين لانها عندهم انشا يتضمن الاخبار بالمشهود به لا اخبار وعزي الثاني اي انه خبر لابي حنيفة وانكره السروجي وقال لا نعرفه وانما هو انشا عندنا ايضا ونظر فيه بانهم عرفوها بانها اخبار بحق للغير على اخر وقد يقال انه بحسب ظاهره لا انه خبر لفظا اريد به الانشا كقوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ومن لم يفهم مراده قال انشاوه بمعنى انتجابه والتزام ايمانه اي التزام لاحكامه وهي اي الشهادة مرتبطة اي ملازمة متصلة مع العقد الجناني لا تفارقه فلا يكتفى باحدهما ولا يتم العقد بدونها ويكتفى به مع المهلة اي تاخير النطق زمانا طويلا من غير مانع الا بها اي بالشهادة والنطق بها وهذا القول هو الصحيح من انه ليس بمومن لعدم مقارنة الاعتقاد للاقرار مع التمكن منه ومن يقول انه التصديق فقط يقول انه مومن وان لم يقر بلسانه وان لم تجر عليه احكام الايمان في الدنيا فهو ينفعه في الاخرة والاصح انه لا بد منه في الاعتداد به في الدنيا والاخرة وهو شرط او شطر ثم انهم اتفقوا على انه يلزم المصدق ان يعتقد انه متى طولب به اتى به فان طولب به فلم يقر فهو كفر عناد وهذا نبذ بفتح النون وسكون الموحدة والذال المعجمة وهو الشيء اليسير وامثاله الرمي والطرح فكانه لقلته ما يطرح وفي نسخة هذه نبذة

بضم النون وفتح الموحدة جمع نبذة بزنة غرفة وغرف أي بضم فسكون والمعروف ما قدمناه **تفضي إلى متسع من الكلام** تفضي بضم المثناة الفوقية وسكون الفاء وكسر الضاد المعجمة فتح يا ساكنة مضارع أفضى بمعنى أوصل وأصل معناه الإيصال إلى الفضاء والمتسع بزنة اسم المفعول وهو مصدر ميمي أو اسم يعني أنها تحتاج إلى بسط وانتشار لكثرة مباحثه وما للعلماء فيه من القيل والقال **في الإسلام والإيمان** أي فيما يتعلق بهما **وأبوابهما** المعقودة لتفصيلهما **وفي الزيادة فيهما والنقصان** فيهما والكلام في أنهما يقبلان زيادة ونقصا وفيه اختلاف مشهور **وهذا التجزي** بالزيادة والنقص فيهما **ممتنع على مجرد التصديق** فهو في نفسه من غير نظر لما ينضم له من الأقوال والأعمال لا يقبلها لأنه كما مر قيل إنها مجرد التصديق وهو لا يزيد ولا ينقص وقيل إنه قول واعتقاد وقيل قول وعمل واعتقاد فعلى هذا يقبل التجزي وقوله **لا يصح فيه** أي في التصديق تجزي بزيادة ونقص **جملة** أي مجموعا وإجمالا عنه لا يقبل التجزي **وإنما يرجع** تجزيه والزيادة فيه **إلى ما زاد عليه** أي ما زاد على التصديق **من عمل** ونحوه فإنه تزيد به وتنقص ولا يكون كمن أسلم ثم مات فجأة بلا بيان بشي من الأعمال الصالحة **وقد يعرض فيه** أي قد يطرأ على التصديق نفسه زيادة أو نقص ونحو بالله من الكيفيات النفسانية وهي تتفاوت قوة وضعفا فإن العلم بطلوع الشمس وأن الواحد نصف الاثنين ليس كالعلم بحدوث العالم ولا شك في أن إيمان أبي بكر رضي الله عنه ليس كإيمان غيره وقال الشمني في الصحاح عرض له كذا يعرض أي ظهر وعرضته العود على الإناء تعرضه وتعرضه هذه وجدها بالضم وعرضت له الغول بالكسر لغة **لاختلاف صفاته** قوة وضعفا **وتباين** أي تعدد وافتراق **حالاته** بعضها عن بعض **من قوة يقين** بيان للصفات والحالات **وتصميم اعتقاد** أي الجزم به بحيث لا يقبل الشك لمشاهدة وقوة أدلة **ووضوح معرفة** أي ظهورها لمن شاهده صلى الله عليه وسلم وعاين معجزاته **ودوام حالة** أي استمرار التصديق وامتداده فإنه زيادة فيه **وحضور قلب** أي حضوره التصديق به حتى لا يغفل عنه تلبسه المطهارة **وفي بسط هذا** أي بسط الكلام فيما ذكره كي تفاصيله وتحقيق أدلته مع ما لها وعليها **خروج عن غرض التأليف** أي المقصود منه وهو بيان علو مقامه صلى الله عليه وسلم

وما

وما يجب له وهذا يكفي فيه الإجمال وقطع النظر عن الاستدلال **وفيما ذكرناه غنية** بضم الغين المعجمة وسكون ساكنة وياء مثناة تحتية مفتوحة أي كفاية معتبة عن غيره **إن شاء الله فيما قصدناه** في هذا الكتاب **إن شاء الله تعالى** وهذا الذي ذكره المصنف مذهب المحققين الأظهر المختار أن التصديق يزيد وينقص بكثرة النظر ووضوح الأدلة ولا شك في أن إيمان الصديقين أقوى من إيمان غيرهم **فصل وأما وجوب طاعته صلى الله عليه وسلم** بامتثال أوامره واجتناب نواهيه **فإذا وجب الإيمان به وتصديقه فيما جاء به** من الله وقد علم هذا مما تقدم في أول الباب **وجبت طاعته** لأن من صدقه وأخبره بما يلزمه يلزمه اتباعه أمره ونهيه فلو خالفه من غير إنكار منه كان عاصيا بترك ما يجب عليه **لأن ذلك** أي وجوب طاعته **مما أتى به** عن الله بوحيه كما يدل **ما قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله** قدم طاعة الله تمهيدا لوجوب طاعة رسوله وإشارة إلى أن طاعته تعالى بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وهما شي واحد ولذا أفرد الضمير في قوله ولا تولوا عنه وهو قياس منطقي تقديره وجوب طاعته مما أتى به من عند ربه وكل ما أتى به من عند الله يجب الإيمان به فيجب طاعته وشرك بينهما في صيغة الأمر لما ذكرناه **وقال تعالى قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول** قال القاضي أمره الله أن يبلغ المؤمنين ما خاطبهم به مبالغة في تمكينهم يعني أن هذه الآية نزلت في بشر المنافق لما دعى خصماله يهوديا إلى كعب ابن الأشرف ودعاه خصمه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الآتي بيانه ولا ينافي هذا أن الكلام في وجوب طاعته على المؤمنين لأن العبرة بعموم اللفظ دون خصوص السبب **وقال تعالى وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون** الترجي بلعل وعسى على لسان العباد للإشارة إلى عزة المطلوب وأن العبد دائما بين الرجاء والخوف **وقال تعالى وإن تطيعوه تهتدوا** فهداية منوقفة على طاعته والهداية للتحقق بالإيمان وغيره أمر لازم لهم **وقال من يطع الرسول فقد أطاع الله** فجعل طاعته طاعة الله لأنه لا يأمر إلا بأمره ولا ينهى إلا بنهيه ولذا أردفه بقوله **وقال تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** هذا محمول على العموم في جميع أوامره ونواهيه لأنه لا يأمر إلا بصلاح ولا ينهى إلا عن فساد وإن كانت الآية نزلت في الفيء والغنائم كما يدل عليه قوله آتاكم وخذوه إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

كما نقرر فلا يتوهم انها غير مناسبة لما هو بصدده وقال ومن يطع الله والرسول فاولئك المطيعون مع الذين انعم الله عليهم الاية
من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وهذه الاية نزلت في
ابن عبد ربه الانصاري حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم اذا امتّ كنت
في عليين فلا نراك وذكر شدة حزنه لذلك فنزلت فلما مات رسول الله
صلى الله عليه وسلم دعى الله ان العمى بصره حتى لا يرى غيره فعمي مكانه وهو
الذي رآه واتبعه الا ذاك وقيل نزلت في ثوبان مولاه صلى الله عليه
وسلم وكان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصبر عن
رؤيته فحزن حتى تغير لونه فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن ذلك فقال ما بي ضر غير اني لا اصبر عنك فذكرت الاخرة واني لا اراك
ثمة لرفعة مقامك وهبوط منزلتي والمراد بالمعية سهولة الاجتماع والتزاور
بينهم في الجنة وان تفاوتت مراتبهم وتباعدت منازلهم فيها وقال
تعالى وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله الاذن مجاز عن ارادة
التسهيل والتوفيق او هو نفس التسهيل والتوفيق اي الا ليطيعه من بحثه
ويرضى بحكمه فمن لم يرض بحكم لم يرض برسالته فهو تارك لما يجب عليه
كافر وقيل اذنه بمعنى امره وقال القاضي كانه احتج بذلك
على ان الذي لم يرض بحكمه وان اظهر الاسلام كافر مستوجب القتل
انتهى ووجه في توجيهه ان من لم يرض بحكمه لم يرض بحكم الله
ومن لم يرض بحكم الله كافر ولذا لما خاصم المنافق واليهودي وطلب
اليهودي حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يخفا بعلم حكم رسول
الله له وابى المنافق وطلبا ان يتحاكما عند كعب ابن الاشرف وابى اليهودي
واتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم له فلم يقبل المنافق فاتيا ابا بكر
رضي الله عنه فحكم بما حكم به رسول فلم يرض فاتيا عمر وذكر له اليهودي
ما وقع فقال له رويدكما ودخل بيته واخرج سيفه وضرب به المنافق
فقتله وبلغ ذلك المنافق رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلم ينكره فجعل طاعة رسوله طاعته فهما شيء واحد لانه لا يامر الا
بامره ولا ينهى الا بنهيه بمعنى قوله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله
وقرن طاعته بطاعته في القران كما في قوله اطيعوا الله واطيعوا
الرسول ونحوه من تعظيمه ووجوب طاعته كما لا يخفى ووعد على ذلك
بجزيل الثواب واوعد على مخالفته بسوء العقاب الجزيل بمعنى العظيم
او الكثير وعبر في جانب الثواب بالوعد وفي جانب العقاب بالايعاد

المزيد

المزيد لما اشتهر من الفرق بينهما في اصل الاستعمال كما قال الشاعر
واني وان اوعدته او وعدته لمخلف ايعادي ومنجز موعدي
وقد يستعمل كل منهما في مكان الاخر لنكتة وتقدم الكلام على ذلك مبسوطا
في خطبة الكتاب وسوء العقاب بمعنى العقاب السيء وهو ظاهر واوجب
الله تعالى امتثال امره بالاتيان بما امر به واجتناب نهيه بترك ما نهاه عنه
فقال وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا كما تقدم بيانه
وقال المفسرون في تفاسيرهم والائمة اي ائمة الدين من الفقهاء والمحدثين
طاعة الرسول التي امرنا الله بها في القران متحققة ومتبينة في التزام سنته
اي المداومة على سلوك طريقته فالسنة معناها اللغوي بمعنى ما عليه
ويترك ما تركه والتسليم اي الانقياد والمتابعة له لما جاء به من شرعه للوحي
اليه الذي اخبرنا به وتصديقه فيما اخبر به من غير تحكيم العقل وقالوا
ايضا ما ارسل الله من رسول من زائدة في النفي لتاكيد العموم الا فرض طاعته
اي جعلها فرضا متحتما يثاب فاعله ويعاقب تاركه على من ارسله اليه
لتبليغ شرعه والضمير لمن باعتبار لفظه وقالوا اي المفسرون والائمة
من يطع الرسول في سنته بضم السين وتشديد النون اي من طريقته وشريعته
من امور دينه سنة وفرض وليس المراد هنا ما يقابل الفرض كما يوهمه
قوله من يطع الله في فرائضه جمع فريضة بمعنى الفرض وفي بعض النسخ
سننه جمع سنة ويحتمل ان تفسر السنة والسنن بما يقابل الفرض لان من اتبع
الرسول فيما سنه من غير ايجاب عليه كان متبعا له في فرائض الله بالطريق
الاولى والمراد ان طاعة الله وما جاء به عين طاعة رسوله صلى الله عليه
وسلم لا ينفصل احدهما عن الاخر وفي الام للشافعي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا الفين احدكم متكئا على اريكته ما امرته او نهيته
فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله عملنا به وسياتي بيان الفاظه
عند ذكر المصنف له قريبا مرتين باسر انتقائه فهذا بيان لان العمل
بسنة رسول الله عمل بكتاب الله وهو معنى ما قالوه هنا وسئل سهل
ابن عبد الله التستري الامام الزاهد المشهور عن شرائع الاسلام اي
ما المقصود منها والمراد فقال سهل في الجواب وما اتاكم الرسول
فخذوه اي تمسكوا به وقال الامام ابو الليث الفقيه السمرقندي يقال
في طاعة الله ورسوله ان معناه اطيعوا الله في فرائضه اي فيما فرضه
عليكم في كتابه الكريم والرسول في سنته اي ما سنه وشرعه لنا وقيل
في معنى اطيعوا الله واطيعوا الرسول اطيعوا الله فيما حرم عليكم باجتناب

جميع محرماته وكان الظاهر ان يقول فيما اوجبه وحرمه وغيره كما عممه
اتباع الرسول بقوله والرسول اي واطيعوا الرسول فيما بلغكم عن الله من اوامره
ونواهيه مخلصا في ذلك فانه مامور بتبليغه وما ينطق عن الهوى ان هو
الا وحي يوحى ويقال في معناه اطيعوا الله بالشهادة اي الاقرار والاعتراف
له بالربوبية اي انه رب خالق مالك لجميع الموجودات متفرد بالملك والربوبية
والنبي بالنصب اي واطيعوا النبي صلى الله عليه وسلم بالشهادة بالنبوة
المراد بالنبي هنا محمد صلى الله عليه وسلم فال للعهد وهو الفرد
الكامل عند الاطلاق فيدل حينئذ على رسالته وانه رسول وان قلنا النبي
اعم من الرسول بناء على المشهور فلا حاجة لما قيل ان المراد النبوة المقترنة
بالرسالة وانه كان ينبغي له الجمع بينهما اظهارا للنعمة بهما عليه
وتعظيما للمنزلة والعدول عن الظاهر ان قلنا ان النبوة افضل
ظاهر لا لرعاية السجع كما قيل حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراتي عليه
وهو حديث رواه الشيخان ومحمد بن عتاب تقدمت ترجمته قال
حدثنا حاتم بن محمد المعروف بابن الطرابلسي كما تقدم قال حدثنا
ابو الحسن علي بن محمد بن خلف الحافظ القابسي كما تقدم قال
حدثنا محمد بن احمد وهو ابو زيد المروزي كما تقدم قال حدثنا
محمد بن يوسف الفربري راوي صحيح البخاري كما تقدم قال
حدثنا البخاري قال حدثنا عبدان يعني عبد الله بن عثمان بن
جبلة بفتح الجيم والموحدة ابن ابي رواد الحافظ المروزي الثقة
توفي سنة احدى وعشرين ومائتين قال اخبرنا عبد الله ابن
المبارك قال حدثنا يونس بن يزيد الايلي الامام الثقة توفي سنة
تسع وخمسين ومائة واخرج له اصحاب الكتب الستة عن الزهري
محمد بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري الامام المشهور كما تقدم
مرارا قال اخبرني ابو سلمة بن عبد الرحمن احد فقهاء المدينة
السبعة على قول الاكثر واسمه عبد الله او اسماعيل انه سمع ابا هريرة
يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اطاعني فقد اطاع
الله ومن عصاني فقد عصى الله لانه لا يامر الا بما امر الله ولا ينهى الا
عما نهى الله عنه فمن امتثل امره واجتنب نهيه امتثل امر الله
ونهيه او ان الله عز وجل امر بطاعة رسوله وامره ونهيه فطاعته
لمن امتثل امره ونهيه اطاع الله في امره ونهيه فطاعته كما تقدم
ومن اطاع اميري اي من جعلته هو او خلفاؤه حاكما على امته فقد

اطاعني لان طاعته طاعة من امره لانه مبلغ عنه ومن عصى اميري فقد
عصاني قيل ان قريشا وسائر العرب كانوا لا يعرفون الامارة وانما كانوا يطيعون
رؤساء قبائلهم فلما ظهر الاسلام وولي عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
الامراء انكروا ذلك ولم يطيعوا الامراء فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذلك اعلاما بانهم يلزمهم اطاعة امرائه وتوقيرهم والاقتداء بهم في اقوالهم
وافعالهم وهكذا مسلم الامير بالالف واللام ومن طاعة الرسول اي رسول
الله صلى الله عليه وسلم من طاعة الله المرسل له ان الله امر بطاعته
اي لان الله امر جميع الناس باتباعه فيما جاء به من الله فطاعته اي الرسول
ورسوله امتثال لما امر الله به في قوله اطيعوا الرسول وطاعته له
اي لله لانه امرهم اجلالا بطاعته فطاعته لربه لانا نطيعه لامره بطاعته
في امره ونواهيه وهو انما يامرنا بما امره الله بتبليغه وما ينطق عن
الهوى ويدخله ما كان باجتهاده لانه امر بالاجتهاد على الاصح فهذا
بسط لما قدمه وايضاح له ولا تكرار فيه كما قيل وقد حكى الله عن
الكفار ما سيقولونه اي ذكر في القران اخبارا عنهم بما سيكون وهذه العبارة
ماثورة عن السلف من غير انكار لها الا ان العارف بالله ابن عباد العزي قال
انه ليس بصواب لان كلام الله صفة قديمة فلا يقال حكى الله في كلامه
عن كذا لان الحكاية متاخرة عن المحكي وانما يقال اخبر الله ونحوه انتهى
وهذا مما لا وجه له لانه تعالى قال نقص عليك والقصص والحكاية بمعنى وما
احتج به لا وجه له فيه فانه وارد على الاخبار بعينه من غير فرق في دركات
جهنم اي محلها الاسفل فيها يوم تقلب وجوههم في النار اي تصرف
من جهة الى اخرى لاضطرابهم فهي كقطع لحم تغلي في قدر بقوة او تقلبها
تغيرها عن حالها وهيئتها او تبدل الوانها وخص الوجه لانه اشرف
الاعضاء واظهرها او المراد به الجملة يقولون يا ليتنا اطعنا الله
واطعنا الرسول للتسليم مما نحن فيه لندمهم حيث لا ينفعهم الندم
فتمنوا طاعته صلى الله عليه وسلم حيث لا ينفعهم التمني اي في زمان
او مكان لا ينفعهم تمنيهم فيه والتمني طلب ما لا يمكن حصوله وقال
صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان اذا نهيتكم عن شيء محرم
او مكروه فاجتنبوه اي اتركوه كانه طرح في جانب منكم واذا امرتكم بامر
اي مامور به ايجابا او ارشادا فاتوا منه ما استطعتم اي قدر ما تقدرون عليه
من غير ترك للواجب بغير عذر واول هذا الحديث دعوني ما تركتكم
انما هلك من قبلكم بسؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا نهيتكم عن شيء

فاجتنبوه إلى آخره وسببه أنه صلى الله عليه وسلم قال في خطبة إن الله قد
فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل أكل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا
فقال لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ثم قال في الحديث
فرواه الدارقطني فنزلت يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن
تبد لكم تسؤكم وروي ذلك عن ابن عباس في التفسير وشمل عام حيث إنه
ما أكره عليه المكلف وفيه خلاف هل الإكراه على المعصية يبيحها
أو هي باقية على حرمتها ولا يأثم مرتكبها وهو مبني على الخلاف في أن المكره
مكلف أم لا فمعنى أو فأتوا منه ما استطعتم افعلوا على قدر استطاعتكم
عنكم قال النووي وهذا الحديث من جوامع الكلم وقواعد الإسلام
يدخل فيه كثير من الأحكام كمن عجز عن ركن من أركان الصلاة أو شرط من
شروطها يأتي بمقدوره ولا يسقط عنه مقدوره ولذا قال الفقهاء
الميسور لا يسقط بالمعسور وفي الحديث إشارة إلى اعتبار الشارع النهي
لإطلاقه الاجتناب ولو مع مشقة الترك وتقييد المأمورات بالاستطاعة
والطاقة كما قاله أحمد بن حنبل فإن قلت الاستطاعة معتبرة
في النهي فلا يكلف الله نفسا إلا وسعها قلت قال ابن حجر
الاستطاعة لا تدل على المدعى وهو الاعتبار إذ هو جهة التكليف
وكل أحد قادر عليه لولا داعية الشهوة فكل أحد قادر على الترك
بخلاف الفعل فإن العجز عنه محسوس فلذا قيد الأمر بالاستطاعة
دون النهي وقال الماوردي الكف عن المعاصي ترك وهو سهل وعمل
الطاعة فعل وهو شاق فلذا لم يبح ارتكاب المعاصي مع العذر وأبيح
ترك العمل للعذر وقال بعضهم في قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم
إنه يتناول امتثال المأمور واجتناب المنهي وقيد الأمر بالاستطاعة
لكثرته فإن العجز في النهي محصور في الاضطرار لقوله إلا ما اضطررتم
إليه وقيل إن قوله اتقوا الله ما استطعتم منسوخ والمراد
بحق تقاته امتثال أمره واجتناب نهيه مع القدرة دون العجز
عنه وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي رواه الحاكم كل
أمتي يعني أمة الإجابة يدخلون الجنة الضمير لكل باعتبار معناه
ويجوز إفراده باعتبار لفظه ولفظ الحاكم كلكم يدخل الجنة والخطاب
مشافهة للأمة أيضا وقيل إنه لم يرد بهذا اللفظ والسيوطي
في تخريجه سكت عنه لنكتة إلا من أبى أي امتنع ثم فسره بقوله
قالوا يا رسول الله ومن يأبى فهموا منه أنه أبى دخول الجنة ولا

يأباها

يأباها أحد لأنه رديء كما في النهاية وشرود قال صلى الله عليه
وسلم مجيبا لهم من أطاعني وانقاد ممتثلا لأمري ومجتنبا لنهيي
دخل الجنة وفاز بنعيمها ومن عصاني ولم يمتثل فقد أبى أي امتنع
من دخول الجنة لأنه بسبب تركه للطاعة باختياره كأنه دعي إلى الجنة
فامتنع واعلم أنه إن أريد بالعصاة المذنبين من المؤمنين فهو
تمثيل ولا ينافي العفو عنهم ولا إخراجهم من النار وإن أريد الكفار فهو
استعارة أيضا والمراد خلودهم في النار قال التلمساني بعد قوله
إلا من أبى أي امتنع قولا وفعلا بقبول شيئا فالأمة أمة الدعوة أي كلهم
إلا من أبى وهم الكفار يدخلون الجنة ويحتمل أنه يريد بالأمة أمة الإجابة
فالآبي هو العاصي من أمته فاستثناهم تغليظا عليهم وزجرا لهم
عن المعاصي وزاد في الجواب فقد أبى توضيحا لبيان المنفي
والمنفي من أطاعني وتمسك بالكتاب والسنة دخل الجنة
ومن اتبع هواه ضل عن سواء السبيل ودخل النار انتهى وفي الحديث
الآخر عرفه إشارة إلى أنه معلوم مشهور لأنه رواه البخاري في كتابه
ولذا وصفه بقوله الصحيح عنه عليه الصلاة والسلام مثلي
ومثل ما بعثني الله به ضرب للناس مثلا فيما جاءهم به مما يورث الفوز
بخير الدارين وانتظام أمر المعاش والمعاد والمثل بفتحتين كالمثل
والمثيل في الأصل بمعنى النظير كشبه وشبه وشبيه نقل
إلى قول شبه مضربه بمورده وأكثر ما يكون بأمر عجيب
غريب ثم نقل لكل حالة وقصة أو صفة والذي في البخاري مثلما بعثني
وليس فيه به فقال ابن حجر إنه مقدر وما موصولة ويحتمل
عليه شرط حذف العائد المجرور بجر الموصول بمثله لفظا
ومعنى وإن لم يتحدا متعلقا فما مصدرية لا عائد لها أقول ما ذكره عوض
النحاة إنما هو لجوازه قياسا مطردا لا لعدم صحته فيما سمع منه
واقتضاه المقام وذكر المصنف إن كان لروايته وتحققه له أو لبيان
أنه مقدر فيه فهو وإنه بالمعنى يدل على ما قاله ابن حجر والمعنى
عليه وفيما ذكره تكلف لا يخفى كمثل رجل أتى قوما يحذرهم
وينذرهم عدوهم الذي قرب مجيئه لهلاكهم فقال يا قوم إني
رأيت الجيش بجمع كثيرون سائرون للمحاربة والقتال بعيني
هو مفرد مكسور النون مضاف لياء المتكلم الخفيفة أو بفتحها
وبياء مشددة مفتوحة مثنى وهو لتأكيد الرؤية وتحقيق أيضا

رويته خفيفة بضربة ضرورية خسته واني انا النذير اي المنذر المعلم بما يحذر قبل وقوعه العريان اي المجرد من ثيابه المكشوفة جميع بدنه وهو مثل تمثل به صلى الله عليه وسلم والمراد به المبالغة في الانذار ووضوح ما انذر به وعدم احتماله خلافه واصله ان الرجل كان اذا راى العدو قرب منه حذرًا وليس بينه وبينهم حجاب يمنعهم عن رويته وخشي ان يسبق خبره وقف على مكان عال ونزع عنه ثوبه ورفعه يلوح به ليبادروا الى الحذر والفرار فقد جاكم من العدو ما لا تطيقونه واصله كان في رجل معين من خثعم قطع رجل بده ويد امراته فاتى قومه يحذرهم ففعل ذلك وقيل انما هي امراة وقيل هو عوف بن عامر اليشكري وامراة من كنانة وقيل امراة من بني عامر وقيل ابرهة الحبشي وقيل انه رجل سلبه العدو فاتى قومه عريانا لما انفلت منهم فتحققوا صدقه وعلى كل حال فهو استعارة ومن اللطائف ما قاله الامام السهيلي في قوله تعالى يا ايها المدثر قم فانذر ان تعبيره بالمدثر والمزمل فيه ملاطفة له صلى الله عليه وسلم كانه يقول له انا ارسلتك نذيرا والنذير يكون عريانا لا متلففا بثيابه وهي نكتة سرية فالنجا بالنصب على المصدر بعامل محذوف لضيق المقام ومعناه الخلاص والفرار اي انجوا النجا بسرعة من عدو لبث فيتامرعى عامله وقيل هو بمد ودًا او مقصورا بنية الوقف ورواه البخاري النجا النجا بالتكرير بمدهما وقصرهما وبمد الاول وقصر الثاني وهو منصوب على الاغرا اي اطلبوا النجاه بالهرب ويجوز رفعه اي النجا خيرلكم فاطاعه طائفة اي جماعة وفرقة من قومه لما اتاهم وقال لهم ما قال فادلجوا اي ساروا من اول الليل او ساروا الليل كله هربا من عدوهم وهو بتخفيف الدال وتشديدها وقيل المخفف سير اول الليل والمشدد سير اخره والاسم الدلجة بالضم والفتح فانطلقوا اي ساروا طالبين النجاة من عدوهم على مهلهم اي متمهلين بتؤدة وتان بعد ذلك اذ في سيرهم هذا السعة ويتمهل بفتح الميم مع فتح الها وسكونها وبضم الميم وسكون الها وفي مسلم مهلتهم بزيادة تا والكل بمعنى واحد فنجوا بفتح النون مع الجيم اي سلموا من عدوهم وكذبت طائفة منهم النذير في انذاره بالعدو فاصبحوا اي مكثوا مكانهم اي في مكانهم الذي كانوا فيه حتى دخلوا في الصباح فصبحهم الجيش اي اتاهم في وقت الصباح واهلكهم واجتاحهم بجيم ومثناة فوقية والف وحا مهملة اي اهلكهم

جميعا.

جميعا واستاصلهم فلم يبق لهم باقية من الذراري والاموال والجائحة الافة التي تصيب الثمار فتستاصلها اي تقلعها من اصلها وكل مصيبة عظيمة ذي جائحة فذلك المذكور والمثل المضروب لكم مثل من اطاعني فاتبعوا بمن صدق النذير فنجا واتبع ما جيت به فصدقه وعمل بما امره به مما اوحاه الله اليه سلم ونجا وفاز بالسعادة الابدية واجتنب ما نهاه عنه ومثل من عصاني وكذب ما جيت به من الحق فهو مثل كذب النذير ومكث مكانه حتى هلك ومن معه وفي شرح المشكاة للطيبي انه صلى الله عليه وسلم شبه نفسه وانذاره بالعذاب القريب بالرجل الذي انذر قومه بالجيش المصبح وشبه من اطاعه من امته ومن عصاه بمن كذب الرجل ومن صدقه ونجا عليه اما هو تشبيه تمثيلي شبه فيه المجموع وهيئته بالمجموع وهيئته لا تشبيه الاجزا بالاجزا فان الاولى الخ فاحسن انول اعادة مثل في الحديث يقتضي ما قاله الطيبي فالمال واحد والمعنية ما ذكره في هذا المقام عن تسلمه بسلامة الامير وقيل انه لمشبه بليغ استعير فيه المثل للحال والقصة والصفة الغريبة العجيبة وهو وجه وجيه تحقيقه في شروح الكشاف وفي الحديث الاخر الذي رواه الشيخان في مثله اي مثل حاله وصفته صلى الله عليه وسلم مع امته في دعوتهم لهم كمثل رجل اي كصفته وقصته من بنى دارا عظيمة انشاها وفرشها بفرش نفيسة وجعل فيها مادبة بميم مفتوحة وهمزة ساكنة ودال مهملة مثلثة والاشهر الضم ثم الفتح وبا موحدة وها وهي الاطعمة الكثيرة النفيسة المعدة لاكرام الضيوف والاحباب وفي القاموس انها طعام صنع لدعوة او عرس والمشهور الاول فهي عامة لكل دعوى وفي فقه اللغة القرى بكسر القاف والقصر وفتحها والمد طعام الضيف الغريب وهو الزاير تحفة والاملاك شوخة والعرس وليمة وللولادة حرس وحلق شعر المولود عقيقة وهو في الاصل اسم لنفس الشعر من عق قطعه وللختان عذيرة وللعمل قبل الغدا سلفة وللمستعجل الغدا عجالة وللكرامة منزلة من المنزل انتهى والمادبة من الادب بالضم وهي الطعام وبعث داعيا يدعو المنزله لاكل طعامه فمن اجاب الداعي اي امتثل دعوته وذهب معه دخل الدار التي بناها واكل من طعام المادبة التي اكرم بها ومن لم يجب الداعي لدعوته لم يدخل الدار ولم ياكل من المادبة التي حرم منها ثم فصل التشبيه وبينه وسكت عن بيانه من بني وهو الله الذي خلق الجنة دهبا

اسبابه دخولها الظهور، مما نجده وهو قوله فالدار الجنة التي اعدها
الله لمن اختاره من عبادة وما دبتها مما فيها من النعيم وما تشتهيه الانفس
والداعي لها محمد صلى الله عليه وسلم مما بلغهم عن الله وامرهم به مما يدخلهم
جنته ويوصلهم للسعادة والنعيم المخلد فمن اطاع محمدا فقد اطاع الله
تقدم بيانه ومن عصى محمدا فقد عصى الله لانه مخالفته مخالف لامر الله
كما مر ومحمد فرق بين الناس فرق بفتح الفا وسكون الرا المهملة وتنوينه
مصدر بمعنى فارق بين المومنين والكافرين باطاعته وعصيانه وروي
فرق بصيغة الماضي مشدد الرا المهملة اي فرق بين مؤمنهم وكافرهم
او بين من دعي للجنة وبين من لم يدع لها وهذا انسب بالسياق والمعنى ٥
واحد واول هذا الحديث انه صلى الله عليه وسلم نام وكان اذا نام نفخ فجاء
ملايكة وهو نايم فقال بعضهم لبعض ان العين نايمة والقلب يقظان
فقالوا اشلته كمثل رجل الخ وفيه فقالوا اولوها له يفقهها فقالوا الدار
الجنة الخ فالممثل الملايكة وكذا المبين له وهذه رواية المصنف
وفي رواية ان القايل جبريل وميكاييل ولا يخفى ان ظاهر الحديث
انه تشبيه مركب فقول الكرماني انه لم يشبه المقصود تشبيه المفردات
بل هو تشبيه تمثيل لا وجه له فصل واما وجوب اتباعه صلى الله
عليه وسلم وامتثال سنته السنة هنا معناها اللغوي وهي الطريقة
والسيرة بمعنى وهي اقواله وافعاله وتقريره وليس المراد بها
ما يقابل الفرض حتى يتوهم منافاتها للوجوب لانه معطوف على اتباعه
والاقتداء بهديه هدي بزنة ضرب بمعنى سنته وطريقته ايضا وفي
نسخة والاهتداء بهدايته فقد قال الله تعالى هو جواب اما اي فقد
ثبت ذلك بنص القرآن كقوله عز وجل قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
اي اقتدوا بسنتي واهتدوا بهديي يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم
الاية فسروا محبة الله ورسوله باتباعهما ومحبة الله بانعامه
وتفضله وهذا تفسير له بلازمه المجوز فان المحبة الحقيقية
ميل النفس لما تستلذه وهو غير متصور هنا ولذا قال الغزالي
ان العصيان يضاد اصل المحبة وقال البيضاوي يحببكم الله يرض عنكم
ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم ويقربكم من جناب
عزه ويبويكم في جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة
او المقابلة اي المشاكلة ولبعض الشراح من المتاخرين هنا كلام
لا طايل تحته غير التطويل وقال تعالى فامنوا بالله ورسوله

النبي الامي والايمان به وتصديقه يقتضي اتباعه وطاعته الذي
يومن بالله وكلماته التي نزلت على الوحي عليه وما اوحي اليه من قبله من
الرسل من الكتب والشرايع وعبر عما ذكر بالكلمات اشارة الى انها بالنسبة
لعلمه المحيط بكل شي ولكلامه الذي يفنى مداد البحار في دواة الامكان كالكلمات
القليلة وجمع بين النبوة والرسالة لان المقام مقام مدح واطناب
ولانه يجب الايمان بكل من الوصفين وان كان ذكر الاخص يكفي هنا اعني
الرسول وعبر بالظاهر ولم يقل بي لبلاغة الالتفات وتجري عليه
الصفات الداعية للايمان به واتباعه وعبر بالرجا في قوله واتبعوه
لعلكم تهتدون اي راجين الاهتدا باتباعه تحريضا لهم على
اتباعه وايما الى ان من امن به ولم يقتد بما شرعه لهم لا يخرج من الضلال
والرجا بالنسبة للمخاطبين اذ هو مجاز عن التعليل كما ذهب
اليه بعض النحاة وقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون لا مزيدة لتاكيد
او نفي لما تقدمها اي ليس الامر كما يزعمون من انهم امنوا بما انزل اليك
وقيل لا الثانية زايدة والقسم معترض بين حرفي النفي حتى
يحكموك اي يرجعون لحكمك ويرضون به وهو غاية للنفي اي ايمانهم فيما
شجر بينهم اي فيما وقع بينهم من المشاجرة وهي المخاصمة واصل
معناه الاختلاط ومنه الشجر لتداخل اغصانه واختلاطها الى قوله
تسليما يعني قوله ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا
تسليما والحرج ضيق الصدر او الشك وهذه الاية نزلت في بعض
الانصار لما خاصم ابن الزبير في ما يسقي به ارضه وسياتي تفصيله اي
ينقادون لحكمك تفسير لقوله ويسلموا تسليما واكده ليفيد الانقياد
ظاهرا او باطنا وفي نسخة ينقادوا وقيل وهو الظاهر لانه
منصوب بحذف النون لانسما ان قبل الا اي عاطفة وليس بلازم لانه
مفسر للجملة بتمامها لا للمضارع وحده يقال سلم بالتشديد
واستسلم اي طلب السلامة بانقياده واسلم اذا انقاد هذا هو المصرح
به في كتب اللغة كما ذكره الراغب وغيره كما قيل ان المذكور في الفايق
ان التسليم الرضى والاستسلام الانقياد ولو فسر التسليم في الاية بالرضى
الاخص كان احسن لئلا يتبين وقال تعالى لقد كان لكم في رسول الله
اسوة بالكسر والضم اي قدوة يقال اسية بمعنى اسوة واسية لغة
قليلة وقيل هي الصواب وفي الخصلة التي يراد الاتصاف بها حسنة
اي خصلة حسنة من حقها ان يؤتسى بها اي يقتدوا ويجوز ان يراد

بالاسوة النبي صلى الله عليه وسلم نفسه لانه قدوة يحسن التاسي به
في اقواله وافعاله وحسنة هنا على الاول صفة مؤكدة ويجوز ان تكون
احترازا عما هو من خصائصه صلى الله عليه وسلم فيكون صفة
مقيدة لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر اي يرجو ثوابه ولقاءه ونعيم
الاخرة او ايامه الاخر خصوصا مع قوله لمن كان وفي الكشاف
ان لمن بدل من لكم وقيل والاكثر على ان ضمير المخاطب لا يبدل منه
فهو صلة او صفة لحسنة قرنت كثرته بالرجا لا بذاتها بلا زمه
الطاعة اذ المؤتسي من شانه ذلك قال محمد بن علي الترمذي هو المعروف
بالحكيم الترمذي الصوفي صاحب نوادر الاصول وليس هو صاحب
السنن وقد تقدمت ترجمته الاسوة في الرسول تعريفه للعهد
الخارجي فالمراد به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم او هو للعهد
الذهني او الاستغراق فهو اعم اي في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الرسل او كل رسول الاقتداء به في اقواله وافعاله كما في قوله
فبهداهم اقتده والاتباع لسنته اي لطريقته وشريعته ه
وترك مخالفته في قول قاله امرا او نهيا او ارشادا او فعل
فعله ليقتدى به فيه لانه ليس من خصائصه صلى الله عليه وسلم
وقال غير واحد تقدم ان معناه ناس كثير وقوله من المفسرين
بمعناه اي قالوا قولا بمعنى ما قاله الترمذي وقيل معنى الاية
المذكورة هو عتاب من الله اي توبيخ ولوم للمتخلفين عنه
صلى الله عليه وسلم ممن لم يخرج معه لمحاربة اعدائه لانهم كان عليهم ه
ان يقتدوا به في جهاد اعداء الدين ومقاساة اهوال الحروب
وكان ذلك في غزوة الاحزاب حبا للبقاء والراحة وكان عليهم
المبادرة لطاعته صلى الله عليه وسلم وبذل انفسهم له لانه
سبب سعادتهم وحياتهم الابدية وفيه دليل على ما ذكر على التفاسير
ومعنى الظرفية ان قلنا الاسوة افعاله واقواله المنتجة ظرفية
الموصوف للصفة لانها قائمة به كقيام المظروف بظرفه فان
قلنا الاسوة نفسه صلى الله عليه وسلم فهو تجريد جعل كانه
فيه مقتدى به منتزع كقوله لهم فيها دار الخلد وليست هذه
الظرفية كقولهم الدار في نفسها تساوي كذا وفي البيضة عشرون
منا من حديد كما قيل وقد اشرنا الى ان الاقتدا انما يجب
فيما ليس من خصائصه كالامور الجبلية فيه فانها لا يمكن ان يكون

لغيره وقال سهل بن عبد الله التستري وقد قدمنا ترجمته في قوله تعالى صراط
الذين انعمت عليهم بين ما انعم به على من سلك الطريق المستقيم قال
سهل في تفسيره انعم عليهم بمتابعة السنة اي اتباع طريقه الذي هو
الصراط المستقيم الذي يجب اتباعه وعدم الحرا عليه اعني الاهتداء
باتباعه اي حصول الهداية التي طلبوها بقولهم اهدنا الصراط المستقيم
تعالى واتبعوه لعلكم تهتدون وفيها ايماء الى ان الترجي من الله وعد ممن
لا يخلف الميعاد لان الله ارسله بالهدى اي بما فيه هدايتهم ه
ودين الحق اي الدين الحق او دين الله ليزكيهم اي يطهرهم من الشرك
والمعاصي ويعلمهم الكتاب اي القران والحكمة اي العلوم النافعة
الحكمة والشريعة التي صيرتهم متقنون العلم والعمل ويهديهم الى
صراط مستقيم بالاسلام وطاعة الله ورسوله الموصل لهم للنعيم
المقيم ووعد محبته تعالى به اي محبة الله لهم فالمصدر مضاف لفاعله
في الاية الاخرى يعني قوله تعالى ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
ومغفرته بقوله ويغفر لكم ذنوبكم اذا اتبعوه لان جواب الامر في معنى جزاء
الشرط واثروه بالمد اي قدموه واختاروه من الاثرة على اهوائهم
جمع هوى بالقصر وهو ما تميل اليه النفس وتدعو اليه وهو اذا
اطلق يراد به ما ليس بمحمود من الشهوات وما نجح نجيم ونون وحا
مهملة ويجوز في نونه الفتح والضم والكسر بمعنى تميل واصله
الميل على احد شقيه ماخوذ من الجناح اليه نفوسهم وضع الظاهر فيه
موضع الضمير اذ المعنى تجنحون اليه ويقدمون اتباعه ومحبته
على محبة انفسهم واموالهم والناس اجمعين كما ورد في الحديث
واخبرهم بان صحة ايمانهم في انقيادهم له في جميع امورهم بدونهم
عند ورضاهم حكمه فيما تخاصموا فيه يعني قوله فلا وربك لا يومنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت
ويسلموا تسليما وترك الاعتراض عليه فيما حكم به ومخالفته
ومعارضته وعدم رضاه كما تقدم في قصة الانصاري مع الزبير
وروي عن الحسن البصري رحمه الله والراوي له ابن المنذر في ه
تفسيره ويحتمل انه الحسن ابن علي رضي الله ان قوما قالوا يا رسول
الله انا نحب الله اي نميل اليه انفسنا ونخصه بالعبادة والرغبة لما رغبنا
فيه فانزل الله مبينا لهم محبتهم والمراد منها بقوله قل ان كنتم تحبون
الله الاية اي فاتبعوني يحببكم الله يعني ان محبته تعالى انما تحصل بطاعة

الله وطاعته بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن احب الله احبه
الله كما قيل اما جرى من كعب الا نجب وروي في سبب نزول هذه الاية
ان الاية نزلت في كعب بن الاشرف وهو رجل من عظماء اليهود من بني
النضير وامه من طي وقتل كافرا بعد بدر بستة اشهر كما تقدم
وقصته مشهورة مفصلة في السير وغيره من اليهود اتباعه وانهم
اي ابن الاشرف واتباعه قالوا نحن ابناء الله واحباؤه ونحن اشد حبا
لله وهذا ما حكاه الله عنهم في قوله وقالت اليهود والنصارى الخ
وكانوا اتوه صلى الله عليه وسلم فانذرهم وخوفهم عذاب الله فقالوا ما
تخوفنا يا محمد نحن ابناء الله الخ فقال لهم معاذ بن جبل وسعد بن عبادة
وعقبة بن وهب يا معشر اليهود اتقوا الله فانكم تعلمون انه رسول الله
وكنتم تصفونه قبل مبعثه فقالوا ما قلنا هذا وما انزل الله بعد
موسى كتابا ولا بعث رسولا ومعنى قول النصارى نحن ابناء الله انهم
اتباع عيسى صلى الله عليه وسلم الذي زعموا انه ابن الله وقال
اليهود انهم اتباع عزير الذي زعموا انه ابن الله وقيل تقديره
ابناء رسول الله فانزل الله الاية جوابا لهم بقوله قل فلم يعذبكم
الاية وقال الزجاج في تفسير هذه الاية معناه ان كنتم تحبون
الله اي تقصدونه وطاعته اذ لا يصح تفسير المحبة هنا بما تعارفه
الناس وفي نسخة انه تقصد وهذا تفسير لمحبة العبد فافعلوا ما امركم
الله به الفاء فصيحة اي اتبعوني فافعلوا الخ فافعلوا ما امركم اذ محبة
العبد لله والرسول اي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاللام عوض
عن المضاف طاعته لهما باتباع امرهما وتجنبهما ورضاه بما امرا
بان يطيعه ظاهرا وباطنا اذ لو لم يطعه باطنا كان منافقا ومحبة الله لهم
اي لعباده فسر محبة الله بعد تفسير محبة عباده كما ذكرها في الاية
عفوه عنهم بمغفرة ذنوبهم وقدمه على قوله وانعامه اي الله
عليهم اي على عباده برحمته اهتماما به والرحمة في حق الله بمعنى
الانعام وارادته في حقه تعالى لان معناها الحقيقي لا يصح في حقه
تعالى فالمراد بها هنا لطفه بعباده ورافته بهم ويقال
في تفسير محبة الله ومحبة عباده له ان معنى الحب من عصمة الله
اي حفظ الله لعبده من مخالفة امره ونهيه والعصمة بمعنى
مطلق الحفظ لا تختص بالنبي صلى الله عليه وسلم فيكون لغيره وكون
الدعا ايضا لكل احد كما تقدم والذي يختص به صلى الله عليه وسلم

دون غيره هو ان يخلق الله فيه جبلة تمنعه عن كل ما لا يرضاه الله
وان لا يقدر احد على تبديله ونحوه واليه اشار بقوله وتوفيقه
اي خلق الله فيه قدرة على طاعة الله واجتنابه في السر والعلانية
حتى يمتنع من المخالفات ويبعده ميل نفسه الى ما نهى الله عنه والمحبة
معناها طاعة وانقياد لله ورسوله كما قال القائل اي معنى ما ذكر
هو معنى ما ذكره هو معنى قول هذا الشاعر وهو كما في زهر الاداب
للحصري محمود بن الحسن الوراق وقيل انه لمنصور الفقيه وهو
بليغ مفلق كان في اول الدولة العباسية وكان كثيرا ما ياخذ حكم المتقدمين
من الفلاسفة وغيرهم فينظمها في شعره فقوله

اذا كان شكري نعمة الله نعمة ۞ علي له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر الا بفضله ۞ وان طالت الايام واتصل العمر
اذا مس بالسراء عم سرورها ۞ وان مس بالضراء اعقبها الاجر
فما منهما الا له فيه نعمة ۞ يضيق بها الاوهام والبر والبحر
تعصي الاله وانت تظهر حبه ۞ هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته ۞ ان المحب لمن يحب مطيع

وفي معناه قول منصور الفقيه ايضا

غلط فاحش وجهل مبين ۞ وعمى لا يجول الا جنون
طمع العبد في كرامة مولاه ۞ واصراره على ما يشين

ومعنى الشعر انك تدعي محبة الله وانت عاص له ولو كنت صادقا
لم تعص لان المحب لا يخالف حبيبه والعمر بفتح العين الحياة كالعمر بضمها
الا انهم في القسم التزموا فتحها الا شذوذا وهو مبتدأ خبره محذوف
تقديره قسمي والقياس تقدير الشي بذراع ونحوه وفي الاصطلاح الحاق
شي بشي لمناسبة بينهما ويطلق بمعنى الدليل المعروف والمراد قياسه
بغيره وبديع بمعنى غريب عجيب يعني ان المعاصي لا تنصر المحب
لان المتحابين لا يؤاخذ احدهما الاخر وهو امر عجيب ومقتضى
القياس ان المحب لا يعصي امر حبيبه ويجوز ان يراد القياس المنطقي
كما قيل وهو تكلف وقيل محبة العبد لله تعظيمه له
وهيبته منه اي خوفه اذا تامل عظمته ومحبة الله له اي لعبده
رحمته له اي احسانه واكرامه لان معناه الحقيقي لا يليق به فاريد به
غايته وارادة الفعل الجميل له ويكون بالمثناة الفوقية ونية
ضمير المحبة وقيل انه بالتحتية والضمير للجميل والاول اولى بمعنى

مدحه والثنا عليه اي على العبد قال القشيري الامام الزاهد
ابو القاسم صاحب الرسالة وقد تقدمت ترجمته فاذا كان اي الرحمة
وذكره لتاويله اولانه تانيث المصدر غير حقيقي لنا ويليه بان والفعل
او الضمير للجميل بمعنى الرحمة والارادة عطف تفسير لان الرحمة
تفسر بالانعام فيكون من صفات الافعال والمدح في كلامه الازلي
كالثنا على المؤمنين في القران كان من صفات الذات اما الارادة
فظاهر واما المدح فلانه يرجع لصفة الكلام والكلام على صفات
الذات والافعال متفرع منه في علم الكلام وسياتي بعد
مبني على الضم لقطعه عن الاضافة اي بعد هذا في ذكر محبة العبد
غير هذا انا على سيا في اي غير ما ذكر هنا بحول الله تعالى اي باعانته
وقوته لان الحول له معا نبيها هذا ثم ذكر حديثا مسندا رواه
الاجري مشاهد الوجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم فقال
حدثنا ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر الفقيه ابن احمد شيخ المصر
قال حدثنا ابو الاصبغ عيسى بن سهل اصبغ بصاد مهملة
وموحدة وغين معجمة ح وحدثنا ح بحا مهملة يذكرها المحدثون اذا ارادوا
التحول من رواية لرواية اخرى كما بينه ابن الصلاح ابو الحسن يونس بن
مغيث بميم مضمومة وغين معجمة ويا تحتية ومثلثة الفقيه بقرايتي
عليه قال حدثنا حاتم بن محمد تقدم بيانه قال حدثنا ابو حفص
الجهني نسبة لجهينة مصغر اقبيلة مشهورة قال حدثنا ابو
بكر الاجري بفتح الهمزة الممدودة وضم الجيم وتشديد الرا المهملة
نسبة للاجر وهو الطوب المعروف وهو الامام المعروف الحافظ
محمد ابن الحسين وقد تقدم بيانه قال حدثنا ابراهيم بن موسى
الجوزي بفتح الجيم وسكون الواو وزاي معجمة مكسورة وياء نسبة
وهو ابو اسحاق الثوري نسبة لجوزة قرية من قرى بغداد
وعلى هذا اقتصر الحافظ الحلبي وقال التلمساني انه كذا في
الاصل المصنف ورواه الغز في جوزة بجا معجمة مضمومة وواو
ساكنة وزاي معجمة نسبة لجوزجيل من الناس او قرية مشهورة
قال حدثنا داود بن رشيد بالتصغير على مفعوله وهو ابو
الفضل الخوارزمي الحافظ الثقة روى عنه اصحاب السنن ه
وتوفي في شعبان سنة تسع وثلاثين ومائتين قال حدثنا الوليد
ابن مسلم الحافظ ابو العباس عالم الشام صاحب التاليف الجليلة

روى له اصحاب الكتب الستة الا انه نسب الى التدليس وتوفي سنة
خمس وتسعين ومائة وله ترجمة في الميزان عن ثور بن يزيد الحافظ الحمصي
ثقة لكنه نسب الى القدرية حتى اخرج من حمص وتوفي سنة ثلاث
وخمسين ومائة عن خالد بن معدان الكلاعي الزاهد الفقيه الجليل اخرج
له اصحاب الكتب الستة توفي سنة اربع وثمانين وثمانمائة قيل
انه كان يسبح في كل يوم اربعين الف تسبيحة عن عبد الرحمن بن عمرو الاسلمي
كذا في النسخ وصوابه كما قاله البرهان الحلبي السلمي بضم السين وفتح
اللام وهو ابن عنبسة وهو حافظ ثقة توفي سنة عشرة ومائة
وحجر الكلاعي حجر بضم الحا المهملة وسكون الجيم والرا المهملة
والكلاعي بفتح الكاف ولام والف وعين نسبة الى كلاع بزنة سحاب بلدة
بالاندلس وذو الكلاع من ملوك اليمن المسمين بالاذوا وهذه النسبة
لاحدهما توفي سنة خمس وسبعين وروى له اصحاب السنن عن العرباض
ابن سارية صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل الصفة سكن
حمص في حديثه في موعظة النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
في حديث وعظ فيه النبي صلى الله عليه وسلم من كان في مجلسه من الصحابة
وذلك ان عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر ابن حجر قالا اتينا
العرباض بن سارية وهو ممن نزل فيه ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت
لا احد ما احملكم عليه فقلنا اتيناك زائرين وعائدين ومقتبسين فقال
صلى الله عليه وسلم الصبح ذات يوم ثم اقبل علينا موعظة بليغة
ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قايل يا رسول
الله كان هذه موعظة مودع فماذا تعهد الينا فقال اوصيكم بتقوى
الله والسمع والطاعة وان عبدا حبشيا فانه من يعش منكم بعدي
فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفا الراشدين تمسكوا
بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة
بدعة وكل بدعة ضلالة رواه على ابن الوليد كذا قاله الذهبي في تاريخه
ومن خطه نقلت واعلم ان الموعظة هي التذكير بما يحث على
الطاعة وعليكم اسم فعل يتعدى بنفسه ان كان بمعنى الزم كقوله
عليكم انفسكم وبالبا ان كان بمعنى تمسك كما هنا والسنة الطريقة
مما هم عليه والخلفا جمع خليفة والراشدين جمع راشد ضد الغاوي
والغادي والمراد بهم الخلفا الاربعة ومن كان على طريقتهم كعمر بن عبد
العزيز وايمة الاسلام المجتهدين في اعلا كلمة الله وقوله عضوا

صلى بنا رسول الله

الخ نعل امر و النواجذ بالذال المعجمة جمع ناجذ اقصى الاضراس وهي اربعة
او الانياب او التي تليها والمراد الاجتهاد في التمسك بها فهو استعارة ه
تمثيلية لا ذكر لا كناية ويجوز ان تكون استعارة تصريحية تبعية وقيل
المراد بالنواجذ جميع الاسنان وقال البرهان عن المنذري انه يجوز ه
اهمال الدال وفيه نظر لمخالفته كتب اللغة واياكم تحذير اي احذروا
المحدثات والرضا نصا وهي جمع محدثة اسم مفعول وهو ما حدث
مما خالف الكتاب والسنة واجماع المسلمين والبدعة بمعناها وهي
ما لم يعهد في عصره صلى الله عليه وسلم وهي كما قال العز بن
عبد السلام تنقسم الى واجبة ومحرمة ومندوبة ومباحة فالمندوبة
كتدوين الكتب وعلم النحو واللغة والاشتغال بذلك واحداث
الربط والمدارس ومن المكروه تزويق المصاحف والمساجد وتكبير
العمايم وتوسيع الملابس ومن الواجب فرض الكفاية تعلم علم
العربية الذي يتوقف عليه فهم كلام الله وكلام رسوله ولا ينافي هذا
قوله كل بدعة ضلالة لان البدعة لها معنيان كل ما حدث بعد
العصر الاول وهو المقسم للاقسام المذكورة ولذا قال صلى الله عليه
وسلم من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها واليه
الاشارة بقوله سنة الخلفا وقد خصها الشارع بما هو مذموم لعدم
دخوله تحت القواعد الشرعية وهذا هو المراد بالبدعة عند الاطلاق
وهو الذي يجعل ضلالة وفي عوارف المعارف واحيا الغزالي البدعة
المذمومة ما زاحم السنة المأثورة او كان يفضي الى تغييرها وفي كتاب
المدخل لابن الحاج بيان لها شاف كان وزاد على ما رواه العرباض
في حديث جابر الذي رواه مسلم بمعناه اي متلبسا بمعنى حديث
العرباض موافق له ولكن ليس المراد انه رواية بالمعنى كما قيل وكل
ضلالة اي ضال بارتكاب البدع المذمومة في النار اي معذب
بها او مستحق للعذاب وقيل انه متضمن لشكل منطقي منتج لما
ذكر اي كل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة معذب مرتكبها فكل محدث ضلالة
مستوجب للعذاب الاليم وفي حديث ابي رافع الصحيح الذي رواه ه
ابو داود والترمذي وابن ماجة وابو رافع هو الصحابي مولى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكان قبطيا واختلف في اسمه فقيل ابراهيم
وقيل اسلم وقيل ثابت وقيل هرمز ولهم ابو رافع غير راوي
هذا الحديث معدود في الصحابة ايضا يروي عنه عليه الصلاة ه

والسلام

والسلام لا الفين نفي بمعنى النهي اي لا اجدن فالفي بمعنى وجد قال
تعالى والفيا سيدها لدى الباب وروي لا الفين كما تقدم عن الا كام
للشافعي والصحيح رواية الاول وان صحح هذا ايضا لانه لتحققه وجه
فهو وهو بضم الهمزة وسكون اللام وكسر الفاء وفتح المثناة التحتية
وتشديد النون وكسر المثناة التحتية وتشديد النون اي لا تفعل ه
احدكم معاشر الامة او الصحابة فلا يكون هذا من سببه وهو نهي في
الحقيقة عن التكبر والبطر متكئا اي مائلا مستندا معتمدا وهو بالهمزة
وآتيا ايضا وقد تقدم ان العلامة لا تعرف المتكئ الامر مائلا في قعوده معتمدا
على احد شقيه وتارة يبدله من اول من الوكا على اريكته هي سرير مزين
متخذ في قبة او بيت وليس مطلق السرير اريكة وقيل هو سرير
في حجلة وقيل كل ما اتكي عليه من سرير او فراش او منصة او مخدة مما يفعله
المترفون وجمعه ارايك وقال الراغب سمي به لاتخاذه من الاراك او لانه
محل الاقامة من ارك بالمكان اروكا اذا اقام به واصله الاقامة لرعي الاراك
ثم تجوز به عن كل اقامة يأتيه الامر من امري اي شي مما امرت به فقوله
مما امرت به تفسير لقوله من امري بدل منه ومن بيانية فيهما وقيل
الثانية بمعنى الباء كقوله تعالى ينظرون من طرف خفي اي به متعلقة بامري
والامر الاول بمعنى الشان شامل للنهي وغيره والثاني مقابل النهي لقوله
او نهيت عنه فيقول لا ادري هذا الامر الذي تقولونه لنا ولا اتبع داعره
غير القران ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه دون غيره مما روي في الاحاديث
ولم يعرف ان ما في الحديث عن الله ايضا وان الوحي احيانا متلو وغير
متلو وان السنة لا تخالف الكتاب وقد قال تعالى ما اتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فانتهوا فهو تحذير عن ترك امتثال امره واجتناب نهيه
والعمل بهما وسنة رسوله ككتابه يجب اتباعها سوا تواترت ام لا وفي
الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي الا اني اوتيت القران ومثله
معه الا يوشك رجل شبعان على اريكته يقول عليكم بالقران فما وجدتم
فيه من حلال فاحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه وان ما حرم
رسول الله كما حرم الله الحديث وهذه شبهة فاسدة مبطلة لكثير
من الشرع لشبهة الخوارج وفي حديث عايشة المروي في الصحيحين
وما ذكره المصنف لفظ البخاري صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم
شيا شاق بيانه ترخص فيه اي ارتكب الرخصة وترك العزيمة
والرخصة الامر المتغير من صعوبة الى سهولة كقصر المسافر صلاته

وافطاره وهذه الرخصة انه صلى الله عليه وسلم كان يصبح جنبا
وهو صائم فبلغ ذلك بعضهم فقال لسنا كرسول الله صلى الله عليه
وسلم فغضب فقال لا رجو ان اكون اخشاكم لله واتقاكم وقيل
هو ان بعض الصحابة سال ازواجه صلى الله عليه وسلم عن عبادته
ليلا فلما اخبرتها استقلها وقال انه غفر له ما تقدم وما تاخر فانا
اصلي الليل كله وقيل ان بعضهم قال اعتزل النسا ولا اتزوج
وقال البرهان نقلا عن شيخه ابن الملقن انه افطاره صلى الله عليه
وسلم عام الفتح فالكل صحيح هنا فتنزه اي تباعد قوم عن العمل بما رخص
فيه فبلغه ذلك اي نقل له صلى الله عليه وسلم تنزه هولا فخطبهم موعظة
على عادته فحمد الله واثنى عليه ثم قال ما بال قوم اي ما شانهم وحالهم
وهو استفهام انكاري يتنزهون عن الشي حال كوني اصنعه فتركهم لمثله
لانهم يظنون ان خوفهم من الله اشد من خوفي له لان الله غفر لي ما تقدم
وما تاخر ولم يعلمون ما علمهم فوالله تاكيدا وتقريرا للقول اني لاعلمهم ه
بالله واشدهم له خشية اي خوفا وادوم اطمينه به لان الخشية
بمقدار العلم كما قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلما فانكر عليهم ه
ذلك لظنهم ان كانوا على ليس كحاله وان ارتكاب مثلهم الرخص يفضي الى عدم
الخوف والتهاون بالعبادة وليس كذلك لان الله يحب ان يوتى ه
رخصه كما يحب ان توتى عزايمه فانها صدقة تصدق الله بها
عليهم لا ينبغي عدم قبولها وقيل انه ليس محلا للانكار لكنه
نزلهم منزلة المنكرين لما لاح عليهم من علامات الانكار وليس بشي وورد
عنه صلى الله عليه وسلم كما رواه الديلمي وابو نعيم وابو الشيخ ه
مسندا انه قال القرآن صعب بسكون العين ضد السهل
مستصعب بكسر العين اسم فاعل من استصعب الامر بمعنى
صعب وبفتحها من استصعبت الامر بمعنى وجدته صعبا او صيرته
صعبا اي هو في نفسه عسر على من اراد حفظه وفهمه والعمل به
وانه صيره الله ايضا صعبا على من كرهه اي من لم يرد حفظه وتدبر
اياته واما من احبه وتلذذ بتلاوته وداوم على مدارسته وتامله
فيسهله الله عليه وهو اي القرآن الحكم بفتحتين اي الذي يحكم
على الناس بما تضمنه من الاحكام والحكم من الامثال والمواعظ وجعله
حكما اي حاكما بنفسه مبالغة فمن استمسك بحديثي المروي عني
وفهمه وحفظه بتدبير معانيه وضبط الفاظه جا يوم القيامة محشورا

مع

مع القرآن اي اذا امتثله وعمل بما فيه وفيه استعارة بتشبيه العامل
به بالمتمسك بشي محكم وثيق لا ينقطع فانه حبل الله المتين والعروة
الوثقى كما ورد التعبير به عنه في الاحاديث وفيه اشارة الى ان
الحديث لا يفارق القرآن وانهما كشي واحد لان السنة تبين القرآن
وتعينه معه اما بحيثيه مع اهله او مع ثوابه او اعماله التي عمل بها
منه او هو على ظاهره بان يجي تاليه يشفع فيه ويناضل [illegible]
كما ورد في الحديث والمراد بالقرآن الفاظه لا الكلام النفسي الذي هو
صفة ذاتيه ومن تهاون بالقرآن اي اعرض عنه ولم يوجه اليه
فكره لاهانته او عده هينا وحديثي بعدم حفظه والعمل به فقد
خسر الدنيا لانه يحيى جاهلا بها نا فقيرا والاخرة لفوات السعادة
والفوز بنعيمها كما قال الله تعالى ومن اعرض عن ذكري فان له
معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى الاية امرت بالبنا للمجهول
اي امر الله امتي ان ياخذوا بقولي اي يتمسكوا بحديثي ويعملوا به كما سياتي
ويطيعوا امري لقوله واطيعوا الرسول ويتبعوا سنتي اي يقتدوا
بي ويسلكوا طريقي وشريعتي السمحة كما قال واتبعوه لعلكم تهتدون
في العمل بسنته عمل بالقرآن لانهما توامان وفيه رد على من قال
لا اعمل الا بالقرآن ونهي عن ترك السنة وخبر الاحاد كما تقدم فمن
رضي بقولي فاتبعه وعمل به فقد رضي بالقرآن لانهما توامان فقوله وغيره
مخالف له فيهما كالشي الواحد فقد قال تعالى وما اتاكم الرسول
فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا عنه فارضوا بما رضيه واكرهوا ما كرهه
فان سنته مبينة وموضحة للقرآن فمن خالفه فقد ضل ولذا قالوا
من اراد تفسير القرآن فليتامله فان بعضه يفسر بعضا فان لم
يجده فيه فليطلبه بالسنة فان لم يجد ما اراده فيها فليطلبه باقوال
الصحابة فانها في حكم المرفوع لانه صلى الله عليه وسلم كان يقرئهم ه
القرآن ويبين لهم معانيه كما رواه ابن تيمية وقال صلى الله
عليه وسلم فيما رواه عبد الرزاق عن الحسن مرسلا بلفظ من استن بسنتي
اي اتبعها وعمل بما فيها وللمصنف رواه من اقتدى بي في سنتي وسنتي
فهو مني اي من اتباعي واشياعي الذين يحشرون معي ويتصلون
بي حتى كانهم بعض مني لا ينفصل عني ومن هذه دنتي من الاتصال
كقوله صلى الله عليه وسلم لعلي انت مني بمنزلة هارون من موسى ه
ومن رغب عن سنتي اي تركها واعرض عنها تقاله رغب عنه اذاه

اذا كرهه وصده رغب فيه وسنة طريقته اي احاديثه المروية عنه
الشاملة لاقواله وافعاله وتقريراته وهما متفقان بان معنى فليس مني
هذا ابترؤ منه كقوله لست من تيس ولا تيس مني وعجزه هذا احد لونين في
الصحيحين ايضا ومعناه ليس مقتديا بي اي هو كافر على ملتي لاهانته الحديث
وعن ابي هريرة رضي الله عنه ولم يخرجه السيوطي بهذا اللفظ عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال احسن الحديث كتاب الله
كما قال الله تعالى الله نزل احسن الحديث الاية وخير الهدي بالنصب ويجوز
رفعه هدي محمد بفتح الهاء وسكون الدال المهملة وكسرتها وهو مصدر
بمعنى السيرة والطريقة من قولهم هدى هادي في مشيه فتحا وروايته
هنا كما قال القاضي في الاكمال الهدى بضم الهاء وفتح الدال مقصورا
والهدى ايضا بمعنى الدلالة والنا يبدا بالعصمة وهذه هي التي تضاف الى
الله وشر الامور محدثاتها بفتح الدال لتقدم تفسيره وعن
عبد الله بن عمرو بن العاص في حديث رواه ابو داود وابن ماجه
قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة اقسام حصره
فيها ان قلنا العدد يفيد الحصر لعدم الاعتداد بغيرها فما سوى
ذلك وفي نسخة وما سوى ذلك فضل اي انه لا حاجة اليه
ولا يفتقر اليه وتفسيره بالبقية غير سديد ههنا والاظهر ما قيل
ان المراد كل علم غير هذه الثلاثة وما يتعلق بها وما يتوقف عليه
فهو اي لا ضرورة داعية لمعرفته ومعنى الفضل في اللغة الزيادة
اية من كتاب الله محكمة غير متشابهة لقوله تعالى منه
ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات او غير منسوخة لان المحكم
يفسر بهذا ايضا او المراد ما يشملها الاحكام بيانها حتى لا يحتاج
لزيادة واحكام نظمها فلا خلل فيها فيطلق المحكم على جميع القران
ايضا كما قال تعالى احكمت اياته ويجوز ارادته ايضا او سنة قائمة
اي دائمة مستمرة يعني لم تنسخ لدوام العمل بها او فريضة عادلة
اي لا جور فيها وفسره هنا بالاحكام المستنبطة من القران والحديث
تسميتها بذلك لعظم اتساعها ارادة انها استنبطت بالاجتهاد المعروض على
هذه الامة وتسمية عادة لنا ولانها النصف والمراد بها فريضة المواريث
وقسمتها وهو المشهور ويطلق على ما يقابل النافلة ولكن لم يرد هنا وفيه
اشارة الى ان العلم اللازم العلوم الشرعية وهي التفسير والحديث
والفقه وعن الحسن ابن ابي الحسن هو الحسن ابن يسار البصري وقد

تقدم

تقدم وهو حديث رواه عبد الرزاق عن معمر مرسلا والدارمي متصلا عن
ابن مسعود عنه صلى الله عليه وسلم وفي نسخة قال عليه الصلاة والسلام
عمل قليل في سنة في هنا بمعنى مع كقوله تعالى ادخلوا في امم اي موافق للسنة
ومصاحب لها لانه قل خير من عمل كثير في بدعة وان كثر لزيادة نفعه
وكثرة ثوابه والتعبير بفي اشارة الى انه يراعي السنة في جميع عدد اوهيئته
حتى يحيط السنة به وقيل انه لمصاحبته للسنة وتمكنه فيها
شبه بالظرف والمظروف وهذا الكلام لابن مسعود ادركهن ولم يحصل الصلاة
التي ابتدعها بعض الصوفية بجماعة كالرغائب ووجهه ظاهره
وخير تفضيل يقتضي الخيرية في البدعة بحسب ظاهره وليست
مرادة وانما عبر عنها هنا بناء على اعتقاد فاعلها الخيرية فيما فعله
وقيل المراد الابتداع بالاعمال التي لها اصل في العبادة كوصال
الصوم وما اشبهه وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يدخل
العبد الجنة بالسنة الواحدة وان قلت تمسك بها اي امتثلها
وعمل بها مخلصا وعن ابي هريرة في حديث رواه الطبراني في الاوسط
المتمسك بسنتي اي العامل بها والسالك طريقتي عند فساد امتي اي
تغير احوالها وتركها امور الدين واتباع البدع وذلك في اخر الزمان
له اجر مائة شهيد فيه اشارة الى ان المراد بالتمسك بها العمل بها وامر
غيره بالعمل ايضا فيامر بالمعروف وينهى عن المنكر وهو الجهاد الاكبر وايضا
هو يجاهد نفسه حتى يترك ما الفه الناس ومثله ما يرغب الناس عنه
فيؤذيه اشد الاذية فلذا اعطي ثواب الشهداء وجعله اجر مائة للتكثير
او للاشارة الى ان اكثر ما يقاوم عشرة والحسنة بعشر امثالها
وقيل ان الشهيد في منزلة بترك الدنيا وبذل نفسه في نصرة
الدين وثناء غيره عليه ودعائه له وهذا ومن وفقه الله مع فساد عصره
واهله فقد اختار دار البقاء على دار الفناء وارتكب المشاق
بمخالفة الناس والتقوى بين الفجار كالمعصية بين الابرار كما
ان الجود بين اللئام يعز عزة البخل بين الكرام كما قيل

رايت عبيد الله اكرم من مشى ۞ واكرم من فضل يحيى بن خالد
ولكنهم جادوا والزمان مساعد ۞ وقد جاد ذا والدهر غير مساعد

وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي ان بني
اسرائيل افترقوا اي صاروا فرقا واسرائيل لقب يعقوب بن ابراهيم
الخليل عليه الصلاة والسلام واليه انتسب كل من كان قبيلة وهم قوم

شهود دون على اثنتين وسبعين ملة اي مذهبا او دينا لان الملة والدين
بمعنى وانه افترقا مفهوما واستعمالا وقد تقدم تفصيله وان امتي
لتفترق على ثلاث وسبعين فرقة مختلفة الاعتقاد والمذاهب
وروي فرقة مكان ملة وفي الحديث روايات مختلفة كلها في النار
الا واحدة قالوا ومن هم يا رسول الله هكذا روي قالوا او طائفة
على تقدير اي هذا اعددهم ومن هو الناجي زايدة قال هم الذين على
الذي انا عليه واصحابي وفيه معجزة له صلى الله عليه وسلم لاخباره
بالغيب فان ذلك لم يكن في عصره وعصر الخلفاء الراشدين من بعده
وتدرج كما قال وهذا باعتبار اصول الفرق فان شعبها كثيرة وقد
الف في بيانها تاليف اجلها كتاب الملل والنحل للشهرستاني وقد عدوها
فكانت كما ذكر صلى الله عليه وسلم وهم اهل السنة والشيعة والخوارج
والمعتزلة ونحوهم من الفرق واصنافها مما يطول ذكره والمراد بكونهم
في النار انهم مستحقون للعذاب دون الخلود الا ان يكون فيما
اعتقادهم ما يقتضي الكفر كبعض غلاة الرافضة والفرقة الناجية
اهل السنة والجماعة لاتباعهم القران والحديث في الاعتقاد من
غير ارتكاب تاويلات بعيدة وزعم الطوسي وابن مطهر انهم الامامية
ورده الجلال الدواني في شرح العقايد كما بيناه في حواشيها ومطابقة
الجواب للسوال ظاهرة من غير احتياج للتاويل كما توهم وعن انس
رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الاصفهاني
في ترغيبه وغيره من احيا سنتي اي اظهرها بالعمل بها والحث
على اتباعها جعل ذلك بمنزلة الاحيا ففيه استعارة تبعية او مكنية
وتخييلية وهو كالحديث الذي رواه ابو هريرة لان المراد اظهارها
بعد تركها فقد احياني اي اظهر ذكري ورفع امري فجعله
بمنزلة احيايه كما قيل

وتحسبه قد عاش اخر دهره … الى الحشر ان ابقى الجميل من الذكر

ومن احياني ببقا ذكري وشرعي كان اي تحقق ان اجزاه ان يكون
معي في الجنة والمراد دخوله فيها وعلو مرتبته لا مساواته
فيها ومعي ظرف المعية من الزمان والمكان تفخيما له لتذهب
نفسه كل مذهب وعن عمرو بن عوف ابن زيد بن مليحة المزني
الصحابي وهو قديم الاسلام شهد المشاهد وتوفي في زمن
معاوية وهو منسوب لمزينة قبيلة مشهورة ان النبي صلى الله
عليه

عليه وسلم قال لبلال بن الحارث بن عاصم بن سعيد ابن قرة بن مازن
ابو عبد الرحمن المزني الصحابي وفد على النبي صلى الله عليه وسلم مع وفد
مزينة وسكن وراء المدينة وتوفي سنة ستين وسنه ثمانون سنة
من احيا سنة من سنتي قد اميتت بعدي اي تركت وترك العمل بها
فشبه الترك بالموت لاشتراكهما في العدم وسنته طريقته وشريعته
فهي تشمل السنن وغيرها فلا وجه لما قيل الظاهر سنتي بصيغة الرواية
بالافراد والاماتة ضد الاحيا وتختص بالحيوان حقيقة فان له من الاجر
اي الثواب مثل من عمل بها فيه حذف مقدر اي اجر من عمل بها من غير
ان ينقص ذلك اي الاجر الذي له من اجورهم شيا دفعا لتوهم انه
يعطي من ثوابهم فينقص اجرهم ومن ابتدع بدعة ضلالة وفسرها بقوله
لا يرضى الله ورسوله لانها بدعة غير مرضية كان عليه مثل اثام
بالمرجع اي وهو الوزر من عمل بها لا ينقص ذلك من اوزار الناس
شيا وهذا رواه الترمذي وابن ماجة وحسنه وفي من الموصولة
من العموم ما لا يخفى وكذا قوله شيا وقوله بدعة ضلالة بالاضافة
والتوصيف ولا ينافي هذا قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى لان هذا
وزره وكسبه لانه بجعله سنها لغيره وارشده لفعلها وحسنها له
فكان في قوة الامر له كما ذكره شراح الحديث وقيل المراد انه
عليهم اثما بالغا في المقدار مثل اثام العاملين بها من جهة انه كان
طريقا لغيره في العمل بها ولذا غاير بين المقامين لفظا فقال فله
من الاجر مثل الخ ولم يقل عليه من الاثم انتهى ولا حاجة لما طولوه
وتحقيقه انه كان سببا في الخير والثاني سببا لضده والسبب نزل
منزلة الفاعل فله ما له وعليه ما عليه اي مثله وفي الحديث
الدال على الخير كفاعله كمن حفر بئرا فوقع فيها غيره فانه يضمن
في بعض الصور وهو لا ينافي الاية اما لان المراد بها ان وزر غيره
لا ينتقل له او لانه مخصوص بغير السبب بالاحاديث المذكورة
فصل واما ما ورد عن السلف الصالحين يعني
الصحابة وانما يعني في اول القرون واما اشارة الى انه قسيم لما
قبله مما في القران والحديث ولذا قال وورد والايمة يعني من
بعدهم من العلما والمجتهدين من اتباع سنته اي طريقته وهو
بيان لما في نسخة في اتباع متعلق بورد بمعنى جا والاقتدا بهديه
وسيرته عطف تفسير لما قبله وهديه وسيرته بمعنى وهو

المهينة والطريقة ايضا حدثنا الشيخ اصل معناه الكبير سنا ثم
شاع عرفا بمعنى من كان تدوة مفيدا لطلبة العلم لانه في الغالب
يكون سنا وهذا انما استعمل تدبما واول من اطلق عليه
شيخ الاسلام الصديق رضي الله عنه كما قاله السخاوي رحمه
الله ابو عمران بن عبد الرحمن الرعيني علامة عصره بالعزب وقد
تقدمت ترجمته ابن ابي تليد بفتح المثناة الفوقية منقول من تليد
بمعنى قديم الفقيه سماعا عليه وهذا الحديث من حديث الموطا
ورواه النساى وابن ماجه قال حدثنا ابو عمر الحافظ هو ابن
عبد البر وتقدم بيانه قال حدثنا سعيد بن نصر تقدمت ترجمته
قال حدثنا قاسم بن اصبغ بالمعجمة كما تقدم ووهب بن ميسرة
في بعض النسخ بتحتية بعد الميم وقال التلمساني انه مسرة مفعلة من
السرور ووهب بحرك وبسكن وهو وهب بن مسرة بن مفرج بن بكر
التميمي مات بقرطبة منتصف شعبان سنة اثنين واربعين وثلاثمائة
انتهى قالا بالتثنية وهو الصحيح وروي قال اي كل واحد منهما
او اكتفا باحدهما حدثنا محمد بن وضاح تقدم ايضا قال
حدثنا يحيى بن يحيى الليثي راوي الموطا قال حدثنا مالك
امام دار الهجرة الغني عن البيان عن ابن شهاب محمد بن مسلم الزهري
وتقدم بيانه عن رجل من آل خالد اي اهله وقومه وهو غير مسمى
فقال الحلبي لا اعرفه وقال التلمساني هو امية ابن عبد
الله بن خالد بن اسيد بفتح الهمزة وكسر السين او بضمها وفتح السين
والاول اصح وهكذا رواه مالك ولم يدخل بينه وبين ابن شهاب
احدا ورواه الليث بن سعد فسمى الرجل وادخل بين ابن شهاب وامية
عبد الله ابن ابي بكر وامية هذا يروي عن ابن عمر توفي سنة سبع
وثمانين انتهى وقال القرطبي في تفسيره انه يعلى بن امية ابن عبد الله
الخ وخالد هو ابن اسيد بفتح الهمزة وكسر السين وباؤه الـ مهملة
وهو ابن ابي العيص بن امية بن عبد شمس اخو عتاب انه سال عبد
الله ابن عمر فقال يا ابا عبد الرحمن انا نجد صلاة الخوف وصلاة
الحضر بفتحتين اي الصلاة من غير قصر مذكورة في القران
ولا نجد صلاة السفر المقصورة في القران فقال ابن عمر في
جوابه يا ابن اخي هذا جار على عادة العرب في الشفقة بالعطف ونحوه
يا ابني ويا ابن اخي كما يقال للكبير يا ابي ويا عمي ان الله بعث

الصغير م

البنا

الينا محمدا اي نبأه وارسله صلى الله عليه وسلم ونحن لا نعلم شيا من امور
الدين فانما نفعل كما رايناه يفعل وروي ما رايناه بدونه كاف وما موصولة
وكاف وما موصولة او مصدرية اي نقتدي به في ما جاء به وهذا هو المقصود
هنا اما صلاة الخوف فقد ذكرت في القران وهي سنة خلافا لمن قال
انها مخصوصة به صلى الله عليه وسلم واما قصر الصلاة سفرا فقد
ذكرت في القران في قوله لا جناح عليكم ان تقصروا من الصلاة لكنها
مقيدة بقوله ان خفتم الاية ولذا سالوا عنها الا ان اطلاقها مبين
بالسنة فقد سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصرها فقال
تلك صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته وقد يذكر الله شيا
مقيدا بشرط ويجيء على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من غير شرط
ونحو ورد فيها احاديث اخر وقال عمر بن عبد العزيز الخليفة العادل
الزاهد المشهور رضي الله عنه سن رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي اتى بافعال واقوال وطريقة شرعها وولاة الامر بعده بضم الواو
جمع وال وهو من يتولى امور الناس والمراد بهم هنا الخلفا الراشدون
سننا جمع سنة الاخذ بها اي العمل بها واتباعها تصديق بكتاب
الله بالباء واللام لانه امر بها واتباع سبيل المومنين واستكمال لطاعة
الله لان طاعتهم طاعة له في الحقيقة لانهم لا يقولون شيا من عند
انفسهم وانما يقولون ما رووه عنه صلى الله عليه وسلم او ما استنبطوه
من الكتاب والسنة وقوة على دين الله ليس لاحد تغييرها اي تغيير تلك
السنن بوجه من الوجوه ولا تبديلها بدل لها يغايرها وهو اخص من
التغيير لشموله الزيادة والنقص ويجوز ان يكونا بمعنى ولا النظر في
راي من خالفها اي لا يلتفت اليه ولا يعتبر ما خالفها اصلا وليس
المراد بالنظر حقيقته حتى يقال تجوز ان ينظر فيه ليرده من اهتدى
بها اي عمل بتلك السنن فهو مهتد لانهم على هدى من الله ومن
انتصر بها فهو منصور ومن خالفها واتبع غير سبيل المومنين
غير ما هم عليه من اعتقاد او عمل ولاه الله ما تولى اي جعله واليا لما
تولى من الضلال وخلى بينه وبين ما اختاره من الضلالة واصلاه
جهنم اي ادخله فيها وساءت مصيرا جهنم وفي ذلك دليل على حرمة
مخالفة الاجماع وقال الحسن بن ابي الحسن هو الحسن البصري
كما تقدم عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة تقدم هذا وقد
بينا معناه ولا تكرار فيه لانه ذكره اولا خبرا وذكره هنا اثرا وفيه

تطو وقال ابن شهاب الزهري بلغنا عن مجالس اهل العلم انهم قالوا الاعتصام بالسنة اي التمسك بها نجاة مما يخافه المرء في الدنيا والاخرة وفي القاموس اعتصم بالله امتنع بلطفه من المعصية اي من تلبس بالسنة حفظ من ان يقع في معاصي الله وفيه حث على حفظها والعمل بها وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى عماله ونوابه وامرهم بتعليم السنة اي ما روي عنه صلى الله عليه وسلم من اقواله وافعاله في اسفاره واقامته والفرايض اي قسمة المواريث لانها نصف العلم ونفقدها من اشراط الساعة واللحن بفتح اللام وسكون الحا المهملة وفسرها بقوله اي اللغة والمراد بها لغة العرب وما يتعلق بها من الاعراب وعلمي البلاغة وقال الازهري معناه تعلموا لغة العرب في القران واعرفوا معانيه واللحن بسكون الحا كما علمته وقد تفتح له معان منها التعريض وتحو الكلام كقوله تعالى ولتعرفنهم في لحن القول والخطا في الاعراب وقال الزمخشري معنى اللحن في كلام عمر رضي الله وقوله تعلموا اللحن الغريب واللحن علم الغريب الواقع في القران والحديث ومن لم يعرفه لم يعرف اكثر كلام الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وهذا رواه سعيد بن منصور في سننه فاللحن من الاضداد ومن معانيه الفطنة وقال ابن الاعرابي ان اللحن بالسكون الفطنة والخطا وقال غيره من اهل اللغة ه الفطنة والخطا وقال غيره من اهل اللغة الفطنة بالفتح والخطا بالسكون وقال عمر رضي الله عنه في اثر اخر رواه عنه الدارمي ان ناسا يجادلونكم يعني بالقران اي يخاصمونكم دينا زعمهم في بعض الاحكام التي تقلتم بها فيقولون ان القران فيه ما يخالفكم نظرا لظاهره مما بينته او خصصته او نسخته السنة فخذوهم انتم اي حجوهم واغلبوهم بالسنن الواردة عنه صلى الله عليه وسلم فان اصحاب السنن اي علما الحديث ونقاده اعلم بكتاب الله اي بمعاني القران ممن يتمسك بظواهر القران ه لمعرفتهم بناسخه ومنسوخه ومخصصه وماوله فان تفسير القران انما يعلم من السنة وفي خبره اي خبر عمر الذي رواه عنه مسلم حين صلى عمر رضي الله عنه بذي الحليفة بضم الحا المهملة ولام وفا بصيغة المصغر اسم مكان على ستة او سبعة او اربعة اميال من المدينة من جهة الشام وهو ميقات اهل المدينة والشام الذي يحرمون منه ركعتين اختلف فيهما والاصح انهما سنة لمن يحرم مؤكدة عند اكثر الفقها في تركهما فوات فضيلة من فضايل الاحرام ولم يخالف فيه الا الحسن البصري فانه استحب كونهما

بعد صلاة فرض لانه روي انها كانت صلاة الصبح والصحيح غيره ولو كان لذلك لم يسال عنها ولم يحتج لقوله فقال اصنع كما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع فاقتدي باثاره وكل ما صنعه وعن علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه في اثر رواه عنه البخاري والنسايي حين قرن بين الحج والعمرة في حجة حجها فقال له اي لعلي عثمان بن عفان وهو خليفة اذ ذاك وفي نسخة فقال له عمر والصحيح ان القايل له عثمان رضي الله عنه كما في الصحيحين وغيرهما فهذا وهم من الناسخ تراني وفي نسخة ترى اني اي تعلم او تظن اني وانا انهى الناس عنه اي عن القران وتفعله انت فانكر عليه عدم اتباعه له قال علي لعثمان رضي الله عنهما ادع واترك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحد من الناس اي لاجل احد من الناس خالف فعله فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقتدي بغيره مع علمي بما صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم والحديث عن مروان بن الحكم قال شهدت عثمان وعليا رضي الله عنهما وعثمان ينهى عن المتعة وان يجمع بينهما وعلي رضي الله عنه اهل بهما وقال لبيك بعمرة وحجة فلما كلمه عثمان في ذلك قال له ما ذكره المصنف والمتعة تستعمل بمعنيين احدهما ان يحرم بالعمرة ثم يحرم بالحج كالمكي فالعطف من عطف المتغايرين وان يجمع بين الحج والعمرة معا باحرام واحد والعطف على هذا تفسير وهذا هو المراد كما هو صريح الحديث واحتمال ارادة الاول كما فعل اباه الحديث وسمي متعة لما فيه من ترك السفر والاحرام مرتين وكل منهما جايز وانما نهى عن ذلك لتركه الافضل عنده وعلي رضي الله عنه انما خالفه لاعتقاده خلافه وللاخفا في اوليلا يتوهم احد انه ممتنع وكل منهما مجتهد ماجور وهذا مبني على مسيلة اصولية وهي انه اذا وقع الاختلاف في عهد الصحابة في حكم شرعي هل يصح الاجماع بعدهم على احد قولي الصحابة فذهب احمد واكثر الاشاعرة والشافعية ان حكم الخلاف لا يرتفع وذهب الغزالي وبعض الشافعية واكثر الحنفية الى ارتفاع الخلاف كبيع ام الولد فان الصحابة اختلفوا فيه ثم اجمع الفقها على منعه وفيه بحث وهذا الخلاف بين علي وعثمان مبني على الاختلاف في حج رسول الله صلى الله عليه وسلم او على ما روي من ان عثمان ه رضي الله عنه لما لام عليا كرم الله وجهه في ذلك قال له علي قد علمت انا تمتعنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اجل ولكنا كنا خايفين يعني ان فعله ذلك لعارض لا انه الافضل وروي ان عثمان

رجع لما قاله علي وقال ما كنت لادع عليا لكنه مما انفرد به مسلم وكان الكلام
بينهما بعسفان وهو اسم موضع معروف وعنه اي مما روي عن علي رضي
الله عنه ولم يذكروا من رواه عنه ولكني اعمل بكتاب الله وسنة رسوله
الله صلى الله عليه وسلم ما استطعت اي ما لم اضطر الى خلافهما ثم ان
الضرورات تبيح المحظورات وفي نسخة وسنة نبيه وكان ابن مسعود
يقول في اثر رواه الدارمي والطبراني عن ابي الدرداء القصد اصل
معنى القصد التوجه الى جهته ويطلق على استقامة الطريق ثم شاع
في الاعتدال بين الافراط والتفريط كما قاله الراغب وهذا
هو المراد في السنة اي في سلوك طريقة رسول الله صلى الله عليه
وسلم خير من الاجتهاد اي الاكثار منه وبذل الجهد والطاقة
في العمل الملتبس بغيرها يعني تولد في البدعة وتقدم تفسيرها وهو صحيح
وانها تنقسم لواجب وسنة ومحرم ومكروه كما قاله ابن عبد السلام
وقال ابن عمر رضي الله عنهما فيما رواه عبد بن حميد في مسنده
بسند صحيح صلاة السفر اي المقصورة فيه وجوبا او استحبابا
ركعتان من خالف السنة اي طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصره
سفرا كفر اي صار كافرا ان قصد مخالفة فعله صلى الله عليه وسلم عنادا
او انكر جواز فعله والا فهو بمجرد الاتمام مبتدع عند ابي حنيفة رحمه
الله وبعض الفقهاء وقيل الكفر بمعنى كفران النعمة التي انعم الله
بها عليه من احسانه عليه بتسهيل امره وقال ابي ابن كعب
فيما رواه ابو الاصفهاني في ترغيبه وغيره وابي هو ابن المنذر البخاري
الانصاري الصحابي توفي في سنة تسع عشرة على الاصح وقيل
سنة اثنين وثلاثين في خلافة عثمان عليكم هو هنا اسم فعل بمعنى الزموا
او تمسكوا بالسبيل اي طريق الله وصراطه المستقيم وهو العمل الخالص
تقربا الى الله تعالى والسنة اي طريقة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهديه وتقدم السبيل اهتماما بالاخلاص ان لم نقل ان العطف
تفسيري وهو جائز فانه تعليل للحث على التمسك بالسنة والضمير للشان
ما على الارض الظاهر ان المراد بمن عليها كل موجود من الاحياء العقلاء من
هذه الامة من عصره الى يوم القيامة وقيل المراد به من كان موجودا
في عصره من الصحابة وخصهم لان قرنه خير القرون وثوابهم اكثر من ثواب
غيرهم والظاهر ما قدمناه لما مر من ان العامل يبقى عند فناء امته
لذا جرما به شهيد من عبد من زايدة للاستغراق على السبيل

والسنة

والسنة متمسك بها والسبيل كالطريق يذكر ويؤنث وجعله ممسكه كانه
راكب مستعل عليها ثم تمثيل ذكر الله صفة مخصصة لعبد ففاضت
عيناه اي فاض ما عينيه ببكائه من خشية الله وخوفه فيعذبه الله ابدا
اي الا لم يعذبه الله ابدا ولا يدخله النار وان كان مذنبا ولا يعذبه في قبره
ايضا ويعذبه بالنصب في جواب النفي المحض كقوله تعالى لا يقضى عليهم فيموتوا
وما على الارض من عبد على السبيل والسنة اي متمسك طريقة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقتديا به في اقواله وافعاله ذكر الله
في نفسه اي احضر الله في قلبه وفرغ فكره وذهنه لملاحظة ربه
وجلاله وعظمته والظاهر ان هذا مجرد التصور من غير لفظ لما يلزمه
للذكر قبله والذكر المذكور المراد المقارن للفكر لانه لا يفيض ما عينيه
الا التصور واحضاره في قلبه وقيل ان هذا يحتمل التصور المجرد
والمقارن للذكر اللساني ولا يخفى ما فيه فاقشعر جلده اقشعر
بالتشديد اي اخذته قشعريرة وهي الرعدة كما في القاموس من خشية الله
اي من شدة خوفه قال الراغب الخشية خوف يشوبه تعظيم واكثر
ما يكون عن علم بما يخشى منه ولذا اخص العلماء بها في قوله تعالى
انما يخشى الله من عباده العلماء انتهى الا كان مثله بفتحتين اي
صفته وحالته العجيبة كمثل بفتحتين اي كهذه الصفة شجرة
ذات اغصان وورق قد يبس ورقها صفة شجرة واعتبار وصفها بهذا
توطئة للتحاتت الاتي لانه لا يكون كذلك الا الورق اليابس وهو اشارة الى
ان له خطايا كثيرة قديمة فهي كذلك اي فهي دائمة قائمة على
هذه الحال من قدم اوراقها ويبسها واصلة فيها هي كذلك اذ اصابها
ريح شديدة والريح مؤنثة فتحاتت عنها ورقها اي سقط وفي
القاموس حته فركه وقشره فانحت وتحاتت والورق سقطت كما تحتت انتهى
وتحاتت بفتحها وتشديدها اخره مضارع حت الا حط الله خطاياه
المراد بالحط هنا المغفرة وعبر بها على طريق الاستعارة وعبر به لمناسبة
المشبه وخطاياه جمع خطيئة وهي الذنب وهذا بدل من الا الاولى وما
معها وكرر الا مع البدل لما كنه العبد المساقة باعتراض المثل وقيل
انه استثناء وجوابا لمقدر كانه قيل ماذا يترتب على اقشعراره
من الخشية مع مراعاة النفي فقيل الا حط عنه خطاياه كما تحات
اصله تتحاتت مضارع بمعنى يسقط عن الشجرة ورقها فان اقتصار
اي اعتدال وتوسطا من غير تفريط كما تقدم وهو افتعال من القصد

وهو تعليل لما تضمنه ما قبله من مغفرة الذنوب الكثيرة بمجرد ذكر الله
او تذكره مع الخشوع والخشية وهو تعليل ظاهر اذا كان عظيما في نفسه
في سبيل الله وسنة عبر بفي لمناسبة السبيل وكان ذلك لان الابتداع والا
يحيط بعمله احاطة الظرف بالمظروف خير من اجتهاد اي زيادة وبذل اجتهادهم
جهده وطاقته في خلاف سبيل الله وسنة اي بدعة مخالفة لسنة
الرسول صلى الله عليه وسلم وتقدم تفسيره وانظروا المراد بالنظر هنا
التدبر والتامل وهذا تتميم لما قبله وتاكيد له ان يكون عملكم ان كان
اقتصادا واجتهادا اي تدبروا في جميع اعمالكم قليلة كانت او كثيرة
سواء العظيم منها اذ لم تبالغوا ان يكون اعمالكم كلها وهو مع ما بعده
بدل مما قبله او تاكيد له واعادة للفصل بينهما كما تقدم وان بفتح الهمزة
هي المصدرية لا شرطية مكسورة على منهاج الانبياء اي على طريقتهم
والمنهاج والمنهج بمعنى الطريق الواضح وسنتهم اي طريقتهم وشريعتهم
وعبر بالانبيا والمراد منهاج نبينا صلى الله عليه وسلم اشارة الى ان منهاجه
جار على منهاجهم غير مخالف له كما قال تعالى فبهداهم اقتده وجرينا باعتبار
التوحيد والعقائد الحقة والاعمال الصالحة والاخلاص كلا لانا مامورون
باتباعهم فيما لم يرد نسخه كما قوم وان كان صلى الله عليه وسلم نفسه
كذلك وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وعمال بضم العين
وتشديد الميم جمع عامل وهو الامير المولى من جانب الخليفة لعمله في الاموال
والمصالح الى عمر عامل بلده اي يخبره بحال بلده الذي ولاه عليها وهي حمص
كما قاله وكثرة لصوصه عطف تفسير لحال جمع لص بتثليث اللام وهو
السارق وقاطع الطريق وغيرهما من الذين ياخذون اموال الناس بالباطل
وهذا اثر رواه اللالكائي في السنة كما قاله السيوطي رحمه الله هل
ياخذهم اي يحبسهم ويعاقبهم بالظنة بكسر الظا المعجمة المشالة وتشديد
النون اي بمجرد الظن انهم لصوص او يحملهم اي يطلب منهم ويكلفهم على
البينة كما في قوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها اي تكلفوا
حملها كما قاله الراغب وضمير ياخذهم للصوص وضمير يحملهم للمدعى عليهم
المعلومين من السياق وعداه بعلى باعتبار معناه الاصلي كما تقدم وما
جرت عليه السنة اي ما اقتضته الشريعة من لزوم الثبوت بالبينة ونحو
مما يترتب عليه الحكم دون السياسة المختصة وان كان ذلك يجوز للحاكم
في بعض الاحيان فكتب اليه اي الى عامله عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه
خذهم اي احكم عليهم بالبينة وما جرت عليه السنة اي دونه واستغن

عليه

عليه فان لم يصلحهم الحق اي حكم الشريعة دون السياسة والحق فلا اصلحهم
الله اي ينتقم منهم اذ لم يوفقهم لتحمل الخير وهذا من شدة تقواه وانقياده
للشريعة واحكامها قيل فكان من ثبت عليه سرقة نصاب قطع يده
فما زاد الجور وفيها سارقه وعن عطا في تفسير قوله تبارك وتعالى
فان تنازعتم اي اختلفتم ايها الناس في شيء من امور الدين فردوه اي ارجعوا
فيه الى الله والى الرسول اي الاما قالا له اي الى كتاب الله وشريعة
رسوله صلى الله عليه وسلم وهذا مؤيد لما قاله عمر رضي الله عنه
ولذا ساقه عقبه وهذا لا ينافي ما ذكره الفقهاء من حبس المتهم وضربه
حتى يقر وانه قد عمل باقراره كما ذهب اليه مالك وغيره فانه استحسان منهم
اذا قويت التهمة واقتضته الحال كما فصله الفقهاء وما قاله عمر رضي
الله عنه شيء اخر وعطا هو عطا بن ابي رباح المفسر كان من كبار التابعين
وتوفي سنة خمس عشرة ومائة وقال الشافعي الامام المشهور امام
الائمة وسلطان الامة ليس في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي لم يثبت في حديثه في شريعته الا اتباعها اي اتباع السنة والعمل
بها وكان يقول اذا صح الحديث فهو مذهبي واذا خالف قولي الحديث
فاضربوا به عرض الحائط وهكذا اتبعه ائمة الشافعية رضي الله عنهم
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما رواه عنه الشيخان ونظر الى الحجر
الاسود في طوافه والجملة حالية بتقدير قد او معترضة مؤذنة بان
قوله ذلك حال مشاهدته له انك حجر لا تضر ولا تنفع اي لا تقدر
على ضرر ونفع بالذات وان كان الله جعله سببا لاجابة الدعا عنده
وسنة ولولا اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك
اي في طوافه وانما استحب تقبيله لانه نزل من الجنة وكان ابيض
كاللبن فسودته خطايا بني ادم كما رووه ثم قبله عمر بعد ما ذكر وفي
الحاكم ان عليا رضي الله عنه كان خلف عمر فلما سمع قوله هذا قال
له بل يضر وينفع فان الله لما اخذ الميثاق على بني ادم في عالم الذر كتب
ذلك في رق والقمه الحجر الاسود وسيأتي يوم القيامة وله لسان
يشهد به لمن استلمه بالتوحيد ووفاية بالعهد وروي ان ذلك
ذكره صلى الله عليه وسلم قاله ونحو قالوا ان عمر رضي الله عنه كان
عالما بذلك ولكنه قال ما قاله هذا اسمعه للناس لقرب عهدهم
بالجاهلية وعبادة الاحجار يخشى ان يضلوا ويعتقدوا النفع فيها قياسا
عليه وروي ان الحجر الاسود يمين الله في ارضه اي وضعه في الارض ليقبل

كما تقبل اليد اليمنى دون اليسرى تكريما لها او ان تقبيله بقبض الانعام
والرضى كتقبيل يد العظما فهو استعارة والاضافة للتشريف كبيت
الله وفيه رد على من قال ان الحجر الاسود له خاصية في ذاته كخاصية المغنا
طيس لجذبه الحديد وفي الحديث من الاحكام انه يكره تقبيل ما لم يرد الشرع
بتقبيله كما يفعله بعض العوام من تقبيل تابوت الاوليا والاماكن المباركة
وقول الشافعي رضي الله عنه كل مكان قبل من البيت حسن لم يرد به استحبابه
وانما اراد اباحته لان المباح حسن عند بعض الاصوليين ورؤي مبني
للمجهول براء مهملة مضمومة وهمزة مكسورة ويا مفتوحة وذلك
ابن مرزوق انه بوزن قيل نقيد ما فيه من اللغات واخره همزة بالقلب
المكاني وتبعه بعضهم فانه شاهده روايتها ونحمت والاخير تكلف
لا حاجة اليه عبد الله بن عمر الصحابي المشهور رواه عنه احمد بن حنبل
والبزار بسند صحيح يدير ناقته في مكان وهو اركبها اي يلفت
وجهها ازيصيفها حوله حتى عادت لموضعها الاول فسئل عن فعله
لاي شي هو فقال لا ادري وجه ما فعلته وحكمته الا اني رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يفعله اي يدير ناقته في هذا المكان
ففعلته اقتدا به صلى الله عليه وسلم وفيه انه يستحب الاقتدا بالنبي
صلى الله عليه وسلم تبركا وتيمنا الا انه فعل اذا اصدر عنه امر يحتمل
انه اتفاقي بمقتضى الجبلة البشرية لا بنية التعبد هل يستحب
فعله ام لا فذهب الاكثرون الى انه لا يستحب الا انه لا باس وهو
الظاهر واما غيره فيكره الاقتدا به في مثله كما يفعله بعض الصوفية
في اتباع اثار مشايخهم ومن هذا القبيل لبس الخرقة ونحوه فاعرفه
وقال ابو عثمان الحيري شيخ الصوفية بنيسابور وهو بكسر الحا
والرا المهملتين وبينهما مثناة ساكنة وفي اخره يا نسبة مشددة
نسبة للحيرة اسم محلة بها كان يسكنها وهو ابو عثمان سعيد بن اسمعيل
توفي سنة ثمان وتسعين ومائتين وهو من كبار الزهاد والمشايخ
الصوفية وهو صاحب ابي حفص النيسابوري كما قاله ابن ماكولا والذهبي
وذكره القشيري في رسالته ونقل ما ذكره المصنف عنه وذكر انه صحب
شاه الكرماني ويحيى بن معاذ الرازي ثم نيسابور مع شاه الكرماني في
على ابي حفص الحداد فتخرج عليه وزوجه ابنته وقد صحفه الناس ه
هنا نسبته فقيل انه الحنبذي بحا مهملة مضمومة ونون مفتوحة
ونون مفتوحة بعدها يا ساكنة وذال معجمة مكسورة ويا نسبة كذا في

اصل ابي العباس العزفي وهو مخالف لما في اصل المصنف بخطه وهو الصحيح
وفي بعض النسخ الجنبذي بجيم وذال مهملة وفي بعضها الحميدي مصغرا
بحا ودال مهملتين والكل غريب وتصحيف والصحيح ما نقلناه اولا واد اجا
به الله نطق بهم فعل واثرها الجنيدي فانه كان على طريقته في الزهد
ولم يكن في عصره اعرف منه بطريق المشايخ ومن كلامه رضي الله عنه
الصحبة مع الله عز وجل بحسن الادب ودوام الهيبة والمراقبة والصحبة
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم باتباع سنته وظاهر فعله والصحبة
مع اوليا الله بالاحترام والخدمة والصحبة مع الاهل بحسن الخلق والصحبة
مع الاخوان بدوام البشر والصحبة مع العوام بالدعا والرحمة لهم من
امر السنة على نفسه وهو بفتح الهمزة وتشديد الميم وبها مهملة
خفيفة اي جعل سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وطريقته
قولا وفعلا اي في اقواله وافعاله فهو منصوب على الظرفية او تمييز
محول عن المفعول لانه جعلها اميرا عليه وحاكما وهو عبارة عن عدم ه
مخالفتها وقيل انه بفتح الهمزة والميم المخففة وتشديد الرا المهملة
اي اجازها ومشاها عليه وهو بعيد نطق بالحكمة اي القول تلمسانيا
الصواب النافع له في الدنيا والاخرة وكل كلام وافق الحق فهو حكمة
ومن امر الهوى امر كالذي قبله نفسه استعارة والهوى ما تهواه ه
نفسه الامارة وتشتهيه نطق بالبدعة اي بما يخالف الحق ما زينه
له الشيطان من الضلالة وقال سهل التستري وهو سهل
ابن يونس بن عيسى بن عبد الله ابن رفيع شيخ الصوفية الزهاد تقدمت
ترجمته والكلام على بلدته تستر وهي مشهورة اصول مذهبنا
اي التصوف اي قواعده التي يدور عليها ثلاثة اولها واعظمها
الاقتدا بالنبي صلى الله عليه وسلم واتباعه في الاخلاق والافعال
والثاني اكل الحلال والثالث اخلاص النية في الاعمال
وهذه الاصول وان كانت اصول الصوفية فهي اصول للشريعة
ايضا وقد ورد في الحديث بمعناه وهو ظاهر وجا اي ورد عن
السلف في التفاسير الماثورة في تفسير قوله تعالى تعالى اليه
يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه انه بفتح الهمزة فاعل جا
الاقتدا بالنبي صلى الله عليه وسلم فان العمل لا يكون صالحا مقبولا
الا اذا وافق الكتاب والسنة وموافقتها عين الاقتدا به قولا
وعملا وضمير انه للعمل الصالح وضمير يرفعه المرفوع والمنصوب

الاول للكلم الطيب وهو التوحيد والثاني للعمل والرفع بمعنى القبول
ويجوز العكس اي يرفع التوحيد الاقتدا برسول الله صلى الله عليه
وسلم فانه لا يقبل بدونه وعلى الثاني المراد بالكلم الطيب الاذكار وما هو
قريب منها وهي انما تقبل اذا وافقت السنة والكلام عليه مفصل
في كتب التفاسير وحكي بالبنا للمجهول اي نقل لنا ان الامام احمد بن حنبل
رحمه الله تعالى وحنبل جده فانه احمد بن محمد بن حنبل كما اشار اليه
المصنف فيما ياتي بن هلال الشيباني المروزي ثم البغدادي لانه تربى بها
ودفن فيها ثاني عشر ربيع الاول سنة احدى واربعين ومائتين وهو
امام السنة صاحب المذهب الزاهد العابد وله مناقب افردت بالتاليف
قال كنت يوما مع جماعة تجردوا من ثيابهم عرايا ودخلوا الما للاغتسال
فاستعملت الحديث اي عملت به فالسين للتاكيد وقيل المعنى طلبت
ذلك من نفسي وقلت ـــ لا اوافق هولا وهذا الحديث رواه مسلم
والترمذي وهو من كان يومن بالله اي يصدق ويعترف بالله واليوم
الاخر اي يوم البعث والحشر وهو يوم القيامة والايمان بهما عبارة
عن الايمان بجميع ما جا به الرسول صلى الله عليه وسلم فكنى بالطرفين عن
الجميع فهو من باب الاكتفا فلا يدخل الحمام المراد به كل مكان فيه ما يغتسل
به ثم غلب في العرف على محل مخصوص الا بمئزر المئزر بكسر الميم وهمزة
ساكنة ويبدل يا بمعنى الازار وهو ما يستر به نصف المرء الاسفل ولم اتجرد
اي لم اخلع ثيابي واتجرد منها وهو عطف تفسير لاستعملت الحديث
فرايت في المنام تلك الليلة اي في تلك الليلة التي تلي يوم تجردهم
قائلا لي اي قائلا يقول لي يا احمد ابشر اي ليبشر امر من الله بما يسرك ان
الله قد غفر لك اي عفا عنك وانعم عليك بقبول ما صدر منك باستعمالك
السنة اي بسبب اقتدائك بالرسول صلى الله عليه وسلم والعمل بحديثه
وجعلك اماما يؤتم بك ويقتدى بك لكونك مجتهدا صاحب
مذهب قلت ـــ لمن رايته في المنام من انت استفهاما
يريد به تعينه عنده قال جبريل اي انا جبريل رسول الله الى عباده
فصل ـــ ومخالفة امره اي بتركه ما امر الامة به وتبديل
سنته اي تغييرها بوجه من وجوه التغيير قولا وفعلا على خلاف مراده
ضلالة اي عدول عن الطريق المستقيم وهي طريق الرسول صلى الله
عليه وسلم وشريعته وبدعة اي امر احدثه في الدين واذا اطلقت
البدعة انصرفت الى غير الحسنة وهي المرادة هنا متوعد عليها

اي

اي ورد الوعيد لفاعلها في احاديث كثيرة تقدم بعضها وفي آيات
قرآنية من الله بالخذلان متعلق بقوله تبعد والخذلان ضد التوفيق
وهو ان يخلق الله فيه داعية المعاصي في الدنيا والعذاب الاليم في
الآخرة قال الله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم
فتنة او يصيبهم عذاب اليم ضمن يخالفون معنى يعرضون فلذا عداه بعن
وهو متعد بنفسه وضمير امره للنبي صلى الله عليه وسلم لانه المقصود بالذكر في
الآية وهو الذي بنى المصنف عليه كلامه هنا وفيه وجه اخر انه لله لانه الآمر
الحقيقي والفتنة ما في الدنيا من المصائب لا المحنة الدينوية والعذاب
الاليم في الآخرة وقال تعالى ومن يشاقق الرسول اي يعاديه ويخاصمه
فيكون في شق وهو في شق آخر من بعد ما تبين له الهدى اي ظهر له الحق
وثبت معاينة بمعجزاته صلى الله عليه وسلم والهداية الله لمن هداه
برسوله صلى الله عليه وسلم ويتبع غير سبيل المؤمنين اي يسلك طريقا
غير طريقهم في الاعتقاد والعمل نوله ما تولى اي نجعله متوليا لما تولاه من
الضلالة والبدع الآية اي اقراها يعني قوله ونصله جهنم وساءت مصيرا
وهذا وعيد شديد لمن لم يقتد به صلى الله عليه وسلم واستدل بهذه
الآية على حجية الاجماع كما بين في كتب الاصول ثم ذكر حديثا رواه مسلم
والامام مالك مسندا شاهدا لما ذكره فقال حدثنا ابو محمد عبد الله
ابن ابي جعفر هو عبد الله ابن محمد بن عبد الله الحسيني وقد تقدمت ترجمته
وعبد الله ابن عتاب تقدم ايضا بقراءتي عليهما بيان لطريق روايته وليس عرضا
قالا حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد تقدم ايضا قال حدثنا ابو الحسن
القابسي تقدم قريبا قال حدثنا ابو القاسم حاتم ابن محمد تقدم ايضا قال
حدثنا ابو الحسن بن مسرور الدباغ بعين مهملة منقول من اسم المفعول وهو
علي بن محمد بن مسرور توفي في منتصف رمضان سنة تسع وخمسين وثلاثمائة
قال حدثنا احمد بن ابي سليمان هو تلميذ سحنون وهو مولى لربيعة ويكنى
ابا جعفر توفي سنة احدى وتسعين ومائتين وقد ناهز التسعين قال
حدثنا سحنون هو عبد السلام بن سعيد وستاتي ترجمته مفصلة قال
حدثنا ابن القاسم تقدمت ترجمته قال حدثنا مالك الامام المشهور عن
العلا بن عبد الرحمن تقدم ايضا قال حدثنا عن ابيه عن ابي هريرة
ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة مثلثة البا والكسر لغة
قليلة فيها وذكر الحديث في صفة امته صلى الله عليه وسلم يعني قوله
سيما ليست لاحد من الامم تردون علي غرا محجلين من آثار الوضوء وفيه

اي في الحديث المذكور فليذادن رجال عن حوضي اللام في جواب قسم مقدر
ويذاد مبني للمجهول بذال معجمة والف بعدها دال مهملة ونون توكيد
مشددة والذود هنا بمعنى الطرد والمنع وهذه رواية ابن القاسم وفي رواية غيره
فلا يذادن بلا نافية او ناهية اي لا يفعل احدكم فلا يطرد بسببه عن حوضي
على معنى التحذير في الاشتقاق ورجحت الرواية التي اختارها المصنف
كما يذاد البعير الضال اي كما يطرد البعير اذا ضل من صاحبه واتى ليدخل
في ابل اخرى ليستقي فيطرد من بينها لئلا ينتقص شربها فاناديهم اذا طردوا
الا هلم الا هلم الا هلم كرره للتاكيد على العادة في نداء من ضل وهذا بيان
لحرصه صلى الله عليه وسلم على ردهم لشفقته عليهم ورحمته لهم وهلم
بفتح الهاء وضم اللام وقد تفتح وهي اسم فعل بمعنى اقبل واحضر وتتعدى
بنفسها وباللام وميمها مشددة مفتوحة تستوي فيها المذكر وغيره
وهي بسيطة في الاصل او مركبة من ها لم او من هل ام وهذه لغة اهل
الحجاز وهي الفصحى لانها لغة القران ولغة غيرهم هلم وهلما وهلموا
وهلمي فهي عندهم فعل لا اسم الفعل لاتصال به الضماير والمطرودون
من المنافقين والمرتدين لكونهم اظهروا الاسلام وتوضؤوا وصلوا يكونون
غرا محجلين ولذا دعاهم ورآهم ولو لم تكن هذه السيما الا للمؤمنين لم
يدعوا فان كان المراد اهل البدع من المؤمنين واصحاب الكباير فالامر ظاهر
وقال النووي اختلف في المراد به على اقوال احدها ان المراد بهم المنافقين
ويجوز ان يحشروا غرا محجلين فيناديهم بسيماهم فيقال انهم بدلوا وكم
يموتوا على الاسلام والثاني ان المراد من كان في زمنه صلى الله عليه وسلم
ثم ارتد فيناديهم وان لم يكن لهم سيما لانه يعرفهم والثالث ان المراد اصحاب
الكباير والمعاصي الموحدين واصحاب البدع فيراد دون عقوبة لهم فيقال
بالبناء للمجهول اي يقول الله تعالى او الملائكة او من عرفهم من الصحابة
انهم قد بدلوا بعدك اي غيروا سنتك وارتكبوا ما لم تعهده منهم وفي
نسخة انهم قد تبدلوا فاقول سحقا سحقا وفي نسخة فسحقا باعادة الفا
للتاكيد وهو بضم السين والحاء وتسكن تخفيفا قال سحقا اي جعلهم الله
في مكان سحيق اي بعيد واصله من سحقه اذا فتته والسحق الثوب البالي
وهو على تقدير استحقوا او ابعدوا بعدا شديدا ويحتمل انه دعا عليهم
تقديره الزمهم الله سحقا فنصبه على المصدرية اذ هو مفعول به واذا
دعا فعامله محذوف وجوبا كجدعا وعقرا قال الـ هل هو مصدر
لفعل ثلاثي وهو سحقه او لغيره اي اسحقه على حذف الزوايد ويناسبه

اسحاقا ولا يحتاج لذلك وان اختاره ابو علي الفارسي قال الدماميني لان سحقه
بمعنى فتته كسحق المسك ونحوه واما من البعد فالمستعمل اسحقه بمعنى ابعده
الله واسحقه كما قاله الراغب وروى انس ابن مالك في حديث رواه
الشيخان انه صلى الله عليه وسلم قال من رغب عن سنتي اي تركها
لان رغب اذا تعدى بعن يكون بمعنى الترك ضد رغب فيه والسنة طريقته
وشريعته فليس مني اي ليس من اتباعي واشياعي ومن الضالين كما تقدم بيانه
وهذا ابلغ من رد له فهو في معنى الحديث الذي قبله وقال
صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان من ادخل في امرنا اي احدث
بدعة في الدين وفي رواية من احدث وهما بمعنى هذا عبر باسم الاشارة اشارة
الى انه لظهوره بمنزلة المحسوس المشاهد ما ليس منه اي امرا مخالفا للكتاب
والسنة فهو رد اي مردود وعبر بالمصدر للمبالغة كرجل عدل وهذا
من حديث طويل من قواعد الدين وقال الطوفي انه نصف الدين وروى ابن
ابي رافع عن ابيه وهذا الحديث رواه ابو داود والترمذي وابن ماجه كما
تقدم قريبا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا الفين احدكم بالبناء للمجهول
نهي لنفسه والمراد به نهي غيره عن ان يجده ويراه على هذه الحالة متكئا
على اريكته اي مترفها جالسا على سريره وتقدم بيان الاريكة ياتيه الامر
جملة حالية تقتضي البطر وسوء الادب من امري مما امرت به او نهيت
عنه فيقول لا ادري ما اتيت به لا ادري غير كتاب الله ما وجدنا في كتاب
الله اتبعناه وقد تقدم قريبا الكلام عليه زاد المقدام في هذا
الحديث كما رواه الحاكم عنه وهو المقدام بكسر الميم ابن معدي كرب الكندي
المكنى بابي صالح ممن وفد على النبي صلى الله عليه وسلم من كندة وتوفي بالشام
سنة سبع وثمانين وهو ابن احدى وسبعين سنة الا بفتح الهمزة كلمة
استفتاح وان ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله لانه مبلغ عنه فيجب
اجتنابه ما حرمه وفيه رد على القايل لا يتبع الا كتاب الله وفيه اشارة الى انه
معصوم في اقواله وافعاله وقال صلى الله عليه وسلم في حديث
رواه الدارمي وابن المنذر وابن جرير وابو داود مرسلا وجيء بكتاب
جاء الجملة حالية بتقدير قد او معترضة بكتاب اي مكتوب في كتف اي
في عظم كتف لانهم في الصدر الاول كانوا يكتبون فيها وفي الجلود لعزة
الورق اذ ذاك والجائي به عمر رضي الله عنه او ابنته حفصة او عايشة
كما قيل وقيل انه شيء كان كتبه بعض المسلمين عن اليهود فلما رآه صلى الله
عليه وسلم القاه وقال كفى بقوم متعلق بكفى او الباء زايدة في المفعول

حمقا او قال ضلالا شك من الراوي ونصبهما على التمييز والحمق الغباوة وعدم الفهم والضلال ضد الهدى اية وجعله كذلك لنظرهم في امور منسوخة محرفة وتركهم السنة ورسول الله صلى الله عليه وسلم معهم بين اظهرهم كما بينه بقوله ان يرغبوا هو فاعل كفى اي رغبتهم عما جاءهم به نبيهم معرضين عنه مشتغلين بما لا يعنيهم الى ما جاء به غير نبيهم اي ناظرين اليه راغبين فيه وهم لا يعلمون بصحته او ناظرين الى كتاب غير كتابهم الذي انزل الله على رسولهم فلا ينبغي لهم الا الاقتداء به والسماع منه اغتناما له وهو بين وفيه اشارة الى انه كان امرا منقولا عن اليهود كما نقله في زاد المسير نزلت اية اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب اي القران الذي ما فرطنا فيه من شيء فهو لوم على ما فعلوه وهو عطف على ما قبلـــه والهمزة مقدمة من تاخير او على مقدر معلوم من الحال اي كالوا ذلك ونقلوه الخ وهذا سبب نزول الاية كما نقله في اسباب النزول وقيل سبب نزولها ان المشركين طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم باية من ايات الانبياء عليهم الصلاة والسلام كعصى موسى وناقة صالح فقال الله لهم اولم يكفهم معجزة القران التي هي اعظم المعجزات وهي باقية مستمرة ولذا قال يتلى الاية وعبر بالمضارع والضمير لليهود او المسلمين او المشركين وقيـــل ان كلا منهما سبب لنزولها ولا مانع من تعدد السبب ولا حاجة لتعدد النزول كما قيــل وفيه دليل على النهي عن قراءة الكتب المنسوخة الا لمصلحة ممن يعرف النسخ والتحريف ٥ وقالـــ صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه هلك المتنطعون اي وقع في امر يهلكه ويودي الى غضب الله وعقابه من تنطع اي بالغ وغالى في الامور وتشدق بكلام لا حاجة اليه من النطع وهو الفك الاعلى من الفم استعير لكل متعمق في قوله او فعل غيرهم وامثاله من يفحش فمه في كلامه وقال الخطابي المتنطع المتعمق المتكلف للبحث على مذاهب اهل الكلام الخائض فيما لا يبلغه عقله ومناسبته لما نحن فيه انه من تنطع خرج عن ظاهر السنة وعدل عن ظاهر سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبه صرح اول الحديث وهو تعلموا قبل ان يقبض واياكم والتنطع والتعمق والبدع وهكذا جاء من بابه صرح وشيخ وعلم وقالـــ ابو بكر الصديق رضي الله عنه وهذا رواه عنه ابو داود والبخاري وغيرهما لست تاركا شيا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به من سنته في اقواله وافعاله واحكامه ٥

عليهم

وهديه

وهديه الاعلية اقتداء به صلى الله عليه وسلم واتباعا لاثاره الحميدة انى اخشى اي اخاف ان تركت شيا من امره اي شانه وحاله الذي كان عليه ان ازيغ بزاي وغين معجمتين اي اميل عن الحق والسنة واصل معنى الزيغ الميل عن الاستقامة قال تعالى فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم والله لا يهدي اي لما فارقوا الاستقامة عاملهم الله بذلك الباب الثاني من القسم الثاني من الكتاب في ذكر ما يدل على لزوم محبته اي وجوبها على كل مكلف من امته وفي نسخة فصل والصحيح الاول ووجوبها عقلا وشرعا لقوله قال تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم اي زوجاتكم جمع زوج وهو يطلق على الذكر والانثى وتاء وجه لغة ايضا فرقا بين المذكر والمؤنث وعشيرتكم وهم اقربا النسب واموال اقترفتموها اي اكتسبتموها وملكتموها الاية اي اقرا ما بعد ما ذكر وهو وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره وسبب نزولها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما امر بالهجرة تخلف بعضهم عنه فنزلت وتفسير الاية معلوم من التفاسير لا حاجة لذكره هنا فكفى بهذا المذكور في الاية حضا اي حثا وتحريضا وترغيبا قال الراغب الحض التحريك كالحث الا ان الحث يكون بسير وسوق والحض لا يكون بذلك واصله الحث على الحضيض وهو قرار الارض انتهى وتنبيها اي ايقاظا لهم من نومة الغفلة عن محبته صلى الله عليه وسلم حتى لا يغيب عنهم طرفة عين ودلالة لهم على ما يجب من محبته وحجة اي ثبا بالدليل وجوب محبته عليهم والاخبار بالنسبة لمن لا يعرف ذلك وما تقلد لغيره على التزام محبته اي لزومها عقلا ووجوب فرضها عليهم شرعا وعظم خطرها اي قدرها وفوائدها واصله ما يعطى عند الرهان واستحقاقه صلى الله عليه وسلم لها اي للمحبة المذكورة كما قيـــل ٥

٥ تملك بعض حبك كل قلبي ٥ فان ترد الزيادة هات قلبا ٥

اللهم املا قلبي بنور انها يكفي دعوتك ومحبة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم حتى لا يكون فيه محلا لغيرك اذ قرع بفتح التاء والراء المهملة المشددة وعين مهملة اي وبخ قيـــل وفي اصل المصنف تقرع والصواب الاول تعالى من كان ماله واهله وولده احب اليه من الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ثم بين تقريعه بقوله واوعدهم بقوله فتربصوا اي انتظروا امره وفيه من التوبيخ ما لا يخفى وفسقهم اي وصفهم ونسبهم للفسق بتمام الاية اي بما ذكر في اخرها حيث قال والله لا يهدي القوم الفاسقين

بجعلهم فاسقين بتخلفهم عن الهجرة وسلب عنهم الهداية بوصف يشعر
بغلبتها وهو معنى قوله وأعلمهم انهم ممن ضل ولم يهده الله حدثنا
ابو علي الغساني الجياني الحافظ وتقدمت ترجمته فيما اجازنيه يعني انه
رواه بالاجازة ولم يقرأه عليه مع انه معاصر له وهو اي هذا الحديث
الذي رواه البخاري وغيره مما قرأته على غير واحد من المشايخ غير مرة
فلذلك رواية طرق كثيرة اقوى من هذه كأنما اختارها لعلو سنده
وجلالته قال الغساني حدثنا سراج بن عبد الله القاضي تقدم
بيانه قال حدثنا ابو محمد الاصيلي تقدم ايضا قال حدثنا ابو عبد
الله محمد ابن يوسف هو الفربري راوي البخاري وقد تقدمت ترجمته
قال حدثنا محمد بن اسماعيل هو امام اهل السنة صاحب صحيح البخاري
قال حدثنا يعقوب بن ابراهيم ابن كثير البغدادي الدورقي في صاحب
المسند وامام الحديث توفي سنة اثنين وخمسين ومائتين وتسمى
الدورقي فانسب لبلده او الى صنعته الدوارق وهي نوع من القلانس قال
حدثنا ابن علية بالتصغير الامام الثقة الحافظ اسماعيل بن ابراهيم بن
مقسم المشهور بابن علية اخرج له اصحاب السنن الستة وتوفي سنة
ثلاث وتسعين ومائة وله ترجمة في كتاب الميزان وعلية امه عن عبد
العزيز بن صهيب علم منقول من المصغر وهو البناني الاعمى الامام الثقة
الحافظ اخرج له الستة توفي سنة خمس وثلاثين ومائة وترجمته مشهورة
عن انس بن مالك الصحابي المشهور ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لا يؤمن احدكم هو من خطاب المشافهة فيعم الموجودين وغيرهم وقيل
بالخطاب الموجودون والحكم عام لشهادة انه روي بغير خطاب في مسلم
لا يؤمن عبد وفي رواية غيره احد اي لا يؤمن ايمانا كاملا كما في رواية ابن
حبان لا يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى اكون بالنصب وهو غاية لما قبله
احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين ايثارا له صلى الله
عليه وسلم واكراما له واجلالا لا ذا حب يعني اكثر محبوبية على خلاف انفا
كاشفل من ذات المحب ولم يذكر نفسه لدخولها في الناس وقوله اليه
لا يقتضي خروجها لمغايرتها له من جهة كونه محبا فهي محبوبة والام
وسائر الاهل داخل في الناس ايضا والاخلة لادخالها في الوالد كما قيل
وسيأتي معنى محبتهم له صلى الله عليه وسلم وعن ابي هريرة نحوه رضي الله عنه
اي روي عنه حديث بمعنى الحديث المذكور وروي عن انس خادم رسول الله
صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عنه عليه الصلاة والسلام

ثلاث اي ثلاث خصال او خصال ثلاث فالوصف العدد سوغ الابتدا بالنكرة
لقولهم ضعيف عاذ بقرملة اي رجل ضعيف من كن اي الخصال فيه وجد
حلاوة الايمان خبر المبتدا او صفته ولكن بمعنى وجدن فكان تامة وحلاوة
الايمان لذته ففيه استعارة او هو مجاز مرسل الخصلة الاولى ان يكون
الله ورسوله احب اليه مما سواهما جمع الله وغيره في ضمير وقد
نهى صلى الله عليه وسلم عنه حيث قال للخطيب الذي قال ومن يعصهما فقد
غوى بئس خطيب القوم انت قل ومن يعص الله ورسوله لايهامه التسوية
بين الله وغيره ولذا قيل انه مكروه واجيب عنه بان الخطبة مقام الاطناب
لا ايجاز او انه يجوز لله ورسوله ذلك دون غيرهما فهو من خصائصه
واليه مال ابن عبد السلام وقيل انهما واقعة حال لا تخصص لاحتمال انه
كان بالمجلس من يتوهم التسوية او انه هذا كان في ابتداء الاسلام ووجود
المشركين بين اظهرهم لاسيما اذا قصد المبالغة في تعظيم رسول الله صلى
الله عليه وسلم وانه لا ينفصل بين محبته ومحبة الله تعالى بقابل لفظي وملاحظة
انه لا يمكن التسوية بين العبد وسيده وفيه كلام فصلناه في غير هذا
المحل الثانية وان يحب المرء بالنصب مفعول يحب دنا علة مميز من
لا يحبه الا لله اي يخلص في محبته من غير ملاحظة انتفاع ما وعلامته
انه لا يزيد بالبر وينقص بالجفا كما قاله ابن معاذ والثالثة ان يكره ان يعود
في الكفر كما يكره ان يقذف في النار لتمكن الايمان من قلبه ومحبته له واطمئنان
قلبه وفي رواية بعد اذ انقذه الله منه والانقاذ الاخراج وهذا ظاهر
في حق من تلبس بالكفر كالعود فانه بمعنى الرجوع اما من ولد مسلما واستمر
على الاسلام فيعلم بالمقايسة عليه بالطريق الاولى وقيل الانقاذ بمعنى
العصمة منه والعود بمعنى الصيرورة وعدي العود بفي وهو يتعدى
بالى لتضمنه معنى الاستقرار كما في قوله وما يكون لنا ان نعود فيها وعن
عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث رواه البخاري عن عبد الله بن
هشام انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لانت احب الي
خبر انت واللام في جواب قسم مقدر من كل شيء في الدنيا وغيرها الا نفسي
التي بين جنبي بتشديد اليا كما الي فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم لن يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه
ايثارا له صلى الله عليه وسلم على نفسه وغيره فقال عمر مجاله
صلى الله عليه وسلم والذي اي الله الذي انزل عليك الكتاب كاوحى
اليك القرآن لانت احب الي من نفسي التي بين جنبي فقال له النبي

صلى الله عليه وسلم الآن نطقت بالحق او ظهر اتصافك بكمال الايمان فهو متعلق بمقدر وهو مبني على الفتح والاول فيه لازمة كما اتفق عليه النحاة وهو الزمان الحاضر بأعمر صرح باسمه اشارة الى انه وصل الرتبة عليه بحضه السنة لبعض من عداه اي لا يكفيك المرتبة الاولى ولا يليق بعلو همتك الاقتصار عليها وانما اقتصر على الاول احترازا عن المبالغة لان محبة المرء لنفسه وترجيحها امر طبيعي لا يسلم منه الا من ملك نفسه وجاهدها وقال ابن حجر جوابه اولا كان بحسب ما طبع عليه ثم تأمل فعرف بالاستدلال انه احب اليه منها لانه الذي نجاه من المهالك في الدنيا والاخرة فابذلك ثانيا ولذا قال له الآن عرفت ونطقت وقيل معناه لن يؤمن احدكم ايمانا يعتد به حتى يقتضي عقله ترجيح رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما سواه وفيه سوء ادب ثم قال والحديث يومي الى ان محبة الرسول صلى الله عليه وسلم امر هيّن اعتقادا عظيمه كما زعمه المصنف ورده القرطبي ولا وجه له فان عمر لا يشك ان صلى الله عليه وسلم اعظم من نفسه ومن كل شيء ولا يلزم من اعتقاد الاعظمية المحبة كما لا يخفى والمراد بالحب هنا العقلي الاختياري الذي يقتضي العقل ايثاره وان خالفه كمحبة المريض الدواء لا الطبيعي الذي لا يدخل تحت اختياره فان الله لا يؤاخذه به لانه لا يدخل تحت استطاعته والمراد بالنفس هنا الذات ولوازمها من الحياة ونحوها وقيل المراد الروح وان ذرتوا بينهما والمراد التي بين جنبيه السر القائم به الحياة واضافته اليهما لجري العادة بسببه الحياة بسبب ما بينهما وهو القلب وما يتعلق به من سائر الاعضاء الرئيسة وليس هذا موضع الكلام على الروح انتهى وان عمر رضي الله عنه العشير بعد ما تدبره تحقيقا لخلوص طوبته بينها اليه ولذا قال له صلى الله عليه وسلم الآن لما علمه منه وقال سهل ابن عبد الله التستري من لم ير اي يعلم ويحقق يقينا ولاية الرسول عليه في جميع احواله الولاية بكسر الواو وفتحها بمعنى نفوذ حكمه وسلطانه حتى كانه مملوك له وقال ابو عبيد الولاية بالفتح النصرة وبالكسر تولي الامر وقيل الولاية والولاية واحدة وهي مصدره نحو الدلالة والدلالة وحقيقتها تولي الامر انتهى والمراد انه لا يخالفه في امر من اموره ويرى نفسه في ملكه بكسر الميم اي يملكه حتى كانه عنده صلى الله عليه وسلم لا يذوق حلاوة سنته استعارة تصريحية او مكنية وتخييلية والمراد انه اذا استلم لا يبرز سوله بطيب قلب شرح الله صدره لا لا تباعه والاقتداء به فاستلذ بالاعمال الصالحة

ابن القيم

مقام ذلك له مقام الغذاء الحلو اللذيذ وهذا مأخوذ من قوله فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم اي لا يكمل ايمانه حتى اكون احب اليه من نفسه الحديث منصوب باعني ونحوه وتقدم تمام الحديث ووجه مناسبة كلام سهل لما نحن فيه ولما علق به انه يدل على ان من جعل نفسه تابعة للرسول صلى الله عليه وسلم في اقواله وافعاله تلذذ بالاقتداء به ولا يتلذذ بذلك الا اذا احبه فان المحبة لا يخالفه محبوبه فيترك مراده فيهذا دل على الاحبية وطابقت العلة معلولها كما لا يخفى وقد تقدم قوله ان المحب لمن يحب مطيع فصل في ثواب محبته صلى الله عليه وسلم بما يرجوه من بركتها في الدنيا ومن سعادته بها في الاخرة كما قال صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب والثواب الجزاء ثم اسند حديثا في ذلك رواه البخاري فقال حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراءتي عليه تقدم بيانه والاجازة سواء عند المصنف وعند غيره القراءة اقوى وهو الظاهر قال حدثنا ابو القاسم حاتم ابن محمد تقدم ايضا والكلام على الكنى بابي القاسم مشهور قال حدثنا ابو الحسن محمد بن خلف القابسي كما تقدم قال حدثنا ابو زيد المروزي تقدم ايضا قال حدثنا محمد ابن يوسف الفربري وقد تقدم قال حدثنا محمد بن اسماعيل البخاري وقد تقدم قال حدثنا عبدان عبيد الله بن عثمان وقد تقدم قال حدثنا ابي ابوه عثمان بن جبلة بن ابي رواد العتكي الثقة اخرج له اصحاب السنن قال حدثنا شعبة تقدمت ترجمته عن عمرو بن مرة الجملي بفتحتين نسبة الجمل ابو حسن احد الاعلام الثقات اخرج له اصحاب الكتب الستة وتوفي سنة عشر ومائة عن سالم بن ابي الجعد الاشجعي الكوفي توفي سنة خمس وخمسين ومائة واخرج له الستة واسمه رافع عن انس ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم قيل ان الرجل اعرابي لا يعرف وقيل هو الاعرابي الذي بال في المسجد وقال ابن بشكوال انه ابو موسى الاشعري رضي الله عنه او ابو ذر رضي الله عنه وانه جنح بحديثين لا يجد له فيهما وقيل انه اعرابي اسمه ذو الخويصرة وقيل ان السائل عمير بن قتادة وفي معلم الذهبي انه عمر بن الخطاب وان قيل ولذلك اوردناه

ما لقضاء

ستة م

الحلبي هذا الحديث في مناقب عمر رضي الله عنه قلت التعبير
برجل من غير تعيين يأبى كونه عمر او غيره من مشاهير الصحابة الا ان يكون
الراوي نسيه والظاهر انه اعرابي فقال متى الساعة يا رسول الله سأله
عن تعيين زمانها ونوعها والساعة جزء من اربعة وعشرين جزءا من اليوم
والليلة ثم اطلق لغة على كل زمان قليل فتقول جلست عندك ساعة
اي قليلة ثم شاع في يوم القيامة وصار حقيقة فيه اما لانه قليل بالنسبة
ثم شاع لما بعده من الخلود او بالنسبة لما يقع فيه من الامور العظيمة
وهو مجاز صار حقيقة في عرف الشرع واللغة وقيل سميت
بها لقربها كانها لتحقق وقوعها تقع بعد ساعة او لانها تاتي بغتة
او لان البعث من القبور يكون في اسرع من لمحة ولا يخفى ما فيه قال
ما اعددت لها اي ما هيأت وما حضرت لها من الاعمال الصالحة التي
تنفعك فيها اذا اتت وهذا قريب من الاسلوب الحكيم لانه ترك جواب
سؤاله عما هو عدة له فيها اشارة الى انها لا يعين زمانها ونوعها لانه
مما لا يعلمه الا الله قال ما هي بانه اعددت لها من كثير بالمثلثة
وفي بعض النسخ بالموحدة التحتية وهو صحيح ايضا صلاة ولا صيام
ولا صدقة من اضافة الصفة للموصوف اي لم اعد لها ما ينفعني ولكن
احب الله ورسوله استدراك على ما ذكره من تفريطه وتركه ٥
ما ينفعه اي ليس عندي ما ينفعني فيه الا الايمان بالله ورسوله ومحبتهما
قال انت مع من احببت وفيه جواب له على اتم الوجوه وتبشير لكل من
احبه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ولذا قال في تتمة الحديث
ان من حضر من الصحابة قالوا يا رسول الله ونحن كذلك قال نعم قالوا ففرحنا
بذلك فرحا شديدا او لبس المراد بكونه معه انه مساو له في منزلته
وعلو مرتبته كما مر بل المراد انه يدخل الجنة في زمرة المؤمنين وان
كانت مراتبهم متفاوتة وقد نظم معنى الحديث الحافظ ابن حجر رحمه
الله تعالى كما تقدم فقال ٥

وقائل هل عمل صالح اعددته ٥ ينفع عند الكرب
فقلت حسبي خدمة المصطفى ٥ وحبه فالمرء مع من احب

ومن شعر الصبا قولي ٥

وحق المصطفى لي فيه حب ٥ اذا ارتضى الرجا يكون طبا
ولا ارضى سوى الفردوس دارا ٥ اذ الكون الفتى مع من احبا

وتقدم ايضا وعن صفوان بن قدامة الصحابي التميمي المرادي كما قاله

الذهبي وله ولابنه صحبة واسمه عبد الرحمن قال هاجرت الى النبي صلى
الله عليه وسلم اي سافرت ليلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعه فاتيته
فقلت يا رسول الله ناولني يدك اي امددها لي كما كانت عادته في المبالغة
ابايعك بجزم في جواب الامر والمبايعة الاقرار بما جاء به واتباعه صلى
الله عليه وسلم مفاعلة من البيع نقلت لما ذكر فناولني يده فقلت
يا رسول الله اني احبك قال المرء مع من احب تقدم تفسيره وكان قدم المدينة
مع ابنين له كما ذكره الترمذي والنسائي وروي هذا اللفظ يعني قوله
صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب عن النبي صلى الله عليه وسلم مخاطبا
به من ذكر محبته له عبد الله بن مسعود وابو موسى الاشعري وانس
رضي الله عنهم وعن ابي ذر بمعناه وهذا سبب ما تقدم من اختلافهم في تعيين
الرجل الذي ورد منها في الحديث السابق ونسبه بعضهم الى الغلط فيه
وعن علي بن ابي طالب في حديث رواه عند الترمذي ان النبي صلى
الله عليه وسلم اخذ بيد حسن وحسين ابني علي رضي الله عنهم اي
امسكها وقال وفي نسخة وقال من احبني واحب هذين اشارة
الى السبطين الحسن والحسين واباهما عليا رضي الله عنه وامهما فاطمة
الزهراء اي مال اليهما ميلا اختياريا لله ورسوله صلى الله عليه وسلم كان
معي في درجتي اي رتبتي ومنزلتي قال الراغب الدرجة تعتبره
بالصعود دون الامتداد كدرجة السطح والسلم ويعبر بها عن المنزلة
الرفيعة قال تعالى وللرجال عليهن درجة انتهى يوم القيامة ان
اريد بيوم القيامة في الحشر فالمعية على ظاهرها والمعنى انهم معه صلى
الله عليه وسلم في صعيد واحد لقربهم منه وتقدمهم على غيرهم من امته
وسائر الامم وان اريد به الاخرة الشاملة للجنة فالمعية والدرجة عبارة
عن زيادة القرب لا المعية الحقيقية وروى رواه الطبراني وابن مردويه
عن عائشة وابن عباس رضي الله عنهم ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم
قال البغوي في تفسيره انه ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل هو صاحب الاذان اي قيل هو عبد الله بن زيد بن ثعلبة
بن عبد ربه الانصاري الحارثي فقال لانت اللام جواب قسم مقدر
احب الي من اهلي ومالي واني لاذكرك اي اتذكرك في ذهني واتصورك
اذا ذكر اسمك وصفاتك فهو من الذكر بالكسر والضم فما اصبر عنك
اي عن رؤيتك لشدة محبتي لك حتى انظر اليك فتطمئن قلبي وتقر
عيني برؤيتك واني ذكرت موتي وموتك اي انا سموت وتنقل من هذه

الدار الدار اخرى فعرفت وتحققت انك اذا دخلت الجنة بعد الموت
رفعت الى الدرجات العلى مع النبيين صلوات الله عليهم اجمعين
وان دخلتها انا بعم الناد عبر في جانب النبي باذالتحقق دخوله صلى الله عليه
وسلم الجنة ورفعته فيها وفي جانبه هو بانه لعدم جزمه في نفسه بذلك
لا اراك بعد الدخول لانك في مقام اعلى لا يصل اليه غيرك فانزل الله
تعالى ومن يطع الله والرسول صلى الله عليه وسلم في امتثال امره ونهيه
فيلزمه محبته له ايضا فلم تذكر لتحققها لذكر الرجل لها وعلمه
صلى الله عليه وسلم بخلوصه فيها فاولئك مع الذين انعم الله عليهم
بنعيم الجنة وعلى غرابتها تبشير له بمرافقة اكرم خلق الله واتمهم وارفعهم
منزلة من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بيان للمنعم
عليهم بما اخفي لهم من قرة الاعين وحسن اولئك رفيقا اي ما احسنهم
رفيقا تمييز ولم يجمع لوقوعه على الواحد وغيره او لارادة كل واحد
منهم ولم يجمع لوقوعه على الواحد وغيره او لارادة كل واحد منهم
فدعا به صلى الله عليه وسلم اي طلب حضور ذلك الرجل فقراها
اي هذه الاية عليه جوابا له وتبشيرا وفي تفسير القرطبي انه لما
قراها صلى الله عليه وسلم عليه دعا الله ان يعميه حتى لا يرى احدا غيره
في الدنيا فعمي وقسمهم كما قال البيضاوي اربعة اقسام باعتبار منازلهم
في العلم والعمل وهم الانبيا الفايزون بكمال العلم والعمل المتجاوزين
حد الكمال الى درجة التكميل ثم صديقون صعدت نفوسهم تارة الى
مراقي النظر في الحجج والايات واخرى الى معارج القدس بالرياضة والتصفية
حتى اطلعوا على ما لم يطلع عليه غيرهم ثم شهدا بذلوا انفسهم في اعلا
كلمة الله واظهار الحق ثم صالحوا صرفوا اعمارهم في طاعته واموالهم
في مرضاته والمراد بالمعية ما تقدم وفي حديث اخرلم نعرف قائله كان رجل
هو ثوبان ومن تقدم ذكره قريبا عند النبي صلى الله عليه وسلم
اي ملازما لمجلسه ينظر اليه اي يديم النظر الى وجهه الكريم
لا يطرف بفتح اليا وسكون الطا وكسر الرا المهملتين وفاء اي لا يطبق
احد جفنيه على الاخر ويغض بصره او يصرفه عنه من طرفة العين
من طرف نظره كضرب بصره وما طرف البصر اي تحرك وظاهره
قول بعضهم اي لا يغض بصره مطرقا رامبا ببصره الى الارض انه من
الاطراق بضم اوله وقاف وهو صحيح ايضا لكني لا اعرف هل هو رواية
او تخرج عليه ادتنا صح في تفسيره فقال له صلى الله عليه وسلم

ما بالك

٢٢٢

ما بالك اي ما شانك حتى تحد النظر وتديمه كالمبهوت قال اند يك
بابي وامي جريا على عادتهم فيمن يحبونه ويجلونه اتمتع بالنظر اليك اي
اتلذذ بادامة نظري في وجهك ما دام ممكنا في الدنيا لا انتفع به واتزود
منه فاذا كان يوم القيامة وبعدها رفعك الله اي للمنازل العالية في جواره
بتفضيله لك اي بسبب تفضيل الله لك على ساير خلقه فانزل الله الاية
المذكورة يعني قوله ومن يطع الله والرسول الخ وفي حديث انس
رضي الله عنه الذي رواه الاصبهاني في ترغيبه وسياتي اخراج المصنف
له بطوله في فصل علامة محبته ومن احبني كان معي في الجنة اي قريبا
مني متمكنا من رويتي بادنى ولعل المراد المعية المخصوصة كما تقدم
فصل فيما روي عن السلف من العلما والصلحا والايمة
وفي نسخة بعكسه الايمة والسلف وهو من عطف الخاص على العام وقد
يفسر انه بما يقتضي المغايرة فيفسر بعضهم السلف بالصحابة والتابعين
والايمة اتباع التابعين ومن بعدهم من محبتهم للنبي صلى الله عليه
وسلم والمحبة الميل الروحاني طبعيا كان او مكتسبا اختياريا والمحبة
تكون في الحضور والغيبة والشوق انجذاب النفس في الغيبة فهو
اخص من المحبة وقال القيصري رحمه الله في شرح قول
ابن الفارض قدس الله سره
وما بين شوق واشتياق فنيت في ۝ تولي بخطر او تجل بحضرة ۝
الشوق انجذاب باطن المحب الى محبوبه حال الفراق والاشتياق انجذابه
حال الوصال لنيل زيادة او دوامها انتهى والفرق المذكور اما من اللغوي
او هو اصطلاح للقوم حدثنا القاضي الشهيد ابن سكرة وقد تقدم
قال حدثنا العذري نسبة لبني عذرة وقد تقدم قال
حدثنا الجلودي تقدم بيانه وبيان نسبته قال حدثنا ابن سفيان
هو ابراهيم بن محمد بن سفيان كما تقدم قال حدثنا قتيبة بن سعيد
واختلف في اسمه فقيل يحيى وقيل علي وقيل يسار قال
حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن القاري نزيل الاسكندرية الثقة اخرج
له الثقة اخرج له الستة وتوفي سنة احدى وثمانين ومائة عن سهيل
تقدم بيانه عن ابيه هو صالح السمان المعروف بذكوان عن ابي هريرة
رضي الله عنه في حديث صحيح رواه مسلم ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال من اشد امتي لي حبا منصوب على التمييز ولم يقل
احبتي مع انه اخصر لان هذا ابلغ وانه اوفق السماع والقياس لدلالة

صريحا في المراد لكونه بالصيغة والمادة كقوله تعالى اشد قوة دون اقوى
واتى بمن التبعيضية لانهم مثل من كان في عصره وهو احب اليه من نفسه
واهله ومن لم يرهم هذا مع ظهوره قال الحنفي تتفاوت شدة وضعفا
ويبقى مفهوما قوله لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه
ولا شيء فوقه الا انه يقال انهم من جملة من بلغ هذا المبلغ في محبته انتهى
والتفضيل يختلف جهاته فلشدة محبة من لم يره الداخلة في الايمان
تفضل غيرها بهذا الاعتبار ولذا قال ناس يكونون بعدي يبين
اشد بيته بهنا وبقوله يود احدهم اي يحب ويتمنى في انه لو رآني
ببصره وشاهدني ولو للتمني باهله وماله الباء هنا البدلية والمقابلة
كبعته بكذا اي يتمنى لو بذل اهله وماله لاجل رؤيته وفي لو في شانه
اقوال فقيل انها شرطية محذوفة الجواب ومفعوله يود مقدر
اي يتمنى رؤيتي ويودها ببذل كل ما يعز عليه والتقدير لو رآني بمقابلة
كل شيء له لفعل وقيل انها مصدرية وهي مع ما بعدها مفعول يوده
وقيل انها حرف تمن كما بينه النحاة وشاهد اي بمعناه وقريب منه
لفظا عن ابي ذر الغفاري الصحابي المشهور وقد تقدم حديث عمر وقوله
للنبي صلى الله عليه وسلم لانت احب الي من نفسي وتقدم تفصيله
في الفصل الذي قبل هذا او ما تقدم عن الصحابة كثوبان وصفوان
وغيرهما في مثله من كونه احب اليهم من انفسهم وعن عمرو بن
العاص عدى اليا وانابتها رتبها ما كان احد احب الي من نفسي رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهذا في حديث صحيح طويل رواه مسلم
فيه انه بكى عند موته وقال بعدما ذكر ما بغضه لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وطلبه منه ان يدعو له بمغفرة ما صدر منه ولانه كان ابغض
الناس اليه وانه حرصهم على قتله وبعدما بايعه واسلم قال فما كان احد
احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اجل في عيني منه
وما كنت اطيق ان املأ عيني منه اجلالا له حتى لو قيل لي صفه
ما استطعت ان اصفه الخ وعن عبدة بنت خالد بن معدان بفتح
الميم وسكون العين وفتح الدال المهملتين والف ونون تقدم الكلام
عليه واما ابنته عبدة بفتح العين المهملة وسكون الموحدة ودال
مهملة قال البرهان الحلبي لا اعرفها وفي الصحابة عبدة بنت صفوان
ذكرها الحاكم قالت ما كان خالد يعني اباها يأوي الى فراش
اي اذا اراد النوم ليلا وخصه هذا الوقت لان المرء فيه يتذكر من يهواه

غالبا كما قال الشاعر
نهاري نهار الناس حتى اذا انثنى ⁂ لي الليل هزتني اليك المضاجع
الا وهو يذكر من شوقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتاقا
من اعم الاحوال اي لم يكن له غير هذه الحال والى اصحابه المهاجرين لرسول
الله صلى الله عليه وسلم اذ خالد من المهاجرين والانصار وخالد هذا هو
الكلاعي الحمصي لقي سبعين رجلا من الصحابة يسميهم اي يعدهم باسمائهم
ويقول هم اصلي وفصلي يعني اني افتخر بهم وانتسب اليهم دون ابائي وقبلي
كذا انتسل من غير نقل وهو اتباع وفي المحكم ما له اصل وفضل اي حسب
ولسان وكذا في الصحاح وعن ثعلب قولهم لا اصل له ولا فصل
الاصل الوالد والفصل الولد هذا ما ذكره اهل اللغة والظاهر ان المراد
ان عليهم عمدتي وهم افضل واحكم فليحرر واليهم لا الى غيرهم يحن قلبي
اي يشتاق بتذكر عهودهم من الحنين طال شوقي اليهم لبعد عهدي بهم
ولطول مفارقتي بموتهم فعجل يا رب قبضي اليك اي عجل موتي الحاقا ولا حتى
يزال يردده ولكن حتى يغلبه النوم اي حتى ينام ويستغرق في نومه نيترك
قوله هذا وتمني الموت وان كان مكروها فانه يجوز اذا خاف فتنة في دينه
فلعل خالدا كان كذلك وسيأتي لهذا مزيد بيان عن الحكيم الترمذي ه
وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه وفي نسخة وروي انه قال
للنبي صلى الله عليه وسلم كما رواه ابن عساكر في تاريخه عن ابن عمر رضي الله
عنهما والذي بعثك بالحق اي بالدين الحق وهو قسم لاسلام ابي طالب
جواب القسم يعني عمه صلى الله عليه وسلم كان اي اسلامه اقر لعيني
اي احب واسر عندي وهو قرة عيني من القر وهو البرد لان دمع السرور
بارد ودمع الحزن حار من القرار والثبات لان العين اذا رأت ما تحبها
سكنت ولم تلتفت لغيره من اسلامه يعني اباه ابا قحافة رضي الله
عنه وابو قحافة هو ابو الصديق وهو عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب
بن سعد بن تيم اسلم يوم الفتح وحسن اسلامه وبقي بعد اسلامه
ابنه حتى توفي سنة اربع عشرة وليس في الصحابة من اسمه قحافة
غيره وغير ابي قحافة المزني كما ذكره الذهبي وسقط من بعض النسخ
هنا لفظ اباه وذلك المذكور من كون اسلام ابي طالب اقر لعينه
من اسلام ابيه ان اسلام ابي طالب كان اقر لعينك اي احب
اليك من كثير من الامور فانه كان يحبه حبا شديدا وكان بمنزلة والده
اذ كان في كفالته وكان صلى الله عليه وسلم يتمنى ان يهديه الله للاسلام

فاته كما نراه هذا الحديث رواه احمد وابن اسحاق وابو حاتم وليس قول
المصنف وروي كما في بعض النسخ تمريض له كما توهم حتى يعترض عليه
بانه صحيح تعددت طرقه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح
دخل المسجد فاتاه ابو بكر رضي الله عنه بابيه يقوده وكان قد عمي فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم هلا تركت الشيخ في بيته حتى
اكون انا اتيه فقال ابو بكر يا رسول الله هو احق ان يمشي اليك
فاجلسه صلى الله عليه وسلم بين يديه ثم مسح صدره وقال
له اسلم وراسه كالثغامة بياضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
غيروا هذا يعني اخضبوه ولما سر باسلامه رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ابو بكر والذي بعثك بالحق الخ وفيه من محبته
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى حيث قدم ما يسره على
ما يسره تقديما على نفسه واعلم ان ابا طالب كانت محبته
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفته بانه رسول الله وتصديقه
في قلبه محققة لكن الله لم يهده للاسلام وفيه حكمة
عظيمة وهو انه صلى الله عليه وسلم كان في جواره وحماه بنسبه
ظاهرا حتى ما كان احد يجترئ عليه فلو اسلم لم يقبلوا جواره
اذ لا جوار للمسلمين عندهم فختم الله على لسانه لذلك ولذا لما
مات لزمت الهجرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم واهل بيته
وهذا مما تفطن له العلما كابن القيم في الهدي النبوي وصاحبه
الامتاع ونحوه اي في معنى ما رواه البيهقي والبزار عن ابن عمر عن
عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال للعباس عم رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان تسلم بكسر همزة ان الشرطية ان كان قاله
له قبل اسلامه وبفتحها على انها مصدرية ان كان بعده والصحيح
الثاني لما ياتي احب الي من اسلام الخطاب اباه لان ذلك اي
اسلام العباس احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقدم ما يحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما يحبه نفسه
وكان تولية ذلك له في فتح مكة لما اشرف النبي صلى الله عليه وسلم
على مكة ركب العباس بغلته صلى الله عليه وسلم واركب
ابا سفيان بن حرب خلفه وهو كافر وركضها فراه عمر فقال
ابو سفيان عدو الله الحمد لله الذي امكنني منك فاشتد حوله
حتى دخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر خلفه فقال

دعني

دعني اضرب عنقه فقال العباس اني اجرته يا رسول الله فلما اكثر عمر
في شانه قال مهلا يا ابن الخطاب لو كان من رجال بني عدي ما قلت
مثل هذا فقال مهلا يا عباس لاسلامك احب الي من اسلام الخطاب
لو اسلم الخ وعن ابن اسحاق صاحب السيرة وتقدمت ترجمته وقد
رواه ايضا البيهقي عن اسماعيل ابن محمد ابن سعد ابن ابي وقاص مرسلا
ان امراة من الانصار هي من بني دينار ولم يسمها قتل ابوها واخوها
وزوجها شهيدا يوم احد اسم جبل كانت عنده الغزاة المشهورة
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما فعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليس المراد السوال عن فعله حقيقة وانما المراد
السوال عن سلامته وحياته وعبرت بذلك تادبا لان الفعل يستلزم
الحياة فلا بد لا زمه قالوا خيرا اي فعل خيرا المراد انه بخير ولذا قالوا
بعده هو بحمد الله كما تحبين اي سالم منصور مظفر قالت
ارينيه حتى انظر اليه اي دلني عليه حتى اراه واتلذذ بمشاهدته وفي نسخة
اروبيه فلما راته بعدما دلها عليه قالت كل مصيبة بفقد
المال والاهل بعدك اي بعد سلامتك ورويتك جلل بفتح الجيم واللام
ثم لام اخرى بمعنى هين لا ابالي به ولا احزن عليه ويكون جلل بمعنى
عظيم ايضا لانه من الاضداد والمراد الاول وشاهد الاول قول امرئ القيس
بقتل بني اسد ربهم • الا كل شيء خلاه جلل
والثاني قوله
فلئن عفوت لاعفون جللا • ولئن سطوت لاوهنن عظمي
وهو دليل على قوة ايمانها وتقديمها محبة رسول الله صلى الله عليه
وسلم على محبة غيره من الاهل وسئل علي ابن ابي طالب
كرم الله وجهه ولم يذكروا من رواه عنه كيف كان حبكم لرسول الله
صلى الله عليه وسلم اي مقداره في شدته قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اي ما مقداره في شدته قال كان والله احب
الينا من اموالنا واولادنا وابائنا وامهاتنا بضم الهمزة وكسرها
مع فتح الميم وكسرها جمع امهة بمعنى ام لغة فيه الا انه يختص ببني ادم
كالامهات وفي البهائم امات ومن الماء البارد
على الظما بمعنى شدة العطش ويمد ويقصر والافصح قصره واعاد
الجار لانه نوع اخر مما يحب ولشدة منفعته وخص الظما لانه
حال محبة الماء وشدة الرغبة فيه وعن زيد بن اسلم الفقيه

العمري توفي سنة ست وثلاثين ومائة اخرج له اصحاب الكتب الستة
وله ترجمة في الميزان قال خرج عمر رضي الله عنه من بيته لارقة
المدينة ليلة يحرس الناس على عادته في خلافته اذ كان يدور في الازقة
ويتعسس ليعرف حال الناس فراى مصباحا توقد في بيت فقصده ليرى
ما في البيت الذي هو فيه فراى عجوزا اي امراة مسنة ويقال
عجوزة ايضا تنفش صوفا بضم الفاء وشين معجمة ونفش الصوف
والقطن لاصلاحه معلوم وهي تقول اي تنشد شعرا من بحر السريع
على محمد صلاة الابرار يعني الصلاة مشهورة وعلى متعلق بصلاة او
بمقدر ويجوز تقديم الظرف على المصدر لتوسعهم فيه والابرار جمع
بر او بار وهو مطيع لربه متعلق اي ادعو له بما يدعو به الابرار صلى
صلى الله عليه الطيبون الاخيار المراد بالطيبين المتقون الذين طابت
ظواهرهم وسرائرهم والاخيار جمع خير مخففة او جمع خير بمعنى اخير وانتقى
قد كنت قواما بكايا بالاسحار قواما اي مجتهدا لان القيام يختص بصلاة
الليل اي كثير القيام للعبادة وبكايا بضم الباء والقصر مصدر بمعنى اسم الفاعل
اطلق عليه للمبالغة وهو يمد ويقصر والاسحار جمع سحر وهو اخر
اخر الليل والبا بمعنى في هذا هو الصواب رواية ودراية وما قيل
من ان بكا بتشديد الكاف والكلام سجع لا نظم لانكسار الوزن وكذا ما
قيل من ان بكا ممدود مضاف للاسحار بدون الباء والاضافة على
معنى في تكلف وتعسف يا ليت شعري والمنايا اطوار شعري بمعنى علمي
وهو اسم ليت وخبره محذوف اي حاصل وقوله هل تجمعني
وحبيبي الدار قائم مقام معمول شعري علق عنه والمناجع منية
وهي الموت من منى بمعنى قدر وتقدير والاطوار جمع طور وهو الحال
اي امور شتى مختلفة ومرادها بالحبيب كما قاله المصنف النبي صلى الله
عليه وسلم والظاهر ان مرادها بالدار الاخرة اي هل تراه صلى الله
عليه وسلم بعد الموت فانه مفترق وله اسباب مختلفة
كما قيل

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره ٭ تعددت الاسباب والداء واحد ٭

وقيل المعنى هل تجمعنا الدار او يحول بيني وبينه الموت
فالمراد بالدار الدنيا وليس بمناسب هنا وهذه القصة حكاها ابن
المبارك في كتاب الزهد وفيها فجاء عمر رضي الله عنه يبكي وطرق
عليها الباب فقالت من هذا فقال عمر بن الخطاب فقالت ما لي ولعمر

في

في هذه الساعة فقال افتحي رحمك الله فلا باس عليك ففتحت له فدخل عليها
وقال ردي الكلمات التي قلتيها انفا فردتها فقال ادخليني معكما وقولي
وعمر فاغفر له يا غفار تعني تقصد بقولها حبيبي النبي صلى الله عليه
وسلم وفيه مناسبة لما نحن فيه فجلس عمر رضي الله عنه يبكي وفي الحكاية
التي نقلها ابن المبارك طول اختصرناها على المراد منها وروي ان ابن عمر
رضي الله عنهما رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة خدرت رجله بفتح
الخاء المعجمة وكسر الدال وفتح الراء المهملتين اي اصابها خدر وهو امر يعتري
الرجل لما يصيبه العصب فيمنع عن حركتها بسهولة ويزول سريعا لانه لو
اشتد كان فلجا او مقعدا ومانه فقيل له اذكر احب الناس اليك لان الناس جربوا
في الخدران من اصابه اذا ذكر محبوبه زال بسهولة لانه بمسرته تنتعش الحرارة
الغريزية فتدفع الخدر فصاح يا محمداه يعنيه صلى الله عليه وسلم لانه احب
الناس اليه والى كل مؤمن كما مر ويا محمداه مفعول صاح لتضمنه معنى القول او
القول مقدر بعده كما هو مشهور في امثاله عند النحاة ومن قال انه لم يعطف
على جملة صاح لكمال الاتصال بينهما فهو كابو حفص عمر عطفه بيانا لم يصب المحز
فانتشرت رجله اي امتدت لزوال الخدر بها وهذا اقتضى صحة ما جربوه
وقد روي انه وقع مثله لابن العباس رضي الله عنهما وذكره النووي في اذكاره
وروي ايضا عن غيرهما وفيه يقول ابو العتاهية ٭

وتخدر في بعض الاحايين رجله ٭ فان لم يقل يا عتب لم يذهب الخدر ٭

وهذا انما تعاهده اهل المدينة وقوله يا محمداه بالف وها للندبة في النداء
لمن يتوجع او يتفجع كما قرره النحاة ولما احتضر بلال رضي الله عنه بالبناء
للمجهول اي حضرته الملائكة لقبض روحه نادته امراته اي صاحت
باعلا صوتها واحرباه بفتح الحاء والراء المهملتين وبالموحدة وهو في الاصل
النهب والسلب من حربته اذا سلبت ماله وما يعيش به فقيل كأنها
لتفجعها المرثة نهبت وسلبت وفي القاموس قيل ان اصله ان حرب
ابن امية لما مات قيل في ندبه واحرباه ثم نقل ذلك يعني عم في كل
تفجع وحرب كغارة ووا حرف ندبة والمندوب اما متفجع عليه او امر
يتفجع منه نحو واحسرتا وقيل انه روي وحزناه بفتح الحاء المهملة
والزاي المعجمة او بضم اوله وسكون ثانيه وروي ايضا حوباه بفتح الحاء ودار
ساكنة تليها موحدة في الحوب وهو في الاثم والمراد انها لشدة جزعها وتلهفها
في المصيبة فهي تتفجع على نفسها او هو من الحوبة بمعنى رقة القلب وهو
تكلف والرواية الاولى ما تقدم فقال بلال رضي الله عنه رد المانا قالته

واطرباه الطرب خفة تعتري المرء لحزن او سرور فهو مشترك بينهما والمراد هنا الثاني و واها للندا والالف والهاء مزيدة في اخره كانه لسرعة طربه ويدعوه في سكرات الموت لما يتيقنه من الثواب وملاقاة الاحباب لعلمه بان الارواح تتلاقى في البرزخ كما اشار اليه بقوله غدا نلقى الاحبة محمدا وصحبه محمدا وحزبه بيان للمراد بالاحبة والحزب الجماعة المتحزبون اي المجتمعون والمراد بهم الصحابة رضي الله عنهم والمراد بقوله غدا الزمان المستقبل بعد الموت وروي نلقى الاحبة محمدا وصحبه وهذا بيت من بحر وجز الوافر وفيه زحف يعلمه من له خبرة بعلم العروض ذكره العشقوي رحمه الله ومثله روي عن حذيفة ابن اليمان رضي الله عنهما وروي ان امراة قالت لعايشة رضي الله عنها اكشفي لي عن قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لها لانها كان في بيتها وكان مستورا عن الناس تكريما له صلى الله عليه وسلم فكشفته لها برفع الستارة عنه فبكت حتى ماتت لشدة محبتها للنبي صلى الله عليه وسلم وهذا لم يخرجوه وروى البيهقي عن عروة انه لما اخرج اهل مكة زيد بن الدثنة بفتح الدال المهملة وكسر المثلثة وتشديد النون وهاتا نيثه اسم والدة من قولهم دثن الطاير اذا طار حول وكره ولم يسقط عليه او من دثن اذا اتخذ عشا وهو زيد بن الدثنة ابن معاوية بن عبيد بن معاوية بن عامر بن بياضة الخزرجي الصحابي وكان اسر يوم الرجيع من الحرم ليقتلوه فقيل صبرا وانما اخرجوه لانهم كانوا لا يقتلون فيه تعظيما له وكان قتله في السنة الثالثة من الهجرة قال له قبل قتله ابو سفيان بن حرب والد معاوية قبل اسلامه وقيل ان الذي قيل له ذلك خبيب بن عدي حين رفع على خشبة فقال لا والله فضحكوا منه كما نقله ابن سيد الناس في سيرته عن ابن عقبة وما ذكره المصنف رواية ابن اسحاق انشدك الله يا زيد والنشدة بفتح الهمزة وضمها يقال نشدتك وانشدتك اذا سالتك وفي القاموس نشد فلانا عرفه وبالله استحلفه وقال له نشدتك الله اي سالتك بالله وانشدك الله بالفتح انشدك الله وقد نا شده مناشدة ونشادا حلفه والله منصوب بنزع الخافض اي اسالك بالله وفي النهاية انه متعد لمفعولين وقال الاولى الصواب نشدتك الله يليه يا زيد اتحب ان محمدا الان عندنا مكانك نضرب عنقه فنقتله الله من ذلك وانك بفتح الهمزة سالما مقيما في اهلك فقال زيد رضي

الله

الله عنه والله ما احب واحب ان محمدا في مكانه الذي هو فيه مقيم تصيبه شوكة اي اقل شيء من الاذى فضلا عما قلتم وانا جالس في اهلي سالم من الاذى وهو منه ذ فقال ابو سفيان ما رايت احدا من الناس ابدا

ما انا فيه لا تعجيبة كما توهم وان كان مراده بهذا الكلام التعجب من شدة محبة اصحاب محمد له يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا مفعول حب المصدر وهذه القصة مفصلة في السير لا نطيل بذكرها هنا وعن ابن عباس رضي الله عنهما فيما رواه ابن جرير والبزار كانت المراة اذا اتت صلى الله عليه وسلم مهاجرة الى المدينة احلفها بالله وفي نسخة حلفها بالتشديد وهما بمعنى اي كلفها القسم بالله انها ما خرجت من ارضها وبلدها من بغض زوج لها نا شزة منه ولا رغبة اي في ارض عن ارض خرجت منها وانها ما خرجت من ارضها التي الا حبا لله ورسوله في هجرة خالصة لله وفيه وجوب محبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وهو الذي قصده المصنف هنا وكان لما وقعت الهدنة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركين وشرطوا عليه صلى الله عليه وسلم ان يرد عليهم كل من اتاه من اهل مكة ولو كان مسلما فرد ابا جندل رضي الله عنه ولم يرد النسا اما لعدم دخولهن في العهد او لان الله نسخه صونا للفروج ولضعفهن فكان صلى الله عليه وسلم لا يرد من ظهر اسلامها وامره الله بامتحانهن باستحلافهن بما ذكرنا فاذا حلفن اعطى مهرهن ونفقتهن باستحلافهن بما ذكر فاذا حلفن اعطى مهرهن ونفقتهن وهو المراد بقوله تعالى فان علمتموهن مومنات فلا ترجعوهن الى الكفار الاية وبما ذكرنا سقط ما قيل في نظم هذا الفصل نوع نظر ووقف ابن عمر رضي الله عنه كما رواه ابن سعد على عبد الله ابن الزبير بعد قتله رضي الله عنه حين قتله الحجاج وصلبه على جذع وقد حاصره ثم قتله سنة ثلاث وسبعين يوم الثلاثا سابع عشر جمادى الاولى او الاخرة كما فصل في التواريخ فاستغفر له اي دعا له ابن عمر بالمغفرة وقال ابن عمر مخاطبا له بعد موته كنت والله فيما علمت اي فيما ثبت وتحقق في علمي بك صواما اي مبالغا في الصوم وكثرته قواما اي كثير القيام والتهجد كما مر نقله انه كان رضي الله عنه يقسم لياليه ثلاثة اقسام ليلة يصلي قائما الى الصباح وليلة راكعا الى الصباح وليلة ساجدا الى الصباح تحب الله ورسوله اي مخلصا في محبتهما مؤثرا لهما على كل شيء حتى على نفسه وما هذه اما عبادته رضي الله عنه وتوجهه الى الله فيها فيما نقل عنه امور عجيبة فكان اذا توجه انتصب كانه جذع لا يحس بشي فنقل عنه امور عجيبة فكان اذا اتو ولا يتحرك حتى يقع

عليه الطير وترمى بحجر من المنجنيق وهو يصلي في ايام محاصرته فلم يقطع صلاته وقد جذبه مغناطيس المحبة فدنى فرببا منه صلى الله عليه وسلم فانهم لما انزلوه عن جذع الذي صلب عليه غسلته امه اسما بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما بعد ان قطعت مفاصله وحنطته وكفنته وصلت عليه وحملته الى المدينة ودفنته في دار صفية ام المومنين رضي الله عنها وهذه الدار زيدت في المسجد النبوي على صاحبه افضل الصلاة والسلام

فصـــل في علامة محبته عليه الصلاة والسلام اي في ذكر صفات تدل على ان من اتصف بها محب له صلى الله عليه وسلم

اعـــلم امر لكل من يتوجه اليه الخطاب من غير تعيين سد مسد مفعوليه قوله ان من احب شيا اثره اي اختاره وقدمه على غيره وهو بفتح الهمزة والمد كقوله وانزموا فقته في اقواله وافعاله ولا اي وان لم يوثره ويوثر موافقته وامتثل واولا بان الشوطية ولا النافية لم يكن صادقا في دعوى المحبة كما قال وكان مدعيا اي كاذبا في دعواه لان المدعي وان عم عند الاطلاق ولذا انقال مسيلمة مدعي النبوة لكن لا يقال مثله في حق النبي صلى الله عليه وسلم كما قال

وكل يدعي وصلا لليلى ... وليلى لا تقول بذاكا

وقال

ولما ادعيت الحب قالت كذبتني ... فمالي ارى الاعضا منك كواسيا

فما الحب حتى يلصق القلب بالحشا ... وتذهل حتى لا تجيب المناديا

فالصادق في حب النبي صلى الله عليه وسلم من يظهر عليه علامات ذلك الحب الذي ادعاه بحيث لا يخفى واولها اي اول تلك العلامات الاقتدابه صلى الله عليه وسلم باتباع اقواله وافعاله واثاره واستعمال سنته اي العمل بها واتباع اقواله وافعاله اي العمل بها وامتثال اوامره واجتناب نواهيه بان يفعل ما امر به ويترك ما نهى عنه بعد استطاعته قال ابن هشام في تذكرته ومن خطه نقلت

قال الاصوليون الامر بمعنى القول المخصوص يجمع على اوامر وبمعنى الفعل او الشان على امور ولا يعلم من وافقهم الا الجوهري وفي التهذيب خلافه ولم يذكر النحاة ان فعلا يجمع على فواعل وفي شرح البرهان قوله الجوهري غير معروف وصحح بوجوه الاول انه جمع امر لا فواعيم ا وصفه لما لا يعقل وهو مجاز لان الامر الشخصي لا القول ولم يقولوا انه مجاز

وصرحوا

وصرحوا بانه جمع امر فكيف يخرج عليه كلامهم الثاني انه جمع امره وهي الصيغة وفيه ما مر وقال ابن سيدة امره مصدر كالعافية وعليه جرت هذه الصيغة ورد بانه لا يتاتي لان معناها ايجاد الطلب لا الصيغة الثالث انه جمع الجمع على افعل وجمع افعل على افاعل ورد بان اوامر فواعل والابدال فيه مطرد وقال الاصفهاني في شرح المحصول هذا التوجيه لا يتم في النواهي وكونه جمع ناهيه مجاز المخلف وكونه لمشاكلة الاوامر يرده استعماله مفردا انتهى وادابا وجه با دابه الادب حسن تناول الامور والتلطف فيها والمراد التخلق باخلاقه صلى الله عليه وسلم في الكرم وحسن الشيم والادب غلب في العرف على هذا المعنى في عسره ويسره بمعنى انهما وكنى بحفهما في الشدة والرخا والضمير للنبي صلى الله عليه وسلم او لصاحب الحالة المصدرية ومنشطه اي في نشاطه وخفته ومكرهه اي كراهته لامر يتحامله من غيره وهما مفتوحة وشاهد هذا المذكور كله اي ما يشهد له ويدل عليه حتى كانه يشهد به واثبته قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله جعل محبته الله لازمة لاتباع رسوله صلى الله عليه وسلم ومن احبه الله احبه رسوله فكانه قال ان كنتم تحبوني فاتبعوني ولهذا ظهر منطا بعد هذه الاية لما عقد له الفصل وايثار ما شرعه في احكامه الواجبة وغيرها وحض عليه اي حث الناس على فعله وحرصهم عليه على هوى نفسه اي ما تهواه وتميل اليه وموافقة شهوته اي ما تشتهيه نفسه وتميل اليه طبعه لان الاشتها ميل طبيعي غير مقدور ولذا يعاقب المكلف بارادة المعاصي عند بعضهم ولا يعاقب باشتهائها والشهوة مغايرة الارادة لان الشهوة توقان النفس الى الامور المستلذة والارادة قد تتعلق بنفسها بخلاف الشهوة فانها لا تتعلق بنفسها بل بالذات فان تعلقت بنفسها كانت مجازا عن المجازاة كما في قولها اشتهي اذا اشتهي قال الله تعالى والذين تبوؤا الدار اي سكنوها واستقروا بها وهم الانصار وعطفه على الدار على حد والمراد بالدار المدينة والايمان اي واخلصوا الايمان وعطفه على الدار على حد قوله وزججن الحواجب والعيونا او جعل الايمان لملازمتهم له كالمنزل المستقرين فيه ساكنه وتحقيقه في الكشاف وشروحه من قبلهم يحبون من هاجر اليهم من المومنين ولا يجدون في صدورهم اي في قلوبهم وانفسهم وما وقع في بعض النسخ في انفسهم سهو من الكاتب

حاجة مما اوتوا اي لا يخطر ببالهم وتطمح انفسهم الى ما اعطي المهاجرون
من فيء وغيره حسدا او طمعا ويؤثرون على انفسهم اي يقدمون المهاجرين
على انفسهم تكرما منهم ولو كان بهم اي فيهم خصاصة احتياج وفاقة
لما اثروهم به وسبب نزول هذه الاية انه صلى الله عليه وسلم قسم بين
الصحابة غنائم بني النضير ولم يعط الانصار منها الا ثلاثة من فقرائهم وقال
لهم ان شئتم اشركتكم معهم وقسمتم لهم من دياركم واموالكم وان شئتم
كانت لكم اموالكم ودياركم ولا ناخذ منه شيئا فقالوا بل نؤثرهم
بالفيء ونقسم لهم من ديارنا واموالنا فلله درهم ما اكرمهم واعونهم على
البر والتقوى وهذا كله محبة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم
وكان المهاجرون قبل ذلك نزلوا دور الانصار فلما فتح الله عليهم فعل
ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم واسخاط الفجار اي اغضابهم
عليهم بمخالفتهم في رضى الله اي فيما يرضيه وهذا وما قبله معطوف على
الاقتداء وهذا كما قال الحريري

وابغ رضى الله فاغبى الورى من اغضب المولى وارضى العبيد

حدثنا القاضي ابو علي الحافظ هو ابن سكرة وقد تقدمت ترجمته
قال حدثنا ابو الحسين الصيرفي تقدم ايضا وفي نسخة الحسين وهو
سهو وابو الفضل بن خيرون تقدم ايضا وفي نسخة الحسين وهو سهو
وابو الفضل قال حدثنا ابو يعلى البغدادي الذي يقال له زوج الحرة
كما تقدم قال حدثنا ابو علي السنجي تقدم ايضا قال حدثنا محمد بن محبوب
تقدم ايضا قال حدثنا ابو عيسى هو الامام الترمذي صاحب السنن
وهو محمد بن عيسى بن سورة كما تقدم حدثنا مسلم الانصاري امام
جامع البصرة حدثنا محمد بن عبد الله الانصاري هو محمد بن عبد
الله بن المثنى الانصاري قاضي البصرة الامام الثقة توفي في رجب
سنة خمسة عشر ومائتين وله ترجمة في الميزان عن علي بن زيد بن عبد الله
ابن ابي مليكة زهير بن عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب الضرير احد الحفاظ
وان قيل فيه لين وليس بثبت واخرج له الاربعة وله ترجمة في الميزان
توفي سنة احدى ثلاثين او تسعة وعشرين ومائة عن سعيد بن
المسيب تقدم ايضا قال قال انس بن مالك الصحابي المشهور قال
قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني مصغر بتشديد اليا
ويجوز كسرها وفتحها والتصغير للشفقة والمحبة وكان خادمه صلى
الله عليه وسلم وفيه دلالة على انه صلى الله عليه وسلم ابو المؤمنين

عن ابيه هو عبد الله بن المثنى البصري وثقه وله ترجمة في الميزان

كما ان زوجاته رضي الله عنهن امهاتهم وبناته اخواتهم وقد وقع اطلاق هذا
كله في الاحاديث الصحيحة وفيه وازواجه امهاتهم وهو اب لهم وقوله
تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم المنفي فيه ابوة النسب حقيقة
خلافا لمن لم يجوز اطلاقه عليه صلى الله عليه وسلم عملا بظاهر الاية والصحيح
خلافه ان قدرت ان تصبح وتمسي اي ان امكنك ذلك ولم يمنعك منه مانع
اي على ان الخ لان حذف الجار هنا مطرد والمراد بالاصباح والامسا
جميع زمانه لا خصوصهما اذ لا وجه للتخصيص وهما فعلان تامان وقوله
ليس في قلبك غش لاحد جملة حالية بدون تقدير قد لجوازه فعلها
او هي خبرهما ان جعلا ناقصين والغش بكسر الغين المعجمة ضد النصح والمراد
به هنا مجاز الحقد وهو المراد اذا اضيف للقلب ولو كان على ظاهره
لم نحتج الى تقدير مضاف اي نية غش والاول احسن واقرب فافعل اي تكرر
مداوما على ذلك ثم قال صلى الله عليه وسلم لي يا بني وذلك
اي نزع الغش من القلب من سنتي اي طريقتي واخلاقي ومن احيا
سنتي اظهرها واتبعها فقد احبني اي علم حبه لي وفي هذه رواية
والذي في الترمذي فقد احياني وهو الظاهر ومن احبني كان معي في
الجنة لان المرء مع من احب كما تقدم والمحب الصادق لا يخالف من احبه
بل يقدم مراده على مراده لانه احب اليه من نفسه فمن اتصف بهذه
الصفة اي باحيا السنة واتباعها وقيل المراد بالصفة ان لا يكون
في قلبه غش لاحد فهو كامل المحبة لله ورسوله ومن خالفها اي خالف
السنة في بعض هذه الامور كترك بعض ما امر به او اتى ببعض ما نهي عنه
احيانا فهو ناقص المحبة لا كاملها ولا يخرج بارتكاب البعض عن اسمها
اي عن الاتصاف بها وتسميته محبا في الجملة ولا ينافي هذا قوله

لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع

لان ذلك في المحبة الكاملة التي هي محبة الخواص على نهج قوله
لا يزني الزاني وهو مؤمن ولذا عقبه بقوله ودليل اي دليل ان بعض
المخالفة لا يخرجه عن اتصافه بالمحبة قوله صلى الله عليه وسلم في حديث
رواه البخاري عن عمر رضي الله عنه للذي حده في الخمر اي اقام عليه
الحد لشربه الخمر واللام كهي في قوله وقال الذين كفروا للذين امنوا
لو كان خيرا ما سبقونا اليه اي قوله في حقه وشأنه وهي في الحقيقة
لام تعليل والصحابي الذي حد في الخمر في هذا الحديث قيل هو عبد
الله الملقب بحمار باسم الحيوان بحاء مهملة وقيل بل هو بخاء معجمة مكسورة

وانه الصواب وقيل ابن نعيمان او نعيمان نفسه بل عمرو بن رفاعة البدري
وهو الذي حد في الخمر مرارا وهو صاحب الدعابة الذي كان صلى الله عليه
وسلم يضحك منه توفي في زمن معاوية وصحح هذا وقصة حمار اخرى كانت
بخيبر وقيل انه هو نعيمان نفسه وقال الحافظ الدمياطي انه يكون هذا الرجل
حمارا وانما هو نعيمان وحمار هذا معدود في الصحابة ولم يذكروا اسمه
فلعنه بعضهم اي قال اللهم العنه وروي انه قال له اخزاك الله تعالى
والقائل له عمر بن الخطاب كما رواه البيهقي وقال ما اكثر ما يؤتى به
نعجب من كثرة ما اتوا به النبي صلى الله عليه وسلم وهو سكران فقال
صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله وفيه دليل على
ان المسلم وان ارتكب الكبائر لا يجوز لعنه ومن كان كذلك لا يجوز لعنه
وفيه ان محبة الله ورسوله من اعظم الحيات وحجة ورد على المعتزلة
في ان مرتكب الكبيرة مخلد في النار ومن علامات محبة النبي صلى الله
عليه وسلم كثرة ذكره صلى الله عليه وسلم وذكره بالصلاة عليه
ومنه علم فضيلة الحديث واهله لذكرهم له صلى الله عليه وسلم كثيرا
ومن احب شيئا اكثر من ذكره وهذا مثل مشهور وهو امر طبيعي
عادي ومنها اي علامات محبته كثرة شوقه الى لقائه
اما في حياته فظاهر واما بعد موته صلى الله عليه وسلم فانه يشتاق
للقائه في الاخرة ومشاهدة ذاته الكريمة اللهم ارزقنا ذلك بل
حبيبه اي محبه يحب لقاء حبيبه اي محبوبه فانه فعيل بمعنى
اسم الفاعل والمفعول وان اشتهر عنه في الثاني وذكره معادلا لقوله
قبله من احب شيئا الخ وكل منهما علة لما قبله وهو من حسن التعليل
البديعي التشبيه بالشيء بذكرها احسن قول عروة بن حزام في قصيدة
له ابيات

وانى لاهوى الحشر اذ قيل انني • وعفراء يوم الحشر ملتقيان •

ومنه اخذ ابن رواحة قوله •

ان كان عطولديك ظلمي • فزد من الهجر في عذابي •
عسى يطيل الوقوف بيني • وبينك الله في الحساب •

وقلت انا في رباعية •

لم قاد حبي الكثير الآفات • واطول وقوفنا بيوم العرصات •
هيهات تلين ابدا بحياة له • تفرد بهم له بجميع الزلات •

وفي حديث الاشعريين يعني ابا موسى الاشعري واصحابه المنسوبون

الي

الى اشعر ابو قبيلة باليمن وكانوا قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم سنة
سبع من الهجرة وكان صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يقدم عليكم قوم
ارق قلوبا منكم فقدم الاشعريون وكانوا عند قدومهم المدينة منصوب
بنزع الخافض لانه يقال قدم فلان على فلان وقدم الى بلد كذا انهم كانوا يرتجزون
اي ينشدون شعرا وكلاما موزونا وهو غدا نلقى الاحبة محمدا وصحبه
لكنهم قالوا انما يقال ارتجز اذا انشد شعرا من بحر الرجز وتمامه مستفعلن
ست مرات ومجزوه اربعا وهذا ليس منه وانما هو من الوافر والهزج
وقيل انما سماه رجزا لمشابهته له لتقارب اجزائه وقلة حروفه ولعل
العرب كانت تطلق على ما يقوله الركبان من الاوزان القصيرة رجزا
وما ذكروه من تخصيصه بهذا الوزن اصطلاح حدث بعد الخليل رحمه
الله والذي يظهر ان هذا كله تكلف لا حاجة اليه فانه هنا بمعناه اللغوي
وهو يصيحون ويصوتون فانه اصل معناه ومنه المرتجز اسم فرس لرسول
الله صلى الله عليه وسلم لحسن صهيله وصوته وكون المصنف يخفى عليه
مثل هذا اسوء ظن به وفي نسخة رجزا بدل صحته كما تقدم وتقدم قول
بلال مثله يعني انه بلالا ذكر مثله لفظا ومعنى وان اختلف مرادهما فان
مراد هذا القائل لقاء النبي واصحابه في الحياة الدنيا وبلال رضي الله عنه اراد
لقاءهم في الاخرة ثم انه يحتمل انه توارد معهم في هذا الكلام او انه تمثل به ومثله
المذكور وان لم يكن بيتا ومثله ما قاله عمار بن ياسر الصحابي حين قتل اي قتله
اهل الشام الذين كانوا مع معاوية اي لما قتل بصفين مع علي رضي الله عنه
سنة ست وثلاثين فيما رواه ابن سلمة قال كاني انظر الى عمار يوم صفين
وقد استسقى فاتته امراة بشربة من لبن فشرب منها ثم قال اليوم القى
الاحبة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الي ان اخر شربة اشربها
من الدنيا شربة لبن ثم قاتل حتى قتل وقد قال صلى الله عليه وسلم تقتل عمارا
الفئة الباغية ومنه علم ان عليا كرم الله وجهه كان على الحق ومثله
ايضا ما ذكرنا من قصة خالد بن معدان التي تقدمت من انه كان اذا اوى
الى فراشه لا يزال يذكر شوقه الى النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه حتى يغلب
عليه النوم وليس هذا من تمني الموت المنهي عنه فان من احب الله ورسوله
صلى الله عليه وسلم وتمنى الموت لاجل لقائه والاستراحة من الدنيا زعم انه ليس
من هذا كما قال في الفتوحات ومن هذا انه صلى الله عليه وسلم لما خير بين
البقاء في الدنيا والانتقال للاخرة قال اللهم الرفيق الاعلى واعلم انه
يحضرني هذا المقام ما قاله الحكيم الترمذي في نوادره ان تمني الموت على ثلاثة

اقسام الاول يتمنى عبد اقرب الى ربه في منازل القرب لما يظهر من ازناس
الشهوة وكدورة الاخلاق فكلما اقترب ازداد شوقا فتمنى الموت والثاني
عبد اي نعمة الله عليه في دينه شاملة بكل خير فخاف من الطاه
لما راى من نفسي خادعة وعد ولا بالوه خبالا فتمنى الموت رجاء ان يحرز
ذلك لنفسه فيجده فهذا ان محمودان ورد اعن الصحابة كما ان رضي
الله عنه انه قال احب الموت اشتياقا وقال ابن مسعود رضي الله عنه
احب الموت لاني لا ادري ما ينزل بي فاخاف على ديني والاول ب قول
صديق والثاني قول صادق والحظ لصاحبه فيهما والثالث
عبد يتقلب في رفاهية عيش وثقل نعمة ثم انقلب الزمان عليه
وعصته النوائب فقل صبره وتمنى الموت وهذا مذموم ولذا اخبار
في الحديث لا يتمنى احدكم الموت لضر نزل به واما تمنى مريم رضي الله
عنها الموت وقولها يا ليتني مت قبل هذا الخ فلخير مضى ولذا لم نقل
الان فهو لا مرد في رجاء الابرار ولما رات فتنا تموج فذلك كما اتهموا
زكريا ذهبوا ليقتله فجاءها النداء والبشرى بصدقت بكلمات ربها وسميت
صديقة انتهى فقول السبكي وغيره تمني الموت في عنه ولذا جاء في الحديث
الصحيح فان كان ولا بد فاعلا فليقل اللهم احيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني
اذا كانت الوفاة خيرا لي انتهى باطلاقه ليس كما ينبغي والتحقيق ما عرفته
ومن علاماته اي علامات حب الله ورسوله فالضمير راجع للمحبة
لتاويلها بالحب وليس راجعا للقا المحب حبيبه وان كان اقرب وغير
محتاج للتاويل كما نبه **مع كثرة ذكره** له صلى الله عليه وسلم
تعظيمه له وتوقيره حتى توقيره **عند ذكره** له **واظهار الخشوع** اي
الخضوع **والانكسار** اي التذلل والتواضع **مع سماع اسمه**
ابدا اذا ذكر غيره لاسمه صلى الله عليه وسلم **وقال اسحاق التجيبي**
هو امام المحدثين ابو ابرهيم اسحاق بن ابراهيم التجيبي توفي سنة لثمان
بقين من ذي القعدة سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة وهو منسوب
لقبيلة من كندة تسمى تجيب واختلف في تائه هل هي اصلية ام زائدة
ومنها المحدثون وكثير من الادباء وفتحها غيرهم قال في القاموس تجيب
بالضم وتفتح بطن من كندة منهم كنانة ابن بشر التجيبي وعوف بالواو
قبيلة من حمير منهم ابن ملجم التجوبي قاتل علي كرم الله وجهه وغلط
الجوهري وحرف بيت الوليد بن عقبة
الا ان خير الناس بعد ثلاثة . قتيل التجيبي الذي جاء من مصر

انتهى يعني انه انشده التجيبي وانما هو التجوبي كما في كامل المبرد واعلم ان بعضهم
زعم ان تاءه اصلية لانه في الغين ذكره في فصل التاء وتبعه صاحب القاموس
وهي زائدة كما قاله ابن السيد وجوز في تائه الوجهين اي الفتح والضم وقال
النووي في شرح مسلم ان التاء زائدة لانه من جاب يجوب **كان اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم بعده** اي بعد وفاته **لا يذكرونه الا خشعوا** اي
اظهروا الخشوع والتذلل **واقشعرت جلودهم** اي عرض لها قشعريرة
وبكوا حزنا لفراقه وشوقا للقائه صلى الله عليه وسلم **وكذلك** اي ومثل
الصحابة فيما ذكر **كثير من التابعين** لهم باحسان يفعلون كفعلهم **منهم من
يفعل ذلك** اي من المذكورين كلهم الصحابة والتابعين او من التابعين من
يبكي ويخشع ويقشعر جلده **محبة له وشوقا اليه** تمييز او مفعول له اي من
محبته وشوقه او لاجلهما **ومنهم من يفعله تهيبا وتوقيرا** اي لهيبته
صلى الله عليه وسلم في انفسهم واجلاله وتكريمه **ومنها** اي من علامات
محبته صلى الله عليه وسلم **محبته** اي محبة الانسان **لمن احب
النبي صلى الله عليه وسلم** بالرفع والعائد محذوف اي احبه النبي صلى الله
عليه وسلم **ومحبة بسببه** الباء للملابسة اي تلبس بسبب من اسبابه
وكان بينه وبينه علاقة بقرابة او صهارة وقال في النهاية السبب
الزواج واصله الحبل الذي يتوصل به لسقي الماء فاستعير لما يتوصل به قال
تعالى وتقطعت بهم الاسباب اي الوصل والمودات **نكتة** انما خصوا ابن
الاثير السبب هنا بالزواج وان كان عاما لان الزواج لمناسبته الماء المخصص
في المستعار لانه يطلق على المني كما في الحديث الماء من الماء وفي قوله تقطعت
في الاية لطف خفي وقوله **من اهل بيته** الخ بيان لمن احبه ومن هو
نسبه ويجوز ان يكون بيانا لمن هو بسببه بناء على عمومه وفي نسخة من ال
بيته وفيهم خلاف والمشهور عند الشافعي انهم المؤمنون من بني هاشم
وبني المطلب ابني عبد مناف لا بني عبد شمس وبني نوفل ابني عبد مناف
لانه صلى الله عليه وسلم اشرك الاولين في خمس الخمس الذي هو سهم ذوي
دون هؤلاء وقال انهم والفونا في الجاهلية والاسلام **وصحابته** بفتح
الصاد جمع او اسم جمع صحابي وهو في الاصل مصدر وهو كل مسلم لقي
النبي صلى الله عليه وسلم بعد بعثته ومات على ذلك فان تخللت ردة
ولم يدم لم يضر وهم لا يحصون كثرة وقد روي انه صلى الله عليه وسلم
قبض عن مائة واربعة وعشرين الفا فالله اعلم **والمهاجرين**
هو من هاجر وترك وطنه لله ورسوله صلى الله عليه وسلم فيدخل

فيه مهاجرو المدينة والحبشة وقدمهم لانهم افضل والانصار
جمع ناصر او نصير غلب على الاوس والخزرج ولذا نسب اليه وقيل
انصاري وهو تخصيص بعد تعميم لانهم افضل من غيرهم وفي نسخة
من المهاجرين والانصار والظاهر انه عبارة عن جميع الصحابة ليشمل من مات قبل
الهجرة كخديجة رضي الله عنها وقيل انهم في حكم المهاجرين لانهم السابقون
باحسان قبل غيرهم فتامله وعداوة من عاداهم اي من علامات المحبة
لهم عداوة من عاداهم ظلما وبغيا كالخوارج فلا يدخل فيه ما وقع بين
الصحابة ظاهرا وبغض من ابغضهم اي كرههم وقلاهم وسبهم واظهر
شتمهم كالروافض قاتلهم الله فان من احب شيئا احب من يحبه وكره
من يكرهه كما قيل وقد تقدم ۞
اذا صافى صديقك من تعادي ۞ فقد عاداك وانفصل الكلام ۞
وقد قال عليه الصلاة والسلام في الحسن والحسين اي في حقهما وشانهما
كما رواه البخاري اللهم اي يا الله ناداه بيانا لتحقق حبه وعلم الله به وتوطئة
لما طلب منه اني احبهما فاحبهما اي اعطهما كل خير دنيوي واخروي ۞
كما سياتي في بيان محبة الله وهذا بلفظه وقع في رواية الترمذي في حديث
قال انه حسن صحيح والذي في الصحيحين ذكر فيه اسامة والحسن وفيه
روايات مختلفة ليس هذا محل تفصيلها واليه اشار المصنف بقوله
وفي رواية في الحسن وحده وليس المراد التخصيص اللهم اني احبه فاحب
من يحبه وقال صلى الله عليه وسلم في رواية اخرى من احبهما
اي الحسن والحسين فقد احبني ومن احبني فقد احب الله ولعله
بالطريق الاولى ومن ابغضهما فقد ابغضني ومن ابغضني فقد
ابغض الله وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي
وغيره الله الله بنصبهما بمقدر كاتقوا الله واحذروه واخشوه
وفي تكريره تخويف وتحذير على وجه المبالغة في اصحابي
اي من شانهم وحقهم فاحذروا تنقيصهم ونسبتهم لما لا يليق بهم ۞
والطعن فيهم ثم بين ذلك بقوله لا تتخذوهم غرضا بفتح معجمة
وراء مهملة مفتوحتين وضاد معجمة وهو الهدف الذي يرمى بالسهام
فهو استعارة او تشبيه بليغ على القول فيه كما بين في المعاني اي لا
تقصدوا ذكرهم بسوء ولا تبحثوا عما وقع بينهم ولذا منع السلف منه فمن
احبهم فبحبي احبهم اي بسبب حبي لهم ولما لزم من المحبة لهم ان لا يذكروا
بسوء ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ولذا ذهب بعض المالكية

كما سياتي الى قتل من سبهم لانه كسبه صلى الله عليه وسلم ومن اذاهم بذكرهم بسوء
فقد اذاني لانه يسوءه ذلك ومن اذاني فقد اذى الله اي عصاه وفعل ما لا
يرضاه فهو المراد باذية الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه اي ياخذه
اي يهلكه سريعا ولا يمهله فياخذه اخذ عزيز مقتدر وفي النهاية يقال
يوشك ان يكون كذا اي يقرب ويسرع وقال صلى الله عليه وسلم في
فاطمة رضي الله عنها اي في حقها وشانها في حديث رواه البخاري وغيره ۞
انما هي بضعة بفتح الباء وكسرها اي قطعة وجزء مني لان الولد حاصل من ابيه
وقطعة من كبده يغضبني ما يغضبها اي يسوءني ويؤذيني كل ما اذاها لان الم
الجزء يتالم به الكل فهو كالدليل لما قبله وسبب الحديث ان عليا كرم الله
وجهه خطب بنتا لابي جهل فسمعت بذلك فاطمة رضي الله عنها فاتت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له يزعم قومك انك لا تغضب لبناتك
وهذا علي ناكح بنت ابي جهل فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم
وقال اما بعد فان فاطمة بضعة مني واني اكره ان يسوءها والله لا
تجتمع بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنت عدو الله عند رجل
واحد فترك علي ذلك والحديث وتفسيره مفصل في كتب الحديث
وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي عن عائشة
وحسنه لعائشة في اسامة ابن زيد اي في حقه وشانه احبيه فاني احبه
وقد قال صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد احب الناس الي فاستوصوا به
خيرا ولذا امر عائشة ان تستوصي به خيرا لعده وهذا مما اخبر به صلى الله
عليه وسلم من المغيبات وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري
اية الايمان اي علامة تحققه وصدقه وكماله حب الانصار لمحبة النبي صلى
الله عليه وسلم لهم ومحبتهم له ولانهم نصروا الدين وساعدوا المؤمنين
من الصحابة وواسوهم بما هو معلوم واية النفاق المنافي لتحقق الايمان
بغضهم وصحف بعضهم الحديث فقال انه بالهمزة المكسورة والنون
المشددة وضمير الشان وهو سهو ظاهر وفي حديث ابن عمر كما اخرجه
البيهقي في دلائله من احب العرب والمراد بهم هؤلاء الجيل المعروفون مطلقا
فبحبي اي بسبب حبي احبهم ومن ابغضهم من حيث ذواتهم لا لسبب
اخر كونه لبغضهم فببغضي ابغضهم وفي حديث رواه الترمذي عن
سلمان انه صلى الله عليه وسلم قال له لا تبغضني فتفارق دينك قال
كيف ابغضك وبك هدانا الله قال تبغض العرب فتبغضني وفي شعب
الايمان للحليمي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل خلق

الخلق فاختار منهم بني ادم واختار من بني ادم العرب واختار من العرب مضر
واختار من مضر قريشا واختار من قريش بني هاشم فانا خيار من خيار
فمن احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم ولهذا قيل
اطلاق اللسان بالوقيعة فيهم كالشعوبية اذية لله ورسوله صلى الله
عليه وسلم وقد قال الله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم
الله في الدنيا والاخرة وقد فصل ذلك الحافظ العراقي في تاليف له
مستقل سماه انفع القرب في بيان فضل العرب قال المولف
رحمه الله تعالى لحقيقة اي بسبب النظر لحقيقته ونفس الامر المحقق عند
العقول السليمة من احب شيئا من الاشيا احب كل شي يحبه محبوبه
وهذه سيرة السلف اي ادبهم وطريقتهم في محبتهم كل ما كان يحبه رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى المباحات اي كانوا يحبون ما احبه رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الامور المباحة وشهوات النفس اي فيتبعونه
صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بشهوة النفس والطبيعة البشرية
كمحبة الطيب وبعض الاطعمة والزوجات وغير ذلك واستشهد لذلك
بقوله وقد قال انس رضي الله عنه انه راي النبي صلى الله عليه
وسلم يتتبع الدبا بضم الدال المهملة وتشديد الموحدة والمد والهمزة
في اخره للالحاق والواحدة دباه وهي نوع من الماكول معروف عند
الناس بالقرع ومعنى تتبعها انه ياخذ قطع القرع من اي محل وجده
فيه فان قلت اكل الانسان مما يليه مستحب واكله من غيره ه
مكروه لقوله صلى الله عليه وسلم كل مما يليك لمن راه يجيل يده في الطعام
الا ان الفواكه فانه لا يكره فيها ذلك لعدم الاستكراه واليه الاشارة
بقوله تعالى وفاكهة مما يشتهون قلت قالوا انه اذا كان
الاكل ممن يتبرك به لا يكره في حقه ذلك لاسيما النبي صلى الله عليه وسلم
وقيل مخصوص باللون الواحد وهذا كان متعددا وقيل
انه صنع له صلى الله عليه وسلم وحده فله ان يفعل فيه ما يريد لعلمه
برضا صاحبه وقيل هو مخصوص بمن لم يتواكله اتباعه وخدمه واعلم
ان القرع معروف واما الدبا بالمد كما مر وجوز بعضهم قصره وانكره
القرطبي فقيل هو والقرع بمعنى واحد وقيل هو المستدير منه
وقيل هو اليابس منه وقال ابن حجر انه سهو من النووي وهو اليقطين
وهمزته زايدة ولذا ذكره في باب دبب وخطا صاحب القاموس الجوهري
في ذكره في الفصل في مادة دبي فقال هو وهم وليست همزته منقلبة

على

عن واو ولا يا انول اخطا من خطاه ومن تبعه هنا لان الزمخشري ذكره في
المعتل ايضا ووجهه ان الهمزة للالحاق كما ذكروه فهي في حكم الاصلية
كما حرره في حكم الاصلية بان الالحاق من خوالي القصعة بفتح القاف انا
معروف وخوالي مثنى حوالي بمعنى حول وجانب والتثنية لمجرد التعدد
والتكرار كارجع البصر كرتين وهو بفتح الحا واللام وتجوز كسر لامه وبا
تثنية ساكنة وفيه لغات مذكورة في كتب اللغة فما زلت هذا مقول
انس قتاده مضمومة احب الدبا اي احب اكلها تبركا بها من يومئذ
اي راه يتتبعها ويحبها لحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لها وهذا
من غاية الصدق لمحبته وهو شاهد لاتباعهم له في المباحات ومما
تشتهيه الانفس وهذا الحديث اخرجه الشيخان وكان خياطا صنع
لرسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما ودعاه لذلك ذهب معه انس ه
وقال ابن حجر انه لم يقف على اسم هذا الخياط وعن الحسن بن علي وابي
طالب وكان الظاهر الا يقول وابي الحسن وابن عباس الخ نعدل
عنه لانه لشهرته كالمشاهد وابن عباس وابن جعفر ان سلمى بفتح
السين وهي زوجة ابي رافع ومولاة صفية عمته صلى الله عليه وسلم
وقيل مولاته صلى الله عليه وسلم وداية فاطمة الزهرى التي غسلها
لما ماتت وقابلة ابراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم وهي صحابية مشهورة
وفي الصحابة سلمى غيرها خمس عشر امراة وسالوها ان تصنع لهم طعاما
اي تطبخه وتحضره لهم مما كان يحبه صلى الله عليه وسلم وانما سالوها
ذلك لانها كانت تخدمه صلى الله عليه وسلم وتعرف ماكوله ومشروبه والعجب
عندهم حالة تعرض للانسان عند الجهل بسبب الشي وهذه الحالة
تكون كثيرا في الاستحسان فيلزمها الميل والمحبة فاريد به لازمه وهو
المحبة وفيه دليل على محبته ما يحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ه
وهو المراد وهذا رواه الترمذي في الشمايل وابن جعفر هذا هو عبد الله
ابن جعفر بن ابي طالب الطيار ذو الجناحين الصحابي ابن الصحابي وتتمة
الحديث فما كان يحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحسن اكله
فقالت انا لا تشتهيه اليوم فقالوا بلى اصنعيه لنا فقامت
وطبخت شيا من شعير وجعلته في قدر وصبت عليه شيا من زيت
ودقت الفلفل والتوابل وقربته اليهم وكان ابن عمر عبد الله الصحابي رضي الله
عنهما في حديث رواه الشيخان يلبس النعال جمع نعل وهو كل ما وقيت
به الرجل وهو نعت السبتية بكسر السين المهملة وسكون الموحدة وبالنسبة

حجي م

الى السبت وهي جلد دبغ وازيل شعره من سبته اذا قطعه لازالة شعره
وكانوا في الجاهلية لا يلبس النعال المدبوغة منهم الا اهل السعة والجاه
وهي منسوبة لا يلبس النعال المدبوغة يسمى سوق السبت كما قاله
ابن قرقول وقيل انه يجوز فتح اوله ايضا ويقال انها نعال سود **ويصبغ
بالصفرة** وهو كل ما يصفر الشعر وغيره كالحناء والكتم ويصبغ مثلث
الموحدة وفيه تسمح لانه لا يصبغ بنفس الصفرة وانما هو مصبغ اصفر
والمراد انه يصبغ ثيابه بشي اصفر كالزعفران ونقل عن مالك جواز لبسه
لما روي من النبي عنه لبس ثيابا غيرهما وانها نهي عنه المحرم في الحج
وعمه بعضهم وما روي عن ابن جعفر انه قال رايت رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعليه ثوبان مصبوغان بالزعفران كما رواه الحاكم
والطبراني وغيرهما وكذا احاديث كثيرة صحيحة تدل على جوازه ايضا **اذ
راى النبي صلى الله عليه وسلم يفعل نحو ذلك** تعليل لفعله ومحبته
لما احبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك اشارة الى الصبغ او له
وللبس النعال وهو انسب باشارة البعيد وهذا استشهاد للاقتدا
به صلى الله عليه وسلم في المباحات بالمنسبة اليه وان اختلف في الاقتدا به
في مثله هل هو مباح يحق المقتدي به ام لا كذهابه في العيد من طريق
وعوده من اخرى ونحو الندب لمن نوى الاقتدا به وهو الظاهر
ومنها اي من علامات محبته صلى الله عليه وسلم ظاهر في مثل
اي جهل ونحوه الله تعالى اما ببعض رسوله او بكفره او بانكاره
كالمعطلة والدهرية **معاداة من عاداه** اي بعض الرسول صلى الله
عليه وسلم عدوا ولم يقل من عاداهما لان معاداة الله انما هي بمعاداة
رسوله صلى الله عليه وسلم لان عداوته تعالى حقيقة لا تتصور
ومجانبة من خالف سنته اي اجتنابه من لم يتبع طريقته والبعد
عنه **وابتدع في دينه** اي اظهر البدع وخالف الشريعة وهو
عطف تفسيري لما قبله **واستثقاله كل من خالف شريعته**
اي عدة ثقيلا منفورا عنه غير مقبول ثم ذكر ما يثبته من الكتاب
العزيز فقال **قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر**
اي لا يكون كذا حتى تجدهم فانه لا ينبغي ان يكون وهو مبالغة في النهي
يوادون اي يكون بينهم وبينهم مودة **من حاد الله ورسوله** اي م
خالفوه وتبعا رضوانه **وهؤلا صحابه رضي الله عنهم** اي مما علم من حال
الصحابة حتى كانهم نسبا هذه ودولة متلبسين به **قد قتلوا احبائهم** اي اصدقائهم

نعم من يبغض الله ورسوله
يجب ... الرسول صلى الله عليه وسلم

قبل

قبل الاسلام وقد وقع هذا الكثير من الصحابة ورد به قتلوا اي ابغضوهم ٥
والبعد وهو قاد تعالى ما وعكسه بك وما قتلا **وقاتلوا اباهم وابناهم** الذين
بقوا على الكفر **في مرضاته** في تعليلية والمرضاة مصدر ميمي بمعنى الرضا
كابي عبيدة بن الجراح قتل اباه ببدر وعمر رضي الله عنه قتل خاله العاص
ومصعب بن عمير رضي الله عنه قتل اخاه ونحوه ونحوه مما هو مذكور
في السير **وقال له** صلى الله عليه وسلم **عبد الله** رضي الله عنه
ابن عبد الله ابن ابي ابن سلول راس المنافقين وابنه عبد الله هذا
كان من الصحابة المخلصين بمحبته رسول الله صلى الله عليه وسلم **لو شيت**
خطابه لرسول الله صلى الله عليه وسلم **لاتيتك براسه يعني اباه** عبد
الله بن سلول اي قتلته واتيت براسه لك وكان ابن سلول رئيس اهل
يثرب قبل الهجرة فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهر الاسلام
بطلت رياسته فكان لحرصه على الدنيا يكره الاسلام ويظهر النفاق وهو
الذي نزل في حقه سورة المنافقين واما ابنه عبد الله فكان من خيار
الصحابة الانصار وفي كما علم لما ظهر من ابيه ما ظهر قال يا رسول الله بالله الا ما
اذنت لي في قتل ابي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بل بر فوق
به واحسن اليه وهذا مما رواه البخاري **ومنها** اي من علامات محبته
صلى الله عليه وسلم **ان يحب القران الذي اتى به** للناس من عند ربه
عز وجل **وهدي به** الخلق كلهم لسعادة الدارين **واهتدى به** هو اي وصل
الى الله به **وتخلق** اي اتخذه خلقا له يعمل بكل ما فيه **حتى قالت عايشة**
رضي الله عنها وقد سالت عن خلقه صلى الله عليه وسلم **كان** رسول
الله صلى الله عليه وسلم **خلقه القران** اي كان دابه التمسك به والتادب
بادابه والعمل بما فيه من مكارم الاخلاق فجعلت القران نفس خلقه مبالغة
في شدة تمسكه به وانه صار سجية له وطبيعة كانه طبع عليها فتخلق بمعنى
اظهر الخلق كتحمل بمعنى اظهر الحمل كما في كامل المبرد رحمه الله وقد يكون
التخلق للتكلف كما في قوله

٥ يا ايها المتحلي غير شيمته ٥ ان التخلق ياتي دونه الخلق ٥

والنفي المراد **وحبه للقران تلاوته** اي كثرة تلاوته له على الوجه المرضي
فيها عند اهل الاداء ليس المراد مطلق القراة **والعمل به** اي بما فيه من
الاحكام والمواعظ **وتفهمه** اي التعقيد بفهم معانيه وجعل هذا عين
الحب لتسببه عنه **ومن** العلامات لمحبته صلى الله عليه وسلم ايضا
ان **يحب سنته** اي طريقته وهديه بالاقتدا به قولا وفعلا ويحوز

ان يريد بسنته احاديثه المروية عنه بغرينة جعلها قرينة للقران وكثيرا
ما يقع عليه ويقف عند حدودها اي لا يتعداها ومن يتعد حدود
الله فاولئك هم الظالمون وحدود الله محارمه واحكامه من الحد وهو
المنع والفصل ومنه حدود الدار واستعير الحد وهو المنع لما ذكرنا وفيه
فيه ترشيح مليح قال سهل ابن عبد الله التستري وقد تقدم علامة
حب الله اي امارته ودليله حب القران وتقدم بيانه وعلامة حب
الله وحب القران حب النبي صلى الله عليه وسلم فان من احب الله
احب حبيبه وكلامه وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب
السنة فان من احبه لا يخالفه ويعصيه وعلامة حب السنة حب الاخرة
لان من احبه واتبعه احب لقاه ورغب في الاخرة كما مر وعلامة
حب الاخرة بغض الدنيا والزهد فيها لانهما ضرتان لا يجتمعان في قلب
مومن وبغضها لا يقتضي التبذير والاسراف كما توهم وانما هو كما قيل
اللهم اجعلها في ايدينا ولا تجعلها في قلوبنا وعلامة بغض الدنيا ان
لا يدخر ويقتني منها الا زادا كما قيل

يكفيك مما تستعيد القوت ❊ ما اكثر القوت لمن يموت

او بلغة بضم فسكون اي ما يبلغه به الى الدار الاخرة كالمسافر يحمل
من الزاد ما يبلغه لمقصده ومنزله فانما الدنيا دار سفر
لا دار مقر

وانا لفي الدنيا كركب سفينة ❊ نظن وقوفا والزمان بنا يسري

وعن ابن مسعود في حديث رواه البيهقي في الادب وابن الضريس في
فضائل القران وفي نسخة وقال ابن مسعود لا يسال احد منكم
عن نفسه اي عن احوال نفسه في محبته لله ورسوله الا القران فان
كان يحب القران فهو يحب الله ورسوله فاذا اراد ان يعرف حاله
ينظر في ذلك ليستدل به حتى كانه سئله واجابه ببيان حاله
فاذا استلذ بتلاوته وسماعه علم حاله وكيف يشبع المحب من كلام
محبوبه وهو غاية مطلوبه كما قيل

ان كنت تزعم حبي ❊ فلم هجرت كتابي
اما تاملت ما فيه ❊ من لذيذ خطابي

ومن علامات محبته للنبي صلى الله عليه وسلم شفقته على امته
بان يرحمهم ويتلطف بهم ويرق قلبه عليهم ونصحه لهم ببيان
ما يصلحهم من امورهم وسعيه في مصالحهم بشفاعته ومعاونته

وقضا

وقضا حوائجهم ورفع المضار عنهم بدفع المظالم وان الله مضيقهم
كما كان صلى الله عليه وسلم بالمومنين منا ومن قبلنا لا بغيرهم رؤوفا
شفوقا رحيما منعما متفضلا عليهم كما وصفه الله به في كتابه العزيز فعلينا
الاقتداء به والتخلق باخلاقه ومن تمام محبته اي كمالها وافضل مراتبها التي لا تتم
الا بها فهو مدعيها اي المحبة في الدنيا وامورها وزخرفها وايثاره
الفقر اي اختياره وتقديمه على الغنا وسعة الدنيا وانتصابه به
اي جعله شعارا وصفة له تواضعا ومن هذا ورد قوله عليه الصلاة
والسلام لابي سعيد الخدري رضي الله عنه تقدمت ترجمته
ان الفقر الى من يحبني منكم معاشر المومنين او الصحابة اسرع
اي يصل اليه بسرعة اقوى من سرعة السيل اذا انحدر ونزول
من اعلى الوادي وهو الموضع الذي يسيل فيه الماء وفي معنى سائل
ويسمى الفرجة بين جبلين واديا ويستعار للطريقة والمذهب كما قال
تعالى الم تر انهم في كل واد يهيمون او من الجبل الى اسفله والماء النازل من
علو لسفل في غاية السرعة فضرب به مثلا لسرعة انحداره والمتعلق
باسم التفضيل وضميره اسعده لاحد الامرين من الوادي او الجبل وافرد
لانه بعد شيئين عطفا باو وهذا بعض من حديث الذي بعده رواه
الترمذي وحسنه وفي حديث عبد الله بن مغفل بضم الميم وفتح
الغين المعجمة وتشديد الفاء ولام وهو صحابي مزني من اصحاب الشجرة
اخرج له الستة وغيرهم وتوفي سنة سبعين قال رجل من الصحابة
ولم يسموه للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله اني احبك
فقال انظر ما تقول اي تفكر فيه وتامل فانك تدعي امرا عظيما من
اختيار ما صادقا مخلصا ينبغي ان لا يحب امرا من امور الدنيا وهو
امر صعب قال والله اني احبك اكده بالقسم لما راى من قوله صلى الله
عليه وسلم له المشعر بالتردد فيه وزاد ان كرره ثلاث مرات
ليزيل الشبهة فقال له صلى الله عليه وسلم ان كنت تحبني
حبا خالصا صادقا لا توثر فيه شيئا فاعد اي احضر وهيئ للفقر
تجفافا بكسر المثناة الفوقية وسكون الجيم وفاء بينهما الف وتاؤه
مزيدة من جف اذا يبس وهو شيء يوضع على الخيل ليقيها في الحرب
الاذى كالدرع للانسان وقد يلبسه الناس وجمعه تجافيف اي اعد له
عدة تقيك من اذى الفقر فان النفوس لا تتحمله يعني الصبر والقناعة
النفس في تحمله فشبه الفقر بجواد محصن بما يقيه لا يصل اليه السعادة

اد شبه صاحبه بجواد في الفقر بالمحاربة لمجاهدة النفس به وفيه
ايما الى ان من احبه صلى الله عليه وسلم يبتلى بالفقر وكانه تعريض باختياره
بزهده في الدنيا وقد اختلف في الفقر والغنى وفي الفقير الصابر
والغني الشاكر ايهما افضل وظاهر هذا الحديث الاول والكلام
عليه مفصل في كتب المشايخ وغيرها وقد سقنا منه ما فيه الكفاية وذكره
جليا ما ثم ذكر اي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا الكلام الذي قاله
للرجل المذكور نحو حديث ابي سعيد الخدري اي ما يشبهه بمعناه
يعني قوله في الحديث الذي سبق للفقر اسرع الى من يحبني من السيل الى
منتهاه تشبيها له بالسيل واشارة الى تلاحق النوائب به سريعا حتى
لا يتخلص منها فليستعد لها **فصل في معنى المحبة للنبي
صلى الله عليه وسلم وحقيقتها** اي المعنى الذي وضعت لها واصل
اللغة وعين لفظه اختلف الناس المراد بهم علما السلف والخلف وسبب
اختلافهم ان المحبة التي تعارفها الناس كما سنبينه بحسب الظاهر لا تليق
بالله ورسوله في تفسير محبة الله ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم
اي في بيان المراد بهما وكثرت عباراتهم في ذلك التفسير وليست
ترجع بالحقيقة اي ليس ما لها ان نظر الى نفس الامر المحقق في الواقع
الى اختلاف مقال اي ليس اختلافا لفظيا والمعنى واحد ولكنها اختلاف
احوال اي سبب اختلافهم اختلاف حال المحبة فحال المحبة قوة وضعفا
فكل نظر الى حال من احوالها ففسرها بتفسير بما يناسبه فليس اختلافا
حقيقيا ولا لفظيا فانما هو باعتبار المحبوب والمحب وحالاتهما حتى انكر
بعضهم امكان محبة الله حقيقة كما في الاحيا وقال لا معنى لها الا المواظبة
على طاعته وقال القشيري هي حالة للقلب تلطف عن العبارة
تحمل على التعظيم وايثار رضاه واشتقاقها قيل من حب الاسنان
وبياضها لصفائها ونوره وقيل من الحباب الذي يعلو الما اذا صب
وتحرك لعلوها انها في القلب وقيل من احب البعير اذا برك
لثبات القلب عليها وهو اشتقاق بعيد وحقيقتها ميل القلب
ميلا كليا لما يدعوه لمحبوبه من رايق جمال او فايق كمال او فايض
احسانه وافضاله فقال سفيان يحتمل سفيان بن عيينة
وسفيان الثوري قيل والظاهر انه الثوري لطول باعه
في علوم القوم وعلو رتبته في العلم الظاهر ايضا فانه كان مجتهدا
وصاحب مذهب مستقل في غيره المحبة يعني محبة الله بدليل الاية

التي استدل بها اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في اقواله وافعاله
وكل ما جاء به عن الله لان من احب الله لا يعصيه فيما امره به وانما يعلم اوامره
ونواهيه منه فهو تفسير لها بلازمها ولما كان في هذا خفا قال
كانه اي سفيان التفت اي نظر في تفسيره هذا الى قوله تعالى
واستنبط منه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فانه اقام
اتباعه مقام محبته اذ لم يذكر محبته وهي لا تكون الا لمن احبه والاية
نزلت في اليهود لما قالوا نحن ابنا الله واحباؤه فارشدهم الى ما يحقق مدعاهم
فان حقيقة المحبة ميل النفس الى الشي لادراك منه كمالا يحمله على ما يقربه
اليه والكمال الحقيقي ليس الا لله وكل كمال في غيره فهو منه فحبه يقتضي
طاعته والرغبة فيما يقرب به اليه والنبي ذلك الا بطاعته وطاعته
لا تقبل الا باتباعه صلى الله عليه وسلم او انها اعتقاد ولزوم نصرته بالمجاهدة
لنصره وتحلي كلمته والذب بالحجة اي المنع والطرد عن سنته
اي طريقته وشريعته برد ما يخالفها ودفع الشبه المورودة عليها
وتصحيح احاديثه وتفسيرها وبيانها والانقياد لها بان لا يخالفها
ويعمل بها وهيبة مخالفته اي الخوف من مخالفته مع تعظيمه
واجلاله وفي نسخة مخالفتها اي السنة وفي نسخة الاولى الضمير
للرسول صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم في تفسير مطلق المحبة
ويحتمل انه بيان لمحبة الله دوام الذكر للمحبوب لان من احب شيئا اكثر
من ذكره كما مر وقال اخر ايثار المحبوب اي اختياره وتقديمه على ما سواه
بان يكون احب اليه من نفسه واهله وماله كما تقدم وقال
بعضهم المحبة معناها الشوق الى المحبة ان يكون نفسه وقلبه
دايما تدعوه الى قربه وتحثه على لقايه وقد تقدم الفرق بين الشوق
والاشتياق وهذا من اصطلاحات الصوفية لا من المعاني اللغوية وقال
بعضهم المحبة مواطاة بضم الميم وطا مهملة بينها همزة ومعناها
الموافقة واصله ان يطا الرجل برجله موطي صاحبه قال تعالى ليواطئوا
عدة ما حرم الله اي موافقة القلب لمراد الرب بان لا يريد الا ما اراده
فيترك ما يريده لما يريد الله ثم بينه بقوله يحب مضارع احب
ما احب ويكره ما كره وفي نسخة ما يكره والاولى اولى وقال
اخر المحبة ميل القلب الى موافق له اي المحبوب والمراد كل ما يقوله
فهذا كله من كلام اهل الطريقة وله امثال كثيرة كقول ذي النون
قل لمن اظهر حب الله احذر ان تذل لغير الله تمقت وقال اخر المحبة

ميل القلب الى موافق له اي موافق لما يرضاه ويريده محبوبه وهي اقوال متقاربة اشارة الى ثمرات المحبة انما قال اشارة لانهم لم يصرحوا بانها من ثمراتها واصل الثمرة نتاج الشجر ثم قيل لكل ما يقع بعد شي ثمرة كثمرة العلم فهو استعارة تصريحية او تخييلية ومكنية او مجاز مرسل دون حقيقتها اي لا حقيقتها ودون ترد لمعان هذا اشهرها وانما قال اكثرلان منها ما هو سبب كما تباعد اولانه احتراز عن الاخير لانه حقيقة لغوية وفيه نظر ثم بين حقيقتها بقوله وحقيقة المحبة الموضوعة لها مطلقا الميل معناه حقيقة العدول عن الوسط الى احد الجانبين ثم تجوز به عن ارادته والرغبة فيه الى ما يوافق طبيعة الانسان قيل هذا بعينه هو المعنى الاخير وفيه ان معنى قوله يوافق له ثمة موافق لمحبوبه وهنا لنفسه فبينهما فرق نعم هو قريب منه وبين الموافقة بقوله وتكون موافقته له اي لنفس المحب اما لاستلذاذه اي عده لذيذا تشتهيه نفسه وتستحسنه بادراكه منه امرا محققا محبوبا كالطعم الحلو والمشروب العذب وكحب الصور الجميلة والاصوات الحسنة والاطعمة والاشربة اللذيذة واشباهها كالروائح الطيبة والملابس الفاخرة وهو اشارة الى المحسوس بالحواس الظاهرة مما كل طبع سليم من غلط الطبع وفساد الحواس كالمريض يجد الحلو مرا لفساد ذوقه فهذا لا يرد نقضا مائل اليه لموافقته له طبعا وفي نسخة موافقتها اي المذكورات او لاستلذاذه اي وجود لذته واللذة من الكيفيات النفسية وضدها الالم وتصور ذلك بديهي لانه من الوجدانيات وهي ادراك الملائم من حيث هو ملائم والالم ضده والالم ضده والمراد بالملائم للشي كماله اللائق به كالتكيف بالحلاوة للذائق ونحوه من المحسوسات وكتعقل الاشيا على ما هي عليه للقوة العاقلة وقيد بالحيثية لان الشي قد يكون ملايما من وجه دون اخر والمراد بادراكه ادراكه بعد الوصول لا تحرد تخيله كما تقرر في كتب الحكمة فاللذة تكون حسية وعقلية واليه اشار بقوله او لا بادراكه الخ وهو القسم الاول والثاني بينه بقوله بادراكه بعد الوصول اليه لا قبله بحاسة عقله وقلبه فيه تسمح على راي الحكما لان المدركة عندهم القوى الناطقة في الدماغ لا العقل المدرك للكليات لكن لما كان اهل الشرع لم يثبتوها تسمح فيها معاني باطنة غير مدركة بالحواس الظاهرة شريفة اي نفيسة القدر دقيقة عالية القدر كانها في شرفه اي مكان عال وحاسة العقل العلم

قوة

قوة المدركة فالاضافة لامية او المراد حاسة هي العقل فالاضافة بيانية كحب الصالحين والعلما واهل المعروف المراد بالمعروف كلما يعرف بالشرع والعقل حسنه كالجود كما قاله الراغب وحب المأثور عنهم السير اي المنقول عنهم السير المراد بها الاحوال والصفات الجميلة الحسنة المحمودة شرعا وعقلا والافعال الحسنة كالكرم والعلم والزهد كالحسن البصري فان طبع الانسان مايل الى الشغف انه المحبة الزائدة وهو بشين وعين معجمتين وفا من شغفه الحب اذا وصل الى شغاف قلبه اي غلافه او باطنه او داخله وحبته وهذا انسب بالمراد وروي بعين مهملة فقيل هما بمعنى وقيل الثاني بمعنى الاحراق يقال شغفه الحب اذا احرقه في مرضه ومع ذلكه يجد له لذة فان عذابه عذب لذيذ وقوله باشال هولاء اي بهولاء واشالهم او المراد باشالهم انفسهم كمثلك لا يبخل وهو كناية عما تقرر في كتب المعاني والاشارة للصالحين ومن بعدهم حتى يبلغ الشغف بهولاء وفرط حبهم التعصب تفعل من العصبة وهي الجماعة المتعاضدة المتعاونة والمغرا اظهار الحمية والمبالغة في الصيانة بفارقوا من خالفهم في محبتهم للحمية والغضب لمن احبه والتشيع تفعل من الشيعة فهو هنا بمعنى التعصب ايضا وضمنه معنى الانفصال لقوله من امة اي فارقوا امة خالفوهم وصاروا في اخرين اي قوم اخرين وفي نسخة اخرى اي امة اخرى والشيعة من المشايعة وهي المتابعة والشيعة الفرقة من الناس غلب على من والى عليا رضي الله عنه ما يودي اي يوصل يقال اداه الى او صله وهو بهمزة ودال مشددة وهو مفعول يبلغ اي يصل والتعصب فاعله فان نصب على انه مفعوله وفاعله ضمير الشغف فهو بدل منه والثاني اقرب الى الجلا بفتح الجيم واللام والمد الخروج عن الاوطان اي المساكن والبلاد والاهل وهتك الحرم بضم الحا وفتح الرا المهملتين جمع حرمة والهتك بمثناة فوقية وكاف كشف الستر بازالته وتقطيعه والحرم جمع حرمة بضمتين وبضم فسكون وفتح بهمزة وهو كل ما يصان ويمنع ولذا قيل للنسا حرم اي انتهاك نسايهم وذهاب عرضهم وكل ما يلزمهم صونه واخترام بخا معجمة ومثناة النفوس اي الذوات او الارواح اي اهلاكهم بسرعة يقال اخترمته المنية كانها قطعت عمره وكل ما استاصل شيا اخترمه وفي نسخة القلوب والاول احسن فترى المرتكب هو كاودلم يرهم فحبهم حمله على ما ذكر ثم ذكر سببا ثالثا للمحبة فقال او يكون حبه اياه وميل نفسه وطبعه اليه لموافقته له اي لملايمته وموافقة طبعه من جهة

احسانه اليه اي انعامه وبذله وجوده وفي نسخة له اي لاجل ذلك
بقوله وانعامه عليه عطف تفسير فقد جبلت النفوس بالبناء
للمفعول اي جعلت مطبوعة ومخلوقة على حب من احسن اليها كما جبلت
على بغض من اساء عليها وقيل ان هذا من الفاظ النبوة ولم اره
بعينه حديثا الا انه ورد بمعناه في الحديث انه صلى الله عليه وسلم
قال اللهم لا تجعل لفاجر علي يدا فيحبه قلبي فاشار الى ان حب المحسن
اضطراري في الاحيان ان المحبة قد تكون لغير هذا من الالف او روحانية
من غير سبب ظاهر وقال فيه ايضا في ايتلاف القلوب امر خفي لا
يطلع عليه فقد تحب المرء من غير حسن واحسان وسبب ظاهر
بالمناسبة روحانية وشبه الشيء منجذب اليه وفي الحديث الارواح
جنود مجندة ما تعارف منها ايتلف وما تناكر منها اختلف وقول
المنجمين انه دائر على الطالع ومقابله لا اصل له وورد في حديث
رواه في الفردوس لو ان مؤمنا دخل مجلسا فيه مائة منافق ومؤمن
واحد لجاء حتى جلس اليه ولو ان منافقا دخل مجلسا فيه مائة
مؤمن ومنافق واحد لجاء حتى جلس اليه فما ذكره هو الاغلب المعروف
فاذا تقرر اي ثبت وتحقق لك هذا المذكور من اسباب المحبة ٥
نظرنا الى هذه الاسباب كلها اي عرفتها بنظر سديد وكلها تاكيد
للاسباب او مبتدا خبره في حقه اي موجودة في حقه وثابتة متقررة ٥
محققة فعلمت انه عليه الصلاة والسلام جامع لهذه المعاني ٥
الثلاثة الموجبة للمحبة بمقتضى العقل والشرع والطبع السليم ثم بين
ذلك بقوله اما جمال الصورة وهو السبب الاول وهو حسن الصورة
الحسنة والصورة الهيئة والمراد ما يظهر للناظر كالوجه والظاهر
عطف تفسير للصورة وكمال الاخلاق اي كونها في غاية الكمال فيه صلى الله
عليه وسلم وهذا النبي من الحسن الظاهري بل حسن باطني كالصورة
لان حسن الصورة يدل على حسن السيرة فقوله والباطن عطف
تفسير له فقد قررنا اي بينا في هذا الكتاب سابقا منها قبل مبني على
الضم فيما مر اول الكتاب ما لا يحتاج الى زيادة فيه هنا واما احسانه
صلى الله عليه وسلم وهذا هو السبب الثاني وانعامه على امته يعني امته
الاجابة فكذلك اي مثل ما قبله في عدم احتياجه للبيان هنا لانه
قد مر منه اشارة الى ان ما ذكر بعض منه لا يمكن استيفاءه ٥
٥ وعلى نعته ما وجبه ووصفه ٥ بغني الزمان وفيه ما لم يوصف ٥

في

في اوصاف الله تعالى له صلى الله عليه وسلم جمع وصف بمعنى وصف او نوع صفة
ثم بينه بقوله من رأفته بهم اي شفقته ولطفه بهم كما مر ورحمته لهم
اي انعامه صلى الله عليه وسلم عليهم وكرمه وهدايته اياهم اي من احسانه
انه هداهم الى سعادة الدارين واي احسان اعظم من هذا وشفقته اي
حنوه عليهم ورحمته لهم واستنقاذهم اي تخليص الله هذه الامة به
اي بسببه صلى الله عليه وسلم اذ بعثه اليهم من النار وعذاب جهنم اذ هداهم
لطريق النجاة منها وانه بالمؤمنين رؤوف رحيم كما في قوله تعالى بالمؤمنين
رؤوف رحيم كما مر مع تفسيره وانه رحمة للعالمين فهو مرفوع وضبط
في بعض النسخ منصوبا اي كونه رحمة ويؤيد ذلك قوله ومبشرا بكل خير
ونذيرا مخوفا لهم ليرتدعوا عما يضرهم وداعيا الى الله وربه الحق باذنه
في الدعوة او بارادته كما مر وسراجا منيرا منقذا لهم من ظلمة الجهالة والضلال
ويتلو عليهم اياته المرشدة لهم يقرا عليهم ما يوحى اليه من دلائل التوحيد ٥
والنبوة ويزكيهم يطهرهم من الشرك والمعاصي ويعلمهم الكتاب
اي القران العظيم والحكمة وما يحكمهم من المعارف والاحكام ويهديهم الى
صراط مستقيم يدلهم على الطريق الموصل الى النعيم بلطفه وهذا ما وصفه
الله به في كتابه العزيز فاي احسان اي للتعظيم والتفخيم كما نبه له عدي رجل
اي رجل كامل الرجولية اجل قدرا وارفع رتبة واعظم خطرا بفتح الخاء المعجمة
والطاء المهملة اي قدرا او شرفا تقاربهما تقفنا من احسانه اي احسان
هذا النبي الكريم على امته فكيف لا يحسن الى جميع المؤمنين خصهم لانهم هم
المنتفعون به والا فاحسانه عام واي افضال بمعنى احسان وتفضل
اعم منفعة واكثر فائدة على كافة المسلمين اي جميعهم وقد قيل كما مر ان كافة
كافة تلزم التنكير والنصب على الحالية واستعمالها على خلافه ذلك خطا
وان وقع في عباراتهم كما في درة الغواص وقد اجبنا عنه في شرح الدرة وبينا
انه سمع خلافه او تعليلية اي لانه صلى الله عليه وسلم كان ذريعتهم اي وسيلتهم
وسببه موصل لهم الى الهداية اي ما يخلصهم وينجيهم واصل الذريعة سترة
سترة يتخذها الصياد للعوف بالصيد والوصول اليه وهو صلى الله عليه
وسلم سترة من النيران ورحمة لمن طلب الجنان ومنقذهم مخلصهم من
العماية بفتح العين وهي الغواية والجهالة وداعيهم الى الفلاح اي الفوز ٥
والظفر بسعادة الدارين والى الكرامة اي الاكرام بنيل الخير ووسيلتهم
الى ربهم الى موصلهم ومقربهم اليه وجاعل لهم منزلة عنده وشفيعهم في الدنيا
والاخرة والمتكلم عنهم عند الله ببيان اعذارهم وهم احوج ما يكون الى الكلام

وقد خرست الالسن ولم يؤذن لاحد غيره صلى الله عليه وسلم ان يتكلم
والشاهد لهم بانهم امنوا وصدقوا يوم القيامة حين يشهد دون الانبيا
عليهم الصلاة والسلام انهم قد بلغوا قومهم فيزكيهم كما تقدم والموجب لهم
اي الذي يحقق لهم النعيم الدائم بالخلود في الجنة وليس المراد الموجب الشرعي
لانه لا يجب على الله شي والنعيم في الجنة السرمد اي الدائم الذي لا ينقطع
ولولاه صلى الله عليه وسلم لم يكن شي من ذلك فقد استبان لك بما ذكرنا اي ظهر
واتضح انه عليه الصلاة والسلام مستوجب اي مستحق للمحبة الحقيقية
لان اسبابها متوفرة فيه صلى الله عليه وسلم على اكمل وجه لا يتيسر
لغيره شرعا بما قدمناه من صحيح الاثار الموجبة له مزيد شرفه وحسن
ترفه وانه المحسن والمنعم بكل خير وانا مامورون بمحبته واتباعه بامر
من الله له وعادة معطوف على قوله شرعا اي ما اعتاده الناس في كل عصر
من محبة من حاز الكمال كله وجبلة لان كل خير واحسان وصل الينا فهو منه
والنفوس مجبولة على حب من احسن اليها والجبلة بمعنى الطبيعة قال
تعالى واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين اي المجبولين الاولين مما ذكرنا
متعلق باستبان انفا بالمد اي قريبا وهو منصوب على الظرفية من انف بمعنى
تقدم ومنه الانف اسم الجارحة لانه اصطنعه اي اعطانه من جزيل كرمه الاحسان
بكل خير دنيوي واخروي وعموم الاجمال اي تعميم الجميل منه لكل احد
وهذا اجمال لما قدمه بذكر السابقة ثم وضحه بقوله فاذا كان الانسان
يحب من منحه اي اعطاه والمنحة العطية في دنياه اي في حياته في الدنيا
مرة او مرتين معروفا اي شيئا حسنا كما مر تفسيره او استنقذه ونجاه
من مهلكة بفتح الميم واللام امر مهلك او مضرة امر يضره ويؤذيه بفتح
الميم والضاد مدة التاذي بها اي بالمضرة قليل منقطع اي زايل في زمن قليل
وذكره لان المدة بمعنى الزمان او لانه فعيل وينقطع لتشاكله ومدة مضافة
للتاذي او منون منصوب والتاذي مبتدا خبره قليل وعلى الاول
المبتدا مدة فمن يمنحه ما لا يبيد بموحدة والدال المهملة اي يذهب
وينفد من النعيم المخلد في الجنة وهذه النسخة اولى مما وقع في بعض النسخ
من النعم جمع نعمة للسجع في الاولى ووقاه بالتشديد والتخفيف اي
صانه ونجاه من ما لا يفنى عذاب الجحيم اي النار من جحم بمعنى توقد وقد يخص
بطبقة منها وقوله اولى ما يحب بالبنا للمفعول وفي نسخة اولى بالحب
واولى افعل تفضيل بمعنى احق وهو خبر من اي احق من كل شي يحبه من نفسه
وماله واهله واذا كان يحب مبني للمجهول ايضا بالطبع متعلق باولى وحص

هذا

هذا بالطبع لانه ليس محبوبا شرعا في العقل والعادة لا تخالفه ملكت
بكسر اللام نايب فاعل يحب لحسن سيرته بعدله في رعيته او حاكم غير
ملك كامير لما يوثر اي ينقل عنه وهو مجهول ايضا من قوام طريقه اي حسن
سلوكه وقوام بكسر القاف وهو العماد والنظام ويجوز فتحها بمعنى الاعتدال
قال تعالى وكان بين ذلك قواما اي معتدلا او قاض بضاد معجمة اي حاكم الشرع
اذا سمع بعدله وهو بعيد الدار عنه ويروى بصاد مهملة فبعيد تفسير
له لما يشاد مبني للمجهول اي لاجل ما يشيع ويشتهر من ذكره بين الناس وهو
مستعار من شاد البنا بشين معجمة ودال مهملة اذا رفعه ومنه وقصر مشيد
وغلط من قال انه بذال معجمة من شاذت غلطت وفي نسخة لما فشا بالفا
والشين المعجمة من علمه او كرم شيمته اي سجيته وخلقه وهذا انما يحب
لاهل فاضل واذا كان يحب من فيه بعض هذه الخصال فمن جمع هذه الخصال
كلها وحواها وكل منها انه مستقر على غاية مراتب الكمال بحيث لا يشبه
صفاته صفات غيره كما قال الابوصيري رحمه الله

انما مثلوا صفاتك للناس كما مثل النجوم الما

احق بالحب مما عداه واولى بالميل اليه واعلم انه انما ذكره من قوله
فقد استبان لك الخ لدفع شبهة لمن لا بصيرة له وهي ان هذه
الامور انما تتحقق فيه صلى الله عليه وسلم عند من راه وشاهده منه لانها
المؤثرة في الطباع بان وصول نفعه وخيره لمن بعده معلوم لكل مومن
بالغيب وكمالاته صلى الله عليه وسلم لتواترها ونقل اثارها كالمحسوس
المشاهد وقد قال علي رضي الله عنه في حديث الحلية السابق
ذكره من راه صلى الله عليه وسلم بديهة اي ابصره في اول رؤيته
هابه توقيرا واجلالا لما يرى من نور نبوته ومن خالطه اي صاحبه
صلى الله عليه وسلم وعاشره معرفة احبه اي بعدما عرف فضايله وفواضله
وشاهد شمايله لا بد ان يحبه وذكرنا في فصل ثواب محبته من بعض الصحابة
وهو ثوبان كما تقدم انه كان لا ينصرف بصره عنه محبة فيه صلى الله عليه
وسلم وشوقه وكرم فصل في وجوب مناصحته النصح لغة
الخلوص لغة ثم نقل لارادة الخير بقلبه ولسانه وانما قال بصيغة
المفاعلة لان نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم امر مقرر لكل احد فاذا
نصحه احد من امته تحققت المناصحة من الجانبين واخر هذا الفصل
عن المحبة لانها تترتب عليها واعلم انه يأتي ان اصل معنى النصح تصفية
العسل وخياطة الثوب ثم استعمل في ضد الغش والاخلاص كالتوبة النصوح

قال تعالى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اي اثم بضيق اذا تخلفوا
عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لفقرهم المانع اذا نصحوا لله
ورسوله الخ اي اذا اخلصوا الايمان بهما والطاعة لهما ظاهرا وباطنا لما اشتغلوا
او اخلصوا اليهما من فعل وقول يعود على المسلمين بالصلاح وفي الصحيحين
عن جابر رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة
فقال ان بالمدينة ناسا ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم حبسهم
المرض شركوكم في الاجر ففي الاية دليل على وجوب النصح لله ورسوله
كما اشرنا اليه ما على المحسنين من سبيل اي ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم
سبيل ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انهم منخرطون في سلك
المحسنين غير معاتبين في ذلك والله غفور رحيم لهم او للمسيء فكيف المحسن
قال اهل التفسير في بيان معنى الاية انما لا اذا نصحوا لله ورسوله
معناه اذا كانوا مخلصين في اقوالهم وافعالهم مسلمين متعادين مطيعين
لله الازمة في السر وطاهر حالهم المطابق لما في ضمائرهم في الغلو والعلانية
نخفف البيان مصدره الجمهور والاظهار في النصح هنا بمعنى الاخلاص والصدق
ثم اتبع ما استشهد به من الكتاب العزيز بحديث رواه ابو داود كما رواه مسلم
فقال حدثنا ابو الوليد بقراءتي عليه حدثنا حسين بن محمد هو ابو
علي الغساني وقد تقدمت ترجمته قال حدثنا يوسف بن عبد الله هو
حافظ الاسلام بن عبد البر وقد تقدم قال حدثنا ابن عبد المومن
تقدم ايضا قال حدثنا ابو بكر بن التمار قال حدثنا ابو داود صاحب
السنن قال حدثنا احمد بن يونس ابو عبد الله احمد بن عبد الله بن يونس
اليربوعي الكوفي الحافظ الثقة المتقن روى عنه الستة توفي سنة
سبع وعشرين ومايتين قال حدثنا زهير بن محمد المروزي نزيل الشام
الثقة توفي سنة اثنين وستين ومايتين اخرج له الستة وترجمته في الميزان
قال حدثنا سهيل بن ابي صالح تقدمت ترجمته عن عطاء بن يزيد الليثي الثقة
التابعي توفي سنة سبع او خمس ومائة واخرج له الستة عن تميم الداري
وهو تميم بن اوس بن خارجة اللخمي المكني بابي رقية وهي ابنة له لم يولد له
غيرها والداري نسبة لجده الدار بن هاني او لدار بن اسم مكان ويقال
الديري لدير كان يتعبد فيه وقيل انه اسم قبيلة وهو بعيد كما في
المطالع وكان نصرانيا اسلم تسع بالمثناة من الهجرة وتوفي سنة اربعين
منها روى عنه في السنن وسنا احمد وقصته في الجساسة مشهورة
قال تميم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدين النصيحة

ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة كررها ثلاثا لزيادة الحث والتحريض
ولذا عدل المصنف عن رواية مسلم مع انه كتاب اصح الكتب عند علماء العربية
وربما قيل انها مكررة في هامش نسخة مسلم فلا وجه للعدول عنه امر سهل
وسؤال ساقط والدين ملة الاسلام والنصيحة تقدم بيانها وفي رواية انما
الدين النصيحة وهما بمعنى لافادة تعريف الطرفين الحصر قالوا اي الصحابة
الحاضرون عنده لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه بالعمل بما فيه وتعظيمه
وحفظه ولرسوله بالايمان واتباعه وطاعته ولائمة المسلمين الخلفاء
والسلاطين والحكام وعامتهم ان اريد العوام فظاهر وان اريد جميعهم
فهو من عطف العام على الخاص وسياتي بيانه قال ابن المراد بهم
علماء الاسلام او ايمة مذاهبه النصيحة لله ولرسوله ولائمة المسلمين
وعامتهم واجبة اي فرض عين على كل مكلف ونقل النووي انها فرض كفاية
فالتحشي اذي فهو في سعة من الترك قال الامام ابو سليمان البستي
بضم الموحدة وسين مهملة ومثناة فوقية وبا نسبة لبلدة بسجستان
وهو ابو سليمان بن محمد بن ابراهيم بن خطاب المعروف بالخطابي الامام الشهير
واختلف في اسمه فقيل احمد وقيل حمد توفي ببست في ربيع
الاول سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة النصيحة كلمة يعبر بها عن
جملة بالتنوين فقوله ارادة الخير بدل منه او مرفوع او منصوب
على هذا ولا مانع من الاضافة للمنصوح له وليس يمكن ان يعبر عنها
اي عن الجملة بكلمة واحدة تحصرها اي تجمع جميع معانيها دون ان
لعدم وجود غيرها اي غير هذه الكلمة وهي النصيحة وما دونها كالنصح
والنصاحة وفي كلامه تسمح فان مجرد ارادة الخير لا يسمى نصحا فالظاهر انه
يقول ارشاد المنصوح للخير وايضا في تركيبه شيء لانه اسم ليس الظاهر
انه اذا يعبر وجملة يمكن خبرها فيتعين تاخيرها لما فيه من اللبس بالفاعل
ومراده ان هذه من اوجز الاسماء واحصرها لدلالتها على معان بمفردها
وكذا اشتمل في كلمة لفظ الفلاح انه ليس في كلام العرب كلمة اجمع
لخيري الدنيا والاخرة منها ثم اشار الى اصل معناها لغة لتعلم ما هو
حاصل معناها في عرف اللغة والشرع بقوله ومعناها في اللغة
اي في عرف اللغة الاخلاص اي لنفسه وغيره من قولهم نصحت العسل
اذا خلصته وصفيته من شمعه بسكون الميم وفتحها مصدر لضميره
العسل في فعيلة بمعنى فاعلة او مفعولة لانها خلصت من
الغش كما خلص العسل من شمعه وقال ابو بكر بن ابي اسحاق

الخفاف وهو امام من ائمة اللغة ترجمته مذكورة في التواريخ وفي نسخة ابن اسحاق وهو ابو بكر احمد بن عمر بن يوسف الشافعي وهو صاحب كتاب الخصال في مذهب الشافعية كما قاله الرافعي النصح فعل الشيء الذي به الصلاح لنفسه وغيره واراد بالفعل ما يشمل القول والملامة بضم الميم ومد الهمزة من لامت بينهم اذا وفقت وتلاموا او التأموا بمعنى وقد تبدل همزتها ماخوذة اي مشتقة اشتقاقا وكثيرا ما يعبر عنه بالاخذ ويقولون دائرة الاخذ اوسع من دائرة الاشتقاق من النصاح بكسر النون وتخفيف الصاد وهو الخيط الذي يخاط به الثوب فتلتئم اجزاؤه فالنصيحة على هذا ماخوذة من نصح الثوب اذا خاطه ولا حاجة لنقله عن الحفاظ فانه في اكثر كتب اللغة وقال ابو اسحاق الزجاج امام العربية والتفسير تلميذ المبرد وشيخ ابي علي الفارسي وهو ابو ابراهيم بن سهل الزجاج منسوب لعمل الزجاج لانه كان حرفته توفي في جمادى الاخرة من سنة احدى عشر وثلثمائة وقد نافى على الثمانين نحوه اي قريب مما قاله الخطابي معنى ثم فرع على ما بينه من معناه لغة دعوى بيانه اقسامه فقال فنصيحة الله معناها والمراد بها صحة الاعتقاد اي اخلاص الايمان ولذا عداه باللام في قوله له وذلك بتخصيصه بالوحدانية اي بانه واحد احد لا شريك له في الالوهية ولا يشاركه احد في ذاته وصفاته وهو مصدر بمعنى الانفراد وزيد فيه الالف والنون على خلاف القياس كرباني ووصفه بما هو اهله اي بما يستحقه ويليق به كما يقال هو اهل للحمد وهو اهله ومحله وهو مجاز مأثور مشهور وتنزيهه عما لا يجوز عليه في كل ما يوهم نقصا والرغبة في محابه بفتح الميم جمع اسم مفعول احب بمعنى محبوب اي يرغب في كل ما يحبه ويرضاه والبعد عن مساخطه بفتح الميم جمع مسخط اسم مفعول اي كل ما يسخط الله ويورث غضبه من المعاصي وقيل هما جمع مسخوط ومحبوب والاصل محابيب ومساخط والاخلاص في عبادته بتعبده امتثالا لامره من غير رياء ولا ارادة امر اخر ولا تغيره العبادة وحاجته وخوف ناره وان قال الرازي ان الاخلاص بهم هو مرتبة الخواص وقد فصلناه في محل اخر فالنصيحة لله حقيقة راجعة الى العبد نفسه لانه تعالى لا ينتفع بنصح ولا يتصور في حقه فلذا حملت على هذا والنصيحة لكتابه معناها الايمان به اي بانه كلام الله المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم

بتصديق به لكن تعتقد يقينا لا ريب فيه والعمل بما فيه باتباع اوامره ونواهيه وتسليم متشابهه والايمان به وتحسين تلاوته بالتجويد والترتيل بان يخرج حروفه من مخارجها من غير تكلف وتشدد فيه وتدخل فيه تحسين الصوت من غير تغن وزيادة ومد وقال القراء تجويده واجب واختلف هل هو واجب شرعا او صناعة فذهب الى كل من القولين قوم من الفقهاء والحق انه واجب شرعا للقادر عليه من غير مشقة لبعض اللحن الجلي والتخشع عنده اي عند تلاوة القرآن وسماعه ينبغي له ان يظهر الخشوع وان لم يكن خاشعا كبعض العوام كما قيل ان لم تكن باكيا فكن متباكيا وصغر عنده للكتاب وقيل انه لتحسين التلاوة والادب اولى وانفع وفي التخشع ما يفيد انه لا ينبغي الصياح واظهار الوجد ما لم يكن عن حال سلبه اختياره والتعظيم له بان لا يقرأه محدثا وان لا يمد رجله ولا يجلس في محل قذر ولذا كره القراءة في الحمام وعلى الطرقات والاسواق وتفهمه اي تدبر معانيه والفكر فيها بدقة نظر والتفقه فيه اي فهم معانيه او النظر فيما احكامه الفقهية من حلاله وحرامه والانتفاع بمواعظه ونصائحه وامثاله والذب عنه بحجته وموحدة اي زجر من طعن فيه من الملحدين من تاويل الغالين وطعن الملحدين من تاويله بما لا يليق به من الغلو وهو تجاوز الحد ونتائجه وستمعنا اي كثيرة بينها النووي في كتابه التبيان في اداب حملة القرآن فعليك به والنصيحة لرسوله صلى الله عليه وسلم التصديق بنبوته ورسالته الى الناس كافة والى غير ذلك من الملائكة والجن وبذل الطاعة فيما امر به ونهى عنه لان طاعته واجبة وهي طاعة لله كما قاله ابو سليمان هو الخطابي الذي تقدم بيانه وقاله ابو بكر هو ابن ابي اسحاق الخفاف الذي مر ذكره وهو الظاهر الذي ذكره الثقات وقيل هو الحافظ الاجري ومؤازرته بواو مفتوحة او همزة من الازر وهو القوة او من الوزر وهو الملجأ اي معاضدته ومعاونته وهو معطوف على مقدر او على ما قبله عطف تفسير ونصرته اي اعانته على اعدائه او نصره دينه واعلاء كلمته وحمايته اي دفع السوء عنه حيا بالمجاهدة معه والخدمة وميتا بتقوية دينه وتاييد شريعته وهو راجع لكل ما قبله واحياء سنته اي هديه وطريقته وتقيدا اشتغاله بتفريعه بالطلب لها بان يشتغل بها ويجتهد في معرفتها والذب عنها اي دفع الشبه عنها والتاويلات الفارغة ونشرها اي اظهارها واشاعتها وتعليمها من انتشر الحديث اذا شاع والتخلق

باخلاقه اي الاتصاف بمثل صفاته المأثورة عنه وان لم يمكن مساواته فان
التشبه بالكرام فلاح الكريمة اي المكرمة الممجدة واداب الجميلة
التي فيها جمال ومدح لمن اتصف بها وقال ابو ابراهيم اسحاق التجيبي
تقدم بيانه وانه بفتح التا وضمها وانه المعروف بالورق نصيحة رسول
الله صلى الله عليه وسلم معناها التصديق بما جا به اي الايمان بكل ما جاء به
عن الله والاعتصام بسنته اي التمسك بها ونشرها والحض عليها
اي حث الناس وتحريضهم على اتباعها والدعوة الى الله اي الى الايمان به
وتوحيده والى كتابه القران بالايمان به والعمل بما فيه والى رسوله بالايمان به
واتباعه واليها اي الدعوة الى سنته والى العمل بها كما مر وقال
احمد بن محمد هو الامام المشهور احمد بن حنبل نفعنا الله ببركاته وهذا
ما وعدناك به من نسبته الى ابيه محمد من مفروضات القلوب
اي مما فرض ووجب اعتقاده وجزم القلوب به اعتقاد وجوب النصيحة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمعنى المتقدم وقال ابو بكر الاجري
الحافظ وقد تقدم بيانه وغيره من لائمة النصح له صلى الله عليه وسلم
يقتضي نصحين اي ينقسم الى قسمين نصحا في حياته ونصحا بعد
مماته ففي حياته اي النصح له وهو في حياته نصح اصحابه اي هو نصح اصحابه
او كنصح اصحابه له بالنصر على اعدائه والمحاماة عنه بدفع السوء عنه
وعمن يريده ومعاداة من عاداه ببغضه وتنقيصه وعدم موالاته
والسمع اي امتثال ما يقوله وقبوله كما في قوله سمع الله لمن حمده ه
فانه فسر بقبله والطاعة له اي الانقياد التام وبذل النفوس
اي الذوات او الارواح والاموال دونه اي صرفها والجود بها في
حمايته صلى الله عليه وسلم تنفيعها دون ما يضره كما قال تعالى من
المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية اي عاهدوا
الله على بذل ارواحهم وانفسهم في سبيل الله ونصرة رسوله صلى الله
عليه وسلم فوفوا بعهدهم وهذه الاية كما في الصحيحين نزلت في انس
ابن النضر وكان شق عليه انه لم يحضر بدرا وقال اول مشهد من
مشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه لين اراني الله
مشهدا بعده ليرين الله ما اصنع فلما كان من العام المقبل وتعه
احد استقبله سعد بن مالك فقال له يا ابا عمرو الى اين قال واها
لريح الجنة اجدها دون احد فقاتل حتى قتل رضي الله عنه ووجد
فيه بضعا وثمانين ما بين طعنة وضربة وقال تعالى وينصرون

الله

الله ورسوله الاية اولئك هم الصادقون وهذه الاية نزلت في المهاجرين
الذين اخرجوا من ديارهم ابتغاء رضوان الله واما نصيحة المسلمين
له صلى الله عليه وسلم بعد وفاته فالتزام التوقير اي الادب والتعظيم
والاجلال لقدره برفع ذكره وتعظيمه وشدة المحبة له بكونه احب
عنده من نفسه واهله وماله والمثابرة بمثلثة وموحدة وراء مهملة
اي المداومة والمحافظة على تعلم سنته وفي نسخة تعليم وسنته طريقته
وهديه او حديثه والتفقه في شريعته بفهم معانيه والعلم باحكامها
ومحبة ال بيته وهم اقرباوه الذين لا تحل لهم الزكاة وقد تقدم بيانهم
واصحابه وهم كل من اجتمع مومنا ومات على ذلك ومجانبة من رغب
عن سنته اي البعد عن كل شي من تركها وعدم الركون اليه اليه والانحراف
عنها اي الميل عنها فرغب في غيرها وبغضه اي اظهار عداوته
والتحذير منه من لا يعرفه بان يعرفهم حاله وينهاهم عن استماع كلامه
والشفقة على امته اي اللطف بهم والاحسان اليهم لاجله صلى الله عليه
وسلم لا لامر اخر والبحث اي التفتيش عن تعرف احواله صلى الله عليه
وسلم اي احواله المعروفة وفي نسخة اخلاقه وسيرته قال المرزوقي
معناها حالة من احوال السيرة اجرى مجرى الشيم والعادات انتهى ه
واداب ليقتدى بها والصبر على ذلك اي حبس النفس عليها بحيث
يصير طبيعة له فعلى ما ذكره اي الخفاف او الاجري يكون النصيحة
احدى ثمرات المحبة لان كل ما ذكره متفرع عليها كما يعرفه من له تامل
وعلامة من علاماتها كما قدمناه في فصل العلامات ولذا قدم المصنف
امر المحبة على النصيحة كما مر وحكى الامام ابو القاسم القشيري عبد
الكريم بن هوازن بن عبد الملك النيسابوري صاحب الرسالة وشيخ الطريقة
فريدة دهره علما وعملا وعمدة اهل السنة وفقيها الشافعية الجامع بين
الشريعة والحقيقة وترجمته مشهورة وتقدم طرف منها توفي سنة خمس
وستين واربعمائة ان عمرو بن الليث احد ملوك خراسان اقليم ه
معروف وعمرو هذا اخو يعقوب الصفار وكان يعقوب هذا كما قال
المسعودي في خلافة المعتضد بالله احد الخلفا العباسيين في صغره
صفارا فتغلب وصار له جيوش عظيمة فتسلطن ثم توفي سنة خمس
وستين ومائتين وخلف اموالا كثيرة فخلفه عليها اخوه عمرو المذكور وثاير
جمع مشهور الثوار بضم المثلثة وتشديد الواو والف تليها راء مهملة
جمع ثائر من ثار يثور اذا هاج ووثب بقوة والمراد بهم المتغلبون على الملك

فانه كان كذلك لشجاعته وكثرة جنده المعروف بالصفار منسوب لعمل الصفر
وهو نوع من النحاس تعلمه في الاوائل وقدم وجه التسمية به رئي بالبناء للمجهول
من الرؤيا وهو مهموز اي رآه بعضهم في المنام وفي نسخة في النوم فقيل له ما
فعل الله بك فقال غفر لي ذنوبي ويجي سيأتي فقيل بماذا اي باي سبب هذا
الذي نلته فقال صعدت بكسر العين في الماضي وفتحها في المستقبل اي
ارتقيت وعلوت ذروة بكسر الذال المعجمة وضمها وهي اعلى كل مرتفع من جبل
ونحوه يوما فاشرفت على جنودي اي رايتهم من مكان عال واطلعت
عليهم فاعجبني كثرتهم اي حسنت وسرتني فتمنيت اني حضرة رسول الله
صلى الله عليه وسلم اي كنت في عصره فشهدت غزواته وحروبه بجندي
فاعنته ونصرته على اعدائه بمقاتلتي انا وجندي معه فشكر الله لي ذلك
القول والتمني كما قال ورقة يا ليتني فيها جذع اخب فيها واضع ومعنى
شكر الله ثوابه والعامه وغفر لي بسبب قولي هذا وقال ابن فرحون
شكر الله ثناؤه عليه عند ملائكته وقيل هو مضاعفة ثوابه
واما النصح لائمة المسلمين جمع امام وهو الخليفة والسلطان ونحوه
المقتدى بهم والمراد الحكام مطلقا هنا فمعناه طاعتهم في الحق الموافق
للشرع اذ لا طاعة لمخلوق في معصية الله كما ورد في الحديث
لقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ومعونتهم فيه
اي في الحق لا في الباطل فالمعونة والاعانة بمعنى وامرهم به اي اتباعه
وتذكيرهم اياه بان يذكره لهم ويعظهم ويحثهم على اتباعه على احسن وجه
برفق وتلطف القول وحسنه فانه ادعى للامتثال وتنبيههم على ما غفلوا
عنه لعدم العلم بخفائه او لعدم الوقوف عليه وكتم عنهم بان كتم فلم يبلغهم
خبره من امور المسلمين فيمضوه عليهم وترك الخروج عليهم
بمخالفتهم وعصيان امرهم وهو معطوف على طاعتهم وتضريب الناس
عنهم اه فوقية مفتوحة وسكون الضاد المعجمة ومثناة وموحدة تحتية
مجرور اي ترك تضريبهم وهو اغراؤهم وتحريكهم عليهم يقال
ضربه اذا اغراه وافساد قلوبهم اي ترك افساد قلوب الناس عليهم بذمهم
وتشهير مساويهم حتى تنفر عنهم القلوب فتؤدي الى التجري عليهم ومخالفتهم
فيؤدي الى مفاسد عظيمة واما النصح لعامة المسلمين المراد بالعامة
هنا من عدا الحكام لا العوام بالمعنى العرفي فمعناه ارشادهم الى مصالحهم
اي دلالتهم على ما يوصلهم الى ما فيه صلاح امورهم ومعونتهم اي اعانتهم
في امور دينهم ودنياهم بالقول والفعل وتنبيه غافلهم لما غفل عنهم من

مصالحه

مصالحه وتبصير جاهلهم اي تعريفه بما جهله ليكون ذا بصيرة في امره
ورفد محتاجهم بفتح الراء المهملة اي اعانته ويجوز كسرها فان الرفد يعني
العطاء والصلة وكل شيء عمدته وجعلت له عونا فقد رفدته ومنه الرفادة
التي كانت لقريش في الجاهلية وستر عوراتهم اي يستر عليهم بعض معاصيهم
اذا راها فلا يذكرها حتى يفتضح مرتكبها فاذا ارشده لتركه ذكره خفية
قال النصيحة بين الملا تقريع ودفع المضار عنهم اي ما يضرهم في دينهم ودنياهم
وجلب المنافع لهم اي ما ينفعهم في دينهم ودنياهم اي كل ما ينفعهم دنيا ودينا
الباب الثالث في تعظيم امره اي شانه وقدره والامور المتعلقة
به ووجوب توقيره اي تبجيله وترجيح ما يتعلق به وبره
وصلته بالدعا له والصلاة عليه وزيادة مقامه وزيارة اهل بيته قال
الله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتومنوا
بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه هكذا في اكثر النسخ وليس موافقا للتلاوة
لان اية الاحزاب المصدرة بيا ايها النبي ليس فيها لتومنوا الخ والتي في
الفتح انا ارسلناك دون يا ايها النبي فقيل كانه بدا باية الاحزاب
وثنى باية الفتح فسقط الفاصل بينهما سهوا او يمضي له فوصله الناسخ
وفي بعض النسخ انا ارسلناك فقط وشاهدا وما بعده احوال مقدرة
كما بعد صقر صايدا به غدا واستشهاده بالاية بنا على ما ذهب
الضحاك من ان الضمائر كلها له صلى الله عليه وسلم وشاهدا وتدليغ يوم
القيامة باعماله من طاعة وغيرها وعلى هذا فالوقف على توقروه
وتوقروه كما اشار اليه المصنف وهو وقف كاف وقال القرطبي انه
تام وفيه نظر فعوله وتسبحوه ابتدا كلام فالضمير لله
عز وجل وقال يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله
تقدموا بضم اوله مضارع قدم فتوافق القراءة الاخرى بفتحها اذ هو تقدم م
مضارع تقدم المتعدي حذف مفعوله لتذهب النفس كل مذهب او لتنزيله
منزلة اللازم والمراد نفي التقدم راسا وعلى كل حال فالشاهد فيها ظا
فلا يتوهم انه لا شاهد فيها على القراءة المشهورة وقال يا ايها الذين امنوا
لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي اي لا تجعلوا اصواتكم في خطابكم جهرا
فوق جهره صلى الله عليه وسلم بالقول واخفضوها تادبا وتكريما له
فانه لعظم مقامه لا يليق عنده الصخب واللغط على عادة جفاة الاعراب
في ترك الادب الايات الثلاث وهي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم
لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون ان الذين يغضون اصواتهم عند

عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر
عظيم وإضافة ذي الألف واللام لمثله جائزة في المثلات ونحوه كما تقرر
لمن عنده علم بالعربية والشاهد فيهما أنه أمرهم إذا خاطبوه صلى الله
عليه وسلم أن لا يجهروا ويخفضوا أصواتهم إذا خاطبوه صلى الله عليه
وسلم أن لا يجهروا ويخفضوا أصواتهم تأدبا معه لما في الجهر من الاستخفاف
المؤدي إلى الكفر المحبط للأعمال لما فيه من الإهانة وعدم الاعتناء
بمقام النبوة ثم أثنى على من غض صوته عنده بأن الله امتحنه ووعده
بأنه له مغفرة وأجرا عظيما لارتضائه له وفيه تعريض بشناعة الجهر
وأنه لا يغفر وأن من ناداه صلى الله عليه وسلم وهو في حجراته مع أزواجه
مسلوب العقل لحرمة أذيته وأرشدهم إلى الأولى بهم وهو الصبر حتى يخرج
إليهم من نفسه من غير نداء فيكون هو المفتتح بكلامهم والكلام على
الآية مفصل في كتب التفاسير وقال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول
بينكم كدعاء بعضكم بعضا أي تنادونه باسمه يا محمد ونحوه كما سيأتي فلا
تغيظوه بغيره فأوجب تعالى على المؤمنين تعزيره بزاي معجمة وراء مهملة
أي إجلاله وتوقيره أي التأدب معه والزم إكرامه وتعظيمه قال
ابن عباس معنى تعزروه تجلوه الإجلال افتعال من الجلال وهو التناهي
في عظم القدر ولذا خص بالله فقيل ذو الجلال والإكرام كما قاله
الراغب وقال المبرد شيخ التفسير والعربية تعزروه
تبالغوا في تعظيمه وهو قريب مما قاله ابن عباس رضي الله عنهما
والنهي أخص منه كما توهم وقال الأخفش الكبيرة لنا دره وقيل هو
الأوسط صاحب التفسير المسمى بالمعاني والأخافشة المشهورة
ثلاثة وهو لقب لمن الخفش وهو ضعف البصر وهو من يرى ليلا
ولا يرى نهارا تنصروه وقال الراغب التعزير نصرة
مع تعظيم وقال الطبري وهو محمد بن جرير كما تقدم تعينوه
الإعانة أعم من النصرة والتعزير من العزر بفتح فسكون وهو الرد
والدفع ثم نقل لما ذكر لما فيه من دفع العدو والنقائص ولذا قيل
لما دون الحد تعزير لرد عدوه ودفع عوده لجنايته وله معنى آخر وهو
الوقوف على الأحكام وقرئ في الشواذ تعززوه بزايين معجمتين تفعيل
من العز وهو التقوية والغلبة كما في قوله فعززنا بثالث والعزير
لغة العزير وهذه كالمفسرة للقراءة المشهورة ونهوا أي نهاهم الله
في الآية الثانية عن التقدم بين يديه أي بحضرته وعنده بالقول

بان

بأنه يسبقه بالكلام وسوء الأدب يسبقه بالكلام في أمرها وهو قول ابن عباس
وغيره واختيار ثعلب في تفسير الآية وثعلب لقب إمام العربية واللغة
وهو أبو العباس أحمد أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني البغدادي توفي سنة
إحدى وتسعين ومائتين وقال سهل بن عبد الله التستري الإمام الزاهد
شيخ الطريقة في تفسير قوله تعالى لا تقدموا بين يدي الله ورسوله
لا تقولوا قبل أن يقول فيستفتحون الكلام عنده وهو ترك أدبه وإذا
قال فاستمعوا له وأنصتوا أي اسكتوا ثم عطف عليه عطف تفسير
قوله ونهوا عن التقدم والتعجل بقضاء أمر قبل قضائه به فيه أي في الأمر
وأن يفتاتوا أي يستبدوا ويستقلوا بشيء في ذلك أي في قضاء أمر من
الأمور عنده يقال افتات يفتات وهمزة أصلية عند أبي عمرو وغيره
من أهل اللغة أو هي مبدلة من حرف العلة كما قالوا في رثيت رثأت
فهو من الفوت عند بعضهم ويقال افتات بالفاء ويقال افتات الباطل
إذا اختلقه من قتال أو غيره من أمور دينهم إلا بأمره ولا يسبقونه
به وإلى هذا المذكور في تفسير الآية يرجع قول الحسن البصري
ومجاهد والضحاك والسدي وسفيان الثوري يعني أنهم فسروا
الآية بهذا أو حاصله وما له إشارة إلى أن أكثر المفسرين ارتضوه
ثم وعظهم الله في الآية بعدما ذكر وحذرهم مخالفة ذلك أي أمره
في قضائه بعدما نهاهم عن سبقه بالقول فقال واتقوا الله
تدل على أن مخالفته غير متقية إن الله سميع لأقوالكم عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم عليم بأفعالكم فهو ترتيب عليهم يخشى من غضبه
وعقابه ففيه من الموعظة والتحذير ما لا يخفى قال الماوردي أبو
الحسن وقد تقدم ذكره اتقوه يعني أي يريد الله به هنا في التقدم
بقرينة أول الآية وإن كان مطلقا وقال السلمي أبو عبد الرحمن كما
تقدم اتقوا الله في إهمال أي ترك حقه وتضييع حرمته أي احترامه
وتوقيره إنه سميع لقولكم عليم بفعلكم فيسبقه صلى الله عليه وسلم
بالقول ترك أدبه من فعله لم يراع حقه ولا وقر حرمته فهو في معنى ما قبله
ثم إنه تعالى نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته في الآيات الأخيرة
وأعاد النداء اهتماما به وتنبيها على أنه أمر آخر مستقل بالنهي ورفع
الصوت بشدة الجهر سواء بموعظة يعتادها العوام والجهر له
صلى الله عليه وسلم عطف تفسير على رفع الصوت بالقول كما يجهر
لبعض ويرفع صوته فالمراد النهي عن ارتفاع الأصوات عنده وأن

لم يكن الخطاب له في الندا أو قيل كما ينادي بعضهم بعضا فالمراد برفع
الصوت الندا فيهما عن ان ينادونه كما ينادي بعضهم بعضا باسمه فعبر عن
الندا برفع الصوت لانه يلزمه غالبا فهو كقوله لا تجعلوا دعا الرسول
بينكم كدعا بعضكم بعضا وبيانه ما قال ابو محمد مكي وهو مكي بن ابي طالب
القيرواني المالكي نزيل قرطبة كان متبحرا في العلوم لا سيما علوم القران
متواضعا مجاب الدعوة له تصانيف جليلة منها تفسيره المسمى
بالهداية وكتاب احكام القران توفي سنة سبع وثلاثين واربعمائة
اي لا تنسبوا بقوة بالكلام هو معنى قوله لا تقدموا الخ وتغلظوا له
بالخطاب اي تخاطبوه بغلظة واصل الغلظة ضد الرقة في الاجسام
ثم شاع في المعاني والخطاب توجيه الخطاب للغير والمراد به هنا الكلام
المخاطب به ولا تنادونه باسمه نداء بعضكم بعضا اي كندا بعضكم
فهو منصوب على المصدرية وهو عطف تفسير ولكن عظموه
ووقروه ونادوه باشرف ما يجب ينادى به يا نبي الله يا رسول
الله بدل لمن اشرف وهذا معنى قوله لا تجهروا له بالقول
لان كثيرا من جفاة الاعراب دابهم فيما بينهم هذا وهذا اي ما قاله
مكي كقوله في الاية الاخرى لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا
بعضكم بعضا وجهه ان النهي عن الشي امر بضده او بتضمنه وقد نهى
الله عن هذه الامور التي تقتضي اهانته فكانه امر بتعظيمه
وتوقيره على احد التاويلين اي التفسيرين الذين ذكرا في التقا
وهو ان يكون الدعا بمعنى الندا والتسمية اي لا تنادوه باسمه
ولا ترفعوا اصواتكم بان تقولوا يا محمد يا ابا القاسم كما ينادي بعضكم
بعضا اذا طلب اقباله بل خاطبوه بادب فقولوا يا رسول الله
يا نبي الله يا خير خلق الله ونحوه والثاني ان يكون المراد بالدعا الدعا
على احد اي لا تظنوا ان دعاه كدعائكم يحتمل الاجابة وعدمها كدعائكم
سواء كان بخير او شر فان الله ضمن له اجابة دعائه ووعده بها
من لا يخلف الميعاد وهذا غير مراد هنا كما اشار اليه المصنف
وهو الذي قاله مكي وقال غيره اي غير مكي معنى الاية اي لا تجهروا
له بالقول الخ لا تخاطبوه الا مستفهمين وفي نسخة الا مشفقين
من الاشفاق وهو الخوف وعلى الاول معناه الا سائلين له
متعلمين منه بالادب ثم خوفهم الله عز وجل من ان تحبط اعمالهم
ان هم فعلوا ذلك اي جهروا له بالقول ولم يتادبوا عنده وحذرهم

منه اي من فعلهم هذا بقوله ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون فان تحبط في
محل نصب بنزع الخافض او بحذف المضاف اي كراهة لا تفعلوا ما يؤدي الى احباط
اعمالكم بالاستخفاف به وهو كفر فليس فيه دليل لاحباط الاعمال بالكبيرة كما قاله
المعتزلة والخوارج قال في الامتاع من خصائصه صلى الله عليه وسلم انه لا يجوز
لاحد ان يناديه باسمه وما ورد في الحديث من ان اعرابيا قال له صلى الله
عليه وسلم يا محمد انا رسول لك الخ صدر منه قبل اسلامه او قبل النهي او قبل
علمه به ثم انه لو ناداه احد بكنيته فقال يا ابا القاسم هل يحرم ام لا انتهى
وباقي ما فيه وهذا الخصوص بحياته وهذا معتمد كما فيه استحسانه فلوا فقضيته
خالد ان يحرم كما في حال الحرب والجهاد لانه قيل نزلت الاية في وفد بني
تميم قبيلة مشهورة سموا باسم جدهم والوفد جمع وافد وهو القادم
على العظما لامر ما وكان ذلك في سنة تسع وهي سنة الوفود وكان صلى الله
عليه وسلم ارسل لهم سرية فانحوا عليهم واخذوا انواشيهم واساري فقدموا
بها المدينة فحبسوا في دار رملة بنت الحارث فارسلوا عدة من رؤسائهم فجا
بابه صلى الله عليه وسلم ونادوا يا محمد اخرج الينا كما فصل في السير وقد نزلت
الاية في غيرهم اي في غير بني تميم من العرب اتوا النبي صلى الله عليه
وسلم فنادوه من خلف داره يا محمد اخرج الينا فذمهم الله تعالى
بالجهل بمقام النبوة وترك الادب ووصفهم بان اكثرهم لا يعقلون
بقوله ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون وقيل
نزلت الاية الاولى اي قوله لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي في محاورة
بميم مضمومة وحاء وراء مهملتين وهي المجادلة ومراجعة القول بين ابي بكر
وعمر رضي الله عنهما بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم اي في مجلسه
وحضوره واختلاف جرى اي وقع بينهما حتى ارتفعت اصواتهما
وهو كما في البخاري عن ابن الزبير رضي الله عنه وهو ان ابا بكر رضي الله عنه
قال في امر بني تميم لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر عليهم القعقاع بن معبد
فقال عمر رضي الله عنه بل الاقرع بن حابس فقال ابو بكر ما اردت الا خلافي فقال
عمر ما اردت خلافك وتماريا حتى ارتفعت اصواتهما فنزلت الاية فما كان عمر
بعدها يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يستفهمه والحكم عام وسببه
خاص وقيل انه في امر الزبير فان الذي ارتضاه السيوطي الاول وقيل
نزلت الاية كما روي عن ابن عباس في ثابت بن شماس بن مالك بن امرئ القيس
الخزرجي الانصاري وكان خطيب الانصار وكان ايضا خطيب النبي صلى الله
عليه وسلم ليس المراد بالخطيب خطيب الجمعة والعيدين بل ما كان من عادته

لمنا بى

العرب اذا اجتمعوا لهم يقوم واحد منهم ويذكر كلاما بليغا تقدمة للامر الذي
اجتمعوا اليه كالمفاخرة وتفضيل بعضهم بعد ماثره فكان له صلى الله عليه
وسلم خطيب عند الوفود وشعرا كحسان رضي الله عنه في مفاخرة بني
تميم لما قدم وفدهم عليه صلى الله عليه وسلم وشرفه وكرم ودخلوا المسجد
ونادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اخرج الينا يا محمد ورفعوا
اصواتهم فاذى رسول الله صلى الله عليه وسلم صياحهم فخرج اليهم
فقالوا جئناك لنفاخرك فاذن لخطيبنا وشاعرنا فاذن لهم فقام
خطيبهم وهو عطارد فقال الحمد لله الذي له علينا الفضل والمن وهو
اهله الذي جعلنا ملوكا ووهب لنا اموالا عظاما نفعل فيها المعروف
وجعلنا اعز اهل المشرق واكثر عددا وعدة فمن مثلنا في الناس السنا
برؤس الناس واولي فضلهم فمن فاخرنا فليعدد مثل عددنا ولو شئنا لا
كثرنا الكلام ولكنا نستحي من الاكثار فيما اعطانا وانا لنعرف بذلك اقول هذا
لان تاتوا بمثل قولنا او امر افضل من امرنا ثم جلس فقال النبي صلى الله عليه
وسلم لثابت بن قيس بن شماس الخزرجي قم فاجبه فقام وقال
الحمد لله الذي السموات والارض خلقه قضى فيهن امره ووسع
كرسيه علمه ولم يكن شيء قط الا من فضله ثم كان من قدرته ان جعلنا
ملوكا واصطفى من خير خلقه رسولا اكرمه نسبا واصدقه حديثا
وافضله حسبا فانزل عليه كتابه وائتمنه على خلقه فكان خيرة الله
من العالمين دعا الناس الى الايمان به فامن برسوله المهاجرون
من قومه وذوي رحمه اكرم الناس احسابا واحسنهم وجوها وخيرهم
فعالا ثم كنا اول الخلق اجابة لله حين دعانا رسوله صلى الله عليه وسلم
فنحن انصار الله ووزراء رسول الله صلى الله عليه وسلم نقاتل الناس
حتى يؤمنوا فمن امن بالله ورسوله منع ماله ودمه ومن كفر جاهدناه
وكان قتله علينا يسيرا اقول قولي هذا واستغفر الله للمؤمنين
والمؤمنات والسلام عليكم ثم قام شاعرهم الزبرقان بن بدر
فانشد شعرا في فخر قومه فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان فاجابه
كما هو مبسوط في السير فاسلم بنو تميم فرد عليهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم سبيهم وما لهم وروي انه صلى الله عليه وسلم ما بالشعر بعثت ولا
بالفخر ولكن هاتوا ما عندكم وكان في اذنيه اي اذني ثابت رضي الله عنه
صمم فكان يرفع صوته اي كان هذا دابه كما تراه فيمن به صمم وانما احتاج لرفع
الصوت من يكلمه ليسمعه او لنسب الرفع له لانه سببه والاول هو المراد كما صرح

به

به فلما نزلت هذه الاية التي نهت عن رفع الاصوات عنده اقام في
منزله مختفيا لم يات مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وخشي ان يحبط عمله
برفع الصوت عنده صلى الله عليه وسلم ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم
ليعتذر له عن سبب تخلفه عنه بعدما سال عنه فقال يا نبي الله لقد خشيت
ان اكون هلكت اي تحقق هلاكي لاني ان حضرت عندك نطق علي وان تخلفت
فاتني كل خير وليس المراد بلزوم منزله انه ترك حضور صلاة الجماعة لمرض لحقه
من شدة خوفه كما نقل اذ ليس هنا ما يدل عليه وقد بين موجب
هلاكه الذي تحقق عنده حتى كانه وقع بقوله نهانا الله ان نجهر بالقول
عندك وانا امرؤ جهير الصوت فقال صلى الله عليه وسلم يا ثابت اما ترضى
ان تعيش حميدا اي محمودا عند الله والناس وهذا يدل على قبول عمله وانه
لا يحبط فهو الجواب حقيقة وتقتل شهيدا فيكون لك خير الدنيا والاخرة
وفيه معجزة له صلى الله عليه وسلم لاخباره بالغيب كما اشار اليه بقوله
وتدخل الجنة فقتل يوم اليمامة اي في وقعة اليمامة في خلافة الصديق
سنة ثنتي عشرة في ربيع الاول وهي وقعة مسيلمة المشهورة واليمامة
اسم مدينة من جانب اليمن على مرحلتين من الطائف واربع من مكة وكان خرج
في وقعتها مع خالد بن الوليد فلما التقوا لم يثبتوا فقال ثابت وسالم مولى
ابي حذيفة ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فحفر كل واحد
منهما حفرة له وثبتا وقاتلا حتى قتلا وروي رواه طارق بن شهاب
ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه لما نزلت هذه الاية لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبي قال ابو بكر امتثالا لقول الله تعالى وخوفا
من مخالفة نبيه ولذا اكده بالقسم فقال والله يا رسول الله لا اكلمك
بعدها اي بعد نزول هذه الاية الا كاخي السرار اي الا كلاما خفيا كالمسارة
وهي الكلام بخفية حتى لا يسمعه من عنده والسرار بكسر السين مصدر
سارة مسارة وسرارا وهي مفاعلة من السر والاخ في النسب
معروف يتجوز به عن المثل والشبه كقولهم كان واخواتها ويكون بمعنى
الصاحب والمراد الاول ويجوز ارادة الثاني وهذا مروي عن ابن
عباس وعمر ايضا كما ذكره المصنف بقوله وان عمر كان اذا حدثه
صلى الله عليه وسلم حدثه كاخي السرار وهذه العبارة من كلامهم
قديما ما كان يسمع بعضهم ابنا ولكن المهم وفاعله ضمير الى عمر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الاية حتى يستفهمه
رسول الله صلى الله عليه وسلم لشدة اخفائه كلامه وهو تفسير لقوله

كالجهر السرار فانزل الله فيهم اي في حق ابي بكر وعمر ومن ضاهاه كنايت
مدحا لهم ان الذين يغضون اصواتهم اي يخفضونها عند رسول الله
اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم
والامتحان التجربة والمراد انه عاملهم معاملة المختبر ليظهر للناس ادبهم
وتقواهم واستحقاقهم للاجر العظيم وقيل نزلت اية ان الذين ينادونك
الخ في عبر بني تميم من الاعراب نادوه باسمه لجهلهم بمقامه وعدم
ادبهم وروي رواه الترمذي والنسائي عن صفوان بن عسال
بفتح العين والسين المشددة ابن الربضي ابن زاهر المرادي الكوفي ه
الصحابي المشهور وهي عند السنة بينا بالف كافة كيتما وفي نسخة
بينما في سفر اذ ناداه اعرابي بصوت له جهوري بفتح الجيم وسكون ه
الها وواو مفتوحة اي صياح شديد يقال جهوري وجهر اذا رفع صوته
وهو جهوري الصوت وجهيره اي بين ظرف مكان او زمان
يجاب بجملة وقد تقرن باذا واذ الفجائية والافصح تركهما كقوله

بينا نحن نرقبه اتانا ۞ تعلق وفضة وزناد راعي ۞

ويقع بعدها الجملة اذا كففت بالالف يا محمد يا محمد مرتين وفي نسخة
ثلاثا وانما ناداه نداء البعيد فقلنا له اي قال له الصحابة تعليما له
وتاديبا اغضض من صوتك اي لا ترفعه فانك قد نهيت اي نهاك
الله عنه حذف فاعله للعلم به واعلم ان رفع الصوت يكره في بعض
المواضع كمجلس العلماء اذا تكلف من غير داع وقد يستحب في بعض المواضع
كالاذان ومجالس الوعظ والخطبة ولذا روي انه صلى الله عليه وسلم
كان اذا خطب وذكر الساعة غضب وعلا صوته حتى يسمع بالسوق وكانت
العرب تفخر بالصوت الجهير كما قيل

جهير الكلام جهير العطاس ۞ جهير الرواجهير النعم ۞

فنهاهم الله عما اعتادوه في الجاهلية وقول لقمان لابنه اغضض من صوتك
نهي عن الجهر تهاونا بالناس ثم ذكر من توقيره صلى الله عليه وسلم امرا اخر
فقال وقال الله تعالى لا تقولوا راعنا كان المؤمنون يقولونه
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خاطبهم يريدون تان في خطابك حتى
نفهم كلامك فراع مقامنا انا لسنا فهمنا شكك فانظر حالنا فانتهز اليهود
الفرصة وقالوها لانها كانت كلمة يتسابون بها كما ياتي عن الكشاف ه
قال بعض المفسرين هي لغة في الاضداد كانوا يقولونها في محاورتهم
اذا ارادوا الشتم نهوا عن قولها تعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم لا يهامها

ولا عنيا داخطاب الاقران وتبجيلا له اي تعظيما له صلى الله عليه وسلم وهو
ابلغ من التعظيم لانه معناه قال له يا جلال ابجلك لان معناها ارعنا رعاك
من المراعاة اي احفظنا حفظك نهوا عن قولها اي هذه الكلمة
او نقصها على تفسيرها السابق انهم لا يراعونه ويراعون مقامه
الا بمراعاتهم لان المعنى ارعنا رعاك بل حقه اللائق به انه يرعى على كل حال
راعاهم ام لا بخلاف انظرنا فان معناها انظر الينا وتمهل بنا لنا وهي
كل ادب فلذا امر الله بان يقال له انظرنا دون راعنا وقيل كانت
اليهود تعرض بها له صلى الله عليه وسلم بالرعونة وهو الحمق والحماقة
وجعلها تعريضا لانها تحتمل الرعاية اخذا بالظاهر وقول البرهان انما
انما تاتي على قراءة شاذة راعنا بالتنوين والنصب لغير جني لانه لو كان كذلك
كان تصريحا لا تعريضا ولذا روي ان اليهود قالوا كنا نسب محمدا سرا فاظهروا
ذلك علنا فكانوا يقولون يا محمد راعنا ويضحكون ففطن لهم سعد بن معاذ
رضي الله عنه فقال لليهود عليكم لعنة الله والله لاضربن عنق من سمعته
يقولها فنهي المسلمون مبني للمفعول اي نهاهم الله عز وجل عن قولها قطعا
للذريعة التي تعني في اللغة الوسيلة والسبب وقال بعض شراح المدونة
الا اصل معناها لغة جمل يترك هملا في فلاة يصاد فيها الظباء والحمر الوحش
حشيه فتانس بها الصيد وتدور بغية فاذا ذهبوا للصيد لم يقرب
الجمل منهم لانه يانس بالناس فاذا وقف الناس الصيد معه فياخذون منه
لسهولته ثم يسمى به كل ما كان سببا للهلاك فانه سبب هلاك الصيد الذي
معه كما ان هذه سبب لهلاك من قالها فلذلك جعلت ذريعة وهي ه
فعيلة بمعنى المجمعة ونهاهم عن مهملين واعلم ان الشراح رحمهم الله لم يتعرضوا
هنا لبيان المراد بهذه العبارة هنا وهي اشارة الى قاعدة مشهورة في مذهب
الامام مالك وهي وجوب سد الذرائع اي يجب دفع كل ما يؤدي الى فساد في
امر مشروع وقد ظن كثير ان هذه المسئلة مخصوصة بمذهب
مالك وانه واجب عنده مطلقا وليس كذلك كما قاله العلامة القرافي
حيث قال ليس كل ذريعة فساد يجب سدها مطلقا فان الذرائع ثلاثة
اقسام فمنها ما اجمع الناس على وجوب سده كسب الاصنام عند من يسب
الله اذا سب وحفر الابار في طرق المسلمين والقاء السم في طعامهم ومنها
ما اختلف فيه كبيوع الاجال ومنها ما يكون خلاف الاولى وقد تكون ذريعة
الفساد ذريعة لمصلحة ايضا فيقدم الارجح منها كدفع المال للكفار
لافتداء الاسير والحاصل كما نقله بعضهم عن علمائهم المتاخرين

ان سد الذريعة في الاصل من باب الورع والاحتياط لا من الواجب اذ المفعول
بها ليس فسادا في حد ذاته والفساد معها مظنون وقد اشتهر نسبة هذه
المسألة للمالكية حتى ظن كثير انها من خواصهم وليس كذلك كما علم مما بينه
القرافي ومنعا للتشبه بهم اي ان يتشبه المؤمنون باليهود في قولهما اي
في التكلم بهذه الكلمة لمشاركة واتحاده وان كان قصده المسلمين
غير ما قصده اليهود وقال الواحدي في الوسيط النهي عن التكلم بهذه
الكلمة مخصوص بذلك الوقت لاجماع الامة على جواز المخاطبة بهذه
اللفظة الان ونقله الاصبهاني في تفسيره وينبغي الكلام في استحباب
التركة وقيل في تفسير هذه الاية غير هذا المذكور في تفسيرها
فقال الكشاف كان المسلمون يقولون له صلى الله عليه وسلم اذا اخفي
عليهم شيء من كلامه راعنا اي تأن بنا حتى نفهم كلامك ونحفظه وكان لليهود
كلمة سريانية او عبرانية يتسابون بها وهي راعينا فلما سمعوا بقول المسلمين
راعنا بمعنى انظر الينا افترصوا الفرصة وقالوا اما بريد ونسبه صلى
الله عليه وسلم بها فنهي المسلمون عن قولها لما فيها من الايهام وامروا
ان يقولوا انظرنا من النظرة اي امهلنا فصل في عادة
الصحابة في تعظيمه عليه الصلاة والسلام وتوقيره واجلاله
اي في نقل اخبارهم فيما كانوا يعاملونه من المعاملة بالادب وغاية
الاجلال فمنه ما رواه المصنف هنا من حديث طويل رواه مسلم
واشار اليه بقوله حدثنا القاضي ابو علي الصدفي هو ابن سكرة وقد
تقدم والصدفي نسبة لصدف قرية بالمغرب وابو بكر الاسدي
نسبة لقبيلة قرأ عليهما في آخرين مسند اوخيرا اشارة الى
انهما من مشايخه وطرق روايته هذا الحديث عنهما قالوا
اي شيخاه لاجل ان الاخيرين لا نعلم نروغهم وعبر بضمير الجمع تعظيما او لان
الواحد وما فوقه جمع قال حدثنا احمد بن عمر قال حدثنا
احمد بن الحسن ابو العباس بن بندار الرازي المعروف بالرواية وفي
بعض النسخ الحسين والصحيح الاول قال حدثنا محمد بن عيسى هو
الجلودي كما تقدم قال ابراهيم بن سفيان تقدمنا ترجمته قال
حدثنا مسلم صاحب الصحيح وقد تقدمت ترجمته قال حدثنا
محمد بن مثنى تقدم تفصيل ترجمته وابو معن الرقاشي وهو زيد بن يزيد
البصري الثقة واسحاق بن منصور الحافظ الثقة المعروف بالكوسج اخرج
له الستة وتوفي سنة احدى وخمسين ومائتين قالوا حدثنا الضحاك

ابن مخلد ابو عاصم الشيباني البصري الثقة توفي في ذي الحجة سنة ثلاث
عشرة ومائتين وترجمته في الميزان قال حدثنا حيوة بن شريح تقدم ايضا
وفي نسخة انبانا قال حدثنا يزيد بن حبيب الازدي محدث مصر وكان
حبشيا من العلماء الحكماء الاتقياء توفي سنة ثمان وعشرين ومائة واخرج له
الستة عن ابن شماسة بضم الشين المعجمة وفتحها وميم والف وسين مهملة
واسمه عبد الرحمن المهري بميم مفتوحة مخففة وهاء ساكنة وراء مهملة
ويا النسبة وهو حافظ ثقة توفي في خلافة يزيد بن عبد الملك وما في بعض
النسخ من انه الفهري تحريف قال حضرنا عمرو ابن العاص برسم بيانه وقد
تقدم قال حضرنا عمرو ابن العاص برسم بيانه تقدم فذكر حديثا طويلا
فيه عن عمرو قال وما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا احد اجل في عيني منه تثنية عين وجوز افراده والمعنى واحد
وما كنت اطيق اي اقدر ان املأ عيني منه اي اطيل النظر اليه وملء العين
تحقيق النظر وتطويله وهو مجاز مشهور وقوله ولكن ملء عيني حبيبها
بمعنى اخر بمعنى ما يحبه ويحسن منظره اجلالا له اي لاجلاله وتعظيمه
ولو شئت ان اصفه ما اطقت وقد رتب لعدم احاطة علمي به
لاني لم اكن املأ عيني منه لو هنا لتحقيق الجواب على كل حال
كقولهم نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه اي لا اقدر ان اصفه
على تقدير اني شئت فكيف اذا لم اشأ فلا يقال ان لو لامتناع الشرط
والجواب فيقتضي انه يطيق وصفه والمراد خلافه وحديثه مسلم
في الايمان حضرنا عمرا في سياقة الموت يبكي طويلا وحول وجهه الى
الجدار فقال ابنه يا ابتاه اما بشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا
وكذا فاقبل بوجهه وقال ان افضل ما نعد شهادة ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله اني كنت على اطباق ثلاث الخ فذكر حالته في جاهليته
وبغضه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكر اسلامه وشدة حبه
له بعد ذلك ثم ذكر ما آل اليه في الولاية وخوفه من آثامها رضي الله
عنه وروى الترمذي والحاكم عن انس ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يخرج من بيته على اصحابه من المهاجرين والانصار رضي
الله عنهم وعداه بعلى وهو يتعدى بالى ومعناه خروج خاص لمن لم ينظره
وهم جلوس في المسجد فيهم ابو بكر وعمر فلا يرفع احد منهم اليه
بصره بل يطرق فوق له منه الا ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وبحوه الا
ابا بكر وعمر نصبا فانهما كانا ينظران اليه وينظر اليهما ويتبسمان اليه

وتبسم اليهما لما بينهما من الالفة وقدم الصحابة والمصاهرة ولتمكن
مقامهما عنده صلى الله عليه وسلم رواه وكيع عن اسامة بن شريك الصحابي
الثعلبي من ثعلبة بن يربوع وهو الاصح وقيل من ثعلبة بن بكر
وقد اخرج له اصحاب السنن واحمد في مسنده قال اي اسامة اتيت
النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه حوله اي يحيطون به في مجلسه
كانما على رؤوسهم الطير هذا مثل تضربه العرب لشدة الرزانة والسكون لانه
الطير لا تنزل الا على ساكن وتقدم في مقصورتي النبوية ۝
كانما الطير على رؤوسهم ۝ من كل عضو في ربا المجد نما ۝
وهذا الحديث رواه الاربعة وصححه الترمذي وفي حديث صفته
بالتاء المثناة الفوقية يعني حديث الحلية المشهور وصحفه بعضهم
بصفية بالياء التحتية اسم امراة ولا يعرف هذا اصلا وانما المعروف
روايته عن هند بن ابي هالة كما تقدم اذا تكلم صلى الله عليه وسلم
اطرق جلساؤه كانما على رؤوسهم الطير اي طأطأوا رؤوسهم تأدبا وذكر
هذا مع ما تقدم اشارة لتعدد طرقه ولما بينهما من المغايرة بذكر وجه
الشبه والعموم في الجلساء لما فيه من ان كل من حضر مجلسه صلى الله
عليه وسلم ولو من اعدائه يهابه لانه امر الهي له وقال عروة بن مسعود
رضي الله عنه ابن معتب الثقفي حين وجهته قريش الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم سنة الحديبية لما صدوه عن دخول مكة معتمرا
عام القضية اراد بها قضية الحديبية وقيل اراد السنة التي قضى
فيها العمرة فالقضية بمعنى القضاء والمراد عام جرى فيه القضاء
والقضية اذ القضاء وقع بعد الحديبية وعروة انما جاء بالحديبية فهو
محتاج للتاويل ولذا قيل ان القضية وقعت عام الحديبية سنة
ست وعام القضية كان سنة سبع بعد فتح خيبر فلعل المصنف
اراد القضية اللغوية التي جرت في الحديبية من الصلح والصد عن
البيت وبيعة الشجرة ولم يرد القضية التي ارادها اهل السير انتهى
وهذا بناء على ان عمرته صلى الله عليه وسلم بالحديبية لم تتم فقضية
لما صدوه عن البيت وقد اختلف الفقهاء في مثله فقيل يجب الهدي
ولا قضاء وقيل يجب القضاء لا الهدي وقيل لا يلزمه هدي ولا
قضاء وقيل يلزمه الهدي والقضاء وقصة القضية مفصلة في السير
وعروة هذا اسلم لما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم من الطائف
وادركه قبل وصوله الى المدينة وكان حين ارسلوه مشركا ورأى عروة

من

٢٥٩

من تعظيم اصحابه له صلى الله عليه وسلم ما رأى هذا اخذه من المبالغة
في قوله تعالى فغشيهم من اليم ما غشيهم اي رأى من اكرامهم له صلى الله عليه
وسلم وتعظيمهم له شيئا عظيما لا يمكن التعبير عنه لفوات الحصر ولذا ابهمه
وان ذكر بعضا منه بقوله وانه صلى الله عليه وسلم لا يتوضأ الا ابتدروا
اي اسرعوا واخذوا وضوءه بفتح الواو بقية الماء الذي توضأ به وما تساقط
قبل وصوله الى الارض وكادوا اي قربوا الان حالهم ودفع بعضهم بعضا
ان يقتتلوا عليه اي على وضوئه واخذه لحرصهم على التبرك بما مسه
صلى الله عليه وسلم بيده ولا يبصق بصاقا اي يرمي شيئا من ريقه الشريف
ولا يتنخم نخامة بضم النون لان فعالة وضعها لكل قليل انفصل من شيء
كالبراية والتنخم اخراجه من الفم والفرق بين البصاق والنخامة ان الاول
ما يخرج من الفم والثاني ما يخرج من اقصى الحلق الا تلقوها باكفهم
واكتفي بتقديرها عن ضمير البصاق وكان الظاهر تلقوهما او جعلا شيئا واحدا
لاتحادهما جنسا فدلكوا بها وجوههم واجسادهم تبركا بهما ولا تسقط
منه شعرة بفتح العين وسكونها في حلاقة رأس ونحوه الا ابتدروها
وسارعوا الى اخذها واذا امرهم بامر ابتدروا امره بالامتثال والامر
مصدر او بمعنى المامور وكان حقه ان يقول ابتدروه فصرح به تفخيما لشانه
وتنويها لقدره واذا تكلم صلى الله عليه وسلم خفضوا اصواتهم عنده لتبين
ما يقول لهم وما يحدون اليه النظر اي لا ينظرون اليه صلى الله عليه
وسلم نظرا حديدا اي قويا او لا يبلغ نظرهم اليه حده ونهايته بل ينظرون
اليه من طرف خفي مطرقين رؤوسهم تأدبا واجلالا لما في قلوبهم تعظيما له
صلى الله عليه وسلم علة للمنفي لا للنفي اي يتركون كمال نظرهم لتعظيمه
صلى الله عليه وسلم فلما رجع عروة الى قريش قال لهم يا معشر قريش
المعشر والعشيرة بمعنى اني جئت كسرى بفتح الكاف وكسرها فارس
كما تقدم في ملكه في زمان سلطنته وقيصر ملك الروم في ملكه و
جئت النجاشي ملك الحبشة في ملكه فرأيتهم وشاهدت عظمتهم ۝
والنجاشي بفتح النون وكسرها وياؤه مشددة ومخففة واني والله ما رأيت
ملكا في قوم قط مثل محمد في اصحابه كمثل ما يعظم محمدا اصحابه
نعته مصدر مقدر وما مصدرية او موصولة اي كالتعظيم الذي يعظمه
اصحابه فالعائد مقدر وقد رأيت قوما يعني بهم الصحابة رضي الله
لا يسلمونه بضم اوله وسكون ثانيه وكسر لامه مضارع اسلمه يقال
اسلمه لعدوه اذا امكنه منه وخلى بينهم وبينه ويقال اسلمه اذا القاه

اي النخامة

في هلكه فهو عام اريد به خاص ابدا ظرف لاستغراق الزمان المستقبل كما ان قط لاستغراق الماضي يعني ان عاشا هو ونحن من اخوانهم في تعظيمه صلى الله عليه وسلم وانقيادهم له بحيث انهم لا يقصرون في نصره ويبذلون انفسهم دونه فاياكم ان تطمعوا في خلافه وهذا بعض من حديث طويل رواه البخاري وعن انس في حديث رواه مسلم قال فيه لقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق بتشديد اللام وهو الذي يحلق شعر راسه فقوله يحلقه بتقدير مضاف وقد طاف به اصحابه اي جلسوا حلقة حوله صلى الله عليه وسلم وطاف بمعنى داروا طاف بمعنى استدار من غير حركة فما يريدون ان تقع شعرة من شعره الا في يد رجل منهم حرصا على التبرك باثاره صلى الله عليه وسلم والذي حلق راسه وقلم اظفاره معمر بن عبد الله العدوي في حجة الوداع وقال ابن الاثير في الانساب انه خراش بن امية الكعبي وكان ذلك يوم الحديبية كما قاله ابن عبد البر والذي حلقه بالجعرانة ابو هند وكان صلى الله عليه وسلم لا يحلق الا في حج او عمرة ومن هذا اي تعظيم الصحابة له صلى الله عليه وسلم لما اذنت قريش لعثمان ان عثمان رضي الله عنه حين ارسله صلى الله عليه وسلم الى اهل مكة وهو بالحديبية وقد صدوهم عن البيت وارساله لاعلامهم بانهم لم ياتوا لقتالهم فلا وجه لصدهم عن دخول الحرم فلم يرضوا بذلك ولكنهم اذنوا لعثمان رضي الله عنه في الطواف بالبيت بعد منعهم له لغيره حين وجهه اي ارسله رسول الله صلى الله عليه وسلم لجهتهم في القضية اي قضية صدهم المسلمين عن البيت وهم بالحديبية لامر أبى الطواف وهو جواب لما وقال ما كنت لافعل الطواف وحدي ورسول الله صلى الله عليه وسلم ممنوع منه ولم يرسلني لذلك فلا اطوف حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم فعجبه من تعظيمه والوقوف عند امره ما لا يخفى وهذه القضية مفصلة في السير وذلك انهم لما صدوهم عن دخول مكة وارسلوا عروة لاعلامهم بذلك ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان ليخبر قريشا بمجيئه صلى الله عليه وسلم معتمرا لا مقاتلا فلما دخل مكة اجاره ابان بن العاص حتى بلغ رسالته فلما بلغهم قالوا له ان شئت فطف فقال ما كنت لافعل فاحتبسوه وبلغ المسلمين انه قتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نبرح حتى نناجز القوم وبايع بيعة الرضوان

تحت

تحت الشجرة كما رواه الترمذي عن طلحة رضي الله عنه وقال انه حسن غريب وقوله ما كنت لافعل ابلغ من لا اطوف وفي حديث طلحة الذي رواه الترمذي وحسنه ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لاعرابي جاهل سله اي سل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن قضى نحبه في قوله تعالى من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه والنحب النذر والعهد استعير هنا للموت لانه لزومه كانه نذر في ذمته يجب قضاؤه والزام نفسه ان يجاهد في سبيل الله وقتال اعدائه والثبات في مواقفه حتى كانه نذر عليه والمراد هنا الثاني لكن اقتصر على الاول فقد قضى اي منهم من قاتل حتى مات شهيدا كحمزة رضي الله عنه وكانوا اي اصحابه يهابونه ويوقرونه فلا يكثرون سؤاله صلى الله عليه وسلم اجلالا له فسأله الاعرابي فاعرض عنه ولم يجبه اذ طلع طلحة اي كان اعراضه في وقت طلوعه اي بجيئه لمجلسه صلى الله عليه وسلم واذ هنا فجائية كقوله

: فبينما العسر اذا دارت مياسير :

اي فاجاهم طلوعه عليهم بغتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ممن قضى نحبه وهو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن كعب ابن سعد التيمي احد العشرة وفي الصحابة تيمي غيره وهو الذي نزل فيه قوله تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله الاية وروى ابو نعيم انه صلى الله عليه وسلم تلا هذه الاية على المنبر فسأله رجل من هو فاشار الى طلحة بن عبيد الله فقال هذا منهم وفي تفسير سنن ابن ماجه وفي تفسير ابن ابي حاتم ان عمارا منهم وفي تفسير يحيى بن سلام هم حمزة واصحابه قال ابن التين كان ممن كان ذلك اليوم عبد الله ابن جحش ومنهم من ينتظر منهم طلحة بن عبيد الله انتهى قال ابن الملقن فاجتمع منهم انس ابن النضر وطلحة ابن عبيد الله وعمار وحمزة واصحابه الذين قتلوا معه باحد انتهى وطلحة هذا هو الملقب بطلحة الخير والفياض وانما قال صلى الله عليه وسلم في حقه ذلك لانه كان غاب عن بدر فقال لئن احضرني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا آخر ليرين الله ما اصنع فلما كان يوم احد ابلى فيه بلاء حسنا ووقى رسول الله يومئذ بنفسه واتقى النبل بيده حتى شلت اصابعه وحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ظهره حتى استعلى الصخرة فلذا شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بما شهد وهو احد العشرة

عرضه

فالنحب هنا بمعنى العهد لانه مشترك بينه وبين النذر والموت وفي الاية
كلام طويل في التفاسير واما لي ابن الحاجب لنبين هذا محله وفي حديث
قيلة الذي رواه ابو داود والترمذي وقيلة بفتح القاف وسكون
المثناة التحتية وهي بنت مخرمة العنبرية الصحابية وذكر
ايضا بتميمة كما تقدم وحديثها في الشمايل وفيه قالت فلما رايته
صلى الله عليه وسلم جالسا القرفصا وهو نوع من الجلوس محتبيا بيديه
قال في القاموس القرفصى مثلث القاف والفا مقصورة والقرفصا
بضم القاف والراء ان يجلس على اليتيه ويلصق فخذيه ببطنه ويحتبي
بيديه يضعهما على ساقيه او يجلس على ركبتيه منكبا ويلصق بطنه بفخذيه انتهى ه
ارعدت اي حصل لي رعدة واضطراب من الفرق بفتحتين اي شدة الخوف
وذلك اي ما كان لي من الرعدة والخوف هيبة له وتعظيما لجلالته
وعظمته في عيني ورايي وفي حديث المغيرة ابن شعبة الذي رواه
الحاكم والبيهقي كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا اتوه لامر وهو في منزله يقرعون القرع ضرب خفيف ويسمع له صوت
بابه بالاظافير جمع ظفر على غير القياس او جمع اظفور او اظفار بمعنى
ظفر فاظافير جمع الجمع فالاول اولى لان جمع المفرد اقيس من جمع
الجمع وهذا اي ذكر الباب والقرع يقتضي ان حجرته صلى الله عليه
وسلم كان لها باب من خشب ونحوه وقد ورد انه عليه ستار وتعقب
وجمع بانه كان من جلد يقرع فليحرر فان مثله لا يقال بالراي واعلم
ان هذا هل يسمى حديثا اولا وعلى تقدير تسميته حديثا هل هو مرفوع
ام لا اختلفوا فيه كما قال الحافظ العراقي في الفيته

ه لكن حديث كان باب المصطفا ه يقرع بالاظافر ما وقفا ه
ه حكما لدى الحاكم والخطيب ه والرفع عند الشيخ ذو تصويب ه

والمراد بالشيخ ابن الصلاح رحمه الله وقال البراء ابن عازب
ابن حارث الخزرجي الانصاري توفي في ايام مصعب بن الزبير في حديث
رواه ابو يعلى وصححه لقد كنت اللام جواب قسم مقدر اي والله
اريد ان اسال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الامر من الامور
التي تهمني او يخطر ببالي مما احتاج لبيانه فاوخر بهمزتين وقد تبدل
الثانية واوا والافصح الاول سنتين مثنى سنة وفي نسخة
سنين بصيغة الجمع من هيبته صلى الله عليه وسلم اي من مهابته
في قلبي وعظمته في نفسي فصل واعلم ان من العلم

معطوف

معطوف على ما قبله والخطاب عام لكل من يصلح له وسد مسد مفعولية
قوله ان حرمته صلى الله عليه وسلم بضم فسكون وبضمتين وكهمزة
وهي المهابة اي احترامه والتادب معه بعد موته وتوقيره وتعظيمه
لازم على كل احد كما كان لازما في حال حياته لبقا نبوته ورسالته
وذلك اي ما ذكر من احترامه وتعظيمه لازم عند ذكره وذكر
حديثه وسنته وسيرته وسماع اسمه وسيرته ومعاملة اله
تقدم بيان المراد بهم وعترته بكسر العين وسكون المثناة فوقها
مثلثة خطا من العامة وهم نسله ورهطه وعشيرته الادنون
ومعاملتهم بمعنى مخالطتهم في امور دينية او دنيوية وتعظيم اهل بيته
اي ازواجه وخدمه واتباعه ولعل المراد به اله وعترته حتى يكون
اطنابا واصحابه رضي الله عنهم قال ابو ابراهيم التجيبي بضم التا
وفتحها كما تقدم واجب على كل مومن خصه لان الكافر
لا يجب عليه ذلك وقيل انه يجب عليه ايضا بنا على انه مخاطب
بفروع الشريعة والوجوب عليه بمعنى مطالبته به في الاخرة ه
وعقابه عليه متى ذكره صلى الله عليه وسلم او ذكر عنده
ورسمه ان يخضع اي يبدي التذلل والاستكانة وخفض الجناح ويخضع
يكون لازما وهو المعروف ومتعديا بانقال خضع الحديث اي لينه
ويخشع الخضوع والخشوع متقاربان كما قاله الراغب
وقيل الخشوع اعم لانه يوصف به القلب والجماد كترى الارض ه
خاشعة ولا يخفى انه مجاز لا يدل على مدعاه ويتوقر اي يظهر الوقار
والرزانة ويسكن من حركته وياخذ اي يشرع في هيبته اي
اظهار مهابته صلى الله عليه وسلم عنده واجلاله بتعظيمه
حق تعظيمه بما كان ياخذ به نفسه اي يكلفها ويلزمها لو كان
بين يديه صلى الله عليه وسلم حاضرا في مجلسه بفرض ذلك ه
ويلاحظه ويتمثله فكان عنده ويتادب بما ادبنا الله به مثل قوله
لا تجعلوا دعا الرسول بينكم الخ ولا ترفعوا اصواتكم وغيره مما تقدم
انفا وفيه اشارة الى ان هذا ثابت بالقران ايضا لدخوله في عموم
ما تقدم واطلاقه وان لم يرد تصريح فيه بخصوصه
في النصوص القرانية ومن لم يتنبه لهذا قال كان على المصنف
ان يقدم دليلا قرانيا على الحديثي يدل على ان وجوب حرمته ميتا
كحرمته حيا كما هو دابه واذ ذكر انه حكم عام فيه صلى الله عليه وسلم

[illegible]

وفي ساير الانبيا لما ورد في حقهم من المدح والتعظيم وقوله فبهداهم
اقتده ولقوله ورفعنا لك ذكرك وان اقتران اسمه باسمه الواجب
التعظيم يقتضي تعظيمه ولقوله صلى الله عليه وسلم رغم انفه
من ذكرت عنده فلم يصل علي ولا يخفى ما فيه قال القاضي رحمه
الله وبهذا الامور المذكورة من توقيره صلى الله عليه وسلم حيا
وميتا فانه تنبيه اعتبارا بما ذكر لقوله كانت سيرة سلفنا الصالح
اي دابه وطريقته من تقدم من الصالحين والعلما العاملين رضي الله
عنهم ثم بين هذه السيرة بقوله حدثنا ابو عبد الله محمد بن
عبد الرحمن الاشعري هو ابن سعيد القرطبي وتقدم وابو القاسم
ابن بقي بفتح الموحدة وتشديد القاف المكسورة وبامثناة الحاكم
وهو احمد بن محمد ابن احمد بن مخلد بن يزيد بن بقي وغير واحد
فيما اجاز وبيه اي رويته عنهم بطريق الاجازة المعروفة بين المحدثين
كما بينه ابن الصلاح وغيره قالوا اي قال كل واحد منهم انبانا ابو العباس
احمد ابن عمر بن دلهاث بكسر الدال المهملة وسكون اللام وهاث
والف يليها ثاء مثلثة بزنة جلبات علم مصدر وفي منقول من اسم الاسد
كما لهث ودلاهث قال حدثنا ابو الحسن علي بن فهر بالكسر كابن
الفضيلة قال حدثنا ابو بكر محمد ابن احمد بن الفرج قال
حدثنا ابو الحسن عبد الله ابن المنتاب بضم الميم وسكون النون
وبامثناة فوقية والف وبالموحدة وهو عبد الله بن المنتاب
ابن الفضل بن ايوب قاضي المدينة قال حدثنا يعقوب بن
اسحاق ابن ابي اسرائيل قال حدثنا ابو حميد بالتصغير ابن حميد بن
تغلبة احد رواة مالك قال ناظر من المناظرة وهي
المباحثة في امر من الامور وهي مفاعلة من النظر بمعنى التفكر لان
كلا منهما ينظر في كلام من يجادله وفيه كلام في شرح اداب البحث
لليس هذا محله ابو جعفر امير المومنين ثاني خلفا بني العباس اخو
السفاح المعروف بالمنصور وترجمته مفصلة في التواريخ مالكا
امام المدينة وعالمها المشهور رحمه الله في مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فرفع صوته في مناظرته فقال مالك يا امير
المومنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد النبوي المحترم واول
من سمي بامير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه سماه به المغيرة
بن شعبة وقيل لبيد بن ربيعة وعدي بن حاتم واول من سمي

بامير

تعالى لا ترفعوا اصواتكم ... وتقدم تفسيرها ...

بامير المسلمين يوسف بن تاشفين الملثم فان الله ادب قوما فقال ان الذين
يغضون اصواتهم الخ وتقدم بيانها ايضا وذم قوما فقال ان الذين ينادونك
الخ كما تقدم وان حرمته صلى الله عليه وسلم ميتا كحرمته حيا اي فكما
يجب ان يراعى في حقه في حياته يراعى بعد مماته فاستكان لها ابو
جعفر استكان افتعل من المسكنة بمعنى خضع وذل واشبعت
حركته كما في القاموس وفيه كلام في التصريف وضمير لها راجع لها لمقالة
الامام مالك المعلومة من المقام ولم يذكروا ما ناظره فيه لانه لا يترتب
عليه فايدة هنا وقال جعفر للامام مالك يا ابا عبد الله كناه
تعظيما له بسؤاله بقوله استقبل القبلة اصله ااستقبل بهمزتين
همزة الاستفهام وهمزة المضارع للمتكلم فحذفت الاولى للتخفيف
ووجود القرينة وقد ورد حذفها كثيرا كقوله
• فوالله ما ادري وان كنت داريا • بسبع رمين الجمار ام بثمان •
وهو من خصايص الهمزة وادعوا اذا اردت زيارته صلى الله
عليه وسلم ام استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي اجعل وجهي مقابلا لجهته وحينيذ يكون مستدبرا القبلة فلذا
اشكل عليه لان استقبال القبلة في الدعا مشروع فاذا عارضه
هذا فايهما يقدم فقال له مالك رحمه الله ولم تصرف وجهك
عنه اي عن مقابلته ومواجهته حال الدعا وهو وسيلتك ووسيلة
ابيك ادم عليه الصلاة والسلام الى الله يوم القيامة المراد
بالوسيلة وهي السبب ما يتوصل به الى اجابة الدعا وكنى به كذا عن
جميع الناس اي هو الشفيع المشفع المتوسل به الى الله تعالى يوم
القيامة اشارة الى حديث الشفاعة العظمى وقد تقدم لما الى
ما ورد من ان الداعي اذا قال اللهم اني استشفع اليك بنبيك
يا نبي الرحمة اشفع لي عند ربك استجيب بل استقبله
صلى الله عليه وسلم بوجهك في دعايك بما تريد واستشفع به
الى الله في الاجابة فانه شفيع لابن من توسل به اليه فيشفعه
الله فيك ويقبل دعاك وفي نسخة فيشفعك الله وهي نسخة والمراد
الاول واولته هذه بان اصلها فيشفعه فيك فحذف المفعول والجار
ووصل به الضمير وقيل المعنى يقبل شفاعتك والمصدر
مضاف للمفعول ولا يخفى ما فيه وفي هذا رد على ما قاله ابن تيمية
من ان استقبال القبر الشريف في الدعا عند الزيارة امر منكره

لم يقل به أحد ولم يرد إلا في حكاية مفتراة على الإمام مالك يعني هذه القصة
التي أوردها المصنف هنا ولله دره حيث أوردها بسند صحيح وذكر أنه
تلقاها عن عدة من ثقات مشايخه فقوله إنها كذب محض ومجازفة من
ترهاته وقوله لم يقل به أحد ولم يرد باطل فإن مذهب مالك وأحمد والشافعي
رضي الله عنهم استحباب استقبال القبر الشريف في السلام والدعاء وهو مسطور
في كتبهم وصرح به النووي في أذكاره وإيضاحه وقال السبكي صرح
أصحابنا بأنه يستحب أن يأتي القبر ويستقبله ويستدبر القبلة بعيدا
من رأس القبر نحو أربع أذرع فيسلم عليه صلى الله عليه وسلم ثم يتأخر
ويسلم على أبي بكر رضي الله عنه ثم يتأخر ويسلم على عمر رضي الله عنه
ثم يرجع لموقفه الأول مستقبلا للقبر ويدعو بما أراد وقد نقل عن أبي حنيفة
رضي الله عنه أنه يستقبله في الزيارة ثم يستقبل بعده ويدعو كما ذكره
السروجي من أئمتنا وقيل في قوله وسيلة أبيك آدم أن آدم عليه
الصلاة والسلام لما أكل من الشجرة ثم ندم قال يا رب أسألك بحق محمد
إلا غفرت لي فقال له الله كيف عرفت محمدا فقال لأني رأيت على قوائم
العرش لا إله إلا الله محمد رسول الله فعرفت أنك لم تضف لنفسك
إلا أحب الخلق إليك فقال صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلي ولولاه
ما خلقتك وهو حديث صحيح رواه الحاكم قال الله تعالى
ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك الآية استدل بهذه الآية
على ما ادعاه من التوسل به صلى الله عليه وسلم وقبول التوسل
به صلى الله عليه وسلم وقبول التوسل به بناء على أنه لو وجدوا الله توابا
رحيما لتعلق قبوله باستغفارهم على استغفاره صلى الله عليه وسلم
واستوجبوا به الاستحباب استقباله أيضا دون استقبال القبلة لأنه
صلى الله عليه وسلم حي في قبره يسمع دعاء زائره ومن جاء عظيما لرجا شفاعته
له لا شك في أنه يتوجه إليه بقلبه وقالبه كما قاله
ابن المقري رحمه الله

يخاطبه لما تناجيه مقبلا • على غيره فيها لأي ضرورة
ولو زرت من ناجاك للغير طرفه • تميزت من غيظ عليه وغيرة

فتدبر وقال مالك وقد سئل عن أيوب السختياني
وهو الإمام أبو بكر البصري التابعي سيد الفقهاء والمحدثين روى عنه
مالك والثوري وغيره والسختياني بكسر السين نسبة لعمل السختيان
وهو الجلد المدبوغ وهو معرب وتاؤه بفتح وتكسر أخرج له الستة

وتوفي سنة إحدى وثلاثين ومائة وقد قيل غير ذلك ما حدثتكم أي
رويت لكم عن أحد ممن تشاهد إلا وأيوب أفضل منه قال مالك
وحج حجتين وكنت حاجا إذ ذاك فكنت أرمقه أي أنظر إليه يقال
رمقه إذا نظر إليه ولا أسمع منه شيئا يتكلم به لطول صمته كذا قيل
والظاهر أنه أراد لا أسمع منه الحديث فأروي عنه لما سيأتي من قوله
كتبت عنه غير أنه كان إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عنده
بكى حتى أرحمه أي أرق قلبي عليه رحمة له بما أراه منه فلما رأيت
منه ما رأيت وإجلاله للنبي صلى الله عليه وسلم واتباع سنته في
جميع أحواله المقتضية لمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخشوعه
لذكره علمت شدة ديانته وإن لم تظهر ظاهر الحال فسمعت منه و
وكتبت عنه الحديث ورويته عنه وهذا يدل على كماله وورعه
في الرواية وأنه لا يروي عن كل أحد حتى يختبره ويجاوره أما لخشوعه
على أنه لم يره صلى الله عليه وسلم فلا شيئا فاته أو لخوفه من تقصيره
في اتباعه أو لإجلاله وتذكره بهيبته حتى كأنه يراه وهذا
أقرب للسياق وقال مصعب بصيغة المفعول علم منقول
من المجل الشريف ابن عبد الله بن مصعب بن ثابت الزبيري الحافظ
أحد رواة الإمام مالك كان مالك بن أنس رضي الله عنه
ورحمه إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عنده يتغير لونه
بأن يصفر كما يعتري من اشتد خوفه وينحني أي ينعطف لشدة
خشوعه حتى يصير كالمنحني حتى يصعب ذلك على جلسائه وتلامذته
لخوفهم عليه فقيل له في ذلك أي سئل عنه وما سببه فقال
لو رأيتم ما رأيت من السلف من خشوعهم وإجلالهم لذكره صلى الله
عليه وسلم لقد رأيت محمد بن المنكدر بن عبد الله التيمي المدني
الحافظ توفي سنة خمس ومائتين أخرج له الستة وكان سيد القراء
أي كان في عصره رئيس العلماء العارفين بالقرآن وتفسيره ووجوه
قراءته وأحكامه لا نكاد نسأله عن حديث أبدا إلا يبكي حتى
نرحمه شفقة عليه لما نراه من اضطرابه لشدة تهيبه
لذكره صلى الله عليه وسلم أو لشدة شوقه إليه لغايته وتأسفه
على عدم رؤيته صلى الله عليه وسلم وكاد هنا زائدة لتأكيد الكلام
وقد زيدت في كلامهم كثيرا كما في القاموس وهو أحد الوجوه في قوله
تعالى لم يكد يراها أي لم تره وهو المراد وأبو المظفر الاستغراقي

وتكون لاستغراق الازمنة المستقبلة فهي هنا لحكاية الحال الماضية وتنزيلها منزلة ما حضر واستمر كالمضارع في قولك هنا الا يبكي قال الامام مالك رحمه الله ولقد كنت ارى جعفر بن محمد اللام في جواب قسم مقدر ووقع في بعض النسخ هنا تلقيب جعفر بانه الصادق ومحمد هو ابنا قر بن زين العابدين ابن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم وكان كثير الدعابة بضم الدال والعين المهملتين والف وبا موحدة وهي المزاح والتبسم وهو اقل الضحك والجملة معترضة ومع كثرة مزاحه وانشراح صدره اذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم اصفر لونه وتغير وجهه لمهابته واجلالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما رايته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو على طهارة اي بوضوء لنقل الحديث فيعلم منه نفي الحدث الاكبر بالطريق الاولى وذلك لتعظيم الحديث ولقد اختلفت اليه زمانا كثيرا اي ذهبت اليه مرارا كثيرة يقال اختلف اليه اذا جاء وذهب والمعنى ترددت في اوقات مختلفة فنزل اختلاف الاوقات منزلة اختلاف الذوات وضمير اليه لجعفر المذكور فما كنت اراه الا على ثلاث خصال اما مصليا واما صامتا لا يتكلم واما يقرأ القرآن فيناجي ربه ولا يتكلم فيما لا يعنيه بفتح اوله اي يهمه ويجديه نفعا لصون لسانه عن اللغو وكان من العلماء بالعلوم الشرعية والعباد الذين يخشون الله تعالى ه وهذا حاله في منزله وخلوته والدعابة والتبسم اذا كان في ملاء من الناس تلطفا وحسن خلق فلا منافاة بينهما كما توهم قال مالك رحمه الله ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق احد فقها المدينة توفي رحمه الله تعالى سنة احدى وثلاثين ومائة وابوه احد الفقها السبعة يذكر النبي صلى الله عليه وسلم فينظر الى لونه كانه نزف منه الدم نزف مبني للمجهول ومعناه سال وفيه تسمح وتقدير اذ اللون لا ينزف فالمراد انه سال دمه فاصفر صفرة مفرطة لان حمرة البشرة بما تحتها من الدم وتوهم بعضهم ان معناه انه احمر خجلا واعترض بان المناسب لقوله وقد جف لسانه في فمه الاصفرار لا الاحمرار ثم قال ولعله يحصل له حالة خجل ثم حالة خوف وهو من عدم التامل وجفاف اللسان بذهاب ريقه لخوفه هيبة لرسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم معقول لما تقدم وفسر لمقدر يتحدث اغلاها ولاحاجة اليه وان جاز ولقد كنت اتى عامر بن عبد الله بن الزبير بن العوام العابد الجليل القدر احتج له السنة وتوفي بعد عشرين ومائة ه وترجمته معروفة فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع اي لبكائه بكا شديدا دائما ولقد كنت اتى ه صفوان بن سليم مصغر وهو مولى حميد بن عبد الرحمن الزهري القرشي مات سنة اثنين وثلاثين ومائة وكان اكثر اهل المدينة عبادة وزهدا وفضلا وتعالوا اي كما قال وكان صفوان المذكور من المتعبدين اي المكثرين للعبادة المداومين عليها المجتهدين في العبادة المجتهدين فيها او بكى ومثل لمرتبة الاجتهاد في احكام الدين لزيادة فضله واحاطته بالسنة وهو جملة معترضة فاذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عنده بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركونه لاتصال بكايه وطوله ولقد رايت الزهري الامام محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب التابعي الامام الجليل المشهور توفي في رمضان سنة اربع وعشرين ومائة وهو ابن اثنتين وسبعين كما تقدم وكان من اهنا الناس اي اسلمهم واحسنهم خلقا والينهم عريكة مستعار من هنؤ الطعام اذا ساغ وسهل واقربهم الى الناس لحسن توده لهم ومع ذلك اذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فكانه ما عرفك ولا عرفته لدهشته وحيرته واعراضه عمن عنده وذهوله عن معرفته لاشتغال قلبه وحواسه بالفكر لاجلاله له وتعظيمه وقد ذكر مالك رحمه الله هولا بيانا لانه اقتدى بهم واهتدى بهديهم وان حاله لم يفضل حالهم فلا يتعجب منه وروي عن قتادة تقدم بيانه انه كان اذا سمع الحديث بفتح عنده اخذه اي عرض له واستولى عليه حتى كانه اخذه العويل بعين مهملة هو صياح مع البكا والزويل بفتح الزاي المعجمة وكسر الواو وبا ولام وهو القلق والانزعاج لشدة الخوف يقال زال زويله في الدعا اي ذهب ذعره وهو ماخوذ من الزوال لتغير حاله عما كان عليه ولما كثر على الامام مالك الناس اي اجتمع عنده لسماع الحديث ناس لا يحصون كثرة واتوه من كل فج قيل له لو جعلت مستمليا اي احدا يجلس قريبا منك ويملي عليه الحديث فياخذه عنك فيبلغهم ويسمعهم ما يبعد لحضر لكثرتهم وبعد بعضهم عنك ممن في

اخر الحلقة ولو للتمني للمناسبة بينهما في عدم الوقوع ولما لزم ما قالوه رفع
صوت المبلغ كما هو المعتاد لم يرتض ما قالوه من وضع مستمل في الحلقة
والاستملاء طلب الاملاء وهو القاء الكلام على الغير فقال مالك مجيبا له
ارشادا للخصم وتأدبا مستدلا بقوله تعالى قال الله تعالى يا ايها الذين
امنوا لا ترفعوا اصواتكم الخ فقاس منع رفع الصوت في مجلس قراءة الحديث
على منعه في مجلسه حال حياته وبينه بقوله وحرمته اي احترامه ٥
وتوقيره حيا وميتا سوا فكما يلزم الاول يلزم الثاني ثم تقول ما يخالف ما
قاله مالك بقوله وكان ابن سيرين ربما يضحك فاذا ذكر عنده
النبي صلى الله عليه وسلم خشع وكان عبد الرحمن ابن مهدي ابن حسان
ابو سعيد الحافظ الثقة البصري المعروف باللؤلؤي احد اعلام الحديث
وقال ابن المديني اعلم الناس بالحديث ابن مهدي توفي سنة
ثمان وتسعين ومائة واخرج له اصحاب السنة اذا قرا حديث النبي
صلى الله عليه وسلم امرهم اي امر من حضر في مجلسه بالسكوت
والانصات لاستماعه وقال للجالس عنده لا ترفعوا اصواتكم
فوق صوت النبي ويتاول الاية التي تلاها على الصوت شاملا لحكايته
وانه عام لهما ودال على انه يجب له صلى الله عليه وسلم من الانصات
عند قراءة حديثه ما يجب له عند سماع قوله حقيقة في
حياته من التوقير وحرمته وحسن الادب كما قيل •
• حديثه او حديث عنه يطربني • هذا اذا غاب او هذا اذا حضر •
ثم ان قلت ما نقل عن مالك من انه لم يرض بمستمل في مجلسه
ينافي ما نقل عنه انه كان له مستمل يبلغ الناس عنه قلت
حاله الاول كان قبل كثرة الناس جدا بحيث يسمعون كلامه بغير
واسطة ثم كثر الناس عليه بعد ذلك فراى ان المستملي لا بد منه
فاتخذه للضرورة وقد قال المحدثون انه لا يضع مستمليا اذا
سمعوه لانه على مرتبة السماع ما كان من لفظه فان لم يتيسر ذلك
ذلك اتخذ مستمليا واحدا فاكثر واستدلوا لذلك بانه صلى الله عليه
وسلم خطب الناس بمنى على بغلته الشهباء وعلي رضي الله عنه يبلغ
الناس فان كثروا بحيث لا يكفي مستمل واحد زادوا بقدر الحاجة ويكون
المستملي على مكان واحد مرتفع من كرسي ونحوه او قائما ٥

فصل في سيرة السلف وعادتهم في تعظيم رواية حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته عطف تفسير لشمولها الاقوال

وافعاله

وافعاله وجميع ما يتعلق به وفي نسخة سننه بصيغة الجمع وفي ٥
اخرى وسنتهم وهذا تتمة للفصل الذي قبله كما ادرجه
في ترجمته لكنه فصله لاختصاصه بالحديث والذي ذكرنا هنا
رواه مسندا فقال حدثنا الكسائي ابن محمد الحافظ المعروف
بابن سكره كما تقدم قال حدثنا الفضل بن خيرون تقدمت ترجمته
وتجويز فيه الصرف وعدمه قال حدثنا ابو بكر البرقاني وهو احمد
ابن محمد بن احمد بن غالب الخوارزمي الشافعي شيخ بغداد واحد الاعلام
بها صاحب التصانيف الجليلة بها وتخريج الصحيحين روى عنه
كثير كالصوري والبيهقي والخطيب وابي اسحاق الشيرازي وابن
خيرون وتوفي ببغداد في اول رجب سنة خمس وعشرين واربعمائة
وترجمته معروفة والبرقاني بباء موحدة وراء مهملة وقاف قال حدثنا
ابو الحسن الدارقطني شيخ الاسلام الحافظ تقدم وانه منسوب
لدار قطن محلة ببغداد وراؤه مفتوحة وبعضهم يسكنها كما قاله
ابن مرزوق والاولى الاول قال حدثنا ابو علي بن ميسرة
ابن اسماعيل الكلبي الثقة وشينه معجمة مشددة مكسورة بوزن
اسم الفاعل قال حدثنا احمد بن سنان القطان ابو جعفر
الحافظ الواسطي الثقة امام اهل زمانه توفي سنة ثمان وخمسين
ومائتين واخرج له اصحاب السنن قال حدثنا يزيد بن هارون
ابو خالد السلمي الواسطي العابد الزاهد احد الاعلام قال
المديني ما رايت احفظ منه وعمي في اخر عمره وتوفي سنة ست
ومائتين واخرج له السنة قال حدثنا المسعودي عبد الرحمن ابن عبد
الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود ولذا عرف بالمسعودي وهو كوفي
روى عنه خلق كثير وهو ثقة كثير الحديث توفي سنة ستين ومائة
وترجمته في الميزان عن مسلم البطين بفتح الموحدة وكسر الطاء المهملة
وهو مسلم بن عمران ابو عبد الله الكوفي وثقه احمد واخرج له
السنة عن عمرو بن ميمون العابد التابعي الازدي ادرك زمنه
صلى الله عليه وسلم ولم يلقه وهو ثقة حج ستين حجة وتوفي سنة
اربع وسبعين ومائة قال اختلفت الى ابن مسعود اي
ترددت عليه سنة بتمامها فما سمعته اذا حدث يقول
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صونا لذكره وهيبة له واحتياطا في النقل
عنه الا انه حدث يوما بحديث نقله فجرى على لسانه قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم ثم علاه كرب اي ظهر عليه
حزن وغم يؤدي لضيق نفس فرأيت العرق يتحدر اي ينزل شيئا فشيئا منه
منفصلا عن جبهته ثم قال ابن مسعود هكذا قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كما رويته لكم مسندا ويه له لفظا ومعنى ان شاء الله
اشارة الى انه لم يتحقق عن جزم منه وهذا بناء منه على عدم جواز الرواية
بالمعنى وفيه خلاف مشهور تفصيله في كتاب ابن الصلاح وهو احتراز
عن الكذب عليه وانه يقول ما لم يقله او فوق ذا اي يزيد عليه يسيرا
او ما دون ذا اي ينقص عنه او قريب من ذا تخالفه بامر قليل جدا
وهو احتياط منه رضي الله عنه وفي رواية فتربد وجهه
بموحدة بعد الراء ثم دال مهملة اي تغير لونه لكموده من شدة الكرب
وقد تغرغرت عيناه اي امتلأتا بدمع مترددا كالماء في فم من يتغرغر به
فهو مجاز كما في حديث تقبل توبة العبد ما لم يغرغر اي يبلغ روحه
حلقومه كالغرغرة وانتفخت اوداجه جمع ودج بفتحتين وهو عرق
غليظ في العنق والودجان يقطعهما الذابح وانتفاخهما كبرهما بغليان
الدمع لانتشار الحرارة الغريزية لخوف ونحوه وقال ابراهيم
ابن عبد الله بن قريم بضم القاف وفتح الراء المهملة وسكون التحتية
وميم مصغر قرم الانصاري قاضي المدينة ذكره في التهذيب
والميزان واخرج له الترمذي في علله جامعه ولم يترجموه وروى عن
مالك فقال مر مالك ابن انس على ابي حازم بالحاء المهملة والزاي
وهو سلمة بن دينار الاعرج احد الاعلام الذي روى عنه مالك
وغيره ثقة لم يكن في زمانه مثله توفي في سنة اربعين ومائة
واخرج له الستة وهو يحدث اي يروي الحديث لمن عنده فجازه
اي تجاوز مجلسه ولم يقف وقال اني لم اجد موضعا اجلس فيه
لكثرة الناس فكرهت ان اخذ اي اسمع لاروي حديث رسول
الله صلى الله عليه وسلم وانا قائم صونا للحديث عن الابتذال
والامتهان واستماعه في محل يخل بتعظيمه وهكذا كان داب مالك
رضي الله عنه تقدره وتشيد ذكره وهذا ينافي ما نقل عنه من انه كان لا يعمل
بالحديث ما لم يوافق عمل اهل المدينة فانه لشدة احتياطه في احاديث
الاحكام فلا وجه لايراده هاهنا وفصل التعظيم شيء اخر لا مساس
له هنا وقال مالك جاء رجل الى ابن المسيب فسأله عن حديث
وهو مضطجع اي واضع جنبه على الارض والجملة حالية فجلس

وحدثه

وحدثه فقال له الرجل وددت اي كان احب الي انك لم تتعن اي لم تتعب
وتترك راحتك فقال اني كرهت ان احدثك عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وانا مضطجع تعظيما للحديث وتادبا معه وروي عن محمد بن
سيرين انه قد يكون يضحك فاذا ذكر عنده في حال ضحكه حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم خشع اي اظهر الخشوع والاستكانة
تادبا ومهابة وقال ابو مصعب كان مالك لا يحدث بحديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا وهو على وضوء اي متوضيا متطهرا اجلالا له
اي للحديث وحكى مالك ذلك اي الحديث على وضوء عن جعفر بن محمد الباقر بن
زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب وقد تقدم قريبا وقال
مصعب بن عبد الله هو الزبيري كما تقدم كان مالك ابن انس اذا حدث
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اي اذا اراد ان يحدث عنه
توضأ وتهيأ للحديث باصلاح هيئته في ثيابه وجلوسه ثم يحدث تعظيما
لذلك قال مصعب فسئل عن ذلك اي عن الداعي له فقال
انه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي نسخة لانه وهو من بليغ
المدح كما اذا قيل لك لم عظمت فلانا فتقول انه فلان ولا تزيد اي تحقيقا
بذلك وشهرة استغنائه تغني عن بيان وجهه فلا حاجة لتقدير وهو
جدير بالتعظيم كما قيل وقال مطرف بزنة الفاعل بطاء مهملة
وراء مشددة مهملة وهو مطرف بن عبد الله بن سليمان بن يسار مولى
ميمونة وهو ابن اخت الامام مالك توفي سنة عشرين ومائتين وترجمته
في الميزان كان اذا اتى الناس مالكا لطلب العلم وهو داخل في منزله
وطلبوا خروجه خرجت اليهم الجارية اي ارسل لهم جارية له
فتقول لهم لما تعلم من العادة يقول لكم الشيخ تعني مالكا تريدون
الحديث بتقدير اداة الاستفهام اي اتريدون قراءة الحديث وسماعه
او المسائل تعريفه للعهد اي مسائل الفقه فان قالوا نريد الحديث
دخل مغتسله اي موضعه المعد للغسل والطهارة في بيته واغتسل
وتطيب وتضمخ بالطيب رائحته ولبس ثيابا جددا بضم اوله
وثانيه جمع جديد كسرير وسرر ولبس ساجه هو الطيلسان مطلقا
او الاخضر او الاسود منه وهو شيء كالبرنس وتعمم اي وضع عمامته المعروفة
للتجمل على راسه ووضع على راسه رداءه على عادة اشراف العرب وتلقى
له منصة في مجلسه المعد له لا قرائه وهي بكسر الميم ونحوها شيء عال كالكرسي
والسرير من نصصته اذا رفعته فيخرج من بيته للناس فيجلس عليها

وعليه الخشوع اي السكينة والوقار ولا يزال يبخر بالبنا المعمول
ويجوز بناوه للفاعل يعني يامر بالعود الهندي المعروف فيوقد عنده
ليعطر مجلسه به حتى يفرغ من قراة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
اجلالا له وتكريما وتطييبا فانه صلى الله عليه وسلم كان يحب الرايحة الطيبة
فجعل مجلس حديثه كمجلسه حيا كما تقدم قال غيره اي غير مطرف
ولم يكن يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث عن رسول الله ﷺ
نعلم انه فعل عادته للحديث لا لنفسه قال ابن اويس هو اسماعيل ابن عبد
الله ابن اويس ابن ابي عامر وقيل اسماعيل ابن عبد العزيز بن عبد الله
توفي سنة ست او سبع وعشرين وماتين في رجب وهو ابن عم الامام
مالك وابن اخته وزوج ابنته روى عنه وعن غيره وكان ثم ما ثنا احدى وعشرين
سنة واخرج له في الصحيحين والسنن وضعفه النساي لانه كان مغفلا
كما قاله ابو حاتم وترجمته في الميزان فقيل لمالك في ذلك
اي سيل عن سبب ما كان يفعله من لباسه واغتساله وبخوره وجميع ما
تقدم عنه فقال احب ان اعظم حديث رسول الله صلى الله
صلى الله عليه وسلم بما فعلته ولا احدث به اي بحديث رسول
الله صلى الله عليه وسلم الا على طهارة كاملة متمكنا اي جالسا في مكانه
على هيئة مستقرة غير مستوفز لما فيه من عدم المبالاة بما حدث به عنه
صلى الله عليه وسلم وكان مالك رحمه الله يكره ان يحدث
اي ينقل الحديث وهو مار في الطريق او وهو قايم على رجليه او يستعجل
اي على عجلة فيتانى فان الخير كله في ترك العجلة ولذا قيل
العجلة من الشيطان وقد يكون مع المستعجل الزلل فيخطي فيما نقله وقال
مالك احب ان افهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
للذي اتانى في نقله ليكون اعون على فهمه وقال ضرار بن مرة ابو
سنان الشيباني الكوفي العابد الثقة اخرج له اصحاب السنن كانوا اي
السلف ومن تقدمهم من التابعين يكرهون ان يحدثوا اي ينقلوا الحديث
النبوي على غير وضوء وطهارة ونحوه روي عن قتادة وتقدمت
ترجمته في نسخة هنا وكان الاعمش سليمان ابن مهران اذا احب
ان يحدث وهو على غير وضوء ولم يتمكن منه تيمم وياتي الكلام على ذلك في
اخر الفصل وكان قتادة لا يحدث الا على طهارة قال عبد الله
ابن المبارك تقدمت ترجمته كنت عند مالك بن انس وهو يحدثنا اي ينقل
لنا الحديث فلدغته عقرب العقرب من ذوات السموم المعروفة

وسمها

وسمها في راس ذنبها فاذا ضربت به احدا انتشر فيه سمها فيقتله ولدغها
ضربها بعقدة ذنبها وقد اشتهر على الالسنة ان اللدغ بالدال وغين
معجمتين وقد قال الشراح هنا ان الصحيح انه بالذال المعجمة وعين مهملة
وانه يقال لدغته العقرب ولسعته الحية ويقال عقرب وعقربة ونقل بعض
الحلبا ان الذال والغين المعجمتين لا يجتمعان في كلمة عربية اما اللذع النار
فهو باعجام الاولى واهمال الثانية معناه الاحراق وقوله ستة
عشر مرة كذا في النسخ وصوابه ستة عشرة بالحوق التاني جزيه الثاني
كذا قيل وفيه نظر وهو يتغير لونه ويصفر عطف تفسير ولا يقطع حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم احتراما له واجلالا فلما فرغ من المجلس
اي اتم نقل الحديث وتفرق عنه الناس المستمعون له قلت
يا ابا عبد الله لقد رايت منك اليوم عجبا اي امرا يتعجب
منه لصبرك وعدم تحركك قال نعم ما قلته صحيح انما صبرت اجلالا
لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لم يتحرك ويتزعزع وهو
يحدث وقال ابن مهدي مشيت يوما مع مالك الى العقيق هو اسم
لمواضع كثيرة بالحجاز والمراد به هنا موضع قريب من المدينة على نحو
ميلين منها يتنزه فيه اهل المدينة فسالته وانا ماشي معه في الطريق
عن حديث من احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتهرني
اي زجرني والنهر الزجر كما قال تعالى واما السايل فلا تنهر وقال
بعد الزجر ما سكت وخوه موبخا لي كنت في عيني كنايه عن اعتقاده
فيه التاني عن روية اجل من ان تسالني فيه توسع معروف كالكرمي انه
تحصى اي اعظم من السايلين عن حديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم ونحن نمشي جملة حالية وسال يعني الامام مالك رحمه الله جرير
ابن عبد الحميد القاضي الضبي الثقة المحدث صاحب المصنفات الجليلة
روى عنه البخاري وغيره من اصحاب الكتب الستة وكان رحلة
توفي سنة ثمان وثمانين ومائة عن حديث وهو قايم الضمير لجرير وجوز
ان يكون لمالك رحمه الله فامر مالك بحبسه قيل ان مالكا لم يكن
حاكما حتى يحبسه بامره واجيب بان الولاة كانوا يمتثلون امره فالمعنى
ارشد الحاكم ليحبسه وفي تاريخ الذهبي انما كان يجلس في المسجد ويقضي
فانه كان اذن له في القضا في بعض الامور فهو على ظاهره فقيل
له انه قاضي لا يليق حبسه فقال القاضي احق من ادب بالهمزة
المضمومة لا بواو وان رسم بها في بعض النسخ يعني ان العلماء الاشراف

أن لي برعاية الأدب فإذا تركوه كانوا الحق بذلك من العوام وذكر أن
هشام ابن الغازي بغين وزاي معجمتين بينهما ألف من الغزو قالوا
وهذا ليس بصواب فإن هشام بن الغازي بن ربيعة تابعي مات
قبل مالك ولا يروى عنه والحكاية المذكورة إنما وقعت لمالك مع
هشام بن عمار خطيب دمشق كما رواها مسندة الرهاوي والحلبي
وقيل إنها تصحفت على الناسخ وصوابها القاري بالقاف والراء
المهملة وقيل ما في الأصل صواب وهو هشام بن الغازي ابن ربيعة
التابعي وفيه أن الحافظ الحلبي أسند رواية هذه القصة عن هشام بن
عمار بن ياسر كما مر بسند الى مالك عن حديث وهو أي هشام أو مالك رحمه
الله وأنفه فضربه عشرين سوطا وهذا دليل على أنه كان ما ذون باله
في أجرا الأحكام على تلامذته إذ كان يعلم بمقام حكمه فهو يحكم بينهم ثم
أشفق عليه أي حصل عنده رقة قلب وشفقة لضربه لا لأنه ضربه
بغير ذنب كما قيل وهذا بناء على أنه يجوز أن يزاد التعزير على عشرة
أسواط في غير الحد وكما هو مذهب أبي حنيفة والحديث الوارد في النهي
عنه فيه كلام للمحدثين ليس هذا محل تفصيله ولعله وجه استغاثته
عليه فحدثه أي أفاد مالك هشاما ورويا له عشرين حديثا تطييبا لخاطره
فقال هشام بعد ذلك لأصحابه وددت إذا حييت يقال وددت كذا إذا
رغبت فيه وأحببته لو زادني سياطا أي ضربا بها ويزيدني حديثا
بعد زيادة ضربه لي ولو بقصد بيزاد شرطية جوابه مقدر وقال
عبد الله بن صالح الجهني وقال الخزرجي العجلي ولد ترجمة في الميزان مطولة
توفي في سنة ثلاث وعشرين ومائتين وعمره ست وثمانون سنة وأخرج له
أصحاب السنن كان مالك والليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهري المصري
الفقيه البارع الذي قيل فيه إنه كان أفقه من مالك إلا أن أصحابه
أضاعوه وهو من تبع أتباع التابعين توفي سنة خمس وسبعين ومائة وحيث
قال مالك أخبرني من أرضى به من أهل العلم فهو الليث لا يكتبان العلم
إلا وهما طاهران أي على طهارة تامة وجملة هما طاهران حالية يجوز
اقترانها بالواو وتركها لا صفة وإنها للالصاق كما قيل
وتحقيقه في كتب العربية وكان قتادة يستحب أن لا يقرأ أحاديث
النبي صلى الله عليه وسلم إلا على وضوء أي متوضئا تعظيما لحديثه صلى الله عليه
وسلم ولا يحدث بتشديد الدال أي ينقل الحديث ويكون بشارة للمفعول
أي يسمع من غيره حديثا إلا على طهارة قيل المراد أنه يغتسل لقرينة ما قبله

وكان الأعمش سليمان بن مهران كما تقدم إذا أراد أن يحدث وهو على غير وضو
جملة معترضة أو حالية تيمم إن لم يحضر عنده الما لسهولة لشدة اعتنائه
بتعظيم الحديث والمحدث إذا ابتدأ أخره ذكرها المحدثون كافتتاح أول مجلسه وختمه
بالحمد لله والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم وأن لا يقوم في مجلسه
لأحد من الناس فصل ومن توقيره صلى الله عليه وسلم
أي تعظيمه وتبجيله وبره أي صلته ورعاية جانبه وللبر معان أخر غير
مرادة هنا والجار والمجرور خبر مقدم لقوله بر آله تقدم أن في الآل خلاف
فقيل إنهم ذوو القربى ومن تحرم عليهم الصدقة وهم المؤمنون من بني هاشم
وبني المطلب دون غيرهم كما بينه الفقهاء وأن أصله أول وقيل
أهله وبرهم الإحسان إليهم ومعاونتهم ومودتهم ورعايتهم وذريته
الذرية النسل من الأولاد وأولادهم وهو بضم الذال وكسرها وفي اشتقاقها
خلاف فقيل من الذر وهو صغار النمل اعتبارا بأول أحوالهم وقيل
من ذرأ الله بمعنى خلق والتزم إبدالها بعد النقل وأمهات المؤمنين
نسوة بقوله أزواجه صلى الله عليه وسلم رضي عنهن جمع زوج
لإطلاقه على الذكر والأنثى أو زوجة على لغة فيه وإطلاقه عليهن
لحرمة نكاحهن بعده واختلف في وجهه هل هو لتكريمه صلى الله عليه
وسلم أو لأنه حي ولذا وجبت النفقة عليهن لحرمة نكاحهن بعده وهل
هن أمهات للمؤمنات أيضا أم لا قيل لا لأن الأحرم نكاحهن عليه
وقيل نعم لوجوب إكرامهن لهن وهو تشبيه بليغ لا يراعى فيه جميع
وجوه التشبيه وأسما أزواجه صلى الله عليه وسلم مشهور في السيرة
كما حض أي حث وحرض بطلبه من كل أحد عليه أي على بر من ذكر عليه
الصلاة والسلام بما روي عنه من الأحاديث وسيأتي بعضها وسلكه
السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من العلما العاملين
والسلف من سلك طريقه أو شبه برهم بطريق سلوك فهو استعارة
مكنية تخييلية ثم أيده بدليل من القرآن فقال قال تعالى
إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت
أهل منادى والرجس الخبيث ثم استعير للإثم والذنب وهو المراد
أهل البيت نصب على النداء المدح والاختصاص ويطهركم تطهيرا
ترشيح لاستعارة الرجس الذنب واستشهاده بهذه الآية بناء على أن أهل
بيته ذريته وأزواجه كما اختاره ابن عطية في تفسيره وهو أحد
الأقوال فيه وقيل هم أهل الكساء علي وفاطمة وابناهما لما روي

في الحديث انه خرج عليه الصلاة والسلام غداة وعليه مرط مرحل فادخلهم فيه ثم تلى الاية وقيل المراد زوجاته وتذكير الضمير باعتبار وجه الاستشهاد ان من طهره الله من الاثام احبه الله ورسوله ومن احبا يلزمنا محبته وبره وصلته وقال تعالى وازواجه امهاتهم ان كانت تسمية هذا التسمية امهات فهو ظاهر وان كان للزوم برهن وتكريمهن فلا نحق الوالدة على الولد ولزوم برها امر معلوم مركون في الطباع لان وجه التشبه وجوب احترامهن وبرهن فالحصر يقتضي انهن اكثر امهن احق من الامهات الحقيقية ثم اسند المصنف حديثا صحيحا ه شاهدا لما تقدمه رواه من طريق له عن مشايخه مع انه في غيره من السنن كمسلم والنسائي بسند اعلى مما هنا فاعتذر له بانه تنويع لما فيه من الغايه الزائدة ولانه اسلم من التسليم فقال اخبرنا الشيخ ابو محمد عبد الله بن احمد التميمي العدل من كنانه وكنت من اصلته اشارة الى ضبطه فيما رواه عنه والمراد باصله نسخته التي قرا منها قال حدثنا ابو الحسن الفرزي الفرغاني ببغداد بعجمه بسنة لفرغانة اسم بلدة قال حدثتني ام القاسم بنت الشيخ ابي بكر الخفاف قالت حدثني ابي قال حدثنا حاتم هو ابن عقيل قال حدثنا يحيى هو ابن اسماعيل قال حدثنا يحيى هو الحماني قال حدثنا وكيع هو وكيع بن الجراح بن مليح بن عدي الرواسي احد الاعلام المشهورين توفي سنة سبع وتسعين ومائة اخرج له الائمة الستة عن ابيه الجراح عن سعيد بن مسروق الثوري الثقة توفي سنة ست وعشرين ومائة واخرج له الستة عن يزيد بن حيان بفتح الحاء المهملة وتشديد التحتية وهو التيمي الثقة عن زيد ابن ارقم رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدكم الله اي اسالكم بالله واقسم عليكم فقال انشدتك الله وبالله اي اذكرك به ثم استعمل في القسم وصار حقيقة ولعل المراد هنا بل المراد حقيقته واهل بيتي معطوف على الله اي واذكركم اهل بيتي فلا تنسوا حقوقهم ورعايتهم فان رعايتهم رعايتي وقيل انه منصوب بنزع الخافض اي في اهل بيتي كما ورد في هذا الحديث ولا وجه له فانه تعسف من غير داع له ومثله قول المزي ومن تبعه هنا العدد من اهل بيتي ثلاثا كرره للاهتمام به والتشديد في رعايتهم قلنا لزيد ابن ارقم راوي الحديث

لما ذكره رواه في بعض النسخ لزيد من غلط الكاتب من اهل بيته اي ما المراد بهم في هذا الحديث قال آل علي ابن ابي طالب وهم اولاده واهل بيته من اقاربه الا دنون وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس وهم من حرم عليهم الصدقة من اقاربه كما تقدم وهذا الاثر رواه مسلم في فضائل آل البيت في خطبة خطبها صلى الله عليه وسلم وهو راجع من حجة الوداع في اخر عمره ه قال فيها اما بعد ايها الناس انما انا بشر مثلكم يوشك ان ياتيني رسول ربي فاجيبه واني تارك فيكم الثقلين كتاب الله فيه الهدى والنور فتمسكوا به واهل بيتي وفيه ما ذكره المصنف من تفسيره لاهل بيته بما ذكر وهو الذي فهم عنه صلى الله عليه وسلم هنا لانه علم بالوحي ما يكون بعده في امر الخلافة والفتن فلذا اخصهم وحرص على رعايتهم كما اقتضاه المقام وما قيل من ان ما حمل به هنا خاص باقاربه وهو احد الاقوال ويخالفه الاية الدالة على دخول ازواجه صلى الله عليه وسلم واهل بيته كما تقدم لان لما عرفته من وجه تخصيصه هنا وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي عن زيد بن ارقم وجابر وحسنه اني تارك فيكم اشارة الى قرب اجله صلى الله عليه وسلم وانه وصية لامته ما ان اخذتم به اي تمسكتم وعملتم به واتبعتموه وما موصولة وان شرطية والجملة صفة او موصولة وصلة لن تضلوا بمخالفة الشريعة والطريق المستقيم كتاب الله بدل من ما مفسر له وعترتي بمثناة فوقية ومعناه اهل بيتي السابق بيانهم ووجه تخصيصهم هنا وروي لم تضلوا وما في قوله اخذتم به هنا يدل على ارادة المجتهدين منهم فلا يبعد دخول الصحابة المتصفين بهذه الصفة كما دلت الاية على دخول ازواجه صلى الله عليه وسلم مناسبة لسياق الحديث والمراد منه هنا فانظروا كيف تخلفوني فيهما اي وفائي انظروا في عملكم بكتاب الله واتباعكم لاهل بيتي ورعايتهم وبرهم بعدي فان ما يسرهم يسرني وما يسوءهم يسوءني وقال عليه الصلاة والسلام في حديث لم تخرجوه معرفة آل محمد براءة من النار اي معرفة مقدارهم وحرمتهم ورعاية ما يجب من حقوقهم فان محبتهم لاجله صلى الله عليه وسلم تدل على خلوص محبته له وذلك مرتبة مستوجبة لذلك تفضلا من الله وكرامة لرسوله صلى الله عليه وسلم وحب آل محمد جواز على الصراط اي مرور عليه بسرعة جواز توصلا للجنان فان المرء مع من احب ومن فسر الجواز بالجائزة بمعنى العطية فقد تعسف تعسفا غريبا والولاية بفتح الواو ويجوز كسرها

ابن النحس

ابن الفرس

لانها نزه بمعناها وان اشتهرت في الملك والحكومة اي الموالاة بالنصرة والمودة
لال محمد امان من العذاب وقال بعض العلما معرفتهم
اي معرفة الال المذكورة هي معرفة مكانهم منه صلى الله عليه وسلم
والمراد بالمكان المنزلة المعنوية وهي قرب نسبهم ومرتبتهم منه صلى الله
عليه وسلم ولذا علق به قوله منه واذا عرفهم بذلك اي
بسبب علو مرتبتهم لقربهم منه عرف وجوب حقهم وحرمتهم اي احترامهم
واكرامهم بسببه صلى الله عليه وسلم لا لغرض اخر وقد دعا النبي صلى الله
عليه وسلم لمن احبهم لحبه صلى الله عليه وسلم ومن اراد تفصيل
هذا فلينظر كتاب السيد السمهودي الذي صنفه في فضائل ال البيت
فانه جمع فاوعى جزاه الله خيرا وعن عمر بن ابي سلمة في حديث
رواه الترمذي وابن ابي سلمة الصحابي المخزومي ربيبه صلى الله عليه
وسلم واخيه من الرضاع وترجمته مشهورة لما نزلت اية انما يريد
الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الاية وقد قدمنا تفسيرها
فكفينا مؤنته هنا وذلك اي نزولها كان في بيت ام سلمة ام
المومنين رضي الله عنها دعا جواب لما اي طلب صلى الله عليه
وسلم ونادى فاطمة الزهرا رضي الله عنها وحسنا وحسينا سبطاه
وريحانتاه رضي الله عنهما فجللهم اي غشاهم وغطاهم ومنه الجل للفرس
بكسا وهو مرط من شعر كما ورد في رواية اخرى وعلي كرم الله وجهه
خلف ظهره صلى الله عليه وسلم داخل الكسا ايضا وانما جعله خلف
ظهره ليفرق بينه وبين زوجته وقت الدعا ثم قال اللهم هولا اهل
بيتي ليس المراد الحصر او هو نزل لارادته اقرب الناس اليه نسبا فاذهب
عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا اي جنبهم الاثام والمعاصي وما يشينهم
ولذا سموا اهل الكسا وادخالهم في الكسا اشارة الى قربهم منه صلى الله
عليه وسلم وان الله سترهم كما سترهم الكسا وانه صانهم واحرزهم تفاولا
بذلك كما صول صلى الله عليه وسلم رداه في الاستسقا اشارة الى تبدل
الحال وتغيرها عما هي فيه والدعا وانما دعا لهم بما ذكر بعدما ذكر الله انه اراد
ذلك لهم وارادته تعالى لا تتخلف عن مراده اما تاكيدا او توقيفا لغيرهم
ليعلم الناس به ان المراد دوام ذلك وثباته وزيادته وعن سعد بن ابي
وقاص في حديث رواه مسلم في صحيحه لما نزلت اية المباهلة
تقدم ان المباهلة مفاعلة من البهلة وهي اللعنة اي الملاعنة
وهي ان يقول كل من المتخاصمين في المجادلة لعنة الله على الظالم منا والاية

هي

هي قوله تعالى فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا
وابناءكم الخ وذلك لما وفد عليه صلى الله عليه وسلم نصارى نجران ودعاهم
للاسلام فلم يسلموا وادعوا حقية دينهم وانه لم ينسخ وقصتهم مفصلة في كتب
التفسير والسير دعا النبي صلى الله عليه وسلم جواب لما اي احضر عنده
عليا وحسنا وحسينا وفاطمة رضي الله عنهم لانهم كانوا في المباهلة
يحضرون اولادهم واهلهم ليدعو بوقوع العقاب على الكاذب واهله
جميعا ولذا اتى بهم وقال صلى الله عليه وسلم اللهم هولا اهلي
واقربائي فامتنعوا من المباهلة لعلمهم بانه صلى الله عليه وسلم نبي وانه
ما باهل نبي قوما الا اهلكهم الله ورضوا بالجزية وقال صلى الله
عليه وسلم لو باهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولاشتعل عليهم الوادي نارا
وحكم المباهلة باق الى الان وقد فعله العز بن السلام فلم يمض الحول
حتى هلك من باهله وقال صلى الله عليه وسلم في حديث تقدم
في حق علي ابن ابي طالب اي في حقه وشانه وسبب قوله هذا ان اسامة
قال لعلي لست مولاي انما مولاي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
هذا في سفره وهو عند غدير خم وقد خطب الناس فقال
من كنت مولاه اي ولي عليه واولى به والولي له معان منها السيد وهو المراد
والمعتق والمنعم والناصر والصهر الى غير ذلك من المعاني وقال
الشافعي المراد ولا الاسلام وقوله وعلي مولاه اي سيده وناصره
واستدل به على الولا بعض الفقها وغيرهم بقولون المراد به وصلته
وهو الموافق لسياق المصنف واستدل به بعض الشيعة
على مقدم علي كرم الله وجهه على غيره في الخلافة ولا دليل لهم
فيه لما عرفته من معاني المولى وانما المراد من احبني يحبه لقوله
وعاد من عاداه اي من كرهه غضب الله عليه وانتقم منه فالمعاداة
من الله مجاز او مشاكلة وقال فيه اي في حق علي كرم الله وجهه
كما في مسلم لا يحبك الا مومن ولا يبغضك الا منافق لان من احبه اصحابه
واقرباه لحبه فهو مومن ومن كان بخلاف ذلك ففي قلبه كفر مضمر وان
اظهر اسلامه كالخوارج والمقصود ذمه وتهديده والمبالغة
في النهي عنه ولكونه ظاهره الاسلام وارتكب ما لا يليق باهل الاسلام
سماه منافقا مجازا ومثله في الحظ بيانا كثير وقال صلى الله عليه
وسلم للعباس بن عبد المطلب عمه في حديث صحيح رواه الترمذي
وابن ماجه والذي نفسي اي روحي وما به حياتي بيده اي في قبضته

بصرفه لانه المحيي والمميت وهو تتم للتأكيد والتحقيق لا يدخل قلب
رجل الايمان اي لا يؤمن ويصير مؤمنا كاملا فنفي الدخول استعارة ظاهرة
حتى يحبكم يعني انه صلى الله عليه وسلم واقرباءه فجعل من رآه وعرفهم
كمن عرفهم كلهم لله ولرسوله اي محبة خالصة من الاعراض الدنيوية
والريا فانها محبة الله ورسوله ورضاهما ومن اذى عمي تبتني م
يؤذيه فقد اذاني لانه ما يؤذيه الا يبتني يؤذيني وانما عم الرجل صنو ابيه
الصنو بكسر الصاد وضمها وهو هنا بمعنى المثل اي في المعنى ابوه والرجل
يعاد لابيه ويؤذيه ما يؤذيه واصل معناه نخلتان فاكثر تخرج من اصل
واحد فاستعير للاخ ولما ذكر انه كابنه يجب على بره وكذا على غيري
ويروى العباس صنوي اي مثلي في النسب وسبب قوله صلى الله عليه
وسلم هذا ان العباس دخل عليه مغضبا فقال له ما اغضبك قال
يا رسول الله ما لنا ولقريش اذا تلاقوا بينهم تلاقوا بوجوه مسفرة
واذا لقونا لقونا بغير ذلك فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى احمر وجهه ثم قال ما ذكره المصنف وقال صلى الله عليه وسلم
ايضا في حديث رواه البيهقي اغد علي يا عم اي ايتني تعال غدا عليه
اذا الي واصل معناه المجي في وقت الغداة فاستعمل في مطلق المجي مع
ولدك اي مع اولادك وكان له رضي الله عنه اذ ذاك عدة اولاد وعشرة
ذكور الفضل وعبد الله وقثم وعبيد الله ومعبد وعبد الرحمن وغيرهم
من الذكور والاناث واشهرهم عبد الله وهو الحبر وترجمان القرآن وابواه
للخلفا مع ولدك اي جمع العباس رضي الله عنه اولاده عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم او المراد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم او المراد ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ضمهم اليه وقال ابن الجوزي في الوفا ان الذي
جمعهم من اولاده سبعة وجللهم اي غطاهم وسترهم والبسهم بملاءته
بضم الميم ولام وهمزة ممدودة وهي دار الملحفة وتزجمي بما يكون
من ثوبين وقال صلى الله عليه وسلم بعد ما ضمهم كما نقل مع علي واهل
بيتهم تقدم هذا عمي وصنو ابي وهؤلاء اهل بيتي اي من اقربائي فاسترهم من
النار كستري اياهم اشارة الى ادخالهم في ملاءته كما تقدم فامنت
اي قالت بعد قوله صلى الله عليه وسلم ودعائه هذا اسكفة الباب
بضم الهمزة وسكون السين المهملة وضم الكاف وتشديد الفا يرتبة طرطبة
ونقل اسكونه فابدل احد حرفي التضعيف واوا وتخفف فاوه ايضا
وتفسر بالعتبة التي في اسفل الباب وتطلق على ما يقابلها من اعلاه ايضا

وحوائطه

وحوائطه جمع حائط وهو معروف امين امين بالمد ويقصر ويشدد وهو
اسم فعل معناه استجب وفيه كلام ليس هذا محله وهو مفعول امنت لانه تضمن
معنى قالت او مفعول قبله وفيه معجزة له صلى الله عليه وسلم بنطق الجماد
له كرامة لاهل البيت وكان صلى الله عليه وسلم كما في حديث رواه البخاري
ياخذ بيد اسامة بن زيد والحسن اي يمسكهما بيده وسقط لفظ بيد من بعض
النسخ فالمعنى يضمهما اليه ويقول داعيا لهما اللهم اني احبهما فاحبهما
بالادغام ويجوز فكه فيقال احببهما والامر للدعا وقد علم بذلك لعلمه بان من احبه
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه الله وعكسه والقول بان احبهما مشاكلة
لا وجه له لان محبة الله لعبده مجاز باعتبار غايته وقد كثير من غير مشاكلة
واسامة بن زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبه وقال
ابو بكر الصديق رضي الله عنه ارقبوا محمدا ارقبه واقب من المراقبة
وهي ادامة النظر في مقابلة شي ثم اريد به لازمه وهو الحفظ فالمراد ه
احفظوا احمدا اي حقه عليكم في اهل بيته اي في رعايتهم واكرامهم
وبرهم فان رعايته حفظ تحقق بذلك تحفظونه والله الذي نفسي
اي روحي وحياتي بيده بقبضته تصرفه لقرابة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهي مصدر صارت اسم جمع لقرب النسب احب الي
ان اصل اي صلتهم بدل اشتمال من قرابة من قرابتي فيه مضاف مقدر
اي من صلة قرابتي قاله هذا لما ارسلت اليه فاطمة رضي الله عنها
تطلب ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وسلم من فدك وغيرها فقال
له علي كرم الله وجهه قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم صلتهم لازمة
فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا لا نورث لبني لال محمد ان يزيدوا
على المال كل لا اغير شيا كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
صلى الله عليه وسلم في حديث رواه ابن ماجه والترمذي وحسنه ه
احب الله من احب حسنا دعا او خبر يحب حسن حسي فو بعضه
تبيح وربي حسينا وقال صلى الله عليه وسلم في حديث تقدم
من احبني واحب هذين واشار الى الحسن وحسين واباهما عليا
رضي الله عنهم معطوف على هذين وامهما فاطمة الزهرا رضي الله
عنهما وكان معي في درجتي بدل لكن معي اي في منزلتي ودرجتي في الجنة
يوم القيامة ان كان على ظاهره وانه معه في المحشر فهو كناية عن
سلامته من هوله فان اريد به الاخرة مطلقا فالمراد قربه منه لانه
لا يساويه صلى الله عليه وسلم في درجته احد كقوله المرء مع من احب

وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي وحسنه من اهان قريشا اهانه الله لانهم اكرم الناس في الجاهلية فكانوا سادة العرب لهم الرياسة والرفادة وفي الاسلام لان الامامة بحق لهم وقريش مصغر تقرش لقب النضر بن كنانة ونسله من التقرش وهو التجارة والاكتساب او التجمع لاجتماعهم في الحرم وهو من توافق اللغات وقيل سموا باسم دابة عظيمة في البحر لانها تاكل غيرها كما قيل

• وقريش هي التي تسكن البحر • بها سميت قريش قريشا •

وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البزار عن علي وابن ابي شيبة عن سهل قدموا قريشا قدموا قريشا في كل امر من الامور لاسيما الامارة والخلافة والتقدم في امامتهم ولا تقدموها نهي عن تاخيرهم والتقدم عليهم توكيد للامر قبله وهو بفتح المثناة والدال المهملة المشددة واصله تتقدموا بتاءين حذفت احداهما تخفيفا وقال صلى الله عليه وسلم لام سلمة في حديث رواه البخاري لا تؤذيني في عائشة رضي الله عنها وسببه انه قيل لام سلمة ام المؤمنين رضي الله عنها ان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة فقولي له صلى الله عليه وسلم يامر الناس ان يهدوا اليه حيث كان او حيث يريد فذكرت ذلك له صلى الله عليه وسلم مرتين وهو يعرض عنها فلما كان في الثالثة قال لها يا ام سلمة لا تؤذيني في عائشة فانه ما نزل علي الوحي وانا في لحاف امراة منكن غيرها فاخبر صلى الله عليه وسلم بمحبته لها وتقدمها عنده وان الناس لذلك خصوا يومها بالهدايا واستدل بهذا على تفضيل عائشة رضي الله عنها على سائر امهات المؤمنين حتى خديجة وقال السبكي الذي ندين الله به ان فاطمة افضل ثم خديجة ثم عائشة والحديث مخصوص بمن كان موجودا حال الخطاب بقوله منكن وقال ابن تيمية الراي هذا التوقف لتقابل احاديث التفضيل وتكافؤها واختصاص نزول الوحي بلحافها وجه بانها كانت تبالغ في التنظيف والتعطر والعادة مع شدة حبها وشوقها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظها لاوامره ونواهيه حتى علمت صفاته صفا نهها فصارت معه كشيء واحد رضي الله عنها وعن عقبة ابن الحارث في حديث رواه البخاري عنه رايت ابا بكر الصديق رضي الله عنه وقد حمل الحسن على عنقه اي حمله على عاتقه المجاور لعنقه ففيه تجوز وهو يقول انحلنا ومحالتنا انه ابو حاملا وقايلا اشعارا من بحر الكامل الارجز وقيل انه منه وهو مخروم بابي شبيه بالنبي اي افديه

بابي من اشتد شبهه برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كناية عن شدة المحبة وتقدم الرتبة عنده ليس شبيها بعلي اي ليس شبيها بابيه رضي الله عنه شبها تاما وانما تمام شبهه بجده صلى الله عليه وسلم والبا متعلقة بافدي فليست قسمية وقيل انها قسمية وفدوه والنهي عنه بحديث لا تحلفوا بابائكم واجيب بانه قبل النهي وهي بعيد والظاهر ان النهي عن القسم الحقيقي لا عما ورد للتعظيم والاستعطاف وهذا كله في غير الله ورسوله فانه لعلا انه يقسم بما اراد او يقال تالي ربا با وربا با الرجل اذا قال له بابي وعلي يضحك من فعل ابي بكر رضي الله عنهما وقوله هذا تعجبا منه وسرورا وفرحا بذلك وتعجبا من ان الظاهر ان كل احد يشابه اباه ومن يشابه ابه فما ظلم ولكنه جده بعرفه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلذا اشبه صلى الله عليه وسلم ابنا وجعل شبهه منه وهي خاصية لحكم ربانية وقدرية ان فاطمة رضي الله عنها كانت ترقص الحسن وهو طفل وتقول شبيه بالنبي الخ فيحتمل التوارد وان ابا بكر تمثل به بعد ما سمعه ووقع في البخاري ليس شبيه بعلي بالرفع فقال ابن مالك ليس حرف عطف كما ذهب اليه الكوفيون وغيرهم فقول هو اسمها والخبر محذوف اي ليس الشبيه غيره وقد يا قد يفخر ذلك وهذا الا ينافي ما في الشمائل لم ار قبله ولا بعده مثله لان المنفي المماثلة في جميع الوجوه والمثبت في بعضها وقيل المثل اخص من الشبه ولا يلزم من انتفاء الاخص انتفاء الاعم والذين شبهوا برسول الله صلى الله عليه وسلم نحو العشرة الحسن والحسين وقيل الحسن كان اعلاه اشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم والحسين اسفله وجعفر ابن ابي طالب وقثم ابن العباس والسائب بن يزيد احد اجداد الشافعي وابو سفيان بن الحارث وكابس بن ربيعة الاتي في كلام المصنف مع ضبطه وعبد الله بن عامر بن كريز بضم الكاف ومسلم بن معتب وعبد الرحمن ابن عبد الله بن محمد بن عقيل بن ابي طالب وابنه القاسم رضي الله عنهم ونظم بعضهم ابن سيد الناس رحمه الله تعالى فقال

• نحمسة شبه المختار من بينهم • بالحسن من خولوا تشبيه الحسن •
• بجعفر وابن عم المصطفى قثم • وسائب وابي سفيان والحسن •

وقال ابو محمد الاموي وزاد اثنين وقيل انه للحراني رحمه الله

• وسبعة شبهوا بالمصطفى فسما • لهم بذلك قدر قدره كبر وسما •

سبط النبي ابو سفيان سائرهم ٭ وجعفر وابنه ذو الجود مع قثما

وقال ابن حجر رحمه الله تعالى وزاد تمامًا

قد اشبه المصطفى الهادي ثمانية ٭ من صحبه نعلا في الناس قدرهم
سبطاه وابن كريز وابن حارثهم ٭ وجعفر وابنه مع سائب قثم
عليه ابن سيدي الحسن تعال

قد اشبه المصطفى المختار من مضر ٭ جماعة عدهم يربو على عشره
سبطاه وابن كريز وابن حارثهم ٭ وجعفر ما بناهم سادة خيره
وسائب مسلم وكابس قثم ٭ وسبط نجل عقيل وابنه البرره

وقد زيد على هذا اكثر بلغوا العشرين في بعضها كلام وطعن ونظموها نظما متكلفا فلذا لم اتعرض له فتابعهم ابن الشحنة في نظم له خمسة عشر فزاد ابن عقيل الثاني وزيد عبد الله بن الحارث المطلب منه وقد مات في حياته صلى الله عليه وسلم وقد عثمان ابن عفان لانه صلى الله عليه وسلم قال انه اشبه الناس بابيه ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام والنبي صلى الله عليه وسلم كان يشبه الخليل ايضا وشبيه التشبيه شبيه وعد ابن سعد منهم علي بن يحاد بن رفاعة ولو ذكر كل من قيل انه يشبهه صلى الله عليه وسلم لبلغ عددا كثيرا فانه ذكر منهم عبد الله بن محمد بن عقيل وابراهيم وعبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ويحيى بن القاسم بن جعفر العلوي ومنهم كما قيل المهدي الذي يخرج اخر الزمان والظاهر انهم لم يتحروا في وجه الشبه في الخلق والخلق فان الشبه التام لم يتيسر لاحد كيف وقد اعطي صلى الله عليه وسلم الحسن كله واعطي يوسف عليه الصلاة والسلام شطره فهو كما قيل

انما مثلوا صفاتك للناس ٭ كما مثل النجوم الماء

وروي عن عبد الله بن حسن بن حسن ابن علي ابن ابي طالب وهو من ثقات ال البيت وفضلا بهم وله ترجمة واخرج له اصحاب السنن قال اتيت عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال لي اذا كان لك الي حاجة فارسل الي او اكتب لي كتابا نعلمني به حاجتك فاني استحي من الله ان يراك فاتقا على بابي كما هو المعتاد لمن اتى باب عظيم ان يقف حتى يؤذن له وهذا تعظيم منه لال البيت لمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم واله وعن الشعبي عامر بن شرحبيل كما تقدم وهذا رواه الحاكم والبيهقي وصححه قال

صلى

صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت بن قيس بن شماس الانصاري الصحابي المشهور رضي الله عنه وسلم وقال البرهان ان زيد بن ثابت الكلبي على جنازة امه اي ام زيد والجنازة بفتح الجيم وكسرها الميت او التابوت وامه النوار بنت مالك بن معاوية بن عدي بن عامر الانصارية ثم قربت له بغلة ليركبها فلما ركبها جاء ابن عباس رضي الله عنهما واخذ بركابه اي امسكه ليركب او يمشي معه ماسكا ركابه فقال زيد لابن عباس خل عنه اي دع الركاب وتباعد عنه يا ابن عم رسول الله يعني انه لا يليق مثله بال البيت لتعظيمهم وتكريمهم اللازم لكل احد فقال ابن عباس مجيبا له هكذا نفعل بالعلماء اي مثل هذا التعظيم نعظم به علماءنا فقبل زيد يد ابن عباس تعظيما له وجزاء للاكرام وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت رسول نبينا صلى الله عليه وسلم وقول الصحابي امرنا كما بين في مصطلح الحديث له حكم الرفع على كلام فيه ليس هذا محله والشاهد فيه تعظيم ال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحبتهم ورأى عبد الله ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما احد العبادلة المشهور محمد بن اسامة ابن زيد ابن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا الحديث في صحيح البخاري فقال ليت هذا عندي بكسر العين وسكون النون او بفتحها والنون الموحدة وروي بالوجهين والذي رجحوه الاول وهكذا اضبطه الحافظ العراقي وتمنى ذلك ليعلمه ويوديه ولم يكن عرفه حين رآه فقيل له هو محمد بن اسامة فطاطا راسه اي خفضه واطرقه حياء لما عرفه ونقر بيده الارض وهو متفكر فيما قاله ندما عليه وقال ابن عمر لو رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحبه لانه كان يحب اباه اسامة وانما فعل وقال ذلك تعظيما لموالي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الاوزاعي الامام العابد الزاهد الحافظ صاحب المذهب الذي كان عليه اهل المغرب قبل اتباع مذهب الامام مالك سكن الشام حتى مات وهو منسوب للاوزاع بطن من حمير او من همدان او قرية وقد تقدم دخلت بنت اسامة بن زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم واسمها فاطمة وكانت تسكن المزة بالشام كما ذكره ابن عبد البر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجر صفة اسامة او زيد فان كلا منهما صحابي مشهور على عمر ابن عبد العزيز وهو خليفة وقيل انها دخلت عليه وهو امير بالمدينة قبل خلافته في خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان والصحيح الاول

وبجي

لان هذه القصة ذكرها ابن عساكر في تاريخه وان اسامة توفي بقرية له بوادي
القرى وخلف بقية فاطمة بالمرة فلم تزل لها الى ان ولي عمر بن عبد العزيز ه
فاتته ومعها مولى لها اي عبد يمسك بيدها لكبرها وضعف بصرها فلما
راها عمر ومشي اليها تكريما لكونها من نسل حب رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى جعل يدها بين يديه بان امسكها بيده لا عن تولاها وتولى حد منها
وتداه في ثيابه اي مخشاة بكمه حتى لا يمس يده يد الاجنبية لتغرا وشي
لها حتى اجلسها على مجلسه اي على فراشه الذي كان يجالسنا عليه
وجلس بين يديها كما يفعله الصغير مع الكبير تادبا معه واكراما وتعظيما
وما ترك لها حاجة ذكرتها له الا قضاها وتجزها وكان يقال لها ما حاجتك
يا فاطمة قالت تحملني الى اخي تجزها وحملها اليه فانظر رحمك الله
الى الخلفا الراشدين لم تمنعهم الخلافة عن قضا الحوايج والتواضع لهم وقد
فرض عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ديوانه الذي رتبه فيه الوظايف
للناس وهذا انما رواه الترمذي وحسنه فلما عينه من بيت المال لحضر
فرض لابنه عبد الله وظيفة في ثلاثة الاف اي في الطبقة التي واحدها
ثلاثة الاف في السنة وفرض لاسامة بن زيد في ثلاثة الاف
وخمسماية تجعل وظيفته من بيت المال في رتبة اعلى من ابنه عبد
الله قال جوابه لما عبد الله ابنه لابيه عمر رضي الله عنهما
لم فضلته علي بزيادة عطايه فوالله ما سبقني الى مشهد اي محل يشهده
الناس في الجهاد وخدمة الدين التي ترتب الوظايف بقدرها دا التقدم
فيها فقال عمر له اي لابنه مجيبا له لان زيدا اباه احب
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابيك يعني نفسه فتقديمه
انما هو لمحبة رسول الله صلى الله عليه لا لسبقه لك وهي امر يقتضي
التقدم وزيادة التكريم وهذا انما قال انه تواضع منه لحرمته
لوالي رسول الله صلى الله عليه وسلم والا فهو احب الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم لحديث عمرو بن العاص قلت يا رسول الله اي
الناس احب اليك قال عايشة قلت من الرجال قال
ابوها قلت ثم من قال عمر ولك ان تقول الاحسنة تختلف فاسامة
رضي الله عنه احبته لكونه من خدمته المقربين له فلا ينافي كون عمر احب
من غيره لكن الوجه فان المقرب منه على غيره ثم ان ما ذكره من الفرض
المذكور يخالفه ما في الاستيعاب انه فرض لاسامة خمسة الاف ولابنه
ثلاثة الاف لكنه لا ينافي المقصود من القصة وهذا كله من الغنايم

كما

كما فعلوه فاثرت اي اخترت وقدمت محبة رسول الله صلى الله عليه
وسلم على حبي بضم الحا فيهما اي محبته او يكسرها بمعنى محبوبه على محبوبي وبلغ
معاوية ابن ابي سفيان رضي الله عنهما فيما رواه ابن عساكر ان كابس ابن ربيعة
ابن بن لوي وكابس بكاف وباموحدة بعد الف وسين مهملة وما قيل
من انه بمثناة تحتية وانه صحح في نسخة الحرفي تلميذ المصنف تصحيف من
ناقله ونقل القرطبي المحفوظ فيه غالبس الصحيح خلافه يشبه برسول الله
صلى الله عليه وسلم بنوع من الشبه وابن الشري والثريا فلما دخل عليه من
باب الدار الفاذ النز على مقدر اي وجد له من احضره فلما دخل بابه داره قام
عن سريره لشام فمشى له وتلقاه وقبل بين عينيه تكريما لشبهه لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وكان انس ابن مالك اذا راه بكى لتذكره رسول الله
صلى الله عليه وسلم واقطعه المرغاب اسم ارض بمرو الشاهجان الاقرنية بمراة
كانت ذات غلة كثيرة يرغب فيها وهو بكسر الميم وعين معجمة والف
وبا موحدة قبلهما را مهملة والاقطاع ان يعوض السلطان ارضا بتمليك
ونحوه وليسوغه لمن هو اهل له وفي شرح احكام عبد الحق انه اسم نهر بالبصرة
وما في القاموس مما يقتضي انه بميم مفتوحة مخالف لما نقله اهل اللغة كابي عبيد
في معجمه والظاهر انه لا وجه له وعبارته المرغاب ع د بمرو الشاهجان وبلدة
بهراة وبالكسر سيف مالك بن حمار انتهى وفولك لشبهه صورة رسول
الله صلى الله عليه وسلم اي كما فعله معاوية رضي الله عنه من تعظيمه له
لشبهه له صلى الله عليه وسلم والصورة ظاهر الوجه وهيئة الانسان و
صفته وصورة مضاف لما بعده مفعول او منصوب منون تمييز للنسبة
وروي ان مالكا ابن انس الامام المعروف لما ضربه جعفر بن سليمان
ابن علي بن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما وجعفر هذا كان واليا على المدينة
من قبل عمه المنصور ونال منه ما نال من تجريده من ثيابه وارها شه وسببه
وكان سببه انه بلغه انه يقول ان الايمان في بيعة الخلفا ليست لازمة
لان الناس مكرهون فيها فغضب لذلك وعاقبه فحصل منه ما لا خير فيه
وحمل لمنزله مغشيا عليه من الضرب وانه مدت يده حتى خلعت من كتفه
دخل عليه الناس جوابه لما فاق من غشيه فقال اشهدكم
اني جعلت ضاربي اي الامر بضربي وهو باشره في حل بكسر الحا فقال
هو في حل من كذا اذا ابراه منه من عهدته فسيل مالك بعد ذلك عن
وجه ما قاله واسقاط حقه فقال اني خفت ان اموت ما فعله بي فالقى
النبي صلى الله عليه وسلم في الدار الاخرة فاستحيي منه لما يلحقني من الخجل

منه خوفاً أن يدخل بعض الم منى أقربائه الفار يسبني جزاه على ما فعله لأن حق العبد لا يسقط إلا برضاه فالظالم يعذبه الله عدلاً منه فلهذا حاله لأحد رامى ذلك ولهذا أجزم بذلك واحتمال إرضاء الله له وغيره أمر خلاف الظاهر فلا وجه للاعتراض على جزمه بذلك كما قيل وهذا مراد الإمام النووي رحمه الله في قوله

من نال مني أو علقت بذمته ۞ أبرأته لله شاكر منته
فالله ما طالبت عبداً بعده ۞ ولئن طلبت رجوته واسع رحمته
أأرى معوق مؤمن يوم الجزاء ۞ أو أن أسوء محمداً في أمته

وقيل إن المنصور الخليفة العباسي المشهور قاده من جعفر أي أمراه يقتص لمالك من جعفر فيضربه كما ضربه وسيأتي كلام في قصاص الضرب فقال أعوذ بالله والتجئ إليه في الإعانة على عدم ما أريد وهو عبارة في العرف عن عدم الرضا والله ما ارتفع منها سوط عن جسمي في حال الضرب إلا وقد جعلته في حل وإبراء ذمته منه لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم تكريماً له لتعظيمه ومحبته وقال أبو بكر بن عياش بفتح العين المهملة وتشديد المثناة التحتية وآخره شين معجمة ابن سالم الأزدي المقرئ أحد الأعلام اختلف في اسمه فقيل شعبة وقيل اسمه كنيته وشهرته تغني عن ذكره توفي سنة تسع وثلاثين ومائة في جمادى الأولى وعمره ست وتسعون سنة لو أتاني أبو بكر وعمر وعلي في حاجة اقتدر عليها لبدأت بحاجة علي قبلهما وقدمته عليهما وهما وما أشار له عليهما لقرابته وفي نسخة لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لشدة قربه ومصاهرته فتقدمه ذاتي وعرضي وقربهما منه لا يمنعه ولأن أخر من السماء إلى الأرض هذا تمثيل لصعوبته حتى أن مخالفته عنده أشد عنه من أنه يرتفع إلى السماء ويرمي به منها إلى الأرض فينقطع وتنكسر جميع أعضائه وخر بمعنى سقط أحب إلي من أن أقدمه عليهما يعني لولا قرابته منه صلى الله عليه وسلم ما قدمته عليهما مع علمي بفضيلتهما عليه وإنما قدمته لما فيه من صلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرفه وكرمه

ولأجل عين ألف عين تكرم ۞ ۞

ففي الكلام تقدير كما أشرنا إليه وقيل لابن عباس كما رواه أبو داود والترمذي وحسنه ماتت فلانة كناية عن امرأة معينة كما بينه بقوله لبعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعينوها وقيل هي ميمونة وقيل صفية بنت حيي فخر ساجداً فقيل له أتسجد في هذه الساعة أي في مثل هذه الساعة التي أخبرت فيها بهذه المصيبة

والسجود

والسجود إنما يكون للشكر ونحوه فقال صلى الله عليه وسلم إذا رأيتم آية فاسجدوا أي أمراً عظيماً آية عبرة كالكسوف والخسوف وجزم بعضهم بأنها ميمونة خالة ابن عباس وهي آخرهن وجانه صلى الله عليه وسلم موتاً وفي انقراضهن يخشى رفع الرحمة من الأرض وغضب الله على أهلها وفي السجود والصلاة تذلل يرفع غضب الرب ولذا استحب بعضهم الصلاة للخسوف والزلزلة وأي آية أعظم من ذهاب أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وغلق بابه فإنه أمر عظيم يورث حزناً وأسفاً وكان أبو بكر وعمر يزوران أم أيمن مولاة النبي صلى الله عليه وسلم ويقولان كان النبي صلى الله عليه وسلم يزورها فاقتديا به وأحباما أحبه واسمها بركة بنت حفص بن ثعلبة بن عمرو بن حفص بن مالك ابن مالك بن سلمان بن عمرو بن النجار كانت وصيفة لعبد الله بن عبد المطلب تزوجها زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فولدت له أسامة وهاجرت الهجرتين وكانت ألته إليه من أبيه وقيل كانت لأمه وكان صلى الله عليه وسلم يحبها ويجبر قلبها وأبرها ويقول هي أمي بعد أمي فلذا كان يزورها ويصلها وكانت تحبه وتحضنه وآمنت به صلى الله عليه وسلم قبل بعثته لأن أمه ذهبت به لأخواله بني النجار بالمدينة وأقامت شهراً عندهم فكان اليهود يختلفون إليه وينظرون صفته ام أيمن يقولون هذا نبي هذه الأمة فوقر ذلك في قلبها فهي أول من آمن به صلى الله عليه وسلم ثم رجعته به فماتت بالأبواء وقبرها هناك فحضنته أم أيمن ولما وردت حليمة السعدية من بني سعد على النبي صلى الله عليه وسلم بعد هجرته وهي أمه صلى الله عليه وسلم من الرضاعة وهذا الحديث رواه ابن سعد رحمه الله بسط لها رداءه لتجلس عليه إكراماً عليه لحق أمومة الرضاع وقضى حاجتها التي سألته قضاها فلما توفي صلى الله عليه وسلم وفدت أي جاءت وافدة وقادمة من محل بعيد على أبي بكر وعمر في خلافتهما لحاجة لها فصنعا بها مثل ذلك أي بسطا رداءهما لها وأكرماها وقضيا حاجتها تأسياً به صلى الله عليه وسلم ومحبة لمن أحب واعترض عليه البرهان وقال إن التي قدمت عليه صلى الله عليه وسلم إنما هي بنت حليمة المسماة بالشيماء وهي التي أسلمت لا حليمة كما ذكره الدمياطي رحمه الله وتبعه غيره لكن رد عليه ذلك مغلطاي في مؤلف له سماه التحفة الجسيمة في إسلام حليمة

والحاصل كما تقدم أنهم اختلفوا في إسلامها وأنها صحابية فأنكره بعضهم وقال إنه غلط من بنتها الشيماء فإنها أسلمت وقال ابن عبد البر في الاستيعاب إنها أتته صلى الله عليه وسلم يوم حنين

فبسط لها رداءه وانه روى عنها حديث وزر دبانه لم يصح والتي اتته
بنتها الشيما بنت الحارث كما مر واسمها حذافة واما هي فاتته صلى الله عليه
وسلم زمن خديجة فاعطاها اربعين شاة وجملا وانصرفت الى اهلها
فلم يذكر اسلامها الا ابن عبد البر اثبته وعدها في الصحابة وقال
هي التي اتته بحنين وروى عنها عبد الله ابن جعفر وذكر في الوفا ايضا
اسلمت هي وزوجها وبنتها وكفى بهذا مستند المصنف رحمه الله
فالمخطي له مخطي والشاهد فيما ذكره لا يخفى فيه انه ابا بكر اكرمها وعظمها
اقتدا به صلى الله عليه وسلم ومحبة لمن احبه وهي في حكم الوالدة
لانها امه من الرضاعة وهي في حكم القرابة فهذا امر ظهوره لم يفهمه
من قال معترضا على المصنف هذه القصة لا مدخل لها في هذا
الفصل لانه معقود لتوقير اله واصحابه تكريما له وتعظيما فهذا انما
هو من قبيل تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم نفسه لغيره وهذه
غفلة منه عجيبة **فصل ومن توقيره صلى الله عليه وسلم وبره**
توقيره تبعظيمه وبره مصدران الى المفعول بمعنى الاحسان به
والمراد به رعاية جانبه وصلته **توقير اصحابه وبرهم** اي تعظيمهم والاحسان
اليهم بموالاتهم ونصرتهم وكل ما يليق بهم قولا وفعلا فانهم من اكرم
عظما اكرم اتباعه والاصحاب جمع صاحب وتعريفه كما تقدم من راه صلى
الله عليه وسلم مومنا به ومات على ذلك وتفصيله في كتب
الحديث والاصلين **ومعرفة حقهم** اي ما يلزم لهم من تكريمهم وحسن
معاملتهم وتنزيل كل منهم في منزلته اللايقة به وليس المراد مجرد المعرفة
حتى يقال ينبغي ان يقول القيام بها لان ثمرة العلم العمل ولذا اعطف
عليه قوله **والاقتدا بهم** اي اتباع اثرهم وانما خصهم فانهم
على هدي اضات في مشكاتهم الانوار النبوية فهم خير الناس ومجموعهم
افضل من مجموع من بعدهم واما كون كل فرد منهم افضل
من كل فرد من غيرهم فصرحوا انه لا يلزم فقد يكون بعض التابعين
افضل من بعض الصحابة واستدل بحديث امتي كالمطر لا يدرى في الخير
في اوله ام اخيره والشافعيه بانه باعتبار النفع لا الفضيلة عبره
مسلمة وبالجملة فكلهم عدول خلفا صغيرهم وكبيرهم
وحسن الثنا عليهم اذا ذكروا امدحوا **والاستغفار لهم** اي
الدعا لهم بالمغفرة والرحمة نحو رحمهم الله ورضي عنهم **والامساك**
اي السكوت يقال امسك عن ذكره اذا سكت وهو مجاز صار حقيقة فيه

ابن اقبرس

ابن اقبرس

عما

عما اي عن كل امر **شجر بينهم** اي وقع فيه خلاف ونزاع ماخوذ من الشجرة
المختلف المتداخل اغصانه بعضها في بعض وفي الحديث اياكم وما شجر بين اصحابي
ومعاداة من عاداهم كالخوارج والرفضة **والاعراض** اي الترك والاعراض
عن اخبار المورخين التي نقلوها عنهم فانها توهمة تنقيص بعضهم بما نقلوا
وجهلة الرواة الذين رووا قصصا باطلة تودي لسو ظن لهم **وضلال
الشيعة** بضم الضاد المعجمة وتشديد اللام جمع ضال والشيعة كل فرقة
تابعة لاحد ثم خصته بعرفة مخصوصة تابعوا عليا وبالغوا فيه وقالوا انه
الامامة حقه وحق بنيه دون غيرهم وهو من اضافة الصفة لموصوفها
اي المشيعة والصفة كاشفة معرفة لا مقيدة حتى يتوهم ان منه
الشيعة فرقة غير ضالة او هي مقيدة للمعطوف والمعطوف عليه اعني قوله
والمبتدعين فان البدعة على اقسام كما تقدم والمراد ابتداع العقايد
الفاسدة كالخوارج وبعض المعتزلة وقوله **القادحة** صفة اخبار
والقدح الذم والتنقيص بذكر ما يودي **البغض في احد منهم** اي من الصحابة
وان يلتمس لهم اي نطلب لهم واصله ادراك ظاهر البشرة
كالمس ثم عبر به عن مطلق الطلب **فيما نقل مثل ذلك**
الاثر المنقول عنهم في الاخبار المروية **فيما كان بينهم من الفتن** كما
وقع بين علي ومعاوية رضي الله عنهما **احسن التاويلات والمحامل**
لانها امور وقعت باجتهاد منهم لا لاغراض نفسانية ومطامع دنيوية
كما يظنه الجهلة **ويخرج** بضم اوله مجهول كقوله يلتمس ايضا **اصوب
المخارج** بان يحمله على امر محمود وما وله بما يخرجه عن عده من المعايب
الى الحاقه بالمحاسن **اذ هم اهل ذلك** اي مستحقون بان يحمل ما صدر
منهم على امر صحيح **ولا يغمض** عليه امر يضم اليا التحتية وسكون الغين
المعجمة وميم مفتوحة وصاد مهملة مبني للمجهول اي لا يعاب ولا ينقص
في امر من اموره يقال غمصه اذا احتقره وتهاون به وجوز فيه ايضا
اعجام صاده من اغمض الجفن اذا طبقه بعضه على بعض ثم استعير
للتغافل والتساهل كقال تعالى الا ان تغمضوا فيه والمعنى لا تحقروا الا ولكن
اولا ماركة به **بل يذكر حسناتهم** المروية عنهم من عبادتهم وزهدهم
وفضايلهم الكثيرة من علمهم وكرمهم وحلمهم **وحميد سيرهم** من انصافهم
وعدلهم واصابة رايهم وعلو همهم **ويسكت** مجهول **عما وراء ذلك** اي عن
غيره مما لا يليق بمقامهم **كما قال صلى الله عليه وسلم** في حديث رواه الطبراني
وابن اسامة عن علي بن مسعود **اذا ذكر اصحابي** بذكر اخوالهم **فامسكوا عن**

الطعن فيهم وذكرهم بما يوهم نقصا فيهم وقال تعالى محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم والذين معه اشدا على الكفار رحما بينهم الى اخر السورة
تتضمن خاتمة سورة الفتح الثنا عليهم كلهم وان الله وعدهم بمغفرة
واجر عظيم منه وانهم من ابتدا الامر الى اخره وحين كونهم مع تكامل شيئا فشيئا
حتى غلت ساقه وهم تفعله للاية وما فيها من التفسير قد كفينا مؤنته
هنا والذي يراد منها هنا ان من مدحه الله وبالغ في مدحه في كتبه المنزلة
على رسله لا يحتاج لمدح فكيف يقدح فيه بقدح قادح لكني اقول

اعمى البصائر بالتكحل يذهب

وقال الله عز وجل في حقهم ايضا والسابقون الاولون
من المهاجرين والانصار الاية ففي هذه الاية مدح عظيم ايضا لهم
ووعد عظيم بما لهم في العقبى وهم على طبقات ثلاث الاولى السابقون الاولون
الذين صلوا للقبلتين وشهدوا بدرا او الذين اسلموا قبل الهجرة الثانية
السابقون الاولون للبيعة وهم الانصار اصحاب العقبة الاولى و
والثانية والثالثة الذين اتبعوا هولا باحسان وهم اللاحقون بالسابقين
من اهل القبلتين وشمل هولا كلهم الثنا والوعد وقد قسموا اقساما اخر ليس
هذا محل تفصيلها وقال تعالى لقد رضي الله عن المومنين اذ يبايعونك
تحت الشجرة وهذه قصة الحديبية وما وقع فيها مما يغني شهرته
عن ذكره وقال تعالى من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
الاية هذه الاية قد مر ايضا نزلت في ناس من الصحابة منهم انس بن النضر
عم انس بن مالك كان لم يشهد بدرا فكبر عليه ذلك فقال اول مشهد
لرسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه والله لين اراني الله مشهدا
بعده ليرين الله ما اصنع فلما كانت وقعة احد من العام القابل قاتل
فيها حتى قتل ومنهم حمزة وسعد بن معاذ وطلحة بن عبيد الله كما تقدم
حدثنا القاضي ابو علي هو ابن سكرة كما تقدم قال حدثنا
ابو الحسين تقدم ايضا وابو الفضل ابن خيرون قالا حدثنا ابو يعلى
احمد بن عبد الواحد البغدادي وقد تقدم قال حدثنا ابو علي
السنجي حدثنا محمد بن محبوب المعروف بالمحبوبي كما تقدم قال
حدثنا الترمذي الحافظ ابو عيسى صاحب السنن قال حدثنا الحسن
ابن الصباح هو البزار براء في اخره كما تقدم وهو الحسن بن محمد بن الصباح
ابو علي الزعفراني قال حدثنا سفيان بن عيينة تقدم ايضا عن زائدة
ابن قدامة ابو الصلت الثقفي الكوفي الحافظ الثقة الحجة توفي غازيا

بالروم

بالروم سنة ستين او احدى وستين ومائة واخرج له الستة عن عبد الملك
ابن عمير الكوفي التابعي [illegible] روى عنه الستة توفي سنة ست وثلاثين ومائة
عن ربعي بكسر الرا المهملة وسكون الموحدة ابن حراش بكسر الحا المهملة
وفتح الرا المهملتين واخره شين معجمة وما عداه خراش بخا معجمة وهو
ابو مريم العبسي عن حذيفة بن اليمان باثبات اليا وهو الافصح وتحذف
وهو الصحابي المشهور رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
في حديث رواه الترمذي وابن ماجه اقتدوا باللذين من بعدي ابي
بكر وعمر اراد بهم الخلفا الراشدين مطلقا وخص منهم ابا بكر وعمر لزيادة
فضلهما وتقدمهما على غيرهما وهذا الحديث اخرجه الحاكم وابن حبان
ايضا وفي طرقه اختلاف بزيادة ونحوها واوله قال حذيفة رضي الله
عنه كنا جلوسا عنده صلى الله عليه وسلم فقال اني لا ادري ما بقائي
فيكم فاقتدوا باللذين من بعدي واشار الى ابي بكر وعمر واخرجه القضاعي
بلفظ اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر فانهما حبل الله الممدود
من تمسك بهما فقد تمسك بعروة الله الوثقى لا انفصام لها والمراد
الاقتدا بهما اذا قاما مقامه في الخلافة وهو دليل على خلافتهما وعلى ان قول
الصحابي حجة مقدمة على القياس ومنهم من خصه بابي بكر وعمر واستدل
بهذا الحديث كما فصل في كتب الاصول وقال صلى الله عليه
وسلم في حديث اخر رواه الدارقطني وابن عبد البر في العلم من طرق
اسانيدها كلها ضعيفة حتى قال ابن حزم انه موضوع وقال الحافظ
العراقي كان ينبغي للمصنف ان لا يورده بصيغة الجزم وما قيل
من انه ليس بوارد لان المصنف في فضل الصحابة وقد اتفقوا على جواز
العمل بالحديث الضعيف في فضائل الاعمال والرجال لا وجه له لان قوله
اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم فيه العمل بما نقلوه وقالوه من الاحكام
وليس هذا من قبيل الفضائل التي يجوز فيها العمل بالضعيف فلو قال
انه بمعنى الحديث الذي قبله وهو حديث صحيح يعمل به ولذا ساقه
بعده كالمتابع له لذا جزم به كان اقوى واحسن مما قاله
وقال ابن الرومي رحمه الله تعالى

قوم اذا دجت الخطوب فانما … اراوهم في الحادثات نجوم
منها مصابيح في الدجى ومعالم … فيها الهدى والاخريات رجوم

ولعل هذا مع ما قبله حديثا واحدا كما نبه عليه المصنف بقوله وقال
نوجه التنبيه ما ذكره مع العلو والشرف وعن النبي فيما رواه البزار وابو

يعني مثل أصحابي زاد في المصابيح في أمتي كمثل الملح في الطعام أي فيما
يطبخ ويؤكل مما يحتاج إلى إصلاحه بالملح ووجه الشبه الإصلاح وإذا كثر
كثر الملح فالصالح قليل ولدفع توهم ضرر كثيرهم قال لا يصلح الطعام بالبناء
للفاعل ويجوز بناؤه للمفعول أيضا إلا به أي بوضعه فيه وهذا
الحديث رواه ابن أبي حاتم وغيره من طرق مختلفة وقال
الحسن البصري قد ذهب ملحنا فكيف نصلح وإصلاحهم بإرشادهم وهدايتهم
وحثهم على الطاعات وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وخلافتهم وبيان
الشريعة وأمور الدين فعلينا باتباعهم واقتفاء آثارهم ومن اشتراط
الساعة فساد العلماء كما قيل

بالملح يصلح ما يرجى تغيره * فكيف بالملح إن حلت به الغير

قيل فيه دقيقة وهي الإشارة إلى الاعتدال وأن الخير منه وسطه
ولا يخفى بعده ولو قيل إنه إشارة إلى قلتهم وسرعة انقراضهم كان
أظهر فتأمل وقال صلى الله عليه وسلم في حديث تقدم الله
الله في أصحابي أي اتقوا الله فيهم وكرره للحث والتأكيد وهو منصوب
على التحذير بعامل يجب حذفه لقيام التكرير مقامه ولولاه حسن إظهاره
كما قاله ابن مالك وفي البسيط يجوز إظهاره وقال الجزولي إنه يجوز
مع نحوه لا تتخذوهم غرضا بعدي الظرف متعلق بالفعل لا صفة
غرضا والغرض الهدف الذي يرمى بالسهام والمعنى لا تؤذوهم وتطعنوا
فيهم بألسنتكم وأمور قبيحة لهم فمن أحبهم وصان أعراضهم فبحبي أحبهم
أي فإنما يحبهم لأجل محبتي لهم أو محبتهم عين محبتي وبرهم بري ومن
أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد
آذى الله أذية الله عبارة عن فعل ما لا يرضاه إذ معناه الحقيقي لا يمكن
في حقه فهو مشاكلة ومن آذى الله يوشك بكسر الشين وقد تفتح بمعنى
يقرب ويسرع أن يأخذه أي يعاقبه ويستأصله بعذابه ويوشك
يجوز رفعه وجزمه لأن من شرطية أو موصولة وروي في المصابيح
فيوشك بالفاء والرفع بتقدير مبتدأ أو هو مستأنف دليل على الجواب
وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم وغيره لا تسبوا
أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا وفي بعض الروايات
من طريق أبي بكر بن عياش زيادة كل يوم وأحد اسم جبل معروف أي لو بذل
في سبيل الله مقدار وزنه ذهبا ما بلغ أي ما وصل وما يساوي ثواب
ثواب مد أحدهم ولا نصيفه الذي يتصدق به من تمر أو شعير ونحو

ونحوه

ونحوه نصفه من المبالغة ما لا يخفى والمد بضم الميم ربع صاع وهو أقل
ما يتصدق به عادة وهو رطل وثلث عراقي عند الشافعي ورطلان عند أبي
حنيفة وروي مده بفتح الميم أي مداه وغايته كمد البصر ومداه والنصيف
بفتح النون وكسر الصاد المهملة بوزن رغيف وفيه أربع لغات نصف
بكسر النون وضمها ونصيف بزيادة مخففة لغة في النصيف كثمين بمعنى
ثمن وقيل النصيف مكيال دون المد أي على صدقتكم وإنفاقكم
لا يبلغ أجره وموقعه عند الله أقل صدقتهم لسبقهم في الخير وخلوص
نيتهم به وقربهم منه ولذا أنفقوا رضي الله عنهم وهم في فاقة وقلة
ومن بعدهم أنفق والدنيا واسعة دارة عليهم مع شدة الحاجة
أنفقوه في أول ظهور الإسلام وقتال أعداء الدين مع بذلهم مع ما
لهم أهلهم وأرواحهم في سبيل الله كما قيل

رأيت عبيد الله أكرم من مشى * وأكرم من فضل بن يحيى بن خالد
أولئك جادوا والزمان مساعد * وقد جاد ذا والدهر غير مساعد
جدتم وفازوا والزمان هازل * وجاد فعفوا والزمان جامد

والخطاب للموجودين من غير الصحابة ولمن يوجد بعدهم كما قيل
أو المراد بأصحابه السابقون الأولون منهم كما قال تعالى لا يستوي منكم من
أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة الآية والأصحاب جماعة
مخصوصون منهم واختلف في حكم من سبهم هل هو كبيرة يعزر فاعله أو كفر
فيقتل وسيأتي تفصيله وقال فيما رواه الديلمي وأبو نعيم
في الحلية عن جابر رضي الله عنه من سب أصحابي فعليه
لعنة الله والملائكة والناس أجمعين اللعنة بمعنى الإبعاد والطرد
والمراد بعده من رحمة الله وفيه تمسك من قال بكفره وقتله
ومثله كثير في أحاديث المهنة به والتخويف حتى لا يجترئ عليه
أحد من الناس لا يقبل منه أي من سبهم صرفا ولا عدلا في تفسيرهما
أقوال فقيل الصرف التوبة وقيل التصرف في الأمور وقيل
التطوع وقيل الوزن وقيل الغنيمة وقيل المثل وقيل
ما يتصرف فيه وقيل الزيادة والعدل قد قيل الفرض وقيل
الفدية وقيل الكيل وقيل المثل وقيل الفضل قال
النووي ومعنى الفدية أنه لا يجد يوم القيامة فدى يفتدي به كما أن
بعض المؤمنين قد يفديه الله ببعض الكفار كما ورد في الحديث
وقال صلى الله عليه وسلم إذا ذكر أصحابي فأمسكوا أي إذا ذكر

بسوء وغيبته فاتركوا ذلك ولا تخوضوا مع الخائضين فيهم وقد تقدم هذا بيانه وقال في حديث جابر رضي الله عنه الذي رواه البزار والديلمي عنه صلى الله عليه وسلم ان الله اختار اصحابي على جميع العالمين اي فضلهم على الناس كلهم وجعلهم خيرة خلقه عدولا انقيا كلهم سوى الانبيا والمرسلين فانهم افضل منهم واختار لي منهم اي من الصحابة نفضلهم على غيرهم من الصحابة اربعة ابا بكر وعمر وفي رواية الترمذي انه صلى الله عليه وسلم راى ابا بكر وعمر فقال هذا السمع والبصر وعثمان وعليا ثم فسر اختيارهم له بقوله فجعلهم خير اصحابي وافضلهم وفي الصحابة كلهم خير اي فضل وتقوى لكونهم عدولا كما في حديث خير القرون قرني ثم وثم وهذا سبب ما حكاه امام الحرمين رحمه الله من الاجماع على عدالتهم صغيرهم وكبيرهم فلا يجوز الانتقاد عليهم بما صدر عن بعضهم مما ادى اليه اجتهاده لما اوجب القطع بانهم خير الناس بعد النبيين والمرسلين ولما الفوه من الهجرة وترك الاهل والاوطان وبذل النفوس والاموال في نصرة الدين وقتل الاباء والابناء والمناصحة في الدين وقوة الايمان واليقين وغير ذلك من المنح الالهية وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الطبراني في اوسطه بسند حسن من احب عمر فقد احبني ومن ابغض عمر فقد ابغضني خصه بذلك لما كان من الشدة على امور الدين التي قد تورث حزازة في بعض النفوس القاصرة ولا يلزم منه تفضيله على ابي بكر رضي الله عنه ونحو جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بغضه نفاقا لان رسول الله صلى الله عليه وسلم احبه وارتضاه وفي بغضه لعدم ارتضائه يفضي الى عدم ارتضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قيل

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه

نكتة من حفظ نجي ابي بكر وعمر رضي الله عنهما انهما جليساه وضجيعاه صلى الله عليه وسلم في حياته ومماته وورد في حديث ان كل احد يدفن في تربته التي خلق منها وهو يدل على انهما خلقا من طينة واحدة وليس بعد هذه المنقبة شرف اعظم منها وقال مالك بن انس شيخ السنة وامام دار الهجرة وغيره من الائمة اشار الى انه رحمه الله لم ينفرد بهذا الاستنباط فانه سبقه له ابن عباس كما نقله ابن تيمية في كتابه

الرافضي

الرافضي من ابغض الصحابة وسبهم فليس له في المسلمين حق الفي ما اخذ غنيمة من الكفار وهو مرصد للمسلمين فعدم نصيبه منه عقوبة له على ما فعله وفيها اشارة الى انه خرج بذلك عن الاسلام ولذا حكم بعض المالكية بقتله ان لم يتب واكتفى هنا شامل للغنيمة فان كلا منهما يطلق على الاخر وان فرق بينهما الفقها واهل اللغة وقد قال مشايخنا في هذا ونحوه انه كالمسكين والفقير اذا افترقا اجتمعا واذا اجتمعا افترقا وهو معنى بديع سمعته من شيخنا النور الزيادي ونزع بنون وزاي معجمة وعين مهملة مبني للفاعل ويجوز جعله مبنيا للمجهول ايضا فعلى الاول فاعله ضمير من ذكر او ضمير مالك وغيره وعلى الثاني نايب فاعله قوله باية سورة الحشر وفي نسخة ضمير من ابغضهم وفيه نظر وفسر نزع بمعنى استدل فانه استخرج من الاية وسياتي في اخر الكتاب قال مالك ان بغض احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فليس له في هذا الفي حق قد قسم الله الفي في ثلاثة اقسام فقال للفقرا المهاجرين الاية الخ فمن تنقصهم فلا حق له في الاسلام وعطف سبهم على البغض عطف تفسير لان البغض امر قلبي لا يطلع عليه وهذا اقوى اما انه فلا يرد عليه انه تعلق الحكم بهما يقتضي انه لا يكفي احدهما فيه وهو محل نظر كما قيل ومن فسر نزع ببعد عن الايمان فسره ان حديث الله الله في اصحابي الخ لم يصب واصل معنى النزع القلع والاخراج فتجوز به مجازا فليس من النزوع عن الاوطان والتغرب كما توهمه هذا القائل والاية المذكورة قوله تعالى وما افا الله على رسوله الى قوله والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا ربنا انك رؤف رحيم ووجه الاستدلال بالاية انه جعل ما افا الله على رسوله حقا للفقرا المهاجرين والفقرا الذين تبوؤا الدار والايمان والفقرا الذين جاءوا من بعدهم مهاجرين بعدما قوي الاسلام والتابعين لهم باحسان ممن اتى بعد المهاجرين والانصار الى اخر الزمان وجملة يقولون الخ حال اي قائلين ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين وهي حال مقيدة فجعل شرط استحقاقهم قولهم ذلك ومن سبهم لم يقل ذلك لاقتضائه محبتهم والشفقة عليهم وانهم لا غل فيهم فلا بغض لهم فيهم حيث قالوا فلا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا وسيذكره المصنف في اخر الكتاب ثم انه بين

اذا انبر

انه من ابغضهم كفر وان الكفار لا خير لهم في النبي فلذا قال مالك بن انس رحمه الله من غاظه بظا مشالة فسر بالضاد ايضا وهو لغة فيه لا ابدال والاختلاف في الغيظ والغضب هل هما بمعنى او الغيظ اشد الغضب او الكمين في النفس او الغضب للقادر والغيظ للعاجز اي من اغتاظ واحنق اذا ذكروا اصحاب محمد عنده فهو كافر لان من ابغضهم فقد ابغضه صلى الله عليه وسلم وبغضه كفر وهذا رواه الخطيب البغدادي عن عروة الزبيري قال كنا عند مالك ابن انس فذكر عنده رجل ينتقص الصحابة فتلا قوله تعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء وقال من اصبح في قلبه غيظ على اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقد اصابته هذه الاية لانها صدرت بلام التعليل في اما علة لما قبلها من تشبيههم بالزرع في النمو والاستحكام ثم ذكر انه انما شبههم بذلك ليغيظهم قال تعالى ليغيظ بهم الكفار فالمؤمن لا يكون عنده غيظ منهم او علة لقوله بعده وعد الله الذين امنوا منهم فانما وعدهم ليغيظ بوعده لهم الكفار والحاصل انه لا يغيظ باصحابه مؤمنا من غيرهم فخرج غيظ بعضهم على بعض لما ادى اليه اجتهاده وقال عبد الله ابن المبارك خصلتان من كانتا فيه نجا من كل امر يشينه ويبغضه عند الله الصدق بان يتحرى الصدق في جميع اقواله حتى يكون عند الله صديقا واحب ال محمد صلى الله عليه وسلم كبيرهم وصغيرهم حتى يقدمهم على نفسه واهله وليس هذا من كلام ابن المبارك بل هو حديث رواه ابن مسعود عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة فان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار فان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا ورواه ذكر من طريق اخر بمعناه وترتيب النجاة على ما ذكر من اسرار الله يطلع الله عليه من شاء من خلص عباده ومنهم ابن المبارك وناهيك به وقال ايوب السختياني الناجي المشهور من احب ابا بكر فقد اقام الدين لان الدين لان الدين استقام بسبب صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم في اول البعثة وفي اول الهجرة وفي قيامه مقامه صلى الله عليه وسلم بعد وفاته وتذكيره لول الناس وارتد بعضهم وفاض النفاق والتفرق الخلاف بين القول والعمل وقد نزل بهم ما لو نزل بالجبال لهاضها فحمل اعباء الخلافة حتى قر الدين وفاء

من

من قال من احب احدا كان معه وتخلق باخلاقه ومن احب عمر فقد اوضح السبيل اي بين طريق الحق لمن اراد سلوك الطريق المستقيم لانه بعده صلى الله عليه وسلم اظهر الدين وانعم به الاقطار وقفى لاهله الاوطار بفتح الفتوح حتى بلغ صيت الاسلام اقصى الارض كما في الحديث الشيخين هنا بينا انا نائم رايتني على قليب عليها دلو فنزعت منها ما شاء الله ثم اخذها ابن ابي قحافة فنزع بها ذنوبا او ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ثم استحالت غربا اي دلوا كبيرا فاخذها ابن الخطاب فلم ار عبقريا من الناس ينزع نزع عمر وفي رواية فلم ار عبقريا من الناس يفري فريه حتى ضرب الناس بعطن وهو تمثيل لخلافته وكثرة فتوحاته في الاسلام ومن احب عثمان فقد استضاء بنور الله الذي اظهره الله فيه ولذا لقب بذي النورين لما فيه من الكرم والحلم والزهد والورع والصبر على ما ابتلاه الله به حتى لقي الله وهو عليه راض وكان اشد الناس حياء ومن احب عليا فقد اخذ بالعروة الوثقى اي تمسك بها لكونه عالما يعلم الحقيقة ودائما بالذب عن حوزة الدين لا يلحقه في الله لومة لائم وهو باب مدينة العلم فمن احب مستمسك بالعروة الوثقى اي بالحق والراي القويم الذي هو عروة لا تنفصم وهو استعارة مصرحة من عروة الكلا وهو ما له اصل ثابت واطرافه لا تنفصم اذا سقطت الاوراق ومن احسن الثناء بمدح ناشئ عن محبته خالصة فان الظاهر عنوان الباطن على اصحاب محمد تعميم بعد التخصيص فقد برئ اي سلم وخلص من النفاق المراد به معناه العرفي وهو مخالفة الظاهر للباطن مطلقا واصله اخفاء الكفر واظهار الاسلام ويكون ان يراد هذا والمراد بالثناء ما من غير غلو كغلو الشيعة ومن انتقص اي بعض واحدا منهم بذمه وذكر ما يشينه فهو مبتدع لمخالفته السنة واتيانه ما نهى الله عنه ورسوله وفي نسخة ابعض ثم فسر المبتدع بقوله مخالف للسنة اي لهديه وطريقته صلى الله عليه وسلم في جميع اقواله وافعاله والسلف الصالح من الصحابة والتابعين واخاف اي اظن او اعلم ان لا يصعد له عمل من اعماله الصالحة اي لا يقبله الله منه ويثيبه عليه ورفع الاعمال يعبر به عما ذكر وليس الخوف هنا بمعناه الحقيقي وهو ضد الامن لعدم مناسبته هنا قال الراغب الخوف توقع مكروه عن امارة مظنونة او معلومة وفسر قوله تعالى ان خفتم شقاق بينهما بعرفتم انتهى الى السماء لعدم تمسكه بالكتاب والسنة حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه سليما من بغضهم مقتديا

بالسلف الصالح وفي حديث خالد بن سعيد بن العاص بن امية بن عبد
شمس الصحابي وهو ثالث او رابع او خامس من اسلم وسبق عيره ٥
وليس في الصحابة من اسمه خالد بن سعيد غيره ولم يرد عنه حديث
في الكتب الستة وهذا الحديث رواه الطبراني وابن مندة وما ذكره
المصنف نقله البرهان الحلبي وقال غيره انه خالد بن عمرو بن سعيد
نسبه الى جده وذكره ابن عبد البر في الاستيعاب وذكر سبب اسلامه
في رؤيا رآها وخالد بن سعيد ان كان غير المذكور لانه لم تشتهر عنه
الرواية فالحديث مرسل والظاهر هو المقدم واول هذا الحديث
انه صلى الله عليه وسلم لما قدم من حجة الوداع المدينة صعد المنبر
فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس الخ ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ايها الناس اني راض عن ابي بكر فاعرفوا
له ذلك اي رضاي عنه في صحبته لي وانه لم يال جهدا في خدمته
ولم يفارقه في حياته ومماته ولم ير منه الا ما يسره وفي تقديمه
وافراده له بالذكر وعدم تشريكه له مع غيره ما يدل على خلافته
له وتفضيله على سائر الصحابة وهو صريح فيه الا عند من ختم
الله على قلبه وسمعه وبصره اذ من انكر خلافة ابي بكر مبتدع ولا
يكفر من سب احدا من الصحابة ولم يستحل فيفسق والا كفر
ايها الناس اني راض عن عمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير ابن العوام
رضي الله عنهم وسعد ابن ابي وقاص وسعيد ابن زيد بن عمرو بن
نفيل وعبد الرحمن بن عوف الزهري فاعرفوا ذلك لهم اي كوني راضيا
عنهم والمراد بمعرفتهم رعاية حقوقهم وتوقيرهم ومحبتهم والواو لا تدل
على الترتيب وان كان اهل السنة على تقديم ابي بكر ثم عمر بالاتفاق
واختلفوا في عثمان وعلي ايهما افضل والمشهور تقديم عثمان ومنهم
من قدم عليا ومنهم من توقف في ايهما الافضل فان هذه المسئلة
غير قطعية عندهم لكن الذي عليه اعتقاد السلف الصالح
واعتقادنا ما ذكر وبقية العشرة لم ينصوا على شيء فيهم ولم يذكر
عاشرهم وهو ابو عبيدة بن الجراح لدخوله في الصحابة
وشهرته ايها الناس ان الله قد غفر لاهل بدر كلهم جميع
ما صدر منهم لحضورهم ذلك مشهدا اعز الله به الاسلام ٥
والمسلمين وبدر اسم موضع معروف سميت باسم رجل حفر بيرها
كما تقدم والحديبية بتشديد الياء وتخفيفها وهي اسم مكان قريب

من

من مكة من الحرم او خارجه او بعضه منه اقوال وفيه الشجرة التي
التي كان تحتها بيعة الرضوان وقصتها معروفة في السير وقد تقدم ذكر
ايها الناس احفظوني اي احفظوا حقي وتقدم برعاية ما يجب منه كما تقدم
تفصيله في اصحابي اي واحفظ حقي فيهم وتحقق بحفظ اصحابي
ومحبتهم وتوقيرهم فان من بغضهم ببغضي ولم يحفظني ثم خص بعد
التعميم احتياطا واحترازا بقوله واصهاري واختاني الاصهار جمع صهر
بكسر فسكون قال الجوهري هو اهل المراة عن الخليل قال ومن
العرب من يجعل الصهر من الاحماء والاختان جميعا والختن بفتحتين
واحد الاختان كل من كان من قبل المراة كالاب والاخ وعند العامة
ختن الرجل زوج ابنته وكل شيء من قبل الزوج فهو حمو وفيه لغات
مشهورة فالمراد بهما من بينه صلى الله عليه وسلم وبينه علاقة
سببية بتزويجه او التزوج منه لا يطالبنكم معاشر الناس اجمعين
احد منهم اي من المذكورين من اصحابي واتباعي اي لا يكون
لاحد منهم عليكم حق يستحق ان يطالبكم به ويدعيه عليكم
وهو معنى قوله بمظلمة بكسر اللام وفتحها وهي ما يوخذ
ظلما وجوز انطالبه به وتشكي ممن اخذه والكسر فيها اكثر
واشهر فانها مظلمة اي حق للعبد اخذ منه ظلما لا توهب
في القيامة غدا اي لا يهبها الله لانها حق العبد فما لم يرض صاحبها
لا يترك وقوله غدا اشارة الى قرب اليوم الذي يوخذ فيه العباد ترهيبا
لهم وتخويفا وقال رجل للمعافا بفتح القاف والقصر
ابن عمران ابو مسعود الازدي الموصلي احد الاعلام المحدثين كان
يقال له ياقوتة العلماء توفي سنة خمس وثمانين ومائة واخرج له
البخاري وغيره والقائل لم لا يعرف ابو عمر بن عبد العزيز
الخليفة العابد الزاهد العادل من معاوية بن ابي سفيان
رضي الله عنهما اي ايهما افضل واخصها بالسوال لانهما ابو امة فاتي
تذهب انت في الفرق بينهما فغضب على السائل المالاح عليه
من تفضيله لان عبد العزيز نظر الظاهر الحال وقال لا يقاس
اي لا يسوى فضلا عن التفضيل باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
احد وفي لفظ على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقاس تعدى بالبا
وعلى وقد يعدى باللام لما فيه من معنى الجمع والضم قال المتنبي ٥
٥ بمن تضرب الامثال ام من اقيسه ٥ اليك واهل الدهر دونك والدهر ٥

ثم اشار لفضل معاوية على غيره بقوله معاوية صاحبه صلى الله عليه وسلم وصهره
لانه اخو زوجته ام حبيبة بنت ابي سفيان ام المؤمنين رضي الله عنهم وكاتبه
لما ثبت من انه احد كتابه صلى الله عليه وسلم وامينه على وحيه لانه
اخو زوجته ام حبيبة بنت ابي سفيان بعد ان استكتبه كان يكتب
ما ينزل عليه من الوحي ولو لم يكن امينا عنده صلى الله عليه وسلم ما استكتبه
الوحي وكفاك بهذه منقبة لم يصل اليها عمر بن عبد العزيز واضرابه
وابن المعاني رجل مصنفه وما صح عنده برد ما قيل انه لم يكتب له صلى
الله عليه وسلم شيئا من الوحي وانما كان يكتب له كتبه الى الاطراف ولذكر
فضل معاوية تعرف نسبته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لان عمر ابن
عبد العزيز شاركه في ذلك وروي ان عمر سمع شاتمه فقال لمعاذ غبرة
غزاها معاوية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من عمر والد عمر وفي
الطاعنين فيه قيل

ومن يكن يطعن في معاوية ۰ فذاك كلب من كلاب الهاوية ۰

روى الترمذي عن جابر وضعفه انه قال اتي بالبناء للمفعول
النبي صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل بفتح الجيم وكسرها الميت
ونعشه او بالفتح للعود وبالكسر للنعش وقد ينعكس فلم يصل عليه
وقال كان هذا الميت يبغض عثمان فابغضه الله فلم يصل عليه
لان صلاته على الميت دعا له وشفاعة له نحرم من ذلك والعياذ
بالله وفي نسخة بدل ما ذكرنا بغضه الله فهو خبر او دعا عليه والنهي في
الحديث انه صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة عليه حتى يقتضي
كفره كما توهم لجواز انه لا يصلي هو ويصلي غيره كما في المديون والبغض
لا يقتضي الكفر وقال صلى الله عليه وسلم في حديث
رواه الشيخان في الانصار اي في حقهم والوصية بهم وقيل
في شانهم وفضلهم اعفوا عن مسيئهم اي عمن وقع منه اساءة ما
واقبلوا من محسنهم كلاما احسنوه نحذف مفعوله تعميما وفي البخاري
اوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين والانصار ان يقبل من محسنهم ويتجاوز
عن مسيئهم اي ما فرط منه من زلة والانصار اسم حدث لهم في الاسلام
وهم الاوس والخزرج والتجاوز عن مسيئهم في غير الحدود وحقوق
الناس ومما ذكر بعض من حديث رواه الشيخان ففي البخاري عن انس
ابن مالك ان ابا بكر والعباس رضي الله عنهما مرا بمجلس من مجالس الانصار
وهم يبكون في مرضه صلى الله عليه وسلم فقالا ما يبكيكم قالوا ذكرنا

مجلسه

مجلسه صلى الله عليه وسلم منا قد خلا عنه صلى الله عليه وسلم واخبراه بذلك
فخرج وقد عصب على راسه حاشية برد فصعد النبي صلى الله عليه
وسلم المنبر ولم يصعده بعد ذلك فحمد الله واثنى عليه ثم قال اوصيكم
بالانصار فانهم كرشي وعيبتي وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم فاقبلوا
من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم وهذا تمثيل لان الكرش يجمع الغذا
الذي به حياة الحيوان ونماه ويقال لفلان كرش منثورة اي عيال
كثيرة والعيبة بفتح العين المهملة ما يحرز فيه المتاع يريد انهم موضع
سره وامانته قال ابن دريد وهو من موجز الكلام الذي لم يسبق النبي
صلى الله عليه وسلم وقيل الكرش بمنزلة المعدة والعيبة مستودع
الثياب والاول امر باطن والثاني ظاهر فضرب به مثلا لاختصاصهم بامور
الباطنة والظاهرة وهو تشبيه بليغ او استعارة واراد صلى الله
عليه وسلم بما عليهم نصرته ورضاهم ما بايعوه عليه وما لهم الجزا في الدنيا
والاخرة ومعنى وتجاوزوا عن مسيئهم اي في غير الحدود وحقوق
الادميين وهذا ايضا على الخبر الصحيح اقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم
ومن ثم زيد في رواية الا في الحدود وفسرهم الشافعي بانهم الذين لا يعرفون
بالشر ويقرب منه قول غيره هم اصحاب الصغاير دون الكباير وقيل
من اذا اذنب تاب وقال صلى الله عليه وسلم في حديث
رواه ابو نعيم والديلمي عن عياض الانصاري وابن منيع عن انس رضي الله
عنه احفظوني في اصحابي واصهاري تقدم بيان ختانه اي الشان
من حفظني فيهم برعاية حقوقهم واكرامهم حفظه الله في الدنيا والاخرة
حفظه في الدنيا مما يسوءه وتوفيقه لترك المعاصي وفي الاخرة من العقاب
والعقاب ومن لم يحفظني فيهم بترك ما مر تخلى الله منه اي اعرض عنه
وتركه في غيه استدراجا ومن تخلى الله منه يوشك ليسرع ويقرب
ان ياخذه اخذ عزيز مقتدر بان يهلكه ويستاصله مستعار من
الاخذ المعروف وقوله تخلى الله الخ اخبار عما يقع به وكونه انشا للدعا عليه
يأباه السياق فما قيل انه اتي به لنفي شيء ولهذا الزيادة ذكره
المصنف وان تقدم وعنه صلى الله عليه وسلم في حديث رواه سعيد بن منصور
عن عطا مرسلا من حفظني في اصحابي برعاية حقوقهم كنت له حافظا
يوم القيامة اي مما يخاف من هول المحشر وما يسوءه فيه وقال
صلى الله عليه وسلم كما رواه الطبراني بسند ضعيف من حفظني في اصحابي
ورد علي الحوض اي وصل اليه وشرب منه حتى لا يظما بعده ومن لم

يحفظني في اصحابي بتضييع حقوقهم وعدم محبتهم ورعاية ذريتهم
لم يرد علي الحوض ولم يرني الا من بعيد ولا يقرب منه صلى الله عليه
وسلم لانه من ابغض الصحابة مقته الله فاستحق الطرد عن الحوض
وعدم الشفاعة عنه صلى الله عليه وسلم له وتفوته بركته
وعنايته في مثل ذلك اليوم الشديد الهول هذا النبي صلى
الله عليه وسلم عبر باسم الاشارة القريب لانه لحضوره في قلبه
وذهنه قدره نفسه كانه بين يديه بمرأى منه صلى الله عليه
وسلم الذي هدانا الله به لخير الدنيا والاخرة والضمير للناس
كلهم وجعله رحمة عامة للعالمين وجميع المخلوقين يخرج
في جوف الليل اي فيه شبهه بالجوف وهو داخل البدن وعبر
بالمضارع لحكاية الحال الماضية الى البقيع اسم موضع بظاهر المدينة
واصله اسم لكل مكان متسع فيه شجر ويقال له بقيع الغرقد
بغين معجمة وهو اسم لنوع من شجر العضاة كان به ثم زال وصار
مقبرة لاهل المدينة المنورة وانما كان صلى الله عليه وسلم
يخرج له ليناجي ربه متخليا عن اهله فيدعو لهم اي لمن بتلك
المقبرة منهم ويستغفر لهم اي يدعو لامواتهم واحيائهم بالمغفرة
كالمودع لهم كانه يودع من بتلك الجبانة لعلمه صلى الله عليه
وسلم بقرب اجله ومفارقته زيارتهم وبذلك امره الله اي امر
بان يدعو لامته او لامواتهم ويستغفر لهم وفيه دليل على شدة
محبته لهم فيجب علينا اتباعه في ذلك وامرنا بالمحبة
النبي صلى الله عليه وسلم اذ امر الله بمحبتهم وموالاتهم اي
معاونتهم ونصرتهم كما امروا بذلك ومعاداة من عاداهم
من الكفرة والمنافقين ونصرتهم وهو اشارة لما رواه مسلم
عن عائشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم كان يخرج
في ليلتها اخر الليل الى البقيع ويقول السلام عليكم دار
قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لاهل بقيع
الغرقد وكان لما خرج خرجت عائشة وراءه مستخفية منه فاحس
صلى الله عليه وسلم بذلك وسألته عما صنع فقال ان جبريل
اتاني وناداني ولم يدخل عليك ولم اوقظك خشية ان تستوحشي
فقال ان ربك يامرك ان تاتي اهل البقيع فتستغفر لهم فقلت
كيف اقول فقال قولي السلام على اهل الديار من المؤمنين والمسلمين

ويرحم

ابن المنير

ويرحم الله عز وجل المستقدمين والمستاخرين وانا بكم ان شاء الله لاحقون
وهو ما اشار اليه مالك رحمه وفصل انه اشارة الى قوله تعالى فاعف
عنهم واستغفر لهم فاذا امر بذلك فنحن احق به والظاهر ما قدمناه اه
وقال كعب الاحبار التابعي المشهور وهذا رواه عنه ابن سعد
بلفظ ليس مؤمن بدل قوله ليس احد من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الا له شفاعة
في غيره من المؤمنين يوم القيامة وهذا انما يروى عنه صلى الله عليه وسلم
فهو مرسل او هو مما قراه في الكتب القديمة لانه كان عالما بها وفيه
تكريم لهم وما يقتضي محبتهم رجا شفاعتهم فيمن احبهم وطلب
اي كعب الاحبار وهذا دليل على صحة اعتقاده لما قاله وانه كان محبا لهم
مترجيا شفاعتهم من المغيرة ابن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم
القرشي رضي الله عنهم الصحابي ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمكة قبل الهجرة وكان من انصار علي رضي الله عنه وفصل انه لم يدرك
من حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ست سنين وكان قاضيا في خلافة
عثمان وعد من الصحابة وطلب كعب منه ان يشفع له يوم القيامة يدل
عليه ونوفل والده هو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم والحارث جده
لم يدرك الاسلام وهذا ما ذكره البرهان ومن تبعه وقال التلمساني
نوفل والده هو ابن عم معا ومن غزوة الدولة من كنانة سمع النبي صلى الله
عليه وسلم ومات في زمن يزيد بن معاوية وتدملج الماء كما قاله الواقدي
وقال البرهان الحلبي الحارث ابن عبد المطلب قال ابن عبد الغني
المقدسي انه لم يدرك الاسلام واسلم من اولاده اربعة نوفل وربيعة
وابو سفيان وعبد الله ونوفل اسن اخوته واسن من اسلم من بني
هاشم ولم يذكر المغيرة فيهم ومنهم من جعل المغيرة اسم ابي سفيان والصحيح
خلافه وانه غيره ولم يتعقب ابا الفتح اليعمري حين ذكره وقال
الذهبي في التجريد ابو سفيان اسمه المغيرة قاله ابن المنذر ولم يتعقبه
وقال سهل ابن عبد الله التستري لم يؤمن بالرسول صلى الله عليه وسلم
ايمانا كاملا من لم يوقر اصحابه بتعظيمهم ومحبتهم ولم يحترم من اعزه اذا
نصره وقواه او جعله عزيزا فجعلا موقرا معظما اوامره جمع امر وقد
تقدم الكلام عليه فصل وهذا يقتضي ان سب الصحابة
وتنقيصهم كفر وفصل انه كبيرة قال الزركشي وينبغي ان يقيد الخلاف بغير
من فعل ذلك لكونهم صحابة لا لامر اخر وهو مقتضى مذهبنا ايضا في
منقوله ابن وهبان رحمه الله تعالى

ا خاف على من قال ابغض علماء من الكفر اذ لا يقتضي الكفر يظهر
وجها في تفصيله آخر الكتاب ان شاء الله تعالى **فصل ومن اعظامه واكباره
صلى الله عليه وسلم** اعظامه واكباره بمعنى تعظيمه وتكبيره واجلاله وفي
القاموس اعظمه فخمه وكبره واستعظمه رآه عظيما اي من تفخيمه وتعظيمه
اللذين هما واجبان على المومن **اعظام جميع اسبابه** قيل هو بالمعنى العرفي
وهو كل ما ينسب اليه صلى الله عليه وسلم من فراشه ولباسه مما لا روح
له اوله روح كعبده ودابته وقال الراغب السبب الحبل الذي يصعد
به النخل قال تعالى فليرتقوا في الاسباب ويسمى كل ما يتوصل
به سببا وتسمى العمامة والخمار والثوب الطويل سببا تشبيها بالحبل
في الطول انتهى **واكرام مشاهده** جمع مشهد وهو محل الشهود اي الحضور
من شاهد وهي الادراك بالبصيرة والبصر ومشاهد الحج مواضع النسك
وامكنته جمع مكان عطف تفسير **من مكة والمدينة** بيان للامكنة
فالمراد به مساكنه ومحل اقامته لا مطلق المكان **ومعاهده** اي المحال اللاتي
عهد الغير صلى الله عليه وسلم فيها كالاساطين التي كان عندها ومحل
صلاته في المساجد والاماكن المباركة وما زاده **وما لمسه** بيده او
بغيره من اعضائه كالحجر الاسود والركن اليماني والملتزم ولشي تتقار باند
او عرف به كالاماكن التي جاهد فيها والغار الذي دخله صلى الله
عليه وسلم وتحرى ابن عمر كان يتحرى الصلاة والنزول والمرور حيث
حل صلى الله عليه وسلم ونزل وما روي عن مالك مما يخالف ذلك فهو جار
على قاعدته في سد الذرائع وكذا ما جاء عن عمر انه راى الناس في الرجوع
من الحج ابتدروا مسجدا فقال ما هذا قالوا مسجد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال هكذا هلك اهل الكتاب قبلكم اتخذوا آثار الانبياء بيعا
من عرضت له منكم الصلاة فيه فليصل ومن لم تعرض له فليمض وكلام المص
هنا غير موافق لما مر عن مالك لا يقال يمكن حمل كلامه على اكرام ذلك بغير
نحو الصلاة فيه ليوافق ما مر عن امامه لانا نقول يمكن بعيد من ظاهر عبارته
ويرده ظاهرها ان تحفيهم الشيخ خليل لما قال يسن زيارة البقيع
ومسجد قباء قيدوا لكن من كثرت اقامته بالمدينة قال والا فالمقام عنده
صلى الله عليه وسلم احسن ليغتنم مشاهدته ثم نقل عن العلامة
ابن ابي جمرة انه من حين دخل المسجد ما جلس الا للصلاة حتى رحل الركب فلم يخرج
لبقيع ولا غيره فلما خطر له ذلك قال هذا باب الله تعالى مفتوح
للسائلين والمتضرعين وليس ثم من يقصد مثله **وروي عن صفية بنت نجدة**

في

في الحواشي التلمساني ان هذه المرأة زوجة ابي محذورة الآتي ذكره وتروي
عنها ايوب ابن ثابت وروت هي عن زوجها ابي محذورة واختلف في اسم
ابي محذورة فقيل انه بنون مفتوحة وجيم ساكنة ودال مهملة وهاء وقيل
بحذاه براء مهملة بعدها الف وهاء وقيل بحراه براء مهملة بدل
الدال المهملة وقيل الصواب بجره بموحدة مفتوحة وحاء وراء مهملتين
وهاء **قالت كان لابي محذورة** بحاء مهملة وذال معجمة وبعدها راء مهملة
وهاء بزنة اسم مفعول وهو محذورة بلا معنى بميم مكسورة وعين مهملة
ساكنة ومثناة تحتية مفتوحة وراء مهملة وقيل معين بنون بدل
الراء ابن لوذان بفتح اللام وضمها وواو وذال معجمة القرشي مؤذن رسول الله
صلى الله عليه وسلم بمكة ولم يزل الاذان فيه وفي عقبه واختلف
في اسمه اختلافا كثيرا فقيل سمرة وقيل اوس وقيل
سلمان وقيل سلمة وهو جمحي صحابي توفي سنة تسع وخمسين او
سبعين واخرج له مسلم واحمد واصحاب السنن **قصة**
بضم القاف وتشديد الصاد المهملة وهي خصلة شعر الراس **في مقدم راسه**
مما يلي وجهه من الناصية سميت بها لانها مما يقص وقال
ابن دريد كل خصلة من الشعر قصة وقال الجوهري هو شعر الناصية
وسبب توفيرها ان النبي صلى الله عليه وسلم مسحها بيده فابقاها تبركا
بمسه وهو محل الشاهد وكان ابو محذورة لما قدم رسول الله صلى
الله عليه وسلم المدينة واذن له بجامع فتية من قريش سمعوا الاذان
فاستهزؤوا به وجعل ابو محذورة يحاكي الاذان استهزاء فسمعه رسول
الله صلى الله عليه وسلم فامر باحضاره فلما مثل بين يديه ظن انه
مقتول فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم ناصيته وصدره بيده
قال فامتلأ قلبي يقينا وايمانا وعلمت انه رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاسلم وعلمه رسول الله الاذان وامره ان يؤذن لاهل مكة
وهو ابن ستة عشر سنة فكان مؤذنهم حتى مات **اذا قعد وارسلها** اي
حل عقصها وسدل شعرها **اصابت الارض** اي وصلت اليها لطولها
فقيل له اي قال الناس لابي محذورة **الا تحلقها** بكسر اللام مضارع
حلق الشعر بفتحها والا للعرض او الاستفتاح **فقال لم اكن بالذي احلقها
وقد مسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده** الشريفة فابقاها
تبركا بمسه بيده ولحفظها ازالت الكراهة وان قيل بها في غيره
وفي حديثه رواه ابو يعلى قال **كانت في قلنسوة خالد بن الوليد**

ابن المغيرة الصحابي المخزومي المشهور وباقي ما يتعلق بهذا التركيب
اخر الكتاب والقلنسوة ما يوضع على الراس تحت العمامة وتسمى شاشية
وتبعا ويقال قلنسه وهو بفتح القاف وضمها وضم السين وكسرها فهذه
لغات شعرات من شعره صلى الله عليه وسلم جعلها في داخلها تبركا بها فسقطت
قلنسوته عن راسه في بعض حروبه قيل هو في غزاة اليمامة في خلافة
ابي بكر رضي الله عنه فشد عليها شدة اي كرة قوية اي هجم لاخذها وهو بعد
وعدا شديدا سريعا يقال شد اذا اجري جريا قويا اي كارا عليها
لياخذها خوفا من ضياعها فانكر اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
رجوعه لاجل عمامة لظنهم انه حرص عليها لذاتها كثرة من قتل فيها
اي في شدته هذه وهجومه لجانب العدو وبسببه وكثرة منصوب مفعول
انكروا وهو مفعول لاجله فقال لم افعلها اي هذه الشدة والكرة بسبب
اخذ هذه القلنسوة كما ظننتم بل فعلتها لما تضمنته اي لما في ضمنها وداخلها
من شعره صلى الله عليه وسلم بفتح العين وسكونها لئلا تسلب بالبنا
للمجهول ونائبه فاعله بركتها وتسلب بمعنى تذهب بركتها مني وذلك امر
عظيم يخاطر بالارواح لاجله وفي نسخة اسلب ويحتمل انه من السلب بفتحتين
اي ياخذها العدو ويدل لعليته قوله وتقع في ايدي المشركين الذين لا يليق
ان تكون عندهم اثار النبي صلى الله عليه وسلم وهو مبني للمجهول بهمزة
قبل اليا اخره ابن عمر واضعا يده على مقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي موضع قعوده المنبر ثم وضعها على وجهه اي مسحه بها تبركا بمس
ما مس جده الشريف وتبا برو هذا رواه ابن سعد وباقي الكلام على ذلك
عند اعادة المصنف له وهذا يدل على جواز التبرك بالانبيا والصالحين
واثارهم وما يتعلق بهم ما لم يؤد الى فتنة او فساد عقيدة وعلى
هذا يحمل ما روي عن عمر رضي الله عنه من انه قطع الشجرة التي وقعت
تحتها البيعة لئلا يفتتن بها الناس لقرب عهدهم بالجاهلية
ولا منافاة بينهما ولا عبرة بمن انكر ذلك من جهلة عصرنا وهذا
ما ربع مقدما وفي معناه انشدوا

ٍ امر على الديار ديار ليلى ٭ اقبل ذا الجدار وذا الجدارا
ٍ وما حب الديار شغفن قلبي ٭ ولكن حب من سكن الديارا

قيل الشغف باطن القلب وقيل شغاف القلب غلافه وهو جلدة عليه
وقيل هو وسط القلب والمعنى في هذه الاقوال متقارب اي ما وصل
حب الديار الى شغاف قلبي فقلت عليه قال النابغة ٭

٭ وقد حال هم دون ذلك داخل ٭ دخول الشغاف تبتغيه الاصابع ٭
ويروى الشعف بالعين المهملة بمعناه الاحراق وعلى الاول العمل
قال الجوهري وشغفه الحب احرق قلبه وقال ابو زيد امرضه وقد شغف
بكذا فهو مشعوف وروي عن الشعبي انه قال الشغف بالغين المعجمة حب
وبالمهملة جنون وقيل الاول حجاب القلب والثاني سويدا القلب ويقال
ان الشغاف الجلدة اللاصقة بالكبد التي لا تراه وهي الجلدة البيضا وهذا
ربع مقدما في بعض النسخ ولهذا اي للتبرك باثاره صلى الله عليه وسلم
كان الامام مالك لا يركبه بالمدينة دابة اي لا يركب دابة ولا غيرها مما يركبه حالا لانه يمس
جسده ترابا مشى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما ذكره بقوله
بقوله اذا سئل عن ذلك اني استحيي من الله اي اخشى واهاب ان اطا تربة فيها
رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ارضا فيها ترابه وليست الوطي له مع انه لا دابة
لانه ملبوس لذي الحافر للفرس ونحوها كالخف للبعير والقدم للانسان ثم
بين ان عدم ركوبه لم يكن لكونه ليس له دواب بل لتعظيمه صلى الله عليه
وسلم فقال وروي عنه اي عن الامام مالك انه وهب للامام الشافعي
لما كان بالمدينة وضمن وهب معنى اهدى فعداه باللام وهو متعد لاثنين
بنفسه كراعا بضم الكاف بوزن غراب وهو جمع من الخيل وله معان اخر فيطلق
على الخيل والسلاح وما استدق من الساق واسم موضع كثيرا كان عنده
اي في ملكه وخزانته وهو يدل على كرمه واجلاله للامام الشافعي فقال
له الشافعي لما وهبه جميع دوابه امسك منها دابة اي ابقها عندك لتركبها
فاجابه بمثل هذا الجواب الذي اجاب به من تقدم بانه يستحيي
من الركوب بالمدينة الخ وقد حكى ابو عبد الرحمن الرملي بضم الميم
وفتح اللام الامام الجليل شيخ الامام القشيري صاحب الرسالة
عن احمد بن فضلويه بفتح الفا وسكون الضاد المعجمة وفتح اللام والواو
وسكون اليا ويجوز ضم اللام وسكون الواو وفتح اليا وهو طريقة المحدثين
يقولون كراهة من لفظة ويه لانه كلمة تدل على مكروه كالويل وقال
المغربي انها كلمة تصغير عند عوام البصرة ثم وصفه بقوله ٭٭٭
الزاهد وكان من الرماة الذي كان يكثر المجاهدة في سبيل الله يجيد الرمي
بالسهام ملازما للمجاهدة فيها انه قال ما مسست القوس بيدي
ولمسته حال الرمي وغيره الا على طهارة اي متوضيا منذ بلغني ان النبي
صلى الله عليه وسلم اخذ القوس بيده اي امسكها وهو كناية عن الرمي فيها
وقد ثبت انه صلى الله عليه وسلم حث على الرمي وامر به فهو سنة ففي صحيح

مسلم عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله عليه
وسلم وهو على المنبر يقول واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط
الخيل الا ان القوة الرمي وكررها ثلاثا وقال صلى الله عليه وسلم ان الله ليدخل
بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه والرامي به ومنبله اي من يناوله
السهم ليرمي بها وصح انه صلى الله عليه وسلم رمى بالسهام في غزوة احد
وكان له قسي ست مذكورة في السير ثم انه قيل ان تخصيص
الطهارة بجنس القوس دون السيف وغيره مما سنه وتخصيصه ازيد
من غيره من الات الحرب لما فيه من دفع عنه دون مشقة كما في غيره ولذا
كانت العرب تسميها اي السهام رسل المنايا وما قيل انه يحتمل انه
كان يفعله لكن في كل نوع من الالات لا يساعده لفظه وقد اتى الامام ابن القوي
مالك فيمن قال تربة المدينة اي ارضها ردية لمن تكلم فيها بغير طيبة ذات
وبا متغيرة الهوى وردية مهموز وغير مهموز ماخوذ من الردى ه
بضرب ثلاثين درة بكسر الدال وتشديد الرا المهملتين وهي الة
من جلد غليظ يضرب بها معروفة وفي الكلام مقدر اي قال
انه يضرب او يضرب بدل من اتى وامر بحبسه بعد برائه وكان الذي
جلسه له قدر عظيم وشرف بين الناس وذكر هذا لان التعزير
يختلف حاله بحال من عزره ففيه اشارة الى انه اذنب ذنبا عظيما اذ
لو كان امرا سهلا اصدر من شريف لعزره باللسان والزجر والى هذا
اشار بقوله وقال الامام ما احوجه بحجبه من استحقاقه لعقاب
اشد مما فعله وفيه تجوز لانه جعل استحقاقه بمقتضى ما صدر عنه
كان له حاجة اليه لان العاقل لا يفعل ما لا يحتاج اليه ففيه تهكم به
يومي الى عدم شعوره عصا لحه الى ضرب عنقه اي الى القتل تربة وارض
دفن بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يزعم انها غير طيبة اي ردية متغيرة
الهوا اذا ترابا وهي وان كانت ذات حمى قبل قبل الهجرة فقد دعا لها
رسول الله صلى الله عليه وسلم بنقل حماها وعفونة هواها الى الجحفة
فصارت معتدلة طيبة كما هو مشاهد فيها وعبر بزعم للاشارة الى انه
قول باطل وان كان الزعم يجي بمعنى القول ولذا قالوا زعم مطية الكذب
وهذا مبالغة عن زجره بعاديا حتى ينقص ما هو من افضل الاماكن عند
الله وان امكن حمله على محل اخر من ان نقص لها كونها سباخ ولكونها
كانت ذات وبا لما قدم الصحابة لها واخذتهم الحمى قال
صلى الله عليه وسلم اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة او اشد اللهم

بارك

بارك لنا فيها وصححها لنا وانقل حماها الى الجحفة فطابت تربتها حتى ه
صار ترابها شفاء من الجذام كما ورد في الاثار قال الابوصيري ه
لا طيب يعدل تربا ضم اعظمه ه طوبى لمنتشق منه وملتثم ه
وفي الصحيح اي الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان عن النبي انه
صلى الله عليه وسلم قال في المدينة اي في حقها وشانها من احدث فيها حدثا
اي من فعل فيها امرا قبيحا ابتدعه فيها كالمظالم واصل الحدث
كل ما حدث وتجدد ثم خصه العرف بما ذكر من البدع المنكرة شرعا كما في
النهاية ومن موصولة او شرطية او اوى بالمد والقصر محدثا
بكسر الدال الاثم فاعل من احدث اي ادخله وضمه لا هلها يقال اوى اليه
كذا اذا انضم اليه اي ادخلها خايفا فاجاره ونصره على خصمه وفتح داله
كما قيل على انه بمعنى الامر المبتدع وايواؤه الرضى به والتخلف لا حاجة
اليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا
وقد تقدم تفسيره وانه تغليظ في الزجر وما وله كما تقدم وفيه من
تعظيم المدينة لكونها مكانه صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى وان لها حرمة
الحرم كما فصلوه وسياتي فحكي بالبنا للمفعول والذي حكاه هو ابن
عبد البر رحمه الله كما تقدم ان جهجاها الغفاري بن سعد ابن حرام قال
الطبري كذا رواه المحدثون والصواب جهجا بلاها وقال الذهبي
هو جهجاه بن قيس وقيل ابن سعيد وهو مدني صحابي شهد بيعة
الرضوان وبعض الغزوات وتوفي بعد عثمان بسنة وتقدم وسياتي انه
مات قبل الحول اخذ قضيب النبي صلى الله عليه وسلم من يد عثمان رضي الله عنه
زمنا ولو منه ليكسره على ركبته كما هو معتاد في كسر ما يحتاج كسره لقوة
والقضيب عصا قصيرة كان يمسكها صلى الله عليه وسلم في يده وكذا فعله
الصحابة بعد رضي الله عنهم فصاح به الناس تحذيرا له وزجرا ليرتدع عما
اراده فاخذته الاكلة اي اصابته وبدت به في ركبته لو قوعه القضيب
عليها فقطعها لان العضو المتاكل ان لم يقطع سرت الاكلة للبدن
واهلكته ومات قبل الحول الذي بعده اي قبل تمام الحول الذي
فعله فيه وروى انه مات عقبه كما تقدم قال في القاموس
الاكلة بضم الهمزة وسكون الكاف وورد كسرها ايضا قال بعض
الفقها وما اشتهر من تخفيفه خطا وفيه نظر نقده وذكر الثعالبي في ثمار
القلوب شعرا ذكر الاكلة ما لو ولم يذكره وهو ما قيل
في هجا ذكر الاصبحي ه

ومنازلت حلانت الامرؤ • اذا اصبح تسلك من باهله
وللباهلي على حبير • كتاب لا كلمة الا كالته

والاكلة كالاكال مرض يفسد الاعضا كالجذام معروف وليس في كلام القاضي رحمه الله هنا وفيما تقدم ان كسرا القضيب ورد في الطبري في الرياض النضرة انه كسره جاروا ابنه زاد بعضا عصى لنبي بخالعته لما ذكر هنا الان القضيب لسمي عصى وكان هذا في الفتنة لما حصبه الناس وهو على المنبر فلما نزل اخذ الجهجاه منه العصا التي كانت بيده وكان ممن قام عليه في قصته المشهورة وقد تقدم الكلام عليها في فصل الكرامات وانقلاب الاعيان لنه وذلك صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مالك وابو داود والنسائي وابن ماجة عن ابي هريرة من حلف على منبري المراد بكونه انه على المنبر انه عنده ويجوز ابقاؤه على ظاهره بان يصعد عليه ويحلف وقد نص عليه الشافعي وانه يجوز ان يومر بصعوده ولكن الاصح الاول وهذا انما على ان اليمين تغلظ بالمكان والزمان فيه تذهب الحالف للمسجد وكان في حياته صلى الله عليه وسلم يحلف عند المنبر لانه ما بينه وبين القبر الشريف افضل بقعة بالمدينة بعد مرقده الشريف وما ضمه جسده العظيم فليتبوا مقعده من النار يتبوا بمعنى يتخذه مباءة اي منزلا وسكنا يقال بواه اذا اسكنه وهو دعا او امر اريد به الخبر وجعل استخفافه العذاب بمنزلة حضوره وحضور محله فامره بان يجعله منزله على طريق التمثيل وهو من بليغ الكلام وبديعه الذي يعرفه من ذاق حلاوة البلاغة والفصاحة وحدثت بالبنا للمجهول ان ابا الفضل الجوهري ليس هو عبد الله ابن الحسن الجوهري الواعظ بجامع مصر في حدود السبعين واربعمائة وكان من العلما الصالحين يتبرك به ويقتدى به في السلوك وانما هو كما في تاريخ الاندلس عبد الله بن الحكيم الزهري الاندلسي ذو الوزارتين له فضل وحسب ونسب باهر واديب عالم باللغات والحديث له شعر رايق ونثر فايق وارتحل للمشرق فاخذ بها عن ابن عساكر واكثر الرواية عنه ولد سنة ... ونشأ في عصره صار بها كالمثل السائر الى ان دنت منه الايام بما وهبت فانتقضت ايامه وذهبت فقيل لما خلع سلطانه فنهبت امواله وكتبه ومات شهيدا رحمه الله

لما ورد المدينة زائرا وقرب من بيوتها ترجل اي نزل عن دابته التي كان راكبها اتيا ودنا ماشيا باكيا خضوعا وخشية وغلبة شوق او سرورا لانه من المسرة قد يحصل البكا منشدا انشاد الشعر قراءته والمراد انه تمثل به لان الشعر من قصيدة المتنبي اولها

فديناك من ربع وان زدتنا كربا • لانك كنت الشرق للشمس والغربا

ومنها ايضا

ولما راينا رسم من لم يدع لنا • فوادا لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة • لمن بان عنه ان نلم به ركبا

وغيره قليلا لانه في ديوانه وكيف عرفنا رسم الخ والقصيدة في مدح سيف الدولة ولقد اجاد في تمثله به وتعلقه بمحل لا يليق به ولذا ضمنه المصنف ايضا في قصيدة نبوية له يقال بعده

وتهنا باكناف الخيام تواجدا • نقبلها طورا ونشرفها حبا
ونبدي سرورا والفواد يحثنا • نقطع والاكباد اوري بها لهبا
اندم رحلا بعد نحو لنا به • واسحب حزني في مواطنها سحبا
واسكب دمعي في مناهل حبها • وارسل حبا في اماكنها النجبا
واذعو ادعا الباكين والوالد الذي • براه الجوى حتى براه محبة حبا

والفواد القلب او داخله والعرفان والعرف بمعنى واللب العقل اي الخالص من الشوائب سمي به لاخلاصه ما في الانسان من قواه كاللباب من الشي واما تفسيره بمطلق العقل اخذا من القاموس فيه نظر والاكوار جمع كور بضم الكاف وهو للابل بمنزلة السرج وبان هنا بمعنى بعد اي لا يليق به الركوب لمن قرب من مكانه تادبا وسلم تابعه لزيارته والالمام الاتيان قليلا ويكونه بمعنى القرب ومن فسر بان هنا بمعنى ظهر لم يصب والركب اسم جمع لراكب ويختص بالابل وقد يعم وقد شرح البيت هنا بعضهم بما استحيي من ايراده وحكي عن بعض المريدين والمريد صاحب الارادة لغة والمراد به ما اصطلح عليه مشايخ الصوفية من هو طالب الحق على يد المرشد الكامل يجعل ارادته ماعدا الحق عبثا انه لما اشرف على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم اي قرب منها بحيث يراها اذا جعل الاشراف النظر من مكان عال اريد به لازمه انشا اي شرع والانشا يكون بهذا المعنى وبمعنى الايجاد ابتدا يقول متمثلا التمثيل انشا وشعر الغير في مقام يناسبه وهو من قصيدة لابي نواس بن هاني في مدح محمد الامين الخليفة بن هارون

الرشيد العباسي من قصيدة قصد المتمثل به لمدح النبي صلى الله عليه وسلم
لموافقة اسمه اسمه وهذا نوع من البلاغة قريب من التضمين وهو ان
يورد شعر الغير في مقام يكون احق به من صاحبه كما تعرض له اصحاب
البديع الا ان الامام محمد التوزري اورده في كتاب العروة الوثقى واورد منه
ما ذكره المصنف رحمه الله هنا بقوله

رفع الحجاب لنا فلاح لناظر • قمر تقطع دونه الاوهام
واذا المطي بنا بلغن محمدا • فظهورهن على الرجال حرام
قربننا من خير من وطئ الثرى • فلها علينا حرمة وذمام

واول هذه القصيدة المذكورة

يا دار ما فعلت بك الايام • لم يبق فيك بشاشة تستام

والمراد برفع الحجاب في كلام ابي نواس ستار بوابه الملوك والعظماء
وهو هنا بمعنى انقضاء المسافة والقرب من المدينة والقمر الممدوح
فيهما وتقطع ماض او مضارع حذفت احدى تائيه تخفيفا والاوهام جمع
وهم وتقطعها اضمحلالها لبعده وناظر اسم فاعل بنظر او ناظر العين
والسائر والمطي جمع مطية ناقة تمتطى اي تركب وبلغن بمعنى بدا وظهر
ودونه بمعنى قريبا منه وتحول في تقطع بناؤه للمجهول انظارا وقوله
فظهورهن جمع ظهر وهو معروف والرجال جمع رحل وهو
للابل كالسرج للخيل او جمع رجل ذكر من بني ادم والمعنى تقارب
اي اذا اوصلتنا لمقاصدنا كان لها حرمة تقتضي رعايتها واحترامها فلا
نركبها بعد ذلك برحل ولا يوضع على ظهرها رحل بل نتركها سارحة منعمة
في مرعاها ومعناه ظاهر ثم بين علة هذه الرعاية بقوله قربننا وهو
جملة مستانفة استينافا بيانيا والحرمة الحق الذي يلزمه احترامه
والذمام مفرد بمعنى ما يلزم احترامه او جمع ذمة وهي العهد وما يجب
الوفاء به والمعنى ظاهر لا حاجة للتطويل بشرحه ومن وطئ الثرى وهو
التراب كناية بديعية لانه يشير الى ان من وصل له لا يرحل بعدها لعدم
حاجته لسواه ولانه لا يقدر على مفارقة من هو غاية مناه وقد كان
ذلك كما قال عبد الله بن رواحة في قصيدة له

اذا ادنيتني وحملت رحلي • مسيرة اربع بعد الحساء
فشانك فانعمي وخلاك ذم • ولا ارجع الى اهلي ورائي

ونقده على الشماخ في قوله

اذا بلغتني وحملت رحلي • عرابة فاشرقي بدم الوتين

وقال

وقال المبرد بعدما انشد قول ابن رواحة المذكور لقد احسن كل الاحسان
حيث قال لا احتاج الى ان ارحل لغيره وقد عاب الرواة قول الشماخ
المذكور ولذا قال صلى الله عليه وسلم للانصارية التي اتته على
ناقة لها وقالت اني نذرت ان نجوت عليها ان انحرها بئسما جزيتها
وقال في الموازنة ان الشماخ رأى ناقته شقها السير وهزلت
ودبرت كما قال

اليك بعثت راحلتي تشكى • كلوما بعد محفدها السمين

فقال اذا بلغتني عرابة فلا ابالي ان تهلكي ولبئس ذلك عليه وانما اراد انه
بلغ المنى وليس هذا مضادا لقول ابي نواس وانما يضاده قول الانصارية
وللشعراء والادباء هنا كلام كثير لا يسعه هذا المقام وقلت
انا في معناه

اذا بلغتنا النوق حيه قلعته • قريرة عين في اعز المسارح
وحق لها حدي الحذو وتفتدى • بانفسنا من فادحات الطوائح
فيا ليتها تمشي لاكرام شلوها • جميع نعاف الارض نافحة صفائح

وحكي عن بعض المشايخ يعني به كبار الصالحين والعلماء انه حج ماشيا
تواضعا وقصدا للزيادة وقد قال الفقهاء انه افضل لمن قدر عليه
من داره فان لم يقدر فبعد الدخول نحوه وذكر مجاهد ان ابراهيم
واسماعيل عليهما الصلاة والسلام حجا ماشيين وحج الحسن رضي
الله عنه ماشيا وخيله تقاد معه فقيل له في ذلك اي سئل
لم فعله فقال العبد الابق اي الفار من سيده اذا رجع اليه
لا ياتي الى بيت مولاه اي سيده راكبا وفي نسخة يأتي بدون لا وتقديرها
ايأتي فيقدر الاستفهام الانكاري واراد بالابق المذنب المقصر
في خدمة مولاه مجازا اي انا مذنب مقصر حقيق بالخضوع والتذلل
لو قدرت ان امشي على راسي ما مشيت على قدمي مشى قدم مضاف
لياء المتكلم والمشي على الراس عبارة عن غاية الجهد والاجتهاد والتذلل
كما قيل ايضا • سعيا على الراس لا سعيا على القدم
قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه يعني المصنف
عياض في بيان ايضاح انه ينبغي للزائر المشي واظهار الخضوع والذلة
وجدير اي خليق وحقيق وهو خبر تقدم لمواطن اي اماكن وسكن
جمع موطن وهو محل التوطن والاقامة واراد بها مكة والمدينة عمرت
اي صارت معمورة بالوحي والتنزيل من عطف الخاص على العام والبا

للسببية اذ هي بالتعدية تجعل الوحي بمنزلة سالكي غيرها وتردد جبريل
وميكائيل التردد بمعنى المجي والذهاب من قولهم فلان يتردد الينا وليس
من التردد بمعنى الشك اما تردد جبريل فظاهر واما ميكائيل فكان
ينزل عليه الصلاة والسلام احيانا وعرجت اي صعدت من عنده
منها اي من المواطن الملائكة والروح هو جبريل عطف عليهم
عطف الخاص على العام تفضيلا له على الملائكة كما يحفظه على الملائكة
لا نراهم الملائكة كما انا لا نراهم واما المراد به ارواح الناس فما لا يليق
ذكره هنا وضجت عرصاتها بالتسبيح والتقديس هما لغة التطهير
والتنزيه والمراد بهما هنا توحيد الله وذكره كقوله سبحان الله ولا اله
الا الله والضجيج والضجاج الصياح ورفع الاصوات المختلفة واصله
صياح العاجز المغلوب والعرصات بفتحتين جمع عرصة وهي الارض
والساحة المتسعة من غير بنا والمراد هنا الارض مطلقا واسناد الضجيج
للعرصات تجوزا للمبالغة في كثرة الدعا والتلاوة واشتملت تربتها
اي تضمنت وحوت ارضها على جسد سيد البشر وهو صلى الله عليه
وسلم اشرف المخلوقات فالمكان الذي حواه افضل الامكنة
فلزم تعظيمه والسعي اليه ماشيا بالذلة والادب ثم ذكر بعد
فضيلتها الذاتية ما نشا عنها وعرض منها فقال وانتشر
اي شاع وتفرق واشتهر في الارض منتقلا عنها اي عن هذه المواطن
وفي نسخة منها من دين الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم
ما انتشر اي امر عظيم كثير لا يعلمه الا الله ولذا عبر بما المبهمة
كقوله الحاقة ما الحاقة مدارس وايات عطف بيان او بدل من مواطن
اي محال يدرس فيها القران جمع مدرس من درس اذا قرا وتلى
ونسل جمع مدارس ومفعال غريب في اسم المكان كالمرصاد
ولا حاجة لارتكابه ومساجد جمع مسجد بالكسر اسم موضع السجود
ويجوز فتحها وهو وضع الجبهة على الارض خضوعا وعبادة وليس
المراد به الموضع المعد للعبادة وان صحت ارادته وصلوات
جمع صلاة وهي العبادة المعروفة واصلها الدعا كما السعاق يجوز ارادته
هنا وفي نسخة مساجد صلوات بالاضافة على تقدير لام الاختصاص
ومن قال معناه مساجد لاجل الصلوات لم يصب ومشاهد
الفضائل والخيرات المشاهد جمع مشهد وهو محل يشهده
الناس ويجتمعون فيه والفضائل جمع فضيلة كالعلم وتعليم الاداب

وغيرها

وغيرها من الكمالات والخيرات من خير الدنيا والاخرة ومشاهد البراهين
والمعجزات اي محل ظهور معجزاته صلى الله عليه وسلم وبراهين
نبوته الدالة على صدقه وهو عطف تفسير وقيل البراهين اعم
من المعجزات ومناسك الدين جمع منسك وهو محل العبادة والنسك
ومشاعر المسلمين اي محال معالمهم التي يجب القيام بها من الواجبات
وغيرها ومواقف سيد المرسلين اي المحال التي قام فيها صلى الله عليه
وسلم لاعلا كلمة الله واظهار دينه كمحاربه ومحال صلاته ومتبوا خاتم
النبيين بفتح التاء وكسرها اي مساكنه ومحل اقامته حيث انفجرت
النبوة اي ظهرت وفاضت على جميع الخلق منافعها واشرقت في القلوب
انوارها ففيه استعارة مكنية وتخييلية اما بتشبيه النبوة بالفجر
والصبح الصادق في ظهوره الماحي لظلمة الكفر او بمنبع الما المروي للناس
بعد ظمى الجهل لقوله واين فاض عبابها بضم العين وهو
الما الكثير كالسيل او الما الكثير المتدفق فوق القابض وحيث تكون ظرف
زمان ومكان وفيه لغات مشهورة واين اسم يستفهم به عن المكان فجر
على الاستفهام لمجرد المكان وقيل ايضا باقية على اصلها اي هي
جواب من سال وقال اين فاض عباب النبوة فيقال في هذه
الاماكن ومواطن مهبط الرسالة مهبط مصدر ميمي بمعنى الهبوط اي محال
نزول الوحي برسالته وامره بتبليغ الخلق ما ارسل به لهم والمراد بكثه
لانه مراده مدح الحرمين كما فسرنا به المواطن اولا ولذا قال
اعلام وأول ارض مس جلد المصطفى ترابها هو كناية عن مولده لانه
لو فرض انه سقط على ارضها كان كذلك كما قال
• بلاد بها نيطت علي تمايمي • وأول ارض مس جلدي ترابها •
ومنه اخذ المصنف كلامه ولمح به ان تعظم عرصاتها جمع عرصة وهي
كما تقدم ارض لا بنا فيها فالمراد بها هنا مطلق الارض او بعنا هنا
الحقيقي فهو ساحة المدينة ومكة وفنا ارضها فيعلم منه غيرها
بالطريق الاولى وهذا هو المنفذ الذي تقدم خبره وطول لبتوق
سامعه المسند وينتظره وتتنسم نفحاتها تفعل من النسيم مبني
للمجهول والمراد ما في النسيم من نفحاتها الطيبة والنفحة في الاصل
دفعة من الريح تجوز بها عن الطيب الذي ترتاح له النفس من
نفح الطيب اذا فاح وفي الحديث ان لربكم في دهركم نفحات فتعرضوا
لها فشبه ما فيها من بركاته بنسيم ريح او انجه استعارة تبعية

او مكنته وتخيلته ونقبل اي نلثم ونماس بالشفاه ربوعها
جمع ربع وهو المنزل في الربيع ويطلق على المنزل مطلقا وهو
المراد هنا وجدرانها بضم الجيم وسكون الدال المهملة والف
ونون جمع جدار وهو اصل الحائط ويطلق عليه ايضا ويجوز ان يكون
بنا النات جمع الجمع ثم لما تزايد شوقه لمشاهدته صلى الله عليه
وسلم قال مخاطبا له صاحب تنزيلها منزلة العقلا في شعر له مروي
له وهو قوله اعني المؤلف رحمه الله يا دار خير المرسلين ومن به هدي الانام وخص بالايات

عندي لاجلك لوعة وصبابة • وتشوق متوقد الجمرات •

اراد بداره محل قوته مطلقا فيشمل مكة والمدينة وفي نسخة
المسلمين والاول اولى وهدي مبني للمجهول اي هدى الله به والانام الخلق
مطلقا وكل ذي روح كما مر وقوله خص بالايات المراد بها
القران او جميع المعجزات لان الله خصه منها بما لم يكن لغيره
والتعريف فيه للعهد عندي لاجلك لوعة وصبابة وتشوق متوقد الجمرات •

وعلى عهد ان ملات محاجري • من تلكم الجدران والعرصات •

اللوعة شدة الحب وحرقته والصبابة رقة الشوق من صبا الشد
اذا مال والتشوق زيادة الشوق وشدته في القلب متقد
جمرات محرقة متوقدة ومتوقد بكسر القاف من اضافة الصفة
للموصوف وضبط بفتحها ايضا كما في المقتفي

وعلى عهد ان ملات محاجري • من تلكم الجدران والعرصات

وعلى عهد اي موثوق التزمته وهو يمين كما يقال علي عهد الله
والمحاجر جمع محجر وهو جوانب العين وملئها بجاز عن النظر اليها
وابصارها وتلكم الجدران جمع موث لجدر جمع جدار كما تقدم
والعرصات تقدم تفسيرها •

لاعفرن مصون شيبي بينها • من كثرة التقبيل والرشفات •

التعفير مرتبه في التراب ويقال له عفار واراد بشيبه لحيته
المبيضة وبينها اي بين ترابها وارضها وجعله مصونا لانه
محفوظ عما لا يليق به وبينه والتقبيل اللثم والرشفات جمع
رشفة وهي مص الريق ونحوه وفسرها بالتقبيل ايضا وتفسيره
بمص ريق المحبوب غير مناسب هنا واللام جواب القسم الذي تضمنه
قوله وعلى عهد •

لولا العوادي والاعادي زرتها • ابدا ولو سحبا على الوجنات

العوادي

العوادي جمع عادية وهي الامور التي تمنع عن زيارتها او العوائق او الطلمة
جمع عادية بمعنى عابرة ظالمة والاعادي جمع عداوي وهو جمع اعدى جمع
لجمع والوجنات جمع وجنة وهي اعلى الخد وما ارتفع عنه وقوله سحبا
منصوب بمقدر اي اسحب وجهي على الارض بالذلة والخضوع وضمير زرتها
للدار وابدا ظرف لما يستقبل من الزمان والمعنى لولا عوائق الدهر
لم افارقها فلم اتخلف عنها •

لكن ساهدي من جميل تحيتي • لقطين تلكم الدار والحجرات •

استدرك على ما افاده ما قبله اي ان منعت عن زيارتها والاقامة
بها والتضمخ بترابها فاني اهدي لمن سكن بها يعني به رسول الله صلى
الله عليه وسلم واصحابه الذين دفنوا بها والاهدا الارسال والجميل
بالمهملة وفاو بالمثناة تحتية ولام بمعنى كثير نفيس كنقل به
والتحية من الحياة بمعنى السلام والقطين بقاف وطا مهملة ونون
بمعنى المقيم ويطلق على الاتباع والخدم والحجرات جمع حجرة وهي بيت
صغير من تلك الدار وفي الحجرات اشارة الى الحجرات له صلى الله عليه وسلم
التي كان بها ازواجه امهات المومنين رضي الله عنهن اجمعين
وكان الشيخ احمد بن الرفاعي كل عام يرسل مع الحجاج السلام على النبي صلى
الله عليه وسلم فلما زاره وقف تجاه مرقده وانشد

في حالة البعد روحي كنت ارسلها • تقبل الارض عني فهي نايبتي •
وهذه نوبة الاشباح قد حضرت • فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي •
فقيل ان اليد الشريفة بدت له فقبلها فهنيا له ثم هنيا •

ازكى من المسك المفتق نفحة • تغشاه بالاصال والبكرات •

ازكى بمعنى اكثر طيبا وراىحة طيبة والمفتق بزنة مكرم بالتشديد من
فتق المسك والطيب اذا خلط بغيره مما يزيد طيبه كما الورد ونفحة
تقدم تفسيره وهو منصوب تمييز وروي بالرفع واضافته لها اي
ما يجده نايب فاعل المفتق وتغشاه تعرض له او تعطيه وتغلبه
من الغشا والاصال جمع اصيل جمع امثل جمعه فهو جمع الجمع وهو
ما قرب من الغروب والبكرات جمع بكرة وهي اول النهار وخصهما
لطيب النسيم ولطافة الهوا فيهما •

وتخصه بزواكي الصلوات • ونوامي التسليم والبركات •

وتخصه بتا التانيث فاعله ضمير التحية او بنون المتكلم مع الغير
فالزواكي جمع زاكية وهي الزايدة بمعنى النوامي جمع نامية وحركت

ابن اقبرس

باد بالكسر للضرورة والصلاة والتسليم عليه صلى الله عليه وسلم
معناهما ظاهر ولقد اجاد في الختم بهما والبركات جمع بركة ولا وجه
لما قيل انه فاسد الوزن وصوابه ان يقول

وتخصه ازكى صلاة دايما • بتوالي التسليم والبركات •

مع انه وقع فيما هو بمنه روي ان المصنف رحمه الله تعالى لم يحج ولم
يزره صلى الله عليه وسلم فقال هذه الابيات الثمانية متحسرا
على ما فاته كما وقع للعارف بالله ابي العباس بن العريف نفعنا الله
به فقال شادا له

شاد الركاب وسوء الحظ اقعدني • ولم اجد لبلوغ المقصد مفتاحا •
يا سايرين الى المختار من اضم • سرتم جسوما وسرنا نحن ارواحا •
انا اقمنا على عجز ومسكنة • ومن اقام على عجز كمن راحا •

الباب الرابع من القسم الثاني في حكم الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم والتسليم

والصلاة اصل معناها الدعا والعبادة المخصوصة
لما فيها من تحريك الصلوين والمراد بها ان يقال صلى الله عليه وسلم
والتسليم مصدر سلم تسليما ككلمة تكليما اذا اقال له وسلم امره
اليه **وفرض ذلك** اي وجوبها على امته في اي مقام **وتفصيله**
اي فضيلته كما ذكر من الصلاة والتسليم وليس الضمير للتسليم
فقط والمراد بفضيلته ما هو اعم من الوجوب فيشمل الندب
والاستحباب وقال ابو ذر ابتدا مشروعية الصلاة عليه
صلى الله عليه وسلم كان في السنة الخامسة من الهجرة وقيل
كان الابتدا بمكة ورد في حديث الاسرا وما قاله ابو ذر هو ابتدا
اظهاره للناس وهذا مما خص به صلى الله عليه وسلم دون الانبيا كلهم
فانه لم يشرع ذلك لاممهم وان كان الصلاة والسلام عليهم مشروعة
كما يأتي **قال الله ان الله وملايكته يصلون على النبي الاية**
صدر بهذه الاية لاثبات مدعاه لان الامر يحتمل الايجاب والندب
واعلم ان معنى الصلاة كما تقدم لغة الدعا وتطلق شرعا على
العبادة المخصوصة واختلف هل هي منقولة من المعنى اللغوي لمعنى
اخر وضعه الشارع لما ستعمله الاصلي لاشتمالها على الدعا او
لما فيها من تحريك الصلوين كما مر وهما طرفا العجز او هي مجاز لاشتمالها
على الدعا الظاهر الاول وقال ابن القيم وبعض المتاخرين انها باقية
على معناها اللغوي ولا نقل فيها ولا تجوز لان المصلي في جميع صلاته

في دعا وعبادة غاية ان الشارع خصها بفرد من افراد الحقيقة كالدابة
لذوات الاربع ورد بانه كلام من لم يعرف معنى النقل فاهل الشرع اذا
استعملوها لا يلاحظون معناها اللغوي ولا ينظرون اليه وهو كلام غير
مهذب فان المجاز اذا اشتهر يتناسى فيه المعنى الاصلي ويصير كالعلم
بالغلبة وهو المراد بقولهم انه حقيقة عرفية فالمال واحد والخلاف
لفظي وهذه الاية مدنية اخبر الله عباده فيها بشرف منزلته صلى
الله عليه وسلم عنده وان الله وملايكته يثنون عليه في الملا
الاعلا ثم امر اهل العالم السفلي بان يفعلوا كفعلهم وفي الكشاف لما نزلت
هذه الاية قالوا انما خصك الله بشرف الا اشركنا فيه فنزل هو الذي
يصلي عليكم وملايكته قال الحافظ السخاوي لم اقف على اصله
الى الان وقال شيخ شايخنا ابن حجر الهيتمي رحمه الله هو اثر موافق لما
اخرجه ابو نعيم في الدلايل في ترجمة سفيان بن عيينة انه سيل عن
قوله اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم
وعلى ال ابراهيم فقال اكرم الله امة محمد صلى الله عليه وسلم فصلى
عليهم كما صلى على الانبيا فقال هو الذي يصلي عليكم وملايكته
وقال لنبيه عليه الصلاة والسلام وصل عليهم ان صلاتك
سكن لهم اي سكينة فصلى عليهم كما صلى على ابراهيم واسحاق ويعقوب
والاسباط وهو الانبيا يخصوصون منهم وعم هذه الامة بالصلاة
وادخلهم فيما ادخل فيه نبيهم صلى الله عليه وسلم ولم يدخل في شي الا ادخل
فيه امته ثم تلا ان الله وملايكته يصلون على النبي الاية وقال
هو الذي يصلي عليكم وملايكته واشار الى مزيد خصوصية على امته
باسناد الصلاة عليه الى الله والملايكة وصلاة الملايكة على الامة
لا تكون الا تبعية وجمهور القرا على نصب الملايكة عطفا على اسم
ان ويصلون خبر عنهما وقيل خبر ملايكته وخبر الجلالة محذوف
لدلالة يصلون عليه ورجح تغاير الصلاتين ترجيح الاول ابو حيان
والجملة اسمية خبرها مضارع لافادة الاستمرار التجددي فالملايكة
استمرت صلاتهم عليه وهذه منقبة لم توجد لغيره اعظم من سجود
الملايكة لادم الذي وقع وانقطع وقال على النبي دون محمد
او الرسول تنويها بقدره صلى الله عليه وسلم والنبوة اشرف
من الرسالة لانها اتصال بالله واشتغال به والرسالة اشتغال
بالناس ثم انه اكد السلام وخصه بالمومنين قيل لان الصلاة موكدة

معنى بتجدد هما من الله وملائكته فكيف لا نصلي عليه امته
ولهذا نؤكده بان والجملة الاسمية والسلام سواء كان بمعنى الانقياد
او بمعنى السلامة من الآفات لا يليق اسناده الى الله والملائكة
ولذا استحق التأكيد لصدوره خلافه من جنسهم ولا يرد عليه قوله تعالى
سلام على ابراهيم وقوله والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام
عليكم كما اوردها السخاوي لانه تحية واكرام وتفصيل هنا كلام بيناه في
رسالة مستقلة ثم شرع في بيان معنى الصلاة فقال قال ابن عباس رضي
الله عنهما معناه اي معنى الصلاة وذكره لتاويله بالدعاء او لان تانيث
المصادر غير معتبر وهذا رواه ابن جرير وابن ابي حاتم ان الله وملائكته
يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم اي يدعون له بزيادة بركة لا نعمه
عقابه وشرف قدره وسياتي فيه كلام وامثل معنى البركة النمو وزيادة
الخير اللازم وقيل في معناه انه بمعنى ان الله يترحم على النبي صلى
الله عليه وسلم اي يدعو له بالرحمة وفي القاموس رحمت عليه وترحمت عليه
والاولى الفصحى وهو رد على من قال ترحمت عليه لحن كما نقله الصا
دوردانه في المحدث وتاتي الاشارة اليه ايضا وملائكته يدعون له
ولم يبين الدعا لتفسيره لقوله وقال المبرد معنى الصلاة الترحم اي
الانعام او الدعا بالرحمة ومعنى الدعا من الله ارادته او التيسير له لان
معناه الحقيقي لا يتصور في حق الله فاريد به لازمه وعليه ولذا فسر
بقوله الصلاة الترحم اي انعام او ارادته ومن الملائكة رقة
اي شفقة عليه ومحبة واستدعا للرحمة من الله له اي طلبها والدعا بها
وقد ورد في الحديث الذي رواه الشيخان عن ابي هريرة صفة
صلاة الملائكة على من جلس ينتظر الصلاة في المسجد اللهم اغفر له اللهم ارحمه
لهم بالمغفرة والرحمة وقد صرح بعضها في قوله في حق الملائكة
يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين امنوا وقد بينا وجه الدعا
بخصوص الاستغفار فيما ياتي في فصل المواطن ولفظ الحديث
في مسلم لا يزال العبد في صلاة ما كان في مصلاه ينتظر الصلاة
والملائكة يقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه حتى ينصرف او يحدث
وقال الامام ابو بكر القشيري الصلاة من الله تعالى لمن دون النبي
اي لمن منزلته دون منزلته من الامة رحمة اي طلب ان يرحمه
الله واما النبي فمرحوم باعلا انواع الرحمة فهو غير محتاج لان يدعى له
كما في فتاوى الصوفية لو قال اللهم ارحم محمدا كما رحمت او ترحمت

على ابراهيم قال الصفار انه مكروه في حق الانبياء والرسل وحكي عن محمد
انه كان يكرهه ويقول فيه ظن نوع تقصير لحصرفانه لا يستحق الرحمة
الا من اتى بما يلام عليه وقد امرنا بتعظيم الانبيا وتوقيرهم فاذا ذكر النبي صلى
الله عليه وسلم لا يقال رحمه الله بل صلى الله عليه وسلم بل لا يقال رحمه الله
بل صلى الله عليه وسلم بل لا يقال للصحابة رحمهم الله بل رضي عنهم وكذا
قال جواهر زاده وصاحب المحيط والظهيرية فانا اقول ان اللهم
ارحم محمدا وال محمد جاء متواترا وكان الشيخ الزاهد الرستغفني يقول
معنى ارحم محمدا ارحم امة محمد والترحم لا منه لانه كما يقال لمن يراد عقابه
ولتراب حاصر بتوجع لانه ارحم هذا الشيخ الكبير فهو لم يحك ولم يؤاخذ
كما في جامع المضمرات وقال ٣ رحمه الله الصحيح انه لا يكره
لانه صلى الله عليه وسلم من اشوق الناس الى رحمة ربه انتهى وللنبي
صلى الله عليه وسلم تشريف وتكرمة بهم في اوله وهما مصمومة وفي نسخة
تكرمة تا بدل الميم وهما مصدران والظاهر ان الصلاة على النبي صلى
الله عليه وسلم غير الرحمة وانما هي في حقه بمعنى التشريف
والتعظيم اللائق به وقد علمت ما فيه والترحم والدعا له بالرحمة
ولكن استحق الدعا له بلفظ الصلاة تادبا وفرقا بينه وبين غيره
وقال ابو العالية صلاة الله عليه صلى الله عليه وسلم
ثناؤه عليه بمدحه وبيان منزلته عنده عند الملائكة
اي بحيث يطلعون على ذلك وصلاة الملائكة الدعا له كما مر وقال القاضي ابو الفضل
عياض مصنف هذا الكتاب رضي الله عنه وقد فرق النبي صلى الله عليه
وسلم في حديث تعليم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة ولفظ البركة فدلت
تفرقته بينهما بعطف احدهما على الاخر على انهما بمعنيين متغايرين
وحديث تعليمهم الصلاة سياتي بيانه وبيان طرقه ومراده الرد على
بعضهم من فسر الصلاة بالبركة وهذا الحديث يدل على خلافه وكونه
عطف تفسير خلاف الظاهر والفرق بينهما ان الصلاة كما تقدم معناها
الرحمة والبركة كما قال الراغب اصلها من البرك وهو صدر البعير
ومنه برك البعير اذا القى بركه واعتبر فيها معنى اللزوم ولذا سمي
محبس الما بركة فالبركة ثبوت الخير الالهي في الشي والمبارك ما فيه
ذلك الشي ولما كان الخير الالهي يصدر من حيث لا يحس وعلى وجه
لا يحصر قيل لكل ما يشاهد منه زيادة غير محسوسة مبارك وفيه
بركة وكل ما ذكر فيه مباركة تنبيه على اختصاصه تعالى بالخيرات

المذكورة معه بمعنى صل وبارك على محمد رحمة وادم خيراتك التي لا تحصى
عليه ثم ان اطلاق الصلاة على رسول الله وعلى غيره مشهور وفي على انبيا
ئنا وتعظيم وعلى غيرهم رحمة من رحمته التي وسعت كل شي وقال
الغزالي لفظ الصلاة مشترك في الاعتنا بالمصلى عليه ثم لما انسوه
الصلاة وذكروا الاقوال فيها ذكر تفسير السلام الذي هو قرينها فقال
واما التسليم الذي امر الله تعالى به عباده في قوله وسلموا تسليما
فقال القاضي ابن بكر ابن بكير بالتصغير وهو ابو بكر محمد بن احمد
ابن عبد الله بن بكير التميمي المالكي وهو البغدادي الفقيه الثقة
صاحب التاليف الجليلة التي منها احكام القران وهو غرائبي من اولاد
ابن الجهم وقيل اسمه احمد بن محمد بن بكير وقيل محمد ابن بكير
لا غير فبكير ابوه او جده نزلت هذه الاية يعني قوله ان الله
وملايكته يصلون الخ على النبي صلى الله عليه وسلم فامر النبي صلى الله
عليه وسلم اصحابه ان يسلموا عليه امتثالا لامر الله لهم وكذلك
من بعدهم امروا ان يسلموا على النبي صلى الله عليه وسلم عند حضورهم
قبره وعند ذكره في ساير مجالسهم كما سياتي بيانه وهذا مبني على ان
الامر العام النازل عليه صلى الله عليه وسلم هل يختص بالموجودين
او يعمهم ومن بعدهم وهو خطاب المشافهة والكلام عليه
مبسوط في كتب الاصول وعلى الاول اذا قام دليل او قياس جلي على شموله
لمن بعدهم يعمل به وما نحن فيه من هذا القبيل وفي معنى السلام
عليه صلى الله عليه وسلم ثلاثة اوجه وفي نسخة ثلاثة
وجوه باستعمال جمع القلة للكثرة وهو جاير شايع في كلامهم
احدها انه بمعنى السلامة من النقايص والافات ثابتة لك
ومعك اي مصاحبة وملازمة لك ويكون على هذا التفسير السلام
مصدرا بمعنى السلامة كاللذاذ واللذاذة بمعنى التلذذ باللذة
فمعناهما واحد ونظاير مثله كثير كالملام والملامة
والمقال والمقالة ولا في السلام من الشاعرية بعلى لانه
بمعنى القضا والمعنى قضى الله عليك السلام كما قيل لان القضا
كالدعا لا يتعدى بعلى المنفع ولا تتضمنه معنى الولاية والاستيلا
لانه وجه اخر ذكره بقوله الثاني اي السلام مداوم على
حفظك ورعايتك اي اكرامك وعنايته بك ومراقبتك
ومتول له اي قايم به بحيث لا يكل امرك لغيره وكفيل به اي متكفل

ملتزم

ملتزم له ويكون هنا اي في هذا الوجه السلام اسم الله تعالى
ومعناه ذو السلامة وليس في اسما الله مصدر غيره الثالث
من الاوجه انه السلام بمعنى المسالمة له والانقياد عطف تفسير
فالمسالمة التسليم وعدم المخالفة كما قال تعالى فلا وربك ثم جوابه
لا يومنون اي لا يظهر ايمانهم ولا يجل حتى يحكموك اي يفوضون الحكم
اليك فيما شجر بينهم اي وقع بينهم من المنازعات والدعاوي ثم لا
يجدوا في انفسهم حرجا اي ضيقا لعدم رضاهم مما قضيت حكمت
به عليهم ويسلموا تسليما اي يذعنوا وينقادوا دونك لامرك منشرحة
صدورهم لقبوله قال الراغب السلام والسلامة التعري من
الافات الظاهرة والباطنة والسلام من اسمايه لسلامته وتنزهه
عما لا يليق به انتهى وقال الخطابي صيغته خبر ومعناها الدعا والطلب
ومثله يحتاج للسنة الا اذا شاع فيه عرفا فانه لا يحتاج حينئذ
للسند انتهى ومعناه من الله في صلى الله عليه وسلم على محمد ونحوه
فانه لا يتصور في حقه الطلب من غيره اذ هو المطلوب منه انه
يريد من نفسه له الخير والسلامة والعزة حتى ينقاد الناس كلهم
له فبين الطالب والمطلوب تغاير اعتباري ومثله يكفي في هذا
المقام وقد افرد السلام بتاليف نفيس السيد السمهودي ووقفت عرضي
عليه وفيه امور يضيق المقام عنها وفي الشرح الجديد هنا كلام غير
محرر وانما ترك التعرض له اولى وفي الاذكار للنووي انه يكره افراد الصلاة
عن السلام في حقه صلى الله عليه وسلم وياتي فيه كلام وهذه
الاية الاخيرة نزلت في حق من خاصم الزبير في سقاية الماء وسيا[تي]
الكلام عليه ان شا الله تعالى مع تقدم بعضه فصل
اعلم ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض في الجملة
اي اجمالا من غير تعيين زمان او محل غير محدد بجاو دال مشددة مهملتين
اي غير معين واصله ما له حدود فاستعمل في لازم معناه بوقت
من الاوقات المعلومة واستدل على مطلق الوجوب بقوله
لامر الله تعالى واصل الامر للوجوب بقوله صلوا عليه وسلموا
تسليما وحمل الاية من السلف والعلما من اهل التفسير له على الوجوب
اي على انه امر ايجاب لا ندب اي فسروه بان المراد منه ذلك بتمامه
حملت كلامه على كذا اذا فسرته به واجمعوا عليه اي على انه للوجوب
من غير تعيين محل او زمان فالاية تدل على ذلك عند الجمهور لانه

الاصل في الامر وحقيقته عند الاكثر وتقريره في كتب الاصول ومستند
الاجماع هذه الاية وما عضدها من الاحاديث لا الاية فقط حتى يقال
انه ينافيه ما حكاه عقبه من قوله وحكي ابو جعفر الطبري هو الامام
محمد بن جرير وقد تقدم بيانه ان محمل الاية اي المراد منها وما فيها من الامر
عنده اي عند ابي جعفر على الندب وفيه تقدير اي تبعا لغيره والاولى
معنى لحكايته ما عنده ويدل على المقدر قوله وادعى فيه
اي في ان الامر فيها للندب الاجماع وفي قوله ادعى اشارة الى انه ما قاله
ممنوع عنده لثبوت خلافه عنده ثم توفق بينه وبين ما ذكره
قبل فقال ولعله اي ما ادعاه فيما زاد على مرة واحدة في العمر فانه
لا خلاف في عدم وجوبه على كل احد والواجب منه مقبل اخيره مرة الذي
الذي يسقط به الحرج اي الضيق على الناس لو وجب دائما وكلما ذكره او
الاثم فان الحرج قد يفسر بالمعنيين كما صرحوا به ومأثم ترك الفرض
اي يسقط به الاثم عمن تركه اذا كان فرضا والمأثم بالمثلثة مصدر ميمي بمعنى
الاثم وهذا ان لترك الصلاة المفروض بمعنى الواجب مرة مرفوع على الخبرية
كالشهادة له صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة فانها واجبة
في العمر مرة فاذا اسقط الوجوب بمرة يتحقق في ضمنها فانها واجبة
في العمر مرة فاذا اسقط الوجوب بمرة يتحقق في ضمنها ما هو المامور به
فالصلاة بالطريق الاولى وهو احد المذاهب في الصلاة كما سياتي
بيانه وما عدا ذلك اي المرة الواحدة في الصلاة والشهادة فمندوب
مرغب فيه بكثرة ثوابه ونوابه من سنن الاسلام وشعار
اهله اي دابهم الذي هو علامة لهم وهو لغة بمعنى العلامة وله
معان اخر وهذا جواب عما اعترض به على ابن جرير مما خالف الاجماع الذي
حكاه المصنف وليس مذهب مالك كما نقله بعض الشراح وما
نقله المصنف صرح به ابن عبد البر من غير عزو لمذهب وهو
ظاهر قال القاضي ابو الحسن بن القصار بقاف وصاد
مشددة وراء مهملتين وهو علي بن عمر بن احمد الفقيه الثقة
له كتاب في الخلاف كثير الفوائد لم يصنف في بابه احسن منه وفي بعض
النسخ الصغار بصاد مهملة بعدها فاء والف وراء قال التلمساني
والاول هو المعتمد وهو من ائمة المالكية منسوب لصنعة قصارة
الثياب وهي تبييضها والثاني لبيع الصفر وهو النحاس المشهور عن
اصحابنا بعض المالكية ان ذلك اي الصلاة على رسول الله صلى الله

عليه وسلم واجب في الجملة اي اجمالا ومطلقا من غير تعيين وقت له على الانسان
وتعين عليه اشارة الى ان الواجب والفرض عنده بمعنى كالشافعية
خلافا للحنفية ان ياتي به مرة من دهره اي في مدة عمره وخروجه بتركه
عن عهدته مع القدرة على ذلك اي شرط في وجوبه مرة في عمره ان يقدر
على التكلم به فلو عجز عنه لمانع منعه من التلفظ به سقط عنه كسائر الواجبات
كمن اخترمته المنية وقوله لا ينافي ما تقدم من الاجماع لانه لا يستلزمه
ونقصده انه مع الاجماع لما اشتهر بين الائمة ايضا وهو اشارة لما نقله
عن الطبري وان كان عنده لا ينافي الاجماع لكونه رآه او تاوله كما تقدم ولم
يتعرضوا لحكم السلام عنده ونقل الحطاب عن متاخري المالكية
عن الرصاع انه الذي يظهر ان السلام عليه صلى الله عليه وسلم واجب
مرة مثل الصلاة عليه والزائد مستحب لقول ابن عباس رضي الله عنهما
ثم نفذ من الله علينا ان نصلي على نبينا ونسلم تسليما عن مشايخ المغاربة
من التوقف في وجوبه لا اصل له والحق ان حكمه حكم الصلاة انتهى وقال
القاضي ابو بكر بن بكير وقد تقدمت ترجمته افترض الله عز وجل
على خلقه جميعا وافترض بمعنى اوجب وفيه زيادة تاكيد لزيادة
بنيته ان يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما كما نقله عن ابن عباس
من فرض الصلاة والسلام وينبغي ذكره مع مصدره المؤكد امتثالا للامر
ولم يجعل ذلك الافتراض لوقت معلوم واللام فيه للتوقيت
والظرفية كما يقال كتبت لستة عشر مثلا فالواجب
على الخلق ان يكثر المرء اي الرجل والمراد به الانسان ولو امراة تغليبا
منها اي من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ولا يغفل عنها
اي يتركها ويشتغل عنها بغيرها وفي كلامه شيء لانه بعد ثبات
وجوبها مرة وكونه يكثر منها ولا يغفل عنها امر لا اقتضاء له
مرات كثيرة فان اراد انه ان فعلها في وقت ما يكررها مرارا في ذلك
الوقت فايجاب مثله غير ظاهر بما نقله قبله فانه كانه
قول اخر نسا انه لا يناسب ما بعده واما الاعتراض عليه بانه امر مطلق
لا يتقرر فيه لعدم تعين وقتها فلا معنى له وفي بعض الشروح
انه قوله ما للشيخ انه تجب الاكثار منها مطلقا من غير تعيين لمقدار
ووقت وهو كلام حسن وقال القاضي ابو محمد بن
نصر المالكي وهو القاضي عبد الوهاب بن نصر بن احمد بن حسين
وقيل ابن الحسن ابن احمد بن هارون بن مالك ادركه الشيرازي

وسمع منه في النظر وكان فقيها شاعرا اديبا له شعر كثير وكتب كثيرة
في كل فن وارتحل في آخر عمره لمصر فحصلت له ثروة وتوفي سنة احدى وعشرين
واربعمائة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم واجبة في الجملة
اي من غير تعيين مقدار ولا زمان ولا غيره قال القاضي
ابو عبد الله محمد بن سعيد قيل هو محمد بن سعيد بن بشير بن شرحبيل
الفقيه كتب في حداثته للقاضي مصعب بن عمران ثم رحل الى المشرق فلقي
مالكا رضي الله عنه فقرا عليه ثم انصرف للاندلس وان التزم صنعته
بناحيته الى ان توفي سنة ثمان وتسعين ومائتين كما قاله القاضي
في المدارك ذهب مالك واصحابه وغيرهم من اهل العلم
ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض بالجملة اي اجمالا من
غير تعيين مقدار ووقت بعقد الايمان اصل معنى العقد
ربط اطراف الشي كعقد الحبل وعقد الايمان والايمان بالفتح الهمزة
وكسرها بمعنى تقيمها واعتقادها بقلبنا فقوله بعقد الايمان
بكسر الهمزة والمناسب اربعة بعد ايجمع اول ما يعرض بعقد
الايمان بالله ورسوله لا يتعين في الصلاة اي لنفي وجوبه بخصوصها
وموقتا بها وان من صلى عليه مرة واحدة في عمره ومدة حياته الى موته
سقط الفرض عنه بخروجه عن عهدته قيل حاصل ما ذكره المص
غير ما نقله عن الطبري ولم ينقصه قولان الاول انها فرض في الجملة
تسقط بمرة الثاني انه يجب الاكثار منها من غير تحديد وتقدم
ما فيه والفرق بين القول بانها تجب مرة والقول بانها تجب
في الجملة مطلقا ان ما زاد على المرة في القول الاول يقع نفلا
وعلى الثاني يقع الكل فرضا ويثاب عليه ثواب الفرض قيل وهو
التحقيق ونظيره ما قال الشافعي رحمه الله في مسح الراس انه يجب
مسحه مطلقا ولو مسح شعرة حصل الفرض ولو مسح الجميع وقع فرضا
وثم اقوال اخر غير ما ذكره المصنف منها انها تجب في كل مجلس مرة
في مجلسه وهل هي فرض كفاية على اهل المجلس فلو صلى واحد كفى عن
الجميع او فرض عين ومنها انها تجب كلما ذكر ونقلا عن الطحاوي وبعض
الحنفية وان الشافعية المحدث الاتي رغم انف رجل ذكرت عنده فلم
يصل علي وقيل انه مبني على ان الامر يفيد التكرار وهو ضعيف وقيل
عليه انه يلزمه شغل المرء عن غير طاعته العادة وانه يقتضي وجوب
ذلك على المصلي وتاركه القران والمتشهد ويلزمه التسلسل وفيه

مشقة

مشقة على الناس ولم ينقل مثله عن احد من الصحابة والتابعين ولو كان
كذلك لوجب الثنا على الله كلما ذكر بالطريق الاولى ولم يقله احد واجيب
بان منقول عن الايمة الاجلة وانه مخصوص بما لم يكن في الصلاة دخوصا
والحرج فيه غير مسلم وانا نلتزم وجوب الثنا على الله ايضا او نقول ان
الفرق بينهما بانه تعالى غني مطلق وعظمته غير متوقفة على ذكرها وان
هذا حق العبد وذاك حق الله وهو مبني على المسامحة دون المشاحة
والقول بانه حق الله ايضا لا مر به ناشئ من عدم فهم المراد بحق الله
وقال اصحاب الشافعي الفرض منها الذي امر الله به في الاية المذكورة
اولا وامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سياتي بيانه هو في الصلاة
اي هو عقب التشهد قبل التحلل وسياتي تفصيله وذكر الاحاديث
التي استدل بها الشافعي واصحابه كما صرح به في الام وقول
القرافي في الذخيرة انه استدل بالاجماع مردود بانه صرح بخلافه ولا اجماع
على وجوبها وقالوا اي اصحاب الشافعي واما في غيرها اي غير الصلاة
وهو خارجها فلا خلاف في انها غير واجبة المراد انه لا خلاف عند الشافعي
واصحابه والا فقد تقدم القول بوجوبها بتقدير المرة واحدة
كما مر لا يخفى نفعا الا ان نفي الخلاف بنا على المشهور عندهم وفي الشرح
الجديد بما نقله المصنف عن الشافعية غير صحيح فان المغني نسب
عندهم ان الصلاة واجبة في الخطبة الاولى والثانية لانه لم ينقل
عن الخلفا الراشدين تركها فيهما ووافقه احمد وهما امام السنة وقال
الشافعي بوجوبها في صلاة الجنازة بعد التكبيرة الثانية
كما سياتي بيانه ووافقه احمد ايضا وروايته احاديث صحيحة واما في الصلاة
اي حكمها فيها فحكى الامام ابو جعفر يعني محمد بن جرير والطحاوي وقد
تقدمت ترجمته الطبري احمد بن محمد بن سلامة كما تقدم بيانه
وهما ممن قال بعدم وجوبها في الصلاة وغيرها من الايمة
اجماع جميع المتقدمين والمتاخرين من علما الامة على ان الصلاة على
النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد الاول والاخير غير واجبة وشذ الشافعي
رحمه الله اي انه بقوله شاذا انفرد به عن جميع ايمة المذهب ولم ينقل به احد
قبله ولم يوافقه عليه احد في ذلك اي بقوله بوجوبها في تشهد
الصلاة الاخير فقال من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم بعد
التشهد الاخير وقبل السلام فصلاته فاسدة لانها ركن
من اركان الصلاة فتفسد بتركه في التشهد الاخير فقط وانه

وان صلى عليه صلى الله عليه وسلم قبل ذلك اي قبل التشهد الاخير وقوله
فيه اشهد ان محمدا رسول الله لم تجزئه صلاته اي لم تصح ولم يسقط عنه
الفرض فيجب عليه اعادة صلاته ولا تسقط له في هذا القول بوجوبها
في التشهد الاخير اي لم يقل به احد من السلف ولا سنة يتبعها اي لم يثبت
في السنة والاحاديث النبوية ما يكون دليلا على ما قاله الامام الشافعي
وقد بالغ في انكار هذه المسئلة عليه لمخالفته فيها من تقدمه
من الايمة والسلف جماعة وشنعوا عليه الخلاف فيها مفعول شنعوا بمعنى
نحوا اي عدوا ما قاله امرا قبيحا وقولا مبتدعا منهم محمد بن جرير
الطبري والامام القشيري قيل المراد به ابو نصر بن صاحب
الرسالة او ابو بكر بن العلا القشيري المالكي واما الامام القشيري
صاحب الرسالة فهو شافعي لم ينكر عليه شي مما ذكر وغير واحد اي ناس
كثيرون من الفقهاء والعلما وقال ابو بكر بن المنذر بصيغة اسم الفاعل
وهو الامام الاوحد ابو بكر محمد بن ابراهيم النيسابوري الثقة الحجة
امام عصره وشيخ الحرم توفي بمكة سنة تسع او عشر وثلاثماية
يستحب ان لا يصلي احد صلاة ما فرضا كانت او نفلا او جنازة الا صلى فيها
على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد التشهد وبعد التكبير الثانية
فان ترك ذلك تارك اي واحد اي واحد كان في اي صلاة كانت
فصلاته مجزية اي صحيحة وان كان الافضل عدم الترك في مذهب
مالك واهل المدينة اي علمايها وهو من عطف العام على الخاص
وسفيان الثوري صرح به لانه مجتهد صاحب مذهب
واهل الكوفة اي علماؤها من اصحاب الراي المراد بالراي القياس في
عرف الفقها والمالكية والشافعية يريدون بهذه العبارة اتباع ابي
حنيفة يريدون بهذا ويقابلهم اهل الحديث لاقتصارهم في العمل
عليه وغيرهم من العلما وهو قول جل اهل العلم اي معظم
الجم الغفير والاكثر منهم كلهم وحكي عن مالك وسفيان الثوري انها
في التشهد الاخير مستحبة لا واجبة وخص الاخير لانه محل الخلاف
وان تاركها في التشهد مسي غير مخطئ لارتكابه امرا مكروها فقصده
وشذ الشافعي اي انفرد رحمه الله بهذه المقالة المخالفة عن غيره
من الايمة فاوجب على تاركها في الصلاة الاعادة لتركه ركنا به
ثم سوا تركها عمدا او سهوا واوجب اسحاق اي ابن ابراهيم بن مخلد وهو
الامام الجليل ابو يعقوب بن راهويه عالم خراسان ومحدثها توفي سنة

سبع وسبعون سنة في شعبان سنة ثمان وثلاثين ومايتين الاعادة مع تعمد
تركها دون النسيان وحكى الشيخ محمد بن ابن ابي زيد هو صاحب
الرسالة المشهورة وهو من ايمة المالكية عن محمد بن المواز بفتح الميم
والواو المشددة واخره زاي معجمة وهو الامام محمد بن ابراهيم من اجل
الايمة في مذهب مالك وعليه المعول فيه وهو اسنده الى تفقه
ابن الماجشون وابن عبد الحكم الاول واعتمد على اصبغ وتوفي ببعض
حصون الشام وقد هرب في فتنة واختفى به ووفاته سنة احدى وثمانين
ومايتين ان النبي الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فريضة ولم
يبين لوجوبها قدرا ولا غيره قال ابو محمد هو ابن ابي زيد المار ذكره
قريبا في تفسير كلام ابن المواز يريد ليست من فرايض الصلاة
بل انها فرض في الجملة كما تقدم وسياتي ما يخالفه وقاله محمد بن
عبد الحكم وغيره هو ابو عبد الله محمد بن عبد الحكم المصري صاحب
الشافعي لم يكن في عصره اجل منه ولا اعرف باقوال الصحابة
والتابعين ولد سنة اثنين وثمانين ومائة وتوفي في الليلة خلت
من ذي القعدة سنة ثمان او تسع وستين ومايتين واخرج له النسائي
رحمه الله وحكى ابن القصار وعبد الوهاب من ايمة المالكية ان محمد بن
المواز يراها فريضة في الصلاة كقول الامام الشافعي وقد
نقل الاسنوي رحمه الله ايضا ان للشافعي رضي الله عنه قولا اخر غير
ما اشتهر عنه انها سنة في الصلاة لا ركنا واجبا وقال ابن عبد السلام
المالكي هو ظاهر كلام ابن المواز وصححه ابن الحاجب في مختصره
الفرعي وابن العربي في شراح المريدين ان محمد بن المواز يراها فريضة
وقد خالف الخطابي من اصحاب الشافعي وغيره الشافعي في هذه المسالة قال
الخطابي وليست بواجبة في الصلاة وهو قول جماعة الفقها الا الشافعي فانه ذهب
لوجوبها فيها ولا اعلم له فيها قدوة اي من يقتدي به من الايمة
والسلف وسياتي رده هذا والدليل على انها ليست من فروض الصلاة
كما قاله الشافعي عمل السلف الصالح من الصحابة والتابعين وهذا الوجه له
كما سياتي بيانه واجماعهم عليه كما سياتي ايضا انه لا اجماع فيه وقد
شنع الناس عليه في هذه المسالة اي قبحوه وانكروه اي شنعوا كثيرا اجتهدوا
وجدوا فيه جدا ثم بين وجه الانكار بقوله وهذا تشهد ابن
مسعود جعله لشهرته مخصوصا حاضرا عنده بين الذي
النبي اختاره الشافعي رضي الله عنه اي رجحه على غيره فان التشهد

لا طرق تختلف وهو الذي علمه لهم النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وما قاله مردود ايضا فانه انما اختار تشهد ابن عباس الذي فيه زيادة لفظ المباركات لموافقته لقوله تعالى تحية من عند الله مباركة طيبة ولتأخره عن تعليم ابن مسعود كما قاله البيهقي رحمه الله وكذلك ايضا مثله في عدم ذكر الصلاة عليه فيه كل من روى التشهد عن النبي صلى الله عليه وسلم من الصحابة الذين علمهم التشهد كابي هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر وابي سعيد الخدري وابي موسى الاشعري وعبد الله بن الزبير كلهم لم يذكروا فيه اي في تشهدهم الذي تعلموه صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم هذا اعظم ما تمسك به المصنف في رده لما ذكرها يلزم من عدم ذكرهم انه لم يأمرهم به وهو مردود ايضا لان تعليمهم ذلك كان في ابتدا الهجرة قبل نزول الاية والامر بها في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا صلوا عليه الاية فلذا لم يأمرهم صلى الله عليه وسلم بما لم يؤمر به فلما نزلت امرهم وهذا مصرح به في الحديث وسيأتي نقله مفصلا بطرقه وقد قال ابن عباس وجابر في حديث رواه مسلم كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القران يقرؤه عليهم ويأمرهم بتلقنه بالفاظه وحفظه فكيف يترك ما هو مذكور فيه وقد عرفت جوابه ونحوه ان مثل ما ذكر عن ابي سعيد الخدري كما رواه ابن ابي شيبة في مصنفه وقال ابن عمر كان ابو بكر يعلمنا التشهد على المنبر وهو يخطب عليه في خلافته كما تعلمون الصبيان في الكتاب بضم الكاف وتشديد المثناة الفوقية وهو اسم للمحل الذي فيه الصبيان يتعلمون جمع كاتب فهو تسمية للمحل باسم الحال فيه وقد وقع هذا المعنى في كلامهم كما ذكره الزمخشري في الاساس وغيره ولا عبرة بمن انكره او قال انه مولد والصواب المكتب وعلمه اي التشهد ايضا على المنبر عمر بن الخطاب كما علمه ابو بكر في خلافته بعين بذلك شهرته بحيث لا يخفى على احد ولا يترك ولا دليل له فيه لان ما علم على المنبر لم يذكر ولم ينقل به ونه ذكر الصلاة حتى يتم له ما ادعاه ثم اشار الى الجواب عن بعض ما استدل به الشافعية فقال وفي الحديث الذي رواه ابن ماجه والحاكم في مستدركه والطبراني والدارقطني والبيهقي وفي بعض الفاظه اختلاف ما انه لا صلاة لمن لم يصل على بالتشهد به وروي لمن لم يصل على نبيه وهو

بظاهره ودليل للشافعي على ان الصلاة لا تصح به وهذا قال ابن القصار ومعناه المراد منه كاملة الاجر وهو صرف للنفي عن المتبادر منه من نفي الصحة الى نفي الكمال فتصح وانه لم يكمل وهذا مبني على قاعدة اصولية وهو ان النفي اذا دخل على شي بمعنى هل يقدر الصحة او الكمال فقال الشافعي الارجح تقدير الصحة لانه اقرب الى نفي ذات الشي وقال غيرهم يقدر الكمال وقد بينه البيضاوي في شرح المصابيح في حديث انما الاعمال بالنيات او لمن لم يصل على مرة في عمره وهو تحكم وترجيح بلا مرجح وسيأتي تفصيله ثم بين ما فيه بحسب الرواية بقوله وضعف اهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث لانه كما قاله الامام الخيضري في كتابه اللفظ المعلم من حديث عبد المهيمن بن عباس عن ابيه عن جده وعبد المهيمن ليس بحجة وروي من طرق اخرى لم تثبت انتهى وفي حديث ابي جعفر محمد الباقر بن زين العابدين عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يصل علي فيها وعلى اهل بيتي لم تقبل منه وهذا مبني على ان الصلاة على الال في التشهد الاخير واجبة كالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وفيهما قولان للشافعي والصحيح في المذهب انها غير واجبة واما في التشهد الاول فمن قال ايضا واجبة في الاخير قال باستحبابها فيه ومما ينسب للشافعي رضي الله عنه في ذلك قوله

يا اهل بيت رسول الله حبكم ، فرض من الله في القران انزله
كفاكم من عظيم القدر انكم ، من لم يصل عليكم لا صلاة له

قال الدارقطني الصواب انه قول ابي جعفر محمد الباقر ابن زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب لو صليت صلاة لم اصل فيها على النبي صلى الله عليه وسلم ولا على اهل بيته لرايت انها لا تتم وهذا لا يوافق ما قاله الشافعي رحمه الله تعالى فغيبه ما يبعد له دون ما قاله المصنف واعلم ان الامام الخيضري رحمه صنف في هذه المسألة كتابا سماه زهر الرياض في رد ما شنعه القاضي عياض ظالعنه بتمامه وقد قال فيه ما قصدت به تنقيص مقداره فانه طراز هذه العصابة وتلخيصه ان الامام الشافعي رضي الله عنه قال في الام فرض الله عز وجل الصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله ان الله

ولا يكفيه الاية فلم يكن فرض الصلاة عليه في موضع اولى منه في الصلاة
ووجدنا الدلالة بما وصفت عنه صلى الله عليه وسلم ثم ساق باسناده
الى ابي هريرة انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك يعني في الصلاة
قال تقولون اللهم صل على محمد الخ وساق بسنده ايضا الى كعب
ابن عجرة عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يقول في الصلاة اللهم
صل على محمد الخ فلما روي انه كان يعلمهم التشهد في الصلاة وانه علمهم
كيف يصلون عليه فيها لم يجز ان يقول التشهد واجب
والصلاة غير واجبة والخبر فيهما عنه صلى الله عليه وسلم
فعلى كل مسلم وجبت عليه الفرايض ان يتعلم التشهد في الصلاة
عليه فمن لم يصل ولم يتشهد ولم يصل عليه صلى الله
عليه وسلم فعليه اعادتها انتهى ثم ذكرنا قال المصنف وقال
هذا في قول لا ينبغي الاعتداد عليه
ولا الاستناد اليه ولقد تعجبت منه كيف اقدم على هذه
المقالة الشنيعة وتجاسر على الاتيان بهذه العبارة الوضيعة
وهي قولته غير صحيحة فيا ذي مدعها على نفسه بفضيحة
واي فضيحة وستر حجابا لغة وسنا سوء وثمار براهين
لا مقطوعة ولا ممنوعة من الادلة على وجوبها في التشهد
الاخير الاية المذكورة لاتفاقهم على ان الامر المطلق يقتضي الوجوب
ما لم يقم الدليل على خلافه والله قد امر عباده بالصلاة والتسليم
عليه صلى الله عليه وسلم وثبت ان الصحابة رضوان الله عليهم
سالوه عن كيفية هذه الصلاة المامور بها فقال قولوا اللهم صل
على محمد الخ والسلام الذي علموه هو السلام في الصلاة والتشهد
فمخرج الامرين والتعليمين والمحلين واحد وقد صح انه صلى الله عليه
وسلم لما علمهم التشهد علمهم التسليم فيه فقالوا كيف الصلاة
عليك المامور بها فقال اللهم صل الخ وهما في الصلاة في ظاهر الحال
وتوبده انه لو كان خارج الصلاة كان كل من دخل عليه صلى الله
عليه وسلم يقول له السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته
كما علموه وكذا كل من واجهه بالصلاة عليه بهذه الالفاظ
بتمامها والمنقول انهم كانوا يقولون في تحية الصلاة السلام عليك
يا رسول الله او نبي الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليك ونحوه
فما تعلموه زايد على التحية في الصلاة فخرج هذا مخرج البيان

لما في القرآن وظهر وجه دلالة الاية عليه وان قول الصحابة
قد عرفنا السلام عليك فكيف الصلاة يحتمل ان يراد به السلام في الخروج
من الصلاة كما قاله ابن عبد البر والدليل اذا طرقه الاحتمال
بطل به الاستدلال وان غاية ما ذكرتم دلالة اقتران الصلاة بالسلام
على الوجوب في الصلاة ودلالة الاقتران ضعيفة وهذا انما يتم اذا
سلم وجوب السلام وهو غير مسلم واجيب بان الاول
فاسد يرده لفظ الحديث وتوهمهم هذا السلام عليك لا السلام
فقط حتى يكون السلام من الصلاة والثاني لم يستدل باقترانه وانما
استدل بالامر بها في الاية وهذا سقط ما بعده والدليل الثاني من
السنة ما في البخاري مسندا قال عبد الرحمن بن ابي ليلى لقيني كعب
ابن عجرة فقال الا اهدي لك هدية ان النبي صلى الله عليه وسلم
خرج علينا فقلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف
نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت
على ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على
ابراهيم انك حميد مجيد واخرجه مسلم وغيره من طرق شافيها واصحاب
السنن فان قلت قد علمت من الاحاديث صفة الصلاة
لكنها مطلقة لم تقيد بالصلاة قلت على هذا اتى الحفاظ العلما
والمحدثين من غير نكير على ان المراد بها في الصلاة ولذا اوردت
مذكورة في التشهد في كتبهم دون باب الادعية ولا نكتفي بهذا بل نقول
ورد التصريح بذلك في الحديث ايضا فيما رواه احمد في مسنده من طريق
عن ابن اسحاق قال حدثنا في الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا المرء المسلم صلى الله عليه وسلم في صلاته وساقه الخ والعجب من العلم
رحمه الله انه قال في شرح مسلم في سؤالهم عن الصلاة يحتمل انه في غيره
الصلاة وفي الصلاة والاظهر الثاني لقوله فالسلام كما علمتم انتهى فسبحان
الله كيف ينكر بعد هذا على الشافعي وهذا من زيادة الثقة فهي مقبولة
وقد رواها الشافعي في مسنده فدعاه ذلك الى حمل الاية عليها
فان قلت بعد تخصيصه بالصلاة للنص في الحديث
ما يدل على الوجوب قلت الوجوب معلوم من قوله صلى الله
عليه وسلم صلوا كما رايتموني اصلي ولا نكير منه وجوبها في صلاته
من السنن لقيام دليل خارج على عدم وجوبها ثم ذكرنا حديث احمد
صريحة فيما ذكره وانما يعني ما سبق وفي الادلة ما في مسند احمد لاني

في كلام المصنف ايضا انه صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يدعو في صلاته
لم يحمد الله في صلاته ولم يصل عليه فقال صلى الله عليه وسلم
عجل هذا ثم دعاه فقال له او لغيره اذا صلى احدكم فليبدا بتحميده
والثنا عليه ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعو بما شا
وهو حديث صحيح اخرجه الترمذي والحاكم وابن حبان وقال
انه على شرط الشيخين فان قلت انه هذا يدل على عدم
الوجوب لانه لم يامره باعادة الصلاة وقد يقال ايضا ان هذا الدعا
كان خارج الصلاة لان الترمذي روى هذا الحديث في جامعه عن
فضالة بن عبيد بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدا اذ دخل
عليه رجل فصلى وقال اللهم اغفر لي وارحمني فقال له عجلت
ايها المصلي اذا صليت فقعدت فاحمد الله بما هو اهله وصل علي
ثم ادع وفي رواية بما يحب قلت انه كان غير عالم بوجوبها فلم
يامره بالاعادة ويحتمل انه اعادها وايضا نفل لا تجب اعادته
وما ذكر من الحديث رواية غير ثقات فهو ضعيف لا يصلح لمعارضة
الحديث الاخر مع قوته ورواته على شرط الشيخين وقد ورد
التصريح بانه يتشهد ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم بعده
في الصلاة ثم اورد على قول المص انه اي الشافعي لا سلف فيما قاله
انه قال به جماعة من الصحابة والتابعين منهم عبد الله بن
مسعود راوي حديث التشهد روي عنه انه كان يراها
واجبة في الصلاة وابو مسعود البدري روي عنه مرفوعا وموقوفا
ومنهم عبد الله بن عمر وابو جعفر محمد بن علي بن الحسين والشعبي كما
نقله البيهقي ومقاتل بن حيان ومحمد بن كعب القرظي كما
نقله الماوردي واسحاق ابن راهويه كما نقله المصنف واحمد
ابن حنبل في رواية عنه ومن العجايب ان المصنف انكر على ه
الشافعي مما ذكر وقال في شرح مسلم ما نصه حكى بعض البغداديين
عن مذهب مالك في المسألة ثلاثة اقوال الوجوب والسنة والفضيلة
وحمل بعضهم كلام ابن المواز على الوجوب في الصلاة كمذهب الشافعي
وكلامه يحتمل الوجوب على الجملة ونقله ايضا في كتابه هذا وعبارة ابن
القصار في كتابه عيون الادلة وهو من اجل كتبهم بعد ما نقل ما سياتي
من ادلة المخالفين في فرضيتها في الصلاة وجه ما نقل عن ابن المواز ثم
ما استدل به القائلون بالوجوب فتلون الجلسة الاخيرة للتسليم عليه

وان الصلاة لما تضمنت ذكر الله وتحميده كما في فاتحة الكتاب
وجب ان يذكر فيها الصلاة والسلام على الرسول صلى الله عليه وسلم لا تخلو
الصلاة عن ذكره مع الله كما في الاذان والاقامة تذكر وجهه يدل
على ان ما ل اليه وقال ابن العربي في احكام القرآن ان الصحيح ما قاله
ابن المواز تعينت كيفيته ووقتها كما بيناه في مسايل الخلاف انتهى وهو
امام مشهور من ائمتهم ولذا ذكره ابن الحاجب في منهاجه وشارحه ابن عبد
السلام فظهر منه انه قول راجح في مذهبهم وانه ذهب اليه
كثير من السلف فنسبته الى الشذوذ خطا ظاهر مع ما بينا فقصده من
كلامه هنا وان نقل هذا عن الصحابي ولم يصرح غيره بخلافه يصير اجماعا
سكوتيا وحكمه مفصل في الاصول وعمل الناس على الصلاة عليه
بعد التشهد وتعلمها الصبيان فكيف يدعي خلافه واما ادلة المخالفين
للشافعي كابي حنيفة واتباعه ومالك في احد قوليه واليه
ذهب بعض الشافعية كابن المنذر والخطابي والقشيري كما نقله
المصنف وبعض ادلة وحديث التشهد المروي عن نحو اربعة وعشرين
من الصحابة وليس في رواية منه ذكر الصلاة ثم سردها ورواتها
وفصلها تفصيلا لم يسبق اليه ثم قال والجواب عنه في وجوه منها
انه لم يقل انه جميع الواجب في الجلسة الاخيرة فايجاب الصلاة
فيها ثابت بدليل اخر لا ينافيه ومنها انكم قلتم بوجوب السلام ولم يامرهم
به في هذا التشهد فيلزمكم عدم وجوبه وقد اوجبتموه فما كان
جوابكم فهو جوابنا لثبوته بدليل اخر وايضا التشهد ثبت
بتعليمه وكذا الصلاة فاي فرق بينهما وقد بينا انه مخصوص
بالصلاة كالسلام ومنها ان احاديث التشهد لو كانت نافية للوجوب
كان الوجوب تقدما عليها لان الثاني مستصحب لزيادة علمه
فكيف اذا لم يعارضه رأسا ورد ايضا بان التشهد فرض حين نزلت
الصلاة وفرضت الصلاة عليه حين نزلت اية الاحزاب
بعد تخييره ازواجه فالتشهد كان تعلمه قبل فرضها فلا يضر
عدم ذكره في تلك الرواية فلذا قالوا انه قد عرفنا السلام فكيف
نصلي عليك فان قلت فما تقول في الحديث الصحيح
المروي الذي فيه انه صلى الله عليه وسلم اخذ بيد ابن مسعود
وعلمه التشهد الى قوله اشهد ان محمدا عبده ورسوله
ثم قال فاذا قلت هذا او قضيت هذا فقد قضيت

صلاتك ان شئت ان تقوم فقم وان شئت ان تقعد فاقعد فانه
يدل على ان الصلاة عليه فيها ليست بواجبة ولا سنة كما قاله
ابن عبد البر في التمهيد لكن هذا مطعون فيه وقد قال
الدارقطني في العلل انه من زيادة زهير مدرجة في الحديث
ووصله بكلام النبي صلى الله عليه وسلم وليس منه وتتبع طرق
شاهدة لما قالوه وايضا انه يحتمل انه قبل ايجاب الصلاة عليه
وايضا هو ورد نفيا لما كانوا يقولونه السلام على الله فقال لهم
لا تقولوا هذا فان الله هو السلام ولكن قولوا كذا فمع سابق علمهم
وجوبه ولذا لم يتعرض لذكر السلام مع وجوبه مع ان المستند لبعض
اصحابنا ابي حنيفة القائلين بان التشهد ليس بواجب وانما الواجب
الجلوس بمقداره فلو تم هذا كان دليلا عليهم لانهم لا يعدونه
تمام الصلاة على التشهد وهم لا يقولون به فبطلت المعارضة
به ولا يصح ان يقال المراد تمام الاستحباب لانه موقوف عليها
عندهم انتهى زبدة ما ذكره الامام الخيضري بما يخصنا هنا وقد
بالغ الشافعية في الرد على المصنف وتخطئته فيما قاله كما سمعته
ولكن اذا امعنت النظر علمت انه نا قل لما قاله الطحاوي ومن
تبعه وما علينا الا تصحيح نقله وما على الرسول الا البلاغ
ففيما قالوه ايضا تحامل عليه لكن الجزاء من جنس العمل وهذا
من لباب الالباب الذي لا تجده في غير هذا الكتاب وها هنا بحث
ذكره الاسنوي رحمه الله في التمهيد وهو ان الامر بعد سؤال
التعليم كالامر بعد الاستئذان او بعد التحريم يفيد الاباحة عند
الشافعية والوجوب عند ابي حنيفة فلا يستقيم استدلالهم
على وجوب الصلاة عليه بقوله قولوا اللهم صل على محمد فقولهم
كيف نصلي عليك الان تعال استفيد الوجوب من امر جاء بعد سؤال
فيكون الامر للوجوب لانه بيان لكيفية واجب انتهى وفيه
نظر **فصل في المواطن** اي الاماكن فهو من
قبيل المشغول لانه معناه مكان التوطن والاقامة **التي تستحب**
وتليس **فيها الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه
وسلم وترغب** بالبناء للمجهول للمفعول من الترغيب ويجوز تخفيفه
وهو عطف تفسير والرغبة معرفة ما فيه من الفوائد والثواب
من ذلك المستحب المرغب فيه **في تشهد الصلاة** وهو الثنا

على

على الله في الجلسة فيها وسمي تشهدا باسم جزئه وهو قوله فيها اشهد
ان لا اله الا الله الخ واطلقه ليشمل الاول والاخير فانها مستحبة في الاول وواجبة
في الاخير كما تقدم تفصيله **كما قدمناه** في الفصل الذي قبله **وذلك**
اي موطنه ومحله المعلوم مما قبله **بعد التشهد** اي قوله اشهد ان محمدا
رسول الله **وقبل الدعا** الماثور في كتب الفقه ان بما **حدثنا القاضي ابو علي**
هو ابن سكرة شيخه كما تقدم **بقراتي عليه** لا بغيرها من طرق الاجازة
حدثنا ابو القاسم البلخي لبلخ مدينة معروفة **قال حدثنا الفارسي** تقدمت
ترجمته **عن ابي القاسم الخزاعي عن الهيثم** ابن كليب **عن ابي عيسى الحافظ**
هو الترمذي صاحب الشمائل والسنن وقد تقدم **قال حدثنا محمود بن
غيلان** ابو احمد الحافظ المروزي اخرج له اصحاب السنن وتوفي سنة تسع وعشر
ومائتين **قال حدثنا عبد الله بن يزيد المقرئ** وفي نسخة زيد بدون يا والصواب
الاول وهو المعروف بالمقيم البصري نزل مكة وتولى العمر بن الخطاب
وهو حافظ ثقة روى عن ابي حنيفة وغيره وتوفي سنة ثلاث عشرة وما
تين **عن حيوة بن شريح** تقدم بيانه وحيوة على خلاف القياس في الاعلام
وقياسه حية **قال حدثني ابو هاني الخولاني** اسمه حميد بن هاني وهاني
بهمزة في اخره يجوز ابداله يا وقال البرهان انه احمد بن هلال وهو ثقة
توفي سنة اثنين واربعين ومائتين **ان عمرو بن مالك الجنبي** في نسخة عمرو
بواو وهو الصواب وهو ابو علي الجنبي بفتح الجيم ثم نون ساكنة وبا موحدة
نسبة لجنب بطن من مذحج وهو مصري ثقة وذكره في الميزان توفي
سنة اثنين او ثلاث ومائة **اخبره انه سمع فضالة** بفتح الفا والضاد
المعجمة واللام **ابن عبيد** بالتصغير بن نافذ بن قيس الانصاري الاوسي
ابو محمد الصحابي ولي قضاء دمشق وتوفي سنة ثلاث وخمسين ومائة واخرج
له احمد وغيره **يقول سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته**
بعد التشهد في الجلسة الاخيرة **فلم يصل على النبي صلى الله عليه
وسلم** بعد تشهده **فقال صلى الله عليه وسلم عجل هذا** بفتح العين وكسر
الجيم اي اسرع بدعائه واتى به في غير محله قبل ان يصلي على النبي صلى الله
عليه وسلم لان الدعا معلق حتى يصلي عليه كما اتى فان من سال حاجة
لا بد له ان يقدم وسيلة موصلة لقضا حاجته **ثم دعاه** اي طلب
ذلك الرجل وقربه اليه **فقال له او غيره** اي وجه خطابه لغيره وهو
يسمع وهو المراد بالاعلام وفي نسخة ولغيره بالواو **اذا صلى احدكم فليبدا**
بالهمزة اي يقدم على دعائه ليتقبل **بتحميد الله والثنا عليه**

عطف تفسير بيان ان المراد ما يعم المدح والثنا لا خصوص الحمد ه
والمراد قوله التحيات الخ وفي كيفيته روايات مختلفة بلغت نحو ثلاثة
عشر كما فصل في محله ثم يصلي علي ثم ليدع بلام مكسورة او ساكنة للامر
بما شا من الخير والدعا بالماثور افضل ويروي من غير هذا السند الذي رواه
المصنف عن الترمذي ورواه ابو داود بتمجيد الله بميم وجيم ودال
مهملة ومعناه التعظيم ومعناهما متقارب والرواية الثانية لابن
ماجه بسند اخر وهو اصح رواية لقوة سنده لا من حيث المعنى وان قيل
انه امدح وفيه نظر وانما يتم استدلال المصنف به ان كان في الصلاة
وقد استدل به الشافعي على وجوبها فيها وقد نوزع فيه فانه ورد
من طريق اخر بينا رسول الله الله قاعد اذ دخل عليه رجل فصلى وقال
اللهم اغفر لي وارحمني فقال صلى الله عليه وسلم عجلت ايها المصلي
اذا صليت فقعدت فاحمد الله بما هو اهله وصل علي ثم ادع وظاهر
قوله فقعدت انه كان بعد الصلاة فلا يدل على مدعاه اقول
قد اجاب الخيضري عنه باجوبة حاصلها انه ليس نصا فيما ذكرته لان
المراد بالقعود الجلسة الاخيرة في التشهد فقد ورد التصريح به في رواية
اخرى فاندفع الايراد وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما رواه الترمذي
قال الدعا والصلاة عطف تفسير او المراد به العبادة المخصوصة
الا انه قيل ان هذا اللفظ اي الصلاة ليس مذكورا في الترمذي وهو
المشهور معلق كل منهما اي موقوف قبوله وهو استعارة او حقيقة لان
الملائكة لا تصعد به بين السما والارض لا يصعد الى الله منه
شي لعدم رضاه برفعه اليه حتى تصلي عليه صلى الله عليه وسلم
لان اعمال المومنين تكتب وترفع الى السما اذا قبلت وقبولها متوقف
على الصلاة عليه لانه هو الذي هدانا وارشدنا الى الله وهو وسيلتنا
العظمى اليه وقد فسر قوله تعالى لا تفتح لهم ابواب السما بهذا والرفع
والصعود من صفات الاجسام فالمراد رفع صحفها وقيل انها تجسم
ولا مانع منه وعن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه رواه البيهقي وابن
عساكر وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم معناه اي بمعنى حديث
عمر الا انه زاد فيه وقال وعلى ال محمد فلا بد من الصلاة
على الال مع الصلاة عليه وهذا هو الاكمل ووجوبها تقدم الكلام
عليه وروي رواه عبد الرزاق والطبراني بسند صحيح عن
ابن مسعود ان الدعا محجوب عن السما فلا تفتح له ويلزمه انه لا يقبل

ويجوز

ويجوز ان يكون تمثيلا واستعارة لعدم القبول حتى يصلي الداعي على النبي
صلى الله عليه وسلم وليس في هذا دليل على وجوبه في الصلاة اذ القبول
ليس من شرائط الصحة ومن ادعاه فقد تبرع بما لا يمكنه ولا يقبل ولو عد
المصنف هذا موطنا مستقلا كان اولى كما فعله غيره لكنه ادرجه في التشهد
لانه محل الدعا ايضا وعن ابن مسعود في حديث صحيح مسند اذا اراد احدكم
ان يسال الله شيا ويدعو به فليبدا بمدحه والثنا عليه بما هو اهله
اي بما يستحقه ويليق به كما ارشدنا لذلك في سورة الفاتحة قال ابن برجان
في تفسيره اذ قيل لكن ان احدا احيانا يقرا الفاتحة فلا يذكره وليقراها
ملاحظا للثنا عليه وحده لانه المنعم بجميع النعم الدنيوية والاخروية
جليلها ودقيقها كما اشار اليه بقوله بسم الله الرحمن الرحيم الخ ثم يلاحظ ه
عظمته وجلاله المشير اليه بقوله مالك يوم الدين ثم يخضع غاية الخضوع
كما يشير اليه قوله مالك اياك نعبد ثم يفوض اموره اليه لقوله اياك نستعين
ثم يساله حاجته لقوله اهدنا الخ ولذلك سميت سورة تعليم الدعا ثم يصلي
على النبي صلى الله عليه وسلم ليستشفع باقرب مخلوقاته واحبهم اليه
فانه الوسيلة العظمى فانه اي دعاه بهذه الكيفية احرى اي احق ه
والنبي ان ينجح بضم اوله مبني للفاعل من انجح اذا فاز وبلغ مقصوده ومطلوبه
وهذا الحديث رواه عبد الرزاق والطبراني وابن ابي الدنيا بسند
صحيح فيقدم صلاته على النبي صلى الله عليه وسلم ويختم بها ويوسطها
في دعائه كما قاله الخيضري ويدل له ما ياتي فكلما اكثر من صلاته تحقق
الاجابة وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما رواه البزار وابو يعلى والبيهقي
في شعب الايمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوني
كقدح الراكب اي من يريد ركوب راحلته لسفر ونحوه بملو قدحه
وهو اناء صغير من خشب ونحوه ليشرب به ثم يضعه عنده ويرفع
متاعه الذي يريد حمله على راحلته لسفر ونحوه فان احتاج الى شرابه
اي شرب ما شربه اي شرب ما في قدحه الذي وضعه فيه او الوضو من ما قدحه
توضا بالهمزة ويجوز ابدالها الفا والا اي وان لم يكن محتاجا لشرب
او وضو هراقه تفعيل برضا في اهراقه ماه اي صبه على الارض
لاستغنائه عنه واصل هراق اراق فابدلت همزتها هاء وقد يجمع بينهما
فيقال اهراقه وتفصيله في كتب اللغة والعربية قال ابن الاثير وغيره
معناه لا تؤخروني اذا صليتم علي في الذكر وتجعلوا ذكري تبعا لذكره بلا اعتنا
به فقدموه واذكروه في وسطه واختموا به كما اشار اليه بقوله ولكن اجعلوني

اي اجعلوا ذكري بالصلاة علي في اول الدعا واوسطه واخره ففيه
تشبيه تمثيلي بليغ لتاخر ذكره عن دعايه كالذي يريد الركوب لرحيله
يبدو بمتاعه فيحمله ويجمع ماله وقدحه موضوع على الارض ثم ينظر
لقدحه فياخذه فانيه او يرميه وهذا القول حسان رضي الله عنه
في هجايه

٥ فانت هجين نيط في ال هاشم ٥ كما نيط خلف الراكب القدح الفرد ٥

والراكب يجعل القدح خلفه وفي هذا الحديث زيادة على ما قبله بجعله
اوله ووسطا واخرا وقال ابن عطا ابو العباس احمد ابن محمد بن سهل
الادمي وهو من اجل مشايخ الصوفيه توفي سنة تسع وثلاثمايه
للدعا اركان اي امور مهمة لا بد منها شبهت باركان البنا ومنه
اركان الصلاة عند الفقها واجنحة جناح الطير كاليد للانسان يحصل
بها ما يريد وفيه استعارة تخييلية ومكنية ما هو مقدمة لقبوله
ورفعه الي السما بالاجنحة للطاير واسباب اي وسايل للوصول
للمطلوب والفوز به واوقات مخصوصة يكون فيها اسرع اجابة كاوقات
الصلاة فان وافق اركانه اي قارنها وكانت تامة قوي اي كمل وتم كما يتقوي
البنا والبدن باركانه وان وافق اجنحته بان كان له اجنحة كاملة طار
في السما اي صعد اليها وصعد كما مر وان وافق مواقيته جمع ميقات
بمعنى الوقت اي ان وقع في اوقاته فاز اي ظفر بالاجابة
وحصلها وان وافق اسبابه انجح اي تم وكمل حاجته وسعادته ثم بين
ذلك فقال فاركانه حضور القلب اي توجهه توجها تاما بجميع
فكره وحواسه والرقة اي رقة القلب وفسرها بقوله والاستكانة
اي الخضوع والانقياد والخشوع بالمذلة والخوف وعدم رفع الصوت
والبصر وتعلق القلب بالله بقطع النظر عما سواه وقطعه ٥
الاسباب بان لا يرجوا غيره كما في الدعا الماثور اللهم اقذف في قلبي رجاك
واقطع رجاي عما سواه واجنحته الصدق بان يوقن بانه لا يعطي ولا
مانع غيره تعالى وفي الحديث الصدق يهدي الي البر والصدق
معناه خلوص النية والطوية ومواقيته الاسحار اي اواخر
الليل لانها محل الاجابة وتجلي الرحمن وقربه من عباده وهو ادعى
في التوجه وفيه تهب نفحات الرحمة ونسمات الخير كما قال
تعالى وبالاسحار هم يستغفرون وقال وقران الفجر ان قران الفجر
كان مشهودا واسبابه المشروعة لحصول المراد الصلاة على محمد

صلى الله عليه وسلم كما تقدم وقال اسبابه والمراد اسباب اجابته ففي ذكره
اشارة الي انه بدونه الاجابة كالعدم وفيه اشارة الي الحديث
ينزل ربنا كل ليلة الي سما الدنيا في الثلث الاخير فيقول من يدعوني فاستجيب
له ومن يسالني فاعطيه ومن يستغفرني فاغفر له كما في الصحيحين
وقد اختلفوا اهل الدعا افضل لما فيه من التذلل والافتقار او السكوت
لما فيه من التسليم والرضى فذهب الي كل طايفة وقيل انه
يختلف باختلاف الاحوال وهو الارجح عند البعض وفيه كلام ليس
هذا محله وفي حديث لم يذكروا من رواه الدعا الواقع بين ٥
الصلاتين علي بان يصلي عليه صلى الله عليه وسلم قبله وبعده
لا يرد اي بسببهما بذلك الدعا فان الصلاة عليه مقبولة ومن كرم
الله تعالى اذا قبل الطرفين لا يترك ما بينهما وسيل السنوسي رحمه
الله عن القطع بقبول الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فاجاب
بانه منصوص عن السلف واستشهد بانه لو قطع للمومن المصلي عليه
لقطع له بحسن الخاتمة اذ ادعي لجامع الصلاة وبين الصلاة
عليه وهو مجهول لكل احد واجاب بان معنى القطع بقبولها
انه اذا قضى الله له بخاتمة الايمان وجدت حسنة الصلاة على
النبي صلى الله عليه وسلم مقبولة بلا ريب فيها بفضل الله بخلاف سايره
الحسنات فانه لا وثوق بقبولها ويحتمل انها اذا صدرت على سبيل الحمد
من صاحبها يقطع بانتفاعه بها في الآخرة بوجه ما ولو بتخفيف العذاب
وفيه نظر وفي حديث كل دعا محجوب دون السما كما في حديث
الترمذي عن عمر رضي الله عنه فاذا جات الصلاة علي اي ذكرت معه
صعد الدعا الي السما اي قبل واستجيب وقد اخرج الديلمي انه صلى الله
عليه وسلم قال الدعا محجوب حتى يصلي على محمد واهل بيته
وفي دعا ابن عباس الذي رواه عنه حنش بفتح الحا المهملة والنون
وشين معجمة وهو ابن عبد الله بن عمرو بن حنظلة بن فهد ابو رشد
التابعي الصنعاني احد الداخلين الي الاندلس في صدر الاسلام
وله رواية عن علي وابن عباس وغيرهم الا ان هذا الحديث لم يرد عنه
في الكتب ورواه لغيره توفي بافريقية سنة مايه وقيل انه توفي
بسرقسطة فقال في اخره اي اخر الدعا واستجب دعايي ثم تبدا
بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم قبل ما تدعوا به وتقول
اسالك ان تصلي على محمد عبدك ورسولك صلاة من افضل

ما صليت على احد من خلقك اجمعين امين اي استجيب وهو اسم فعل
لدفائه قلت هل يجوز ان يقال صلى على سيدنا محمد قلت
يجوز اتباع المأثور فيه ولكن اختلف في ايهما الافضل رعاية الادب
او امتثال الامر فذهب الى كل من القولين بعض وقيل امتثال
الامر عين الادب وهو الظاهر ولنا عودة الى بسط الكلام فيه
واطلاق السيد عليه صلى الله عليه وسلم جائز ولذا على الله وفيه
خلاف ليس هذا محله وفي مواطن الصلاة عليه صلى الله عليه
وسلم واماكنها عند ذكره وسماع اسمه او كتابته وتقدم القول
بان ذلك واجب كلما ذكر او سمع وذكره اعم من ان يكون في الصلاة او عند
قراءة القران كما ذكره الخضيري في كتابه اللواء المعلم ورواه عن
السلف وعند كتابة اسمه هل يكتفي بكتابة الصلاة عليه او الافضل
ان يتلفظ به تردد فيه بعضهم والافضل ان يكتب ويتلفظ به
او عند الاذان اي بعده وهو مستحب للمؤذن وسامعه لما رواه
مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل
ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا
الحديث الاتي مع الكلام عليه وهل يقتصر على الصلاة او يذكر معها
السلام لما ذكروه من كراهة الاقتصار عليها مطلقا للاية السابقة
صرح به النووي وقال غيره يقتصر عليها لظاهر حديث مسلم قال
الخضيري وقال بعض الحفاظ كنت اكتب الحديث فاكتب الصلاة فقط
فرايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال لي اما تتم الصلاة في
كتابتك فما كتبت بعد ذلك الا صليت عليه وسلمت قال
الخضيري وتستحب الصلاة ايضا بعد الاقامة لما رواه الطبراني في كتاب
الدعاء عن ابي الدرداء انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا سمع المؤذن يقيم يقول اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة
القائمة اعط محمدا سؤله يوم القيامة يسمعها من حوله ويحب
ان يقولوا مثل ذلك وهذا مما سكتوا عنه وفي قال صلى الله عليه
وسلم في حديث رواه مسلم عن ابي هريرة رغم انف رجل ذكرت
عنده فلم يصل علي فيدخل فيه ما في هذا الموطن كله لان الذكر يشمل ذكره
وذكر غيره والكتابة ذكر معنى وهذا دعا عليه بان يذله الله
لعدم اعزازه رسوله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر عنده فلم يصل عليه
ورغم يرغم كسال يسال رغما ذار غمه الله اذله وهو من الرغام بمعنى

التراب فجعل عبارة عما ذكر ولذا ذكر الانف الذي من انفه بعد ويقال
رفع انفه اذا تكبر وهذا الحديث رواه الترمذي عن ابي هريرة رضي
الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل
علي ورغم انف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل ان يغفر له ورغم
انف رجل ادرك عنده ابواه الكبر فلم يدخلاه الجنة ورواه الحاكم وقال
هو صحيح الاسناد وسياتي الكلام عليه عند ذكر المصنف له برمته
وذكره ابن حبيب وهو عبد الملك بن حبيب بن سليمان ابن هارون
السلمي من ولد العباس من مرداس الصحابي وقيل عبد الملك بن سليمان
وهو فقيه نحوي طبيب مفسر محدث الا انه لم يكن له نقد ونظر تام في
الحديث توفي سنة ثمان او تسع وثمانين ومائتين ذكر النبي صلى الله عليه
وسلم عند الذبح وهو مذهب مالك وقال غيره يستحب وانما كره
لئلا يكون مما اهل به لغير الله والى هذا ذهب الحنفية كما في المحيط وخالفهم
الشافعي في الام فقال والتسمية على الذبيحة عند الذبح باسم الله ولا اكره
ان يقول وصلى الله على رسول الله بل احبه وقال المزني انها لا تستحب
ولا تكره فهي مباحة وقال الازدي يختص بما اذا كان قربة كالاضحية وقال
الرافعي لا يجوز ان يقول باسم محمد ولا باسم الله واسم محمد وذهب بعضهم
الى ان ما ذبح باسم غير الله لا يحل اكله وكذا ما ذبح للكعبة او عند قدوم سلطان
وقيل ان قصد التبرك جاز ونقل عن ابن حنبل فيه خلاف وكذا اختلف
انه لا تستحب عند العطاس كما ياتي وقيل انما يكره اذا لم يقصد تعظيم
الحمد والصلاة على من سنه وقال الخطابي الذي تحصل من كلام المالكية
ان في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند الذبح والعطاس قولين وتكره
عند الجماع والحاجة انتهى وذكره سحنون الفقيه المشهور المالكي واسمه
عبد السلام بن عبد السلام ابن سعيد بن حبيب بن حسان التنوخي وهو
بمرتبة من الكمال فضلا وزهدا وسماحة ولد في رمضان سنة ستين او احدى
وستين ومائة وتوفي لتسع خلون من رجب سنة اربعين ومائتين وعمره
ثمانون سنة كما في الميزان وسينه مضمومة ويجوز منع صرفه وفتح سينه
ايضا كما سياتي الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عند التعجب
لرؤية امر عجيب وهو مذهب مالك واليه ذهب الشافعية
كما في الاذكار للنووي وقال الحليمي من الشافعية لا تكره كسبحان الله لانه
التسبيح تنزيه لموجد العجائب والصلاة عليه لانه اعظم المخلوقات
واعجبها والشي بالشي يذكر وقال القاضي خان لو راى شيا جيدا فقال اللهم

صلى على محمد ان تصد الاعلام بجود تذكره والناس يستعملونه نظما ونثرا
قال عرقلة

اقبل بهيرفي غلالته • من ليس يشفي لعاشق علة
نقاد كل امرنا مثل • الف صلاة على رسول الله

وقلت في مطالع قصيدة •

ظبي على الصب سلم • صلى على المصطفى وسلم

وقال سحنون لا يصلى عليه صلى الله عليه وسلم الا على طريق الاحتساب اي من غير سبب بل خالصا لوجه الله وحسبه وطلب الثواب لا لتعجب وغيره كما امرنا الله به تعظيما له صلى الله عليه وسلم واما عند الضحك ورؤية مستقذر فقالوا اخشى عليه الكفر وقال العيني رحمه الله لا يوتى بها عند الغضب خوفا من ان تحمله الغضب على الكفر ونقله النووي في اذكاره عن بعض اشياعه واقره عليه وقال اصبغ هو ابو عبد الله اصبغ بن فرج بن سعيد بن نافع الاموي مولى عمر بن عبد العزيز المصري الفقيه الجليل المحدث روى عنه البخاري وغيره وتوفي سنة خمس وعشرين ومائتين في تولد عن ابن القاسم عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة المصري امام الفقه صاحب الامام مالك وهو ثقة حجة توفي سنة احدى وتسعين ومائة وارتحل الى مالك اثني عشر مرة انفق في كل مرة الف دينار موطنان لا يذكر فيهما الا اسم الله الذبيحة والعطاس فلا يقل فيهما محمد رسول الله اي لا يقول فيهما باسم الله وباسم محمد رسول الله لئلا يكون الاهلال في الذبيحة لغير الله والعطاس يدل على قوة الدماغ الدافع لذي البخار فهو نعمة من الله خفية لا يقدر عليها غير الله فيذكر اسمه شكرا له على نعمه دون غيره قال اصبغ ولو قال بعد ذكر الله فيهما وصلى الله على محمد لم يكن ذلك تسمية له مع الله ولكنه صلاة عليه بنية التقرب الى الله بالصلاة عليه فلا تكره وعن ابي مسعود الخدري عنه صلى الله عليه وسلم قال من عطس فقال الحمد لله على كل حال وصلى الله على محمد وعلى اهل بيته اخرج الله عز وجل من منخره الايسر طائرا يقول اللهم اغفر لقائلها اخرجه الديلمي في الفردوس بسند لا بأس به وعطس رجل عند ابن عمر رضي الله عنهما فحمد الله فقال له لقد بخلت هلا حيث حمدت الله صليت على نبيه صلى الله عليه وسلم ذكره ابن البيهقي استحباب الصلاة عليه عند العطاس والذبح ذهب جماعة وقال اخرون

لا يستحب ولكل موطن ذكر يخصه واسند لو اعيد بث لا تذكروني في ثلاث مواطن عند العطاس والذبيحة والتعجب ورد بعد تسمية الطعام بدل التعجب اخرجه الديلمي في مسنده وفيه من اتهم بالوضع وقال الحنفية يستحب لمن تعجب ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ذكره شيخنا وقال اخذته من نص الشافعي في قوله احب ان تكثر الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ذكره شيخنا وقال اخذته من نص الشافعي في قوله احب ان تكثر الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في كل الحالات فدخل ذلك في عمومه وفيه نظر وقاله اشهب اي كما قال اصبغ واشهب هو ابو عمر كعب مسكين بن عبد العزيز بن داود بن ابراهيم العلي ولد سنة اربعين ومائة وقيل سنة ست وخمسين وتوفي سنة ثلاث او اربع ومائتين بعد الشافعي بثمانية عشر يوما وسنه اربع وستون واخرج له اصحاب السنن وهو احد فقهاء مصر المالكية حتى فضل على ابن القاسم قال اشهب ولا ينبغي ان تجعل الصلاة فيه اي فيما ذكر من الذبيحة والعطاس استنانا اي سنة وطريقة لانه تشريع لم ينقل وقيل الاستنان هنا بمعنى الفرح والنشاط واللعب وقيل معناه سنة تجري فيه في غير طريق وهو خلاف الظاهر الذي عليه الشراح الاول والكلام على ذكر الله والتسمية عند الذبح وانه سنة او واجب مفصل في الفروع وروى النسائي وابو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه عن اوس ابن اوس الثقفي الصحابي ويقال اوس ابن ابي اوس كما في الاستيعاب عن النبي صلى الله عليه وسلم الامر بالاكثار من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وليلتها لانه افضل الاوقات ولما فيه دان الصلاة عليه تعرض عليه فيه فالحديث المذكور من افضل ايامكم يوم الجمعة فيه خلق الله ادم وفيه قبض فيه والحديث المذكور من افضل ايامكم يوم الجمعة وفيه النفخة وفيه الصعقة فاكثروا من الصلاة فيه علي فان صلاتكم معروضة علي قالوا يا رسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد ارمت يعني بليت فقال ان الله حرم على الارض ان تاكل اجساد الانبيا وفيه احاديث اخر جمعناه وهذا احد مواطن الصلاة عليه ومن مواطن استحباب الصلاة عليه والسلام دخول المسجد والخروج منه كما سيصرح به لوروده الامر به في الحديث وقال ابو اسحاق بن شعبان هو محمد بن قاسم المصري وقد تقدم بيانه

ويبنغي لمن دخل المسجد ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله
تعالى كما مر وان يترحم عليه وعلى آله اي يقول اللهم ارحم محمدا وآل
محمد وقد تقدم الكلام في الدعاء له بالرحمة وما فيه ويبارك عليه
وعلى آله اي يقول اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد اي زد البركة وادمها
لهم كما تقدم شرحه ويسلم تسليما اي يقول صلى الله عليه وسلم تسليما فيأتي
السلام مؤكدا كما هو في الآية الكريمة وتقدم ان النووي
كره افراد الصلاة عن السلام ويقول بعد الصلاة والسلام وفي
الاذكار يقول اعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه
القديم من الشيطان الرجيم اللهم صل على محمد وعلى آل محمد اللهم اغفر لي
ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك وروى النسائي وابن ماجه اذا دخل
احدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليقل اللهم افتح لي
ابواب رحمتك فاذا خرج صلى وقال اللهم اني اسألك من فضلك وفي رواية
اجرني من الشيطان وما في معناه وفيما ذكره النووي زيادة وسيأتي للمصنف
ذكرها في آداب المسجد النبوي فيسن وينبغي ذكر السلام ايضا وسيأتي
ما يفتح به في ذلك لان المساجد محل العبادة والثواب والرحمة والمراد
بابواب الرحمة انواعها وفتحها تيسيرها فاذا اعطاؤها وعبر بالفتح
والابواب لمناسبته للدخول ففيه من اللطف ما لا يخفى وكذا في قوله
واذا خرج من المسجد يقول مثل ذلك اي يقول ما قاله بعينه
وجعل موضع رحمتك فضلك لان من خرج من المسجد يخرج لكسبه
ومصالحه ملتمسا لفضل الله كما قال فاذا قضيت الصلاة فانتشروا
في الارض وابتغوا من فضل الله والحديث في مسلم الا قوله وترحم وبارك
وقال عمرو بن دينار وهو ابو محمد مولى قيس الامام المكي التابعي توفي
سنة ست وعشرين ومائة وله ترجمة في الميزان في قوله تعالى
فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم الآية فهذا احد المواطن
وفي هذه الآية اقوال للمفسرين فقيل البيوت المساكن وقيل
المساجد كما يأتي وفي قوله على انفسكم وجهان ايضا فقيل هو على ظاهره
وقيل المراد من فيها بجعله كنفسه لاتحاد جنسه واهله
وقال التحية من عند الله مباركة طيبة ومعنى كونها من عند الله انه امره
بها وطيبها لذلك ولطيب الانفس بها التي تستحب فيها الصلاة على النبي
صلى الله عليه وسلم عند دخول المرء منزله قال الامام الخضري في اللواء
المعلم روى ابو موسى المديني عن سهل بن سعد قال جاء رجل الى النبي صلى الله

علي

عليه وسلم فشكا اليه الفقر وضيق العيش او المعاش فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا دخلت منزلك فسلم ان كان فيه احد او لم يكن ثم سلم
علي ثم اقرأ قل هو الله احد مرة واحدة ففعل الرجل فادر الله عليه الرزق
حتى افاض عليه خيرا قال اي ابن دينار وان لم يكن في البيت
احد فسلم عليه فقل السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين من الملائكة وغيرهم السلام على اهل
البيت ورحمة الله وبركاته كلام المصنف هنا في استحباب
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لمن دخل المسجد وهذا التفسير لا يوافقه
لانه لم يذكر فيه صلاة وهو مبني على ان المراد بالبيوت المنازل فلعله تعالى
ذكره استطرادا او تتميما لكلام المفسرين فيها او يقال انه اذا شرع التسليم
على اهل كل بيت فبيت نبيه الله واهله اولى ولكن حمل التحية على هذا على
الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم مع انه خلاف الظاهر لم يقله المفسرون
فان التحية عندهم على هذا بمعنى السلام على من بالمنزل لما رواه الترمذي
من انه صلى الله عليه وسلم قال اذا دخلت على اهلك فسلم يكن بركة عليك
وعلى اهل بيتك كذا قيل وهو تكلف لا داعي له قال ابن عباس
رضي الله عنهما فيما رواه عنه ابن ابي حاتم المراد بالبيوت هنا اي
في هذه الآية المساجد لانه ورد اطلاقها عليها حقيقة فاذا دخلها سن
له الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كما تقدم تفصيله وقال النخعي
بفتح المعجمة نسبة لقبيلة وهو ابراهيم بن يزيد بن الاسود بن عمرو بن
ربيعة فقيه الكوفة المشهور توفي سنة خمس او ست وتسعين لا والد
الاسود بن يزيد الكوفي كما قيل لان الاول هو المتبادر لشهرته اذا لم يكن
في المسجد احد ودخلته يا رجل فقل السلام على رسول الله صلى الله عليه
وسلم تحية من عند الله مباركة طيبة واذا لم يكن في البيت احد فقل
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وهذا يقتضي استحبابها بالالتزام
عليه صلى الله عليه وسلم ان لم يذكر فيه الصلاة عليه صلى الله عليه
وسلم وهكذا ورد في الحديث كما تقدم وقد عدوا من مواطن الصلاة
عليه صلى الله عليه وسلم دخول المنزل والمسجد كما علم وعن علقمة
ابن قيس ابو شبل الفقيه كما تقدم اذا دخلت انا المسجد اقول
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته صلى الله وملائكته
على محمد كما تقدم من انه يسن لداخل المسجد والخارج منه ان يصلي على النبي
صلى الله عليه وسلم وفي هذا زيادة السلام على الصلاة وتقدم ندبه

عدها ونحوه مروي عن كعب الأحبار وقد تقدم بيانه إذا دخل المسجد
وإذا خرج منه ولم يذكر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وهي مستحبة
أيضا وأخرج ابن شيبة ما ذكره فيما تقدم من استحباب أن يصلي عليه
صلى الله عليه وسلم وعلى آله ويترحم عليهم ويبارك ويسلم تسليما عن حديث
فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يفعله إذا دخل المسجد الذي
تقدم إلا أنه ليس فيه ترحم ويبارك ومنقطع أي حديث فاطمة ونحوه روي
عن أبي بكر بن عمرو بن حزم هو محمد بن عمرو بن حزم قاضي المدينة وأميرها ولد
قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين فسماه النبي صلى الله عليه وسلم
محمدا وكناه أبا عبد الملك ولد بنجران وأبوه عامل عليها من قبله صلى الله عليه وسلم
في سنة عشر من الهجرة فسماه أبو سليمان وكتب بذلك إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فأمره أن يسميه محمدا ويكنيه بعبد الملك ففعل توفي في سنة
عشرين ومائة وأخرج له الستة وذكر أي ابن حزم السلام والرحمة أي الدعا
بها ولقد ذكرنا هذا الحديث يعني حديث فاطمة الزهراء في آخر القسم الثاني من
هذا من هذا الكتاب وذكرنا الاختلاف في بعض ألفاظه لتعدد طرقه
وتخايرا لبعض ألفاظه ومن مواطنها أي الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم
التي تستحب فيها الصلاة على الجنائز وهي عند الشافعي رضي الله عنه
من أركانها بعد التكبيرة الثانية وتقرأ بعد الأولى سورة الفاتحة
ثم يدعو للميت بعد الثالثة كما بينه الفقهاء وتجزئ الفاتحة بعد غير
الأولى وعن أبي أمامة هو أسعد بن سهل بن حنيف بن واهب بن العكيم بن
ثعلبة الأنصاري ولد في زمنه صلى الله عليه وسلم فكناه وبرّك عليه
ولم يسمع منه صلى الله عليه وسلم وحديثه مرسل وتوفي سنة مائة
وأخرج له الستة أنها من السنة فتستحب في صلاة الجنازة عنده وليست
من أركانها وذهب الشافعي في أحد قوليه أنها واجبة واستدل بقول
أبي أمامة هذا لأن مراده بالسنة طريقته صلى الله عليه وسلم
فتشمل الواجب وغيره وقول الصحابي ونحوه من السنة كذا في حكم المرفوع
واختلفوا في الصلاة على الآل هنا أيضا فقيل واجبة وقيل سنة
فروى المزني أنه يحمد الله ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويدعو
للمؤمنين والمؤمنات وقيل إن التحميد لا يعرف هنا ويصلي على
النبي صلى الله عليه وسلم عند إدخال الميت قبره أيضا فيقول بسم
الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رواه الترمذي
وأبو داود وهذا الحديث رواه الشافعي في الأم إلا أن في سنده ضعفا

كا

كما قاله الحنفية وأحمد ومالك ومن مواطن الصلاة التي تستحب فيها
التي مضى عليها عمل الأمة ولم ينكرها الأئمة الصلاة على النبي صلى الله عليه
وسلم وعلى آله تبعا له في الرسائل جمع رسالة كعصابة بمعنى المقصود وهو المكتوب
الذي يرسل مطلقا ولا وجه لتخصيصه بما يكتب بين الإخوان كما قيل — عرض
وما يكتب بعد البسملة أي كتابة بسم الله الرحمن الرحيم وهو من باب النحت كالحوقلة
والسبحلة وليس بمولد كما قيل لسماعه من العرب كما رواه الثقة وكتابة
البسملة سنة في الكتب مقررة في القرآن والسنة كقوله تعالى إنه من
سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم وتقدم على غيرها وذكر سليمان إنما هو
عنوان للكتاب لا فاتحة له لا كما ذكره المفسرون فلم يكن هذا أي ابتدا الكتب
بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصدر الأول أي في ابتدا
الإسلام زمن الخلفاء الراشدين فالصدر مستعار للابتدا والأول صفة
موضحة ومفسرة له وإنما أحدث عند ولاية بني هاشم يعني العباس واختلف
في أول من كتبه منهم فقيل السفاح عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عباس
وقيل هارون الرشيد وأورد عليه أن الكلاعي قال في كتاب الاكتفا
عن الواقدي بسنده أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كتب في ردة بني
سليم إلى طريفة بن حاجز عامله وصورته بسم الله الرحمن الرحيم من أبي بكر
خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى طريفة بن حاجز سلام عليك
فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو إليك وأسأله أن يصلي على محمد صلى الله عليه
وسلم أما بعد الخ فهذا يدل على أن أول من فعله الصديق إلا أنه ترك ذلك في
زمن بني أمية ثم لا ذكر مثله وهو يدل على أنه سنة قديمة
وهذا غفلة من مورده عن قوله بعد البسملة فإنهم أحدثوا أن يكتب
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم فقصدنوه بذلك على جميع ما بعده
وليس فيما ذكره ذلك فتفطن له في الصلاة هل تعطف أولا على قولين فمن عطف — ثم اختلفوا هل
فظاهر ومن قطعه رآه إنشاء في عطفه على الخبر كلام طويل في كتب
النحو والمعاني فمضى عليه عمل الناس في أقطار الأرض أي استمر فصار
سنة أو بدعة حسنة مستحبة ومنهم من يختم به أيضا الكتب
أي كما بدأها به فتجعل في الأول والآخر لتشمل بركته جميع ما كتبه وقال عليه
الصلاة والسلام من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام
اسمي مكتوبا في ذلك الكتاب أي المكتوب مطلقا وليس المراد به المصنفات
كما يتوهم حتى يقال إن تدوين الكتب حدث بعد العصر الأول إذ هو
من المغيبات التي أخبر بها صلى الله عليه وسلم وقال الشيخ زروق في بعض

ولكن يحتمل ان يكون المراد كتب الصلاة وهو اظهر او ثواب الصلاة المكتوبة وهو اوضح فارجع انتهى وقال بعضهم انه يشترط في حصول الثواب المذكور ان يتلفظ بالصلاة في حال الكتابة وهو خلاف ظاهر الحديث وكلام العلما قال السخاوي في كتابه القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع هذا الحديث بيّنه كالة الطبراني في الاوسط والخطيب في شرف اصحاب الحديث وابو الشيخ والتيمي وصاحب الترغيب بسند ضعيف واورده ابن الجوزي في الموضوعات وقال ابن كثير انه لم يصح وروي من كتب في كتابه صلى الله عليه وسلم على محمد لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام في كتابه انتهى والمراد باستغفار الملائكة دعاؤهم لبني ادم مطلقا حيث ورد حتى للانبيا بالاستغفار قال تعالى يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين امنوا وكان وجهه انهم لما علموا ما ركب في طبيعة النوع الانساني من الشهوات والمشاغل التي هي من لوازم البشرية يقتضي الاشتغال بغير الله تعالى وهم لا يفترون عن التسبيح ولا يغفلون الا ما يؤمرون اشفقوا عليه ورووا انه لاه بوا خذه لشي من تبعاته فاعوله فاني لم ارض به عليه وذكروا في ذلك اثارا عن السلف الصالحين ومنامات منها ان الشافعي رضي الله عنه روي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي ولم يحاسبني واكرمني لصلاة صليتها عليه صلى الله عليه وسلم في الرسالة وهي اللهم صل على محمد كلما ذكره الذاكرون وصل على محمد كلما غفل عن ذكره الغافلون وصل عليه في الاولين والاخرين افضل واكثر وازكى ما صلى على احد من خلقه وقد روي هذا من طرق بالفاظ مختلفة ومن مواطن السلام على النبي صلى الله عليه وسلم اي الاماكن التي يستحب فيها السلام عليه تشهد الصلاة الذي يذكر في اخرها واطلقه ليشمل الاول والثاني كما ورد في ذلك حديث رواه البخاري وهو حدثنا ابو القاسم خلف ابن ابراهيم المقري الخطيب وغيره قال حدثتني كريمة بنت محمد وتقدمت ترجمتها قالت حدثنا ابو الهيثم تقدم ايضا قال حدثنا محمد بن يوسف هو الفربري كما تقدم قال حدثنا محمد بن اسماعيل هو الامام البخاري كما تقدم قال حدثنا ابو نعيم الفضل ابن دكين بن عمرو بن حماد الحافظ توفي في سلخ شعبان سنة تسع عشرة ومائتين اخرج له الستة وترجمته في الميزان قال حدثنا الاعمش سليمان بن مهران وقد تقدم عن شقيق بن سلمة الاسدي المخضرم توفي سنة احدى وثمانين كما تقدم عن عبد الله بن مسعود قال ابن مسعود لم يتوف له حكم

المرفوع روي النخعي عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو مرفوع اذا صلى احدكم صلاة ما فرضا او نفلا فليقل التحيات الخ والتحية تفعلة من الحياة ومعناها الاحيا والابقا او الملك او البقا او الملك والبقا وكل منها صحيح هنا اي كل تحية يحيى بها الملوك والعظما ثابتة لله لا تليق بغيره والصلوات اي انواع الدعا الذي يراد به الثنا وقيل الصلاة المعتادة والطيبات اي جميع كلمات الثنا الطيبة لله لا لغيره السلام عليك ايها النبي حكاية لما علمهم حال حياته صلى الله عليه وسلم ثم استمروا على ذلك تعبدا وعن ابن مسعود رضي الله عنه كنا نقوله وهو بين اظهرنا فلما قبض قلنا السلام على النبي ورحمة الله وبركاته اي كل نعمة وخير كثير لازم ثابت له صلى الله عليه وسلم في كل زمان السلام علينا معاشر الامة وعلى عباد الله الصالحين من جميع الامم السابقة وملائكة السما والارضين وجن المؤمنين كما قال فانكم اذا قلتموها اي قلتم هذه الكلمات وهي السلام علينا الخ اصابت اي نالت رحمته وبركته كل عبد لله صالح في السما والارض لعموم الجمع المحلى بالالف واللام ومن هنا علم ان المصلي يخص لنفسه ولجميع خلق الله وان تارك الصلاة ظالم لنفسه ولجميع خلق الله فتبين الفضل بعفو ذلك واطلق الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وهو قال لم يقل بوجوبها لانه يكون لفظه سنة واجبة بانه لما ذكر الصلاة عليه شرع في مواطن السلام عليه وقد يقال انه طوى ذكر الصلاة لعلمها مما تقدم هذا اي ان التشهد في الصلاة احد مواطن التسليم عليه اشارة الى انه له مواطن اخر وسننه انهما استحبابه وفي نسخة سبيله بيان السنة وهي من اول التشهد اي قبل ان يقول اشهد ان لا اله الا الله وبعد التحيات لله وفي التشهد وكيفيته روايات مفصلة في كتب الفقه وروينا لك عن ابن عمر رضي الله عنهما انه كان يقول ذلك اي السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين واذا فرغ من تشهده واراد ان يسلم سلام التحلل اي الخروج من الصلاة واستحب مالك في المبسوطة اسم كتاب له ان يسلم بمثل ذلك المذكور من السلام على النبي صلى الله عليه وسلم الخ قبل السلام من صلاته وهو لما قيل خلاف المشهور من مذهبه قال محمد بن مسلمة بفتح الميمين وهو محمد بن مسلمة بن هشام بن الوليد بن المغيرة توفي سنة ست عشرة ومائتين اراد ما جاء مرويا عن عائشة وابن عمر رضي الله عنهم انهما كانا يقولان

عند سلامهما اي قبل سلام الخروج السلام عليك ايها النبي ورحمة الله
وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ثم يقول السلام عليكم
وهو خاتمة الصلاة واستحب اهل العلم ان ينوي الانسان المصلي اماما
او مقتديا او منفردا حين سلامه اي قوله السلام في صلاته السلام على كل
عبد صالح في السماء والارض من الملائكة ومؤمني بني آدم ومؤمني الجن وقبل
الامام ينوي السلام على من اقتدى به وهم ينوون الرد عليه وغيره ينوي به
من على يمينه ويساره وهم الرد وغيرهم ينويه من حضر او غاب قال
مالك في المجموعة فيما اراه من المدونة واحب للمأموم اذا سلم امامه
ان يقول قبل ان يسلم هو السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين ثم يقول السلام عليكم واعلم
ان المصنف عقبها لفصل الذي قبل هذا الوجوب الصلاة عليه
وعقبه بفصل عقده للمواطن التي تستحب فيها الصلاة عليه صلى
الله عليه وسلم وقد افرد له الحضرمي رحمه الله كتابا مستقلا سماه اللؤلؤ المنظم
في المواطن التي تستحب فيها الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ولما اتم المصنف
رحمه الله ما تقدم شرع في بيان كيفيتها فقال فصل
في كيفية اي بيان الفاظ الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم
وهو لفظ مولد لتسبب كيف عن الاستفهام لانها من شأنها ان يسأل
بها عن مثله والتسليم عليه اي كيف نذكر السلام عليه والمراد به
الصيغة الفاضلة اذ اصلها معلوم وبدأ بحديث رواه في الموطأ وهو
وهو قول تقدم انه عليه هو احد طرق الرواية كما مر قال
حدثنا القاضي ابو الاصبغ عيسى بن سهل صاحب كتاب الاعلام في نوازل
الاحكام قال حدثنا ابو عبد الله ابن عتاب تقدم بيانه قال
حدثنا ابو بكر بن واقد وغيره بالقاف وهو معروف قال حدثنا ابو عيسى
هو عم يحيى بن كثير الذي تقدم بيانه قال حدثنا عبيد الله قال حدثنا
يحيى بن يحيى الليثي احد رواة الموطأ عن مالك كما تقدم قال
حدثنا مالك الامام المشهور عن عبد الله بن ابي بكر ابن عمرو بن حزم عن
ابيه تقدم ترجمته عن عمرو بن سليم الزرقي سليم بضم السين وفتح اللام
والزرقي بضم الزاي المعجمة وفتح الراء المهملة قبل القاف وهو من الانصار
وترجمته في الميزان قال اخبرني ابو حميد الساعدي اسمه عبد الرحمن
ابن عمرو بن سعد وقيل المنذر بن سعد وهو خزرجي مدني له
صحبة اخرج له الستة واحمد في مسنده وتوفي في حدود الستين انتهى اي

الصحابة قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك سألوه عنه بعد نزول الامر
به في الآية ان الله وملائكته الخ فقال قولوا اللهم صل على محمد وازواجه
وذريته ازواجه صلى الله عليه وسلم امهات المؤمنين معلومة
والذرية النسل والولد بضم الذال وكسرها فعلية من ذرا بمعنى
خلق تركت همزته في الاستعمال تخفيفا وقيل انه نسبة الى الذر
لصغرهم والذرية الولد وولده ويشمل اولاد البنات كما ذكروه مفصلا
في كتب الفقه وسؤالهم بكيف المراد به السؤال عن العبارة التي يعبر
بها اي باي كيفية تؤدى وقيل عن معناها ولا يخفى ما فيه
فانهم لما سمعوا السلام عليه في التشهد وامروا بالصلاة سألوه
عما يقولونه فعلمهم ذلك وفيه من التعظيم ما لا يخفى فانه امرهم ان
يطلبوا من الله ان يصلي هو عليه فكأنهم قالوا لا نقدر على اداء الصلاة
حق الاداء فافعل انت ما يليق به كما صليت على آل ابراهيم اي ازواجه
وذريته والتشبيه انما وقع بهم لشهرتهم وتعريفه والآل فيهم انبياء ورسل
فشبه المجموع بالمجموع او الآل بالآل فلا يرد عليه ان المشبه
دون المشبه به فكيف شبه صلاة نبينا بصلاة ابراهيم وهو افضل
منه في السؤال المشهور وقد اجيب عنه باجوبة هذا محصلها وفي
الكلام عليه ايضا قديما وللخلاف الدوالي مسألة فيه مشهورة
شهرتها تغني عن ذكرها فان قلت الذي في الآية الامر
بالصلاة عليه فقط من غير تشبيه بابراهيم وآله قلت
لما كان معنى الصلاة الرحمة وهو صلى الله عليه وسلم مرحوم منعم عليه
عليه في الدارين باعظم النعم ضم ذلك للصلاة عليه اشارة الى ان المقصود
من رحمته رحمة اهل بيته كما يقال لمن يراد عقوبته ولده ارحم هذا
الشيخ كما اشير اليه بقوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل
البيت ويطهركم تطهيرا وبارك على محمد وازواجه وذريته كما باركت
على ابراهيم اي ادم وكثر الخيرات النازلة عليهم كما ادمته كذلك لابراهيم
وآله في العالمين انك حميد مجيد اي رحمة وبركة منتشرة في جميع الخلق
وحميد فعيل من الحمد وهو الثناء الجميل ومجيد فعيل من المجد وهو الشرف
والكرم وفعيل فيهما بمعنى فاعل او مفعول اي انت فاعل الجميل او ما هنا
او انت المحمود والمعظم انما حمد واكرام لرسلك واتباعهم عائد اليك فانه
لاجلك وانت الداعي له وهو تذييل في موقع جليل ومما ذكرناه علمت
معنى قوله على آل ابراهيم دون ابراهيم فتفطن لهذه الدقائق في رواية

ثم لك في الموطأ عن أبي مسعود الأنصاري الصحابي البدري رضي الله عنه قال
قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد كما باركت
على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد ذكره إشارة إلى أن له طرقا كثيرة
وأنه إنما قدم رواية الموطأ لعلو سنده فيها فلا وجه لما قيل إنه لا فائدة
في ذكره وهو بجنبه ما قبله والسلام أي كيفيته ولفظه كما قد علمتم في
التشهد كما ذكره المص سابقا وسيأتي أيضا شرحه في كلامه وعلمتم بفتح
العين وكسر اللام المخففة مبني للفاعل أو بضمها وتشديد اللام مبني للمجهول
من العلم أو التعليم وكلاهما صحيح رواية ودراية كما قاله النووي وقيل
الأول أصح ولفظ الموطأ عن أبي مسعود قال أتانا رسول الله صلى الله
عليه وسلم في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد أمرنا الله أن
نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك فسكت رسول الله حتى تمنينا
أنه لم يسأله ثم قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت
على إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين
إنك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم وفي رواية كعب بن عجرة في الترمذي
وهو بضم العين وسكون الجيم وراء مهملة وهو أبو محمد أو أبو عبد الله أو أبو
إسحاق من بني سالم ابن عوف أو من غيرهم صحابي شهد بيعة الرضوان وتوفي سنة
اثنتين أو إحدى وخمسين وأخرج له الستة وغيرهم قال قلنا يا رسول الله
هذا السلام عليك قد علمناه فكيف الصلاة عليك قال قولوا اللهم صل
على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد
وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد قال الترمذي حديث
كعب بن عجرة حديث حسن صحيح وهذا الحديث أيضا رواه الشيخان
عن عبد بن أبي ليلى عن كعب قال قلنا يا رسول الله قد علمنا
كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل إلخ وهو متفق
عليه إلا أن لفظ البخاري على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في الموضعين وسقط
منه آل في الموضعين ورواية المصنف تخالفه وعن عقبة ابن عمرو
بن عبد الله الأنصاري الصحابي توفي بالمدينة سنة إحدى وأربعين
في أيام علي ومعاوية وكان علي كرم الله وجهه استخلفه على الكوفة
لما خرج لصفين في حديثه الذي رواه اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى
آل محمد هم المؤمنون من أزواجه وذريته ومن حرم عليه
الصدقة من أقاربه على الراجح وقيل جميع أمته أيضا كما يأتي أيضا جميعه
في كلام المصنف وهذا الحديث أخرجه أحمد وابن حبان والدارقطني والبيهقي

ومسلم وأبو داود لفظ النبي الأمي وفي رواية أبي سعيد الخدري وهو سعيد بن
مالك بن سنان كما تقدم اللهم صل على محمد عبدك ورسولك أخرجه
الحاكم بسنده في بعض رجاله كلام وذكر معناه أي معنى الحديث
السابق من قوله كما صليت إلخ ورواه البخاري أيضا ثم أورده المصنف من
طريق آخر مسلسل فيه زيادة والمسلسل هو ما وقع معه أمر من النبي صلى
الله عليه وسلم من قوله أو فعل ونحوه ووقع مثله قصدا من جميع رواته
تبركا بما كان في حال صدوره كالعد في اليد هنا وهو قوله وحدثنا القاضي
أبو عبد الله التميمي تقدم بيانه سماعا عليه بقراءة غيره عليه
وأبو علي الحسن بن طريف النحوي طريف بفتح الطاء وكسر الراء المهملتين
ومثناة تحتية ساكنة وفاء أحد شيوخ المصنف ولم يذكره في كتابه إلا في هذا
الموضع توفي تاسع ذي الحجة سنة إحدى وعشرين وخمسمائة وفيها
توفي ابن رشد بقراءتي عليه قالا حدثنا أبو علي بن سعدون الفقيه
يعرف كما تقدم في ذكر المتشوق إليه قال حدثنا أبو بكر المطوعي بضم
الميم وفتح الطاء المهملة المشددة وكسر الواو المشددة وعين مهملة
بعدها ياء ساكنة نسبة غلبت على المجاهد تطوعا بلا أجرة وهو محمد بن علي
المغازلي النيسابوري قال حدثنا أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن
حمدويه بن نعيم الضبي النيسابوري الإمام الحافظ شيخ الحديث
في عصره عرف بابن البيع صاحب التصانيف الجليلة ولد في ربيع
الأول سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة وتوفي في صفر سنة خمس
وأربعمائة وله ترجمة في الميزان وفي مسنده ذكر أحاديث ضعيفة
وموضوعة انتقدت عليه عن أبي بكر بن دارم الحافظ المسند
السبيعي الحاكم أحمد بن محمد بن السري بن يحيى بن السري التميمي الكوفي
محدث الكوفة روى عنه الحاكم وغيره وهو متهم بالكذب توفي في محرم
سنة اثنتين أو ست وخمسين وثلاثمائة وله ترجمة في الميزان عن
علي بن أحمد العجلي هو ممن روى عنه أبو بكر المذكور ولم تعرف
عن حرب بن الحسن في نسخة ابن الحسين وهو الطحاوي قال
في الميزان ليس حديثه بذاك وذكره ابن حبان في الثقات عن يحيى
ابن المساور بميم مضمومة وسين وراء مهملتين قيل إنه كذاب
عن عمرو بن خالد وأبو خالد القرشي مولى بني هاشم الكوفي روى عنه
خلق إلا أنه كذاب له قبائح مذكورة في الميزان عن زيد بن علي بن
الحسين بن علي بن أبي طالب وهو أبو الحسين العلوي المدني أخو محمد

الباقر السيد الامام الثقة رأى جماعة من الصحابة واستشهد
رضي الله عنه سنة اثنتي وعشرين ومائة عن ابيه علي بن الحسين
بن علي ابن ابي طالب قال الزهري ما رأيت قرشيا افضل منه توفي
سنة اربع وتسعين وهو امام ثقة جليل اخرج له السنة عن ابيه
الحسين عن ابيه علي بن ابي طالب قال علي رضي الله عنه عدهن في
يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم صفة لعقده اي كلمات تذكر في التشهد
او صلوات ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم وكان في حال ذكرها يعدها
لي في يدي بانامله مشيرا الى انه حديث مسلسل بالعد في اليد الى جبريل
عليه الصلاة والسلام تنبيها على حفظها وان لا يترك واحدة منها
قال عدهن في يدي جبريل وقال هكذا اي بهذا العدد نزلت من عند
رب العزة سبحانه وتعالى والعزة كما قال الراغب حالة تقتضي الامتناع
من القهر والغلبة من الارض العزاز وهي الصلبة فرب العزة اما بمعنى
له العزة وهو مالكها كما قال ولله العزة ولرسوله او من يعطيها
من يشا كما قال تعالى تعز من تشا وتذل من تشا وله نوع هنا لاعزازه
واكرامه لرسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آل محمد اي افض عليه
وعلى آله رحمتك وانعامك كما صليت على ابراهيم وعلى آل
ابراهيم فعل منها به لشهرته لا لانه افضل او اعلى كما مر انك حميد
مجيد اي محمود ماجد او المستحق للثنا والشرف من اثبت عليه
وشرفه اللهم بارك على محمد اي انزل البركة عليه ولذا عداه بعلى
وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد
اللهم وترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم
انك حميد مجيد وفيه انه يدل على جواز الدعا للانبيا عليهم الصلاة
والسلام بالرحمة والترحم عليهم كما تقدم ويأتي ذلك مطولا في كلام
المصنف مع الكلام على ما فيه اللهم وتحنن على محمد وعلى آل محمد كما تحننت
على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد تحنن تفعل من التحنن
صار بمعنى الرحمة والشفقة والحنان المنان من اسما الله من اسما الله
بمعنى الرءوف المنعم اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت
على ابراهيم انك حميد مجيد قال السيوطي في الجامع الكبير قال
الحاكم هكذا بلغنا هذا الحديث واسناده ضعيف جدا وعمرو بن
خالد كذاب وضاع وكذا ابن مساور وحرب بن الحسن اورده الازدي
في الضعفا وقال حديثه ليس بذاك وقال ابن حجر في اماليه اعتقاد

اللهم صل على محمد

انه موضوع وفي سنده ثلاثة ضعفا وبعضهم ممن نسب الى الوضع والكذب
قلت وجدت له متابعات تجبره وان لم تخل من الضعف ووجدت
له طريقا اخر عن النبي في سنده انتهى قلت ذكر البرهان انه رواه
مسند الرضا فتعدد هذه الطرق يقتضي انه غير موضوع غاية ما يقال
فيه انه ضعيف فاعرفه والحديث مسلسل وتقدم انه ما تواردت رواته
على حالة واحدة او صفة في اسناده او صيغة ادائه من قوله وترحم الخ
يرد قول ابن العربي ان زيادة الترحم في الصلاة على النبي صلى الله عليه
وسلم بدعة وقال الصيدلاني انه مع انه لم يرد غير صحيح لانه
لا يقال رحمت عليه بل رحمته وفي الترحم معنى التكلف فلا يصح اطلاقه
على الله وبانه زيادة في الاذكار زيادة ارحم محمدا بدعة لا اصل لها وقال
ابن ابي زيد المالكي وبعض المالكية يستحب زيادة ارحم محمدا في التشهد ابن
ابي زيد في نقله عنه في كلام المصنف معزاه وفي شرح مسلم الاختيار
تركه اذ لم يات في خبر صحيح وقال السخاوي من زاده رآه من فضائل الاعمال
يكفي فيه الحديث الضعيف وقال ابو جعفر والسرخسي من الحنفية باستحبابه
لتوارث العمل به ورحمة الله لا يستغني احد عنها وذهب
كثير الى انه لا يدعى للانبيا عليهم الصلاة والسلام بالرحمة وفي شرح
البخاري لابن حجر انه غير مسلم لوروده في احاديث كثيرة ففي التشهد السلام
عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته وسبقه اليه صاحب
القاموس واستدل عليه بقول الاعرابي له صلى الله عليه وسلم اللهم ارحمني
وارحم محمدا وتقريره له وفي حديث ابن عباس اسالك رحمة من عندك
وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم استغفرك لذنبي واسالك
رحمتك يا حي يا قيوم برحمتك استغيث وفي الذخيرة من كتب الحنفية
كراهته وجزم الغزالي بعدم جوازه مفردا لايهامه النقص وانه صلى الله
عليه وسلم كغيره يدعى له بالرحمة اقول هذا كلام
مضطرب وتحريره ان يقال دعاؤه صلى الله عليه وسلم لنفسه بالرحمة
لا منع منه اصلا واما دعا غيره له فيما لم يؤثر نقله الا انه مكروه وبالتبع
للصلاة ونحوها لا كراهة فيه وهذا هو الحق عندي ثم ان الصاغاني
نقل في العباب ان قول الناس ترحمت عليه لحن والصواب
رحمته ترحما وفي الحديث ما يرده وخص ابراهيم عليه الصلاة والسلام
بالتشبيه قال البغوي من بين سائر الانبيا لانه افضل الانبيا بعد نبينا عليه
الصلاة والسلام وكان ماله على دعائه لامة محمد صلى الله عليه وسلم بقوله

صح

رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين او لمشاركته له في الثناء بين الحج والايمان او امر بذلك
اجابة لدعائه بقوله اجعل لي لسان صدق في الاخرين لانه اثر بالاقتدا به واما التشبيه
به والمشبه دون المشبه به فقد اجيب عنه بانه قال ذلك قبل
ان يعلم انه افضل منه او لسبق زمانه واشتهاره لا لعلو مرتبته وقيل
انه من باب التهييج وفيه نظر وقيل الكاف للتعليل وقيل المشبه اليه
بحذف وثمه تحقيقات في رسالة الجلال الدواني وفي الدر المنضود لشيخ
مشايخنا ابن حجر ان التشبيه للمجموع بالمجموع فان الانبياء من ال ابراهيم
كثيرون فاذا قوبلت تلك الذوات الكثيرة من ابراهيم واله الصلوات
الكثيرة التي لمحمد صلى الله عليه وسلم امكن انتفاء التفاضل ويقرب منه قول
ابن عساكر وابن عبد السلام ما حاصله ان الصلاة على النبي واله شبهت
بالصلاة على ابراهيم واله فيحصل للنبي واله من اثار الرضوان ما يقارب
الحاصل لابراهيم واله الذين هم معظم الانبيا فتقسم الجملة فلا يحصل لاله ما حصل
لال ابراهيم اذ غير الانبيا لا يساويهم فيتوفر ما بقي من اثار الرضوان الشاملة
لمحمد واله على محمد صلى الله عليه وسلم وهذا استشعر بانه افضل من ابراهيم
انتهى واعترض بانه جا في رواية مقابلة الاسم بالاسم فقط ولفظها اللهم صل
على محمد كما صليت على ابراهيم انتهى وعن ابي هريرة في حديث رواه ابو
داود وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم من سره ان يكتال بالمكيال
الاوفى اذا صلى علينا اهل البيت اي من احب ان ياتي باحسن صلاة
واعظمها او من اراد ان ينال اجر الاوفى فيه غيره فالاكتيال
عبارة عن ذلك استعارة تبعية مصرحة او شبه الاجر بما يشترى من
الحبوب والتمر وشبه ذكره او مثله بالكيل له لاستيفائه على طريقة
المكنية والتخييلية والاجر لظهور ارادته في قوة المذكور ووجه الشبه
انه به استيفاء المكيال بكسر الميم الة الكيل والاوفى افعل تفضيل من
الوفا وهو استيفا الشي وتمامه والمراد الترغيب في الصلاة عليه
وعلى اهل بيته بهذه العبارة المخصوصة فليقل اذا صلى علينا اللهم
صل على محمد النبي وازواجه امهات المؤمنين وذريته واهل بيته
كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد فضل هذه الصلاة لما فيها
من شمول اهل بيته كلهم وتعظيمه بوصفه بالنبوة التي هي اقرب منزلة
اليه وتعظيم ازواجه بانهم وذكر الصلاة على ابيه ابراهيم والايمان
به وبغيره من الانبيا وهذا الحديث صحيح اخرجه ابو داود والطبراني
وغيرهما كما صليت وفي رواية زيد بن خارجة الانصاري

الصحا

٤١١

الصحابي المعروف توفي في خلافة عثمان وله قصة في تكلمه بعد موته
تقدمت وهذا اخرجه الديلمي في الفردوس وابو نعيم والنسائي والطحاوي
والبغوي سالت النبي صلى الله عليه وسلم كيف نصلي عليك هذه الجملة
معمولة لسالت لتضمنه القول او لقول مقدر فقال صلوا علي واجتهدوا
في الدعا المراد به الصلاة فعبر به تفننا او المراد الدعا لانفسهم بما يريدون
واجتهدوا بمعنى بالغوا في ذلك بالاتيان بجهدكم وطاقتكم ثم قولوا بعد
الصلاة عليه وعلى اله وازواجه وذريته وبارك على محمد وعلى
ال محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد تقدم ما يغني عن اعادته
وعن سلامة الكندي هو سلامة بن قيصر الحضرمي التابعي ذكره ابن حبان
في الثقات وانه يروي عن علي كرم الله وجهه كان علي يعلمنا الصلاة على
النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية فانه يعلم الناس ويقول قولوا وفي الدر
المنضود ان ذلك جاء على سند ضعيف وله طرق اخرى رجالها رجال
الصحيح الا انها مرسلة لان زيدا لم يدرك عليا اللهم داحي المدحوات
وفي رواية المدحيات وداحي بمعنى باسط قال تعالى والارض بعد ذلك دحاها اي
مدها وبسطها لانها خلقت اولا ربوة ثم بسطت ومهدت والمدحوات
الاراضي السبع وفيه اطلاق الداحي على الله فاستدل به من قال
الاسما ليست توقيفية وانه يكفي ورود مادتها كالداحي وبارئ بالهمزة
اسم فاعل من برا بمعنى خلق على غير مثال او ميز وابرز والمسموكات بمعنى
المرفوعات والمراد بها السموات وفي رواية سامك السموات وسمك بمعنى
رفع وارتفع متعديا ولازما اجعل شرائف صلواتك اي افضل صلاتك
واعلاها جمع شريفة بمعنى عالية المقدار من الشرف وهو
ما علا من الارض على غيره ونوامي بركاتك اي ما زاد الى غير النهاية
من خيراتك اي بركاتك النامية فهو من اضافة الصفة للموصوف ورافة
تحننك اي لطفك ورحمتك وعنايتك نازلة متوالية على عبدك محمد
تكرمة لشرفه المعنوي به على غيره فايد لالتها على القرب ورسولك الذي ارسلته
لجميع خلقك الفاتح لما اغلق بضم الهمزة وكسر اللام بني لما لم يسم فاعله
من اغلق الباب والقفل ونحوه اذا قفله وهو ضد الفتح هذا
حقيقته واستعاره المناصب واشكل وابهم فالمعنى انه فتح ما كان غيره
مغلوق من الشرايع لارساله بعد الفترة الجاهلية اذ انه فتح الله به على
عباده انواع الخيرات وابواب السعادات الدنيوية والاخروية او بين
لامته ما اوحي اليه بتفسيره وتيسيره وايضا حمد ذلك فيه اشكال

بايضاح براهينه وحججه وتفسيره بانه ازل الناس خلقا واحزمهم بعثا كما فسره بهم
جعلتك فاتحا وخاتما كما قيل بعيد هنا كما لا يخفى وفيه استعارة وتلميح لقوله
صلى الله عليه وسلم اوتيت مفاتيح الكلام لما وضحه ببراعته وبلاغته
ويجوز ان يراد به ما فتح الله به عليه وعلى امته من تيسير الفتوحات
وتسخير الممالك كما في قوله صلى الله عليه وسلم اوتيت مفاتيح خزائن السموات
والارض **والخاتم لما سبق** من النبوة والرسالة فانه لا نبي ولا رسول
يرسل بعده ولا في عهده وعيسى عليه الصلاة والسلام اذا نزل كان
على شريعته ومن امته والخضر والياس ان ثبت نبوتهما بعد
بعثته ومن امته ايضا ولا حاجة لتفسيره بما سبق بالانبيا والرسل
وجعل ما بمعنى من **والمعلن** اسم فاعل بمعنى المظهر من الاعلان وهو كحجه
الحق بالنصب مفعول المعلن والجر باضافته له والنسخ منصوبا م
بنزع الخافض اي بالحق وقوله **بالحق** اي بالامر الحق لا بالعزة ه
والغلبة والمراد بالحق الدين والشرع ففيه اقامة الظاهر مقام الضمير
او الحق الثاني المراد به الله عز وجل فانه من اسمائه اي بمعونة الله ه
وتاييده الدافع اي الدافع والمزيل ومنه دامغة وهو مستعار
من دفعه اذا كسره دمغه كما قاله الواعي قال تعالى بل نقذف
بالحق على الباطل فيدمغه **لجيشات الاباطيل** جمع جيشة وهي المرة
من جاش يجيش اذا ثار وارتفع والاباطيل جمع باطل وهو مقابل الحق
على خلاف القياس او جمع مفرده حقه اي الدافع لما ظهر من الباطل
وشاع ففيه استعارة وتمثيل لما ظهر من الكفر والفساد بامر علا
والقى عليه صخرة رصينة والمتقدمة بتراب المذلة وتفسير الجيشات
بالاخبار لا ينبغي وقيل الاباطيل جمع ابطوله او ابطيلة او ابطال
ولم يسمع **كما حمل** بضم الحا المهملة وكسر الميم المشددة مبني للمجهول
فاضطلع بضاد معجمة وطا مهملة بمعنى قوي على حمله ونهض به
لشدة حمله عليه وقيامه باعبايه وهو افتعال من الضلاعة وهي القوة
واصلها قوة الاضلاع والكاف للتشبيه ويجوز ان يكون للتعليل وان
يكون بمعنى على والاول اولى والظاهر فهو متعلق بما قبله او خبر مبتدا
مقدر اي هذه الحالة المذكورة ثابتة له صلى الله عليه وسلم كما ثبت
له تحمله اثقال الرسالة واعباها فقام بها اتم قيام او صلى وسلم عليه
لقيامه بذلك اذ انعام به هذا جزا له على ذلك **بامرك** اي قام بها بسبب
امرك امتثالا له لا لغرض اخر او المراد بامره تيسيره واعانته وقوله

بطاعتك بدل مما قبله او متعلق به لا بامره بطاعتك فامتثله وادى ما
كلفته به وفي نسخة لطاعتك باللام **مستوفزا** حال من الضمير في حمل او
اضطلع والاستيفاز الوثوب والانتصاب من قعود والمراد به التقيد وعدم
الامهال اي شرع فيها مستعجلا في الاتيان بما امرته به جادا غير متوان ومنه
قولهم لقيته على اوفاز اي على عجلة جمع وفز وفي المجمل ما قيل انه اسم مكان
بزنة المفعول يشير به الى المستوى الذي سمع فيه صريف الاقلام وفاخر عنه
جبريل وفيه خبط لا يخفى على عادته في مرضاتك مصدر ميمي بمعنى الرضى وفي
طريقه ويجوز كونها بمعنى لام التعليل كما في حديث دخلت امراة النار في
هرة وفي بعض النسخ بغير نكل في قدم ولا وهن في عزم اي لا جبن يطرد
عليه في اقدامه ولا ضعف في عزيمته ويروي واهيا بالمثناة التحتية
اي خائفا ضابطا لوحيك الذي اوحيته اليه لم يشغله عنه ما حمله
من الاعبا وما لقيه من المشاق في تبليغ الرسالة وعند اذن واعيه
واصل الوعي جعل الشي في وعا فاك
والشر اخبث ما اوعيت من زاد
وحفظه شاملا للعمل به حافظا لعهدك اي متمسكا ومداوما على ما عهدته
عليه من الايمان بك والاخلاص في طاعتك وامتثال امرك ونهيك
كما قال صلى الله عليه وسلم وانا على عهدك ووعدك ما استطعت
ماضيا اي مجتهدا مستمرا على امضا ما عهدته وانزلته هذا وما على
نفاذ امرك بذال معجمة من انفذ كذا اذا امضاه وبلغ اقصاه حتى اورى
قبسا لقابس الايرا قدح الزناد لخروج النار سرا ايو قد منه والقبس
ما يتناول من الشعلة قال تعالى او اتيكم منها بقبس والاقتباس
طلبه ثم استعير ذلك لاظهار الحق وما يهتدي به الناس وفي المثل ما كل
قادح زنده يوري اي لم يزل صلى الله عليه وسلم مجاهدا فاعلا
الحق حتى اظهره ابلج نيرا فاهتدى بنوره من كان في ظلمات الجهالة
وقوله لقابس اي لقابل وطالب نور الحق والهداية التي هي
من الا الله بالمدحج اليه وفيه لغات بكسر الهمزة وفتحها والتنوين
فيهما والخامسة الي بكسر وسكون فتنوين ومعناها النعم الالهية
والسعادة في الدارين بواسطته صلى الله عليه وسلم فضل
لاهله اسبابه الجملة صفة قبس اي ذلك القبس سبب موصل
لمن طلبه من اهله الذين اهلهم الله له ووفقهم لقبوله ونور
بصايرهم بانواره والسبب معناه الحبل ثم صار بمعنى كل واسطة

موصلة به اي بذلك القبس الذي اوراه نراه من راه وقيل الضمير له
صلى الله عليه وسلم هديته بالبنا للفاعل والمفعول القلوب الضالة على طريق
الحق في ظلمة الجهل بعد خوضات الفتن والاثام جمع خوضة بمعجمتين وهي المرة
من الخوض وهو الدخول في الما فيستعار للشروع والدخول في كل امر يذم
والاثام الذنوب والفتن جمع فتنة وهي ما يفتتن به المرء وتطلق على الكفر
وبه فسر قوله والفتنة اشد من القتل وهو المراد هنا بعد كفرهم
وارتكابهم الاثام ابهج موضحات الاعلام وقع في النسخ هنا اختلاف
فسقط من اكثرها لفظ ابهج فموضحات بفتح الضاد اسم مفعول لحذف
بنزع الخافض اي بموضحات الاعلام او هو حال من القلوب والاعلام جمع
علم بمعنى علامة وقيل انه جمع علامة ولا وجه له ويجوز رفعه
على انه خبر مبتدا مقدر وهو ضمير القلوب اي هي ظاهرة ادلة هداياتها
ويجوز فيه كسر الضاد جمع موضحة اسم فاعل من الايضاح وهو الكشف
اي صارت القلوب بما رزقت من الهداية منشورات الاعلام او ناشرة
لها ان العلم بمعنى اللوا استعارة لما ذكر من اثبتت ابهج ماض وهو بالنون
من النهج بمعنى اوضح وبين وسهل وقوم كما ذكره ابن القوطية كما في بعض
الشروح وفي بعضها ابهج بالبا الموحدة من البهجة اي انار واشرق
وهذا ساقط من خط المصنف رحمه الله كما قاله التلمساني ونايرات
الاحكام جمع نايرة اسم فاعل من النور او الضيا من نار لازم بمعنى ظهر هو
وانضح والاحكام احكام الشريعة من الحلال والحرام وغيرهما وفي القاموس
نار نورا وانار واستنار ونور وتنور اضا ومنيرات الاسلام من انارة
المتعدي والاسلام بمعنى الدين او الاستسلام والانقياد لامر الله فان
قلت على النسخة المشهورة الساقط منها لفظ ابهج فالمعنى
ظاهر لان ماله الى انه هديت به القلوب للادلة الدالة على
ما هداها الله له من احكام الشريعة الظاهرة كما اظهر الاسلام
ويويده من نصرة الاسلام باليد واللسان واما على النسخة الاخرى
التي فيها ابهج بمعناه فيفيد تحصيل الحاصل لان مآلها اظهار الظاهر
والمظهر قلت على هذه الرواية انه ظاهر في نفسه لمن له
بصيرة ونفس قدسية واظهاره بالنسبة لغيرهم اذ اظهاره اشاعته
وانتشاره الى ان يصل الى اقصى الارض فتدين له الجبابرة والملوك فهو صلى
الله عليه وسلم امينك على وحيك واسرار ملكك وملكوتك التي اطلعته عليها
المامون الذي ارتضيته لحفظ اسرارك او خلقته حفيظا عليها كما اشار اليه

يقول

بقوله وخازن علمك المخزون في خزائن ملكوتك وكنوز عرشك يعني انزلته لنبي
وائتمنته عليه دون غيره واباحته وابرازه لمن يليق له الاطلاع عليه وشهيد
فعيل بمعنى فاعل صيغ للمبالغة فاقتضاه للشهادة على الانبيا وامهم اي تصديقهم
على تبليغهم لهم كما قال الله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا
بك على هولا شهيدا كما تقدم يوم الدين اي القيامة والجزا بما يعلمه
الله وبعيثك فعيل بمعنى مفعول مبعوثك ورسولك الذي بعثته
وارسلته لتبليغ اوامرك ونواهيك نعمة مفعول له لاجله اي بعثته لكونه
نعمة ورحمة للعالمين ورسولك الذي ارسلته للناس كافة خاتم النبوة
والرسالة بالحق متعلق برسول اي ارسلته بالحق الثابت في نفس الامر رحمة
عامة لجميع خلقك وهو منصوب مفعول له ايضا فهو رحمة في الدنيا والاخرة
لمن امن به وفي الدنيا لمن كفر بحقن دمه وصيانة ماله وقد تحصل لبعضهم
رحمة في الارض بتخفيف عذابه ايضا وقد يفرق بين النعمة والرحمة
هنا بان يقال النعمة ما حصل به من الخير والبركة لامته والرحمة
هدايتهم بسببه التي كانت سببا لخلوصهم من الكفر والضلال فلا يكون تكرارا
وافسح لي في عدن تلك الفسحة التوسعة وعدن بسكون الدال اسم للجنة
ومعناها دار الاقامة والخلود من عدن بمعنى اقام فهو اسم للجنة مطلقا
ولها اسم اخر ويكون اسما لجنة مخصوصة ايضا غيرها لخصر والمراد بالدعا بالفسحة
طلب بحبة منازله وزيادة حسنه وشرف منظره لان سعة المنزل امر
مستحسن ولذا قالوا احسن المنازل ما فسح فيه النظر والافسحة الجنة
معلومة قيل وفي عدلك باللام اي معدلتك وجزائك لي بما يليق به
واجزه مضاعفات الخير من فضلك المعنى اعطه من انعامك وتفضلك
ما تضاعف له من الخيرات الاخروية ما لا عين رات ولا اذن سمعت
وهو ظاهر الا انه قد اختلف في ضبطه بعد الاتفاق على انه بهمزة وجيم وزاي
معجمة فقيل وصل وجيم ساكنة من الجزا فانه ثلاثي وقيل انه بهمزة
قطع مفتوحة وجيم مكسورة وزاي ساكنة من الجائزة وهي العطية وقال
السخاوي في القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع انه بفتح الدال
وجيم ساكنة وزاي مكسورة من الجزا كما ضبط في نسخ بعض الشيوخ والصواب
كما وجد في بعض الاصول المعتمدة وصل الهمزة لان فعله ثلاثي كما قال تعالى
وجزاهم بما صبروا انتهى اقول ان صحت الرواية بما ذكره اولا فتوجيهه
انه من الاجزا بمعنى الكفاية ابدلت همزته الاخيرة ثم عومل معاملة المعتل
كارم والمعنى اكفه عمن سواك لما كلفته به من القيام باعباء رسالتك

والضعيف المثل فما زاد وليس بمحصور كما حققه أهل اللغة وقوله من فضلك
إشارة إلى أن الثواب تفضل من الله لأنه لا يجب عليه شيء خلافا للمعتزلة
كما بينه المتكلمون هنيئات له صلى الله عليه وسلم جمع هنيئة بتشديد النون
والهمزة اسم مفعول من الهني وهو التابع وكل ما أتى من غير تنغيص وتعب
وهو حال من مضاعفات غير مكدرات أي منغصات وهو حال أيضا أو
صفة لهنيئات مؤكدة من فوز بفاء مفتوحة عند الأكثر وهو الظفر بنيل
البغية وقيل إنه بالمهملة بمعنى سريع عاجل كما قيل أهنى البر
عاجله مستعار من فازت القدم إذا غلبت ثوابك الثواب العطاء في مقابلة
عمل المحلول بكسر الحاء اسم مفعول من حل المكان وبه وفيه إذا نزل
أي المكان في الجنة أو الذي أوصلته له فصار صفة حالة فيه وقيل
معناه المستوجب بفتح الجيم أي الذي استوجبه واستحقه من حل إذا
وجب وهو بعيد متكلف وفي رواية المضمون بدل المحلول أي الذي يضمن
بإنفاسته وجزيل أي كثير عظيم عطائك أي إحسانك وإنعامك
المعلول أي المضاعف من العلل وهو الشرب مرة بعد أخرى ويقابله النهل
وهو الشرب مرة قال كعب ۝ كأنه منهل بالراح معلول ۝
تشبيه عطاه بمنهل عذب به ترده العطاش كما ترد مرارا فهو استعارة
والمراد أنه كثير لا ينقطع اللهم أعل بقطع الهمزة على بنا الناس بموحدة ونون
وبه وفي بدل الناس البانين جمع باني بناه بموحدة ونون أي اجعله عاليا رفيعا
أي اجعل مقامه في الجنة فوق كل مكان أو اجعل مقداره أرفع من مقدارها
وذاته أشرف من جميع الذوات لأن الذوات بنا الله كما ورد في الحديث
وصح في بعض النسخ ثنا الناس وثناه بمثلثة أي اجعل مدحه والثنا عليه
فوق ما يثني به الناس عليه فإنهم لا يقدرون على أداء حق الأدا
وأكرم مثواه لديك أي اجعل مقامه عندك كريما أي حسنا مرضيا
من ثوى بالمكان إذا أقام به ونزله بضم النون وسكون الزاي ويجوز
ضمها وهو القرى المعد للضيف إذا نزل والمراد به ثوابه وأجره وحسن
استعارته هنا ذكره بعد المثوى وهو المنزل فإنه كريم على كرم وأتمم له
نوره أي اجعل النور الذي أودعته فيه تاما كاملا ليكون في سائر جهاته
وحواسه وقلبه كما ورد في دعائه عليه الصلاة والسلام اللهم اجعل في قلبي
نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا وفي سائر جهاتي نورا واجزه فيه
ما تقدم من الضبط ترتيبا من ابتعاثك افتعال من البعث بموحدة ومثلثة
أي بعثك له بالنبوة والرسالة فقوله متعلق به وليست اللام تعليلية

متعلقة باجزه كما قيل أي كافئه على ما قام به من أمور الرسالة مقبول الشهادة
أي شهادته في المحشر للأنبياء عليهم الصلاة والسلام وعلى الأمم مرضي المقالة
أي ما يقوله من الشهادة والشفاعة فلا يسخط ولا يرد له قوله ذا منطق
عدل مصدر ميمي بمعنى النطق وعدل بمعنى معتدل مستقيم وهو حال أيضا
والمراد به ما يقوله بعد الشفاعة من حمده تعالى بمحامد لا يتناهى وخطة
فصل بتقدير مضاف أي وذا خطة وهي بضم الخاء المعجمة وتشديد الطاء
المهملة وهي الأمر والشأن والفصل الجزل الفاصل بين الحق والباطل يوم القيامة
وبرهان عظيم أي دليل نبوته ورسالته القوي القاطع من معجزاته الباهرة
وقد ذكر هذا صاحب القاموس في كتابه المسمى بالصلات والبشر في الصلاة
على خير البشر مع ما فيه من الزيادات واختلاف الروايات وحسبك من القلادة
ما أحاط بالجيد وزاد أبو بكر بن أبي شيبة في روايته فيها بقول اللهم اجعلنا
سامعين مطيعين وأولياء مخلصين ورفقاء مصاحبين اللهم أبلغه
منا السلام واردد علينا منه السلام وعنه أي عن علي كرم الله وجهه
أيضا في كيفية الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لكن قال الحافظ السخاوي
إنه لم يقف على أصله أنه صلى عليه فقال إن الله وملائكته يصلون على
النبي الآية أي تلا الآية الآمرة بذلك إلى آخرها لتقع صلاته بعدها
امتثالا لأمر الله في قوله عقبها لبيك اللهم وسعديك أي إجابة بعد
إجابة وإسعادا بعد إسعاد في طاعتك وامتثالا لأمرك والتثنية
فيهما لمجرد التكرار وعاملهما محذوف وجوبا كما فصل في النحو صلوات الله
البر الرحيم أي المنعم المتفضل بأنواع البر والرحمة ومعنى البر العطوف
اللطيف بعباده وهو من أسمائه تعالى ولم يسمع بار لأن البر أبلغ منه وصلوات
الملائكة المقربين خبر لإفرادهم بالذكر لشرفهم والنبيين
والصديقين أي المبالغين في الصدق والإخلاص من أشراف المؤمنين
الصالحين والشهداء والصالحين القائمين من غير تقصير بحقوق
الله وحقوق عباده والشهدا جمع شهيد فعيل بمعنى فاعل أو مفعول وهو
من قتل مجاهدا في سبيل الله لإعلاء كلمته تعالى ومن ألحق بهم كالمبطون
والغريق ونحوهم سمي به لأن الله وملائكته يشهدون له بالجنة أو لأنه
حي فكأنه شاهد حاضر أو لأن ملائكة الرحمة تشهده أو لقيامه بشهادة الحق
أو لشهوده ما أعد له من الكرامة حين قتل وما سبح لك من شيء ما مصدرية أو نكرة
ومن زائدة وهو التنبيه أي صلوات هؤلاء دائمة مستمرة مدة تسبيح الأشياء
وإن من شيء إلا يسبح بحمده وهذا على ما وقع بيده وأما في قوله

ما سبّح الحجر في يده وما سبّح بما موصولة معطوفة على الاسم ومن
نبا نبته اي وصلوات الله وصلوات كل شيء سبحك يا رب العالمين اي جميع
المخلوقات فهو شامل للعقلاء وغيرهم تغليبا كما حقق في كتب التفسير
على محمد بن عبد الله متعلق بعدد رجحن لصلوات الله خاتم النبيين
اي آخرهم بعثة وسيد المرسلين اي افضلهم واشرفهم وإضافة
خاتم النبيين تابعة لما في القرآن وسيد المرسلين تغنتنا واطلاق السيد
عليه ثابت بالاحاديث كقوله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا
فخر واما قوله لا تسودوني سيدا فما ورد بلا تفضلوني بسيادة لهم او هو تواضع
منه وورد اطلاقه على الله تعالى ايضا بمعنى المالك كما فصلناه في
غير هذا المحل وامام المتقدمين الذين يقتدون به في العلم والعمل
ورسول رب العالمين الى الخلق اجمعين الشاهد على الانبياء واممهم
بتبليغ الانبياء وعلى اممهم بما بلغوهم يوم القيامة كما قال تعالى وجئنا بك
على هؤلاء شهيدا كما تقدم تحقيقه البشير للمؤمنين بسعادة الدارين الداعي
اليك اي الذي دعا الخلق الى طاعة الله وتوحيده باذنك اي بامرك
له بدعوتهم او بتيسيرك وتسهيلك السراج المنير شبهه بذلك لازالته
ظلمة الكفر وتنويره لقلوب المومنين بنور هدايته وتوضيحه لطرق الحق
والحقيقة ولانه ذاته صلى الله عليه وسلم نور ولذا ورد انه لم يكن له ظل
كما ورد عليه السلام اي السلامة من كل وصمة ونقص وعن ابن مسعود
كما رواه ابن ماجه والبيهقي في كيفية اخرى للصلاة عليه اللهم اجعل صلواتك
وبركاتك ورحمتك المراد بجعلها انزالها ولذا عداه بعلى في قوله
على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد المجرد لما قبله
عبدك ورسولك تقدم وصفه بالعبودية لشرفها بالاختصاص وتقدمها
امام الخير اي امام الاخيار والمقتدى به في كل خير ورسول الرحمة
اي الذي ارسله رحمة للعالمين وقد ورد في حديث مسلم انا نبي الرحمة
اللهم ابعثه مقاما محمودا يحمده فيه جميع الانبياء وسائر الخلق وهو مقام
الشفاعة العظمى وقد ورد تفسيره بهذا ومقاما منصوب على الظرفية
بابعثه بمعنى اقمه وفسر بعضهم البعث بالاحياء والتنكير للتعظيم يغبطه
فيه الاولون والآخرون اي يتمنون نيل مثله من غير زوال له وهذا
هو الفرق بين الغبطة والحسد ولذا قيل ان الغبطة حسد غير
مذموم وقد يراد بالغبطة لازمها وهي المحبة والسرور برؤيته فقط
فهو اللائق بمقام الرسل الكمل فانهم من تمني مقام غيره الذي يخصه

الله

الله وبركاته يقول هل اساوينه في مقامه وفيه اعتراض خفي ولذا لما قيل
له صلى الله عليه وسلم هل يضر الغبط قال لا الا كما يضر العضاة الخبط
فاشار الى انه فيه ضرر ليس كضرره بتمني الزوال فان الخبط يقطع الورق
دون الاغصان والساق فاعرفه فانه دقيق اللهم صل على محمد وعلى آل محمد
كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد تقدم بيانه وبارك على محمد وعلى آل
محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد وكان الحسن
البصري رحمه الله يقول من اراد ان يشرب بالكاس الاوفى اراد به انا فيه
ما يرويه ويزيد من الوفاء هو الكثرة وفي القاموس وفي واوفى تم وكثر
فهو وفي ووفاف وهو المراد ههنا والزبيدي في لحن العوام بانهم يقولون
درهم واف اذا كان يزيد في وزنه وقال ابو بكر الوافي الذي لا زيادة فيه
ولا نقص وهو الذي في بن نسخة انتهى من حوض المصطفى الذي يسقي منه
العطاش يوم القيامة وهل هو الكوثر او غيره فيه فليقل اللهم صل على
محمد وعلى آل محمد وعلى آله واصحابه واولاده وازواجه وذريته بفتح
المهملة وقد تكسر نسل الانسان من ذكر وانثى وقد يخص بالنساء والاطفال
ومنه ذراري المشركين من الذرء وهو الخلق ولكثرتها اسقط الهمز وقيل
من ذر لتفرق ادمي الذر لانهم خلقوا اولا مثل الذر وهو النمل الصغير وعليها
فلا اصل له من الهمز ويدخل فيهم اولاد البنات اتفاقا على ما قاله
ابن الحاجب لكن رد بان مذهب ابي حنيفة انهم لا يدخلون وهو رواية
عن احمد نعم اجمعوا على دخول اولاد بنات فاطمة في ذريته صلى الله عليه
وسلم خصوصية لهم لشرف هذا الاصل العظيم والمجد الكريم وبين الازواج
والآل عموم وخصوص من وجه وبين الذرية والآل عموم وخصوص
مطلق واهل بيته وانصاره واشياعه اي اتباعه جمع شيعة
وشيعة الرجل اتباعه والفرقة على حدة وتقع على الواحد المذكر وغيره
وغلبت بعد ذلك على طائفة ادعت تفضيل علي كرم الله وجهه على
غيره ومحبته المراد بهم من بلغت محبته منه محلا لا يصل اليه غيره من
بحيث يكون احب اليه من نفسه واهله وماله واهل من عطف العام
على الخاص ليشمل جميع الامة وعلينا يعني المتكلم ومن يختص به معهم
اجمعين يا ارحم الراحمين وتعميمه في هذا الدعاء وتفصيله
تفصيلا تاما كان جزاء من صلى به ودعا له بهذا الدعا من جلس عمله بالاكوم
مشربه او فيه وعن طاوس هو الامام ابو عبد الرحمن بن كيسان كما تقدم
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان يقول اذا اصلي عليه صلى الله

عليه وسلم اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى يوم القيامة اذا قيل له صلى الله
عليه وسلم اشفع تشفع وقال الكبرى لان له صلى الله عليه وسلم
شفاعات ثمة بلغها النووي رحمه الله خمسا وقد تقدم ذكرها والمراد بها
شفاعات ثمة بلغها النووي رحمه الله خمسا وقد تقدم ذكرها والمراد بها
شفاعته لفصل القضا لا لاخراج عصاة المومنين من النار كما قيل
فان قلت شفاعته صلى الله عليه وسلم مقبولة فما فايدة
الدعا له صلى الله عليه وسلم بها قلت هذا امر ابتهج
تعبد لنيل الثواب وان كان امرا متحققا كما في قوله وارفع درجته العليا
ومرتبته في جنات النعيم والمراد بهذا كله تعظيمه صلى الله عليه وسلم وانه
اي اعطه وانجح عليه سواله فعل بمعنى مفعول كخبز بمعنى مخبوز اي سوله
ومطلوبه وما يحبه ويبتغيه في الاخرة والاولى اي الدنيا سميت اولى لتقدمها
على الاخرة ومطلوبه في الاخرة درجاته وقربه ونجاة امته وفي الدنيا اعلا
كلمة الله ونصره ونصر امته وسعة ملكهم وان لا يسلط عليهم اعداهم ولا
يستاصلهم ولا يهلكهم بسنة عامة ونحوه مما ورد في الحديث
كما اتيت ابراهيم وموسى فان قلت الفضل معقود لبيان الصلاة
وليس في هذا ذكرها قلت المراد بالصلاة الدعا له صلى الله
عليه وسلم وهو دعا فيه تعظيم وثنا عليه بما يليق وعن وهيب
بالتصغير ابن الورد ويقال ابن ابي الورد المخزومي المكي الزاهد الثقة
مولاهم واسمه عبد الوهاب ووهيب لقبه وكنيته ابو عثمان روى عن
عطا مرسلا وغيره وروى عنه كثير واحتج له مسلم واصحاب السنن
وله احاديث ومواعظ توفي سنة ثلاث وخمسين ومائة وفي بعض النسخ
وهب مكبرا والمعروف الاول انه كان يقول في دعايه له صلى
الله عليه وسلم اللهم اعط محمدا افضل ما سالك لنفسه ام احبه دعاه بما
احبه لنفسه واعط محمدا افضل ما سالك له اي لاجله احد من خلقك ه
فاستجب دعاءهم له واعط محمدا ما انت مسول له الى يوم القيامة
تعميم بعد تعميم وعن ابن مسعود رواه عنه ابن ماجة والبيهقي والديلمي
والدارقطني وتمام في فوايده انه كان يقول اذا صليتم على النبي صلى الله عليه
وسلم فاحسنوا الصلاة عليه اي اقصدوا احسنها وقولوه فانكم لا تدرون
انها تبلغه ام لعل ذلك الدعا والصلاة تعرض عليه وتبلغه صلاتكم
عليه وتبلغه صلاتكم عليه فينبغي ان تحروا الاحسن حتى تسره صلى الله
عليه وسلم ما تبلغه منه فقيل لعلها هنا للجزم فانه ورد انها تعرض عليه

صلى الله عليه وسلم وسياتي وسيل ابن مجبر رحمه الله هل الافضل والاحسن
في الصلاة عليه ان يقول صل على محمد او على سيدنا محمد بصيغة السيادة فاجاب
بان اتباع الاثار الواردة ارجح لا يقال لعله تركه تواضعا منه كما لم يكن
يقول عند ذكر اسمه صلى الله عليه وسلم وهو مندوب لغيره لانا نقول
لو كان ذلك كذلك لجا عن الصحابة والتابعين ولم يرو عنهم الا في حديث ضعيف
في الشفا عن ابن مسعود وذكر الشافعية انه لو حلف احد ان يصلي على
النبي صلى الله عليه وسلم افضل صلاة فطريق البر ان ياتي بذلك وقال النووي
رحمه الله افضله ما في التشهد والحاصل انه لم يرد ذكر سيدنا عن احد
من الصحابة ولو كان مندوبا ما خفي عليهم والخير كله في الاتباع انتهى وهذا
يقرب من مسئلة اصولية وهي ان الادب احسن او الاتباع والامتثال ورجح الثاني
وقيل انه هو الادب كما مر فقوله وقولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك
الى قوله انك حميد مجيد تقدم بيانه بما يغني عن اعادته الا انه قيل
انه بيان للحسن الذي ذكره ابن مسعود وارشاد لما امر به من الاحسان في الصلاة
عليه وان الاحسن قيل انه يحتمل ويحتمل ان يكون تمثيلا للحسن منه وان لا
فوقه ما هو احسن منه وانه هو الظاهر وفيه نظر وما يوثر بالبنا للمجهول
اي ينقل عنه صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين وما ليس موصولة
مسندا خبره كثير ومن تطويل الصلاة وتكثير الثنا على اهل البيت وغيرهم
من الصحابة وتفضيلهم كما هو كثير في الاثار المروية عن السلف حتى افردوا بالتاليف
من احسنها القول البديع للسخاوي المتقدم ذكره وقوله في الحديث
المتقدم في التشهد والسلام كما علمتم يعني في تشهد الصلاة في قوله
السلام عليك ايها النبي الخ وهو اشارة الى تفسير ما سبق في رواية مالك
عن ابن مسعود لما سالوه كيف نصلي عليك اخره الى هنا وهو اشارة الى ما علمتم
من التشهد وعلمتم بالبنا للمجهول وتشديد اللام او بالبنا للفاعل وتخفيف
اللام كما تقدم والمعنى ظاهر وهما سلاما لانهم اذا علموا علموا الكل
ما بعده يقتضي الاول اعني قوله هو ما علمتم في التشهد من قوله صلى الله
عليه وسلم السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد
الله الصالحين تقدم تفسيره وفي تشهد علي رضي الله عنه والتشهد روي
عن الصحابة من طرق كثيرة اسندوها وعد الترمذي رواه عن علي السلام على
نبي الله السلام على انبيا الله ورسله تقدم بيان شرفه وتفضله عليهم
السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل اخر وصفه بالرسالة
اشارة الى تاخيره رسالته بحسب الزمان لانه مسك الختام السلام على محمد

عرضي

ابن التبريب

ابن عبد الله كرم السلام عليه باسمه ونسبه تاكيدا السلام علينا وعلى المومنين
والمومنات من غاب منهم ومن شهد اي حضر اللهم اغفر لمحمد سياتي بيان
الدعا له صلى الله عليه وسلم بالمغفرة تقبل شفاعته واغفر لاهل
بيته واغفر لي ولوالدي بالتشديد مضافا ليا المتكلم وما ولدا زاده ليشمل
اقارباه المسلمين وخواتي نسبه الا ان فيه اشكالا لان عليا كرم الله وجهه
هو الذي قاله فكيف يدعو لوالديه وامه فاطمة بنت اسد بن هاشم
ابن عبد مناف وهي اول هاشمية ولدت في الاسلام هاشميا اسلمت
وتوفيت بالمدينة وكفنها رسول الله صلى الله عليه وسلم في قميصه
واضطجع في قبرها وقال جزاك الله من ام خيرا لانها ربته صلى الله عليه
وسلم واحسنت صنيعها معه كما ذكره الطبراني في الرياض النضرة
وانما اضطجع صلى الله عليه وسلم في قبرها ليخفف عنها ضغطة القبر
كما صرح به في الحديث وابوه ابو طالب توفي كافرا وادعى بعض
الشيعة انه اسلم لا اصل له وقد نهي عن الاستغفار للمشركين
كما في الاية الكريمة واجيب عنه باجوبة فقيل انه تغليب
لامه ولا وجه له وقيل المراد بابويه ادم وحوا ولا يخفى بعده
وقيل المراد تعليم من يدعو من المومنين ان يقوله وهو افرب
وربما قيل انه سهو من الناسخ زاد فيه الفا وانما هو ولدي يعني الحسن
والحسين واولادها النبي لي وكذا اله كانه من كلامه صلى الله عليه
عليه وسلم او هو بنا على اسلام ابويه على ما ارتضاه السيوطي
وسياتي بيانه وارحمنا فيه ما تقدم السلام علينا وعلى عباد الله
الصالحين السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته تقدم
بيانه جا في هذا الحديث عن علي الدعا للنبي بالغفران وهو المغفرة
وهي كما قال الراغب والدعا له بها صلى الله عليه وسلم
من امته لا ينبغي لايهامه القصور من المدعو له وانما قول الله تعالى
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر ودعاوه لنفسه
بالمغفرة فلا يقاس عليه وفي حديث الصلاة عليه صلى الله
عليه وسلم عنه ايضا اي عن علي ما يدل على المنع اي تقدم
من طريق الحاكم الدعا له صلى الله عليه وسلم بالرحمة وانما يدعى
بالصلاة والبركة اقتصارا على ما ورد في حقه وان كان معناها الرحمة
لكنها رحمة خاصة مشعرة بنوع تعظيم ولم يات في غيره اي في غير هذا
الحديث من الاحاديث المرفوعة المعروفة المنسوبة النبي

صلى الله عليه وسلم وهو بيان لغيره وقد ذهب ابو عمر بن عبد البر الامام
الجليل العمدة كما تقدم وغيره من علما المالكية والحديث الى انه
لا يدعى للنبي صلى الله عليه وسلم بالرحمة فهو مكروه عندهم لانها للتقصير
وانما يدعى له بالصلاة اي بهذا اللفظ الماثور به في القران والبركة
التي يختص به يعني التي بمعنى الدوام والثبوت على التشريف والتكريم بكثرة
الخيرات الالهية وفيض المواهب اللدنية ويدعى لغيره من المومنين بالرحمة
والمغفرة لانه غير معصوم ولا يخلو من تقصير فهو محتاج للمغفرة والرحمة
اشد لا كالرسول المعصوم الذي غفر الله له ما تقدم وما تاخر والمراد غيره صلى
الله عليه وسلم من امته لا الانبيا فان من الادب ان لا يدعى لهم بذلك ايضا
وكذلك الصحابة ينبغي انه يقال فيهم رضي الله عنهم ولا يرد على هذا
ان الصلاة هنا معناها الرحمة لانه لا يلزم من كون لفظ بمعنى لفظ انه يستعمل
في محله مع انه غير مسلم فان الصلاة فيها معنى التعظيم ولو كانت مطلق الرحمة
لزم استعمالها في حق غيره وليس كذلك وقد ذكر الامام محمد بن ابي زيد
في مذهب مالك صاحب الرسالة المشهورة كما تقدم في الصلاة على النبي صلى
الله عليه وسلم في تشهد الصلاة اللهم ارحم محمدا وال محمد كما ترحمت
على ابراهيم وال ابراهيم ورده المصنف بقوله ولم يات هذا في حديث
صحيح وحجته في جواز الدعا له صلى الله عليه وسلم بالرحمة الذي بعد
غيره قوله صلى الله عليه وسلم فيما روي عنه في السلام المروي في التشهد
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته فاطلاق الرحمة عليه
مما يدل على جواز الدعا له صلى الله عليه وسلم بالرحمة اذ لا فرق بينهما
وقال الرافعي في الشرح الكبير من الناس من زاد وارحم محمدا كما رحمت
على ابراهيم وربما يقولون وترحمت على ابراهيم بالتا ولم يرد في خبر وهو غير
فصيح فانه لا يقال ترحمت عليه وانما يقال رحمته وفي الترحم تكلف لا يحسن
اطلاقه على الله وقال الاسنوي في انوار الدوفيه اسقطها النووي في الروضة
وقول الرافعي انه لا يقال ترحمت عليه غير مستقيم فان الصغاني قال
يقال ترحمت عليه وقال الغزالي لا يجوز ترحم بالتا وهو مراد الرافعي بقوله
انه لا يحسن وقال النووي انه بدعة وبالغ ابن العربي في انكاره وخطية
ابن ابي زيد وفي الاذكار ما قاله بعض اصحابنا وابن ابي زيد من استحباب
زيادة وارحم محمدا وال محمد بدعة لا اصل لها وقد جهل ابن العربي في
شرح الترمذي قائلها لانه لم يرد في التشهد الذي علمه رسول الله صلى
الله عليه وسلم الصحابة فالزيادة استدراك عليه وقال جمعهم انكاره على

لان الحاكم رواه في مستدركه باسانيد صحيحة عن ابن مسعود وكذا رواه
الذهبي وقد قال الشافعي في رسالته وهو ممن لما قاله نقلدوه وكما
قاله البرهان الحلبي في حواشيه اقول لا يحصل لنا قالوه باسرهم
انهم اختلفوا في جواز الدعاء له صلى الله عليه وسلم بالرحمة والمغفرة
وفي وروده في الحديث والذي صححه الفقهاء والحفاظ ثبوته وجوازه
ومنشأ الخلاف ان الرحمة والمغفرة تقتضي قصورا او دنوا حاشاه الله منه
واعطاه براءة منه اذ قال له صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تأخر وسوى بينهما ايماء الى ان المتقدم كالمتأخر في عدم الوقوع
ولذا قال المراد بذنبه ذنب امته كما مر فينبغي ان يقال
بجوازه مقرونا بغيره غير مفرد تعبدا او طلبا للثواب
والمغفرة له ليست بالذنوب بل امور تقتضيها الجبلة البشرية
وتاباه العادة الملكية من الاشتغال الدنيوية وان كانت
مباحة او لازمة لمقامه صلى الله عليه وسلم ولذا قال
انه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة وسيأتي
تحقيقه ان شاء الله

فصل في فضيلة الصلاة عليه

صلى الله عليه وسلم اي ثوابها وفوائدها لمن فعلها
والتسليم عليه اي قوله السلام عليك ايها النبي ونحوه والدعا
له المأثور نحو اللهم آته الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية
الرفيعة والمراد تعظيمه صلى الله عليه وسلم واظهار محبته وطلب بغيته
فليس من تحصيل الحاصل ولا لاحتياج له صلى الله عليه وسلم وقدم المصنف
حديثا مسندا تبركا به رواه الشيخان ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما
حدثنا احمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه قالوا ابن وريه عند المصنف
من مشايخه واسمه احمد بن محمد عدة ناس منهم احمد بن محمد بن عبيد
الله بن عبد الرحمن بن عثمان بن غلبون الخولاني واحمد بن محمد بن عبد
العزيز اللخمي وهو ابن المرجي ابو جعفر واحمد بن محمد بن عبد الله الشارقي
والمراد الاول لانه اشهر مشايخه وكان عليه ان يذكر ما يعينه
فكانه اعتمد على شهرته قال حدثنا القاضي يونس بن مغيث
وكانه تقدمت ترجمته قال حدثنا ابو بكر ابن معاوية بن الاحمر الاندلسي
وهو محمد بن معاوية بن عبد الرحمن بن معاوية بن اسحاق ابن عبد الله
بن هشام بن عبد الملك بن مروان ابو بكر القرطبي الامام الثقة
الجليل رحل الى المشرق سنة خمس وتسعين ومائتين وسمع من

النسائي وغيره ودخل الهند تاجرا وتوفي في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة
قال حدثنا النسائي امام الحديث وصاحب السنن المشهورة واسمه
احمد بن شعيب كما تقدم بيانه قال حدثنا وفي نسخة اخبرنا سويد بن نصر
ابو الفضل المروزي المعروف بالشاه الامام روى عن ابن المبارك وغيره
واخرج له اصحاب السنن وتوفي سنة اربعين ومائتين قال
اخبرنا عبد الله عن حيوة بن شريح هو ابو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك
ابن واضح التميمي مولاهم المروزي شيخ خراسان وابوه تركي تاجر وامه
خوارزمية ولد سنة ثمان عشرة ومائة وتوفي سنة احدى وثمانين ومائة
وقبره بهيت يزار واخرج له الستة كما تقدم وحيوة ابن شريح تقدمت
ترجمته وما فيه قال اخبرني كعب بن علقمة بن كعب بن عدي التنوخي
المصري التابعي الثقة توفي سنة ثلاثين ومائة واخرج له اصحاب
السنن وفي بعض النسخ كعب بن علقمة وهو سهو وقد تقدم هذا الحديث
انه سمع عبد الرحمن بن جبير مولى نافع الامام الجليل الثقة اخرج له اصحاب
السنن وتوفي سنة سبع وتسعين انه سمع عبد الله بن عمرو الصحابي
المشهور رضي الله عنه يقول اذا سمعتم المؤذن وهو يؤذن للصلاة اي
او غيرها فقولوا مثل ما يقول من تكبير وتشهد وصلاة وحيعلة تصديقا
وهو سنة معروفة و[illegible] له فاجب وتقدم بسط الكلام
فيه وصلوا وفي مسلم ثم صلوا علي والمعنى واحد وقد علمت
ان هذا احد المواطن التي تستحب فيها الصلاة كما تقدم وانه يقرن فيه
الصلاة بالسلام فانه الافضل وافرادها بخلاف مكروه ولا يحتج بتعليمهم
كيفية الصلاة السابقة لان السلام سبق في التشهد فلا افراد فيه
وقد جاء ذكر الصلاة مقرونا بالسلام في مواطن منها عقب ما يقال عند ركوب
الدابة كما رواه الدارقطني في الدعا مرفوعا وكذا في غيره فلما اخذ في بعض
المواضع اختصارا وكذا استحب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
في الاقامة كما ذكره الخيضري فيما تقدم فانه من صلى علي مرة صلى الله عليه
عشرا لان الحسنة بعشر امثالها وكون الله عز وجل يصلي عليه فيه
من الرحمة له واعلاء قدره ما لا يخفى وقال [illegible] المضارع اشارة الى انه يقول
من غير تأخر لما بعد الاذان وظاهره انه يتابعه في الحيعلتين وهو
قول لنا وفي قول يعتمد انه يقول عندهما لا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم اي لا قدرة للعبد على طاعته التي دعي اليها الا بتوفيقه وكان ابن
جبير يقول سمعنا واطعنا ولا يرفع المجيب صوته في الاجابة لان التنبيه

لمن من كل الوجوه ثم سلوا الله لي الوسيلة بان يقول اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة ات محمد الوسيلة والفضيلة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته فان من قال ذلك حلت له شفاعتي يوم القيامة والوسيلة لغة ما يتقرب به الى كل كبير وفسرت في الحديث بقوله فانها منزلة في الجنة من اجل منازلها وتدبر هذه المعنا هي اللغوي فانها تقربه الى الله ه لا ينبغي لاحد من عباد الله اي لا يليق بكل احد فانها اعلى المنازل فلا يليق الا باقرب البشر وانا ارجو ان اكون انا هو عبر بالرجا وان كان الله اعطاه ذلك لوعد من لا يخلف الميعاد تواضعا منه وتفويضا للامر فيما يستقبل الى الله وتعليما لامته وارشادا لهم لا يكونوا بين الخوف والرجا دايما لا سيما في امور الاخرة وقد فسرت الوسيلة ايضا بالشفاعة العظمى كما مر ايضا وجمع بينهما بان صاحب تلك المنزلة هو صاحب الشفاعة العظمى ايضا وانا تاكيد لاسم كان المستتر وهو خبرها ووضع موضع اياه استعير ضمير الرفع لضمير النصب وتقدم ان ذلك خلاف الظاهر وقيل انها ضمير مستتر وانا هو مبتدا وخبر والجملة خبر اكون وفيما قيل ان هو وضع موضع اسم الاشارة اي ان اكون ذلك العبد كما في قوله ربه

فيها خطوط من سواد وبلق ۰ كانه في الجلد توليع البهق

لا وجه له فان مثله انما ذكروه في وضع الضمير المنفصل موضع غيره لا في وضع المرفوع موضع غيره كما ذكره النحاة فمن سال لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة اي استحقت ووجبت له بفضل الله من حل يحل بمعنى نزل وفي البخاري حلت له دوها بمعنى والشفاعة هنا مطلقة فان كان مذنبا ه خلصته شفاعته صلى الله عليه وسلم من العذاب والا شفع له باعلى درجته او بادخاله الجنة من غير حساب وفي شرح مسلم للمصنف ان هذا مخصص بمن قاله مخلصا قاصدا الذكر تعظيمه صلى الله عليه وسلم لا بمجرد الثواب وقال ابن حجر انه تحكم غير مرضي ولو اخرج الغافل كان اشبه وتقدم الكلام على ذلك كله وفيه الحث على ذلك الدعا في اوقات الصلاة لا سيما الاجابة كما قالوه وروى انس ابن مالك كما في شعب الايمان للبيهقي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي صلاة واحدة في وقت صلى الله عليه وسلم عشر صلوات اي رحمه الله رحمة مضاعفة معظمة لا تشبه غيرها لانها اضافته الى الله اضافة تعظيم وتشريف وان كان كل من جا بحسنة له عشر امثالها وحط عنه عشر خطيات ان كان ارتكب خطيئة ورفع له عشر درجات باعلا منها انه في جنة النعيم

ويجوز ان
الخبر

وعلو

وعلو منزلته بقربه من الله وفي رواية اخرى رواها ابو يعلى وكتب له عشر حسنات فان الصلاة عليه حسنة وكل حسنة بعشر امثالها وهذه الزيادة هنا باسناد ذلك الى الله تعالى وانه تعالى ذلك بنفسه ولم يوله للملائكة الكتبة يدل على انها اعظم من ساير الحسنات وصلاة الله كما علمت رحمته رحمة خاصة به في غلي حقيقتها من مشاهدة كما قيل وعن انس بن مالك انه روي عنه صلى الله عليه وسلم في حديث رواه ابن ابي شيبة في مسنده انه قال ان جبريل عليه الصلاة والسلام ناداني اي قال لي ويحتمل انه ناداه في الافق فناداه بصوت عال فقال فيه له من صلى الخ ويويد الاول قوله في بعض النسخ فقال من صلى عليك صلاة باخلاص بقصد بها تعظيمك صلى الله عليه وسلم عشرا ورفعه عشر درجات فوقه ه مقامه الذي يستحقه وصلاة الله على من صلى عليه ثابتة في عدة احاديث كثيرة سنده صحيحة وفي بعض الروايات زيادة على العشر والاقل لا ينفي الاكثر وفي رواية عبد الرحمن بن عوف التي رواها الحاكم والبيهقي وصححاها عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لقيت جبريل فقال ابشرك اي اخبرك بما يسرك سرورا عظيما ه يظهر في وجهك وليسرك وهو اصل معناه ان الله اي بان الله يقول من سلم عليك اي قال السلام عليك ايها النبي داعيا لك بالسلامة من كل نقص وسوء ولقيا اليك عنا فتسليمه سلمت عليه اي سلمته من كل سوء وحفظته عنايتي وعبر بهذا مشاكلة ومن صلى عليك صلى الله عليه ليس في هذه الرواية عشرا ولا غيره فهي محمولة على ما مر واكثر صحيح روي من طرق وسببه ان عبد الرحمن بن عوف كان يلازم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحرسه ليلا ونهارا فاتبعه ليلة وقد خرج من منزله فدخل حايطا فسجد سجودا طويلا حتى ظن انه قبض روحه فبكى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك فاخبره بما خطر بباله فقال له جاءني جبريل واخبرني بان الله يقول لي من سلم عليك ه سلمت عليه ومن صلى عليك صليت عليه فسجدت شكرا لله وهو حديث صحيح المتن والسند وقال الحاكم لا اعلم في سجدة الشكر اصح منه والاحاديث في فضل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كثيرة لا تحصى ونحوه اي مثل هذا الحديث لفظا ومعنى من رواية ابي هريرة ومالك ابن اوس بن الحدثان بفتح الحا والدال المهملتين ومثلثة والف ونون علم منقول من المصدر ومالك هذا هوازني مخضرم

ادرك الجاهلية والاسلام واخرج له السنة واختلف فيه هل هو صحابي
راى النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه احاديث مرفوعة او تابعي فهي
مرسلة والاصح عند الذهبي وغيره انه تابعي وتوفي في سنة اثنين
وتسعين وهو راوي حديثه مما روي عن ابن عمر بن الخطاب انه صلى الله عليه
وسلم خرج تبرزه فلم يجد من يتبعه ففزع عمر واتبعه بمطهرة فوجده
ساجدا في شربة فتنحى عنه حتى رفع راسه فقال له احسنت يا عمر
لتنحيك عنه تادبا ثم قال له ان جبريل اتاني فقال من صلى عليك واحدة
صلى الله عليه عشرا ورفعه عشر درجات اخرجه البخاري في الادب
وغيره وعبيد الله بن ابي طلحة الانصاري وهو بالتصغير وفي نسخة
عبد الله مكبرا قال البرهان وهو الاصح بل الصواب وهو عبد
الله بن ابي طلحة زيد بن سهل الانصاري اخو انس لامه ووالد اسحاق
واخوته وهو صحابي له رؤية توفي في زمن الوليد وحنكه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وسماه وحديثه رواه احمد والحاكم وابن حبان والنسائي قال
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم والبشر يرى في وجهه
فقالوا لما سالناه عن سببه لبشرة جاني جبريل فقال اما يرضيك يا محمد
انه لا يصلي عليك احد من امتك الا صليت عليه عشرا ولا يسلم
عليك احد من امتك الا سلمت عليه عشرا واخرجه ابن الجوزي
في الوفا بزيادة ولا يكون لصلاته منتهى دون العرش ولا تمر بملك الا قال
صلوا على قائلها كما صلى على النبي صلى الله عليه وسلم وعن زيد بن الحباب
بضم الحاء المهملة وموحدتين بينهما الف قال سمعت النبي صلى
الله عليه وسلم يقول ظاهره انه صحابي سمع من رسول الله
صلى الله عليه وسلم كما في سائر النسخ وهو كما قالوه وهم اذ بعض
له اذ سقط من الكاتب فان ابن الحباب ليس بصحابي ولا تابعي واني
هو وابن رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وان صحت
روايته وقيل انه لم يكن به باس ورحل في طلب الحديث
الى الاندلس مع فقره وله ترجمة في الميزان وكان المصنف لما اراد
كتابة الحديث سقط اول سنده ولذا قال يحيى بن علي القرشي المحدث
انه وهم ظاهر فانه ليس بتابعي ولا من اتباعهم وانما روى عن مالك
وامثاله وليس له نظير في اسمه واسم ابيه من الصحابة وهذا
الحديث رواه ابن الحباب عن ابن لهيعة عن بكر عن بكر ابن سوادة
عن زياد بن نعيم عن ابن شريح الحضرمي عن رويفع بن ثابت الصحابي

عنه

عنه صلى الله عليه وسلم فهو معضل لا مرسل كما قيل وابن الحباب
توفي سنة ثلاث ومائتين وقيل انما حذف سنده لضعفه وهو اعتذار
اعظم من الذنب فانه ليس بمعضل ايضا لان المعضل اذا قال سمعت يكون
كذبا فالصواب انه وهم وجواب التسمي عنه بان المصنف اسقط ما عدا
زيد لانه لا غرض له في ذكره رواية لا وجه له وانما يصح لو لم سمعت
وزيد هذا هو ابو الحسين الحافظ الخراساني والذي خطر بالبال ان قوله
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس من قول زيد وانما هو قول
ابي هريرة وهو المقصود بالرواية وما بعده مما يحتاج لبيانه لكثرة
طرقه وهذا غاية ما يمكن في توجيهه بحسن الظن به ولكنه بعيد
الا انه نظر لزيادة قوله وعن من قال في صلاته على رسول
الله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على محمد وانزله اي اعطه المنزل المقرب
بصيغة المفعول ويجوز كسرها اي يوم القيامة هو على ظاهره
او المراد في الاخرة والقرب منه رفعة معنوية المراد منه تعظيم الثواب
وفيض المواهب الربانية لا قربه مكاني لان الله منزه عنه
وجبت له شفاعتي اي ثبتت وتحققت بلا تردد لان الله لا يجب
عليه شيء عندنا رواه ابن مسعود في حديث صحيح رواه الترمذي وابن
حبان وفي نسخة وعن ابن مسعود ان اولى الناس بي يوم القيامة اي احقهم
بشفاعتي وعنايتي اقربهم مني منزلة اكثرهم صلاة علي لان ذلك
يدل على محبته والمرء مع من احب وعن ابي هريرة رضي الله عنه
عنه صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب كتبه من تاليف وشبهه
وغيره لم تزل الملائكة تستغفر له اي تدعو له بالمغفرة ما بقي
اسمي اي مدة بقائه مكتوبا في ذلك الكتاب والمراد التابيد كقوله
تعالى ما دامت السموات والارض قال الطبراني في الاوسط
رواه ابو الشيخ في الثواب والمستغفري وقال العراقي في تخريج احاديث
الاحياء وسنده فيه ضعف ومثله يعمل به في فضائل الاعمال وقال
خاتمة العلماء المالكية الحطاب في معنى ذلك يحتمل ان المراد انه كتب
الصلاة عليه في كتابه ويحتمل انه قرا الصلاة عليه المكتوبة وهو اوسع
والحجة والاول اظهر والنووي انتهى وتقدم نقله عن الشيخ زروق
قلت الاول هو المراد لان المعنى انه سن بذلك سنة حسنة
لما كتبه وكان سببا لغيره انه فله اجره واجر من قراه اجرا غير مقطوع
ولا ممنون وعن عامر بن ربيعة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول

من صلى علي صليت عليه الملائكة ما صلى علي فليقلل من ذلك عبد أو ليكثر
العطف للتخيير والفاء فصيحة أي إذا عرفت بقاء هذا أو وذا أنه ونفعه
لك فإن شئت أكثرت من كتابته كما استفيد من الأول أو التلفظ به
كما استفيد من هذا التريخ ربما كثيرا إذا ما وإن لم تشأ فاقصر على ما
قليل منه نافع لك وهذا في الحقيقة حث له على الإكثار فإن العاقل
لا يترك الخير الكثير ما أمكنه ولذا أتيل التخيير بجعل الاعلام بما هو
خير أكثر تحذيرا من التفريط في تحصيله قريب من التهديد بدون فيه
من البلاغة ما لا يخفى وعن أبي بن كعب في حديثه رواه الترمذي
وحسنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب
ربع الليل أي الأول وكان فعلا ماضيا لكنها تستعمل عرفا للدوام نحو
كان الله غفورا رحيما كما ذكره ابن جني في الخصائص قام من نومه
وإنه تهجد استراحته فقال لمن عنده من رجاله
وأهل بيته يا أيها الناس اذكروا الله بتمجيده وتحميده باسمائه
الحسنى وذكرهم وعظهم ونبأهم بالتهجد وحض هذا الوقت بما ذكر
لأنه وقت غفلة بمقتضى الطبيعة البشرية جاءت الراجفة
تتبعها الرادفة والراجفة من الرجف وهي الحركة بشدة والرعدة مع
صوت واضطراب ولذا قيل للبحر رجاف وقد تظرف ابن نباتة
المصري كما مر في وصف من حدثت له رعشة في كفه فقال

ما ان من رجاف كفك منكر • فالبحر من أسمائه الرجاف •

والمراد بالراجفة ما يكون بين يدي الساعة من الفتن والهرج
والمرج والزلازل والرادفة من ردف بمعنى تبع والمراد الساعة أو
الصيحة أو النفخة أو زلزلة أخرى والمراد إخبارهم بقرب الساعة
وأشراطها جاء الموت بما فيه من سكرات وأهوال وهو أقرب
لكل أحد من حبل الوريد والمراد حثهم على طاعة الله وإيقاظهم من نومة
الغفلة فقال أبي بن كعب لما قاله صلى الله عليه وسلم يا رسول
الله إني أكثر الصلاة عليك وأشتغل بها إذ قال بعد أداء الفرائض
دعوها فكم أجعل لك من صلاتي أي ما مقدار الوقت الذي أصلي عليك
فيه قال ما شئت أي أي قدر تريده وتستوكيه قال الربع أي أصرف
ربع أوقاتي لها قال ما شئت فإن زدت على الربع فهو خير لك نافع في
الدنيا والآخرة قال الثلث أي أصرف لها ثلث وقتي قال
ما شئت أي يكفي هذا وإن زدت فهو خير وأحسن لك قال النصف

قال

قال ما شئت وإن زدت فهو خير قال يا رسول الله أجعل صلاتي لك كلها
قال إذن يكفى أي تكفيك عما عداها لأنها خير الدنيا والآخرة وزيادة
الرحمة ببركتها ويغفر ذنبك لأنها مكفرة لسائر الذنوب أقول الصلاة
في هذا الحديث بمعنى الدعاء كما ذكره في كتاب الصلاة والبشر ومعناه
أنه في موطن الدعاء كعقب الصلوات ونحوها إذا أراد أن يدعو لنفسه وله
صلى الله عليه وسلم هل يزيد في دعائه لنفسه على الصلاة عليه أو يسوي بينهما
أو يزيد في الصلاة عليه أو يجعل دعاءه كله له ويترك دعاءه لنفسه فإنه
إذا فعل ذلك كفاه عن الدعاء لنفسه فإن الله يصلي عليه أضعاف صلاته
فينال كل خير من الله من غير طلب وهذا أولى وأحب إلى الله ورسوله
إذا عرفت هذا فما قيل هنا من أن هذا الحديث يقتضي أن الصلاة
عليه صلى الله عليه وسلم أفضل من سائر العبادات لأن الشارع إذا خص
وقتا بعبادة تكون فيه أفضل من غيرها كما دل الركوع والسجود فإنها أفضل
من غيرهما وإن كان غيرها في نفسه أفضل فالصلاة عليه لمن يريد الدعاء
أفضل من قول لا إله إلا الله وإن ورد في الحديث أفضل ما قلته
أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وقد سئل شيخ الإسلام السراج
البلقيني عن قراءة القرآن وذكر الله والصلاة على رسول الله أيها أفضل
فأجاب بأن كلا منها أفضل في محله فالصلاة على النبي صلى الله عليه
وسلم في وقت الدعاء وهي في الصلاة واجبة فهي أفضل من غيرها
فإذا جعل الإنسان دعاءه كله صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فإنه يكفي عما
غمه وهي أفضل من الاستغفار وغيره من الدعاء لا وجه له ولا حاجة
إليه فإن الحديث كما علمت إنما يدل على أن صلاته على رسول
الله صلى الله عليه وسلم تغني عن دعائه لنفسه ولا تقتضي أنها أفضل
من سائر العبادات ولا من قراءة القرآن وغيرها كما لا يخفى ولذا طال هذا
القائل من غير طائل وبعد عن المرام بمراحل ولبعض الشراح هنا كلام لا ينا
سب هذا المقام وهذا الحديث في المعنى كالحديث القدسي من شغله
ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين وعن أبي
طلحة زيد بن سهل الصحابي وفي الصحابة أبو طلحة آخر وهذا الذي نزل فيه
قوله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة كما قاله الخطيب
وقال البرهان لا أعرف في الصحابة من اسمه أبو طلحة غير ابن سهل هذا
وحديثه هذا أخرجه النسائي دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم
فرأيت في وجهه من آثار بشره أي مسرته وانشراحه وطلاقته

ما لم اره قط بيده لان دابه الخشوع والسكون والطلاقة ضده بمعنى
البشاشة قال الراغب يقال هو طلق الوجه وطليق الوجه اذا لم يكن كالحا
انتهى وهو في الاصل من الاطلاق من الوثاق فاستعير للبشاشة والسرور
فسالته عن سبب ذلك فقال وما يمنعني من المسرة وانشراح الصدر
وقد خرج جبريل من عندي آنفا اي قريبا من مجيئك فاتاني ببشارة من
ربي الظاهر انه قبلها اي اتاني ببشارة ثم خرج ومثله كثير في كلامهم
والحديث صحيح اخرجه احمد واصحاب السنن ان الله بفتح الهمزة
بدل مما قبله وبكسرها والجملة مفسرة للبشارة وهي الخبر
السار بعثني اي ارسلني اليك ابشرك انه ليس احد من امتك يصلي
عليك الا صلى الله عليه وسلم وملائكته بها اي بصلاته التي صلاها
عشرا وقد تقدم هذا بتفسيره وعن جابر بن عبد الله في
حديث رواه البخاري قال قال النبي صلى الله عليه
وسلم من قال حين يسمع النداء اي الاذان فتعريفه للعهد
اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة اي الدائمة
او التي تقوم لها الناس بروكعيشة راضية آت محمدا الوسيلة
والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي
اي تحققت يوم القيامة وظاهره انه يقوله وهو يسمع الاذان
من غير اجابة وبه استدل الطحاوي على انه لا تتعين الاجابة
والرواية بتنكير مقاما حكاية لما في القرآن وهو منصوب مفعول
آت والذي بدل او عطف بيان او هو منصوب على الظرفية والذي
مفعول وروي المقام المحمود بالتعريف كما قاله النووي ولا وجه
لانكاره وقد تقدم بيانه وعن سعد بن ابي وقاص في حديث صحيح
رواه مسلم من قال حين يسمع اذان المؤذن وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا
وبالاسلام دينا غفر له اي جميع ذنوبه وذكره استطرادا للمناسبة لما
قبله لانه ليس فيه شيء مما نحن فيه من فضل الصلاة عليه وما قيل
انه يعلم منه التزاما لان بمجرد الرضا به اذا كان سببا للمغفرة فكيف
اذا قرن به الصلاة والسلام عليه بعيد جدا لانه ليس في الكلام ما يدل
عليه بوجه من الوجوه وعن ابن وهب هو الامام ابو محمد عبد الله القرشي
كما تقدم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سلم علي عشرا قال السلام
عليك يا رسول الله عشر مرات فكانما اعتق رقبة اي عبدا وعبر بالجزء

عرضي

عن

عن الكل اي كان له ثواب مثل ثواب ذلك وفي بعض الآثار جمع اثر بمعنى الخبر
الذي يؤثر اي ينقل والمراد به هنا الحديث ليردن علي اقوام اي ياتوني
على الحوض لا اعرفهم الا بكثرة صلاتهم علي وفي نسخة ما اعرفهم الا يعني
انه صلى الله عليه وسلم يرى في وجوههم نورا وعلامة من آثار الصلاة
عليه وفي حديث آخر ان انجاكم اي اسرعكم نجاة وخلاصا يوم القيامة
من اهوالها اي شدائدها وخوفها ومواطنها الضمير للاهوال او للقيامة
التي يخافونها اكثركم علي صلاة يعني ان بركتها تسهل عليه شدائدها وهذا
الحديث رواه الاصبهاني في ترغيبه عن انس رضي الله عنه وفيه ايضا عن
عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
امحق للذنوب اي اشد ابطالا وازالة لها من محق الشيء اذا ابطله من الماء البارد
للنار فانه اذا صب عليها اطفاها واذهب ضررها ففيه تشبيه للصلاة
بذلك والسلام عليه صلى الله عليه وسلم افضل من عتق الرقاب هذا
الحديث رواه الاصبهاني في ترغيبه بلفظ الصلاة عليه افضل من عتق
الرقاب ووجه انما خص السلام بجعل ثوابه كثواب عتق الرقاب لان السلام فيه
تسليم له من سائر النقائص ومن اعتق رقبة اعتق الله بكل عضو منها عضوا
منه من النار فسلم مما يخشاه في الآخرة فلذا جعل السلام عليه واجره كالاعتاق
واجره وشبهه به دون الصلاة وهذه نكتة لطيفة لا تنافي ما مر لان
وجه الشبه قد يكون اقوى في المشبه وفي بعض الشروح هنا كلام تركه
خير منه **فصل في ذم من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم وانه**
لتركه الواجب عليه وذم من ترك الافضل في حقه ففيه اشارة الى انه
قد يجب وقد يندب كما تعرف لحصرنا آخر هذا الفصل مما قبله
وصدره بحديث مسنده رواه مسلم والترمذي كما هو دابه في كتابه
هذا فقال حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله هو ابن سكره
وقد تقدم قال حدثنا ابو الفضل بن خيرون هو احمد بن الحسن
ابن خيرون البغدادي الحافظ الناقد قد تقدم ايضا قال ابو الحسين
الصيرفي كذا في النسخ والصواب ابو الحسن بالتصغير وقد تقدمت ترجمته
ايضا قال حدثنا ابو يعلى هو احمد بن عبد الواحد المعروف بابن الحرة كما
تقدم قال حدثنا السنجي تقدم بيانه وبيان نسبته وضبطها قال
حدثنا ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي المشهور وقد تقدم
بيانه قال حدثنا ابو عيسى محمد احمد بن ابراهيم الدورقي هو احمد
ابن ابراهيم البغدادي الحافظ والدورقي بفتح الدال والراء المهملتين

بينهما واو وبليهما قاف وياء نسبة منسوب لبلد وهو في الاصل اسم انا الما
كالجرة ولنوع من القلانس شبهت بالاواني لطولها او وهم من خلط المزي
في قوله انه اسم بلد فانه سبقه اليه الحاكم في كتاب الكني والمعترض اعتمد
على كتاب الرشاطي وتبعه البرهان الحلبي في المقتفي والدور في كان امام
الحديث في عصره اخرج له السنة وغيرهم ولد في سنة ست واربعين
ومايتين قال حدثنا ربعي بن ابراهيم هو ربعي بن مقسم الاسدي الثقة
الحافظ توفي سنة سبع وتسعين ومايه عن عبد الرحمن بن اسحاق بن
عبد الله بن الحارث ابن كنانة القرشي العامري المدني ويقال
له عبادة بن اسحاق وثقوه وضعفه بعضهم وله ترجمة في الميزان
عن سعيد بن ابي سعيد هو المقبري وقد تقدم عن ابي هريرة رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل
اي اذله الله واخزاه وحقيقته الصق الله وجهه بالرغام وهو
التراب نكني به عما ذكر واضيف للانف لتقدمه ذكرت عنده
فلم يصل علي لان الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم تعظيم له وثوابه
لقايله وعزة له باعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم فمن تركه مع
سهولته عليه كان مستحقا للاهانة وهذا الحديث
اخرجه الترمذي وحسنه والحاكم وصححه ورغم انف رجل دخل رمضان
اي جاز زمانه والتعبير فيه بالدخول حقيقته عرفا اي في عرف
اللغة ثم انسلخ اي تم ومضى واصل السلخ نزع جلد الحيوان فاستعير
لكل اخراج يقال سلخت درعه اي نزعته ومنه سلخ الشهر لاخره قال
تعالى واية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون وما قلته
ادهم الليل حين حرونا • سلخت بزي الاهلة سلخا •
قبل ان يغفر له اي ولم يغفر له وفي التعبير بالقبلية اشارة الى انه
لكونه محل المغفرة كانت كالموجودة فذهب قبلها ورغم انف رجل
ادرك عنده ابواه الكبر اي ادركه الشيوخة وعمرا وهو معهما الا انه
لم يبرهما ولم يعاملهما بما يرضيهما فلم يدخلاه الجنة لانه لو فعل ذلك
لهما اثابه الله وادخله الجنة فان الجنة تحت اقدام
الوالدين كما ورد في الحديث قال عبد الرحمن بن اسحاق الذي
تقدم قريبا واظنه اي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
او احدهما اي احد ابويه ويجوز عود الضمير لابي هريرة فيفيد
شكا من الراوي وسياتي تتمة الكلام على هذا الحديث في الجامع

باب

باب هذين ان في صوم رمضان رضي به وخالقه وفي رضا الوالدين
بر من هو سبب لوجوده وفي الصلاة علي النبي صلى الله عليه وسلم
رضا من هو سبب لبقايه في النعيم المخلد والصوم رضا الرب بانه ليس
عليه فيه كلفة كالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فقد احرم
نفسه من فايدة عظيمة بتركه امرا لا مشقة فيه ورواه مسلم
بتم بدل الفا لاستبعاده ممن له عقل والفا نظرا لكونه ذلك واقعا
عقبه لا ان الفا بمعنى ثم كما توهم وقيد بر الوالدين بحال الكبر لانها
حال العجز ورحمتهما والاسناد في قوله يدخلاه اسناد مجازي السببية
وفي حديث اخر رواه الحاكم وصححه عن كعب بن عجرة بطريق اطول
من هذا ان النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر صعد بكسر العين
في الماضي في المستقبل كما قاله البرهان الحلبي والمنبر بكسر الميم اسم
اله من نبر بمعنى ارتفع لارتفاع الخطيب عليه فقال امين اذ
صعد درجة وامين اسم فعل بمعني استجب وقوله امين يقتضي
انه سمع داعيا يدعو ادرجة اخرى من درجات المنبر فقال امين ثم صعد
درجة فقال امين فساله معاذ راوي الحديث عن ذلك اي
عن قوله امين ثلاثا وما سببه فقال مجيبا للسايل عن سواله
ان جبريل اتاني لما صعدت المنبر وروي انه اتاه قبله فقال يا محمد
وروي انه قال له لبيك وسعديك من سميت للمجهول ذا الخطاب
المفتوح حذا نايب الفاعل اي ذكر اسمك بان يذكر اي عنده وهو حاضر
يسمع فلم يصل عليك فمات تاركا للصلاة عليك والتعقيب
عرفي كتزوج فولد له دخل النار عقوبة له على ترك الصلاة وهذا يقتضي
انه يقتضي وجوبها كلما سمع اسمه والجواب عنه فابعده
الله عن رحمته ونعيم جنته وقال له جبريل قل امين طلب منه التامين
على دعايه ليستجاب وفيه تعظيم له لا يخفى فقلت امين امتثالا
لامره الذي بلغه عن ربه قال ابن حجر في الزواجر ولهذا
الوعيد بتكرير الدعا عليه بالبعد والسحق وعده اجل الناس
عدوا ترك الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عند ذكره من
الكباير بنا على وجوبها كلما سمع ذكره كما ذهب اليه
طايفة من الحنفية وغيرهم ويمكن حمله على ما ترك الصلاة عليه
لاشتغاله بلهو ولعب على وجه يشعر بالاستخفاف بحقه صلى الله
عليه وسلم فيكون الترك حينيذ كبيرة مفسدة فلا منافاة بين

ذكر الخيضري بعضه اخذه فلينظر ان لو من بصيغة قول
ثم سال ابن ... صعد مرة مرة

هذا وبين القول بعدم الوجوب بالكلية وهذا امر مهم لم ار من نبه عليه
انتهى وقال فمن ادرك رمضان اي صومه فلم يغفر له بصيغة المجهول اي لم يتقبل
الله منه بان ابطل واحبط عمله فمات فدخل النار اي فدخل النار فابعده الله
قل آمين فقلت آمين ومن ادرك ابويه او احدهما فلم يبرهما اي لم يعلم
بواجب حقوقهما وما يستحقانه يقال بره بفتح عين الماضي يبره بضمها
لانه مضاعف متعد والمطرد فيه ذلك الا ان انما الا قليلة جاء فيها الضم
والكسر كما قاله ابن القوطية وغيره كما فصل في كتب التصريف
فمات فدخله بالنصب اي وذكر مثله اي فدخل النار فابعده الله الخ وعدم
ذكر رمضان اما لانه اكتفى به على وفق امر الله له بانه اخل به او انما الكلام
ينتشر فيه وهذا حديث صحيح روي من طرق كثيرة باسانيد متعددة
وعن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه من حديث صحيح رواه الترمذي
وصححه والنسائي عنه عليه الصلاة انه قال البخيل كل البخيل الذي
اذا ذكرت عنده فلم يصل علي وتعريف الطرفين يدل على الحصر اي لا بخيل
الا هذا او البخل الامساك عن بذل ما ينبغي شرعا او مروءة والشرع يقتضي
ذلك لانه امرنا به وكذا المروءة لانها تقتضي الثناء على من انعم واحسن
واي منعم مثله صلى الله عليه وسلم فانه واسطة لكل احد في جميع النعم
التي وصلت اليه والبخل بكلمة تنفع في الدنيا والاخرة بخل لا يشابهه
بخل وفي بعض الروايات المختلفة في البخيل كل البخيل وتوكيدا لانه كما
ياتي وفيه مبالغة لا تخفى وهو هنا استعارة تبعية بتشبيه ترك
الصلاة بترك الانفاق او مكنية وتخييلية بتشبيه الصلاة بالمال
الذي ينبغي انفاقه وعن جعفر الصادق بن محمد الباقر عن ابيه
محمد الباقر وهو تابعي فالحديث مرسل كما في شعب الايمان للبيهقي
ورواه الطبراني في الكبير متصلا عن الحسين بن علي جده رضي الله عنهم
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكرت
عنده فلم يصل علي اخطى به طريق الجنة اخطى بضم الهمزة وكسر
الطاء في اكثر النسخ مبنيا للمجهول وفي نسخة بفتحهما مبنيا للفاعل اي
دخل النار لانه اخطى عن طريق الجنة فكانت طريقه الى النار لانه
قد اضله الله عن طريقها وهذا رواه جماعة من طرق متعددة وفي
بعضها خطي وعن علي بن ابي طالب قال ان رسول الله صلى الله
صلى الله عليه وسلم قال ان البخيل كل البخيل من ذكرت عنده فلم يصل
علي وكلمة هنا صفة البخيل للمبالغة كانه جمع افراده كلها فيجب حينئذ

اضافته

اضافته لظاهر ما قبل الموصوف لفظا ومعنى كما هنا وكقوله
وان الذي حانت بفلج دماؤهم ۝ هم القوم كل القوم يا ام خالد ۝
وقد يضاف لما يماثله معنى فقط وهذا الحديث اخرج من طرق متعددة اخرجه
النسائي والبيهقي والبخاري في تاريخه وعن ابي هريرة رضي الله عنه رواه
ابو داود والترمذي وحسنه والحاكم وصححه قال ابو القاسم صلى الله
عليه وسلم ايما قوم اي هنا للعموم وما مزيدة اي كل قوم جلسوا مجلسا
اي في مجلس ما ثم تفرقوا اي قاموا من مجلسهم قبل ان يذكروا الله اي من
غير ذكره تعالى في مجلسهم او عند قيامهم منه وقبل ان يصلوا على كانت
عليهم من الله ترة بكسر التاء المثناة وبفتح الراء المهملة وهاتانيث عوض
من الفاء المحذوفة كعدة وزنه فهي مرفوع على اسم كانت وعليهم خبر تقدم
ويجوز نصبها على الخبرية واسم كان ضمير مستتر راجع الى الجلسة المفهومة
مما قبله والترة لها معان الظلم والذنب والنقص والتبعة وفيه
تفسيره بالحسرة وهو اوفقها لانه ورد في رواية كما سياتي وقوله
ان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم يقتضي انه بمعنى الذنب والخطيئة
فهو كالتفسير لما قبله والمعاني كلها متقاربة وقيل انها بمعنى
الحسرة القائمة عليهم فهم في مشية الله ان شاء عذبهم بترك الصلاة عليه
صلى الله عليه وسلم وان شاء غفر لهم لانه الغفور الرحيم وقد علم ان الترة
وهي لغة الاصل النقص قال تعالى ولن يتركم اعمالكم ومعناها هنا التبعة
كما في شرح السنة وفي غريب المدينة ان بعض الفقهاء حرفه وقراه بالتاء
المثلثة من الثار بالهمزة اي طلب الدم من القاتل وليس هو منه لفظا
ومعنى اذا علمت هذا فالسنة لمن اراد القيام من مجلس ان يقول
لا اله الا الله وصلى الله عليه وسلم رسول ليكون مكفرا لما في ذلك
المجلس وعن ابي هريرة رضي الله عنه في حديث رواه البيهقي
في الشعب من نسي الصلاة علي نسي بضم اوله وتشديد ثانيه مبني
للمجهول وفي نسخة نسي مخفف مبني للفاعل طريق الجنة فيه جعل
الصلاة كانها دليل ترشده لطريق الجنة اذ مذكورها يدل وهو بها ففيه
استعارة او النسيان بمعنى الترك مجازا من ذكر المقيد وارادة المطلق
كقول الله تعالى نسوا الله فنسيهم وقوله وكذلك اليوم تنسى وعن
قتادة عنه صلى الله عليه وسلم في حديث رواه عبد الرزاق عن
معمر والحديث مرسل يستدل به في الفضائل دون الاحكام من الجفاء
ان ذكر عند الرجل وفي نسخة رجل اي اخر احد فلا يصلي علي الجفاء تركه

الصلة والبر يكون بمعنى غلظة الطبع ومنه قيل للاعراب اهل الجفا
والجفا يمد ويقصر وهو ضد الصلة والمراد بالرجل البخيل كاللئيم في قوله
ولقد امر على اللئيم يسبني وعن جابر رضي الله عنه في حديث
رواه البيهقي عنه صلى الله عليه وسلم ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا
على غير صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم الا تفرقوا عن رائحة
تفوح منهم انتن افعل من النتن وهي الرائحة الخبيثة التي يكرهها كل طبع
ويكون من اللحوم المتغيرة بعد الموت وفعلها نتن بالكسر والضم عند
ابن القوطية فانتن من الثلاثي على القياس او من انتن على مذهب
سيبويه فافعل الاصح انه اشد نتنا لا وجه له مع انه يكفي
لصحته وروده في كلام افصح الناس صلى الله عليه وسلم من ريح الجيفة
الريح اما على ظاهره او بمعنى الرائحة والجيفة في الاصل رمة
الحيوان اذا انتفخت وتغيرت لانهم اتوا بامر مذموم فشبه المعقول
بالمحسوس وقيل انه لما صدر عنهم من الكلام المذموم شرعا من
غير تكفير له وهو تقييده من غير ذلك وقيل انه ريحهم في الملاء
الاعلى او يوم القيامة يشمه اهل الموقف وهو بعيد لا يلايمه
السياق فالظاهر انه على التشبيه او المراد انه كذلك في الدنيا
وقد نقل عن بعض المشايخ انه كان يشم من اهل الغيبة رائحة
خبيثة وهذا الحديث رواه الطيالسي والبيهقي والنسائي والضيا في
المختارة بسند صحيح الا انه فيه ذكر الله مع الصلاة كما مر والمثبتة
به اما ترد من افراد الجيفة او من غيرها اشد نتنا منها وعن
ابي سعيد الخدري في حديث رواه البيهقي وسعيد بن منصور وغيرهما
من طرق صحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
لا يجلس قوم مجلسا اي في مجلس يتحدثون فيه ولا يصلون فيه
على النبي صلى الله عليه وسلم في اثنائه او في اخره الا كان ذلك المجلس
حسرة عليهم اي ندامة وتاسفا على ما فاتهم فيه وان دخلوا الجنة
لما يرون من الثواب لمن صلى عليه والقوم جماعة الرجال خاصة لقوله
اقوم ال حصن ام نساء ويطلق على ما يشملهن تغليبا وقيل انه عام لكل
جماعة وهو المناسب هنا وقد تقدم معنى حسرة وهي في الاصل بمعنى الانقطاع
من حسرت الناقة اذا انقطعت عن السير لكلال ويجوز في كان ان يكون
تامة وناقصة وجعله نفس الحسرة مبالغة كقوله وانه لحسرة على
الكافرين واسناده مجازي وحكي ابو عيسى الترمذي امام الحديث

وصاحب

٤٢٥

وصاحب الجامع والشمايل وقد قدمنا ترجمته وشهرته تغني عن ذكره عن
بعض اهل العلم انه قال اذا صلى الرجل على النبي صلى الله عليه وسلم
مرة في المجلس اجزا بالهمزة عنه ما كان في ذلك المجلس اي كفت المرة
عن تكريرها بعدما ذكر اسمه في ذلك المجلس فهو سنة كفاية او فرض
كفاية بنا على الخلاف السابق وفي بعض الحواشي اختلفت الرواية فيه
نقل صاحب المجتبى من الحنفية انه يتكرر الوجوب بتكرر ذكره وقيل
لا يتكرر كما لو تكررت ايات سجدة في مجلس فانه يكفي فيها سجدة واحدة وقيل
المراد بما كان في ذلك المجلس اللغط ونحوه مما يحتاج للكفارة ويؤيده ما في
الحديث من صلى علي مرة واحدة محا الله عنه بها ذنوب ثمانين سنة
فيعلم منه ما ذكر بالطريق الاولى وكذا ورد عنه صلى الله عليه وسلم
انه من قال اذا قام من مجلسه سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت
استغفرك واتوب اليك غفر الله له ما كان في مجلسه ذلك فاذا ضم الى ذلك
الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم حاز فضلا عظيما وكفر عنه
ما صدر منه ومن اهل مجلسه واعلم انه قال في الخزانة صلى
الله عليه وسلم لا يجب عليه ان يصلي على نفسه انتهى قيل فاذا كان
لا يجب عليه ذلك فهل كانت صلاته صلى الله عليه وسلم على نفسه
في صلاته بطريق الاستحباب او لم يكن يصلي على نفسه فيها قيل لم يصرح به
احد انتهى وفي فتاوي السبكي الحلبيات الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم
واجبة بالاجماع وكونها ركنا في الصلاة مذهب الشافعي والظاهر ان
النبي صلى الله عليه وسلم يشارك الامة في هذا الحكم من كونها واجبة
عليه في صلاته وكفايتها فان نقل اجماع انه لم يكن يجب على الامم المتقدمة
ان يصلوا على انبيائهم فينبغي ان يعتقد من الخصايص واما غير الانبيا
فلا بد من ان نبوتهم تشاركهم في الوجوب حتى يقتضي خصوصيته وما
نقله الجرجاني من انها لا تجب على غيره استقلالا الا بالاجماع ان اريد
في غير هذه الصلاة ان صح ثبتت الخصوصية وان اريد انه لا يجب
علينا في ملتنا ان نصلي على غيره استقلالا فيفهم انه تجب بغير استقلال
ولا نعرفه انتهى فصل في تخصيصه عليه الصلاة والسلام بتبليغ
صلاة من صلى عليه من الانام كسحاب مطلق او كل ذي روح او الجن والانس
خاصة وتبلغ انام بالمد كساباط وانيم كامير وبه الحديث رواه احمد
وابو داود والبيهقي بسند حسن وهو قوله حدثنا القاضي ابو عبد
الله التميمي قال حدثنا الحسين بن محمد ابو علي الغساني وقد قدمنا قال

حدثنا ابو عمر الحافظ ابن عبد المومن هو ابن عبد البر كما تقدم قال
حدثنا ابن داسة تقدمت ترجمته قال حدثنا ابو داود امام المحدثين
وصاحب السنن كما تقدم قال حدثنا ابن عوف محمد بن عوف الطائي
الحمصي راوي سنن ابي داود عنه توفي سنة اثنين وسبعين ومائتين
قال حدثنا المقري ابو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد القصير المقري
مولى عمر رضي الله عنه وهو ثقة اخرج له الستة وتوفي سنة
ثلاث عشر ومائتين كما تقدم عن ابي صخر حميد بن زياد الخراط قال
احمد لا باس به ولم تر ترجمته في الميزان عن يزيد بن عبد الله بن قسيط
بالتصغير الليثي التابعي الثقة توفي سنة اثنين وعشرين ومائة واخرج له
الستة وترجمته في الميزان عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ما من احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى
ارد عليه السلام اي اجيبه وكلام المصنف في تبليغ الصلاة لا في هذا
في تبليغ السلام ولذا قيل انه مخصوص بوقت الزيارة وان لا نوع
فيه كما ياتي فاما ان يكون ذكره لمناسبته للصلاة او فهم منه
ان المراد بالسلام قولهم الصلاة والسلام عليك يا رسول الله وفيه
دليل على انه صلى الله عليه وسلم حي حياة مستمرة لان الكون لا يخلو
من مسلم عليه في كل لحظة وقد ثبت بالاحاديث الصحيحة انه
صلى الله عليه وسلم وسائر الانبيا عليهم الصلاة والسلام احيا
حياة حقيقية كالشهدا او انه لانه حال البرزخ لا نقاس على حال
الدنيا وقد قال ابن العماد رحمه الله الا رد الروح يقتضي
الموت وهو خلاف المقصود وقد اجيب عنه
باجوبة منها ما قاله صاحب القاموس في كتاب الصلاة والبشر
ان البيهقي قال معناه ان رد روحه الشريفة لاجل رد سلام من
يسلم عليه ثم استمرت في جسده وقال عبد الكافي السبكي
شيخه انه يحتمل انه رد معنوي بان يكون روحه مشتغلة بشهوده
بحضرة الانس والملا الاعلى عن عالم الدنيا فاذا اسلم عليه اقبلت
روحه بهذا العالم لرد السلام وقال السخاوي في كتابه
القول البديع رد روحه يلزم منه تعدد حياته ووفاته في اقل من ساعة
اذ الكون لا يخلو من مسلم عليه بل انه يتعدد في آن واحد كثيرا
واجاب الفاكهاني وبعضهم بان الروح هنا بمعنى النطق مجازا فكانه
قال رد الله علي نطقي والنطق من لوازم وجود الروح بالفعل

او

او بالقوة فعبر باحد المتلازمين عن الاخر ويؤيده ان الحياة مرتبتين لا
غير لقوله تعالى امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين وقيل انه على ظاهره بلا
مشقة وقيل المراد بالروح ملك وكل بابلاغه السلام وفيه نظر انتهى وفي
رواية كما قال السبكي ما من احد يسلم علي عند قبري فان ثبت فهو
مخصوص ولا يرد بالزيارة زيادة عند قبري بعد علي قال السخاوي لم اقف
عليها فيما رايته من طرق الحديث اقول هذه جملة ما في الحديث
من القيل والقال وللنظر فيه مجال اما اولا فاستعارة رد الروح
للنطق بعيدة وغير معروفة واما ثانيا فليس لها رونق يليق بالفصاحة
النبوية ولو سلم لكان ركيكا لان قوله حتى ارد عليه السلام ياباه وقوله
قيل انه مجاز عن السرور لانه اقرب فانه يقال لمن سر غاية رد
روحه ولضده ذهب روحه ولولا خوف الاطالة اوردت له شواهد
وهذا يكون جوابا سادسا وجواب البيهقي خلاف الظاهر كما لا يخفى وكون
المراد بالروح الملك ياباه الاضافة لضميره الا ان يقال انه ملك كان ملازما
له صلى الله عليه وسلم فاختص به على انه اقرب الاجوبة وقد ورد في
بعض الاحاديث وقال ابو داود بلغني ان ملكا موكلا بكل من صلى
عليه صلى الله عليه وسلم حتى يبلغه سلامه وياتي الكلام عليه
وقد ورد ايضا اطلاق الروح على الملك في القران واخص هذا
بالزوار هاهنا اقره رحمه الله على رد روحي حالية ولا تخرجها فاذا
وقعت بعد الا كما ذكره البيهقي وهو استثناء من اعم الاحوال
وبالجملة فهذا الحديث لا يخلو من الاشكال والقول الذي يظهر
في تفسير الحديث من غير تكلف ان الانبيا والشهدا احيا وحياة
الانبيا اقوى ولذا لم تتسلط عليهم الارض فهم كالنائمين والنائم لا يسمع
ولا ينطق حتى ينبه كما قال تعالى والتي لم تمت في منامها اي نرسلها فالمراد
بالارسال الذي في الاية حينئذ فمعناه انه اذا اسمع السلام والصلاة
بواسطة او بدونها تيقظ ورد لان روحه تقبض كقبض النائم
ثم تنفخ وتعاد كموتة الدنيا وحياتها لان روحه صلى الله عليه وسلم
مجردة نورانية وهذا لمن زاره ومن بعد عنه يبلغه الملك سلامه
كما ذكر بعده فلا اشكال اصلا الا لمن لم يتدبر وما قيل انه رده صلى
الله عليه وسلم مختص بسلام زائره مردود بعموم الحديث فدعوى
التخصيص يحتاج لدليل ورد ايضا الخبر الصحيح ما من احد يمر
بقبر اخيه المومن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه الا عرفه ورد عليه

السلام فلو اختصت زيارته صلى الله عليه وسلم بزائره لم يكن خصوصية
به لما علمت ان غيره يشاركه في ذلك قال ابو اليمن بن عساكر واذا
جازت زيارته صلى الله عليه وسلم على من يسلم عليه من الزائرين لقبره
جازت زيارته على من يسلم عليه من جميع الآفاق من امته على بعد مسافة
وذكر ابو بكر ابن ابي شيبة هو عبد الله بن محمد العبسي الكوفي
الحافظ الثقة صاحب التصانيف الجليلة اخرج له الائمة الستة
وتوفي سنة خمس وثلاثين ومائتين وترجمته مفصلة في الميزان عن
ابي هريرة رضي الله عنه كما رواه البيهقي وابو الشيخ قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي عند قبري سمعته
ومن صلى علي نائيا اي بعيدا عني والنائي بالهمز البعيد بلغته
بالبناء للمفعول اي بلغتني الملائكة سلامه وصلاته كما ورد مصرحا به
في الحديث وفي بعضها انه ملك معين وقوله وعن ابي مسعود عقبة بن
عمرو الانصاري وفي نسخة ابن مسعود وهو غلط ان لله ملائكة
ملائكة سياحين في الارض يبلغوني عن امتي السلام وفي اخرى ان لله ملائكة
يسيحون في الارض يبلغوني صلاة من صلى من امتي وهذا يقتضي انهم جماعة
كثيرة لا واحد معين والسياحين جمع سياح صيغة مبالغة من السياحة
وهي الطواف في الارض والدوران فيها والذهاب الى البلاد البعيدة
وكانت النصارى تفعله تعبدا فنهى عنه صلى الله عليه وسلم بقوله
لا سياحة في الاسلام لما فيه من ترك الجمعة والجماعة وهو مستعار من
ساح الماء اذا جرى على وجه الارض اما الملائكة اذا امروا به لكن لهذه
الخدمة فهو عبادة لهم لانهم لا يفعلون الا ما يؤمرون وقوله
يبلغوني الخ صفة لملائكة او جملة مستأنفة استينافا بيانيا وليس
هذا الحديث موقوفا بل هو مرفوع رواه احمد والنسائي والبيهقي
والدارمي وابن حبان وابو نعيم والخلعي بسند صحيح ونحوه عن ابي
هريرة اي بمعناه ما رواه في الترغيب عن ابي هريرة وفي الحلية
لابي نعيم والديلمي في الترغيب عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان لله عز وجل سيارة من الملائكة اذا مروا بحلق
الذكر قال بعضهم لبعض اقعدوا فاذا دعا القوم امنوا على دعائهم
فاذا صلوا على النبي صلوا معهم حتى يفرغوا ثم يقول بعضهم لبعض طوبى لهؤلاء
فانهم مغفور لهم وفي الحلية انه يبلغ صلاتهم ويكفوا امر دنياهم واخراهم
وعن ابي عمر رضي الله عنهما ولم يخرجوا هذا الحديث اكثروا من الصلاة

على

على يبلغكم كل جمعة المراد به الصلاة والسلام عليه في يوم الجمعة وليلتها
ويحتمل انه يريد السلام وحده فانه اي السلام يؤتى به منكم في كل جمعة
لانه تعرض فيه الاعمال وللصلاة فيه فضل على غيره وفي رواية اخرى
فان احدا لا يصلي علي في ذلك اليوم وليلته الا عرضت علي صلاته
حين يفرغ منها قال السخاوي رحمه الله هذا الحديث لم اقف عليه
وفي الدر المنضود وفي رواية رجالها ثقات الا انها منقطعة اكثروا من الصلاة
علي يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة وان احدا لن يصلي علي الا
عرضت علي صلاته حين يفرغ منها قال ابو الدرداء وبعد الموت قال
وبعد الموت وروى البيهقي عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان اقربكم مني يوم القيامة اكثركم علي صلاة في الدنيا ومن صلى علي يوم الجمعة
وليلة الجمعة قضى الله له مائة حاجة وروي في الاحاديث الحث عليها
في يوم الجمعة وانه يوم مشهود وان الانبياء احياء في قبورهم لا تغير فان قلت
ورد تبليغ الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم مطلقا في احاديث
ثابتة وفي بعضها مقيدا بيوم الجمعة كما يأتي فما وجهه قلت
يجوز ان يكون عرضها وتبليغها كل يوم من بعض الملائكة وما في يوم
الجمعة من آخرين او ذاك عرض لها فرادى وهذا جملة على وجه خاص او لكتبه
في صحف عنده كما وقع في بعض الروايات وعن الحسن بن علي بن ابي طالب
في حديث رواه ابن ابي شيبة والطبراني وابو يعلى بسند صحيح عنه
صلى الله عليه وسلم حيثما كنتم فصلوا علي فان صلاتكم تبلغني اي تبلغها
له الملائكة كما تقدم وحينئذ اذا اتصلت بما في شرطية وهي ظرف مكان
وتأتي للزمان كما في قوله

حيثما تستقم يقدر لك الله نجاحا في غابر الازمان

وعن ابن عباس في حديث موقوف رواه البيهقي وابن راهويه ليس
احد من امة محمد صلى الله عليه وسلم يصلي عليه الا بلغه
بضم الباء وكسر اللام المشددة مبني للمجهول اي بلغته الملائكة سلامه
وصلاته وهذا يحتمل تعيين المبلغ وعدمه فلذا اردفه بقوله وذكر
بعضهم ان العبد اذا صلى او سلم على النبي صلى الله عليه وسلم
عرض عليه صلى الله عليه وسلم صلاته واسمه واسم ابيه وعشيرته
وتثبت عنده في صحيفة كما ورد في حديث مرفوع وفسر المراد بعضهم
الحميري عن جابر ربما يؤيده صحة ما قاله وعن الحسن بن علي
اذا دخلت تبا الخطاب لغيره المسجد تعريفه للجنس فان

كل من دخل مسجدا اي مسجد كان يستحب له ان يصلي على رسول الله صلى الله
عليه وسلم كما ذكره الخيضري في كتابه المعلم وقيل بقبر بعينه للعهد
والمراد به مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والظاهر الموافق للرواية
الاول والذي حمله على هذا قوله فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتي عيدا فان بيته
عند مسجده ولذا قيل المراد ببيته قبره فانه في بيته دفن وفي رواية
اخرى ولا تجعلوا قبري عيدا وسيأتي الكلام عليها والعيد الموسم الذي يجتمع فيه
وياؤه منقلبة عن الواو لانه سمي به لعوده في كل عام وانما جمع على اعياد دون
الجمع على اعواد للفرق بينه وبين جمع عود وقيل نهيه صلى الله عليه وسلم
عما كان تفعله اليهود والنصارى عند قبور انبيائهم من الزينة
واللهو والطرب وقيل النهي عن تعظيمها لما فيه من الفتنة خصا
حتى لا تتخذوها تعبدا وقيل المراد لا تتخذوها كالعيد ترددونها في
العام مرة بل اكثروا من زيارتها ولا تجعلوا بيوتكم قبورا لا تتركوا الصلاة
والعبادة فيها فتكونوا فيها كانكم اموات
ولذا قيل

يا نايم الليل هبه • فقبل الممات سكنت القبورا •

وقيل المراد لا تدفنوا في البيوت بل في الجبانة ولا يرد عليه
انه صلى الله عليه وسلم دفن في بيته لانه اتبع سنة الانبيا قبله كما ورد
ما قبض نبي الا دفن حيث قبض فهو مخصوص بهم وصلوا علي حيث
كنتم اي في اي مكان فلا يحتاج للاتيان لمسجده ولا لقبره الشريف
حتى يسلم عليه وهذا ادل دليل على ان المسجد في اول الحديث ليس المراد به
مسجده صلى الله عليه وسلم فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم اعاد حيث
كنتم لئلا يتوهم ان الصلاة انما تبلغه من كان عنده في مسجده الشريف
او عند قبره الشريف وليس تاكيدا لما قبله لانه افادت تعميما اخر لا يعلم
مما قبله وهذا الحديث اخرجه الطبراني وابو يعلى وفي حديث اوس بن
اوس الصحابي الثقفي اكثروا من الصلاة علي يوم الجمعة خصها لانها
من افضل وهي يوم تشهده الملائكة وتعرض عليه فيه صلاة من صلى
عليه والصلاة عليه فيه تفضل على غيرها لما فيه من الصلة ولانه
يوم مزارته وهذا الحديث رواه ابو داود والنسائي واحمد في
مسنده والبيهقي وغيرهم وصححوه وخص يوم الجمعة لانه كما ورد
في الحديث افضل ايام الجمعة وفيه خلق ادم عليه الصلاة والسلام ٥

وقبضت

وقبضت فيه وحد وفيه النفخة والصعقة وحد اقل الكثرة من الصلاة ٥
ثلاثمائة وبضع عشرة كما في قوت القلوب قال السخاوي لم اقف له على مستند
للعدد فلعله تلقاه عن احد من الصالحين عرفه بتجاربه او عثره او راه اقل
ما يحصل به الكثرة فان صلاتكم معروضة علي تقدم بيانه قريبا وعن
سليمان بن سحيم بالتصغير وسين وحاء مهملتين وهو مولى ال العباس ٥
وقيل ال الحسين وهو من علماء الحجاز المشهورين وحيث اطلق في النقل
فهو المراد ولهم سليمان بن سحيم اخر لكنه لم يشتهر النقل عنه وهو ثقة
توفي في خلافة المنصور وهذا رواه عنه ابن ابي الدنيا والبيهقي في حياة
الانبيا رايت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ومن راه في المنام فقد
راه حقا فان الشيطان لا يتمثل في صورته فقلت يا رسول الله هؤلاء
الذين ياتونك فيسلمون عليك اذا ارادوا مقامك بعد الانتقال افقه
سلامهم اي اتعقله وتفهمه قال نعم وارد عليهم وفقه يفقه ورد
من باب نصر وفرح ومعناه فهم وعن ابراهيم بن شيبان تقدمت
الى القبر الشريف فسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعته
من داخل القبر يقول وعليك السلام ووقع للسيد نور الدين ابن
العفيف الايجي انه سمع جواب سلامه من داخل القبر الشريف عليك
السلام يا ولدي وفي مسند الدارمي ان الاذان والاقامة تركا ايام الحرة
وان ابن المسيب لم يبرح مقيما في المسجد فكان لا يعرف وقت
الصلاة الا بهمهمة يسمعها من قبره صلى الله عليه وسلم وقوله
وارد عطف على قول السائل افقه ويسمى هذا عطف التلقين
وقد فصل في شروح الكشاف في قوله تعالى قال ومن كفر فامتعه قليلا
ويكون في الجمل والمفردات كما تقدم وتغير في الجواب عما سبك
عنه وهو ظاهر تنبيه اذا راى احد النبي صلى الله عليه وسلم
في منامه وامره بامر هل يلزمه العمل به فيه تفصيل فان وافق
الشرع فله نفسه العمل به ولا يلزمه امر غيره به وما عداه لا يلزمه العمل
به لان الرويا لا يضبطها النايم ويحتمل التاويل وهذا هو الصحيح وفيه
كلام ليس هذا محله وعن ابن شهاب هو الزهري كما تقدم وهذا
رواه عنه النميري بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال وفي نسخة بلغنا ان رسول الله قال اكثروا من
الصلاة علي في الليلة الزهراء واليوم الازهر يعني ليلة الجمعة
ويومها ومعنى الازهر الابيض المستنير ولذا كان الازهر لا يطلق في

وصبغ اللحية على غير اللون الابيض وان شاع تجوزا لكن في منطلقه
دنو دهما البركة بهما وما في ذلك اليوم من العبادة التي حض بها وما فيه
من ساعة الاجابة وغيره لكن ما ذكر في فضايله وهو عيد المومنين
وينزل فيه الملايكة كثيرا **فانهما** اي يوم الجمعة وليلتها **يؤديان عنكم**
بضم المثناة التحتية وفتح الهمزة والدال المهملة المشددة
اي يوصلان صلاتكم علي الي ويبلغانها الي والاسناد الى الزمان اسناد
مجازي اي يؤدي الملايكة فيهما ذلك وكونهما تخلق لهما نطقا لذلك لكنه
خلاف الظاهر وان جاز الا انه صرح بعده بجعل الملك لذلك اياه
وبما تقرر في هذه الاحاديث علم انه صلى الله عليه وسلم تبلغه الصلاة
والسلام عليه اذا صلي امن بعد ويسمعهما اذا كان عند قبره الشريف
بلا واسطة سوا ليلة الجمعة وغيرها وافتى النووي فيمن حلف
بالطلاق ٢ رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع الصلاة عليه
هل يحنث بانه لا يحكم عليه بالحنث للشك في ذلك والورع ان يلتزم الحنث
وان الارض لا تاكل اجساد الانبيا لانهم عليهم الصلاة والسلام
احيا في قبورهم لا تبلى اجسادهم وهذا جواب عن سوال
مقدر كانه قيل كيف يكون ذلك لمن مات واكلته الارض كما ورد
مصرحا به في حديث اخر وان بكسر الهمزة حالية او بفتحها
بتقدير وبلغنا ان الارض الخ وقيل انه بيان لخاصية اخرى والاول
اولى ولا ينافي ما تقرر من حياتهم ما في صحيح ابن حبان في قصة
عجوز بني اسرايل انها دلت موسى على الصندوق الذي فيه
عظام يوسف فاستخرجه وحمله معهم عند قصدهم الذهاب
من مصر الى الارض المقدسة اما لانها ارادت بالعظام كل البدن او
لان الجسد لما لم يشاهد فيه روح عبر عنه بالعظم الذي من شانه
عدم البلاهة او ان ذلك باعتبار ظنها ان ابدان الانبيا كابدان
غيرهم في البلا **وما من مسلم** من مزيدة للتعميم اي كل مسلم **يصلي علي**
وهو بتشديد الياء **الا حملها** اي صلاته وسلامه **ملك حتى يوديها** اي يوصلها
الي وسميه حتى انه بكسر الهمزة **يقول ان فلانا يقول لك كذا وكذا**
فيذكر قايلها بعينه بعد تعيينه باسمه واسم ابيه ومكانته وشهرته
واوضح انه صلى الله عليه وسلم قال ان لله ملكا اعطاه اسماع الخلايق
فهو قايم على قبري اذا مت فليس احد يصلي علي صلاة الا قال يا محمد
صلى عليك فلان فيصلي الرب تعالى على ذلك الرجل بكل واحدة عشرا

وفي رواية فهو قايم على قبري حتى تقوم الساعة ليس احد من امتي يصلي
علي صلاة الا قال يا احمد فلان ابن فلان باسمه واسم ابيه يصلي عليك
كذا وكذا وضمن لي الرب انه من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشرا وان زاد
زاده الله وكان من عادة السلف ايضا انهم يرسلون السلام له صلى الله
عليه وسلم مع الزوار ايضا كما **قيل**

الا ايها الغادي الى يثرب مهلا ✱ لتحمل شوقا ما اطيق له حملا
تحمل رعاك الله مني تحية ✱ وبلغ سلامي روح من طيبة حلا

فصل في الاختلاف الواقع بين العلما **في الصلاة على
غير النبي صلى الله عليه وسلم** اي في جواز الصلاة على غيره من
المومنين غير الانبيا كالصحابة ونحوهم **وساير الانبيا** اي بقيتهم
غيره كابراهيم وموسى ونحوه فساير بمعنى باقي كما تقدم والخلاف
في جواز الصلاة عليهم من ذكرا استقلالا لا بطريق التبعية
له كالصلاة على اله وازواجه **قال القاضي ابو الفضل**
عياض المولف **رحمه الله تعالى عامة اهل العلم** اي جميعهم متفقون
على جواز الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم من
الانبيا والملايكة والمومنين ودعواه الاتفاق مطلقا ليس بمسلم
وقد قال النووي في الاذكار اجمعوا على طلب الصلاة على نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم وكذا اجمع من يعتد به على استحبابها على ساير
الانبيا والملايكة استقلالا اما على غيرهم ابتدا فالجمهور على انه لا
يصلى عليهم واختلف في هذا المنع فقال بعض اصحابنا انه حرام والاكثر على
انه مكروه كراهة تنزيه وذهب كثير الى انه خلاف الاولى وليس
مكروها والصحيح الذي عليه الاكثر انه مكروه كراهة تنزيه لانه شعار اهل
البدع انتهى ملخصا فدعواه الاتفاق مخالفة للمنقول **وقال**
الجويني ان السلام مثل الصلاة فلا يقال علي عليه السلام اللهم الا
ان يقال مراده بغير النبي بقية الانبيا الا انه تخصيص من غير دليل **وروي
عن ابن عباس انه لا تجوز الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم**
رواه البيهقي في الشعب وسعيد بن منصور في سننه والطبراني وابن
ابي شيبة وعبد الرزاق ومراده بغير بقية امته لقوله فيه ولكن يدعى
للمسلمين والمسلمات بالاستغفار ولقوله **وروي** اي عن ابن عباس
رواه القاضي اسمعيل في احكام القران **لا تنبغي الصلاة من احد على
احد الا للنبيين** وهذا مفسر لما قبله **وقال سفيان الثوري**

يكره ان يصلي الا على نبي وهو موافق لكلام ابن عباس ولما في الكراهة
من معنى التقي عم وصح وقوع الاستثنا الفرع لعده وهذه احدى
الروايتين عن سفيان رواها عنه عبد الرزاق والبيهقي والاخرى نقلها
البيهقي يكره ان يصلي على غير النبي صلى الله عليه وسلم ووجدت
بخط بعض شيوخ مذهب مالك انه لا يجوز ان يصلي على احد
من الانبيا سوى محمد صلى الله عليه وسلم فعلى هذا لا يصلى على غيره
من الانبيا استقلالا وهو احدى الروايتين عن الثوري كما تقدم وهذا
غير معروف من مذهبه اي مذهب الامام واكد كونه غير معروف
من مذهبه بقوله وقد قال الامام مالك في المبسوطة
اسم كتابه كالمدونة ليحيى بن اسحاق الذي روى المبسوطة عن مالك
وهو يحيى بن اسحاق بن عبد الله بن اسحاق بن المهلب بن جعفر ويكنى
ابا بكر ولد ببيت شريف بقرطبة اكره الصلاة على غير الانبيا وما
ينبغي لنا ان نتعدى ما امرنا به فلا نتجاوزه لغيره لانه امر تعبدي لا
يعقل معناه بالراي ويقتصر فيه على ما روي عنهم وقال
يحيى بن يحيى الليثي عالم الاندلس وراوي الموطا عن مالك رحمه الله
لست اخذ بقوله اي لا امتثل بقول مالك ما ينبغي لنا ان نتعدى
ما امرنا به من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فقط يعني قوله
تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي الآية ومن عزا لمالك عدم الجواز
حمل قوله ما ينبغي على عدم الجواز فعناه لانه وهي تستعمل لهذا المعنى
وردت لغيره ايضا ولا باس بالصلاة على الانبيا كلهم وعلى غيرهم
من الملائكة والمومنين واحتج يحيى بن يحيى لما قاله بحديث
ابن عمر الاتي انه كان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ابي بكر
وعمر وبما جا في حديث تعليم النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة
الصلاة كما مر وفيه اي في حديث تعليمه ايضا وعلى ازواجه وعلى
اله فهذا ونحوه يدل على ان الصلاة على غير الانبيا جايزة الا ان هذا
بطريق التبعية والخلاف في الصلاة على غيرهم استقلالا كما مر وحينئذ
ما ذكر لا ينافي ما قاله مالك ولا يتجه ما قاله يحيى ابن يحيى رحمه الله
وفي بعض النسخ زيادة وهي وقد وجدته معلقا اي مكتوبا في بعض
الكتب وقيل التعليق هنا ما اصطلح عليه المحدثون من ذكر حديث
طوي سنده او بعضه ولو لم يوجد من الوجادة وهي في اصطلاح المحدثين
ان يجد حديثا بخط من يعرفه سوا عاصره ام لا فيرويه عن ابي عمران

الفاسي هو موسى بن عيسى الغفجومي بفتح العين المعجمة وسكون المثلثة
وجيم وراء وميم نسبة لقبيلة من البربر والفاسي نسبة لفاس بلدة
بالمغرب وقوله في القاموس انه بهمزة لا اصل له وابو عمران فقيه المغرب
توفي سنة ثلاثين واربعماية في ثالث شهر رمضان روي عن ابن عباس
كراهة الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم نبيا او غيره قال
ابو عمران وبه نقول اي نعتقده ونحمل ولم يكن الصلاة على غير
نبينا استقلالا لا تستعمل فيما مضى من عصر الصحابة فمن بعدهم وهو غير مسلم
كما تقدم وقد روي عبد الرزاق وهو امام الحديث ابو بكر بن همام بن نافع
الحميري وله تصانيف جليلة وروى عنه احمد وغيره وتوفي سنة احدى
عشر ومايتين عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم صلوا على انبيا الله ورسله فان الله بعثهم كما بعثني
تعليلا للصلاة عليهم بانهم ساووه في اصل البعثة فينبغي ان يصلى عليهم
كما صلي عليه وهذا الحديث رواه الطبراني والقاضي اسماعيل
والتيمي في الترغيب وغيرهم بسند صحيح قالوا والاسانيد عن
ابن عباس الواردة في منع الصلاة على غيره صلى الله عليه وسلم لينة
اي ليست بقوية فلا تعارض ما روي عنه وعن غيره من طرق متعددة
باسانيد صحيحة قوية وهذا اصطلاح المحدثين فقال فلان لين الحديث
وسند لين اذا كان لا يصلح للاحتجاج به والليّن غير الضعيف لكنه يقرب
منه وقيل انه رجاله رجال الصحيح لكن فيه تاويل ثم رده بوجه
اخر مقبول فقال والصلاة معناها التي وضعت له في لسان العرب
اي في لغتهم في اللسان اسم للجارحة التي هي الة النطق تجوزا بها عما ذكر
كما قال تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه يعني الترحم والدعا
بالرحمة وذلك اي الدعا بالرحمة على الاطلاق اي يكون مطلقا على نبينا
صلى الله عليه وسلم وعلى غيره وليس قوله وذلك اشارة الى قول يحيى لا باس
بها على الانبيا وغيرهم كما قيل حتى يمنع منه حديث
صحيح او اجماع لان الاصل ان كل لفظ وضع لمعنى يجوز اطلاقه على ما وضع
له ذلك المعنى الا ان هذا غير مسلم فانه لم يوضع لمطلق الدعا بالرحمة
بل هو مقيد بنوع من التعظيم يليق بمقام النبوة ثم انه اورد دليلا
اقوى من هذا فقال وقد قال تعالى هو الذي يصلي عليكم
وملائكته وفي هذه الاية دليل على انه يجوز الصلاة على كل مومن فضلا عن
الانبيا عليهم الصلاة والسلام لان سبب نزولها انه لما نزل عليه ان الله

وملائكته يصلون على النبي قالت الصحابة هذا لك يا رسول الله خاصة
وليس لنا فيه شيء فانزل الله هذه الاية وصلاة الله رحمته وصلاة الملائكة
الدعاء والاستغفار لسائر المؤمنين وقال تعالى خذ من اموالهم صدقة
تطهرهم وتزكيهم بها الاية وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم فامره بالدعاء
لهم بلفظ الصلاة لمن اداه الصدقة فكان صلى الله عليه وسلم يقول
اللهم صل على ال ابي اوفى كما ياتي وفي دعائه بذلك دليل على جوازه لتطهيرا
وتطهيرهم بمغفرة ذنوبهم وسكنهم باطمئنان قلوبهم وقال تعالى اولئك
الاشارة لمن صبر عند المصيبة من المؤمنين عليهم صلوات من ربهم ورحمة
وعطف الرحمة عطف تفسير وان قلنا انها اعم لانه يكون التفسير
بالاعم المقصود فلا يرد عليه ان العطف يقتضي المغايرة لان الصلاة رحمة
مشتملة على تعظيم وتكريم وقال صلى الله عليه وسلم في حديث
رواه الشيخان اللهم صل على ال ابي اوفى وهذا الحديث يروى عن
عبد الله بن ابي اوفى وتتمته كان اذا اتاه قوم بصدقتهم قال
اللهم صل على ال فلان فاتاه ابي بصدقته فقال اللهم صل على ال ابي اوفى
والصدقة هنا المراد بها الزكاة وان كانت عامة ومعنى صل عليهم
ارحمهم وطهرهم [illegible] وال الرجل اهله واتباعه
وقد يطلق المراد نفسه وذاته كما في قوله لقد اوتي مزمارا من
مزامير ال داود اي من مزامير داود عليه الصلاة والسلام نظيره
ما ذكره المصنف في تفسير ال صلى الله عليه وسلم وابو اوفى هو علقمة
بن خالد بن الحارث الاسلمي الصحابي وهو اخر من مات من الصحابة
بالكوفة سنة سبع وثمانين وانه صحابي ابن صحابي شهد مع ابيه بيعة
الرضوان وهذا الحديث من اقوى ما استدل به على جواز الصلاة
على غير الانبياء استقلالا وفي حديث الصلاة عليه صلى الله
عليه وسلم في التشهد وقد تقدم بيانه وبيان لفظه وطرقه مفصلا اللهم صل
على محمد وعلى ازواجه وذريته وهم نسله واولاده كما تقدم وفي
حديث اخر روي في صلاة التشهد وعلى ال محمد وفسر الال بقوله
فقيل هم الاتباع والرهط والعشيرة الرهط القبيلة مطلقا
او اتباعه جمع تابع او تبيع وهو من يقفو اثره ولمحبته وخص عرفا
بمن يخصه من الاهل والخدم وقيل ال امته والمراد امة
الاجابة وهم كل من امن به وامة الدعوة اعم منهم وقيل هم
الاتباع والرهط والعشيرة الرهط القبيلة مطلقا اذ هي في ه

الاصل

الاصل ما دون العشرة ثم عم والعشيرة بنو ابيه الادنون والقبيلة ه
وقيل ال الرجل ولده اي نسله مطلقا وقيل قومه وقيل
اهله الذين حرمت عليهم الصدقة لانها اوساخ الناس فلا تليق بهم
وقد طهرهم الله وهم بنو هاشم والمطلب الذين لهم سهم من الخمس يكفيهم
وفي رواية انه سئل النبي صلى الله عليه وسلم من ال محمد فقال
كل تقي وهذا احد حديث صحيح روي من طرق رواه الطبراني والديلمي وتمام
وغيرهم وهذا بمعنى مجازي كقوله صلى الله عليه وسلم سلمان منا
ال البيت لان الله طهر اهل البيت ووعدهم بمغفرة ذنوبهم فاطلق
على كل تقي اكرمه الله وغفر سيئاته وهذا معروف لسانهم كما قيل
رب اخ لك لم تلده امك وحكي على مذهب الحسن البصري رضي الله ه
عنه والضمير المستتر في حكي للال انه المراد بال محمد الوارد في الصلاة
محمد نفسه اي نفسه الال ومعناه الذات والنفس فيقال ال فلان يعني
ذاته وغيره من النحاة واللغويين يجعله في مثله مبتدا مقحما والزيادة
في الاسماء خلاف ما عهد من كلامهم وان امكن حمل كلامه عليه الا ان ابن
حبيب نقل عن محمد بن سلام ان الحسن قال ذلك وروي عنه
صلى الله عليه وسلم انه قال ارض يقال لها البصرة اقوم الارضين
قبلة قارئها اقرا الناس وعابدها اعبد الناس ومتصدقها اعظم
الناس صدقة وتاجرها اعظم الناس تجارة منها قرية يقال
لها الابلة اربعة فراسخ يستشهد عند مسجدها الجامع ثمانون الف شهيد
من افضل الشهداء انتهى وعلماؤها اقوالهم في العربية
فانه كان يقول في صلاته على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد
اللهم اجعل صلواتك على ال محمد يريد نفسه لانه كان لا يخل
بضم الياء وكسر الخاء المعجمة وتشديد اللام اي لا يترك والخلل ياتي
بمعنى الترك والنقص بالفرض يعني به الصلاة على النبي محمد صلى الله
عليه وسلم ويأتي بالنفل يعني به الصلاة على اله صلى الله عليه وسلم
واعترض عليه بما تقدم من ان الصلاة عليه في التشهد ليست بفرض
الا عند الشافعي وعند المصنف انه شذ فيه ولم يوافقه غيره
لان الفرض الذي امر الله به في اية صلوا عليه وسلموا تسليما هو
الصلاة على محمد نفسه لا على اله كما ذهب اليه الشافعي فوافقه
الحسن لما نافي الشذوذ الذي ذكره وشنع به عليه والجواب
عنه ان مراده بالفرض ما لابد منه لمن اراد الصلاة فانه يلزمه انه

بذكره ولا يتركه مقتصرا على غيره او بقولان مذهب الحسن ٥
وسوا قعد واحدا لا تأنيه التشهد او عنده وهذا اي ذكر الآل
وارادة الذات منه مثل قوله صلى الله عليه وسلم في حق ابي موسى
الاشعري لما سمعه يتلو القران بصوت حسن كما رواه الشيخان عنه لقد اوتي
اي والله لقد اعطى الله ابا موسى مزمارا من مزامير آل داود يريد صلى الله
عليه وسلم من مزامير نبي الله صلى الله عليه وسلم داود يعني نفسه
كما في صلاة الحسن وقد تقدم بيانه والمزامير جمع مزمار بكسر الميم وهو آلة
الزمر ويقال مزمور ايضا والزمر النفخ في المزمار والصوت الحسن بغير
الة لانه انما معنى الزمر الحسن كما قال الشاعر ما ان حنا ناد بينهما
زمرا احسن غناه وزمرا بحسن كما قاله ابن الانباري فمزامير
بمعنى ترنمات لانه كان له الة المعزفة والمنقول انه قاله بنفسه
لا الآل وكان حسن صوته اذا قرا تتلا عليه الزبور وادعيته تقف له
الطيور والدواب حتى تيلان الما الجاري يقف له وهو مبالغة في نهاية
حسنه واول هذا الحديث انه صلى الله عليه وسلم مر هو وعايشة
على بيت ابي موسى وهو يقرا القران ليلة فوقفا يستمعان له وكان ٥
من احسن الناس صوتا فلما اصبح صلى الله عليه وسلم اخبره بانه
له وقال له لقد اوتيت مزمارا من مزامير آل داود فقال لو علمت
بذلك لحبرته تحبيرا اي لزدت في تحسين صوتي به لاستماعك لي وفي حديث
ابي حميد بالتصغير الساعدي وهو ابو عبد الرحمن بن عمرو بن سعد الخزرجي
كما تقدم الذي رواه في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في التشهد
اللهم صل على محمد وازواجه وذريته وهو يدل على جواز الصلاة على
غير الانبيا لكن تبعا لهم وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما انه
اي ابن عمر كان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر
ذكره ملك في الموطا من رواية يحيى بن يحيى الاندلسي عن مالك
وانما قيدها بالاندلسي لان الموطا رواه عن مالك اثنان كل منهما يسمى يحيى
بن يحيى احدهما يحيى بن يحيى بن كثير الاندلسي الليثي مات سنة اربع وثلاثين
ومائتين والاخر ابو زكريا يحيى بن يحيى بن بكر بن عبد الرحمن التميمي ٥
النيسابوري توفي سنة ست وعشرين ومائتين وله رواية في الصحيحين
كما قاله السيوطي في مناقب مالك وتقدم ضبط الاندلسي بفتح الهمزة
والدال وضمها والصحيح رواية غيره ويدعو لابي بكر وعمر رضي الله عنهما
وروى ابن وهب عن انس ابن مالك كنا ندعوا لاصحابنا بالغيب

حال

حال اي في حال غيبتهم عنا وعدم حضورهم معنا فنقول في دعاينا لهم اللهم
اجعل منك على فلان صلوات قوم ابرار الذين يقومون بالليل للتهجد والعبادة
ويصومون بالنهار وفي هذا دليل على جواز الصلاة على غير الانبيا استقلالا وقوله
الذين بدل من قوم مفسر قال القاضي ابو الفضل عياض رحمه الله والذي
ذهب اليه المحققون واميل اليه اي ارجحه واعتقد صحته والميل في
الاجسام معروف وشاع في المحبة والصنف تجوزا به عما قلناه ما قاله مالك
ابن انس امام اهل الحديث وسفيان الثوري رحمهما الله وروي عن ابن
عباس واختاره غير واحد اي كثير من الفقها والمتكلمين اي اهل علم
الكلام لان منهم من ذكرها في السمعيات كتب الامامة انه بفتح الهمزة
بدل مما لا يصلى على غير الانبيا بانفراده فلا عند ذكرهم اي ذكر الانبيا
والصلاة عليهم فلا يصلى على غيرهم تبعا والصحيح جوازه تبعا وعود ضمير
ذكره لغير واحد يأباه قوله بل هو اي المذكور وهو الصلاة او ذكرها بغاية
للخبر شي يختص به الانبيا عليهم الصلاة والسلام لا يشاركهم فيه غيرهم
مطلقا وتبعا لا يشاركهم في الانفراد به وفيه نظر توقيرا لهم وتعزيرا
اي تعظيما وتبجيلا بجعله شعارا لهم كما يخص الله تعالى عند ذكره بالتنزيه
اراد به قوله سبحانه فانه معناه انزهه والانبيا عليهم الصلاة والسلام منزهون
عن النقايص ولكن لا يجوز ان يقال في حقهم ذلك والتقديس بالطلاق م
قدس وتقدس ونحوه وهو بمعنى التطهير والتعظيم المخصوص به نحو جل
جلاله وعز وجل تعظيما له للعهد وليس المراد به هذه المادة لعدم صحته
ولا يشاركه فيه غيره اي لا يشارك الله فيما ذكر من التنزيه وما بعده
غيره من نبي وغيره كذلك يجب تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم
وساير الانبيا بالصلاة والتسليم اي بهما معا ولا يشارك مبني للفاعل او
المفعول هنا فيه اي في ذكر الصلاة والتسليم سواهم من غير الانبيا وفي
نسخة ولا يشاركهم كما امر الله بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما وقوله
بيان لما ذكر لا دليل لما ذكره لانه ليس فيه جواز الصلاة على غيره ولا منعها
عمن عداهم لان التخصيص بالذكر لا يفيده ثم بين كيفية الدعا لغيرهم
فقال ويذكر من سواهم اي من سوى الانبيا والرسل في الدعا لهم من الايمة
اي ايمة الدين او الخلفا وغيرهم من ساير العلما والمومنين بالغفران والرضى
فيقال غفر الله لهم ورضي عنهم كما قال تعالى ربنا اغفر لنا ولاخواننا ٥
الذين سبقونا بالايمان وقال تعالى والسابقون الاولون
من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ليدعي

بذلك من المغفرة والرحمة والترضي لسائر المؤمنين والصحابة وقيل
فيه الاستدلال بما ذكر نظر فان قوله رضي الله عنهم ليس دعاء لهم بل اخبار بان
الله رضي عنهم واعد لهم جنات النعيم ولا يلزم منه جواز الدعاء به كما ان اخبار الله بالصلاة
على المؤمنين بمعنى رحمهم لا يدل على جواز الصلاة عليهم وهو مردود بان من رضي الله
عنه يدعى له بزيادة رضوانه ولا مانع منه وقياسه على الصلاة قياس مع الفارق
وما قيل من انه لا يدعى للصحابة الا برضي الله عنهم فهو احسن الادب
وليس بلازم فلو قال رحمه الله او غفر له حسا لاكل اذا ادهم وقوع ذنب ونحوه
ومن لا يعلم صحة نبوته كمريم ولقمان والخضر لا يصلى عليهم وقال النووي
لا باس به والارجح انه يقال رضي الله عنهم وقول امام الحرمين في الارشاد ومريم
ليست نبية بالاجماع مردود بذهاب بعضهم لنبوتها وصححه ابن السيد وايضا
فهو اي الصلاة عليهم امر لم يكن معروفا في الصدر الاول
اي عصر الصحابة ومن قرب منهم والفا في فهو جواب شرط مقدر اي فانه
اراد دليلا اوضح مما ذكر فهو الخ وفيه بحث سياتي في اخر هذا
الفصل كما قال ابو عمران موسى بن عيسى الفاسي فقيه القيروان
كما تقدم قريبا وانما احدثه الرافضة والمتشيعة في بعض الائمة
المراد علي واولاده وفي نسخة في بعض ائمتهم هما طائفتان من اهل
البدع والاهواء المخالفين لاهل السنة والرافضة قيل انهم فرقة
من الشيعة وكلاهما ممن اتفق على تفضيل علي كرم الله وجهه وان
الخلافة حقه وسموا رافضة من الرفض وهو الترك لانهم رفضوا زيد بن
علي بن الحسين لما طلبوا منه ان يتبرأ من الشيخين وان يقول امامتهما باطلة
فابى وقال ان الخلافة فوضت لابي بكر لمصلحة رآها من تسكين
ثائرة الفتنة وتطييب قلوب العامة فتركوه حتى قتل وصلب
وليست الشيعة قوما اظهروا بغض علي كما توهم واصل معنى
الشيعة الجماعة مطلقا ثم خص بهؤلاء والذي احدثه هؤلاء انما هو الصلاة
على علي وحده فترك ذلك لكونه شعارهم وطرده في سائر الصحابة
حسما لمادة المخالفة فسقط ما قيل ان الكلام في الصلاة على غير الانبيا
مطلقا والشيعة انما يصلون على علي فقط فلا مناسبة لما هو بصدده
والرافضة اسم جمع لرافضي والمتشيعة وفي نسخة الشيعة بدل
المتشيعة فيشاركهم عند الذكر لهم بالصلاة عليهم بانفرادهم وان
لم يكونوا تبعا له صلى الله عليه وسلم ويساوونهم بالنبي صلى الله عليه
وسلم في ذلك اي في قولهم في الدعاء لكل واحد منهم صلى الله عليه وسلم

لاعتقادهم

لاعتقادهم عصمتهم وان الامامة العظمى لهم كالنبي صلى الله عليه وسلم و
نصلوا عليهم استقلالا كما صلوا عليه وايضا مما يدل على عدم الصلاة
على غير الانبيا فان التشبه باهل البدع المراد بهم اصحاب المذاهب
الباطلة منهي عنه شرعا فتجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك اي الصلاة
على غيره صلى الله عليه وسلم وفيه ان ذلك غير واجب عند من لم يمنعه فتامله
ثم اجاب عما يرد عليه بقوله وذكر الصلاة على الال والازواج مع النبي صلى
الله عليه وسلم بحكم التبع والكلام في ذكره مستقلا فلا يرد هذا نقضا
عليه والاضافة اليه صلى الله عليه وسلم اي انما ذكر الصلاة عليهم بعد
ذكر الصلاة عليه فتعظيمهم بذلك انما هو لكونهم من اتباعه صلى الله عليه
وسلم فتعظيمهم لتعظيمه له في الحقيقة لا على التخصيص لهم بذلك قالوا
اي جمهور العلماء الذاهبين لمنع الصلاة على غيره بانفراده مجيبين عما
استدل به من خالفهم وصلاة النبي صلى الله عليه وسلم على من صلى عليه
بانفراده كقوله اللهم صل على ال ابي اوفى كما تقدم مجراها مجرى الدعا
لهم بالخير وفتحها فيهما والمجرى المشي السريع والمجرى محل الجري او الاجرا
وجريه في مجراه جعله مثله ومن نوعه اي المقصود منها الدعا بالرحمة
لهم والمواجهة لهم بالدعا لهم بان يرحمهم تعطفا عليهم وجبرا لقلوبهم
فهي كالسلام يقال تحية لكل احد مواجهة ولا يقال فلان عليه السلام دون
مواجهته لانه في المواجهة يقصد به مجرد معناه الحقيقي وفي ذكره في الغيبة
زيادة توقير لا تليق بكل احد كما قال وليس فيها اي في المواجهة
معنى التعظيم والتوقير الذي في الغيبة فانه من خصائص مقام النبوة وهذا
مما دل عليه الاستعمال وعرف المخاطب ويدرك بالذوق ومن لم يعرف
وقالوا ما يبعد المالكي من الفرق بين المواجهة وغيرها متمسكا بقوله
وقد قال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا
فالدعاء فوله بينكم خصه بالمواجهة فلا تناديه باسمه كما ينادي بعضكم
فلا يقال يا محمد بل يا رسول الله ونحوه فاذا كان له صلى الله عليه وسلم شانه
يخصه فيما يطلق عليه مواجهته ليس لغيره فكذا الدعاء له بغير مواجهته
ينبغي ان يكون بغاية التعظيم والتوقير فسقط ما قيل من انه ليس
في هذه الاية ما يشير لمقصوده وما هو بصدده فكذلك اي مثل ما يجب
له في الدعاء مواجهته يجب ان يكون الدعاء له في غير حال المواجهة
مخالفا لدعاء الناس بعضهم لبعض فلذا اخص بالصلاة عليه التي تقصد
بها التوقير وغاية التعظيم وهذا اي اختصاصه بالصلاة استقلالا

وفي نسخة وهو اختيار الامام ابي المظفر الاسفرايني من شيوخنا اي من
كبار علما اهل السنة بقرينة مقابلة الرافضة واسفرايين بلدة
بخراسان معروفة وابو المظفر كنيته طاهر بن احمد وهو الملقب
بشاه كما تقدم وبه قال الامام ابو عمر بن عبد البر رحمه الله وتقدمت
ترجمته واعلم ان حاصل ما تقدم ان الصلاة والتسليم على نبينا
صلى الله عليه وسلم مطلوبة امرنا بالتعبد بها فهي واجبة له على اختلاف
محل الوجوب كما تقدم والصلاة على غيره من الانبيا ايضا استقلالا لانه
مستحبة وما نقل عن مالك من انها ممنوعة عندنا مخالف للنقول الصحيحة
وقال القرطبي انه مجمع عليه والصلاة على غير الانبيا تبعا للنبي صلى
الله عليه وسلم مستحبة ايضا كما في التشهد فلا عبرة بمن خالف فيه ايضا
ثم بقي محل الخلاف الا في الصلاة على غير الانبيا بانفرادهم فالصحيح
انه مكروه وان كراهة تنزيه لا تحريم لانه اختص به صلى الله عليه
وسلم كما اختص عز وجل بالله تعالى فلا يقال محمد عز وجل وان كان عزيزا
جليلا هذا هو الصحيح فلا يعتد بخلافه وقد قيل ان السلام مثل
الصلاة مخصوص بالانبيا ايضا فلا يقال في غيرهم عليه السلام كما صرح
به الفقهاء فهو مكروه تنزيها فصل في حكم زيارة قبره
عليه الصلاة والسلام اي ذكر ما يتعلق به من سنته وادابه وما يلزم من
اتيانه والزيارة مصدر زاره يزوره زيارة ومزارا فالمزار مصدر واسم
مكان ايضا والزيارة تختص بمجي بعض الاحيا لبعض مودة ومحبة هذا
اصل معناها لغة واستعمالها في القبور للاموات لاعطائهم حكم
الاحيا ادعا وحقيقة عرفية فيه لشبه فيه عندنا وفضيلة من زاره
بالجر عطفا على الحكم او على ما اضيف اليه والضمير له صلى الله عليه وسلم
او للقبر وفضيلته ما يستحقه من الثنا والثواب وسلم
عليه وكيف يسلم من زاره صلى الله عليه وسلم اي ما يقول
ويفعله عند الزيارة ويدعو له اي وكيف يدعو الله صلى الله
عليه وسلم عند زيارته بما يليق بمقامه وزيارة قبره سنة
ماثورة مستحبة مجمع عليها اي على كونها سنة ولا عبرة بمن
خالف فيها كابن تيمية كما سياتي بيانه وفضيلة مرغب فيها
بصيغة المفعول مشهورة اي رغب السلف فيها وحثوا عليها
وزيارة القبور انما لتذكرها الموت وتتعظ وهذا يجري في
جميعها او للدعا لاهلها المسلمين كما زار صلى الله عليه وسلم

البقيع وهذا مستحب وليتبرك بمن فيها من الانبيا والصالحين فينتفع
بزيارتهم فذهب بعض المالكية الى انه مخصوص بالانبيا وانه في غيرهم
بدعة واما في الانبيا فهي مشروعة وتوقف فيه السبكي وقد يقصد
بالزيارة برهم واكرامهم كزيارة قبر الوالدين ومن له عليه حق لاكرامه
فان الميت يكرم كالحي وقد يقصد بالزيارة تانيس الميت ورحمته
وهو مستحب ايضا لما روي عنه صلى الله عليه وسلم ان الميت
انس ما يكون اذا زاره من كان يحبه في دار الدنيا وزيارته
صلى الله عليه وسلم جامعة لهذه المعاني كلها فلهذا كانت
سنة وان كان غنيا عن الدعا وما عدا ذلك بدعة كتقبيل القبور
وغيره مما يفعله العوام وروي عن ابن عمر رواه ابن خزيمة
والبزار والطبراني والذهبي وحسنه وله طرق وشواهد
والطعن في روايته مردود كما بينه السبكي والطالبية وقول
البيهقي انه منكر يجاب عنه بان معناه انه تفرد به راويه والفرد
قد يطلق عليه ذلك كما قاله احمد في حديث دعا الاستخارة
مع انه في الصحيحين وقول الذهبي طرقه كلها لينة يقوي بعضها
بعضا لانما فيه لان غايته انه بتسليم ذلك حسن وهو يطلق
عليه الصحة كما بين في محله وفي نسخة هنا حدثنا القاضي ابو علي
تقدمت ترجمته قال حدثنا ابو الفضل بن خيرون تقدم ايضا
قال حدثنا الحسن بن جعفر قال حدثنا ابو الحسن
٣ علي بن عمر الدارقطني المشهور ٣ قال حدثنا القاضي
المحاملي قال حدثنا محمد بن عبد الرزاق قال حدثنا موسى بن هلال
عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما فذكره
قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبري وجبت
له شفاعتي ان يشفع لي الله له ان يتجاوز عنه مكافاة له ومعنى وجبت
تحققت وثبتت فهي ثابتة له بالوعد الصادق لا بد منها وليس المراد
به الوجوب الشرعي وروي حلت له شفاعتي والمراد انه يخصه
بشفاعة ليست لغيره واضافته لنفسه للتنويه به والتعظيم
قال ابن حجر الهيتمي وافاد قوله مع عموم شفاعته له ولغيره
انه يخص بشفاعة تناسب عظيم عمله اما بزيادة النعيم واما
بتخفيف الاهوال عنه في ذلك اليوم واما بكونه من الذين يحشرون
بلا حساب واما برفع درجات في الجنة واما بزيادة شهود الحق

والنظر اليه وانما يخبر ذلك مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر هذا كله ان اريد انه يخص بشفاعة لا تحصل لغيره
ويحتمل ان يراد انه يفرد بشفاعة مما يحصل له والافراد للتشريف
والتنويه بسبب الزيارة وان يراد انه ببركتها يجب دخوله فيمن تناله
الشفاعة فهو بشرى بموته مسلما فيجري على عمومه ولا يضمر فيه
شرط الوفاة على الاسلام والا لم يكن لذكر الزيارة معنى لان الاسلام
وحده كاف في نيل مثل هذه الشفاعة بخلافه على الاوليين وافادت اضافة
الشفاعة له صلى الله عليه وسلم انها شفاعة عظيمة من شفاعته
ثم اشار الى ان هذا الثواب العظيم وهو الفوز بتلك الشفاعة العظيمة
منه صلى الله عليه وسلم لا يحصل الا لمن اخلص وجهته فيها بان لا يقصد
بها او معها امرا آخر سواها بقوله وعن انس ابن مالك قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارني في المدينة محتسبا
اي ناويا بزيارته وجه الله من غير عرض مخلصا في نيته وقصده اكرامه
لا ينوي غيره والاحتساب افتعال من الحساب معناه الاعتداد والاسم
منه الحسبة وعن عمر رضي الله عنه ايها الناس احتسبوا اعمالكم فان من
احتسب عمله كتب له اجر عمله واجر حسبته فالمراد ان يقصد بالزيارة
اكرامه ويعتد بها اجره فيه الى الله كان في جواري اي في منزلته رفعته
في الآخرة او المراد انه يكون في امانه وعهده فلا يناله مكروه اصلا
والجوار مصدر بكسر الجيم وضمها والكسر افصح وكنت له شفيعا يوم
القيامة المراد به شفاعة خاصة غير الشفاعة العامة فان له شفاعات
كما تقدم وفي قوله في المدينة اعلام بانه صلى الله عليه وسلم
يموت بالمدينة ويدفن فيها فهو من اخباره صلى الله عليه وسلم بالمغيبات
وان كان لا يدري نفس باي ارض تموت وفي حديث آخر رواه البيهقي
والدارقطني والطبراني وابن منصور عن ابن عمر من زارني بعد
موتي فكانما زارني في حياتي لانه صلى الله عليه وسلم حي في قبره يدري
بمن يزوره ويرد سلامه كما تقدم وروي هذا اللفظ من طرق كثيرة
وكره مالك ان يقال زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم هكذا
روي عنه واختلف في معنى ذلك وما اراده مالك رحمه الله لانه
المعروف بين الناس فقيل كراهة للاسم اي اسم الزيارة واطلاقه لما ورد
من قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله زوارات القبور فلعنهن
من حيث انهن زائرات يقتضي ذم الزيارة وهذا رواه احمد والترمذي

وابن

وابن حبان عن ابي هريرة وهذا يرده قوله صلى الله عليه وسلم نهيتكم
بالبنا للمجهول والرواية كنت نهيتكم عن زيارة القبور الا فزوروها ولا تقولوا
هجرا فهذا ناسخ له لانه امر بعد نهي وهذا الدليل والجواب اوهى من
بيت العنكبوت لان الاول في حق النسا المكثرين للزيارة وهذا
لمطلق زيارة الرجال ودخول النسا تغليبا لا يسلمه المعترض ولكن عهدته
على ناقله لا على المصنف فانه ناقل عن غيره وتضعيفه لما نقله وقيل
ان الحديث الاول خاص بزوارات القبور المتخذات عليها مساجد
وسرجا كما ورد مصرحا به في حديث رواه ابو داود والترمذي وحسنه
فليس بمنسوخ والحديثان مرويان في السنن من طرق صحيحة
ولما كان هذا في غير ما نحن فيه من اطلاق الزيارة على قبره صلى الله
عليه وسلم في الحديث الذي تقدمت روايته عن ابن عمر من زار قبري
فقد اطلق اسم الزيارة فدل على ان الكراهة التي رويت عن مالك
ليست لهذا كما توهم وقيل وجه كراهته لان ذلك لما قيل
ان الزائر افضل من المزور وهو من يزار ولا يقال فيه مزار بضم الميم
وقول العامة في قبضة المزار خطأ فيجتنب وهذا ايضا كالتي
قبله ليس بشيء يعتد به بل عليه اثر الى الصواب منه وليس كل زائر
بهذه الصفة وهي الافضلية فتعكيره ليس على ارادتي منه
وليس عموما في كل زائر وقد ورد في حديث اهل الجنة زيارتهم
لربهم في الجنة وهم عبيده لا مناسبة بينهم وبينه في العظمة فكيف
يتوهم هذا ولم يمنع اطلاق هذا اللفظ في حقه تعالى ولو كان كذلك
لم يجز وحديث الزيارة هذا روي على وجوه منها ما رواه ابو نعيم عن علي
كرم الله وجهه اذا اسكن اهل الجنة الجنة اتاهم ملك يقول ان الله يأمركم
ان تزوروه فيجتمعون ثم يؤمر لهم بمائدة الحديث والذي عندي
في وجه الكراهة عنده وفي نسخة والاولى عندي اي في اعتقادي وحكمي
في توجيه الكراهة عنده ان منعه من اطلاق الزيارة على قبره
ووجه كراهة مالك له اي لقولهم زرنا قبر النبي صلى الله عليه
وسلم الاضافة اي نسبة الزيارة الى قبر النبي صلى الله عليه
وسلم بايقاعها عليه فليست الاضافة هنا كونه بل عرفية وذلك
بذكر القبر وجعله مزورا وانه لو قال زرنا النبي
صلى الله عليه وسلم بدون ذكر القبر لم يكرهه قيل وهو مناف
لما تقدم من حديث ابن عمر من زار قبري وجبت له شفاعتي الا ان يقول

انه ضعيف وان الصحيح حديث انس من زارني بدون ذكر قبر الا انه غير مسلم
لان عبد الحق رواه في الاحكام ولم يتعقبه وتقدم ايضا الكلام فيه
لقوله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبري وثنا اي كالوثن وهو الصنم
من الحجارة يعبد نعوي اي يعبد ويصلى اليه وقيل الفرق بين الوثن
والصنم ان الاول ما كان عينا من حجارة وغيرها والثاني ما كان صورة
مجسمة وقيل هما بمعنى فيطلقان عليهما وهو المشهور اشتد غضب
الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد اي يسجدون لها كالسجود
للاوثان قال الشراح هنا كالنصارى وهو مشكل كما تقدم لان نبي النصارى
عيسى صلى الله عليه وسلم ولا قبر له فانه ممن يعتقدونه ويعظمونه
الا انه بعيد جدا فلا حاجة لتفسيره الحديث هنا بهذا انما وقع في
حديث اخر لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد
وهذا اشكل عليه ما ذكرناه ويحتاج الى الجواب بما قلناه والمصنف
لم يورده هنا فلا حاجة الى الكلام عليه واعلم ان هذا الحديث
هو الذي دعا ابن تيمية ومن تبعه كابن القيم الى مقالته الشنيعة التي
كفروه بها وصنف فيها السبكي مصنفا مستقلا وهي منعه من زيارة
قبر النبي صلى الله عليه وسلم وشد الرحال اليه وهو كما قيل
لمهبط الوحي حقا ترحل النجب ه وعند ذاك المرجى ينتهي الطلب ه
فتوهم انه حمى جانب التوحيد بخرافات لا ينبغي ذكرها فانها لا تصدر
عن عاقل فضلا عن فاضل سامحه الله واما قوله صلى الله عليه وسلم
لا تتخذوا قبري عيدا فقيل كره الاجتماع عنده في يوم معين
على هيئة مخصوصة وقيل المراد لا تزوروه في العام مرة فقط بل
اكثروا من الزيارة له واما احتماله للنهي عنها فهو بفرض انه المراد محمول
على حالة مخصوصة اي لا تتخذوه كالعيد في العكوف عليه
واظهار الزينة عنده وغيره مما يجتمع له في الاعياد لا يؤتى الا للزيارة
والسلام والدعاء ثم ينصرف نحى اي صان مالك رحمه الله اضافة
هذا اللفظ اي لفظ الزيارة اضافة معنوية الى القبر يعني قبره
الشريف صلى الله عليه وسلم والتشبيه بفعل اولئك الكفرة
الذين اتخذوا قبور الانبياء مواطن للسجود قطعا للذريعة
وحسما اي قطعا وسدا للباب اي باب الذريعة وهذا مبني على سد
الذرائع التي هي من قواعد مذهب مالك وقد قدمنا تحقيقه والله
اعلم بمراد مالك فيما قاله وهذا كما قيل مما يتعجب

منه

منه فانه لا تشبيه فيه بوجه من الوجوه اصلا بفعل اولئك فالظاهر انه
لم يصح عنه وانما المروي عنه كما وقع هنا في بعض النسخ وهو كما قال
ابو عمران موسى ابن عيسى الفاسي فقيه القيروان وقد تقدمت ترجمته
انما كره ان يقول طواف الزيارة الذي يكون بعد رمي الجمار فقال انما
يقال له طواف الافاضة في اطلاقه غيره فالسبكي عليهم كراهة اطلاق
الزيارة في كلام مالك تنبيه ما ادعى المصنف انه الاولى لا وجه له
رواية ودراية لتعدد ورود اطلاق الزيارة لغيره في احاديث كثيرة منها
ما تقدم وما رواه ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم قال من حج فزار قبري
بعد موتي كان كمن زارني في حياتي وصحبني الا ان قوله وصحبني تفرد به
بعض رواته كما نقله ابن عساكر وقال ابن حجر انها زيادة منكرة وورد
بان له منا بعاد وليس التشبيه من كل الوجوه فلا ينافي خبر لو انفق
احدكم مثل احد ذهبا الحديث وروي ايضا في معناه احاديث
كثيرة قال السبكي كانهم لم يبلغهم ما لمالك رحمه الله مع انه روي عنه كراهة
ان يقال زرنا النبي صلى الله عليه وسلم حي في قبره وقيل كرهه
لان الذهاب للزيارة ليس لمصلحته ونفعه وانما هو رغبة في الثواب
قال السبكي وهو الاقرب في توجيه كلام مالك وان كان المختار الصحيح
انه لا يكره شيء من ذلك وقيل اكرهه لان الزيارة من شاء فعلها ومن
شاء تركها وهي كالواجب عنده واختار ابن رشد انه انما كره لفظ القبر
لانه صلى الله عليه وسلم حي قال ابو اسحاق ابراهيم الغافقي
ومالم يزل من شأنه من حج اي انه استمر من عادة السلف اذا حجوا ياتوا
المزور قيل انه بكسر الميم وسكون الزاي المعجمة وفتح الواو
مصدر ميمي الزيارة وقوله بالمدينة متعلق به وهو تكلف لا يخفى
ولا رواية تدعو اليه والظاهر انه بضم الميم والراء مهملتين مصدر
سرى اي من حج يمر بالمدينة ويقصدها ويدل عليه قوله
والقصد الى الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
اقتداء به صلى الله عليه وسلم فانه كان اذا قدم من سفر دخل المسجد
وصلى فيه والتبرك برؤية روضته وهي ما بين قبره ومنبره سميت
روضة لقوله صلى الله عليه وسلم فيها انها روضة من رياض الجنة
وقبره وكيفية التبرك به ستاتي ومجلسه اي موضع جلوسه
في الروضة المأثور وملامس يديه اي المحال التي لمسها بيده في سجوده
فيها ومواطئ قدميه والعمود الذي استند اليه باسناد ظهره الشريف

اليه في جلوسه ومنزل جبريل بالوحي فيه عليه وكان مراده انه يقصد
التبرك بمسجده لانه كان محلا لما ذكر وان لم يكن ذلك مبينا الان فان نعل
تعيين شيء من ذلك نعل به ذلك رزقنا الله الفوز بالوصول الى السعادة
العظمى بمشاهدة تلك المآثر والمشاهد بجاه محمد صلى الله عليه وسلم
ويمن عمره بتخفيف الميم اي سكنه واما تشديد الميم فمن التعمير وهو بلوغ
العمر بضم الميم مدة الحياة كما اعتمده اهل اللغة وقصده من الصحابة
وائمة المسلمين والاعتبار بذلك كله اي الاعتناء به تعظيما وتكريما اذ
التفكر فيهم وفي ماثرهم وقال ابن ابي فديك محمد بن اسماعيل بن مسلم
ابن ابي فديك بضم الفاء وبالدال المهملة وبالتصغير وكان الامام الامام
الثقة روى عنه الستة واحمد وتوفي سنة مائتين وله ترجمة
في الميزان وحديثه هذا رواه البيهقي سمعت من ادركته
يقال ادرك فلان فلانا اذا ادركه زمانه والمراد من ادركته من
العلماء والصلحاء يقول انه من وقف عند قبر النبي صلى الله عليه
وسلم متوجها اليه وقال تاليا هذه الاية ان الله وملائكته
الخ ناداه بعد تلاوتها صلى الله عليك يا محمد سبعين مرة ناداه
ملك صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط لك حاجة وفي رواية
ولم تسقط لك اليوم حاجة اي لا ترد ولا تخيب شبه عدم قبولها
بسقوط شيء بتضييع منه وخص السبعين لانها محل الاجابة كما قال
تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة وقد نبه على هذا انه
ينافي ما قالوه كما مر من انه لا يجوز نداؤه باسمه يا احمد في حياته وبعد
مماته لقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا بل يقال
يا رسول الله ونحوه تعظيما وكذا لا ينادى بكنيته كابي القاسم وقد تقدم
فان كان هذا ماثورا عنه يغتفر فيه بما ثور ولتقدم تعظيمه
هنا بقوله صلى الله عليك فيشا من هذا في الدر المنظم بعد اخراج
البيهقي لما ذكر عن ابن ابي فديك ما نصه ولا دليل فيه لجواز ندائه
صلى الله عليه وسلم باسمه فقد صرح ائمتنا بحرمة ذلك وظاهره
انه لا فرق بين ان يتقدمه تعظيم له وان لا وهو ظاهر خلافا لمن
بحث تخصيصه بالثاني وذلك لان المدار على الاسم وان تقدمه تعظيم
كما هو جلي من ترك التعظيم اذ مثله يقع من بعضنا لبعض وما تقدمه
لا نظر اليه لانقضائه فالاحسن وانما ينادى بنحو يا نبي الله يا رسول الله
نقول الزين المراغي الاولى ان يقال لا ان يقول يا رسول الله وهم كل

الصواب

الصواب ان ذلك واجب لا اولى وعن يزيد بن ابي سعيد المهري بفتح
الميم نسبة الى مهرة قبيلة وهو محدث مشهور اخرج له مسلم وغيره
قال قدمت على عمر بن عبد العزيز اي اتاه في صدالة واجتمع به
فلما ودعته اي لما اردت الانصراف من عنده قال لي الي بك حاجة اسالكها
تقضيها لي اذا اتيت المدينة سترى قبر النبي صلى الله عليه
وسلم اذا زرته فاذا رايته فاقرئه مني السلام اي بلغه سلامي وانى
سلم عليه فهو كقولهم اقرا عليه واقراه السلام اذا بلغه سلاما من غائب
عليه وقيل لا يقال اقراه الا اذا كان مكتوبا والمشهور انهما بمعنى وهو
الذي يناسبه الحديث الذي نحن فيه وقال غيره اي غير يزيد المذكور
والقائل هو حاتم بن وردان كما ذكره البيهقي في شعب الايمان كان اي عمر بن
عبد العزيز الخليفة المشهور الجليل المقدار يبرد بضم اوله من ابرد
بمعنى ارسل اليه صلى الله عليه وسلم البريد من الشام لانها كانت
مقر الخلفاء اي يرسل رسولا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبلغه سلامه
ويقريه السلام لا لقصد غير ذلك اكتفاء وذلك في صدر زمن التابعين
ولم ينكر ذلك احد منهم فالبريد هو الرسول الذي يكون مستعجلا
لتبليغ امر الخلفاء ونحوهم وهو في الاصل فارسي معرب من بريده دم
اي مقطوع الذنب لانهم كانوا يضعون في المنازل بغالا يركبها الرسل
لتبليغ الاخبار بعجلة ويجعلون اذنابها علامة لها ثم اطلق على الرسول
وصار حقيقة فيه مطلقا وقيل سمي الرسول بريدا لانه يقطع البريد
وهو اثنا عشر ميلا وصاحب البريد رجل يعد لتبليغ الاخبار واحوال
البلاد والولاة فاصحاب البريد قوم معدون لذلك عندهم براذين سيارة
فاذا وقع امر عظيم وجههم صاحب البريد للاخبار به وكان من داب السلف
انهم يرسلون السلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابن
عمر يفعله ويرسل له السلام ولابي بكر وعمر رضي الله عنهما رسول
الله صلى الله عليه وسلم وان كان يبلغه سلام من سلم عليه وان
كان بعيدا عنه لكن في هذا فضيلة حظا به عنده ورده عليه
السلام بنفسه كما ذكرنا الا انه قيل انه لا يجب عليه تبليغه
بخلاف من قال سلم لي على فلان فانه يجب عليه اذا امانته لزاي ان لم
يصرح له بعدم القبول كما هو المقبول كما هو ظاهر فيجب على المسلم
عليه الرد بلسانه فورا كما لو كان المسلم حاضرا وفرق بينهما بان القصد
بالسلام ابتداء وردا الاحياء التواصل وعدم التقاطع الذي يجلب

ووقوعه بين الاحبا وحبيبهم فارسال السلام للغايب القصد به مواصلته
وعدم مقاطعته واذا كان هذا هو المقصود به كان تركه مع تمكنه سببا
او وسيلة الى المقاطعة المحرمة اي من شانه ذلك وللوسايل حكم المقاصد
واما ارسال السلام له صلى الله عليه وسلم فالقصد به الاستمداد منه وعود
البركة على المسلم فتركه لا يترتب عليه الا عدم اكتساب فضيلة للغير فالتبليغ
سنة لا واجب ولا يقال تفويت الفضايل عن الغير حرام لانا نقول
فرق واضح بين عدم اكتساب الفضيلة للغير وتفويت الفضيلة
الحاصلة على الغير فايدة قال صاحب القاموس في رسالة
الصلاة ورد ان السلام عليه صلى الله عليه وسلم عند قبره افضل من
الصلاة عليه اي للاخبار الكثيرة ومنها ما من احد يسلم علي عند قبري
الخ وفيه نظر ثم رايت في الدر المنظوم بعد ذكره ونحا رضه ما تقدم
انه تعالى يصلي هو وملايكته على المصلي بدل الصلاة الواحدة عشرا
اوما به على ما مر وصلاة الله افضل من رده صلى الله عليه وسلم
على انه لو قيل انه صلى الله عليه وسلم يرد الصلاة عليه كالسلام فالاولى
ان يوجه افضلية السلام بانه شعار اللقاء والتحية وحينئذ تختص
افضليته بحالة اللقا عند كل زيارة اما اذا سلم اللقا فالصلاة بعده
اولى من استمرار السلام وان كان باقيا في مقام الزيارة ويدل لذلك صنيع
العلما فانهم لما ذكروا ان الزاير يبدا بالسلام ذكروا انه يختم بالصلاة
عليه قال بعضهم رايت انس بن مالك الصحابي خادم رسول
الله صلى الله عليه وسلم اتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم لزيارته فوقف
عند القبر فرفع يديه للدعا فانه مستحب لمن زاره صلى الله عليه وسلم
ان يدعوا او يستشفع به ويتضرع حتى ظننت انه افتتح الصلاة
لانه يسن رفع اليدين لافتتاح الصلاة ولعله كان مستقبل القبلة
للظن المذكور فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم بعد رفع يديه
ودعايه ثم انصرف من عنده قال مالك في رواية ابن وهب
عنه هو عبد الله ابن وهب عالم مصر كما تقدم وهو ممن روى عن الامام
مالك اذا سلم الزاير لقبره الشريف على النبي صلى الله عليه وسلم
ودعا بما يريد الدعا به يقف عنده ووجهه الى القبر لا الى القبلة
كما يستحب للداعي في غير هذا الموطن لان استدباره خلاف الادب ويدنوا
اي يقرب من القبر في حال الدعا ويسلم عليه صلى الله عليه وسلم
ولا يمس القبر بيده فيكره الصاق الظهر والبطن بجدار القبر المكرم وكذا

بجداره جدار الساتر عليه المستور بالحجر الان لما في ذلك من مخالفة الادب
معه صلى الله عليه وسلم ومن ثم تعين على كل احد ان لا يعظمه صلى الله
عليه وسلم الا بما اذن الله فيه لامته في جنسه مما يليق بالبشر فان مجاوزة
ذلك تفضي الى الكفر والعياذ بالله بل مجاوزة الوارد من حيث
هو ربما تؤدي الى المحذور فليقتصر على الوارد ما امكن واستقبال وجهه
صلى الله عليه وسلم واستدبار القبلة مذهب الشافعي والجمهور ره
ونقل عن ابي حنيفة وقال ابن الهمام ما نقل عن ابي حنيفة انه يستقبل
القبلة مردود بما روي عن ابن عمر انه من السنة ان يستقبل القبر المكرم ه
ويجعل ظهره للقبلة وهو الصحيح من مذهب ابي حنيفة وقول الكرماني
ان مذهبه بخلافه ليس بشي لانه صلى الله عليه وسلم حي وقد صرحه
يعلم بزايره ومن ياتيه في حياته انما يتوجه اليه ويستحب القيام في حال
الزيارة كما نبه عليه المصنف بقوله يقف وهو افضل من الجلوس عند
الجمهور ومن خير بينهما اذ الجلوس ادون المساواة فان جلس فالافضل
ان يجثوا على ركبتيه ولا يفترش ويتربع لانه اللايق بالادب وقال
مالك في المبسوط اسم كتاب له تقدم لا ارى اي لا استحسنه واعده
رايا ان يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعوا اي في حال كونه
داعيا بما اراد ولكن يسلم عليه ويمضي اي ينصرف من عنده من غير
وقوف وظاهره ان مذهب مالك عدم استحباب الوقوف مطلقا ونقل
الشافعية عنه ان استحباب عدم الوقوف عنده لاهل المدينة
المقيمين بها لا للغربا الزوار فانه يستحب لهم الوقوف للدعا له صلى الله
عليه وسلم ولابي بكر وعمر ففرق بين المدني وغيره فلا يجعل المدني
قبره الشريف كالمسجد ياتيه في اكثر ايامه للعبادة والقربة بنا على ان
قاعدته في سد الذرايع وسياتي ايضا بيان ذلك في كلام المصنف
عن المبسوط والصحيح عند غيره انه لا فرق بين المدني وغيره من ه
استحباب الاكثار من زيارته والوقوف عنده للدعا ففي المسئلة
ثلاثة مذاهب وقال ابن ابي مليكة هو عبد الله بن عبيد الله
بن ابي مليكة بالتصغير وهو من اعلام التابعين وابوه ابو مليكة
صحابي جليل وانه توفي سنة سبع عشرة ومائة واخرج له اصحاب
الكتب الستة من احب ان يقوم وفي نسخة يقوم وجاه النبي صلى الله
عليه وسلم اي في مواجهته ومقابلته وجاه مثلث الواو بمعنى تجاه
وهو مثلث التا ايضا كما في مثلثات صاحب القاموس ومعناها ه

يقابل وجهه وجهه وتجاه بدلة من الواو وكسرته فليجعل
القنديل الذي في القبلة عند القبر الشريف على راسه اي بحاذيا لها
والقنديل بكسر القاف مصباح من زجاج معلق وهو معروف وبفتح ه
القاف معناه العظيم الراس وزنه فعليل وقيل فنعيل ونونه زايدة
وهو ارشاد لكيفية الزيارة وانه يكون بينه وبين القبر فاصل فقيل انه
يبعد عنه بقدر اربعة اذرع وقيل ثلاثة وهذا مبني على ان البعد
اولى واليق بالادب كما كان في حياته صلى الله عليه وسلم وعليه الاكثر ه
وذهب بعض المالكية الى ان القرب اولى وقيل يعامله معاملته
في حياته فيختلف باختلاف الناس وهذا باعتبار ما كان في العصر الاول
واما اليوم فعليه مقصورة تمنع من دنو الزاير فيقف عند الشباك
وقال نافع بن هرمز مولى ابن عمر اشتراه من سبي خراسان وهو تابعي
جليل توفي بالمدينة سنة سبع عشرة ومائة وهو غير نافع بن
عبد الرحمن المدني المقرئ وهذا رواه البيهقي وغيره كان ابن عمر
الصحابي المشهور يسلم على القبر الشريف رايته مائة مرة واكثر ياتي
القبر بدل من قوله يسلم فيقول السلام على النبي السلام
على ابي بكر السلام على ابي وفي نسخة حفص عمر بن الخطاب
رضي الله عنه ثم ينصرف فيه وفي اشارة الى انه لا ينبغي له ان
يطيل الكلام عند السلام ويختصر وقيل يطيل ما شاء الثناء ه
والدعاء والتوسل وقيل يختلف باختلاف الناس والاحوال والرواية
للزيارة من قبل راسه الشريف صلى الله عليه وسلم ثم تاخر الى ابي بكر وعمر
رضي الله عنهما بقدر ابا الاشرف فالاشرف فقطعا لها كما يليق ه
وقيل يا ايها من قبل رجل عمر لانه من الادب ويتاخر قليلا قليلا وفي
كيفيته وضع القبور اختلاف مذكور في تاريخ المدينة الكبير
للسيد السمهودي مفصلا لينبني هذا محله وفي الموطا من رواية
يحيى بن يحيى الليثي تقدم ان يحيى بن يحيى راوي الموطا عن مالك الموطا
اثنان انه كان يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم على
هنا بمعنى عند وهذا اشارة الى اختيار القرب منه صلى الله ه
عليه وسلم كما مر فيصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ابي بكر
وعمر تعالى ان يصلي بمعنى يدعو وعند ابن القاسم عبد الرحمن
فقيه مصر كما تقدم والقعنبي بفتح القاف وسكون العين المهملة
وفتح النون بعدها با موحدة ويا نسبة وهو عبد الله بن مسلمة

بي

ابن قعنب الحارثي ابو عبد الرحمن احد الاعلام روى عنه البخاري وابو
داود وغيرهما وهو ثقة حجة توفي سنة عشرين او احدى وعشرين وما
تين اخرج له الشيخان وغيرهما كما علم في روايتهما عن مالك بلفظ ويدعوا
لابي بكر وعمر لا بلفظ يصلي كما مر قال مالك في رواية ابن وهب
عنه يقول المسلم اي الزاير السلام عليك ايها النبي ورحمة
الله وبركاته ذكره مالك في المبسوط ويسلم على ابي بكر وعمر بعد السلام
عليه صلى الله عليه وسلم قال القاضي ابو الوليد الباجي تقدمت ترجمته
وعندي اي الراجح عندي انه يدعو للنبي صلى الله عليه وسلم بلفظ
الصلاة لما فيها من التعظيم كما تقدم ويدعوا لابي بكر وعمر كما في حديث
ابن عمر الذي تقدم وقوله فيه السلام على ابي بكر السلام على ابي عمر فيدعوا
لهما بالسلامة من كل مكروه ولا يصلي عليهما لما مر من الخلاف اي مخالفة
الدعا لهما للدعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفي المناسك هنا تفصيل
طويل فيما يقوله الناس ليس هذا محله وقال ابن حبيب
عبد الملك بن حبيب القرطبي الامام الجليل الثقة مصنف كتاب الواضحة
ولا يلتفت لمن نسبه للكذب وترجمته في الميزان ويقول الزاير ودخل
دخل مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بسم الله وسلام على رسول الله صلى الله عليه
وسلم السلام علينا من ربنا وصلى الله عليه وملايكته على محمد
اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك وجنتك اي يسر لي ه
ما يوصل اليهما فان دخوله من باب المسجد الموصل لجنة روضة
شوقه الى الجنان وقوي رجاؤه فناسب دعاءه بما ذكر لما سلك ه
الطريق الموصلة اعتصم بالله من قطاع طريقها بقوله واحفظني
من الشيطان الرجيم ثم اقصد بعد الدعا الى الروضة وهي ما بين القبر
والمنبر واركع فيها ركعتين تحية المسجد شكرا لهذه فيه قبل
وقوفك بالقبر اي عنده تحمد الله فيهما اي في تلك الصلاة وتسأله
تمام ما خرجت اليه من زيارتك وسفرك والعون عليه
اي المساعدة بتيسيره له وان كانت ركعتاك في غير الروضة
من المسجد النبوي اجزاتاك بالعمر اكتفاتاك في ادا السنة وفي الروضة
افضل اي اكثر ثوابا اقتدا به صلى الله عليه وسلم وقد قال
عليه الصلاة والسلام ما بين قبري ومنبري روضة من رياض
الجنة وتاتي الكلام عليه وما بين القبر والمنبر نحو خمسين ذراعا
ومعنى كونه روضة من رياض الجنة انه يودي الى دخولها فكانه

منها اطلاق السبب وارادة المسبب او هو تشبيه بليغ ومن حمل
انه على حقيقته وانه ينقل الى الجنة وفي حديث اخرجه ابو داود كلامه
هنا انه من تتمة الاول ومنبري على ترعة من ترع الجنة ترعه
ونزع عشاه كغرفة وعرف قيل هي الروضة تكون في مكان مرتفع
وقيل الباب والروضة محل الاشجار مطلقا او في مكان مطمئن كما ذكره اهل
اللغة والكل محتمل هنا والكلام في هذا كما تقدم في قوله روضة
من رياض الجنة في احتمال التشبيه والاستعارة ويأتي بيان الحديث
في كلام المصنف ثم يقف في القبر اي عنده متواضعا متوقرا اي بتواضع
ووقار اي بسكون تأدبا بهيبة واجلال وغض طرف وقال الكرماني الحنفي
في مناسكه انه يضع يمينه على شماله كما يقف في الصلاة وقال
غيره الاولى الادب الارسال لئلا يتشبه بالمصلي فانه منهي عنه فيصلي
بالخطاب لكل زائر عليه ويثني عليه بما يليق به بما حضر كما مر اي يحفظ
بالكلية من غير تكلف لامور لم تتعبد بها بسجدة وكوضع اليد يفتح الانحناء
وتقبيل الارض ومما يظنه جهلة العوام من ان فيه زيادة لتعظيم كبير بشيء ه
ويسلم على ابي بكر وعمر رضي الله عنهما بما يناسب مقامهما كما مر ويكثر من
الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالليل والنهار والمراد
بمسجده هنا هو المراد بقوله صلاة في مسجدي هذا تعدل الف صلاة في
غيره كما يأتي وهو ما كان مسجدا في زمنه لا ما زيد فيه كما قاله النووي وغيره
والاشارة بقوله هذا لتعيينه واعتراض ابن تيمية عليه بما ورد في الحديث
لو مد في مسجدي الى ذي الحليفة كان مسجدي رد بانه لا يقتضي مساواته
من كل وجه ولا شك في ان الاول افضل من غيره وفي حديث الزيادة ه
مجروح واخبار بالغيب ولا ينبغي جعل القبر خلف ظهره ولا ايضا هنا
كما قاله ابن عبد السلام ولا يدع بالخطاب والجزم اي لا يترك ان ياتي
مسجد قباء بضم القاف ويمد ويقصر ويذكر ويؤنث فيجوز صرفه ومنع صرفه
وهو اسم موضع قريب من المدينة بني فيه عمرو بن عوف الانصاري
مسجدا اتاه النبي صلى الله عليه وسلم وصلى فيه وهو المراد بقوله تعالى
لمسجد اسس على التقوى على الراجح كما يأتي وكان صلى الله عليه وسلم يزوره
راكبا وماشيا في كل سبت وحكمة تخصيصه انه اتيانه زيادة اهله
والموتى يعلمون بزوارهم يوما قبل الجمعة ويوما بعده واعطى اهل
احد يوم الخميس لانهم افضل ينفي السبت لاهل قباء وقال صلى الله عليه
عليه وسلم صلاة ركعتين فيه كعمرة ويقال له مسجد الفتح وكان عمر رضي الله

عند بابه في كل اثنين وخميس وقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه ينقلون حجارته على بطونهم فلو كان في طرف الارض لضربنا اليه اكباد
الابل وقال صلاة ركعتين فيه احب الي من ان آتي بيت المقدس مرتين وكذا
غيره من المساجد المأثور صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها
كمسجد القبلتين وقبور الشهداء المعهودة وهم شهداء احد رضي الله عنهم
فانه صلى الله عليه وسلم كان يزورهم وينبغي ان لا يخدع بزيارتهم وان يبدأ بحمزة
سيد الشهداء في الدنيا والآخرة وقال مالك في كتاب محمد ويسلم اذا دخل
وخرج اي اذا دخل مسجد المدينة وخرج منها وفيما بين ذلك اي في ايام اقامته
بالمدينة يدخل المسجد ويسلم عليه كلما دخل وخرج قال محمد واذا خرج
من المدينة من اتاها زائرا جعل آخر عهده بالمدينة الوقوف بالقبر اي
عنده للوداع وكذلك كل من خرج مسافرا من المدينة يجعل آخر عهده
زيارته صلى الله عليه وسلم والسلام عليه اه وكان ابن وهب عن فاطمة
الزهراء ابنة النبي صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال اذا دخلت المسجد يعني مسجده صلى الله عليه وسلم فصل على النبي
صلى الله عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك
وفيه مناسبة تامة لان العبادة مكفرة للسيئات والدخول يفتح الباب وهو باب
موصل لاعظم رحمة واذا خرجت من المسجد النبوي فصل على النبي صلى الله عليه
وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي ببركة العمل الصالح وافتح لي ابواب
فضلك وذكر الفضل هنا انسب لان الخارج من المسجد يخرج لكسب معاشه
والفضل الرزق وفتح الباب كناية عن تسهيل امره وتيسير مصالحه واسباب
معاشه وقد علم بذلك حكمة ذكر الرحمة في الدخول والفضل في الخروج وحاصله
ان المساجد محال رحمة الحق تعالى لعباده رحمة مخصوصة تناسب قصدهم وعبادتهم
فطلب تلك الرحمة الخاصة عند دخولها واما الخروج منها فهو الى محال
الاسباب والاكتسابات التي بها تحصل الارزاق والغناء عن الناس وهنا
تظهر الفضائل التي تفضل بها على عباده فسأل التوجه ليفاض عليه
منه ما يتوفر به خشوعه وانقطاعه الى الله تعالى قالوا ويصلي ركعتين نفلا
مطلقا وقيل انهما سنة الوداع واختلف هل يقدم الوداع على الصلاة
او يؤخرها ليكون آخر عهده ملاقاته صلى الله عليه وسلم ويحسن ان تقول
اللهم لا تجعل هذا آخر العهد بحرم رسولك صلى الله عليه وسلم ويسر
لي العود اليه وارزقني العفو والعافية في الدنيا والآخرة ويتأسف
على مفارقته واعلم ان هذا الحديث رواه اصحاب السنن على انه

سنة لدخول كل مسجد وليس مخصوصا بالمسجد النبوي كما ذكره الخيضري
في اللفظ المعظم الا انه ينبغي لمن يدخل فيه دخولا اوليا وزاد بعضهم في المسجد
النبوي رب وفقني وسددني واصلحني واعني على ما يرضيك عني ومن علي
بحسن الادب في هذه الحضرة الشريفة وفي رواية ابن اخرى من طريق
اخر وحديث فاطمة رواه احمد وابو يعلى والترمذي وحسنه ه
فليسلم مكان فليصل بيده ويقول اذا خرج اللهم اني اسالك من فضلك
وفي رواية اخرى اللهم احفظني من الشيطان الرجيم وهذه الامور
كلها تحدد ذكرها ناسك الحج وفصلت ثم وعن محمد بن سيرين التابعي ه
المشهور كان الناس يقولون اذا دخلوا المسجد النبوي صلى الله عليه
وسلم وملائكته على محمد السلام عليك ايها النبي ورحمة
الله وبركاته بسم الله دخلنا وباسم الله خرجنا اي ندخل ونخرج وعبر
بالماضي مشاكلة والاشارة الى ان المساجد انما هي للعبادة وليست
محل مكث والاقامة لغير المعتكف وعلى الله توكلنا اي فوضنا اليه امورنا ه
كلها لنترك من دخل المسجد امور دنياه فلا نتوجه فيه انما هو لله ه
وكانوا يقولون اذا خرجوا مثل ذلك وهذا ليس خاصا بمسجد المدينة
بل هو مستحب في كل مسجد واستحب الصلاة عليه
عند دخولها والخروج منها لانه صلى الله عليه وسلم هو الذي بين لنا
العبادة فيها وهدانا الطريق الكبير فكان حقا علينا نذكره ثمة والدعا
له والمراد بالناس هنا الصحابة ففعلهم يدل على انه سنة ما تورثه
بلا ينبوهم انه كيف يكون دليلا على انه سنة ولذا ه
اردفه بما يوضحه من قوله وروي عن فاطمة ايضا اي كما روي
عنها قبل هذا كان النبي اذا دخل المسجد قال صلى الله على
محمد وسلم ثم ذكر مثل حديث فاطمة قبل هذا وفي رواية
حمد الله الذي وفقه للعبادة وسمى الله تيمنا وتبركا ليتم ما شرع فيه
وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم لما مر وذكر مثله اي ما هو
مثله وفي رواية انه يقول اذا دخل المسجد بسم الله والسلام على رسول
الله فهذا اصرح في ان ما فعله الناس فعله رسول الله صلى
الله عليه وسلم بنفسه فهم مقتدون به وروي عن غيرها اي
عن غير فاطمة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا دخل المسجد قال اللهم افتح لي ابواب رحمتك وانها محل نعيم
الدنيا والاخرة ويسر لي ابواب رزقك اي سهلها ويسر اسبابها والتعبير

بالتيسـ

بالتيسير اشارة الى انه مما يتقى ويترع منه وعن ابي هريرة رضي الله عنه
اذا دخل احدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل
اللهم افتح لي يعني ما تقدم بتمامه وحاصله ان هذه الاحاديث
تدل على ان من دخل المسجد او خرج منه او مر به اي مسجد كان يستحب له ان
يسمي الله ويصلي ويسلم على رسول الله ويدعوا بخير من خيري الدنيا والاخرة
والماثور افضل وهذا مما اتفقوا عليه وورد فيه احاديث صحيحة
مسندة في باب الدعوات وقال مالك في المبسوط وليس يلزم من
دخل المسجد النبوي وخرج منه من اهل المدينة المقيمين بها الوقوف
بالقبر اي عنده للزيارة وانما يلزم ذلك اي الوقوف لازم للغربا الذين
جاءوا المدينة للزيارة وليس اللزوم هنا بمعنى الوجوب الشرعي بل التاكد في
حقه وقال مالك فيه اي في كتاب المبسوط ايضا كما نقل عنه اولا ه
لا باس لمن قدم من سفر او خرج الى سفر من اهل المدينة ان يقف على
قبر النبي صلى الله عليه وسلم اي يقوم عنده زائرا فيصلي عليه صلى
الله عليه وسلم ويدعو لابي بكر وعمر بعد الصلاة على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقيل له ان ناسا من اهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا
يريدونه اي الخروج للسفر فهل يقيمون يفعلون ذلك اي الوقوف عند
القبر والصلاة عليه والدعا لصاحبيه في اليوم الواحد مرة او اكثر
وربما وقفوا في الجمعة او الايام المرة والمرتين او اكثر عند القبر
فيسلمون عليه صلى الله عليه وسلم ويدعوا لابي بكر وعمر ساعة
فقال مالك لما ذكر له ذلك لم يبلغني هذا اي وقوف المدني من غير سفر
عند القبر عن احد من اهل الفقه ببلدنا يعني المدينة لان
عمل اهلها حجة عنده وتركه اي تركه هذا الفعل واسع اي اكثر واولى ولا
يصلح اخر هذه الامة المحمدية واخرها من بعد الصحابة والعصر الاول
الا ما اصلح اولها اي لا يصلح لاخرهم الا ما صلح لاولهم ولا يستحب لهم
الا ما استحبوه اولا ولم يبلغني عن اول هذه الامة وصدرها
من الصحابة ومن الحق بهم انهم كانوا يفعلون ذلك اي الوقوف للزيارة من غير
الغربا بلا ارادة سفر اي لم اسمعه بنقل صحيح ويكره ذلك الا لمن جاء من
سفر او اراده من اهل المدينة قال ابن القاسم من اتباع
الامام مالك ورايت اهل المدينة اذا خرجوا منها للسفر او دخلوها
قادمين من السفر اتوا القبر فسلموا عليه صلى الله عليه وسلم قال
ابن القاسم وذلك رأيي اي قول لمالك وفي نسخة بالاضافة اي انه يقوله

وقال الباجي بالموحدة نسبة لباجة اسم بلدة بالمغرب وهو ابو الوليد الحافظ من ائمة المالكية وقد تقدم تعريف مالكا وابن القاسم رواية عنه بين اهل المدينة والغربا فاستحب للغربا الزيارة في الدخول المسجد في كل حين ولم يستحبه للمدني الا اذا خرج لسفر او قدم منه لان الغربا قصدوا المدينة لذلك اي لاجل الزيارة فينبغي لهم فعل ذلك في كل حين واهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من اوطانهم من اجل زيارة القبر والتسليم عليه صلى الله عليه وسلم قال السبكي في كتابه شفا السقام بعد نقل ما هنا مذهب مالك ان الزيارة قربة لكنه كره الاكثار منها للمقيم بالمدينة على قاعدته في سد الذرايع وغيره من اهل المذهب قالوا باستحباب الاكثار منها مطلقا واتفقوا عليه وهو الحق الذي لا شبهة فيه والذي يعتقد انه مسموع في كل مقام كما تقدم عن الغزالي وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه عبد الرزاق ومالك في الموطا عن عطا بن يسار اللهم لا تجعل قبري وثنا اي كالوثن وهو الصنم الذي يعبد اي يتخذ معبودا وتقدم فيه زيادة بعد يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد اي يسجدون لها كما يسجدون لله وقد تقدم الكلام عليه وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه ابن ابي شيبة وغيره بسند متصل لا تجعلوا قبري عيدا اي كالعيد باجتماع الناس عنده وقد تقدم تاويل الحديث وانه لا حجة فيه لما قاله ابن تيمية وغيره فان اجتماع الامة على خلافه يقتضي تفسيره بغير ما فهموه فانه نزعة شيطانية وقوله وقال الخ يحتمل انه من كلام الباجي او من كلام مالك وابن القاسم تاييدا لما قاله وهو الظاهر واحتمال انه من كلام المناسب غير مناسب لما عقد له هذا الفصل ونقل من كتاب احمد بن سعيد الهندي عالم الاندلس توفي سنة تسع وتسعين وثلاثمائة وعمره سبع وسبعون سنة وترجمته مبسوطة في التواريخ وفي نسخة سعد الهندي والصحيح الاول فيمن وقف بالقبر اي قال في حقه ربما نحاله انه ينبغي له انه لا يلصق به صدره ولا يمسه بشي من جسده فلا يقبله فيكره مسه وتقبيله والصاق صدره به لانه ترك ادب وكذا كل صريح يكره فيه ذلك وهذا امر غير مجمع عليه ولذا قال احمد والطبري لا باس بتقبيله والتزامه وروي ان ابا ايوب الانصاري كان يلتزم القبر الشريف قيل وهذا الغير من لم يغلبه الشوق والمحبة وهو كلام حسن ولا يقف عنده

طويلا

طويلا بل يقف ادار الصلاة والدعا تادبا منه فهذا مستحب عنده وفي العتبية بضم العين المهملة وسكون المثناة وكسر الموحدة وياء نسبة اسم كتاب يعرف بالعتبية وبالمستخرجة من الاسمعة اي ما سمع مالك من مسايل المدونة وصاحبها نسبة العتبي نسبة لعتبة بن ابي سفيان وهو فقيه الاندلس محمد بن احمد بن عبد العزيز بن عتبة بن ابي سفيان القرطبي توفي في منتصف ربيع سنة خمسين او اربع وخمسين ومائتين واخذ عن يحيى بن يحيى الليثي وطبقته ويقال انه من موالي عتبة وله رحلة الى المشرق وفي تاريخ الاندلس محمد العتبي هو محمد بن احمد بن عتبة الاموي من اهل قرطبة وقيل هو مولى لال عتبة بن سفيان وهو الاصح وسمع من سحنون واصبغ وغيرهما وجمع كتابا سماه المستخرجة اكثر فيه من الشواذ والمسايل الغريبة فاذا سمع غريبة قال ادخلوها في المستخرجة وقال ابن وضاح في المستخرجة خطا كثير يبدا بالركوع المراد به الصلاة اي تحية المسجد اذا دخله تسمية باسم الجزء كالركعة قبل السلام على قبره عليه الصلاة والسلام وزيارته وهو احد القولين كما تقدم في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقيل يسلم اولا ثم يصلي ويتحرى بصلاته محلا كان يصلي فيه صلى الله عليه وسلم وله علامة ذكروها وهو على يسار محراب الآن فيعمه ويشمل ذلك عموم قوله واحب اي اعلى تفضيل من المحبة مواضع التنفل اي افضلها للصلاة النافلة وتحية المسجد والزيارة مصلى النبي صلى الله عليه وسلم اي محل صلاته المأثور عنه وبين محله بقوله حيث العمود المخلق بضم الميم وفتح الخا المعجمة وتشديد اللام وفاء وهو ما عليه الخلوق بالفتح وهو نوع من الطيب اصفر فيه حمرة والعمود هو السارية والاسطوانة وسمي مخلقا لانه كان يطيب بالخلوق تعظيما وهذا هو المعروف وقيل انه مخلق بحا مهملة اي له حلقة من حديد ونحوه وقيل هو محل جذع الذي كان يصلي صلى الله عليه وسلم يخطب عنده قبل عمل المنبر له وهذه الاماكن الشريفة واسماؤها وقفنا عليها فمن اراد الوقوف عليها فليطالع تاريخ المدينة المسمى للسيد السمهودي وفضيلة هذا المحل في الصلاة عنده انما هي للمتنفل الزائر واما في صلاة الفرض فالتقدم الى الصفوف اي التقدم في الصف الاول افضل من غيره مطلقا والتنفل اي صلاة النافلة فيه اي في المسجد النبوي للغربا الذين قدموا للزيارة وليس من اهل المدينة المقيمين بها احب الي اي افضل عندي من التنفل في البيوت اي مساكنهم ومحل نزولهم

وهذا مستثنى مما قاله الفقهاء واطلقوه ان الافضل في الفرض الصلاة
في المساجد وفي النافلة الانفل فيه ان تصلى في المنازل ووجه المخالفة
ان الصلاة في مسجد المدينة افضل من الف صلاة في غيره على ما يأتي وهذا
مبني على ان المضاعفة تختص بمسجد المدينة وذهب بعضهم
الى ان الصلاة في المدينة مطلقا مضاعفة لا فرق بين فرضها ونفلها
ومسجدها وغيرها فعلى هذا نافلتها كغيرها الان الغريب يستحب
له الاكثار من المكث في مسجدها والزيارة والتبرك بمواطن عبادته فلنه
شان عظيم وهو الظاهر **فصل فيما يلزم من دخل مسجد**
النبي صلى الله عليه وسلم من الادب اللازم لمن حضر مجلسه في حياته
سوى ما قدمناه في الفصل الذي قبل هذا **وفضله** اي المسجد النبوي **وفضل**
الصلاة فيه اي زيادة ثوابها على ثواب غيرها **وفي مسجد مكة**
وفضله وفضل الصلاة فيه **وذكر قبره ومنبره وفضل سكنى المدينة**
ومكة والمجاورة فيهما **قال تعالى لمسجد اسس على التقوى من اول**
يوم وضع اساسه فيه **احق ان تقوم فيه** للصلاة من غيره وقد اختلف
فيه كما يأتي **روي** عنه صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم
وغيره ان النبي **صلى الله عليه وسلم سئل** عن المراد به في هذه الاية
اي **مسجد هو فقال مسجدي هذا** يعني الذي داخل المدينة
وهو معروف **وهو** اي كونه المراد في الاية **قول ابن المسيب وزيد بن**
ثابت وابن عمر ومالك ابن انس وغيرهم من كبار الصحابة فقيل
كان ينبغي له تقديم ابن عمر ثم زيد ثم ابن المسيب ثم مالك لكنه قدم
الاسن والترتيب في الذكر ليس بلازم **وعن ابن عباس انه مسجد قباء**
الذي تقدم بيانه وهو المراد في الاية عنده لانه صلى الله عليه وسلم
اسسه وصلى فيه ايام اقامته من الاثنين الى الاثنين وكلامهما ما
اسسه على التقوى الا ان مسجد قباء كان في ابتداء دخوله
صلى الله عليه وسلم دار الهجرة ثم انتقل منه واسس الاخر فالاول انه
ظاهره فيه الا ان يجعل شاملة للحقيقية والنسبية والمراد بالتقوى
الاخلاص في رضى الله لا كمسجد الضرار وما ذكره ابن عباس هو الذي
ارتضاه المفسرون وهو الظاهر والاول ايضا مروي عن كبار الصحابة
مسندا له صلى الله عليه وسلم وقد رواه مسلم واصحاب
السنن ولذا قيل كان ينبغي للمصنف ان يقول صح عنه رسول
الله صلى الله عليه لا روي بصيغة المجهول التي تغلب في الضعيف

فكانه اشار منه الى ان الاقوى ما قاله ابن عباس وهو مشكل وغاية
ما يقال فيه ان الاولية اضافية باعتبار ما بني بعد الهجرة ومسجد
مكة فيشمل مسجد قباء ومسجد المدينة والمراد اخراج مسجد الضرار ولا
ينافيه ما بعده لانه اثنى على اهل احد المسجدين بزيادة الطهارة وانما
فسره صلى الله عليه وسلم بمسجده لاجل قوله احق ان تقوم فيه لانه انما
كان اكثر قيامه به فلو فسر بمسجد قباء لكان صلى الله عليه وسلم تاركا للاحق
بقيامه بما يدل على دخوله مع مسجد قباء في الحكم وبقي على ما خرج عنه
منطوقه لانه هو المحتاج للبيان فاعرفه فانه دقيق **حدثنا هشام**
ابن احمد الفقيه هو احد شيوخ المصنف رحمه الله لقوله **بقراءتي عليه**
قال حدثنا الحسين بن محمد الحافظ هو الغساني وقد تقدم **قال**
حدثنا ابو عمر هو ابن عبد البر كما تقدم **النمري** تقدم بيانه ايضا **قال**
حدثنا ابو محمد بن عبد المؤمن تقدم بيانه **قال حدثنا ابو بكر بن داسه**
تقدم ايضا **قال حدثنا ابو داود** صاحب السنن تقدم ايضا **قال حدثنا**
مسدد تقدم **قال حدثنا سفيان** هو ابن عيينة وقد تقدم **عن الزهري**
عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة تراجمهم تقدمت ايضا كلها **عن**
النبي صلى الله عليه وسلم انه **قال لا تشد الرحال** لا نافية
وتشد مضارع مجهول وهو خبر اريد به النهي وهو ابلغ في النهي لانه
جعل كان امرا لا يقع في الخارج اخبر عنه لتحققه والرحال بالحاء المهملة
جمع رحل وهو للجمال كالسروج للخيل والاجمع راحلة كما توهم وهي البعير
ونحوه والمنع او نفي شدها كناية عن منع السفر اي لا ينبغي السفر
وقطع المسافة **الا الى ثلاثة مساجد** جمع مسجد وهو المكان المعد للعبادة
واصله موضع السجود **مسجد الحرام** بالجر كما في الثلاث وفي نسخة المسجد الحرام
وهو مسجد مكة ويطلق على مكة نفسها وكلاهما جائز هنا والاول
من اضافة الموصوف للصفة اي المسجد الذي جعله محترما وهو مشهور
غني عن البيان **ومسجدي هذا** اي مسجد المدينة المعروف **ومسجد**
الاقصى بالاضافة كالاول وفي نسخة والمسجد الاقصى اي الابعد لانه
ابعد من مكة بالنسبة للمدينة وفيه كلام مشهور ليس هذا محله واختلف
في هذا النهي هل هو على ظاهره للتحريم كما ذهب اليه بعضهم والصحيح
انه ما ورد اي لا تشد لنذر العبادة فيه ولذا قالوا لو نذر الصلاة في
غيرها لم تلزمه فلا يكره شد الرحال لبعض الاماكن المتبركة بها او زيارة
من فيها من الصالحين او لطلب العلم بل قد يكون هذا واجبا عليه

وفيه نقد من الآثار والاحاديث في الصلاة والسلام على النبي صلى الله
عليه وسلم عند دخول المسجد النبوي في الفصل الذي قبل هذا كما ه
سمعته انفا والاثار كالمأثور اي مروي فيشمل الحديث وغيره ويطلق على
ما يقابله والفرق بين الحديث والخبر والاثر مشهور في مصطلح الحديث
ككتاب ابن الصلاح وغيره وعن عبد الله بن عمرو بن العاص في حديث رواه
ابو داود باسناد جيد حسن كما في الاذكار للنووي ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان اذا دخل المسجد اي مسجده بالمدينة وتقدم ان هذا
مستحب في كل مسجد قال اعوذ بالله العظيم اي التجئ في اموري كلها وفي ه
التوفيق للعبادة واخلاصها الى عظيم لا يخاف من التجا اليه وبوجهه الكريم
الوجه معروف فاذا اضيف الله فالمراد به ذاته المكرمة المجلة وسلطانه
القديم سلطانه بمعنى قهره وغلبته والقديم من الشيطان الرجيم
المطرود عن رحمة الله وقربه واستعاذته منه لئلا يصده عما نواه
من العبادة ويشغله بوسوسته وتتمة الحديث فاذا قال
ذلك قال الشيطان حفظ مني سائر اليوم وقال مالك
ابن انس في حديث رواه البخاري والنسائي فيه سمع عمر بن الخطاب
رضي الله عنه صوتا غالبا كالصياح في المسجد اي مسجد النبي صلى الله
عليه وسلم فدعا بصاحبيه اي امر بمجيئهما اليه فجيء له به وسقط هذا
من بعض النسخ فالفاء في قوله فقال ممن انت فصيحة اي من
اي قبيلة وطائفة من الناس قال من ثقيف قبيلة من العرب مشهورة
من هوازن قال عمر رضي الله عنه له لو كنت من اهل هاتين
القريتين يعني مكة والمدينة كما في نسخة لاوجعتك وفي اخرى لعلوتك
بالدرة بكسر الدال وتشديد الراء المهملتين وهي صوت عريض يضرب
به وعلوتك بمعنى ضربتك وهو تعبير فصيح مشهور لانه يضرب به
على راسه واعالي بدنه يقال علاه بالدرة وجلده وتبعه
بالسيف وهذا ساقط من بعض النسخ فالجواب
مقدر كقوله تعالى ولو ان قرانا سيرت به الجبال ونحوه وانما
قال له هذا لان من كان من اهل الحرمين وهما مهبط ه
الوحي ومقر الدين لا يعذر في الجهل بالشرع واداء من لم يجد
كما قاله بقوله ان مسجدنا يعني مسجد المدينة او الاعم منه لا يرفع
فيه الصوت فعلى الاول يعلم غيره بالقياس وعلى الثاني هو داخل
نصا وهو الظاهر لانه ورد من الطريق الاخر مساجدنا وذهب

كثير

كثير من الفقهاء الى ان رفع الصوت في المساجد مطلقا منكر وفي حديث جنبوا
مساجدكم صبيانكم ومجانينكم ورفع اصواتكم وخصوماتكم لانها متخذة للعبادة
ولذا اكره اليوم فيها لغير ضرورة الا انه قيل ان مرتكب المكروه لا يعزر
وكلام عمر رضي الله تعالى عنه يدل على انه لو كان من اهل القريتين عزره ه
لانه لا يعذر بجهله واجيب بانه علم منه عدم اكتراثه بحضرته صلى الله عليه
وسلم وهو حرام يؤدي الى الكفر والعياذ بالله قلت ليس كما قاله
بل لانه يمتنع رفع الصوت عنده صلى الله عليه وسلم لقوله لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبي اي عنده وهو في حياته كما تقدم الا ان قوله
ان مسجدنا ياباه فان قلت المراد بمسجدنا مسجده صلى الله عليه وسلم
بخصوصه فالاضافة عهدية لم يرد عليه شيء فاعرفه ويستثنى من هذا رفع
الصوت بالاذان والاقامة والتلبية كما صرحوا به قال محمد بن مسلمة
بفتحتين كما تقدم لا ينبغي لاحد ان يعتمد المسجد اي يقصده في نسخة
ويعتمد برفع الصوت فيها يقال عمده واعتمده اذا قصده فانه تعمده
لا عن عمد بجهل وغيره جاز له ذلك وقوله ولا بشيء من الاذى
هو كل مستقذر لان الطبع يتاذى به وان يتره بالبناء للمجهول اي يبعد
عنه فيبعد هو عما يكره مجهولا ايضا فالمكروه المراد به ايضا المستقذر لانه
ولا ينبغي يحتمل الكراهة والحرمة وخلاف الاولى وقد صرح الفقهاء بمنع
حمل النجاسة والمستقذرات في المساجد حتى النخاعة والروائح ه
الخبيثة كرائحة البصل والثوم الى غير ذلك مما فصل في احكام المساجد
وقد افردوه بالتاليف الامام الزركشي فلا حاجة لذكره هنا لانا لسنا ه
بصدده قال القاضي هو المصنف عياض رحمه الله حكى ذلك
المذكور كله القاضي اسماعيل ابن اسحاق ابن اسماعيل الازدي البصري
العلامة الرحلة في سائر الفنون والادب وكان ممن له معرفة بكتاب سيبويه
حتى عد من اقران المبرد حتى قيل لولا اشتغاله بالقضاء لذهب بذكر
المبرد ومات سنة اثنين وثمانين ومائتين ببغداد فجاءة في مبسوطه
اسم كتاب له في فضل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم والعلماء كلهم متفقون
ان حكم سائر المساجد هذا الحكم لان المقصود منها واحد وشرفها كلها
لكونها محلا لعبادة الله تعالى فاذا تشارك في ذلك كان حكمها واحدا قال
القاضي اسماعيل بن اسحاق المتقدم وقال محمد بن مسلمة يكره في مسجد
الرسول عليه الصلاة والسلام الجهر على المصلين فيما يخلط عليهم صلاتهم
اي يشوش عليهم الخلط برفع شيء من الالحان ونحوها بحيث لا يتميز

احدها عن الاخر كالدقيق والشعير بالبر والمراد ان اصواتهم لشدة الجهر تلهيهم
عن قراءتهم وصلاتهم فاستعير لذلك الخلط وليس كراهة رفع الصوت
فما يختص به المساجد فثبتت كراهة رفع الصوت ربع اسم ليس خبره الجار
والمجرور قبله ويكره رفع الصوت بالتلبية اي قول الحاج لبيك اللهم لبيك
في مساجد الجماعات التي يجتمع فيها الصلاة الجمعة ونحوها الا المسجد
الحرام يعني مسجد مكة ومسجد منا يعني مسجد المدينة لان محمد بن سلمة
كان من سكانها فرفع الصوت بالتلبية مامور به لحديث افضل الحج العج والثج
والعج رفع الصوت والثج اراقة الدماء رفع الصوت مستحب لغير المراة والخنثى
وهذا مذهب مالك وخالفه غيره فجعله مستحبا في جميع المساجد وانما
كرهه مالك في المساجد لانها محل الخشوع وقال ابو هريرة في حديث
رواه الشيخان عنه عليه الصلاة والسلام صلاة في مسجدي هذا
خير اي افضل واكثر ثوابا من الف صلاة فيما سواه من جميع المساجد
الا المسجد الحرام يعني مسجد مكة المشرفة وسمي حراما لحرمة القتال
فيه وكذا الصيد وقطع اشجاره وتمامه الحديث وصلاة في المسجد
الحرام افضل من مائة صلاة في مسجدي هذا قال القاضي ه ل
مصنف هذا الكتاب وهو عياض رحمه الله تعالى اختلف بالبنا للمجهول
اي اختلف العلماء والفقهاء في معنى هذا الاستثناء يعني المراد بقوله
الا المسجد الحرام واختلافهم فيه مبني على اختلافهم في المفاضلة
اي القول بانها افضل من الاخرى بين مكة والمدينة فذهب
الامام مالك في رواية اشهب بن عبد العزيز ابو عمرو القيسي المصري
تلميذ الامام مالك في روايته عنه اي عن مالك وقاله عبد الله بن نافع
صاحبه اي صاحب مالك الذي يروي عنه وجماعة اصحابه
اي اصحاب مالك الى ان معنى الحديث المذكور والاستثناء فيه لا به
ان لم يكن خيرا من الف صلاة فيما سواه احتمل ان يكون الصلاة في المسجد
الحرام اكثر ثوابا من الصلاة في المسجد النبوي وان الصلاة فيه
تفضل صلاة المسجد الحرام باقل من الف او ان الصلاة في المسجد النبوي
لا تفضله بل تساويه والكل محتمل وهذه رواية اشهب عنه
وروى ابن وهب وابن مطرف وابن حبيب من اصحاب
مالك عنه موافقة للجمهور في تفضيل مكة على المدينة والاول
على ان معناه ان الصلاة في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم
افضل من الصلاة في ساير المساجد اي باقيها بالف صلاة الا المسجد

الحرام وان الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم افضل من الصلاة
فيه اي في المسجد الحرام بدون الف اي اقل منه وهو ناديل بعيد ومن
استبعده من المالكية ابن عبد البر رحمه الله وناهيك به لما ثبت
في مسند احمد عن الزبير انه صلى الله عليه وسلم قال في مسجدي هذا
افضل من الف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام وصلاة
في المسجد الحرام افضل من مائة صلاة في مسجدي هذا وسيذكره هو
المصنف قريبا وهو حديث حسن كما ذكره البيهقي كيف لا وقد مدحه
الله وامر بحج اليه وفي الحديث ايضا انه صلى الله عليه وسلم وقف على
راحلته بمكة يقول والله انك لخير ارض الله واحب ارض الله الى الله ولولا
اني اخرجت منك ما خرجت رواه الترمذي والنسائي وقال
انه حديث حسن والى نحو المذهبين الذين من تفضيل المدينة بما روي
عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه صلاة في المسجد الحرام خير من مائة صلاة
فيما سواه اي غير المسجد الحرام اعلم مما تقدم فيما في مسجد الرسول
صلى الله عليه وسلم عليه اي على المسجد الحرام بتسعمائة وعلى غيره بالف
اي غيره من المساجد وزيادة هذه الرواية شاذة والمحفوظ ه
ما رواه سليمان بن عتيق عن ابن الزبير عن عمر رضي الله عنهم بلفظ صلاة
في المسجد الحرام افضل من الف صلاة فيما سواه الا مسجد الرسول صلى الله
عليه وسلم فان فضله عليه بمائة صلاة وتقدير ذلك ظاهر وهذا
اي ما ذكره من ان الصلاة في مسجد الرسول افضل من الصلاة في مسجد مكة
بدون الالف مبني على تفضيل المدينة على مكة على ما قدمناه قريبا وهو
اي تفضيلها عليها قول لعمر بن الخطاب ومالك في احدى الروايتين عنه واكثره
المدنيين اي علمائها لقوله ما بين قبري ومنبري الخ ونحوه وذهب
اهل مكة وعلماء الكوفة اي تفضيل مكة على المدينة وهو قول ابن وهب
وعطاء وابن حبيب من اصحاب مالك في رواية عنه وحكاه الساجي ه
بسين مهملة وجيم نسبة الى ساج بلدة بلدة وهو ابو يحيى زكريا بن
يحيى الضبي البصري عن الشافعي رضي الله عنه لانه من ائمة
الشافعية توفي بالبصرة سنة سبع وثلاث ثمانية وله كتاب جليل في علل
الحديث وكتاب في اختلاف الفقهاء وهو حجة وان ضعف بعضهم وله ترجمة
في الميزان وحمل هؤلاء المفضلون لمكة الاستثناء في الحديث المتقدم على ظاهره
من استثنائه واخراجه مما فضل عليه مسجد المدينة فلا يكون مفضلا عليه
بل دونه لما عرفته فلا يرد انه يحتمل المساواة وهو على هذا مستثنى

فضيلة م

مما سواه لقربه واختلفوا الما قالوه لحديث عبد الله بن الزبير عن النبي
صلى الله عليه وسلم الذي اخرجه احمد وابن حبان بمثل حديث ابي هريرة
وزيد اي في حديث ابن الزبير وصلاة في المسجد الحرام افضل من الصلاة
في مسجدي هذا بمائة صلاة وروى قتادة مثله اي مثل حديث
ابن الزبير في افضلية مكة فيا لجي نفضل الصلاة في المسجد الحرام على
هذا الذي رواه ابن الزبير وقتادة على الصلاة في سائر المساجد
بمائة الف وفيما قالته شي لانه كان فيه اسقط منه مضافه الى صلاة اي
مائة الف صلاة وهو كذلك في رواية احمد وابن ماجه باسنادين صحيحين
فلا يخفى ما فيه وحديث ابن الزبير هذا ادرج صدره ابو هريرة
وعجزه عمر فاعرفه ولا خلاف بين العلماء والمحدثين في ان موضع قبره
اي الموضع الذي قبره فيه صلى الله عليه وسلم وضم جسده الشريف
افضل من سائر بقاع الارض كلها بل هي افضل من السموات والعرش والكعبة
كما نقله السبكي لشرفه صلى الله عليه وسلم وعلو قدره وقال القرافي
في القواعد للتفضيل اسباب فقد يكون للذات كتفضيل العلم وقد يكون
بالمجاورة كتفضيل جلد المصحف وقد يكون بالحلول كتفضيل قبره صلى الله
عليه وسلم على البقاع فلا وجه لانكار ما في الشفا بان التفضيل انما
هو بكثرة الثواب على الاعمال ولا عمل على القبر فانه ممنوع ويلزم منه ان لا يكون
جلد المصحف بل هو المصحف مفضلا وبطلانه معلوم من الدين بالضرورة
ووافقه السبكي رحمه الله فنقل الاجماع على ان قبره افضل البقاع وهو
مستثنى من تفضيل مكة على المدينة كما قيل

جزم الجميع بان خير الارض ما ۞ قد حاط ذات المصطفى وحواها
ونعم لقد صدقوا بساكنها علت ۞ كالنفس حين زكت زكى ماواها

وقال ابن عبد السلام التفضيل يكون لا بوي غير العمل فقبره صلى الله عليه
وسلم افضل الامكنة لتجلي الله له بما ينزل عليه من الرحمة والرضوان
والملائكة ولا حاجة الى ما قيل انه صلى الله عليه وسلم حي في
قبره لان اعماله مضاعفة وان كان صحيحا ولو سلمنا ان المكان
لا فضل له في ذاته كفى انه لاجل ما حل فيه وقول السروجي من الحنفية
لم يجد من تعرض لهذا الحكم هنا المثير يتوقف فيه بل العدم وقوعه
عليه ويكفي لفضله ما اشتهر من ان كل احد يدفن في التربة التي خلق
منها قلت وفي هذا افضل لفضيحته ونحو كفى شرفا لها ام
حتى قال في عوارف المعارف روي عن ابن عباس ان اصل طينته صلى الله عليه

وسلم

وسلم من سرة الارض وهو موضع الكعبة بمكة فلما اجاب ذرته صلى
الله عليه وسلم ومنها حيث الارض فهو اصل التكوين والكائنات تبع له ولما
تموج الطوفان القى بطينته لمحل دفنه فهي الحقيقة لم يدفن الا في اصل الكعبة
الذي خلق منه صلى الله عليه وسلم انتهى وهو غريب لا يعلم مثله الا بالنقل
وهو ثقة ويؤيده ما جاء في بعض الاثار ان سليمان عليه الصلاة والسلام
زار محل قبر نبينا واخبر انه سيقبر فيه وترك ثم اربعمائة من احبار بني اسرائيل
ينتظرون بعثته وهجرته اليهم فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على
الكافرين وهنا بحث وهو ان البقعة التي ضمت الجسد العظيم اذا
كانت افضل من سائر البقاع يلزم ان يكون المدينة افضل من مكة
بلا نزاع لان المدينة هي تلك البقعة مع زيادة وزيادة الخير خير
فكيف يتصور الخلاف بينهم على هذا بل يقول المدينة بحرمه وحرمته
صلى الله عليه وسلم اليها واقامته بها تفضل مكة حينئذ لان شرف المكان
بالمكين فلا بد من تحرير محل الخلاف حتى يقام عليه الدليل واعلم
ان العز بن عبد السلام لما قال ان الامكنة والازمنة متساوية لا تفاضل
بينها ظن بعضهم ان القبر الشريف لا يتصور تفضيله لذاته فان
التفضيل للمكان انما هو بحسب فضل الاعمال الواقعة فيه وان
التفضيل له اسباب غير ذلك كما مر وفضل الاعمال في المدينة
على اعمال مكة غير مسلم كما مر ولو سلم ففيها اعمال كثيرة ليست
لغيرها كالحج والعمرة والمناسك فهي تزيد لكن فانه قال مالك في المدونة
انما اليسير في غيرها لما فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهور
الاسلام ونحوه فالخلاف لفظي فتدبر قال القاضي ابو الوليد الباجي
بوحده وقد تقدمت ترجمته الذي يقتضيه الحديث
المتقدم الذي في فضل مسجدها مخالفة حكم مسجد مكة لسائر المساجد
حتى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم لانه ذكر فيه التفاضل بين الصلاة
في المسجدين ولا يعلم منه اي من الحديث الذي اسند لو اه حكمها
اي حكم مكة في التفاضل مع المدينة اي بالقياس اليها بالتفاضل
وابنهما الفضل وهو الذي ذكر الخلاف فيه بين مالك وغيره وذهب
الطحاوي هو الامام ابو جعفر احمد بن محمد الحنفي كما تقدم الى ان هذا
التفضيل بالضاد المعجمة اي تضعيف اجر الصلاة باحد المسجدين
مسجد مكة او المدينة وضبطه بعضهم بالصاد المهملة وقال
ابن المسموع عن المصنف في الاصول والظاهر الاول انما هو في صلاة الفرض

وانه الذي يضاعف ثوابه وعممه بعضهم في الفرض والنفل وهو المختار واليه اشار بقوله وذهب مطرف بضم الميم وفتح الطاء المهملة وكسر الراء المهملة المشددة وفاء هو ابو مصعب مطرف عبد الله ابن مطرف اليساري المدني ابن اخت الامام مالك روى وروى عنه البخاري وهو ممن جاز القنطرة حتى روى عنه مالك وان كان من اتباعه في الفقه توفي سنة عشرين ومائتين وعمره ثلاث وثمانون سنة من اصحاب اي المالكية وقيد به احترازا عن مطرف بن عبد الله بن الشخير البصري الزاهد توفي سنة خمس وتسعين كما في الحلية لابي نعيم الى انه ذكر ان مضاعفة ثواب الصلاة في النافلة ايضا اي كالفرض الظاهر عموم الحديث وهو المختار عند الشافعي اذ لا داعي للتخصيص بل شامل لسائر العبادة بدلالة النص كما اشار اليه بقوله قال اي مطرف وتبل الضمير للظهر ويدل وجمعة خير من جمعة اي ثواب جمعة فيه تزيد على جمعة في غيره ويحتمل انه جمع جمعة نظائر لضمير المسجد والاول اولى لقوله ورمضان فيه خير من رمضان في غيره وهو منون مصروف لتنكيره وقد ذكر عبد الرزاق ابن همام المحدث الحافظ كما تقدم في تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها من البلاد حديثا نحوه اي مثل الحديث المذكور في فضل الصلاة وهو ما رواه الطبراني وغيره عن بلال رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال صيام شهر رمضان في المدينة كصيام الف شهر فيما سواها ثم رجع الى فضائل المدينة فقال وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة تقدم الكلام عليه وان الروضة ارض في مكان مطمئن ذات اشجار ومياه ومثله في معناه ولفظه عن ابي هريرة وابي سعيد الخدري وزاد فيه ابو سعيد كما في الموطا ومنبري على حوضي قيل انه تمثيل لان الذكر والعبادة عنده والايقاظ تورث الري من العطش في هول القيامة وفي حديث اخر تقدم منبري على ترعة من ترع الجنة تقدم بيانه وهو تمثيل ايضا وتقدم تفسير الترعة قال الطبري محمد بن جرير لا الكيا كما قيل فيه معناه اي وجهان واحتمالان احدهما ان المراد بالبيت بيت سكناه الذي يسكنه وهذا مبني على الظاهر المتبادر من لفظه مع انه

ورد في بعض الروايات ما بين بيته ومنبري ويحتمل المراد منه وهو ما بين حجرتي ومنبري لان الحجرة بضم الحاء المهملة السكنى على وجه الارض وقد فسرت بالغرفة فلم يبق احتمال ارادة القبر لانه لا يطلق عليه حجرة والثاني ان البيت هنا اي في الحديث المذكور المراد به القبر فانه يطلق عليه بيت مجازا لان معناه ما يبيت فيه الحي وقربه هنا انه صلى الله عليه وسلم حي في قبره وهو قول زيد بن اسلم الفقيه العمري كما تقدم في هذا الحديث وفسره به كما روي ما بين قبري ومنبري فهذا ابو بكر ووقف بين القولين بما يدري ما بين قاله الطبري واذا كان قبره في بيته اتفقت معاني الروايات ولم يكن بينها خلاف بحسب المعنى لان قبره في حجرته وهو بيته فاخباره صلى الله عليه وسلم به قبل موته اخبار باحدى المغيبات الخمس فهو من معجزاته وقوله في هذا الحديث ومنبري على حوضي في تفسيره اقوال منها ما قيل انه يحتمل انه منبره المعروف بعينه الذي كان في الدنيا وهو الاظهر لتبادره من عبر داع لنا وبلبه يستقل ويجعل ثمة كما ان الجذع الذي كان صلى الله عليه وسلم يخطب عنده يغرس في الجنة والقول الثاني انه يكون له هناك اي في المحشر عند الحوض منبر اخر يوضع له عند الحوض تكريما له صلى الله عليه وسلم فيقوم عليه لدعوة الخلق لحوضه تكرما له ولامته والقول الثالث انه ليس على حقيقته بذكر السبب وارادة المسبب فالمراد ان قصد منبره والحضور عنده في الدنيا الملازمة الاعمال الصالحة تتعلق بقصد رحضور او هو علة مقدمة لقوله تورد الحوض وتوجب الشرب منه لاعمال الصالحة في الدنيا قاله الباجي تقدم بيانه وقوله في الحديث روضة من رياض الجنة يحتمل معنيين وتفسيرين انه موجب كذلك اي تقتضي له اقتضا محققا فكانه موجب له اي لدخوله روضة من رياض الجنة لمن دخله في الدنيا وان الدعا والصلاة فيه اي فيما بين المنبر والقبر يستحق صاحبه ذلك من الثواب بيان لذلك او تعليل له فهو مجاز كما قيل في حديث صحيح في الترغيب في الجهاد والشهادة الجنة تحت ظلال السيوف كناية عن دنو المجاهدين للجنة حتى كانه اذا رفع سيفه للضرب به او علاه سيف لمن يضربه وظهر ظلته فالجنة تحت ذلك الظل او ظلال السيوف كناية عن القتال بها فجعله سببا لدخول من اظلته الجنة وهذا امرا والقاضي هنا والثاني من

من معاينة المحتملة ان تلك البقعة من بقاع المسجد التي بين القبر والمنبر
تنقل بعينها من الدنيا الى الاخرة فتكون في الجنة بعينها فهو على حقيقته
قال الداودي هو احمد بن نصر شارح البخاري وهو ابو جعفر الاسدي
البشكري التلمساني توفي بتلمسان سنة اربعين واربعمائة وتلمسان
بكسر التاء واللام ويقال تلمسين ويجوز تسكين لامها وفي نسخة الداودي
وقال ابن حجر ان معنى قوله روضة اي كروضة من رياض الجنة
في نزول الرحمة وحصول السعادة لمن يلازم حلق الذكر لا سيما في عهده
صلى الله عليه وسلم فهو تشبيه بليغ ومعناه ان العبادة فيه
تؤدي الى الجنة او هو على ظاهره بان ينقل من الدنيا للاخرة قال
والوجوه الثلاثة على ترتيبها في القوة فالوجه الاخير اضعفها وقال
بعضهم انه اقواها لان الاصل الحقيقة ولا يخفى ما فيه ثم قال
ابن حجر والاظهر الجمع بين المعنيين يعني انها تنقل الى الجنة وثوابه
لمن يأتيها ويزوره ويقويه ان الصلاة فيه بالف صلاة في غيره وان الجذع
الذي كان صلى الله عليه وسلم يخطب عنده يغرس في الجنة
فهذا يقتضي ان البقعة تنقل اليها ايضا ولا يخفى ما بين اول كلامه
واخره من التدافع وقوله الجنة تحت ظلال السيوف حديث
صحيح كما مر رواه الشيخان عن عبد الله بن ابي اوفى انه صلى الله
عليه وسلم في بعض غزواته انتظر حتى مالت الشمس ثم قام في الناس
فقال يا ايها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فاذا لقيتموهم
فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف اللهم منزل الكتاب
ومجري السحاب وهازم الاحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم وفي النهاية
انه كناية عن الضراب والجهاد والدنو منه والظل والفيء بمعنى وقد
يقال الظل لما قبل الزوال والفيء لما بعده كما فصله اهل اللغة

• وتلك في قطعة قلت له لما زنا طرفه •
• بناظر اهدى الينا الحتوف • او جنة من تحته اهدابه ام جنة تحت ظلال السيوف

وروى ابن عمر في حديث رواه مسلم وجماعة من الصحابة
انه صلى الله عليه وسلم قال في حق المدينة والساكنين
بها انه لا يصبر على لاوائها بفتح اللام وسكون الهمزة وواو وبعدها
مدة وشدتها عطف تفسير لان اللاواء هي الشدة والمشقة والضيق
وجاءت بمعنى القحط ورجح الاخير ليكون تاسيسا احد فاعل يصبر الا كنت
عبر بالماضي لتحققه اي اكون له شهيدا او شفيعا يوم القيامة قال

المصنف والنووي او هنا ليست للشك من الراوي لانه رواه نحو عشرة
من الصحابة كذا ولا يظهر اتفاقهم على الشك فهو صلى الله عليه وسلم قاله
هكذا او للتقسيم اي شهيدا لبعض وشفيعا لبعض او شهيدا للمطيعين
او لمن في حياته وشفيعا للعاصين ولمن مات بعده وشهادته بانهم ماتوا
على خير وشفاعته بتضعيف ثوابهم او تخفيف حسابهم وغير ذلك وينبغي
ان يكون هذه خصوصية زائدة لعموم شفاعته صلى الله عليه
وسلم وشهادته كما قال تعالى وجئنا بك على هؤلاء شهيدا او بمعنى الواو
وقال بعضهم انها للشك وعليه فرواية شهيدا ظاهرة ورواية
شفيعا المراد بها شفاعة خاصة لهم بعلو درجاتهم وجعلهم في جواره
دنيا واخرة وفي الحديث دليل لمن استحب الجوار بالحرمين ومن كرهه
لامر خاص بمن لا يرعى حقوقهما لمضاعفة الاعمال ثمة وقال
صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان فيمن تحمل عن المدينة
اي رحل عنها وفارقها مختارا السكنى غيرها عليها ومعنى تحمل رفع حمله
واستعمله منها فكنى به عما ذكر وفي نسخة يحتمل وهما بمعنى والمدينة خير لهم
من غيرها من البلاد لو كانوا يعلمون فيه اختزال اي لو كانوا العالمين
فضلها لما اختاروا غيرها من البلاد ويحتمل انه لا يقدر شيء والمعنى
لو كانوا من ذوي العلم والادراك وهو ابلغ في اداء المراد ولو شرطية او للتمني
اي ليتهم علموا ذلك وهو من حديث طويل معناه انه ستفتح بلاد اليمن
والشام والعراق قوم يسوقون اهليهم ومن اطاعهم ثم يرحلون عن المدينة
وهي خير لهم والحديث في البخاري وشرحه وفيه معجزة له
باخباره صلى الله عليه وسلم بالمغيبات لانها فتحت في عهد
الخلفاء واختاروا سكناها وقال صلى الله عليه وسلم في حديث
رواه الشيخان عن جابر انما المدينة كالكير بكسر الكاف وسكون المثناة
التحتية وراء مهملة وهو الة الحداد معروفة ينفخ فيها النار
لاتقادها على الحديد او الكور المبني من طين ونحوه يوضع عليه
وقيل هما بمعنى والياء منقلبة عن الواو وهما من الكور وهو الزيادة وقيل
الكير حانوت الحداد وفي النهاية الكير الطين الذي يبنيه الحداد لاجل
النار وقيل هو الزق والحصر فيه اضافي وفي الصحاح خلافه ووجه
الشبه انها تنفي خبثها بفتحتين واخره مثلثة نصب على المفعولية
اي تخرج ما خبث منها ولا تقبله كما ينفي الكير خبث الحديد لانه ما فيه
من الصدا والاجزاء التي ليست خالصة منه نظير عدم الشر ويبقى

خالصه فكذلك المدينة لا يخرج عنها ويخرج غيرها من غير ضرورة الا من
حيث طويلة فهو لا يترك فيها من في قلبه غل وعدم صدق فتميزه عن
غيره كما يميز الحداد بكيره جيد الحديد من رديه وتنصع طيبها بكسر
الطا وسكون المثناة التحتية وموحدة وفي رواية طيبه بزنة سيد وهو
مرفوع فاعل وينصع بفتح اليا وسكون النون وفتح الصاد المهملة
وبعدها عين مهملة اي يخلص ويبقى خالصا فيها ما طاب كما يبقى من
الحديد جيده ويذهب رديه من النصوع وهو صفا البياض ومنه
ابيض ناصع واكثر الرواة على تشديد بايه وان ينصع بمثناة تحتية
ورفع طيبها على الفاعلية حتى قيل ان التشديد متفق عليه وفي رواية
تنصع بمثناة فوقية ونصب طيبها وفاعله ضمير المدينة وكذا ضبط
القزاز طيبها بكسر اوله واستشكله بان النصوع لا يعرف في الطيب
والمعروف فيه يضوع بضاد معجمة وواو مشددة واغرب في الفائق
فقال انه بموحدة وضاد معجمة من ابضع التاجر اعطى البضاعة
اي تعطي طيبها من يسكنها وتبعه في النهاية وقال الصاغاني انه خالف
فيه جميع الروايات وكانه تصحيف وفي رواية تنضح بضاد وحا معجمتين
ففيه روايات مختلفة اصحها انه بصاد وعين مهملتين بعد النون
وقال المصنف في شرح مسلم الاظهر ان هذا مختص بزمنه
صلى الله عليه وسلم والهجرة واجبة لانه لا يصبر على الهجرة والاقامة جنة
معه الا من ثبت على ايمانه لا المنافقون وجهلة الاعراب كما وقع للاعرابي
الذي اصابه الوعك وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقلني فقال
هذا في حقه وقال النووي ليس هذا الظاهر لما في صحيح مسلم لا تقوم
الساعة حتى تنفي المدينة شرارها يعني في زمن الدجال وانه
المدينة ترجف ثلاث رجفات فيخرج منها كل كافر ومنافق ويحتمل انه
يكون هذا في ازمنة متفرقة انتهى قلت ان اراد المصنف
انه المراد بهذا الحديث بقرينة سببه وقصة الاعرابي لا يرد عليه
ما قاله النووي وروي عنه في نسخة وقال صلى الله عليه وسلم
كما في مسلم رواية عن جابر لا يخرج احد من المدينة رغبة عنها
من غير داع له وهو ضرورة الا ابدلها الله خيرا منه فقال رغب عن
عنه اذا كرهه فالمنهي عنه ذلك فلا ينافي ان بعض الصحابة ارتحل عنها
كبلال ومعاذ وابي موسى الاشعري او هو مخصوص بزمنه صلى الله
عليه وسلم اذ كانت الهجرة لها واجبة وروي عنه صلى الله عليه وسلم في

حديث رواه البيهقي والدارقطني عن عائشة رضي الله عنها بسند ضعيف
من مات في احد الحرمين حرم مكة والمدينة حاجا او معتمرا اي قاصدا
الاحرام بحج او عمرة وهو حال من الفاعل بعثه الله يوم القيامة لا حساب
عليه ولا عذاب وانما فسرناه بقاصدا لذلك لان الاحرام من المدينة
لا يتصور الا لمن احرم من دويرة اهله او لعذر به سيما وان الاحرام من
الميقات افضل عندهم ويحتمل انه يتقيد بما اذا زار او اكتفى بما لاحد الحرمين
بخلاف غيره وهو متجه ايضا وقوله لا حساب عليه ولا عذاب
خلاف العادة او مؤولة ببشرة ونحوه وفي طريق اخر في هذا الحديث
للبيهقي والطبراني بعث اي احيي بعد موته من الامنين يوم القيامة اي
امنا من مناقشة الحساب والعذاب وعن ابن عمر رضي الله عنه عنهما
في حديث رواه ابن ماجة وابن حبان والترمذي وصححه من استطاع ان يموت
بالمدينة ان يقيم بها حتى يموت لان الموت ليس يقدر ان فالاختيار
فليمت بها اي فليقم بها حتى ياتيه الموت كما سمعته انفا والامر للاستحباب
فاني اشفع لمن يموت بها شفاعة خاصة به كما مر لانه في جواره وحاميه
وهو صلى الله عليه وسلم اوصى بالجار وري فانها تشفع على الاسناد
المجازي فان قيل قد جا ما يعارض هذا وهو ما رواه النسائي عن
عبد الله بن عمرو بن العاص قال مات رجل بالمدينة ممن ولد بها فصلى
عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا ليته مات بغير مولده
قالوا لم ذاك يا رسول الله قال ان الرجل اذا مات بغير مولده قيس له من مولده
الى منقطع اثره في الجنة ذكره ابن طاهر في الصفوة وبوب عليه
ايثارهم الغربة على الوطن فالجواب ان صح فلا يعارضه بل هذا
خاص بمن لم يولد في المدينة وقد احسن المصنف ختم ما يتعلق بالمدينة
مع ذكر الحرمين لذكره بعده ما يتعلق بمكة كما اشار اليه في الترجمة
بقوله وقال تعالى ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة الى قوله
امنا وشرع في بيان فضل مكة ووضعه للناس جعله متعبدا او قبلة لهم
وبكة ومكة بمعنى عند جماعة والبا لغة في الميم كثيرا وقيل
بكة موضع الكعبة ومكة اسم البلد وقال الاخرون مكة الحرام كله
وبكة المسجد خاصة حكاه الماوردي عن الزهري وزيد بن اسلم وبكة
من بكه اذا دقه وهي تدق اعناق الجبابرة اذا قصدوها بسوء او
اشتقاقه من ازدحام الناس اذا طافوا وسئل صلى الله عليه
وسلم عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس

فقيل كم بينهما فقال اربعون سنة وهو حديث صحيح لكنه مشكل لان
وضع المسجد في زمن ابراهيم عليه الصلاة والسلام ووضع بيت
المقدس في زمن داود وسليمان وبينهما زمان اطول من اربعين
باضعاف مضاعفة واجيب بان داود عليه الصلاة والسلام
لم يبنه وانما عمره كما بيناه في حواشي البيضاوي وتفسير الاجلة
ظاهر تكفلت به التفاسير وبركته كثرة الخير فيه ومضاعفة ثوابه
العمل فيه قال بعض المفسرين في هذه الاية معنى قوله
ومن دخله كان آمنا امنه من النار وعذابها في الآخرة اذا دخل مؤمنا
به وقربه انه يدخل الجنة بغير حساب وقيل المراد بالامن امنه
في الدنيا والاتي لبعض النسخ بل اضرابا عن التفسير الاول لكانه بانني
من الطلب من احدث حدثا اي فعل امرا يستحق به العقوبة كالقتل وكما
بالحج يوم ان ضرب بمعنى التجا واعتصم من عدوه التجا الى المسجد الحرام
بدخوله فيه هاربا اي الجاهلية هو زمن الفترة بين عيسى ونبينا
صلى الله عليه وسلم سمي بها لكثرة الجهل فيه فكان الرجل اذا جنى
جناية ودخله لا يمسكه احد حتى يخرج وقال ابو حنيفة من
لزمه القتل ودخل الحرم لا يتعرض له ولكنه لا يؤوى فلا يطعم ولا
يسقى ولا يبايع حتى يضطر للخروج منه وغيره يقول ان الحدود
تقام ويؤخذ من دخله فارا واليه اشار المصنف بقوله كان اشارة
الى تغير هذا الحكم بمجيء الاسلام وهذا دليل قوله ومن دخله
كان آمنا مثل قوله تعالى واذ جعلنا البيت اي الكعبة وحرمها
مثابة للناس اي ملجأ ومرجعا من ثاب يثوب اذا رجع ومثابة اسم مكان منه
ومعناه ملجأ لمحل مطلوب يحرم ولا يليق تفسيره هنا بمرجع الزيارة لانه
يأباه سياق المصنف لقوله وانما في قول بعضهم اشارة الى ان في الاية
اقوالا آخر منها انه محل الثواب وحكي ان لوما ابو سعد ولد الخولاني بجا
معجمة نسبة لخولان قبيلة من اليمن مشهورة واسمه اسمعيل بن احمد بن مالك
وهو من اهل القيروان وفيطا علامها وسعدون لقب له ولصورة الجمع
وشكله يجوز فيه الصرف وعدمه للعلمية وشبه العجمة وقول بعض
الشراح انه منصرف ولا وجه لما وقع في بعض كتب الحديث من ضبطه
غير منصرف غفلة منه بالمنستر انما يقع في ذا المنستر بميم ونون
وسين مهملة وشاة فوقية وراء مهملة وهذا اللفظ رومي معناه
عندهم خانقاه للرهبان على الطريق ليتبرك فيه ابناء السبيل والذي

سمعناه

سمعناه منهم بفتح الميم والفم مع سكون السين وكسر التاء الفوقية وبا تحتية
وقد يخفف بحذف الالف والياء وهذا انما الاشتهار فيه عندهم فقوله في القا
منستر بضم الميم وفتح النون موضع بافريقية معبد الزهاد والمنقطعين
وبلد آخر بافريقية اهله من قريش بينه وبين القيروان ستة مراحل
وموضع بثغر في الاندلس انتهى تخالف لما صح سماعا فان ظنه عربيا
فهو خطأ وان قال غريب وعبر كان عليه ان ينبه عليه وقال
التلمساني انه بضم الميم والنون ويجوز كسر نونه والخامسة بفتحها وعليه
اقتصر الشمني وهي بلدة بساحل البحر وحصن رباط بافريقية له
سور بناه هرثمة بن اعين حين بعثه الرشيد لافريقية سنة تسع وثمانين
ومائة وهو الذي بنى سور طرابلس الغرب فاعلموه ان كتامة
بضم الكاف وفتح المثناة الفوقية والف وميم مخففة اسم لقبيلة
من البربر واصلهم فيما قيل من حمير قتلوا رجلا واضرموا عليه
النار اي اوقدوها وقودا شديدا طول الليل النار منصوب على
الظرفية والطول بضم الطاء المهملة مصدر طال وطول الليل
بمعنى الليل كله والناس يستعملونه بمعنى المعنى سمحا ونحوه اهـ
ووجهه ان الطول اخذ الامتداد فما شغله شغل غيره بالطريق
الاولى وتوسع في كلامهم كقول الوزير المهلبي

قال لي من احب والبين قد جد ● وفي مهجتي لهيب الحريق
ما الذي في الطريق تصنع بعدي ● قلت ابكي عليك طول الطريق

ثم استعمل فيما لا طول له ولا عرض كقوله تعالى فذو دعاء عريض اهـ
فلم نعلم فيه هو مجاز بمعنى لم نؤثر في بعض ابيض اللون فلم نتغير لونه
ولو حرق اسود لونه فقال لعله اي الرجل المقتول والقا فيصبحه
اي ويسئل عن وجهه فقال الخ ولعل هنا مجاز عن الظن اذ لا وجه
للترجي هنا حج ثلاث حجج بكسر الحاء بمعنى حجة وهي المرة من الحج
قالوا نعم اي الامر كذلك قال حديث بالبناء للمجهول اي يروى لي
كما سمعت منه الحديث عنه صلى الله عليه وسلم ان من حج حجة
اي مرة ادى فرضه لانه فرض على كل احد ان يحج في عمره مرة لقوله
تعالى ولله على الناس حج البيت الاية ومن حج ثانية فقد ادى القرض
داين ربه اي اقرضه كقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا الآية
والقرض دفع شيء الى غيره ليرد مثله او بدله قال الراغب
قال ابو عبيدة يقال دنته اذا اقرضته فهو داين وذاك مدين

ويديون وهو لما لم يكن هذا الحج فرضا عليه كانه عطاه لله فرضا يرد
عليه ثوابه الذي هو كبدل القرض فهو استعادة ومن فسر وانه هنا
بمعنى اطاع وعبد لم يصح وفي نسخة وابن مفاعلة منه وهما بمعنى ه
وتمام الحديث فينادي غدا ملك من عند الله من كان له من عند الله
دين فليقم ومنها ثلاث حرم الله شعره وبشره اي ظاهر جلده
وبدنه على النار اي لم يعذب به ولم يدخله نار جهنم وفيه كناية بليغة
وقوله فينادي الخ سقط من بعض النسخ والمراد بقوله غدا يوم
القيامة واصل معناه اليوم الذي يلي يومك ثم عبر به عما بعده وهذا
الحديث لا يعرف من رواه ولما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى الكعبة لما هاجر او في حجة الوداع اذ يوم الفتح كما رواه الطبراني في ه
الاوسط عن جابر رضي الله عنه قال مرحبا بك بفتح الكاف وكسرها اصله
دعا للقادم بالرحب والسعة اريد به هنا اظهار تكريمه لها والقرب
منها من بيت بيان للمدعو له ما اعظمك عند الله وعند الخلق ه
واعظم حرمتك اي احترامك وشرفك وهو تعجب اريد به المبالغة
في عظمته وتعظيمه وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم ما من احد
يدعو الله عند الركن الاسود المراد به الركن الذي فيه الحجر الاسود وهو
معروف الا استجاب الله دعاءه اي تقبله واعطاه ما دعا به او خيرا
منه والحجر الاسود لما نزل من الجنة كان اشد بياضا من اللبن فسودته
خطايا بني ادم وابقى سواده لتكون عبرة والكلام عليه مبسوط
في تاريخ مكة وكذلك يستجاب الدعاء عند الميزاب والملتزم والصفا
والمروة وغيرها من المواطن التي جاء في الحديث الصحيح الدعاء عندها
والميزاب هو المسمى الان ميزاب الرحمة وهو مسيل ما السطح وهو استجابته صح
معروف من جانب الحجر وفي كتاب العلل لابن فارس الميزاب
مهموز وما كانا يقولون لنبي فيه همز لانه من وزب يزب انتهى وقوله
بمعنى سال وقيل انه فارسي معرب معناه سيل الماء قال الثعالبي
هنا بذكر مساحة البيت والحرم وغيره مما ليس هذا محله وعنه
اي روي عنه صلى الله عليه وسلم والراوي هو الحسن البصري في رسالته
الى اهل مكة من صلى خلف المقام اي مقام ابراهيم المعروف الذي
قام عليه لما بنى الكعبة ركعتين فانه يغفر له ما تقدم من ذنبه
وما تأخر وحشر يوم القيامة من الامنين من العذاب وهوله
المحشور المغفور الصغائر والكبائر وقيل الصغائر فقط

والمقام

٤٥١

والمقام معروف في موضعه الذي كان فيه قديما وتفصيله في تاريخ
مكة قرات على القاضي الحافظ ابو علي هو ابن سكرة هو ابن
سكرة وقد تقدم قلت حدثنا ابو العباس العذري
تقدمت ترجمته هذا طريق من طرق الرواية يقولها التلميذ ه
لشيخه ويصدقه عليه قال حدثنا ابو اسامة محمد بن احمد الهروي
قال حدثنا الحسن بن رشيق عبد الغني بن سعيد العسكري الحافظ
العالي السند وترجمته في الميزان بطولها سمعت ابا الحسن محمد بن
الحسين ابن راشد في الميزان محمد بن الحسن بن علي بن راشد الانصاري
وفيه كلام سمعت ابا بكر محمد بن ادريس ذكر كنيته وتقدمها لئلا
يلتبس بمحمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه فان كنيته ابو عبد الله
لا ابو بكر وهو محمد بن ادريس بن عمر وهو من اهل مكة سمعت الحميدي
بالتصغير وهو عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبد الله القرشي الاسدي
المكي صاحب الشافعي ورفيقه في رحلته لمصر وهو شيخ البخاري
وهو لاهل الحجاز كاحمد بن حنبل لاهل العراق وهو نسبة لحميد
بطن من اسد ابن عبد العزى وقيل نسبة الحميدات وهي قبيلة
توفي سنة تسع عشرة او عشرين ومائتين قال سمعت سفيان
ابن عيينة تقدم بيانه قال سمعت عمرو بن دينار تقدمت ترجمته
قال سمعت ابن عباس يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ما دعا احد بشيء في هذا الملتزم بزنة اسم المفعول
من التزم اذا امسك سمي به لالتصاق الناس في الدعاء عنده وهو
ما بين باب الكعبة والحجر الاسود وقدره عشرة اشبار او اربعة
اذرع وتسميته هذا قديم وورد في الحديث ويسمى ه
المدعى والمتعوذ بفتح الواو المشددة وهو احد المواضع التي ه
ورد استجابة الدعاء فيه وقد جرب كذلك قال ابن عباس رضي الله عنه
وانا ما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا الحديث
من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا استجاب لي الى اخر الحديث
وهو ظاهر غير محتاج للشرح الا كلمات يسيرة فيه فالفاء في قوله
فما دعوت الله الخ اما زائدة بناء على انه يجوز زيادتها في الخبر مطلقا
والمشهور زيادتها في الخبر اذا تضمن المبتدأ معنى الشرط كقوله تعالى وما
بكم من نعمة فمن الله وبعضهم قيد زيادتها بكون الخبر امرا او نهيا ه
كقوله وقائلة خولان فانكح فتاتهم واما عاطفة على مقدر تقديره

وانا جزيت ذلك فادعوت الخ واما جواب شرط مقدر اي ان سألت عما عندي فيه
الخ وقوله منذ في الجمع مذ بدونه ومذ بضم اوله وكسر ثانيه
اشهر من ان يذكر وقال عمرو بن دينار وانا فما دعوت الله بشيء في هذا
الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس الا استجيب لي وقال
سفيان وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت
هذا من عمرو الا استجيب لي وقال محمد بن ادريس وانا فما دعوت
الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدي الا استجيب
لي وقال ابو الحسن محمد بن الحسن وانا فما دعوت الله بشيء في هذا
الملتزم منذ سمعت هذا من محمد بن ادريس الا استجيب لي وهذا
الحديث مسلسل بالسماع رواه البيهقي وسعيد بن منصور وغيرهما من
طرق بنحوها قال ابو اسامة وما اذكر الحسن بن رشيق قال
فيه شيئا اي لم يحفظ عنه انه قال كغيره وانا فما دعوت الله بشيء الا استجيب
لي والتسلسل قد ينقطع بعض منه في اوله او اخره او وسطه فلا يضر
التسلسل مع انه هذا ليس بمنقطع في الواقع والاحاديث المسلسلة
صحتها قليلة والتسلسل يقع بامور متغايرة من الاقوال والافعال
والامكنة والازمنة كما فصل في مصطلح الحديث وانا فما دعوت
الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن بن رشيق
الا استجيب لي من امر الدنيا وانا ارجو ان يستجاب لي من امر الاخرة
قال العذري وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت
هذا من ابي اسامة الا استجيب لي قال ابو علي وانا قد دعوت الله فيه
باشياء كثيرة استجيب لي بعضها وانا ارجو من سعة فضله ان يستجيب
لي بقيتها اي ارجو ذلك لزيادة كرمه وسعة بفتح السين وكسرها بمعنى
الوسع قال القاضي ابو الفضل عياض مصنف هذا الكتاب
رحمه الله ذكرنا نبذا بفتح النون وسكون الموحدة والذال المعجمة
اي شيئا قليلا واصل معناه الطرح والرمي كانه لقلته مما يطرح ويكون
ضم اوله وفتح ثانيه على انه جمع نبذة من هذه النكت جمع
نكتة وتقدم بيانها في هذا الفصل الذي نحن فيه وان لم يكن
من الباب اي من المعاني التي عقد لها الباب فانه معقود للصلاة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيمه ذكرنا فضل مكة
وحرمها لنسبته منه بل من موضوع كتابه لتعلقها اي مكة وسننها
بالفصل الذي قبله من ذكر مسجده صلى الله عليه وسلم وما

يتعلق

يتعلق به حرصا على تمام الفائدة بافادة امور مهمة يرغب فيها والشيء
بالشيء يذكر والله الموفق للصواب برحمته اي بفضله واعانته لا بكدنا ودأبنا
القسم الثالث من هذا الكتاب فيما يجب للنبي صلى الله عليه
وسلم المراد به الوجوب الشرعي او العقلي لقوله وما يستحيل في حقه
اي بعد كالمحال عقلا لانه لا يليق بجنابه العظيم او عادة واصل معنى الاستحالة
التغير من حالة الى اخرى ومنه استحالة الخمر خلا او يجوز عليه
مما لا يخل بشريف مقامه او يصح في حقه شرعا وعادة وعقلا او يمتنع
وصفه به والملائكة عليهم كما سيأتي من الاحوال البشرية اي التي تطرأ
عليه باعتبار ذاته وهو بيان لما ان تضاف اليه اي تنسب اليه والاضافة
بمعناها اللغوي لا النحوي ثم صدر الكلام بآية دالة على ما سيأتي اجمالا
فقال قال الله تعالى في حقه صلى الله عليه وسلم وما محمد الا رسول قد خلت
من قبله الرسل افإن مات او قتل الآية فهذا بيان لما يجوز عليه
ويصح من الاحوال البشرية كالموت والقتل كما ان الرسول قبله منهم من
مات ومنهم من قتل والمقصود منها نصرا فرادى ليس بمخلد حتى يستبعد
موته او قتله وهذا كما وقع باحد لما نادى ابليس لعنه الله
ان محمدا قد قتل فقال ناس من المنافقين ارجعوا الى دينكم فانه
محمدا لو كان نبيا ما قتل وقال المؤمنون ان كان محمد مات فرب محمد لا يموت
فما نصنع بالحياة فقاتلوا على ما قاتل عليه وكما وقع لبعض الصحابة
لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم ذهلوا من عظم المصيبة
فخطبهم ابو بكر رضي الله عنه وتلا هذه الآية والقصة مشهورة وقوله
افإن الخ انكار توبيخي لمن توهم خلافه اي لا تنقلبوا على اعقابكم
عن الرجوع عما كنتم عليه من الدين وقال الله تعالى ما المسيح
ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة
الآية اي ليس المسيح الا رسولا كغيره من الرسل له آيات ومعجزات
مثلهم وليس باله كما زعمته النصارى وامه صديقة اي صادقة في
اقوالها وافعالها او مصدقة للرسل وهذا اشارة الى امرها ورد لما يزعمونه
فيه ولذا اتى باثبات صفات بشرية تنافي الالوهية من الاكل ونحوه
ولذا قال تعالى انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون
وقال وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام
ويمشون في الاسواق فهو كغيره من البشر يصح له ما صح لهم وقال
قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي الآية فلا يزيد على البشر الا بما خصه

وما يمتنع

الله من الوحي والرسالة والتوحيد فهذا تميز عنهم ولذا قال لمحمد صلى الله
عليه وسلم وسائر الانبيا اي باقيهم فهو من عطف المتغايرين لا من عطف العام
على الخاص كما توهم وانما يكون كذلك لو فسر بجميع ما تقدم من البشر
اي من جنسهم تميزوا عنهم بانهم ارسلوا الى البشر لتبليغ ما امرهم الله
به ووضع فيه الظاهر موضع المضمر ولولا ذلك اي كونهم من جنس
البشر بان كانوا ملايكة لما طاق الناس مقاومتهم اي مقابلتهم في الامور
الدنيوية لقدرة الملايكة على ما لا يقدر عليه غيرهم والقبول
عنهم اي ما بلغوهم عن الله مما ارسلوا به ومخاطبتهم حتى تبلغوهم عن الله
ثم اثبت هذا بقوله ولو جعلناه اي النبي المرسل اليهم ملكا اي
قدرنا ارسال الملك للبشر من غير جنسهم كما اقترحوا لجعلناه رجلا اي
لما كان الا في صورة البشر تفسير لجعله رجلا واشارة الى انه يجب
الصورة لان الملك يتصور باي صورة اراد ثم بين وجهه بقوله الذي يمكنكم
بحسب الطاقة البشرية مخالطتهم اي معاشرتهم والاختلاط معهم
وفي نسخة مخاطبتهم وفي اخرى مخاللتهم اي اتخاذهم اخلاء وهي مقاربة
معنى اذ لا يطيقون مقاومة الملك ومخاطبته ورؤيته اذا كان على
صورته الاصلية التي خلق عليها ابتدا وقال الله تعالى قل لو كان
في الارض ملايكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السما ملكا رسولا
هذا جواب من شبهة المشركين وقولهم لعدم مشاهدة الايات
التي الهمتهم الحجة تعالوا لم لم يرسل الله ملكا يبلغ اوامره ونواهيه
فقال الله لرسول الله قل لهم جوابا عن شبهتهم الواهية انما يرسل الله
الملايكة لو كان اهل الارض ملايكة من جنسهم كما قال المصنف اي لا يمكن
في سنة الله اي طريقته وعادته المستمرة ارسال الملك الا لمن هو من
جنسه حتى يمكنه مخالطته والتلقي عنه ولما نافى هذا الحصر ارسال
الرسل من الملايكة الى الانبيا بين وجهه بقوله او من خصه
الله معطوف على من هو من جنسه اي خصه بنفس قدسية تملكه بها
واصطفاه اي اختاره من نوع البشر لتلقي وحيه من الملك وقواه
على مقاومته اي مقاومة الملك ومخالطته لمناسبة تامة بينه وبين
الملك باستعداده حتى يكون واسطة بينه وبين الناس كالانبيا
والرسل فانهم خلقهم الله بابدان بشرية ومخاطبته ثم فصل هذا اتفاق
فالانبيا والرسل صلوات الله عليهم اجمعين وسايط بين الله وبين
خلقه وتوسطهم لانهم هو ايام يبلغونهم عن الله اوامره ونواهيه

اي

اي كل امر ونهي لهم وفي كتب الاصول تبعا للصحاح ان الامر بمعنى القول المخصوص
يجمع على اوامر وبمعنى القول المخصوص يجمع على اوامر وبمعنى الفعل والشان يجمع
على امور ولم يوافقهم عليه احد من النحاة واهل اللغة فان فعلا لا يجمع على فواعل
ونقل ابن هشام في تذكرته انه صحح بوجهين احدهما انه جمع امر اسم فاعل لما
لا يعقل وسمي القول امرا مجازا وكلاهما لا يدل عليه والثاني انه جمع امره
مصدر كالعاقبة اي صيغة امرة للامر بها وقد نقله ابن سيدة وقيل
انه جمع الجمع يجمع امر على امر كاكلب ثم جمع على اوامر كاكالب نحو اعل وادانا
وقال الاصفهاني في شرح المحصول ان هذا التوجيه لا يتم في النواهي
وكونه جمع ناهية مجاز اتخلف وكذا كونه مشاكلة للاوامر فانه استعمل مفردا
انتهى وقد تقدم ووعده ووعيده الوعد يستعمل في الخير والوعيد في الشر
كما فصلوه في محله ويعرفونهم ما لم يعلموه من امره هو الفعل والشان
واحد الامور اي افعاله واحواله فيما سبق قضاوه في كل شي وقيل
يجوز ان يراد بالامر هنا عالم الامر بقرينة قوله وخلقه وعالم ما ابدعه
الله من غير مادة وتولد من اصل بمجرد كن وعالم الخلق مقابله قال
تعالى الا له الخلق والامر وعلى الاول الخلق بمعنى الايجاد وجلاله
اصل معناه العظمة وهو من صفاته تعالى كما تقتضيه كلام الغزالي
والقشيري الصفات الثبوتية وكلام غيرهما تقتضي انه الصفات
السلبية او يعمهما وقال الغزالي في معنى ذي الجلال والاكرام ان
الجلال كماله في ذاته والاكرام مما كان منه لغيره وسلطانه
اي قهره وغلبته او حجته الباهرة او ملكه اي انهم يبينون للناس
ذلك وجبروته وملكوته التاء فيه زايدة اي كونه جبارا قهارا ومالك
الملك الذي لا مرد لقضايه ولا معقب لحكمه ثم فصل هذا بقوله
فظواهرهم اي ما يظهر من حال انبيا الله ورسوله وصفاتهم واجسادهم
اي ذواتهم الظاهرة المشاهدة وبنيتهم بكسر البا اي هيئة تركيب
ابدانهم التي خلقهم الله عليها لانه بناها الله وهو في الاصل مصدر
ثم اطلق على الهيكل والبدن المحسوس متصفة باوصاف البشر
من الخلق والتركيب ونحوه طارى بصيرة في اخره وابدا الخفايا اي
حادث متجدد عليها ما يطرو على البشر لان الاجسام كلها متساوية
في قبول ذلك من الاعراض جمع عرض والمراد به مطلق الالام او ما
لا يكون قارا منها ويقابله عند الاطبا الامراض والاسقام جمع
سقم وسقم كحزن وحزن والموت والفنا الموت عند الحكماء واختلف

فيه حل هو عدمي او وجودي كما بين في محله ويطلق مجازا على النوم والجهل كما في قوله

ذو الجهل ميت وثوبه كفنه

واما الفنا فهو تحرق الاعضا وتفتتها حتى تضمحل وهذا لا لايكون في الانبيا عليهم الصلاة والسلام لان الله حرم على الارض ان تاكل اجساد الانبيا كما ورد في الحديث ولذا قيل انه كان ينبغي للمصنف ان يبدل قوله متصفة بقوله قابلة وقد يقال المراد بالفنا هنا كبر السن والهرم ومنه الشيخ الفاني الا انه اقترانه بالموت يبعده **وبغوث الانسانية** جمع نعت وسوء الحاجة واللغويون بالوصف مطلقا فهما مترادفان ومنهم من فرق بينهما فقيل انه لا يطلق على الله ولم يبين وجهه فقيل لانه ما يصيب ويطرو من العوارض وهذه قضية مطلقة لا تقتضي ان الانبيا لا يصيبهم بعض الانواع المنفردة وهي ما يفسخ بها النكاح كالمرض والجذام والعماء اما ما اصاب ايوب ويعقوب عليهما الصلاة والسلام فلم يكن من ذلك ويعقوب انما ضعف بصره وقيل انه بعضه بطرو عليهم بعد استقرار النبوة فيهم وانما يمتنع عند ابتدا الدعوة والحق انها لا تطرو عليهم اصلا **وارواحهم وبواطنهم** كالقلب والدماغ وما لا يدرك بالحواس الظاهرة والباطن خلاف الظاهر **متصفة باعلى من اوصاف البشر** اي باوصاف اعلى منها من الفضايل الروحانية والتبري من العلايق الجسمانية كحب الملاذ والتنعم بالماكل والمشارب فارواحهم وبواطنهم **متعلقة بالملا الاعلى** هو الرفيق الاعلى الملايكة العلوية وتعلقها به اتصالها قال الراغب الملا جماعة تملا العيون روا والقلوب جلالة وبها **متشبهة بصفات الملايكة** في القوة والتجرد من العلايق الدنيوية وترك الشهوات والانهماك ولا يفعلون الا ما يومرون غالبا **سليمة من التغير** اي تبدل اخلاقهم الصالحة لغيرها **والافات** وهي النقايص **لا يلحقها** اي تطرو على ارواحهم وبواطنهم **غالبا عجز البشرية** كالجبن والخوف المفرط المانع من تحصيل المهمات وقال غالبا لانه قد يلحقهم شي منه كما في قوله فاوجس في نفسه **ولا ضعف الانسانية** فالا يلحقهم وان كان الانسان خلق ضعيفا الا انه قد يعرض لهم شي من ذلك بحسب الجبلية البشرية ولا يخرجهم عن كمال القوة والهمة **اذ لو كانت بواطنهم** اي امورهم الباطنة وهو شامل لارواحهم هنا **خالصة**

للبشرية

للبشرية كظواهرهم وظواهرهم لما اطاقوا الاخذ اي قدروا على تلقي الوحي **عن الملايكة** برويتهم **ومخالطتهم** اي مكالمتهم **ومخالتهم** بضم الميم وفتح الخا المعجمة والف ولام مشددة مفاعلة من الخلة بالضم وهي اتخاذه خليلا وصديقا وقد تقدم معناه والفرق بينه وبين المحبة وجوز مخاللتهم بفك الادغام والادغام افصح **كما لا يطيقه** اي دما يجده **غيرهم** اي غير الانبيا من البشر لضعف ارواحهم وبواطنهم ولو كانت اجسامهم اي الانبيا وفي نسخة اجسادهم وظواهرهم **متسمة** اي موصوفة مستعار من السمة وهي العلامة والوسم بمعنى الكي **بنعوت الملايكة** اي صفاتهم الذاتية وهياتها الحقيقية وخلاف صفات البشر مما خلقت عليه الملايكة وصورهم التي صوروا عليها عظما دون ابنية **لما اطاق البشر** غير الانبيا **ومن ارسلوا** اي الانبيا **اليهم** من اممهم **مخاطبتهم** ورويتهم ومخالطتهم **كما تقدم من قول الله تعالى** يعني قوله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وهو يدل على انهم لا يطيقون روية الملك على خلقته الاصلية بخلاف ما لو تمثل بصورة البشر فانه يمكن البشر رويته كما كان ياتي بصورة دحية ويراه الصحابة وكما كان يتمثل لمريم كما قيل من ان هذه الاية انه لو كان رويتهم ومخاطبتهم وهم على خلقتهم والوارد في القران والحديث خلافه وتقديره اهـ بعض الصالحين واصحاب الرياضة خلط وخبط ناش من عدم الفهم فجعلوا اي الانبيا صلاة الله وسلامه عليهم اجمعين **من جهة الاجسام والظواهر مع البشر** اي موافقين لهم في صورتها **ومن جهة الارواح والبواطن مع الملايكة** اي متصفين بصفاتهم والمراد بالمعية هنا المشاكلة في الروحانية والقوى الباطنية حتى اطاقوا رويتهم ومخاطبتهم ومخالتهم **كما قال صلى الله عليه وسلم** في حديث رواه البخاري وغيره يشهد لمخالتهم للملايكة **لو كنت متخذا من امتي خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا** فانه اقرب الناس اليه واصدقهم محبة له واعظمهم مواساة له بماله ونفسه واسبق الناس لاتباعه له فاذا لم يتخذ خليلا لم يتخذ احدا غيره وهذا دليل على انه لم يكن مع البشر باطنه فهو لا يعتمد على غير الله ولا يحتاج لاحد سواه ثم استدرك على ما يتوهم من نفي خلة ابي بكر من انه لا تناسب بينه وبينه فقال **ولكن** بيني وبين ابي بكر **اخوة الاسلام** اي انه لم اكن خليلا فهو اخي في الله وفي دين الاسلام لاشتراكه معي في محبة الله وطاعته واتباع دينه والاخلاص له والاخوة بضم الهمزة مصدر اي كونه اخا لي

ابن البرس

ويقال خوة بضم الخاء وهي لغة قليلة فيه والحاصل
ان بواطنهم وقواهم الروحانية ملكية ولذا ترى مشارق الارض
ومغاربها وتسمع اطيط السما وتشم رائحة جبريل عليه الصلاة والسلام اذا
اراد النزول اليه كما شم يعقوب عليه الصلاة والسلام رائحة يوسف
صلى الله عليه وسلم ولذا عرج به صلى الله عليه وسلم الى السما ولما نفى الخلة
عن ابي بكر رضي الله عنه استدرك توهم نبوتها لغيره من الناس فقال
لكن صاحبكم خليل الرحمن وقال ذلك ولم يقل ولكني وهو احضر واظهر اشارة
الى ان مناسبته لهم بحسب الظاهر وانه بين اظهرهم لا بحسب
الحقيقة وقال خليل الرحمن دون خليل الله اشارة الى ان خلته منه برحمته
وتخلقه بصفة الرحمة فليس خليله الا الله لان الخلة تخلل المحبة في باطنه
وباطنه مشغول بمحبة الله عما سواه وهذا لا ينافي ما ورد في حديث
اخر لم يكن نبي الا وقد اتخذ من امته خليلا الا ان الله اتخذني خليلا كما
اتخذ ابراهيم خليلا لان النفي للخلة الحقيقية المقتضية لاعتماده عليه
ظاهرا وباطنا والمثبتة للخلة بحسب الظاهر بحيث يكون ذخيره ووكيله
في امور الدنيا وايضا خليل فعيل بمعنى فاعل ومفعول وابو بكر رضي الله
عنه خليله بمعنى الفاعل وليس محبا للاله بمعنى المفعول اذا انه كان ذو
خليله اولا ثم تمحضت خلته بعد ذلك لله عند ما قرب رحلته للغاريه
فانه اول الحديث كما في البخاري عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه
قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فقال ان الله عز
وجل خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند
الله فبكى ابو بكر رضي الله عنه فعجبنا لبكائه من اخبار عن عبد فكان اعلمنا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من امن الناس علي في صحبته
وماله ابو بكر ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر ولكن اخوة
الاسلام ومودته لا يبقين في المسجد باب الا سد الا باب ابي بكر وهو
نص منه صلى الله عليه وسلم على خلافته كما يعرفه من له بصيرة وكذا
وكما قال صلى الله عليه وسلم فيما يدل على ان باطنه ملكي وظاهره
بشري تنام عيناي بتغميض الاجفان والنوم ظاهرا ولا ينام قلبي
لبقا احساسه وتعلقه بالملا الاعلى وكذا سائر الانبيا تنام اعينهم
دون قلوبهم كما ورد مصرحا به في حديث البخاري فليس ذلك من
خواصه صلى الله عليه وسلم كما توهمه القضاعي ومن تبعه هنا
وهذا دليل على ان ظاهره صلى الله عليه وسلم بشري وباطنه

ملكي

ملكي وظاهره بشري ملكي ولذا قالوا ان نومه صلى الله عليه وسلم
لا ينقض وضوءه كما صرحوا به ولا يقاس عليه غيره من الامة كما توهم
وتوضيه صلى الله عليه وسلم بعد نومه استحبابا وتعليما لغيره او لعرض
ما يقتضيه وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان في
النهي عن صوم الوصال مع فعله صلى الله عليه وسلم له اني لست
كهيئتكم اي لست في حالي وامور به مثلكم فاني في خواص خصني الله بها
اكراما منه وافضل بعلي الهيئة الصورة الظاهرة تحويها عن الكيفيات
النفسانية بتنزيل المعقول منزلة المحسوس ثم بين ذلك بقوله
اني اظل بفتح الظاء اي اكون عند ربي حضور الوقت اشارة الى ترتيبه
له باعطايه ما يقويه ولذا وقع موقعه هنا ولم يقل عند الله وقوله يطعمني
ويسقيني اي يهبني قوة على ذلك حتى اكون كاني اكلت وشربت وليس
المراد انه يطعمه ويسقيه حقيقة وطعام الجنة وشرابها لا يفطره
كما قيل لانه ينافي الغرض المقصود منه من اختصاصه بامر ليس
لغيره مع ان قوله اظل يأباه بحسب الظاهر وان امكنه التجوز فيه
لان ظل حقيقته فعله نهارا ولو كان كذلك لم يكن صائما وكون طعام الجنة
لا يفطر لم يقل به احد وهذه القوة تدل على انه صلى الله عليه
وسلم ملكي الباطن وقوله انه جاز وغيره اذا اعطاه الله قوة الصوم
من غير جوع لم يكن فيه عظيم اجر فهو لا يناسبه وقولهم انه يدل على ان
ما روي من انه صلى الله عليه وسلم كان يجوع حتى يشد الحجر على بطنه لا يصح وانما
هو الحجز بزاي معجمة وشد الحجز لا معنى له في اذهاب الجوع غير ظاهر
لان جوعه صلى الله عليه وسلم وشكواه منه وتحرجه لاصحابه
وسوالهم له فاخبرهم فشكوا اليه مما شكاه وشد الحجارة على بطونهم امر ثابت
في الاحاديث لا وجه لانكاره وشد الحجر يخفف الم الجوع ببرده واقامة
صلبه ومنع امعاه من الارتخا ولا ينافي هذا انه يطعمه ربه
لاختلاف الحالتين فانه في الصوم رياضة واخذ ابه للملا الاعلى واشتغال
الروح عن البدن لا يمنع الجوع الا ترى المريض يمكث اياما لا ياكل ولا يضره
وتدبر وجهه الشيخ في اخر كتاب الاشارات فهذه القوة
ملكية روحانية واستبعد القرطبي ما قيل ان الله يخلق فيه شبعا
كما يخلقه فيمن اكل ومراده ما ذكرناه فلا وجه لاستبعاده منزهة
فبواطنهم اي بواطن الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم منزهة
الآفات اي بواطنهم ما ينقص قواهم الملكية مطهرة عن النقايص والاعلال لان

اي العلل المضعفة لهم فهذه جملة فيما يختص بالانبيا عليهم الصلاة
والسلام اجمالا لن يكتفي بمضمونها اي ما تضمنت وذلك عليه كل
ذي همة في تحصيل الفضايل بل الاكثر يحتاج الى بسط اي تطويل وتفصيل
على ما ناتي به صفة لبسط وتفصيل اي تفصيل على نهج ما ناتي به في البابين
المذكورين عقب هذا بعون الله اي اعانته على قصده وهو حسبي ونعم
الوكيل الذي لا يكل من توكل عليه لغيره الباب

الاول فيما يجب للانبيا عليهم الصلاة والسلام ويمتنع عليهم
فيما يختص بالامور الدينية اي باتيهم صلوات الله وسلامه عليهم والعصمة
لهو نالوا تخصيص قدرته بالطاعة دون المعصية او خلق مانع فيه
العصمة لكن لا يجب انه يلجيه ويسلبه اختياره ويجبره على الطاعة
بل هي لطف من الله يحمله على الطاعة ويزجره عن المعصية مع بقا الاختيار
تحقيقا للابتلا والتكليف كما قاله الماتريدي ويأتي الكلام على ذلك مبسوطا
وقال القاضي ابو الفضل المصنف عياض رحمه الله بتمهيد تعود به
لما سياتي اعلم ان الطوارى اي ما يحدث من غير ما قارن خلقته
من التغيرات المغيرة لما خلق عليه والافات جمع افة وهي ما يفسد
ما اصابه وفي المساوي فما اصابته وانكره ابو حاتم وقال انما هو مليف
كما في افعال السرقسطي على احاد البشر بالمد جمع ابدلت واوه همزة
ثم الفا لانه من الوحدة اي افرادهم واشخاصهم لا يخلو من ان يطرا على جسمه
اي ظاهر بدنه وجسده او على حواسه جمع حاسة وهي ما يدرك به من
البصر والسمع والشم واللمس والذوق فالمراد الحواس الظاهرة وفعله
احس وحس لغة قليلة ومعناهما ادرك وحواس وحاسة من هذه
اللغة غير الفصحى وانكره بعضهم وقال انه لم يسمع وقياسه محسة
بغير قصد واختيار بل يخلقه الله ابتدا كالامراض والاسقام
السقم بمعنى المرض كما في الصحاح وقيل السقم مسبب عن المرض فالحمى
مرض وتغير البدن وضعفه سقم ويقال سقم وسقم وسقام بمعنى او يطرا
بقصد واختيار كافعال العبد واعماله وكله اي كل ما يطرا باختياره
وغيره في الحقيقة اي حقيقة الامر في الواقع عمل وفعل قال في القاموس
الفعل بالكسر الانشا وكناية عن كل عمل فهما على هذا بمعنى وقال
الصاغاني بينهما فرق فالفعل احداث شي من عمل او غيره فهو اعم وقال
النحوي الفعل ما يكون في زمان يسير من غير تكرير والعمل ما تكرر وطال
زمنه وقيل الفعل يختص بمن تعقل وفيه و بقوله صلى الله عليه وسلم

في

في الحديث يا ابا عمير ما فعل النغير ولكن جرى رسم المشايخ اي استمرت
عادتهم والرسم التصوير بكتابة ونحوها فالفقها استعملوه بمعنى العادة
وهو المراد هنا والمراد بالمشايخ العلما بتفصيل اي تفصيل ما يطرا
الى ثلاثة انواع الاول عقد بالقلب اي نيته نية جازمة لعزم مصمم
ضادا فالعقد بهذا المعنى ورد في الحديث واصل معناه الربط المحكم
والثاني قول باللسان والثالث عمل بالجوارح جمع جارحة وهي العضو
من اعضا البدن من الاجتراح وهو الاكتساب وجميع البشر يطرو عليهم
الافات والتغيرات بالاختيار وبغير الاختيار اي لهم حالات مختلفة
تنتقل منها من حال الى حال من نعيم وبوس ونصر وقهر وهذا امر عام شامل
ولكن المراد به العزيم واحوال الغلب لا تنتقل في هذه الوجوه كلها — ابن الحبرم
والنبي صلى الله عليه وسلم اي جنس النبي صلى الله عليه وسلم او كل جنس
فتعريفه جنسي او استغراقي وليس المراد نبينا خصوصا لاستوائهم فيما
ذكر وان كان من جنس البشر ويجوز على جبلته بكسر الجيم وكسر البا
الموحدة وفتح اللام المشددة بمعنى الطبيعة والخلقة التي خلق
عليها بحيث لا يقبل التغير بسهولة ما يجوز على البشر سواه وما موصولة
في محل رفع فاعل يجوز الذي تقدم فقد قامت اي تحققت وظهرت
البراهين جمع برهان وهو الدليل والحجة كما تقدم القاطعة اي القطعية
دلالتها على ما تثبته وتمت كلمة الاجماع اي انعقد اجماع من يعتد
باجماعه واتفقوا عليه حتى كان كلامهم كلمة واحدة تامة على خروجه
عنهم اي خروج النبي عن جنس البشر غيره وتنزيهه اي تبريه بنفي ذلك
عنه وتبعد ساحته عن كثير من الافات اي العوارض التي تطرو على البشر
تنقص مقاماتهم العلية التي تقع اي تصدر وتتحقق في الواقع والحالج
على الاختيار وعلى غير الاختيار لتكريم الله لهم بالعصمة من اتيانها كالامور
القبيحة والاخلاق الذميمة كما سنبينه ان شا الله تعالى فيما ناتي به
من هذا الكتاب الكتاب وهذا القسم من التفصيل الموضح لها

فصل في حكم عقد قلب النبي صلى الله عليه وسلم

والمراد بعقد قلبه ما انعقد عليه اعتقاده وجزم به مما ثبت عنده
يقينا من وقت نبوته ورسالته اي اظهارها للناس بعد الوحي اليه
والغاية تحديد للعلم بها اي الى اخر عمره فعقد القلب هو الاعتقاد
الجازم الذي لا يحتمل النقيض اصلا اعلم تقدم انه شدد ينبه به
فيما يهتم به في الخطاب عام لكل من يصلح للخطاب منحنا الله اي اعطانا

والمم علينا واياك الخطاب كالذي قبله وهو معطوف على المفعول الاول
لقوله توفيقه المفعول الثاني لقوله اما تعلق منه بطريق التوحيد
ضمير منه لعقد قلب النبي اعتقاده وعلمه اليقيني الجازم الذي اتصف
به بثبوته وما موصولة والعائد ضمير منه اي علمه الذي له تعلق بالتوحيد
والعلم بالله اي بذاته وحقيقته وصفاته الذاتية الثبوتية
والسلبية والاضافية وغيرها والايمان به اي بما ذكر من توحيده وتحقق
ذاته وصفاته وبما اوحي اليه بالبنا للمجهول اي بجميع ما اوحاه الله
اليه من شرع ليعمل به او يبلغه لغيره فعلى غاية المعرفة
الفا زائدة في خبر للموصول لدخول البا لا يمنع منه كما بينه النحاة يعني
ان علم الانبيا المتعلق باصول الدين والعقائد وصل الى النهاية والغاية
ووضوح العلم واليقين اي لتيقنهم لذلك انكشف لهم انكشافا
تاما بحيث انه لا يقبل الزوال ولا يرتاب فيه انفسهم القدسية و على غاية
الانتفا عن الجهل بشي من ذلك فليس عندهم جهل بشي من ذلك اصلا
او الشك او الريب فيه اي التردد واحتمال نقيضه لانه حق اليقين
لا يطرو عليه شي من ذلك والعصمة بالجر عطف على المعرفة اي على
غاية العصمة وتقدم معناها عن كل ما يضاد المعرفة بذلك المذكور
من التوحيد وما بعده بان يجهل شيا منها و يضاد اليقين من شك
او ريب في شي منها هذا المذكور من علم الانبيا بما ذكرنا وقع اجماع
المسلمين عليه ولم يخالف فيه احد منهم ولا يصح بالبراهين الواضحة
التي هي في غاية الظهور ان يكون في عقود الانبيا اي عقائدهم التي
ارتبطت عليها قلوبهم سواه اي غيره مما يخالفه اصلا ولا يعترض
على هذا اي ما وقع عليه الاجماع وكشفته البراهين القاطعة
حتى لا يحتمل غيره بوجه من الوجوه بقول ابراهيم صلى الله عليه وسلم
فيما حكاه الله عنه اذ قال بلى ولكن ليطمئن قلبي بجعل اطمئنان قلبه
بمشاهدة الاحيا يقتضي ان عنده ريبة وشبهة في ذلك ويرده
بقوله اذ لم يشك ابراهيم متعلق بالنفي اي انتفى الاعتراض بما ذكر
في اخبار الله تعالى له باحيا الموتى اي ما اخبر الله به من انه هو الذي يحيي
الموتى ويوجدها من العدم ولكن اراد بما قاله مما يوهم الشك
طمانينة القلب قال الراغب الاطمئنان السكون بعد
الانزعاج والطمان وتطامن متقاربان لفظا ومعنى انتهى فطمانينته
زوال قلقه وانزعاجه من امر ما وترك المنازعة معطوف عليه من النزع

وهو

وهو جذب الشي عن مقره كنزع القوس ويجعل هنا عن المخاصمة والمجادلة
وتنازع الغلبة مثلها الى شي ما والمراد هنا ترك القلق او ترك الميل الى
الشبهة في كيفية ذلك لعدم تحققه عنده كما اشار اليه بقوله بمشاهدة
الاحيا وكيفيته صدوره عن القدرة فحصل له العلم الاول بوقوعه
اي تيقن وقوعه من الله اجمالا من غير شبهة فيه فاراد بسواله حصول
العلم الثاني بكيفيته ومشاهدته اي مشاهدة صدوره عن الله تفضلا
ليزيد علمه واطمئنانه لا لانه شك فيه وهو جواب عن الاعتراض الوارد على
قولهم ان علم الانبيا بالله لا يعتريه شك بان الخليل عليه الصلاة والسلام
من اجلهم وقد شك فاجاب انه لم يشك ولم يجهل وانما اراد الانتقال
عن علم اليقين الى عين اليقين وهذا امر لا يضر فيه الوجه الثاني
في جواب الاعتراض على ما وقع من الخليل ابراهيم صلى الله عليه
وسلم انما اراد بسواله ربه اختبار منزلته عنده به المراد بالاختبار
لازمه وهو العلم اي انه يتحقق رتبته عند الله وعلم اجابته
دعوته اي يعلم انه مقبول عنده حتى لا يرد دعاه ولا يخيب فيه رجاه
والذي ريه كيف احيا الموتى وفي نسخة اجابة دعوته بالاضافة وعدم
تحقق رتبته عند الله ليس فيهما ما يضره وينقص معرفته به كما قيل
انه يقتضي شك في منزلته عند الله وهو غير واقع لا وجه له ولما
كان قوله تعالى في جوابه اولم تومن يقتضي الاعتراض دفعه بقوله
ويكون على هذا قوله اولم تومن بالاستفهام الانكاري المقتضي
بحسب الظاهر نفي ايمانه بما قاله اي لم تصدق بمنزلتك مني وخلتك
اي اتخاذك خليلا واصطفائك اي اختياري لك على غيرك تشريفا
وتكريما لك فالايمان بمعناه اللغوي وهو التصديق والمصدق
به المنزلة والاصطفا فانه لا يلزم من النبوة اصطفاه بحيث
يطلعه على اسرار قدرته ولعله في اول امره الوجه الثالث
انه سال من ربه زيادة يقين وقوة طمانينة اي ان يقوي طمانينة
قلبه وسكونه بحيث يقر قرارا متمكنا غاية التمكن وان لم يكن في
علمه الاول الذي كان قبل المشاهدة شك في شي من امور الرب
وتوحيده وقدرته وهو دفع لما يتوهم من ان هذا الطلب
يقتضي الشك منه بانه انما هو لقبول اليقين الزيادة كما بينه بقوله
اذ العلوم الضرورية التي تحصل من غير استدلال لظهورها
والنظرية التي تتوقف على نظر واستدلال لكونها غير بديهية

قد تتفاضل اي يزيد بعضها على بعض لا من تفاعل من الفضل بمعنى
الزيادة كما وكيفا في كونها لا لانها كيفيات نفسانية تقبل التفاوت
في الوضوح والخفاء والعلم ينقسم الى ضروري ونظري وعلم الله
حضوري لا يوصف بذلك اصلا ونظريات نتيجات بمعنى حدوث
الشكوك جمع شك على الضروريات اي العلوم الضرورية
كالواحد نصف الاثنين والضدان لا يجتمعان ممتنع لما هو ظاهر
ويجوز بصيغة المفعول اي يجوز العقل طريانها وعروضها في
النظريات المكتسبة بالنظر والفكر يعني علم الخليل عليه الصلاة
والسلام بذلك اولا كان نظريا يقينيا لا يشهد له بنبه ولكن النظريات
من شانها انها تحتمل الشكوك فاراد الانتقال الى رتبة اعلى منها بكونه
علمه بقدرة الله على الاحياء ضروريا فيها لا يحتمل خلافه اصلا
ليطمئن قلبه بذلك فقط وهذا معنى ما في المواقف من ان سؤال
الخليل عليه الصلاة والسلام لم يكن عن شك في قدرته تعالى
بل طلبه لان في عين اليقين ما ليس في علم اليقين فان للوهم باحداث
الوساوس والدغادغ سلطانا على القلب عند علم اليقين دون عين
اليقين وليس في كلام المصنف رحمه ما يقتضي ان ابراهيم
عليه الصلاة والسلام وقع منه شك في علمه النظري بل ان النظري
بل انه النظري من حيث هو يجوز طريان الشك عليه وفرق بين الشك
وجوازه فجوازه على العلم اليقيني لا يقتضي وقوعه حتى يعترض
عليه بان علم ابراهيم يقيني لا يحتمل النقيض وانه يجوز ان يخلق
الله فيه علما ضروريا بذلك بعد الوحي او الكشف وكذا ما قيل
من انه اه اعلم منه ذلك فما وجه قوله اولم تؤمن لان المصنف
اشار الى دفعه في الجواب الثاني فيعلم بالقياس عليه
اي الم تعلم ذلك علما غير محتاج للمشاهدة والى هذا اشار المصنف
بقوله فاراد ابراهيم صلى الله عليه وسلم بسؤاله الانتقال
من النظر اي من العلم الحاصل من البرهان القطعي اليقيني
الذي لا يحتمل النقيض او الخبر الصادق بالوحي اليه الذي لا شك
فيه الى المشاهدة والنظر بعينه والترقي اي الصعود الى الاعلى
الى عين اليقين الحاصل بالنظر اي الخبر بمشاهدته عيانا وهذا
يقتضي ان المحسوسات كالعلوم الضرورية تسمى يقينيا واتفاقا
وفي الكشاف وشروحه وتفسير القاضي ان العلم الذي من شانه

انه يتطرق اليه الشك والشبهة اذا انتفيا عنه كان ايقانا ولذلك لا
يوصف به العلم القديم ولا الضروري فلا يقال تيقنت ان الكل اعظم
من الجزء وبيانه قوله في سورة التكاثر علم المشاهدة اعلى مراتب
اليقين وتقدم بيانه في حواشي القاضي فليس الخبر كالمعاينة
هذا من الامثال النبوية وورد في حديث مرفوع رواه احمد في مسنده
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليس الخبر كالمعاينة ان الله اخبر موسى بما صنع قومه بالعجل فلم يلق الالواح
فلما عاين ما صنعوا القى الالواح فانكسرت وقال الشاعر

ولكن للعيان لطيف معنى ۞ له سال المعاينة الكليم ۞

ولهذا قال سهل بن عبد الله التستري وقد قدمنا ترجمته سال
الخليل عليه الصلاة والسلام كشف غطاء العيان اي الغطاء المانع
للعيان بكسر العين اي المعاينة والغطاء ما يغطيه ويستره
ليزداد بنور اليقين اي ما ينوره ويظهره عيانا تمكنا في حاله
من العلم والمشاهدة ليكون على بصيرة تامة في معرفة الله وفيه
استعارة مكنية مرشحة لتشبيهه بامر محجوب تحت غطاء ازاله
المشاهدة والكلام على علم اليقين وحق اليقين وعين اليقين والفرق
بينها بحسب اللغة ظاهر وللصوفية فيها اصطلاح اورده بعضهم
هنا وبنى عليها امورا واهية ولا حاجة لنا بذكرها هنا سؤال
مشهور وهو مروي عن علي كرم الله وجهه انه قال لو كشف الغطا
ما ازددت يقينا فقيل كيف يقول هذا والخليل عليه الصلاة والسلام
يقول ولكن ليطمئن قلبي فطلب كشف الغطا ليزداد يقينا
وهو اجل رتبة ونقل السبكي عن الغزالي رحمه الله انه قال
اليقين يتصور ان يطرا عليه الجحود لقوله تعالى وجحدوا
بها واستيقنتها انفسهم والطمانينة لا يطرو عليها ذلك وقال
ابن عبد السلام اراد علي ما ازددت يقينا في الايمان وان كان اه
برؤيته يزداد بمعرفة تفاصيلها كمن راى بيتا محكما علم ان له
صانعا قادرا فطلب ان يرى كيف يبني وعندي ان السؤال غير
وارد راسا حتى يحتاج لما قالوه فان كلاميهما لم يتواردا على امر واحد
اذ مراد علي كرم الله وجهه ان امور الاخرة التي عرفها من رسول
الله صلى الله عليه وسلم ووقف على حقائقها بالكشف اذا اه
شاهدها عيانا لا يزيد يقينه بها والخليل عليه الصلاة والسلام

طلب في الدنيا ان يشاهد كيفية الاحيا ونفخ الروح لامر احب
واين هذا من هذا من هذا احتى يحتاج للتوفيق الوجه الرابع انه
اي ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما احتج على المشركين يعني
نمرود وقومه بان ربه يحيي ويميت بقوله وفي الذي يحيي ويميت
طلب ذلك اي سال ربه الاحيا وكيفيته ليصح احتجاجه وتحقق
ما انكروه عيانا ومشاهدة ليقطع عنادهم ويبطل شركتهم وهو في نفسه
غير متردد فيه فقوله اولم تؤمن تعريض لهم على حد قوله اياك اعني
فاسمعي يا جارة ولا طريق لالزامهم الا هذا فسقط ما قيل
انه لا يلزم من اقامة البرهان لشيء مشاهدته الوجه الخامس قول
بعضهم هو سوال على طريق الادب والمراد منه تحقيق اقدرني
على احيا الموتى ليكون معجزة له كما وقع لعيسى عليه الصلاة والسلام
ليفحم من عارضه وتوجهه فلم يسند الاحيا الى نفسه ادبا منه واسنده
الى الله لانه المحيي والمميت حقيقة وان اجراه على يد غيره ومعنى
قوله ليطمئن قلبي على هذا التقدير اطمينانه عن هذه
الامنية بضم الهمزة ما يتمنى ويراد وهي معجزة احيا به الموتى عيانا
وقوله وقوله اولم تؤمن اي اولم تصدق باني مجيب دعوتك
ومعطيك امنيتك او تعريض كما تقدم وقوله ارني الخ يجوز به عن
سببه ولازمه لانه اذا اقدره على ذلك فعل منه اه فلا يرد انه لا دلالة
للفظ على هذا المعنى ولا يمكن مع قوله اولم تؤمن الوجه
السادس انه اري اي اظهر لغيره من نفسه وفي نسخة راي في نفسه
والاصح ما تقدم لاحتياج هذا التكلف الشك اي صورته والتكلم
به وما شك حقيقة لقوة يقينه وكما قال علمه بالله وقدرته
ولكن فعل ذلك ليجاوب بالبنا للمجهول اي لجسته تبه تاد اسه
فيزداد قربه من الله خالد مناجاته له ولذته بخطابه وشره نه نفرة
منزلته عنده لاعتنائه باجابته واستبعد هذا بانه كيف يظهر ما هو
منتف عنه بما يودي الى تنقيصه وسوء الظن باعتقاده وليس بشي
لانه انما يتم ما قاله لو استقر على حالة اوما اذا ادى الى ما تحقق
كماله وتيقنه كما هو معروف في طريق المجادلة والحركة مع الخصم حتى
يفحمه فلا وقول نبينا صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك
من ابراهيم هذا جواب عن سوال تقديره قد نفيت الشك عن
ابراهيم عليه الصلاة والسلام في هذه الاجوبة والنبي صلى

الله

٤٥٩

الله عليه وسلم اثبته له في هذا الحديث وجعل نفسه احق به لكنه منه
فاجاب بما اجاب به المزني صاحب الشافعي فقال هو معنى لان يكون ابراهيم
شك وابعاد للخواطر جمع خاطر او خاطرة بمعنى القلب او الشبهة
لانها في الاصل ما يعرض للانسان من الافكار والسبة ويجوز بها عن
محله وهو القلب ويصح ارادة كل منهما هنا وقوله الضعيفة
اي التي تندفع بادنى تامل لظهور بطلانها وان يظن هذا اي
الشك بابراهيم لا لا مقامه يجل عن مثله وحاصله انه صلى
الله عليه وسلم قصد نفي الشك عنه ببرهان قوي وقياس منطقي تقريره
لو شك ابراهيم كنت انا شاكا ايضا لان احقيتي ازلي واقربه لذلك مبني لاني
يجوز على ما يجوز على غيري من الانبيا عليهم الصلاة والسلام وما انه
بدعا من الرسل وقد علم اني لم يقع مني شك قط فكذلك ابراهيم
ايضا انتفاه بنفي لازمه الا انه صلى الله عليه وسلم افضل من ابراهيم
ولا يلزم من نفي شي عن الفاضل نفيه عن المفضول فكيف قال
انه احق منه واشار المصنف الى جوابه بقوله اي نحن موقنون
بالبعث واحيا الموتى عطف تفسير على البعث فلو شك ابراهيم اشارة
انه قياس استثنائي لكنا اولى بيان لان احق بمعنى اولى بالشك منه
اي من ابراهيم ثم اشار الى دفع السوال الوارد على قوله احق كما تقدم ما
بانه اما على طريق الادب منه مع ابيه ابراهيم عليهما الصلاة والسلام
بقوله احق او انه يريد بقوله نحن امته الذين يجوز عليهم الشك لعدم
عصمتهم لانه كثيرا ما يسند لنفسه ما هو لامته لنكتة تقتضيه اي انتم
مع انكم دون مقام ابراهيم لم تشكوا فكيف به لانه قيل ان بعضهم
لما سمع قوله ارني الخ ان ابراهيم شك او قاله على طريق التواضع
منه وهو قريب من الجواب الاول مع الغرة الظاهرة والاشفاق اي
الخوف من ان تبتلى بما ابتلي به ان حملت بالبنا للمفعول
رواية ما على قصة ابراهيم عليه الصلاة والسلام في سواله ربه على
اختبار حاله بالبا الموحدة وهو الوجه الثاني من الاجوبة السابقة
كما تقدم او زيادة يقينه وقيل انه قاله قبل علمه بانه افضل من
ابراهيم وقيل انما قاله لما عاين من انكار قومه البعث
فتامل ثم اورد دفع شبهة تتوهم من ظاهر بعض الايات وتقريرها
ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام لا يطرق عليهم شك فيما يدعوهم
وفيما اوحي اليهم فقال فان قلت فما معنى قوله تعالى فان

كنت في شك مما انزلنا اليك بناء على ان الخطاب له صلى الله عليه وسلم
لا عام ولغيره والشك فيه في انه من عند الله ومطابق لما اوحي لغيره
من الانبيا فاسأل الذين يقرون الكتاب من قبلك الايتين
يعني لقد جاك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين
كذبوا بايات الله فتكون من الخاسرين وفي الاربعين ان هذه
الشرطية غير ممكنة فاخذه لثبت الله قلبك حماية دعاية
معترضة ان يخطر ببالك اي قلبك وفكرك ما ذكره بعض المفسرين
ممن لم يذق النظر وليس من اهل التحقيق وهو مبالغة في عدم
اعتقاد مثله عن ابن عباس او غيره من السلف من اثبات شك النبي
صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه بناء على ظاهر اللفظ
وانه من البشر فيطرق عليه صلى الله عليه وسلم ما يطرق عليهم فمثل
هذا اي هذا وامثاله او مثله غير جايز فكيف به لا يجوز
ان يطرا عليه جملة اي لا يجوز كله ولا شي منه بل اضرب ابطالي
نحو قال ابن عباس فيما صح ورايته عنه كما قاله ابن ابي حاتم في تفسيره
لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم لان الشرطية فرضية غير ممكنة
ولو قلنا الخطاب له صلى الله عليه وسلم ولم يسأل احدا من اهل
الكتاب ونحوه عن ابن جبير والحسن البصري وحكى قتادة كما رواه
ابن جرير ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لما نزلت الاية
لا اشك ولا اسال في شي من ذلك وعامة المفسرين اي كلهم
يقال جاوا عامة وقاطبة اي جميعا على هذا اي متفقون على انه لم يكن المراد
انه شك او سال وبعد اتفاقهم على هذا اختلفوا في معنى الاية
المقصود بها فقيل المراد قل يا محمد للشاك اي لمن يشك في الوحي المنزل
عليك ان كنت في شك من ديني الاية فالخطاب لغيره صلى الله عليه
وسلم فلا ترد الشبهة وبراءة ساحته قرينته وتقدير القول كثير في
كلام العرب قالوا اي الذاهبون لهذا التاويل وفي السورة نفسها
عطف على مقدر اي في القران ما يدل لصحته وفي السورة الخ ما دل
على هذا التاويل قوله تعالى يا ايها الناس ان كنتم في شك
من ديني الاية وقوله تعالى بعدها ما اختير تفسيره هو وجوه نسبه
اي اعني قوله والاية بتمامها فلا اعبد الذين تعبدون من دون
الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم وجه السؤال ان الانبيا عليهم
الصلاة والسلام لا يعتريهم شك في شي من امور الدين والاية بحسب

الظاهر دالة على خلافه فاجاب بان الخطاب لغيره وايده بانه ورد
مصرحا به في هذه السورة والقران يفسر بعضه بعضا كثيرا وصفه
الله بانه الذي يتوفاهم وبيتهم كما احياهم لتحديهم الخصم وبينها للخصم على
انه الذي ينبغي ان يخاف منه ولا يشك فيه احد فضلا عن سيد الانبيا
عليهم الصلاة والسلام وقيل المراد بالخطاب في قوله فان كنت
في شك الاية العرب وغير النبي صلى الله عليه وسلم وافرد الضمير لتناوله
من يسمع الخطاب فالخطاب بحسب الظاهر له والمراد غيره بطريق
التعريض ومثله كثير في القران وكلام العرب كقوله يا ايها النبي اتق
الله بدليل قوله بعده واتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما
تعملون خبيرا ولو كان الخطاب له قال بما تعمل وتوجيه الخطاب تعظيما له
وتخويفا لامته الشرك كما قال الله عز وجل لين اشركت ليحبطن
عملك اي يفسد ويسقط عن الاعتبار ويبطل من حبطت الدابة اذا اكثرت
في المرعى حتى ماتت وانتفخت وجعل هذه الاية مشبهة لها لانها اظهر
في التعليق بالمحال لان الخطاب فيها للرسل كلهم اذ اولها لقد اوحي اليك
والى الذين من قبلك اي من الرسل لين اشركت الخ وافرد لان المراد
كل واحد منهم وهم مبرؤون عن الشرك فالمراد بذلك امتهم ممن يجوز عليه
الشرك واليه اشار بقوله الخطاب له والمراد غيره تعريضا
وتهييجا لحثهم حتى ينتهوا عما لو وقع من احب خلق الله لم يعف عنه
ومثله اي ما ذكر من الخطاب المقصود به غيره قوله تعالى فلا تك
في مرية اي شك وريب مما يعبد هولا اي لا تشك في انه ضلال باطل مؤد
الى العذاب الشديد ونظيره مما قصد بالخطاب الغير كثير في القران
وكلام العرب وهو باب واسع يسمونه التعريض والتلويح وله نكات ومعان
جليلة كحمله على قول ما يلقى والادات والطفا بالغضب والحمية
كما فصله اهل المعاني وسموه اقساما مشهورة قال بكر بن العلا بفتح
العين وهو القاضي بكر بن العلا من علما المالكية الاجلا ومما قاله
تنويها لما قدمناه من ان الخطاب لغيره الا تراه اي الله عز وجل يقول
في هذه الاية ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله فهذا شاهد
صدق في غاية الظهور وهو صلى الله عليه وسلم كان المكذب
بالتشديد وصيغة اسم المفعول من التكذيب فهذا كله مما ذكر في تلوين
الخطاب يدل على ان المراد بالخطاب غيره لانه لا يصح كونه مرادا بالخطاب
لظهور فساده للمعرفته مما قرره وتشل هذه الاية في انه هو

المقصود بالخطاب غير من انتمى اليه قوله تعالى الرحمن فاسال به خبيرا الى بعده
الاية دليلا لما قاله من انه قد يوجه الرسول بامر والمقصود امر غيره
من امته اذ يسال النبي صلى الله عليه وسلم فهو مسول وان كان ظاهر النظم
انه سايل كما بينه بقوله المامور ههنا اي في قوله فاسال به خبيرا غير النبي
صلى الله عليه وسلم من امته لبسال النبي كان النبي هو المقصود بقوله
الخبير اي العارف بحقيقة الامر فهو في الحقيقة المسول منه لا المستخبر اي السائل
هو تفسير للمستخبر اي الطالب للخبر السايل عنه وهذا وما بعده من كلام
بكر ابن العلا رحمه الله وهذا بنا على احد التفاسير في هذه الاية وقيل
انه صلى الله عليه وسلم امر ان يسال جبريل او الله عز وجل والاية على
ظاهرها وقيل انه امر بسوال اهل الكتاب فيصدقوه لتندفع شبهة
المشركين وقيل الضمير راجع للرحمن وان المشركين انكروا اسم الرحمن
فالمعنى ان انكروا اطلاق الرحمن على الله فاسال اهل الكتاب ليخبروهم باطلاقه
عليه في الكتب المنزلة على غيرك من الرسل وعلى هذا فلا شاهد فيه
لما نحن بصدده والمناسب ان يجري به او يعفو عنه وقال
ابن بكر بن العلا في معنى قوله تعالى فان كنت في شك الاية ان هذا
الشك الذي امر به غير النبي صلى الله عليه وسلم بسوال الذين يقرون
الكتب عنه من الاحبار والرهبان انما هو فيما قصه الله عز وجل في
كتابه الكريم من اخبار الامم السالفة مع انبيائهم وحكاية المومنين
منهم والهلاك من كفر كانهم امية لا يعرفون احوال الامم ولم يصدقوا ما
قصه الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم لا فيما دعى النبي صلى
الله عليه وسلم لا فيما دعى النبوة النبي صلى الله عليه وسلم
اليه اي الى الايمان به من التوحيد اي الايمان بالله وحده
والشريعة التي شرعها الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم
وبلغها لهم وامرهم من اتباعها من الملة الحنيفية فان هذا
امر لا تندفع شبهة المشركين فيه بسوال اهل الكتاب وانما
تندفع بالبراهين والمعجزات الباهرة ومثل هذا اي امر النبي
صلى الله عليه وسلم بالسوال والمقصود امر غيره قوله
عز وجل واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا الاية اي اقرا الاية
تمامها وهو اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون الاستفهام
انكاري لتكذيبهم ونفي ما ادعوه بغير هان تقريره اني لم نجعل الهة
غير الله تعبد في ملة من الملل لاجماع من قبلك من الانبيا على توحيد

الله

الله فهو امر لم يبتدعه فكيف يكذب ويعادي من اتى به ولما كان ظاهر الاية
مشكلا لانه امره صلى الله عليه وسلم بسوال الرسل الذين قبله وهم غير
موجودين فكيف يتمكن من سوالهم وهو ايضا عالم بالتوحيد متيقن له
كما اخبره الله به غير محتاج للسوال عنه اشار الى تاويلها بقوله
المراد به المشركون والمسول منه اهل الكتاب واحبارهم فالمعنى اسالوا
علما اهل الكتاب العالمين بما انزل على الرسل من قبلك هل في كتبهم غير
التوحيد والخطاب في هذه الاية مواجهة النبي صلى الله عليه وسلم
لامره به ظاهرا والمقصود غيره من المشركين قاله اي هذا
التاويل والتوجيه القتبي اختلفت النسخ هنا ففي اكثرها القتبي
بقاف مضمومة ومثناة فوقية مفتوحة وبا موحدة وياء نسبة مشددة
وفي بعضها القتيبي بزيادة يا مثناة تحتية بعد التا الفوقية وهما بمعنى
والمراد به امام اهل اللغة والتفسير ابن قتيبة من سعيد بن طريف
ابن جبل صاحب التاليف الجليلة المشهورة وفي بعضها العتبي بضم
العين المهملة وسكون التا الفوقية والموحدة وهو محمد
مذهب مالك فقيه الاندلس محمد بن احمد بن عبد العزيز القرطبي
العتبي نسبة لعتبة بن ابي سفيان لانه من موالية وهو صاحب
كتاب العتبية المشهورة في مذهب مالك وتسمى المستخرجة ولا تعدم
بيانه ورجح البرهان الحلبي النسخة الاولى وقيل معناه المذكور
في هذه الاية سلنا اصله اسالنا فنقل حركة الهمزة للسين فحذفت
همزة الوصل وهي لغة مشهورة وضمير العظمة لله وحده عمن ارسلنا
فحذف الخافض اي عن الجارة وتم الكلام من غير تعلق له بما بعده
بعد حذف المفعول والجار وايصال الفعل بنفسه ومثله كثير وان
كان غير مقيس ثم ابتدا الكلام مستانفا فقال
اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون يعني الهة يعبدون
على طريق الانكار لعبادة غير الله بالاستفهام الانكاري الذي هو في
معنى النفي ولهذا قاله اي ما جعلنا الهة للاعبادة لغيره وفي نسخة ما جعلنا
قاله وفي نسخة حكاه مكي بن ابي طالب الامام المفسر
الزاهد صاحب التاليف الجليلة ولد بالقيروان واقام بالاندلس بعد
اقامته بمكة ولذا نسب اليها كما نقل وقيل في تاويل الاية
وامره بسوال الرسل وهم غير موجودين انه امر صلى الله عليه وسلم
وامر مبني للمفعول او الفاعل اي امره الله ورجح الاول هنا ان يسال

الانبيا لما اجتمع بهم في ليلة الاسرا كما مر من اجتماعه بهم في السما عن ذلك
اي عن ذلك لكن جعله الصمت تحيد من ذلك فكان صلى الله عليه وسلم بما كشف
له من عين اليقين اشد يقينا واكثر علما بالله وبما جعله من سائر الانبيا من
ان يحتاج الى السوال منهم لانه اعرفهم بالله وبما فعله وفي قوله وقيل
اشارة الى ضعفه الا ان مثله لا يقال من قبل الراي وشدة يقينه صلى الله
عليه وسلم معروف فامره بذلك انما هو لاظهار امره ورفعة قدره فلا
وجه للاعتراض عليه بما ذكر فروي انه صلى الله عليه وسلم ورد سبب
النزول واوله انه صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به بعث الله له ادم وولده
من الانبيا عليهم الصلاة والسلام فاذن جبريل ثم قال له يا محمد صل
بهم فلما فرغ قال له عن الله سل من ارسلنا من قبلك من رسلنا ا
جعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون ومن ثم قيل ان هذه
الاية تدل بظاهرها على ان ذلك كان ببيت المقدس قبل العروج فقال
لا اسال احدا منهم قد كفيت بما عندي من اليقين الذي يلج به صدري
قاله ابن زيد هو عبد الرحمن بن زيد بن اسلم كما تقدم وليس فيه
مخالفة لامر الله له بالسوال لانه علم ان الامر انما هو لاظهار رفعته
وشدة يقينه وقيل معناها سل امم من ارسلنا تعقد برهانا
بقرينة ان الرسل لم يكونوا موجودين لما امر بالسوال بل الاحبار من امهم
هل جاءهم اي هل جاءهم رسلهم من عند الله بغير التوحيد
اي اعتقاد وحدانيته وعبادته وحده والاستفهام تقريري اي ما جاءهم
الا بعبادته فهو لنفي نحلتهم بغيره وهو اي ما ذكر معنى قول مجاهد
والسدي والضحاك وقتادة في تفسير هذه الاية والمراد بهما
اي بما قاله مجاهد ومن ذكر بعده والذي قبله مما حكاه بقيل
او ما ذكره ابن زيد ومن تقدمه وقيل المراد بهذا قوله واسال
من ارسلنا من قبلك من رسلنا الاية والذي قبله قوله فان كنت
في شك مما انزلنا اليك الخ اعلامه صلى الله عليه وسلم بما بعث
به الرسل من التوحيد وانه لم ياذن لاحد من الرسل وامهم في عبادة
غيره عز وجل ردا على مشركي العرب وغيرهم من عبدة الاصنام
وغيرهم وردا لقولهم لاجله تعليلا لما قبله من مراد الله فانه لا يتصور
نسبته لما ذكر له صلى الله عليه وسلم في قولهم انما نعبدهم اي
الاوثان ليقربونا الى الله زلفى اي قربى من زلفى بمعنى قرب فهو موكد
لما قبله وتفصيله في التفاسير وفي الشروح الكبيرة ان الاجوبة المذكورة

كلها بعيدة وان الداعي لهذا التاويل في الاية ما ذكر فقصور النظر عن علو
مقامه صلى الله عليه وسلم واتصاله بالملا الاعلى في كل حين واجتماعه بارواح
الانبيا واطال في ذلك بنقل كلام سادتنا الصوفية وهو تقريب مما ذكره
المصنف في سواله في قصة الاسرا ولولا خشية الاطالة بلا طائل
نقلنا كلامه هنا وكذلك اي مثل ما ذكر من الايات التي تنسب له صلى الله عليه
وسلم الشك فيها والمراد غيره بلا شك قوله تعالى الذين اتيناهم الكتاب
يعلمون انه اي القران منزل من ربك بالحق اي ملتبسا به ونسب العلم لجميعهم
لعلم احبارهم به وتمكنهم بما فيهم من ذلك بادنى تامل فلا تكونن من الممترين اي لا يكن
عندك شك فالمراد ظاهرا نهيه عن الشك والمراد نهي غيره كقوله تعالى
يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني ووجه اخر اشار اليه بقوله اي في
علمهم بانك رسول الله وانهم لم يقروا بذلك اي بحقيقة ما نزل عليك وانك
رسول الله حسدا منهم بعد ما تبين لهم الحق وليس المراد به
اي بقوله فلا تكونن من الممترين شك فيما ذكر في اول الاية يعني قوله
فان كنت في شك كما يتوهم من ظاهر الاية بل المراد ما قدمنا ذلك وقد يكون ايضا
هذه الاية واردة على مثل ما تقدم اي على طريقته في التاويل السابق بان
يكون الخطاب له صلى الله عليه وسلم والمقصود غيره على نهج غيره على نهج
الكناية التعريضية التلويحية اي قل يا محمد لمن امترى وشك في ذلك
اي في حقيقة ذلك وانك رسول الله فلا تكونن من الممترين في ان القران نزل عليك
من الله ارسلك به وايدك بمعجزاته فليست الاية على ظاهرها بل مثلها قوله
تعالى في قوله تعالى في اول الانعام التي فيها والذين اتيناهم الكتاب افغير الله
ابتغي حكما الاية اي لا اريد حاكما غير الله يحكم بيني وبينكم بين المحق والمبطل
فهذا صريح في انه صلى الله عليه وسلم بري عن الشك والريب
وان النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب بذلك اي بما يدل على الشك
والامترا غيره من اهل الكتاب او المشركين كما تقدم بيانه وقيل هو
اي ما ذكر مما نسب اليه فيه ما لا يليق وقيل المراد امره صلى الله عليه وسلم
بالسوال في الاية تقرير اي حمل الغير له وغيره على الاقرار بما عنده فيزجره
عنه او يحتج حتى يسجل عليه كقوله أأنت قلت للناس اتخذوني
وامي الهين من دون الله فانها استفهام تقريري حمله على الاعتراف
توبيخا لغيره ممن اسند ذلك لغيره وقد علم الله انه لم يقل
ذلك وقيل معناه اي معنى الامر بالسوال في الاية ما كنت في شك
في حقيقة ما انزلنا اليك فاسال الذين يقرؤون الكتاب متردد بالسوال

طمانينة اطمئنان القلب وعلما الى علمك ونعينا الى يقينك فانه يقبل
الزيادة كما تقدم وقيل معناه زنا وبالغذا ان كنت تشك فيما شرفناك
وفضلناك به لا في امر التوحيد والدين فسئلهم اي اهل الكتاب
عن صفتك في الكتب المنزلة على من قبلك ونشر فضائلك اي مما انتشر
فيها وشاع من فضائلك التي فضلك الله بها على غيرك من الرسل وحكي
عن ابي عبيدة معمر بن المثنى التيمي اهل اللغة توفي سنة عشر او احدى
عشرة ومائتين وقد قارب المائة انه المراد من هذه الاية
ان كنت في شك من غيرك من اعتقاد غيرك فيما انزلنا عليك من الحق
المنقذ من الضلال فاسال الذين يقرؤون الكتاب حتى يخبروك بما عندهم
فان قيل فما معنى قوله عز وجل حتى اذا استياس
الرسل وظنوا انهم قد كذبوا على قراءة التخفيف اي تخفيف الذال والبنا
للمفعول استياس اشتغل من الناس ضد الوجاد واستياس بمعنى يئس
كاستعجب بمعنى عجب الا انه مبالغة في الياس عند الزمخشري لان
زيادة البنا تدل على زيادة المعنى وبهذه القراءة قرا عاصم وحمزة
والكسائي وغيرهم والمعنى وبهذه القراءة قرا عاصم وحمزة
والكسائي وغيرهم والمعنى انهم لشدة مخالفة اممهم لهم يئسوا
منهم وظنوا انما وعدوا به من النصر عليهم كذبا والوعد من الله الذي
لا يخلف الميعاد وهذا منهم يقتضي شكهم فيما جاءهم من الوحي وهم منزهون
عن شكه فهذه شبهة تقتضي خلاف ما قرره اولا وحكي
عائشة معناها ما يحذرون قد مر بوجوه متقاربة منها ما ارسلنا قبلك
الا رجالا تراخى النصر عنهم حتى يئسوا منه وظنوا تخلف ما وعدهم
الله به فاجاب المصنف عنه بقوله قلنا جوابا عن هذه
الشبهة التي هي اقوى مما قبلها لان في تلك نسبة الشك بحرف الشرط
المقتضي لعدم وقوعه وفي هذه نسبة الظن باذا المقتضية
لتحقق المعنى في ذلك اي في نسبة الظن المذكور في الاية
ما قالته عائشة ام المؤمنين معاذ الله منصوب على المصدرية
اي انزه الله وابرئه ان تظن ذلك الرسل بربها اي تظن ان الله
اخلفهم ما وعدهم به وان معنى ذلك اي ما ذكر في الاية
ان الرسل لما استياسوا من اتباعهم بعقوبة قومهم ظنوا ان
من وعدهم النصر من اتباعهم جمع تابع كاصحاب جمع صاحب
كذبوهم بالتخفيف والتشديد اي اخلفوا ما وعدوا رسلهم به

من

من نصرهم على عدوهم فايس باسهم وظنوا التكذيب معنى هذا الياس من
نصر الله والتكذيب كذب وعد الله لهم فلا يرد عليه ما ذكر من الشبهة
وعلى هذا التاويل اكثر المفسرين وفيما نقله المصنف عن عائشة
نظر فان المروي عنها في صحيح البخاري ان عروة ابن الزبير سالها عن هذه
الاية تعالى لها وقد تلا الاية اهي كذبوا ام كذبوا اي بالتشديد او بالتخفيف
فقالت كذبوا اي بالتشديد فقال اي عروة لقد استيقنوا ان ذلك
وظنوا انهم قد كذبوا قالت معاذ الله لم يكن الرسل تظن ذلك بربها
فقال لها فما هذه الاية قالت هم اتباع الرسل الذين امنوا بربهم
عز وجل وصدقوهم وطال عليهم البلاء واستاخر عنهم النصر حتى
استياس من الرسل ممن كذبهم من قومهم فظنت الرسل ان اتباعهم قد
كذبوهم فجاءهم نصر الله عند ذلك قلت لا منافاة بين ما ذكره
المصنف هنا وبين ما في صحيح البخاري اذ مراده انه على قراءة التخفيف
والتشديد المعنى واحد وانكارها قراءة التشديد لانها لم تبلغها لا لان
معناها لا يصح ولانها لا تؤول بما ذكر وقول عائشة معاذ الله ليس لانكار
هذه القراءة بل لما فهمه عروة منها من ان الرسل ظنوا ان نصرهم
ما هم مصدقون عند قومهم ظنوا الرسل وكذبوا مبني للمجهول
وفاعله اتباع الرسل لا الله كما تقدم وقيل الظن هنا بمعنى الوهم
والهاجس وان انفسهم كذبتهم حين حدثتهم بانهم ينصرون وله تفصيل
في الكشاف وشرحه وقيل ان الضمير في ظنوا عائد على الاتباع
والامم اي امم الدعوة لا امم الاجابة المؤمنين برسلهم لا على الانبياء
والرسل فظن بعضهم انهم ممن لم يؤمن بهم ان الرسل كذبوا فيما وعدوهم
من النصر على اعدائهم والاتباع وان لم يسبق لهم ذكر معلومون من نحو
الكلام لان الرسل لابد لهم من مرسل اليهم مؤمنا كان او كافرا ففي مرجع
الضميرين اختلاف بين المفسرين على ما ذكر ويكون ان يراد امة الاجابة
مطلقا وهذا الظن يقع مثله وان كان لا منكرا من المؤمن مثله
وهو اي هذا التفسير المذكور قول ابن عباس والنخعي وابن جبير
وجماعة من العلما اي علماء التفسير من السلف وبهذا المعنى
اي بسبب هذا المعنى الذي جعل فيه ضمير ظنوا للامم قرا مجاهد
اي اختار ورجح قراءة كذبوا بالفتح اي للكاف والتخفيف مبنيا للفاعل
اي ظنوا ان رسلهم كذبوا فيما وعدوهم به من النصرة على اعدائهم فان
القراءة سنة متبعة لا تكون بالراي وانما جاز ترجيحها على غيرها كاختيار ان

الغر او وجهه كما قيل انه على هذه القراءة ضمير ظنوا للاتباع اي ظن اتباع
الرسل ان الرسل كذبوا فيما وعدوهم به من النصرة على اعدائهم فلا ينافي هذا
عصمة الرسل لان صدور مثل هذا الظن عن غيرهم جائز عقلا ويجوز على
قراءة التخفيف والبنا للمجهول ايضا ان يعود ضميرا ايضا الى الاتباع اي
كذبوا المحذوف راجع الى الاتباع وقيل انه تمثيل كيقدم رجلا ويوخر
اخرى فشبه حال الرسل لما ابطا عليهم النصر وصاروا في غم وكرب بحال
من وعد بامر يحتاج اليه ولم يعجل له فقط وحدث نفسه بانه اعيده
عرقوبية فيما هو كذلك جاءه الفرج والى ذهب الزمخشري فلا تشغل
بالك الفا فصيحة في جواب شرط مقدر اي اذا عرفت ان ما تقول به
الا انه جار على مقتضى مقام النبوة فلا تجعل فكرك مشغولا بغيره
مما يوهم خلافه والبال بمعنى القلب والفكر وتشغل بفتح اوله وثالثه
هو الفصيح من شاذ التفسير اي غريبه مما لم يشتهر فالشاذ حقيقة
المنفرد فتجوز به عما ذكر وهو بيان لقوله بسواه اي بغيره والضمير
لما ذكر في قول عائشة رضي الله عنها بما لا يليق اي يناسب
وهو بدل من قوله بسواه بمنصب الانبيا اي بمقامهم ومقدارهم
وهذا معناه لغة ويكون بمعنى الحسب واطلاقه على الاعمال السلطانية
مولدة وما موصولة عبارة عن الشك في شانه فكيف بالانبيا اي
فكيف يليق بهم عليهم الصلاة والسلام وكيف يخوض الخطا عن الاستبعاد
نحو كيف تكفرون بالله ويجوز ان يريد بالشاذ ما ذكر في مصطلح الحديث
وهو ما خالف الراوي فيه غيره من الثقات والمراد به ما روي عن عائشة
عن عباس رضي الله عنهما انهم اخلفوا ما وعدهم الله به لانهم بشر وتلا قوله
تعالى وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر
الله وقد ضعف ابن الانباري هذه الرواية عن ابن عباس وقال
الزمخشري ان صح عنه هذا فالمراد بالظن الوسوسة وحديث
النفس على ما عليه البشر لا الظن الراجح فانه لا يليق
بهم ان يظنوا ان الله يخلف وعده وتوقف في صحة هذه الرواية
عنه وتبعه البيضاوي واعترض عليه بانها ثابتة عنه
في صحيح البخاري وقال الخطابي لا شك ان ابن عباس لا يجوز على الرسل
الشك في الوحي فيحمل كلامه على انهم لشدة تاخره وابطائه توهموا ان
انفسهم غلطت في تلقي ما ورد عليهم منه فالمراد بالكذب الغلط كقولهم
كذبتك نفسك وقال القشيري انه هاجس خطر على قلوبهم نفوه

عنها فالمعنى انهم قربوا من الظن وقال الحكيم انهم ظنوا تخلفه لتخلف بعض
شروطه لا انهم اتهموا الوحي ورجح ابن حجر ان الظان اتباعهم وحمل عليه
كلام ابن عباس وهو بعيد جدا وكذلك اي مثل ما ذكر مما ظاهره الشك فيما
جاء من الوحي وهو مما ورد او مثل قوله استياس الرسل الاتي ما ورد
في حديث البدء اي الحديث المتعلق ببدئه وطريقته صلى الله عليه وسلم
في النبوة وهو ما رواه البخاري وغيره وبدء الوحي اي ما وقع له صلى الله
عليه وسلم في ابتدائه من قوله لخديجة ام المؤمنين رضي الله
عنها لما اخبرها برويته جبريل عليه الصلاة والسلام وهو بحرا لقد
خشيت على نفسي اي خفت عليها فانه ظاهره انه شك في انه وحي
اتاه به الملك لان مثله صلى الله عليه وسلم لا يخشى وليس معناه الشك
فيما اتاه الله اي اوحى الله به الشد ولكن لعله خشي ويخاف انه لا يحتمل
قوته اي لا تطيق قواه البشرية مقاومة الملك اي مقابلته وانه لا
يقوم بحمله ومكالمته واعبا الوحي استعارة لانه جمع عبء وهو الحمل
فاستعير لمقاساة مشاقه ففيه استعارة مكنية وتخييلية فينخلع
قلبه وفي نسخة ينطلع قلبه اصل معنى الخلع النزع كما قال تعالى فاخلع
نعليك فاستعير لشدة الخوف كانه نزع قلبه وتزهق نفسه اي تخرج
روحه من فزعه وهذا بنا على ما ورد في الحديث الصحيح انه قال
اي قوله خشيت على نفسي بعد لقائه الملك حين ظهوره له وتبشيره بانه
رسول الله او يكون قال ذلك قبل لقياه الملك وقبل اعلام الله
له بالنبوة اي انه صيره نبيا وفيما خشيه اثنا عشر وجها فقيل
خشي الجنون او انه هاجس ووسوسة او الموت او المرض او دوامه
او العجز عن النظر للملك او القتل او عدم الصبر على اذى قومه او تكذيبهم
الى غير ذلك من الاقوال كما ضعفها الاولان والاول هو الصحيح لما في البخاري
من انه غطه وقال له اقرا ومن قال انه قبله يقول في زمن الارهاص
والمنامات وضعفه الكرماني لاول اللام بمعنى في كما في قولهم كتبته
لست خلون من الشهر ما عوضت بالبنا للمجهول اي اظهر له وراه من
العجايب اي الامور الخارقة للعادة المتعسرة بقوله وسلم عليه
الحجر والشجر اي قال السلام عليك يا رسول الله والمراد كلي او شي معين
منها وقد روي انه الحجر الاسود كما تقدم في المعجزات وهو كان قبل النبوة
وبعد بعثته ايضا وبداءة المنامات الصالحة التي كان يراها صلى
الله عليه وسلم في اول امره ورويا الانبيا قسم من الوحي والبشائر

اي العلامات المبشرة له صلى الله عليه وسلم بالنبوة والمقدمات الدالة
على الشيء قال في الاساس من المجاز تباشير الصبح وهي اوائله كما انها
جمع تبشير مصدر بشر وبدت تباشير الخير وتباشيره التمر اوائله قال
ابن كمال وهذا ابين مما في قول الجوهري التباشير وتباشير الصبح اوائله
وكذا اوائل كل شيء ولا يكون منه فعل من الخلق قلت يعني
انه لا يكون فعله وكلام الزمخشري يدل على خلافه والمخطي ابن اخت
خالته لان الفعل من البشارة وهي الخبر السار لان من الاولية والتقدم
واعلم انه يقال في تباشير بشاير ايضا قال ابو نواس •
اقول وقد تم الحلي بجرسه علينا ولاحت للصباح بشايره •
كما روي في بعض طرق هذا الحديث اي حديث مبدأ الوحي انه ذلك
اي المذكور من التباشير كان في المنام اولا اي في ابتداء البعثة ثم اريه
في اليقظة ضد المنام مثل ذلك اي مثل ما راى في المنام اولا تانيسا
له صلى الله عليه وسلم اي ليحصل له الانس بالملائكة والوحي فيراه
اولا مناما ثم يراه جهرة لئلا يفجأه اي يراه بغتة او ابتداء من غير تدرب
في رؤيته مشاهدة برؤية البصر ومشافهة اي مخاطبة بفهمه
حقيقة فلا يحتمله اي يقدر عليه ويطيقه لاول حاله
بالاضافة للضمير اذ بنا التانيث اي في اول احواله لعدم تدربه
وتانسه بنية فعلة بالكسر لهيئة البناء المراد جسده وما
جبلت عليه البشرية اي الانسان فانه لا يطيقه وبين الملايكه
ابتداء وهذا اشارة الى حديث البخاري من انه صلى الله
عليه وسلم كان في اول امره يجاور في كل سنة شهرا في غار حرا يتعبد
فيه وكان ذلك عادة قريش فاذا انصرف منه طاف بالبيت
ورجع لبيته فكان يرى في منامه ما يراه ثم جاء جبريل الى آخر الحديث
المشهور في اول البخاري والكلام عليه مفصل في شروحه •
وفي الصحيح اي الحديث الصحيح اي البخاري ومسلم عن عائشة
ومن مرسل الصحابة لانها رضي الله عنها لم تكن معه صلى الله عليه
وسلم او هي سمعته منه فهو متصل اول ما بدئ به رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا الا جاءت
كفلق الصبح وهكذا رؤيا الانبياء عليهم الصلاة والسلام فانها
قسم من الوحي ورؤيته الصالحة وهما بمعنى قالت عائشة رضي
الله عنها ثم حبب اليه الخلا بفتح اوله والمد وهو المكان

اد

او بمعنى الخلوة وهو الانعزال عن الناس لفراغ القلب وتوجه الفكر
والرياضة ليفرغ قلبه عما سوى الله ليتمكن الوحي منه اذا اتاه فصادف
قلبا خاليا فتمكنا وقالت الى ان جاءه الحق اي الوحي الذي تحققه
ورآه عيانا وهو في غار حرا الغار هو النقب في الجبل وحرا بكسر
اوله والمد والقصر يذكر ويؤنث بنحوه صرفه وعدم صرفه وبينه
وبين مكة ثلاثة اميال على يسار السائر لمنى والجملة حالية الحديث
بالنصب اي اذكره او اقرأه وعن ابن عباس في حديث مسنده رواه ابن سعد
مكث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة قال
البرهان الحلبي هذا على القول المرجوح انه عاش خمسا وستين سنة
والصحيح انه عاش ثلاثا وستين منها بمكة ثلاث عشرة وبالمدينة عشرة
وقيل انه عاش ستين سنة وقد جمع بين الاقوال الثلاثة انتهى •
يعني انه عد الكسر سنة وبينه نظر وبعث على راس الاربعين يسمع
الصوت اي يسمع صوت ملك يناديه ولا يراه وكان من الانبياء من يسمع
الملك ولا يراه كما حكاه ابن سيد الناس عن ابن عباس ويرى الضوء
اي نور الملك من غير رؤية ذاته لان الملائكة انوار مجردة وسبع
سنين قبل ان يظهر له الملك لا يرى شيئا وثمان سنين يوحى اليه
اي يأتيه الملك ظاهرا له بالوحي من الله وهذا مبني على القول
السابق لا على الثاني كما توهم وقد روى ابن اسحاق عن بعضهم
هذه رواية لم تخرج ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
وذكر جواره بكسر الجيم وضمها اي مجاورته واعتكافه والجوار بمعنى
الاقامة ومعناه الآخر معروف والجوار اعم من الاعتكاف لانه
يختص بالمسجد كما قاله ابن عبد البر بغار حرا اي اقامته به كما تقدم
بيانه قال تأكيد لقال الاول فجاءني يعني الملك وهو جبريل
وانا نائم الظاهر انه نوم حقيقي لما ياتي من قوله فهببت
من نومي ويحتمل ان يريد انه مضطجع على هيئة النائم فقال
اقرأ امر قلت ما اقرأ ما استفهامية او نافية لانه
روي ما انا بقارئ وتفصيله في شروح البخاري وذكر الراوي
نحو حديث عائشة في غطه له بفتح الغين المعجمة وتشديد
الطاء المهملة مصدر بمعنى شده وضمه وخنقه وعصره لتصرفه
عن الدنيا وتيقظه لما يلقيه له واستدل به على تاديب المعلم
وانه قال اقرأ باسم ربك السورة واستدل به على ان البسملة ليست

انه من سورة وفيه نظر وهذه ادل ما ذكر في قوله قال
النبي صلى الله عليه وسلم فانصرف جبريل عني اي فارقني وهببت
بتاءين موحدتين تحت ماض مسند لضمير المتكلم يقال هب
اذا استيقظ من منامه وتحرك من هبت الريح من نومي اي استيقظت
منه وتقدم كلام فيه فكانما صورت سورة اقرا في قلبي اي نقشت
السورة في قلبه صلى الله عليه وسلم لحفظها وفي رواية
كانما كتبت في قلبي وهو كناية عن حفظها وبقائها في قوته الحافظة
بحيث لا ينساها بعده وبالانتباه ان كانت وحيا الا ان
رواية ابن اسحاق هذه تدل على انه من القران ما نزل عليه
مناما وقد تنوع النزول الى اقسام منها ما نزل سفرا وحضرا وليلا
من تعرض الى نزوله يقظة ومناما ولم يتعرض له الشراح هنا ولم
يكن كان ان كانت ناقصة فاسمها ضمير يرجع الى شيء المفهوم من السياق
وخبرها قوله ابغض الي اي اشد بغضا عنده من ان يقال
اني شاعر او مجنون وقيل ان اسمها ضمير شان وابغض
خبرها وهذا بناء على انه يجوز الاخبار عن ضمير الشان بمفرد نحو
ان هي الا حياتنا الدنيا وقيل اسمها ابغض وهو صفة موصوف
مقدر والخبر محذوف ايضا والتقدير لم يكن شيء ابغض الي موجودا
او كان تامة وابغض فاعلها وانما حسن هذا لانه اذا اخبر قريشا
انه جاءه ملك يوحي يتلوه عليهم منهم من يقول انه شاعر ومنهم من يقول
انه مجنون ثم قلت اي قال صلى الله عليه وسلم لما اوحي اليه
وخشي مما مر لا تحدث مضارع مرفوع بتاءين فوقيتين حذفت
احديهما تخفيفا ويجوز بناؤه للمجهول وهو نفي في صورة الخبر
اي لا يخبرهم احد مني وبتحدث عني ابدا وهذه الاشارة الى كونه
شاعرا او مجنونا لاعمدن جواب قسم مقدر اي والله لاعمدن اي
لاقصدن مضارع من العمد بمعنى القصد بكسر الميم وفتحها وماضيه
عمد بفتح الميم على المشهور ونحو كضرب يضرب الى حالق من الجبل بالحاء
المهملة واللام المكسورة والقاف اي مكان مرتفع منه وقيل
انه الجبل المرتفع من قولهم حلق الطائر اذا ارتفع في الجو فلاطرحن
نفسي منه اي لارمين جسدي من اعلى الجبل فلاقتلنها برميها من الجبل
حتى لا يبلغني ما يتحدثون به من اني شاعر او مجنون اذ اللائق ما جرى
لي فبينا انا عامد لذلك اي دفع لي عقب اذ كنت قاصدا الالقا نفسي

من

من اعلى الجبل لاهلكها حتى لا اسمع ما تحدثوا به في حقي وهذا كان هاجسا
خطر على قلبه صلى الله عليه وسلم لشدة حميته وغيرته على عرضه
ولم يكن في ابتداء امره معصوما عن مثله فلا يتوهم انه امر جزم به
وهو ممتنع شرعا اذ سمعت مناديا اي سمعت صوته ونداءه لي ينادي
من السماء اي من جانبها يسمعه ولا يراه كما تقدم وهو يقول يا محمد
انت رسول الله وانا جبريل ارسلني الله اليك لتبليغ وحيه نبيا
لمن ناداه لئلا يظن غيره فرفعت راسي الى جانب السماء لاراه فاذا
اي فاجاني بغتة رؤية جبريل على صورة رجل حال من جبريل اي متمثلا
بصورته دون صورته الحقيقية حتى لا يهوله في ابتداء امره الحديث
اي اذكر الحديث الذي رواه ابن اسحاق الخ ثم انه فسر ما ذكر بقوله
فقد بين الراوي للحديث او النبي صلى الله عليه وسلم في هذا
الحديث ان قوله صلى الله عليه وسلم لما قال بكسر اللام وتخفيف
الميم اي لقوله وقصده مصدر معطوف على قوله وقوله لما قصد
متعلق به وما موصولة والعائد مقدر تقديره لما قصده وما كان له
خشية ان يتحدثوا بانه شاعر اذا التي عليهم ما اوحي اليه او
مجنون اذا اخبر انه يسمع صوتا ويرى في الافق ملكا لتوهمهم ان
كلامهم شعر وما تراى له حتى انما كان قبل لقاء جبريل عليه السلام
اي تبدى وبيته على صورة رجل وقبل اعلام الله له بالنبوة بواسطة
جبريل واخباره له واظهاره اي الله او جبريل عليه الصلاة
والسلام واصطفائه اي الله له بالرسالة اما بعد ذلك فلانه كان ثم
حينئذ لا يخشى احدا ولا يتوهم شيئا يضيق به صدره ومثله اي مثل
حديث ابن اسحاق فيما ذكر حديث عمرو بن شرحبيل الذي رواه
البيهقي وشرحبيل بضم الشين المعجمة وفتح الراء المهملتين وسكون
الحاء وموحدة مكسورة ومثناة تحتية ولام وعمرو تابعي عابد
بن جليل توفي سنة ثلاث وستين ومائة وهو ابو ميسرة الهمداني
ولهم عمرو ابن شرحبيل اخر صحابي وليس مرادا هنا انه صلى الله
عليه وسلم وهو بفتح الهمزة بدل من حديث عمرو قال
لخديجة ام المؤمنين رضي الله عنها اني اذا خلوت وحدي سمعت
ندا يا محمد وقد خشيت والله ان يكون هذا لامر يصيبني
ما لم احط به خبرا فقالت له معاذ الله ما كان الله ليفعل بك ذلك فوالله
انك لتؤدي الامانة وتصل الرحم وتصدق الحديث فتلك لا يخشى

ام انها بنا وفي رواية ابن حماد بن سلمة كما رواه الطبراني وابن منيع
عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لخديجة
اني لاسمع صوتا من جانب السماء وارى ضوءا اي نورا للملك النازل عليه
قبل تمثله له وظهوره عيانا واخشى ان يكون بي جنون بحيل فيما
ذكر وهذا كله قبل ظهوره الا مرئيا وعلى هذا المذكور يتاول لو صح
روايته قوله صلى الله عليه وسلم في بعض الاحاديث
التي وردت بها انه لا ابعد شاعرا او مجنونا تخشى انما سمعه شعر
تلقيه الجن عليه كما كان في الجاهلية لبعض الشعراء من الجن ومثل
هذه الكلمة تقولها العرب اذا تحاشوا دفعا على اطلاق شيء على
المخاطب اي الشاعر امر مستبعد منك وان قاله غيرك فيا تون به
في مكان انت كذا وهو استعمال شايع ثم استعمل في انه ثم معناه الكناية
الذي لا خير فيه لمن لبثه والفاظ وردت عنه صلى الله عليه
وسلم في بعض الاحاديث يفهم منها معاني الشك في صحيح ما رآه
اي فيما اوحي اليه وقلبه صلى الله عليه وسلم لا يلحق به شك
وتردد في شيء منه فهو لا يرتاب في شيء مما ذكر وانه كان كله في ابتدا امره
وقبل لقا الملك له وقبل اعلام الله له انه رسوله وبعد
اطلاعه تلبسه مشاهدة الامر عيانا وبعض هذه الالفاظ الموهمة
لما ذكر لا تصح طرقها بحسب الرواية واما بعد اعلام الله
تعالى له ولقائه الملك فلا يعرض فيه ريب ولا يحوم عليه
شك فيما القي اليه من الوحي فان الانبيا عليهم الصلاة والسلام لا يتوهمون
منهم ذلك وروى ابن اسحاق صاحب السيرة في سيرته عن شيوخه
ممن لقيه واخذ عنه وله شيوخ كثيرون ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يرقى بالنبا المجهول من الرقية المعروفة
بمكة من العين اي صيانة له صلى الله عليه وسلم من اصابة المعين
والعين حق كما ورد في الحديث قال ابن القيم في كتاب الروح تاثير النفس
امر لا ينكر لا سيما عند تجردها عن العلائق البدنية وحسبك تاثيرها بمجرد
عينه البدن كمن نظر الى شخص او الى نعمة فان الهلاك هذا امر مشاهد
الناس على اختلاف الملل والاعصار ويسمونه اصابة العين يضيفون
الاثر الى العين وانما هو للنفس المتكيفة بالكيفية الردية السمية
فتكون تارة بواسطتها وقد يكون بدونها فيوصف له شيء فتتوجه اليه
فتؤثر فيه وان لم تره بعينه وقال النبي صلى الله عليه وسلم

ان

ان يغسل مغابن العاين مما يصيب على من اصابته عينه فيزول
عنه ما يجده والمغابن بغين معجمة وموحدة ونون المواضع القذرة
من البدن كتحت الابط وهو امر طبيعي اقتضته الحكمة فان الارواح
الخبيثة تالف هذه المواضع فتتساعد فاذا اغتسل انطفت
نارها كما نقله صاحب النهاية في حرف العين في حديث العين
حق ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين واذا استغسلتم فاغسلوا
وفي شرح مسلم انهم اخذوا بظاهر الحديث وانكره بعض المبتدعة
واهل الطبايع زعموا انه ينبعث من عينه قوة سمية تؤثر فيما تنظره
وقيل انه ليس بانفصال شيء وقد قيل انه يجب عليه
اذا اغتسل ان يغتسل وان من عرف بذلك يلزمه الامام بسد ذريعته
من بيت المال وقد اوتي برقى معروفة قبل الاصابة وبعدها ومن فسر
العين هنا بما يلم به من العوارض عدل عن الظاهر بغير داع له فبل ان
نزل عليه بالنبا المجهول اي قبل نزول القرآن عليه فلما نزل عليه
القرآن اصابه ما كان يصيبه من العين كما قال تعالى وان يكاد الذين
كفروا ليزلقونك بابصارهم ولم يصبه احد باكثر مما ذكر فقالت
له خديجة بنت خويلد ام المؤمنين رضي الله عنها اوجه اليك اي ارجه
بحذف همزة الاستفهام ومعناه ارسل لك من يرقيك اي يقرا عليك
رقية قال اما الان فلا الان الزمان الحاضر وهو ظرف متعلق بمقدر
اي انه اردت ان ترقيني الان فلا تفعلي ولكن اي لا حاجة لي بالرقي بعد نزول
القرآن فانه شفاء من كل داء وقد وردت في احاديث كثيرة الرقي وجوازها والنهي
عنها وجمع بينهما بان الجائز منها ما كان بلسان عربي ظاهر المعنى كاسما الله و
سورة الفاتحة وورد في الحديث ان جبريل جاءه عليهما الصلاة والسلام
وقد اصابته حمى فقال بسم الله ارقيك من كل شيء يؤذيك من شر كل نفس وعين
حاسد الله يشفيك بسم الله ارقيك والممنوع المنهي عنه ما لم يكن بشيء مما ذكر
واعتقاد تاثيره بنفسه ولذا ورد ما يوهم كراهة الاسترقاء مطلقا كما في ان الرقى
من باب مباشرة الاسباب وتركها توكلا وتسليما لله وهو اليق بمقام النبوة
تركها صلى الله عليه وسلم لذلك وفي ما قرره استوفيت في محله وحديث
خديجة رضي الله عنها الذي رواه ابن اسحاق والبيهقي وابو نعيم في الدلايل
واختبارها بفتح موحدة ومثناة فوقية وموحدة ثم اهمالها ثم راء تجربة
خديجة امر جبريل عليه الصلاة والسلام لما اخبرها النبي صلى الله عليه
وسلم بمجيئه اليه فارادت ان تعرف امره هل هو ملك ام لا بكشفه

راسها الحديث لان الملك لا يدخل بيتا فيه عورة مكشوفة والمراة
الحرة بدنها كله عورة وكانت قالت له صلى الله عليه وسلم
اذا اتاك اخبرني به فلما اتاه واخبرها كشفت راسها فرجع فعلمت
انه ملك لانه لو كان شيطانا دخل البيت وما كان في اقرار النبي صلى الله
عليه وسلم لما تفعله خديجة ما يوهم الشك دفعه بقوله انما ذلك
الاختبار والتردد واقع في حق خديجة لا صادر منه صلى الله عليه وسلم
حتى يتوهم شك في نزول الملك عليه لتتحقق خديجة صحة نبوته
صلى الله عليه وسلم وان الذي ياتيه ملك ويزول الشك عنها
لانه صلى الله عليه وسلم كما توهم لا انها تعدت ذلك الاختبار للنبي
صلى الله عليه وسلم ولا نافية داخلة على الاداة المفتوحة وما وقع في بعض
النسخ من لانها بالتعليل خطا من الناسخ وليختبر اي ليعرفه هو
صلى الله عليه وسلم حال بذلك وهو معطوف على المنفي فهو منفي اي لم
يفعله لازالة شكه ولا لاختباره فالاختبار بكشف راسها وهي كانت
جازمة بنبوته ولكن ارادت كشف الغطا التردد ايقينا فالمراد بالشك مجرد
الاخطار المرجوح لا التساوي الطرفين كما يعرفه من وقف على جلية حالها
بل اضراب انتقالي قوله في حديث عبد الله بن محمد بن يحيى
ابن عروة ابن الزبير المدني وقد قال ابن حبان فيه انه متروك الحديث
يروي الموضوعات وله ترجمة في الميزان عن هشام عن ابيه
هو هشام بن عروة ابن الزبير ابو المنذر وقيل ابو عبد الله القرشي
مولاهم توفي سنة واربعين ومائة وهو امام ثقة اخرج له السنة
وقال ابن القطان انه اختلط في اخر عمره ورده الذهبي كما فصله
في ترجمته عن عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها ان ورقة ابن نوفل
ابن اسد المشهور امر خديجة بنت خويلد بن اسد ام المؤمنين وهو ابن
عمها كانت تاتيه وتذكر له ما كان يراه النبي صلى الله عليه وسلم
في اول بعثته اي تعرض عليه ما كان يراه وانه يقول انه ياتيه
بالوحي ملك فامرها ان يختبر الامر اي امر النبي صلى الله عليه وسلم
بذلك اي بكشف راسها اذا اتاه وعندها فان رجع فهو ملك والا فلا
ففعلت كما امر ويختبر ثلاثي بفتح المثناة الفوقية وسكون الخا
المعجمة وضم البا الموحدة وبالهاء المهملة مضارع خبره اذا امتحنه
وخبره وحاصله انه لم يكن من النبي صلى الله عليه وسلم شك
في امره وانما هو تردد من خديجة في اول امرها كما ذكره في الحديث

الذي

الذي بعده في قوله وفي حديث اسماعيل بن ابي حكيم الذي رواه
ابن اسحاق ايضا وحكيم بفتح الحا المهملة وكسر الكاف ومثناة
تحتية وميم واسماعيل هذا قرشي مدني ثقة كان كاتبا لعمر بن عبد العزيز
في خلافته اخرج له مسلم وغيره من اصحاب السنن وتوفي سنة
ثلاثين ومائة انه حدث اي حدث عن خديجة انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو صلى الله عليه وسلم ابن عمها لاجتماع نسبها في قصي فانه صلى الله
عليه وسلم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف
ابن قصي وهي خديجة بنت خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصي و
ولا حاجة لما قيل انه جار على عادة العرب في تخاطبهم بل لا وجه له
هل تستطيع ان تخبرني بصاحبك يعني الملك الذي ياتيك وهو جبريل
اذا جاءك بالوحي جهرة وانما قالت له هل تستطيع لانها تخشى
انه لا يقدر على اخبار غيره لما يغشاه من دهشة الوحي وشدته
عليه قال نعم اخبرك به فلما جاءه جبريل وهو عندها اخبرها
بمجيئه فقالت له اجلس الى شقي بكسر الشين المعجمة اي
جنبي ملاصقا لي وذكر اسماعيل الحديث الى اخره يعني من انه
جلس وجبريل قائم عليه فكشفت راسها فلم يدخل جبريل عليه
فاخبرها بذلك وفيه قلت ما هذا الا ملك ما هذا بشيطان هذا الملك
يا ابن عم لانه لو كان شيطانا دخل البيت وراسها مكشوفة فاثبت
له اذا جاءك واسمع منه ما اتاك به من الوحي وابشر اي قر عينا وكن
مسرورا بما اكرمك الله به وامنت به صلى الله عليه وسلم وبرسالته
وهي اول من امن به مطلقا ومن النسا رضي الله عنها فهذا اي ما روي
عن خديجة يدل على انها اي خديجة مستثبتة اي طالبة
للثبات باطمئنان القلب وزيادة اليقين بما فعلته من السؤال
والاختبار لنفسها ومستظهرة لايمانها اي طالبة لظهوره فاثبت
به حتى لا يبقى عندها شائبة تردد لا للنبي صلى الله عليه وسلم
لانه لا شبهة عنده ولا تردد اصلا ومما يوهم وقوع ما نزهته
عنه قول معمر ابن راشد اليماني فيما رواه عنه احمد كالبيهقي
في حديث فترة الوحي اي انقطاعه في ابتدا امره مقدار
سنتين ونصف والفترة والفتر سكون بعد حدة ولين بعد شدة
وضعف بعد قوة قال تعالى على فترة من الرسل فالكسر الرافعة
والمراد بما هو يحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم اي عرض له

حزنه وغمه لانقطاع الوحي فيما بلغنا رواية عمن علمه حزنا غدا بغين
معجمة اي ذهب ومشى منه اي بسبب حزنه لذلك مرارا متعددة
كي يتردى اي يلقي نفسه وهي في الاصل تفعل من الردى بمعنى الهلاك
لان من يتعلق بها كذلك غالبا من شواهق الجبال اي من اعالي جبال مكة
وهذا الجواب سؤال تقديره اذا كان الامر كما ذكر انه صلى الله عليه
وسلم لا يعتريه شك فيما يتعلق بالعقايد والنبوة فلم حزنه حتى كاد
يقتل نفسه فيما رواه معمر اجاب عنه بانه لا يقدح اي لا
يطعن فيما قلناه ولا يضره من القدح بمعنى الذم في هذا الاصل
اي القضية الكلية من انه في غاية اليقين لامور الوحي والتوحيد
وليس المراد به ما قاله لخديجة كما قيل ثم بين عدم القدح بوجوه
الاول قوله لقول معمر بفتح الميمين وهو من اتباع التابعين عنه
صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا ولم يسنده اي لم يرفعه الى النبي صلى
الله عليه وسلم فلا يستند له به ولا ذكر رواته جمع راو وهو من رواه
عنه ولا من حدثه به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان ابن سيد
الناس رواه مسندا من طريق الدولابي ولم يذكر فيه معمر ابلاغه رواه
عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت لم يلبث ورقة ان توفي وفتر
الوحي وذكر هذا الحديث ولا ذكر معمر ايضا ان النبي صلى الله عليه
وسلم قاله ولا يعرف مثل ذلك وفي نسخة هذا من احواله
الا من جهة النبي صلى الله عليه وسلم لان مثله لا يقال من قبل الرأي
فهو في حكم المرفوع وان كان منقطعا والجواب الثاني ما اشار اليه بقوله
على انه اي ما ذكر من حزنه الخ وفي نسخة مع انه قد يحمل على انه كان
اول الامر اي اول امره قبل ان يلقاه جبريل ويعلمه بانه رسول
الله وانه اوحى اليه وتمكن من اعباء النبوة وجواب اخر اشار اليه حل
او انه فعل ذلك المذكور لما اخرجه بكسر اللام وتخفيف الميم واخرجه
بحاء مهملة وجيم اي اوقعه في حرج وضيق صدر من تكذيب من بلغه
ما ارسل به اليهم وهو بتشديد اللام ويجوز تخفيفها كما قال تعالى
فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث
اسفا وباخع بمعنى قاتل من بخع الشاة اذا ذبحها والاسف الحزن
على ما فاته وعلى اثارهم اي بعدهم جمع اثر فحزنه صلى الله عليه
وسلم لم يكن لشك اعتراه وانما كان لتكذيبهم له وعدم طاعتهم له
وهو حريص على ان يهديهم الله رحمة منه لما فاتهم من سعادة ه

الدارين وهذا الشفقة عليه تسلية له صلى الله عليه وسلم ويصح هذا
التاويل اي تاويلنا ما رواه معمر وجعله بمعنى الاية المذكورة حديث
رواه شريك والراوي له البزار وهو شريك بن عبد الله النخعي الامام الثقة
وقد وثقه ابن معين وقال غيره لا باس به وقد قيل انه كان سيء الحفظ
توفي سنة سبع وسبعين ومائة وسنه ثمانون وله ترجمة في الميزان ه
عن عبد الله بن محمد بن عقيل ابن ابي طالب بن عبد المطلب توفي بعد
الاربعين ومائة وهو لين الحديث حتى قيل انه لا يحتج بروايته عن جابر بن
عبد الله ان المشركين لما اجتمعوا بدار الندوة بفتح النون وسكون الواو
وسكون الدال المهملة والندوة بمعنى الاجتماع ومنه النادي ودار
الندوة دار كانت بمكة يجتمع فيها قريش للمشاورة والحكومة بناها
قصي بن كلاب فكانت ديوان رؤسائهم للتشاور في شان النبي صلى
الله عليه وسلم وكان ذلك بعد موت خديجة رضي الله عنها وابي طالب
وتدابر صلى الله عليه وسلم بانذارهم وانذرهم مرارا كما هو مشهور مفصل
في السير وحضور ابليس لعنه الله ورايه في هذه القصة مشهورة واتفق
رايهم على ان يقولوا انه ساحر كما مر عن ابي جهل والوليد بن المغيرة اشتد
ذلك اي قولهم هذا واشتد عليه الامر بمعنى صعب وعسر عليه
صلى الله عليه وسلم وتزمل في ثيابه اي تلفف فيها كالنايم وتدثر فيها اي تغطى
بها فوق لباسه الذي على بدنه وتلى جسده ومنه الحديث الانصار
شعار والعرب دثار فاتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال
له جبريل يا ايها المزمل يا ايها المدثر واصله المتزمل والمتدثر
تفعل من زمله اذا لفه ودثره اذا غطاه فابدل وادغم على قاعدة اهل
نقل انه اجتمع في دار الندوة ابو لهب وابو سفيان والوليد بن
المغيرة والنضر ابن الحارث وامية بن خلف والعاص بن وائل ومطعم بن
عدي وقالوا ان الوفود يجتمعون في ايام الحج ويسئلون عن امر محمد صلى الله عليه
وسلم وقد اختلفتم فيه فاجمعوا على راي فيما يقال لهم تعالوا جلهم
يقول انه شاعر فقال الوليد قد سمعت الشعر وكلام محمد لا يشبهه
فقالوا نقول كاهن فقال الكاهن يكذب ويصدق وما كذب
محمد قط فقالوا نقول مجنون فقال المجنون يخنق ولم يخنق ثم انصرف
لبيته فقالوا صبا الوليد فذهب له ابو جهل وقال له انا نجمع
لك شيئا من المال فقال ما لي حاجة اليه ولم اصب وانما فكرت في امره فرايته
يفرق بين المرء وزوجه وبين الوالد وولده وهذا شان الساحر فقولوا

انه ساحر فلما سمع هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم حزن حزنا شديدا
كما ذكره المصنف وغيره من غير تعقب له ولا يخفى انه يخالف الرواية
الصحيحة من ان اجتماعهم بدار الندوة انما كان وقت الهجرة ونزول
يا ايها المزمل ويا ايها المدثر كان في ابتدا نزول الوحي عليه كما في البخاري
وهو يخالف لما هنا فان صحت هذه الرواية تكون نزلت عليه مرتين
ومن العجب ان الشراح لم ينبهوا على هذا مع ظهوره ثم اجاب بجواب
اخر عن هذه الشبهة فقال او خاف صلى الله عليه وسلم من ان الفترة
اي انقطاع الوحي عنه سنة ونصفا او سنتين او سنتين ونصف على
اختلاف فيه كان لامر صدر منه او سبب صدر منه لم يعرفه فخشي ان
يكون انقطاع الوحي عنه عقوبة من ربه لغضبه عليه ففعل ذلك
اي الهم بان يلقي نفسه من اعالي الجبال حتى يهلك بنفسه اي بذاته
وجسمه ولم يرد بعد بالبنا على الضم اي بعد ما وقع له صلى الله عليه
وسلم وهم به شرع مبين بالنهي عن ذلك اي بنهيه عما فعله
وخطر على قلبه فيعترض به بالبنا للمجهول اي بكونه سببا لان يعترض
معترض به عليه وتجد شبهة في فعله ويعترض من موضوع اي بكيفية
يعترض وتجوز نصبته ونحو هذا اي مثل ما صدر عن نبينا صلى الله عليه
وسلم مما يتوهم فيه امر ويحتاج للتاويل او نحو ما روي من حزنه صلى الله
عليه وسلم وارادته لالقا نفسه من الجبل فرار يونس بن متى نبي الله
الله صلى الله عليه وسلم المعلوم وقد تقدم ان يونس بتثليث النون
بهمز ودونه ففيه ست لغات مشهورة خشية بالنصب اي خوفا
من تكذيب قومه له لما بكسر اللام وتخفيف الميم اوعدهم به من العذاب
بيانه لما دعا يونس صلى الله عليه وسلم كما في مرآة الزمان كان يعبد
سليمان نبي الله صلى الله عليه وسلم وقد علم انه ابن متى ومتى اسم ابيه
وقيل اسم امه وهو من ولد بنيامين بن يعقوب عليه الصلاة والسلام
وكان عباد بني اسرائيل نزل شاطي دجلة فبعثه الله نبيا مرسلا لاهل
نينوى من ارض الموصل فلما بلغهم الرسالة لم يجيبوه فانذرهم بعذاب
يصيبهم بعد اربعين يوما فقالوا ان راينا اسباب العذاب امنا بك فلما
مضى من ميعاده خمسة وثلاثون يوما غامت السما غيما اسود يدخن
فلما ايقنوا برزوا بالقرية باهليهم وبهايمهم وفرقوا بين كل ذات ولد
وولدها وضجوا الى الله تعالى فقبل الله توبتهم وقد ساح يونس عليه
الصلاة والسلام في الارض وروي ابن مسعود ان يونس صلى الله عليه

وسلم

وسلم وعد قومه العذاب واخبرهم انه ياتيهم الى ثلاثة ايام ففرقوا
بين كل والدة وولدها وجاروا الى الله فرفع عنهم العذاب بعد
مشاهدة الباس وذلك لم يكن لغيرهم وانتظر يونس العذاب فلم ير
شيا وخاف الكذب فانطلق مغاضبا وركب سفينة فركدت وغيرها
سايرة فقال ما بالها قالوا لا ندري فقال ان عبدا ابق من ربه لا تسير
حتى تلقوه منها فقالوا اما انت فلا نلقيك فقال اقترعوا فمن
وقعت عليه القرعة القي فخرجت القرعة عليه ثلاث مرات فالقي وابتلعه
الحوت وهوى به لقراره فسمع تسبيح الحصى فنادى في الظلمات
يعني ظلمة بطن الحوت والليل وجوف البحر الى اخر ما قصه الله من
امره واختلفوا في مدة مكثه في بطن الحوت فقيل عشرون وقيل
اربعون وقيل ثلاثة ايام وقيل سبعة وقيل يوم وقول الله
تعالى في يونس اي في قصته فظن ان لن نقدر عليه جواب سوال
مقدر تقديره انك قلت انه من الاصول المقررة كما تقدم ان
الانبيا عليهم الصلاة والسلام منزهون من ان يكون عندهم شك
وشبهة في شي مما يتعلق بالعقايد وذات الله وصفاته فكيف
ظن يونس نبي الله عليه الصلاة والسلام ان قدرة الله لا تتعلق
عليه وهو على كل شي قدير فاجاب عنه بقوله معناه ان لن نضيق
عليه فانه يقال قدر وقتر بمعنى ضيق اي ظن انا لا نضيق
عليه وهذا مروي عن جماعة من ايمة التفسير واللغة قال
مكي رحمه الله طمع في رحمة الله وان لا يضيق عليه مسلكه
في خروجه مما هو فيه وقيل انه لا يناسب قوله اني كنت من الظالمين
واجيب بانه باعتبار مقامه فانه امر بالصبر فكان عليه ان
يسلم امره لله عز وجل ولا يذهب مغاضبا لقوله وللانبيا
عليهم الصلاة والسلام مقامات لا تناسب مقام غيرهم فليتنبه
من القدرة لانه غير مناسب هنا وقيل انه تمثيل لحاله بحال
من ظن انه لن نقدر عليه لما استعجل ولم ينتظر امر الله عز وجل
وقيل حسن ظنه بمولاه يعني الله عز وجل انه لا يقضي عليه
العقوبة هذا جواب ثان فهو من التقدير قال الجوهري قدرت
الشي اقدره واقدره من التقدير كهو القضا والحكم اي ظن ان
الله لا يقضي عليه بعقوبة ومجازاته على ذهابه وعدم صبره
وهذا قاله مجاهد وقتادة واختاره الفرا وثعلب

وقيل في تأويله ان معناه يقدر بضم اوله وتشديد ثالثه
ما اصابه من الابتلاء بالابتلاع ويؤيده قراءة وقرئ نقدر عليه
بالتشديد فهذه القراءة تدل على ان المخفف بمعنى المشدد كما قاله
ثعلب وانشد شاهدا عليه قوله ٭

ولا عائدا ذاك الزمان الذي مضى ٭ تباركت ما تقدر يقع ولك الشكر

وفي الآية قراءات لا حاجة لتفصيلها هنا وهذا اقرب من الجواب
الذي قبله فان الفعل فيهما من التقدير لكن الفرق بينهما انه في الاول
عرف ان فعله مستحق للعقوبة ولكن رجا العفو من كرم ربه وفي هذا لم
يكن يخشى عقوبة ويظن ان الله لا يبتليه بما ابتلاه به وقيل
معناه يؤاخذه الله انكاره بغضبه على قومه وذهابه
مغاضبا لهم ولم يصبر منتظرا لامر الله فلن نقدر عليه بمعنى لن يؤاخذه
بغضبه وذهابه فاطلق السبب على المسبب فليس فيه ظن لعدم
قدرة الله عليه وليس هذا راجعا الى معنى القضاء عليه لان المؤاخذة
بالقضاء والحكم السابق كما قيل وقال ابن زيد هو كلام ما تقدم
عبد الرحمن بن زيد بن اسلم وقد تقدمت ترجمته وقال في بعض
النسخ ابو زيد وفي بعضها ابن دريد من تحريف النساخ والصحيح
الاول كما في المقتفى للبرهان الحلبي معناه أنظن ان لن نقدر عليه
على انه بحذف الاستفهام وقد ورد حذفه كثيرا كقوله ٭ ٭

ثم قالوا تحبها قلت بهرا ٭ عدد الرمل والحصى والتراب

اي اتحبها وهو مفصل في كتب النحو والاستفهام انكاري اي لم يظن عدم
قدرتنا عليه اي لم يظنه ولم يخطر بباله كما اشار اليه بقوله
ولا يليق اي لا يناسب عقلا وشرعا ان يظن بالبناء للمجهول اي
يظن احد بنبي انه يجهل صفة من صفاته وهي هنا قدرته تعالى
وتعلقها بكل شيء وفي نسخة ان يجهل وكذلك اي مثل ما تقدم في انه
مصروف عن ظاهره قوله اذ ذهب مغاضبا الصحيح في معناه
انه اراد مغاضبا لقومه لكفرهم اي لقاتهم على كفرهم بعد ما عمهم بضرائهم
زعما لهم لظنه انه ما بغى شرعا حيث لم يفعله الا غضبا لله وانفة
لدينه وبغضا للكفر واهله وان ينتظر الاذن من الله كما قاله الزمخشري
وهو اي التفسير المذكور قول ابن عباس والضحاك وغيرهما من السلف
لا مغاضبا لربه اذ لا يليق ذلك بمقام النبوة اذ مغاضبة الله
تعالى معناها معاداة له وهو تفسير باللازم لان العداوة يقتضي

عدم

عدم الرضا ومعاداة الله تعالى كفر لا يليق بالمؤمنين فكيف يليق بالانبيا
عليهم الصلاة والسلام وكيف استغنم ثم تجوزنا عن الاستبعاد لما بعده
والمغاضبة مفاعلة اريد بها اصل الفعل او هي على ظاهرها لانها بمعنى
العداوة وهي من الجانبين لانه عاداهم لله وعادوه لجهلهم فلا حاجة لصرفه
عن ظاهره وقيل ذهابه في صورة الغضب لانه كان مستحيا اسم
فاعل بالياء اي حياء من قومه ان يسموه بدل من قومه بدل اشتمال اي ثم
يصفوه بالكذب لانه وعدهم بعذاب يحل بهم لما خالفوه وعين له
مدة كما تقدم وهو من السمة بمعنى العلامة كالحلي ونحوه فاستعير
للصفة لانها تميزه كالعلامة اي كراهة ان يصفوه به اذ كان اجلهم
اربعين ليلة فقالوا اذا رايناكما يلي امنا فلما راوا ذلك امنوا فكشف
عنهم العذاب كما قصه الله بقوله الا قوم يونس لما امنوا الاية
وقيل او يقتلوه اي وخوفا من ان يقتلوه فهو كقوله فيقتلوه
سبقا دركا كما روي في الخبر المذكور في قصص الانبيا عليهم الصلاة
والسلام وقد تقدم بعض منه وليس هذا راجعا الى القول
بانه غضب من ربه كما حكاه ابن عطية فتوهمه لا وجه له وفي مرآة الزمان
ان يونس عليه الصلاة والسلام لما ساح فراى راعيا في فلاة فسقاه
لبنا وهو مستند الى صخرة فاعلمه انه يونس وامره ان يقرا على قومه
السلام فقال يا نبي الله لا استطيع لانه من كذب منا قتل قال
فان كذبوك فالشاة التي سقيتني من لبنها وعصاك والصخرة يشهدون
لك فاتاهم الراعي واخبرهم فانكروا فانطقت الشاة والصخرة والعصا
وشهدت له فقالوا الآن انت خيرنا اذا رايت يونس وملكوه عليهم
اربعين سنة وقيل انه ذهب مغاضبا لبعض الملوك في زمنه
فيما امره اي بسبب امر امره به من التوجه بيانا لما امر الله تعالى
به على لسان نبي اخر اي بغزو سلطة يليق له وصير امره للملك
فقال له اي قال يونس للملك غيري اقوى عليه مني اعتذارا له لخشيته
من التقصير فيه فعزم عليه اي صمم انه عليه انه يفعل ما امره به ولم يقبل
عذره فخرج لذلك اي لما صمم الملك معه مغاضبا له اي للملك لا لربه
كما توهم وهذا اشارة لما في بعض التفاسير كما حكاه الاخفش من ان يونس
خرج مغاضبا للملك لا لقومه ولا النبي المذكور كما روي عن ابن عباس ان شعيبا
والملك اسمه حزقيل فاوحى الله الى شعيب ان قل لحزقيل ان يبعث
نبيا من انبيا بني اسرائيل الى اهل نينوى يامرهم بتخلية بني اسرائيل فاني

ملق على قلوب جبابرتهم وملوكهم فقالوا ليونس اخرج اليهم فقال يونس هل
امرك الله باخراجي لخصم وسماني فقال لا فقال ها هنا انبيا اقويا فالح عليه
فخرج مغاضبا الى آخر ما قصه الله فقد روي عن ابن عباس ان ارسال
يونس عليه الصلاة والسلام ونبوته اي بعثته نبيا مرسلا الى اهل نينوى
من ارض الموصل انما كان بعد ان نبذه الحوت ونبذه بلفظ الماضي ه
المعلوم وفي نسخة بعد نبذه باضافة المصدر لمفعوله اي قذفه من بطنه
والمراد مطلق الالقاء كما قال الراغب النبذ القاء الشي وطرحه لقلة
الاعتداد به ولذا يقال نبذه نبذ النعل الخلق وقال تعالى فنبذوه ورا
ظهورهم انتهى وفيه نظر لانه لا يناسب قوله فنبذناه بالعرا فتامل
واستدل لما قاله ابن عباس رضي الله عنهما بقوله تعالى فنبذناه
بالعرا وهو سقيم العرا بالفتح والمد المكان المتسع الخالي من البناء والشجر
فهو كانه عار وكان الحوت يسير مع السفينة رافعا راسه ليتنفس واختلف
في مدة لبثه في بطنه كما مر وقوله وهو سقيم اي ضعيف كالطفل حين يولد
من حرارة بطن الحوت وانبتنا عليه شجرة من يقطين تفعيل من قطن
من حرارة بطن الحوت وانبتنا عليه شجرة من يقطين تفعيل من قطن اذا
تام وهي شجرة بكر وقيل هي القرع وعلى هذا فاطلاق الشجرة عليه
مجاز لانها لا ساق لها والمشهور انها هي لما روي انه صلى الله عليه وسلم
كان تعجبه ويقول هي شجرة اخي يونس وانبتت عليه لتظله وياكل منها
وقيل لانها لا يقع عليها الذباب وارسلناه الاية ووجه الاستدلال
انه ذكر الارسال بعد اخراجه من بطن الحوت والواو وان لم تفد الترتيب
على الصحيح لكن الترتيب الذكري تقتضيه لان غيره يخالف الظاهر
من غير قرينة وقوله او يزيدون او بمعنى الواو او المراد وصفهم بالكثرة اذ تردد
من راهم وقد اجيب عما استدل به ابن عباس رضي الله عنهما
بانه ارسال لغوي اي ارجعه الى من ارسل اليه اولا اذ هو ارسال لغيرهم الى غير
غير ذلك مما ذكره المفسرون واستدل ايضا اي لقول ابن عباس كما ه
استدل بما قبله بقوله ولا تكن الخطاب له صلى الله عليه وسلم كصاحب
الحوت اذ ضجر ولم يصبر كما صبرنا ذاك الله ما صبرك وذكر القصة يعني قوله
اذ نادى وهو مكظوم الخ فاجتباه ربه فجعله من الصالحين
وها هنا على انه يعني اجتباه اصطفاه واختاره لرسالته وهذا مبني
فقوله فتكون هذه القصة قبل نبوته كارساله كقوله غير مسلم ه
لما تقدم وانما قال هذا ابن عباس لانه قبل النبوة يجوز صدورها كما ذكره

عنه

عنه لانه لم يوح اليه بما يزيل الشك عنه ثم اورد سؤالا على الاصل الذي قرره
من براة الانبيا عليهم الصلاة والسلام مما يعرض لغيرهم من الشك ونحوه
فقال فان قيل فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم في حديث
رواه مسلم عن الاغر المزني انه اي الامر والشان ليغان على قلبي اي ليغشى
بالغين المعجمة وبالنون اي الستر والتغطية وهو قريب من الغيم ويكون بمعناه
اي يرد على قلبي امور تشغله ويقال غين على قلبه اذا عرض له وسوسة
ونحوها فلا يتوهم من ظاهر الحديث انه قد يعرض له صلى الله عليه وسلم
شك في بعض سورته فهو سوال بانه يخالف لما قرره لانه قال واني لاستغفر
الله في كل يوم مائة مرة وفي طريق اي في رواية له في اليوم اكثر
من سبعين مرة يقتضي انه خواطر غير مرضية محتاجة للمغفرة دفعه
وقال اذا سمعت هذا وعرفت ما يوهمه فاحذر ان يقع او يقع ببالك
اي يخطر على قلبك وفكرك وذكر البال هنا فيه لطف فما ذكره ان
هذا الغين الوارد في هذا الحديث وسوسة او ريبا اي شكا في شي من امور
المتعلقة بالوحي وقع في قلبه صلى الله عليه وسلم في شي من امور الدين ثم
وصحه بعد بيان معناه حقيقة فقال بل اصل الغين اي اصل معناه وما
وضع له لغة في هذا الكلام ما يتغشى القلب ويغطيه عطف تفسير
وهو استعارة لما يشغله قاله الامام ابو عبيدة وفي نسخة ابو عبيد
القاسم ابن سلام كما تقدم واصله اي ما وضع له اولا ماخوذ من الغين
وهو اطباق الغيم عليها اي على السما والاطباق تغطيتها جميع نواحيها وقريب
منه ما قيل انه الغيم المطبق يحتمل ان النون بدل فيه من الميم وقال
غيره اي غير ابي عبيدة الغين شي يغشى بفتح اليا والشين المخففة او
بضمها وكسر الشين المشددة ولا يغطيه كل التغطية اي لا يغطيه كله
كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهوى اي في الجو فلا يمنع ضو الشمس لرقته
وكذلك اي مثل ما ذكر من انه لا يفهم منه انه وسوسة لا يفهم من الحديث
انه يغان على قلبه مائة مرة او اكثر من سبعين مرة في اليوم ثم بينه بقوله
اذ ليس يقتضيه لفظه الذي ذكرناه لا يدل عليه دلالة متعينة ه
وهو اكثر الروايات اشارة الى ان فيه روايات اخر وانما هذا
المذكور في الحديث عدد الاستغفار لا الغين فانه ذا التعدد
الاستغفار المترتب على الغين بالفا وان احتمل ان يكون كل استغفار لغين
فيكون المراد العدد واما الروايات فلا تنافي بينهما لانه اما باعتبار الاحوال
او الاكثر من سبعين هو المائة نفسها فيكون المراد بهذا الغين اشارة

الى غفلات قلبه وفترات نفسه اي فتورها كسلا وسهوها اي زوال
صورتها عن الفكر وبين ما غفل عنه في فترته وسها بقوله من مداومة
الذكر اي ذكره صلى الله عليه وسلم بلسانه وقلبه ومشاهدة الحق
اذ اريد به الله تعالى فالمراد مشاهدته في مرايا مصنوعاته حتى كانه يراه
بعين عيانه وان اريد به ما هو حق ثابت متيقن من العلوم الحقة والامور
اليقينية اللدنية فالامر واضح ولما كان هذا يوهم امرا لا يناسب
مقامه صلى الله عليه وسلم حقق وبين انه لا ينبغي ذكره فانه يقتضي
تفضيل الملائكة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام لانهم لا يفترون
عن العبادة والتسبيح طرفة عين اشارة الى دفعه بما لم يتنبه له
المعترض فقال بما كان اي بسبب ما كان صلى الله عليه وسلم دفع له
بالدال المهملة المضمومة مبني للمجهول اي فوض اليه واعطيه
قال الراغب الدفع اذا عدي بالى معناه الانالة كقوله تعالى فادفعوا
اليهم اموالهم واذا عدي بعن فمعناه الحماية نحو ان الله يدافع عن الذين
امنوا من مقاساة البشر المقاساة والمكابدة مباشرة ما فيه
مشقة من امور غيره وسياسة الامة السياسة هي الحكم والتدبير
لامر غيره من ساسه يسوسه اذا قام عليه لاصلاح اموره وهو لفظه
عربي لا معرب كما توهم وهي حكم مخصوص بما يكون بطريق القهر والضبط
ومقاناة الاهل اي الاعتنا بامرهم والتعبد بانيه معاشهم ومقاومة
اي القيام بالامر الذي يتعلق بالوالي وهو من يواليه ويتبعه والعدو
وهو من يظهر عداوته ومقاومته مقابلته بالغلبة والقهر كما كان يفعله
صلى الله عليه وسلم في غزواته وتدبير جيوشه ومصلحة النفس
اي مصلحة نفسه في امور معاشه وكلفه بالبناء للمجهول معطوف على دفع
اعباء الرسالة جمع عبء بهمزة في اخره وهو كالحمل لفظا ومعنى
بكسر اوله وهو ما يكون له ثقل وعوده الخلق وحمل بفتح اوله
الامانة اي ما استودعه الله من اسراره واعطا كل ذي حق
حقه ولعل المراد بها طاعة الله التي اوجبها عليه كما تقدم وهو
صلى الله عليه وسلم في كل هذا اي ما دفع اليه وكلفه مما ذكر من
المقاساة وما بعدها في طاعة ربه وعبادة خالقه دفع لما يتوهم من
انه كان الاليق به صلى الله عليه وسلم ان لا يشغله شيء عن ذكر ربه
ومشاهدته بانه لم يشغله به لحظوظ نفسانية ولا لامور باينة
وانما اشتغاله بذلك فما انقطع عنه الا بخدمته التي امره الله عز

وجل بها كما قيل

أريد صلاحه ويريد هجري ... فأترك ما أريد لما يريد

ولما رد عليه ان هذا ان كان طاعة وعبادة فلم استغفر منه والاستغفار
انما يكون من الذنب وجهه على طريق الاستدراك بقوله ولكن لما كان
صلى الله عليه وسلم ارفع الخلق عند الله مكانة اي لديه رتبة عند الله
ومنزلة عالية على كل مخلوق والمكانة بالنا تختص بالمحل المعنوي كالمنزلة
واعلاهم درجة الدرجة ما في جانب العلو ضد الدرك ومكانه ودرجة
غيره واتمهم اي اكملهم به اي بالله معرفة فهو اعرف بالله مما سواه
واخر هذا لانه مترتب على ما قبله في المعقول والمحسوس وكانت
حاله الحال مؤنثة اي امره وشانه عند خلوص قلبه لله بحيث لا يمر به
سواه وخلو همه اي جعل همته وعزمه وفكره خالية عن غير الله تعالى
وتفرده بربه اي جعل امره منفردا بالتوجه لجنابه الاعلى فيكون قلبه
معه وحده في خلوته فان ذكر الله جليسه الرحمن كما ورد عنه واقباله
بكليته اي بذاته كلها قلبا وقالبا ومقامه هنالك اي ايقامه مع
الله في حظيرة قدس قربه واشار بالبعد لعلو مقامه ثم ارفع اي اعلى
حاليه اي حال اشتغاله بالظاهر وحالة كونه مع الله عالم السر وكل
منهما رفيعة ولكن هذه ارفع راى صلى الله عليه وسلم اي علم او شاهد
حال فترته عنها اي عن ارفع حاليه وشغله بسواها اي اشتغاله بغيرها
غضا عن علي حاله وهو مفعول ثان لراى او حال وغض الطرف ارخاؤه
واطراقه ويكون بمعنى النقصان كما يقال غض صوته قاله الراغب وهو المراد
هنا وكني به عن الترك عما ذكره وخفضا اي حطا وتنزيلا من رفيع مقامه
وهذا بالنسبة للحالة الاخرى وانه لم يكن كذلك في نفسه فاستغفر الله
تعالى اي طلب مغفرته وعفوه ومسامحته من ذلك لعده بالنسبة
لمقامه الاعلى كالذنب كما قال البحتري

اذا محاسني اللاتي ادل بها ... كانت ذنوبي فقل لي كيف اعتذر

ولذا ورد انه صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من مجلسه قال
استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه ثلاثا وروي انه
كان يقول رب اغفر لي وتب علي انك انت التواب الرحيم مائة مرة وهذا
التفسير اولى وجوه الحديث الذي ذكره في توجيهه واشهرها والى
معنى ما اشرنا اليه مال كثير من الناس وحام حوله اي دار باطرافه وقرب
منه كقوله صلى الله عليه وسلم من حام حول الحمى واصله رفرفة الطائر

على المارانة النزول عليه وقارب اي حاول القرب والوصول
اليه ولم يرد اي لم يصل اليه استعارة من ورود الماء اذا اتاه ليستقي
منه وفيه اشارة الى ان ذلك فيه شفاء الغليل وثلج الصدر وان
النفس تتطلع اليه وفيه من البلاغة ما لا يخفى وتعمقنا غامض
معناه اي ادناه لمن قاربه فقيه لطيف لا يخفى اي خفيه الذي لم
يتضح واصله المكان المنخفض فكني به عما ذكر ثم صار حقيقة فيه
وكشفنا للمستفيد اي طالب الفائدة العلمية من تجاربه
الواجد محياه بالضم والتشديد بمعنى الوجه وفيه تكنية وتخييلية
بتشبيهه بجسم له تجرد والكشف للحديث هنا لرفع عينه واظهار
محياه لعينيه وهو اي هذا التفسير مبني اي متفرع على جواز
الفترات والغفلات والسهو على سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام
في غير طريق البلاغ اي ما امر بتبليغه لامته من الشرائع واما طريقه
البلاغ فلا يجوز فيه ذلك كما فاتذكر على ما سيأتي في هذا الكتاب
وفي كلامه نظر لا يخفى فانه جعل الغفلة والفترة والسهو عبارة عن
اشتغاله بامر امته واهله فلا غفلة ولا فترة ولا سهو حقيقة فكيف
بناه على غير اساسه وهذا عند ... الغفلة فيما قاله فتامله فانه غريب
ومن هنا علم سر دعاء الملائكة لبني آدم بالمغفرة
وتفسير صلاتهم بها ومعنى قوله تعالى ويستغفرون للذين
آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما ومن تدبر هذه الآية بما ذكر
وذهبت طائفة اي اخيار وجماعة هنا وهم الكمل كما قاله
وللناس فيما يعشقون مذاهب
من ارباب القلوب اي اولياء الله الذين نور الله قلوبهم وطهرها
حتى صاروا من ارباب الكشف ومشيخة بفتح الميم وسكون الشين
وتجوز كسرها جمع شيخ وهو من شاع فيمن كبر قدره في العلم
والصلاح المتصوفة اي ارباب التصوف وهو علم السلوك وهو لفظ
اطلق على هؤلاء بعد العصر الاول لتقشفهم ولبسهم الصوف ولصفا
قلوبهم او نسبة لاهل الصفة كما بيناه في كتاب شفاء الغليل
ممن قال بتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا
اي ما ذكر من الغفلة وما بعدها جملة اي كلا ومجموعة واجله اي
عظمه صلى الله عليه وسلم تنزيها عن مثله عن ان يجوز بالبنا
للمجهول بضم اوله وتشديد واوه المفتوحة اي يراه جائزا اطلاقه

غلبه

غلبه في حال من احواله سهوا او فترة السهو الذهول عن شيء بسبب
له سريعا وقيل انه في الشيء تركه من غير علم وعن الشيء تركه مع علم
ومنهم الذين هم عن صلاتهم ساهون والفترة السكون بكسل ونحوه كما
تقدم الى ان معنى هذا الحديث واليه متعلقة بذهبت خاطره بفتح
اوله وكسرها بدون اهمه اذا اقلقه واحزنه وخاطره بالنصب مفعوله اي
علقه ونكره وجعل فكره ذا هم مجاز كقوله ويغم فكره اي يجعله ذا غم
ذا هم والغم الحزن وقد يفرق بينهما من امر امته صلى الله عليه وسلم
لاهتمامه بهم وكثرة شفقته عليهم وحنوه ورحمته لهم فيستغفر
لهم اي يدعو لهم بالمغفرة لما صدر منهم او لما سيصدر فالغين خواطره
فيما يتعلق بهم واستغفاره صلى الله عليه وسلم انما هو لهم فلا اشكال في
الحديث اصلا قالوا اي المشايخ المنزهون له صلى الله عليه وسلم عما
ذكر وقد يكون الغين هاهنا اي في هذا الحديث هو السكينة
اي الوقار والتأني والطمأنينة في الامور التي تغشاه اي تعرض له
لقوله تعالى فانزل الله سكينته عليه اي طمأنينته وحمله وقاره
لفي الضمير في عليه قولان احدهما على النبي صلى الله عليه وسلم والثاني
على ابي بكر قال ابن العربي قال علماؤنا وهو الاقوى لانه خاف على النبي
صلى الله عليه وسلم فانزل الله سكينته عليه بما بين النبي صلى الله عليه
وسلم ليسكن تسكن خاشه وذهب روعه وحصل الامن والسكينة
لها معان منها الوقار والسكون والرحمة وقيل انها فعيلة بمعنى ذات
لطيفة هوائية لها وجه كوجه الانسان او على صورة هرة مع بني
اسرائيل اذا ظهرت انهزم عدوهم وقيل بمعنى النجاة كذا في الشرح
الجديد وقال الراغب في قوله وانزل السكينة في قلوب المؤمنين
قيل هي ملك يسكن قلب المؤمن ويؤمنه ومنه ان السكينة تنطق على
لسان عمر وقيل هو العقل وقيل له سكينة اذا اسكن عن الميل
والشهوة والسكينة والدعة وعليه قوله تعالى ان يأتيكم
التابوت فيه سكينة من ربكم وما ذكر من انها شيء له رأس كرأس الهرة
لم يصح ويكون استغفاره صلى الله عليه وسلم عندها على هذا
اظهارا للعبودية والافتقار الى ربه عز وجل وهو ليس بدون
الخضوع والخشوع وقال ابن عطا تقدمت ترجمته استغفاره
وفعله هذا اي الواقع في هذا الحديث تعريف للامة اي تعليم لهم
يحملهم على الاستغفار اي طلب مغفرة ربهم فكذلك غيره اي غيره

ابن عطاء ويستغفرون اي يرجون ويعتذرون من تخويف رسول الله
صلى الله عليه وسلم لهم وامثاله طلب الشعور بعجزه عما ذكر الحذر
اي الاحتراز من المعاصي والخوف منه كما قال تعالى ويحذركم الله نفسه
وفي نسخة الحصر اي حبس انفسهم على طاعة الله والامتناع من الذنوب
ولا يركنون اي لا يميلون ميلا ما الى الامن من الوقوع في المعاصي
والذنوب منها فان من حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه ويحتمل الحديث
ان يكون هذه الاغانة في قوله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي
حالة خشية واعظام اي تخطر بباله عظمة الله والخشية منه تغشى
قلبه اي تعرض له حالة من تصور ذلك فيستغفر حينئذ اي ما غشيته
هذه الحالة شكر الله تعالى على نعمة جليلة اذ عرفه عظمته وخشيته
وهو اعظم المعلومات فهو نعمة لا يساويها غيرها وملازمة لعبوديته
اي مداومة عليها اذ مقتضاها عده نفسه مقصرة لا تفي باداء خدمته
فلذلك يستغفر كما قال صلى الله عليه وسلم في ملازمة
العبادة كما ورد في حديث انه صلى الله عليه وسلم اكثر من قيام الليل
حتى تورمت قدماه فقال له الصحابة اتفعل هذا يا رسول الله
وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون
عبدا شكورا عطف بالفاء على كلامهم بتقدير انعم علي بمغفرة ما تقدم
وما تاخر ففي مقابلة هذه النعمة اللائق من الشكر واعظمه الاعتقاد
بالجنان والعمل بالاركان ولا عمل له افضل من الصلاة وقد كمل شكره و
بلسانه لما قال هذا فلذا قال عبدا شكورا فاعترف بعبوديته وهي
من اعظم النعم عليه واتى بصيغة المبالغة وفاء السببية وهو
معطوف على كلامهم ويسمى عطف تلقين كما صرح به سيبويه وذكره
في الكشاف وهذا الحديث رواه البخاري وغيره وفي رواية
له افلا احب ان اكون عبدا شكورا فان الشكر يديم النعم او هو معطوف
على مقدر اي اترك التهجد فلا اكون الخ وفيه حث لغيره
ودليل على ان الشكر كما يكون باللسان يكون بالابدان كما قال
تعالى اعملوا آل داود شكرا لكن غيره اذا خشي الملال لا ياتي الا بما
يستطيعه كما ورد في الحديث فلا منافاة بينه وبين قوله عليكم
من الاعمال ما تستطيعون فان الله لا يمل حتى تملوا وعلى هذه
الوجوه الاخيرة فالاولى قوله وقد يكون الغين الخ هنا ذيل
من قوله ذهبت طائفة من ارباب القلوب الخ محل اي تفسير ما ورد

في بعض طرق هذا الحديث من رواية البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه
عنه صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي في اليوم اكثر من سبعين
مرة فاستغفر الله فيفسر الغين بما مر ويجعل الاستغفار له لما مر او
لامته تعليما لهم والعود للاستغفار لا للغين لبعده لفظا ومعنى
وقال الخيضري في خصائصه قال السهروردي لا تعتقد ان هذا
الغين نقص بل هو كمال وتتمة لكماله ومثله بجفن العين يسيل لدفع القذى
عن العين فيمنع من الرؤية فهو نقص بحسب الظاهر وكمال
في الحقيقة وهكذا بصيرة النبي صلى الله عليه وسلم لا غبرة لتاثره
من انفاس الاغيار التي سترحت فيه بصيرته صيانة ووقاية لها وقول
ابن الجوزي هفوات الطباع البشرية لا يخلو احد منها والانبياء عليهم
الصلاة والسلام وان عصموا من الكبائر لم يعصموا من الصغائر مبني
على خلاف المختار وقال ابن بطال الانبياء عليهم الصلاة والسلام اشد الناس
اجتهادا في العبادة فهم دائبون في شكره معترفون بالتقصير عما يجب
له تعالى ويحتمل انه عد اشتغاله بالمباحات كالاكل والشرب والجماع وغيره
من امور الدنيا والنظر في امر العباد وغيره مما يشغله عن ذكر الله ومراقبته
بعده ذنبا بالنسبة لعالي مقامه يمنعه من اتصاله بحضرة القدس
وكونه تعليما لامته مخالف للسياق وكذا ما قيل انه لاطلاعه على ما يحدث
من امته بعده وفي الاحياء انه صلى الله عليه وسلم دائما يترقى
في المقامات فاذا انتقل من مقام الى اعلى منه رآه نقصا فتاب منه
واستغفر وحسنات الابرار سيئات المقربين كما قال الجنيد وتعقب
هذا بانه يدل على وقوع الاستغفار مفرقا بحسب الاحوال والظاهر
الحديث يخالفه كما قال ابن حجر وفيه نظر لانه ليس في الحديث
ما يدل على افتراق واجتماع انتهى وسئل القرافي عن هذا الحديث
فاجاب بامور ثم قال والظاهر ان الجملة الثانية مترتبة على الاولى
وان سبب الاستغفار الغين بدليل ما روي حتى استغفر الله وفاء
استغفر الله ويحتمل ان الجمع بينهما من الراوي فاخبر بحصول
ذلك الغين مع كثرة الاستغفار فاطلق بمن لم يكن كذلك والجملة
حال مقدرة وقال بعض المشايخ من الصوفية الغين في اصطلاح
ارباب السلوك سهو الحق بشهود الاغيار التي هي حجاب عن شهود
الحق وهو منزه عنه فالمراد به اختلاف التجليات كالتجلي الصفاتي
والذاتي وقال الشاذلي اشكل علي هذا الحديث فرايته صلى الله عليه وسلم

في المنام فقال يا مبارك ذاك غين الانوار لا غين الاغيار (في لطايف
المنن لابن عطا الله وحل الرموز للمقدسي من ظنه غين غفلة وحجاب
فقد اخطا وانما كان صلى الله عليه وسلم يستغرق في انوار التجليات
فيغيب في ذلك الحضور فيسأله المغفرة اي ستر هذه الحالة
لانه من الغفر بمعنى الستر لان الخواص لو دام لهم تجلي ما يكاشفون
به تلاشوا عند ظهور سلطان الحقيقة وهذا الستر لهم رحمة
وللعوام عقوبة لانه حجاب يستر عن بصائرهم فانهم مستورون
بما سواه وهو ستر عن انوار الذات المحرقة للسوى كما قال ابن الفارض
رحمه الله تعالى

ولولا احتجابي بالصفات لاحرقت ۞ مظاهر ذاتي من سنا سبحتي

هذا محصل ما قاله اهل الباطن والظاهر في بعده ما في
الحديث من الظواهر والسرائر فاختر لنفسك ما يحلو ثم
انتقل لشبهة اخرى ترد على الاصل الذي قرره فقال
فان قلت فما معنى قوله تعالى لمحمد صلى الله عليه
وسلم ولو شاء الله لجمعهم على الهدى اي جعل الناس كلهم مجتمعين
متفقين على الهدى لهدايتهم للعقايد الحقة واتباع الشريعة اللازمة
فلا يضل احد منهم عن الطريق المستقيم فلا تكونن من الجاهلين
اول الاية فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السما
فتاتيهم باية ولو شاء الله لجمعهم الخ وهو يشفق عليه صلى الله عليه
وسلم لما راى من حرصه على ايمان الناس فنهيه عن الجهل تقدير
الله لما شاء يوهم انه لم يحط بذلك وهو منزه عنه ودفعه بما سياتي
وكذلك قوله تعالى لنوح عليه الصلاة والسلام فلا تسالني
ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين حين ناداه
وقال رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق يعني ما وعده به من نجاة
اهله لما قال له احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك فابنه
من اهله فساله عن سبب عدم نجاته فانكر عليه سوال ذلك
ونسبه لما لا يليق بالانبيا عليهم الصلاة والسلام من الجهل
والى دفع وجهة السوال والشبهة اشار بقوله فاعلم
امرا لعل من يمكن توجيه الخطاب اليه ويسد مسد مفعوله قوله
انه لا يلتفت بالنا للمجهول اي لا يتوجه التفات احد ونظره
في ذلك اي في خطابه تعالى لهما بما ذكر الي قول من قال

من

من المفسرين في ابنه نجينا اي في الاية الاولى التي نزلت في حقه
صلى الله عليه وسلم وقوله فيها فلا تكونن من الجاهلين وان معناها
لا تكونن ممن يجهل ان الله لو جمعهم على الهدى باسناد الجهل بمشيئة
الله اليه ولا تلتفت ايضا لقول من قال في ابن نوح عليه الصلاة
والسلام لا تكونن ممن يجهل ان وعد الله حق لقوله وان وعدك
الحق فانك لا تخلف الميعاد وعلل عدم الالتفات لهذا القول
انه فيه اي في هذا القول وتفسير الايتين بما ذكر اثبات الجهل
بصفة من صفات الله وهي قدرته وعلمه وذلك لا يجوز على الانبيا
صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين لمعرفتهم بالله تعالى وصفاته
والمقصود اي المعنى المراد من هاتين الايتين وعظهم اي ارشادهم
وتنبيههم على ان لا يتشبهوا في امورهم حين الدعوة للخلق لسمات
الجاهلين اي لا يتصفوا ببعض صفاتهم من عدم الصبر والحرص على سرعة
حصول المراد مما هو شان الجهلة كما قال اني اعظك فهو دليل على انه
ارشاد له صلى الله عليه وسلم ان لا يتسم بما ليس من شانه ولا يتخلق بما
يضاهي اخلاق الجهلة لا انه جاهل بذلك وليس في اية منهما اي من
الايات المذكورة دليل على انهم على تلك الصفة اي صفة الجهل
بصفة من صفات الله فانهم اعلم الناس بها التي نهاهم عن الكون
عليها اي الاتصاف بذلك والنهي عن الكون ابلغ من النهي عن الاتصاف
بها كما قرره ابن جني في كتاب المحتسب فكيف يكونون وهم اعلم
الخلق على صفة نهوا عن الكون عليها والاستفهام لاستبعاد ذلك وايه
نوح عليه الصلاة والسلام المذكور فيها قصته وهي قوله اني اعظك ان
تكون من الجاهلين الخ قبلها فلا تسالني ما ليس لك به علم فهو مؤذنة
بان المراد نهيه عن التشبه بالجهلة لنهيه عن السوال عما لا يحتاج اليه
فحمل ما بعدها على ما قبلها اولى من الجري على ظاهرها ونسبة ما لا يليق
بهم اليهم لان مثل هذا السوال عما ليس له به علم من حال ابنه فقد يحتاج
الى اذنه من الله فلا تقدم عليه بدونه وقد تجوز اباحة السوال
فيه ابتدا منه من اذن فيختلف باختلاف الاحوال والمقامات
فنهاه الله عن ان يسال عما طوي عنه اي اخفي عنه علمه به فشبه
الامر المخفي عنه بثوب مطوي ملفوف لا يظهر باطنه وما في داخله
واكنه اي ستره كقوله تعالى قلوبنا في اكنة اي حجاب يمنع الادراك حتى
غيبه اي من الامر المغيب عنه وفي نسخة في غيبه من المسبب

الموجب لهلاك ابنه باغراقه وعدم ادخاله في سفينته بيان لما
طوي عند ذكره لانه لم يكن على دينه لانه كان يبطن الكفر ونوح عليه
الصلاة والسلام لم يعلمه ثم اكمل الله نعمه عليه جمع نعمة
وفي نسخة نعمته بالافراد باعلامه بذلك اي بما سال عنه وانما جعله
من كمال النعمة لانه علم ما لم يعلم وبين له ما نهي عن السؤال عنه
بقوله عز وجل له انه اي ابنه ليس من اهلك لانقطاع الولاية
بكفره وخروجه عن دينه انه عمل غير صالح تعليل للنفي كونه منه
ومعدودا من اهله حكاه اي هذا التفسير حكاه عن السلف
مكي تقدمت ترجمته كذلك اي مثل قصة نوح في انها مخالفة
للظاهر محتاجة للتاويل بانها تشبيه بمن استحق منطقة الجهل
امر فعل بني للمفعول نبينا صلى الله عليه وسلم في الاية الاخرى
السابقة وهي ولو شاء الله الخ بالتزام الصبر متعلق بامر والمراد
بالامر هنا لزوم النهي وامره بالصبر مذكور صريحا في ايات اخر كقوله
فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل على اعراض قومه عن دينه
وعنه ولا يحرج من الحرج وهو ضيق الصدر والقلق عند ذلك
اي عند اعراضهم عنه فيقارب مخالفة حالة الجاهل بشدة التحسر
اي التاسف والندم على عدم اطاعة قومه له حكاه اي ما ذكر من التفسير
ابو بكر ابن فورك تقدمت ترجمته والكلام على اسمه في منع الصرف
وعدمه وقيل معنى الخطاب في قوله فلا تكونن من الجاهلين
لامة محمد لا له صلى الله عليه وسلم فهو تعريض كما تقدم تحقيقه
اي فلا تكونن من الجاهلين اي ممن تصف بصفاتهم وانخرط في
سلكهم حكاه مكي ايضا وقال مكي مثله في القران كثير
فيخاطب النبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته كقوله يا ايها النبي
اذا طلقتم النساء فبهذا التفسير الذي قررناه من تاويل ما يوهم
نسبتهم لما لا يليق بعلي مقامهم وجب وفي نسخة اوجب القول
بعصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام منه لشرفهم وكمال
علمهم ورجحان عقولهم وتنزيه الله لهم عن النقائص بعد النبوة
قطعا لقيام الادلة عليه والحاصل ان معنى الاية الاولى
انه تعالى لما راى اشتداد حرصه صلى الله عليه وسلم على ايمانهم
وشق عليه حتى كاد يهلك نفسه لم يرض هلاكه فقال له ان كان
عظم ذلك عليك فان امكنك ان تغوص في الارض لتطلع منها اية

لهم او تنصب سلما تصعد به الى السماء لتاتيهم باية منها حتى يؤمنوا اي
انك لا تستطيع هذا فما فائدة هذا الحرص ولو اراد الله هدى جميع
الخلق فلا تحرص على ما لم يرده وقيل كانوا يقترحون عليه ايات يودون
لو اجيبوا لها حرصا على ايمانهم فقيل له ان استطعت ان تفعل هذا
لتاتيهم بما اقترحوه فافعل ليؤمنوا وقيل ابتغاء النفق والسلم هو الاية
نفسها فهذه ثلاثة اوجه الاول بيان لشدة حرصه وانه لو قدر على
المحال لفعله والثاني بيان لحرصه على تثبيت مطلوبهم ومقترحهم والثالث
حرصه على الصعود والهبوط اية لهم حتى يؤمنوا به وترك القاضي
الاخيرين لان عادة الله ان من اجيب لما اقترح يعجل هلاكه وهو مناف
لحرصه على ايمانهم وكان المتبادر من الاية ان النفق والسلم غير الاية
مع ما فيه من [illegible] وقصة نوح وهلاك ابنه كنعان بعد
ما سال الله نجاته فقيل له انه سبق القول بهلاكه لكفره والكلام
فيه مفصل في التفاسير فلا نطيل بذكره ثم اورد سؤالا اخر على
ما قرره من الشك في شي مما يتعلق بالعقايد والدين فقال فان قلت
فاذا قررت عصمتهم من هذا اي حفظ الله لهم عما ذكر وانه لا يجوز
عليهم شي من ذلك ولا يصح اعتقاده فيهم فما معنى اذن وتقع
في جواب سؤال مقدر فاصلة بين المضاف والمضاف اليه ملغاة
لعدم شروط عملها وعيد الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم
اي تخويفه بتقدير صدور شي من ذلك منه وتهديده على ذلك ان
فعله ونحوه مما يقتضي جواز شائبة عليه كقوله تعالى لئن
اشركت ليحبطن عملك الاية حبوط العمل بطلانه بالكلية بحيث
لا يثاب عليه ولا ينتفع به عمل من حبطت الدابة اذا وجدت مرعى طيبا
فاكلت منه الا كثيرا حتى انتفخت الدابة او اوجعتها فماتت فالاية
بالشرط واسناد الشرك له صلى الله عليه وسلم بحسب الظاهر يدل
على جواز شائبة عليه وعلى غيره من الانبياء مع انهم منزهون عنه والاطلاق
الاحباط في هذه الاية اما لانه مخصوص لان ذنب العظيم عظيم او هو
مقيد بموته على ذلك كما يعلم من قوله ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت
وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم والجواب علم مما تقدم واللام الاولى
موطئة لقسم مقدر والثانية في جوابه وقوله بحذاء اي وما معنى قوله
تعالى ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك الاية
اي فان فعلت فانك اذا من الظالمين ونهيه عن ان يدعو غير

ربه اي يعبده لان الدعا هنا بمعنى العبادة تقتضي صدوره منه
صلى الله عليه وسلم وتأويله بعلم ما مر وقوله اذا لاذقناك
ضعف الحياة وضعف الممات اي يضاعف له عذاب
الدنيا والاخرة وقوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل
اي لو افترى علينا لاخذنا منه باليمين جواب لو وعطف عليه قوله
ثم لقطعنا منه الوتين والكلام على تبيين وسبب نزولها مبين في التفاسير
والذي يهمنا هنا ما قصده المصنف بايرادها هنا وقوله وان تطع
اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله والمراد بهم الكفرة الجهلة
واطاعتهم بموافقة ما هم عليه ومثله لا يجوز عليه صلى الله عليه
وسلم فكيف اسند اليه فيها وقد مر جوابه وقوله تعالى
فان يشا الله يختم على قلبك وهذا بنا على الظاهر من ان المراد
منعه من قبول الحق كما في قوله ختم الله على قلوبهم لا على تفسير
مجاهد بانه ان يشا يربط على قلبك بالصبر على اذاهم حتى لا يلحقك مشقة
وقوله تعالى وان لم تفعل ما امرت به فما بلغت رسالته اي فكانك
لم تبلغ شيئا منها لتقصيرك فهذا يقتضي جواز تقصيره ظاهرا في
تبليغ جميع ما اوحي اليه فامره بان يبلغه جميعا ولا يخشى مكروها
من احد فان الله عصمه بفضله وجعله في حصن حمايته وكان
عمر اول من اظهر ذلك وقال لا نعبد الله سرا وقوله تعالى يا ايها
النبي اتق الله ولا تخف من احد ولا تطع الكافرين والمنافقين
فيما يؤدي الى التفريط في شي من امور الدين روي انه صلى الله عليه وسلم
لما هاجر الى المدينة كان يحب اسلام اليهود وقد تبعه ناس
على نفاقهم فكان يلين جانبه لهم ويتجاوز عن قبائحهم فنزلت
هذه الاية فيهم وقيل في سبب نزولها غير ذلك كما ذكره الواحدي
وغيره ثم شرع في الجواب عما ذكر في هذه فقال فاعلم وفقنا الله
واياك للوقوف على معاني كلامه فانه لا يكون الا بتوفيق منه تعالى انه
عليه الصلاة والسلام لا يصح عقلا وشرعا ولا يجوز عليه
صلى الله عليه وسلم انه لا يبلغ شيئا مما امره الله بتبليغه كما يوهمه
ظاهر قوله فما بلغت رسالته ولا ان يخالف امره به كما يوهمه
قوله فان لم تفعل ولا ان يشرك به ولا ان يتقول على الله اي يكذب عليه
ويفتري كما مر في قوله ولو تقول علينا الاية ما لا يجب بالحاء المهملة
اي ما لم يرده ولم ياذن له فيه او يفتري عليه اي يكذب عليه

وهو

وهو بمعنى يتقول فالمحادة لانه صريح في المراد وقد يفرق بينهما بان يراد
بالتقول تكلفه فيما يقوله بزيادة او مبالغة فيه وهو المناسب
لعطفه او يضل عن الصواب والطريق المستقيم باطاعة غير الله فهو اشارة الى
قوله تعالى وان تطع اكثر من في الارض يضلوك او يختم الله على قلبه
ويطبع عليه ما يمنعه عن قبول الحق او يطيع الكافرين والمنافقين في
اهوائهم وانفسهم فهو اشارة الى قوله ولا تطع الكافرين والمنافقين
فان الامة اجمعوا عليه على عصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام قبل النبوة
وبعدها عن الكفر غير الخوارج حيث جوزوا عليهم بعض الذنوب وهي كفر
عندهم ولبعض الشيعة القائلين بجواز اظهار الكفر تقية ولا يعتد باقوالهم
الواهية فلذا كان المراد بقوله لئن اشركت تهييج الرسل واقناط الكفرة
على طريق التعريض اي اذا كان هولاء يحبط عملهم به فكيف حال غيرهم وكذا قيل
في نفي الافتراء والتقول عنهم وقوى عليه ما بعده ولكن يسر الله امره اي حاله
صلى الله عليه وسلم وشانه او ما امره به بالمكاشفة متعلق بيسر او بامر
او بهما على التنازع والبيان عطف تفسير لان المراد بالمكاشفة كشفه
له وتبيينه او المراد بالاول ما يكشفه بالالهام وبالثاني ما يوحى به اليه
في البلاغ متعلق بامره وقيل بالمكاشفة للمخالفين متعلق بالبلاغ
اي من خالفه فيما يبلغه لهم عن ربه ويجوز في قوله المكاشفة والبيان ان
يراد به المبارزة والاظهار للبلاغ من غير مبالاة باحد فهو متعلق بامره فان لم
يبارزهم به فكانه لم يفعل ابلاغه بفتح همزة ان وهو معمول للمقدر اي
واعلمه ان تبليغه لما امر به ان لم يكن بهذه السبيل اي على هذه الحالة
والطريقة من تبليغ جميعه واظهاره والصدع به فكانه ما بلغه اصلا لانه
كالعدم كمن ترك ركنا من اركان الصلاة لا يعتد بصلاته وانث اسم الاشارة
لان السبيل تذكر وتؤنث وطيب نفسه طيب النفس جعلها مسرورة
غير مكدرة وهي خائفة من شي وقوى قلبه اي كان قويا متحققا لانه لا يصيبه
مكروه ويقابله ضعفه وهو خوفه مما يتوهمه بقوله والله يعصمك
من الناس اي يحميك ويصونك عنهم حتى لا يقدر احد على شي يضرك وهذه
الاية ان كانت نزلت بعد احد فهي على عمومها وكان قبل نزولها له صلى الله
عليه وسلم يحرسونه فلما نزلت ترك ذلك وان كانت نزلت قبلها
فالمراد عصمته من القتل فلا ينافي ما اصابه باحد من جراحته وكسر
ثنيته لحكمة تطييب القلوب المؤمنين وتكثيرا للثواب فمن ظن من تلا في الحروب
انه لا يصاب فقد ظن عجزا كما قال الله عز وجل لموسى وهارون

حين ارسلهما فرعون وقومه الجبابرة لا تخافا انني معكما اسمع وارى اي حافظا
وناصرا لكما على هؤلاء مع كثرتهم وجبروتهم فبلغا امري واصدعا بالحق
لتستد اي تتقوى وتزيد شدة بصائرهم اي موسى وهارون ومحمد صلى
الله عليه وسلم فيكونوا على بصيرة ويقين في امورهم في الابلاغ
اي تبليغ ما ارسلوا به اليهم واظهار دين الله من غير خوف وليذهب
عنهم بالبناء للمجهول والنصب معطوفا على لتستد خوف العدو او بوعده
تعالى بحفظهم ونصرهم عليهم المضعف للنفس صفة خوف اسم فاعل
بتخفيف العين وتشديدها اي المؤدي لضعف نفس من خاف فهو بنونين
وفا وسين مهملة ويروى للنفس بيا بين تحتيتين وفا ونون والاول
اولى او يتردد درايته لا يتعين الانبيا عليهم الصلاة والسلام بزهم
قوي ابدا وان جاز ضعف انفسهم بمقتضى البشرية ويؤيده لا يعينه
قوله تعالى فاوجس في نفسه خيفة موسى والخوف من المضرات
امر طبيعي عليه البشر مع انهم على يقين من ان الله هو الضار النافع وهو
لا ينافي التسليم والتوكل الا ترى انهم خندقوا في الاحزاب وهاجروا عن
عدوهم ودخلوا الغار وهو بحسب المقامات فلا يرد عليه ان بعض
الاولياء لا يفر من الاسد واما قوله تعالى ولو تقول علينا بعض
الاقاويل الاية تقدم انه ليس فيه شائبة له صلى الله عليه وسلم
وقوله اذا لاذقناك ضعف الحياة فمعناه ان هذا ه
العذاب المضاعف في الدنيا والاخرة جزاء من فعل هذا المقول
والافترا على الله وجزاؤك لو كنت ممن يفعله فاذا هدد به من لا
يبعد عنه فما بالك بغيره وكذلك اي مثل ما ذكر في الايتين قوله
وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله الخطاب له صلى الله عليه وسلم
ظاهرا والمراد غيره بطريق التعريض قرعا للعصاة ايقاظا لهم
وتحريكا لغفلتهم لارتفاع قدره صلى الله عليه وسلم عن ارتكاب مثله
كما صرح تعالى بالمراد اذ قال مخاطبا لهم صريحا ان تطيعوا الذين
كفروا الاية يعني قوله يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين فان
الخطاب للمنافقين اذ قالوا للمؤمنين باحطال الرجف بقتله صلى الله
عليه وسلم ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم فلو كان محمد نبيا ما قتل
وكذلك قوله فان يشا الله يختم على قلبك خوطب به والمراد غيره ه
وكذلك قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك كما تقدم بيانه
وما اشبهه مما خوطب به فالمراد غيره تعريضا وايقاظا وان هذه

الحال المذكورة من الاحباط ونحوه لحال من اشرك بالله لا لحاله والنبي صلى
الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا فلا بد من تاويله بما ذكر واما
قوله تعالى اتق الله ولا تطع الكافرين في اتيهم بما تقدم فليس فيه انه
اطاعهم وانما نزلت لما بايعه بعض اليهود على نفاق منهم فكان صلى الله عليه
وسلم يداريهم رجاء حسن اسلامهم وليس في الاية انه صلى الله عليه وسلم
تعديا نهي عنه ولما استشعر سوالا وهو الاقبال حيث كان الامر كما ذكر فلم
لم ينه عنه اجابه عنه بقوله والله سبحانه يعامل نبيه صلى الله عليه
وسلم بما لا يجوز ان يعامل به غيره ولا يسال عما يفعل فله ان ينهاه عما
شا وان لم يقع صدوره منه ويامره بما شا وان لم يصدر خلافه
له كقوله اتق الله وكما قال تعالى له ولا تطرد الذين يدعون ربهم اي
يعبدونه ويذكرونه الاية اشارة لقوله بالغداة والعشي يريدون
وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون
من الظالمين وما كان صلى الله عليه وسلم طردهم عن مجلسه
ولا كان من الظالمين اي ممن ظلمهم بطردهم لاجل تقريبه لغيرهم واكرامهم وانه
لا يطلع منهم من يبغي خلافه ارضاله وكان المشركون قالوا الا ترضى بمجالسة
مثل هؤلاء يعنون سالما وصهيبا وبلالا لا نرضى ان فاطردهم عنك وطلبوا
ان يكتب لهم بذلك فقاموا وجلسوا ناحية فنزلت الاية فتاب عما قالوه
كما في مسلم وانما هم بذلك رجا لاسلامهم مع ان ذلك لا يضر اصحابه لعلمه
صلى الله عليه وسلم باحوالهم ورضاهم بما يرضاه كما فسره المفسرون
فصل واما عصمتهم اي حفظ الله لانبيائه عليهم الصلاة
والسلام من هذا الفن اي اعتقاد ما لا يليق في التوحيد والعلم بالله
وصفاته وبما ادرج اليه من امور الدين كما تقدم قبل النبوة
اي قبل ان ينبئهم الله وياتيهم الوحي من الله والنبوة والرسالة والفرق
بينهما مشهور وليس هذا محل تفصيله فللناس من علما الاصول
والسلف خلاف جرى بينهم مذكور في كتبهم والصواب اي القول
الموافق للواقع والادلة التي على خلافه خطا من قال انهم معصومون
اي محفوظون مصونون قبل النبوة من الجهل بمعرفة ذات الله تعالى
بوجوده او بحقيته وصفاته فلا يجهلون شيئا منها و معصومون ايضا
من التشكيك في شيء من ذلك وفي نسخة او التشكيك بالعطف باو
الفاصلة اي لا يقع في نفسهم شك في ذات الله ولا في صفة من صفاته
لا نطنهم جبلت على التوحيد والايمان واما قوله تعالى ما كنت تدري

مما الكتاب ولا الايمان فالمراد بالايمان ما لا يعرف الا بالوحي كوجوب الصلاة
ونحوه من فروع الشريعة وقوله من الجهة بيان لما تقصد من العصمة
فلا وجه لما قيل انه اطلق فيما منه العصمة وكان عليه ان يعينه وهذا
اظهر من الشمس لا يخفى على ذي بصيرة وقد تقرر ان العصمة عند المتكلمين
ان لا يخلق الله في الشيء ذنبا وعند الحكماء ملكة تمنع من الفجور حاصلة
من العلم بالقبائح والمحاسن فانه الزاجر عن المعاصي والداعي للطاعة
ويتاكد في الانبيا بالوحي الالهي وقيل العصمة خاصة في النفس او
البدن بها يمتنع عن صدور الذنب وياباه انه لو كان كذلك لما استحق المدح
او الثواب لانها ليست داخلة تحت الاختيار وهم مكلفون بالاتفاق
وفي التحرير لابن الهمام العصمة عدم القدرة على المعصية او خلق
مانع منها غير ملجي وهو مناسب لقول الماتريدية العصمة لا تزيل المحنة
اي الابتلا المقتضي لبقا الاختيار ومعناه كما في الهداية انها لا تجبره
على الطاعة ولا تعجزه عن المعصية بل هي لطف من الله يحمله على فعله
ويزجره عن الشر مع بقا الاختيار تحقيقا للابتلا واعلم
ان العلامة القرافي قال في الاختيار تحقيقا قال في التنقيح شرح
الاربعين الرازية العصمة لغة الامتناع ومنه العصم لبعض الوحش
لبعده عن مظان الاذى وامتناعه ومنه استعصم الرجل امتنع ومنه عصمة
الزوجية وحملة الشرع يطلقون العصمة على معنيين احدهما عدم
المعصية في الجملة ومنه قولهم في الدعا نسالك من العصمة تمامها
والثاني عصمة الانبيا والملائكة عن الكفر ولذلك سايرا لبشر مع انه
الله اثنى على الخلق بدوام الايمان فلابد من تفسير عصمة الانبيا
بغير عدم الكفر ومنع الله منه حتى يصح قولنا لم يعص احد مما نعصمون
وان كنا غير كافرين مساوين للانبيا في ذلك فيميزهم انه هو باعلام الله
لنا انه صانهم في قضائه وقدره عن الكفر وقد لحظ السعادة الابدية
حتما مقضيا فهذا الاعلام الرباني هو عصمة الانبيا والملائكة
وجموع الامة دون كل واحد منهم انتهى وقد تعاضدت اي
تقوت وهو ماخوذ من العضد وهو ما بين المرفق الى الكتف ولكونه
عمل الانسان واعتماده به كني عن قوته كما اشار اليه
الامام الرازي الاخبار والاثار هما بمعنى وقد يفرق بينهما كما تقدم
اي قوى كل منهما الاخر حتى حصلت القوة التامة والمراد بهما ما اشتهر
من احوالهم وصفاتهم الماثورة المعروفة عند كل احد عن الانبيا

عليهم والمرسلين باسرهم وليس المراد انه نقل عنهم بل عرف منهم وفي حقهم فمن قدر
هنا وعن غيرهم لم يصب ستر فيهم اي تبريهم عن هذه النقيصة بقاوه
مهملة اي الصفة المنقصة لمن اتصف بها منذ ولدوا اي من ابتدا زمن ولادتهم
الى اخر عمرهم والكلام على مذ ومنذ معروف في كتب النحو ونشاتهم بالجر
معطوف على تبريهم والنشاة ابتدا خلقتهم لا زمن شبابهم كما توهم على
التوحيد وهو عدم الشرك بالله على التوحيد بالله وبكل ما يجب الايمان به بل
للانتقال على سبيل الترقي على اشراق انوار المعارف جمع معرفة والمراد
معرفة الله تعالى وصفاته وكل ما يتعلق به وسطوع انوارها عليهم شدة
ظهورها في احوالهم واقوالهم ونفحات الطاف السعادة والنفحة الرائحة
التي تفوح والسعادة اي كونهم سعدا الدارين فشبه ما يلوح عليهم من اماراتها
برائحة طيبة تفوح منهم فيعطر الكون وفي الحديث ان لربكم في ايام دهركم
نفحات الا فتعرضوا لها كما نبهنا عليه في الباب الثاني من القسم الاول
من كتابنا هذا فمن اراده فلينظره ثمة ولم ينقل احد من اهل الاخبار
عن احد غيره ان احدا نبي بالبنا للمجهول وهمزة اخره اي صيره الله نبيا
واصطفي اي اصطفاه الله واختاره لذلك وهو مجهول ايضا ممن عرف
بكفر واشراك وهو من عطف الخاص على العام قبل ذلك اي قبل نبوته
واصطفائه ومستنده اسم مفعول اي ما يستند اليه ويعلم به هذا
الباب اي باب معرفة احوال الانبيا عليهم الصلاة والسلام النقل
المنقول عن اهل الاخبار والاثار ويؤيده العقل الدال على انه تعالى لا يختار
من خلقه لنبوته الا من كان كذلك فليس المراد الحصر ولذا عقبه
بما يدل على ان العقل موافق للنقل فقال وقد استدل بعضهم عليه
بدليل عقلي وهو بان القلوب والعقول السليمة تنفر اي تكره نكارة
تفر عمن كانت هذه اي صفة الكفر والشرك سبيله اي طريقته والمراد
عادته وديدنه قيل ان فيه اشارة الى ان منهم من خالف في ذلك نحو عدم
عصمتهم عن الكفر قبل النبوة الا انه لم نعثر على قائله وقد نقل عن الباقلاني انه
جوزه عقلا وانه لم يقع اذ الله لم يبعث كافرا ولا فاسقا وفي المواقف
اجمعت الامة على عصمتهم عن الكفر قبل النبوة وبعدها كما تقدم وانا
اقول فلا نطيل بما يؤيده ذلك ان قريشا قد رمت نبينا صلى الله عليه
وسلم بكل ما افترته عليه واصل الرمي في الاعيان كرمي السهم والحجر
واستعير للشتم والقذف كالرجم والمراد انها ذمته ونسبته للنقيصة
مثل قولهم انه ساحر او مجنون او شاعر اي لم تترك شيا من مفترياتها

التي وسعتها قوتهم حتى انزلته عليه وعيّر بفتح العين المهملة
وتشديد المثناة التحتية زنة اهملة كفار الامم انبياءها وفي نسخة
انبياءهم اي نسبوهم للعار وهو الامر الذي يستقبح وينفر منه وزال
الزاعنه عبرته ذ مستقد من العار وقولهم تعاير بنو فلان قيل
معناه تذاكروا العار وقيل تعاطوا العيارة اي فعل الغير في الانتقال
والتحلية ومنه عارت الدابة انتهى فالمعنى عيروهم بكل ما امكنها وفي
نسخة امكنهم اي تيسر لهم وجاز صدوره منهم واختلقته وكذبته
عليهم بوصفهم بما لنسبتهم واصل اختلاق الشيء اختراعه من غير سبق
لمثله فيعم كل كذبه بما قصه الله عليه اي ذكره الله في كتابه الكريم وفي
غيره من الكتب الالهية من تكذيبهم ورميهم بانواع البهتان او نقلته
الينا الرواة نقلا مستفيضا بحيث لا يمكن انكاره ولم يجد في شيء
من ذلك اي من الكتب الالهية والاخبار المروية او المراد به ما نقلته
الرواة لقوله تعبيرا لواحد منهم اي من الانبياء عليهم الصلاة والسلام
اي نسبهم لعار يذمهم ووصفهم برذيلة اي تركه بعد اتباعهم
الهتهم ان كان هذا الضمير راجعا لمن عير المعلوم من السياق لا لواحد
لانه من الانبياء ولم يكن لهم الهة اللهم الا ان يكون على طريق
الفرض فحينئذ يصح تفسير ذلك بالكتب الالهية والاخبار فاعرفه
وتقريعه اي توبيخه وتعييره بذمه اي ذم احد من الانبياء
بتركه ما كان النبي صلى الله عليه وسلم جامعهم اي وافقهم
واجتمع معهم عليه اي على عبادته كما فعلوا لما نوائي كفار الامم
بذلك اي تعييره وتوبيخه برجوعه عن عبادة الهتهم التي كانوا
موافقا لهم على عبادتها منابذين بدالة زنة اهملتين اي شارعين
لذكره مقدمين له على جميع ما افتروه ونقلوه بالنار الحارزة ومثناة
فوقية ولام مفتوحتين دوا ومكسورة مشددة ونون وضمير
مضاف اليه مصدره تلون تلونا اذ التغير وتنقل من الحال الى حال
اخر تفعل من اللون كالبياض والصفرة تجوزا به عن الاحوال
كما عبر به عن الاجناس والانواع قال الراغب يقال فلان اتى بالوان
من الاحاديث وتناول الوانا من الطعام في معبوده اي ما يعبده
متعلق بتلونه المتعلق بقوله محتجين اي مقيمين الحجة والدليل
فيقولون انت لا تستقر على دين تارة تعبد هذا وتارة تعبد
ذاك خاضعون على معبودكم الاول ومعبودكم الان ذلك توبيخهم

له اي توبيخ كفار امة لنبيهم بتبيهم مصدر مضاف للمفعول اي نبي النبي
لامته عما كان يعبد قبل اي قبل نبوته افظع بفاء وظاء معجمة اي اشد
فظاعة وهي الشناعة والقباحة واقطع بقاف وطاء مهملة اي اقوى واشد
قطعا في الحجة اي الدليل الذي استدلوا به عليه من توبيخه هو المفضل
عليه فيهما على التنازع او التجاذب بنبيهم عن ترك الهتهم اذ هو قيل
الناهي عن الهتهم وترك تركهم او عن تركه قيل ضمير نهيهم للكفار وضمير تركهم
للانبياء عليهم الصلاة والسلام وما كان يعبد اباؤهم من قبل اي قبل انبيائهم
ففي اطباقهم اي اتفاق كفار الامم واجماعهم يقال اطبق القوم على كذا اذا اتفقوا
على الاعراض عنه اي عن التوبيخ بما ذكر وهو اقوى واظهر في احتجاجهم
على رسلهم دليل على انهم لم يجدوا سبيلا وطريقا موصلا كانت في نص اد
خبرا واثرا اذ لو كان لهم سبيل اليه لنقل بالبناء للمجهول اي لنقل الرواة
لهم ذلك ونقل للناس بعدهم احتجاجهم به ولم ينقله احد فلو نقل لهم
ذلك لما سكتوا عنه بل لما دروا اليه قبل كل شيء كما لم يسكتوا اي الكفار عن
تحويل القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة فانهم وبخوا به وشنعوا حين
سفههم الله تعالى سيقول السفهاء الآية ما ولاهم اي صرفهم
عن قبلتهم التي كانوا عليها في اولها وهم كما حكاه الله عنهم في القرآن
والكلام عليه مفصل مشهور في كتب التفسير والحديث وقد
استند له القاضي القشيري هذا هو الامام عبد الرحيم بن الامام عبد
الكريم بن هوازن الاستاذ ابو نصر بن الاستاذ ابي القاسم القشيري
صاحب الرسالة المجمع على جلالته وعلمه وفي هذه وانما تخرج على
امام الحرمين توفي سنة اربع عشرة وخمسمائة بنيسابور وله عدة
اولاد كما فصله البرهان الحلبي وقال انه لم يل هو ولا احد من اولاده
القضاء فقول المصنف له القاضي لا اصل له وما قيل انه شخص غير معلوم
توهم لغير مراده على تنزيههم عن هذا اي عن الكفر والاشراك
بالله قبل النبوة لا عن نقيصة الجهل بالله وصفاته والشك في شيء
لعدم مناسبته لما بعده وان كان منزها عن ذلك ايضا بقوله تعالى
واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية تقدم ان الميثاق
العهد وهو ماخوذ من الوثاق وهو حبل يشد به الاسير الا انه
استعير للعهد كما استعير له الحبل كما ورد في الحديث بيننا
وبينهم حبال وتمام الآية ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم
واخذنا منهم ميثاقا غليظا وخص هؤلاء بالذكر لشرفهم وقدم نبينا صلى

صلى الله عليه وسلم لشرفه وتفضله على جميع الانبياء والميثاق الذي اخذ عليهم
هو تبليغ الرسالة ودعوة الخلق الى دين الاسلام وان تصدى بعضهم بعضا
ويبشر به وكان هذا حين كتب وتقدم انما هو كابن ابي وقاص مجاهد انه كان في عالم
الذر ووجه الاستدلال على الوجهين انه اذا اخذ عليهم قبل ظهورهم بتبليغ
دينه وتوحيده فكيف يصدر عنهم ما يخالفه قبل النبوة وبعدها
وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة الحديث
وبقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين الى قوله لما اتيتكم من كتاب
وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه فتعهد
اليهم انفسهم او الى اولادهم فهو على تقدير مضاف او اكتفى بذكر الانبياء لانهم
او سماهم انبياء تهكما لقولهم نحن احق بالنبوة من محمد صلى الله عليه
وسلم وقد تقدم الكلام على هذه الاية للسبكي فيها تاليف مستقل
لخصناه فيما مر قال القشيري فطهره الله اي براه ونزهه عما لا يليق
بعلي قدره في الميثاق اي حين اخذ الميثاق عليهم في عالم الازل
ويبعد غاية البعد عند العقول السليمة انه يأخذ الله منه
صلى الله عليه وسلم الميثاق والعهد الوثيق المحكم بالايمان وامور
الدين كله وكذا اخوانه من الانبياء والمرسلين قبل خلقه وظهوره
في عالم الارواح والذر وادم بين الماء والطين ثم يأخذ ميثاق النبيين
بما عهدهم اليهم بالايمان اي بمحمد صلى الله عليه وسلم ونصرته على اعدائه
ان ادركه زمانه فيتبعه ويكون من امته قبل مولده اي زمان ولادته
صلى الله عليه وسلم بدهور جمع دهر وهو الزمان الطويل كما قيل
• ان دهرا يلف شملي بسعدى • لزمان يهم بالاحسان •
ويجوز بتشديد الواو ويجوز تخفيفها ايضا من الجواز والتجويز وهو
منصوب معطوف على يأخذ اي وانه يجوز الخ ويجوز رفعه بتقدير وهو
يجوز عليه الشرك او غيره من الذنوب والضمائر عائدة عليه
صلى الله عليه وسلم فلا يجوز عليه ولا على غيره من الانبياء الشرك
وغيره من الذنوب بعد اخذ الميثاق عليهم قبل خلقهم بالايمان واتيانه
شرع القوم هذا اي تجويز الشرك والذنوب عليهم بعد اصطفائهم
واخذ الميثاق عليهم ما اظن شيئا لا يجوزه عليه وعليهم الا شخص
ملحد فاسد العقيدة عادل عن طريق الحق ونهج الصواب يقال
لحد اذا حفر حفرة مائلة عن الوسط كلحد القبر ثم عمل بمعنى يقال
لحد والحد وشاع في الميل عن الحق وصار حقيقة فيه هذا

المذكور معنى كلامه اي كلام القشيري فاستدلاله على ما ذكر قال
وكيف يكون ذلك وفي نسخة وكيف وفي اخرى فكيف وهو اسم استفهام
عن الكيفية والهيئة التي يقع عليها الامر تجوز عن التعجب الانكاري فهو انكار
لتجويز ما ذكر عليهم انكارا لحالته التي يكون عليها لان كل امر لا ينفك عن حالة
وصفة يكون عليها فاذا انكرت حالته لزم انكار وجوده كناية على وجه برهاني
اقوى من انكاره ابتداء كما قرره في قوله كيف تكفرون بالله وفي ذلك اشارة
لتجويز ما ذكر وقد اتاه جبريل عليهما الصلاة والسلام كما تقدم عن انس
وغيره وانه مسلم وشق قلبه صغيرا اي في حال صغره وهو عند مرضعته
حليمة كما تقدم تفصيله واستخرج منه علقة اي قطعة صغيرة من دم
منجمد تشبه العلقة المعروفة وقال جبريل عليه الصلاة والسلام
هذا المستخرج حظ الشيطان منك اي نصيبه في وسوسته لبني ادم
الذي يبره من غيره لقبوله ما يلقيه له فاخرجه لم يبق له عليه سبيل
كغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام لقوله تعالى ان عبادي ليس
لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين وجعلها نفس الحظ مبالغة
وتقدم فيه كلام نفيس ثم غسله بماء زمزم او الكوثر كما تقدم اي قلبه
الشريف وملأه حكمة وايمانا تمثيلا لاستقرارهما فيه اذ انه تعالى
جسم ذلك بقدرته وقد تقدم الكلام عليه مفصلا في قصة الاسراء
كما تظاهرت اي اشتهرت وقويت من قولهم ظاهره اذا اعانه به
اي بشق صدره الشريف صلى الله عليه وسلم وقد وقع مرارا كما تقدم
اخبار المبدأ اي الاحاديث الصحيحة الواردة في ابتداء امره
ونبوته فهو مصدر ميمي او اسم زمان او مكان وفي الاولى اظهر
ولا تشبهنه عليك بضم اوله وفتح ثانيه الجيم وفتح الموحدة المشددة مبني
للمجهول اي لا يشتبه عليك ويوقعك في شبهة ولبس كقوله تعالى ولكن
شبه لهم وهذه شبهة شرع في دفعها لايهامها في حق الانبياء عليهم
الصلاة والسلام ما يخالف ما قدمه في تنزيههم عن الشك في معرفة
الله وصفاته بقول ابراهيم اي بسبب قول الخليل عليه الصلاة والسلام
لما جن عليه الليل في الكوكب اذ رآه طالعا والقمر اذ رآه غاربا
والشمس هذا ربي هذا اكبر الاية اي لا تقع في شبهة مما وقع لابراهيم
عليه الصلاة والسلام في اطلاقه على هذه الكواكب ربا وهو من كبار
اولي العزم وذلك اشارة الى ما روي وهو انه عليه الصلاة
والسلام لما كان في السرب قال لامه من ربي قالت انا ربك

قالت ابوك قال فمن ربه ابي قالت اسكت فقالت لابنه الغلام الذي تجد
نوابانه بغير دين الله اهل الارض هو ابنك واخبرته بما قال
ثم اتاه اباه فقال له مثل ذلك فلطمه ثم قال لابويه اخرجاني من
السرب فاخرجاه فنظر الى غيرها سارحة فقال لابد لهذه من
خالق يطعمها ويسقيها ويفكر في خلق السموات والارض فقال ان الذي خلقني
ورزقني هو ربي لا اله سواه ثم نظر الى كوكب طلع وهو المشتري او الزهرة
طالعة فقال هذا ربي الى اخرما قصه الله عنه ونحو هذا مما ذكره
اهل الاخبار والى جواب هذه الشبهة اشار المصنف بقوله فانه
قد قيل كان هذا في سن الطفولية هو مصدر طفل اذا كان طفلا اي
ولدا صغيرا كما تقدم لكن الذي ذكره الراغب وغيره ممن يعتمد عليه
من اهل اللغة انه يقال طفل طفولة فاذا كانت الطفولية مصدرا
لا يحتاج ليا النسبة التي تصيرها الجوامد مصادرا فانه شديد سماعي ٥
كالخصوصية كما فصله المرزوقي وغيره من ائمة اللغة الا ان المصنف
تبع للعلة وقف عليه وابتدا النظر والاستدلال على وحدانية
الله تعالى ووجوده لقوله تعالى وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم
على قومه وقيل لزوم التكليف في ابتدا تميزه من غير ثبات
على ما قاله بل اراد الاستدلال على وجود صانع قديم لا يجوز عليه
تغير الا انه جواز ضعيف لا تنتفي به ضد ربه شك منه في معجزه ٥
وشك لا يليق مثله عليه الصلاة والسلام وكونه تنبيها لابويه
وقومه على خطائهم في عبادة غير الله جواب اخر فادخاله
في الكلام هنا غير مناسب لما فاته لقوله وابتدا النظر الخ وذهب
بعض الحذاق جمع حاذق وهو من له ذكاء وفهم وتعظم بمعنى ٥
اكثر من العلماء والمفسرين اشارة الى ضعف ما قبله وان قائله
لا يعتد به الى انه عليه الصلاة والسلام انما قال ذلك اي هذا
ربي الى اخره تبكيتا وفي نسخة مبكتا لقومه لانهم كانوا يعبدون
الكواكب والتبكيت بالموحدة والفا واخره مثناة فوقية وهو اللوم
والتقريع يقال بكته اذا عنفه واستقبله بمكروه او غلبه بالحجة
وكلامه صحيح هنا وفي الكشاف انه قول من ينصف خصمه مع
علمه انه مبطل وهو جواب اخر قريب مما ذكر ومستدلا عليهم
بالزام الحجة لان الظهور والاحتجاج تقريرهم بالجحود
منافي للالوهية فاراد ارشادهم الى النظر ازاحة العناد حتى ينقادوا

للحق

للحق من غير عناد وقيل معناه ان معنى قوله هذا ربي هذا اكبر
الاستفهام الانكاري بتقدير الهمزة كما بينه بقوله الوارد مورد الانكار
الذي صدر منه قصد به الانكار لا على طريق الشك ولا الاعتقاد وهو
بعيد فيه وان كان الاصل عدم التقدير والمراد فهذا ربي اي لا يليق
عنده ان يكون ربا معبودا وقال الزجاج قوله هذا ربي اي على
قولكم وفي نسخة قولهم اي هو حكاية لقول الخصم حتى يكر عليه بالابطال
كما يقدم في كلام الكشاف كما قال الله تعالى في اية اخرى اين شركائي
فاضافهم الى نفسه لما سألهم تهكما منه اي عندكم اي كونهم شركاء على زعمهم
وادعائهم كما في هذه الاية سماهم الله شركا باعتبار اعتقادهم الفاسد
وقومه انما كانوا يعبدون الكواكب نوطا هر وان كانوا يعبدون الاصنام
فابطال ربوبية الاجرام العلوية النيرة يقتضي ابطال غيره بالطريق
الاولى وفي شرح المواقف هذا الكلام صدر على الخليل عليه الصلاة
والسلام قبل تمام النظر في معرفة الله وكم بينه وبين نبوته اذ لا تنفتق
نبوة الا بعد تمام ذلك فلا اشكال او يختار انه لم يعتقده فيكون كذبا
صادرا قبل البعثة او هو على سبيل الفرض ارشادا لقومه كما في برهانه
الخلف اي الكواكب لو كانت اربابا كما يزعمون لزم ان يكون الرب متغيرا وذلك
باطل فتدبره ما فيه ويدل على انه اي الخليل عليه الصلاة والسلام لم
يعبد شيئا من ذلك اي من جنس الكواكب والاوثان ولا اشرك قط ٥
لاستغراق الازمنة بالله عز وجل طرفة عين اي في اقل الازمنة
وطرفة العين مقدار تحريك جفنها من اعلى لاسفل ويكنى به عن غاية
القلة وطرفة مصدر منصوب على الظرفية الزمانية ومثله كثير قول
الله فيما حكاه عنه اذ قال لابيه لازر وقومه ما تعبدون سائلا لهم
مضيقا العبادة لهم قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين الاية
ثم قال ابراهيم عليه الصلاة والسلام لهم افرايتم ما كنتم تعبدون
انتم واباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين سائلا لهم
بيد انهم اعداء العابدين لتضررهم بعبادتهم فوق تضرر اعدى اعدائهم
وهو الشيطان فغير الامر في نفسه تعريضا لهم فانه انفع في
النصح من التعريض واشعارا بانها نصيحة بدا فيها بنفسه ليكون
ادعى الى القبول كما قاله البيضاوي وقوله الا رب العالمين ٥
استثنا منقطع والقول بان هذه الاية لاحتمال انه بعد النبوة لا وجه
له وفي المقام كلام يضيق عنه البيان هنا فحسبك ما فيه شفا الصدر

وقال اذ جاء ربه بقلب سليم انه من الشكوك فسلامته منه دليل على انه
لم يعرض له اصلا وقوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام اي باعد
بينهم وبين عبادتها وهذا يدل على انه هو وذريته لم يصدر منهم شي من
ذلك فان قلت فما معنى قوله اي قول ابراهيم عليه الصلاة
والسلام بعد افول القمر لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين
فانه ربما يتوهم منه انه في شبهة ما قيل في الجواب انه اراد به
الاستيقان بربه وانما استعجز نفسه وعلم انما يهتدي بتوفيق
الله له تعالى لقومه انه لم يؤيدني بمعونته اي بقوته اكن مثلكم ايها
القوم في ضلالتكم وعبادتكم لغير الله وانما قال هذا وهو مهتد لا شك
على معنى الاشفاق على قومه ترحما لهم والحذر اي الخوف من الله والاحتراز
عما هم فيه والا اي وان لم يحمل ما ذكره على هذا لم يكن لذكره هنا فايدة
وهو معصوم في الازل قديما في قضا الله له بالسعادة وتطهير فطرته
من الضلال وهذا السؤال وارد على ما قرره من عصمة الانبيا عليهم
الصلاة والسلام عن الريب والشبه وبعض الشراح هنا خاطب
بل تركنا ما اكثر فان قلت فما معنى قوله تعالى في سورة ابراهيم
وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا فالعود
يقتضي انهم كانوا على دينهم وكفرهم وهم معصومون من ذلك قبل
البعثة وبعدها كما تقدم فالاية بظاهرها هذا عليهم ثم قال
الله عز وجل بعد بالثنا على الفهم بعد قول الذين كفروا انما ذكر قيل
بعد قوله لنخرجنكم من ارضنا الاية وشيا في ما قبله عن الرسل
اي حاكيا عنهم وما تقدم كان محكيا عن قومهم لا عنهم والثاني اظهر
في الاشكال لان قومهم قد يظنون انهم قبل البعثة كانوا على
دينهم واما الرسل فعلى يقين من خلافه فكيف يصح منهم ان يفتروا
ويردوا على التقدير الثاني ان قوله تعالى قد افترينا على الله
كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها ليس بعد هذه
الاية فان الاولى في سورة الاعراف وهذه في سورة ابراهيم
وكونها بعدها في النزول يحتاج الى نقل وقيل انها بعدها
في الجملة لان القصة واحدة وهي قصة شعيب ولعل المراد بالرسل
جميعهم ثم الكل على الصادق على الواحد وقد وقع جوابا للكفرة فهو
اقوى في الشبهة فانهم لا يتقولون على انفسهم ما لم يتصفوا به
لانهم منزهون عن الكذب ومعنى افترينا على الله كذبا التعجب اي ما

الكذبا

الكذبا على الله ومعنى نجانا الله منها عصمنا عن الميل اليها فضلا عن الدخول
فيها وجواب الشرط مقدر يدل عليه ما قبله وهو ماض لفظا مستقبل
معنى لدخول حرف الشرط عليه تقديرا وقد مقربة له للحال اذا عرفت هذا
فلا يشكل عليك لفظة العود بمعنى الرجوع الى الكفر المقتضية لاتصافهم
به اولا وهم معصومون منه قبل البعثة وبعدها كما تقرر اولا فتشكله
هي وانها تقتضي اي تستلزم بحسب الدلالة انهم اي الرسل انما يعودون
اي يرجعون الى ما كانوا فيه اي داخلين فيه ومتصفين به من ملتهم
يعني الكفر لان الملة تطلق عليه كالدين فان هذه اللفظة
اي لفظة العود وردت كثيرا في كلام العرب الفصحا لغير ما ليس
اي لما لم يثبت له ابتدا اي بل لحال التي هو عليها ما ينافيها بمعنى الصيرورة
وهي وجود الشي بعد ان لم يكن تقول صار ولدا كذا فصار غنيا بعد
فقره وفي المحصول لانما صار اليه شرعا لنسخ وقيل الظاهر لذلك
انهم قد دخلوا فيهم بطريق التغليب اذ هو باعتبار ظنهم وزعمهم او على
خدلو لهم ضيق في التركيبة بجعل المتوهم كالمحقق وفيه كلام في شرح
المفتاح ونحو اشبه كما جا في حديث الجهنميين اي الحديث
الذي في حق اهل جهنم المروي في الصحيحين عن ابي سعيد الخدري
عادوا حمما بضم اوله وفتح ثانيه جمع حممة اي سودا كالفحم جمع حممة
وذلك اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار يقول الله من
كان في قلبه حبة خردل من ايمان فاخرجوه فيخرجون قد امتحشوا
وعادوا حمما فيلقون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل
وعاد هنا بمعنى صار ولم يكونوا اي الجهنميون قبل ذلك كذلك
اي حمما ومثله اي مثل الحديث في ان عاد بمعنى صار وحدث
وان لم يكن موجودا قبل قول الشاعر هو امية بن ابي الصلت من قصيدة
مدح بها سيف بن ذي يزن ملك اليمن لما ملك الحبشة وقد غلبوا على ملكهم
فغزاهم ونفاهم من بلاده وذلك بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين
فاتته وفود العرب لتهنئته وفيهم قريش وعبد المطلب فانشده
امية بن ابي الصلت

لا يطلب الثار الا ابن ذي يزن • ريم في البحر للاعدا احوالا
اتى هرقلا وقد شالت نعامتهم • فلم يجد عنده النصر الذي سالا
ثم انتحى نحو كسرى بعد تاسعة • من السنين يهين النفس والمالا
حتى اتى ببني الاحرار يحملهم • تخالهم فوق متن الارض اجبالا

الى ان قال فيها

فاشرب هنيئا عليك التاج مرتفعا • في راس غمدان دارا منك محلالا
واشرب هنيئا فقد شالت نعامتهم • واسبل اليوم من برديك اسبالا
تلك المكارم لا قعبان من لبن • شيبا بماء فعادا بعد ابوالا

وعارضها بعضهم بقصيدة منها في مدح الصوفية فقال

لله تحت قباب العز طائفة • اخفاهم في ثياب الفقر اجلالا
هم السلاطين في اثواب مسكنة • استعبدوا من ملوك الارض اقيالا
غبر ملابسهم شم معاطسهم • جروا على فلك العلياء اذيالا
هذه المناقب لا ثوبان من عدن • خيطا قميصا فعادا بعد اسمالا
هذي المكارم لا قعبان من لبن • شيبا بماء فعادا بعد ابوالا

والقصيدة الاولى بتمامها في ديوانه وفي كثير من كتب الادب والتاريخ والسير باسانيد صحيحة ولها قصة مشهورة وفيها الاشارة ببعثته صلى الله عليه وسلم كما فصله وليس الشعر المذكور لها كما توهمه من لا خبرة له بالادب واساليب كلام العرب وليس كما قيل لابي الصلت ولا للاعشى ولا للنابغة ولا لعمر بن عبد العزيز وانما تمثل به صلى الله عليه بهذا البيت فتوهم الحافظ الحلبي انه له وهذا مثل في الفخر بمعالي الامور وعدم التنزل لسفسافها وشيباه بمعنى خلطا ومزجا والقعب انا معروف يقول انك في معاد وقصور رفيعة متلذذا بالخمور وام الشرور تجود بالاموال لست كعرب البادية الذين جودهم سقا ضيفانهم لبنا ممزوجا به يعود في يومه بولا مراقا و وجودك بمكارم واموال تبقى عند من انعمت عليه فشتان بينك وبين غيرك فعادا هنا بمعنى صار لانه لا يتصور انها كانت بولا قبل ذلك والنه اشار بقوله وما كان فما ذكر قبل ذلك كذلك اي بولا وهو ظاهر وانما اطلنا فيه لما في الشروح هنا من الخلط ثم اورد سؤالا اخر على ما قرره من عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام فقال فان قلت فما معنى قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى الخطاب له صلى الله عليه وسلم والضلالة ضد الهدى والهدى المفقود غاية للفاصلته فانه تقتضي نسبته صلى الله عليه وسلم للضلال قبل البعثة والضلال شرعا اما بالكفر او بارتكاب المعاصي وهو صلى الله عليه وسلم منزه عنهما وجوابه قوله فليس من الضلال الذي هو الكفر فانه صلى الله عليه وسلم معصوم من المعاصي قبل النبوة وبعدها فضلا عن الكفر واذا

كان كذلك فليس معناه هنا وجدك ضالا عن النبوة فهداك اليها لان الضلال معناه لغة العدول عن الطريق المستقيم وضده الهداية فكل عدول ضلال سواء كان عمدا ام لا وخفاه غير مهتد لما سبق لك من النبوة كقوله فعلتها اذا وانا من الضالين كما ياتي قاله اي التفسير المذكور محمد بن جرير الطبري وقد قدمنا ترجمته وقيل في معناه وتاويله وجدك بين اهل الضلال فعصمك عن ان تنتظم في سلكهم وتعد منهم فما كان ذلك اي من الضلال لموافقة اهله فيه وهذا كالايمان بالله ومعرفته اذ جبلته فطرة لك ثم اودع فيك ما يرشدك له فعلمك السلم اي ارشدك له بالوحي والى ارشادهم اي ارشاد من لم يكن مهتديا بالحق فالهدى من الرشد ضد الغي وهو قريب من الهداية كما قاله الراغب وله معان اخر الهداية اي الى الايمان وسلوك الطريق المستقيم بتبليغ ما اوحي اليه ونحوه اي نحو منه ومثاله ونحوه نقل عن الطبري رحمه الله وتقدمت ترجمته ونقل ذلك ايضا عن غير واحد اي عن ناس كثيرين من اهل التفسير فعلى هذا الضلال بمعناه المشهور وليس متصفا به ولكنه لكونه بين اهله اطلق عليه مجازا لعلاقة المجاورة وليس من قبيل قولهم بنو فلان قتلوا قتيلا كما لا يخفى ولم يبين وجهه الشراح هنا وقيل معناه المراد ضالا عن شريعتك التي اوحاها الله سبحانه وتعالى اليك اي لا تعرفها قبل الا وحي اليك فالضلال بمعنى الغفلة ونحوه وبهذا المعنى كقوله ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى كما قيل له صلى الله عليه وسلم بعد ما اوحي اليه فلا تكون من الغافلين اي انه بمعنى الجنان واستدل له بهذه الاية وبمثله قبل البلاغ لغير نقص كن قبل وقوله والضلال ها هنا اي في هذه الاية على هذا القول التحير اي الوقوع في الحيرة حتى لا يدري اين يذهب وما يفعل حيرة فاي في زمام عرفا لم يجد لا يناسبه فانه ليس للفاعل والناس حيرة فالظاهر تفسيره بعدم المعرفة كما صرح به ومن لم يعرف شيئا وطلبه تحير فهداك اليه اي دلك الى ما لا تعرفه وانت طالب له فعلمك ما لم تكن تعلم والمعنى كان صلى الله عليه وسلم قبل نزول الوحي عليه يخلو اي يختلي ويعتزل الناس بغار حراء بالتصرف وعدمه اسم جبل بمكة كما تقدم في طلب ما يتوجه به الى ربه اي بسبب تصفية باطنه واعمال الفكره في وسيلة توصله الى الله ويتشرع به اي يتخذه شريعة وعبادة تقرب به لربه وفي نسخة يتشرع بلا نا بضم اوله ولكثرة ناله وشيئه معجمة وقيل انه تبين مهملة

من الاستواء في اصل المصنف وقيل الرواية الصحيحة في الاصول الاول
وهو الاظهر ولم يزل صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك حتى هداه الله ودله
دلالة موصلة الى الاسلام والدين الحق بما جاءه عن الله كما نبين في بدء الوحي
قال اي حكي كما في نسخة معناه الامام القشيري الذي تقدمت ترجمته
يعني انه صلى الله عليه وسلم كان موحدا في اول امره طالبا لاتمام النعمة
عليه بهدايته لما يرضيه ويحمله في طلبه بذلك وقيل معنى ضالا
لا يعرف الحق اي الدين الحق لانه لا يعرف الا بالوحي فهداك اليه بالوحي
له وهذا في المعنى مثل قوله عز وجل وعلمك ما لم تكن تعلم من الشرع واحكام
اوس خفيات واسرار الله التي لم تعلمها ومعنى ما لم تكن تعلم ما لم يكن في
قوتك وقدرتك علمه ولذا عدل عما لم تعلم وهو اخصر واظهر لما كونه
لغوا لان كل احد انما يعلم ما لم يعلم اذ تعلمها يعلم تحصيل الحاصل
وكذا قال السبكي في عروس الافراح وغيره ان قوله علم الانسان
ما لم يعلم تقديره ما لم يكن يعلم فليس بشيء لانه لا امتنان ابدا بل ما لم يكن
من شأنك علمه والوقوف عليه وخص هذا نمشته عن بعض
حواشي المطول قاله علي بن عيسى الامام في العربية والكلام شارح
الكتاب المعروف بالرماني وقد تقدمت ترجمته قال ابن عباس
في تفسير هذه الاية ما لم يكن له اي من شأنه وصفته
ضلالة معصية اي ليس الضلال هنا بمعنى مرتكب المعاصي لعصمته
الله له فالضلال ما اذ وقيل بالثوب وقيل معنى هديه هنا بين امره
للناس بالبراهين والادلة القاطعة لعرق الشبهة فيك وفيما
جئت به حتى صرت لا يخفى على احد والبرهان الدليل اليقيني ومن تفسير
الهدى انه على معنى ضالا وانه وجدك خفيا وكنت خفيا لم يعرفه الناس
ولم يطلعوا على شأنه وعلو قدره فاظهره الله حتى ذاع وشاع وفيه لا
الافكار والاسماع فتقدير مفعوله على هذا هدى بك الناس كلهم وهدى
العقول وقيل معناه وجدك ضالا بين مكة والمدينة
مهاجرا اي الى المدينة بان نجعلها دار هجرتك وسؤالك فالمراد انه
تحير بالبعثة ودعوة الناس لدينه مع ما لاقاه عليه قومه في
في القيام عليه صلى الله عليه وسلم وادنته وهجرة بعض
المسلمين للحبشة كان في حيرة متردد في الاقامة بمكة والهجرة
للمدينة وجواز يؤذن له في الهجرة حتى اذن الله له في ذلك
كما فصل في السير وقيل المعنى وجدك قائما باعباء الرسالة

وتبليغها

وتبليغها وهو عالم بمن لكل قبل وقوعه ولكن هو متمثل ومتوجه بامر
ومحبته الله له فكانه امر مطلوب لعظم غيره عليه كما يقال العليم
ضالة المؤمن فهدى بك ضالا بارشادك له فضالا مفعول لهدى قدم
عليه لرعاية الفاصلة وليس صفة له حتى يتوجه السؤال وهو وجه
متكلف عندنه على قائله لانا قلنا وعن جعفر بن محمد هو جعفر الصادق
الذي تقدم ومحمد هو الباقر بن زين العابدين فقال جعفر معناه
ووجدك ضالا عن محبتي لك اي لم يظهر لك اني احبك حبيبا
مقربا عندي في الازل اي في القدم قبل خلقك اي لا تعرفها فهو
معنى ضالا فمننت عليك بمعرفتي اي انعمت وتفضلت لاني
احبك وهو تفسير لقوله فهدى فعلى هذا لا يتوهم فيه نقص لان
معناها ليس احد اكرم علي منك قال في المحل الازل القدم وامثله
ابنهم قالوا القديم لم يزل ثم يستوالد باختصار فقالوا ازل ثم ابدلوا
الياء همزة فهو من النحت عنده وقال غيره هو من الازل وهو الضيق
لضيق القلوب عن تقديره وهي كلمة محدثة وقول الحسن بن علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه ووجدك ضال بالرفع فالضلالة
صفة لغيره على هذه القراءة الشاذة فلا يرد السؤال فهدى
فهو على هذا لازم اي اهتدى بك لسعادة الداريين اوالمعنى فهداه
الله بك ويجوز ايضا على القراءة المشهورة ان يكون فاعل وجد ضمير
ابي احد المفهوم منه وضالا حال في هذا الضمير وهو بعيد وقال
ابن عطا في تفسير الاية ووجدك ضالا اي محبا لمعرفتي فهداك
بانوار هدايته وعنايته ولما كان هذا خلاف المشهور في اللغة
بينه بقوله والضالة ومعنى المحبة كما قال الله تعالى انك لفي
ضلالك القديم هو من كلام اخوة يوسف عليهم الصلاة والسلام
لابيهم حكاه الله عنهم اي فاراد وانك على محبتك القديمة
ليوسف لا تنساه وهذا منقول عن قتادة وسفيان وقيل
اراد بضلاله خطوه وقيل جنونه من حب يوسف عليه الصلاة
والسلام كما قاله الحسن ولم يريدوا اي لم يقصدوا اولاد يعقوب
هاهنا اي فيما حكي عنهم في هذه الاية ضلالة في الدين بان يعتقدوا
خطاه في دينه باعتقاد ما يخالفه او اصراره على ما ينافيه اذ لو قالوا
ذلك معتقدين مثله في نبي الله الذي عصمه الله عن الخطا في
دينه علما وعملا لكفروا في اجترائهم على نبي الله ونسبته لما لا يليق

به وتخفيره. ومثله كفر في الشرع فلذا فسر الضلال بالمحبة ومثله
أي مثل كون الضلال بمعنى المحبة في هذه الآية انا لنراها في ضلال
مبين هو في حبه لفتاها قد شغفها حب يوسف عليه الصلاة والسلام أي حبها
فان المناسب للمقام انه بمعنى محبة بينة اي ظاهرة مكشوفة لا انتقاص
عند هذا اي ابن عطا الذي فسر الضلال بالمحبة فوضع اسم الاشارة
موضع الضمير لتميزه اكمل تمييز وفي بعض النسخ ومثله عند هذا
الخ وقال الجنيدي في تاويل هذه الآية وهو ابو القاسم بن محمد الزاهد
العابد شيخ وقته ونسيج وحده واصله من نهاوند ونشا بالعراق
وتفقه واخذ عن الثوري رحمه الله سفيان واحد الطريقة
عن السري السقطي والمحاسبي وتوفي سنة سبع وتسعين ومائتين
وهو من فقها الشافعية كما في طبقات السبكي ودفن بالشونيزية
عند خاله السري ووجدك متحيرا في بيان ما انزل اليك من القرآن
تفسير لقوله ضالا فهداك لبيانه باظهاره وبيانه ما خفي من معانيه
في حال تبليغه لامته كقوله وانزلنا اليك الذكر لانه
المراد بالذكر القرآن لما ذكر من التدبر والموعظة لتبين للناس
ما نزل اليهم ما خفي عليهم فالضلال التحير فيما شق عليه
في ابتدا امره ومثله لا ضير فيه وقيل معناه ووجدك ضالا بمعنى
الكن في خفا حالك بين الناس كمن ضل فتاه وفارق قومه حتى توهم خفي
امره عليهم فهو استعارة وعبارة عن الكتم لم يعرفك احد من الناس
ولم يعرف اتصافك بالنبوة حتى اظهرك الله فهداك اليك السعدا اي
من اسعده الله بمعرفتك واتباعك والايمان بك وفي
الآية وجوه كثيرة منها انه بمعناه الحقيقي لانه وهو طفل ضل في شعاب
مكة فرآه ابو جهل لعنه الله فرده لجده عبد المطلب
كما رواه ابن عباس وعن ابن جبير انه خرج مع ابي طالب في سفر فاخذ
ابليس بزمام ناقته وعدل به عن الطريق في ليلة ظلما فجاء جبريل
عليه الصلاة والسلام ونفخ ابليس نفخة رماه بها للهند ورده
صلى الله عليه وسلم الى القافلة فمن الله عليه بذلك وعن كعب
ان مرضعته حليمة لما اتت به لترده لعبد المطلب جلست لتصلح
ثيابها فلم تره وسمعت هدة شديدة فقالت ابن الصبي قالوا
لم نره فصاحت واجداه فرأت ابليس لعنه الله على هيئة شيخ
متكئ على عصا وقال اذهبي لهبل يرده عليك ثم جا وقبل راس الصنم

وقال

وقال له رد ابن السعدية علي فتساقطت الاصنام وقالت له اليك
عنا فان هلاكنا بيده وقال لها الا نبك به حليمة فاطلبيه فطلبته في جماعة من قريش
فيهم عبد المطلب فتضرع الى الله قائلا في ذلك

يا رب رد ولدي محمدا ۝ فاردده لي يتخذ عندي يدا ۝

فسمع قومه كلهم نداء فسمعوا مناديا يقول لا تضجوا فان لمحمد ربا لا يضيعه
وها هو بتهامة عند شجرة فوجدوه عندها يلعب باوراقها وقيل
المعنى وجدك ضالا عن طريق المعراج فهداك له ولا اعلم احدا من المفسرين
قال فيها اي تفسير الآية ووجدك ضالا لا تهتدي اي مغافلا لا عن
الايمان لانه صلى الله عليه وسلم وسائر الانبيا معصومون قبل
النبوة وبعدها عن الكفر وكلاما يعجز عنه القلوب وفي الكشاف من قال
من انه صلى الله عليه وسلم كان على امر قومه اربعين سنة ان اراده
خلوه عن الانوار السمعية فنعم وان اراد انه على كفرهم ودينهم فمعاذ
الله انه صلى الله عليه وسلم وسائر الانبيا معصومون قبل النبوة
وبعدها عن الكبائر والصغائر الشائنة فما بالك بالكفر والجهل
بالصانع ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء وكفى نقيصة عند الكفار
ان يسبق منه كفر انتهى وما نقل عن الكلبي والسدي من ان الآية
على ظاهرها ومعناها وجدك كافرا في قوم كفار ضال مخالف للاجماع وبعيد
عن الادراك ان ينسب صلى الله عليه وسلم الى الاشراك ولهذه الرواية
الشاذة بل الفاسدة رد الزمخشري فيما قاله والمحشي
ممن نقل هذه المقالة وقال لا وجه لترديده مع حملها على الشق
الثاني ولكن لكن اي مثل آية ووجدك ضالا فهدى وتاويلها قوله
تعالى في قصة موسى صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى قال
فعلتها اذا وانا من الضالين وقرا ابن مسعود من الجاهلين اي
ومعناه اي من المخطئين الفاعلين شيئا بغير قصد وتعمد لقتل النفس
التي قتلتها او الذاهبين الى ما يفضي اليه الوكز قصدا من التاديب
وهذا معنى جائز قبل النبوة فلا يتوهم من هذه الآية انه فيها نقيصة
لموسى عليه الصلاة والسلام لان الضلال بمعنى الخطا وضمير فعلتها
للفعلة التي فعلها وهي قتله قبطيا من اتباع فرعون بمصر قبل
نبوته وبخه فرعون عليها لما ادعاه وعدد نعمه عليه بقوله
الم نربك فينا وليدا الى قوله وفعلت فعلتك التي فعلت
وانت من الكافرين فاجابه بقوله فعلتها اذا وانا من الضالين فوصف

لنفسه بالضلال وهو معصوم منه فاجاب بان الضلال بمعنى الخطأ عدم
وعدم القصد لقتله وانما اراد دفعه فوكزه فمات من وكزه وشلته
لا صبر فيه لانه خطأ معفو عنه وبانى الكلام على ذلك ايضا قاله
اي قال هذا التفسير لهذه الآية ابن عرفة وهو الحسن العبدي المؤدب
المحدث الثقة الذي روى عنه الترمذي وغيره وهو معمر عاش مائة
وسبع او عشرين في سنة سبع وخمسين ومائتين وهو المراد هنا عند
الحافظ الحلبي وغيره لا ابن عرفة الذي هو عبد الله ابراهيم بن محمد بن
عرفة المعروف بنفطويه وقال التلمساني انه المراد هنا وفيه
نظر وقال الازهري ابو منصور محمد بن احمد امام اللغة صاحب
التهذيب توفي سنة سبعين وثلاثمائة معناه اي معنى من الضالين
في الآية من الناسين وعروض النسيان للانبيا عليهم الصلاة والسلام
جائز وهو تكذيب لفرعون في قوله وفعلت فعلتك التي فعلت
وانت من الكافرين والمراد به عدم القصد اذ القتل لا يكون نسيانا اللهم
الا ان يريد نسيان انه من القبط وجند فرعون وهو الظاهر لقوله
وقد نقل ذلك اي ان الضلال بمعنى النسيان في قوله عز وجل
في حق نبينا صلى الله عليه وسلم كما تقدم ووجدك ضالا اي ناسيا فهدى
اي فهداك وذكرك كما قال ان تضل احداهما اي تنسى احدى المرأتين
ما شهدت به فتذكرها الاخرى ما نسيته ثم اورد آية اخرى تخالف
ما قرره من عصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام عن الشرك وكل
ما ينفر كالجهل فقال فان قلت فما معنى قوله عز وجل لنبينا
صلى الله عليه وسلم وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري
ما الكتاب ولا الايمان ووجه السؤال انه نفي عنه صلى الله عليه
وسلم معرفته بالقرآن المنزل عليه وبالايمان والاول صحيح لان عدم
معرفته بالقرآن قبل الوحي امر مقرر والمشكل انما هو الثاني لانه
يقتضي انه صلى الله عليه وسلم لم يكن مؤمنا قبله وهو معصوم
عن الكفر قبل النبوة وبعدها كما تقدم ولذا قيل ان المراد
به الايمان ما يجب الايمان به من احكام الشريعة لا مجرد التوحيد
والتصديق والكل ينتفي بانتفاء جزئه ولا حاجة لما تكلفه بعضهم من
ان الايمان المراد به ما ذهب اليه المحدثون وهو التصديق بالقلب
والاقرار باللسان والعمل بالجوارح ومجموعه لم يكن معلوما له صلى الله
عليه وسلم قبل الوحي فالجواب عما ذكر في هذه الآية

ان

ان السمرقندي هو الامام ابو الليث رحمه الله وقد تقدمت ترجمته
قال معناه اي ما ذكر في هذه الآية ما كنت تدري ما الكتاب تدري
قبل الوحي ان تقرأ القرآن اي لا تعرف قراءته ودراسته ولا كيف تدعو
الخلق الى الايمان وقيل انه بعيد غاية البعد فانه قدره منه
في النظر فلا قرينة تدل عليه وقد نقل تعريف الايمان عنهم والمراد
بايمانه امته اي لا تدري كيف يؤمن قومك وباي طريق يدخلون في الايمان
وملة الاسلام وهو بدعة ويستمع بانه تقريبا وقال ابو بكر القاضي
تقدمت ترجمته نحوه اي نحو ما قاله السمرقندي مما هو قريب منه
قال اي ابو بكر لا السمرقندي كما قيل وقوله هو قوله بتوحيد
ولا الايمان مصدر بمعنى المفعول اي ما يجب الايمان به الذي هو
الفرائض والاحكام الشرعية التي كلف بها علما وعملا مما لا بد منه
قال ابو بكر وكان صلى الله عليه وسلم قبل اي قبل نزول الوحي ومجي
الملك له مؤمنا اي مصدقا بتوحيده وانه لا اله الا هو ثم نزلت
الفرائض التي لم يكن يدريها قبل اي قبل نزولها وقيل بعثته فزاد
بالتكليف اي بسبب ما كلفه الله من الفرائض ايمانا وهو اي ما قاله
السمرقندي وابو بكر احسن وجوهه اي احسن ما وجهت
به هذه الآية واحسن تفاسيرها لانه تعالى لم يرد انه صلى الله عليه
وسلم لا يدري انه لا يجوز الايمان لانه لو كان كذلك قال ما كنت
تدري ما الكتاب ولا الايمان فلما اتى بما استفهامية كان معناه انه لم
يدر بحال الكتاب وحال الايمان وحال الكتاب تلاوته وحفظه وهو
امي لا يعرفه وحال الايمان لم يرد به ايمان النبي بالله وهو مجبول
عليه متحقق له من ابتداء خلقته الى اخره فالمراد به ايمان غيره من امته
وهو انما يعرف ايمانهم المضمر في قلوبهم الا اذا دعاهم فاجابوه وطابق
لسانهم جنانهم فهذا التفسير له بلازمه البين وهو وجه دقيق كما
اشار اليه المصنف ولم يقف على مراده وقال عدا الايمان في هذه
الآية معناه التصديق والاقرار والعمل والتصديق بما جاء به محمد صلى
الله عليه وسلم هو معناه الحقيقي شرعا وما عداه غير داخل فيه
الا على قول وانما تفسيره بدعوة الخلق ومعرفتها فلم يقله احد فكيف
يكون ما ذكره وجها حسنا ولا لانه لا لفظ عليه بوجه من الوجوه
والمراد ما قدمناه وقيل معناه ما كنت تعرف الكتاب قبل
نزوله عليك ولا الايمان بالفرائض والاعمال التفصيلية قبل مجي الكتاب

الذي هو تبيان لكل شيء وهذا وجه اخر غير ما ذكره المصنف رحمه الله
ومنهم من يرد عليه كلام المصنف بخلط وخبط فان قلت
اذا كان صلى الله عليه وسلم عالما بالله وصفاته فما معنى قوله تعالى له
وان كنت من قبله لمن الغافلين فوصفه بالغفلة اذ كان غفلة عن ايات
الله قبل الوحي فاتاما قررته اولا وترده بقوله فاعلم الله اي كما ذكر
من وصفه بالغفلة ليس بمعنى الغفلة التي في قوله تعالى والذين هم
عن اياتنا غافلون فان الغفلة في هذه الاية غفلة عن العلم بالله
وصفاته واول الاية ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا ه
واطمانوا بها والذين هم عن اياتنا غافلون اولئك ماواهم النار بما كانوا يكسبون
وهو صلى الله عليه وسلم معصوم عن هذه الغفلة بل معنى الغفلة
المذكورة ما حكى ابو عبيد عن الهروي امام اهل اللغة ان معناه لمن
الغافلين عن قصة يوسف مع ابيه واخوانه فانه صريح قوله نحن نقص
عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القران وان كنت من قبله
لمن الغافلين اذ لم يعلمها الا بوحينا قبل ما قصه الله عليه والغفلة عن
مثله مما لا يعلم الا بالنقل لا نقص فيه وهذا اظهر من ان يذكر فالفرق بين
الغفلتين ظاهر وفي التعبير بالغفلة اشارة الى شدة استعداده
للعلم بما لم يعلم حتى كانه عالم به ونسيه وكذلك اي ما ذكر مما يوهم ما لا
يليق بعصمته قبل النبوة الذي يرويه ابو يعلى الموصلي في مسنده ه الحديث
وعثمان بن ابي شيبة وهو من المحدثين الا انه ضعيف على ما ياتي لانه
نسب اليه اوهام بسنده عن جابر رضي الله عنه كما قال
ابو يعلى حدثنا ابن ابي شيبة قال حدثنا جرير بن عبد الحميد الضبي
عن سفيان الثوري عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله
ان النبي صلى الله عليه وسلم قد كان يشهد اي يحضر مع المشركين
بمكة في صغره مشاهدهم اي محال اجتماعهم عند اصنامهم وهذا
هو محل الانكار من هذا الحديث فانه لم ينقل ذلك عنه الا في رواية
ذكرها السهيلي وقال انها مرة واحدة على ما فيها وكان ذلك بالحاح
عليه من عمه ابي طالب ثم لم يعد لها فسمع ملكين خلفه كانا موكلين
به يحفظانه احدهما اي احد الملكين يقول لصاحبه اذهب
حتى نقوم خلفه نحفظه فقال الاخر كيف نقوم خلفه وانما قرب
منه عهده مبتدا خبره محذوف اي قريب والعهد بمعنى الزمان
كقولهم في عهد خلافة فلان باستلام الاصنام وفي الزاهر لابن

الانباري الاستلام افتعال من السلام اي حصن نفسه بمسه وحنف
وعن الفراء اسلمته الحجر واستلمته بالهمز انتهى ولم يقف الدماميني في حاشيته
البخاري على هذا فذكره بحثا بطريق التجويز من عنده وفي كشف الكشاف
انه ماخوذ من عين لا من مصدر وفيه صيرورة تقديرية وهو افتعال
للاتخاذ والاختصاص اي اتخذ سلمته نحو النفسه يعظمه بالاشارة
اليه بيده ومسه ثم عم لكل تقبيل فلم يشهدهم اي لم يشهد المشركين
في مشاهدهم بعد اي بعد ما سمع من الملكين ما قالاه وهذا الحديث
مشكل لما تقرر من انه لم يكن على شيء مما كان عليه المشركين من ركونه
اليها فانه صلى الله عليه وسلم ورده المصنف رحمه الله بقوله فهذا
حديث انكره احمد بن حنبل جدا اي انكارا شديدا اولم يقل بصحته
واصل الجد ضد الهزل استعير لما ذكر وقال هو موضوع وكذب لم يثبت
والثابت خلافه او شبيه بالموضوع على انه فعيل بمعنى به انه يشبه
الموضوع لشدة ضعفه وليس من الفضائل حتى تغتفر روايته
وحرف بعضهم شبيه بتشبيه تفعيل منه وهي يشبه مضارع مجهول
مشدد البا وقال الدارقطني ان عثمان وهم يريد غلط ومعناه ويقال
وهم واوهم بمعنى غلط ايضا في اسناده والحديث بالجملة اي اجماله
منكر غير متفق على اسناده اي روايته فلا يلتفت اليه
اي لا يعتبر بل ينبغي تركه وعدم روايته امثال النبوة خلافه كما سيبينه
المصنف وقال انه مما انكر على عثمان وقد انكر عليه احاديث
اخر رواها مع ان الشيخين رويا عنه بعض الاحاديث وعثمان هذا
هو عثمان بن محمد بن ابي شيبة ابو الحسن العبسي الكوفي الحافظ توفي
سنة تسع وثلاثين ومايتين وقد ضعفوه الا ان ابن معين قال
انه ثقة مامون والسعدي من عد له غلطاته ثم اشار الى رده بعد ما رد
سنده وبين الوهم الذي فيه فقال والمعروف عن النبي صلى الله عليه
وسلم خلافه اي ما يخالفه عند اهل العلم بالحديث واحواله
صلى الله عليه وسلم من قوله صلى الله عليه وسلم بغضت بالتشديد
والبنا للمجهول الي الاصنام اي جعلني الله مجبولا على عدم حبها وهو
يقتضي ظاهرا انه لم يشهد مشاهدها ولم يوافق قومه في امرها
ومن قوله في الحديث الاخر الذي روته ام ايمن حاضنته صلى
الله عليه وسلم وهي ام اسامة واسمها بركة وهي صحابية
وترجمتها مشهورة وحديثها هذا رواه ابن سعد عن ابن عباس عنها

حين كلمه عمه أبو طالب وأهله في حضور بعض أعيادهم وكان قال
له صلى الله عليه وسلم يا بني لم لا تشهد مع قومك مشاهدهم عند أصنامهم
يريد به لكن إذ يؤلف بينه وبينهم بالظاهر دون موافقته لما هم عليه
لما رأى اجتنابه لحضور الأصنام وعزموا عليه أي ألحوا عليه
وأقسموا عليه فيه أي في شأن الحضور معهم يقال عزم عليه
إذا أقسم وهو قسم استعطاف وطلب وضمير عزموا لأهل بيته
لأخواله أو لما طلب بأنه لا يريد ذلك وإليه أشار بقوله بعد
ظهوره كراهيته لذلك أي لحضور مشاهدهم فخرج صلى الله عليه
وسلم معهم أي مع أهل بيته وقومه إلى أعيادهم ومجامعهم ورجع
من عندهم مرعوبا أي ظاهر عليه آثار الرعب والخوف وفي
نسخة منقولة من الأم فقال الفاضحة أي فسأله عمه
عن سبب رعبه فقال كلما دنوت أي قربت منها لأمسها بيدي من صنم
بدل من قوله منها متعلق به تمثل أي ظهر لي شخص وهو ملك موكل
بحفظه صلى الله عليه وسلم ظهر له على مثال رجل أبيض طويل
يصيح بي وراءك بالنصب على الظرف فجعل اسم فعل أي ارجع لا تمسه
أي لا تمس صنما منها بيدك كما تفعلونه وهذا سبب رعبه
صلى الله عليه وسلم لأنه كان قبل بعثته وأنسه بالملائكة
الكرام عليهم الصلاة والسلام فلم يشهد أي لم يحضر صلى الله عليه
وسلم بعد عيدا على الصنم أي بعد ما رأى ذلك الملك الموكل
بحفظه عيد الصنم يجتمعون فيه عند أصنامهم وهذا مناف لقوله
إنه كان يشهد مشاهدهم المقتضي لوقوع ذلك منه باختياره مرارا
فإن كان يقتضي تكرره فما يوجد هنا كقولهم كان حاتم يكرم الضيف
وهذا الحديث تقدمت الإشارة إليه في الإسراء حين نفور
البراق وهو متعين أيضا لقوله في قصة بحيرا الراهب
بفتح الباء المقصور وقصته معروفة حين سافر صلى الله عليه
وسلم إلى الشام مع عمه أبي طالب ومر بصومعته حين سافر
صلى الله عليه وسلم إلى الشام ومر بصومعته بحيرا ورأى السحابة
تظله والشجرة التي نزل صلى الله عليه وسلم تحتها تميل إليه
لتظله وقصته مشهورة حين استحلف النبي صلى الله عليه
وسلم أي أقسم عليه أو طلب منه أن يحلف باللات والعزى اسم صنمين
معروفين إذ لقيه بالشام أي قريبا منها أو بأرضها وأقبلهما في سفره

مع

مع عمه أبي طالب لما استصحبه معه صغيرا لأنه كان لا يفارقه سفرا ولا
حضرا وهو صبي صغير ورأى بحيرا أعنه قد وسم عليه فيه صلى الله عليه وسلم
علامات النبوة كتظليل الغمام له وميل الشجرة لجانبه ونزوله صلى الله
عليه وسلم في منزل كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ينزلون فيه
كما فصل في قصته وإرهاصاته قبل النبوة فأخبره بذلك وفي نسخة
فأخبره أي أخبر بحيرا أبا طالب بذلك أي بعلامة النبوة التي شاهدها
فيه فقال له أي لبحيرا النبي صلى الله عليه وسلم لا تسألني أصلا به
كما في نسخة لا تسلني بتخفيف الهمزة بعد نقل حركتها أي لا تقسم علي
بهما لما فيه من الشرك وتعظيم الأقسام فوالله ما أقسم بالله إرشادا للحق
وبيانا لما حقه أن يقسم به وتأكيدا لقوله ما أبغضت شيئا كرهته قط
بغضهما أي كبغضي لهما فقال له بحيرا فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك
عنه فقال له صلى الله عليه وسلم سل عما بدا لك أي عن
كل شيء خطر ببالك وقد تقدم الكلام على هذا التركيب واعلم
أن قصته صلى الله عليه وسلم مع عمه أبي طالب رواها ابن سعد في
طبقاته وابن سيد الناس في سيرته وحاصلها أن قريشا كانوا يجتمعون
في كل سنة بمحل وراء ينبع يسمى بوانة بضم الباء وفتح الواو مفتوحة
وألف وهاء اسم هضبة بها أصنام لهم عيد فيه في كل سنة فقال
أبو طالب وعماته له صلى الله عليه وسلم اذهب معنا لعيدنا فأبى
فقال له أبو طالب إنا نراك تخالفنا في أمر آلهتنا ونحن نخاف عليك
من ذلك وألحوا عليه حتى غضب أبو طالب فلم يزالوا به صلى الله
عليه وسلم حتى ذهب بعضهم وبينما هو معهم ثمة غاب عنهم ما شاء
الله ثم رجع مرعوبا فزعا فقالوا له ما دهاك فقال أخشى أن يكون
بي لمم فقالوا له ما كان الله ليبتليك بالشيطان مع ما فيك من خصال
الخير فما رأيته قال إني كلما دنوت من صنم منها تمثل لي رجل أبيض طويل
ينادي وراءك يا محمد لا تمسه ثم ما عاد صلى الله عليه وسلم إلى
عيد لهم حتى نبئ وأما قصة بحيرا فمذكورة في السير وقد
عرفت بجملتها وكذلك أي مثل ما ذكر في الدلالة على خلاف ما رواه
ابن أبي شيبة أو مثل ما تقدم من نزاهته صلى الله عليه وسلم عما كانوا
عليه أهل الجاهلية المعروف من سيرته عليه وسلم وأحواله المروية
عنه في السير وتوفيق الله له لهذا بتله وخلوص طويته من ابتداء خلقه
إلى وفاته والمعروف مبتدأ خبره قوله أنه كان قبل نبوته بفتح همزة أنه

ولذلك مبتدا خبره الجملة التي بعده اذ اسم مبتدا ثو خو وكذ لك خبر
مقدم والمعرفة بدل من اسم الاشارة تخالف المشركين في وقوفهم
بمزدلفة في الحج فكان صلى الله عليه وسلم اذا حج يقف بعرفة
اسم مكان معروف يقف به الحاج ويسمي عرفات ايضا ويقال المعرف
والتعريف ذلك ابن دريد في مقصورته ثم التعريف بعرفة ونحنا والمله
الوقوف بعرفة وعلى فه علم منقول من جمع عارفة سمي به لتعارف
ادم وحوا فيه وقيل انه عرفة اسم مولد ويرده حديث الحج عرفة
وقيل عرفات اسم المكان وعرفة اسم يوم الاجتماع وفيه
كلام ليس هذا محله لانه اي عرفة كان موقف ابراهيم الخليل
صلى الله عليه وسلم فهداه الله لاتباع شريعته ومخالفة
الجاهلية فيما كانوا عليه وكانت قريش تقف بمزدلفة لانها
من الحرم وسائر العرب تقف بعرفات وهي خارجة عن الحرم فخالفهم
صلى الله عليه وسلم في ذلك كما في صحيح البخاري وفي هذا
نزل ثم افيضوا من حيث افاض الناس الاية **فصل قال**
القاضي ابو الفضل هو كمنيته رحمه الله تعالى قد بان اي ظهر واتضح
بما قدمناه في هذا الباب عقود الانبيا عليهم الصلاة والسلام
جمع عقد وهو الجزم والتصميم مستعار من العقد وهو جمع
الاطراف في التوحيد اي اعتقاد وحدانيته تعالى وعدم الشرك
والايمان اي التصديق بكل ما يجب الايمان به والوحي النازل
عليه من الله وعصمتهم في ذلك اي حفظهم عن اعتقاد خلاف
ذلك المذكور كله على ما بيناه في الفصل الذي قبل هذا
فاما ما عدا هذا الباب اي غير ما ذكر من التوحيد والايمان
والوحي وعصمتهم فيه من عقود قلوبهم اي جزمها وهو بيان
لما عدا فجماعها تكسر الجيم بمعنى جميع وتجمع والمراد
جملتها وما يجمعها اي جملة عقود قلوبهم في غيرها انها اي قلوبهم
كلها مملوة علما ويقينا نصب على التمييز والمراد بما عدا هذا
ما لا بد من علمه كاحوال الاخرة والبرزخ والملائكة على الجملة
اي هذا اخالها اجمالا لا تفصيلا لانه لا يحصى لكثرته وانها قد
احتوت اي اشتملت وجمعت وقولت من المعرفة والعلم بما نعلمه
نقدم عليه بنا على جواز تقدم من البيانية على مبينها كما ذهب
اليه بعض النحاة ومن منعه بعده لم مبنيا بمبينه ما يأتي في العرف

بين المعرفة والعلم ان الاولى تتعلق بالجزئيات والعلم بغيرها او بما
يسبقه جهل ولذا لا يقال انه لا يطلق على علم الله معرفة الا ان ابن
جماعة اعترض عليه وقال انه ورد في الحديث ما يخالفه وقد بيناه في غير
هذا المحل باموره الدنيا والاخرة جزئيا ما دكليا تها مما لا شيء فوقه اي يزيد
عليه ويفضله وفوق ضد تحت ويكون في المكان والزمان والجسم
والعدد ونحوه فاستعير لما ذكر كما قال الراغب ومن طالع الاخبار
اي اطلع على ما في كتبها والمطالعة تختص عرفا بالنظر في الكتب
وقراءتها واعتنى اي اهتم واشتغل بالحديث النبوي رواية ودراية
وتامل اي تكرر ودقق النظر وامعن بعقل من الامثال في كلما ذكر
في حق نبينا صلى الله عليه وسلم في الباب الرابع فيما اظهره الله على
يده من المعجزات وشرفه به من الخصائص والكرامات في القسم الاول
اول قسم من هذا الكتاب ما نبهه على ما ذكرناه اي مع ما ذكر بعضه
في هذا الكتاب بعلى بمعنى مع او عطفوا ذلك عليه الا ان احوالهم
في هذه المعارف يختلف استثنا منقطع كالاستدراك على ما قبله
اي لكن احوالهم تختلف فبعضهم له مرتبة فيها اعلاهما غيرها
كنبينا صلى الله عليه وسلم فالتفاوت لا ضرر فيه وقال الباقلاني يجوز
عقلا عدم معرفة النبي ببعض شرايع من قبله وعدم معرفته
ببعض الفروع الفقهية التي فرعها الفقها لكنه اذا سئل عنها لا بد
ان يعرفها وكذا علمه باللغات بشرط ان لا يخل بالتوحيد كما نقل
وفيه نظر لا يخفى فاما ما يتعلق منها اي من العلوم المفهومة من السياق
لا بالعقود بامور الدنيا وكامر المعاش واحوال الناس فلا يشترط
بالبنا للمجهول بنى المفعول ونائب فاعله العصمة في قوله
في حق الانبيا العصمة من عدم معرفتهم ببعضها ويجوز ان يكون
مبنيا للفاعل ونصب العصمة على المفعولية والضمير فيه للعلماء والحاد
في قوله ببعضها لانه عدم معرفتها بالكلية ينافي منصبه وفطنتهم وسلامة
عقولهم والمراد ما لا تعلق له بالدين اصلا فيجوز عدم معرفتهم به لكنه
واعتقادها على خلاف ما هي عليه كقصة تابير النخل وسياتي ورجوعه
صلى الله عليه وسلم لراي الحباب بن المنذر في بدر والمراد بالاعتقاد
وما يشبه الظن لا الجازم منه ولا وصم بفتح الواو وسكون
الصاد المهملة اي لا عيب ولا نقص ولا تقصير عليهم اي عائد على من
الانبيا عليهم الصلاة والسلام فيه اي في عدم معرفته وبين علمه

استعمل ... فاستغنى ... على ... بالتكلف ... في الاصول ... يكون الا بنا مر

بقوله اذ هممهم جمع همة وهي العزيمة منهم بالامر اذا عزم عليه متعلقة
اي مشغولة بامور الاخرة وابناوها جمع ابن وهو الحبر والعالم به لانها انما
تعلم بالوحي واخبار الله لهم بها وامر الشريعة وقوانينها وهو لفظ
رومي معرب وامور الدنيا بعبادها اي تخالفها فالاشتغال بها لا يليق
بعلو هممهم بخلاف غيرهم من اهل الدنيا اي غير الانبيا من الناس الذين
يعلمون بدل من اهل الدنيا ففيه اشارة لبلادتهم وانهم انما يعلمون
ظاهرها جارفها التي يمنحون به دون باطنها الذي يستعدون
به للاخرة ويترددون به لدار القرار من مصالح الاعمال وتنكير ظاهرا
اشارة الى انه متاع قليل وهم عن الاخرة هم غافلون عنها لا يخطر
ببالهم تدارك ما يلزمهم منها فهم كالانعام وهم الثانية تكرير للاولى ه
وغافلون خبرها او مبتدا خبره غافلون والجملة خبر الاولى وعلى
كل حال فيه تاكيد لغفلتهم وهو اقتباس واشارة بالمضادة الى ان
المراد بالدنيا ما تختص لحالة كرياستها وجاهها ولذا اوردها بخلاف بيانه
امورا للعلامات فانها امور شرعية تلزمهم بيانها فلا حاجة لذكره
هنا لانه سياتي واليه اشار بقوله كما سنبين هذا في الباب
الثاني ولكنه ضمير شان وهو استدراك على ما قبله لا يصح الا بتاويل
انهم لا يجهلون شيئا من امر الدنيا اصلا فان ذلك اي عدم علمهم بشي
منه يودي الى نسبتهم الى ما لا يليق بهم من الغفلة والبلادة اي شدة
البلادة وعدم الادراك وهم المنزهون عنه اي عما ذكر من الغفلة
والبله لكمال عقولهم وتمام خلقتهم فالله نزههم والتجرد خلقهم عن
ذلك واشار بتعريف الطرفين لكمالهم فيه حتى كانهم مخصوصون بهم
والحاصل ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام لهم لا بد
لهم من العلم بالعقايد والشرايع والوحي يقينا من غير شك ه
وشبهة واما امور الدنيا المحضة فلا يلزمهم العلم بها لكنهم عليهم
الصلاة والسلام لكونهم اكمل الناس فطنة وعقلا لا يكثر عدم علمهم
بها وانما يكون ذلك في النادر وليس في كلامهم هنا ما يقتضي ان كل نبي
اكمل اهل زمانه واعلمهم كما قيل وهو غير مسلم لقول
ابن الهمام انه اكمل اهل زمانه نعم لنبي وقيده بالحشان ممن ارسل
اليه وهو الحق فلا يلزم ان يكون موسى عليه الصلاة والسلام
اعلم من الخضر عليه الصلاة والسلام لانه لم يرسل اليه ولا يحتاج
الى ان يقال انه موسى بن ميشا لا موسى بن عمران بل انكار تسلوا الى

اهل

اهل الدنيا وتلذذوا بالنبا المجهولات ولوا وحكموا ومنه تقليد الفقها
وهو في الاصل من قلادة العنق سياستهم اي ضبط امورهم
امرا ونهيا بالقهر واصلها القيام على الشي بما يصلحه وهداتهم اي
ارشادهم لما هو خير في الدارين والنظر في مصالح دينهم ودنياهم بيان لما ينتظم
به صلاح المعاش والمعاد وهذا اي النظر والسياسة لا يكون ويوجد مع
عدم العلم بامور الدنيا بالكلية بان لا يعلم شيئا منها اصلا لانه مانع
للنظر في احوالهم لكن العلم بها ليس مقصودا لحظ بالذات واحوال
الانبيا صلوات الله وسلامه وتحياته عليهم اجمعين وسيرهم جمع سيرة
وقد تقدم منه في هذا الباب اي في هذا النوع من النوع من العلم
وهو العلم بامور الدنيا معلومة مما اشتهر من اخبارهم ومعرفتهم بذلك
المذكور مشهورة لا تخفى على اهل العلم واما ان كان هذا العقد اعتقادا ه
عقد قلوبهم بالاعتقاد الجازم فيما يتعلق بالدين وانه لم يتعلق بالدنيا
كالعلامات فلا يصح من النبي صلى الله عليه وسلم الا العلم به يقينا
وجزما من غير شك وشبهة فيه ولا يجوز عليه جهله اي لا يجهل
شيئا منه ولا يخفى عليه شي من جملته ويجوز اذ يراد بالجملة الاجمالي
اي نعلم علما اجماليا انه يجب اعتقادنا انه صلى الله عليه وسلم لا يجهل
شيئا مما له تعلق بالدين وتفصيلا انه قيد للنفي اي انتفى جهله
به انتفاء كليا فيعلم جميع ذلك لانه اي علمه به لكن لا يخلو علمه
من ان يكون حصل عنده ذلك العلم صادرا عن وحي من الله بارسال
ملك ونحوه فهو مما اي امر لا يصح التشكك منه صلى الله عليه وسلم فيه
اي في الوحي وما يتعلق به بناء على ما قدمناه كما علمته قبل هذا واذا
لم يحصل منه ادنى شك في شي من ذلك فكيف الجهل اي فكيف يصح منه
جهل من شك منه وهو انكار لجهله بانكار كيفيته وحالته على طريق
برهاني لانه اذا وقع لا بد ان يقع على كيفية مخصوصة بل حصل
له العلم اليقين اي المتيقن واستدركه لانه لا يلزم من عدم العلم
تيقن ضده او يكون فعل ذلك الامر المتعلق بالدين بيان احكامه
حلا وحرمة ونحوه باجتهاده وهو افتعال من الجهد وهو الطاقة
والوسع وبذله في تحصيل المطلوب وهو تحصيل الحكم مما علمه
الله واستخراجه من قواعد الدين بالتفاته اليه فيما لم ينزل
عليه فيه شي من الوحي في بيان حكم فيعلم حكمه بذلك وهو في غيره
تحصيل ظن بحكم شرعي استخرجه من نص ونحوه على القول بتجويز وقوع

الاجتهاد منه صلى الله عليه وسلم في ذلك اي فيما لم ينزل عليه
وحي فيه على قول المحققين الذاهبين لجواز اجتهاده وهو القول الصحيح
ثم على هذا اهل يجوز وقوع الخطا منه فيما اجتهد فيه فمنعه بعضهم وجوزه
بعضهم مع الاتفاق على عدم اقراره صلى الله عليه وسلم على الخطا
وهذا رجحه كثير من الاصوليين وذهب كثير منهم الى ترجيح عدم
وقوع الخطا في اجتهاده اصلا والادلة قال المصنف رحمه
الله وادلتهم مبسوطة في كتب الاصول فمن ارادها فليأخذها من مظان
تحاريره وعلى مقتضى بصيغة المفعول اي على ما يقتضيه ويدل عليه
لزوما حديث ام المؤمنين هند بنت ابي امية المشهورة بام سلمة
بفتحات فيما روته عنه صلى الله عليه انه قال اني انما
اقضي بينكم برايي واجتهادي فيما لم ينزل علي فيه شي اي فيما لم ينزل
الله فيه شي من وحيه وهو صريح في وقوع الاجتهاد منه صلى الله
عليه وسلم خرجه الثقات اي رواه بسنده من يوثق به كابي داود
وغيره فهو حديث صحيح دال على صحة اجتهاده صلى الله عليه
وسلم وسبب هذا الحديث انه صلى الله عليه وسلم اتاه رجلان
يختصمان في مواريث واشيا قد درست فقال اني الخ وهو دليل
على جواز اجتهاده ووقوعه منه خلافا لمن لم يجوزه او جوزه
وقال لم يقع لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى
او حصره بالحروب لان اجتهاده في حكم الوحي لاستنباطه منه بالقياس
فليس هو عن هوى وقوله صلى الله عليه وسلم لا ادري في بعض الاحيان
لانتظاره لعدم ظهور القياس له والقياس مستند الى الوحي لقوله
تعالى فاعتبروا يا اولي الابصار ولقضية اسرى بدر جمع اسير كاسارى
وهما بمعنى وقتل الاسير منهم يوثق والاسارى الموثقون
وهم سبعون رجلا والقصة كما في صحيح مسلم انه صلى الله عليه
وسلم قال لابي بكر وعمر ما ترون في هؤلاء فقال ابو بكر رضي
الله عنه بنو العم والعشيرة ارى ان تاخذ منهم فدية فتكون لنا
قوة على الكفار فعسى الله ان يهديهم للاسلام فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقول يا عمر فقال ارى ان تضرب
اعناقهم فانهم ائمة الكفر وصناديده فنزل ما كان لنبي ان يكون
له اسرى حتى يثخن في الارض بعدم الفدية فجلس صلى الله عليه
وسلم هو وابو بكر يبكيان فقال لهما عمر لم تبكيان اخبراني فان

وجدت

وجدت بكا بكيت والا تباكيت فقال صلى الله عليه وسلم ابكي لما عرض من
من الفدا لقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة عنده فهذا دليل
على وقوع الاجتهاد منه صلى الله عليه وسلم وكقضية الاذن للمتخلفين عنه
صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فانه اذن لجماعة استاذنوه في
القعود عنها فاذن لهم باجتهاده منه ولم ينتظر الوحي فعاتبه الله
على ذلك مع لطفه في تقديم العفو عنه بقوله عفا الله عنك لم اذنت
لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا الاية لانه كان مع من استاذنه
واعتذر باعذار بعض المنافقين لم يعرف نفاقهم حتى نزلت
الاية المذكورة عليه على راي بعضهم راجع للقضيتين او للثانية
فقط فانه فعل ان ذلك باجتهاد من اصحابه بنا على جواز وقوع
الاجتهاد منهم عنده صلى الله عليه بنا على ان الغنا لهم وخطا
بقوله لهم واقرارهم مع انه خلاف الاولى او ان ادعاه
غيره في ذلك فقد راه ان في الاجتهاد منه وانما كان عليه
ان ينتظر الوحي ان يبين الاولى به وفيه مباحث وانظار دقيقة فلا
يكون ايضا ما تقتضيه مما يثمره اجتهاده انه يترتب عليه ويكون
ثمرة لشرعي بانه او تبعيضه او كربه الاخيار موافقا
للواقع وصحيحا في نفسه بقطع النظر عن الواقع ومطابقته
وهذا بنا على انه صلى الله عليه لا يخطي في اجتهاده اصلا كما
ارتضاه الغزالي وبني عليه انه يجوز القياس على ما اجتهد فيه وهو
اللائق بمقام النبوة ومثله في هذا الحكم سائر الانبيا عليهم الصلاة
والسلام وذهب ابن الحاجب وغيره الى انه يقع منه الخطا نادرا الا
انه لا يقر عليه وليس ما استدلوا به خطا بل خلاف الاولى فان
اراده ارتفع الخلاف فتدبر هذا القول من ان اجتهاده صلى الله عليه
وسلم لا يكون الا صحيحا هو الحق الذي لا يلتفت ويعتد الى خلاف
من خالف فيه بان قال لا يجتهد اصلا او يقع في اجتهاده الخطا او
اجتهاده مخصوص بالحروب ممن اجاز عليه الخطا في الاجتهاد وذكره
وهذا وقع في بعض النسخ وسقط من بعضها انه لم يقم عليه
دليل لا على القول بتصويب المجتهدين بصيغة التثنية او
بصيغة الجمع اي موافقة حكم كل منهما او منهم للصواب وقوله
الذي هو الحق والصواب مفعول لتصويب في محل نصب اي ما يعتقده
كل موافق للحق والصواب فكل مجتهد مصيب كما قال

رمي فاصاب قلبي باجتهاد ، صدقتم كل مجتهد مصيب ،
او الذي مبتدا خبره قوله عندنا وهو احد قولين ذكرهما المصنف
والاشعرية فالمشهور للاشعرية ولا على القول الاخر الذي ذهب
اليه الجمهور القائلون بان الحق في طرف واحد غير معين بالاخر خطأ الا
انه لا اثم عليه فيه وهذا في غير النبي صلى الله عليه وسلم
لانه لا يخطئ او لا يقر على الخطأ لعصمة النبي صلى الله عليه وسلم
اي لعصمة الله له من الخطأ في الاجتهاد في الشرعيات قيده به لانه محل
الخلاف بخلاف العقائد وامور الوحي كما تقدم فما لا تعلق له بالدين فان
الاول لا يجوز فيه الخطأ بالاتفاق والثاني يجوز فيه بالاتفاق كما تقدم
تفصيله ومحل الخلاف في اجتهاد غير الانبياء لان القول
بتخطئة المجتهدين اي كلام الاصوليين فيما يتعلق به انما هو بعد
استقرار الشرع فلا يتصور بعده منه اجتهاد لانه يكون قياسا على حكم
شرع قبله ونظر النبي صلى الله عليه وسلم واجتهاده انما فيما لم ينزل
عليه فيه شيء من الوحي ولم يشرع له قبل اي قبل اجتهاده فيه ونظره
لنظيرته الصواب في محل الاجتهاد فلا يتصور خطاؤه لان خطأ
المجتهد انما يظهر بمخالفة نص او اجماع او قياس جلي وقد تقرر انه
لم يسبق به شرع وهذا دليل على انه لم يقع الخطأ في اجتهاده وفيه
بحث لان الاجتهاد بالنظر في نظائره فان اراد لم ينزل شيء في عينه
فمسلم لكنه لا يمنع الاجتهاد وان اراد شيء من نوعه واشباهه
فممنوع فهذه مغالطة ومموهة فتامله هذا المذكور فيما اجتهد
فيه او عمل فيه برايه واجتهاده فيما لم ينزل فيه شيء فيما عقده صلى الله عليه
وسلم اي علمه جازما او عزم عليه واعلنه فكره من امور الدين
التي لا بد منها من الحلال من الحقائق نحو امور الوحي مما لا بد من علمه
من غير شك فيه او من الشرع المعلوم بالوحي او الاجتهاد كما فصله
ولعل هذا مخصوصا بالاعتقاديات كما تقدم فاما ما لم يعقد
النبي صلى الله عليه وسلم عليه قلبه وتكلم فيه عاجلا زمان النوازل
جمع نازلة وهي القضية الحادثة له ويحتاج لبيان الحكم فيها
ويكون له التردد اي المتعلق بها حكم شرعي من حل وحرمة ونحوه فقد
يجد كان صلى الله عليه وسلم لا يعلم شيئا منها اولا اي في ابتداء
بعثته وقبل الوحي فلا اذن له في التشريع الا ما اعلمه الله
بالوحي اليه شيئا فشيئا اي شيئا بعد شيء على سبيل التدريج بحسب

الوقايع واشباهها المقتضية لبيان حاله وهذا منصوب على الحال
كعلمه النحو بابا بابا لانه تاول تفصيل نحوه وليس الثاني تاكيدا لتعينه
في الكتب العربية حتى استقر علم جملتها اي علم جميعها عنده اي في علمه
وحفظه لما انزل عليه منها اما بوحي من الله او اذن له في ان يشرع في ذلك
بفتح اوله وثالثه المخفف او بضم اوله وكسر ثالثه المشدد اي
ياخذ في بيانه او يبين ما حكم الشرع فيه برايه واجتهاده ويحكم في القضا
بما اراه الله اي عرفه وعلمه بوحي منه او الهام ونظرها انزل عليه
كما قال تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك
الله والاشبه على اجتهاده المأذون له فيه وانه مصيب فيه
وقد كان صلى الله عليه وسلم ينتظر الوحي في كثير منها اي من النوازل
الواقعة ليبين الله له الحكم فيها ويجتهد في قليل منها احيانا ولكنه
لم يمت حتى استقر جميعها عنده اي تحقق صلى الله عليه وسلم
وتقرر عنده العلم بجميع الاحكام الشرعية اللازمة ولذا قال
تعالى اليوم اكملت لكم دينكم وفي نسخة استفرغ بفاء وغين معجمة
اي استوفى واستكمل وهو استعارة من استفراغ الماء وصبه كانه
افاض ماء على العطاش وتفرقه وتحققت معارفها اي العلوم
بالاحكام الشرعية وجزئياتها لديه اي عنده وعنده انه على التحقيق
اي متيقنة محققة بلا تردد ورفع الشك والريب اي الاشتباه
اي في شيء منها وانتفا الجهل عنه اصلا وبالجملة اي اجمالا دفعا لايراده
لهذه الجملة على كل حال وبكل وجه فلا يصح ولا يجوز عقلا
وشرعا منه ومن كل نبي الجهل بشيء من تفاصيل الشرع اي شرعه
صلى الله عليه وسلم الذي امر بالنبإ للمجهول اي امره الله بالدعوة
اي دعوة امته اليه اي الى اتباعه عموما لانه لا يجهله به بنيانا في امره
بدعوته ولا تصح دعوته الى ما لا يعلمه لانه طلب المجهول
وهو ممتنع عقلا وعبث غير مفيد فكان صلى الله عليه وسلم اعلم
الناس باحكامه بدولته الولاية العامة على جميع خلقه والامامة العظمى
فكان يحكم بالقضا والسياسة والافتاء يحكم بالظاهر والباطن كالخضر
عليه الصلاة والسلام كما قاله السيوطي والفرق بين احكامه
مما ذكره فصله السبكي والقرافي في عدة وللعلامة ابي شامة فيه
تاليف مستقل لا يستطيع هذا المقام تفصيله فان تكلم بعضهم فيه
هنا كلاما غير مهذب فان اردت تحقيقه فانظر كلام القوم فيه

وَامَّا ما تعلق بعقده اي بجزم قلبه بما بصره الله به من ملكوت السموات
والارض الملكوت مبالغة في الملك كالرهبوت والجبروت وقد يخص بغير
المشاهد كعالم الامر والمراد علمه صلى الله عليه وسلم بحقيقة
الاجرام العلوية واتحادات ستفلي وما فيهما من الملايكة
الموكلين بها والكواكب التي خلقت فيها ورتبته لها وهذا لخلقه وعلاما
بحكم الهند وكذلك الارض التي جعلها الله مقرا لعباده وعلمه
بما فيها علما اطلع به على حقيقتها وما اودعه فيها ولنبيه كما تزعم الفلاسفة
واهل الطبيعة من امور تحدث ومن القواعد كثيرة المفاسد وخلق الله
ايمه مخلوقاته بما فيهما وابدعها واودعها حكما تحار فيها العقلا
وفي كل شي له اية • تدل على انه الواحد •
وتعيين اسمايه الحسنى الدالة على ذاته وبديع صفاته وفي قوله
تعيين اشارة الى انها توقيفية فلا يطلق عليه الا ما ورد به اذن
شرعي والكلام عليها مفردا بالتاليف واجل ما صنف فيه كتاب الامام
القرطبي وقيل يصح ان يطلق عليه كل اسم يدل انصافه
به بما لا يوهم نقصا وقيل يجوز ما كان على سبيل التوصيف والكلام
عليه مفصل في كتب الاصول وآياته الكبرى اي عجايب مخلوقاته
الدالة على عظمته والكبرى بمعنى العظيمة لما اخبر عنه
صلى الله عليه وسلم بما شاهده في ليلة الاسرا كما تقدم وامور الاخرة
كالحشر والنشر واهوال الموقف والصراط والميزان والنفخ
في الصور واشراط الساعة اي علاماتها الدالة عليها جمع شرط
بفتحتين وفي الاساس تعالى لا زالت كل شي اشراطه ومنه اشراط
السنة سوء الاذا تدخله واشراط الساعة مشهورة والساعة
مقدار من الزمان ثم خص بالقيامة وقيل الاشراط تختص
بعلاماتها الصغار كما نقله الخطابي عن ابي عبيدة والمشهور
شمولها للصغار والكبار كخروج المهدي والدجال واحوال السعدا
والاشقيا في البرزخ والدنيا والاخرة وما لهم من نعيم وعقاب
وعلم ما كان من احوال الامم السالفة وما كان في ابتدا خلق العالم
وما يكون بعده من الفتن وغيرها كما في حديث حذيفة
المشهور مما لا يعلمه الا بوحي اعلمه الله به في المغيبات تعلق
بما تقدم اي واقع على اسلوب ما تقدم والفا في جواب اما من انه
بيان لما تقدم معصوم فيه عن الخطا والشك في شي منه لا ياخذه

ابدا لا يعرض له ويطرؤ عليه فيما اعلم بالبنا للمجهول اي اعلمه
الله بوحيه ويجوز فيه البنا للفاعل اي اعلم به امته منه اي مما ذكر
شك ولا ريب وتردد في علمه به بل هو فيه اي فيما اعلم به على غاية
اليقين والجزم به بلا تردد وقلبه صلى الله عليه وسلم مطمين بعلمه
لا يقلق ويضطرب لان اصل معنى الريب الاضطراب كما حققه
اهل اللغة لكنه اسند ذلك من كونه على غاية من اليقين
لا انه لا يبلغ احاطة علمها بتفاصيلها فلذا قال لا يشترط
له العلم بجميع تفاصيل ذلك لانه مما يعجز عنه البشر وان كان
عنده صلى الله عليه وسلم من علم ذلك ما ليس عند جميع البشر سواه
لما خصه الله به من اطلاعه على احد غيره لقوله صلى الله عليه
وسلم في حديث رواه البيهقي اني لا اعلم الا ما علمني ربي اي لا اعلم
شيا مما يخفى على الناس الا بتعليمه تعالى وقوله صلى الله
عليه وسلم في حديث في الصحيحين ولا خطر اي طرا عليه
على قلب بشر اي احد من الناس وهو حديث قدسي اوله
اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه اقرءوا ان شيتم
فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين الاية فيه دليل
على ان من احوال السعدا ما لم يطلع عليه صلى الله عليه وسلم
وبله اسم فعل بمعنى دع والاية تدل على ان الله اخفى ذلك حتى عن
انبيايه من احوال السعدا التي تتجافى جنوبهم عن المضاجع وقرة
العين سرورها لان دمعة السرور باردة او لانها تقر
وتسكن لعدم التفاتها لغير ما هي فيه ومما يدل على ان الانبيا
عليهم الصلاة والسلام قد يخفى عليهم بعض العلوم قول موسى
كليم الله عليه الصلاة والسلام وهو من كبار الصحابة عليهم الصلاة
والسلام للخضر في قصته التي قصها الله في القران هل اتبعك
على ان تعلمن مما علمت رشدا وموسى هو ابن عمران وما روي عن
نوف البكالي من انه موسى بن ميشا وهو نبي اخر من بني اسرائيل
ليس من اولي العزم هو قول اهل الكتاب يروى ان موسى الكليم تعاظم
اجل من ان يتعلم من غيره وقد نقلنا ما قاله نوف ابن عباس رضي الله
عنهما فقال كذب عدو الله وانما هو ابن عمران واستشكل هذا اذ هو
نوف تابعي صالح ثقة فكيف يقال انه عدو الله فقيل انه قصد به زجره

في حال شدة غضبه وتهوره لما سمع ما يخالف ما صح عنده عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وأما كونه استعارة كما قاله الله فلنبين لشيء
والخضر صاحب موسى عليهما الصلاة والسلام هو بليا بن ملكان
والكلام فيه هل هو ولي أو نبي أو ملك وهل هو حي الآن مشهور وه
وللعلامة الخضيري في كتابه الروض النضر في أحوال الخضر ثم
برع فيه مقالا لغيره يحتاج اليه وحضر مجلد والقيد سمي خضرا
لأنه كان إذا جلس على أرض اخضرت كما مر وقصته معلومة وتفسير
هذه الآية قد كفينا مؤنته ووجه استشهاد المصنف بهذه
الآية والقصة عقب الإنباء بما يدل على أن النبي لا يجب أن يعلم
تفاصيل كل شيء قوله صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح رواه
الديلمي عن أنس في بعض الأدعية المأثورة عنه صلى الله عليه
وسلم أسألك بالله بأسمائك الحسنى تأنيث الأحسن وأسماؤه عز
وجل كلها حسنة لما دلت عليه من المعاني الجليلة والحسن
في العرف العام يقال لما يدرك بالبصر وأكثر ما جاء في القرآن لما
تستحسنه البصيرة كقوله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون
أحسنه كما قاله الراغب في مفرداته ما علمت منها وما لم
أعلم بدل من أسمائك وهذا الحديث يدل على أن لله
أسماء لم يعلمها صلى الله عليه وسلم مما لا يعلمه إلا الله ولا يضير
في شأنه ومثله قوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه
أحمد في مسنده فيه أسألك بكل اسم هو لك أي مخصوص بك
سميت به نفسك أي ذاتك وفيه دليل على صحة إطلاق النفس
على ذاته من غير مشاكلة خلافا لمن منعه وفيه لبعض المحققين
تفصيل حسن وهو أنه إن كان بمعنى الذات صح الإطلاق مطلقا
نحو كتب على نفسه الرحمة وإن كان بمعنى الروح ونحوه وكقوله
تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك لم يطلق إلا مشاكلة فتدبره
أو استأثرت به أي انفردت بعلمه دون غيرك في علم الغيب
عندك أي في جملة معلوماتك المغيبة عن غيرك وإنما هذ
فيه كالحديث الذي قبله وقد قال الله تعالى ما يدل على أنه
لا يحيط بجميع العلوم غيره وفوق كل ذي علم عليم هو أعلم
وأعلى رتبة في العلم فهذا دل على أن علم البشر متناه مخصوص
وقال القاضي في تفسيره المراد كل ذي علم من الخلق لأن الكلام

فيهم

فيهم وإلا فالعليم هو الله عز وجل الذي له العلم البالغ فلا فرق
بينه وبين قولنا فوق كل ذي العلماء عليم وهو مخصوص انتهى وهو
إشارة إلى دفع شبهة تقريرها أن الله ذو علم فهو داخل في هذه
الكلية فيقتضي أن فوق الله عليما يعلم ما لم يعلمه بأنها قضية
مخصوصة بالمخلوقين فالعليم الذي فوق كل ذي علم هو الله لا غير فهو
عام مخصوص وقال زيد بن أسلم وغيره في تفسير هذه
الآية إشارة لما قلناه المراد أن رتبة العلماء لا تزال تترقى في العلم
حتى ينتهي العلم إلى الله تعالى فهو الذي فوق كل ذي علم فوقية بالغة
إلى مرتبة ليس فوقها شيء أصلا فهو العالم المحيط علمه بكل شيء بسائر
الجزئيات علما تفصيليا خلافا للفلاسفة القائلين بأنه يعلم
الكليات دون الجزئيات وبطلان قولهم مذكور في كتب الكلام إلا
أن النصير الطوسي قال في مقالة له في هذا البحث إن المخطئين
لم يقفوا على مرادهم وأنهم لم ينكروا ذلك وهو كلام طويل لا يحيط به
نطاق البيان هنا وقد ذهب إلى ما قاله النصير ابن عربي في فتوحاته
ووافقناه بعض مشايخ عصرنا ولكل وجهة وفوق كل ذي علم عليم
وهذا أي انتهاء العلم إليه تعالى مما لا خفاء به عند من له
عقل سليم إذ معلوماته تعالى لا نهاية لها ولا يحيطون به علما
أي لا يقفون على جميعها وهو أحاط بكل شيء علما وهو في الأصل
استعارة من إحاطة الحائط بما في داخله ولا منتهى لها عطف تفسير
لعدم الإحاطة هذه أي ما ذكر من عصمة النبي صلى الله عليه
وسلم فيما يتعلق بعقد قلبه فيما ذكر في هذا الفصل
كما أشار إليه بقوله حكم عقد النبي صلى الله عليه وسلم
أي اعتقاده الجازم فيما ذكر في هذا الفصل في التوحيد المراد به
ما يتعلق بالعقائد في الشرع ونحوه مما أوحي إليه والمعارف
والأمور الدينية من عطف بعض أفراد العام عليه لمزيته
والكلام على العلم وحقيقة علم الله الحضوري وما قاله وغاية
ما تكفلت به الكتب الكلامية ولكل مقام مقال فصل
واعلم أن الأمة أي أمة الإجابة مجتمعة على عصمة النبي أي
حفظه صلى الله عليه وسلم من الشيطان والتعريف في النبي
للجنس أو للاستغراق ويجوز أن يكون للعهد ويعلم غيره بطريق
الدلالة فإنه تعالى قال إن عبادي ليس لك عليهم سلطان فإذا لم

يكن له سلطان على خلص عباده علم انه ليس له تسلط على انبيائه
عليهم الصلاة والسلام بالطريق الاولى وكفانا منه منه اي حمايته
لا في جسمه بانواع الاذى اي اذى الشيطان مما يكون من اصابة
جنده من الجن كالصرع والطاعون وداء الجنب فانها من الشيطان
ولذا لم يرض صلى الله عليه وسلم لمن ورده في مرض موته ليلطخهم
انه بذات الجنب فقال انها من الشيطان وقد عصمني الله منه
كما يأتي ومنه علم ان الطاعون لا يصيب الانبيا عليهم الصلاة
والسلام ولا يتسلط الشيطان على خاطره اي فكره وقلبه
صلى الله عليه وسلم بالوسواس جمع وسوسة وهي ما يلقيه
الشيطان في نفسه قيل ومن الوسوسة ما هو غير اختياري
يقدر الانسان على دفعه ولا يؤاخذ به ما لم يتماد ويتكلم وهذا
مما لم يعصم عنه احد لانه من الاعراض البشرية الا انه صلى الله عليه
وسلم معصوم عن ان يقع فيه اذا عرض له نادرا ولعل من هذا
القبيل السحر فتأمله وقد اخبرنا القاضي الحافظ ابو علي هو ابن
سكرة وقد تقدمت ترجمته رحمه الله قال حدثنا
ابو الفضل بن خيرون العدل تقدم ايضا قال حدثنا ابو
بكر البرقاني وغيره بكسر البا الموحدة وسكون الرا المهملة
وقاف والف ونون نسبة لبرقان قرية من نواحي خوارزم وهو
الامام الحافظ ابو بكر احمد بن محمد بن احمد بن غالب الخوارزمي
الشافعي الامام نزيل بغداد كما تقدم قال حدثنا ابو الحسين علي بن عمر
الدارقطني نسبة لدار قطن محلة ببغداد كما تقدم قال
حدثنا اسمعيل بن محمد بن اسمعيل الامام العابد الثقة
النحوي المشهور بالصفار نسبة لعمل الصفر وهو النحاس توفي
سنة احدى واربعين وثلاثمائة وقد جاوز التسعين باربع سنين
قال حدثنا عباس بمهملتين بينهما موحدة الترقفي بفتح
المثناة الفوقية وسكون الرا وضم القاف وفا مكسورة وياء نسبة
وهو امام ثقة روى عنه ابن ماجة وغيره وهو يروي عن
وترقف قيل اسم امراة وقيل اسم بلدة قال
حدثنا محمد بن يوسف وهو الفريابي وقد تقدم عن سفيان
الثوري وقد تقدم عن منصور هو ابن المعتمر وقد تقدم عن
سالم بن ابي الجعد الاشجعي الكوفي وقد تقدم ايضا عن سالم

ابن

ابن ابي الجعد الاشجعي الكوفي وقد تقدم ايضا عن مسروق بن الاجدع
الهمداني ابي عائشة العابد الزاهد التابعي توفي سنة ثلاث وستين واخرج
الستة عن عبد الله ابن مسعود الصحابي المشهور في حديث رواه
مسلم عن سالم ابن ابي الجعد عن ابيه عن ابن مسعود ورواه من طريق
اخر لعلو سنده فيه وعظم رجاله قال ابن مسعود قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم اي معاشر الناس من احد
من زائدة واحد مبتدا خبره مقدم عليه وهو منكم وزيادة من
لتاكيد العموم الا وقد وكل مشدد مبني للمجهول اي عين ملازمته
كالحفيظ الملازم لمن يحفظه كما قال تعالى وما انت عليهم بوكيل
فاستعمل المقيد في المطلق مجازا به قرينه اي الذي يكون مقارنا له
من الجن وقرينه من الملائكة اما قرين الجن فانه موكل بوسوسته
واغوائه واما قرينه من الملائكة فهو من الحفظة لا من الكتبة كما قيل
لعدم مناسبته لما هنا قالوا اي قال الصحابة الحاضرون عنده
صلى الله عليه وسلم واياك يا رسول الله بالضمير نصب معمول
لمقدر وامثاله او كل بك قرين من الجن كغيرك فحذف الفعل
وحرف الجر فانتصب الضمير وانفصل وانما عدل عن الظاهر
تادبا واشارة الى استبعاد ان يكون كغيره في ذلك لانه يبني توكيله
به تسلطه عليه بوسوسته واغوائه وهو صلى الله عليه
وسلم معصوم من مثله او الضمير مستعار من ضمير الرفع واصله
وانت كما في رواية صحيح البرقاني عن ابن عباس رضي الله عنهما
وسيأتي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واياي
اي وكل بي قرين من الجن كغيري ثم استدرك ببيان تمييزه صلى
الله عليه وسلم عنهم بقوله ولكن بالتشديد والتخفيف
الله بالرفع والنصب على وجهي لكن اعانني الله عليه اي على قريني
من الجن بحفظي منه ومنعه من التسلط علي لهدايته للاسلام
فاسلم بصيغة الماضي من الاسلام اي هداه الله قريني للاسلام
ببركة مقارنته له صلى الله عليه وسلم او هو مضارع مرفوع فاعله
ضميره صلى الله عليه وسلم اي فاسلم انا منه وقال
النصير الطوسي في شرح الاشارات في الحديث ما من مولود ولد من بني
ادم الا ولد معه قرين من الشياطين فقيل وانت يا رسول الله كذلك
قال وانا كذلك الا ان الله اعانني عليه فاسلم اي فاسلم الشيطان

ومنهم من انكر هذه الرواية وقال الرواية الصحيحة فاسلم
ومعناها ان الله اعانني عليه فاسلم من شره فان الشيطان لا يسلم
قط انتهى ومنهم من اوله فقال المراد بالشيطان القوة الغضبية
واسلامها انقيادها للعقل والنفس القدسية والى هذا ذهب
الامام الغزالي رحمه الله في الاحيا وتجوز كون الروايتين بمعنى على
ان اسلم مضارع منصوب على نهج قوله ۞
۞ والحق بالحجاز فاستريحا ۞
ولكن ان تقول اعانني عليه بمعنى لم يتسلط علي فالمضارع منصوب
في جواب النفي وقد خرج عليه البيت زاد غيره اي زاد غير شيخنا
راوي هذا الحديث فيه عن منصور بن المعتمر الذي تقدم
في جملة رواة هذا الحديث فلا يامرني هذا القرين الا بخير
فصار لنبينا صلى الله عليه وسلم قرين خير وروي عن عائشة
رضي الله عنها بمعناه وروي عن عائشة رضي الله عنها
فهو بيان لما قبله فاسلم بضم الميم وهمزة المتكلم مضارع مرفوع
اي فانا اسلم منه وفي نسخة اي فاسلم انا منه ومن وسوسته
وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها على الرواية الاولى كذلك
خرجه المحدثون وقد تقدم في كلام الطوسي وهو ليس من فرسان
هذا الميدان وروي بالبنا للمجهول الرواية في صحيح البخاري
فاسلم بصيغة الماضي يعني القرين تفسير لضمير الفاعل المستتر
فيه ومعنى اسلم انه انتقل عن حال كفره بناء على ان الشياطين
منهم من يسلم وقوله الى الاسلام متعلق بانتقل اي تحول من حال
لاخر فصار لا يامر الا بخير كالملك القرين الموكل به وهو اي هذا
المعنى كانتقاله من الكفر الى الاسلام ظاهر الحديث المفهوم من
سياقه بل نص قوله ورواه بعضهم فاستسلم اي انقاد وكف
عن الوسوسة قال ابن الاثير روايته اسلم بفتح الميم تشهد لها
ما روي كان شيطان ادم كافرا وشيطاني مسلما ورواية خواسلم
ورواية مسلم بضم الميم والمصنف مرجح لرواية الفتح وفي الحديث
ثلاث روايات واسلم ها بمعنى استسلم وانقاد انضا فتأمل
انه قد تقدم ان الشيطان ممنوع من التسلط بالاذى على المؤمنين
وفيه انا نجد منهم من حصل له مس وخطف كثيرهم رضي الله عنه
فلعله لتقدم سبب يمنع من حفظه انتهى ولا يخفى انه في حق الانبيا

محقق

محقق وفي غيرهم اغلبي والنادر لا حكم له والقرين الملازم ولذا
سميت الزوجة قرينه تقدم قرنه الجني لمناسبته المقام له وحديث
عائشة في مسلم قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندها ذات
ليلة قالت فغرت فلما جا وقال ما لك يا عائشة اغرت فقالت
كيف لا يغار مثلي على مثلك فقال هذا من شيطانك قلت
او معي شيطان يا رسول الله قال نعم ولكن الله اعانني عليه حتى اسلم
قال الخطابي رحمه الله الصحيح المختار عندهم وقد رجح القاضي عياض
الفتح وهو المختار لقوله ولا يامر الا بخير واختلفوا في الفتح فقيل اسلم
اسلم بمعنى استسلم كما رواه مسلم وقيل معناه صار مسلما
وهو الظاهر انتهى ويؤيد هذا ما اخرجه البيهقي وابن الجوزي في الوفا
عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال
فضلت على ادم بخصلتين كان شيطاني كافرا فاعانني الله عليه
حتى اسلم وكن ازواجي عونا لي وكان شيطان ادم كافرا وكانت
زوجته عونا على شيطانه خطيئته وقد اشار الى ذلك الخضري رحمه
الله في بردته بقوله ۞
۞ في خصلتين يفوق ادم فيهما ۞ وهما لاهل الحق واضحتان ۞
۞ شيطان ادم كافر يغويه وقد ۞ وصلت هدايته الى الشيطان ۞
۞ ولزوجته عون عليه وانه ۞ بنسائه قد كان خير معان ۞
ونقل الشيخ محمد الشامي في سيرته عن المطلع مما اسلم من الشياطين
الا شيطانان شيطان نبينا صلى الله عليه وسلم وشيطان نوح عليه
الصلاة والسلام وقال بعضهم بل سائر الانبيا على هذا المنوال
نعم قال القاضي ابو الفضل مصنف هذا الكتاب رحمه الله
فاذا كان هذا حكم شيطانه صلى الله عليه وسلم في احتياجه
الى اعانة الله له عليه حتى يسلم منه وحكم قرينه من الجن الذي
وكل به وهو عطف تفسير لما قبله وصفه بقوله المسلط على
كل احد من بني ادم وفي نسخة المسلط على بني ادم والمراد المسلط نوعه
وجنسه لا لا قرينة تختص به فكيف الظن بمن بعد منه
ولم تلازمه من الشياطين ابنوهم احدا انه لا يسلم منه فعدم تسلطه
معلوم بالطريق الاولى لانه لا يقدر على الدنو منه وهو يلزم صحبته
لانه اسلم بحفظه فربنا له ان القرين معناه الملازم صحبته كما تقدم
ولا اقدر بضم الهمزة والبنا للمفعول لانه لم يجعله الله قادرا على الدنو

والقرب منه صلى الله عليه وسلم لعصمته له عن تسلطه عليه على سائر الانبيا
وخلص عباده وقد جاءت الآثار والاحاديث المروية عنه صلى الله
عليه وسلم بتصديه اي تعرض الشياطين له صلى الله عليه وسلم
في غير موطن اي في مواضع كثيرة كالصلاة وغيرها رغبة
مفعول له او حال في اطفا نوره ويابى الله الا ان يتم نوره واماتة
نفسه اي اهلاكه او صده عما هو مشغول به من العبادة وادخال
شغل عليه اي بالوسوسة المانعة له عن الكفر فيما فيه صلاحه
وصلاح امته فعلوا ذلك اي يئسوا من اغوايه واضلاله عن طريق الحق
فانقلبوا اي رجعوا عما قصدوا له خاسرين خائبين لعدم قدرتهم عليه
صلى الله عليه وسلم وعلى القرب منه كتعرضه اي تعرض الشيطان له
صلى الله عليه وسلم وهو مستغرق بالتوجه الى الله في صلاته فاسره
اي اخذه وقهره باستيلايه عليه وربطه بقوله ففي الصحاح
اي الاحاديث الصحيحة المروية في البخاري ومسلم وغيرهما قال
ابو هريرة في حديث رواه عنه صلى الله عليه وسلم ان الشيطان
تعرض لي وفي نسخة عرض لي اي اتاني ووقف عندي قال
عبد الرزاق بن همام الامام الحافظ كما تقدم في ترجمته وهذا
في رواية على الصحيحين في صورة هر وهو السنور الذي يقال
له قط والشياطين تتمثل باي صورة ارادت من صورة الحيوان
وغيره فشد علي اي حمل ووثب وثبة على … شديدة بحسب
الشين المعجمة ومنه اذا حمل على العدو ونحوه يقطع علي الصلاة
اي يبطل صلاتي باخراجي منها واحتيله ليقطع على الخ او اراد
ان يقطع صلاتي ويفسدها فامكنني الله منه اي اقدرني عليه
ومكنني من اخذه وقهره فذعته بفاء ودال مهملة ومعجمة وعين
مهملة ومعجمة ويقال ذاته بدال مهملة ومعجمة
وهمزة اي خنقته ودفعته حتى صرعته وفي رواية فاخذت بحلقه
واصل الدعت بمهملة ومعجمة الدفع بعنف والمعك في التراب
كما في النهاية وفي غيرها انه الغط في الماء والخنق الشديد
وانكر الخطابي المهملة وصحح غيرها ولقد هممت
ان اوثقه اي اربطه والوثاق ما يشد به قال تعالى فشدوا الوثاق
وهممت بمعنى عزمت ونويت الى سارية وفي رواية بسارية من سواري
المسجد والسارية العمود المنصوب ليوضع عليه سقف ونحوه وكان

ذلك

ذلك ليلا في مسجده ولذا قال حتى تصبحوا اي تدخلوا في وقت
الصباح تنظرون اليه فذكرت قول اخي سليمان عليه الصلاة
والسلام والاخوة هنا المراد بها اخوة النبوة لانها تطلق على المشابهة
والمشاركة في امر ما رب اغفر لي وهب لي ملكا الآية لان الملك الذي
اعطاه الله له ملكه الانس والجن والدنيا كلها وطلب
سليمان له لا لمحبة للدنيا وزينتها انما هو لاجل ان يتم له اعلا كلمته
وتنفيذ امره وتقدم الدعا بالمغفرة عليه لانه ادعى للاجابة
وللاشارة الى ان القيام باعبا الملك والنبوة شاغلة عن العبودية
فهو عنده صلى الله عليه وسلم كالذنب فرده الله اي رد ذلك
الشيطان خاسيا اي خائبا حقيرا لعدم ظفره بما اراد ومنه
قولهم للكلب اخسأ لانها تدل على الطرد مع التحقير قال
الخطابي هذا يدل على ان سليمان واصحابه كانوا يرون الجن على خلقتهم
الاصلية بخلاف غيرهم فان قلت كيف ياتي الشيطان لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد قال لو سلك عمر فجا لسلك الشيطان فجا غيره
فكان عمر لا يخافه والنبي صلى الله عليه وسلم حتى تتغلب عليه قلت
عمر رضي الله عنه لما لم يكن معصوما تحفظ من الجن حفظه الله بالقاء الرعب
في قلوبهم لحدته وشدته والنبي صلى الله عليه وسلم معصوم من الجن
والانس فلو سلكوا فجا حذروا ونفروا ويكون ذلك معجزة له صلى الله
عليه وسلم لا تتعلق بغيره كما قيل في شرح مسلم للنووي
ان سليمان عليه الصلاة والسلام اختص بهذا عن غيره فامتنع
صلى الله عليه وسلم من امساكه اما لانه لم يقدر عليه لذلك او تذكره
وتركه تواضعا وتادبا منه وكونه لم يقدر عليه يرده قوله امكنني الله منه
وفي حديث ابي الدردا عنه صلى الله عليه وسلم الذي رواه
البيهقي عن عبد الرحمن بن جبير وابو الدردا هو عويمر واختلف
في اسم ابيه على اقوال فقيل عامر وقيل مالك وقيل قيس بن ثعلبة
وهو انصاري خزرجي اسلم عقب بدر وتوفي سنة اثنتين وثلاثين
واخرج له احمد والستة وله مناقب مشهورة ان عدو الله ابليس
جاني بشهاب اي شعلة من نار ليجعله في وجهي اي يلقيه عليه
ليقطع صلاته والنبي صلى الله عليه وسلم جملة حالية او معترضة
في كلام ابي الدردا وذكر ابو الوليد الدردا تعوذه صلى الله
عليه وسلم بالله منه اي قوله صلى الله عليه وسلم اعوذ بالله

شنك ولعنه له وقوله ثم اردت اخذه بمصدر مفعول لاردت وفي
نسخة اخذه مضارع بتقدير ان كما في بعض النسخ وذكر نحوه اي نحو قوله
ابي الدرداء كهيئته انا ونقدوقا على ذكر النبي صلى الله عليه وسلم
ولولا قال ذلك فيه لغة تبرأ لوا وثقه لاصبح مرتبطا اي مربوطا
يتلاعب به ولدان اهل المدينة ولدان بكسر الواو جمع وليد
وهو الصبي الصغير وهذا الحديث في مسلم وفيه مسايل فقهية
منها ان الدعا على غيره بالخطاب لا يبطل الصلاة لقوله فيه العنك الله
الا ان يقال انه مخصوص به صلى الله عليه وسلم او قبل تحريم الكلام وان الجني
ترى بخلقته الاصلية وقوله تعالى انه يراكم هو وقبيله من حيث
لا ترونهم اغلبي وقد قيل انه مخصوص بالانبيا كرؤية الملك قال
الشافعي ومن زعم انه يراهم ردت شهادته وعزر لمخالفته القرآن وكان
النووي اخذ منه قول من منع التفضيل بين الانبيا عزر لمخالفته
القرآن وحمل بعضهم كلام الشافعي على زاعم رؤية صورهم التي خلقوا عليها
واستشكل ما ذكر شيخنا ابو قاسم بان غاية ما في الآية اثبات حالة
مخصوصة وهي تمكنهم من رؤيتنا في حالة لا نراهم فيها وليس فيها عموم
ولا حصر وذلك لا ينافي ان لنا حالة اخرى نراهم فيها خصوصا وقد
ورد في الادلة برؤيتهم ولذلك اي مثل حديث ابي الدرداء ما روي
في حديثه صلى الله عليه وسلم وطلبه هنا بمعنى بوجهته بنحوه ليرميه
بشعلة من نار فعلمه جبريل ما يتعوذ به منه باذ قال له قل اعوذ بالله
مثله فانه حرز له وذكره اي امر الشيطان معه في الاسرا وتعليم جبريل
له الامام مالك في الموطا وهذا انما كان قبل صعوده صلى الله عليه وسلم
للسما وكونه قصد تعليم جبريل له لا يبعد والعفريت الشديد الخبيث
المتمرد من الجن واطلاقه على غيرهم مجاز والكلام على اشتقاقه وغيره
مبسوط في كتب اللغة وما علمه له جبريل هو قوله اعوذ بوجه
الله الكريم وكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن
بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السما وشر ما يعرج فيها وشر ما ذرا في الارض
وشر ما يخرج منها وشر فتن الليل والنهار وشر طوارق الليل الا طارقا
يطرق بخير وقالت له اذا قلتهن اطفات ناره ولما لم يقدر الشيطان
على اذاه اذ لم يصل اليه ولم يتسلط عليه لعصمة الله له بما شرته
اي بالعزة منه صلى الله عليه لانها في الاصل ملابسة البشرة وهي ظاهر
البدن تسبب بالتوسط الى عداه بكسر العين ومنها اسم جمع عدو

اي لما لم يصل اليه ابتدا وكان متمكنا من الوصول لاعدائه وهم الكفرة
جعلهم واسطة وسببا لايصال الاذى اليه باغوائهم وتحريضهم على اذيته
واغرائهم كقضيته صلى الله عليه وسلم مع قريش بعد موت ابي
طالب لما جد صلى الله عليه وسلم في دعوتهم وانذارهم في الايتمار
هو افتعال من الامر ومعناه المشاورة في المهم بقتل النبي صلى الله
عليه وسلم وهو رأيهم الذي استقروا عليه وتصوره اي ظهوره
لهم لعنه الله في صورة الشيخ النجدي نسبة لنجد وهي ارض فوق تهامة
وانما تصور بصورة شيخ لما يعلمونه من تجربة الشيوخ وحسن رايهم
وكانت صورته صورة نجدي لانهم لما اجتمعوا بدار الندوة
قالوا لا يدخلن عليكم ومعكم في الشورى احد من اهل تهامة لان هواهم
مع محمد ولما ورد في الحديث انها محل الفتن ومنها يطلع قرن الشيطان
وكان وقف بباب دار الندوة وهي دار قصي التي كانوا يجتمعون فيها
لما يهمهم فقالوا له من انت قال شيخ من نجد سمعت اجتماعكم
للشورى ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال ابو البختري اري
ان تحبسوه في دار وتشدوا وثاقه وتغلقوا عليه وتعطوه منها طعامه
وشرابه فقال الشيخ بئس الراي ياتيكم من يقاتلكم ويخرجه منها
فقال الاسود بن ربيعة ارى ان تخرجوه من ارضكم فلا تضركم
ما يصنع فقال الشيخ بئس الراي اذا اخرجتموه يفسد قوما غيركم
ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل ارى ان تاخذوا من كل
بطن غلاما معه سيف فيضربونه ضربة واحدة فيتفرق دمه
في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فيعقلونه اي
فيرضوا منا بالدية فقال الشيخ صدق الغلام فتفرقوا على رايه
فاخبره جبريل عليهما السلام بذلك ونزل عليه واذ يمكر بك الذين
كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك الاية وامره بالهجرة فكان
ما فصل في السير وتصور الشيطان مرة اخرى في غزوة يوم
بدر في حديث رواه ابن ابي حاتم عن ابن عباس كما قاله السيوطي
رحمه الله ولم يورد الحديث في صورة سراقة بن مالك الذي قد
ترجمته وهو قوله واذ زين لهم الشيطان اعمالهم الاية
وكان من امره ما رواه البيهقي رحمه الله في دلايله ان الشيطان
تمثل لكفار قريش ببدر في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الكناني
وكانت قريش تخاف من بني بكر ان ياتوهم من خلفهم لانهم كانوا قتلوا

رجلا منهم فقال لهم ما اخبر الله به من القا الشيطان لهم انهم لا يهزمون
وهم مقاتلون عن دين ابائهم وكان تمثل مع جنده لهم بصورة قوم من بني
مدلج فيهم سراقة ابن الامداد هم فقال الشيطان لهم لا غالب
لكم اليوم من الناس واني جار لكم فامدهم الله بجنود من من الملائكة
فلما راهم ابليس ولى عنهم فقالوا الكن جار لنا فقال اني ارى ما لا ترونه
اني اخاف الله اي اهلاكه لي ولجندي وهو احد الوجوه في الاية
والى هذا اشار المصنف رحمه الله وقيل المراد وسوسته لهم
بما ذكر وصوت الشيطان ايضا مرة اخرى ينذر قريشا بخوفهم ه
شانه اي بامره صلى الله عليه وسلم عند بيعة العقبة وهي مني
السفلى التي بايع الانصار عندها قبل الهجرة ثلاث مرات كما فصل في السير
والمراد البيعة الثالثة وكان الانصار بايعوه صلى الله عليه وسلم
بها بجانبه الان مسجد يسمى مسجد البيعة فلما راه ذلك الشيطان صرخ باعلى
صوته هذا محمد ومعه الصباة قد اجمعوا على حربكم فقال صلى الله عليه وسلم
لما سمعه هذا ازب العقبة اي شيطانها واصله الازب بهمزة وزاي
معجمة مفتوحتين الكثير الشعر سمي به الشيطان وتفصيله في السير ايضا
وكل هذا المذكور من امر الشيطان الذي تعرض فيه لرسول الله
صلى الله عليه وسلم بما ذكر فقد كفاه الله امره الفاء ابدة في الخبر
الكثير اذ هو مبتدا برآها ونوهما وعلى ما في بعض النسخ وقد بالواو والخبر
مقدر اي وقع حفظه منه وعصمه ضره بفتح الضاد اي ضرره وضمها
غير مناسب هنا والضمير له او للشيطان وشره كما كفى سائر الانبيا عليهم
الصلاة والسلام اذ عصمهم منه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
في حديث رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه ان عيسى
نبي الله عليه الصلاة والسلام كفي بالبنا للمجهول اي كفاه الله
وحفظه من لمسه اي من ان يلمسه او يمسه بيده في خاصرته
كما ياتي بيانه والضمير للشيطان للعلم به من السياق فجا الشيطان
عيسى عليه الصلاة والسلام حين ولادته ليطعن اي ليجسه
ويمسه بيده في خاصرته بخا معجمة وصاد مهملة هي جانبه ما فوق
اضلاعه وهي الشاكلة ايضا حين ولد فطعن في الحجاب
اي في شي حجبه عن الوصول لمس جسده قيل هو المشيمة وقيل
ما لف فيه وقيل انه امر حجبه الله به عنه اذ حجبته امه مريم عنه
والفاء سببية اي بسبب كفاية الله له وقع طعنه في الحجاب والحديث

كل

كل بني ادم يطعن الشيطان في جنبه باصبعه حين يولد غير عيسى عليه
الصلاة والسلام ذهب ليطعنه فطعن في الحجاب وفي رواية ما من مولود
يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان
الا مريم وابنها وهو المذكور في اية اني اعيذها بك وذريتها من الشيطان
الرجيم وليس هذا مخصصا بعيسى كما يتوهم من ظاهره في شرح مسلم
عموم عدم طعن ابليس ومسه لم يقم عليه دليل غير عصمة الانبيا
ولا يلزم منها ان لا يمسهم انما يلزمها عدم الاغوا والاذية لهم ولا يلزم
من اختصاص عيسى بهذه الحقيقة تفضيله على نبينا صلى الله
عليه وسلم وذكر امه معه مما يدل عليه دلالة ظاهره فقد يخص الله
بعض عباده بامر لم يكن لا فضل منه نعم حيث تولده صلى الله
عليه وسلم الدال على انه لم يستهل دال على انه لم يستهل صارخا
فاختصاص عيسى وامه انما هو بالنسبة لمن تمكن الشيطان من القرب
منه لاجل امتلاء الارض بالملائكة الحافين به تعظيما ولما ساق مسلم
حديث ما من مولود الا يمسه الشيطان فيستهل صارخا من
مسه قال القرطبي في شرحه اي في اول وقت الولادة يتسلط
عليه بحضرة الام وابنها عليهما الصلاة والسلام لدعوة
امها يعني قولها اني اعيذها بك الاية وامها امراة عمران ه
وهي حنة بنت فاقود وهو عام شامل للانبيا عليهم الصلاة
والسلام والاوليا ومع ذلك عصمهم الله منه لقوله ان عبادي
ليس لك عليهم سلطان ولكل قرين من الشياطين وقد خص الله
نبينا صلى الله عليه وسلم بانه اسلم قرينه فلا يامر الا بخير وهذه
لم يرها غيره انتهى وقد تقدم ما في ذلك ثم قال وقول مسلم
صياح المولود نزغة من الشيطان روي بنون وزاي وغين
معجمة وروي فزعة بفاء وعين مهملة والزمخشري في تاويل
الحديث تخييل باباه الحق الصريح فان اردته فانظر الكشاف
وشروحه وقال صلى الله عليه وسلم حين لد بالبناء
للمجهول من اللدود بفتح اللام ودال مهملتين بينهما واو دوا يمانع
من ما واجزا اخارة توضع في احد شقي الفم بتعنفه ثم يشربه
والة الادوية بهذه الزيادة كالسعوط ولما لدوه صلى الله عليه
وسلم قال لا يبقى احد في البيت الا لد عقوبة لهم لما تالم ه
في مرضه الذي مات فيه والاضافة فيه للعهد وقيل

خشينا اي خفنا عليك ان يكون بكا اي وقع بك واصابك ذات الجنب
وهو اسم لمرض يكون في باطن الجنب كالورم يتفجر في الداخل وفي الجنب
من يشكي منه ويقال له الدبيلة ولذا انث وهو محذوف فيقال من يسلم
منه فهو مونث باعتبار انه سمى دبيلة لا لانه لا ينفرد الا مرة
واحدة كما قيل الا انه اتبع فيه الشراح بعضهم بعضا
وهو يخالف لما قرره الاطبا فان الدبيلة مرض في الكبد وذكر بعض
الاطبا انه قد يكون في المعدة وذات الجنب في الخاصرة وانما
معرب عن معناها فقالت صلى الله عليه وسلم انها اي
ذات الجنب من الشيطان اي هي وجع يصيب الناس من الشياطين
كالطاعون لا انه بسببه وسوسته كما قيل ولنبت ايضا
من طعنة المولود حين يولد ولم يكن الله ليعصمه له ليسلطه
على تفطما له صلى الله عليه وسلم ومن اللطايف ما قلته
مخاطبا لبعض الاخوان وقد تكوى بحوزة
يا خليلي قد اصطفيت عجوزا • هي و اسن الممات اشد •
قاد ذات الجنب ابتليت بها • ما لي لد ود لها وخص الد •
وهذا الحديث رواه في الموطا وقال السهيلي وذات
الجنب تسمى الخاصرة وهي من الاسقام الذي استعاذ منه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكانت تصيبه صلى الله عليه وسلم
فيظها عرق الكلية وهو مرض احوذ من هنا علم خطا من قال انها لا
تصيبه الا مرة كما تقدم وكانوا لما ارادوا ان يلدوه صلى الله عليه
وسلم اشار اليهم بالمنع منه فظنوه لكراهة المريض الدوا فلما افاق
قال لا يبقى احد في البيت الا لد كما مر وكونها من الشيطان ومن
طعنه ورد في احاديث اخر والله يومي قوله فان قيل
ما معنى قوله واما ينزغنك من الشيطان نزغ الاية
فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم فاذا اهل معنى النزع لغة ادخال
شي مفسد كالطعن كما ذكره المصنف الراغب فما تقابل السوال
بما قبله وبما عقد له الفصل في غاية الظهور وان اطال
فيه بعضهم بغير طائل يفيده وحاصله ان الله عصمه
صلى الله عليه وسلم من تسلط الشيطان عليه باذية او وسوسة
وفي الاية ما يوهم خلافه وان كانت الشرطية لا تقتضي
الوقوع ولو سلم فالمراد امته يجعل ما يصيبهم كانه يصيبه وا سند

النزع

٥-٢

النزع للمصدر مجازا كقوله جد جده واصل النزع الطعن ثم شاع
في كل مفسد فقد قال بعض المفسرين في تفسير هذه الاية
ايضا اي هذه الاية راجعة الى قوله تعالى قبل واعرض عن الجاهلين
ثم قال الله واما ينزغنك من الشيطان نزغ اي يحملك غضب
اي لا تكافي السفها الذين خفت احلامهم اذا اغضبوك بمثل فعلهم واعفر
عنهم ولذا قيل ان هذه الاية جامعة لمكارم الاخلاق ولما قال
لجبريل لما سأله صلى الله عليه وسلم عنها ان الله امرك ان تصل
من قطعك وتعطي من حرمك وتعفوا عمن ظلمك حملك على ترك
الاعراض عنهم جزاء بمثل فعلهم فاستعذ بالله اي قل اعوذ بالله
من الشيطان الرجيم لئلا تطيعه وتفعل بنزغه وهذا من مكارم
الاخلاق لانه امر تنبيه فان الغضب على السفيه وجزاءه بمثل
فعله تاديا له لا يعد من الامور الشيطانية والاستعادة عند الغضب
مشروعة وعلى هذا البيت الاية منسوخة باية القتال كما قيل
وقيل النزع هنا اي في هذه الاية الفساد مستعار من
النزع بمعنى الطعن والنخس كما قال تعالى حكاية عن يوسف عليه
الصلاة والسلام من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي
اي افسد ما بيني وبينهم بما حملهم عليه في قصته معهم فالمراد هنا فساد
بوسوسته له في حال غضبه وحمله على ما لا يليق به فاذا اخطر
بباله يستعيذ بالله طلبا للنجاة من كيده وقيل معنى ينزغنك
يغرينك من الاغرا بغين وراء مهملة وهو الحث والتحريض
على امر ما ويحركنك بازعاجك للانتقام ممن اغضبه والنزع
ادنى الوسوسة اي اقلها كحديث النفس والتفكر واصل معنى
الوسوسة الصوت الخفي ومنه قيل الصوت الحار وسوسة
كما قيل قالوا كلامك وسواس فقلت لهم وقد يقال
لصوت الحلي وسواس وهذا يقول له العامة وشوشة بالاعجام
فامره الله في هذه الاية انه متى تحركك اي طرا عليه وعرض له
غضبه على عدوه لسوء ما صدر منه او رام الشيطان من اغرابه
والتاع به كحثه على قتاله فهو بغين معجمة وراء مهملة وفي نسخة
اعرابه بعين مهملة ونون وما في بعض النسخ من اغرابه بغين
وراء اي معجمتين فهو تحريف من الناسخ والصواب الاول وخواطر
ادنى بمعنى اقل وساوسه جمع وسواس مما لم يجعل له سبيل اليه

اي حماه الله من التلبيس بمثله لعصمته منه اذ يستحيذ منه فيقبول
امره لان مجرد الوسوسة والخطور بالبال لا يضر في عصمته صلى الله عليه
وسلم وانه كان ذلك ممنوعا فهذه الاية في سورة الاعراف وهي المذكورة
هنا ونعت في سورة فصلت مسبوقة بقوله ادفع بالتي هي احسن
فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وهما متماثلان معنى
وتيسا فيكفي بالبنا للمجهول اي يكفي الله رسوله صلى الله عليه وسلم
اذا استعاذ به والتجا اليه امره اي امر الشيطان بوسوسته لعصمته
منه ويكون ذلك سبب تمام عصمته لعصمته صلى الله عليه وسلم
من مجرد الخواطر وهو نهاية الحفظ والعصمة اذ لم يسلط الشيطان
عليه باكثر من التعرض له فضلا عن التمكن منه والقهر له اذ يبعثه
له ولم يجعل له قدرة عليه فيرجع خاسئا خاسيا وقد قيل
في هذه الاية غير هذا من التفاسير التي تنفر منها على ما يناسب
غرضه فيما عقد له هذا الفصل وكذلك اي مثل ما ذكر من حفظ
الله له عن تسلط الشيطان عليه لا يصح انه يتصور له الشيطان
في صورة الملك بان يتمثل بمثاله ويقول له انا ملك ارسلني الله
اليك لحفظ الله له عنه ومنعه من اتيانه بهذه الصورة
وهذه شبهة اوردها منكروا النبوة بانه من اين يعلم ان الاتي
له ملك يبلغه الوحي عن الله لم لا يجوز ان يكون جنيا ويلبس عليه
امره فيلتبس الوحي بغيره لا يقع ذلك في اول الرسالة اي في
اول امره بدعوة الخلق الى الله ولا بعدها الظاهر تقديره اي بعد
الاول في اثنائه والاعتماد اي اعتماده صلى الله عليه وسلم في حقيقة
ما اتاه وعدم احتماله لغيره في ذلك اي في عدم تلبيس الشيطان
عليه وتصوره بصورة الملك دليل المعجزة اي قوة يقينه دليل
على انه معجزة لشدا وهو يعتمد في انه امر الهي على ما ظهر له من المعجزة
كتسليم الحجر عليه واطلاق الغمام له فمعنى قوله لا يصح اي لا
يكون عقلا ذلك والقول بانه لا مدخل للعقل فيه وانه امر علم من
الشرع ومعنى لا يصح انه ممنوع من جانب الشرع كلام باطل بل لا يشك
النبي صلى الله عليه وسلم ان ما ياتيه من الله الملك هذا هو الخبر
او خبر بعد خبر ورسوله الذي ارسله الله اليه من رسل الملائكة
حقيقة لا تمويها وتلبيسا عليه من غير شك فيه اما بعلم ضروري
يخلقه الله له بديهي غير محتاج لدليل لعدم تردده فيه او برهان

ودليل قطعي يظهره لديه مما يشاهده من معجزاته كنطق الحجر وتسليم
الشجر وكل ذلك لتتم كلمة ربك فتبلغ الغاية احكامه واخباره ومواعيده
صدقا في خبره له ووعيده وعدلا فيما حكم به من احكامه التي بلغها
وهما تمييز او تمييز عن الفاعل او حالان لا مبدل لكلماته
اي لا يمكن تغييرها ولا تنسخ بغيرها لانه خاتم الانبياء لا تقبل الزيادة
عليها ولذا كانت شريعته صلى الله عليه وسلم اخر الشرائع وهذا
تعليل لما ذكره من حفظه صلى الله عليه وسلم من ان يتصور له
الشيطان بصورة ملك فيكون ما يلقيه امرا مخلطا قابلا للتبديل والتغيير
ولذا عقبه بقوله فان قيل فما معنى قوله وما ارسلنا
من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته
الاية فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته
والله عليم حكيم التمني هنا بمعنى التلاوة والامنية الكلام المتلو لان
التمني ما يتصوره الانسان في نفسه والمتلو كذلك فحاصل
السؤال المذكور انك قلت ان الشيطان لا يتسلط على
الانبياء عليهم وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام بوسوسته وهذه
الاية تدل على ان الشيطان لعنه يخلط عليهم فيما يوحى اليهم عند
تلاوته وهذه الاية تدل على ان بين النبي والرسول فرقا وقد اختلفوا
في الفرق بينهما بعد الاتفاق على انهما من ينزل عليه الملك بالوحي
والمشهور ان الرسول اخص من النبي فهو من يكون مامورا بالتبليغ وله
شرع جديد واشترط بعضهم ان يكون معه كتاب ويستعمل كل منهما
بمعنى الاخر فاجابه بقوله فاعلم ان للناس اي العلماء لانهم
هم الناس اقاويل جمع اقوال جمع قول فهو جمع الجمع منها اي من جملة
هذه الاقاويل السهل والوعث اي ما هو ظاهر سهل فهمه
ومنها ما هو خفي يعسر فهمه وهو مستعار من المكان السهل
وهو المنبسط الذي يسهل المشي فيه والوعث المكان الكثير
الرمل الذي يشق فيه وسنده ارض وعثا ثم استعمل مجازا او استعارة لمعنى
الشاق ومنه مادة في الحديث اللهم اني اعوذ بك من وعثاء السفر
اي مشقته فلهذه الكلمة هنا موقع لتشبيه المشقة فالمعنى منها
ما هو ظاهر تسلكه الافهام بسهولة ومنها ما هو صعب
يشق على افهام الافهام وهو بفتح الواو وسكون العين المهملة والمثلثة
والسمين مستعار من السمين وهو الممتلئ باللحم والشحم والغث

بفتح الغين المعجمة وتشديد المثلثة ضده وهو الناقة المهزولة استعير لما فيه نوائب جلائه ولما خلا عنها يعني ما جمع بين حسن العبادة وجزالة المعنى وأدلى ما يتفادته أي ما يتفاوت في تفسيرها وأدلى بمعنى أخص بالقبول أو بمعنى أقرب كما في قوله صلى الله عليه وسلم في حديث الميراث فلأولى رجل ذكر أي لأقربه من الميت وهو العصبة ما عليه الجمهور أي ما يستقر عليه رأي الجمهور أي الأكثر من المفسرين أن التمني معناه هنا أي في هذه الآية التلاوة لأنه تفعل من منى بمعنى قدر كما قال الشاعر

لا تأمنن وإن أمسيت في حرم ۝ حتى تلاقي ما يمني لك الماني

أي ما قدره لك المقدر والمني أمر يقدره المرء في نفسه وهو بمعنى تلا قال

تمنى كتاب الله أول ليله ۝ تمني داود الزبور على رسل

ألقى الشيطان في قوله ألقى الشيطان في أمنيته أي تلاوته شغله مصدر مضاف لفاعله أي شغل الشيطان للتالي بخواطر أي أمور دنيوية تخطر على قلبه فيشغله عن تلاوته وأذكار جمع ذكرى أي حديث نفس يذكره فيلهيه من أمور الدنيا بيان لها للتالي صفة لخواطر وأذكار أي كائنة وعارضة له حتى علة لشغله يدخل مضارع أدخل وفاعله ضمير الشيطان ومفعوله الوهم في قوله عليه أي على التالي الوهم أي الغلط أو مضارع دخل والوهم فاعله والنسيان فيما تلاه أو يدخل عليه غير ذلك أي غير الوهم والنسيان على أفهام السامعين وبين ما يدخل على أفهام السامعين بقوله من التحريف لما تلاه عليهم وسوء التأويل الناشئ عن تحريف ما سمعوه ما يزيله الله مفعول الفاء وينسخه أي يحوله من الباطل إلى الحق ويكشف لبسه أي يزيله ويبينه ويظهره ويحكم آياته أي يحققها ويثبتها وسيأتي الكلام على هذه الآية مفصلاً بأشبع من هذا أي أكثر منه تفصيلاً وهو استعارة من الشبع ضد الجوع لأن العلم غذاء الأرواح وهذا التفسير هو المنقول عن السلف وهو أحسن ما قيل فيها كما قاله النحاس وهو المنقول عن ابن عباس كما سيأتي وتفسير التمني بالتلاوة مشهور في اللغة والتفسير كما علم وذكر الكسائي والفراء أنه يقال تمنى إذا حدث نفسه قال القرطبي وهو المعروف في اللغة

ومن قال إنه لم يجده في كتب اللغة والذي فيها أعم منه فقد قصر وقد صرح به الراغب في مفرداته فليت شعري ما هذه الكتب التي رآها وتتبعها ولنبرهن هذا أيضاً لما ذكره أولاً من عصمة الأنبياء عن الوساوس لأن الذي عصم عنه الأنبياء الخواطر القادحة وأما مجرد الخواطر فلا تضرهم ولا يفترون أعلمها ذكره صرح الثعلبي في تفسيره وقد حكى الإمام أبو الليث الحنفي السمرقندي وقد تقدمت ترجمته في تفسيره إنكار قول من قال بتسليط الشيطان على ملك سليمان وغلبته عليه وهو بمعنى أخذ خاتمه الذي يتصرف في ملكه بأمر الله فهرب سليمان عليه الصلاة والسلام إلى أن رد الله عليه الخاتم وأن ذلك الشيطان كان يسمى صخراً إلى آخر ما ذكره القصاص من الخرافات في قصته وقد رده أيضاً بأن مثل هذا لا يصح وقد ذكرنا قصة سليمان مبسوطة بعد هذا وكذا قول من قال في هذه القصة إن الجسد الذي ذكره الله في قوله وألقينا على كرسيه جسداً هو الولد الذي ولد له حين قال صلى الله عليه وسلم لأطوفن على نسائي هذه الليلة وتحمل كل واحدة منهن بذكر يجاهد في سبيل الله ولم يقل إن شاء الله وكان له تسعون امرأة فلم تحمل منهن غير واحدة بشق رجل وأهل القصص ذكروا فيها غير ذلك كما سيأتي إن شاء الله تعالى وما ذكره السمرقندي هو المعتمد عند المفسرين وقد حكى أبو محمد مكي وقدمنا ترجمته في قصة أيوب نبي الله عليه الصلاة والسلام وهو كما قال ابن إسحاق أيوب بن أموص بن رازح ابن عيص بن إسحاق بن إبراهيم وقيل غير ذلك وكان في زمن يعقوب ورحمة ابنته وأبوه من إبراهيم وأمه بنت لوط وقد فصل أحواله صاحب مرآة الزمان وقيل إنه بعد سليمان وقوله إني مسني الشيطان بنصب وعذاب أي ألم ومشقة عظيمة ونصب بمعنى تعب يعني ما أصابه في بدنه وقرئ بضم وسكون وفيه قراءة أخرى إنه بالكسر بتقدير القول لا يجوز لأحد أن يتأول أي يفسر ما ذكر في هذه الآية برأيه فيقول إن الشيطان هو الذي أمرضه وألقى الضر بالضم وهو المرض في بدنه لأن الله تعالى عصم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من أذيته وتسلطه عليهم ولا يكون أي لا يقع ولا يصح ذلك أي كون الشيطان أمرضه إلا استثناء منقطع أي لكن كل ما يصيبهم بفعل الله وأمره أي تقديره ليبتليهم

أي يوقع بهم بلاء من مرض وغيره ويحبهم أي يعطيهم ثوابا جزيلا على ما
ابتلاهم وفي نسخة ويثبتهم من الثبات بمثلثة وموحدة ومثناة أي يصبرهم
حتى يكون منهم ثبات على شكره والرضا بقضائه وهذا إشارة لما ذكر في
القصص وبيان لوروده وإن ذكر بعض المفسرين لما في ظاهر الآية
من إسناد ما مسه للشيطان وهو إسناد مجازي تأدبا منه به في عدم
إضافة الشر له لأن كل ما صدر عنه خير من حيث صدوره عنه
والذي قالوه أن الشيطان حسده لما رآه من نعم الله عليه
وكثرة تصدقه وكان إبليس لا يحجب عن السماء فقال يا رب لو سلطتني
عليه لكفرك فقال اذهب فقد سلطتك على ماله وأهله
وجسده وكانت زوجته رحمة بنت لوط عليه الصلاة
والسلام وقيل بنت افرايم بن يوسف فأصابه قروح عمت
بدنه بعد ما هلك ماله وولده ودوره وكان تفجر في بدنه فتقرح
كله وقعد في الطريق يتطلب فقالت له زوجته إن هنا عبدا
مبتلى فهل لك أن تداويه فقال نعم إن قال لي أنت شفيتني فأخبرته
زوجته بذلك فقال وتلك هو الشيطان أنه عاين الله لأجلدنك
مائة جلدة فكان ما كان من أمر الضغث ثم أتاه جبريل
عليه الصلاة والسلام وركض برجله فنبعت عين ماء اغتسل
منه فرد الله عليه صحته وجماله وكان مدة بلائه سبع سنين
وزيادة وقد ذكر ابن العربي هذه القصة وبين ما لم يثبت
فيها قال مكي إن الذي أصابه من الشيطان ما وسوس
به إلى أهله أراد بأهله زوجته رحمة ونصحه أن يراد به
ظاهره فهو على هذا لم يصب بشيء في نفسه وإنما أضاف ما أصاب
أهله إليه مجازا وقد تقدم ما وسوس به لأهله فإن قلت
فما معنى قوله تعالى عن يوشع نبي الله عليه الصلاة والسلام
وهو يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف بن يعقوب
كان في زمن موسى عليه الصلاة والسلام وهو الذي أقام لبني
إسرائيل أحكام التوراة بعده وقسم الشام بين بني إسرائيل وقاتل
الجبارين وردت له الشمس كما مر وتفصيل أحواله معلوم من التواريخ
وهو فتى موسى المذكور في القرآن وما أنسانيه إلا الشيطان
ووجه السؤال أنه نبي وقد سلط عليه الشيطان حتى أنساه
ذكره ونسيانه في جوابي أنه إذا ذكره بدله من تعود انسانيه ومثاله

قوله تعالى عن يوسف فأنساه الشيطان ذكر ربه
وكذا قوله نبينا صلى الله عليه وسلم حين نام عن الصلاة أي صلاة
الصبح فنام حتى فات وقتها فقضاها بعد طلوع الشمس في يوم الوادي
متعلق بنام أو بالصلاة وهو واد بقرب مكة وكان لما نزل به أمر بلالا
أن ينبههم إذا طلع الفجر فغفل عنه فنام صلى الله عليه وسلم
حتى أدركهم حر الشمس كما في الموطأ وفي البخاري عن عمران بن حصين كنا في
سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كنا في آخر الليل فقدنا
رقدة أحلى منها عند المسافر فما أيقظنا إلا حر الشمس فكبر عمر رضي الله
عنه حتى استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا قالوا له
لو عرست بنا يا رسول الله فقال أخاف أن تناموا عن الصلاة فقال
بلال أنا أوقظكم فاضطجعوا وأسند بلال ظهره لراحلته فغلبته
عيناه فنام حتى طلعت الشمس وقال ما ألقيت علي نومة مثلها
قط فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالارتحال عن الوادي
ثم نزل فتوضأ وصلى الصبح وفي مصنف عبد الرزاق عن عطاء بن يسار
أنه كان ببطن تبوك ونحوه في دلائل البيهقي وقيل
إنه كان بغزوة مؤتة فقال صلى الله عليه وسلم لما انتبه إن
هذا واد به شيطان وفي هذا الحديث أنه صلى الله عليه
وسلم قال ليأخذ كل رجل برأس راحلته فإن هذا منزل حضرنا فيه
شيطان وأخر الصلاة حتى خرجوا منه ولكن الراوي كأمر إذ لم يكن تركها
قصدا وإنما تحول عن الوادي كراهة ما أصابه فيه من الغفلة ولأنه
يخشى من أعداء المسلمين لا لأن الوقت وقت كراهة فإن قلت
كيف هذا مع قوله صلى الله عليه وسلم تنام عيناي ولا ينام قلبي
قلت أجاب عنه المصنف فيما يأتي وتبعه النووي بأن
القلب لا يدرك ما تدركه الحواس الظاهرة كالعين والأذن
وأنه صلى الله عليه وسلم كان له حالان في أحدهما وهو الأكثر أن قلبه
لا ينام وفي بعض الأحيان ينام عينه وقلبه لعارض كتعب سفر
ونحوه وفيه تشريع للقضاء وتأخيره ولو كان قلبه
الشريف يقظان لم يؤخر صلى الله عليه وسلم في تأخير الصلاة
أيضا في مسلم عن أبي هريرة وله طرق أخرى وقال القرطبي
أخذ بعض العلماء بظاهره فقال من انتبه من نومه عن صلاة فاتته
في سفر فليتحول عن موضعه وقيل إنما يستحب في ذلك

الوادي بعينه كما في قصة ابن مسعود وقيل انه مخصوص به صلى الله عليه
وسلم لانه شاهد ذلك لا يطلع عليه غيره ولا باس بالقول باستحبابه
مطلقا او هو بحديث البخاري من فاتته صلاة فليصلها اذا ذكرها
لا كفارة لها الا ذلك وسياتي ما ينبه عليه ذكر الجواب
عنه وما معنى قول موسى نبي الله صلى الله عليه وسلم في وكزه
وفي نسخة وكزته ومعناهما واحد والوكز الدفع والضرب بجمع
الكف ووكزه المراد به وكزه القبطي المذكور في القران هذا
الوكز من عمل الشيطان وهو مقول القول فهو معصوم فكيف
وقع منه ما وقع من قتل من لم يؤمر بقتله فلذا سماه ظلما واستغفر
منه ووجه السؤال ظاهر وكان موسى قبل النبوة يركب مع
فرعون في مواكبه الا انه لم يكن على دينه فالحقه مرة في وقت
غفلة فوجد رجلين يقتتلان احدهما قبطي والاخر من بني اسرائيل
من قوم موسى فاراد القبطي ان يسخره بحمل متاع له فاستغاث بموسى
لينصره عليه ونصرة المظلوم واجبة في سائر الملل فوكزه
بيده اي دفعه ليندفع فقتله ولم يكن هذا ظلما منه صلى الله
عليه وسلم وانما جعله من عمل الشيطان لانه ترك الاولى ولم
يصفه الله ادبا منه فاعلم جواب الشرط في قولك
ان قلنا ان هذا الكلام عن المذكور عن الانبيا صلوات الله
وسلامه عليهم في السؤال قد يرد في القران والحديث ما هو اعم منه
او بمعناه في جميع هذا المحكي عنهم على نوع مستمر بالاضافة
لكلام اي طريق معروف في استعمال كلام العرب او هو نا على
نوع اي دابهم في كلامهم ومعتادهم فيه والاول هو الظاهر وما على نوع
اي دابهم في كلامهم ومعتادهم فيه والاول هو الظاهر وما على نوع مستمر
الكلام في وصفهم كل قبيح من شخص او فعل بيانه لكل قبيل كقبح
الشخص في منظره والافعال القبيحة الصادرة من الناس فيقولون
للقبيح هو شيطان ويضيفون الافعال القبيحة له وقوله
للشيطان متعلق بوصفهم او فعله مجرور معطوف على الشيطان
فاذا راوا شخصا قبيحا قالوا هذا شيطان كما قال تعالى
في شجرة الزقوم التي في جهنم طلعها كانه رؤوس الشياطين
فانها مما يشبه طلع النخل فشبه ما يطلع منها تشبيها تخييليا بذلك
لما استقر عندهم من تشبيه كل قبيح بها وان لم يروها كقوله

امري القيس ٭ ومسنونة زرق كانياب اغوال ٭
كما بين في كتب المعاني وقيل الشياطين حيات كبيرة هائلة وقال
صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان في المار بين يدي
المصلي فليقاتله فانما هو شيطان والحديث رواه مسلم عن ابي
سعيد الخدري رضي الله عنه وفيه اذا صلى احدكم الى شي يستره
فاراد احد ان يجتاز بين يديه فليدفع في نحره فان ابى فليقاتله
فانما هو شيطان والامر للندب لا للوجوب وانما يجب اذا كان
بين يديه سترة وانما يفعل ذلك اذا لم يرتد باسهل الوجوه وذكر المقاتلة
مبالغة في شدة الدفع والا فالمقاتلة افعال كثيرة لا تجوز في غير
صلاة الخوف وقوله هو شيطان استعارة تصريحية شبهه
بالشيطان في صدور الافعال القبيحة منه وقيل انه مجاز مرسل لان
الشيطان سبب لما فعله واما كونه حقيقة لقوله شياطين الانس
والجن فليس بشي لانه مجاز ايضا وانما كره ذلك لانه شغله عن خدمة
ربه وتوجهه اليه من امن اذا رجع اي يرجع الى الجواب
عما مر في السؤال فان قول يوشع عليه الصلاة والسلام
وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره الذي حكاه الله عنه
لا يرد هنا الجواب عنه لعدم وروده على ما قررناه من عصمة
الانبيا عن تسلط الشيطان عليهم اذ لم يثبت في ذلك الوقت
اي وقت صدوره هذا القول عنه وهو في خدمة موسى عليه الصلاة
والسلام نبوة اي انه كان نبيا حال كونه مع موسى مصاحبا له في سفره
وهو خادمه ويدل على ذلك قوله تعالى واذ قال موسى لفتاه ٭
الى اخره والفتى في الاصل معناه الشاب فاستعمل بمعنى العبد
والخادم لان الغالب استخدام الشباب وتوقير الكبار وهو من الاداب
الشرعية ففي الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال لا يقل احدكم
عبدي وامتي ولكن يقول فتاي وفتاتي وانما سمي يوشع فتى موسى
لانه كان يلازمه فيقوم مقام العبد ويقال انه ابن اخته وهو
يوشع بن نون كما في صحيح البخاري والمروي عن العلما اتفاقا
انه انما نبي اي جعله الله نبيا واوحى اليه بعد موت
موسى وقيل انه نبي قبل موته اي موت موسى وفي بعض
النسخ قبيل بالتصغير اشارة لقلة زمن نبوته في حياته وسياتي
فيه كلام ايضا وقد قيل انه نبي في حياته فكان اذا سأله عما اوحي

اليه بقوله صحبتك كذا وكذا ولم اسألك عما اوحى اليك فلما راى
ذلك كره الحياة وسال ربه ان يقبضه اليه وقيل الاصح انه
انما نبي بعد موسى وقوله يوشع في ذكر القبطي انه من عمل الشيطان ه
كان قبل نبوته فلا يرد السوال به لان الكلام في عصمة الانبيا عن
تسلط الشيطان عليهم بدليل القران فانه تقتضي فيه القصة مما يدل
على انه انما نبي بعد ذلك كما تعرفه من عرف الاية وتفسيرها في
سورة القصص فانها فيها خرج وجه لمدين واستيجار شعيب
له وتمكنه عنده فانه صرح في الاية بانه نبي بعد ذلك وقوله
في الشرح الجديد ان المراد بقوله موسى كما قاله ليوشع واذا في القران
ذكره بانه فتاه دون ان يقول نبي الله مع مخالفته للشروح لا وجه
وقصة يوسف ومما فيها مما عقد له الفصل الجواب عنها انه قد ذكر
بالبنا للمجهول اي ذكر علما التفسير وغيرهم انها كانت
قبل نبوته اي قبل نبوة يوسف عليه الصلاة والسلام فلا يمتنع
قبلها انه يخطر عليه خاطر ينبغي به ذكر ربه المشار اليه بقوله فانساه
الشيطان ذكر ربه وهذا احد قولين فيه وقيل انه نبي في الجب
وهو على حجر تقع فيه بدليل قوله واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم
هذا وهو قبل بعثه لمصر وهو قول الحسن ومجاهد صغيرا
قبل الاربعين فعلى هذا اجابه بانه انما كان استعانة بمخلوق ومثله
جايز وانه لم يليق بمنصب النبوة فاضاف ما هو خلاف الاولى الى الشيطان
تادبا ولا ضرر فيه وهذا انما على ان ضمير انساه راجع ليوسف
وقد قال اكثر العلما والمفسرون في قوله تعالى فانساه ه
الشيطان قولين آخرين احدهما ان الذي انساه ذكر ربه
ليس المراد به يوسف وانه بمعنى السيد اي الملك احد صاحبي
السجن وليس المراد صاحب السجن لكنه من طال حبسه
فيه فاضافة لادنى ملابسة كقوله يا سارق الليلة اهل الدار ه
وربه المراد به في الاية على هذا سيده وهو الملك اي
الشيطان انساه اي الساقي الشرابي المسجون ان يذكر بربه يقتل
وفي بعض النسخ بضم اليا وكسر الكاف المشددة والاول
هو الصواب لانه الموافق كقوله اذكرني عند ربك للملك شان ه
يوسف في السجن والورطة التي وقع فيها وكان دخل معه فتيان من
عبيد الملك احدهما شرابيه الذي يسقيه الشراب وكان

الملك

الملك عمر فيهم طويلا فدسوا في شرابه سما فلما اخبر به الملك حبسهما
فالتقيا يوسف وهو مسجون معهما فراى كل منهما رويا قصها على يوسف
وبينها له ثم قال لمن راه ناج منهما وهو الشرابي انا خلصت
اذكرني عند ربك يعني الملك فتسلط الشيطان عليه حتى انساه ان
يذكر للملك قصة يوسف فعلى هذا لم يتسلط الشيطان على يوسف
حتى يرد السوال والى ذلك اشار المصنف وايضا اي بمثل ما ذكر في
جواب الشبهة عن قصة يوسف ويوشع فانه مثل هذا
النسيان المذكور من قبل الشيطان بكسر القاف وفتح البا الموحدة
بمعنى عند وجانب يقال لفلان قبل فلان كذا اي عنده قال تعالى
فما للذين كفروا قبلك مهطعين وفي بعض النسخ من فعل الشيطان
والجار والمجرور حال من اسم الاشارة يفيد انها منه والخبر قوله
ليس فيه تسلط على يوسف ويوشع او هو خبر بعد خبر بوسواس
متعلق بتسلط ونزغ بنون وزاي وغين معجمة وقد تقدم معناه لعصمة
الله لهما عن ان يكون له سلطان عليهما وعلى غيرهما من الانبيا وانما هو
الهم بمثل يشغل خواطرهما بمعجمة من الثلاثي ويجوز كونه من المزيد
كونه من المزيد على لغة غير فصيحة كما تقدم اي يشغل النبي بطريق
الوسوسة والتسليط بل بامر اخر مما يرد على الخاطر فلا يخطر ولاه
يستغرق وهو تذكيرهما اي يوشع ويوشع من امرهما ما ينسيهما
بالتشديد للمهملة والتخفيف ما نسيا اي انه كان ان انسانا نسياه من
احوالهما السابقة كاستغاثة يوسف بمخلوق ونسيانه الحوت الذي نسيه
يوشع ونسبه للشيطان تادبا لامر ومثله لا محذور فيه واما قوله
ان قول نبينا صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي تقدم بيانه سنده ورايه
عن مسلم ان هنا واديه شيطان وتقدم بيان الوادي وحكايته فليس
فيه اي في هذا الحديث ما يقتضي ذكر تسليطه اي الشيطان عليه
صلى الله عليه وسلم ولا وسوسته له صلى الله عليه وسلم لعصمته
ونزاهته عن مثله فهو لا يقدر على ان يهرب من سواد حاجبيه
بل ان كان ذكر في الحديث ما تسلطه عليه بمقتضى ظاهره قبل
التامل فيه فقد بين وكشف صلى الله عليه وسلم فيه امر ذلك الشيطان
في هذه الواقعة بقوله صلى الله عليه وسلم في رواية مالك ه
والبيهقي عن زيد بن اسلم ان الشيطان اتى بلالا بعد ما امره رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يرتقب طلوع الفجر ويوقظه صلى الله عليه

وسلم من نومه فلم يزل الشيطان يهديه كما يهدي الصبي
الصغير في مهده حتى نام بلال فلم يستيقظ حتى اصابه صلى الله
عليه وسلم حر الشمس فاستيقظ وقال ما هذا يا بلال فقال
اخذ بنفسي الذي اخذ بنفسك يا رسول الله الحديث وقوله
يهديه بضم المثناة التحتية وسكون الهاء ودال مهملة مكسورة
محققة واخرها ساكنة او همزة مضمومة او هو بفتح اوله
وسكون ثانيه وفتح داله وبعده همزة او الف ودال مشددة
الا ان رسمه بالبا في النسخ وكذا يهدي في قوله كما يهدي الخ قال
الجوهري هدا هدا وهدوا اذا سكن واهدات الصبي اذا سكنته
وامرت يدك عليه لينام وكذا في القاموس وافعال ابن القطاع
وغيره وشدد هداه بالتشديد مهموزا ومعتلا وهمزته
منون وهدهده كذلك بمعنى حركت الصبي او مهده حتى ينام والحديث
في الصحيحين فاعلم انه تسلط الشيطان في ذلك الوادي
الذي نزل به رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وغلبهم
النوم حتى فاتتهم صلاة الفجر وقد رجعوا من الغزاة انما كان
تسلطه على بلال لا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يرد
السوال الموكل بفتح الكاف المشددة اسم مفعول اي المعتمد عليه
في الحفظ عن خروج الوقت كلاه بكسر الكاف كالحراسة
وزنا ومعنى فهو مصدر مهموز وقد تبدل همزته يا كما في النهاية
يقال كلاه يكلوه اذا حرسه وضمن معنى المراقبة اي مراقبة طلوع
الفجر ليوقظهم وتنسل المراد كلاءة صلاة الفجر بتقدير مضاف في ذلك
وجه وجيه هذا اي ما ذكرنا من ان تسلط الشيطان انما كان على
بلال اذ جعلنا قوله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث
ان هذا وادبه شيطان تنبيها منقولا على سبب الرحيل النوم
عن الصلاة بناء على ان المراد ان الشيطان على من غفل عن الصلاة
حتى فاتته بطريق من الطرق لتسلط عليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم بل بلال فان الشيطان يجيء عليه في غلبة النوم كما تحيل
الام والدابة على طفلها كي لا يستغرق في نومه واما ان جعلناه
تنبيها على سبب الرحيل عن الوادي فانه صلى الله عليه وسلم
لما استيقظ من نومه امرهم بالرحيل عن ذلك الوادي وقال انه
وادبه شيطان كما مر وعلة لترك الصلاة فيه لا لانه الا افضل

في

في قضا الصلاة اذ يبادر بقضائها في اول تذكرها فلما تركه ذكره
وارتحل وقال ان هذا واد به شيطان دل سياق كلامه على ان كونه
لم يصل به لذلك فليس فيه ما يقتضي ان للشيطان تسلط على بلال
فضلا عنه صلى الله عليه وسلم وهو اي ما ذكر من انه علة لارتحاله
وترك الصلاة دليل فعيل بمعنى مفعول اي مدلول مساق بفتح
الميم مصدر بمعنى سياق حديث زيد بن اسلم والسياق ما يفهم من
ذكر شي مع شي وزيد تقدم بيانه وهو هذا الحديث المذكور لكنه
من طريق اخرى رواه مالك في الموطا والبيهقي عن زيد بن اسلم وعلى
هذه الرواية التي يفيد سياقها ما ذكر فلا اعتراض بهذا
الحديث في هذا الباب الذي عقد لان الشياطين لا تسلط
لهم على الانبيا بوسوسة ونحوها لبيانه اي بيان حديث
زيد لما ذكر ووضوح دلالته عليه وارتفاع اشكاله اي زواله بالكلية
حتى استغنى عن الجواب لعدم احتماله لما يخالفه

والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب تم الجزء الثاني
من شرح الشفا لمولانا شيخ الاسلام والمسلمين
العالم العلامة مولانا شهاب افندي
تغمده الله برحمته واسكنه
فسيح جنته بمنه
وكرمه
امين
تم
تم

صحيفة ورق سطر

١٠١٥ = ٥٠٨ = ٢١